

المكتبة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي  
جامعة أم القرى  
كلية الدعوة وأصول الدين  
قسم الكتاب والسنة  
شعبة التفسير وعلوم القرآن

ترجيحات ابن جُزَيِّ الكَلْبِي في التفسير  
من خلال كتابه (التسهيل لعلوم التنزيل)  
عَرَضًا ومناقشةً

من أول سورة الأنعام إلى آخر سورة يوسف

رسالة دكتوراه في الشريعة والدراسات الإسلامية

إعداد الطالب :

إبراهيم بن محمد بن عبدالحالق الغامدي

الرقم الجامعي ٤٢٤٧٠٠٨٥

إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور :

أمين محمد عطية باشا

العام الجامعي : ١٤٢٨هـ - ١٤٢٩هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ملخص الرسالة  
ترجيحات ابن جُزَيِّ الكَلْبِيِّ في التفسير  
من خلال كتابه ( التسهيل لعلوم التنزيل )

جمعت الرسالة ترجيحات ابن جُزَيِّ الكَلْبِيِّ في التفسير من أول سورة الأنعام إلى آخر سورة يوسف ، من خلال كتابه « التسهيل لعلوم التنزيل » ، وعرضتها وناقشتها ، وقارنتها بأقوال المفسرين المتقدمين والمتأخرين ، وما استدلُّوا به من أدلة لأقوالهم ، ومن ثمَّ بيَّنت القول الراجح من المرجوح ، استناداً إلى وجوه وقواعد الترجيح عند المفسرين .

وتألّفت الرسالة - بعد المقدمة - من تمهيد وباين :

التمهيد : في التّعريفِ بِابْنِ جُزَيِّ الكَلْبِيِّ وَكِتَابِهِ « التَّسْهِيلُ لِعُلُومِ التَّنْزِيلِ » .

الباب الأول : مَنَهَجُ ابْنِ جُزَيِّ فِي التَّرْجِيحِ . وفيه فصلان :

الفصل الأول : صِيغُ التَّرْجِيحِ وَأَسَالِيهِ عِنْدَ ابْنِ جُزَيِّ .

الفصل الثاني : وُجُوهُ التَّرْجِيحِ عِنْدَ ابْنِ جُزَيِّ .

الباب الثاني : عَرَضٌ وَمناقشةٌ لِتَرْجِيحاتِ ابْنِ جُزَيِّ فِي تَفْسِيرِهِ مِنْ أَوَّلِ سورة الأنعام إِلَى آخر سورة يوسف .

وخلصت الرسالة إلى ما يلي :

- ١- أجاد ابن جُزَيِّ التّأصيلَ لموضوع : الترجيح بين أقوال المفسرين ، وبرع في عرض مسائله ، من خلال تفسيره لسورة الأنعام والأعراف والأنفال والتوبة ويونس وهود ويوسف ، حيث حرَّرَ صيغته ، وأساليبه ، والوجوه التي يُرَجِّحُ بِهَا .
- ٢- أن جُلَّ ترجيحاته جاءت موافقةً لترجيحات أكثر من سبقه من المفسرين ، ووافقه فيها الكثير من المفسرين الذين أتوا بعده .
- ٣- كان الصواب حليف ابن جُزَيِّ في أكثر ترجيحاته ، ولم يجانبه إلا في التمر اليسير منها .

## Abstract

### **Preponderances of Ibn Juzai' Al-Kalbi in commentary on the light of his book titled ( Al-Tasheel li'olom Al-Tanzeel ) "Facilitating the comprehension of Qur'anic science"**

This study discussed preponderances of Ibn Juzai' Al-Kalbi in commentary on the light of his book titled ( Al-Tasheel li'olom Al-Tanzeel) and compared them with a number of opinions of early and late commentators. The study tackled the evidences for views held by those commentators. After that, I elucidated the outweighing opinion on the matter under question as it was based on the generally accepted aspects and rules of preponderance of this art.

In fact, the study comprised a preamble and two chapters.

The preamble provides a brief introduction of Ibn Juzai' Al-Kalbi in commentary on the light of his book titled (Al-Tasheel li'olom Al-Tanzeel).

Chapter One: This chapter, which covers the method of Ibn Juzai' in preponderance, comprises two sections.

Section one: It is titled formulas and styles of preponderance as adopted by Ibn Juzai'

Section two: It is named the aspects of preponderance as viewed by Ibn Juzai'.

Chapter Two :This includes detailing as well as perusal of Ibn Juzai 's preponderances in commentary, from the beginning of Surat Al-An'âm to the end of Surat Yûsuf.

The following are the three results:

- 1- Ibn Juzai' did well in investigating the origin and source of outweighing the opinions of commentators and excelled in presenting its problems via his explanation of surat Al-An'âm, Al-A'râf, Al-Anfâl, At-Taubah, Yûnus, Hûd and surat Yûsuf. In he liberated its formulas, styles and aspects with which outweighing are achieved.
- 2- The overwhelming researcher's preponderance agreed with the greater part of those of most of the commentators who preceded him as well as with many commentators who came after hen.
- 3- Ibn Juzai' was always correct in most of his preponderance; and that he made only few mistakes.

## المقدمة

الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور. وأنزل بحمده على عبده الفرقان ؛ ليكون للعالمين نذيراً ، فأخرج به المتبعين له من الظلمات إلى النور. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ألوهيته ، ولا مثيل له في ذاته وصفاته وأفعاله، ولا نديد له في ربوبيته ، خلق كل شيء فقدره تقديرًا .

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وصفيه وخليله وخيرته من خلقه وأمينه على وحيه أرسله بين يدي الساعة بالقرآن بشيراً ونذيراً وداعياً إليه بإذنه وسراجاً منيراً، فبلغ القرآن البلاغ المبين وجاهد به جهاداً كبيراً. صلى الله عليه وعلى آله الطيبين وصحابته العُرِّ الميامين والتابعين لهم بإحسان وسلّم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد : فإن العلوم وإن تباينت أصولها ، واختلفت أحوالها ، وتنوّعت أبوابها ، وتغايرت مسائلها ، فهي بأسرها مهمة ومعرفتها على العلات نعمة ، إلا أن أعلاها قدرًا ، وأعلاها مهراً، وأسناها مبني، وأسمائها معني ، وأوضحها سبيلا، وأصحها دليلا : العلوم الدينية الشرعية.

على نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له منها نصيب ولا سهم  
فلا ينبغي لعاقل أن يستغرق الليل والنهار إلا في غوص بحارها ، وسبر أغوارها .  
وإن أعلى العلوم الشرعية الدينية علمُ التفسيرِ الباحثُ عما أَرَادَهُ اللهُ سبحانه بكلامه  
المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تزييل من حكيم حميد<sup>(١)</sup> .

ولما كان علم التفسير من أفضل العلوم ؛ إذ شرف العلم بشرف المعلوم ، ألف كثير من العلماء في التفسير ، مع اختلاف طرائقهم في التصنيف وإفادة متأخرهم من متقدمهم .  
وكان من هؤلاء العلماء : أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد، المشهور بابن جُزَيِّ الكَلْبِيِّ (تـ٧٤١هـ) رحمه الله تعالى ، المصنّفُ في التفسير كتابه الموسومَ بـ : "التسهيل

(١) مقدمة الألوسي لروح المعاني (٢/١) بتصرف . والبيت لعمر بن الفارض (٦٣٢هـ) من قصيدة مطلعها :

شربنا على ذكر الحبيب مدامة = سكرنا بما من قبل أن يُخلق الكرمُ . ولا بن كمال باشا (٩٤٠هـ) شرح

لها باسم : "شرح الحَمْرِيَّة" مخطوط . وينظر في ترجمة ابن الفارض : وفيات الأعيان (٣٨٣/١) ، وميزان

الاعتدال (٢٦٦/٢) ، والأعلام (٥٥/٥) .

لعلوم التزئيل" ، والذي قصد به أربعة مقاصد ، تتضمن أربع فوائد<sup>(١)</sup> ، من أهمها ما ذكره بقوله : ( الفائدة الرابعة : تحقيق أقوال المفسرين ، السقيم منها والصحيح ، وتمييز الراجح من المرجوح ) .

وبنى ذلك الترجيح والتصحيح على القواعد العلمية أو ما تقتضيه اللغة العربية . بل عقد باباً في مقدمته في موجبات الترجيح بين الأقوال ، فكان من أنفس ما كتب في بابه . ولما كان مقصده الشريف من ذلك المصنف اللطيف في ذهنه واضحاً ولقواعده ووجهه في مقدمته منظرًا ؛ لا غرَواً أن أتبع النظرية التطبيقية في أثناء تفسيره "التسهيل" ، فبلغ فيه الغاية بحمد الله وفضله .

وقد شجعني منهجه هذا — رحمه الله تعالى — على أن يكون موضوعي في مرحلة "الدكتوراة" مُتَّجِهًا لجمع ترجيحاته في تفسيره : "التسهيل لعلوم التزئيل" ثم عرضها ومناقشتها مناقشة علمية وفق القواعد والضوابط التي كتبها العلماء في درء التعارض بين الأقوال والترجيح بينها ، فانصرفت همي عن غيره إليه وأعرضت عما سواه وعكفت عليه . وفتُح موضوع دراسة "ترجيحات ابن جُزَيِّ في التفسير" في قسم الكتاب والسنة ، وكان لأخينا الشيخ/ محمد بن علي بن عبدان الغامدي — أعلى الله قدره — فضل السبق فسجل في الكتاب أولاً من أوله إلى آخر سورة المائدة ، ثم ردفته من أول سورة الأنعام إلى آخر سورة القصص ، ثم كان أخونا الشيخ/ عبد الحي بن دخيل الله المحمدي خاتماً نحن الثلاثة فسجل من أول سورة العنكبوت إلى آخر الكتاب .

بيد أن مسائل الترجيح في "التسهيل لعلوم التزئيل" كثيرة جداً ، وكان تناولها بالدراسة على طريقة التفسير المقارن ، الأمر الذي اقتضى إعادة تقسيم الكتاب فكان نصيبي منه من أول سورة الأنعام إلى آخر سورة يوسف ، فدخل — بحمد الله — التسهيل في التسهيل . وعنونت له بـ ( ترجيحات ابن جُزَيِّ الكلبي في التفسير من خلال كتابه "التسهيل لعلوم التزئيل" عرضاً ومناقشة من أول سورة الأنعام إلى آخر سورة يوسف ) .

ولأولنا فيه الفضل ؛ حيث فتش عن دراسة علمية جادة حول الموضوع فلم يعثر على ما يمنع من تناول مسائل الترجيح في التسهيل بالدراسة والمناقشة العلمية الموازنة .

(١) ينظر : التسهيل لعلوم التزئيل ( ٣/١ ) .

ولا أقول فيه إلا كما قال ابن مالك في ابن معطي :

وهو بسبق حائز تفضيلاً  
والله يقضي بهبات وافرة  
مستوجب ثنائي الجميلاً  
لي وله في درجات الآخرة<sup>(١)</sup>

ومما دفعني لاختيار هذا الموضوع أسباب منها :

١. القيمة العلمية التفسيرية لكتاب "التسهيل لعلوم التنزيل" ، وبخاصة ما يتعلق بتمييز أقوال المفسرين وسبرها والترجيح بينها. ولإدراك هذا الأمر جيداً وإبصاره بعين الإنصاف دونك مقدمته التي دَبَّجَ بها "التسهيل" قبل شروعه في التفسير ، وإنها لمن أنفس ما كتب من مقدمات تفسيرية .
  ٢. والتفسير علم كثر الخلاف فيه بين السلف فمن بعدهم ، فهو بحاجة ماسّة ومُلِحّة إلى التحقيق والدراسة ؛ لمعرفة المقبول من المردود والصحيح من الضعيف.
  ٣. تنمية الملكة العلمية للباحث، من خلال سبر أقوال المفسرين ، وفهمها، ومناقشتها بأدلتها، والترجيح بينها بالدليل والتعليل وفق القواعد العلمية التي كتبها العلماء في هذا الباب. وحينما يكون الباحث حَكَمًا بين أقوال المفسرين، فكم يحتاج من جهدٍ للرجوع إلى المصادر الأصيلة والمختلفة في شتى الفنون والمعارف ؛ ليصل من خلال تنوع معارفه ومداركه — بعد اعتماده على ربه واستعانت به — إلى القول المرتضى ، والله الموفق .
  ٤. ابنُ حُزَيِّ نفسه — رحمه الله تعالى — كان من أسباب اختياري لهذا الموضوع ، وذلك لمكانته وشهرته العلمية ، وإتقانه للعلوم المختلفة من العربية والفقهِ والأصول والقراءات والحديث والأدب ، وقد كان حُفَظَةً للتفسير ، مستوعبًا للأقوال ، كما قال ذلك عنه تلميذه لسان الدين ابن الخطيب رحمه الله تعالى<sup>(٢)</sup> .
- وقد تأخر زمن ابن حُزَيِّ عن سابقيه من علماء التفسير ومحققيهم ، الأمر الذي مكّنه من الاطلاع على أكثر الأقوال في التفسير وسبرها وتحقيقها وتمييزها .

(١) الخلاصة في النحو ، ألفية ابن مالك (١) .

وقد استدرك الأشموني في حاشيته على ألفية ابن مالك (١٩/١) قائلاً : وكان الأحسن أن يقول رحمه الله تعالى :

والله يقضي بالرضى والرحمه  
لي وله ولجميع الأمه

(٢) ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة (٣ / ٢٠) .

## مجال الدراسة وحدودها :

### أ- مجال الدراسة :

جمع هذا البحثُ ترجيحاتِ ابنِ جُزَيِّ في التفسير، وعرضها وناقشها بمقارنتها بأقوال المتقدمين من المفسرين والمتأخرين ، مع ذكر الموافق والمخالف، وبيان القول الراجح في المسألة وفق قواعد الترجيح . ولم يتناول هذا البحث تلك المسائل التي لم يرحَّح فيها ابنُ جُزَيِّ ، أو لم يذكر فيها خلافاً وإن كان فيها خلافاً بين المفسرين .

### ب- حدود الدراسة :

ترجيحاتُ ابنِ جُزَيِّ في التفسير ، من أول سورة الأنعام إلى آخر سورة يوسف ، الواردة في كتابه "التسهيل لعلوم التنزيل" .

### الدراسات السابقة :

فيما يتعلق بموضوع البحث وهو جمع ترجيحات ابن جُزَيِّ في التفسير من خلال كتابه "التسهيل لعلوم التنزيل" وعرضها ومناقشتها ، ليس هناك أي دراسة سابقة - كما أفادت قواعد البيانات ومصادرنا المختلفة- وكذا بعد التحري والسؤال .

وهناك دراسات علمية جادة حول ابن جُزَيِّ وتفسيره منها :

١. بحثٌ تكميلي بعنوان : "قواعد الترجيح عند ابن جُزَيِّ في تفسيره" <sup>(١)</sup>، تحدثت هذه الدراسة عن منهج ابن جُزَيِّ في الترجيح بين أقوال المفسرين ، والقواعد التي أعملها في ذلك ولم تتعرض لجمع مسائل الترجيح ودراستها .
٢. ابن جُزَيِّ ومنهجه في التفسير ، لعلي بن محمد الزبيري <sup>(٢)</sup>.
٣. ابن جُزَيِّ الكلبي وأثره في الفقه الإسلامي ، لسليمان أبي الريش <sup>(٣)</sup> .
٤. الإمام ابن جُزَيِّ الكلبي وجهوده في التفسير من خلال "التسهيل لعلوم التنزيل"، لعبد الحميد محمد ندا <sup>(٤)</sup> .

(١) للباحث/ عبد الله بن حمد الجمعان ، قدم هذا البحث لاستكمال متطلبات الحصول على الماجستير في التفسير والحديث ، كلية التربية ، جامعة الملك سعود .

(٢) الكتاب مطبوع ، وأصله رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ، ١٤٠٠هـ .

(٣) رسالة دكتوراه في جامعة الأزهر ، مكتبة كلية الشريعة والقانون برقم ٦٢٤ .

(٤) رسالة ماجستير في جامعة الأزهر - أصول الدين ، ١٩٨٠م ، لدى الباحث نسخة مصورة منه .

٥. ابن جُزَيِّ وأثره في أصول الفقه وفروعه ، لفتححي عباس إبراهيم غنيم<sup>(١)</sup> .  
 ٦. التسهيل لعلوم التزويل لابن جُزَيِّ الكلبي ، تحقيق ودراسة نحوية ، لطاهر عبد الحي محمد شبانة<sup>(٢)</sup> .

وهذه الدراسات وغيرها عن ابن جُزَيِّ وتفسيره " التسهيل " تدل بجلاء على مكانة ابن جُزَيِّ وشهرته العلمية ، وأهمية "التسهيل لعلوم التزويل" ومكانته التفسيرية .  
**خطة البحث :**

تألف هذا البحث من مقدمة<sup>(٣)</sup> — وهي هذه — وتمهيد ، وباين ، وخاتمة ، وملحق بتراجم الأعلام ، وكشافات وفهارس علمية .

**التمهيد :** في التعريف — بإيجاز — بابن جُزَيِّ الكلبي وكتابه "التسهيل لعلوم التزويل" . وفيه ستة مباحث :

- المبحث الأول : اسمه ونسبه ، ونسبته ، وكنيته ، وشهرته .  
 المبحث الثاني : مولده ، ونشأته ، وحياته العلمية .  
 المبحث الثالث : شيوخه ، وتلاميذه ، ومصنفاته .  
 المبحث الرابع : وفاته رحمه الله تعالى .  
 المبحث الخامس : مذهبه في أصول الدين وفروعه .  
 المبحث السادس : القيمة العلمية لكتاب " التسهيل لعلوم التزويل " .  
**الباب الأول :** منهج ابن جُزَيِّ في الترجيح بين أقوال المفسرين .  
 وفيه فصلان :

**الفصل الأول :** صيغ الترجيح وأساليبه عند ابن جُزَيِّ .

وفيهِ تمهيد في بيان معنى الترجيح وموجباته .

وخمسة مباحث :

المبحث الأول : التنصيص على خطأ القول أو بطلانه .

(١) رسالة ماجستير في جامعة طنطا ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية وآدابها ، ١٩٩١ م .  
 (٢) رسالة دكتوراه في جامعة القاهرة — كلية دار العلوم ، قسم النحو والصرف والعروض ، ١٩٩٥ م .  
 (٣) تضمنت المقدمة بيان أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره ، ومجال الدراسة وحدودها ، والدراسات السابقة ، وخطة البحث ، ومنهج الكتابة فيه .

- المبحث الثاني : التنصيص على ضعف القول أو استبعاده .
- المبحث الثالث : تفضيل القول على غيره بصيغة أفعل التفضيل .
- المبحث الرابع : تقديم القول الراجح على القول المرجوح في الذكر .
- المبحث الخامس : التنصيص على صواب القول أو صحته .

## الفصل الثاني : وجوه الترجيح عند ابن جُزَيِّ ، وفيه عشرة مباحث :

- المبحث الأول : الترجيح بالنظائر القرآنية .
- المبحث الثاني : الترجيح بالسنة النبوية .
- المبحث الثالث : الترجيح بقول جمهور المفسرين .
- المبحث الرابع : الترجيح بأقوال الصحابة رضي الله عنهم ورضوا عنه .
- المبحث الخامس : الترجيح بدلالة كلام العرب .
- المبحث السادس : الترجيح بدلالة السياق .
- المبحث السابع : الترجيح بدلالة الظاهر .
- المبحث الثامن : الترجيح بتقديم الحقيقة على المجاز .
- المبحث التاسع : الترجيح بتقديم العموم على الخصوص .
- المبحث العاشر : الترجيح بتقديم الإطلاق على التقييد .

الباب الثاني : عَرَضُ لترجيحاتِ ابنِ جُزَيِّ في تفسيره ، ومناقشتُها من أول سورة الأنعام إلى آخر سورة يوسف .

## منهج الكتابة في البحث :

انتهجت في كتابة بحثي هذا المنهج التالي :

- ١- قرأت مقدمة التسهيل مرات وكرات ؛ للوقوف على منهج ابن جُزَيِّ في حكاية الخلاف والترجيح بين الأقوال ، ومعرفة الصيغ والأساليب التي استخدمها ، ووجوه الترجيح التي أعملها ؛ الأمر الذي أفادني في تتبع مواضع الخلاف في التفسير التي رجَّح فيها ابنُ جُزَيِّ وَفَّقَ منهجه الذي نصَّ عليه في مقدمته .
- ٢- جعلت كلَّ موضعٍ حكى فيه ابن جُزَيِّ الخلاف ورجَّح مسألةً ، وصدَّرتها برقم تسلسلي لجميع مسائل السورة ، فإن كان في الآية الواحدة أكثر من مسألة قلت بعد

إيراد الآية الكريمة مرة واحدة : في هذه الآية الكريمة مسألتان أو ثلاث مسائل ، ثم أذكر المسألة الأولى والتي بعدها حسب ترتيب ابن جُزَيٍّ وعرضه لها. وإن لم يكن في الآية إلا مسألة واحدة فأكتفي برقمها وعنوانها دون قول "مسألة" .

٣- صدّرت كلّ مسألة بكتابة الآية بالرسم العثماني لمصحف المدينة النبوية برواية حفص عن عاصم .

٤- وضعت رقم المسألة ثم عنوانها المفصح عن موضوعها وفقهها .

٥- ثم التزمت بعدها مباشرة بإيراد قول ابن جُزَيٍّ في المسألة بنصّه ؛ لإفادة أمرين :

أ- إبراز الصيغ التي استعملها في الترجيح .

ب- الاطلاع على كلام ابن جُزَيٍّ دون الحاجة إلى الرجوع إلى كتابه .

هذا ولم تخل نسخة مطبوعة من الأخطاء الطباعية ؛ الأمر الذي دعا إلى توثيق النص من النسخ الخطية لتسهيل وبخاصة عند المواضع المستشكلة . وسيأتي في فهرس المصادر ذكر لنسخ الكتاب الخطية .

٦- تناولت كل مسألة خلافية في التفسير بالعرض والمناقشة مستقلة عن غيرها وذلك تحت عنوان : العرض والمناقشة ، وَفَقَّ ما يلي :

أ- قدمتُ القول الذي رجّحه ابنُ جُزَيٍّ — غالبًا — وبيّنت ما ذهب إليه في المسألة مع بيان ما استدلّ به على رأيه وترجيحه إن كان .

ب- أتبعْتُ ذلك بذكر من رُوِيَ عنه هذا القول من السلف مبتدئًا بالصحابة فالتابعين، فمَنْ بعدهم ممن ذهب إليه ممن صنف في التفسير — وقد أدرج فيهم من ليس منهم إذا دعت الحاجة إلى ذلك — وكذا أذكر من خالفه أو ذكره بصيغة التمرّيض (قيل) ، مع عرض ما استدلّ به من أدلة للترجيح ، غير ما ذكره ابن جُزَيٍّ .

ت- ذكرت بعد ذلك القول الآخر في المسألة أو الأقوال الأخرى التي ذكرها ابنُ جُزَيٍّ — وقد أذكر ما لم يذكر منها عند الحاجة — مع نسبتها إلى قائلها من السلف فمَنْ بعدهم ممن صنف في التفسير سواء المتقدمين على ابن جُزَيٍّ أو المتأخرين ، وكذا أذكر من خالفه أو ذكره بصيغة التمرّيض (قيل) ، مع عرض

أدلتهم على ما ذهبوا إليه .

ث- درست الأقوال والآراء والأدلة دراسةً مقارنةً وموازنةً ، فإن أمكن الجمع بينها فإليه ذهب ، وإلا فإلى الترجيح بينها عدلت .

ج- ذكرت بعض الإيرادات والإشكالات التي قد ترد على الأقوال والأدلة مع بيان الجواب عنها .

ح- خلصت بناء على هذه المناقشة المقارنة إلى بيان القول الراجح في المسألة ووجه رجحانه ، وذكر ما يؤيده من القواعد الترجيحية التفسيرية والأدلة النقلية عن الصحابة والتابعين . وقد لا أذكر وجه رجحانه في الخلاصة ؛ اعتماداً على ذكرها قبل ، ولوضوح الأمر في ذلك وعدم خفائه .

خ- التزمت الترتيب الزمني للوفيات عند نسبة الأقوال إلى المصنفين في التفسير ؛ وذلك لبيان ومعرفة المتقدم والمتأخر ومن أخذ عن من أخذ ، وما الذي أفاده المتأخر وزاد به على من تقدمه . أما العزو إلى السلف فالتزمت في الأعم الأغلب بتقديم الصحابة على التابعين ، رضي الله عنهم ورحمهم أجمعين .

د- عزوت الآيات القرآنية إلى سورها .

ذ- وثقت القراءات القرآنية من كتب القراءات المتواترة والشاذة .

ر- خرجت الأحاديث والآثار من كتب الحديث ودواوين السنة ، فإن كان في الصحيحين أو في أحدهما فرمما اكتفيت به ، وربما زدت عليهما لفائدة .

ز- نسبت الأبيات الشعرية إلى قائلها ، وعزوتها إلى مصادرها المعتمدة .

س- شرحت الغريب ، وضبطت ما قد يشكل ، وعرفت ببعض الأماكن والبلدان ، والفرق والأديان ، كل ذلك من المصادر المعتبرة في كل فن .

ش- وثقت النصوص المنقولة من مصادرها الأصلية .

ص- جعلت تراجم الأعلام في ملحق خاص خشية الإطالة أثناء البحث .

ض- لم ألتزم بعبارات الترضي عن الأصحاب — رضي الله عنهم — أو الترحم على التابعين لهم بإحسان — رحمهم الله تعالى — لا تنقصاً لهم ، ولكن لأن التزام ذلك مما يطول به البحث . وقد جرت عادة العلماء في مصنفاتهم على ذكر

أسماء العلماء مرسلهً من غير تكبير عليهم في ذلك . فهذا الإمام البخاري في صحيحه يذكر الأسانيد دون الترحم على أحد منهم كتابةً . وهكذا كتب السنة والفقہ وغيرها من دواوين الإسلام .

ط- اختصرت في ذكر أسماء المراجع والمصادر عند الإحالة والعزو إليها في الهامش ، معتمداً على طبعة واحدة لكل مصدر ومرجع ، إلا ما دعت الحاجة إلى الرجوع إلى أكثر من طبعة ، منبهاً على ذلك في موضعه . والمُعَوَّلُ عليه في معرفة معلومات المصدر والمرجع : الفهرس المختص في آخر البحث .

ظ- اعتنيت — قدر الطاقة — بعلامات الترتيم وقواعد الإملاء .

ثم الخاتمة وفيها : أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث ، وأهم التوصيات . وأتبعتها بملحق لتراجم الأعلام الوارد ذكرهم في الرسالة ، وذيلتها بكشافات علمية وفهارس عامة لما يلي :

— الآيات القرآنية ، وكان ترتيبها على حسب ترتيب سور القرآن الكريم وآياته .

— القراءات القرآنية المتواترة والشاذة .

— الأحاديث والآثار .

— الأشعار .

— الأماكن والبلدان .

— المصادر والمراجع .

— الموضوعات .

وبفهرس الموضوعات تنتهي هذه الرسالة . وإني لأرجو الله تعالى وأرغب إليه أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم وأن ينفعني بها وقارعها والمطلع عليها ومن شاء من عباده ، وأن يكتب لها القبول ؛ إن ربي لسميع الدعاء .

وبعد ، فالمرغوب إلى من يقف عليها أن يلتمس العذر لصاحبها إذا رأى خللاً أو جهلاً فاضحاً — وهو واحد لا محالة — فما عسى أن يبلغ خاطري المكدود وسعي المجهود مع بضاعتي المزجاة !! ولا أدعي أنني قد وفيت أو قاربت ، فما كان فيه من صواب فقد من الله به علي ، فله — سبحانه وبحمده — الحمد على توفيقه وامتنانه والشكر على فضله وإحسانه، مع منته — جل في علاه — عليّ بمشرفٍ ممتاز وشيخ فاضل وأستاذ نبيل وعالم كريم ألا وهو شيخنا المبجل

وأستاذنا المفضل ، سعادة الأستاذ الدكتور : أمين محمد عطية باشا — حفظه الله تعالى وبارك فيه وفي علمه وعمله وعمره — والذي كان لرعايته الأبوية وعنايته العلمية وتوجيهاته القيمة وآرائه السديدة الأثر الملموس في هذه الرسالة خاصة وفي حياتي العلمية بعامة ، فاللهم اجزه عني خير ما جزيت شيخاً عن تلميذه .

والشكر موصول لأبويّ الكريمين اللذين أحسنا تربيتي وأكثرنا من الدعاء لي في حياتي عامة وفي بحثي هذا خاصة أن يتمه الله على أحسن وجه وأفضله ،  
فأما أمي فقد قدمت إلى رب كريم غفور رحيم ، فأسأل الله لها ولأموات المسلمين المغفرة والرحمة والعفو والعافية والدرجات العلى من الجنة .  
وأما أبي فأسأل الله أن يلبسه ثوب الصحة والعافية وأن يحسن خاتمته بعد طول عمر وحسن عمل ؛ إن ربي لسميع الدعاء .

كما أشكر الشكر الجزيل الشيخين الفاضلين والأستاذين الكريمين :

١- سعادة الأستاذ الدكتور / حكمت بن بشير ياسين .

٢- وشيخي وأستاذي سعادة الأستاذ الدكتور / عبدالله بن سعاف اللحياني .

حيث قبلا مناقشة هذه الرسالة تفضلاً منهما وتكرماً ، فأسأل الله أن ينفعني بعلمهما وملحوظاتهما القيمة وأن يبارك فيهما حيثما كانا وحلا .

كما أتقدم بالشكر للقائمين على جامعة أم القرى الذين لهم بعد الله فضل مواصلي للدراسة. وأخص بالذكر عميد كلية الدعوة وأصول الدين السابق : فضيلة الشيخ الدكتور/ عبد الله الدميحي ، حيث كان له الدور الأكبر في حل مشكلة تقسيم هذا البحث وتوزيعه بعد تفهمه لصعوبة مسائله وكثرتها ، وطريقة مناقشتها ودراستها ، فاللهم اجزه عنا خير الجزاء . وكذا لعميدها الجديد ووكيله ورئيس قسم الكتاب والسنة أبلغ الشكر وأجزله .

والشكر كذلك موصول لكل من ساعدني في هذا البحث من الأهل والإخوة والأصحاب والأحباب ، لكل هؤلاء جميعاً جزيل شكري وتقديري وعظيم امتناني وحبي ، والحمد لله أولاً وآخراً والشكر له ظاهراً وباطناً، وصلّ اللهم وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله الطيبين وصحابته أجمعين والتابعين لهم بإحسان .

## التمهيد

تعريف موجز بابن جُزَيِّ وكتابه "التسهيل لعلوم التنزيل"

وفيه ستة مباحث :

- المبحث الأول : اسمه ونسبه ، ونسبته ، وكنيته ، وشهرته .
- المبحث الثاني : مولده ، ونشأته ، وحياته العلمية .
- المبحث الثالث : شيوخه ، وتلاميذه ، ومصنفاته .
- المبحث الرابع : وفاته رحمه الله تعالى .
- المبحث الخامس : مذهبه في أصول الدين وفروعه .
- المبحث السادس : القيمة العلمية لكتاب "التسهيل لعلوم التنزيل" .

## المبحث الأول اسمه ونسبه، ونسبته، وكنيته، وشهرته

اسمه ونسبه :

هو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جُزَيِّ الكَلْبِيِّ<sup>(١)</sup>.

نسبته :

يُنْتَسِبُ ابن جُزَيِّ إلى أصل عربي ، فهو سليل قبيلة كَلْبِ اليمانية المشهورة . وكَلْبُ الذي تنتسب إليه هذه القبيلة، هو كَلْبُ بن وَبَرَةَ بن تَعْلَبِ بن حُلُوَانِ بن الحاف بن قُضَاعَةَ . وقُضَاعَةَ : هو ابن مالك بن عمرو بن مُرَّةَ بن زيد بن مالك بن حَمِيرِ . وحَمِيرِ : هو ابن سبأ بن يَشْجُبِ بن يَعْرُبِ بن قحطان<sup>(٢)</sup>.

هذا هو المشهور عند النسابة والمؤرخين وعليه الأكثرون ، وإن كان في كون قضاة من حمير ، وفي كون حمير من قحطان خلافًا .

ومن يَنْتَسِبُ إلى هذه القبيلة العربية الأصيلة :

الصحابيُّ الجليلُ : دِحْيَةُ بن خليفة الكَلْبِيِّ ، الذي كان جبريلُ — عليه السلام — يأتي على صورته إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

ومحمد بن السائب الكَلْبِيِّ .

وهشام بن محمد الكَلْبِيِّ .

(١) ترجم لابن جُزَيِّ الجُمُ الغفيرُ ، وهذه بعض مصادر ترجمته : الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب (٢٠/٣) ، غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (٨٣/٢) ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر (٨٨/٥) ، طبقات المفسرين للداودي (٨٥/٢) ، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون (٢٩٥) ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج للتنبكي (٣٧٨) ، الفتح المبين للمراغي (١٤٨/٢) ، درة الحجال في أسماء الرجال لابن القاضي (١١٧/٢) ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٥١٤/٥) ، أزهار الرياض في أخبار عياض (١٨٥/٣) كلاهما للمقرئ ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد مخلوف (٢١٣) ، أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن لابن الأحرر (١٦٥) ، الأعلام للزركلي (٣٢٥/٥) ، ذيل وفيات الأعيان للمكناسي (١١٧/٢) ، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (١١/٩) ، فهرس الفهارس والأنبات للكتاني (٣٠٦/١) ، ابن جُزَيِّ ومنهجه في التفسير لعلي بن محمد الزُّبَيْرِي (١٣٩/١) .

(٢) يُنظر : الأنساب للسمعاني (٨٥/٥) ، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم (٤٥٥/٢) ، والاشتقاق لابن دريد (٥٣٧) ، وعجالة المبتدئ للحازمي (١٠٧) ، ونهاية الأرب في أنساب العرب للقلقشندي (٤٠٨) .

كنيته :

يُكْنَى أبا القاسم ، ويشاركه في هذه الكنية أيضًا جدُّه محمد بن عبد الله بن يحيى .

إشكال :

ورد في الصحيحين النهي الصريح عن التكني بكنية النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك قوله: (تَسَمَّوْا بِاسْمِي وَلَا تَكْنُؤْا بِكُنِّيَّتِي) <sup>(١)</sup> . فكيف يتفق هذا مع النهي الصريح ؟  
 وجوابه : أن ذلك خاصٌ بحياة النبي صلى الله عليه وسلم ؛ دفعًا للالتباس حال النداء ، كما في صحيح مسلم <sup>(٢)</sup> عن أنس رضي الله عنه قال : نادى رجلٌ بالبقيع : يا أبا القاسم، فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إني لم أعنك إنما دعوت فلانًا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (تَسَمَّوْا بِاسْمِي وَلَا تَكْنُؤْا بِكُنِّيَّتِي).  
 فكان سبب المنع أنها كنية النبي صلى الله عليه وسلم والعرب تفضل النداء بها على النداء بالاسم .

وهذا خاصٌ بحياته عليه الصلاة والسلام بدليل قول علي رضي الله عنه : قلت : يا رسول الله، إن وُلِد لي وَلَدٌ بعدك أسميه باسمك ، وأكنيه بكنيتك ؟ قال : (نعم) <sup>(٣)</sup> .  
 وأجاب ابن جزي عن هذا بقوله : « تنبيه : ورد النهي عن بعض الأسماء ، فمنها التكنية بأبي القاسم . وإنما مُنِعَ ذلك في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم خاصة ؛ لأن أبا بكر الصديق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما قد كنى كل واحد منهما ولده أبا القاسم بعد ذلك» <sup>(٤)</sup> .

(١) صحيح البخاري (٥٢/١) برقم (١١٠)، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم ، وأطرافه (٣٥٣٩ ، ٦١٨٨ ، ٦١٩٧ ، ٦٩٩٣) . وصحيح مسلم (١٦٨٤/٣) برقم (٢١٣٤)، كتاب الآداب ، باب النهي عن التكني بأبي القاسم وما يستحب من الأسماء . أخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . وأخرجه مسلم أيضًا من حديث جابر نحوه (٢١٣٣) .

(٢) (١٦٨٢/٣) رقم (٢١٣١)، كتاب الآداب .

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (فضل الله الصمد ٣٠٢/٢) برقم (٨٤٣)، وأبو داود في سننه (٢٩٢/٤) برقم (٤٩٦٧)، كتاب الأدب ، باب في الرخصة في الجمع بينهما ، والترمذي في سننه (١٣٧/٥) برقم (٢٨٤٣)، كتاب الأدب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء إن من الشعر لحكمة ، وقال: هذا حديث صحيح .

(٤) قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية (٤٤٦) .

شهرته :

اشتهرَ بـ ابن جُزَيِّ — بضم الجيم وبعدها زاي مفتوحة وآخره ياء مشددة بدون همزة هكذا بالتصغير .

والتسمية بـجُزَيِّ معروفة عند العرب<sup>(١)</sup> .

أما ضبطها بإسكان الياء ثم همزة بعدها : جُزَيِّء فهو خلاف المشهور<sup>(٢)</sup> .

(١) ينظر: القاموس المحيط للفيروز أبادي (١٦٤٠) ، جَزَيِّ . وفي كتاب المشتبه في الرجال أسمائهم وأنسابهم

للذهبي ( ١٥٣ / ١ ) : جُزَيِّ بن بكير العبسي تابعي يروي عن حذيفة .

(٢) ينظر : نيل الابتهاج بتطريز الديباج (٣٩٨) ، وابن جُزَيِّء ومنهجه في التفسير لعبد الرحمن سعد علي بركة

(٨٣) .

## المبحث الثاني مولده ، ونشأته ، وحياته العلمية

مولده :

وُلِدَ ابن جُزَيِّ في يوم الخميس التاسع من شهر ربيع الآخر عام ثلاث وتسعين وستمائة (٦٩٣) من الهجرة النبوية ، في مدينة غَرْنَاطَةَ<sup>(١)</sup> عاصمة الأندلس<sup>(٢)</sup> آنذاك .

نشأته :

كان للبيئة العلمية التي تربى فيها ابن جُزَيِّ الأثر الكبير في تكوين نشأته وشخصيته ، فقد وُلِدَ في بيت حسب ونسب، وفقه وعلم.

يقول المقرئ : وبيت ابن جُزَيِّ بيت كبير مشهور بالمغرب<sup>(٣)</sup> والأندلس<sup>(٤)</sup>.

وكان والده أحمد بن محمد بن جُزَيِّ من علماء غرناطة ، قال ابن حجر فيه : « كان من أهل الأصالة والذكاء ، وإليه النظر في أمر الغنائم ببلده ، وكان محموداً وله طلب وسمع »<sup>(٥)</sup>.

فنشأ ابن جُزَيِّ وتربى في حجر والده، كما استفاد من علماء بلده ، حيث كانت غرناطة في تلك الفترة عامرة بالعلم والعلماء ، فاجتهد في الأخذ عنهم والتلمذ عليهم حتى برع في جميع العلوم ، وصنف في شتى الفنون، حتى أصبح من علماء الأندلس البارزين الذين يقصدهم الطلاب من كل مكان<sup>(٦)</sup>.

(١) غرناطة : مدينة أندلسية أنشأها المسلمون عام (١٣٣هـ) ، وكانت مركزاً حضارياً ، ومعقلاً للتراث

والثقافة الإسلامية . وهي اليوم مدينة ساحلية إسبانية ، تقع في جنوب أسبانيا الشرقي . ينظر : معجم البلدان لياقوت الحموي (٤/١٩٥) ، والموسوعة العربية العالمية (١٧/٩٧-٩٨) .

(٢) الأندلس : جُزيرة ذات ثلاثة أركان يحيط بها البحر المحيط والبحر المتوسط ، تقع في الجهة المقابلة لأرض المغرب وتونس . وهي اليوم تعرف بدولة أسبانيا الواقعة في جنوب غربي أوروبا، وكذلك البرتغال اللاصقة بها . ينظر : معجم البلدان (١/٢٦٢) ، والموسوعة العربية العالمية (١/٦١٦) .

(٣) المغرب: هي تلك الدولة العربية المعروفة الآن الواقعة في الشمال الغربي من قارة أفريقيا ، والمحيط بها البحر الأبيض المتوسط من الشمال ، والمحيط الأطلسي من الغرب . ينظر : الموسوعة العربية العالمية (٢٣/٥٠١) .

(٤) نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٧/٢٨٢) .

(٥) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (١/٣٢٦) .

(٦) ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب (٣/٢٣) .

## حياته العلمية :

من أجلّ النعم التي أنعم الله بها على ابن جُزَيّ في حياته أن شغله بخدمة القرآن ، وتعلمه وتعليمه ، وتفهم معانيه ، وتحصيل علومه<sup>(١)</sup> .

وكانت حياته العلمية مع القرآن بدءاً بقراءته برواية ورش عن نافع ، فحصل قراءة نافع وضبطها على مشايخه ، كأبي جعفر بن الزبير ، وألف فيها تأليفاً مستقلاً ، كما أخذ وحصل القراءات الستة الأخرى وألف فيها أيضاً<sup>(٢)</sup> .

وأخذ علم العربية من أستاذه أبي جعفر بن الزبير ، وقرأ عليه الكتاب لسبيويه ، كما قرأ على غيره كابن رُشيد.

وأخذ علم الحديث عن شيخه ابن رشيد الفهري المحدث المشهور ، وحرص على السند العالي .

وبرع في علم الفقه وأصوله ، فدرس كتب الفقه المالكي ؛ لانتشاره في تلك البلاد ، على شيوخه ، ثم ألف فيه .

لقد كان ابن جُزَيّ متفرغاً للعلم والتعليم، والتدريس والتصنيف كما قال عنه تلميذه ابن الخطيب : « وفرغ للعلم من جميع أعماله ، وتفياً رياض دواوينه عن يمينه وشماله ، واقتصر على طلب كماله ، مع وفور ضياعه<sup>(٣)</sup> ونموّ ماله ، فدوّن الكثير وصنف وقرض المسامع وشنّف<sup>(٤)</sup> .

كما أنه اختير للإمامة والخطابة ، وهو لا يزال في سن الشباب .

يقول ابن الخطيب: « تقدم خطيباً بالمسجد الأعظم من بلده على حداثة سنّه ، فأنفق على فضله وجرى على سنن أصله<sup>(٥)</sup> .

وبقيت ملكة الخطابة متأصلةً عند ابن جُزَيّ يقرن فيها القول بالعمل ، حتى لقي ربّه سبحانه وهو يؤدي هذا الدور يقاتل في سبيل الله ويحرض المؤمنين على القتال .

(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٢/١).

(٢) سيأتي — إن شاء الله تعالى — ذكر مصنفاته .

(٣) الضياع : جمع ضيعة ، وهي الأرض المغلّة ، والضيعة : العقار . ينظر : اللسان (٢٣٠/٨) مادة ( ضييع ) .

(٤) أوصاف الناس في التواريخ والصلوات (٢٧) .

(٥) الإحاطة في أخبار غرناطة (٢١/٣) .

وتصدّر ابن جُزَيّ للفتيا وكان يسلك طريق المجتهدين .  
يقول ابن الأحمر عنه: « كان خطيب الجامع الأعظم بغرناطة ، وكان فقيهاً ، إماماً ،  
عالمًا بجميع العلوم ، محصلاً ، قارب درجة الاجتهاد ، ودَوَّن وصنّف في كل فنّ ، وكان  
أحد أهل الفتيا بغرناطة »<sup>(١)</sup> .

ويقول ابن الخطيب : « كان رحمه الله على طريقة مثلى من العكوف على العلم ،  
والاقتصار على الاقتنيات من حُرِّ النَّسَب<sup>(٢)</sup> ، والاشتغال بالنظر والتقييد والتدوين ، فقيهاً ،  
حافظاً ، قائماً على التدريس ، مشاركاً في فنون العربية ، والفقه ، والأصول ، والقراءات ،  
والحديث ، والأدب ، حُفَظَةً للتفسير ، مستوعباً للأقوال ، جماعة للكتب ، ملوكي الخزانة ،  
حسن المجلس ، ممتع المحاضرة ، قريب الغور ، صحيح الباطن »<sup>(٣)</sup> .

(١) نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان (١٦٥ - ١٦٦) .

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة (٢٠/٣) .

(٣) النَّسَب : هو المال والعقار . ينظر: مختار الصحاح (٢٧٥) .

## المبحث الثالث شيوخه، وتلاميذه، ومصنفاته

شيوخه :

أخذ ابن جُزَيِّ العلم وتلقاه عن كثرة وافرة من العلماء ، صنع لهم فهرسة كبيرة احتوت على ذكر مشايخه من أهل المشرق والمغرب<sup>(١)</sup>.

ومن أشهرهم :

١- أبو جعفر بن الزبير<sup>(٢)</sup> (ت ٧٠٨هـ) : هو أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي،

المفسر ، المحدث ، الفقيه ، الأصولي ، اللغوي ، الأديب ، المؤرخ .

كان خاتمة المحدثين ، مصدر العلماء المقرئين ، نسيج وحده في حسن التعليم والصبر

على التسميع والملازمة للتدريس . انتهت إليه الرئاسة العلمية بالأندلس في صناعة العربية ، وتعليم القرآن ، ورواية الحديث .

من مصنفاته :

— صلة الصلة .

— وملاك التأويل في المتشابه اللفظي .

— والبرهان في تناسب سور القرآن .

قال ابن جُزَيِّ : « ثم حُتِمَ علمُ القرآن بالأندلس ، وسائر المغرب بشيخنا الأستاذ: أبو

جعفر بن الزبير، فلقد قطع عمره في خدمة القرآن وآتاه الله بسطة في علمه وقوة في فهمه، وله فيه تحقيق ونظر دقيق »<sup>(٣)</sup> .

وقد صرح بذكر اسمه في التسهيل في مواضع<sup>(٤)</sup> مستفيداً منه آخذاً برأيه رحمه الله .

٢- أبو عبدالله بن الكَمَّاد<sup>(٥)</sup> (ت ٧١٢هـ) : هو محمد بن أحمد بن داود بن موسى

(١) ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة (٢٢/٣)، ونيل الابتهاج لأحمد بابا التنبكي (٢٣٩) .

(٢) ينظر: ترجمته في الإحاطة (١٨٨ / ١)، والدياج المذهب (١٨٨ / ١)، والدرر الكامنة (١ / ٨٩)، والبدر الطالع للشوكاني (١ / ١٣٣) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (١ / ١٠) .

(٤) ينظر على سبيل المثال: المصدر السابق (١ / ٥٢، ٥٤، ٦٠، ١٥٩) و (٢ / ٥٢، ٦٠) .

(٥) ينظر ترجمته في الإحاطة (٣ / ٦٠)، والدياج المذهب (٢ / ٢٧٩)، وغاية النهاية لابن الجزري (٢ / ٦٣)، والدرر الكامنة (٣ / ٤٠٥) .

اللخمي ، المعروف بابن الكمّاد ، الإمام المقرئ ، المحدث الثبت ، العالم ، العمدة ، المتفنن في علوم شتى . كان على زهد وقناعة ودماثة خلق ، وكان إماماً مشهوراً في القراءات يُرحل إليه ويُعوّل عليه . أخذ عن كثير من الأعلام، وتصدر للإقراء بغرناطة وغيرها ، وتخرج به جملة من العلماء.

ألف : ( الممتع في تهذيب المقنع ) في القراءات .

ذكر ابن جُزَيّ في التسهيل<sup>(١)</sup> أنه قرأ عليه القرآن .

٣- أبو عبد الله بن رُشيد<sup>(٢)</sup> (ت-٧٢١هـ) : هو محمد بن عمر بن محمد بن عمر الفهري ، المعروف بابن رُشيد، الخطيب ، المحدث ، العالم الحافظ ، النظّار . كان واسع الأسمعة ، عالي الإسناد ، صحيح النقل ، أصيل الضبط ، عارفاً بالقراءات ، ذاكراً للتفسير ، جماعة للكتب ، عظيم الوقار والسكينة ، حسن الخلق ، كثير التواضع .  
درّس الحديث في المسجد الجامع بغرناطة . ومن تأليفه المشهورة :  
— السنن الأئيين والمورد الأيمن في المحاكمة بين الإمامين البخاري ومسلم في السند المعنعن.

— وملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الوجهتين الكريمتين إلى مكة وطيبة .

— وترجمان التراجم على أبواب البخاري .

ذكره ابن جُزَيّ في ( التسهيل )<sup>(٣)</sup> .

هوّلاء بعض شيوخ ابن جُزَيّ ومن أشهرهم ، وله أكثر من ذلك<sup>(٤)</sup> .

#### تلاميذه :

لما اشتغل ابن جُزَيّ بالتدريس ، وقعد للإفادة أقبل عليه الطلاب فاستفادوا منه وتخرج

به الكثير من العلماء ، ومنهم :

١- لسان الدين بن الخطيب<sup>(١)</sup> (ت- ٧٧٦ هـ) : هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله

(١) (١١٢/٤) .

(٢) ينظر ترجمته في الإحاطة (٣/ ١٣٥-١٤٣) . والدرر الكامنة (٢٢٩/٢-٢٣١) ، وأزهار الرياض

(٢٤٧/٢-٣٥٢) ، والأعلام (٦/ ٣١٤) .

(٣) (١٩٥/١) .

(٤) ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب (٣/ ٢٣) .

السلماني المعروف بابن الخطيب ، الغرناطي ، الكاتب ، الشاعر، الأديب ، ذو الوزارتين.

من مؤلفاته :

— الإحاطة في أخبار غرناطة .

— وحمل الجمهور على سنن المشهور، ألفية في الأصول .

صرح ابن الخطيب في أكثر من موضع وفي أكثر من كتاب بأن ابن جُزَيَّ شيخه، وفي بعضها أنه تلا عليه القرآن .

٢- ابن الخشاب (تـ٧٧٤هـ)<sup>(٢)</sup> : هو محمد بن محمد بن يوسف الأنصاري ، الشيخ الإمام ، شيخ غرناطة، والمصدر بجامعها ، المعروف بابن الخشاب ، وكنيته أبو القاسم .

٣- أبو عبد الله الشُّدَيْد (ت بعد ٧٧٦هـ)<sup>(٣)</sup> : هو محمد بن قاسم بن أحمد الأنصاري ، المعروف بالشُّدَيْد — بالتصغير — كان من أهل الطلب، والذكاء ، والظرف، اضطلع بحمل كتاب الله حتى سُمِّي مبالغةً : "بلبل دوح السبع المثاني" .

**كما أخذ عن ابن جُزَيَّ أولاده الثلاثة :**

أبو عبد الله محمد بن محمد الكاتب<sup>(٤)</sup>.

وأبو بكر أحمد بن محمد القاضي<sup>(٥)</sup>.

وأبو محمد عبد الله بن محمد<sup>(٦)</sup>.

(١) تنظر ترجمته في نفع الطيب للمقري (٧ / ٥) ، والدرر الكامنة لابن حجر (٥ / ٢١٣) ، والأعلام للزركلي

(٢٣٥/٦)، وابن جُزَيَّ ومنهجه في التفسير للزبيري (١ / ٢٠٥).

(٢) تنظر ترجمته في غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (٢ / ٢٥٧) ، والأعلام للزركلي (٧ / ٤٠)،

وابن جُزَيَّ ومنهجه في التفسير (١ / ٢١٠) .

(٣) تنظر ترجمته في الإحاطة في أخبار غرناطة (٣ / ١٩٦)، وابن جُزَيَّ ومنهجه في التفسير (١ / ٢١١).

(٤) تنظر ترجمته في الإحاطة في أخبار غرناطة (٢ / ٢٥٦)، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٥ / ٤٢٨)،

ونفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٥ / ٥٢٦).

(٥) تنظر ترجمته في الإحاطة في أخبار غرناطة (١ / ١٥٧)، والديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب (٤١)،

ونفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٥ / ٥١٧).

(٦) تنظر ترجمته في الإحاطة في أخبار غرناطة (٣ / ٣٩٢) ، ونفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب

(٥ / ٥٣٩).

## مصنفات ابن جُزَيِّ :

صنف ابن جُزَيِّ في شتى العلوم التي حصلها واستفادها من مشايخه وأساتذته ، في التفسير والقراءات ، والحديث، والفقه ، والأصول وغيرها ، ومن أهم تلك المصنفات :

١ - التسهيل لعلوم التنزيل<sup>(١)</sup>.

وهو كتاب في التفسير ، صنع له مقدمة في أصول التفسير وقواعد الترجيح ووجوهه ، وذكر فيها أسباب اختلاف المفسرين وأنواعه . ولأهمية "التسهيل" فقد تكاثرت الدراسات العلمية الجادة حول الكتاب ومادته العلمية . وقد سبقت الإشارة في المقدمة إلى شيء منها، وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى .

٢ - المختصر البارع في قراءة نافع<sup>(٢)</sup>.

وهو كتاب في قراءة نافع المدني .

٣ - أصول القراء الستة غير نافع<sup>(٣)</sup>.

وهو كتاب في القراءات المتواترة .

٤ - الأنوار السنِّيَّة في الكلمات السنِّيَّة<sup>(٤)</sup>.

(١) ذكره ابن الخطيب في الإحاطة (٢٢ / ٣) ، والكتاني في فهرس الفهارس والأثبات (٣٠٦ / ١) ، وإسماعيل باشا في إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون (٢٨٨ / ١) . والجدير بالذكر أن جميع طبعات الكتاب مليئة بالأخطاء الطباعية وكثرة السقط !! وقد اعتنى الدكتور محمد ولد ملاي الأستاذ بالمعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية بموريتانيا حالياً والباحث في الموسوعة الفقهية الكويتية سابقاً بتحقيقه على نسخ خطية يوشك أن يطبع ، وكذا أخونا الدكتور سامي الجهني الذي أفادني في مواضع أشكلت علي فحققت النص بالرجوع إلى مخطوطات الكتاب الموجودة لديه ، فشكر الله حسن صنيعه وجميل تعاونه سائلاً المولى جل وعلا أن يوفقه لإخراج "التسهيل" خالياً من التصحيف .

(٢) ذكره ابن الخطيب في الإحاطة (٢٢ / ٣) ، وابن فرحون في الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (٢٩٥) . والكتاب توجد منه نسخة خطية بالمكتبة الوطنية بتونس تحت رقم (٣٨٤) كما ذكره د. محمد علي فركوس في مقدمة تحقيقه لتقريب الوصول إلى علم الأصول لابن جُزَيِّ (٢١) . وينظر الفهرس الشامل للتراث الإسلامي المخطوط (مخطوطات القراءات) وفيه : تحت رقم (١ / ١٨٤).

(٣) ذكره ابن الخطيب في الإحاطة (٢٢ / ٣) ، وابن فرحون في الديباج المذهب (٢٩٥) ، والمقري في نفع الطيب (٥ / ٥١٥).

(٤) ذكره ابن الخطيب في الإحاطة (٢٢ / ٣) ، والمقري في أزهار الرياض (٣ / ١٨٧) ، والكتاني في فهرس الفهارس والأثبات (٣٠٦ / ١) والزركلي في الأعلام (٥ / ٣٢٩) . وينظر ابن جُزَيِّ ومنهجه في التفسير للزبير

وهو كتاب مختصر في الحديث ، جمعه لابنه محمد المكني بأبي بكر ؛ ليحفظ شيئاً من السنة النبوية كما حفظ القرآن الكريم .

٥- تقريب الوصول إلى علم الأصول<sup>(١)</sup> .

وهو كتاب مختصر في أصول الفقه ، ألفه لابنه محمد ، قائلاً في مقدمته : (وإني أحببت أن يضرب ابني محمد — أسعده الله — في هذا العلم بسهمه ، فصنفت هذا الكتاب برسمه ووسمته بوسمه ؛ لينشط لدرسه ، وفهمه ، وعوّلت فيه على الاختصار ، والتقريب ، مع حسن الترتيب والتهذيب ... )<sup>(٢)</sup> .

٦- قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية<sup>(٣)</sup> .

وهو كتاب لخص فيه المذهب المالكي الفقهي مع تنبيهه على بقية المذاهب الأخرى . وقدم له بمقدمة ذكر فيها عقيدته من باب تقديم الأهم على المهم<sup>(٤)</sup> .

ومما ذكر له في المصنفات أيضاً :

٧- النور المبين في عقائد الدين<sup>(٥)</sup> .

(١/٢٢٥-٢٢٩). والكتاب مطبوع سنة ١٣٤٧هـ . بمطبعة السعادة بالقاهرة. وشرحه أبو عبد الله محمد بن

عبد الملك القيسي ( ت ٨٣٤ ) بشرح سماه : مناهج الأخبار في تفسير حديث كتاب الأنوار . كما شرحه علي القنصاوي الغرناطي ( ت ٨٩١هـ ) بشرح سماه : لب الأزهار شرح أحاديث الأنوار .

(١) ذكره ابن الخطيب في الإحاطة ( ٣ / ٢٢ ) ، وابن فرحون في الديباج المذهب ( ٢٩٥ ) ، والمقري في نفتح

الطيب ( ٥ / ٥١٥ ) . والكتاب طبع ١٤١٠هـ بتحقيق د. محمد علي فركوس نشر دار التراث الإسلامي

بالجزائر، وطبع أيضاً ١٤١٤هـ بتحقيق د. محمد المختار بن محمد الأمين الشنقيطي ، ابن صاحب أضواء

البيان نشر مكتبة ابن تيمية بالقاهرة ، ومكتبة العلم سابقاً بجدة .

(٢) تقريب الوصول إلى علم الأصول ( ٢٤ ) . طبعه د. محمد علي فركوس .

(٣) ذكره ابن الخطيب في الإحاطة ( ٣ / ٢٢ ) ، وابن فرحون في الديباج المذهب ( ٢٩٥ ) ، والمقري في نفتح

الطيب ( ٥ / ٥١٥ ) . والكتاب مطبوع في تونس ( ١٣٤٤هـ ) ، نشره عبد الرحمن اللزّام ، ومحمد الأمين

الكبّي . وطبعه عالم الفكر بالقاهرة بتحقيق : عبد الرحمن حسن محمود ( ١٤٠٥-١٤٠٦هـ ) . وطبعته

دار الرشاد الحديثة بالدار البيضاء بالمغرب ، بتحقيق : عبد الكريم الفضلي ( ١٤٢٧هـ ) .

(٤) ينظر : قوانين الاحكام الشرعية ( ٢٠ ) وما بعدها . بتحقيق : عبد الكريم الفضلي .

(٥) ينظر : ابن جُزَيٍّ ومنهجه في التفسير للزبيري ( ١ / ٢١٨ ، ٢١٩ ) . ولسيدي خالد الحسيني الوزاني دراسة

لمنهج ابن جُزَيٍّ في الإلهيات من خلال كتابه هذا ، في جامعة محمد الخامس ، كلية الآداب — الرباط ، ولم

يتيسر لي الوقوف عليها بعد تطلُّبها .

- ٨- وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم .
- ٩- الدعوات والأذكار المخرجة من صحيح الأخبار .

## المبحث الرابع وفاته رحمه الله تعالى

كعادة العلماء الذين وفقهم الله للجمع بين العلم والعمل ، كان ابن جُزَيِّ رحمه الله ؛ حيث جرت في زمنه معركة طَريف<sup>(١)</sup> بين المسلمين والنصارى ، فحاضها مجاهدًا في سبيل الله — إن شاء الله — وأبلى فيها بلاء حسنًا . وفُقد فيها وهو يحرِّض المؤمنين على القتال، تقبله الله في الشهداء .

وكان ذلك ضحى يوم الاثنين ، السابع من جمادى الأولى ، عام واحد وأربعين وسبعمائة (٧٤١هـ) من الهجرة النبوية ، الموافق (٣٠ / أكتوبر سنة ١٣٤٠م)<sup>(٢)</sup>.

وكان من شعره الذي أنشده ذلك اليوم :

قصدي المؤمِّلُ في جهري وإسراري ومطلبي من إلهي الواحد الباري  
شهادةً في سبيل الله خالصة تحو ذنوبي وتنجيني من النار  
إن المعاصي رجس لا يطهرها إلا الصوارمُ في أيمن كفار

ثم قال : « في هذا اليوم أرجو أن يعطيني الله ما سألته في هذه الأبيات »<sup>(٣)</sup>.

فرجو الله أن يكون قد أعطاه ما سأل ، وبلغه ما أمِّل . ولولا "لا يقال فلان شهيد"<sup>(٤)</sup> لقلنا : هو شهيد .

لقد عاش ابن جُزَيِّ حياة حافلة بالعلم والتعليم والعبادة والإمامة والخطابة والتصنيف والتأليف ثم ختمها بجهاد الكفار وقتال الأعداء ، فرحمه الله تعالى وتقبله في الشهداء .

(١) طريف: مدينة أندلسية ، تقع على ساحل المحيط الأطلسي. ينظر: الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري (٣٩٢)، والآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال لمحمد عنان (٢٧٨) . أما خبر المعركة فقد انتهت بهزيمة المسلمين ، نتيجة مكيدة دبرها الأعداء. والحرب خدعة ، كما قالها عليه الصلاة والسلام. يقول المقرئ في نفح الطيب ( ١٥ / ٥ ) : ( وبالجملة فهذه الواقعة من الدواهي العضلة الداء والأرزاء، التي تضعضع لها ركن الدين في المغرب، وقرت بذلك عيون الأعداء).

(٢) ينظر : الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب ( ٢٣ / ٣ ) ، ونثير الجمان ( ٢٨٤ ) ، والتاريخ الأندلسي ( ٥٤٩ ) ، ونهاية الأندلس ( ٤٦٧ ) ، وابن جُزَيِّ ومنهجه في التفسير للزبير ( ١ / ١٦٩ ) .

(٣) نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد التنبكي ( ٢٣٨ - ٢٣٩ ) .

(٤) بوب البخاري في صحيحه بابًا بذلك في كتاب الجهاد ، وعلّق فيه حديث: ( الله أعلم بمن يجاهد في سبيله. والله أعلم بمن يُكلم في سبيله ) .

## المبحث الخامس مذهبه

مذهبه في أصول الدين<sup>(١)</sup> :

ألف ابن جُزَيِّ كتابًا مستقلًا في باب الاعتقاد أسماه : " النور المبين في قواعد عقائد الدين " ، وقد سبقت الإشارة إليه ولكني بعد تطلّبه لم أقف عليه !  
كما أنه — رحمه الله — افتتح كتابه "قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية" بعقيدة سنّية وحيزة ؛ تقديمًا للأهم فلا جرم أن الأصول أهم من الفروع ومن الحق تأخير التابع وتقديم المتبوع .

وهذه الفاتحة فيما يجب في الاعتقادات من أصول الديانات اشتملت على عشرة أبواب، الخمسة الأولى منها في الإلهيات، والباقية في السمعيات وهي :  
الباب الأول : في وجود الباري .

والباب الثاني: في صفات الله تعالى . وذكر فيه ما جرت به عادة المتكلمين من الأشاعرة بإثبات سبع صفات وهي الحياة والقدرة والإرادة والعلم والسمع والبصر والكلام .  
والباب الثالث : في أسماء الله تعالى الحسنى .

والباب الرابع : في توحيد الله تعالى .

والباب الخامس : في تزيه الله تعالى وفيه قال :

« تنبيه : ورد في القرآن والحديث ألفاظ يوهم ظاهرها التشبيه، كقوله تعالى : ﴿ عَلِيٌّ

الْعَرْشِ اسْتَوَى ۗ ﴾ [طه] و ﴿ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة: ٦٤] ، وكحديث نزول الله تعالى

كل ليلة إلى الدنيا<sup>(٢)</sup> ، وغير ذلك وهي كثيرة ، تفرق الناس فيها ثلاث فرق :

الفرقة الأولى : السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين آمنوا بها ولم

يبحثوا عن معانيها ولا تأولوها بل أنكروا على من تكلم فيها ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ

(١) ينظر : ابن جُزَيِّ ومنهجه في التفسير للزبيدي ( ١ / ٥١٧ - ٥٩٢ ) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١١٤٥) في كتاب التهجد ، وبرقم (٦٣٢١) في كتاب الدعوات ،

وبرقم (٧٤٩٤) في كتاب التوحيد . ومسلم في صحيحه برقم (٧٥٨) في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ،

كلاهما من حديث أبي هريرة .

ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴿٧﴾ [آل عمران: ٧] وهذه طريقة التسليم التي تعود إلى السلامة ، وبها أخذ مالك والشافعي وأكثر المحدثين .

الفرقة الثانية : قوم حملوها على ظاهرها فلزمهم التجسيم ، ويُعزى ذلك إلى الحنبلية وبعض المحدثين .

الفرقة الثالثة : قوم تأولوها وأخرجوها على ظاهرها إلى ما تقتضيه أدلة العقول ، وهم أكثر المتكلمين ، والله أعلم .

والباب السادس : في الإيمان بملائكة الله وكتبه ورسله .

والباب السابع : في الإيمان بالدار الآخرة .

والباب الثامن : في الإمامة .

والباب التاسع : في الإيمان والإسلام .

والباب العاشر: في الاعتصام بالسنة .

ومما يلحظ عليه — رحمه الله — فيما قيده في هذه العقيدة الوجيزة ، أو فيما كتبه في "التسهيل" أمور :

الأول : أن السلف الصالح آمنوا بصفات الله تعالى وأمروها كما جاءت ، واعتقدوا

ظاهرها مع نفي التمثيل ؛ لقوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ

﴾ [الشورى] ، فلا يلزم من حملها على ظاهرها التجسيم كما قال ابن حُزَيِّ عفا الله عنه .

فاعتقاد السلف في صفات الله هو إثباتها بلا تمثيل ؛ فجمعوا بين الإثبات والتزويه .

وعليه ، فقد وقع ابن حُزَيِّ في التأويل ؛ لعدم تحقيقه مذهب السلف في الصفات .

ومن أمثلة ذلك :

تأويله لصفة "الرحمة" حيث أولها بالإحسان<sup>(١)</sup> .

تأويله لصفة "اليد" بأن بسطها عبارة عن الإنعام والجود<sup>(٢)</sup> .

تأويله لصفة "الوجه" بأنه عبارة عن الذات<sup>(٣)</sup> .

(١) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل (٣١/١) .

(٢) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل (١٨٢/١) . وينظر : التوحيد لابن خزيمة (١٥٩/١) .

(٣) ينظر : التسهيل (٨٤/٤) .

الثاني : في معنى الإيمان في الاصطلاح ، حيث قصر معناه على التصديق<sup>(١)</sup> . وهو عند أهل السنة والجماعة : قول القلب وعمله ، وقول اللسان وعمل الجوارح والأركان .

الثالث : في زيادة الإيمان ، حيث يرى أن ذلك يحصل بقوة اليقين والتصديق وزياتهما ، ولا يرى دخول الأعمال في مسمى الإيمان<sup>(٢)</sup> .

والحقُّ أن الإيمان قول وعمل واعتقاد ، يزيد بالطاعة والعلم بالله ، والتفكُّر في آياته وترك المعاصي ، وينقص بأضداد ذلك .

هذه بعض الأمور الملحوظة على عقيدته — رحمه الله وعفا عنه بمنه وكرمه — أدّاه إليها اجتهاده غفر الله له .

### مذهبه في فروع الدين :

كان ابن جُزَيِّ — رحمه الله — في فروع الدين على مذهب الإمام مالك ، بل يُعدُّ أحدَ منظري الفقه المالكي ، وأحد أعيانه المعدودين في طبقات المالكية<sup>(٣)</sup> .

وقد ألف في الفقه كتابه المسمى : " قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية " على مذهب إمام المدينة أبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي ، ثم زاد على ذلك التنبيه على كثير من الاتفاق والاختلاف الذي بين مالك وبقيّة الأئمة الأربعة ، وربما نبّه على مذهب غيرهم من العلماء كالحسن البصري ، والثوري ، وإسحاق بن راهوية ، وداود الظاهري في آخرين . فاعتنى فيه بتحرير الخلاف الفقهي داخل المذهب المالكي مستعملا بعض مصطلحاتهم<sup>(٤)</sup> .

كما اعتنى بتحرير الخلاف العالي بين أئمة المذاهب المعتمدة ، حيث قال عن كتابه هذا: « إنه جمع بين تمهيد المذهب ، وذكر الخلاف العالي بخلاف غيره من الكتب ، فإنها في

(١) ينظر: قوانين الأحكام الشرعية (٣٨) .

(٢) ينظر: التسهيل (١١٣ / ٢) ، و (١١١ / ١) .

(٣) ينظر : الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب لابن فرحون ( ٢٩٥ ) ، وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد محمد مخلوف ( ٢١٣ ) .

(٤) كالمشهور ، والمذهب ، والروايات ، والأقوال . ينظر: حاشية الدسوقي ( ٢٠ / ١ ) ، وحاشية العدوي على الخرشبي على مختصر خليل ( ٣٤ / ١ ) ، ومواهب الجليل لشرح مختصر خليل للخطاب ( ٤٠ / ١ ) .

المذهب خاصة ، أو في الخلاف العالي خاصة»<sup>(١)</sup> .  
 وفي تفسيره " التسهيل لعلوم التنزيل " أيضا تقرير لمذهب مالك في بعض المسائل مع  
 الإشارة إلى مذهب غيره<sup>(٢)</sup> .  
 وفي منهجه الفقهي دلالة على عدم تعصُّبه للمذهب المالكي بل كان يسير مع الدليل  
 ولو خالف المذهب<sup>(٣)</sup> .

---

(١) قوانين الأحكام الشرعية (٢٠) . ويقصد بالخلاف العالي ما يسمى اليوم بالفقه المقارن .  
 (٢) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل (١/٨٢ ، ٨٥ ، ١٣٩ ، ١٧٥ ، ٢٠٧ ، ٣١٠ ، ٣٩٨) و (٣/٨٨) و (٤/٩٣ ،  
 ١٠٣)  
 (٣) ينظر: ابن جُزَيِّ ومنهجه في التفسير للزبيري (٢/٧٠٦ - ٧٢٩) .

## المبحث السادس

### القيمة العلمية لكتاب "التسهيل لعلوم التنزيل"

كان لابن جُزَيِّ مكانته الخاصة وشخصيته المستقلة التي تجمع بين الأصالة والتجديد ، وتؤهله لأن يناقش كبار المفسرين ويزاحمهم بأرائه ، وبما يمتلك من قواعد الترجيح . ويتضح ذلك جلياً من خلال كتابه " التسهيل لعلوم التنزيل " والذي ميزه عن غيره من التفاسير بمقدمته الماتعة في أصول التفسير وعلوم القرآن .

قال ابن جُزَيِّ في خطبة كتابه هذا : « وصنفت هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم، وسائر ما يتعلق به من العلوم وسلكت مسلكاً نافعاً، إذ جعلته وجيزاً جامعاً، قصدت به أربع مقاصد، تتضمن أربع فوائد :

الفائدة الأولى : جمع كثير من العلم في كتاب صغير الحجم؛ تسهيلاً على الطالبين، وتقريباً على الراغبين. فلقد احتوى هذا الكتاب على ما تضمنته الدواوين الطويلة من العلم، ولكن بعد تلخيصها وتنقيح فصولها، وحذف حشوها وفضولها. ولقد أودعته من كل فن من فنون القرآن اللباب دون القشر المرغوب عنه من غير إفراط ولا تفريط. ثم إني عزمت على إيجاز العبارة، وإفراط الاختصار، وترك التطويل والتكرار.

الفائدة الثانية : ذكر نكت عجيبة وفوائد غريبة قلما توجد في كتاب ؛ لأنها من نبات صدري ، وينابيع فكري ، أو مما أخذته عن شيوخي رضي الله عنهم ، أو مما التقطته من مستظرفات النوادر ، الواقعة في غرائب الدفاتر.

الفائدة الثالثة : إيضاح المشكلات ، إما بحل العقد المقفلات ، وإما بحسن العبارة ، ورفع الاحتمالات، وبيان الجملات .

الفائدة الرابعة : تحقيق أقوال المفسرين ، السقيم منها والصحيح ، وتمييز الراجح من المرجوح ، وذلك أن أقوال الناس على مراتب ... »<sup>(١)</sup>.

ثم ذكر تلك المراتب ، وسيأتي ذكرها في "صبيغ الترجيح عند ابن جُزَيِّ" .

ثم قدم له بمقدمتين :

المقدمة الأولى : في أبواب نافعة ، وقواعد كلية جامعة ، في علم أصول التفسير وعلوم

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ( ٣/١ ) .

القرآن ، وجعلها في اثني عشر باباً<sup>(١)</sup> :

الأول : في نزول القرآن .

الثاني : في المكي والمدني .

الثالث : في المعاني والعلوم التي تضمنها القرآن .

الرابع : في فنون العلم التي تتعلق بالقرآن .

الخامس : في أسباب اختلاف المفسرين، ووجوه الترجيح بين الأقوال .

السادس : في طبقات المفسرين .

السابع : في الناسخ والمنسوخ .

الثامن : في القراءات .

التاسع : في الوقف .

العاشر : في علوم البلاغة .

الحادي عشر : في إعجاز القرآن .

الثاني عشر : في فضل القرآن .

وأما المقدمة الثانية في تفسير معاني اللغات ، ذكر فيها الكلمات التي يكثر دورها في

القرآن ، أو تقع في موضعين فأكثر من الأسماء والأفعال والحروف .

وإنما جمعها لثلاث فوائد :

الأولى : تسهيلاً للحفظ .

الثانية : ليكون هذا الباب أصلاً جامعاً لمعاني التفسير .

الثالثة : للاقتصار ، فاستغنى بذكرها هنا عن التكرار .

وهي بحق تُعدُّ معجماً لغوياً لمفردات غريب القرآن<sup>(٢)</sup> .

ومما يبرز القيمة العلمية لتفسير ابن جُزَيِّ غير ما ذكر أمور ؛ منها :

١- عنايته بالتفسير بالمأثور ، حيث اشتمل تفسيره على بيان القرآن بالقرآن ، وبالسنة<sup>(٣)</sup> .

(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل ( ١ / ٤ - ١٥ ) .

(٢) ينظر: المصدر السابق ( ١ / ١٥ - ٢٩ ) .

(٣) لسامي بن مساعد الجهني رسالة علمية في تخرّيج الأحاديث والآثار في كتاب " التسهيل لعلوم التنزيل " ،

رسالة ماجستير في جامعة أم القرى ، عام ١٤١٨ هـ .

٢- جمعه لأقوال المفسرين وتلخيصها ، وذكر الراجح منها . ومن أمثلة ذلك :

- تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ [٣] [ البروج ] حيث ذكر اضطراب الناس في تفسير الشاهد والمشهود ولخص من أقوالهم في الشاهد ستة عشر قولاً ، وفي المشهود اثنين وثلاثين قولاً<sup>(١)</sup>.

- تفسيره لـ "ناشئة الليل" من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾ [المزمل: ٦] حيث ذكر فيها سبعة أقوال<sup>(٢)</sup>.

- تفسيره لـ "الكوثر" من قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ [١] [الكوثر] حيث ذكر فيه سبعة أقوال<sup>(٣)</sup>.

- تفسيره لـ قوله تعالى : ﴿ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ [٣] [ الفلق ] حيث ذكر فيه ثمانية أقوال<sup>(٤)</sup>.

٣- اهتمامه بالنكات واللطائف التفسيرية . ومن أمثلة ذلك :

— قوله تعالى : ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ﴾ [ يونس: ٣٢ ] قال : « تدل الآية على أنه ليس بين الحق والباطل منزلة في علم الاعتقادات، إذ الحق فيها في طرف واحد، بخلاف مسائل الفروع»<sup>(٥)</sup>.

— وفي قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴾ [٣٦] قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ

[٣٧] إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ [٣٨] [ الحجر ]

قال : « كان سؤال إبليس الانتظار إلى يوم القيامة جهلاً منه ومغالطة! إذ سأل ما لا سبيل إليه ؛ لأنه لو أعطي ما سأل لم يموت أبداً ؛ لأنه لا يموت أحد بعد البعث ، فلما سأل

(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل ( ١٨٨/٤ ) .

(٢) ينظر: المصدر السابق (١٥٧/٤) .

(٣) ينظر : المصدر السابق (٢٢٠/٤) .

(٤) ينظر : المصدر السابق ( ٢٢٥ /٤) .

(٥) ينظر : المصدر السابق (٩٣ /٢) .

ما لا سبيل إليه أعرض الله عنه وأعطاه الانتظار إلى النفخة الأولى» (١).

٤- الاهتمام باللغة العربية وعلومها ، حيث اشتمل تفسيره على كثير من القضايا النحوية والصرفية والبلاغية (٢).

٥- ظهور الملكة الفقهية عند تفسيره لآيات الأحكام (٣).

وبعد ، فإذا كان ذلك كذلك ، فما من ريب بعد ذلك في القيمة العلمية لكتاب "التسهيل لعلوم التنزيل" لابن جُزَيِّ الكلبِي — رحمه الله — ، ويؤيد ذلك : اهتمام الباحثين به وعكوفهم على دراسته من جوانب متعددة ؛ لما له من الأهمية والقيمة العلمية .  
وبعد أن قدم ابن جُزَيِّ لكتابه التسهيل بمقدمتين علميتين مهمتين شرع في تفسيره سالكاً الطريقة الآتية :

١- رتب تفسيره حسب ترتيب سور المصحف، كغيره من المفسرين، بدءاً بالكلام على الاستعاذة بالبسملة ثم سورة الفاتحة وانتهاء بسورة الناس .

٢- يفسر أهم الجمل في الآية الكريمة، ويترك الواضح منها دون تفسير متبعاً للمخشري في ذلك، ومن أمثلة ذلك :

— تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَن أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۗ جَعَلُونَهُ قُرْآنًا يَدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا ءَابَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿١١﴾ [الأنعام]

قُلْ مَن أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۗ جَعَلُونَهُ قُرْآنًا يَدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا ءَابَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿١١﴾ [الأنعام]

حيث فسر الجمل التالية :

— ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۗ ﴾ .

— ﴿ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا ۗ ﴾ .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/١٤٦) .

(٢) لطاهر عبد الحي محمد شبانة رسالة دكتوراة في الجوانب النحوية للتسهيل لعلوم التنزيل ، في كلية دار العلوم جامعة القاهرة .

(٣) هناك رسالتان في هذا الجانب : الأولى : ابن جُزَيِّ وأثره في أصول الفقه وفروعه، رسالة ماجستير، في كلية الآداب ، جامعة طنطا، إعداد فتحي عباس إبراهيم غنيم. والأخرى : ابن جُزَيِّ الكلبي وأثره في الفقه الإسلامي، رسالة دكتوراة، في كلية الشريعة والقانون، جامعة الأزهر ، إعداد سليمان أبي الريش .

— ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ <sup>(١)</sup>.

— وتفسيره لقوله تعالى : ﴿يَمَعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُولٌ مِّنْكُمْ يَفْصُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [١٣٠] [ الأنعام ]

حيث فسّر الجمل التالية :

— ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُولٌ﴾ .

— ﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ <sup>(٢)</sup>.

٣- أعرض عن تفسير بعض الآيات ؛ إما لوضوحها وإما لأنه سبق تفسير ما يشبهها، محيلاً إلى الموضوع السابق وقد لا يحيل، ومن أمثلة ذلك :

— تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [٢٨] أَيْنَكُم لَأَتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ [٢٩] قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ [٣٠] [ العنكبوت ]

لم يفسر من هذه الآيات الثلاثة إلا قوله تعالى في الآية الثانية : ﴿وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ

وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ <sup>(٣)</sup>.

— تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [١٦] إِنْ

تَقَرَّبُوا لِلَّهِ قَرَضًا حَسَنًا يَضْعَفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ [١٧] [ التغابن ] .

فأحال في هذه الآية على ما سبق :

(١) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل ( ٢ / ١٥-١٦).

(٢) ينظر: المصدر السابق ( ٢ / ٢١).

(٣) ينظر : المصدر السابق ( ٣ / ١١٦).

ففي قوله : ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ ﴾ أحال على سورة الحشر .

وفي قوله : ﴿ إِنْ تُقْرِضُوا ﴾ أحال على سورة البقرة .

وفي قوله : ﴿ شُكْرٌ حَلِيمٌ ﴾ أحال على مقدمته في اللغات<sup>(١)</sup> .

٤- تَبِعَ ابْنُ جُزَيٍّ مِنْ سَبْقِهِ كَالزَّمْخَشَرِيِّ فِي إِيْرَادِ الْأَسْئَلَةِ وَأَجْوَبَتِهَا ؛ دَفْعًا لِلإِشْكَالَاتِ ، وَإِيْضَاحًا لِلْمَبْهَمَاتِ . وَمِنْ أَمْثَلَةِ ذَلِكَ :

— قوله تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

الْمُكْذِبِينَ ﴾ [ الأنعام ] .

قال : « قال الزمخشري: إن قلت : أيُّ فرقٍ بين قوله : ﴿ فَأَنْظِرُوا ﴾<sup>(٢)</sup> ، وبين قوله:

﴿ ثُمَّ أَنْظِرُوا ﴾ ؟ قلت : سيروا ؛ لأجل النظر ، وأما قوله : ﴿ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ

أَنْظِرُوا ﴾ ، فمعناه : إباحة السير للتجارة وغيرها من المنافع ، وإيجاب النظر في المهالكين

رَبُّهُ عَلَى ذَلِكَ بِـ ثُمَّ ؛ لتباعد ما بين الواجب والمباح »<sup>(٣)</sup> .

وفي قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا

بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرْتَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [ الأعراف ] .

قال ابن جُزَيٍّ: « فإن قيل : لم قال : ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ ﴾ بـ إِذَا ، وتعريف

الحسنة ، و ﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ بـ إِنْ ، وتنكير السيئة ، فالجواب : أن وقوع الحسنة

كثير ، والسيئة وقوعها نادر ، فعرف الكثير الوقوع باللام ، التي للعهد ، وذكره بإِذَا ؛ لأنها تقتضي التحقيق ، وذكر السيئة بِإِنْ ، لأنها تقتضي الشك ، ونكَّرها؛ للتعليل »<sup>(٤)</sup> .

٥- لم يَطَّرِدِ ابْنُ جُزَيٍّ فِي طَرِيقَةِ عَرْضِ التَّفْسِيرِ ، بَلْ سَلَكَ مَسْلَكَ التَّنْوِيعِ . فَتَارَةً يَبْدَأُ بِذِكْرِ

(١) ينظر المصدر السابق (٤/١٢٥) .

(٢) وردت هذه اللفظة القرآنية خمس مرات في [ آل عمران : ١٣٧ ، والنحل : ٣٦ ، النمل : ٦٩ ، والعنكبوت : ٢٠ ، والروم : ٤٢ ] .

(٣) التسهيل (٢/٤-٣) . وينظر: الكشاف للزمخشري (٢/٣٢٧-٣٢٨) .

(٤) المصدر السابق (٢/٤٢) . وينظر : الكشاف للزمخشري (٢/٤٩٣) .

سبب التزول ، وتارة يبدأ بذكر الإعراب ، وأخرى يقدم فيها المعنى العام الجُملي للآية ، وتارة يبدأ بذكر مقصود الآية ، وتارة يبدأ بذكر مرجع الضمائر في الآية ، وتارة يبدأ بذكر مناسبة الآية لما قبلها ، وتارة يبدأ بذكر القراءات . وهكذا لم يسلك طريقة واحدة بل نوع وغيّر .

ومن الأمثلة على ذلك :

— بدأ بذكر مرجع الضمير :

في قوله : ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ

وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ <sup>(١)</sup> [ الأنعام ] .

وفي قوله : ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ

وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ <sup>(٢)</sup> [ الأنعام ] .

— بدأ بذكر مقصود الآية في قوله : ﴿ قُلْ لِمَنْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُنَّ

عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ

فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ <sup>(٣)</sup> [ الأنعام ] .

— بدأ بذكر الإعراب في قوله : ﴿ ثَمَنِيَةَ أَزْوَاجٍ ﴾ <sup>(٤)</sup> [ الأنعام: ١٤٣ ] .

— بدأ بذكر المعنى في قوله : ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا ﴾ <sup>(٥)</sup>

[ الأنعام: ١٤٨ ] .

— بدأ بذكر مناسبة الآية لما قبلها في قوله : ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّ وَبُكْمٌ فِي

(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٩/٢) .

(٢) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٥/٢) .

(٣) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٤/٢) .

(٤) ينظر التسهيل لعلوم التنزيل (٢٣/٢) .

(٥) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل (٢٤/٢) .

أَلْظَلَمْتُ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يُضِلُّهُ وَمَنْ يَشَاءُ يَجْعَلُهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ (١) [الأنعام] .

-بدأ بذكر القراءات في قوله : ﴿ فَسْتَقَرُّوْا وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ (٢) [الأنعام: ٩٨] .

-بدأ بذكر التفسير النبوي في قوله : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ

يُلْحَدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٣) [الأعراف] .

وبالجملة فإن ابن جزّيّ امتاز في تفسيره بالاختصار والإيجاز والتلخيص ، والابتعاد عن

ذكر التفصيلات في الاختلافات النحوية والفقهية ، والقصص والشواهد .

كما جمع في تفسيره " التسهيل " بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي ، والرواية

والدراية ، فجمع محاسن المنهج العقلي والنقلي في تفسيره (٤) .

(١) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل (٨/٢) .

(٢) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٧/٢) .

(٣) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٥٥/٢) .

(٤) ينظر: ابن جزّيّ ومنهجه في التفسير لعلي الزبيري (٣٥٦/١-٤٦١) و (٥٩٥/٢ وما بعدها) .

## الباب الأول

منهج ابن جُزَيِّ في الترجيح في التفسير

وفيه فصلان :

الفصل الأول : صيغ الترجيح وأساليبه عند ابن جُزَيِّ .

الفصل الثاني : وجوه الترجيح عند ابن جُزَيِّ .

## الفصل الأول

### صيغ الترجيح وأساليبه عند ابن جُزَيِّ

وفيه تمهيد وخمسة مباحث :

- التمهيد : في معنى الترجيح وموجباته .
- المبحث الأول : التنصيص على خطأ القول أو بطلانه .
- المبحث الثاني : التنصيص على ضعف القول أو استبعاده .
- المبحث الثالث : تفضيل القول على غيره بصيغة أفعال التفضيل .
- المبحث الرابع : تقديم القول الراجح على المرجوح في الذكر .
- المبحث الخامس : التنصيص على صواب القول أو صحته .

## تمهيد : في معنى الترجيح وموجباته

عند حديث ابن جُزَيٍّ — في مقدمة كتابه — عن الترجيح بين أقوال المفسرين قال :  
 « الفائدة الرابعة : تحقيق أقوال المفسرين ، السقيم منها والصحيح ، وتمييز الراجح من  
 المرجوح ؛ وذلك أن أقوال الناس على مراتب ، فمنها الصحيح الذي يُعوَّل عليه ، ومنها  
 الباطل الذي لا يُلتفت إليه ، ومنها ما يحتمل الصحة والفساد . ثم إن هذا الاحتمال قد  
 يكون متساوياً أو متفاوتاً ، والتفاوت قد يكون قليلاً أو كثيراً .

وإني جعلت لهذه الأقسام عبارات مختلفة ، تعرف بها كل مرتبة ، وكل قول ، فأدناها  
 ما أصرَّحُ بأنه خطأ أو باطل ، ثم ما أقول فيه إنه ضعيف أو بعيد ، ثم ما أقول إن غيره  
 أرجح أو أقوى أو أظهر أو أشهر ، ثم ما أقدم غيره عليه إشعاراً بترجيح المتقدم أو بالقليل فيه  
 قيل كذا ؛ قصداً للخروج من عهده ... »<sup>(١)</sup> .

ثم عرَّج بعد ذلك على ذكر موجبات الترجيح وأسباب الخلاف بين المفسرين ،  
 والوجوه التي يَرَجَّحُ بها بين أقوالهم<sup>(٢)</sup> .

### معنى الترجيح :

الترجيح في اللغة : مصدر رَجَّحَ يُرَجِّحُ ، كَسَلَّمَ يُسَلِّمُ<sup>(٣)</sup> .

ومادة هذه الكلمة : الرءاء والجيم والحاء ، تدور حول أصل واحد هو : الثقل ،  
 والميل ، والزيادة ، والرَّزَانة .

يقول ابن فارس : « الرءاء والجيم والحاء ، أصل واحد ، يدل على رَزَانة وزيادة ،

يقال : رَجَّحَ الشيء وهو راجح : إذا رَزُنَ »<sup>(٤)</sup> .

ويقال : أرجح الميزان ، أي : أثقله حتى مال<sup>(٥)</sup> ، ورجح في مجلسه ، أي : ثَقُلَ فلم

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٣/١) .

(٢) ينظر : المصدر السابق (٩/١) .

(٣) ينظر : تاج العروس (٣٨٣/٦) .

(٤) معجم مقاييس اللغة (٤٨٩/٢) .

(٥) ينظر : تهذيب اللغة (٨٧/٤) .

يَخْفَ<sup>(١)</sup> ، وَرَجَّحَهُ ، أَي : أَرْجَحَهُ وَفَضَّلَهُ وَقَوَّاهُ<sup>(٢)</sup> .  
والحاصل أن الرجحان : هو الزيادة والفضل .

### الترجيح في الاصطلاح :

عُرِّفَ التَّرجِيحُ بتعاريف كثيرة عند المتقدمين والمتأخرين من علماء الأصول ، ومن هذه التعاريف :

- تعريف الفخر الرازي : « الترجيح : تقوية أحد الطريقتين على الآخر ؛ ليعلم الأقوى فيعمل به ، ويطرح الآخر »<sup>(٣)</sup> .

- وتعريف البيضاوي : « الترجيح تقوية إحدى الأمارتين على الأخرى ؛ ليعمل بها »<sup>(٤)</sup> . وعُرِّفَ بغير هذا<sup>(٥)</sup> .

وعليه ، فإنه يمكن القول بأن الترجيح في التفسير هو : تفضيل أحد الأقوال في معنى الآية ؛ لما فيه من مزية معتبرة تجعله أولى من غيره ، وَفَقَّ صَيْغَ وَأَسَالِيْبَ مَعْتَمَدَةً<sup>(٦)</sup> .

### موجبات الترجيح :

بيِّنَ ابنُ جُزَيٍّ - رحمه الله - في مقدمة كتابه أن التفسير منه ما هو متفق عليه ، ومنه ما هو مختلف فيه ، وأن التفسير المختلف فيه أنواع ، وذكر أن الترجيح إنما يكون في نوع واحد من هذه الأنواع .

يقول ابنُ جُزَيٍّ : « واعلم أن التفسير منه متفق عليه ، ومختلف فيه ، ثم إن المختلف فيه على ثلاثة أنواع :

الأول : اختلاف في العبارة مع اتفاق في المعنى ، فهذا عدّه كثير من المؤلفين خلافاً ،

(١) ينظر : لسان العرب (٤٤٥/٢) .

(٢) ينظر : المعجم الوسيط (٣٢٩/١) .

(٣) المحصول في علم الأصول (٥٢٩/٥) .

(٤) الإبهام في شرح المنهاج (٢٠٨/٣) .

(٥) ينظر : أصول السرخسي (٢٤٩/٢) ، والبحر المحييط في أصول الفقه للزركشي (٤٢٥/٤) .

(٦) ينظر : ترجيحات الحفاظ ابن كثير - رحمه الله - لمعاني الآيات في تفسيره (١٩/١) لأدم عثمان .

وليس في الحقيقة بخلاف ؛ لاتفاق معناه ، وجعلناه نحن قولاً واحداً ، وعبرنا عنه بأحد عبارات المتقدمين<sup>(١)</sup> ، أو بما يقرب منها ، أو بما يجمع معانيها .

**الثاني :** اختلاف في التمثيل لكثرة الأمثلة الداخلة تحت معنى واحد ، وليس مثال منها على خصوصه هو المراد ، وإنما المراد المعنى العام التي تندرج تلك الأمثلة تحت عمومها ، فهذا عده أيضاً كثير من المؤلفين خلافاً ، وليس في الحقيقة بخلاف ؛ لأن كل قول منها مثال ، وليس بكل المراد ، ولم نَعُدْهُ نحن خلافاً ، بل عبرنا عنه بعبارة عامة تدخل تلك تحتها ، وربما ذكرنا بعض تلك الأقوال على وجه التمثيل ، مع التنبيه على العموم المقصود .

**الثالث :** اختلاف المعنى ، فهذا هو الذي عددناه خلافاً ، ورجحنا فيه بين أقوال الناس حسبما ذكرنا في خطبة الكتاب<sup>(٢)</sup> .

وقد عقد ابن جُزَيِّ — في المقدمة الأولى لكتابه — باباً ذكر فيه أهم " أسباب الخلاف بين المفسرين " <sup>(٣)</sup> ، ولأهميتها فهذا بيانها مع التمثيل لها :

#### السبب الأول : اختلاف القرآن<sup>(٤)</sup> :

قد يكون في الآية أكثر من قراءة ، فيفسر كل واحد من المفسرين الآية وفق قراءة مخصوصه ، فيقع الاختلاف بينهم .

ومن الأمثلة على ذلك :

— قوله تعالى : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكَذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ

(١) في نسخة أخرى مطبوعة : بإحدى العبارات المتقدمة .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٦/١-٧) ، وكلام ابن جُزَيِّ هذا هو ما قرره غير واحد من العلماء ، حيث قسّموا الخلاف الواقع في التفسير بين السلف إلى قسمين : الأول : اختلاف التنوع ، والثاني : اختلاف التضاد ، وجعلوا الخلاف المندرج تحت اختلاف التنوع صنفين : الصنف الأول : التعبير عن المعنى بالألفاظ المتقاربة المتكافئة . الصنف الثاني : التعبير بالجزء من باب التمثيل لا الحصر . ينظر : مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (٦٧) وما بعدها .

(٣) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل (٩/١) ، واختلاف المفسرين أسبابه وآثاره لسعود الفنينان (٥٩) وما بعدها ، وأسباب اختلاف المفسرين لحمد الشايع (٣٦) وما بعدها ، وبحوث في أصول التفسير ومناهجه لفهد الرومي (٤٤) وما بعدها ، وفصول في أصول التفسير لمساعد الطيار (٦٤) وما بعدها .

(٤) يعني به ابن جُزَيِّ : اختلاف القراء أو القراءات .

بَعَايَتِ اللَّهِ ﴿٣٣﴾ [ الأنعام ] .

قال ابن جُزَيِّ : « من قرأ بالتشديد فالمعنى : لا يكذبونك معتقدين لكذبك ، وإنما هم يحدون بالحق مع علمهم به . ومن قرأ بالتخفيف فقليل : معناه : لا يحدونك كاذبًا . يقال : أَكْذَبْتُ فُلَانًا ، إذا وجدته كاذبًا . كما يقال : أَحْمَدُهُ ، إذا وجدته محمودًا . وقيل : هو بمعنى التشديد . يقال : كَذَّبَ فُلَانٌ فُلَانًا وأكذبه بمعنى واحدٍ . وهو الأظهر ؛ لقوله بعد هذا : ﴿يَجْحَدُونَ﴾ . ويؤيد هذا ما روي أنها نزلت في أبي جهلٍ ، فإنه قال لرسول الله ﷺ : إنا لا نكفر بك ولكن نكذب ما جئت به . وأنه قال للأحنس بن شريق : والله إن محمدًا لصادق ، ولكنني أحسده على الشرف»<sup>(١)</sup> .

— وقوله تعالى : ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿١٤٥﴾ [ الأعراف ] .

قال ابن جُزَيِّ : « أي : دار فرعون وقومه [ وهي<sup>(٢)</sup> ] مصر ، ومعنى ﴿سَأُورِيكُمْ﴾ : كيف أقفرت منهم لما هلكوا . وقيل : منازل عاد وثمود ، ومن هلك من الأمم المتقدمة ؛ ليعتبروا بها . وقيل : جهنم . وقرأ ابن عباس : ( سَأُورِيكُمْ ) بالثاء من الوراثة ، وهي على هذا [ مصر ]<sup>(٣)</sup> لقوله : ﴿وَأُورِيْنَهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ﴿٤﴾ . [ الشعراء : ٥٩ ]

السبب الثاني : اختلاف وجوه الإعراب وإن اتفقت القراءات :

قد يختلف المعنى باختلاف الإعراب ، فيحمل كل واحد من المفسرين معنى الآية على قول ، فيقع الخلاف في التفسير بينهم .  
ومن الأمثلة على ذلك :

— الاختلاف في حكم الحوايا المبني على اختلاف الإعراب في قوله تعالى : ﴿وَعَلَى

الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمًا عَلَيْهِمْ شُحُومُهُمَا

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٧ / ٢) .

(٢) في المطبوع : وهو ، والصواب ما أثبتته .

(٣) في المطبوع : مصدر ، والصواب ما أثبتته .

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (٤٥ / ٢) .

إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٦﴾ [ الأنعام ] .

قال ابن جُزَيِّ : « وهو معطوف على ﴿ مَا ﴾ في قوله : ﴿ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا ﴾ فهو من المستثنى من التحريم . وقيل : عطف على الظهور . فالمعنى : إلا ما حملت الظهور أو حملت الحوايا . وقيل : عطف على الشحوم فهو من المحرم » <sup>(١)</sup> .

— الخلاف في إعراب ﴿ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [ يوسف : ١٠٨ ] .

قال ابن جُزَيِّ : « ﴿ أَنَا ﴾ تأكيد للضمير في ﴿ ادْعُوا ﴾ ، و ﴿ مَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ معطوف عليه ، و ﴿ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾ في موضع الحال . وقيل : ﴿ أَنَا ﴾ مبتدأ ، و ﴿ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾ خبره ، فعلى هذا يوقف على قوله : ﴿ ادْعُوا إِلَى اللَّهِ ﴾ وهذا ضعيف » <sup>(٢)</sup> .

### السبب الثالث : اختلاف اللغويين في معنى الكلمة :

قد يكون للكلمة معنيان : قريب ظاهر ، و بعيد محتمل ، فيحمله بعض المفسرين على المعنى القريب الظاهر ، ويحمله آخرون على المعنى البعيد المحتمل ، فيقع الخلاف في التفسير . ومن الأمثلة على ذلك :

— الخلاف في معنى ﴿ فَضَحِكْتَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ ﴾

فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ [ هود ] .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « قيل : معناه : حاضت ، وهو ضعيف . وقال الجمهور : هو الضحك المعروف . واختلفوا من أي شيء ضحكت ... » <sup>(٣)</sup> .

— الاختلاف في تفسير "الضعف" في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَنْشُعِبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا

تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرْنَكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِيزٌ ﴿٩١﴾ [ هود : ٩١ ] .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٤) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٢٩) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٠٩) .

قال ابن جُزَيٍّ : « أي : ضعيف الانتصار والقدرة . وقيل : نحيل البدن . وقيل : أعمى »<sup>(١)</sup> .

— كما اختلفَ في معنى الرجم على قولين :

الأول : الرجم بالحجارة ، وهو الظاهر من دلالة اللفظ .

والثاني : الشتم بالكلام ، والأذية بالقول ، وهذا المعنى بعيد محتمل<sup>(٢)</sup> .

### السبب الرابع : اشتراك اللفظ بين معنيين فأكثر

قد يكون للفظ الواحد في اللسان العربي معنيان أو أكثر ، فيذهب بعض المفسرين إلى تفسيرها بأحد هذين المعنيين ، ويفسرها بعضهم بالمعنى الآخر ، فيقع الخلاف بينهم ، وكلا التفسيرين صحيح ، ما لم يقدّم دليل على التعيين .

ومن الأمثلة على ذلك :

— الاختلاف في معنى القرء في قوله تعالى : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ [البقرة: ٢٢٨] ، فالقرء مشترك في اللغة بين الطهر والحيض ، وبكلا المعنيين فسرت الآية<sup>(٣)</sup> .

### السبب الخامس : احتمال العموم والخصوص

قد يحمل بعض المفسرين لفظ الآية على العموم ، ويحمّله البعض الآخر على الخصوص ، فيقع الاختلاف بينهم .

ومن الأمثلة على ذلك :

— الاختلاف في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ ﴾ [البقرة : ٢٢١] ، فقيل : إنها عامة في المشركات والكتبايات ، ثم خصصَ عمومها قوله تعالى : ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ [المائدة: ٥] . وبها أصبح نكاح نساء أهل الكتاب المحصنات جائزاً .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (١١١/٢) .

(٢) ينظر : جامع البيان (٥٥٤/١٢) ، ومفاتيح الغيب (٣٩١/٦) ، والتسهيل (١١١/٢) .

(٣) انظر : التسهيل لعلوم التنزيل (١٩٨/١) .

وقيل : إن لفظ ﴿الْمُشْرِكِ﴾ ، خاص بالوثنيات من العرب وغيرهن ممن لسن أهل كتاب ، وعليه فلم تدخل الكتابيات في النهي أصلاً<sup>(١)</sup> .

— الاختلاف في المراد — أَيْمَّةَ الْكُفْرِ في قوله تعالى : ﴿وَإِنْ تَكْثُرُوا أَيَّمَنَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ ﴿١٢﴾ [التوبة] .

قال ابن جزّي : « ﴿أَيْمَةَ الْكُفْرِ﴾ أي : رؤساء أهله . قيل : إنهم أبو جهل لعنه الله ، وأمّية بن خلف ، وعتبة بن ربيعة ، وأبوسفيان بن حرب ، وسهيل بن عمرو . وحكى ذلك الطبري ، وهو ضعيف ؛ لأن أكثر هؤلاء كان قد مات قبل نزول هذه السورة . والأحسن أنهما على العموم »<sup>(٢)</sup> .

#### السبب السادس : احتمال الإطلاق أو التقييد

قد يرد النصُّ في موضع مطلقاً وفي آخر مقيداً ، فيحمل بعض المفسرين المطلق على المقيد دون البعض الآخر فيقع الخلاف بينهم<sup>(٣)</sup> .  
ومن الأمثلة على ذلك :

— الاختلاف في عتق الرقبة في الكفارات هل هو على الإطلاق أم أنه مقيد بكون الرقبة مؤمنة ؟ وسبب الخلاف : وُرُودُ الرقبةِ المعتقة مطلقاً من غير أي وصف في كفارة اليمين ، في قوله تعالى : ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ بِهِ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المائدة: ٨٩] ، وورودها مطلقاً — أيضاً — في كفارة الظهار في قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا﴾ [المجادلة: ٣] ،

(١) ينظر : جامع البيان (٣/٧١١) ، وأسباب اختلاف المفسرين (٥٠) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٧١) .

(٣) لذلك صور من حيث اتحاد السبب والحكم أو اختلافهما ليس هذا مجال بسطها .

وورودها مقيدةً بوصف الإيمان في كفارة القتل خطأً في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانُ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ ﴾ [النساء: ٩٢] ، فذهب بعض العلماء إلى حمل المطلق على المقيد ، فاشتروا الإيمان في عتق الرقبة لأية كفارة ، وذهب البعض إلى عدم حمل المطلق على المقيد لعدم الدليل<sup>(١)</sup> ، فيجوز عتق الرقبة الكافرة في كفارة الظهر واليمين ، ويبقى شرط الإيمان خاصاً في كفارة القتل الخطأ<sup>(٢)</sup> .

— الخلاف في المراد بـ الغدو والآصال في قوله تعالى : ﴿ وَأَذْكُرْ بِكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥] .

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « ﴿ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ أي : في الصباح والعشي . والآصال : جمع أصل ، والأصل : جمع أصيل . قيل : المراد صلاة الصبح والعصر . وقيل : فرض الخمس . والأظهر الإطلاق »<sup>(٣)</sup> .

### السبب السابع : احتمال الحقيقة أو المجاز :

يحمل بعض المفسرين معنى الآية على الحقيقة ، ويحملة البعض الآخر على المجاز ، فيقع الاختلاف فيهم<sup>(٤)</sup> .

ومن الأمثلة على ذلك :

— الخلاف في معنى حمل الأوزار على الظهر في قوله : ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ ﴾ [ الأنعام : ٣١ ] . هل المراد به الكناية ؟ أم هو على الحقيقة ؟

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « كناية عن تحمل الذنوب . وقال ﴿ عَلَى ظُهُورِهِمْ ﴾ ؛ لأن العادة حمل الأثقال على الظهر . وقيل : إنهم يحملونها على ظهورهم حقيقة . ورؤي في ذلك : أن الكافر يركبه عمله بعد أن يتمثل له في أقبح صورة ، وأن المؤمن يركب عمله بعد أن يتصور له

(١) ينظر : البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢/٢٠) ، والإتقان في علوم القرآن (٣/٨٢) .

(٢) ينظر : أسباب الخطأ في التفسير (٥٣) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٦٠) .

(٤) على خلاف بين العلماء في وقوع المجاز في اللغة ووجوده في القرآن الكريم ، ينظر : مجموع فتاوى شيخ

الإسلام ابن تيمية (٧/٨٧ ، ٩٦-١٠٩) ، ومنع جواز المجاز للشنقيطي (٥) وما بعدها .

في أحسن صورة»<sup>(١)</sup>.

### السبب الثامن : احتمال الإضمار أو الاستقلال :

من أسباب الاختلاف بين المفسرين : اختلافهم في كون الكلام مستقلاً بذاته ، ولا يحتاج إلى تقدير ، أو كونه غير مستقل بذاته ، فيفتقر إلى تقدير كلمة مضمرة يتضح معناها المعنى .

ومن الأمثلة على ذلك :

— الاختلاف في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَسَأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي

أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ [يوسف ٨٢] .

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « تقديره : واسأل أهل القرية ، وكذلك : أهل العير . يعنون الرفقة . هذا هو قول الجمهور . وقيل : المراد سؤال القرية بنفسها والعير بنفسها ، ولا يبعد أن تخبره الجمادات ؛ لأنه نبي . والأول أظهر وأشهر على أنه مجاز »<sup>(٢)</sup> .

ففي الآية إضمار ، حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه .

قال أبوحيان : « الظاهر أن ذلك على إضمار أهل... وحذف المضاف هو قول

الجمهور »<sup>(٣)</sup> .

### السبب التاسع : احتمال الكلمة زائدة<sup>(٤)</sup> :

من أسباب الاختلاف بين المفسرين : قول بعضهم : إن في القرآن كلمات زائدة من حيث الإعراب لا المعنى ، ورد كثير من المفسرين لهذا القول ، وعليه وقع الخلاف بينهم في معاني بعض الآيات بناء على إقرار الزيادة أو ردها .

ومن الأمثلة على ذلك :

— في قوله تعالى : ﴿ أَوْ مَن كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٧/٢) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (١٢٦/٢) .

(٣) البحر المحيط (٣٣٧/٥) .

(٤) هكذا هي عبارة ابن جزي وعليه بعض المفسرين ، والأولى التعبير بلفظ "صلة" ؛ دفعاً لسوء الفهم .

مَثَلُهُ فِي الظُّلْمَتِ ﴿[الأنعام: ١٢٢] هل كلمة ﴿مَثَلُهُ﴾ لها معنى؟ أم أنها زائدة؟

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى: «﴿كَمَنْ مَثَلُهُ﴾ مثلٌ هنا بمعنى صفة . وقيل : زائدة ، والمعنى : كمن هو»<sup>(١)</sup>.

— الخلاف في تفسير قوله تعالى : ﴿فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ

﴿[الأنفال] ١٣ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « ومعنى ﴿فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ أي : على الأعناق ، حيث المفصل بين الرأس والعنق ؛ لأنه مذبح ، والضرب فيها يُطِيرُ الرأس . وقيل : المراد الرؤوس ؛ لأنها فوق الأعناق . وقيل : المراد الأعناق ؛ و ﴿فَوْقَ﴾ زائدة»<sup>(٢)</sup> .

**السبب العاشر : احتمال حمل الكلام على الترتيب وعلى التقديم والتأخير :**

قد يُشكَل على بعض المفسرين فهم معنى الآية حسب نظمها وترتيبها ، فيقدّر معناها مع التقديم والتأخير وإعادة الترتيب ، ومن المفسرين من يرى أن الآية على ترتيبها ، ومعناها بَيِّنٌ من غير تقديم ولا تأخير ، وبالتالي يقع الخلاف بينهم .  
ومن الأمثلة على ذلك :

— قوله تعالى : ﴿وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحَكْتُ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ

﴿[هود] ٧١ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « قيل : معناه : حاضَتْ ، وهو ضعيفٌ . وقال الجمهور : هو الضَّحْكُ المعروف . واختلفوا من أي شيء ضحكت ، فقيل : سروراً بالولد الذي بشرت به ، ففي الكلام على هذا تقديم وتأخير . وقيل : سروراً بالأمن بعد الخوف . وقيل : سروراً بهلاك قوم لوط»<sup>(٣)</sup> .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٠) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٦٢) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٠٩) .

قال ابن الجوزي : «... فعلى هذا إنما ضحكت سروراً بالبشارة ، ويكون في الآية تقديم وتأخير . والمعنى : وامراته قائمة فبشرناها فضحكت»<sup>(١)</sup> .

— الاختلاف في المراد بالتوفي في قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ

وَرَأَفَعَكَ إِلَىٰ وَمُطَهَّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [آل عمران: ٥٥] على قولين :

الأول : وفاة نوم ورفع إلى السماء وافيًا تامًا حيًا ، فيكون نظم الكلام مستقيمًا من غير تقديم ولا تأخير .

والثاني : وفاة موت ، وعليه فإن في الآية تقديمًا وتأخيرًا ، والتقدير : إني رافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد ذلك<sup>(٢)</sup> .

**السبب الحادي عشر : احتمال أن يكون الحكم منسوخًا أو محكمًا :**

أدخل كثير من المفسرين ، ومن المؤلفين في معنى النسخ : كل تفسير في مدلول الآية سواء كان نسخًا ، أو تخصيصًا لعام ، أو تقييدًا لمطلق ، أو استثناءً ، أو غير ذلك<sup>(٣)</sup> . وعليه وقع الاختلاف بين المفسرين في القول بإحكام الآية أو نسخها .

ومن الأمثلة على الاختلاف بين المفسرين بسبب احتمال النسخ أو الإحكام :

— خلاف أهل التأويل في قوله تعالى : ﴿ وَأَعْرَضَ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٩]

بين الإحكام والنسخ .

قال ابن جزي : « ﴿ وَأَعْرَضَ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ أي : لا تكافيء السفهاء بمثل قولهم أو فعلهم و احلم عنهم . ولما نزلت هذه الآية سأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم جبريل عنها فقال : لا أدري حتى أسأل . ثم رجع فقال : يا محمد ، إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك . وعن جعفر الصادق : أمر الله نبيه ﷺ فيها بمكارم الأخلاق . وهي على هذا ثابتة الحكم وهو الصحيح . وقيل : كانت

(١) زاد المسير (٤/١٣٠) .

(٢) ينظر : زاد المسير (١/٣٩٦) ، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/١٠٨) .

(٣) ينظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٤/١٠١) ، والموافقات للشاطبي (٣/١٠٨) ، وابن جزي ومنهجه في التفسير لعلي الزبيري (٢/٧٧٢ — ٧٨٧) .

مداراةً للكفار ، ثم نسخت بالقتال «<sup>(١)</sup> .

— الاختلاف في قوله تعالى : ﴿ فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ [التوبة : ٥] .

قال ابن جزيّ : « ناسخة لكل موادة في القرآن . وقيل : إنها نسخت أيضاً : ﴿ فَأَمَّا

مَنْ بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً ﴾ [محمد:٤] . وقيل : بل نسختها هي ، فيجوز المنُّ والفداء «<sup>(٢)</sup> .

السبب الثاني عشر : اختلاف الرواية في التفسير عن النبي < وعن السلف رضي

الله عنهم :

قد تبلغ الرواية عن النبي < أحدَ المفسرينَ ولا تبلغ الآخر ، فيختلف تفسير أحدهما للآية عن الآخر . ومن بلغته الرواية قد لا تثبت عنده ، أو يختلف الفهم في معناها بعد ثبوتها، فيكون ذلك سبباً في اختلاف المفسرين . وكذا القول في الرواية عن السلف رضي الله عنهم .

ومن الأمثلة على ذلك :

— الاختلاف في عدّة الحامل المتوفى عنها زوجها ، فقد ذهب ابن مسعود وأبي بن كعب إلى أن عدتها : وضع الحمل ، زادت مدته على أربعة أشهر وعشراً أو قصرت ؛ بناءً على حديث سبيعة الأسلمية<sup>(٣)</sup> ، وذهب علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن عباس إلى أنها تعتد بأطول الأجلين الواردين في آيتي العدة<sup>(٤)</sup> .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ( ٢ / ٥٨ - ٥٩ ) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ( ٢ / ٧١ ) . وينظر : ابن جزي ومنهجه في التفسير لعلى الزبيري ( ٢ / ٧٨٤ - ٧٨٥ ) .

(٣) حديث سبيعة : « حين توفي عنها زوجها سعد بن خولة في حجة الوداع وهي حامل ، فلم تلبث أن وضعت حملها بعد وفاته ، فلما تعلت من نفاسها تحملت للخطاب ، فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك فقال لها : مالي أراك متجملة ؟ لعلك ترجين النكاح ! إنك والله ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر . قالت سبيعة : فلما قال لي ذلك ، جمعت عليّ ثيابي حين أمسيت ، فأتيت رسول الله < فسألته عن ذلك ، فأفتاني بأني حللت حين وضعت حملي ، وأمرني بالتزوج إن بدا لي » ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير برقم ( ٤٩٠٩ ) وفي كتاب الطلاق برقم ( ٥٣١٨ ) ، ومسلم — واللفظ له — في صحيحه برقم ( ١٤٨٤ ) ، في كتاب الطلاق ، باب انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها وغيرها بوضع الحمل .

(٤) آيتا العدة هما قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ

ولا شك أن علياً وابن عباس لم يبلغهما حديث سُبَيْعَةَ ، بدليل رجوعهما عن قولهما حين بلغهما حديث سُبَيْعَةَ<sup>(١)</sup> .

وهذا من الخلاف في العمل بالآية الذي هو ثمرة العلم بمعناها وليس خلافاً في مفهوم دلالتها ومعناها .

أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجْلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ  
 ﴿٢٣٤﴾ [البقرة: ٢٣٤] ، وقوله تعالى في سورة الطلاق: ﴿وَالَّتِي يَبْسُنُ مِنَ الْمَجِيسِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْبَبْتُمْ  
 فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ  
 أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ .

(١) في الحديث : ( أن أبا سلمة بن عبد الرحمن ، وابن عباس ، اجتمعا عند أبي هريرة وهما يذكران المرأة تُنْفَسُ بعد وفاة زوجها بليال ، فقال ابن عباس : عدتها آخر الأجلين ، وقال أبو سلمة : قد حلت ، فجعلتا يتنازعا ذلك ، قال : فقال أبو هريرة : أنا مع ابن أخي (يعني أبا سلمة) فبعثوا كُريياً (مولى ابن عباس) إلى أم سلمة يسألها عن ذلك ، فجاءهم فأخبرهم أن أم سلمة قالت : إن سُبَيْعَةَ الأَسْلَمِيَّةُ نفست بعد وفاة زوجها بليال ، وإنما ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأمرها أن تتزوج . أخرجه البخاري في كتاب التفسير برقم (٤٩٠٩) ، ومسلم — واللفظ له — في صحيحه برقم (١٤٨٥) ، كتاب الطلاق ، باب انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها وغيرها بوضع الحمل .

## المبحث الأول : التنصيص على خطأ القول أو بطلانه

نص ابن جُزَيِّ في مقدمة كتابه على استعمال هذه الصيغة في الترجيح بين أقوال المفسرين بقوله : « فأدناها ما أُصرِّح بأنه خطأ أو باطل »<sup>(١)</sup> .

فاستعملها في الترجيح بين أدنى الأقوال — أي : أضعفها — وما هو أعلى منها مرتبة ، لا في الترجيح بين الصحيح والباطل من الأقوال ؛ وذلك أن إبطال القول لا يُعدُّ ترجيحاً لمقابله ، إذ الترجيح تفضيل وتقوية لجانب القول الراجح ، ولا يقتضي بطلان القول المرجوح ، وإنما مقتضاه : العمل بالراجح .

ويدل لذلك : تقسيم ابن جُزَيِّ لأقوال الناس إلى مراتب :

الأولى : الصحيح الذي يُعول عليه .

الثانية : الباطل الذي لا يُلتفت إليه .

الثالثة : ما يحتمل الصحة والفساد ، وهذا الاحتمال قد يكون متساوياً أو متفاوتاً ، والتفاوت قد يكون قليلاً ، وقد يكون كثيراً .

يقول ابن جُزَيِّ عن هذه المرتبة : « وإني جعلت لهذه الأقسام عبارات مختلفة ، تُعرف بها كل مرتبة وكل قول ، فأدناها ما أُصرِّح بأنه خطأ أو باطل ... » إلى آخره .

واستعمل ابن جُزَيِّ في الترجيح بهذه الصيغة العبارات التالية :

أولاً : عبارة : خطأ ، ولم أقف عليها في القسم الذي تناولته بالدراسة .

ومن الأمثلة على استعماله لهذه العبارة ما يلي :

١- عند تفسير قول الله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ

وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [سبأ: ٣١] ، قال ابن جُزَيِّ : « ﴿ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ ، يعني الكتب المتقدمة كالنوراة والإنجيل ، وإنما قال الكفار هذه المقالة حين وقع عليهم الاحتجاج بما في النوراة من ذكر محمد > .

وقيل : الذي بين يديه : يوم القيامة ، وهذا خطأ وعكس ؛ لأن الذي بين يدي الشيء هو ما تقدم عليه »<sup>(٢)</sup> .

(١) التسهيل (٣/١) .

(٢) التسهيل (٣/١٥١) .

٢- في تفسير قوله تعالى : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا  
وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا ﴾ [توح: ٢٨] .

قال ابن جزيّ : « ﴿ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ ، هذا دعاء بالمغفرة لكل مؤمن ومؤمنة على العموم ، وفيه دليل على جواز ذلك خلافاً لمن قال من المتأخرين : إنه لا يجوز الدعاء بالمغفرة لجميع المؤمنين على العموم ، وهذا خطأ وتضييق لرحمة الله الواسعة ... »<sup>(١)</sup> .  
ثانياً : عبارة : باطل ، ومن الأمثلة على استعماله لهذه العبارة في الترجيح ما يلي :

١- في تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلْ لِمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُنِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام] .

قال ابن جزيّ : « ﴿ الَّذِينَ ﴾ مبتدأ وخبره : ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ، ودخلت الفاء لما في الكلام [من]<sup>(٢)</sup> معنى الشرط . قاله الزجاج ، وهو حسن . وقال الزمخشري : ﴿ الَّذِينَ ﴾ نصب على الذمّ أو رفع بخبر ابتداء مضمّر . وقيل : هو بدل من الضمير في ﴿ لِيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾ ، وهو ضعيف . وقيل : منادى ، وهو باطل »<sup>(٣)</sup> .

٢- وربما استعمل الفعل المضارع منها كما في تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَتُنَادِيكُم بِإِذْنِ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرًا لِّلنَّاسِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام] .

قال ابن جزيّ : « وهذا كله تمثيل لمن ضلّ في الدين عن الهدى ، وهو يدعى إلى الإسلام فلا يجيب . وقيل : نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق حين كان أبوه يدعو إلى

(١) التسهيل (٤/١٥٢) .

(٢) وقع في المطبوع ( في ) وهو تصحيف .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٤) .

الإسلام. ويبطل هذا قولُ عائشة : ما نزل في آل أبي بكر شيء من القرآن إلا براءتي»<sup>(١)</sup>.

٣- وكما في تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَفْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ

﴿ ١٦ ﴾ [ الأعراف ] .

قال ابن جُزَيِّ : « الفاء للتعليل وهي تتعلّق بفعل قسم محذوف ، تقديره : أقسم بالله بسبب إغوائك لي لأغوين بني آدم . و﴿مَا﴾ مصدرية . وقيل : استفهامية . ويبطله ثبوت الألف في "مَا" مع حرف الجرّ »<sup>(٢)</sup>.

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٣) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٩) .

## المبحث الثاني : التنصيص على ضعف القول أو استبعاده

هذه الطريقة من الطرق المعتمدة في الترجيح عند المحققين من العلماء ، وقد نص ابن جُزَيّ في مقدمة كتابه على استعمالها في الترجيح بين أقوال المفسرين بقوله : « ثم ما أقول فيه : إنه ضعيف أو بعيد »<sup>(١)</sup> .

واستعمل في الترجيح بهذه الصيغة العبارات التالية :

أولاً : عبارة : **ضعيف** ، ومن الأمثلة عليها :

١- في تفسير قوله تعالى : ﴿ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ

خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [١٢] [ الأنعام ] .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ لِيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾ : مقطوعٌ مما قبله ، وهو جوابٌ لقسمٍ محذوف . وقيل : هو تفسير الرحمة المذكورة ، تقديره : أن يجمعكم . وهذا **ضعيف** ؛ لدخول النون الثقيلة في غير موضعها ، فإنها لا تدخل إلا في القسم أو في غير الواجب »<sup>(٢)</sup> .

٢- عند تفسير قوله تعالى : ﴿ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [ الأنعام : ١٢ ] .

قال ابن جُزَيّ رحمه الله تعالى : « قيل : هنا ﴿ إِلَى ﴾ بمعنى (في) ، وهو **ضعيف** . والصحيح أنها للغاية على باهما »<sup>(٣)</sup> .

٣- وربما استعمل الفعل المضارع منها كما في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَأَنْزَلَ اللَّهُ

سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ﴾ [ التوبة : ٤٠ ] .

قال ابن جُزَيّ : « الضمير للرسول < . وقيل : لأبي بكر ؛ لأن النبي < نزل معه السكينة . ويُضَعَّفُ ذلك بأن الضمائر بعدها للرسول < »<sup>(٤)</sup> .

٤- وأحياناً يَضَعَّفُ القول بضعف الرواية كما في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَذْهَبُوا

(١) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل (٣/١) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٤ / ٢) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٤ / ٢) . وتنظر أمثلة أخرى في (٤ / ٢) ، ٢٠ ، ٧١ ، ٩٧ ، ١٠٦ ، ١٠٩ ، ١١٧ ، ١٢٩) .

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٧٦) .

يَقْمِيصِي هَذَا ﴿ [يوسف : ٩٣] .

قال ابن جُزَيِّ : « رُوِيَ أَنَّ هَذَا الْقَمِيصَ كَانَ لِإِبْرَاهِيمَ كَسَاهُ اللَّهُ لَهُ حِينَ أُخْرِجَ مِنَ النَّارِ ، وَكَانَ مِنْ ثِيَابِ الْجَنَّةِ ، ثُمَّ صَارَ لِإِسْحَاقَ ، ثُمَّ لِيَعْقُوبَ ، ثُمَّ دَفَعَهُ يَعْقُوبَ لِيُوسُفَ ، وَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى سَنَدٍ يُوثِقُ بِهِ . وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ كَانَ قَمِيصَ يُوسُفَ الَّذِي بَمَثَلَةِ قَمِيصِ كُلِّ أَحَدٍ »<sup>(١)</sup> .

٥- وربما ضَعَّفَ الْقَوْلَ مِنْ جِهَةٍ وَجُودَهُ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى كَمَا فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا ﴾ [الأنعام : ١٢٣] .

قال ابن جُزَيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : « ﴿ مُجْرِمِيهَا ﴾ إِعْرَابُهُ : مُضَافٌ إِلَيْهِ عِنْدَ الْفَارْسِيِّ وَغَيْرِهِ . وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ وَغَيْرُهُ : إِنَّهُ مَفْعُولٌ أَوَّلٌ بِـ جَعَلْنَا ، وَأَكْبَرُ مَفْعُولٌ ثَانٍ مَقْدَمٌ . وَهَذَا جَيِّدٌ فِي الْمَعْنَى الضَّعِيفِ فِي الْعَرَبِيَّةِ ؛ لِأَنَّ أَكْبَرَ جَمْعُ أَكْبَرٍ وَهُوَ مِنْ أَفْعَلَ فَلَا يَسْتَعْمَلُ إِلَّا بِـ مِنْ أَوْ بِالْإِضَافَةِ »<sup>(٢)</sup> .

ثَانِيًا : عِبَارَةٌ : بِعِيدَ ، وَمِنْ الْأَمْثَلَةِ عَلَيْهَا :

١- فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ هَٰذَا الْقُرْآنِ لِأَنَّذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ [الأنعام : ١٩] .

قال ابن جُزَيِّ : « وَفَاعِلٌ ﴿ بَلَغَ ﴾ ضَمِيرُ الْقُرْآنِ ، وَالْمَفْعُولُ مَحْذُوفٌ يَعُودُ عَلَى مَنْ تَقْدِيرُهُ : وَمَنْ بَلَغَهُ . وَالْمَعْنَى : أَوْحَىٰ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ لِأَنَّذِرَ بِهِ الْمُخَاطَبِينَ ، وَهُمْ أَهْلُ مَكَّةَ ، وَأَنذِرَ كُلَّ مَنْ بَلَغَهُ الْقُرْآنَ مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ : مَنْ بَلَغَهُ الْقُرْآنَ فَكَأَنَّمَا رَأَى سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا ﷺ . وَقِيلَ : الْمَعْنَى : وَمَنْ بَلَغَ الْحُلْمَ . وَهُوَ بِعِيدٌ »<sup>(٣)</sup> .

٢- عِنْدَ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ بَلْ بَدَأَهُمْ مَا كَانُوا يَخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ

وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿ ٢٨ ﴾ [الأنعام] .

قال ابن جُزَيِّ : « ... وَقِيلَ : هِيَ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ ، أَي : بَدَأَهُمْ مَا كَانُوا يَخْفُونَ مِنْ

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٢٧) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٠) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ) .

أمر محمد ﷺ . وقيل : هي في المنافقين ، أي بدا لهم ما كانوا يخفون من الكفر . وهذا القولان بعيدان ؛ فإن الكلام أوله ليس في حق المنافقين ولا أهل الكتاب «...»<sup>(١)</sup> .

— وربما قال : " بعيد جداً " كما في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَكْبَرْتَهُ ﴾ [يوسف : ٣١] .

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « أي : عظم شأنه وجماله . وقيل : معنى " أكبرن " : حُضِنَ ، والهَاءُ لِلسَّكْتِ . وهذا بعيد جداً »<sup>(٢)</sup> .

— وربما استعمل عبارة " فاسد " كما في تفسير قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام] .

قال ابن جزي : « ﴿ الَّذِينَ ﴾ مبتدأ ، وخبره : ﴿ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ . وقيل : ﴿ الَّذِينَ ﴾ نعتٌ للذين آتيناهم الكتاب . وهو فاسد ؛ لأن الذين أوتوا الكتاب ما استشهد بهم هنا إلا ليقيم الحجة على الكفار »<sup>(٣)</sup> .

(١) التسهيل (٦/٢) . وتنظر أمثلة أخرى في (١١/٢ ، ١٣ ، ٥٧ ، ٨٢ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٤ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٠ ،

١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٧) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (١١٨/٢) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٥/٢) .

### المبحث الثالث : تفضيل القول على غيره بصيغة (أفعل) التفضيل

يعتبر الترجيح بصيغة (أفعل) التفضيل من الصيغ الظاهرة في الدلالة على ترجيح أحد القولين ، وذلك أن (أفعل) يدل غالباً على أن شيئين اشتركا في معنى وزاد أحدهما على الآخر فيه ، ولا يلزم منه فساد القول الآخر أو بطلانه .

وقد نص ابن جُزَيِّ في مقدمة كتابه على استعمال هذه الصيغة في الترجيح بين أقوال المفسرين بقوله : « ثم ما أقول : إن غيره أرجح أو أقوى أو أظهر أو أشهر »<sup>(١)</sup> .

وقد زاد عليها عبارات أخرى لم ينصَّ عليها في مقدمته ؛ كقوله : أصح ، وأحسن<sup>(٢)</sup> .

كما جمع أحياناً بين عبارتين ؛ كقوله : أظهر وأشهر ، وأرجح وأفصح .

واستخدم هذه الصيغة في الترجيح في مواطن كثيرة من كتابه ، وذلك من خلال العبارات التالية :

أولاً : عبارة : أرجح ، ومن الأمثلة عليها :

١- عند تفسير قوله تعالى : ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ

عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدُهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام] .

قال ابن جُزَيِّ : « قيل : الضمير في ﴿ حِسَابِهِمْ ﴾ للذين يدعون . وقيل : للمشركين، والمعنى على هذا : لا تحاسب عنهم ولا يحاسبون عنك فلا تهتم بأمرهم حتى تطرد هؤلاء من أجلهم . والأول أرجح ؛ لقوله : ﴿ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ [هود: ٢٩] ، وقوله : ﴿ إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي ﴾ [الشعراء: ١١٣] والمعنى على هذا : أن الله هو الذي يحاسبهم فلائي شيء تطردهم؟ »<sup>(٣)</sup> .

٢- في تفسير قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٣/١) .

(٢) كما زاد أيضاً عبارة : أولى ، وأليق ، وأبلغ لكن لم أقف على استعماله لها في حدود دراستي من سورة الأنعام إلى سورة يوسف ، وتنظر أمثلة لها على التوالي في التسهيل لعلوم التنزيل (٥٦/١ و ١٤٣/٣) ، (١٤٨/١ و ٤٢/٣) ، (٤٩/١ و ٦٨/٣) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (١٠/٢) .

بِهَا هَوَآءٌ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ [الأنعام].

قال ابن جزيّ: «هم الأنبياء المذكورون . وقيل : الصحابة . وقيل : كل مؤمن . والأول أرجح ؛ لدلالة ما بعده على ذلك»<sup>(١)</sup> .

٣- وربما جمع إليها عبارة أفصح ؛ كما في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي

السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام] .

قال ابن جزيّ: « يتعلق ﴿ فِي السَّمَوَاتِ ﴾ بمعنى اسم الله ، فالمعنى كقوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي

فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ ﴾ [الزخرف : ٨٤] ، كما يقال : أمير المؤمنين الخليفة في المشرق والمغرب . ويحتمل أن يكون المجرور في موضع الخبر فيتعلق باسم فاعل محذوف ، والمعنى على هذا قريب من الأول . وقيل : المعنى أنه في السماوات والأرض بعلمه ؛ كقوله : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ [الحديد : ٤] . والأول أرجح وأفصح ... »<sup>(٢)</sup> .

ثانياً : عبارة : أقوى ، ومن الأمثلة عليها :

- في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا أَنْزَلَ يَعْلَمُ اللَّهُ وَأَنْ لَا إِلَهَ

إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [هود: ١٤] .

قال ابن جزيّ: « فيها وجهان : أحدهما : أن تكون مخاطبةً من الله للنبي <

وللمؤمنين . أي : إن لم يستجب الكفار إلى ما دعوتهم إليه من معارضة القرآن فاعلموا أنه من عند الله . وهذا على معنى : دوموا على علمكم بذلك أو زيدوا يقيناً به . والثاني : أن يكون خطاباً من النبي < للكفار . أي : إن لم يستجب من تدعونه من دون الله إلى شيء من المعارضة ولا قدر جميعكم عليه ؛ فاعلموا أنه من عند الله . وهذا أقوى من الأول ؛

لقوله : ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ «<sup>(٣)</sup> .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (١٥/٢) . وينظر أمثلة أخرى في (١٤/٢) ، ١٦ ، ٢٢ ، ٣٣ ، ٤٦ ، ٦٨ ، ٧٥ ، ٨١ ، ٨٢ ،

٩٠ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٢ ، ١٠٣) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٣/٢) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (١٠٢/٢) . .

ثالثاً : عبارة أظهر ، ومن الأمثلة عليها :

١- في تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَحْسَرُنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى

ظُهُورِهِمْ <sup>ج</sup> أَلَسَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢١﴾ [الأنعام] .

قال ابن جزيّ : « الضمير ﴿ فِيهَا ﴾ للحياة الدنيا ؛ لأن المعنى يقتضي ذلك ، وإن لم يجر لها ذكر . وقيل : الساعة ، أي : فرطنا في شأنها والاستعداد لها . والأول أظهر»<sup>(١)</sup> .

٢- عند تفسير قوله تعالى : ﴿ مَا عِنْدِي مَا كَسَبَتْ عَظْمُونَ بِهِ ﴾ [الأنعام: ٥٧] .

قال ابن جزيّ : « أي : العذاب الذي طلبوه في قولهم : ﴿ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ

السَّمَاءِ ﴾ [الأنفال: ٣٢] . وقيل : الآيات التي اقترحوها . والأول أظهر»<sup>(٢)</sup> .

رابعاً : عبارة أشهر ، ومن الأمثلة عليها :

١- في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلاًّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال] .

قال ابن جزيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ كُلاًّ بَنَانٍ ﴾ قيل : هي المفاصل . وقيل : الأصابع ، وهو الأشهر في اللغة . وفائدة ذلك أن المقاتل إذا ضربت أصابعه تعطل عن القتال فأمكن أسره وقتله»<sup>(٣)</sup> .

٢- وربما جمع بين العبارتين الأخيرتين — أظهر وأشهر — كما في تفسير قوله تعالى :

﴿ وَسَأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ [يوسف] .

قال ابن جزيّ : « تقديره : وسأل أهل القرية ، وكذلك : أهل العير . يعنون الرفقة . هذا هو قول الجمهور . وقيل : المراد سؤال القرية بنفسها والعير بنفسها ، ولا يبعد أن

(١) التسهيل ( ٧ / ٢ ) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ( ١١ / ٢ ) . وينظر أمثلة أخرى في ( ٧ / ٢ ) ، ٣١ ، ٤٦ ، ٥٥ ، ٦٠ ، ٧٥ ، ٧٩ ، ٩٨ ،

١١٦-١١٥ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل ( ٦٢ / ٢ ) .

تخبره الجمادات ؛ لأنه نبي . والأول أظهر وأشهر على أنه مجاز « (١) .

خامساً : عبارة أصح ، ومن الأمثلة عليها :

١ - عند تفسير قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ۚ ﴾

فَعَلَى اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ [الأعراف] .

قال ابن جزري : « أي : لما آتاهما — آدم وحواء — ولدًا صالحًا كما طلبا : جعل أولادهما له شركاء . فالكلام على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه . وكذلك ﴿ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ أي : فيما آتى أولادهما وذريتهما . وقيل : إن حواء لما حملت جاءها إبليس وقال لها : إن أطعيني و [سميتي] (٢) ما في بطنك عبد الحارث ، فأخلصه لك ... فقوله : ﴿ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ أي : في التسمية لا غير ، لا في عبادة غير الله . والقول الأول أصح ؛ لثلاثة أوجه ... » (٣) .

٢ - في تفسير قوله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦] .

قال ابن جزري : « ﴿ الْحُسْنَىٰ ﴾ : الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجه الله . وقيل : ﴿ الْحُسْنَىٰ ﴾ : جزاء الحسنة بعشر أمثالها ، والزيادة : التضعيف فوق ذلك إلى سبعمائة . والأول أصح ... » (٤) .

٣ - في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا زَنْكَ أَبْعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّىَ

الرَّأْيِ ﴾ [هود: ٢٧] .

قال ابن جزري : « ﴿ بِادِّىَ الرَّأْيِ ﴾ أي : أول الرأي من غير نظر ولا تدبير . و

﴿ بِادِّىَ ﴾ منصوب على الظرفية ، أصله وقت حدوث أول رأيهم ، والعامل فيه

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٢٦) .

(٢) في المطبوع : سميت . والصواب بإثبات الياء كما أثبتته ، كما في جميع النسخ .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥٧) .

(٤) التسهيل (٢/ ١٧٢) .

﴿ أَتَبَعَكَ ﴾ على أصح الأقوال . والمعنى : اتبعك الأراذل من غير نظر ولا [تثبت] <sup>(١)</sup> . وقيل : هو صفة لـ ﴿ بَشْرًا مِّثْلَنَا ﴾ أي : غير مثبت في الرأي » <sup>(٢)</sup> .

سادساً : عبارة : أحسن ، ومن الأمثلة عليها :

١- عند تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [الأنعام : ١٥١] .

قال ابن جزيّ : « قيل : أن حرفُ عبارةٍ وتفسير ، فلا موضع لها من الإعراب ، و"لا" ناهية جازمت الفعل . وقيل : أن مصدرية في موضع رفع تقديره : الأمرُ ألاّ تشركوا ، فـ "لا" على هذا نافية . وقيل : أن في موضع نصب بدلا من قوله : ﴿ مَا حَرَّمَ ﴾ . ولا يصحُّ ذلك إلاّ إن كانت "لا" زائدة ، وإن لم تكن زائدة فسد المعنى ؛ لأن الذي حرم على ذلك يكون ترك الإشراف . والأحسن عندي : أن تكون (أن) مصدرية في موضع نصب على البدل و "لا" نافية ، ولا يلزم ما ذكر من فساد المعنى ؛ لأن قوله : ﴿ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ ﴾ معناه : ما وصّاكم به ربكم بدليل قوله في آخر الآية : ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ حَرَّمَ ﴾ فضمّن التحريم معنى الوصية ، والوصية في المعنى أعم من التحريم ؛ لأن الوصية تكون بتحريم وتحليل وبوجوب وندب ، ولا يُنكر أن يريد بالتحريم الوصية ؛ لأن العرب قد تذكر اللفظ الخاص وتريد به العموم كما تذكر اللفظ العام وتريد به الخصوص... » <sup>(٣)</sup> .

٢- في تفسير قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ يَنْفَكُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾ [الأعراف : ١٨٤] .

قال ابن جزيّ : « يعني بصاحبهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فنفي عنه ما نسب له المشركون من الجنون . ويحتمل أن يكون قوله : ﴿ مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ ﴾ معمولا لقوله :

(١) وقع في المطبوع : تشبث ، بالشين . والصواب ما أثبتته .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٠٤) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٥) .

﴿ أَوْلَمَّ يَنْفَكَّرُوا ﴾ فيوصل به ، والمعنى : أو لم يتفكروا فيعلمون أن ما بصاحبهم من جنة .  
ويحتمل أن يكون الكلام قد تمّ في قوله : ﴿ أَوْلَمَّ يَنْفَكَّرُوا ﴾ ثم ابتداءً إخباراً استئنافاً لقوله :  
﴿ مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جَنَّةٍ ﴾ . والأول أحسن «<sup>(١)</sup> .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ( ٥٦ / ٢ ) . وينظر أمثلة أخرى في ( ٥٧-٥٦ / ٢ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ١٢٩ ) .

## المبحث الرابع : تقديم القول الراجح على المرجوح في الذكر

هذه الصيغة من الصيغ المعتمدة في الترجيح ، وذلك أن تقديم القول أو حكايته بصيغة الجزم دليل على ترجيحه ، كما أن تأخير القول أو حكايته بصيغة التمريض دليل على تضعيفه وعدم رجحانه .

وقد نص ابن جُزَيِّ في مقدمة كتابه على استعمال هذه الصيغة في الترجيح بين أقوال المفسرين بقوله : « ثم ما أقدم غيره عليه إشعاراً بترجيح المتقدم »<sup>(١)</sup> .

وتنوعت أساليبه في استعمال هذه الصيغة على النحو التالي :

أولاً : ذكر جميع الأقوال بصيغة الجزم .

وأمثلة ذلك :

١- في تفسير قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ

وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ [الأنعام] .

قال ابن جُزَيِّ : « فيه ثلاث تأويلات : أحدها : أن المعنى : تَمَامًا لِلنَّعْمَةِ عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى . ففاعل أحسن ضمير يعود على الذي ، و ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ ﴾ يراد به جنس المحسنين . والآخر : أن المعنى : تَمَامًا أَي : تَفْضِيلاً أَوْ جِزَاءً عَلَى مَا أَحْسَنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ طَاعَةِ رَبِّهِ وَتَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ . فالفاعل ضمير موسى عليه السلام . و ﴿ الَّذِي ﴾ صفة لعمل موسى . والثالث : تَمَامًا أَي : إِكْمَالًا عَلَى مَا أَحْسَنَ اللَّهُ بِهِ إِلَى عِبَادِهِ . فالعامل على هذا ضمير الله تعالى »<sup>(٢)</sup> .

٢- في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْتَحُ لَهُمْ

أَبْوَابُ السَّمَاءِ ﴾ [الأعراف : ٤٠] .

قال ابن جُزَيِّ : « فيه ثلاثة أقوال : أحدها : لا يَصْعَدُ عَمَلُهُمْ إِلَى السَّمَاءِ . والثاني : لا يدخلون الجنة ؛ فإن الجنة في السماء . والثالث : لا تفتح أبواب السماء لأرواحهم إذا

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٣/١) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٢٦) .

ماتوا كما تفتح لأرواح المؤمنين»<sup>(١)</sup> .

٣- في تفسير قوله تعالى : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ

الْمُؤْمِنِينَ لَكٰرِهُونَ ﴾ [الأنفال] .

قال ابن جزيّ : « فيه ثلاث تأويلات : أحدها : أن تكون الكاف في موضع رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، تقديره : هذه الحال كحال إخراجك . يعني : أن حالهم في كراهة تفضيل الغنائم كحالهم في حالة خروجك للحرب . والثاني : أن يكون في موضع الكاف نصب على أنه صفة لمصدر الفعل المقدّر في قوله : ﴿ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ أي : استقرت الأنفال لله والرسول استقراراً مثل استقرار خروجك . والثالث : أن تتعلق الكاف بقوله : ﴿ يُجَدِّدُونَكَ ﴾ [الأنفال : ٦] .

ثانياً : ذكر القول الراجح بصيغة الجزم ، وحكاية الأقوال الأخرى مصدرةً بصيغة التمرّيص (قيل) .

وأمثلة ذلك كثيرة جداً منها:

١- عند تفسير قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى

عِنْدَهُ، ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ [الأنعام] .

قال ابن جزيّ : « الأجل الأول : الموت ، والثاني : يوم القيامة . وقيل : الأول : النوم، والثاني : الموت »<sup>(٢)</sup> .

٢- عند تفسير قوله تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ

بِهِ، وَذَكَرْنَاهُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف] .

قال ابن جزيّ : « أي : ضيقٌ من تبليغه مع تكذيب قومك . وقيل : الحرج هنا :

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٣٢) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٦١) . وينظر أمثلة أخرى في (٢/ ٢٦، ٥٤، ٥٦، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦٣، ٦٨، ٦٩،

٧٤، ٩٣، ٩٦، ١٠٦، ١٠٧، ١١٢، ١١٦، ١١٩، ١٢٥-١٢٦) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢) . وأكثر مسائل سورة الأنعام من هذا القبيل .

الشك . فتأويله كقوله : ﴿ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ <sup>(١)</sup> [آل عمران: ٦٠].

٣- عند تفسير قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا

اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال].

قال ابن جزّي : « والأنفال هي الغنائم . وقيل : الأنفال هنا ما ينقله الإمام لبعض الجيش من الغنيمة زيادةً على حظّه » <sup>(٢)</sup>.

٤- عند تفسير قوله تعالى : ﴿ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا

وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [التوبة].

قال ابن جزّي رحمه الله تعالى : « الإل : القرابة . وقيل : الحلف » <sup>(٣)</sup>.

٥- عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ ﴾ [يونس].

قال ابن جزّي : « أي : إلى الجنة . وسميت دار السلام ، أي : دار السلامة من العناء

والتعب . وقيل : السلام هنا اسم الله . أي : يدعو إلى داره » <sup>(٤)</sup>.

٦- عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْنِعْكُمْ مِّنْعَا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ

مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾ [هود].

قال ابن جزّي : « أي : ينفعكم في الدنيا بالأرزاق والنعم والخيرات . وقيل : هو

طيب عيش المؤمن برجائه في الله ورضاه بقضائه ؛ لأن الكافر قد يتمتع في الدنيا

بالأرزاق » <sup>(٥)</sup>.

٧- عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَشَرُّهُ بِثَمَنِ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٨) . وفي سورة الأعراف أكثر من عشرين مسألة من هذا القبيل .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٦٠) . وأكثر مسائل سورة الأنفال من هذا القبيل .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٧١) . ونصف مسائل سورة التوبة تقريباً من هذا القبيل .

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٩٢) . ونصف مسائل سورة يونس تقريباً من هذا القبيل .

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٠٠) . وأكثر مسائل سورة هود من هذا القبيل .

مِنَ الرَّهْدِيَّةِ ﴿٢٠﴾ [يوسف] .

قال ابن جُزَيّ : « أي : باعوه ، والضمير أيضاً للذين أخذوه . وقيل : الضمير لإخوة يوسف ، وأنهم رجعوا إليه فقالوا للسيارة : هذا عبدنا » <sup>(١)</sup> .

ثالثاً : ذكر جميع الأقوال مصدرّة بصيغة التمريض (قيل) ، ثم بيّن القول الراجح

منها .

ومثال ذلك :

— في تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِّنْ

تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ [الأنعام : ٦٥] .

قال ابن جُزَيّ : « قيل : الذي من فوق : إمطارُ الحجارة ، ومن تحت : الخسفُ .

وقيل : ﴿ مِّنْ فَوْقِكُمْ ﴾ : تسليطُ أكابركم ، و﴿ مِّنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ : تسليطُ سفلاتكم . وهذا بعيد <sup>(٢)</sup> .

رابعاً : ذكر الأقوال على جهة التساوي بصيغة (أو) ، ثم ينصُّ على القول الراجح

منها .

ومثال ذلك :

— في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا

هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ ۚ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ ۚ وَكَذَلِكَ

يَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ [الأنعام] .

قال ابن جُزَيّ : « الضمير لنوح أو لإبراهيم عليهما السلام ، والأول هو الصحيح ؛

لذكر لوطٍ وليس من ذرية إبراهيم » <sup>(٣)</sup> .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (١١٦/٢) . وأكثر من ثلث مسائل سورة يوسف من هذا القبيل .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (١١/٢) . وينظر أمثلة أخرى في (٧/٢ ، ١٠ ، ٢٥ ، ٦٢) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (١٥/٢) . وينظر أمثلة أخرى في (٢٢/٢ ، ٣١ ، ٣٣) .

خامساً : ذكر بعض الأقوال بصيغة (أو) ، وحكاية قول بصيغة (قيل) .  
مثال ذلك :

— في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ ﴾ [التوبة : ٣] .

قال ابن جزيّ: « الْحَجُّ الْأَكْبَرُ ﴾ هو يوم عرفة أو يوم النحر. وقيل : أيام الموسم كلها ، وعبر عنها بيوم كقولك : يوم صيفين والجمل ، وكانت أياماً كثيرة »<sup>(١)</sup> .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٧٠) .

## المبحث الخامس :

### التنصيص على صواب القول أو صحته أو رجحانه أو حسنه أو استظهاره

الترجيح بهذه الطريقة من أشهر طرق الترجيح عند المفسرين ؛ وذلك لدلالاتها الصريحة والواضحة على الترجيح .

غير أن ابن جزيّ لم ينصّ في مقدمة كتابه على استعمال هذه الصيغة في الترجيح بين أقوال المفسرين — مع أنه استعملها في ثنايا تفسيره — ولعلّ ذلك عائد إلى شهرتها ووضوحها في الدلالة على الترجيح .

ومن العبارات المستعملة في الترجيح بهذه الصيغة :

أولاً : عبارة : الصواب :

— ومثالها في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهٖ ۖ ﴾

[يوسف : ٢٤] .

قال ابن جزيّ رحمه الله تعالى : « ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ ۖ وَهَمَّ بِهَا ﴾ : أكثر الناس في الكلام في هذه الآية حتى ألفوا فيها التأليف ، فمنهم مُفَرِّطٌ ومُفَرِّطٌ . وذلك أن منهم من جعل همّ المرأة وهمّ يوسف من حيث الفعل الذي أرادته ، وذكروا في ذلك روايات من جلوسه بين رجلها وحلّ التكة وغير ذلك مما لا ينبغي أن يقال به ؛ لضعف نقله ؛ ولتراهة الأنبياء عن مثله . ومنهم من جعل أنها همّت به لتضربه على امتناعه وهمّ بها ليقتلها أو يضربها ليدفعها ، وهو بعيد ؛ يرده قوله :

﴿ لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهٖ ۖ ﴾ . ومنهم من جعل همّها به من حيث مرادها ، وهمّه بها

ليدفعها ، وهذا بعيد ؛ لاختلاف سياق الكلام .

والصواب إن شاء الله : أنها همّت به من حيث مرادها ، وهمّ بها كذلك لكنه لم يعزم على ذلك ولم يبلغ إلى ما ذكر من حلّ التكة وغيرها بل كان همّه خَطَرَةً خَطَرَتْ على قلبه لم يطعها ولم يتابعها ، ولكنه بادر بالتوبة والإقلاع عن تلك الخطرة حتى محاها من قلبه لَمَّا رأى برهان ربّه . ولا يقدرُ هذا في عصمة الأنبياء ؛ لأنّ الهمّ بالذنب ليس بذنب ، ولا

نقصَ عليه في ذلك ، فإنه من همَّ بذنب ثم تركه كتبت له حسنة ...»<sup>(١)</sup> .

ثانياً : عبارة : الصحيح . ومن الأمثلة عليها :

١ - عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذَاهُوَ الْحَقُّ مِنِّ

عِنْدِكَ فَأَمِّطِرْ عَلَيْنَا حِجَابَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأنفال] .

قال ابن جزِّي : « قالها النضر بن الحارث أو سائر قريش لما كذبوا النبيّ > دعوا على أنفسهم إن كان أمره هو الحق . والصحيح أن الذي دعا بذلك أبو جهل؛ رواه البخاري ومسلم في كتابيهما »<sup>(٢)</sup> .

٢ - في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنَ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِن اللَّهِ وَرِضْوَانِ

خَيْرٍ أَمْ مَنَ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَاكِ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [التوبة] .

قال ابن جزِّي : « ﴿ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ أي : طاح في جهنم ، وهذا ترشيح للمجاز ؛ فإنه لما شُبه بالجُرْفِ وُصِفَ بالانهيار الذي هو من شأن الجُرْفِ . وقيل : إن ذلك حقيقة ، وأنه سقط في نار جهنم وخرج الدخان من موضعه . والصحيح أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أمر بهدمه فهدم »<sup>(٣)</sup> .

ثالثاً : عبارة : الراجح .

— ومثلها : في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا

لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف] .

قال ابن جزِّي : « فيه ثلاثة أقوال : أحدها : أن الإنصات المأمور به هو لقراءة الإمام في الصلاة . والثاني : أنه الإنصات للخطبة . والثالث : أنه الإنصات لقراءة القرآن على الإطلاق . وهو الراجح ؛ لوجهين : أحدهما : أن اللفظ عام ولا دليل على تخصيصه.

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (١١٧/٢) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٦٥/٢) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٨٥ / ٢) . وينظر أمثلة أخرى في (٤/٢ ، ١٥ ، ٤٧ ، ٥٣ ، ٥٨ - ٥٩ ، ١١٥) .

والثاني : أن الآية مكّية ، والخطبة إنما شرعت بالمدينة «<sup>(١)</sup> .

رابعاً : عبارة : حَسَنٌ .

— ومثالها : في تفسير قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

[الأنعام] .

قال ابن جُزَيٍّ : « ﴿ الَّذِينَ ﴾ مبتدأ وخبره : ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ، ودخلت الفاء لما

في الكلام من معنى الشرط . قاله الزجاج ، وهو حَسَنٌ «<sup>(٢)</sup> .

خامساً : عبارة : الظاهر :

وأمثلتها :

١- في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣٠] .

قال ابن جُزَيٍّ : « قال ابن عباس : إن هذه المقالة قالها أربعة من اليهود وهم : سَلَامٌ

بن مِشْكَمٍ ، ونُعمانُ بن أوفى ، وشَأْسُ بن قيس ، ومالك بن الصَّيْفِ . وقيل : لم يقلها إلا

فَنَحَاصٍ . ونسب ذلك إلى جميعهم ؛ لأنهم متبعون لمن قالها . والظاهر أن جماعتهم قالوها ؛

إذ لم ينكروها حين نسبت إليهم «<sup>(٣)</sup> .

٢- في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا ﴾ [يوسف : ٩٣] .

قال ابن جُزَيٍّ : « رُوِيَ أن هذا القميص كان لإبراهيم كساه الله له حين أُخرج من

النار ، وكان من ثياب الجنة ، ثم صار لإسحاق ، ثم ليعقوب ، ثم دفعه يعقوب ليوسف ،

وهذا يحتاج إلى سَنَدٍ يُوثَقُ به . والظاهر أنه كان قميص يوسف الذي بمثلة قميص كل

أحد «<sup>(٤)</sup> .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ( ٥٩ / ٢ ) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ( ٤ / ٢ ) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل ( ٧٤ / ٢ ) .

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل ( ١٢٧ / ٢ ) .

## الفصل الثاني :

### وجوه الترجيح عند ابن جُزَيّ

#### وفيه عشرة مباحث :

- المبحث الأول : الترجيح بالنظائر القرآنية .
- المبحث الثاني : الترجيح بالسنة النبوية .
- المبحث الثالث : الترجيح بقول جمهور المفسرين .
- المبحث الرابع : الترجيح بأقوال الصحابة رضوان الله عليهم .
- المبحث الخامس : الترجيح بدلالة كلام العرب .
- المبحث السادس : الترجيح بدلالة السياق .
- المبحث السابع : الترجيح بدلالة الظاهر .
- المبحث الثامن : الترجيح بتقديم الحقيقة على المجاز .
- المبحث التاسع : الترجيح بتقديم العموم على الخصوص .
- المبحث العاشر : الترجيح بتقديم الإطلاق على التقييد .

## تقديم :

عقد ابن جُزَيِّ في المقدمة الأولى للتسهيل باباً في أسباب اختلاف المفسرين ، والوجه التي يُرَجِّحُ بها بين أقوالهم .

فأما أسباب الخلاف فقد سبق بيانها مع التمثيل لها .

وأما **وجه الترجيح** — عند ابن جُزَيِّ — فهي اثنا عشر وجهاً وهي ما ذكرها

بقوله :

« **الأول** : تفسير بعض القرآن ببعض . فإذا دلَّ موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه ورجحنا القول بذلك على غيره من الأقوال .

**الثاني** : حديث النبي . فإذا ورد عنه عليه السلام تفسير شيء من القرآن عولنا عليه ، لا سيما إن ورد في الحديث الصحيح .

**الثالث** : أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين ؛ فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه .

**الرابع** : أن يكون القول قول من يُقتدى به من الصحابة ؛ كالخلفاء الأربعة ، وعبدالله بن عباس ؛ لقول رسول الله < : ( اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل )<sup>(١)</sup> .

**الخامس** : أن يدلَّ على صحة القول كلام العرب من اللغة والإعراب أو التصريف أو الاشتقاق .

**السادس** : أن يشهد بصحة القول سياق الكلام ويدلَّ عليه ما قبله أو ما بعده .

**السابع** : أن يكون ذلك المعنى المتبادر إلى الذهن<sup>(٢)</sup> ، فإن ذلك دليل على ظهوره ورجحانه .

**الثامن** : تقديم الحقيقة على المجاز ؛ فإن الحقيقة أولى أن يُحمل عليها اللفظ عند

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٦٦/١) برقم (٢٣٩٧ طبعة التركي) ، والطبراني في المعجم الكبير (٢٦٣/١٠) برقم (١٠٦١٤) ، وقوى إسناده محققوا المسند . وأخرجه البخاري في صحيحه برقم (٧٥) في كتاب العلم ، و برقم (٧٢٧٠) في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة بلفظ : اللهم علمه الكتاب . و برقم (١٤٣) في كتاب الوضوء بلفظ : اللهم فقهه في الدين . و برقم (٣٧٥٦) في كتاب فضائل النبي بلفظ : اللهم علمه الحكمة ، وأيضاً باللفظ الأول .

(٢) المراد الترجيح بدلالة الظاهر .

الأصوليين . وقد يترجَّح المجاز إذا كثر استعماله حتى يكون أغلب استعمالاً من الحقيقة ، ويسمى مجازاً راجحاً والحقيقة مرجوحة ...

التاسع : تقديم العمومي على الخصوصي ؛ فإن العمومي أولى ؛ لأنه الأصل إلا أن يدلّ دليل على التخصيص .

العاشر : تقديم الإطلاق على التقييد إلا أن يدلّ دليل على التقييد .

الحادي عشر : تقديم الاستقلال على الإضمار إلا أن يدلّ دليل على الإضمار .

الثاني عشر : حمل الكلام على ترتيبه إلا أن يدلّ دليل على التقديم والتأخير «<sup>(١)</sup>» .

هذه الأوجه التي ذكرها ابن جُزَيّ في مقدّمته تدلّ على مساهمته في علم التفسير ، وهي مما تميّزت به مقدّمة التسهيل .

وقد طبّقها في ثنايا تفسيره كثيراً كما أغفلها في مواضع ، ولكلّ وجهٍ منها أمثلته غير الوجهين الأخيرين فإني لم أقف على أمثلة لهما في محلّ دراستي من سورة الأنعام إلى سورة يوسف<sup>(٢)</sup> .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٩/١) .

(٢) ينظر أمثلة للأول منهما في (١/٨٤) و (٣/٢٠٣) ، (١٩٧) . وللأخير في (٣/١٢٥) و (٤/٥) .

## المبحث الأول : الترجيح بالنظائر القرآنية

أجمع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير وأجلها هو تفسير القرآن بالقرآن ؛ لأنه لا أحد أعلم بمعاني كلام الله من الله عز وجل<sup>(١)</sup> .

وتفسير القرآن بالقرآن أصح طرق التفسير ، فما أجمل منه في مكان بُيِّن في موضع آخر ، وما اختُصر في موضع بُسط في آخر ، وعليه فإن ( القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدّم على ما عُدِم ذلك )<sup>(٢)</sup> .

يقول الفخر الرازي : « تفسير كلام الله تعالى بكلام الله أقرب الطرق إلى الصدق والصواب »<sup>(٣)</sup> .

ويقول العزُّ بن عبدالسلام : « أولى الأقوال ما دل عليه الكتاب في موضع آخر »<sup>(٤)</sup> . وقال ابن جُزَيّ : « فإذا دل موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه ، ورجَّحنا القول بذلك على غيره من الأقوال » .  
ومن الأمثلة على ترجيحه بهذا الوجه :

١- في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٢] .

قال ابن جُزَيّ : « قيل : الضمير في ﴿ حِسَابِهِمْ ﴾ للذين يَدْعُونَ . وقيل : للمشركين ، والمعنى على هذا : لا تحاسب عنهم ولا يحاسبون عنك فلا تهمّ بأمرهم حتى تطرد هؤلاء من أجلهم . والأول أرجح ؛ لقوله : ﴿ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ [هود: ٢٩] ، وقوله : ﴿ إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي ﴾ [الشعراء: ١١٣] والمعنى على هذا : أن الله هو الذي يحاسبهم

(١) ينظر : أضواء البيان (٧/١)

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢١٣/١) .

(٣) مفاتيح الغيب (٣٥/٤) .

(٤) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المحاز (٢٢٠) .

فلاي شيء تطردهم؟»<sup>(١)</sup>.

٢- في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَخْنَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَإِنِّي لَأَتَّبِعُنَّهُمْ بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِن هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾ [الأعراف].

قال ابن جزيّ : « ﴿ وَأَخْنَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ ﴾ أي : من قومه ﴿ سَبْعِينَ رَجُلًا ﴾ حملهم معه إلى الطور يسمعون كلام الله لموسى فقالوا : أرنا الله جهرة ، فأخذتهم الرجفة ؛ عقاباً لهم على قولهم . وقيل : إنما أخذتهم الرجفة ؛ لعبادتهم العجل أو لسكوتهم على عبادته . والأول أرجح ؛ لقوله : ﴿ فَقَالُوا أَرْنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ﴾ [النساء: ١٥٣] .

٣- عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَعَآخِرِينَ مِّن دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [الأنفال] .

قال ابن جزيّ : « ﴿ وَعَآخِرِينَ ﴾ يعني : المنافقين . وقيل : بني قريظة . وقيل : الجن ؛ لأنها تنفر من صهيل الخيل . وقيل : فارس . والأول أرجح ؛ لقوله : ﴿ مَرَدُّوْا عَلَيَّ الْفِتَاقِ ﴾ [التوبة : ١٠١] ... »<sup>(٣)</sup> .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (١٠ / ٢) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٤٦ / ٢) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٦٨ / ٢) . وتنظر أمثلة أخرى في (٣ / ٢ ، ١١ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٣٣ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٩٥ ،

## المبحث الثاني : الترجيح بالسنة النبوية

السنة شارحة للقرآن ، وموضحة له<sup>(١)</sup> ، وأعلم الناس بتفسير كلام الله وبيانه النبي

< ، فقد أمره الله — عز وجل — أن يبين للناس الذكر وما نزل إليهم بقوله : ﴿ وَأَنْزَلْنَا

إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤] .

وكل ما سنَّ الرسول < مما ليس لله فيه حكم منزل فبحكم الله سنَّه ، قال تعالى :

﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢]<sup>(٢)</sup> .

— إذا ثبت الحديث وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره<sup>(٣)</sup> ، كما أنه

( إذا ثبت الحديث ، وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه )<sup>(٤)</sup> .

يقول أبو جعفر النحاس : « ما صحَّ عن النبي < لم يسع أحداً رده »<sup>(٥)</sup> .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « ومما ينبغي أن يعلم أن القرآن والحديث إذا عُرف

تفسيره من جهة النبي < لم يحتج في ذلك إلى أقوال أهل اللغة ، فإنه قد عرف تفسيره ، وما

أريد بذلك من جهة النبي < لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا

غيرهم »<sup>(٦)</sup> .

وقال ابن جزيّ : « فإذا ورد عنه عليه السلام تفسير شيء من القرآن عوّلنا عليه ،

لا سيما إن ورد في الحديث الصحيح » .

ومن الأمثلة على ترجيحه بهذا الوجه :

١- عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ

وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ لَمَّا دَخَلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ [الأعراف] .

قال ابن جزيّ : « هم أصحاب الأعراف . ورد في الحديث أنهم قوم من بني آدم استوت

(١) ينظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٢٧/١٣) .

(٢) ينظر : الرسالة للشافعي (٨٨) .

(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين (١٩١/١) .

(٤) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢٠٦/١) .

(٥) الناسخ والمنسوخ (٣٩/٣) .

(٦) مجموع الفتاوى (٢٧/١٣) .

حسناتهم وسيئاتهم ، فلم يدخلوا الجنة ولا النار . وقيل : هم قوم خرجوا إلى الجهاد بغير إذن آبائهم ، فاستشهدوا ، فمنعوا من الجنة لعصيان آبائهم ، ونجوا من النار للشهادة»<sup>(١)</sup> .

٢ - في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف] .

قال ابن جُزَيِّ : « في معناها قولان : أحدهما : أن الله لما خلق آدم أخرج ذريته من صُلْبِهِ وهم مثل الدَّرِّ ، وأخذ عليهم العهد بأنه ربهم ، فأقروا بذلك والتزموه . رُويَ هذا المعنى عن النبي ﷺ من طرق كثيرة . وقال به جماعة من الصحابة وغيرهم . والثاني : أن ذلك من باب التمثيل ، وأن أخذ الذرية عبارة عن إيجادهم في الدنيا ، وأما إشهدهم فمعناه : أن الله نصب لبني آدم الأدلة على ربوبيته فشهدت بها عقولهم فكأنه أشهدهم على أنفسهم ، وقال لهم : ألسنت بربكم ؟ وكأنهم قالوا بلسان الحال : بلى أنت ربنا . والأول هو الصحيح ؛ لتواتر الأخبار به إلا أن ألفاظ الآية لا تطابقه بظاهرها ، فلذلك عدل عنه من قال بالقول الآخر ، وإنما تطابقه بتأويل ... »<sup>(٢)</sup> .

٣ - عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذَاهُ أَلْحَقَّ مِنَّا عِنْدَكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأنفال] .

قال ابن جُزَيِّ : « قالها النضر بن الحارث أو سائر قريش لما كذبوا النبي > دعوا على أنفسهم إن كان أمره هو الحق . والصحيح أن الذي دعا بذلك أبو جهل ؛ رواه البخاري ومسلم في كتابيهما »<sup>(٣)</sup> .

٤ - عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ [التوبة : ٨٠] .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٣٣) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥٣) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٦٥) .

قال ابن جُزَيِّ : « يحتمل معنيين : أحدهما : أن يكون لفظه أمر ، ومعناه الشرط ، ومعناه : إن استغفرت لهم أو لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ، كما جاء في سورة المنافقين . والآخر : أن يكون تخيير ، كأنه قال : إن شئت فاستغفر لهم ، وإن شئت فلا تستغفر لهم ، ثم أعلمه الله أنه لا يغفر لهم . وهذا أرجح ؛ لقول رسول الله < : ( إن الله خيرني فاخترت ) . وذلك حين قال عمر : أتصلي على عبد الله بن أبيّ وقد نهك الله عن الصلاة عليه » (١) .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٨١) . وتنظر أمثلة أخرى في (٧/٢ ، ٣١ ، ٤٢ ، ٥٨-٥٩ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٢ ، ٩٥ ، ١١٧) . وينظر تخريج الحديث في ص (٦٩٥) من هذا البحث .

### المبحث الثالث : الترجيح بقول الجمهور وأكثر المفسرين

إذا انفرد المفسر بقول في آية من كتاب الله ، مخالفاً إجماع المفسرين — من غير أن يكون لقوله دلالة واضحة — فإن قوله يُعدّ قولاً شاذاً ، ويكون قول عامة المفسرين الأولى بالصواب ، وذلك أن ( تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ )<sup>(١)</sup> .

يقول العلامة محمد الأمين الشنقيطي : « وقد تقرر في الأصول أن كثرة الرواة من المرجحات ، وكذلك كثرة الأدلة ... والقول بعدم الترجيح بالكثرة ضعيف »<sup>(٢)</sup> .  
وقد نصَّ ابن جُزَيِّ في مقدمة كتابه على الترجيح بين أقوال المفسرين بهذا الوجه .  
ومن الأمثلة على ترجيحه بهذا الوجه :

١ - في تفسير قوله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [يونس] .

قال ابن جُزَيِّ : « الحُسْنَى : الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجه الله . وقيل : الحسنى : جزاء الحسنة بعشر أمثالها ، والزيادة : التضعيف فوق ذلك إلى سبعمئة . والأول أصحُّ ؛ لوروده في الحديث ، وكثرة القائلين به »<sup>(٣)</sup> .

٢ - في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْنَاهُ فَعَلَىٰ اجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا يُجْرِمُونَ ﴾ [هود] .

قال ابن جُزَيِّ : « الضمير في ﴿ يَقُولُونَ ﴾ لكفار قريش ؛ وفي ﴿ افْتَرَيْنَاهُ ﴾ لمحمد < . وهذا قول جميع المفسرين . واختار ابن عطية أن تكون في شأن نوح × ، فيكون الضمير في ﴿ يَقُولُونَ ﴾ لقوم نوح ، وفي ﴿ افْتَرَيْنَاهُ ﴾ لنوح ؛ لئلا يعترض ما بين قصة نوح بغيرها . وهو بعيد »<sup>(٤)</sup> .

٣ - عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكْتُمْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ

(١) قواعد الترجيح (١/٢٨٨) .

(٢) أضواء البيان (١/١٨٦) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٩٢) .

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/١٠٤) .

إِسْحَاقُ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ [هود] .

قال ابن جزيّ: « قيل : معناه : حاضَتْ ، وهو ضعيفٌ . وقال الجمهور : هو الضَّحْكُ المعروف » (١) .

٤- عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَسَأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا <sup>ط</sup>

وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ ﴿٨٢﴾ [يوسف] .

قال ابن جزيّ: « تقديره : وأسأل أهل القرية ، وكذلك : أهل العير . يعنون الرفقة . هذا هو قول الجمهور » (٢) .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٠٩) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٢٦) .

## المبحث الرابع : الترجيح بأقوال الصحابة

فهْمُ الصحابةِ — رضي الله عنهم ورضوا عنه — للقرآن حجةٌ يُحتكم إليها ؛ لما اختصوا به من قوة الإيمان ، وحسن الفهم ، وسلامة القصد ، ومشاهدة التنزيل ، فعرفوا أحوال من نزل فيهم القرآن الكريم فأدركوا أسباب نزوله ومناسباته ، ثم هم أهل اللسان العربي الذي نزل به القرآن . لذلك كان ( تفسيرُ الصحابة رضي الله عنهم وفهمهم لنصوص الوحي حجةً على من بعدهم )<sup>(١)</sup> .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئاً في ذلك ، بل مبتدعاً ، وإن كان مجتهداً مغفوراً له خطؤه »<sup>(٢)</sup> .

ويقول ابن القيم عن تفسير الصحابة : « لا ريب أن أقوالهم في التفسير أصوب من أقوال من بعدهم ، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن تفسيرهم في حكم المرفوع »<sup>(٣)</sup> . وقد نصَّ أبو القاسم ابن جزيّ في مقدمة كتابه على الترجيح بين أقوال المفسرين بهذا الوجه .

ومن الأمثلة على ترجيحه بهذا الوجه :

١- عند تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى أُوْتِنَا قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٦٦] . قال ابن جزيّ : « وهذا كله تمثيل لمن ضلَّ في الدين عن الهدى وهو يُدعى إلى الإسلام فلا يجيب . وقيل : نزلت في عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق ، حين كان أبوه يدعو إلى الإسلام ، ويبطل هذا قول عائشة : ما نزل في آل أبي بكر شيء من القرآن إلا براءتي »<sup>(٤)</sup> .

(١) ينظر : قواعد الترجيح (١/٢٧١) .

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/٣٦١) .

(٣) إعلام الموقعين (٤/١٥٣) .

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/١٣) .

٢- عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف] .

قال ابن جُزَيِّ : « في معناها قولان : أحدهما : أن الله لما خلق آدم أخرج ذريته من صُلْبِهِ وهم مثل الذرِّ ، وأخذ عليهم العهد بأنه ربهم ، فأقروا بذلك والتزموه . رُوِيَ هذا المعنى عن النبي ﷺ من طرق كثيرة . وقال به جماعة من الصحابة وغيرهم . والثاني : أن ذلك من باب التمثيل ، وأن أخذ الذرية عبارة عن إيجادهم في الدنيا ، وأما إشهدهم فمعناه : أن الله نصب لبني آدم الأدلة على ربوبيته فشهدت بها عقولهم فكأنه أشهدهم على أنفسهم ، وقال لهم : ألسنت بربكم ؟ وكأنهم قالوا بلسان الحال : بلى أنت ربنا . والأول هو الصحيح ؛ لتواتر الأخبار به إلا أن ألفاظ الآية لا تطابقه بظاهرها ، فلذلك عدل عنه من قال بالقول الآخر ، وإنما تطابقه بتأويلٍ ... »<sup>(١)</sup> .

٣- في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى الثَّالِثَةِ الَّتِي كَفَرْتُمْ إِذَا صَاحَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَاحَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [التوبة] .

قال ابن جُزَيِّ : « ومعنى ﴿ خُلِفُوا ﴾ هنا أي : عن الغزوة . وقال كعب بن مالك : معناه : خُلِفُوا عن قبول العذر ، وليس بالتخلف عن الغزو . يقوي ذلك كونه جعلَ ﴿ إِذَا صَاحَتْ ﴾ غايةً للتخلفِ »<sup>(٢)</sup> .

٤- في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانُ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة] .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ( ٥٣ / ٢ ) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ( ٨٦ - ٨٧ / ٢ ) .

قال ابن جُزَيِّ : « قال ابن عباس : هذه الآية في البعوث إلى الغزو والسرايا . أي : لا ينبغي خروج جميع المؤمنين في السرايا ، وإنما يجب إذا خرج رسول الله < بنفسه ، ولذلك عاتبهم في الآية المتقدمة على التخلف عنه . فالآية الأولى في الخروج معه < ، وهذه في السرايا التي كان يبعثها . وقيل : هي ناسخة لكل ما ورد من الأمر بخروج الجميع . فهو دليل على أن الجهاد فرض كفاية لا فرض عين . وقيل : هي في طلب العلم . ومعناها : أنه لا تجب الرحلة في طلب العلم على الجميع ، بل على البعض ؛ لأنه فرض كفاية » <sup>(١)</sup> .

٥- في تفسير قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ﴾ [هود : ٤٠] .

قال ابن جُزَيِّ : « والمراد بالتنور الذي يوقد فيه عند ابن عباس وغيره . ورؤي أنه كان تنور آدم خلص إلى نوح . وقيل : التنور وجه الأرض » <sup>(٢)</sup> .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٨٧) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٠٥) . وينظر أيضاً (٣/٢ ، ٣٣) .

## المبحث الخامس :

### الترجيح بدلالة اللغة أو الإعراب أو التصريف والاشتقاق

من أراد فهم معاني القرآن الكريم ، وإدراك مراميهِ ، لابد أن يكون عالماً باللغة التي

أنزل بها ومتقناً لها ، والقرآن أنزل بلسان عربي مبين ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا

لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: ٢] . وقال سبحانه : ﴿ وَإِنَّهُ لَكُنزِيلٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١١٢) نزل به

الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١١٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١١٥﴾ [الشعراء] .

ولغة العرب منها المعروف ، والشاذ ، والضعيف ، والمنكر ، و( الواجب حمل كلام الله

تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر )<sup>(١)</sup> .

يقول ابن جرير الطبري : « إن الكلام إذا تنوزع في تأويله ، فحملة على الأغلب

والأشهر من معناه أحق وأولى من غيره ، ما لم تأت حجة مانعة من ذلك يجب التسليم

لها »<sup>(٢)</sup> .

ويقول أبو جعفر النحاس : « ولا يحمل كتاب الله إلا على الأغلب الأشهر »<sup>(٣)</sup> .

والإعراب فرع المعنى ، ومبين ومميز للمعاني ، وأصح الوجوه الإعرابية ما كان موافقاً لمعنى

الآية ، وعليه فإنه ( يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية اللائقة بالسياق ، والموافقة

لأدلة الشرع )<sup>(٤)</sup> ، كما أنه ( يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية القوية

والمشهورة دون الضعيفة والشاذة والغريبة )<sup>(٥)</sup> .

يقول الزركشي في الأمور الواجب على الناظر في كتاب الله مراعاتها : « الثاني :

تجنب الأعراب المحمولة على اللغات الشاذة ؛ فإن القرآن نزل بالأفصح من لغة قريش »<sup>(٦)</sup> .

ويقول ابن قيم الجوزية : « لا يجوز أن يحمل كلام الله - عز وجل - ويفسر بمجرد

الاحتمال النحوي الإعرابي الذي يحتمله تركيب الكلام ويكون الكلام به له معنى ما ، فإن

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين (٣٦٩/٢) .

(٢) جامع البيان (٢٩٨/٩) .

(٣) إعراب القرآن (٨٣/٤) .

(٤) قواعد الترجيح عند المفسرين (٦٣٥/٢) .

(٥) المصدر السابق (٦٤٥/٢) .

(٦) البرهان في علوم القرآن (٤٤٢/١) .

هذا مقام غلط فيه أكثر المعربين للقرآن ، فإنهم يفسرون الآية ويعربونها بما يحتمله تركيب تلك الجملة ، ويفهم من ذلك التركيب أي معنى اتفق ، وهذا غلط عظيم ، يقطع السامع بأن مراد القرآن غيره ، وإن احتمل ذلك التركيب هذا المعنى في سياق آخر وكلام آخر ، فإنه لا يلزم أن يحتمله القرآن ... »<sup>(١)</sup> .

كما أن لتصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أثرًا في صحة المعنى ؛ إذ التصريف والاشتقاق يعيدان الألفاظ إلى أصولها ، فتتضح الألفاظ والمعاني المتفرعة عنها ، وعليه فإن ( القول الذي يؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية )<sup>(٢)</sup> .

وقد قرر كثير من المفسرين مضمون هذا الوجه ، واستعملوه في الترجيح بين الأقوال ، ومنهم أبو القاسم ابن جُزَيِّ ، فقد نصَّ على استعمال هذا الوجه في الترجيح .  
ومن الأمثلة على ترجيحه بهذا الوجه :

١ - عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَقَطَّعْنَهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾ [الأعراف : ١٦٠] .  
قال ابن جُزَيِّ : « السبط في بني إسرائيل كالقبيلة في العرب . وانتصابه على البدل من ﴿ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ ﴾ لا على التمييز ؛ فإن تمييز ﴿ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ ﴾ لا يكون إلا مفردًا . وقال الزمخشري : على التمييز ؛ لأن كل قبيلة أسباط لا سبط »<sup>(٣)</sup> .

٢ - في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلَتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال] .

قال ابن جُزَيِّ : « ﴿ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ قيل : هي المفاصل . وقيل : الأصابع ، وهو الأشهر في اللغة »<sup>(٤)</sup> .

٣ - في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّنَ

(١) بدائع الفوائد (٣/٥٣٧) .

(٢) قواعد الترجيح (٢/٥١١) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٥١) .

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٦٢) .

﴿ ٨٣ ﴾ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾

[يونس] .

قال ابن جزيّ : « الضمير عائد على موسى . ومعنى الذرية : شَبَّانٌ وَفَتِيَانٌ من بني إسرائيل آمنوا به على خوف من فرعون . وقيل : إن الضمير عائد على فرعون ، فالذرية على هذا من قوم فرعون . وروي في هذا أنها امرأة فرعون وخازنه . وهذا بعيد ؛ لأن هؤلاء لا يقال لهم ذرية ، ولأن الضمير ينبغي أن يعود على أقرب مذكور »<sup>(١)</sup> .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٩٧) .

## المبحث السادس : الترجيح بدلالة السياق

يقصد بدلالة السياق : دلالة سابق الكلام ولاحقه على معناه ، فسابق الكلام يطلق عليه : السياق ، ولاحق الكلام يطلق عليه : اللّحاق ، ويطلق عليهما جميعاً : السياق .  
ومراعاة دلالة السياق من أقوى الطرق لفهم نصوص كتاب الله عز وجل ، وعليه فإن ( إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل يجب التسليم له )<sup>(١)</sup> .

يقول العزُّ بن عبد السلام : « إذا احتمل الكلام معنيين ، وكان حملة على أحدهما أوضح وأشد موافقة للسياق كان الحمل عليه أولى »<sup>(٢)</sup> .  
ويقول السيد محمد رشيد رضا : « وإن أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ : موافقته لما سبق له من القول ، واتفاقه مع جملة المعنى ، وائتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملته »<sup>(٣)</sup> .

وقد نص أبو القاسم ابن جُزَيِّ في مقدمة كتابه على الترجيح بين أقوال المفسرين بهذا الوجه .

ومن الأمثلة على ترجيحه بهذا الوجه :

١ - عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام] .

قال ابن جُزَيِّ : « يتعلق ﴿ فِي السَّمَوَاتِ ﴾ بمعنى اسم الله ، فالمعنى كقوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ ﴾ [الزخرف : ٨٤] ، كما يقال : أمير المؤمنين الخليفة في المشرق والمغرب . ويحتمل أن يكون المجرور في موضع الخبر فيتعلق باسم فاعل محذوف ، والمعنى على هذا قريب من الأول . وقيل : المعنى أنه في السماوات والأرض بعلمه ؛ كقوله : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ [الحديد : ٤] . والأول أرجح وأفصح ؛ لأن اسم الله جامع للصفات كلها من العلم والقدرة والحكمة وغير ذلك ، فقد جمعها مع الإيجاز . ويترجَّح الثاني بأن

(١) قواعد الترجيح (١/١٢٥) .

(٢) الإشارة إلى الإيجاز (٢٢٠) .

(٣) تفسير القرآن الحكيم (١/٢٤) .

سياق الكلام في اطلاع الله تعالى وعلمه ؛ لقوله بعدها : ﴿ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ ...»<sup>(١)</sup> .

٢ - في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكَوْكَبَ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُقَوْمِرُ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الأنعام] .

قال ابن جزيّ : « يحتمل أن يكون هذا الذي جرى لإبراهيم في الكوكب والقمر والشمس أن يكون قبل البلوغ والتكليف . وقد روي أن أمه ولدته في غارٍ خوفًا من نمرود إذ كان يقتل الأطفال ؛ لأن المنجمين أخبروه أن هلاكه على يد صبي . ويحتمل أن يكون جرى له ذلك بعد بلوغه وتكليفه ، وأنه قال ذلك لقومه على وجه الردّ عليهم والتوبيخ لهم . وهذا أرجح ؛ لقوله بعد ذلك : ﴿ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ ... »<sup>(٢)</sup> .

٣ - في تفسير قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَهُؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الأنعام] .

قال ابن جزيّ : « هم الأنبياء المذكورون . وقيل : الصحابة . وقيل : كل مؤمن . والأول أرجح ؛ لدلالة ما بعده على ذلك »<sup>(٣)</sup> .

٤ - في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الَّذِينَ الْفِيْمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَتْلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يَقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [التوبة] .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٣) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ١٤) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ١٥) .

قال ابن جُزَيِّ : « فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ أي : في اللوح المحفوظ . وقيل : في

القرآن . والأول أرجح ؛ لقوله : ﴿ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ <sup>(١)</sup> .

٥- في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا

وَإِنْ لَّمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسَخَطُونَ ﴾ [التوبة] .

قال ابن جُزَيِّ : « والآية في المنافقين كالتي قبلها وبعدها . وقيل : في ذي الخويصرة

الذي قال : اعدل يا محمد ، فإنك لم تعدل . فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله

وسلم : ( ويلك إن لم أعدل فمن يعدل ؟ ) <sup>(٢)</sup> .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٧٥) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٧٨) . وتنظر أمثلة أخرى في (١٥/٢) ، ٢٥ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٦٣ ، ٧٣ ، ٧٦ ، ٧٠ ،

٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٢) .

## المبحث السابع : الترجيح بدلالة الظاهر

الظاهر من اللفظ : هو المعنى المتبادر إلى الذهن من المعاني ، والأصل في كلام المتكلم أن يكون دالاً على ما في نفسه من المعاني ، إذ لا طريق لمعرفة مراده غير ظاهر كلامه وألفاظه ، وعليه فإن الواجب حمل نصوص الكتاب والسنة على ظاهرها ؛ كما أنه ( لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه )<sup>(١)</sup> .

يقول ابن جرير الطبري : « غير جائز ترك الظاهر المفهوم من الكلام إلى باطن لا دلالة على صحته »<sup>(٢)</sup> .

ويقول أيضاً : « إذا تُنوزع في تأويل الكلام كان أولى معانيه به أغلبه على الظاهر ، إلا أن يكون من العقل أو الخبر دليل واضح على أنه معنيٌّ به غير ذلك »<sup>(٣)</sup> .

ويقول العلامة محمد الأمين الشنقيطي : « والتحقيق الذي لا شك فيه — وهو الذي كان عليه أصحاب رسول الله < وعامة المسلمين — أنه لا يجوز العدول عن ظاهر كتاب الله وسنة رسوله < في حال من الأحوال ، بوجه من الوجوه ، حتى يقوم دليل صحيح شرعي صارف عن الظاهر إلى المحتمل المرجوح »<sup>(٤)</sup> .

وقد نصَّ ابن جزيّ في مقدمة كتابه على الترجيح بين أقوال المفسرين بهذا الوجه ؛ لأن ذلك دليل على ظهوره ورجحانه .

ومن الأمثلة على ترجيحه بهذا الوجه :

١- عند تفسير قوله تعالى : ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي

وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ ﴾ [الأعراف] .

قال ابن جزيّ : « يحتمل أن يكون تولّيه عنهم وقوله لهم حين عقروا الناقة قبل نزول العذاب بهم ؛ لأنه روي أنه خرج من بين أظهرهم . أو أن يكون ذلك بعد أن هلكوا ، وهو

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/١٣٧) .

(٢) جامع البيان (١/٦٢١) .

(٣) جامع البيان (٩/٦٧٨) .

(٤) أضواء البيان (٧/٢٨٥) .

ظاهر الآية . وعلى هذا خاطبهم بعد موتهم على وجه التفجع عليهم»<sup>(١)</sup>.

٢- عند تفسير قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [الأعراف] .

قال ابن جزري : « ﴿ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ يعني : آدم . ﴿ زَوْجَهَا ﴾ يعني : حواء . وقيل : ﴿ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ هو قصيُّ بن كلاب وزوجته . و ﴿ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ ﴾ أي : سموا أولادهما عبد العزى وعبد الدار وعبد مناف . وهذا القول بعيد ؛ لوجهين : أحدهما : أن الخطاب على هذا خاصٌّ بذرية قصيٍّ من قريش ، والظاهر أن الخطاب عام لبني آدم . والآخر : أن قوله ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ فإن هذا يصح في حواء ؛ لأنها خلقت من ضلع آدم ، ولا يصح في زوجة قصيٍّ »<sup>(٢)</sup> .

٣- في قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَنْفُخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِنَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّيْ أَعْظَمُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [هود] .

قال ابن جزري : « أي : ليس من أهلك الذين وعدتك بنجاتهم ؛ لأنه كافر . وقال الزمخشري : لم يكن ابنه ولكنه خاتمه أمه ، وكان لغير رشده . وهذا ضعيف ؛ لأن الأنبياء †

قد عصمهم الله من أن تزني نساؤهم ؛ ولقوله : ﴿ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ ﴾ »<sup>(٣)</sup> [هود:٤٢] .

وهذا ترجيحٌ منه بدلالة ظاهر القرآن على أنه ابنه من صلبه .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٣٨) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥٧) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٠٦) .

## المبحث الثامن : الترجيح بتقديم الحقيقة على المجاز

الأصل في الكلام استعمال كلماته وتراكيبه في معناها الحقيقي ، ولا يجوز الخروج به عن معناها الحقيقي إلى معناه المجازي من غير دليل أو قرينة ، ولذا فإنه ( يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة )<sup>(١)</sup> .

يقول أبو جعفر النحاس : « ولا يحمل الشيء على المجاز ومعناه صحيح على الحقيقة »<sup>(٢)</sup> .

ويقول ابن عبد البر : « وحمل كلام الله تعالى ، وكلام نبيه < على الحقيقة أولى بدوي الدين والحق ؛ لأنه يقصُّ الحقَّ ، وقوله الحقُّ ، تبارك وتعالى علواً كبيراً »<sup>(٣)</sup> .

وقد نص أبو القاسم ابن جزيّ في مقدمة كتابه على استعمال هذا الوجه في الترجيح بين أقوال المفسرين ؛ لأن الحقيقة أولى أن يحمل عليها اللفظ عند الأصوليين .  
ومن الأمثلة على ترجيحه بهذا الوجه :

- في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَنُهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٢﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ [الأعراف] .

قال ابن جزيّ : « في معناها قولان : أحدهما : أن الله لما خلق آدم أخرج ذريته من صلبه وهم مثل الذر ، وأخذ عليهم العهد بأنه رهم ، فأقرّوا بذلك والتزموه . روي هذا المعنى عن النبي ﷺ من طرق كثيرة . وقال به جماعة من الصحابة وغيرهم . والثاني : أن ذلك من باب التمثيل ، وأن أخذ الذرية عبارة عن إيجادهم في الدنيا ، وأما إشهدهم فمعناه : أن الله نصب لبني آدم الأدلة على ربوبيته فشهدت بها عقولهم فكأنه أشهدهم على أنفسهم ، وقال لهم : ألسنت بربكم ؟ وكأنهم قالوا بلسان الحال : بلى أنت ربنا . والأول هو الصحيح ؛

(١) قواعد الترجيح (٢/٣٨٧) .

(٢) إعراب القرآن (٤/٢٠٦) .

(٣) التمهيد (٥/١٦) .

لتواتر الأخبار به إلا أن ألفاظ الآية لا تطابقه بظاهرها ، فلذلك عدل عنه من قال بالقول الآخر ، وإنما تطابقه بتأويلٍ ؛ وذلك أن أخذ الذرية إنما كان من صلب آدم ، ولفظ الآية يقتضي أن أخذ الذرية من بني آدم ، والجمع بينهما : أنه ذكر بني آدم في الآية والمراد آدم ؛ كقوله : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾ الآية [ الأعراف : ١١ ] . وعلى تأويل : لقد خلقنا أباكم آدم من صورته . وقال الزمخشري : إن المراد ببني آدم أسلاف اليهود ، والمراد بذريتهم مَنْ كان في عصر النبي ﷺ . وفي الصحيح المشهور أن المراد جمع بني آدم حسبما ذكرناه»<sup>(١)</sup> .

— وربما خالف فقدّم المجاز على الحقيقة فلم يُصَب ، كما في تفسير قوله تعالى :

﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرُنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۗ أَلَسَاءَ مَا يَرْزُونَ ﴾ [ الأنعام ] .

قال : « كناية عن تحمل الذنوب . وقال ﴿ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ﴾ ؛ لأن العادة حمل الأثقال على الظهر . وقيل : إنهم يحملونها على ظهورهم حقيقة . ورُوي في ذلك : أن الكافر يركب عمله بعد أن يتمثل له في أقبح صورة ، وأن المؤمن يركب عمله بعد أن يتصور له في أحسن صورة »<sup>(٢)</sup> .

— وربما خالف فقدّم المجاز على الحقيقة فأصاب ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا

لَرْفَعْنَهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ فَشَئِلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [ الأعراف ] .

قال في تفسيرها : « ﴿ فَشَئِلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ ﴾ أي : صفتة كصفة الكلب ، وذلك غاية في الخسّة والرداءة . ﴿ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ ﴾ اللهث : هو تنفس بسرعة وتحريك أعضاء الفم وخروج اللسان ، وأكثر ما يعترى ذلك الحيوانات مع الحرّ والتعب ، وهي حالة دائمة للكلب . ومعنى ﴿ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ ﴾ : إن تفعل معه ما

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ( ٥٣ / ٢ ) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ( ٧ / ٢ ) .

يشق عليه من طرد أو غيره ﴿أَوْ تَرَكَّهُ﴾ دون أن تحمل عليه ، فهو يلهث على كل حال . ووجه تشبيه ذلك الرجل به : أنه إن وعظته فهو ضالّ وإن لم تعظه فهو ضالّ ، فضالته على كل حال كما أن لهث الكلب على كل حال . وقيل : إن ذلك الرجل خرج لسانه على صدره فصار مثل الكلب في صورته ولهته حقيقة<sup>(١)</sup> .

- وكما في قوله تعالى : ﴿ وَسَأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا

لَصَادِقُونَ ﴾ [يوسف] .

قال : « تقديره : وسأل أهل القرية ، وكذلك : أهل العير . يعنون الرّفقة . هذا هو قول الجمهور . وقيل : المراد سؤال القرية بنفسها والعير بنفسها ، ولا يبعد أن تخبره الجمادات ؛ لأنه نبيٌّ . والأول أظهر وأشهر على أنه مجاز »<sup>(٢)</sup> .  
وهذا على خلافٍ فيه هل هو من المجاز أم لا ؟

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ( ٢ / ٥٤ - ٥٥ ) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ( ٢ / ١٢٦ ) .

## المبحث التاسع : الترجيح بتقديم العام على الخاص

الغالب في ألفاظ القرآن الكريم الشمول والعموم ؛ وذلك أن أصل التشريع جاء عاماً ، ومتى ما ورد نصٌ يخصص عموم هذه الألفاظ صيّرَ إليه ، وعليه فإن الواجب على المفسر ( حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتحصيل )<sup>(١)</sup> .

يقول ابن جرير الطبري : « وليس لأحد أن يجعل خبراً جاء الكتاب بعمومه في خاصٍّ مما عمّه الظاهرُ بغير برهان من حجةٍ خيرٍ أو عقلٍ »<sup>(٢)</sup> .

ويقول مكّي بن أبي طالب القيسي : « اعلم أن القرآن إذا أتت اللفظة منه تعُمُّ ما تحتمها ، حُمِلت على ذلك من عمومها — عند مالك وأصحابه — حتى يأتي ما يخصها ، فتُحمَلُ عليه »<sup>(٣)</sup> .

وقد نصَّ ابن جُزَيِّ في مقدمة كتابه على استعمال هذا الوجه في الترجيح بين أقوال المفسرين ؛ فإن العمومي أولى ؛ لأنه الأصل إلا أن يدلّ دليل على التخصيص .

ومن الأمثلة على ترجيحه بهذا الوجه :

١- في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ <sup>ط</sup> يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ

مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤَفَّكُونَ <sup>ط</sup> ﴿١٥﴾ [الأنعام] .

قال ابن جُزَيِّ : « أي : يَفْلِقُ الحَبَّ تحت الأرض لخروج النبات منها ، وَيَفْلِقُ النَّوَى لخروج الشجر منها . وقيل : أراد الشَّقِيين الَّذِينَ في النَوَاة والحنطة . والأول أرجح ؛ لعمومه في أصناف الحبوب »<sup>(٤)</sup> .

٢- عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَكْتَبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا

هُدًى نَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ <sup>ط</sup> وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكُنْهَا

لِلَّذِينَ يَنْقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ [الأعراف] .

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٥٢٧) .

(٢) جامع البيان (١٠/٤٦٣) .

(٣) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه (١٠١) .

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/١٦) .

قال ابن جُزَيِّ : « قيل : الإشارة بذلك إلى الذين أخذتهم الرجفة . والصحيح أنه عموم يندرجون فيه مع غيرهم »<sup>(١)</sup>.

٣- في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف] .

قال ابن جُزَيِّ : « فيه ثلاثة أقوال : أحدها : أن الإنصات المأمور به هو لقراءة الإمام في الصلاة . والثاني : أنه الإنصات للخطبة . والثالث : أنه الإنصات لقراءة القرآن على الإطلاق . وهو الراجح ؛ لوجهين : أحدهما : أن اللفظ عام ولا دليل على تخصيصه . والثاني : أن الآية مكيّة ، والخطبة إنما شرعت بالمدينة »<sup>(٢)</sup> .

— وربما خالف فلم يرجح بالعموم ، مع أن الترجيح به أولى ، كما في تفسيره لقوله

تعالى : ﴿ مُسْوَمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَاهِيٌّ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [هود] .

قال : « الضمير للحجارة . والمراد بالظالمين كفار قريش ، فهذا تهديد لهم ، أي : ليس الرمي بالحجارة ببعيد منهم ؛ لأجل كفرهم . وقيل : الضمير للمدائن ، فالمعنى : ليست ببعيدة منهم »<sup>(٣)</sup> .  
أفلا يعتبرون بها ؛ كقوله : ﴿ وَلَقَدْ أَنْوَأْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوِيًّا ﴾ [الفرقان : ٤٠] . وقيل : إن الظالمين على العموم »<sup>(٤)</sup> .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ( ٢ / ٤٧ ) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ( ٢ / ٥٩ ) . وتنظر أمثلة أخرى في ( ١٦ / ٥٧ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٩٥ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ) .

(٣) أي : من كفار قريش .

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل ( ٢ / ١١٠ ) .

## المبحث العاشر : الترجيح بتقديم الإطلاق على التقييد

إذا ورد نص من نصوص الوحي مطلقاً من غير تقييد وجب العمل به وتفسيره على إطلاقه ، وإذا ورد مقيداً فُسر بمقتضى القيد الذي قيّد به ؛ لأن الأصل في اللفظ المطلق : أن يبقى على إطلاقه حتى يأتي ما يقيد به ، فإذا جاء ما يقيد به حمل عليه .  
بناءً عليه ، فإنه ( إذا دار اللفظ بين أن يكون مقيداً أو مطلقاً ، فإنه يُحمل على إطلاقه )<sup>(١)</sup> .

يقول الزركشي : « إن وجد دليل على تقييد المطلق صير إليه ، وإلا فلا ، والمطلق على إطلاقه ، والمقيد على تقييده ؛ لأن الله تعالى خاطبنا بلغة العرب .  
والضابط : أن الله تعالى إذا حكم في شيء بصفة أو شرط ، ثم ورد حكم آخر مطلقاً نُظر ؛ فإن لم يكن له أصل يُردُّ إليه إلا ذلك الحكم المقيد وجب تقييده به ، وإن كان له أصل غيره لم يكن رده إلى أحدهما بأولى من الآخر »<sup>(٢)</sup> .  
وقد نصَّ ابن جزيّ في مقدمة كتابه على استعمال هذا الوجه في الترجيح بين أقوال المفسرين .

ومن الأمثلة على ترجيحه بهذا الوجه :

١ - عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَذْكُرُ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ

الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [الأعراف] .

قال ابن جزيّ : « ﴿ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ أي : في الصباح والعشي . والآصال : جمع أُصْل ، والأصل : جمع أصيل . قيل : المراد صلاة الصبح والعصر . وقيل : فرض الخمس . والأظهرُ الإطلاقُ »<sup>(٣)</sup> .

٢ - في تفسير قوله تعالى : ﴿ قَتَلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ

وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة] .

(١) قواعد الترجيح (٢/٥٥٥) .

(٢) البرهان في علوم القرآن (٢/٢٠) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٦٠) .

قال ابن جُزَيِّ : « ﴿ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ قيل : إهم خزاعة . والإطلاق أحسن»<sup>(١)</sup> .

٣ - في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةً أَنْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ

أَسْتَذِنَكَ أُولَئِكَ الْطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ [التوبة: ٨٦] .

قال ابن جُزَيِّ : « ﴿ وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةً ﴾ . قيل : يعني براءة . والأرجح أنه على

الإطلاق»<sup>(٢)</sup> .

٤ - في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقرءُونَ

الْكِتَابِ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ [يونس: ٩٤] .

قال ابن جُزَيِّ : « ﴿ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقرءُونَ الْكِتَابِ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ ، يعني الذين

يقرأون التوراة والإنجيل . قال السهيلي : هم عبد الله بن سلام ، ومُخَيَّرِيق ، ومن أسلم

من الأَحْبَارِ ، وهذا بعيد ؛ لأن الآية مكية ، وإنما أسلم هؤلاء بالمدينة ، فحمل الآية على

الإطلاق أولى»<sup>(٣)</sup> .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٧٢/٢) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٨٢/٢) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٩٩/٢) .

## الباب الثاني

عَرَضُ لِرَجِيحَاتِ ابْنِ جُزَيٍّ فِي تَفْسِيرِهِ  
وَمُنَاقَشَتِهَا

مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْأَنْعَامِ  
إِلَى آخِرِ سُورَةِ يُوسُفَ

ترجيحاتُ ابنِ جُزَيِّ  
في تفسير سورة الأنعام

قَالَ تَعَالَى:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ. ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾﴾

١- الخلاف في المراد بالأجلين في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : «الأجل الأول : الموت ، والثاني : يوم القيامة. وقيل:  
الأول : النوم ، والثاني : الموت»<sup>(١)</sup>.

### العرض والمناقشة :

للمفسرين — رحمهم الله تعالى — أقوال كثيرة في المراد بالأجلين في هذه الآية الكريمة من سورة الأنعام ، اقتصر ابن جُزَيِّ على ذكر قولين اثنين منها ، ورجح القول الأول منهما، وهو أن المراد بالأجل الأول المقضي هو : الموت ، والمراد بالأجل الثاني المسمى عند الله هو : يوم القيامة .

ووافق في هذا المروي عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>، وسعيد بن جبير<sup>(٣)</sup>، ومجاهد، وعكرمة<sup>(٤)</sup>، والضحاك<sup>(٥)</sup>، والحسن، وقتادة، وزيد بن أسلم، وعطية<sup>(٦)</sup>، والسدي<sup>(٧)</sup>. ونُسبَ إلى مقاتل ابن حيان<sup>(٨)</sup>. وعليه الزمخشري، والسيوطي، وأبو السعود<sup>(٩)</sup>. وقدمه القرطبي<sup>(١٠)</sup>.

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٢).

(2) أخرجه ابن جرير في جامع البيان (١٥٣/٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٦١ / ٤) برقم (٧٠٩٦ ، ٧٠٩١) من طريق علي بن أبي طلحة، عنه بلفظ : (يعني أجل الموت ، والأجل المسمى أجل الساعة والوقوف عند الله) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٢٤٨ / ٣) نسبته إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، والفريابي، وأبي الشيخ.

(3) ذكره معلقاً عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٦١ / ٤) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٥٢ / ٩) عنهما . وذكره ابن أبي حاتم معلقاً عنهما في تفسيره (١٢٦١/٤) .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٥١ / ٩) . وذكره ابن أبي حاتم معلقاً عنهما (١٢٦١ / ٤) .

(6) علقه عنهم ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٦١ / ٤) .

(7) أخرجه الطبري (١٥٣ / ٩) . وذكره ابن أبي حاتم عنه (١٢٦١ / ٤) .

(8) نسبه إليه ابن كثير في تفسيره (٦ / ٨) .

(9) ينظر : الكشف (٦/٢) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٣٣١/٢) — إلا أنه اختار في تحديد المراد بالأجل الثاني القول بأنه الأجل المضروب للبحث ، يعني مدة البرزخ والله أعلم — ، وإرشاد العقل السليم (١١٩/٢) .

(10) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (٨ / ٣٢١) .

ويشهد لهذا القول : قوله تعالى : ﴿ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ يُمَاتِعْمَلُونَ ﴾ [المنافقون: ١١] . ووجه الاستدلال : أن الأجل يطلق على الموت ، وهو آخره<sup>(١)</sup> .

وقوله عز وجل : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الزمر: ٤٢] .  
والأجل المسمى في هذه الآية هو انقضاء العمر<sup>(٢)</sup> .

فهاتان الآيتان الكريمتان تدلان على أن المراد بالأجل الأول المقضي في آية الأنعام ﴿ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا ﴾ هو الموت ، وهو كونه آخر مدة الحياة ؛ لأن الأجل في اللغة عبارة عن آخر المدة ، وإن كان يطلق لغة على المدة كلها كذلك<sup>(٣)</sup> .

ومما يدل على أن المراد بالأجل الثاني المسمى عند الله هو يوم القيامة : أن الله تعالى اختص بعلمه فقال : ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ﴾ ، فإنه يدل على أنه لا يعلم وقته أحدٌ لا مجملًا ولا مفصلاً ، وأما أجل الموت فمعلوم إجمالاً وتقريباً بناء على ظهور أماراته أو على ما هو المعتاد في أعمار الناس<sup>(٤)</sup> ، أو بالنسبة لملائكة الموت ، والله أعلم .

قال ابن كثير : « ومعنى قوله ﴿ عِنْدَهُ ﴾ أي : لا يعلمه إلا هو ؛ لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ ﴾ [الأعراف: ١٨٧] وكقوله : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٣﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مِنْهَا ﴿٤٤﴾ ﴾ [النازعات] .<sup>(٥)</sup>  
وأما القول الثاني وهو أن الأجل الأول : هو النوم ، والثاني : هو الموت ، فقد روي عن ابن عباس<sup>(٦)</sup> .

(1) ينظر : روح المعاني للآلوسي ( ٢٨ / ١١٨ ) .

(2) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي ( ٧ / ١٨٥ ) .

(3) ينظر : إرشاد العقل السليم ( ٢ / ١٢٠ ) .

(4) المصدر السابق ( ٢ / ١١٩ ) .

(5) تفسير القرآن العظيم ( ٩ / ٦ ) .

(6) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ٩ / ١٥٣ ) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ( ٤ / ١٢٦١ ) برقم ( ٧٠٩٧ ، ٧٠٩٣ ) من طريق عطية العوفي ، عنه . وهو إسناد ضعيف جداً .

وصدّره جماعة من المفسرين بصيغة (قيل)<sup>(١)</sup>، ووافقهم ابن جُزَيّ على هذا مشعراً بتضعيفه .

قال ابن كثير : « وهذا قول غريب »<sup>(٢)</sup> .

وقال الآلوسي : « وأيدَ بقوله تعالى : ﴿ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ ، ولا يخفى بُعدُه؛ لأن النوم وإن كان أخا الموت لكنه لم تعهد تسميته أجلاً وإن سُمِّي موتاً »<sup>(٣)</sup> .  
وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن ما ذهب إليه ابن جُزَيّ ومن وافقه هو الراجح ، ويؤيده كثرة القائلين به من السلف ؛ فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه<sup>(٤)</sup> .  
وأما القول الثاني فهو قولٌ غريبٌ كما نصَّ عليه ابن كثير ، والله تعالى أعلم .  
هذا وقد أعرض ابن جُزَيّ عن ذكر أقوال قريبة في المعنى من القول الأول الذي رجَّحه ، تركها اختصاراً كما لا يخفى .

فمما يقرب من القول الأول قولٌ من قال : الأجل الأول : ما بين أن يُخلق إلى أن يموتَ ، والثاني : ما بين الموت والبعث ، وهو البرزخ .  
رُويَ هذا القول عن ابن عباس<sup>(٥)</sup> ، والحسن<sup>(٦)</sup> ، وقتادة<sup>(٧)</sup> ، والضحاك<sup>(٨)</sup> ، وابن المسيّب<sup>(٩)</sup> ، ومقاتل<sup>(١٠)</sup> .

- (1) منهم : الزمخشري في الكشاف ( ٢ / ٦ ) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ( ٨ / ٣٢٢ ) ، والبيضاوي في أنوار التنزيل ( ١ / ٢٩٤ ) ، والآلوسي في روح المعاني ( ٧ / ٨٧ ) .
- (2) تفسير القرآن العظيم ( ٦ / ٩ ) .
- (3) روح المعاني ( ٧ / ٨٧ ) بتصرف يسير .
- (4) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل لابن جُزَيّ ( ١ / ٩ ) فإنه عدَّ من وجوه الترجيح بين أقوال المفسرين : أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين ؛ فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه . وبهذا الوجه رجَّح ابن جُزَيّ هذا القول وإن كان لم ينصَّ على ذلك .
- (5) نسبه إليه السمعاني ( ٢ / ٨٧ ) ، وابن الجوزي ( ٣ / ٣ ) ، والآلوسي ( ٧ / ٨٧ ) وقال : رواه عطاء عنه .
- (6) أخرجه الطبري ( ٩ / ١٥١ ) من طريق أبي بكر الهذلي ، عنه .
- (7) أخرجه الطبري ( ٩ / ١٥١ ) ، وابن أبي حاتم ( ٤ / ١٢٦٢ ) ( ٧٠٩٨ ) من طريق يزيد بن زريع ، عن سعيد عنه .
- (8) نسبه إليه ابن الجوزي ( ٣ / ٣ ) ، والبيضاوي ( ١ / ٣٩٠ ) ، والآلوسي ( ٧ / ٨٧ ) .
- (9) نسبه إليه ابن الجوزي .
- (10) نسبه إليه السمرقندي في بحر العلوم ( ١ / ٤٥٥ ) ، وابن الجوزي .

وعليه من المفسرين : الزجاج - كما قاله الآلوسي <sup>(١)</sup> - والواحدي، والطاهر بن عاشور <sup>(٢)</sup> .

وتعليل هذا القول : أن الأجل كما يطلق لآخر المدّة فإنه يطلق لجملتها ومجموعها <sup>(٣)</sup> . قال الشهاب الخفاجي : « الأجل يقال بمعنى الوقت المعين لانقضاء شيء ولما يقع فيه مجازاً كالموت ، وللمجموع المدّة كالعمر ، وعليه تدور وجوه التفسير » <sup>(٤)</sup> . وقال ابن كثير : « هو يرجع إلى ما تقدم <sup>(٥)</sup> ، وهو تقدير الأجل الخاص وهو عمر كل إنسان ، وتقدير الأجل العام وهو عمر الدنيا بكمالها ثم انتهائها وانقضائها وزوالها وانتقالها والمصير إلى الدار الآخرة » <sup>(٦)</sup> .

وقال الشوكاني : « هو قريب من الأول » <sup>(٧)</sup> .

= ويقرب منه أيضاً قول من قال : الأجل الأول : أجل الدنيا ، والثاني : الآخرة . وروي هذا القول عن ابن عباس <sup>(٨)</sup> ، وعكرمة ، ومجاهد <sup>(٩)</sup> ، وسعيد ابن جبير <sup>(١٠)</sup> .

(1) قاله الآلوسي في روح المعاني ( ٧ / ٨٧ ) ولم أقف عليه في معانيه .

(2) ينظر : الوجيز ( ١ / ٣٤٤ ) ، والتحرير والتنوير ( ٧ / ١٣١ ) .

(3) ينظر : أنوار التنزيل للبيضاوي ( ١ / ٢٩٤ ) .

(4) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ( ٤ / ١٣ ) .

(5) يعني بذلك القول الأول .

(6) تفسير القرآن العظيم ( ٦ / ٩ ) .

(7) فتح القدير ( ٢ / ٩٨ ) .

(8) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ٩ / ١٥١ ) وابن أبي حاتم في تفسيره ( ٤ / ١٢٦٠ ) برقم ( ٧٠٩٠ ) من طريق أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، عنه . ولم يذكر ابن أبي حاتم الأجل الثاني . ورواه ابن أبي حاتم ( ٤ / ١٢٦٠ ) برقم ( ٧١٠٠ ) من طريق قيس عن أبي حصين به . وذكر الأجل الثاني بقوله : « لا يعلمه إلا الله » ولم يذكر الأول . ورواه أيضا برقم ( ٧١٠١ ) عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس فذكر الثاني بقوله : « الوقوف عند الله » . وصححه الحاكم في مستدركه ( ٢ / ٣١٥ ) وقال : حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

(9) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ٩ / ١٥٢ ) من طريق هناد ، عن وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عكرمة ومجاهد . إلا أنهما قالوا : « البعث » بدل « الآخرة » . وأخرجه الطبري في جامع البيان ( ٩ / ١٥٣ ) عن ابن وكيع وابن حميد ، عن جرير ، عن منصور ، عن مجاهد وحده قال : « البعث » بدل الآخرة . وأخرج الطبري في جامع البيان ( ٩ / ١٥١-١٥٢ ) من طريق ابن أبي نجيح ، عنه عكس هذا القول ، وهو غريب .

(10) ذكره السمرقندي ( ١ / ٤٥٥ ) ، وأبو حيان ( ٤ / ٧١ ) ، والآلوسي ( ٧ / ٨٧ ) .

وعليه ابن جرير الطبري، وابن سَعْدِي<sup>(١)</sup>.

هذا وقد اختلفت عبارات العلماء في إيراد هذا القول على النحو التالي :

الأجل الأول : أجل الدنيا ، انقضاء الدنيا .

الأجل الثاني : الآخرة ، لا يعلمه إلا الله ، ابتداء الآخرة ، البعث ، الوقوف عند الله .

وليس بينها تعارض ؛ لأن الأجل كما يطلق على آخر المدّة فإنه يطلق على جملتها .

فالأجل الأول : الدنيا بجملتها ، أو انقضاؤها . والثاني : الآخرة والوقوف عند الله ،

أو ابتداء الآخرة وهو البعث ، وهذا لا يعلمه إلا الله .

= ويقرب منه أيضاً قول من قال : الأجل الأول : أجل الدنيا من يوم خلقك إلى أن

تموت ، والثاني : يوم القيامة .

وروي هذا القول عن الحسن، وقتادة<sup>(٢)</sup>، ومجاهد ، وعكرمة<sup>(٣)</sup>.

وهذا القول جمع بين القولين السابقين كما هو ظاهر .

= وقريب منه أيضاً قول من قال : الأجل الأول : مدة الدنيا ، والثاني : عمر الإنسان

إلى حين موته .

وروي هذا القول عن ابن عباس، ومجاهد<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير: « وكأنه مأخوذ من قوله تعالى بعد هذا : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ

وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ [ الأنعام : ٦٠ ] .

وهذا القول جعل الأجل الأول على العموم ، والثاني خاصاً بكل إنسان .

= وقريب منه أيضاً قول ابن عباس رضي الله عنهما : « لكل أحد أجلان : الأول : أجل

العمر ، والثاني : أجل البعث . فإن كان تقياً وصولاً لرحمه زيد له من أجل البعث في أجل العمر ،

(1) ينظر : جامع البيان ( ٩ / ١٥٤ ) ، وتيسير الكريم الرحمن ( ٢ / ٥ - ٦ ) .

(2) رواه عبد الرزاق ( ٢ / ٢٠٣ ) عن معمر ، عن الحسن وقتادة . وأخرجه الطبري ( ٩ / ١٥٢ ) من طريق عبد الرزاق به . ومن طريق معمر به .

(3) نسبه إليهما : النحاس في معاني القرآن ( ٢ / ٣٩٩ ) ، والقرطبي ( ٨ / ٣٢١ ) ، وأبو حيان ( ٤ / ٧٠ ) .

(4) نسبه إليهما : ابن كثير ( ٦ / ٩ ) ، والشوكاني ( ٢ / ٩٨ ) .

(5) تفسير القرآن العظيم ( ٦ / ٩ ) .

وإن كان بالعكس نقص من أجل العمر وزيد له في أجل البعث»<sup>(١)</sup>.  
 وذكره الآلوسي إلا أنه جعل الأول قابلاً للزيادة والنقصان ، والآخر لا يقبل التغيير  
 ولا يطلع عليه إلا الله عز شأنه<sup>(٢)</sup>.

أما الشوكاني فجعل الأول محتوماً لا يقبل الزيادة ، والثاني : العمر فيزيد بالصلة<sup>(٣)</sup>.  
 وقال : « ويرشد إلى هذا قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي  
 كِتَابٍ ﴾ [ فاطر : ١١ ] . وقد صحَّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن صلة الرحم تزيد في  
 العمر ، وورد عنه أن دخول البلاد التي قد فشا بها الطاعون والوباء من أسباب الموت » . اهـ .  
 واختار هذا القول الطاهر بن عاشور<sup>(٤)</sup> إلا أنه لم يذكر قبوله للزيادة والنقصان ،  
 ودلَّ على أن كون الثاني غير معلوم لأحد لا في الدنيا ولا يوم القيامة بقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ  
 يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ [ يونس : ٤٥ ] وبقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ  
 تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبَثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ [ الروم : ٥٥ ] .

وبالتأمل في هذه الأقوال المقاربة للقول الأول يظهر أنها لا تعارضه ؛ لأنها مبنية على  
 اعتبارين : العموم والخصوص ، فبعضها على تقدير الأجل العام ، والآخر على تقدير الأجل  
 الخاص ، والله أعلم .

وتمت أقوال أخرى في المسألة فيها غرابة شديدة وفي بعضها نكارة<sup>(٥)</sup>.  
 وسبب اختلاف المفسرين وكثرة الأقوال في هذه المسألة يرجع إلى تنكير الأجلين ،  
 كما قال أبو حيان : « والظاهر من تنكير الأجلين أنه تعالى أجهم أمرهما »<sup>(٦)</sup>.  
 وليس هناك نصٌّ يحدد المراد منهما ، فوقع الخلاف في بيانهما وكثر ، والله تعالى أعلم .

(1) نسبه إليه أبو حيان ( ٤ / ٧١ ) .

(2) روح المعاني ( ٧ / ٨٧ ) .

(3) فتح القدير ( ٢ / ٩٨ ) . وينظر : صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب من بسط له في الرزق لصلة الرحم ،  
 برقم ( ٥٩٨٥-٥٩٨٦ ) . وكتاب الطب ، باب ما يذكر في الطاعون ، وباب أجر الصابر في الطاعون ، برقم  
 ( ٥٧٢٨-٥٧٣٤ ) .

(4) التحرير والتنوير ( ٧ / ١٣١ ) .

(5) ينظر غير ما سبق : المحرر الوجيز لابن عطية ( ٢ / ٢٦٦ ) ، ومفاتيح الغيب للرازي ( ١٢ / ١٢٧ ) .

(6) البحر المحيط ( ٤ / ٧٠ ) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ (٣)

## ٢- الخلاف في بيان متعلق الجارّ والمجرور ﴿ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « يتعلق ﴿ فِي السَّمَوَاتِ ﴾ بمعنى اسم الله ، فالمعنى كقوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ ﴾ [ الزخرف : ٨٤ ] ، كما يقال : أمير المؤمنين الخليفة في المشرق والمغرب . ويحتمل أن يكون المجرور في موضع الخبر فيتعلق باسم فاعل محذوف ، والمعنى على هذا قريب من الأول . وقيل : المعنى أنه في السماوات والأرض بعلمه ؛ كقوله : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ [ الحديد : ٤ ] . والأول أرجح وأفصح ؛ لأن اسم الله جامع للصفات كلها من العلم والقدرة والحكمة وغير ذلك ، فقد جمعها مع الإيجاز . ويترجّح الثاني بأن سياق الكلام في اطلاع الله تعالى وعلمه ؛ لقوله بعدها : ﴿ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ . وقيل : يتعلق بمحذوف تقديره : المعبود في السماوات وفي الأرض ، وهذا المحذوف صفة لله « (١) .

### العرض والمناقشة :

اتفق السلف - رحمهم الله - على تخطئة الجَهْمِيَّة (٢) القائلين بأن الله في كل مكان - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - مستدلّين بهذه الآية على هذا المذهب الباطل (٣) .  
واختلف المفسرون في بيان متعلق الجارّ والمجرور في هذه الآية الكريمة على أقوال ، حاصل ما ذكره ابن جُزَيِّ يرجع إلى قولين اثنين (٤) صحيحين ، ويشهد لكل منهما قرآن ،

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٣) .

(٢) الجهمية هم : أتباع الجَهْم بن صفوان ، كان ينكر الصفات ، ويزه الباري عنها بزعمه ، ويقول بخلق القرآن . ويقول : إن الله في كل مكان . ينظر : الملل والنحل للشهرستاني (١ / ٧٣) ، وسير أعلام النبلاء (٦ / ٢٦) ، وميزان الاعتدال (١ / ٤٢٦) كلاهما للذهبي .

(٣) ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦ / ٩) ، وأضواء البيان للشنقيطي (٢ / ١٨٢) .

(٤) لأن قوله : « ويحتمل أن يكون المجرور في موضع الخبر ... » الخ . جعله في المعنى قريباً من الأول ومساوياً له في الجواز . وقوله : « وقيل : يتعلق بمحذوف تقديره : المعبود في السماوات وفي الأرض » يرجع إلى القول الأول أيضاً ويندرج فيه ولا يعتبر قولاً مستقلاً ، والله أعلم . وينظر : معاني القرآن للزجاج (٢ / ٢٢٨) .

ولذا قال عن الأول : « أرجح وأفصح » ، وعن الثاني : « ويطرح » . فرجح الأول بالمعنى، والثاني بالسياق ، وإن كان ظاهر كلامه هو ترجيح القول الأول وهو : أن قوله تعالى : ﴿ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ﴾ يتعلق بمعنى اسم الله باعتبار ما يدل عليه من كونه معبوداً ومالكاً ومدبراً . أي : هو المنفرد بالعبودية والملكية والتدبير في السماوات وفي الأرض . وهذا قول الزجاج<sup>(١)</sup> . وعليه الواحدي، وابن عطية، والقرطبي، والنسفي، وابن القيم، وابن كثير، وأبو السعود، والشوكاني، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي<sup>(٢)</sup> .

واستدل له ابن جزيّ بقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ ﴾ [الزخرف : ٨٤] .

وهذه الآية في المعنى كآية الأنعام ؛ لأن الله هو الإله الذي يألوه كل شيء ، والله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين<sup>(٤)</sup> .

ويقال : أمير المؤمنين الخليفة في المشرق والمغرب ، أي : حاكم ومتصرف فيهما<sup>(٥)</sup> .

ويقال : هو في حاجات الناس وفي الصلاة<sup>(٦)</sup> .

ومنع أبو عليّ الفارسي أن يتعلق باسم الله ؛ لأنه صار بدخول الألف واللام والتغيير

الذي دخله كالعلم ، ولهذا قال تعالى : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم : ٦٥] .

(1) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ( ٢ / ٢٢٨ ) . ونسبه الواحدي في الوسيط ( ٢ / ٢٥٢ ) ، والسمعاني في تفسيره

( ٢ / ٨٧ ) ، وابن الجوزي في زاد المسير ( ٣ / ٤ ) إلى ابن الأنباري، والزجاج .

(2) ينظر : الوجيز ( ١ / ٣٤٤ ) والوسيط ( ٢ / ٢٥٢ ) ، والمحرر الوجيز ( ٥ / ١٢٦ ) ، والجامع لأحكام القرآن

( ٨ / ٣٢٢ ) ، ومدارك التنزيل ( ٢ / ٣ ) ، وبدائع الفوائد ( ١ / ١١٦ ) وبدائع التفسير ( ٢ / ١٤٠ ) ، وتفسير

القرآن العظيم ( ٦ / ٩ ) ، وإرشاد العقل السليم ( ٢ / ١٢١ ) ، وفتح القدير ( ٢ / ١٤١ ) ، و التحرير والتنوير

( ٧ / ١٣٣ ) ، وأضواء البيان ( ٢ / ١٨١ ) .

(3) ينظر : معاني القرآن للنحاس ( ٢ / ٣٩٩ ) ، والكشاف للزمخشري ( ٢ / ٣٢٣ ) ، وتفسير القرآن العظيم لابن

كثير ( ٦ / ٩ ) .

(4) ينظر : بدائع الفوائد لابن القيم ( ١ / ٢٥ ) ، وفتح المجيد ( ٣٢ — ٣٣ ) .

(5) ينظر : معاني القرآن للزجاج ( ٢ / ٢٢٨ ) ، والوسيط للواحدي ( ٢ / ٢٥٢ ) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي

( ٨ / ٣٢٢ ) ، وفتح القدير للشوكاني ( ٢ / ١٤١ ) .

(6) ينظر : معاني القرآن للنحاس ( ١ / ٤٠٠ ) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ( ٨ / ٣٢٢ ) .

(7) ينظر : التبيان للعكبري ( ١ / ٤٨٠ ) .

وقال أبو حيان: « هو صحيح من حيث المعنى ، لكن صناعة النحو لا تساعد عليه»<sup>(١)</sup>.  
 وأما القول الثاني وهو : تعلق الجارِّ والمجرور ﴿ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ﴾ بقوله :  
 ﴿ يَعْلَمُ ﴾ ، أي : وهو الله يعلم سرِّكم وجهركم في السماوات وفي الأرض ، فهو قول  
 أبي علي الفارسي<sup>(٢)</sup> ، ورجَّحه النحاس ، وصحَّحه الشنقيطي<sup>(٣)</sup> .  
 ويشهد له :

١ - النظائر القرآنية ؛ كقول الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ  
 ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا  
 كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٤) [الحديد: ٤] .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (٥) [الفرقان: ٦] .  
 ووجه الاستدلال منهما ظاهر .

٢ - ويشهد له أيضاً السياق ؛ لأن الكلام في اطلاع الله وعلمه<sup>(٦)</sup> .  
 ويردُّ على هذا القول : أن الإنس إنما هم في الأرض وليس لهم في السماء سرٌّ ولا  
 جهرٌ ، فكيف يتعلَّق بذلك علمٌ؟!  
 قال ابن عطية : « ويلزم قائلِي هذه المقالة أن تكون المخاطبة بالكاف في قوله :  
 ﴿ سِرِّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ لجميع المخلوقين : الإنس والملائكة ؛ لأن الإنس لا سرٌّ ولا جهرٌ لهم في  
 السماء»<sup>(٧)</sup> .

وضَعَّف أبو حيان هذا القول ، ومَنَعَهُ الطاهر بن عاشور<sup>(٨)</sup> .

(١) البحر المحيط ( ٧٢ / ٤ ) .

(٢) نسبه له العكبري في التبيان ( ٤٨٠ / ١ ) ، وأبو حيان في البحر المحيط ( ٧٢ / ٤ ) . كما نُسِبَ هذا القول أيضاً  
 إلى الزجاج ، نسبه له الماوردي في النكت والعيون ( ٩٤ / ٢ ) ، والسمعاني في تفسير القرآن ( ٨٧ / ٢ ) .

(٣) ينظر : أضواء البيان ( ١٨١ / ٢ ) .

(٤) استدل به ابن جزي . ينظر : التسهيل ( ٣ / ٢ ) .

(٥) ينظر : أضواء البيان ( ١٨٢ / ٢ ) .

(٦) كما قاله ابن جزي .

(٧) المحرر الوجيز ( ١٢٧ / ٥ ) .

(٨) ينظر : البحر المحيط ( ٧٢ / ٤ ) ، والتحرير والتنوير ( ١٣٣ / ٧ ) .

وبعد، فإذا كان ذلك كذلك فإن كلا القولين صحيح ، وأنَّ أصحَّهما وأَوْلَاهُما  
أَوْلُهُما؛ لما يلي :

١- لأنَّ قوله تعالى : ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ جملة مقررة لمعنى الجملة الأولى ؛ لأنَّ  
كونه سبحانه في السماوات وفي الأرض يستلزم علمه بأسرار عباده وجهرهم ، وعلمه بما  
يكسبونه من الخير والشر ، وجلب النفع ودفع الضرر<sup>(١)</sup>.

٢- ولأنَّ تعلق الجار والمجرور بقوله : ﴿يَعْلَمُ﴾ ضعيف ؛ لأنَّ فيه تقديم معمول  
المصدر الموصول عليه<sup>(٢)</sup>، ولا يجوز تعليقه به ؛ لأنَّ سرَّ الناس وجهرهم وكسبهم حاصل في  
الأرض خاصَّة دون السماوات ، فمن قدر ذلك فقد أخطأ خطأ بيِّنًا<sup>(٣)</sup>، والله تعالى أعلم.

(١) ينظر: فتح القدير للشوكاني (٢ / ١٤١).

(٢) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان (٤ / ٧٣).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٧ / ١٣٣).

قَالَ تَعَالَى:

﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مَدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾ ﴾

### ٣- الخلاف في تفسير القرن وتحديد مدته .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « والقرن : مائة سنة . وقيل : سبعون . وقيل : أربعون »<sup>(١)</sup> .

#### العرض والمناقشة :

حكى ابن جُزَيِّ في تفسير القرن وتحديد مدته ثلاثة أقوال ، وكلها تدرج تحت قول واحد في تفسير القرن وهو: أن القرن بمعنى المدة من الزمان أو هو الزَّمنُ المعين<sup>(٢)</sup> . وهذا القول في تفسير القرن نقله ابن الأعرابي<sup>(٣)</sup> ، وذكره طائفة من المفسرين<sup>(٤)</sup> ، واختاره النسفي<sup>(٥)</sup> .

وعليه، فقد اختلف في تحديد هذه المدة على أقوال كثيرة ، ذكر ابن جُزَيِّ منها ثلاثة ، ورجَّح الأول وهو : أن القرن مائة سنة . ووافق ما حكي عن عبد الله بن بُسر ، وأبي سلمة ابن عبد الرحمن<sup>(٦)</sup> .

وعلى هذا أكثر أصحاب الحديث<sup>(٧)</sup> ، ورجَّحه أهل اللغة<sup>(٨)</sup> ، وهو المشهور<sup>(٩)</sup> .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٣ / ٢) .

(٢) وسيأتي بإذن الله ذكر القول الآخر في تفسير القرن .

(٣) ينظر : لسان العرب (١٣ / ٣٣٣ ، ٣٣٤) ، و تاج العروس (٩ / ٣٠٥) مادة ( قرن ) .

(٤) ينظر : معاني القرآن للنحاس (٢ / ٤٠٠) ، ومعالم التنزيل للبيغوي (٢ / ١٢٨) ، وأنوار التنزيل للبيضاوي

(١ / ٢٩٥) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٤ / ٦٦) ، والجواهر الحسان للثعالبي (١ / ٤٦٨) ، وإرشاد العقل السليم

لأبي السعود (٢ / ١٢٤) ، وروح المعاني للآلوسي (٧ / ٩٤) ، وفتح القدير للشوكاني (٢ / ١٤٢) .

(٥) ينظر : مدارك التنزيل (٣ / ٢) .

(٦) حكاها عنهما ونسبه إليهما ابن الجوزي في زاد المسير (٣ / ٥) .

(٧) ينظر : معاني القرآن للنحاس (٢ / ٤٠٠) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨ / ٣٢٥) .

(٨) ينظر : لسان العرب (١٣ / ٣٣٣) ، و تاج العروس (٩ / ٣٠٥) .

(٩) قاله ابن حجر في فتح الباري (٧ / ٥) ، والطاهر في التحرير والتنوير (٧ / ١٣٧) ، والسيد محمد رشيد رضا في

تفسيره (٧ / ٢٦٣) .

وهو قول الجمهور<sup>(١)</sup> ، والأكثر عليه<sup>(٢)</sup> .

ويشهد له قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لعبد الله بن بسر المازني : (لَتَبْلُغَنَّ قَرْنًا)<sup>(٣)</sup> ، فعاش مائة سنة .

وقوله صلى الله عليه وسلم في آخر حياته : ( أرأيتمكم ليلتكم هذه ، فإن رأس مائة سنة منها ، لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد )<sup>(٤)</sup> .

وقوله صلى الله عليه وسلم : ( إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها )<sup>(٥)</sup> .

وأما ثانيها - وهو أن القرن : سبعون سنة - فحكاه الفراء<sup>(٦)</sup> ، والزجاج<sup>(٧)</sup> .

(1) نسبه للجمهور أبوحيان في البحر المحيط (٤ / ٦٥) .

(2) قاله الثعالبي في الجواهر الحسان (١ / ٤٦٨) .

(3) رواه أحمد في مسنده (٤ / ١٨٩) = (٢٩ / ٣٢٥) (١٧٦٨٩) - طبعة التركي - ، والبحاري في التاريخ الصغير (١ / ٢١٦) ، والدولابي في الكنى (٢ / ٥٥) ، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (١٣٤٣) ، والحاكم في مستدركه (٤ / ٥٠٠) ، والبيهقي في الدلائل (٦ / ٥٠٣) ، والطبري في تاريخه (١ / ٤٣٥) ، وأبو بكر الخلال في السنة (٢ / ٤٦٨) ، وابن عساكر في تاريخه (٢٧ / ١٥٥) من طرق عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه . قال الهيثمي في المجمع (٩ / ٤٠١ - ٤٠٨) : ورجال أحمد رجال الصحيح غير الحسن بن أيوب الحضرمي وهو ثقة .

(4) أخرجه البخاري في العلم - باب السمر في العلم برقم (١١٦) ، وفي مواقيت الصلاة - باب ذكر العشاء والعمرة برقم (٥٦٤) ، وباب السمر في الفقه والخير... برقم (٦٠١) ، ومسلم في فضائل الصحابة ، باب قوله ﷺ : لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض ... برقم (٢٥٣٧) ، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما . قال ابن عمر في آخره: يريد بذلك أنها تحرم ذلك القرن. وقال الحافظ في الفتح (٢ / ٧٥) : وقد بين ابن عمر في هذا الحديث مراد النبي ﷺ ، وأن مراده أنه عند انقضاء مائة سنة من مقالته تلك ينحرم ذلك القرن فلا يبقى أحد ممن كان موجوداً حال تلك المقالة ، وكذلك وقع بالاستقراء فكان آخر من ضُبط أمره ممن كان موجوداً حينئذ أبو الطفيل عامر بن وائلة، وقد أجمع أهل الحديث على أنه كان آخر الصحابة موتاً ، وغاية ما قيل فيه : إنه بقي إلى سنة عشر ومائة، وهي رأس مئة سنة من مقالة النبي ﷺ ، والله أعلم .

(5) رواه أبو داود في سننه برقم (٤٢٩١) ، والحاكم في مستدركه (٤ / ٥٢٢) - وسكت عنه الحاكم والذهبي - ، والخطيب في التاريخ (٢ / ٦١) عن أبي هريرة رضي الله عنه . وصححه الألباني كما في السلسلة الصحيحة (٢ / ١٥٠) برقم (٥٩٩) ، وصحيح الجامع (١ / ٣٨٢) برقم (١٨٧٤) .

(6) ينظر: معاني القرآن (١ / ٣٢٨) فإنه حكاه لبعضهم ولم يُسم .

(7) حكاه - قيل في معاني القرآن (٢ / ٢٢٩) ونسبه إليه ابن منظور في لسان العرب (١٣ / ٣٣٤) ، والزبيدي في تاج العروس (٩ / ٣٠٥) .

واختاره البيضاوي<sup>(١)</sup>. وذكره بعض المفسرين<sup>(٢)</sup>.  
 ودليله : أن السبعين هو القدر المتوسط من أعمار أهل كل زمن<sup>(٣)</sup>.  
 وأما ثالثها - وهو أن القرن : أربعون سنة - فذكره ابن سيرين<sup>(٤)</sup>، وقال به ابن  
 الأعرابي<sup>(٥)</sup>، وذكره جماعة<sup>(٦)</sup>.  
 ودليله : قول الجعدي :  
 ثلاثة أهلين أفنيئهم  
 وكان الإله هو المستأسا  
 فإنه قاله وهو ابن مائة وعشرين<sup>(٧)</sup>.  
 وثمّت أقوال أخرى في تحديد مقدار القرن من عشرة أعوام إلى مائة وعشرين.  
 وذهب بعضهم إلى أن القرن هو : المقدار الأوسط في أعمار أهل كل زمن<sup>(٨)</sup>.  
 وهذا القول حسنه أبو حيان<sup>(٩)</sup>.  
 قال البيضاوي : « القرن مُدَّة أغلب أعمار الناس »<sup>(١٠)</sup>.  
 ودليله : أن الأمم السالفة كان فيهم من يعيش أربعمئة عام وثلاثمئة عام وما فوق

- (1) ينظر: أنوار التنزيل (١/ ٢٩٥) .
- (2) ينظر: معاني القرآن للنحاس (٢/ ٤٠٠) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/ ٣٢٥) وذكره بـ قيل ، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٥) ، ومدارك التنزيل للنسفي (٢/ ٣) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٤/ ٦٥) ، وروح المعاني للآلوسي (٧/ ٩٤) .
- (3) ينظر : فتح الباري لابن حجر (٧/ ٥) . والمستأس : المستعاض ، والأوس : العطية والعض . ينظر : اللسان (أوس) .
- (4) أورده ابن الجوزي عنه في زاد المسير (٣/ ٥) ورفع له النبي صلى الله عليه وسلم . وحكاه أبو حيان في البحر المحيط (٤/ ٦٥) عن الزهراوي ، عن النبي ﷺ .
- (5) ينظر: لسان العرب ، وتاج العروس ، مادة (قرن) .
- (6) منهم : السمعاني في تفسير القرآن (٢/ ٨٨) ، والبغوي في معالم التنزيل (٢/ ١٢٨) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٤/ ٦٥) . وينظر: النهاية لابن الأثير (٤/ ٥١) .
- (7) ينظر: لسان العرب ، وتاج العروس ، مادة (قرن) .
- (8) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٤) ، والآلوسي في روح المعاني (٧/ ٩٤) . وينظر: النهاية لابن الأثير (٤/ ٥) . قال السيد محمد رشيد رضا في تفسيره (٧/ ٢٦٣) : والمعقول أنه مقدار متوسط أعمار الناس في كل زمان .
- (9) ينظر : البحر المحيط (٤/ ٦٥) .
- (10) أنوار التنزيل (١/ ٢٩٥) .

ذلك وما دونه ، وهكذا الاختلاف في هذه الآية<sup>(١)</sup> .

ولذا قال ابن حجر : « مدّة القرن تختلف باختلاف أعمار أهل كل زمان »<sup>(٢)</sup> .  
ويشهد له الواقع التفسيري لحديث : ( خيركم قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين  
يلونهم )<sup>(٣)</sup> .

ووجه ذلك : أن الذي بين البعثة وآخر من مات من الصحابة مئة سنة وعشرون سنة ،  
أو دونها أو فوقها بقليل على الاختلاف في وفاة أبي الطفيل<sup>(٤)</sup> . وإن اعتبر ذلك من بعد وفاته  
صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فيكون مئة سنة أو تسعين أو سبعاً وتسعين ، فهذا قرن  
الصحابة . وأما قرن التابعين فإن اعتبر من سنة مئة كان نحو سبعين أو ثمانين . وأما الذين  
بعدهم فإن اعتبر منها كان نحواً من خمسين<sup>(٥)</sup> .

وأما القول الآخر في تفسير القرن : فهو أنه أهل زمن مخصوص<sup>(٦)</sup> .  
فالقرن هو : الجيل أو الجماعة من الناس ، أو الأمة من الأمم ، أو الأمة البائدة ، أو  
الأمة المقترنة في مدة من الزمان ، أو القوم المجتمعون ، أو أهل عصر من الأعصار<sup>(٧)</sup> .  
وخصّص بعضهم هذا الزّمن بأن يكون فيه نبيّ ، أو طبقة من العلماء<sup>(٨)</sup> . ولم يشترطه  
البعض ، وهو الصواب<sup>(٩)</sup> .

(1) المصدر السابق .

(2) فتح الباري ( ٦ / ٧ ) .

(3) أخرجه البخاري في صحيحه برقم ( ٣٦٥٠ ) و ( ٣٦٥١ ) و ( ٦٤٢٨ ) ، ومسلم في صحيحه برقم ( ٢٥٣٥ ) ،  
وغيرهما من حديث عمران بن حُصَيْن . وبعضهم يذكر قرنين ، وبعضهم يذكر ثلاثة قرون ، وبعضهم يذكر أربعة .

(4) قال الحافظ في التقریب ( ٤٧٨ ) : عُمَرَ إلى أن مات سنة عشر ومائة على الصحيح ، وهو آخر من مات من  
الصحابة ، قاله مسلم وغيره . اهـ . وينظر : فتح الباري ( ٥ / ٧ ) .

(5) ينظر : فتح الباري ( ٦ / ٧ ) .

(6) ينظر : تاج العروس ( ٣٠٥ / ٩ ) .

(7) ينظر : معاني القرآن للنحاس ( ٤٠٠ / ٢ ) ، زاد المسير ( ٥ / ٣ ) ، فتح القدير ( ١٤٢ / ٢ ) ، فتح البيان للفتوح  
( ١٠٣ ، ١٠٤ / ٤ ) ، والتحرير والتنوير ( ١٣٧ / ٧ ) .

(8) ذكره الزجاج في معاني القرآن ( ٢٥١ / ٢ ) . وينظر : أنوار التنزيل للبيضاوي ( ٢٩٥ / ١ ) ، وحاشية الشهاب عليه  
( ٢١ / ٤ ) .

(9) ينظر : تفسير القرآن للسمعاني ( ٨٨ / ٢ ) .

وقال بهذا القول في تفسير القرن أبو مالك<sup>(١)</sup> .

ورجّحه ابن جرير الطبري، والزجاج، والنحاس، والواحدي، والسمعاني، والزخشي، والقرطبي، وابن كثير، وابن حجر، والشوكاني، والقاسمي، والسيد محمد رشيد رضا<sup>(٢)</sup> .

قال السيد رضا : « وهذا أقرب إلى استعمال القرآن ، فالظاهر أن قوم نوح قرن وإن امتد زمنه فيهم زهاء ألف سنة ، وقوم عاد قرن ، وقوم صالح قرن . » اهـ .

وهذا القول هو الراجح في تفسير القرن في الآية الكريمة، ويدلّ على رجحانه ما يلي :

١- حديث : (خيركم قرني) . وقد مرّ آنفاً مع بيان واقعه التفسيري .

٢- وكثرة الاستعمال القرآني للقرن بهذا المعنى مفرداً وجمعاً<sup>(٣)</sup> . ففي سورة الفرقان بعد

أن ذكر الله قوم فرعون وقوم نوح وعاداً وثمود وأصحاب الرس قال عز وجل : ﴿ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣٨] أي: أمماً وأقواماً وأجيالاً .

٣- ويدلّ له الاشتقاق اللغوي للقرن ؛ فإنه مأخوذ من الاقتران ، وهو الاجتماع .

قال الراغب : « الاقتران كالازدواج في كونه اجتماع شيئين ، أو أشياء في معنى من

المعاني ، قال تعالى : ﴿ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴾ [الزخرف: ٥٣] . يقال : قرنت البعير بالبعير : جمعت بينهما ، ويسمى الحبل الذي يُشدُّ به قرناً ... والقرن : القوم المقترنون في زمن واحد ، وجمعه قرون «<sup>(٤)</sup> .

وقال القرطبي : « مأخوذ من الاقتران ، أي : عَالَمٌ مُقْتَرِنٌ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، وفي

الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( خير الناس قرني — يعني أصحابي — ثم الذين يلوهم ، ثم الذين يلوهم ) . وقال الشاعر :

(1) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢٦٣) برقم (٧١٠٩) من طريق أسباط ، عن السدي ، عنه .

(2) ينظر: جامع البيان (٩/ ١٥٦) ، ومعاني القرآن (٢/ ٢٥١) ، ومعاني القرآن (٢/ ٤٠٠) ، والوجيز (١/ ٣٤٥) والوسيط (٢/ ٢٥٣) ، وتفسير القرآن (٢/ ٨٨) ، والكشاف (٢/ ٣٢٤) ، والجامع لأحكام القرآن (٨/ ٣٢٤) ، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ١٠) ، وفتح الباري (٧/ ٥) ، وفتح القدير (٢/ ١٤٢) ، ومحاسن التأويل (٦/ ٢٢٤٥) ، وتفسير القرآن الحكيم ، المشهور بالمنار (٧/ ٢٦٣) .

(3) ينظر: تفسير القرآن الحكيم (٧/ ٢٦٣) . وينظر للوقوف على جملة من الآيات بهذا المعنى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ص (٥٤٣) .

(4) مفردات ألفاظ القرآن (٦٦٧) مادة (قرن) .

إذا ذهبَ القرنُ الذي كنتَ فيهِمُ      وخُلِّفَتَ في قرْنٍ فأنتَ غريبٌ  
فالقرن : كُلُّ عَالَمٍ في عصره <sup>(١)</sup> .

٤- ومما يَرَجِّحه كذلك : عدم احتياجه إلى تقدير ، والله أعلم .

وأما التفسير الأول للقرن فهو مرجوح ؛ لما يلي :

- لأنه ليس له ضابط يضبطه ، فكثير الاختلاف فيه .

- ولأنه يحتاج إلى تقدير ، وما لا يحتاج إلى تقدير أولى مما احتاج إلى تقدير .

وبعد، فإذا كان ذلك كذلك فإن ما رجَّحه ابن جُزَيِّ في تفسير القرن ليس بصواب بل

هو قول مرجوح من جهتين :

الأولى : أنه اندرج في القول المرجوح في تفسير القرن .

والأخرى : أنه ليس هو الأوَّلَى في نفس القول المندرج فيه ، والله تعالى أعلم .

(1) الجامع لأحكام القرآن (٨ / ٣٢٤) . والشاعر هو: أبو محمد التيمي ، عبد الله بن أيوب ، من شعراء الدولة العباسية كما في الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني (٢٠ / ٥٤) ، وفي الحماسة البصرية (٢ / ٤٧) نسب له أو للحسن بن عمرو الإباضي ، ونسبه ابن قتيبة في عيون الأخبار (٢ / ٣٤٧) للحجاج بن يوسف التيمي وهو فيه: إذا ما انقضى القرن الذي أنت منهم ... والبيت في الصحاح للجوهري (٦ / ٢١٨٠) غير منسوب .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ ﴾

٤- المراد بالأمر المقضي في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « قال ابن عباس : المعنى : لو أنزلنا ملكاً فكفروا بعد ذلك لعجل لهم العذاب . ففي الكلام على هذا حذف ، وقضي الأمر على هذا : تعجيل أخذهم . وقيل : المعنى : لو أنزلنا ملكاً ماتوا من هَوْلِ رؤيته . فقضي الأمر على هذا : موتهم »<sup>(١)</sup>.

### العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ أن المراد بالأمر المقضي هنا هو: تعجيل أخذهم ، وحكاة عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>، وقال به قتادة<sup>(٣)</sup>، والحسن<sup>(٤)</sup>، والسدي<sup>(٥)</sup>. ووافق جماعة من المفسرين منهم : الطبري، وابن أبي زَمَنِين، والبغوي، والبيضاوي، وابن القيم، وابن كثير، والسيوطي، والشوكاني، والقنوجي، والقاسمي، والسعدي، والطاهر ابن عاشور، والشنقيطي<sup>(٦)</sup>. ويشهد له أن الملائكة لا تنزل إلا بوحي أو عذاب ، ويدل على ذلك قوله تعالى :

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤) .

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢٦٥) (٧١٢٣) من طريق بشر بن عمار، عن أبي رَوْق، عن الضحاك، عنه بلفظ : لأهلكناهم .

(3) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٠٤) عن معمر ، عنه . ومن طريقه الطبري في جامع البيان (٩/ ١٦١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢٦٥) (٧١٢٥) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٥١) نسبه لعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(4) نسبه له الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٩٥) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٣٢٧) .

(5) أخرجه الطبري (٩/ ١٦٠) من طريق أحمد بن المفضل ، عن أسباط ، عنه . وعلقه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢٦٥) .

(6) ينظر: جامع البيان (٩/ ١٦٠) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ٦٠) ، ومعالم التنزيل (٢/ ٩) ونسبه لقتادة، وأنوار التنزيل (١/ ٢٩٥) ، وبدائع التفسير (٢/ ١٤١) ، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ١١ - ١٢) ، وتفسير الجلالين(الفتوحات ١/ ٣٣٨) ، وفتح القدير (٢/ ١٤٣) ، وفتح البيان (٤/ ١٠٧) ، ومحاسن التأويل (٦/ ٢٢٤٧) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ٨) ، والتحرير والتنوير (٧/ ١٤٣) ، وأضواء البيان (٢/ ١٨٤) .

﴿ مَا نُنزِلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنظَرِينَ ﴾ [الحجر: ٨] . والحق ها هنا هو العذاب<sup>(١)</sup> .  
 ويؤيده كذلك قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الفرقان: ٢٢] .  
 وأما القول الثاني - وهو أن المراد بالأمر المقضي في الآية هو موتهم - فرؤي أيضاً عن  
 ابن عباس<sup>(٢)</sup> ، وقال به الضحاك<sup>(٣)</sup> .

ورجحه ابن عطية، والنسفي، والثعالبي، وأبو السعود، والآلوسي<sup>(٤)</sup> .  
 ويشهد له قوله تعالى بعد ذلك : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا ﴾ [الأنعام: ٩] .  
 ووجه الاستشهاد : أن أهل التأويل مجتمعون على أن ذلك لأهم لم يكونوا يطبقون  
 رؤية الملك في صورته<sup>(٥)</sup> .

ويؤيد هذا المعنى : الحديثُ الواردُ عن الرجلين اللذين صعدا على الجبل يومَ بدرٍ ليريا  
 ما يكون في حربِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم للمشركين ، فسمعا حسَّ الملائكة وقائلاً يقول  
 في السحاب : أقدم حَيَوم<sup>(٦)</sup> ، فانكشف قناعُ قلب أحدهما فمات لهول ذلك . فكيف برؤية  
 مَلَكٍ في خلقته!<sup>(٧)</sup>

- (1) ينظر: بدائع التفسير لابن القيم (٢ / ١٤١) ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦ / ١٢) ، وأضواء البيان للشنقيطي (٢ / ١٨٤) .
- (2) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ١٦١) من طريق بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عنه بلفظ: لماتوا . وينظر: تفسير ابن أبي حاتم (٤ / ١٢٦٥) (٧١٢٢) .
- (3) نسبه له البغوي في معالم التنزيل (٢ / ٩) .
- (4) ينظر: المحرر الوجيز (٥ / ١٣٢) ، ومدارك التنزيل (٢ / ٤) ، والجواهر الحسان (١ / ٤٦٩) ، وإرشاد العقل السليم (٢ / ١٢٦) ، وروح المعاني (٧ / ٩٧) .
- (5) ينظر: المحرر الوجيز (٥ / ١٣٢) ، و البحر المحيط (٤ / ٧٨) ، والجواهر الحسان (١ / ٤٦٩) .
- (6) حَيَومٌ : ورد في الحديث أنه فرس جبريل عليه السلام . وقال الجوهرى : اسم فرس من خيل الملائكة . ينظر: اللسان (حزم) ، الصحاح (حزم) .
- (7) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز (٥ / ١٣٢) ، والثعالبي في الجواهر الحسان (١ / ٤٦٩) بهذا اللفظ . وأخرجه الواقدي في المغازي (١ / ٨٤) ، وابن هشام في السيرة النبوية (٣ / ١٨١) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٦ / ٢٢٢) ، والبيهقي في الدلائل (٣ / ٥٢) بنحوه . وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (٢ / ٣٥٩) برقم (٢٨٦٠) دون آخره . وأخرجه عبد بن حميد - كما في المنتخب (١ / ٤١) ، ومسلم في صحيحه (٣ / ١٣٨٤) برقم (١٧٦٣) ، وابن حبان (الإحسان ١١ / ١١٥) برقم (٤٧٩٣) من طريق أبي زميل ، عن ابن عباس دون آخره .

ويُرد على هذا القول قوله تعالى في آخر الآية نفسها: ﴿ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ﴾ ؛ لأنه يدل على إهلاكهم لا على هلاكهم برؤية الملك إلا بتكلف<sup>(١)</sup>.

كما أنه لا يلزم من رؤيتهم للملك أن يموتوا .

قال الطاهر بن عاشور : « وليس بلازم ؛ لأنهم لم يسألوا ذلك ، ولا يتوقف تحقق ملكيته عندهم على رؤية صورة خارقة للعادة بل يكفي أن يروه نازلا من السماء - مثلا - حتى يصاحب النبي صلى الله عليه وسلم حين يدعوهم إلى الإسلام كما يدل عليه قوله الآتي: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾ <sup>(٢)</sup> . اهـ .

وبعد، فإذا كان ذلك كذلك فإن ما ذهب إليه ابن جزي هو الراجح ؛

- لجرّيان عادة الله وسنته فيمن طلب الآيات المقترحة فلم يؤمن بها أن يعجل لهم العذاب<sup>(٣)</sup> .

- ولأنه حكم بأن الملائكة لا تنزل عليهم إلا بذلك كما بينه بقوله : ﴿مَا نُنزِلُ

الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ ، وقوله : ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ ، والله تعالى أعلم .

(1) ينظر: محاسن التأويل للقاسمي (٦/ ٢٢٤٩) .

(2) التحرير والتنوير (٧/ ١٤٤) .

(3) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/ ٣٢٧) ، وفتح البيان (٤/ ١٠٧) ، وتيسير الكريم الرحمان (٢/ ٨) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٢)

﴿ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٢)

في هذه الآية الكريمة ثلاث مسائل :

المسألة الأولى هي :

٥- الخلاف في المحل الإعرابي لقوله تعالى : ﴿ لِيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾

هل هي جملة مستأنفة ؟ أم جملة تفسيرية للرحمة ؟

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « ﴿ لِيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾ : مقطوعٌ مما قبله ، وهو جوابٌ لقسمٍ محذوف . وقيل : هو تفسير الرحمة المذكورة ، تقديره : أن يجمعكم . وهذا ضعيف ؛ لدخول النون الثقيلة في غير موضعها ، فإنها لا تدخل إلا في القسم أو في غير الواجب » (١) .

العرض والمناقشة :

حكى ابن جزي خلاف المفسرين في الموقع الإعرابي لجملة ﴿ لِيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾ على قولين اثنين ، ورجح أنها استئنافية . وعليه تكون ﴿ الرَّحْمَةُ ﴾ غاية كلام ، ثم استأنف بعدها فقال : ﴿ لِيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾ فالجملة استئنافية ، واللام لام القسم ، والنون نون التأكيد ، ومعناه : والله ليجمعنكم . وعليه ابن جرير الطبري ، والبغوي ، والسمعاني ، وابن عطية ، والقرطبي ، وابن الجوزي ، والبيضاوي ، وأبو حيان ، والثعالبي ، وأبو السعود ، والقاسمي ، والشوكاني (٢) . ومن المعربين : ابن هشام ، والدرويش (٣) . وجوزة الفراء ، والنحاس (٤) .

(1) التسهيل ( ٤ / ٢ ) .

(2) ينظر: جامع البيان (٩ / ١٧٢) ، ومعالم التنزيل (٢ / ١١) ، وتفسير القرآن (٢ / ٩١) ، والمحرم الوجيز (٥ / ١٣٧ ، ١٣٩) ، والجامع لأحكام القرآن (٨ / ٣٣٠) ، وزاد المسير (٣ / ٩) ، وأنوار التنزيل (١ / ٢٩٦) ، والبحر المحيط (٤ / ٨٢) ، والجواهر الحسان (١ / ٤٧٠) ، وإرشاد العقل السليم (٢ / ١٢٩) ، ومحاسن التأويل (٦ / ٢٢٥٥) ، وفتح القدير (٢ / ١٤٦) .

(3) ينظر: المغني (٢ / ٤٠٧) ، وإعراب القرآن وبيانه (٣ / ٧٥) .

(4) ينظر: معاني القرآن (١ / ٣٢٨) ، ومعاني القرآن الكريم (٢ / ٤٠٤) .

ويدلُّ له : أن قوله ﴿ كُنَّب ﴾ لا يتعدَّى إلى اثنين ، وقد عمل في ﴿ الرَّحْمَةِ ﴾ فغير جائز أن يعمل في ﴿ لِيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾<sup>(١)</sup> .

ضعف ابن جزيّ القول بأن جملة ﴿ لِيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾ تفسيرية لقوله ﴿ الرَّحْمَةِ ﴾ بأن نون التوكيد الثقيلة دخلت في غير موضعها ، فإنها لا تدخل إلا في القسم أو في غير الواجب<sup>(٢)</sup> .

وجوزّه الفراء، والنحاس<sup>(٣)</sup> .

وذكر هذا القول ابن جرير الطبري، والزجاج، والعكبري، وأبوحيان، والآلوسي، والقاسمي<sup>(٤)</sup> .

وذكره القرطبي، والبيضاوي، والشوكاني بصيغة (قيل)<sup>(٥)</sup> .

واستدل له بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِنَا لِيَسْجُنُتَهُ ﴾ [يوسف: ٣٥] . والمعنى : أن يسجنوه .

وردَّ هذا بأن النون الثقيلة تكون قد دخلت في غير موضعها . ولو قيل : صورة الجملة صورة المقسم عليه فلذلك لحقت النون ، وإن كان المعنى على خلاف القسم ، لكان جوابه المبطل له : أن الجملة المقسم عليها لا موضع لها وحدها من الإعراب . فإذا قلت : والله لأضربن زيداً ، فلاضربنه ، لا موضع له من الإعراب . فإذا قلت : زيد والله لأضربنه ، كانت جملة القسم والمقسم عليه في موضع رفع<sup>(٦)</sup> .

(1) ينظر: جامع البيان ( ١٧٢ / ٩ ) .

(2) تابع في ذلك ابن عطية . ينظر: المحرر الوجيز ( ١٣٨ / ٥ ) . وعلق أبو حيان على كلام ابن عطية هذا فقال : وهذا الذي ذكره لا يحصر مواضع دخول نون التوكيد ، ألا ترى دخولها في الشرط ... وكذلك قوله : (وباختصاص من الواجب في القسم) ليس على إطلاقه ، بل له شروط ذكرت في علم النحو . ينظر: البحر المحيط ( ٨٢ / ٤ ) .

(3) ينظر: معاني القرآن ( ١ / ٣٢٨ ) ، ومعاني القرآن الكريم ( ٢ / ٤٠٤ ) .

(4) ينظر: جامع البيان ( ٩ / ١٧١ ) ، ومعاني القرآن ( ٢ / ٢٥٥ ) ، والتبيان ( ١ / ٤٨٣ ) ، والبحر المحيط ( ٤ / ٨٢ ) ، وروح المعاني ( ٣ / ١٠٥ ) ، ومحاسن التأويل ( ٦ / ٢٢٥٥ ) .

(5) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ( ٨ / ٣٣٠ ) ، وأنوار التنزيل ( ٢ / ٢٩٦ ) ، وفتح القدير ( ٢ / ١٤٦ ) .

(6) ينظر: المحرر الوجيز ( ٥ / ١٣٨ ) ، والبحر المحيط ( ٤ / ٨٢ ) .

كما استُدلَّ له بقوله تعالى : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ ﴾ [الأنعام: ٥٤] بفتح "أن" على أنها تفسير للرحمة .

وأجيب عن هذه الآية بأن "أن" بيان عن ﴿ الرَّحْمَةَ ﴾ وترجمة عنها ؛ لأن معنى الكلام: كتب على نفسه الرحمة أن يرحم من تاب من عباده بعد اقراره بالسوء بجهالة ويعفو، و ﴿ الرَّحْمَةَ ﴾ يترجم عنها ويبين معناها بصفاتها ، وليس من صفة الرحمة ﴿ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ ، فيكون مبيِّناً به عنها<sup>(١)</sup> .

وبعد، فإذا تقرر ذلك فإن ما ذهب إليه ابن جُزَيِّ هو الراجح ، والله تعالى أعلم .

(1) ينظر: جامع البيان للطبري (٩/ ١٧٢ - ١٧٣) .

### المسألة الثانية هي :

#### ٦- معنى ﴿إِلَى﴾ في قوله تعالى : ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « قيل : هنا ﴿إِلَى﴾ بمعنى (في) ، وهو ضعيف .  
والصحيح أنها للغاية على ما بها »<sup>(١)</sup>.

#### العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيِّ أن ﴿إِلَى﴾ في الآية الكريمة بمعنى الغاية ، أي : ليجمعنكم منتهين إلى ذلك اليوم . وذهب إليه ابن جرير الطبري، والواحدي، وابن عطية، وأبوحيان، وابن كثير، والسمين الحلبي، وأبوالسعود، وسليمان الجمل، والسيد محمد رشيد رضا، والطاهر بن عاشور، ومحي الدين الدرويش<sup>(٢)</sup> .

ويدل لهذا القول أن إفادة ﴿إِلَى﴾ معنى الغاية هو الأصل ، فإبقاؤها على معناها الأصلي أولى ، وهذا المعنى هو أكثر استعمالاتها<sup>(٣)</sup> . كما أن العدول بها إلى معنى الظرفية خلاف الظاهر . ويشهد لهذا النظائر القرآنية ؛

كقوله تعالى : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [النساء: ٨٧].

وقوله : ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ﴾ [الجنات: ٢٦].

وقوله : ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ [الواقعة].

والجمع بمعنى الحشر ، ويتعديان بـ إلى ، يقال : جمعهم إليه وحشرهم إليه ، وجمع الناس إلى يوم القيامة معناه : حشرهم إلى موقفه أو حسابه<sup>(٤)</sup> . وقد يُضمَّن الجمع معنى

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤) .

(٢) ينظر: جامع البيان (٩/ ١٧٣) ، والوجيز (١/ ٣٤٦) ، والمحزر الوجيز (٥/ ١٣٩) ، والبحر المحيط (٤/ ٨٢) ، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ١٤) ، والدر المصون (٤/ ٥٥٠) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٢٩) ، والفتوحات الإلهية (٢/ ٣٤٢) ، وتفسير القرآن الحكيم (٧/ ٢٨١) ، والتحرير والتنوير (٧/ ١٥٣) ، وإعراب القرآن الكريم وبيانه (٣/ ٧٦) .

(٣) ينظر: النحو الوافي لعباس حسن (٢/ ٤٣٣) .

(٤) ينظر: تفسير القرآن الحكيم للسيد رضا (٧/ ٢٨١) .

السَّوْقُ فَيَعْدَى بِـ إِلَى<sup>(١)</sup>.

ويشارك ﴿إِلَى﴾ في هذا المعنى - أي : إفادتها معنى الغاية - اللام<sup>(٢)</sup>، ولذا فقد ورد الاستعمال القرآني لـ اللام بهذا المعنى المشارك لـ إلى في :

قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ [آل عمران: ٩].

وقوله تعالى : ﴿فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ [آل عمران: ٢٥].

وقوله تعالى : ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ﴾ [هود: ١٠٣].

وقوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ [التغابن: ٩].

وأما القول بأن ﴿إِلَى﴾ هنا بمعنى "في" فهو قولٌ ضعيفٌ ، وضعفه ابن جُزَيِّ ، واستبعده أبوحيان ، وضعفه السيد رشيد رضا<sup>(٣)</sup> . وذكره القرطبي ، والسمين ، وأبوالسعود بصيغة (قيل)<sup>(٤)</sup>.

واختاره البغوي، والبيضاوي<sup>(٥)</sup>. ومال إليه الآلوسي<sup>(٦)</sup>.

وذهب القائلون بأن "إلى" بمعنى "في" إلى ما ذكره النحاة<sup>(٧)</sup> .

ودليلهم قول الشاعر:

فلا تترُكني بالوعيد كأنني إلى الناس مطليُّ به القارُّ أجرب<sup>(٨)</sup>

قال ابن مالك : « ويمكن أن يكون منه ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾<sup>(٩)</sup> .

ومنعَه ابنُ هشام بأن "إلى" في البيت متعلقة بمحذوف ، أي : مطليُّ بالقار مضافاً إلى

الناس ، فحذف وقلب الكلام . ونقل عن ابن عصفور أنه على تضمين مطليُّ معنى مُبَعَّض .

(1) ينظر: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١٥٣) .

(2) ينظر: النحو الوافي (٢/ ٤٣٣ ، ٤٣٧) .

(3) ينظر: البحر المحيط (٤/ ٨٢) ، وتفسير القرآن الحكيم (٧/ ٢٨١) .

(4) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٣٣٠) ، والدر المصون (٤/ ٥٥٠) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٢٩) .

(5) ينظر: معالم التنزيل (٢/ ١١) ، وأنوار التنزيل (١/ ٢٩٦) .

(6) ينظر: روح المعاني (٧/ ١٠٦) .

(7) كما قرره الشهاب في حاشيته على تفسير البيضاوي (٤/ ٢٩) . وينظر: النحو الوافي لعباس حسن (٢/ ٤٣٥) .

(8) ينظر: المصدر السابق ، وروح المعاني (٧/ ١٠٦) .

(9) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب لابن هشام (١/ ٨٩) .

وقال ابن هشام : « ولو صحَّ مجيءُ إلَيَّ . بمعنى (في) لجاز " زيد إلى الكوفة " »<sup>(١)</sup> .  
بمعنى : فيها .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن ما ذهب إليه ابن جُزَيٍّ ومن وافقه هو الراجح ؛ لأن حملها على المعنى الغالب من استعمال القرآن أولى من حملها على معنى مهمل لم يستعمله القرآن ولا في موضع واحد من المواضع التي ذكر فيها الجمع ويوم القيامة ، والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر: المصدر السابق .

## ٧- الخلاف في إعراب ﴿الَّذِينَ﴾ من قوله تعالى :

### ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « ﴿الَّذِينَ﴾ مبتدأ وخبره : ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ، ودخلت الفاء لما في الكلام [من] <sup>(١)</sup> معنى الشرط . قاله الزجاج ، وهو حسن . وقال الزمخشري : ﴿الَّذِينَ﴾ نصب على الذمّ أو رفع بخبر ابتداء مضمّر . وقيل : هو بدل من الضمير في ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ ، وهو ضعيف . وقيل : منادى ، وهو باطل <sup>(٢)</sup> .

### العرض والمناقشة :

حاصل ما ذكره ابن جُزَيِّ في إعراب ﴿الَّذِينَ﴾ خمسة أقوال ، رجّح الأول منها وهو : أن ﴿الَّذِينَ﴾ في موضع رفع مبتدأ ، وجملة ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ خبره . ونسبه للزجاج <sup>(٣)</sup> ، وهو كذلك ، وحسنه متابعا وموافقا لابن عطية <sup>(٤)</sup> . ووافقهم النحاس وقال : هو أجودها <sup>(٥)</sup> ، وتبعه القرطبي <sup>(٦)</sup> . ووافقهم على ترجيحه مكّي <sup>(٧)</sup> ، والعكبري <sup>(٨)</sup> . وعليه الواحدي ، والثعالبي ، والسيوطي <sup>(٩)</sup> . ومال إليه الشوكاني <sup>(١٠)</sup> . وجوزّه الدرويش <sup>(١١)</sup> .

وصدّره الألوسي ، والطاهر بن عاشور <sup>(١٢)</sup> بصيغة (قيل) .

(1) وقع في المطبوع ( في ) وهو تصحيح ، والصواب ما أثبتته كما في جميع نسخ الكتاب الخطية .

(2) التسهيل لعلوم التنزيل ( ٢ / ٤ ) .

(3) ينظر : معاني القرآن ( ٢ / ٢٣٢ ) .

(4) ينظر : المحرر الوجيز ( ٥ / ١٤٠ ) .

(5) ينظر : إعراب القرآن ( ٢ / ٥٨ ) .

(6) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ( ٨ / ٣٣١ ) .

(7) ينظر : مشكل إعراب القرآن ( ١ / ٢٤٦-٢٤٧ ) .

(8) ينظر : التبيان في إعراب القرآن ( ١ / ٤٨٣ ) وفيه تفصيل الإعراب كالتالي : (الذين) : مبتدأ ، (فهم) : مبتدأ

ثان ، (لا يؤمنون) : خبره ، والمبتدأ الثاني وخبره [فهم لا يؤمنون] خبر المبتدأ الأول .

(9) ينظر : الوجيز ( ١ / ٣٤٦ ) ، والجواهر الحسان ( ١ / ٤٧٠ ) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات ٢ / ٣٤٢) .

(10) ينظر : فتح القدير ( ٢ / ١٤٧ ) .

(11) ينظر : إعراب القرآن الكريم وبيانه ( ٣ / ٧٦ ) .

(12) ينظر : روح المعاني ( ٧ / ١٠٦ ) ، والتحرير والتنوير ( ٧ / ١٥٤ ) .

وأشكِل عليه دخولُ الفاءِ في الخبرِ ، وجهور النحاة لا يوافقون الزجاجَ على ذلك .  
 ووجه دخول الفاء : أن المبتدأَ تضمَّن معنى الشرط ، وتقديره : مَنْ خسر نفسه فهو  
 لا يؤمن <sup>(١)</sup> . وتقول : الذي يكرمني فله درهم <sup>(٢)</sup> .

فالفاء تتضمن معنى الشرط والجزاء على نحو قوله تعالى : ﴿ وَالَّتِي يَأْتِيكَ الْفَحِشَةُ  
 مِنْ نِسَائِكَ فَأَسْتَسْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ ﴾ [النساء: ١٥] .  
 وأشرب الموصول معنى الشرط ليفيد شموله كلِّ من اتصف بمضمون الصلة ، ويفيد  
 تعليق حصول مضمون جملة الخبر المتزلَّ متزلة جواب الشرط على حصول مضمون الصلة  
 المتزلة متزلة جملة الشرط ، يفيد أن ذلك مستمر الارتباط والتعليل في جميع أزمنة المستقبل  
 التي يتحقق فيها معنى الصلة <sup>(٣)</sup> .

فالفاء للدلالة على أن عدمَ إيمانهم وإصرارهم على الكفر مسبَّب عن خسراهم <sup>(٤)</sup> .  
 وأما القول الثاني فهو قول الزمخشري ، أعرب ﴿ الَّذِينَ ﴾ بالنصب على الذمِّ ،  
 وقدّر العامل " أريد " .  
 والقول الثالث هو قول الزمخشري أيضًا ، أعربها بالرفع على الخبر لمبتدأ محذوف قدره  
 "أنتم" .

وسوّى بينهما الزمخشري <sup>(٥)</sup> ، وتبعه البيضاوي <sup>(٦)</sup> . ورجَّح الأول الدرويش <sup>(٧)</sup> ، ورجَّح  
 الثاني النسفي وقال : « هو الوجه » <sup>(٨)</sup> . واختاره الطاهر بن عاشور <sup>(٩)</sup> .

- 
- (1) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٥ / ١٤٠) ، والتبيان للعكبري (١ / ٤٨٣) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٤ / ٨٣) ،  
 وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢ / ١٣٠) .
  - (2) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨ / ٣٣١) ، وفتح القدير للشوكاني (٢ / ١٤٧) .
  - (3) ينظر: التحرير والتنوير للطاهر (٧ / ١٥٤) .
  - (4) ينظر: روح المعاني للآلوسي (٧ / ١٠٦) .
  - (5) ينظر: الكشف (٢ / ٣٢٨) .
  - (6) ينظر: أنوار التنزيل (١ / ٢٩٦) فإنه سوّى بين الأقوال الثلاثة الأولى لكنه قدّم قولي الزمخشري .
  - (7) ينظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه (٣ / ٧٦) .
  - (8) ينظر: مدارك التنزيل (٢ / ٥) .
  - (9) ينظر: التحرير والتنوير (٧ / ١٥٤) .

وذكرهما الآلوسي مصدرًا لهما بـ (قيل)<sup>(١)</sup> .

ونسبهما أبوحيان للزخشي وقال: « تقديره ليس بجيد ، إنما يقدر النحاة المنصوب على الذم بـ أذم »<sup>(٢)</sup> .

وقال السمين : « وقدره الزخشي بـ (أريد) ، وليس بظاهر »<sup>(٣)</sup> .

وذكرهما أبوالسعود قائلاً : « في موضع نصب أو الرفع على الذم ، أي : أعني الذين ... الخ أو هم الذين ... الخ »<sup>(٤)</sup> .

وأورد عليه أنه نعت مقطوع<sup>(٥)</sup> ، والقطع في النعت ، والضمير لا ينعت ! وأجيب عنه : بأنه لا يلزم أن يكون كل نعت مقطوع يصح إتباعه نعتًا بل يكفي فيه معنى الوصف ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ وَيَلِّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ الَّذِي جَمَعَ مَالًا ﴾ [الهمزة: ١- ٢] كيف قطع فيه ﴿ الَّذِي ﴾ مع عدم صحة إتباعه نعتًا للنكرة ، فلا يراد أن القطع إنما يكون في النعت والضمير لا ينعت<sup>(٦)</sup> .

وأما القول الرابع فهو قول الأخفش<sup>(٧)</sup> ، أعرب ﴿ الَّذِينَ ﴾ في موضع نصب على البدل من الكاف والميم في ﴿ لِيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾ . وهذا مذهب الكوفيين<sup>(٨)</sup> ، واختيار الطبري<sup>(٩)</sup> . وزعم المبرد أن هذا القول خطأ ؛ لأنه لا يبدل من المخاطب [ بالفتح ] ولا المخاطب [ بالكسر ] ، لا يقال : « مررت بك زيد » ولا : « مررت بي زيد » ؛ لأن هذا لا يشكل فيبين<sup>(١٠)</sup> .

(1) ينظر: روح المعاني (٧/ ١٠٦) .

(2) البحر المحيط (٤/ ٨٣) .

(3) الدر المصون (٤/ ٥٥١) .

(4) إرشاد العقل السليم (٢/ ١٣٠) .

(5) نعت مقطوع للذم إما مرفوع الموضع أو منصوبه . ينظر: حاشية الشهاب (٤/ ٣٠) .

(6) ينظر: المصدر السابق ، وروح المعاني للآلوسي (٧/ ١٠٦) .

(7) ينظر: معاني القرآن (٢/ ٢٦٩) .

(8) ينظر: البحر المحيط (٤/ ٨٣) .

(9) ينظر: جامع البيان (٩/ ١٧٣) .

(10) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٥٨) ، والمحزر الوجيز لابن عطية (٥/ ١٣٩) .

وقال مكِّي : « وهو بعيد ؛ لأن المخاطب لا يبذل منه غير مخاطب لا تقول : رأيتك زيدا على البذل »<sup>(١)</sup> .

وقال العكبري : « ضمير المتكلم والمخاطب لا يبذل منهما؛ لوضوحهما غاية الوضوح، وغيرهما دونهما في ذلك »<sup>(٢)</sup> .

وقال سيويه : « لا يجوز "مررت بي المسكين"، ولا "بك المسكين" فتجعل المسكين بدلاً من الياء والكاف ؛ لأنهما في غاية الوضوح فلا يحتاجان إلى البذل والتفسير »<sup>(٣)</sup> . وهذا مذهب جمهور البصريين<sup>(٤)</sup> .

وقد ردّ ابن عطية على المبرد إنكاره فقال : « وقوله في الآية : ﴿ لِيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾ يخالف لهذا المثال ؛ لأن الفائدة في البذل مترتبة من الثاني ، وإذا قلت : ( مررت بك زيد ) فلا فائدة في الثاني . وقوله ﴿ لِيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾ يصلح لمخاطبة الناس كافة فيفيدنا ﴿ الَّذِينَ ﴾ من الضمير أنهم هم المختصون بالخطاب هنا ، وخصوا على جهة الوعيد ، ويتضح فيها الوعيد إذ جعلنا (اللام) للقسم وهو القول الصحيح ، ويجيء هذا بدل البعض من الكل »<sup>(٥)</sup> . اهـ .

وهذا يتضح الردُّ على الزجاج في ردّه على الأخفش بأن قوله : ﴿ لِيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾ مشتمل على سائر الخلق ، على الذين خسروا أنفسهم وغيرهم<sup>(٦)</sup> .

وتعقبه أبوحيان بأنه إذا جعلنا ﴿ لِيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾ يصلح لمخاطبة الناس كافة كان ﴿ الَّذِينَ ﴾ بدل بعض من كل ، ويحتاج إذ ذاك إلى ضمير ويقدر : " الذين خسروا أنفسهم منهم " . وعلى تقرير ابن عطية يقتضي أن يكون بدل كل من كل فتناقض ؛ لأنه من حيث الصلاحية يكون بدل بعض من كل ، ومن حيث اختصاص الخطاب بهم يكون

(1) مشكل إعراب القرآن (١/ ٢٤٧) .

(2) التبيان (١/ ٤٨٣) .

(3) ينظر: الكتاب لسبويه (٢/ ٧٥-٧٧) ، مدارك التنزيل للنسفي (٢/ ٥) ، مغني اللبيب لابن هشام (٢/ ٥٢٨) .

(4) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان (٤/ ٨٣) .

(5) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ١٣٩) .

(6) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢/ ٢٣٢) .

بدل كل من كل<sup>(١)</sup>.

وبيّن السّمين بُعْدَهُ عن التناقض فقال : « بدل البعض من الكل من جملة المخصّصات كالتخصّص بالصفة والغاية والشرط ، نصّ أهل العلم على ذلك ، فإذا تقرر هذا فالمبدل فيه بالنسبة إلى اللفظ في الظاهر عام ، وفي المعنى ليس المراد به إلا ما أَرادَه المتكلم ، فإذا ورد : اقتلوا المشركين بني فلان - مثلاً - فالمشركون صالح لكل مشرك من حيث اللفظ ، ولكن المراد به بنو فلان ، فالعموم في اللفظ والخصوص في المعنى ، فكذا قول أبي محمد [ابن عطية]: يصلح لمخاطبة الناس ، معناه : أنه يعمهم لفظاً. وقوله: ( فيفيدنا إبدال الضمير... الخ ) هذا هو المخصّص ، فلا يجيء تناقض البتّة ، وهذا مقرر في علم أصول الفقه»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

ويقول ابن جرير الطبري : « وموضع ﴿الَّذِينَ﴾ نصب على الرد على الكاف والميم في قوله : ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ على وجه البيان عنها، وذلك أن الذين خسروا أنفسهم هم الذين خوطبوا بقوله : ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ »<sup>(٣)</sup>.

وأما القول الخامس - وهو إعراب ﴿الَّذِينَ﴾ منادى ، وحرف النداء مقدر - فقد ذكره النحاس، وابن عطية، والقرطبي، والشوكاني<sup>(٤)</sup> جميعاً بصيغة (قيل) . وأبطله ابن جُزَيّ ، وأفسده ابن عطية بأن حرف النداء لا يسقط مع المبهمات<sup>(٥)</sup> . والاسم الموصول اسم مبهم .

وبعد، فإذا تقرر هذا وكان ذلك كذلك فإن الأعراب الثلاثة الأولى صحيحة مقبولة، والرابع هو مذهب الكوفيين ولا يقبله البصريون ، وأما الأخير فهو كما حكم عليه ابن جُزَيّ وابن عطية ، والله تعالى أعلم .

(1) ينظر: البحر المحيط (٤/ ٨٣) .

(2) ينظر: الدر المصون (٤/ ٥٥٢) .

(3) جامع البيان (٩/ ١٧٣ - ١٧٤) .

(4) ينظر: إعراب القرآن (٢/ ٥٨) ، والمحرر الوجيز (٥/ ١٣٩) ، والجامع لأحكام القرآن (٨/ ٣٣١) ، وفتح القدير (٢/ ١٤٧) .

(5) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ١٣٩) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١٣)

### ٨- الخلاف في اشتقاق كلمة ﴿سَكَنَ﴾ ومعناها.

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله : « ومعنى : ﴿سَكَنَ﴾ حَلَّ ، فهو من السكنى . وقيل : هو من السكون . وهو ضعيف ؛ لأن الأشياء منها ساكنة ومتحركة فلا يُعَمُّ ، والمقصود عموم ملكه تعالى لكل شيء »<sup>(١)</sup>.

#### العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ أن معنى ﴿سَكَنَ﴾ : حَلَّ ، واشتقاقها من السُّكْنَى . وهذا قول ابن الأعرابي<sup>(٢)</sup> . ووافق الواحدي، والزمخشري، والسيوطي<sup>(٣)</sup> . وقدمه أبو حيان<sup>(٤)</sup> . وجعله الراغب من الاستيطان<sup>(٥)</sup> .

ونظيره قوله تعالى : ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤٥] بدليل تعديته بـ في<sup>(٦)</sup> .

ووافق ابن جُزَيِّ في الاشتقاق ما ذهب إليه ابن عطية ، وخالفه في المعنى<sup>(٧)</sup> . فإن ابن عطية يرى أن ﴿سَكَنَ﴾ من السُّكْنَى بمعنى : ثبت وتقرر ، ونسبه للسدي وسيأتي . وأما القول بأن اشتقاق ﴿سَكَنَ﴾ من السكون ، الذي هو ضدُّ الحركة ، فهو اختيار ابن جرير الطبري حيث قال : لا شيء من خلق الله إلا وهو ساكن في الليل والنهار<sup>(٨)</sup> .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٤/٢) .

(2) ينظر: زاد المسير (٣/ ١٠) ، واللسان (١٣/ ٢١١) مادة (سكن) .

(3) ينظر: الوجيز (١/ ١٤١) ، والكشاف (٢/ ٣٢٨) وفيه ذكر الاشتقاق من السُّكْنَى فقط، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢/ ٣٤٢) .

(4) ينظر: البحر المحيط (٤/ ٨٣) .

(5) ينظر: المفردات (٤١٧) مادة (سكن) .

(6) ينظر: الكشاف للزمخشري (٢/ ٣٢٨) ، وأنوار التنزيل للبيضاوي (١/ ٢٩٦) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٤/ ٨٣) .

(7) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ١٤١) . وتبعه الثعالبي في الجواهر الحسان (١/ ٤٧٠) .

(8) جامع البيان (٩/ ١٧٤) .

وبناه على قول السدي في تفسير ﴿سَكَنَ﴾ بأنه ما استقرّ في الليل والنهار<sup>(١)</sup>، وفهم منه أن ﴿سَكَنَ﴾ من السكون كما هو ظاهر كلامه.

وهذا قول مقاتل<sup>(٢)</sup>. واختاره الزجاج، والنحاس، والماوردي، والسمعاني، والبغوي، ومحمود النيسابوري، والشوكاني، والطاهر بن عاشور<sup>(٣)</sup>.

قال الطاهر: «وهو من أسباب الاختفاء؛ لأن المختفي يسكن ولا ينتشر، والأحسن عندي: أن يكون هنا كناية عن الخفاء مع إرادة المعنى الصريح. ووجه كونه كناية: أن الكلام مسوق للتذكير بعلم الله تعالى وأنه لا يخفى عليه شيء من أعمالكم ومحاسبكم عليها يوم يجمعكم إلى يوم القيامة، فهو كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ — إِلَىٰ أَنْ قَالَ: — وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ﴾ [الرعد: ٨ - ١٠]. فالذي سكن بالليل والنهار بعض ما في السماوات والأرض». اهـ.

وضعف ابن جزيّ هذا القول وأعله بأن الأشياء منها ساكن ومنها متحرك، ومقصد الآية الكريمة بيان عموم ملك الله عزّ وجلّ لكل شيء، وحملها على هذا المعنى ينافي العموم<sup>(٤)</sup>.

وأجيب بأن المراد ما سكن وما تحرك فحذف لعلم السامع<sup>(٥)</sup>؛ كقوله تعالى:

﴿وَجَعَلَ لَكُم سُرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] أي: والبرد.

وقيل: إن ما يعمّه السكون أكثر مما تعمّه الحركة، لذا خصّ الساكن بالذكر<sup>(٦)</sup>.

ويدلّ لهذا القول اللغة، فإن السكون ثبوت الشيء بعد تحرك. يقال: سكن الشيء

(1) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ١٧٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢٦٩) برقم (٧١٤٦) كلاهما من

طريق أحمد بن مفضل، عن أسباط عنه. وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٥٥) نسبتة إلى أبي الشيخ.

(2) ينظر: تفسير مقاتل (١/ ٥٥٢).

(3) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٣٢) وعبارته: استقر، ومعاني القرآن الكريم (٢/ ٤٠٥) وعبارته: ثبت،

والنكت والعيون (٢/ ٩٧)، وتفسير القرآن (٢/ ٩١)، ومعالم التنزيل (٢/ ١١)، وإيجاز البيان (١/ ٢٣٨)،

وفتح القدير (٢/ ١٤٧)، والتحرير والتنوير (٧/ ١٥٥).

(4) تابع ابن جزيّ في هذا ابن عطية. ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ١٤١).

(5) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/ ٣٣٢).

(6) ينظر: النكت والعيون للماوردي (٢/ ٩٧)، والمصدر السابق.

يسكن سكونًا : إذا ذهب حركته . وسكن : هداً بعد تحرك . وسكن سكونًا : قرء<sup>(١)</sup> .

ومنه بهذا المعنى قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾ [يونس: ٦٧] . ولذا جعل الله الليل سكونًا كما قال : ﴿ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا ﴾<sup>(٢)</sup> [الأنعام: ٩٦] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أظهر القولين هو القول بأن اشتقاق ﴿ سَكَنَ ﴾ من السكون، خلاف الحركة ، بمعنى : الثبات والقرار والاستقرار ؛ لأن المعنى : وله ما هداً وثبت واستقرّ، سواء كان ذلك السكون ابتداءً أم كان بعد تحركٍ ، وبهذا المعنى يكون العموم ، والله تعالى أعلم .

ولا ينافي هذا استعمال ﴿ سَكَنَ ﴾ في الحلول والاستيطان كما في قوله تعالى : ﴿ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ [إبراهيم: ٤٥] لكن ليس هو المعنى المراد في قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ ، والعلم عند الله .  
وسوى جماعة من المفسرين بين القولين مع تقديم الأول<sup>(٣)</sup> .

وذهب المبرّد إلى أن معنى ﴿ سَكَنَ ﴾ في الآية المراد به : الخلق<sup>(٤)</sup> . واختاره القرطبي وقال : « فهو عام في جميع المخلوقات متحركها وساكنها، فإنه يجري عليه الليل والنهار . وعلى هذا فليس المراد بالسكون ضدّ الحركة ، بل المراد الخلق ، وهذا أحسن ما قيل فيه ؛ لأنه يجمع شتات الأقوال »<sup>(٥)</sup> . وعليه السعدي<sup>(٦)</sup> .  
ولا يخفى أنه خلاف ظاهر القرآن ، ولا تساعده اللغة ، والله تعالى أعلم .

(1) ينظر: المفردات للراغب ( ٤١٧ ) ، واللسان لابن منظور ( ١٣ / ٢١٣ ) ، والقاموس المحيط للفيروز أبادي (١٥٥٦) مادة ( سكن ) .

(2) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ( ٣٥٣ ) .

(3) ينظر: أنوار التنزيل للبيضاوي ( ١ / ٢٩٦ ) ، ومدارك التنزيل للنسفي ( ٥ / ٢ ) ، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود ( ٢ / ١٣٠ ) ، ومحاسن التأويل للقاسمي ( ٦ / ٢٢٥ ) ، وروح المعاني للآلوسي ( ٧ / ١٠٩ ) ، وتفسير القرآن الحكيم للسيد رضا ( ٧ / ٢٨٢ ) .

(4) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ( ٨ / ٣٣٢ ) .

(5) المصدر السابق ، وينظر: اللسان ( ١٣ / ٢١٣ ) مادة ( سكن ) .

(6) ينظر: تيسير الكريم الرحمان ( ٢ / ١٠ ) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَيْنَكُم  
لَتَشْهَدُونَ آتٍ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

### ٩- الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « وفاعل ﴿ بَلَغَ ﴾ ضمير القرآن، والمفعول محذوف يعود على مَنْ تقديره : ومن بلغه . والمعنى : أوحى إليّ هذا القرآن لأنذر به المخاطبين ، وهم أهل مكة ، وأنذر كُلَّ من بلغه القرآن من العرب والعجم إلى يوم القيامة . قال سعيد ابن جبير : من بلغه القرآن فكأنما رأى سيدنا محمداً ﷺ . وقيل : المعنى : ومن بلغ الحُلُمَ . وهو بعيد «<sup>(١)</sup> .

### العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيِّ أن قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ معناه : وَمَنْ بَلَغَهُ الْقُرْآنُ مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . ففاعل بَلَغَ ضميرٌ يعود على القرآن ، والعايد محذوف - وهو المفعول - يعود على مَنْ . أي : وَمَنْ بَلَغَهُ . ووافق ما رُوي عن ابن عباس<sup>(٢)</sup> ، ومجاهد<sup>(٣)</sup> ، والسدّي<sup>(٤)</sup> ، وابن زيد<sup>(٥)</sup> ، ومحمد بن كعب القرظي<sup>(٦)</sup> . وهذا قول مقاتل<sup>(٧)</sup> .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٥/٢) .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ١٨٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢٧١) برقم (٧١٦٣) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه .

(3) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ١٨٣ ، ١٨٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢٧١) برقم (٧١٦٤) .

(4) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ١٨٤) من طريق أحمد بن مفضل ، عن أسباط ، عنه .

(5) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ١٨٤) من طريق ابن وهب ، عنه .

(6) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ١٨٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢٧١) برقم (٧١٦٥) ولفظه فيه : من بلغه القرآن فكأنما رأى النبي ﷺ . وفي لفظ : زيادة : وكلمه . وما ذكره المؤلف (ابن جُزَيِّ) رحمه الله عن سعيد بن جبير فقد أورده في تفسيره : الزمخشري (٢/ ٣٣١) وأبو حيان (٤/ ٩١) . والأشبه عندي - والله أعلم - أنه من قول محمد بن كعب القرظي .

(7) ينظر : تفسير مقاتل (١/ ٥٥٤) .

واختاره الفراء، والطبري، والنحاس، وابن أبي زمنين، والواحدي، والسمعاني،  
والبغوي، والكرماني، والزمخشري، وابن الجوزي، والعكبري، والقرطبي، والبيضاوي،  
والنسفي، وابن القيم، وابن كثير، والسيوطي، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي،  
والقنوجي، والقاسمي، والسعدي، والطاهر، والشنقيطي<sup>(١)</sup>.

وذكره الماوردي<sup>(٢)</sup>، وابن عطية<sup>(٣)</sup> ونسبه للجمهور، واستظهره أبو حيان<sup>(٤)</sup> ونسبه  
للجمهور. وذكره الثعالبي<sup>(٥)</sup> ونسبه للجمهور. وذكره الجمل<sup>(٦)</sup>.

وما ذهب إليه ابن جزيّ ورجحه فهو قول جمهور المفسرين، واختاره الأكثرون وهو  
الصواب؛ لشهادة القرآن والسنة له؛

أما شهادة القرآن له، فقد دلّ القرآن الكريم على عموم إنذاره لكل من بلغه كائناً  
من كان<sup>(٧)</sup> في مثل قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾  
[الأعراف: ١٥٨].

وقوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ [سبأ: ٢٨].

وقوله: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١].

(1) ينظر: معاني القرآن (١/ ٣٢٩)، وجامع البيان (٩/ ١٨٢)، ومعاني القرآن الكريم (٢/ ٤٠٦)، وتفسير  
القرآن العزيز (٢/ ٦١)، والوجيز (١/ ٣٤٧)، وتفسير القرآن (٢/ ٩٣)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٣)،  
وغرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٣٥٦)، والكشاف (٢/ ٣٣١)، وزاد المسير (٣/ ١٣)، والتبيان في  
إعراب القرآن (١/ ٤٨٦)، والجامع لأحكام القرآن (٨/ ٣٣٧)، وأنوار التنزيل (١/ ٢٩٧)، ومدارك التنزيل  
(٢/ ٦)، وبدائع التفسير (٢/ ١٤٤) وتحفة الودود (٢٥٢)، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ١٧)، وتفسير الجلالين  
(٢/ ٣٤٧)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٣٢)، وفتح القدير (٢/ ١٤٨)، وروح المعاني (٧/ ١١٩)، وفتح  
البيان (٤/ ١١٦)، ومحاسن التأويل (٦/ ٢٢٦٨)، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ١٢)، والتحرير والتنوير  
(٧/ ١٦٨)، وأضواء البيان (٢/ ١٨٨).

(2) ينظر: النكت والعيون (٢/ ١٠٠).

(3) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ١٥١).

(4) ينظر: البحر المحيط (٤/ ٩١).

(5) ينظر: الجواهر الحسان (١/ ٤٧٢).

(6) ينظر: الفتوحات الإلهية (٢/ ٣٤٧).

(7) ينظر: أضواء البيان (٢/ ١٨٨).

والقرآن نذير لكل من بلغه<sup>(١)</sup> كما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنْ الْأَحْزَابِ فَأَلْتَارُ مَوَعِدُهُ ﴾ [هود: ١٧].

وأما شهادة السنة له فقد وردت أحاديث في معنى هذا القول منها :  
قوله ﷺ : ( بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار )<sup>(٢)</sup>.

وقوله ﷺ : ( نصر الله وجه امريء سمع مني مقالة فوعاها ، ثم بلغها ، فرب مبلغ أوعى من سامع )<sup>(٣)</sup>.

وروي عن قتادة رحمه الله في قوله تعالى ﴿ لِأَنْذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ : أن النبي ﷺ قال :  
( بلغوا عن الله ، فمن بلغته آية من كتاب الله فقد بلغه أمر الله )<sup>(٤)</sup>.

وأما القول الآخر في معنى الآية ﴿ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ أي : ومن بلغ الحلم ، فقد ذكره النحاس ،

- 
- (1) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٧/٦) ، والمصدر السابق .
  - (2) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل برقم (٣٤٦١) ، والبغوي في شرح السنة (٢٤٣/١) برقم (١١٣) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .
  - (3) أخرجه الترمذي (٣٣/٥) (٢٦٥٧) وقال : حسن صحيح . وابن ماجه (١/٨٥) (٢٣٢) ، وأحمد (٤٣٧/١) ، وابن حبان [الإحسان ١/٢٦٨ (٦٦)] ، وأبو نعيم في الحلية (٧/٣٣١) ، والبيهقي في الدلائل (٦/٥٤٠) ، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/٤٥) ، والخطيب البغدادي في الكفاية (١٧٣) كلهم من طريق سماك ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، عن أبيه ، به . ورواه البغوي في تفسيره (٢/١٣) من طريق الشافعي ، عن ابن عيينة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : ( نصر الله عبداً سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها ، فرب حامل فقيه غير فقيه ، ورب حامل فقهه إلى من هو أفقه منه ) . وأخرجه الترمذي في العلم - باب الحث على تبليغ السماع بنحوه وقال : حسن صحيح ، وابن ماجه في المقدمة (١/٨٦) برقم (٢٣٦) ، والدارمي في المقدمة (١/٧٥) باب : كراهية أخذ الرأي ، والشافعي في كتاب العلم (١/١٦) ، وأحمد (٣/٢٢٥) عن أنس ، والبغوي في شرح السنة (١/٢٣٦) . وللشيخ عبد المحسن العباد دراسة حديثة وفقهية لحديث : نصر الله امرأة ... ط ١٤٠١ هـ .
  - (4) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/٢٠٥) عن معمر ، عنه . ورواه الطبري في تفسيره (٩/١٨٢) عن بشر ، عن يزيد ، عن سعيد ، عنه . ورواه أيضاً عن الحسن بن يحيى ، عن عبد الرزاق به . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/١٢٧٢) (٧١٦٦) عن الحسن بن يحيى به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/٢٥٧) إلى الطبري وأبي الشيخ من طريق قتادة عن الحسن ، وهو حديث مرسل . [وقد ذكره النحاس في معاني القرآن الكريم (٢/٤٠٦) ، والقرطبي (٦/٣٩٩) ، وابن عطية في الحرر الوجيز (٥/١٥١) ، وابن كثير في تفسيره (٦/١٧) ] .

والقرطبي<sup>(١)</sup>، وصدّراه بصيغة (قيل) .  
 ونسبه ابن عطية، وأبو حيان، والثعالبي إلى فرقة<sup>(٢)</sup> . وذكره السمين<sup>(٣)</sup> ، ونقله عنه  
 سليمان الجمل، والقنوجي<sup>(٤)</sup> .  
 وهو قول بعيد كما قاله ابن جُزَيّ ، وليس له دليل ، ولا يعرف له قائل .  
 وبعد، فإذا تقرر هذا فإن ما رجّحه ابن جُزَيّ ومن وافقه هو القول الصواب في معنى  
 الآية الكريمة ، ويؤيده القاعدة الترجيحية : ( تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير  
 شاذّ )<sup>(٥)</sup> ، وقاعدة : ( إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجّح له على ما  
 خالفه )<sup>(٦)</sup> ، والله تعالى أعلم .

- 
- (1) ينظر: معاني القرآن الكريم (٢/ ٤٠٦) ، والجامع لأحكام القرآن (٨/ ٣٣٧) .
  - (2) ينظر: المحرر الوجيز : (٥/ ١٥٢) ، والبحر المحيط (٤/ ٩١) ، والجواهر الحسان (١/ ٤٧٢) .
  - (3) ينظر: الدر المصون (٤/ ٥٦٨) .
  - (4) ينظر: الفتوحات الإلهية (٢/ ٣٤٧) ، وفتح البيان (٤/ ١١٦) .
  - (5) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ٢٨٨) .
  - (6) ينظر: المصدر السابق (١/ ٢٠٦) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢٠)

١٠ - الخلاف في إعراب قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « ﴿الَّذِينَ﴾ مبتدأ، وخبره : ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ . وقيل : ﴿الَّذِينَ﴾ نَعَتْ للذين آتيناهم الكتاب . وهو فاسد ؛ لأن الذين أوتوا الكتاب ما استشهد بهم هنا إلا ليقيم الحجة على الكفار »<sup>(١)</sup>.

### العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ إعراب ﴿الَّذِينَ﴾ على الابتداء ، ووافق ما اختاره العكبري، وأبو السعود، والسمين، والشوكاني، والقاسمي، والطاهر بن عاشور، والدرويش<sup>(٢)</sup> . وصحَّحه ابن عطية<sup>(٣)</sup> . وجوزَه الزجَّاج، والنحَّاس، والقرطبي<sup>(٤)</sup> . وأما إعراب ﴿الَّذِينَ﴾ على أنه نعت للذين آتيناهم الكتاب ، فاختاره الطبري، والزجَّاج، والنحَّاس، والقرطبي<sup>(٥)</sup> . وصحَّحه ابن عطية<sup>(٦)</sup>، ونقل تجويزه أبو حيان<sup>(٧)</sup>، وسوَّغه الدرويش<sup>(٨)</sup> . وصدَّره أبو السعود، والشوكاني بصيغة ( قيل )<sup>(٩)</sup> .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٥) .

(٢) ينظر: التبيان (١ / ٤٨٧)، وإرشاد العقل السليم (٢ / ١٣٣)، والدر المصون (٤ / ٥٧٠) \_ وتبعه الجمل في الفتوحات الإلهية (٢ / ٣٤٨) \_ وفتح القدير (٢ / ١٤٩)، ومحاسن التأويل (٦ / ٢٢٧٠ - ٢٢٧١)، والتحرير والتنوير (٧ / ١٧١)، وإعراب القرآن الكريم وبيانه (٣ / ٨٣) .

(٣) ينظر: المحرر الوجيز (٥ / ١٥٥) .

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢ / ٢٣٥)، وإعراب القرآن (٢ / ٥٩)، والجامع لأحكام القرآن (٨ / ٣٣٩) .

(٥) ينظر: جامع البيان (٩ / ١٨٦)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢ / ٢٣٥)، وإعراب القرآن (٢ / ٥٩)، والجامع لأحكام القرآن (٨ / ٣٣٩) .

(٦) ينظر: المحرر الوجيز (٥ / ١٥٥) .

(٧) ينظر: البحر المحيط (٤ / ٩٣) .

(٨) ينظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه (٣ / ٨٣) .

(٩) ينظر: إرشاد العقل السليم (٢ / ١٣٣)، وفتح القدير (٢ / ١٤٩) .

وحكم بفساده ابنُ جُزَيِّ بِحُجَّةِ أَنْ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مُسْتَشْهَدٌ بِهِمْ هُنَا لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَى الْكُفَّارِ، وَلَا يُسْتَشْهَدُ بِهِمْ وَيُذَمُّونَ فِي آيَةِ وَاحِدَةٍ<sup>(١)</sup>.

والصواب أن كلا الإعرابين صحيح وجائز ، وأرجحهما وأولاهما ما رجَّحه ابن جُزَيِّ ومن وافقه لوجوه منها :

- ١- أن الاستئناف لزيادة إيضاح تصلُّب المشركين وإصرارهم .
  - ٢- أنه سبق له نظيرٌ بعد قوله تعالى : ﴿ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [الأنعام: ١٢] . وهذا من التكرير للتسجيل وإقامة الحججة وقطع المذمة ، وأنهم مصرُّون على الكفر حتى ولو شهد بصدق الرسول ﷺ أهل الكتاب<sup>(٢)</sup> .
  - ٣- ولأنه لا يصح أن يستشهد بأهل الكتاب ويذمون في آية واحدة<sup>(٣)</sup> .
  - ٤- ولأن السورة مكية ، والخطاب مع مشركي مكة<sup>(٤)</sup> .
- وعلى هذا القول الراجح يكون معنى الآية : أن الكفار الخاسرين لأنفسهم بعنادهم وتمردهم لا يؤمنون بما جاء به رسول الله ﷺ<sup>(٥)</sup> .
- وأما الإعراب الثاني فيحسن على تأويل مَنْ رَأَى فِي الْآيَةِ قَبْلَهَا أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ مَتَوَعَّدُونَ مَذْمُومُونَ لَا مُسْتَشْهَدٌ بِهِمْ<sup>(٦)</sup> . فيكون مساقُ ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾ مساقَ الذم لا مساق الاستشهاد بهم على كفار قريش وغيرهم من العرب ؛ لأنه لا يصح أن يستشهد بهم ويذموا في آية واحدة<sup>(٧)</sup> .
- قال ابن عطية : « وقد يصح ذلك ؛ لاختلاف ما استشهد بهم وما ذموا فيه ، وأن الذم

(1) تبع في هذا التعليل ابن عطية في المحرر الوجيز (٥ / ١٥٤) .

(2) ينظر: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧ / ١٧١) .

(3) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٥ / ١٥٥) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٤ / ٩٣) ، والدر المصون للسمين (٤ / ٥٧٠) .

(4) ينظر: محاسن التأويل للقاسمي (٦ / ٢٢٧١) .

(5) ينظر: فتح القدير للشوكاني (٢ / ١٤٩) .

(6) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٥ / ١٥٥) .

(7) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان (٤ / ٩٣) .

والاستشهاد ليسا من جهة واحدة»<sup>(١)</sup>.

ويكون معنى هذه الآية على هذا الإعراب : أن أولئك الذين آتيناهم الكتاب هم الذين خسروا أنفسهم بسبب ما وقعوا فيه من البعد عن الحق ، وعدم العمل بالمعرفة التي ثبتت لهم فهم لا يؤمنون<sup>(٢)</sup>.

وذهب بعض العلماء إلى عموم اللفظ وصلاحه للمشركين وأهل الكتاب<sup>(٣)</sup>، والله تعالى أعلم .

(1) المحرر الوجيز (٥ / ١٥٤) . وينظر: الدر المصون للسمين (٤ / ٥٧٠ - ٥٧١) .

(2) ينظر: فتح القدير (٢ / ١٤٩).

(3) منهم الزمخشري ، والبيضاوي ، والنسفي ، وأبو السعود ، والآلوسي . ينظر: الكشاف (٢ / ٣٣١)، وأنوار التنزيل (١ / ٢٩٧)، ومدارك التأويل (٢ / ٦)، وإرشاد العقل السليم (٢ / ١٣٣)، وروح المعاني (٧ / ١٢٠) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوُونَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (٤٦)

### ١١- الخلاف في عَوْد الضمير الجرور في قوله : ﴿عَنْهُ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « ﴿عَنْهُ﴾ عائد على الكفار ، والضمير في ﴿عَنْهُ﴾ عائد على القرآن ، والمعنى : وهم ينهون الناس عن الإيمان ، وينأون هم عنه ، أي : يبعدون . والنأي هو : البعد . وقيل : الضمير في ﴿عَنْهُ﴾ يعود على النبي ﷺ ، ومعنى ﴿يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ : ينهون الناس عن إذايته ، وهم مع ذلك يبعدون عنه . والمراد بالآية على هذا أبو طالب ومن كان معه يَحْمِي النَّبِيَّ ﷺ وَلَا يُسَلِّمُ »<sup>(١)</sup>.

#### العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيِّ أن الضمير الجرور في ﴿عَنْهُ﴾ من قوله عز وجل : ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوُونَ عَنْهُ﴾ يعود على القرآن . ووافق المروي عن مجاهد<sup>(٢)</sup> ، وقتادة<sup>(٣)</sup> ، وابن زيد<sup>(٤)</sup> . ورجَّحه الرازي ، والقُمِّي ، وأبو حَيَّان ، والسَّمِين ، وأبو السَّعُود ، والشوكاني ، والآلوسي ، والقنوجي ، والقاسمي ، والسيد محمد رشيد رضا ، والمراغي ، والطاهر بن عاشور<sup>(٥)</sup> .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٦ / ٢) .

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٢٠٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤ / ١٢٧٧) برقم (٧٢٠٢) من طريق

ابن أبي نُجَيْح ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٢٦١) نسبه إلى ابن أبي شيبه ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢ / ٢٠٥) عن مَعْمَر ، عنه قال : ينهون عن القرآن وعن النبي ﷺ ، ويتباعدون عنه .

وأخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٢٠٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤ / ١٢٧٧) برقم (٧٢٠٣) من طريق

عبد الرزاق به . وأخرجه الطبري (٩ / ٢٠٣) عن محمد بن ثور ، عن معمر به . وزاد السيوطي في الدر المنثور

(٣ / ٢٦١) نسبه إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(٤) نسبه له ابن الجوزي في زاد المسير (٣ / ٢١) .

(٥) ينظر : مفاتيح الغيب (١٢ / ٥٠٧) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣ / ٦٥) ، والبحر المحيط (٤ / ١٠٠) ،

والدر المصون (٤ / ٥٨٠) ، وإرشاد العقل السليم (٢ / ١٣٧) ، وفتح القدير (٢ / ١٥٣) ، وروح المعاني

وقريبٌ من هذا القول قولٌ من قال : إنه عائد على النبي ﷺ على معنى النهي عن الإيمان به وأتباعه. قاله ابن عباس في رواية<sup>(١)</sup> ، والسدي<sup>(٢)</sup> . ورؤي عن الحسن<sup>(٣)</sup> ، ومحمد بن الحنفية ، والضحاك<sup>(٤)</sup> .

وعليه الزجاج ، والنحاس ، والسمرقندي ، والواحدي ، والسمعاني ، ومحمود النيسابوري ، والسيوطي<sup>(٥)</sup> .

وهذان القولان متلازمان ، ولذا فقد جعلهما بعض المفسرين قولاً واحداً ، وعليه قتادة ، وهو مفهوم كلام ابن جرير الطبري ؛ حيث اختار أن الضمير يعود على النبي ﷺ على معنى النهي عن اتباعه والإيمان به ثم قال : « وهم ينهون عن استماع التزليل ، وينأون عنك ، فيبعدون منك ومن أتباعك »<sup>(٦)</sup> . فاشتمل كلامه على اختيارهما معاً ؛ لتلازمهما .

قال ابن كثير : « المراد : أنهم ينهون الناس عن اتباع الحق ، وتصديق الرسول ، والانقياد للقرآن . ﴿ وَيَنْتَوُونَ عَنْهُ ﴾ : ويعدونهم عنه ، فيجمعون بين الفعلين القبيحين : لا ينتفعون ، ولا يدعون أحداً ينتفع . » وقال : « وهذا القول أظهر - والله أعلم - وهو اختيار ابن جرير »<sup>(٧)</sup> .

(٧/١٢٦) ، وفتح البيان (٤/١٢٣) ، ومحاسن التأويل (٦/٢٢٧٧) ، وتفسير القرآن الحكيم (٧/٢٩٩) ، وتفسير المراغي (٧/٩٩) ، والتحرير والتنوير (٧/١٨٢) .

(1) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/٢٠١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/١٢٧٧) (٧٢٠٠ ، ٧٢٠٧) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه . ومعناها أخرجه الطبري أيضاً (٩/٢٠٢) من طريق عطية العوفي ، عنه . وأورده السيوطي في الدر المنثور (٣/٢٦٠) وزاد نسبه إلى ابن المنذر ، وابن مردويه .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/٢٠٢) من طريق أحمد بن الفضل ، عن أسباط ، عنه .

(3) نسبه له ابن أبي زمنين في تفسير القرآن العزيز (٢/٦٣) ، والواحدي في الوسيط (٢/٢٦٢) ، والماوردي في النكت والعيون (٢/١٠٤) .

(4) نسبه لهما البغوي في معالم التزليل (٢/١٦) ، وابن عطية في المحرر الوجيز (٥/١٦٥) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/٢١) ، والواحدي في أسباب النزول (٤٤٤) ، والآلوسي في روح المعاني (٧/١٢٦) .

(5) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٢/٢٣٨) ، ومعاني القرآن الكريم (٢/٤١٠) ، وبحر العلوم (١/٤٧٩) ، والوجيز (١/٣٤٩) ، وتفسير القرآن (٢/٩٦) ، وإيجاز البيان (١/١) تفسير الجلالين (٢/٣٥٣) .

(6) جامع البيان (٩/٢٠٦) ، وينظر : (٩/٢٠٥) .

(7) تفسير القرآن العظيم (٦/٢١) .

وسوى بينهما بعض المفسرين<sup>(١)</sup> .

وعود الضمير على القرآن أو على النبي ﷺ على معنى النهي عن الإيمان به واتباعه أرجح ؛ لما يلي:

١- دلالة السياق القرآني له ؛ فإن الآيات قبلها جرت بذكر جماعة المشركين العادلين بالله سبحانه ، والخبر عن تكذيبهم رسول الله ﷺ ، والإعراض عما جاءهم به من تنزيل الله ووحيه ، فالواجب أن يكون قوله : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾ خيراً عنهم ؛ إذ لم يأتنا ما يدل على انصراف الخبر عنهم إلى غيرهم ، بل ما قبل هذه الآية وما بعدها يدل على صحة القول بأنه خبر عن جماعة مشركي قوم رسول الله ﷺ دون أن يكون خيراً عن واحد خاص منهم<sup>(٢)</sup> . فالآيات متصلة بأخبار الكفار وقولهم<sup>(٣)</sup> . والقرآن هو الذي عاد عليه الضمير المنصوب من ﴿ يَفْقَهُوهُ ﴾ [الأنعام : ٢٥] ، والمشار إليه بقولهم : ﴿ إِنَّ هَذَا ﴾<sup>(٤)</sup> . وقبل هذه الآية قوله تعالى : ﴿ جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ ﴾ في النبي ﷺ ، وعليه ففيه التفات من الخطاب إلى الغيبة<sup>(٥)</sup> .

٢- شهادة القرآن له كما في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [فصلت: ٢٦] . فقد كانوا ينهون عن الاستماع للقرآن من النبي ﷺ .  
وأما القول بأن الضمير يعود على النبي ﷺ على معنى النهي عن أذيته ، وأن المراد بقوله ﴿ وَهُمْ ﴾ : أبو طالب ومن كان معه يحمي النبي ﷺ ولا يسلم ، فهو قول روي عن ابن عباس<sup>(٦)</sup> ،

(١) كالمخشري في الكشف (٢/ ٣٣٤) ، والنسفي في مدارك التنزيل (٨/ ٢) ، والشوكاني في فتح القدير (٢/ ١٥٣) .

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٩/ ٢٠٥) .

(٣) ينظر: معاني القرآن الكريم للنحاس (٢/ ٤١٠) .

(٤) ينظر: الدر المصون للسمين الحلبي (٤/ ٥٨٠) .

(٥) ينظر: المصدر السابق .

(٦) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٠٦) عن الثوري ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عمن سمع ابن عباس . ومن طريقه أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٢٠٣) . وأخرجه الطبري أيضاً (٩/ ٢٠٣) من طريق وكيع وقبيصة ، عن الثوري به . وأخرجه الحاكم في مستدركه (٢/ ٢٦٢) من طريق الثوري به . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢٧٦) (٧١٩٩ ، ٧٢٠٦) من طريق وكيع ومن طريق أبي حذيفة ، كلاهما عن الثوري به .

ومقاتل<sup>(١)</sup>، وابن الحنفية<sup>(٢)</sup>، والضحاك، وحبيب بن أبي ثابت<sup>(٣)</sup>، والقاسم بن مخيمرة<sup>(٤)</sup>، وعطاء بن دينار<sup>(٥)</sup>، وعمرو بن دينار<sup>(٦)</sup>، ومحمد بن كعب<sup>(٧)</sup>، وسعيد بن جبير<sup>(٨)</sup>، والكلبي<sup>(٩)</sup>.

وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٣٤٠) من طريق سفيان الثوري به . وأخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٢٠٤) عن هناد ، عن يونس بن بكير ، عن أبي محمد الأسدي ، عن حبيب بن أبي ثابت به . وخالف الثوري قيسُ بن الربيع — وهو صدوق تغير لما كبر — فقال : عن حبيب بن أبي ثابت ، عن ابن عباس به . أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ١٢٦٨٢) . وذكره الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٣) وقال : ...فيه قيس بن الربيع ، وثقه شعبة وضعفه ابن معين وغيره ، وبقية رجاله ثقات . وأخرجه الحاكم في المستدرک (٢/ ٣١٥) من طريق بكر بن بكار ، عن حمزة بن حبيب ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . وأخرجه الواحدي في أسباب التزول (١٤٤) من طريق بكر بن بكار به . والبيهقي في الدلائل (٢/ ٣٤٠-٣٤١) من طريق بكر بن بكار به . قال الحاكم : حديث حمزة بن حبيب صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي . كذا قالوا !! وحمزة بن حبيب لم يخرج له البخاري شيئاً . وفي التقريب لابن حجر (١٧٩): صدوق ربما وهم . وأورده السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٦٠) وزاد نسبه إلى الفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه .

- (1) ينظر: تفسير مقاتل (١/ ٥٥٥ — ٥٥٦) .
- (2) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٢٠١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢٧٧) (٧٢٠١) كلاهما من طريق حجاج ، عن سالم المكي ، عنه . وأورده السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٦١) وزاد نسبه إلى ابن أبي شيبه ، وابن المنذر .
- (3) ذكره عنهما ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢٧٧) . وينظر: معاني القرآن الكريم للنحاس (٢/ ٤١١) . ونسبه ابن عطية في المحرر الوجيز (٥/ ١٦٥) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٤/ ١٠٠) ، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٦/ ٢١) إلى حبيب وحده . ونسبه السمرقندي في بحر العلوم (١/ ٤٧٩) إلى الضحاك وحده .
- (4) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٢٠٤ ، ٢٠٥) من طرق عن إسماعيل بن أبي خالد ، عنه . وأورده السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٦٠) وزاد نسبه إلى ابن أبي شيبه ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ .
- (5) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٢٠٥) عن يونس ، عن ابن وهب ، عن سعيد بن أبي أيوب ، عنه . وينظر: الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٢٦٠) .
- (6) نسبه له الواحدي في أسباب التزول (١٤٤) ، وفي الوسيط (٢/ ٢٦٢) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٠) .
- (7) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢٧٧) (٧٢٠٥) من طريق أبي معشر ، عنه . وأبو معشر نجيح بن عبدالرحمن السندي : ضعيف . وينظر: الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٢٦١) .
- (8) نسبه له الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٦٢) . ونسبه ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٠) إلى ابن عباس برواية سعيد ابن جبير .
- (9) نسبه له السمرقندي في بحر العلوم (١/ ٤٧٩) .

وهذا القول ضعيف من أوجهٍ منها :

١- عدم صحة الأثر الوارد عن ابن عباس في ذلك<sup>(١)</sup> .

٢- أن جميع الآيات المتقدمة على هذه الآية تقتضي ذمّ طريقتهم، فكذلك قوله : ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ ينبغي أن يكون محمولا على أمر مذموم ، فلو حملناه على أن أبا طالب كان ينهى عن إيذائه ، لما حصل هذا النظم<sup>(٢)</sup> .

٣- أنه تعالى قال بعد ذلك : ﴿وَإِنْ يَهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ يعني به جميع ما تقدم ذكره : النهي عنه والبعده عنه . ولا يليق ذلك بأن يكون المراد من قوله : ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ النهي عن أذيته ؛ لأن ذلك حسنٌ لا يوجب الهلاك<sup>(٣)</sup> .

قال ابن عطية : « وَيُقَلِّقُ هَذَا الْقَوْلَ رَدُّ قَوْلِهِ : ﴿وَهُمْ﴾ عَلَى جَمَاعَةِ الْكُفَّارِ الْمَتَقَدِّمِ ذِكْرَهَا ؛ لِأَنَّ جَمِيعَهُمْ لَمْ يَكُنْ يَنْهَى عَنْ إِذَايَةِ النَّبِيِّ ﷺ » . وقال : « وَيَتَخَرَّجُ ذَلِكَ وَيَحْسُنُ عَلَى أَنْ تَقْدَّرَ الْقَصْدُ ذَكَرَ مَا يَنْعَى عَلَى فَرِيقٍ مِنَ الْجَمَاعَةِ الَّتِي هِيَ كُلُّهَا مَجْمُوعَةٌ عَلَى الْكُفْرِ ، فَخَرَجَتْ الْعِبَارَةُ عَنْ فَرِيقٍ مِنَ الْجَمَاعَةِ بِلَفْظِ يَعْمُ الْجَمَاعَةَ ؛ لِأَنَّ التَّوْبِيخَ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ أَعْظَمُ عَلَيْهِمْ . كَمَا تَقُولُ : إِذَا شَنَّعْتَ عَلَى جَمَاعَةٍ فِيهَا زِنَاةٌ وَسُرْقَةٌ وَشُرْبَةُ خَمْرٍ : هَؤُلَاءِ يَزْنُونَ وَيَسْرِقُونَ وَيَشْرَبُونَ الْخَمْرَ . وَحَقِيقَةُ كَلَامِكَ أَنَّ بَعْضَهُمْ يَفْعَلُ هَذَا وَبَعْضُهُمْ يَفْعَلُ هَذَا ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : مِنْ هَؤُلَاءِ الْكُفْرَةَ مَنْ يَسْتَمِعُ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْ إِذَايَتِهِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ، أَيْ : مِنْهُمْ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ »<sup>(٤)</sup> . انتهى كلامه ، ولا يخفى ما في هذا التخريج من التكلف !

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن ما رجّحه ابن جزيّ ومن وافقه — مع ما اندرج فيه من القول بعوده على النبي ﷺ على معنى النهي عن الإيمان به واتباعه — هو الراجح ،

(1) سبق تخريجه .

(2) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (١٢/ ٥٠٧) .

(3) المصدر السابق . وينظر: الفتوحات الإلهية (٢/ ٣٥٣) . وفي الوجه الأخير نظر من حيث جواز أن يكون ترتب الهلاك ورجوعه على الأمر الأخير فقط وهو البعد عنه لا إلى الأول وهو النهي عن أذيته ، كذا عند بعض العلماء !! ينظر: غرائب القرآن (٣/ ٦٥) ، وحاشية الشهاب على البيضاوي (٤/ ٤٣) . والظاهر رجوعه على الأمرين معاً . ينظر: مفاتيح الغيب (١٢/ ٥٠٧) .

(4) المحرر الوجيز (٥/ ١٦٥) .

ويؤيده القاعدة الترجيحية: ( إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك)<sup>(١)</sup> ، والقاعدة الترجيحية الأخرى: ( القول الذي تؤيده آية قرآنية مقدم على ما عُدم ذلك)<sup>(٢)</sup>، والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ١٢٥).

(2) ينظر: المصدر السابق (١/ ٣١٢).

قَالَ تَعَالَى:

﴿بَلْ بَدَأَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (٢٨)

١٢- الخِلاَف فِي الأَمْرِ المَخْفِيِّ ، وَمَنْ كَانَ يُخْفِيهِ؟

فِي قَوْلِهِ: ﴿بَلْ بَدَأَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « المعنى : ظهر لهم يوم القيامة في صحائفهم ما كانوا يخفون في الدنيا من عيوبهم وقبائحهم . وقيل : هي في أهل الكتاب ، أي : بدأ لهم ما كانوا يخفون من أمر محمد ﷺ . وقيل : هي في المنافقين ، أي بدأ لهم ما كانوا يخفون من الكفر . وهذا القولان بعيدان ؛ فإن الكلام أوله ليس في حق المنافقين ولا أهل الكتاب . وقيل : إن الكفار كانوا إذا وعظهم النبي ﷺ خافوا وأخفوا ذلك الخوف ؛ لئلا يشعر بها أتباعهم ، فظهر لهم ذلك يوم القيامة »<sup>(١)</sup> .

العرض والمناقشة :

حاصل ما ذكره ابن جُزَيِّ في خلاف المفسرين في الأمر المَخْفِيِّ ومن كان يخفيه أربعة أقوال :

القول الأول منها : أن الآية في الكفار ، والذي كانوا يخفونه في الدنيا هي أعمالهم من عيوب وقبائح .

وهذا القول هو الذي رجَّحه ابن جُزَيِّ بدلالة السياق ؛ لأن أول الكلام ليس في حق المنافقين ولا أهل الكتاب ، أي : هو في حق الكفار ، وهذا مفهوم كلامه .  
ووافق المروي عن السدي<sup>(٢)</sup> ، وقتادة<sup>(٣)</sup> .

(1) التسهيل (٦ / ٢) .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٢١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤ / ١٢٧٩) (٧٢١٤ ، ٧٢١٥) من طريق أحمد بن المفضل ، عن أسباط ، عنه قال : بدت لهم أعمالهم . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣ / ) نسبه إلى أبي الشيخ .

(3) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢ / ٢٠٧) ، والطبري في جامع البيان (٩ / ٢١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره

وعليه الطبري ، والواحدي، والبغوي، والنسفي<sup>(١)</sup>.

وجعله متساوياً مع غيره والآية تحتلها : ابن كثير، والسمين، والبيضاوي<sup>(٢)</sup>.

وذكره الألوسي بصيغة (قيل)<sup>(٣)</sup>. وكذا الشوكاني، والقنوجي<sup>(٤)</sup>، لكنهما ذكرا الأمر

المخفي ودلّلا له بقوله تعالى : ﴿ وَبَدَأَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ [الزمر: ٤٧] . ولم يذكر من المراد ؟ أي : من كان يخفيه .

ثانيها : أن الآية في الكفار أيضاً ، لكن الأمر الذي أخفوه هو : خوفهم عند وعظ

النبي ﷺ إياهم ، فأخفوا خوفهم ؛ لئلا يشعر بذلك أتباعهم .

قاله الزهراوي وحكاه بصيغة (قيل) كما نقله عنه ابن عطية<sup>(٥)</sup> . وكذا أبوحيان،

والثعالبي<sup>(٦)</sup>، ذكراه بصيغة (قيل) ، ووافقهم ابن جزيّ على ذلك .

ثالثها : أن الآية في أهل الكتاب ، وكانوا يخفون ما يعلمونه من أمر نبينا محمد ﷺ ،

وأنه حق<sup>(٧)</sup> .

حكاه الزمخشري بصيغة (قيل)<sup>(٨)</sup> . وتبعه على ذلك الرازي ، والنسفي، والقميّ،

والألوسي<sup>(٩)</sup>.

(١٢٧٩/٤) (٧٢١٣) كلاهما من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عنه قال : من أعمالهم .

(1) ينظر: جامع البيان (٩/ ٢١١)، والوجيز (١/ ٣٤٩)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٧)، ومدارك التنزيل (٢/ ٨) .

(2) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٣)، والدر المصون (٤/ ٥٩١) \_ وقال السمين : «هم الكفار أو اليهود

والنصارى خاصة» . ولم يذكر الأمر المخفي \_ ، وأنوار التنزيل (١/ ٢٩٩) .

(3) ينظر: روح المعاني (٧/ ١٢٩) .

(4) ينظر: فتح القدير (٢/ ١٥٣)، وفتح البيان (٤/ ١٢٥) .

(5) الحرر الوجيز (٥/ ١٧١) . وينظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٦٢) .

(6) ينظر: البحر المحيط (٤/ ١٠٣)، والجواهر الحسان (١/ ٤٧٤) .

(7) نسبه أبوحيان لابن عباس ، إلا أنه قال : «وذلك أنهم لو سئلوا في الدنيا : هل تعاقبون على ما أنتم عليه ؟ قالوا:

لا . ثم ظهر لهم عقوبة شركهم في الآخرة ...» ينظر: البحر المحيط (٤/ ١٠٣) .

(8) ينظر: الكشف (٢/ ٣٣٦) .

(9) ينظر: مفاتيح الغيب (١٢/ ٥١٠)، ومدارك التنزيل (٢/ ٨)، وغرائب القرآن وغرائب الفرقان (٣/ ٦٧)،

وروح المعاني (٧/ ١٢٩) .

قال ابن عطية : « ويصح أن يقدر الشيء الذي كانوا يخفونه في الدنيا نُبوَّة محمد ﷺ وأقواله ، وذلك أنهم كانوا يُخفون ذلك في الدنيا بأن يُحقرّوه عند من يرُدُّ عليهم ، ويصفوه بغير صفته ، ويتلقوا الناس على الطرق فيقولون لهم : هو ساحر، هو يفرق بين الأقارب ، يريدون بذلك إخفاء أمره وإبطاله . فمعنى الآية على هذا : بل بدا لهم يوم القيامة أمرك وصدقك وتحذيرك وإخبارك بعقاب من كفر ، الذي كانوا يخفونه في الدنيا ، ويكون الإخفاء على ما وصفناه»<sup>(١)</sup>.

وذكره ابن جُزَيِّ بصيغة (قيل) واستبعده ، وأعلّه بأن سياق الكلام ليس في حق أهل الكتاب .

ولما ترك البيضاوي هذا القول وأهمله فلم يذكره، قال الشهاب : « لأنه ليس في السياق والسباق ما يدلّ عليه»<sup>(٢)</sup>.

رابعها : أن الآية في المنافقين ، وكانوا يخفون الكفر ويطنونه .

حكاه ابن جُزَيِّ بصيغة (قيل) ، ووافقته على إيراد هذا القول بصيغة (قيل) : الكرمانى، والزخشرى، والنسفي، والقُمي، وأبوحيان، والشوكاني، والآلوسي، والقنّوجي<sup>(٣)</sup>.

واستبعده ابن جُزَيِّ وأعلّه بأن سياق الكلام ليس في حقّ المنافقين .

وذكره النحاس وقال : « لأن اسم الكفر مشتمل عليهم ، فعاد الضمير على بعض المذكور ، وهذا من كلام العرب الفصيح»<sup>(٤)</sup>.

وحكاه ابن عطية عن الزهراوي، عن فرقة ثم قال : « وتقلق العبارة على هذا التأويل ؛

(1) المخرر الوجيز ( ١٧١ / ٥ ) . ويلاحظ أن ابن عطية لم يذكره عن أهل الكتاب بل لم ينسب هذا القول وجعله مطلقاً من غير نسبة ولا عزو لأحد .

(2) حاشية الشهاب على البيضاوي (٤ / ٤٥) . وينظر: أنوار التنزيل (١ / ٢٩٩) .

(3) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل (١ / ٣٥٧)، والكشاف (٢ / ٦٣)، ومدارك التنزيل (٢ / ٨)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣ / ٦٧)، والبحر المحيط (٤ / ١٠٣)، وفتح القدير (٢ / ١٥٣)، وروح المعاني (١٢٩/٧)، وفتح البيان (٤ / ١٢٥) .

(4) إعراب القرآن (٢ / ٦٢) .

لأنه قال : ﴿ وَفَقُّوا ﴾ [الأنعام: ٢٧] يريد : جماعة الكفار ، ثم قال : ﴿ بَدَّاهُمْ ﴾ يريد : المنافقين من هؤلاء الكفار ، والكلام لا يعطي هذا إلا على تحامل «<sup>(١)</sup> .

وقال الشهاب : « ولكنه لا يناسب ما قبله »<sup>(٢)</sup> .

واحتمل هذا القول ابن كثير وقال : « ولا ينافي هذا كون هذه السورة مكية ، والنفاق إنما كان من بعض أهل المدينة ومن حولها من الأعراب ، فقد ذكر الله وقوع النفاق في سورة مكية ، وهي العنكبوت فقال : ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴾ [١١] وعلى هذا يكون إخباراً عن حال المنافقين في الدار الآخرة حين يعاينون العذاب ، فيظهر لهم حينئذ غيبٌ ما كانوا يبطنون من الكفر والنفاق والشقاق ، والله أعلم »<sup>(٣)</sup> .

هذا حاصل الأقوال الأربعة التي ذكرها ابن جزري مع ما لها وما عليها .

يقول الرازي : « واعلم أن اللفظ محتملٌ لوجوه كثيرة ، والمقصود منها بأسرها : أنه ظهرت فضيحتهم في الآخرة واهتكت أستارهم ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾<sup>(٤)</sup> [الطارق: ٩] .

وقال القمي النيسابوري : « والأولى حمل الآية على الكل ؛ لأنه يوم تبلى السرائر فلا جرم تظهر الفضائح والقبائح ، وتنكشف الأسرار وتنتهك الأستار »<sup>(٥)</sup> .

وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن هذه الأقوال المذكورة لا تلائم نظم الآية الكريمة ولا سياقها ، وأن القول الراجح هو : أن الآية في الكفار ، وأن الأمر الذي أخفوه هو : علمهم أنهم على باطل ، وأن الرسل على حق ، فعاينوا ذلك عياناً بعد أن كانوا يكتُمونه ويخفونه .

ودليله : أن السياق في الكفار ، وأهم لم يكونوا يخفون شركهم وكفرهم ، بل كانوا

(1) المحرر الوجيز ( ١٧١ / ٥ ) .

(2) حاشية تفسير البيضاوي ( ٤٥ / ٤ ) .

(3) تفسير القرآن العظيم ( ٢٣ / ٦ ) . وذكره وجهاً من الوجوه : القاسمي في محاسن التاويل ( ٢٢٨٠ / ٦ ) وتابع ابن كثير في كلامه .

(4) مفاتيح الغيب ( ٥١٠ / ١٢ ) .

(5) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ( ٦٧ / ٣ ) .

يظهرونه ويدعون إليه ويحاربون عليه .

وهذا القول رجّحه ابن القيم ونصره<sup>(١)</sup> ، واحتمله ابن كثير<sup>(٢)</sup> ، وذكره القاسمي وجهًا من الوجوه<sup>(٣)</sup> ، ورجّحه الطاهر بن عاشور<sup>(٤)</sup>.

قال ابن القيم : « ومعنى الآية — والله أعلم بما أراد من كلامه — : أن هؤلاء المشركين لما وقفوا على النار ، وعابنوها وعلموا أنهم داخلوها ، تمنّوا أنهم يردون إلى الدنيا ؛ فيؤمنون بالله وآياته ولا يكذبون رسله ، فأخبر سبحانه أن الأمر ليس كذلك ، وأنهم لو ردّوا لكانوا بعد الردّ كما كانوا قبله . وأخبر أنهم كاذبون في زعمهم أنهم لو ردّوا لآمنوا وصدّقوا . فإذا تقرر مقصود الآية ومرادها ، تبين معنى الإضراب — ( بَلْ ) ، وتبين معنى الذي بدا لهم ، والذي كانوا يخفونه ، والحامل لهم على قولهم : ﴿ يَلْعِنُنَا نُردُّ وَلَا نَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا ﴾ [الأنعام: ٢٧] . فالقوم كانوا يعلمون أنهم كانوا في الدنيا على باطل ، وأن الرسل صدّقوهم فيما بلّغوهم عن الله ، وتيقّنوا ذلك وتحقّقوه ، ولكنهم أخفوه ولم يظهروه بينهم ؛ بل تواصلوا بكتمانه ، فلم يكن الحامل لهم على تمّني الرجوع والإيمان معرفة ما لم يكونوا يعرفونه من صدق الرسل ؛ فإنهم كانوا يعلمون ذلك ويخفونه ، وظهر لهم يوم القيامة ما كانوا ينظّون عليه من علمهم أنهم على باطل ، وأن الرسل على حق ؛ فعابنوا ذلك عيانًا بعد أن كانوا يكتُمونه ويخفونه ، فلو ردّوا لما سمحت نفوسهم بالإيمان ولعادوا إلى الكفر والتكذيب ، فإنهم لم يتمنّوا الإيمان لعلمهم يومئذ أنه هو الحق وأن الشرك باطل ، وإنما تمنّوا لَمَّا عابنوا العذاب الذي لا طاقة لهم باحتماله... وتأمل مطابقة الإضراب لهذا المعنى ، وهو نفي قولهم : إنا لو رددنا لآمنّا وصدّقنا ؛ لأنه ظهر لنا الآن أنما قاله الرسل هو الحق ، أي : ليس كذلك ، بل كنتم تعلمون ذلك وتعرفونه ، وكنتم تخفونه ، فلم يظهر لكم شيء لتكونوا عالمين به لتعذروا بل ظهر لكم ما كان معلومًا ، وكنتم تتواصلون بإخفائه وكتمانه ،

(1) ينظر: بدائع التفسير (٢/ ١٤٥ — ١٤٧) ، وعدة الصابرين (١٨٧) .

(2) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٣) .

(3) ينظر: محاسن التأويل (٦/ ٢٢٨٠) .

(4) ينظر: التحرير والتنوير (٧/ ١٨٥ — ١٨٦) .

والله أعلم»<sup>(١)</sup>. اهـ .

وقال ابن كثير : « ويحتمل أنهم [ يعني الكفار ] ظهر لهم ما كانوا يعلمونه من أنفسهم ، من صدق ما جاءهم به الرسل في الدنيا ، وإن كانوا يظهرون لأتباعهم خلافه ، كما قال تعالى مخبراً عن موسى [ عليه السلام ] أنه قال لفرعون : ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ ﴾ [الإسراء: ١٠٢]. وقوله تعالى مخبراً عن فرعون وقومه : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾<sup>(٢)</sup> [النمل: ١٤] .

وقال الطاهر : «... خطر لهم حينئذ ذلك الخاطر الذي كانوا يخفونه ، أي : الذي كان يبدو لهم ، أي : يخطر ببالهم وقوعه فلا يعلنون به ، فبدا لهم الآن فأعلنوا به وصرّحوا معترفين به . ففي الكلام احتباك تقديره : بل بدا لهم ما كان يبدو لهم في الدنيا فأظهره الآن وكانوا يخفونه . وذلك أنهم كانوا يخطر لهم الإيمان لما يرونه من دلائله أو من نصر المؤمنين فيصدّهم عنه العناد والحرص على استبقاء السيادة والأنفة من الاعتراف بفضل الرسول وسبق المؤمنين إلى الخيرات قبلهم، وفيهم ضعفاء القوم وعبيدهم ... وقد أشار إلى هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ رَبِّمَا يَوْدُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> في سورة الحجر . وهذا التفسير يغني عن الاحتمالات التي تحير فيها المفسرون وهي لا تلائم نظم الآية ، فبعضها يساعده صدرها ، وبعضها يساعده عجزها ، وليس فيها ما يساعده جميعها»<sup>(٤)</sup>.

هذا وفي الآية أقوال أخرى لم يتعرّض لها ابن جُزَيّ وفيها ما فيها<sup>(٤)</sup>.

وبعد، فإذا كان ذلك كذلك فإن ما رجّحه ابن القيم هو الراجح والأولى بالقبول ، ويتأيد بالسياق ، ومقصود الآية الكريمة . ووافقه ابن جُزَيّ في كون المراد بالذين كانوا يخفون هم الكفار، وخالفه في الأمر الذي كانوا يخفونه ، والله تعالى أعلم بالصواب .

(1) بدائع التفسير (٢/ ١٤٦ — ١٤٧) .

(2) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٣) .

(3) التحرير والتنوير (٧/ ١٨٥ ، ١٨٦) .

(4) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢/ ٢٤٠) ومعاني القرآن الكريم للنحاس (٢/ ٤١٤) وإيجاز البيان للنيسابوري (١/ ٢٣٩) وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢/ ١٣٨—١٣٩) وتفسير القرآن الحكيم للسيد محمد رشيد رضا (٧/ ٣٠٣)

قَالَ تَعَالَى:

﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا لَوْ أَنَّا نَحْسَرُونَ عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ

أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزُونُ ﴿٣١﴾

في هذه الآية الكريمة مسألتان :

المسألة الأولى هي :

١٣- الخلاف في عايد ضمير ﴿فِيهَا﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « الضمير ﴿فِيهَا﴾ للحياة الدنيا ؛ لأن المعنى يقتضي ذلك ، وإن لم يَجْر لها ذكر . وقيل : الساعة ، أي : فرطنا في شأنها والاستعداد لها . والأول أظهر»<sup>(١)</sup>.

العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيِّ عود ضمير ﴿فِيهَا﴾ على الحياة الدنيا. ووافق ما رُوِيَ عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>، وقال به مقاتل<sup>(٣)</sup>. ووافقهُ السمرقندي، والواحدي، والشهاب الخفاجي، والسيوطي، وسليمان الجمل، والسيد رشيد رضا، والمراغي<sup>(٤)</sup>.

وصدَّره بصيغة (قيل) : الكرمانى، وأبو السعود، والشوكاني، والقنوجي<sup>(٥)</sup>.

ودلَّ عليه ابن جُزَيِّ بأن المعنى يقتضي أن يكون الضمير عائداً للحياة الدنيا ، وإن لم يَجْر لها ذِكْر .

(1) التسهيل ( ٧ / ٢ ) .

(2) نسبه له الرازي في مفاتيح الغيب ( ٥١٤ / ٢ ) ، والقمي النيسابوري في غرائب القرآن و رغائب الفرقان ( ٦٨ / ٣ ) ، والآلوسي في روح المعاني ( ١٢٣ / ٧ ) ، والسيد رضا في تفسير القرآن الحكيم ( ١٠٣ / ٧ ) .

(3) ينظر : تفسير مقاتل ( ٥٥٧ / ١ ) .

(4) ينظر : بحر العلوم ( ٤٨٠ / ١ ) ، والوجيز ( ٣٥٠ / ١ ) ، وحاشية الشهاب على البيضاوي ( ٤٨ / ٤ ) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢ / ٣٥٧ ، ٣٥٨ ) ، وتفسير القرآن الحكيم ( ٣٠٩ / ٧ ) ، وتفسير المراغي ( ١٠٦ / ٧ ) .

(5) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل ( ٣٥٧ / ١ ) ، وإرشاد العقل السليم ( ١٤٠ / ٢ ) ، وفتح القدير ( ١٥٦ / ٢ ) ، وفتح البيان ( ١٢٨ / ٤ ) .

قال الرازي : « دلّ العقل على أن موضع التقصير ليس إلا الدنيا ، فَحَسُنَ عَوْدُ الضمير إليها لهذا المعنى »<sup>(١)</sup> .

فللعلم بها ، واقتضاء المعنى لها حَسُنَ عَوْدُ الضمير إليها<sup>(٢)</sup> .

وأما كونه لم يَجْر لها ذكر فقد نازع في هذا السيد محمد رشيد رضا فقال : « ومن غرائب غَفَلَات المفسرين ما نقله بعض أذكيائهم عن بعضٍ من دعوى أن مرجع الضمير في هذا القول غير مذكور في كلامهم ... ولكنهم ذهلوا عن قوله تعالى حكاية عنهم : ﴿ وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ﴾ [الأنعام: ٢٩] وعن كون ما بعده بيانا لعاقبته وما ترتب عليه ، لا سياقاً جديداً مستقلاً»<sup>(٣)</sup> .

وأما القول بأن ضمير ﴿ فِيهَا ﴾ يعود للساعة ، فَرُوِيَ عن الحسن<sup>(٤)</sup> .

ورحّحه ابن أبي زمنين، والسمعاني، وابن عطية ، والعكبري، وأبو حيان، وأبو السعود، والشوكاني ، والقنوجي، والطاهر بن عاشور<sup>(٥)</sup> .

وبصيغة (قيل) صدره الكرمانى<sup>(٦)</sup> . ووافق ابن حُرَيّ .

ودليله : أن الساعة مذكورة فيما حكاها الله من شأنهم<sup>(٧)</sup> ، والتفريط فيها إذا لم يؤمنوا بها<sup>(٨)</sup> .

(1) مفاتيح الغيب (١٢ / ٥١٤) .

(2) ينظر: الكشف للزمخشري (٢ / ٣٣٧) .

(3) تفسير القرآن الحكيم (٧ / ٣٠٩) . وقال : هو أقوى الأقوال .

(4) نسبه له ابن عطية في المحرر الوجيز (٥ / ١٧٦) ، والرازي في مفاتيح الغيب (١٢ / ٥١٤) ، والقمي النيسابوري في غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣ / ٦٨) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٤ / ١٠٧) ، والثعالبي في الجواهر الحسان (١ / ٤٧٥) ، والآلوسي في روح المعاني (٧ / ١٣٢) .

(5) ينظر: تفسير القرآن العزيز (٢ / ٦٤) ، وتفسير القرآن (٢ / ٩٨) ، والمحرر الوجيز (٥ / ١٧٦) ، والتبيان (١ / ٤٩٠) ، والبحر المحيط (٤ / ١٠٧) ، وإرشاد العقل السليم (٢ / ١٤٠) ، وفتح القدير (٢ / ١٥٦) ، وفتح البيان (٤ / ١٢٨) ، والتحرير والتنوير (٧ / ١٩١) .

(6) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل (١ / ٣٥٧) .

(7) ينظر: تفسير القرآن الحكيم للسيد رشيد رضا (٧ / ٣٠٩) .

(8) ينظر: تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢ / ٦٤) .

ولأنها أقرب مذكور . وهذا القول يحتاج إلى تقدير مضاف ولا بد ، فيكون المعنى : على ما فرطنا في شأن الساعة والاستعداد لها والإيمان بها .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن ما ذهب إليه ابن جزيّ ومن وافقه هو الراجح ؛ لما يلي :

١— أن التفريط هو التضييع والتقصير بترك العمل الصالح النافع في الدار الآخرة ، وهذا بدلالة العقل إنما يكون في الدنيا ؛ لأنها دار العمل . ويؤيد هذا الوجه آيات قرآنية منها :

— قوله تعالى : ﴿ عَلَىٰ مَا فَرَطْتَ فِي جَنبِ اللَّهِ ﴾ [الزمر: ٥٦] .

— وقوله تعالى : ﴿ يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾ [الفجر: ٢٤] .

— وقوله تعالى : ﴿ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ [المؤمنون: ١٠٠] .

٢— ولأنه المتبادر إلى الذهن من الآية .

٣— ولأنه لا يحتاج إلى تقدير ، ومالا يحتاج إلى تقدير أولى بالتقديم مما يحتاج إليه .

٤— والسياق يدل عليه ؛ فإن الآيات في ذكر الحياة الدنيا سباقاً ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا إِنَّا

هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ ، ولحاقاً كقوله تعالى : ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُنْقُونَ أَفْئِدَتَهُمْ قَلِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾

ولهذا قال الشهاب : « الحياة معلومة من السياق »<sup>(١)</sup> .

سلمنا أنه لم يجر لها ذكر ، والسياق ليس في ذكرها ، فإن لعود الضمير عليها والحال هذه له

نظائر كثيرة في القرآن<sup>(٢)</sup> ، فمن ذلك :

﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَمَهَمُ ﴾ [آل عمران: ٤٤] . أي : ما كنت لدى المتنازعين .

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ [الحجر: ٣٩] . أي : لذرية آدم .

(1) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٤/٤٨) .

(2) ينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم لمحمد عبد الخالق عظيمه (٨/٤٨) ، وقواعد التفسير لخالد السبت

﴿ مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَِا مِنْ دَابَّةٍ ﴾ [فاطر: ٤٥] .

ومنه قول حاتم الطائي<sup>(١)</sup> :

إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

أي : إذا حشرجت النفس .

وعليه، فإن الأرحح والأولى بالصواب أن يعود الضمير ﴿ فِيهَا ﴾ على الحياة الدنيا ، والله تعالى أعلم .

---

(1) ديوان حاتم الطائي ( ٢٧ ) .

### المسألة الثانية :

١٤- الخلاف في معنى حمل الأوزار على الظهر في قوله : ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ ﴾

هل المراد به الكناية ؟ أم هو على الحقيقة ؟

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « كناية عن تحمل الذنوب . وقال ﴿ عَلَى ظُهُورِهِمْ ﴾ ؛ لأن العادة حمل الأثقال على الظهر . وقيل : إنهم يحملونها على ظهورهم حقيقة . ورؤي في ذلك : أن الكافر يركبه عمله بعد أن يتمثل له في أفبح صورة ، وأن المؤمن يركب عمله بعد أن يتصور له في أحسن صورة »<sup>(١)</sup> .

### العرض والمناقشة :

رجح ابن جزي أن حمل الأوزار<sup>(٢)</sup> على الظهر كناية عن تحمّل الذنوب . وهذا القول لم أجده منقولاً عن أحد من السلف ، وأول من قاله — فيما وقفت عليه — هو الزجاج<sup>(٣)</sup> ، ونسبه له وعزاه إليه من جاء بعده<sup>(٤)</sup> . وعلى ذلك النحاس ، والسمرقندي ، والزمخشري ، وابن عطية ، والبيضاوي ، والنسفي ، والثعالبي ، وأبوالسعود ، والشهاب ، والشوكاني ، والآلوسي ، والقنوجي ، والطاهر بن عاشور<sup>(٥)</sup> .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٧/٢) .

(٢) الأوزار : جمع وزر ، كحمل وأحمل وعادل . يقال فيه : وزر الرجل يزر ، إذا أتم . والمراد بها : الآثام والخطايا والذنوب ، وبذا فسرها ابن عباس كما في الوسيط للواحد (٢/٢٦٤) . وهل الأصل في الوزر النقل والحمل ؟ أكثر المفسرين على هذا . قال الطبري : « وقد زعم بعضهم أن الوزر الثقل والحمل ؟ ولست أعرف ذلك كذلك في شاهد ، ولا من رواية ثقة عن العرب » . جامع البيان (٩/٢١٦) . وينظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/١٩٠) ، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب (٥٢١) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/٢٦) ، والدر المصون للسمين (٤/٥٩٧) .

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٢/٢٤٢) .

(٤) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٣/٢٦) ، ومفاتيح الغيب للرازي (٤/٥١٤) .

(٥) ينظر : معاني القرآن الكريم (٢/٤١٦) وإعراب القرآن (٢/٦٣) ، و بحر العلوم (١/٤٨١) ، والكشاف (٢/٣٣٧) ، والحرر الوجيز (٥/١٧٧) ، وأنوار التنزيل (١/٣٠٠) ، ومدارك التنزيل (٢/٩) ، والجواهر الحسان (١/٤٧٦) ، وإرشاد العقل السليم (٢/١٤١) ، وحاشية الشهاب على البيضاوي (٤/٤٨) ، وفتح القدير (٢/١٥٦) ، وروح المعاني (٧/١٣٢) ، وفتح البيان (٤/١٢٩) ، والتحرير والتنوير (٧/١٩١) .

وأما القول بأن حمل الأوزار على الظهور هو على الحقيقة، فقال به مقاتل<sup>(١)</sup>، والسدي<sup>(٢)</sup>، وعمرو بن قيس الملائمي<sup>(٣)</sup>، وعمير بن هانيء<sup>(٤)</sup>. ونُسب إلى قتادة<sup>(٥)</sup>، ولم أقف عليه .

ورجّحه ابن جرير الطبري، وابن أبي زَمَنِين، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، وأبو حيان ،

(1) تفسير مقاتل ( ٥٥٧ ، ٥٥٨ ) .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٢١٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢٨١) (٧٢٢٩) كلاهما من طريق أحمد بن المفضل ، عن أسباط ، عن السدي قال : « فإنه ليس من رجل ظالم يموت ، فيدخل قبره ، إلا جاءه رجل قبيح الوجه ، أسود اللون ، منتن الريح ، عليه ثياب دَنَسَة ، حتى يدخل معه قبره ، فإذا رآه قال : ما أنتن ريحك ! قال : كذلك كان عملك متنتًا ! قال : ما أدنس ثيابك ! قال : فيقول : إن عملك كان دنسًا . قال : من أنت ؟ قال : أنا عملك ! قال : فيكون معه في قبره ، فإذا بعث يوم القيامة قال له : إني كنت أحملك في الدنيا باللذات والشهوات ، فأنت اليوم تحملي . قال : فيركب على ظهره فيسوقه حتى يدخله النار ، فذلك قوله : ﴿يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ .»

(3) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٢١٦) من طريق ابن حميد ، عن الحكم بن بشير بن سلمان ، عن عمرو بن قيس الملائمي قال: « إن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله أحسن شيء صورةً وأطيبه ريحًا ، فيقول له : هل تعرفني؟ فيقول : لا ، إلا أن الله قد طيب ريحك وحسّن صورتك ! فيقول : كذلك كنت في الدنيا ، أنا عملك الصالح ، طالما ركبتك في الدنيا ، فاركبني أنت اليوم ! وتلا : ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَقَدًّا﴾ **مریم:** ٨٥ وإن الكافر يستقبله أفحش شيء صورةً وأنتنه ريحًا ، فيقول : هل تعرفني ؟ فيقول : لا ، إلا أن الله قد قبيح صورتك وأنتن ريحك ! فيقول : كذلك كنت في الدنيا ، أنا عملك السيء ، طالما ركبتني في الدنيا ، فأنا اليوم أركبك . وتلا : ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ إِلَّا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ . وإسناده جيد إلا أنه موقوف على عمرو بن قيس وهو ثقة من أتباع التابعين. وأخرجه ابن أبي حاتم (٤/ ١٢٨١) (٧٢٢٨) عن أبي سعيد الأشج ، عن أبي خالد ، عن عمرو بن قيس ، عن أبي مرزوق به .

(4) نسبه له : ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٦) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٤/ ١٠٧) . قال عمير بن هانيء : « يحشر مع كل كافر عمله في صورة رجل قبيح ، كلما كان هَوْلٌ عَظْمُه عليه، وزاده خوفًا ، فيقول : بئس الجليس أنت ، مالي ولك ؟ فيقول : أنا عملك ، طالما ركبتني في الدنيا ، فلأركبك اليوم حتى أخزئك على رؤوس الناس ، فيركبُه ويتخطى به الناس حتى يقف بين يدي ربه ، فذلك قوله: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ .»

(5) نسبه له الرازي في مفاتيح الغيب (٤/ ٥١٤) ، ونظام الدين القمي النيسابوري في غرائب القرآن و رغائب الفرقان (٣/ ٦٨) .

وابن كثير، والسيوطي<sup>(١)</sup> .

واستدلّ القائلون بالحقيقة بأقوال السلف — وقد مرّت آنفاً — ،

وبما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ( إن الكافر إذا خرج من قبره مُثّل له عمله في أقبح صورة رآها قط ، أقبحه وجهًا ، وأنته ريجًا ، وأسوأه لفظًا ، فيقول : من أنت ؟ أعوذ بالله منك ؛ فما رأيت أقبح منك وجهًا ، ولا أنتن منك ريجًا ، ولا أسوأ منك لفظًا . فيقول : أتعجب من قبحي ؟ فيقول : نعم ، فيقول : أنا — والله — عملك الخبيث ، وإنك كنت تركبني في الدنيا ، وإني والله لأركبنيك اليوم ، فيركبه فلا يرى شيئًا يهوله ولا يروعه إلاّ قال : أبشر يا عدو الله ، أنت الذي تُراد وأنت الذي تُعنى . وهو قوله : ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ ﴾ الآية )<sup>(٢)</sup> .

والقول بأن حمل الأوزار على الظهور هو على الحقيقة ، هو أرجح القولين في المسألة وذلك لما يلي :

١- أن في الآية قرينة تمنع حمل الكلام على المجاز وهي قوله تعالى : ﴿ عَلَى ظُهُورِهِمْ ﴾ ، فهذا يدل على أن هناك حملًا ، وأنه كائن على الظهور .

٢- أن القول بتحسيم الأعمال وتصورها يوم القيامة ووزنها في الميزان ، يؤيد كون الحمل على الظهور حقيقة ومن ذلك :

— ما رواه البخاري من حديث أبي هريرة مرفوعًا : ( من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مُثّل له شجاعٌ أقرعٌ له زبيبتان يطوقه يوم القيامة فيأخذ بلهزمتيه — يعني : شِدْقَيْهِ — يقول : أنا مالك، أنا

(١) ينظر: جامع البيان (٩/ ٢١٦) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ٦٤) ، والوجيز (١/ ٣٥٠) والوسيط (١/ ٢٦٤) ، وتفسير القرآن (٢/ ٩٩) ، ومعالم التنزيل (٢/ ١٨) ، والبحر المحيط (٤/ ١٠٧) ، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٥) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢/ ٣٥٨) .

(٢) رواه ابن أبي زَمِينٍ في تفسير القرآن العزيز (٢/ ٦٤) عن يحيى ، عن صاحب له ، عن إسماعيل بن أبي رافع ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة رضي الله عنه . وهذا إسناد ضعيف للجهالة في إسناده . وإسماعيل إن كان ابن رافع فهو ضعيف . ينظر: تقريب التهذيب لابن حجر (١٠٧) .

كترك، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ سَيُطَوَّفُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾<sup>(١)</sup> [ آل عمران: ١٨٠ ] .

قال الشهاب : « من قال بالميزان واعتقد وزن الأعمال لا يقول إنه تمثيل »<sup>(٢)</sup> .

وقال الآلوسي : « وقد قال كثير من أهل السنة بتجسيم الأعمال في تلك الدار ، وهو الذي يقتضيه ظاهر الوزن »<sup>(٣)</sup> .

٣— أن الأصل في كلام الله تعالى — وخاصة فيما يتعلق بالغيب — إجراؤه على ظاهره وإمراره وإقراره، وعدم العدول به عن الظاهر .

٤— أنه قول السلف ، والقول بالكناية لم ينقل عنهم .

وبعد، فإذا تقرر هذا ، فإن ما ذهب إليه ابن جُزَيِّ في هذه المسألة مرجوح ، وأن الراجح هو القول بالحقيقة ، ويؤيده القاعدة الترجيحية : ( الأصل في الكلام حمله على الحقيقة ، ولا يجوز العدول به عنها وله فيها محمل صحيح ، فيجب حمل نصوص القرآن على الحقيقة )<sup>(٤)</sup> .

وقد قرر ابن جُزَيِّ هذا في مقدمة تفسيره<sup>(٥)</sup> ، وجعل تقديم الحقيقة على المجاز وجهًا من وجوه الترجيح بين الأقوال ، وأن الحقيقة أولى أن يحمل عليها اللفظ ، وخالف هنا رحمه الله ما قرره هنالك ، والله تعالى أعلم .

(1) صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، برقم (١٤٠٣) ، والتفسير برقم (٤٥٦٥) .

(2) حاشية الشهاب على البيضاوي (٤ / ٤٨) .

(3) روح المعاني (٧ / ١٣٣) .

(4) قواعد الترجيح عند المفسرين (١ / ٣٨٧) .

(5) التسهيل لعلوم التنزيل (٩ / ١) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتُوا اللَّهَ ﴾ (٣٣)

### ١٥- الخلاف في معنى قراءة ﴿لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ بالتخفيف .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « من قرأ بالتشديد فالمعنى : لا يكذبونك معتقدين لكذبك، وإنما هم يحددون بالحق مع علمهم به . ومن قرأ بالتخفيف فقليل : معناه : لا يجدونك كاذباً . يقال : أَكْذَبْتُ فلاناً ، إذا وجدته كاذباً . كما يقال : أَحْمَدْتُهُ ، إذا وجدته محموداً . وقيل : هو بمعنى التشديد . يقال : كَذَّبَ فلان فلاناً وأكذبه بمعنى واحد . وهو الأظهر ؛ لقوله بعد هذا : ﴿يَجْحَدُونَ﴾ . ويؤيد هذا ما رُوي أنها نزلت في أبي جهلٍ ، فإنه قال لرسول الله ﷺ : إنا لا نكفر بك ولكن نكذب ما جئت به . وأنه قال للأحنس بن شريق : والله إن محمداً لصادق ، ولكنني أحسده على الشرف »<sup>(١)</sup>.

### العرض والمناقشة :

أعرض ابن جُزَيِّ عن الترجيح بين القراءتين وتفضيل إحدهما على الأخرى ؛ لأنهما قراءتان متواترتان مشهورتان ، ولكل واحدة منهما في الصحة مخرج مفهوم<sup>(٢)</sup> . ورحم الله أبا حيان حينما قال : ولا ترجيح بين المتواترتين<sup>(٣)</sup>.

وحكى ابن جُزَيِّ الخلاف في معنى قراءة ﴿لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ — بإسكان الكاف وتخفيف الذال<sup>(٤)</sup> — على قولين اثنين ، ورجح أنها بمعنى قراءة التشديد ﴿لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ ، فكذب وأكذب بمعنى واحد. أي : لا يكذبونك معتقدين لكذبك ولا ينسبونك إلى الكذب ؛

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٧/٢) .

(2) ينظر: جامع البيان للطبري (٩/٢٢٠) .

(3) البحر المحيط (٤/١١١) .

(4) قرأها كذلك نافع والكسائي . وقرأ الباقون بفتح الكاف وتشديد الذال . ينظر: السبعة لابن مجاهد (٢٥٧) ، والتيسير في القراءات السبع للذاني (٨٤) ، وحجة القراءات لابن زنجلة (٢٤٧-٢٤٨) ، والإقناع في القراءات السبع لابن البادش (٢/٦٣٨) ، وشرح طيبة النشر لابن الجزري (٢٢٣) ، والنشر في القراءات العشر له (٢٥٨/٢) .

لعلمهم بصدقك ، وإنما يجحدون بالحق الذي جئتهم به عنادًا وحسدًا .

وهذا قول قتادة ، والسدي<sup>(١)</sup> . وإليه ذهب ابن جرير الطبري<sup>(٢)</sup> ، والزجاج ، والثعالبي ، والسيوطي ، وأبو السعود<sup>(٣)</sup> ؛ ودلّل له ابن جزيّ بسياق الآية ، فإن قوله آخرها: ﴿يَجْحَدُونَ﴾ يدل على أنهم يعلمون أن ما جاءهم به النبي ﷺ حق وصدق ، حيث لم يكونوا يعتقدون كذبه — عليه الصلاة والسلام — ولم ينسبوه إلى الكذب والافتراء ، وإنما جحدوا نبوته ﷺ مع علم منهم بأنه نبيُّ الله صادق ؛ حسدًا له وبغياً وعنادًا<sup>(٤)</sup> .

ويشهد لهذا قوله تعالى في هذه السورة : ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾ [الأنعام: ٢٠] . ففيه أوضح دليل على أنه قد كان فيهم المعاند في جحد نبوته ﷺ مع علم منه به وبصحة نبوته<sup>(٥)</sup> .

وروي في معنى الآية بعض الآثار منها :

١— عن أبي صالح قال : جاء جبريل إلى النبي ﷺ ذات يوم وهو جالس حزين ، فقال له : ما يحزنك؟ فقال: (كذبني هؤلاء) . قال : فقال له جبريل : إنهم لا يكذبونك ، هم يعلمون أنك صادق ، ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون<sup>(٥)</sup> .

٢— وعن السدي قال : « لما كان يوم بدر قال الأخنس بن شريق لبني زهرة : يا بني زهرة ، إن محمداً ابن أختكم ، فأنتم أحق من كف عنه ، فإن كان نبياً لم تقاتلوه اليوم ، وإن كان كاذباً كنتم أحق من كف عن ابن أختكم . قفوا هاهنا حتى ألقى أبا الحكم ... فقال : يا أبا الحكم ، أخبرني عن محمد ، أصادق هو أم كاذب ؟ فإنه ليس ها هنا من قريش أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا . فقال أبو جهل : ويحك ، والله إن محمداً لصادق ، وما كذب محمد قط ، ولكن إذا ذهب بنو قُصيّ باللواء والحجابه والسقاية والنبوة ، فماذا يكون

(1) ينظر: الجواهر الحسان للثعالبي (١/ ٤٧٧) .

(2) ينظر: جامع البيان (٩/ ٢١٩) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ) ، والجواهر الحسان (١/ ٤٧٧) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢/ ٣٦٠) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٤٣) .

(3) ينظر: جامع البيان للطبري (٩/ ٢١٩) .

(4) جامع البيان للطبري .

(5) رواه ابن جرير الطبري من طريق أبي معاوية ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عنه .

لسائر قريش ؟ فذلك قوله : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتِ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴾<sup>(١)</sup> .  
 ٣- وعن ناجية قال : « قال أبو جهل للنبي ﷺ : ما نتهمك ، ولكن نتهم الذي جئت به ، فأنزل الله تعالى ذكره : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتِ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> .  
 ٤- وعن سعيد بن جبير قال : « ليس يكذبون محمداً ، ولكنهم بآيات الله يجحدون »<sup>(٣)</sup> .  
 ومما يدلُّ له أيضاً أن بعض العلماء باللغة يذهب إلى أن ( كَذَّبَ ) و ( أَكْذَبَ ) بمعنى واحد .

قال أبو علي : « ويؤكد أن القرائتين بمعنى ، ما حكاه سيبويه أنهم قالوا : قَلَّتْ وَأَقَلَّتْ ، وكَثُرَتْ وَأَكْثُرَتْ بمعنى »<sup>(٤)</sup> .  
 والعرب تعدّي الثلاثي بالتضعيف كما تعدّيه بالهمزة ؛ كما يقال : كَثُرَتِ الشَّيْءُ وَأَكْثُرَتْه<sup>(٥)</sup> .

وأما القول الآخر وهو التفريق بين معنى القرائتين ، ويكون المعنى على قراءة التخفيف : لا يجدونك كاذباً . أي : إن ظنت نفوسهم أنك كاذب وكذبوك فإنهم لا يصادفونك في نفس الأمر كاذباً ، فأنت على حق فيما بينك وبين الله ، فهوّن عليك ولا تثقل عليك افتراءاتهم<sup>(٦)</sup> ، فهو قول الكسائي<sup>(٧)</sup> ،

(1) أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٢١/٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٨٣/٤) (٢٨٤٠) من طريق أحمد بن المفضل ، عن أسباط ، عنه .

(2) رواه الترمذي في التفسير (٣٠٦٤) ، والطبري في جامع البيان (٢٢٢/٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٨٢/٤) (٧٢٣٥) ، والحاكم في المستدرک (٣١٥/٢) من طريق الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن ناجية موقوفاً عليه . ورواه الترمذي (٣٠٦٤) ، وابن أبي حاتم (٧٢٣٤) ، والحاكم (٣١٥/٢) عن ناجية ، عن علي . قال الترمذي عن الطريق الأول : وهذا أصح .

(3) رواه الطبري في جامع البيان (٢٢٢/٩) من طريق قيس ، عن سالم الأفضس ، عنه .

(4) ينظر : الوسيط للواحد (٢/٢٦٦) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/٢٩ - ٣٠) ، ولسان العرب (١/٧٠٧)

(5) ينظر : العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير لجامعه خالد السبب (١/١٦٤) .

(6) ينظر : العذب النمير للشنقيطي (١/١٦٢ - ١٦٤) .

(7) ينظر : حجة القراءات لابن زنجلة (٢٤٧) .

والفراء<sup>(١)</sup> ، وابن قتيبة<sup>(٢)</sup> .

وعليه السمرقندي، وابن أبي زمنين، ومكي، والماوردي، ومحمود النيسابوري، والنسفي، والشوكاني، والقنوجي<sup>(٣)</sup> . ومال إليه السمعاني، والبغوي، والزمخشري<sup>(٤)</sup> .

ويشهد لهذا القول القرآن كما في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ ﴾ [الأنعام: ٦٦].

أي: قالوا : ( ما جئنا به كذب ) إذ لم يقل : وكذبك قومك وهو الحق ، كأنهم قالوا: ( هو كذب أخذته عن غيرك ) كما قال عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بِشَرِّ ﴾ [النحل: ١٠٣]. ويدل عليه ما تقرر في علم التصريف : أن من معاني (أفعل) إذا قلت : ( أفعلتُ الرجل ) : إذا وجدته كذا . تقول : ( أحمدُته ) إذا وجدته حميدًا أو محمودًا . و ( أكذبته ) إذا وجدته كاذبًا<sup>(٦)</sup> . و ( أجبتُّه ) إذا وجدته جبانًا .

قال الشاعر :

وطائفةٌ قد أكفروني بجمكم      وطائفةٌ قالوا : مسيءٌ ومذنب<sup>(٧)</sup>

وحكى الكسائي أن العرب تقول : ( كذبتُ الرجل ) : إذا نسبت الكذب إليه ، و ( أكذبته ) : إذا نسبت الكذب إلى ما جاء به دون أن تنسبه إليه . وتقول العرب أيضًا : ( أكذبتُ الرجل ) : إذا وجدته كاذبًا ، كما تقول : ( أحمدُته ) : إذا وجدته محمودًا<sup>(٨)</sup> .

(1) ينظر: معاني القرآن (١ / ٣٣١) .

(2) ينظر: تأويل مشكل القرآن (١٢٥) ، وحجة القراءات لابن زنجلة (٢٤٨) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٢٩/٣) .

(3) ينظر: بحر العلوم (١ / ٤٨٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٢ / ٦٥) ، وتفسير المشكل (١٦٠) ، والنكت والعيون (٢ / ١٠٨) ، وإيجاز البيان (١ / ٢٤٠) ، ومدارك التتزيل (٢ / ١٠) ، وفتح القدير (٢ / ١٥٧) ، وفتح البيان (٤ / ١٣٠) .

(4) ينظر: تفسير القرآن (٢ / ١٩) ، ومعالم التتزيل (٢ / ٩٩) ، والكشاف (٢ / ٣٣٩) .

(5) ينظر: حجة القراءات لابن زنجلة (٢٤٧) .

(6) ينظر: العذب النمير للشنقيطي (١ / ١٦٤) .

(7) البيت للكميث بن زيد الأسدي من قصيدة يمدح فيها آل البيت . ينظر: زاد المسير لابن الجوزي (٢٩ / ٣) .

(8) ينظر: حجة القراءات لابن زنجلة (٢٤٧) ، والمحزر الوجيز لابن عطية (٥ / ١٨١) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٣ / ٢٩) .

قال الفراء : « معنى التخفيف — والله أعلم — : لا يجعلونك كذاباً ، وإنما يريدون أن ما جئت به باطل ؛ لأنهم لم يجربوا عليه ﷺ كذباً فيكذبوه وإنما أكذبوه ؛ أي : ما جئت به كذب لا نعرفه »<sup>(١)</sup> .

وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن القول بالتفريق بين معنى القرائتين هو الأولى ، وعليه تكون الآية — على قراءة التخفيف — في عامة الكفار ، ويدل لذلك قوله تعالى في السورة نفسها : ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ ﴾ [الأنعام: ٦٦] . وعلى قراءة التشديد تكون الآية في خاصة الكفار ، وهم المعاندون منهم الجاحدون الحق العالمون به ، ويدل لذلك قوله في آخر الآية نفسها : ﴿ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ ، ولها نظائر :

- كقول موسى عليه السلام لفرعون : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ ﴾ [الإسراء: ١٠٢] .

- وكقوله : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل: ١٤] .

قال ابن جرير الطبري : « وذلك أن المشركين لا شك أنه كان منهم قوم يكذبون رسول الله ﷺ ويدفعونه عما كان الله تعالى ذكره خصه به من النبوة ، فكان بعضهم يقول : ( هو شاعر ) ، وبعضهم يقول : ( هو كاهن ) ، وبعضهم يقول : ( هو مجنون ) . وينفي جميعهم أن يكون الذي أتاهم به من وحي السماء ومن تزيل رب العالمين قولاً<sup>(٢)</sup> ، وكان بعضهم قد تبين أمره وعلم صحة نبوته ، وهو في ذلك يعاند ويحسد نبوته حسداً له وبغياً<sup>(٣)</sup> .

والقول بالتفريق بين معنى القرائتين فيه شمول لطائفتي الكفار : العامة الدهماء الأتباع — على قراءة التخفيف — والخاصة المتبوعين العالمين بالحق المعاندين له الراديين له بغياً

(1) معاني القرآن (١/ ٣٣١) .

(2) ذكر الله تعالى في سورة (ص) عن الكفار أنهم قالوا أيضاً : ﴿ سَجِرٌ كَذَّابٌ ﴾ (٤) . وقال الملائمة منهم : ﴿ إِنَّ

هَذَا إِلَّا أَخْلَقْتُ ﴾ (٧)

(3) جامع البيان : (٩/ ٢٢٠) .

وحسدًا — على قراءة التشديد — .

ففي الآية على هذا القول إعجاز . ولو قلت بأن معنى (أكذب) و (كذب) واحد ، وأن معنى القراءتين واحد لا فرق لَذَهَبَ هذا المعنى اللطيفُ ، والله تعالى أعلم .

ويؤيد هذا القول ما تقرر في علم القراءات : أن القراءتين حكمهما حكم الآيتين المختلفتين ، فكل منهما تفيد ما تضمنته من الأحكام والمعاني<sup>(١)</sup> .

وأما استدلال الفريقين باللغة العربية وبما ورد عن العرب فليس بعضهم حجة على بعض ، والخلاصة أن لـ ( كذبت الرجل ) و ( أكذبتُهُ ) في العربية ثلاثة أقوال :

١ -أهمما بمعنى واحد<sup>(٢)</sup> .

٢- أن ( كذبتُهُ ) : إذا نسبته للكذب . و ( أكذبتُهُ ) : إذا أخبرت أن الذي يحدث به كذب ليس هو الصانع له . قاله الكسائي حاكياً له عن العرب .

٣- عكسه : أن ( أكذبتُهُ ) : إذا أدخلته في جملة الكذابين ، ونسبته للكذب . حكاه ابن الأنباري، عن غير الكسائي<sup>(٣)</sup> .

وأما الآثار فهي موقوفة على أصحابها ، وبعضها مرسل .

وإذا كان ذلك كذلك فإن ما استظهره ابن جزيّ ورجحه ليس بمدفوع ؛ لقوة أدلته من شهادة القرآن، واللغة له ، ويؤيده القاعدة الترجيحية : ( اتحاد معنى القراءتين أولى من اختلافه)<sup>(٤)</sup> .

والذي يظهر أن الأولى هو التفريق بين معنهما ؛ ليدل على الشمول والعموم لطوائف الكفار، والله تعالى أعلم وأحكم .

(1) ينظر: العذب النمير للشنقيطي (١ / ١٦٤) .

(2) ينظر: الوسيط للواحد (٢ / ٢٦٦) ، واللسان (١ / ٧٠٧ ، ٧٠٨) ، وزاد المسير (٣ / ٣٠) .

(3) ينظر: معاني القرآن الكريم للنحاس (٢ / ٤١٨) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٣ / ٢٩) .

(4) قواعد الترجيح (١ / ١٠٠ - ١٠٣) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَافَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾

ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾

## ١٦- الخلاف في المراد بالكتاب في قوله: ﴿ مَافَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « أي : ما غفلنا . والكتاب هنا هو اللوح المحفوظ ، والكلام على هذا عام . وقيل : هو القرآن ، والكلام على هذا خاص . أي : ما فرطنا فيه من شيء فيه هدايتكم والبيان لكم »<sup>(١)</sup> .

### العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ أن الكتاب في قوله عز وجل: ﴿ مَافَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ هو اللوح المحفوظ. وهذا قول ابن عباس<sup>(٢)</sup>، ومقاتل<sup>(٣)</sup>، وابن زيد<sup>(٤)</sup>، وقتادة<sup>(٥)</sup>، والحسن<sup>(٦)</sup> .

وعليه أكثر المفسرين ومنهم : الطبري، والسمرقندي، والبعوي، والزنجشري، والقرطبي، والقمي، وابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير، والسيوطي، والشوكاني، والقنوجي، والقاسمي، والمراغي، والطاهر بن عاشور<sup>(٧)</sup> .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٨) .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٢٣٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤ / ١٢٨٦) (٧٢٥٩) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه قال: «ما تركنا شيئاً إلا قد كتبناه في أم الكتاب» .

(3) ينظر: تفسير مقاتل (١ / ٥٦٠) .

(4) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٢٣٤) من طريق ابن وهب ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤ / ١٢٨٦) (٧٢٦٠) من طريق أصبغ ، عنه .

(5) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢ / ٢٠٧) عن معمر عنه . وزاد نسبه السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٢٦٧) إلى أبي الشيخ .

(6) نسبه له الألوسي في روح المعاني (٧ / ١٤٥) .

(7) ينظر: : جامع البيان (٩ / ٢٣٢) ، وبحر العلوم (١ / ٤٨٣) ، ومعالم التنزيل (٢ / ٢١) ، والكشاف (٢ / ٣٤٢) ، والجامع لأحكام القرآن (٨ / ٣٧١) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣ / ٧٦) ، وبغية المراتد (٩٨) ، وبدائع التفسير (٢ / ١٤٨) ، وتفسير القرآن العظيم (٦ / ٣١) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٢ / ٣٦٥) ، وفتح القدير (٢ / ١٦٠) ، وفتح البيان (٤ / ١٣٦) ، ومحاسن التأويل (٦ / ٢٢٩٩) ، وتفسير المراغي (٧ / ١١٧) ،

وهو مفهوم كلام ابن أبي زمنين<sup>(١)</sup>. وبدأ به البيضاوي، والنسفي، وأبو حيان، والسعدي<sup>(٢)</sup>.

قال الشنقيطي : « أكثر المحققين على أنه اللوح المحفوظ »<sup>(٣)</sup>.

وذكره بصيغة (قيل) : ابن عطية، والثعالبي، وأبو السعود<sup>(٤)</sup>.

ويدل له السياق ، فإن قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ يتضمن أنها أمم أمثالنا في الخلق والرزق والأكل والتقدير الأول ، وأنها لم تخلق سدى ، ثم ذكر عاقبتها ومصيرها بعد فنائها فقال : ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ . فذكر مبدأها ونهايتها ، وأدخل بين هاتين الحالين قوله : ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ أي : كلها كتبت وقُدرت وأحصيت قبل أن توجد ، وهذا إنما يناسب ذكر الكتاب الأول وهو اللوح المحفوظ لا كتاب الأمر والنهي وهو القرآن .

ولما سألوا آية أخبرهم سبحانه بأنه لم يزلها لعدم قدرته بل لحكمته ورحمته بهم ، ثم ذكر ما يدل على كمال قدرته بخلق الأمم التي لا يحصيها غيره ، فمن قدر على خلق هذه الأمم مع اختلاف أجناسها وأنواعها وصفاتها وهيئاتها كيف يعجز عن إنزال آية ؟ ثم أخبر عن كمال قدرته وعلمه بأن هؤلاء الأمم قد أحصاهم وكتبهم وقدر أرزاقهم وآجالهم وأحوالهم في كتاب لم يفرط فيه من شيء ثم يميتهم ثم يحشرهم إليه<sup>(٥)</sup> .

كما يدلُّ له العموم المشتمل عليه قوله : ﴿ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ؛ فإن النكرة في سياق النفي تفيد

والتحرير والتنوير (٧ / ٢١٧).

(1) ينظر: تفسير القرآن العزيز (٢ / ٦٧).

(2) ينظر: أنوار التنزيل (١ / ٣٠١)، ومدارك التنزيل (٢ / ١١)، والبحر المحيط (٤ / ١٢٠)، وتيسير الكريم الرحمن (٢ / ٢٠).

(3) العذب النمير (١ / ١٩٢).

(4) ينظر: المحرر الوجيز (٥ / ١٩٤)، والجواهر الحسان (١ / ٤٨٠)، وإرشاد العقل السليم (٢ / ١٤٧).

(5) ينظر: بدائع التفسير (٢ / ١٤٩).

العموم . ﴿ وَمِنْ ﴾ مزيدة للاستغراق ، أي : ما تركنا وما أغفلنا شيئاً قط<sup>(١)</sup> .

ويشهد له القرآن ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا  
وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾<sup>(٢)</sup> [هود: ٦] .

فإن هذه الآية في هود شبيهة بآية الأنعام هذه فهي كالمفسرة لها .

وأما القول الثاني — وهو أن المراد بالكتاب هو القرآن — فروي عن ابن عباس<sup>(٣)</sup> .

وعليه الواحدي، والسمعاني، وابن عطية، وابن الجوزي، والرازي، والثعالبي،  
وأبوالسعود، والآلوسي<sup>(٤)</sup> .

وذكره بصيغة (قيل) : السمرقندي ، والقرطبي، والقمي ، والشوكاني، والقنوجي،  
والقاسمي ، والمراغي<sup>(٥)</sup> . وضعفه الطاهر واستبعده<sup>(٦)</sup> .

واستدل له بأن الألف واللام إذا دخلا على الاسم المفرد انصرف إلى المعهود السابق ،  
والمعهود السابق من الكتاب عند المسلمين هو القرآن<sup>(٧)</sup> ، فإنه هو الذي تسبق إليه الأذهان  
فيما بين أهل الإيمان<sup>(٨)</sup> .

(1) ينظر: الحصول في علم الأصول للرازي (٥٦٣/٢) ، والبحر المحيط لبدراالدين الزركشي (٢٧٠/٢) ، وغرائب  
القرآن و رغائب الفرقان للقمي النيسابوري (٧٦ / ٣) .

(2) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣١ / ٦) .

(3) رواه عطاء ، عنه . ينظر: الوسيط للواحدي ( ٢٦٨ / ٢ ) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٣ / ٣٥) .

(4) ينظر: الوجيز (١ / ٣٥٢) ، وتفسير القرآن (٢ / ١٠٠) ، والمحرم الوجيز (٥ / ١٩٤) ، وتذكرة الأريب في تفسير  
الغريب (١ / ١٥٩) ، ومفاتيح الغيب (٤ / ٥٢٦) ، والجواهر الحسان (١ / ٤٨٠) ، وإرشاد العقل السليم  
(٢ / ١٤٧) ، وروح المعاني (٧ / ١٤٤) .

(5) ينظر: : بحر العلوم (١ / ٤٨٣) ، والجامع لأحكام القرآن (٨ / ٣٧١) ، وغرائب القرآن و رغائب الفرقان (٣ / ٧٦) ،  
وفتح القدير (٢ / ١٦٠) ، وفتح البيان (٤ / ١٣٦) ، ومحاسن التاويل (٦ / ٢٢٩٩) ، وتفسير المراغي (٧ / ١١٩) .

(6) ينظر: التحرير والتنوير (٧ / ٢١٧) .

(7) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٤ / ٥٢٦) .

(8) ينظر: غرائب القرآن و رغائب الفرقان للقمي النيسابوري (٣ / ٧٦) .

وأن السياق والمعنى يقتضيه<sup>(١)</sup>، فإنه ذكر عقيب قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣٧) . فنبههم على أعظم الآيات وأدللها على صدق رسول الله ﷺ وهو الكتاب الذي يتضمن بيانا لكل شيء ولم يفرط فيه من شيء . ثم نبههم بأنهم أمة من جملة الأمم التي في السماوات والأرض، وهذا يتضمن التعريف بالله وكمال قدرته وعلمه وسعة ملكه وكثرة جنوده والأمم التي لا يحصيها غيره، وهذا يتضمن أنه لا إله غيره ولا رب سواه وأنه رب العالمين. فهذا دليل على وحدانيته وصفات كماله من جهة خلقه وقدرته. وإنزال الكتاب الذي لم يفرط فيه من شيء دليل من جهة أمره وكلامه . فهذا استدلال بأمره وذاك بخلقته ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤] .

ويشهد لهذا المعنى قوله سبحانه : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٥٠) أَوْلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ (٢) [العنكبوت: ٥٠ - ٥١] .

واستدل له كذلك بنظير هذه الآية وهي قوله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً ﴾ [النحل: ١٨٩] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أولى القولين بالصواب هو ما رجحه ابن جزيّ ومن وافقه ؛ لقوة أدلته وذلك أن دلالة السياق على أنه اللوح المحفوظ أظهر وأنسب من دلالتها على أنه القرآن. وآية هود تفسر المراد بالكتاب في آية الأنعام بأنه اللوح المحفوظ ، وهذا تفسير قرآن بقرآن.

وأما قوله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ فإن الكتاب فيها هو القرآن بلا شك ، ولكنه مقرون بذكر الإنزال بخلاف آية الأنعام ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ .

(1) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان (٤/ ١٢٠).

(2) ينظر: بدائع التفسير (٢/ ١٤٩).

وعلى القول بأنه اللوح المحفوظ فإنه عام في جميع الأشياء ، ويبقى اللفظ على عمومه .  
وعلى القول بأنه القرآن فإنه خاص في الأشياء التي فيها منافع للمخاطبين وطرائق هدايتهم،  
فيكون من العام الذي أريد به الخاص<sup>(١)</sup> .

ويتأيد القول بأنه اللوح المحفوظ بالقاعدة الترجيحية : ( يجب حمل نصوص الوحي على  
العموم ما لم يرد نص بالتحصيل )<sup>(٢)</sup> .

وقد قرّر ابن جزيّ في مقدمة تفسيره هذه القاعدة وجعلها وجهًا من وجوه الترجيح  
بين الأقوال فقال : « تقديم العمومي على الخصوصي ، فإن العمومي أولى ؛ لأنه الأصل إلاّ  
أن يدل دليل على التحصيل »<sup>(٣)</sup> .

ويرجح كذلك أنه تفسير السلف المأثور عنهم ، وتفسيرهم مقدّم على غيره كما هو  
مقرر في القواعد<sup>(٤)</sup> ، والله تعالى أعلم .

(1) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ١٩٤) ، والوسيط للواحدى (٢/ ٢٦٨) . وفي " بيان القرآن لكل شيء " ينظر:  
مفاتيح الغيب للرازي (٤/ ٥٢٦ — ٥٢٨) ، ومحاسن التأويل للقاسمي (٦/ ٢٢٩٩ — ٢٣٠٥) ، وأضواء البيان  
للسنقيطي (٣/ ٣٣٦ — ٣٤٥) . وللشاطبي في الموافقات (٢/ ٧٩ — ٨١) كلام نفيس في الرد على من زعم أن  
القرآن حوى كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين .

(2) قواعد الترجيح (٢/ ٥٢٧) .

(3) التسهيل (١/ ٩) .

(4) ينظر: قواعد الترجيح (١/ ٢٧١ ، ٢٨٨) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٤٧)

١٧- الخلاف في معنى البغته والجهرة في قوله ﴿ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً ﴾

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « والبغته : ما لم يتقدم لهم شعورٌ به ، والجهرة : ما بدت لهم مخايلُه . وقيل : بغته بالليل ، وجهرة بالنهار »<sup>(١)</sup>.

### العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيِّ في قوله تعالى : ﴿ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً ﴾ أن البغته هي : ما لم يتقدم لهم شعورٌ به . أي : الفجأة والمفاجأة . وأن الجهره هي : ما بدت لهم مخايلُه . أي : المعاينة<sup>(٢)</sup> . ووافق المروي عن مجاهد<sup>(٣)</sup> ، وقال به مقاتل<sup>(٤)</sup> .

ورجَّحه عامة المفسرين منهم : أبو عبيدة ، والبخاري ، والطبري ، والزجاج ، والنحاس ، والسمرقندي ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والرازي ، والنسفي ، وابن كثير ، والبقاعي ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والآلوسي ، والقنوجي ، والقاسمي ، والسيد رشيد رضا ، والمراغي ، والسعدي ، والطاهر ، والشنقيطي<sup>(٥)</sup> .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٩) .

(2) تنوعت عبارات المفسرين في تفسير البغته والجهرة — على هذا القول — ومعناها واحد ، ومن ذلك : البغته : الفجأة ، لا يتقدم عندهم منها علم ، من غير مقدمة ، بأن لم تظهر أماراته ... والجهرة : عياناً ، معاينة ، تبدو لكم مخايله ومباده ثم تتوالى حتى تتزل ، بتقدمة أمانة تؤذن بحلوله ، بأن ظهرت أماراته ...

(3) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٢٥٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤ / ١٢٩٤) (٧٣١٣ ، ٧٣١٤) من طريق ابن أبي نجیح ، عنه .

(4) تفسير مقاتل (١ / ٥٦١) .

(5) ينظر: : مجاز القرآن (١ / ١٩٣) ، وصحيح البخاري كتاب التفسير (٦٥) سورة الأنعام (٦) — واقتصر على تفسير ( جهرة ) . بمعانية . وينظر: فتح الباري (٨ / ١٣٨) — ، وجامع البيان (٩ / ٢٥٣) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢ / ٢٤٩) ، ومعاني القرآن الكريم (٢ / ٤٢٦) ، وبحر العلوم (١ / ٤٨٦) ، ومعالم التنزيل (٢ / ٢٣) ، والكشاف (٢ / ٣٤٧) ، والحرر الوجيز (٥ / ٢٠٣) ، وزاد المسير (٣ / ٤٢) ، ومفاتيح الغيب (٤ / ٥٣٦) ، ومدارك التنزيل (٢ / ١٢) ، وتفسير القرآن العظيم (٦ / ٤٠) ، ونظم الدرر (٧ / ١١٩) ، وإرشاد العقل السليم

وذكره بصيغة (قيل) : السمعاني، والقرطبي، والبيضاوي، وأبو حيان<sup>(١)</sup>.

ويشهد لرجحان هذا القول اللغة والاستعمال القرآني :

أما اللغة ، فإن البغته معناها : المفاجأة .

قال الكسائي : « يقال: بغتهم الأمر يبعثهم بعثاً وبغته، إذا أتاهم فجأة »<sup>(٢)</sup> .

تقول : بَعَثَهُ ، أي : فاجأه ، ولقيته بعثَةً ، أي : فجأه . وقد بغته الأمر يبعثه بعثًا :

فجئته . قال الشاعر<sup>(٣)</sup> :

ولكنهم ماتوا ولم أدرِ بعثَةً      وأعظمُ شيءٍ حينَ يَفْجُؤُكَ البَعْتُ

والبغت والبغته : مفاجأة الشيء بسرعة من غير اعتداد به ، ولا جعل بال منه ، حتى لو

استشعر الإنسان به ثم جاءه بسرعة لا يقال فيه بعثَةً ، ولذلك قال الشاعر<sup>(٤)</sup> :

إذا بغتُ أشياءً قد كان قبلها      قديمًا فلا تعتدّها بغتات

والجَهْرَةُ من الإجهار وهو : إظهار الشيء للعين<sup>(٥)</sup> . والجهر : الإعلان بالشيء .

(٢) / ١٥١ ، وفتح القدير (٢ / ١٦٥) ، وروح المعاني (٧ / ١٥٣) ، وفتح البيان (٤ / ١٤٤) ، ومحاسن التأويل

(٦ / ٢٣١٧) ، وتفسير القرآن الحكيم ( ٧ / ٣٥٩) ، وتفسير المراغي (٧ / ١٢٧) ، وتيسير الكريم الرحمن

(٢٣ / ٢) ، والتحرير والتنوير (٧ / ٢٣٧) ، والعذب النمير (١ / ٢٤١) .

(1) ينظر: تفسير القرآن (٢ / ١٠٥) ، والجامع لأحكام القرآن (٨ / ٣٨٤) — وفي (٨ / ٣٥٧) فسّر البغته بالفجأة — ،

وأنوار التنزيل (١ / ٣٠٢) ، والبحر المحيط (٤ / ١٣٢) .

(2) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٢ / ٦٧) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨ / ٣٨٤) ، وفتح القدير للشوكاني

(٢ / ١٦٥) .

(3) هو يزيد بن ضبّة الثقفي ، والبيت في جمهرة اللغة لابن دريد (١ / ١٩٦) ، ومجمل اللغة لابن فارس (١ / ١٣٠) ،

ومجاز القرآن لأبي عبيدة (١ / ١٩٣) ، والصحاح للجوهري (١ / ٢٤٣) ، واللسان لابن منظور (٢ / ١٠) ،

والقاموس المحيط للفيروز أبادي (١٨٩) = مادة (بغت) . وروي : وأنكأ — وأفضع — وأحضع = بدلا

من (وأعظم) .

(4) ينظر: مجمل اللغة لابن فارس (١ / ١٣٠) ، وجمهرة اللغة لابن دريد (١ / ١٩٦) ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة

(١ / ١٩٣) ، والصحاح (١ / ٢٤٣) ، واللسان (٢ / ١٠ — ١١) ، والقاموس المحيط (١٨٩) ، والدر المصون

للسمين (٤ / ٥٩٥) ، وعمدة الحفاظ له (١ / ٢١١) ، ومفردات الراغب (١٣٥) .

(5) ينظر: جامع البيان للطبري (٩ / ٢٥٤) .

وَجَهَرَ: عَلَنَ وَبَدَأَ<sup>(١)</sup>.

وأما الاستعمال القرآني ، فقد استعمل القرآن كلمة "بغته" في الفجأة ،

كقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٤] ،

وقوله تعالى : ﴿ فَأَخَذْنَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٥] ،

وقوله تعالى : ﴿ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٣] .

وكذا استعمل القرآن كلمة " جهرة " في العيان والمعانية ؛

كقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [البقرة: ٥٥] ،

وقوله تعالى : ﴿ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهُ جَهْرَةً ﴾ [النساء: ١٥٣] .

وأما تفسير البغته بالليل ، والجهرة بالنهار ، فرؤي عن ابن عباس<sup>(٢)</sup> ، والحسن<sup>(٣)</sup> .

وعليه ابن أبي زمنين ، والواحدي ، والسمعاني ، والسيوطي<sup>(٤)</sup> .

وذكره ابن جزَيِّ بصيغة ( قيل ) ، ووافقه أبو السعود ، والشوكاني ، والقنوجي ، والقاسمي<sup>(٥)</sup> .

ودليله : أن البغته أكثر ما تأتي بالليل ، والجهرة بالنهار ، ولذا قال الله تعالى :

(1) ينظر: مجمل اللغة (١/ ٢٠٠) ، والصحاح (٢/ ٦١٨) ، وعمدة الحفاظ (١/ ٣٥٢) ، ومفردات الراغب (٢٠٨) ، واللسان (٤/ ١٤٩) ، مادة ( جهر ) .

(2) نسبه له الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٧٢) ، والبعوي في معالم التنزيل (٢/ ٢٣) .

(3) نسبه له الواحدي والبعوي [ ينظر: المصدرين السابقين ] ، والزمخشري في الكشاف (٢/ ٣٤٧) ، والرازي في مفاتيح الغيب (٤/ ٥٣٧) ، والقرطبي في الجامع (٨/ ٣٨٤) ، والنسفي في مدارك التنزيل (٢/ ١٢) ، والقمي في غرائب القرآن (٣/ ٨٠) ، وأبوحيان في البحر المحيط (٤/ ١٣٢) ، والآلوسي في روح المعاني (٧/ ١٥٣) ، والقنوجي في فتح البيان (٤/ ١٤٤) .

(4) ينظر: تفسير القرآن العزيز (٢/ ٦٩) ، والوجيز (١/ ٣٥٤) ، وتفسير القرآن (٢/ ١٠٥) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢/ ٣٧٢) .

(5) ينظر: إرشاد العقل السليم (٢/ ١٥١) ، وفتح القدير (٢/ ١٦٦) ، وفتح البيان (٤/ ١٤٤) ، ومحاسن التأويل (٦/ ٢٣١٧) .

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَيْكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتًا أَوْ نَهَارًا ﴾ [يونس: ٥٠] .

وقد ردّ هذا القول وأنكره الطاهر بن عاشور فقال : « العذاب الذي يجيء بغتة هو الذي لا تسبقه علامة ولا إعلام به ، والذي يجيء جهرة هو الذي تسبقه علامة مثل الكسف المحكي في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالَ لُوْهُ هَذَا عَارِضٌ مُّطْرِنَا ﴾ [الأحقاف: ٢٤] أو يسبقه إعلام به كما في قوله تعالى : ﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ﴾ [هود: ٦٥] ... وليس المراد من البغطة الحاصل ليلاً ، ومن الجهرة الحاصل نهاراً »<sup>(١)</sup>.

وقال الشنقيطي : « وهذا التفسير ليس كما ينبغي . بل التحقيق أن معنى ﴿ بَغْتَةً ﴾ أي: أتاكم العذاب في حال كونه مباغتاً . أي : مفاجئاً ، من أن تعلمونه بأسباب ، ولا علم لكم به . وقوله ﴿ جَهْرَةً ﴾ : أن يأتيكم العذاب بعد أن تعاینوا أسبابه وتروا أوائله حتى يقع بكم جهرة عياناً وأنتم تنظرون إليه »<sup>(٢)</sup>.

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أولى القولين بالصواب في معنى البغطة والجهرة هو ما رجّحه ابن جزيّ ومن وافقه ، وأن تفسير البغطة بالليل والجهرة بالنهار لا يستقيم به المعنى ؛ لأنه لو جاءهم ذلك العذاب ليلاً وقد عاینوا مقدمته لم يكن بغتةً ، ولو جاءهم نهاراً وهم لا يشعرون بمقدمته لم يكن جهرةً . والعذاب الذي يجيئهم إما أن يجيئهم من غير سبق علامة تدلّهم على مجيء ذلك العذاب أو مع سبق هذه العلامة . فالأول هو البغطة ، والثاني هو الجهرة . والأول سّماه الله تعالى بالبغطة ؛ لأنه فاجأهم به . وسمّى الثاني جهرة ؛ لأن نفس العذاب وقع بهم وقد عرفوه حتى لو أمكنهم الاحتراز عنه لتحرزوا منه<sup>(٣)</sup>.

ويؤيد هذا القول قاعدتان ترجيحيتان هما :

١— (حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى).

(1) التحرير والتنوير (٧/ ٢٣٧) .

(2) العذب النمير (١/ ٢٤١) .

(3) ينظر: مفاتيح الغيب (٤/ ٥٣٧، ٥٣٦)، والفتوحات الإلهية للجمل (٢/ ٣٧٢)، وفتح البيان للفتوح (٤/ ١٤٤).

٢- ( يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب )<sup>(١)</sup>، والله أعلم .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۗ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾<sup>(٥٢)</sup>

### ١٨- الخلاف في مرجع ضمير ﴿حِسَابِهِمْ﴾ .

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « قيل : الضمير في ﴿حِسَابِهِمْ﴾ للذين يدعون . وقيل : للمشركين ، والمعنى على هذا : لا تحاسب عنهم ولا يحاسبون عنك فلا تهمهم بأمرهم حتى تطرد هؤلاء من أجلهم . والأول أرجح ؛ لقوله : ﴿ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ [هود: ٢٩] وقوله : ﴿ إِن حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي ﴾ [الشعراء: ١١٣] والمعنى على هذا : أن الله هو الذي يحاسبهم فلا ي شيء تطردهم؟ »<sup>(٢)</sup>.

### العرض والمناقشة :

اتفق المفسرون على أن الضمير في ﴿فَطَطْرُدَهُمْ﴾ عائد على المؤمنين : ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ .

واختلفوا في عود ضمير ﴿حِسَابِهِمْ﴾<sup>(٣)</sup> و ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على قولين اثنين حكاهما ابن جزي، ورجح أنه يعود على ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ ، وعليه تكون الضمائر كلها للمؤمنين . ونسب هذا إلى عطاء<sup>(٤)</sup> . ورجحه أكثر المفسرين : الطبري، وابن أبي زمنين، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، والرازي، والبيضاوي، والنسفي، والقمي، وأبوحيان، والسمين، وابن كثير، والبقاعي، والسيوطي، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي،

(1) قواعد الترجيح (١/ ١٧٢) و (٢/ ٣٦٩) .

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٠) .

(3) في المراد بالحساب أقوال ابن جزي عن حكاية الخلاف فيها واقتصر على حكايته في مرجع الضمير . ينظر للفائدة : ( النكت والعيون للماوردي (٢/ ١١٨) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٤٧) .

(4) نسبه إليه الآلوسي في روح المعاني (٧/ ١٦٠) .

والقنوجي، والقاسمي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والشنقيطي<sup>(١)</sup>.  
وهو مفهوم كلام الماوردي، والقرطبي، والخازن، والسعدي<sup>(٢)</sup>. وجوزّه مائلاً إليه  
الطاهر بن عاشور<sup>(٣)</sup>.

ويشهد لرجحانه دليان :

الأول : السياق القرآني ، فإن الآية في ذكر ﴿ الَّذِينَ يَدْعُونَ ﴾ أولها وآخرها بل الآية  
قبلها في المؤمنين وهي قوله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ .

والثاني : النظائر القرآنية ، فإن هذه القصة شبيهة بقصة أول الرسل نوح عليه السلام  
كما في قوله تعالى في سورة هود : ﴿ وَيَقَوْمٍ لَا اسْتَكْبَمُوا عَلَيْهِ مَا لَأَنْ أَجْرَىٰ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ وَمَا أَنَا  
بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْتَقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٣٩﴾ وَيَقَوْمٍ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ  
إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

وقوله تعالى في سورة الشعراء : ﴿ قَالُوا أَنْزَمْنَا لَكَ وَأَتَّبَعَكَ الْأَرْدَلُونَ ﴿١١٣﴾ قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا  
كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوَ تَشْعُرُونَ ﴿١١٥﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾ .

فقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ مُلْتَقُوا رَبِّهِمْ ﴾ يفسره قوله تعالى : ﴿ إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي ﴾ أي :  
إنهم ملاقوه وحسابهم عليه . وقد جرى كثير من المفسرين على ذكر هذه الآية كالتفسير

(1) ينظر: جامع البيان (٩ / ٢٧٠)، وتفسير القرآن العزيز (٢ / ٧١)، والوجيز (١ / ٣٥٥) والوسيط (٢ / ٢٧٦)،  
ومعالم التنزيل (٢ / ٢٥)، والكشاف (٢ / ٣٥١)، ومفاتيح الغيب (٤ / ٥٤٢)، وأنوار التنزيل (١ / ٣٠٣)،  
ومدارك التنزيل (٢ / ١٣)، وغرائب القرآن (٣ / ٨٦)، والبحر المحيظ (٤ / ١٣٧)، والدر المصون (٤ / ٦٤٤)،  
وتفسير القرآن العظيم (٦ / ٤٢)، ونظم الدرر (٧ / ١٢٧)، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢ / ٣٧٦)،  
وإرشاد العقل السليم (٢ / ١٥٦)، وفتح القدير (٢ / ١٦٨)، وروح المعاني (٧ / ١٦٠)، وفتح البيان (٤ / ١٤٨)،  
ومحاسن التأويل (٦ / ٢٣٢٥)، وتفسير القرآن الحكيم (٧ / ٣٧٦)، وتفسير المراغي (٧ / ١٣٥)، والعذب النمير  
(١ / ٢٧٧) و أضواء البيان (٢ / ١٩٢).

(2) ينظر: النكت والعيون (٢ / ١١٨)، والجامع لأحكام القرآن (٨ / ٣٩٠)، ولباب التأويل (٢ / ١٨)، وتيسير الكريم  
الرحمن (٢ / ٢٥).

(3) ينظر: التحرير والتنوير (٧ / ٢٤٨).

لآية الأنعام<sup>(١)</sup>، ووافقهم ابن جُزَيّ على ذلك مستدلاً بها على ترجيح هذا القول .

وأما القول بأن ضمير ﴿حَسَابِهِمْ﴾ و﴿عَلَيْهِمْ﴾ يعودان على المشركين فنُسب إلى ابن عباس<sup>(٢)</sup> . ورجّحه ابن عطية<sup>(٣)</sup>، وجوّزه الطاهر بن عاشور<sup>(٤)</sup> .

وذكره بصيغة (قيل) : الزمخشري، والبيضاوي، والقمّي، وأبوحيان، وأبوالسعود، والقاسمي<sup>(٥)</sup> .

وأيده ابن عطية بأن ما بعد الفاء أبداً سبب ما قبلها ، وذلك لا يبين إذا كانت الضمائر كلها للمؤمنين<sup>(٦)</sup> .

وجوّزه الطاهر بناءً على قاعدة ( جواز عود الضمير على غير مذكور إذا فهم من السياق)<sup>(٧)</sup> .

وهي معارضة بقاعدة ( تطابق الضمائر ورجوعها إلى شيء واحد أولى من تفريقها)<sup>(٨)</sup> . وهذه القاعدة أولى بالتقدم هنا لا سيما أنه لا يصار إلى التفريق إلا حذراً من التنافر ولا تنافراً هنا .

ويؤيدها قاعدة ( إعادة الضمير إلى مذكور أولى من إعادته إلى مقدّر)<sup>(٩)</sup>، وقاعدة

1) منهم الزمخشري، والرازي، والنسفي، والقمي، وابن كثير، وأبوالسعود ، والشوكاني ، والقنوجي، والقاسمي، والشنقيطي .

2) نسبه له الألوسي في روح المعاني (٧/ ١٦٠) .

3) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٢١٠) .

4) ينظر: التحرير والتنوير (٧/ ٢٤٨) .

5) ينظر: الكشف (٢/ ٣٥٢)، وأنوار الترتيل (١/ ٣٠٣)، وغرائب القرآن (٣/ ٨٦)، والبحر المحيط (٤/ ١٣٧)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٥٦)، ومحاسن التأويل (٦/ ٢٣٢٥) .

6) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٢١٠) .

7) ينظر: التحرير والتنوير (٧/ ٢٤٩) .

8) ينظر: البرهان للزركشي (٤/ ٣٥ — ٣٨) ، والإتقان للسيوطي (٢/ ٢٨٤) ، والكليات للكفوي (٥٦٩) ، وأضواء البيان للشنقيطي (١/ ١٢) ، ودراسات في أسلوب القرآن الكريم لمحمد عبد الخالق عزيمة (٨/ ٣٦) ، وقواعد التفسير لخالد السبت (١/ ٤١٤) ، وقواعد الترجيح (٢/ ٦١٣) .

9) قواعد الترجيح (٢/ ٥٩٣) .

(الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور)<sup>(١)</sup>.

وأما عود الضمير على غير مذكور فيحتاج إلى دعم من دلالة السياق ، والسياق هنا في ذكر المؤمنين ( وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما )<sup>(٢)</sup>.

ويؤيده تشابه القصة مع قصة نوح عليه السلام .

وأما قول ابن عطية : " بأن ما بعد الفاء سببٌ لما قبلها ، وذلك لا يبين إذا كانت الضمائر كلها للمؤمنين " . فجوابه : أن قوله : ﴿ فَطَرَدَهُمْ ﴾ منصوب على جواب النفي ، والمراد : انتفاء الطرد لانتفاء كون حسابهم عليه وحسابه عليهم ؛ لأنه ينتفي المسبب بانتفاء سببه .

ويتوضح ذلك في مثال : " ما تأتينا فتحَدَّثنا " بنصب " فتحَدَّثنا " والمعنى : انتفاء الإتيان وانتفاء الحديث ، كأنه قيل : ما يقع منك إتيان فكيف يقع منك حديث ؟ وهذا المعنى هو مقصود الآية الكريمة ، أي : ما يكون مؤاخذه كل واحد بحساب صاحبه فكيف يقع طرد؟<sup>(٣)</sup>.

والمعنى : ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه فتكون من الظالمين ، ما عليك من حساب الذين يدعون ربهم من شيء ، وما من حسابك عليهم من شيء ؛ إنهم ملاقوا ربهم وإن حسابهم إلاّ عليه . فلاي شيء تطردهم ؟ والله أعلم .  
وبعد، فإذا تقرر هذا فإن ما رجّحه ابن جزيّ ومن وافقه هو الأولى بالصواب ، والله تعالى أعلم .

(1) المصدر السابق (٢ / ٦٢١).

(2) المصدر السابق (١ / ١٢٥).

(3) ينظر: الدر المنصون للسمين الحلبي (٤ / ٦٤٥) وجاء فيه : "منصوب على جواب النهي ! والصواب أنه منصوب

على جواب النفي . والمنصوب على جواب النهي هو قوله ﴿ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ . والنهي هو ﴿ وَلَا

تَطْرُدْهُمْ ﴾ ، والله أعلم .

قَالَ تَعَالَى:

﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾

﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِّلِينَ﴾ (٥٧)

١٩ - الخلاف في المراد بالشيء الذي استعجلوه في قوله:

﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « أي : العذاب الذي طلبوه في قولهم : ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الأنفال: ٣٢]. وقيل : الآيات التي اقترحوها . والأول أظهر »<sup>(١)</sup>.

العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيِّ أن الذي استعجلوه في قوله تعالى : ﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ هو العذاب الذي طلبوه في قولهم : ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ .  
ووافق ما رُوِيَ عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>، والحسن<sup>(٣)</sup>. وقال به مقاتل<sup>(٤)</sup>.

ورجَّحه الطبري، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، والواحدي، والزمخشري، وابن عطية، والرازي، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، والخازن، والقمي النيسابوري، وأبو حيان، وابن كثير، والثعالبي، والبقاعي، والسيوطي، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والقاسمي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي، والطاهر، والشنقيطي<sup>(٥)</sup>.

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (١١ / ٢) .

(٢) نسبه له الواحدي في الوسيط (٢٧٩ / ٢) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٥١ / ٣) .

(٣) نسبه له الواحدي في الوسيط (٢٧٩ / ٢) ، والموردي في النكت والعيون (١٢١ / ٢) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٥١ / ٣) .

(٤) ينظر: تفسير مقاتل (٥٦٤ / ١) .

(٥) ينظر: جامع البيان (٩ / ٢٨٠ ، ٢٨١) ، وبحر العلوم (١ / ٤٨٩) ، وتفسير القرآن العزيز (٧٢ / ٢) والوسيط (٢٧٩ / ٢) ، والكشاف (٢ / ٣٥٤) ، والمحرر الوجيز (٥ / ٢١٩) ، ومفاتيح الغيب (٥ / ٩) ، والجامع لأحكام

ويدل على رجحانه خمسة أدلة :

١- السياق القرآني ، فإن الآية التي بعدها وهي قوله تعالى : ﴿ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا سَتَّعِجُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ تدلُّ على هذا التفسير وأن المراد بما تستعجلون به هو العذاب<sup>(١)</sup>.

٢- النظائر القرآنية ، كقوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ [الحج: ٤٧] .

— وقوله تعالى في العنكبوت : ﴿ وَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾<sup>(٥٣)</sup> يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ<sup>(٥٤)</sup> .  
— وقوله تعالى في ص : ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴾<sup>(١٦)</sup> .  
والقطُّ المراد به هنا : العذاب<sup>(٢)</sup>.

— وقوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ﴾ [هود: ٨] .  
أي : أي شيء يحبس العذاب ويؤخره ولم لا يعجله؟<sup>(٣)</sup>

القرآن (٣٩٩/٨)، وأنوار التنزيل (٣٠٥ / ١)، ومدارك التنزيل (١٥ / ٢)، ولباب التأويل (٢٠ / ٢) ، وغرائب القرآن وغرائب الفرقان (٨٩ / ٣)، والبحر المحيط (١٤٢ / ٤)، وتفسير القرآن العظيم (٥١ / ٦)، والجواهر الحسان (٤٨٥ / ١)، ونظم الدرر (١٣٣ / ٧)، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢ / ٣٨٠)، وإرشاد العقل السليم (١٥٩ / ٢)، وفتح القدير (١٧٢ / ٢)، وروح المعاني (١٦٩ / ٧) وفتح البيان (١٥٣ / ٤)، ومحاسن التأويل (٢٣٣٨ / ٦)، وتفسير القرآن الحكيم (٣٩٠ / ٧)، وتفسير المراغي (١٤٢ / ٧)، وتيسير الكريم الرحمن (٢٨ / ٢)، والتحرير والتنوير (٢٦٦ — ٢٦٨ )، وأضواء البيان (٢ / ١٩٣ — ١٩٤) والعذب النمير (٣١٣/١) .

(1) ينظر: الوجيز (٣٥٧/١) والوسيط (٢٧٩/٢) للواحد، ومعالم التنزيل للبغوي (٢٨/٢) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٠٠/٨) ، وأنوار التنزيل للبيضاوي (٣٠٥/١) ، ولباب التأويل للخازن (٢٠/٢) ، ونظم الدرر للبقاعي (٣٣٤/٧) ، وفتح القدير (١٧٣ / ٢) ، وروح المعاني (١٧٠/٧) ، وفتح البيان (١٥٤ / ٤) ، والعذب النمير للشنقيطي (٣٢٣/١—٣٢٥) .

(2) ينظر: اللسان (١١٧ / ٣) مادة (قطط) ، والعذب النمير (٣١٣ / ١) .

(3) ينظر: العذب النمير للشنقيطي (٣١٣ / ١) .

— وقوله تعالى في يونس: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (٥٠) أَمْ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ ۗ ءَلَمْ تَكُنْ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ .

— وقوله تعالى في الأنفال: ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِنْ عِنْدِكَ فَامْطُرْ عَلَيْنَا جِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٣٣) .

— وقوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ ﴾ [الرعد: ٦] .

— وقوله تعالى في المعارج: ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَقَعِ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ ﴾ .

— وقوله تعالى: ﴿ أَفِعْدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> [الشعراء: ٢٠٤] ، [الصفات: ١٧٦] .

٣— سبب التزول :

قال الكلبي: « نزلت في النضر بن الحارث ورؤساء قريش كانوا يقولون: يا محمد، اتنا بالعذاب الذي تعدنا به استهزاءً منهم ، فنزلت هذه الآية ، وهي قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ ۗ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ۗ ﴾ الآية » <sup>(٢)</sup> .

٤— اللغة ، فإن معنى الاستعجال في اللغة : تعجيل طلب الشيء قبل وقته <sup>(٣)</sup> ، ولم يأت في القرآن استعجالهم إلا للعذاب ؛ لأن اقتراحهم الآيات لم يكن باستعجال <sup>(٤)</sup> .

٥— المعنى ، وذلك أن قوله: ﴿ وَكَذَّبْتُم بِهِ ۗ ﴾ يتضمن أنكم واقعتم ما تستوجبون به العذاب إلا أنه ليس عندي <sup>(٥)</sup> .

(1) ينظر : أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ١٩٣ — ١٩٤) و (٣/ ٧٨ — ٧٩) و (٥/ ٧١٦) و (٧/ ٢٣) ، والمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي (٤٤٧) .

(2) أسباب التزول للواحد (١٤٧) . وينظر: غرائب القرآن للقمي (٣/ ٨٩) .

(3) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/ ٤٠٠) .

(4) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٥/ ٢١٩) ، والبحر المحييط لأبي حيان (٤/ ١٤٢) ، والجواهر الحسان للثعالبي (١/ ٤٨٥) .

(5) ينظر: المصادر السابقة .

وأما القول بأن المراد بالذي استعجلوه هو الآيات التي اقترحوها وطلبوها من النبي صلى الله عليه وسلم ، فحكاه ابن جُزَيِّ بصيغة (قيل) ووافقه على هذا : القرطبي، والشوكاني، والقنوجي<sup>(١)</sup> .

وهو قول الزجاج<sup>(٢)</sup> ، ورجَّحه النحاس في معاني القرآن الكريم<sup>(٣)</sup> مع تجويزه للقول الأول ، وإن كان قوله في إعراب القرآن<sup>(٤)</sup> يشعر باختياره للأول . ولم يذكروا له دليلاً .  
وبعد، فإذا تقرر ذلك ، فإن ما رجَّحه ابن جُزَيِّ وجهاهير المفسرين هو القول الراجح، ويؤيده قواعد ترجيحية منها :

— قاعدة (حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى).

— وقاعدة ( تفسير السلف حُجَّة على من بعدهم ) .

— وقاعدة ( القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عُدَّ ذلك ) .

— وقاعدة ( القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجَّح على ما خالفه )<sup>(٥)</sup> .

والله تعالى أعلم .

(1) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٣٩٩/٨)، وفتح القدير (١٧٢ / ٢)، وفتح البيان (١٥٣ / ٤) .

(2) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٥٦ / ١) .

(3) (٤٣٣ / ٢) .

(4) (٧١ / ٢) .

(5) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (١ / ١٧٢ ، ٢٧١ ، ٣١٢ ، ٢٩٩) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا

يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾

٢٠- الخلاف في المراد بالكتاب المبين في قوله تعالى: ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى: « ﴿فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ : اللوح المحفوظ . وقيل : عِلْمُ اللَّهِ<sup>(١)</sup> .

### العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيِّ أن الكتاب المبين هو اللوح المحفوظ . ووافق مفهوم ما رُوِيَ عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>، وقتادة<sup>(٣)</sup> . وقاله مقاتل<sup>(٤)</sup> . ورجَّحه الطبري، والزجاج، والسمرقندي، والماوردي، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والقرطبي، وابن كثير، والسيوطي، والشوكاني، والقنوجي، والقاسمي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي<sup>(٥)</sup> . وجوزّه النحاس<sup>(٦)</sup> .

ولم يذكر ابن جُزَيِّ له دليلاً ، ويدلُّ له ثلاثة أدلة :

١- النظائر القرآنية ، فقد ورد في معنى هذه الآية آيات أخرى منها :

— قوله تعالى في يونس : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (١١ / ٢) .

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤ / ١٣٠٥) برقم (٧٣٧٢) وفي إسناده مجهول . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٢٧٩) نسبه إلى عبد بن حميد .

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤ / ١٣٠٥) برقم (٧٣٧٣) .

(4) تفسير مقاتل (١ / ٥٦٤) .

(5) ينظر: جامع البيان (٩ / ٢٨٣)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢ / ٢٥٧)، وبحر العلوم (١ / ٤٨٩)، والنكت والعيون (٢ / ١٢٢)، والوجيز (١ / ٣٥٧)، وتفسير القرآن (٢ / ١١١)، ومعالم التنزيل (٢ / ٢٩)، والجامع لأحكام القرآن (٨ / ٤٠٧)، وتفسير القرآن العظيم (٦ / ٥٣ — ٥٤)، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢ / ٣٨٤)، وفتح القدير (٢ / ١٧٤)، وفتح البيان (٤ / ١٥٦)، ومحاسن التأويل (٦ / ٢٣٤٣ ، ٢٣٤٥)، وتفسير القرآن الحكيم (٧ / ٤٠٣ — ٤٠٥ ، ٤١٠ — ٤١١)، وتفسير المراغي (٧ / ١٤٦)، وتيسير الكريم الرحمن (٢ / ٢٩) .

(6) ينظر: معاني القرآن الكريم (٢ / ٤٣٧) .

كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾ .

— وقال تعالى في سورة هود بعد بيان علمه بما يسرون وما يعلنون وعلمه بما في الصدور: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾ .

— وقوله تعالى في النمل: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٧٥﴾ .

— وقوله تعالى في سبأ: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمٌ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٣﴾ .

فهذه الآيات تُبَيِّنُ سعةَ علم الله وإحاطته وشموله ، كما تبين أن كل شيء مكتوب ومسطور في كتاب مبين ، وهو اللوح المحفوظ .

ولو كان المراد من الكتاب المبين في هذه الآيات هو العلم لختمها بذكره كما بدأها به؛ كما في قوله تعالى في المجادلة: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكْتُوْنَ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنْتَهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ .

لكن في التنصيص على ذكر الكتاب المبين دلالة على أن المراد به اللوح المحفوظ ، والله أعلم .

والمراد تقرير وإثبات مرتبتين من مراتب الإيمان بالقدر، وهما العلم والكتابة كما في قوله تعالى في الحج: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ .

ويؤكدده قوله تعالى في طه: ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا

يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ .

— وقوله تعالى في يس : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءِثْرَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ .

— وقوله تعالى في الحديد : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ .

— وقوله تعالى في القمر : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾ .

قال العلامة السيد محمد رشيد رضا : « جمهور علماء الإسلام على أن هذه الآيات كلها في معنى واحد فسرت الأحدث التي نورد أشهرها »<sup>(١)</sup> .

وقد بين العلماء — رحمهم الله — أن الإيمان بالقدر يقتضي الإيمان بأن الله تعالى علم كل شيء ثم كتبه ، كما أنه يقتضي الإيمان أيضاً بمشيئته وخلقته لكل شيء<sup>(٢)</sup> .  
والمقصود أن هذه الآيات الكريمة وغيرها تثبت الكتابة للمقادير في اللوح المحفوظ ، وهو الكتاب المبين والإمام المبين ، والذكر الأول ، والله أعلم .

٢— ما ورد في تفسير هذه الآيات التي مرّت من أحاديث<sup>(٣)</sup> ومن أشهرها :

— ما رواه البخاري في صحيحه<sup>(٤)</sup> من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ( كان الله ولم يكن شيء غيره ، وكان عرشه على الماء . وكتب في الذكر كل شيء وخلق السماوات والأرض ) .

— وما رواه أيضاً<sup>(٥)</sup> من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ( لما

(1) تفسير القرآن الحكيم (٧ / ٤٠٤) . ثم ساق الأحاديث .

(2) يراجع على سبيل المثال كتاب شفاء العليل لابن القيم (ص ٥٥ وما بعدها) .

(3) ينظر : تفسير القرآن الحكيم للسيد رشيد رضا (٧ / ٤٠٤) .

(4) في أول كتاب بدء الخلق ، برقم (٣١٩١) .

(5) برقم (٣١٩٤) وأطرافه : (٧٤٠٤ ، ٧٤١١ ، ٧٤٥٣ ، ٧٥٥٣ ، ٧٥٥٤) .

قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش : إن رحمتي غلبت غضبي ) .

— وما رواه مسلم في صحيحه<sup>(١)</sup> من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ( كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ) . قال : ( وعرشه على الماء ) .

— وروى الإمام أحمد والترمذي من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه : أن النبي ﷺ قال : ( أول ما خلق الله القلم ثم قال له : اكتب فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة )<sup>(٢)</sup> .

قال السيد محمد رشيد رضا : « فلهذه الأحاديث اتفق علماء التفسير بالمأثور على تفسير الكتاب المبين والإمام المبين وأم الكتاب والذكر في الآيات التي سردناها بذلك الكتاب المسمى باللوحة المحفوظة . ومن التكلف الظاهر أن يقال : إن المراد بها العلم الإلهي كما قال الرازي هنا »<sup>(٣)</sup> .

ثم بين مذهب السلف من وجوب الإيمان بالقلم واللوحة وما كتب القلم فيه من مقادير الخلق وإحصائه كل شيء من غير تحكيم الآراء والأقيسة في صفات شيء من ذلك ، وعدم قبول قول أحد غير المعصوم ﷺ فيما يزعمه من وصف اللوحة أو القلم أو تلك الكتابة<sup>(٤)</sup> .

٣— المعنى اللغوي للكتاب ، فإن مادة "كتب" تدل على الحُطِّ ، والكتاب : ما يكتب فيه . هذا هو المعروف من لغة العرب . وإنما قالوا للكاتب عَالِمٌ ؛ لأن الغالب على من يعرف الكتابة أن عنده العلم والمعرفة ، وكان الكاتب عندهم عزيزاً وفيهم قليلاً<sup>(٥)</sup> . ولم ينقل عن العرب أن الكتاب بمعنى العلم ، والله أعلم .

وأما القول الآخر في المراد بالكتاب المبين بأنه علم الله ، فلم أقف على أحد من السلف

(1) في كتاب القدر (٤ / ٢٠٤٤) برقم (٢٦٥٣) .

(2) مسند أحمد (٣١٧/٥) برقم (٢٢٧٥٧ ، ٢٢٧٥٩) ، وسنن الترمذي ، في كتاب القدر (٤ / ٤٥٧) برقم

(٢١٥٥) و كتاب التفسير (٥ / ٤٢٤) برقم (٣٣١٩) .

(3) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (٧ / ٤٠٥) .

(4) ينظر : المصدر السابق .

(5) ينظر : لسان العرب (١ / ٦٩٩) ، والقاموس المحيط (١٦٥) مادة (كتب) .

قال به ، وإنما ذكره النحاس ، قال : « **إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ** » : **إِلَّا يَعْلَمُهُ عِلْمًا يَقِينًا** «<sup>(١)</sup> .  
وقال في موضع آخر : « أي : كتبها الله لتعتبر الملائكة بذلك »<sup>(٢)</sup> .

ورجّحه الرازي، والطاهر بن عاشور<sup>(٣)</sup> .

وذكره بصيغة (قيل) : الشوكاني، وتلميذه القنوجي<sup>(٤)</sup> .

كما ذكر القولين معاً بصيغة (قيل) : ابن عطية، والثعالبي<sup>(٥)</sup> .

وسوّى بينهما الزمخشري، وتبعه البيضاوي، والنسفي، والقمّي، وأبو السعود<sup>(٦)</sup> .

وليس لهم دليل على هذا القول إلا ما فهموه من تكرير الاستثناء في الآية : **إِلَّا يَعْلَمُهَا** و **إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ** .

قال الزمخشري : « وقوله : **إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ** كالتكرير لقوله : **إِلَّا يَعْلَمُهَا** ؛ لأن معناه واحد . والكتاب المبين : علم الله تعالى أو اللوح »<sup>(٧)</sup> .

وجعلوا الاستثناء الأخير **إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ** بدلاً من الاستثناء الأول **إِلَّا**

(1) معاني القرآن الكريم (٢/ ٤٣٧) .

(2) إعراب القرآن (٢/ ٧١) . **ملحوظة** : نَسَبَ هذا القول إلى الزجاج : ابنُ الجوزي في زاد المسير (٣/ ٥٤) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٤/ ١٤٦) . والصواب أن الزجاج على القول الأول بأن الكتاب المبين يراد به اللوح المحفوظ . وينظر : مفاتيح الغيب للرازي (٥/ ١٢) ، وحاشية الشهاب (٤/ ٧٤) ، وروح المعاني للألوسي (٧/ ١٧٢) ، وتفسير المراغي (٧/ ١٤٦) . قال الألوسي : « ثم إن تفسير الكتاب باللوح هو الذي مشى عليه جماعة من المفسرين منهم الزجاج فقد قال : إنه تعالى أثبت المعلومات في كتاب من قبل أن يخلق الخلق كما قال سبحانه : **إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلُ أَنْ تَبْرَأَهَا** » [الحديد: ٢٢] . وقد سبق ذكر الزجاج فيمن وافق ابنَ جُزَيٍّ .  
وينظر : معاني القرآن وإعرابه له (٢/ ٢٥٧) .

(3) ينظر : مفاتيح الغيب (٥/ ١٢) ، والتحرير والتنوير (٧/ ٢٧٣) .

(4) ينظر : فتح القدير (٢/ ١٧٤) ، وفتح البيان (٤/ ١٥٦) .

(5) ينظر : المحرر الوجيز (٥/ ٢٢٣) ، والجواهر الحسان (١/ ٤٨٦) .

(6) ينظر : الكشاف (٢/ ٣٥٥) ، وأنوار التنزيل (١/ ٣٠٥) ، ومدارك التنزيل (٢/ ١٦) ، وغرائب القرآن (٣/ ٩٠) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٦٠) .

(7) ينظر : الكشاف (٢/ ٣٥٥) .

يَعْلَمُهَا ﴿ بدل الكل <sup>(١)</sup> .

قال أبو حيان : « وهذا الاستثناء — يعني قوله : ﴿ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ — جارٍ مجرى التوكيد ؛ لأن قوله : ﴿ وَلَا حَبَّةَ فِي ظُلْمَتٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَأْسٍ ﴾ معطوف على قوله : ﴿ مِنْ وَرَقَةٍ ﴾ ، والاستثناء الأول منسحب عليها ؛ كما تقول : ما جاءني من رجل إلا أكرمته ولا امرأة ، فالمعنى : إلا أكرمتها . ولكنه لما طال الكلام أعيد الاستثناء على سبيل التوكيد ، وحسنه كونه فاصلة رأس آية <sup>(٢)</sup> .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن ما رجّحه ابن جزيّ ومن وافقه هو الأولى بالصواب ؛ لظاهر القرآن ، ولا يجوز العدول عنه إلاّ بدليل يجب التسليم له <sup>(٣)</sup> ، وليس إليه من سبيل . والقول بأن المراد بالكتاب علمُ الله مجازاً <sup>(٤)</sup> ، والحقيقة مقدمة على المجاز ، ويجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة <sup>(٥)</sup> .

كما أن القول بأن المراد به اللوح المحفوظ هذا من التأسيس ، وفيه زيادة بيان بأن الله كتبه كما أنه علمه . والكلام إذا دار بين التأسيس والتأكيد كان حمله على التأسيس أولى <sup>(٦)</sup> .

وبيان ذلك : أن الله تعالى بيّن في الآية سعة علمه ، وأنه استأثر بعلم الغيب ، وأنه يعلم كل شيء ، ثم بيّن في آخر الآية أن ذلك كلّهُ مسطورٌ ومكتوبٌ في كتاب مبين وهو اللوح

(1) ينظر: أنوار التنزيل للبيضاوي (١/ ٣٠٥).

(2) البحر المحيط (٤/ ١٤٦) . وينظر: التحرير والتنوير (٧/ ٢٧٣).

(3) ينظر: قواعد الترجيح (١/ ١٣٧).

(4) قال الطاهر بن عاشور في تفسير سورة يونس (١١/ ٢١٥) : والكتاب : علم الله ، استعير له الكتاب ؛ لأنه ثابت لا يخالف الحق بزيادة ولا نقصان . وقال في آية الأنعام هذه : والمراد بالكتاب المبين علم الله تعالى سواء كان الكتاب حقيقة أم مجازاً عن الضبط وعدم التبديل . وقال : والمراد بالكتاب المبين العلم الثابت الذي لا يتغير ، وما عسى أن يكون عند الله من آثار العلم من كتابة أو غيرها لم يطلعنا على كنهها . التحرير والتنوير (٧/ ٢٧٣).

(5) ينظر: قواعد الترجيح (٢/ ٣٨٧).

(6) ينظر: المصدر السابق (٢/ ٤٧٣) .

المحفوظ . فجمعت الآية بين مرتبتين من مراتب الإيمان بالقدر وهما : الإيمان بعلم الله الشامل المحيط بكل شيء ، والإيمان بكتابة المقادير في اللوح المحفوظ ، والله أعلم .

ويؤيده قوّة أدلته ، ويترجّح بجملة من القواعد الترجيحية ومنها :

— إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرّجّح له على ما خالفه .

— والقول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عُدّم ذلك .

— ووجوب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب<sup>(١)</sup> .

فإذا كان ذلك كذلك ، فإن أرجح القولين في المراد بالكتاب المبين هو اللوح المحفوظ كما ذهب إليه ابن جزيّ ومن معه ، والله تعالى أعلم .

(1) ينظر: المصدر السابق (١/ ٢٠٦ ، ٣١٢) ، و (٢/ ٣٦٩) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْسِكُمْ سُيَاقًا وَيُلْهِيقَ بَعْضَكُمْ

بِأَسْبَاطِكُمْ أَنْظِرْ كَيْفَ نَصَرْنَا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾

٢١- اختلاف أهل التأويل في معنى العذاب الذي توعد الله به هؤلاء القوم أن يبعثه

عليهم من فوقهم أو من تحت أرجلهم.

قال ابن جزي رحمه الله : « قيل : الذي من فوق : إمطارُ الحجارة ، ومن تحت : الخسف . وقيل : ﴿ مِّنْ فَوْقِكُمْ ﴾ : تسليطُ أكابركم ، و﴿ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ : تسليط سفلاتكم . وهذا بعيد «<sup>(١)</sup>.

### العرض والمناقشة :

حكى ابن جزيّ — رحمه الله — الخلاف في المراد بالعذاب من فوق أو من تحت على قولين ، ورجح أن العذاب من فوق هو على حقيقته ، وهو النازل من السماء كإمطار الحجارة على قوم لوط وأصحاب الفيل . وأن العذاب من تحت الأرجل هو على حقيقته ، كالخسف بقارون وغيره<sup>(٢)</sup>.

وهذا قول أبي بن كعب<sup>(٣)</sup>،

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (١١ / ٢).

(٢) تنوّعت عبارات المفسرين في هذا ومؤداها واحد ، فعلى سبيل المثال : ﴿ مِّنْ فَوْقِكُمْ ﴾ : عذاب السماء ، الرجم ، القذف ، الحجارة ، الطوفان ... من تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ : الخسف ، الرجفة ، الزلزلة ... ينظر: زاد المسير لابن الجوزي (٥٩ / ٣) ، ومفاتيح الغيب للرازي (٢٠ / ٥) .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٨٠ / ١٥) ، وأحمد في مسنده (١٣٥ / ٥) ، وعبد بن حميد [ كما في الدر المنثور للسيوطي ٢٨٤ / ٣ ] ، والطبري في جامع البيان (٣٠٩ / ٩) ، وابن المنذر [ كما في الدر المنثور للسيوطي ٢٨٤ / ٣ ] ، وابن أبي حاتم (١٣٠٩ / ٤) (٧٣٩٨) ، وأبو الشيخ ، وابن مردويه [ كما في الدر المنثور للسيوطي ٢٨٤ / ٣ ] ، وأبو نعيم في الحلية (٢٥٣ / ١) من طريق أبي العالية ، عنه قال : (هن أربع وكلهن عذاب ، وكلهن واقع لا محالة ، فمضت اثنتان بعد وفاة رسول الله ﷺ بخمس وعشرين سنة ، فألبسوا شيعاً وذاق بعضهم بأس بعض ، وبقيت اثنتان واقعتان لا محالة : الخسف والرجم). وروي من وجه آخر : (الخسف والقذف) . وذكره الهيثمي في المجمع (٢٤ / ٧) وقال : « رواه أحمد ورجاله ثقات . قلت: والظاهر أن قوله " فمضت اثنتان

وابن مسعود<sup>(١)</sup>، ومجاهد<sup>(٢)</sup>، وسعيد بن جبير<sup>(٣)</sup>، والسدي<sup>(٤)</sup>، والحسن<sup>(٥)</sup>، وأبي العالية<sup>(٦)</sup>،  
وأبي مالك<sup>(٧)</sup>، ومقاتل<sup>(٨)</sup>، وابن جريج<sup>(٩)</sup>، وابن زيد<sup>(١٠)</sup>.

... الخ من قول رفيع — أبي العالية — فإن أبي بن كعب لم يتأخر إلى زمن الفتنة والله أعلم « اهـ . بتصرف يسير . وذكره ابن حجر في الفتح (٢٩٢ / ٨) وقال : « قد أُعْلِلَ هذا الحديث بأن أبي بن كعب لم يدرك سنة خمس وعشرين من الوفاة النبوية ، وأُعْلِلَ أيضًا بأنه مخالف لحديث جابر وغيره . وأجيب بأن طريق الجمع أن الإعادة المذكورة في حديث جابر وغيره مقيدة بزمان مخصوص وهو وجود الصحابة والقرون الفاضلة ، وأما بعد ذلك فيجوز وقوع ذلك فيهم « اهـ . وحديث جابر — رضي الله عنه — أخرجه البخاري وغيره [ ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦ / ٥٩ — ٦٠ ] وقد أورده المفسرون ، ومنهم ابن جرير ، ولفظه : ( لما نزلت هذه الآية ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ ﴾ قال رسول الله ﷺ : ( أعوذ بوجهك ) ﴿ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ قال : ( أعوذ بوجهك ) ﴿ أَوْ يَلِيْسَكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ قال رسول الله ﷺ : ( هذا أهون ) أو قال : ( هذا أيسر ) . والشاهد من ذكر حديث أبي بن كعب — رضي الله عنه — أنه يفسر العذاب من فوق بأنه الرحم ، ومن تحت الأرجل بأنه الخسف ، سواء كان المراد بذلك المؤمنين أو الكافرين .

- (1) أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٩٧ / ٩) عن يونس ، عن ابن وهب ، عن ابن زيد ، عنه قال : ... لو جاءكم عذاب من السماء لم يُبْقِ منكم أحدًا ، ... لو خسف بكم الأرض أهللكم ولم يُبْقِ منكم أحدًا ...
- (2) أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٩٧ / ٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٣١١ / ٤) (٧٤٠٩) . وعزاه السيوطي في الدرر (٢٨٣ / ٣) لأبي الشيخ .
- (3) أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٩٧ / ٩) عن سفيان [ بن وكيع ] ، ثنا يحيى بن آدم ، عن الأشجعي ، عن سفيان الثوري ، عن السدي ، عنه .
- (4) أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٩٧ / ٩) وابن أبي حاتم في تفسيره (١٣١٠ / ٤) (٧٤٠٣) من طريق أسباط ، عنه .

- (5) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣١٠ / ٤) (٧٤٠٣) عن أبيه ، ثنا هودّة ، ثنا عوف ، عنه .
- (6) أخرجه الطبري في جامع البيان (٣٠١ / ٩) بنحو حديث أبي بن كعب إلا أنه قال : ( الخسف والمسخ ) .
- (7) أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٩٦ / ٩) وابن أبي حاتم في تفسيره (١٣١٠ ، ١٣١١) (٧٤٠٢ ، ٧٤٠٩) من طريق الثوري ، عن السدي ، عن أبي مالك : ( الرحم والخسف ) . وعزاه السيوطي في الدرر (٢٨٣ / ٣) إلى عبد بن حميد ، وأبي الشيخ إلا أنه قال : ( القذف والخسف ) .

(8) تفسير مقاتل (١ / ٥٦٥) .

(9) نسبه إليه الواحد في الوسيط (٢ / ٢٨٣) .

- (10) نسبه إليه ابن كثير في تفسيره (٦ / ٧٣) . تنبيه : وقع في الوسيط للواحد (٢ / ٢٨٣) وزاد المسير لابن الجوزي (٣ / ٥٩) نسبة هذا القول لابن عباس — رضي الله عنهما — وهي نسبة غير صحيحة ، بل الثابت عنه القول الآخر وسيأتي بإذن الله ، والله أعلم . ولعل من عزاه لابن عباس يشير إلى رواية ضعيفة جدًا عند ابن مردويه من طريق عكرمة عن ابن عباس مرفوعًا . ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦ / ٧٠) ، والمعجم

وعليه الطبري، والفراء، والزجاج، وأبو العباس المبرد، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، والقرطبي، والبيضاوي، والحازن، والقمي النيسابوري، وأبو حيان، وابن كثير، والثعالبي، وابن حجر، والسيوطي، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والقاسمي، والسعدي، والطاهر بن عاشور<sup>(١)</sup>.

فهو قول جماهير المفسرين ، كما أنه قول أكثر السلف .

ويدل له النظائر القرآنية ، كقوله تعالى في سورة الإسراء : ﴿ رَبُّكُمْ الَّذِي يُزِيحُ لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ (٦٦) وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهُ فَلَمَّا نَجَّكُمُ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴾ (٦٧) أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكَيلًا ﴾ (٦٨) أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴾ (٦٩)<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: « ويشهد له بالصحة قوله تعالى: ﴿ ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُخْسِفَ بِكُمْ

الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورٌ ﴾ (١٦) أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْمُونَ كَيْفَ

نَذِيرٍ ﴾ (١٧) »<sup>(٣)</sup> [الملك: ١٦ - ١٧] .

الكبير للطبراني (١١ / ١٢٠٤٩) ، والدر المنثور (٣ / ٢٨٣) ، ومجمع الزوائد للهيثمي (١ / ١٢٢) .  
 (1) ينظر: جامع البيان (٩ / ٢٩٨) ، ومعاني القرآن (١ / ٣٣٨) ، ومعاني القرآن وإعراجه (٢ / ٢٥٩) ، ومعاني القرآن الكريم (٢ / ٤٤١) ، وبحر العلوم (١ / ٤٩١) ، وتفسير القرآن العزيز (٢ / ٧٥) ، والوجيز (١ / ٣٥٩) والوسيط (٢ / ٢٨٣) ، ومعالم التنزيل (٢ / ٣٠) ، والكشاف (٢ / ٣٥٧) ، والجامع لأحكام القرآن (٨ / ٤١٣-٤١٤) ، وأنوار التنزيل (١ / ٣٠٧) ، ولباب التأويل (٢ / ٢٣) ، وغرائب القرآن (٣ / ٩٦) ، والبحر المحيط (٤ / ١٥١) ، وتفسير القرآن العظيم (٦ / ٧٥) ، والجواهر الحسان (١ / ٤٨٩) ، وفتح الباري (٨ / ٢٩٢) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢ / ٣٨٩) ، وإرشاد العقل السليم (٢ / ١٦٣) ، وفتح القدير (٢ / ١٧٨) ، وروح المعاني (٧ / ١٨٠) ، وفتح البيان (٤ / ١٦١) ، ومحاسن التأويل (٦ / ٢٣٥٥) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢ / ٣٢) ، والتحرير والتنوير (٧ / ٢٨٤) .

(2) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦ / ٥٨) ، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢ / ١٦٣) . قال الحافظ

ابن حجر في فتح الباري (٨ / ٢٩٢) : ويستأنس له أيضًا بقوله تعالى : ﴿ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخْسِفَ بِكُمْ ﴾ الآية .

(3) تفسير القرآن العظيم (٦ / ٥٨) .

وفي الحديث : ( ليكونن في هذه الأمة قذف وخسف ومسخ )<sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير : « وذلك مذكور مع نظائره في أمارات الساعة وأشراتها ، وظهور الآيات قبل يوم القيامة »<sup>(٢)</sup>.

ويدل له أيضاً اللغة،

قال ابن جرير الطبري : « فإن المعروف في كلام العرب من معنى (فوق) و (تحت الأرجل) هو ذلك دون غيره ... وحمله على الأغلب الأشهر من معناه أحق وأولى من غيره، ما لم تأت حجة مانعة من ذلك يجب التسليم لها »<sup>(٣)</sup>.

وحقيقة اللفظ تدل عليه ، والأصل حمل ألفاظ القرآن على الحقيقة لا على المجاز .

قال أبو حيان : « والظاهر من ﴿ فَوْقَكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ الحقيقة »<sup>(٤)</sup>.

وهذا هو المتبادر إلى الذهن<sup>(٥)</sup>، فلا يفهم من الفوقية إلا العلو حقيقة، ولا يفهم من التحتية إلا السفلى حقيقة ، هذا الفهم هو أول ما يتبادر إلى ذهن السامع .

وأما القول الآخر وهو أنه ليس على الحقيقة ، بل المراد من العذاب من فوق : تسليط الأكابر والأشراف وأئمة السوء ، وأن الذي من تحتهم : هو تسليط خدام السوء والسفلة وعبيد السوء ، فهو قول ابن عباس<sup>(٦)</sup>،

(1) أخرجه الترمذي (٢١٥٢) ، وابن ماجه (٤٠٦١) من حديث عبد الله بن عمر . قال الترمذي : حديث حسن

صحيح غريب . وفي الباب عن عبد الله بن مسعود ، وسهل بن سعد ، وعبد الله بن عمرو .

(2) تفسير القرآن العظيم (٦ / ٧٥).

(3) جامع البيان (٩ / ٢٩٨) بتصرف يسير .

(4) البحر المحيط (٤ / ١٥١).

(5) ينظر: روح المعاني للآلوسي (٧ / ١٨٠) .

(6) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٢٩٨) وابن أبي حاتم (٤ / ١٣٠٩ ، ١٣١٠) (٧٤٠٠ ، ٧٤٠٧) كلاهما

من طريق ابن وهب ، عن خلاد ، عن عامر بن عبد الرحمن ، عن ابن عباس قال : ( فأما العذاب من فوقكم

فأئمة السوء ، وأما العذاب من تحت أرجلكم فخدم السوء ) . وعزاه السيوطي في الدر (٣ / ٢٨٣) إلى أبي الشيخ

. وأخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٢٩٨) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه قال : (...من أمرائكم ،

..سفلتكم) . وأخرجه ابن المنذر — كما في الدر (٣ / ٢٨٣) — وابن أبي حاتم (٤ / ١٣١١) (٧٤٠٨) بلفظ

وأبي سنان الشيباني<sup>(١)</sup>، وعمير بن هانيء<sup>(٢)</sup> . ونسب إلى الضحاك<sup>(٣)</sup>، ومجاهد<sup>(٤)</sup> .  
ولم أر من رجّحه من المفسرين ، وإن كان البعض قد ذكره مع القول الأول على وجه  
التساوي بينهما<sup>(٥)</sup> .

وذكره بصيغة (يقال أو قيل) : السمرقندي، والزمخشري، والقرطبي، والبيضاوي،  
والقمي النيسابوري، وأبو السعود، والشوكاني، والقنوجي<sup>(٦)</sup> . ووافقهم ابن جزيّ واستبعده .  
ودليله : العموم ، فإن لفظ " العذاب " في الآية نكرة ، ولما كان ذلك كذلك جاز  
حملة على كل عذاب يأتي من فوق الرؤوس ومن تحت الأرجل ، أو من رؤساء الناس أو من  
تحوتهم . وهذا الإبهام مراد لأجل هذا الشمول ، وحكمته في القرآن أن ينطبق معنى اللفظ  
على ما يدل عليه مما يحدث في المستقبل أو ينكشف للناس فيه ما كان خفياً عنهم<sup>(٧)</sup> .

فمراد ابن عباس أن لفظ الآية مما يصدق على ذلك ؛ لأن العذاب كل ما مرّ — من  
المرارة — على النفس ، وشقّ عليها ، لا أن ذلك هو المراد من الآية ؛ لنبوّه عن مقام التهويل  
في شديد الوعيد ؛ ولخفاء الكناية عن ذلك من جوهر اللفظ ؛ ولعدم موافقته لنظائر الآية في  
هذا الباب — كما لا يخفى — والسلف كانوا يستشهدون بالآيات في بعض الشؤون

(عبيدكم وسفنتكم) . وعزاه السيوطي في الدر (٣ / ٢٨٣) إلى أبي الشيخ وفيه : من أمرائكم وأشرافكم  
...سفنتكم وعبيدكم . وينظر: صحيفة علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ص (٢٠٠) .

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤ / ١٣١٠ ، ١٣١١) (٧٤٠١ ، ٧٤٠٨) عن أبيه ، عن عبد الله بن حمزة بن  
إسماعيل ، عن أبيه ، عن أبي سنان .

(2) أخرجه ابن أبي حاتم (٤ / ١٣١٠) (٧٤٠١) بلفظ : (أمراء السوء) .

(3) نسبه إليه : النحاس في معاني القرآن الكريم (٢ / ٤٤٠) ، والبغوي في معالم التنزيل (٢ / ٣٠) ، والخازن في لباب  
التأويل (٢ / ٢٣) ، والقنوجي في فتح البيان (٤ / ١٦١) .

(4) نسبه إليه : البغوي (٢ / ٣٠) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٨ / ٤١٤) ، والخازن (٢ / ٢٣) .

(5) ينظر: النكت والعيون للماوردي (٢ / ١٢٦) ، وتفسير القرآن للسمعاني (٢ / ١١٣) ، ومدارك التنزيل للنسفي  
(٢ / ١٧) .

(6) ينظر: بحر العلوم (١ / ٤٩٢) ، والكشاف (٢ / ٣٥٧) ، والجامع لأحكام القرآن (٨ / ٤١٤) ، وأنوار التنزيل  
(١ / ٣٠٧) ، وغرائب القرآن (٣ / ٩٦) ، وإرشاد العقل السليم (٢ / ١٦٣) ، وفتح القدير (٢ / ١٧٨) ، وفتح البيان  
(٤ / ١٦١) .

(7) ينظر: تفسير القرآن الحكيم (٧ / ٤٢٣) .

والمقامات إشعاراً بأن معناها يحاكي تلك الوقاعات ، لا أنها نزلت في تلك القضايا ، وهذا مما لا ينكر<sup>(١)</sup>.

وعليه، فإن تفسير ابن عباس هو من حمل اللفظ على مجازه<sup>(٢)</sup>، ويدل عليه العموم في اللفظ<sup>(٣)</sup>. ويؤيده القاعدة الترجيحية : ( يجب حمل نصوص الوحي على العموم )<sup>(٤)</sup>.

وبعد، فإذا كان ذلك كذلك فإن ما رجّحه ابن جزيّ ومن معه هو أولى القولين بالصواب؛ لقوة أدلته، ويؤيده جملة من القواعد الترجيحية لا تنهض القاعدة السالفة على معارضتها، منها:

— قاعدة ( لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلاّ بدليل )<sup>(٥)</sup>.

— وقاعدة ( يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة )<sup>(٦)</sup>.

— وقاعدة ( القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك )<sup>(٧)</sup>.

— وقاعدة ( يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب )<sup>(٨)</sup>.

والله تعالى أعلم .

(1) ينظر: محاسن التأويل (٦/ ٢٣٥٨).

(2) ينظر: مفاتيح الغيب (٥/ ٢٠).

(3) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٢٣١).

(4) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/ ٥٢٧).

(5) ينظر: المصدر السابق (١/ ١٣٧).

(6) ينظر: المصدر السابق (٢/ ٣٨٧).

(7) ينظر: المصدر السابق (١/ ٣١٢).

(8) ينظر: المصدر السابق (٢/ ٣٦٩).

قَالَ تَعَالَى:

﴿ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ

الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُمْ أَصْحَابٌ يُدْعُونَهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ أُتَيْنَا قُلُوبًا هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ

وَأْمَرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾

٢٢ - المراد بالذي استهوته الشياطين.

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « وهذا كله تمثيل لمن ضلَّ في الدين عن الهدى ، وهو يُدعى إلى الإسلام فلا يجيب . وقيل : نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق حين كان أبوه يدعوه إلى الإسلام . ويطلق هذا قول عائشة : ما نزل في آل أبي بكر شيء من القرآن إلا براءتي »<sup>(١)</sup>.

#### العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيِّ أن المراد بالذي استهوته الشياطين ضُربُ المثل لمن ضلَّ في الدين عن الهدى ، وهو يُدعى إلى الإسلام فلا يجيب .

وهذا قول ابن عباس<sup>(٢)</sup>، ومجاهد<sup>(٣)</sup>، والسُّدِّي<sup>(٤)</sup>.

وعلى ذلك ابن جرير الطبري، وابن أبي زمنين، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، وابن عطية، والخازن، وأبوحيان، وابن كثير، والثعالبي، والشوكاني، والسيد محمد رشيد

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (١٣ / ٢) .

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٣٢٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤ / ١٣٢١) (٧٤٦٩، ٧٤٧٣) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٢٩٥) نسبه إلى ابن المنذر .

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٣٣٠) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤ / ١٣٢١) (٧٤٧١) من طريق ابن أبي نجیح ، عنه . وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢ / ٢١٢)، والطبري في جامع البيان (٩ / ٣٣١) كلاهما عن معمر، عن رجل ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٢٩٦) نسبه إلى ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٣٢٨ — ٣٢٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤ / ١٣٢٠ — ١٣٢٢) (٧٤٦٨، ٧٤٧٢) من طريق أحمد بن المفضل ، عن أسباط ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٢٩٦) نسبه إلى أبي الشيخ .

رضا، والمراغي<sup>(١)</sup>.

وأما القول بأن الآية نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق فقد أبطله ابن جزيّ بقول عائشة رضي الله عنها الذي رواه البخاري في صحيحه، من طريق يوسف بن ماهك قال : « كان مروان على الحجاز استعمله معاوية فخطب، فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يُبَاعَ له بعد أبيه . فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئاً ، فقال : خذوه . فدخل بيت عائشة فلم يقدرُوا ، فقال مروان : إن هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَلَدَيْهِ أُفٍّ لَكُمْ أَتَعِدَانِي ﴾ [الأحقاف : ١٧]. فقالت عائشة من وراء الحجاب : ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل عُذْرِي »<sup>(٢)</sup>.

فنفث عائشة رضي الله عنها أن يكون نزل شيء من القرآن في آل أبي بكر ، لا آية الأحقاف ولا آية الأنعام ، إلا أن الله أنزل براءتها وعذرها في سورة النور كما لا يخفى .

وقد نُسِبَ هذا القول إلى ابن عباس<sup>(٣)</sup>،

(1) ينظر: جامع البيان (٩/ ٣٢٨)، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ٧٧)، والوجيز (١/ ٣٦١) والوسيط (٢/ ٣٨٧)، وتفسير القرآن (٢/ ١١٧)، ومعالم التنزيل (٢/ ٣٣)، والمحرم الوجيز (٥/ ٢٤٣)، ولباب التأويل (٢/ ٢٥)، والبحر المحيط (٤/ ١٥٧-١٥٨)، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ٧٩-٨١)، والجواهر الحسان (١/ ٤٩١)، وفتح القدير (٢/ ١٨٦)، وتفسير القرآن الحكيم (٧/ ٤٥٠)، وتفسير المراغي (٧/ ١٦٥) .

(2) صحيح البخاري — كتاب التفسير — سورة الأحقاف — باب ﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَلَدَيْهِ أُفٍّ لَكُمْ أَتَعِدَانِي ﴾ برقم (٤٨٢٧). وزاد الثعالبي في الجواهر الحسان (١/ ٤٩٢) آيتين في شأن أبي بكر: ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ ﴾ التوبة : ٤٠ ، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ ﴾ النور: ٢٢. والآية الثانية متصلة بقصة الإفك فهي مما نزل في براءة الصديقة بنت الصديق وإن كان أبو بكر هو المقصود بها . وينظر: فتح الباري لابن حجر (٨/ ٥٧٧) .

(3) نسبه إليه السمرقندي في بحر العلوم (١/ ٤٩٤) برواية أبي صالح ، عنه . وتبعه الماوردي في النكت والعيون (٢/ ١٣٢) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٦٧) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٤٢٨) ، والطاهر ابن عاشور في التحرير والتنوير (٧/ ٣٠٣) . وأخرج الطبري (٢١/ ١٤٤) بالإسناد المسلسل بالعوفيين ، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَلَدَيْهِ أُفٍّ لَكُمْ أَتَعِدَانِي ﴾ الخ الآية قال : الذي قال هذا ابن لأبي بكر رضي الله عنه قال : ﴿ أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ ﴾ : أتعداني أن أبعث بعد الموت . وهذا إسناد ضعيف لا يثبت عن ابن عباس ، وهو معارض بما في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها ، وأيضا ليس فيه تسمية هذا الابن . قال ابن

وقال به مقاتل<sup>(١)</sup>. وعليه الفراء، والرازي، والبيضاوي، والنسفي، والقميّ النيسابوري<sup>(٢)</sup>.

وكأنّ الطاهر بن عاشور يميل إليه بناء على نقله لما نُسب لابن عباس<sup>(٣)</sup> ! وإن كان يذهب إلى أن العبرة بعموم اللفظ .

وضَعَفَ هذا القولَ ابنُ عطية، وأبوحيان، والثعالبي<sup>(٤)</sup> مستدلين بقول عائشة السابق .

وذكره بصيغة (قيل) : الزجاج، والزخشي، وأبوالسعود، والآلوسي<sup>(٥)</sup> .

واستدل من ذهب إلى هذا القول بما نُسبَ إلى ابن عباس ، وهي نسبة غير صحيحة ، بل الثابت عنه القول الأول ، والله أعلم .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن القول الصحيح : أن الآية مثَلُ مضروبٍ لِمَنْ ضَلَّ في الدين عن الهدى ، وهو يُدعى إلى الإسلام فلا يجيب ، وأن الآية لم تنزل في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق — رضي الله عنهما — وقول عائشة في الصحيح يبطل قول مروان وما نسب إلى ابن عباس .

وهذا القول الذي رجّحه ابن جُزَيٍّ ومن وافقه هو أولى القولين بالصواب ، بل إن القول الآخر لا يصحُّ البتّة .

ويؤيّد ذلك : أن قول الصحابي مقدّم على غيره في التفسير<sup>(٦)</sup> . فالتفسير الثابت عن

حجر في الفتح (٥٧٧ / ٨) : والعجب مما أورده الطبري من طريق عطية العوفي ، عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية في عبد الرحمن بن أبي بكر . وقد تعقبه الزجاج فقال : الصحيح أنها نزلت في الكافر العاق ، وإلا فبعد الرحمن قد أسلم فحسن إسلامه وصار من خيار المسلمين ...

(1) ينظر: تفسير مقاتل (١ / ٥٦٨) .

(2) ينظر: معاني القرآن (٣٣٩ / ١)، ومفاتيح الغيب (٥ / ٢٦)، وأنوار التنزيل (١ / ٣٠٨)، ومدارك التنزيل (١٨ / ٢)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣ / ٩٩) .

(3) ينظر: التحرير والتنوير (٧ / ٢٩٩، ٣٠٣) .

(4) ينظر: المحرر الوجيز (٥ / ٢٤٤)، والبحر المحيظ (٤ / ١٥٧)، والجواهر الحسان (١ / ٤٩٢) .

(5) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢ / ٢٦٢)، والكشاف (٢ / ٣٦٢)، وإرشاد العقل السليم (٢ / ١٦٦)، وروح المعاني (٧ / ١٨٨) .

(6) ينظر: قواعد التفسير لخالد السبت (١ / ١٨٦) .

ابن عباس هو القول الأول ، سيما وأن عائشة قد أبطلت القول الآخر ، فيقدّم هذا التفسير الثابت الصحيح على تفسير مقاتل ومن وافقه ، وهو أمر في غاية الظهور بحمد الله ، والله تعالى أعلم.

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَأَزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرِنكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (٧٤)

### ٢٣- التحقيق في اسم أبي إبراهيم عليه السلام.

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « ﴿ لِأَبِيهِ ءَأَزَرَ ﴾ : هو اسم أبي إبراهيم ، فأعرأبه عطفُ بيانٍ أو بدلٌ ، ومُنْعَ من الصرف للعُجْمَة والعَلَمِيَة ، لا للوزن ؛ لأن وزنه : فاعل نحو: عابر وشالِح . وقريء بالرفع على النداء . وقيل : إنه اسم صنم ؛ لأنه ثبت أن اسم أبي إبراهيم تارخ، فعلى هذا يحتمل أن يكون لُقَّبَ به؛ لملازمته له ، أو أريد : عابد آزر ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ، وذلك بعيد . ولا يبعد أن يكون له اثنان «<sup>(١)</sup> .

### العرض والمناقشة :

اختلف المفسرون في اسم أبي إبراهيم — عليه السلام — هل هو آزر ؟ أم تارخ ؟ أم له اسمان ؟ رجَّح ابن جُزَيِّ أنه آزر ، ووافق قولَ السدِّي<sup>(٢)</sup> ، ومحمد بن إسحاق<sup>(٣)</sup> ، وسعيد بن عبد العزيز<sup>(٤)</sup> ، والضحاك<sup>(٥)</sup> ،

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (١٣ / ٢).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٣٤٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤ / ١٣٢٤) (٧٤٩٠) من طريق أحمد بن الفضل ، عن أسباط، عنه . وفيه زيادة : ( ويقال : لا ، بل اسمه تارح ، واسم الصنم آزرُ ، يقول : أتخذ آزر أصناماً آلهة) . وينظر: جامع البيان (٩ / ٣٤٤) . أما لفظ ابن أبي حاتم : ( اسم أبيه آزر ، فقال : بل اسمه تارح ، واسم الصنم آزر ، فقال : أتخذ أصناماً ) . واللفظ الوارد في جامع البيان أضبط ، ويفهم منه أن السدي يقول: إن آزر هو اسم أبي إبراهيم ، وهذا الذي يظهر من خلال هذه الرواية عنه ، وعلى هذا نُسِبَ هذا القول إلى السدي ، وممن نسبه إليه : ابن الجوزي في زاد المسير (٣ / ٧٠) . وفهم آخرون أن السدي يقول : إنه اسم صنم وليس اسماً لأبي إبراهيم ، ولذا نسبوا إليه القول بذلك ومنهم : ابن كثير في تفسيره (٦ / ٩٤) ، والسيوطي في الدر المنثور (٣ / ٣٠٠) ، والآلوسي في روح المعاني (٧ / ١٩٤) .

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٣٤٣) وفي تاريخ الأمم والملوك (١ / ٢٣٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤ / ١٣٢٥) (٧٤٩٤) من طريق سلمة بن الفضل ، عنه .

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٣٤٣) عن ابن البرقي ، عن عمرو بن أبي سلمة ، عنه قال : هو آزر ، وهو تارح ، مثل : إسرائيل ويعقوب .

(٥) أخرجه أبو الشيخ عنه كما في الدر المنثور للسيوطي (٣ / ٣٠٠).

والحسن<sup>(١)</sup>، والكلبي<sup>(٢)</sup>.

ووافق ابن جُزَيِّ في هذا الترجيح أكثرُ المفسِّرين : الطبريُّ، والنحاس، والكرماني، والزمخشري، والرازي، والبيضاوي، والخازن، والقمي، وأبوالمحسن القرشي اليماني، وأبوحيان، وابن كثير، وابن حجر، والبلنسي، والآلوسي، والجمل، والقنوجي، والقاسمي، والسيد رشيد رضا، والمراغي، وأحمد شاكر، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي<sup>(٣)</sup>.

وذهب إليه من أئمة اللغة الخليلُ، وابنُ منظور<sup>(٤)</sup>.

قال ابن حجر : « وهو المعتمد ».

ويدل لصحته أربعة أدلة :

الأول : ظاهر القرآن ، فإن ظاهر قوله سبحانه ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَاِزَرَ ﴾ ، يدلُّ على أن اسم أبيه آزرُ ؛ لأن الله تعالى أخبر أنه أبوه وسماه آزرَ ، ولا يجوز العدولُ عن ظاهر القرآن إلاَّ بدليل يجب التسليم له<sup>(٥)</sup>، لا سيما وقد عضدَّ هذا الظاهرَ الحديثُ الصحيحُ وهو

(1) نسبه إليه : النحاس في معاني القرآن الكريم (٢ / ٤٤٨) ، والماوردي في النكت والعيون (٢ / ١٣٤) ، والسمعي في تفسير القرآن (٢ / ١١٨) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٣ / ٧٠) ، والقرطي في الجامع لأحكام القرآن (٤٣٣/٨).

(2) نسبه إليه : السمرقندي في بحر العلوم (٢ / ٤٩٥) ، والبغوي في معالم التنزيل (٢ / ٣٥) ، والقرطي في الجامع لأحكام القرآن (٤٣٣/٨) ، والخازن في لباب التأويل (٢ / ٢٦) .

(3) ينظر: جامع البيان (٩ / ٣٤٥)، ومعاني القرآن الكريم (٢ / ٤٤٨)، وإعراب القرآن (٢ / ٧٦)، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (١ / ٣٦٧)، والكشاف (٢ / ٣٦٥)، ومفاتيح الغيب (٥ / ٣١، ٣٢)، وأنوار التنزيل (١ / ٣٠٨)، وحاشية الشهاب (٤ / ٨٤)، ولباب التأويل (٢ / ٢٦)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣ / ١٠٣)، والترجمان عن غريب القرآن (٤٤)، والبحر المحيط (٤ / ١٦٣)، وتفسير القرآن العظيم (٦ / ٩٤)، وفتح الباري (٨ / ٥٧٧)، ومبهمات القرآن (١ / ٤٣٢)، والفتوحات الإلهية (٢ / ٤٠٠)، وروح المعاني (٧ / ١٩٤)، وفتح البيان (٤ / ١٧٥)، ومحاسن التأويل (٦ / ٢٣٦٩)، وتفسير القرآن الحكيم (٧ / ٤٦١)، وتفسير المراغي (٧ / ١٦٨)، والمعرب للجواليقي بتحقيق أحمد شاكر (٣٥٩)، والتحرير والتنوير (٧ / ٣١٠)، والعذب النмир (١ / ٣٤٢).

(4) ينظر: العين (٦ / ٣٨٢)، واللسان (٤ / ١٨) مادة (أزر).

(5) ينظر: جامع البيان للطبري (٩ / ٣٤٥) ، وغرائب التفسير للكرماني (١ / ٣٦٧) ، ومفاتيح الغيب للرازي (٥ / ٣١) ، ولباب التأويل للخازن (٢ / ٢٦) ، والعذب النмир للشنقيطي (١ / ١٠٣).

الدليل الثاني : فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَى وَجْهِهِ آزَرٌ قَتْرَةٌ وَغَبْرَةٌ فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ : لَا تَعْصِنِي ؟ فَيَقُولُ أَبُوهُ : فَالْيَوْمَ لَا أَعْصِيكَ ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ : يَا رَبِّ ، إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الْأَبْعَدِ ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : إِنِّي حَرَمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا إِبْرَاهِيمُ ، مَا تَحْتَ رَجْلِكَ ؟ فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذَيْخٍ مُلْتَطِحٍ فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ) (١) .

فالله تعالى سَمَّاهُ فِي الْقُرْآنِ آزَرَ ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَذَلِكَ سَمَّاهُ آزَرَ وَلَمْ يَقُلْ : أَبَاهُ تَارِحَ ، فَتَبَّتْ بِهَذَا أَنْ اسْمَهُ الْأَصْلِيُّ آزَرَ لَا تَارِحَ ، وَلَا قَوْلٌ لِأَحَدٍ مَعَ قَوْلِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَائِنًا مِنْ كَانَ (٢) .

الثالث : الِوَضْعُ اللَّغْوِيُّ لِكَلِمَةِ "الْأَب" ، فَإِنَّ دَلَالََةَ لَفْظِ ﴿لَأَبِيهِ﴾ عَلَى مَعْنَاهُ الْوَضْعِيُّ فِي اللُّغَةِ يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ هَذَا الْقَوْلِ ؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي الْإِطْلَاقِ الْحَقِيقَةَ (٣) .

قال العلامة الشنقيطي : « وَالْأَبُ إِذَا أُطْلِقَتْهُ الْعَرَبُ انْصَرَفَ إِلَى أَبِ الرَّجُلِ الَّذِي وَوَلَدَهُ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَحْمَلَ عَلَى أَنَّهُ عَمُّهُ إِلَّا بِدَلِيلٍ يَجِبُ الرَّجُوعُ إِلَيْهِ ، لَا سِوَمَا لَوْ كَثُرَ ذِكْرُهُ فِي الْقُرْآنِ بِعِبَارَاتٍ كَثِيرَةٍ مُخْتَلِفَةٍ عَلَى أُنْحَاءٍ مُخْتَلِفَةٍ ، كُلُّهَا صَرِيحَةٌ فِي أَنَّهُ أَبُوهُ ، فَنَقَلُهَا إِلَى عَمِّهِ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ مِنْ كِتَابٍ وَلَا سَنَةَ تَجَرُّؤُ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى كِتَابِهِ بِمَا لَا يَجُوزُ » (٤) .

الرابع : قِرَاءَةُ ﴿ ۞ ﴾ بِالرَّفْعِ ، وَهِيَ قِرَاءَةُ يَعْقُوبَ الْحَضْرَمِيِّ أَحَدِ الْقُرَاءِ الْعَشْرَةِ (٥) .

وتخریجها : أَنَّهُ مَنَادَى مُبْنِي عَلَى الضَّمِّ ، وَلَا تَنَادَى إِلَّا الْأَعْلَامُ .

- (1) صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى : ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ برقم (٣٣٥٠) . وينظر: فتح الباري (٦ / ٣٨٩) .
- (2) ينظر: لباب التأويل للبخاري (٢ / ٢٦) ، وفتح البيان للفتوحي (٤ / ١٧٥) .
- (3) ينظر: محاسن التأويل للقاسمي (٦ / ٢٣٦٨) .
- (4) العذب النمير (١ / ٣٤٣) . وينظر: الأقوال الشاذة في التفسير لعبد الرحمن الدهش (٢٤٨ — ٢٨٨) .
- (5) قال الفراء: قرأ يعقوب بالرفع على النداء (آزَرَ) أي : يا آزرُ . وهو وَجْهٌ حَسَنٌ . [ معاني القرآن ١ / ٣٤٠ ] . وينظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري (٢ / ٢٥٩) ، وإتحاف فضلاء البشر للبنا (١٢٧) .

وهذه القراءة الثابتة تقوّي القول بأن آزر اسم أبي إبراهيم ، وهذا دليل العَلَمِيَّة ؛ إذ لا يحذف حرف النداء إلا من الأعلام . وحذف حرف النداء من الصفات شاذ<sup>(١)</sup> .

وأما القول بأن آزر اسم صنم ، وأن اسم أبي إبراهيم هو : تارح<sup>(٢)</sup> ، فروي عن ابن عباس<sup>(٣)</sup> ، ومجاهد<sup>(٤)</sup> ، وابن جريج<sup>(٥)</sup> ، وسعيد بن المسيب<sup>(٦)</sup> ، ومقاتل بن حيان<sup>(٧)</sup> .  
وعليه الفراء ، وابن الجوزي ، والسيوطي<sup>(٨)</sup> .

(1) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٣٥/٨) ، وإرشاد العقل السليم (١٦٨ / ٢) ، وأنوار التنزيل للبيضاوي (٣٠٩/١) ، وحاشية الشهاب (٨٤ / ٤) ، وروح المعاني للآلوسي (١٩٤ / ٧) ، وتفسير القرآن الحكيم للسيد رشيد رضا (٤٨٧ / ٧) .

(2) يقال فيه : تَارَحَ وتَارَخَ . ضبطه بعضهم بالحاء المهملة ، وضبطه آخرون بالحاء المعجمة على وزن هاجر . ينظر: لباب التأويل للخازن (٢٦ / ٢) ، والفتوحات الإلهية للجمل (٣٩٩ / ٢) ، وتاج العروس (أزر) .

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٢٤ / ٤) (٧٤٨٩) من طريق شبيب ، عن عكرمة ، عنه قال : «يعني بأزر : الصنم ، وأبو إبراهيم اسمه : يازر» . وشيخ ابن أبي حاتم : صدوق كما في الجرح والتعديل (٦٧ / ٢) وبقية رجاله ثقات عدا شبيبا فإنه صدوق يخطيء كما في التقريب (٢٦٣) . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٩٩ / ٣) لأبي الشيخ . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٢٥ / ٤) (٧٤٩٥ ، ٧٤٩١) من طريق أبي رَوْق ، عن الضحاك ، عنه قال : « إن أبا إبراهيم لم يكن اسمه آزر ، وإنما كان اسمه تارح» . والضحاك لم يسمع من ابن عباس . وفي إسناده بشر بن عُمارة : ضعيف كما في التقريب (١٢٣) . وتحصل من مجموع الروايتين عن ابن عباس : أن آزر اسم للصنم ، وأن أبا إبراهيم له اسمان : تارح ، ويازر .

(4) أخرجه الطبري في جامع البيان (٣٤٣ / ٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٢٥ / ٤) (٧٤٩٢) من طريق جريج ، عن ليث ، عنه قال : «ليس آزر أبا إبراهيم» . وأخرجه الطبري (٣٤٣ / ٩) من طريق الثوري ، عن رجل ، عن ابن أبي نجیح ، عنه قال : «آزر لم يكن بأبيه ، إنما هو صنم» . وهذان الإسنادان ضعيفان . وأخرجه الطبري (٣٤٤ / ٩) من طريق يحيى بن يمان ، عن الثوري ، عن ابن أبي نجیح به قال : آزر اسم صنم . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٠٠ / ٣) إلى ابن أبي شيبه ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(5) أخرجه ابن المنذر عنه كما في الدر المنثور (٣٠٠ / ٣) قال : ليس آزر بأبيه ولكن ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ

ءَازَرَ﴾ وهن الآلهة ، وهذا من تقدم القرآن ، إنما هو إبراهيم بن تيرح .

(6) نسبته إليه البغوي في معالم التنزيل (٣٦ / ٢) ، والخازن في لباب التأويل (٢٦ / ٢) ، والآلوسي في روح المعاني (١٩٤/٧) .

(7) نسبته إليه البغوي في معالم التنزيل (٣٥ / ٢) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٧١ / ٣) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٣٣/٨) وفيه : "آزر لقب ، وتارح اسم" ، وأبو حيان في البحر المحيط (١٦٤ / ٤) .

(8) ينظر: معاني القرآن (٣٤٠ / ١) ، وتذكرة الأريب (١٦١ / ١) ، و تفسير الجلالين (الفتوحات ٢ / ٣٩٩) .

وقد ذكره جماعة من المفسرين بصيغة (قيل) منهم : النحاس، والزمخشري، والقرطبي، والبيضاوي، والقمي النيسابوري، وأبو الحسن القرشي اليماني، وأبو السعود<sup>(١)</sup>.

واستغربه الكرمانى ، وجعله ابن حجر قولاً شاذاً .

واستدل للقول بأن آزر اسمٌ للصنم الذي كان يعبده أبو إبراهيم ، ولُقّب به لطول ملازمته وعبادته له ، بأن من عبد شيئاً أو أحبه جعل اسم ذلك المعبود أو المحبوب اسماً له ، فهو كقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِمْ ﴾ [الإسراء: ٧١] .

قال الشاعر :

أُدْعَى بِأَسْمَاءَ نَبَزًا فِي قِبَائِلِهَا      كَأَنَّ أَسْمَاءَ أَضَحَتْ بَعْضَ أَسْمَائِي<sup>(٢)</sup> .

وجوزوا أن يُنَبَزَ به ؛ للزومه عبادته كما نُبِزَ ابنُ قَيْسٍ بِالرُّقِيَّاتِ اللَّاتِي كَانَ يُشَبِّبُ بِهِنَّ ، فقيل : "ابن قيس الرقيات" <sup>(٣)</sup> .

فإذا كان اسم صنم ، فموضعه نَصْبٌ على إضمار الفعل كأنه قال : وإذ قال إبراهيم لأبيه أتتخذ آزر إلهاً ؟ أتتخذ أصناماً آلهةً ؟<sup>(٤)</sup>

وقد ردّه الطبري بقوله : « هذا القول بعيد من الصواب من جهة العربية ؛ وذلك أن العرب لا تنصب اسماً بفعلٍ بعد حرف الاستفهام ، لا تقول : أخاك أكلمت ؟ وهي تريد : أكلمت أخاك ؟ ... وهذا غير جائز »<sup>(٥)</sup> .

(1) ينظر: معاني القرآن الكريم (٢/ ٤٤٨)، والكشاف (٢/ ٣٦٥)، والجامع لأحكام القرآن (٨/ ٤٣٣)، وأنوار التنزيل (١/ ٣٠٨)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ١٠٣)، والترجمان عن غريب القرآن (٤٤)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٦٨) .

(2) ينظر: الكشاف للزمخشري (٢/ ٣٦٥) ، وشرح شواهد الشافية (٢٩٨) . ونبزاً : لقباً . قال أبو حيان : أُطلق على عبيد الله بن قيس الرقيات؛ لحبه نساءً اسم كل واحدة منهن رُقِيَّةً . [ البحر المحيط ٤/ ١٦٣ ] .

(3) ينظر: الكشاف (٢/ ٣٦٥) ، ومفاتيح الغيب (٥/ ٣١) ، ولباب التأويل (٢/ ٢٦) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ١٠٣) ، والفتوحات الإلهية (٢/ ٣٩٩) .

(4) ذكره الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٥) .

(5) جامع البيان (٩/ ٣٤٤ ، ٣٤٥) .

وقد تقرر في قواعد العربية أن ما في حيز الاستفهام لا يتقدم عليه<sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير : « فإنه قول بعيد في اللغة ؛ لأن ما بعد حرف الاستفهام لا يعمل فيما قبله ؛ لأنه له صدر الكلام . كذا قرره ابن جرير وغيره ، وهو مشهور في قواعد العربية »<sup>(٢)</sup>.

وأما تخريجه بأنه أريد (عابد آزر) فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ، فقد ذكره بصيغة (قيل) جماعة من المفسرين منهم : الخازن ، والقمي ، وأبوحيان ، وأبوالسعود ، وسليمان الجمل<sup>(٣)</sup>.

وفيه ضعفٌ وتكلفٌ ؛ لأن ادعاء الحذف ليس عليه دليل صحيح .

وقد تقرر في قواعد الترجيح : أن القول بالاستقلال وعدم التقدير مقدّم على القول بالإضمار وتقدير محذوف ؛ لأجل موافقة الأصل ، سيما وأن المعنى مستقيم بدون التقدير<sup>(٤)</sup>.

فالإضمار والحذف والتقدير خلاف الأصل ، والعرب لا تحذف من الكلام شيئاً إلا وتركت عليه دليلاً<sup>(٥)</sup>. ولا دليل هنا على حذف المضاف (عابد) ، ودون إثباته خرط القتاد.

وأما القول بأن تارح اسم أبي إبراهيم ، فقد استدل القائلون بذلك والذاهبون إليه بإجماع النّسّابين عليه .

قال الزجاج : « وليس بين النّسّابين خلاف أن اسم أبي إبراهيم (تارح) ، والذي في القرآن يدل على أن اسمه : آزر »<sup>(٦)</sup>.

وضّعَفَ هذا الإجماع بأنه إنما حصل بسبب التقليد ، ويؤول إلى قول الواحد والاثنين ، وربما تعلّقوا بأخبار اليهود والنصارى ، فإنه عندهم في التوراة (تارح) ، ولا عبرة بذلك في

(1) ينظر: كشف المشكلات للباقولي (١/ ٤٣٩) .

(2) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٩٤) .

(3) ينظر: لباب التأويل (٢٦/٢) وغرائب القرآن (١٠٣/٣) والبحر المحيط (٤/ ١٦٣) وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٦٨) ، والفتوحات الإلهية (٢/ ٣٩٩) .

(4) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/ ٤٢١) .

(5) ينظر: المصدر السابق (٢/ ٤٢٣) .

(6) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٥) . وينظر: لسان العرب (٤/ ١٩) .

مقابلة صريح القرآن<sup>(١)</sup> .

قال الرازي : « والدليل القوي على صحة أن الأمر على ما يدل عليه ظاهر هذه الآية [أي : أن آزر هو اسم أبي إبراهيم ] ؛ أن اليهود والنصارى والمشركون كانوا في غاية الحرص على تكذيب الرسول — عليه الصلاة والسلام — وإظهار بغضه ، فلو كان هذا النسب كذباً لامتنع في العادة سكوتهم عن تكذيبه ، وحيث لم يكذبوه علمنا أن هذا النسب صحيح، والله أعلم<sup>(٢)</sup> .

وقال الشهاب : « فأكثرها نُسيَ بالتقدم وخلطت فيه أهل الكتاب<sup>(٣)</sup> .

وعلى فرض صحة ما ذهب إليه النَّسَّابون ، فلا يمتنع ولا يبعد أن يكون له اسمان، كما لكثير من الناس في دهرنا هذا ، وكان ذلك فيما مضى لكثير منهم كيَعقوب، وإسرائيل<sup>(٤)</sup> .

قال البخاري : « إبراهيم بن آزر ، وهو في التوراة : تارح<sup>(٥)</sup> .

وقال السمرقندي : « اسم أبيه تارح بلغة قومه ، وبلغة غيرهم كان آزر<sup>(٦)</sup> .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن ما رجَّحه ابن جُزَيٍّ ومن وافقه في اسم أبي إبراهيم أنه آزر، هو الصوابُ والحقُّ الذي لا شك فيه .

يقول الشنقيطي : « والتحقيق الذي لا شكَّ فيه أن (آزر) بدل ، أو عطف بيان من الأب، وأنه أبوه، وإن كان عامة المؤرخين يقولون : إن أبا إبراهيم اسمه (تارح) ... ولا أصدق من الله<sup>(٧)</sup> .

وقال في موضع آخر : « والقرآن لا يجوز صرفه عن ظاهره المتبادر منه إلاَّ بدليل يجب

(1) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٥ / ٣١) .

(2) المصدر السابق (٥ / ٣٢) . وينظر: لباب التأويل للخازن (٢ / ٢٦) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للقمي (٣ / ١٠٣) .

(3) حاشية الشهاب على البيضاوي (٤ / ٨٤) .

(4) ينظر: جامع البيان للطبري (٩ / ٣٤٦) ، ولباب التأويل للخازن (٢ / ٢٦) .

(5) التاريخ الكبير (١ / ٥) .

(6) بحر العلوم (٢ / ٤٩٥) .

(7) العذب النمير (١ / ٣٤٢) .

الرجوع إليه من كتاب أو سنة صحيحة»<sup>(١)</sup>.

ويتأيد هذا القول بجملة من القواعد الترجيحية منها :

— أنه لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلاّ بدليل<sup>(٢)</sup>.

— وإذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجّح له على ما خالفه<sup>(٣)</sup>.

— ويجب حمل كلام الله على المعروف من كلام العرب<sup>(٤)</sup>.

— والقول بالاستقلال مقدم على القول بالإضمار<sup>(٥)</sup>.

والله تعالى أعلم.

(1) المصدر السابق (١/ ١٠٣).

(2) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ١٣٧).

(3) ينظر: المصدر السابق (١/ ٢٠٦).

(4) ينظر: المصدر السابق (٢/ ٣٦٩).

(5) ينظر: المصدر السابق (٢/ ٤٢١).

قَالَ تَعَالَى:

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكَوْكَبَ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْقُومُ إِنِّي بِرَبِّي مُّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾

٢٤ - الخلاف في وقت محاجة إبراهيم — عليه الصلاة والسلام — لقومه

في الكوكب والقمر والشمس ، وقوله ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ :

هل كان ذلك قبل البلوغ والتكليف ؟ أم بعده ؟ وما وجهه إذن ؟

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « يحتمل أن يكون هذا الذي جرى لإبراهيم في الكوكب والقمر والشمس أن يكون قبل البلوغ والتكليف . وقد رُوِيَ أن أمه وُلِدَتْهُ فِي غَارٍ خَوْفًا مِنْ نَمْرُودَ إِذْ كَانَ يَقْتُلُ الْأَطْفَالَ ؛ لِأَنَّ الْمُنَجِّمِينَ أَخْبَرُوهُ أَنَّ هَلَاكَهُ عَلَى يَدِ صَبِيٍِّّ . وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ جَرَى لَهُ ذَلِكَ بَعْدَ بُلُوغِهِ وَتَكْلِيفِهِ ، وَأَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ لِقَوْمِهِ عَلَى وَجْهِ الرَّدِّ عَلَيْهِمْ وَالتَّوْبِيخِ لَهُمْ . وَهَذَا أَرْجَحُ ؛ لِقَوْلِهِ بَعْدَ ذَلِكَ : ﴿ إِنِّي بِرَبِّي مُّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ . وَلَا يُتَصَوَّرُ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ وَهُوَ مُنْفَرِدٌ فِي الْغَارِ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَقْتَضِي مُحَاجَّةً وَرَدًّا عَلَى قَوْمِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْكَوَاكِبَ ، فَأَرَادَ أَنْ يَبَيِّنَ لَهُمُ الْخَطَأَ فِي دِينِهِمْ وَأَنْ يَرشُدَهُمْ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ لَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ وَاحِدًا مِنْهَا إِلَهًا ؛ لِقِيَامِ الدَّلِيلِ عَلَى حَدُوثِهَا ، وَأَنَّ الَّذِي أَحْدَثَهَا وَدَبَّرَ طُلُوعَهَا وَغُرُوبَهَا وَأَفْوَلَهَا هُوَ الْإِلَهَ الْحَقُّ وَحْدَهُ »<sup>(١)</sup>.

**العرض والمناقشة :**

رَجَّحَ ابْنُ جُزَيِّ أَنَّ وَقْتَ مُحَاجَّةِ إِبْرَاهِيمَ — عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ — لِقَوْمِهِ فِي الْكَوْكَبِ وَالْقَمَرِ وَالشَّمْسِ ، وَقَوْلُهُ فِي كُلِّ مِنْهَا : ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ ، أَنَّهُ كَانَ بَعْدَ الْبُلُوغِ وَالتَّكْلِيفِ ، وَأَنَّهُ كَانَ فِي مَقَامِ مُنَازَعَةٍ مَعَ قَوْمِهِ لَا فِي مَقَامِ نَظَرٍ وَاسْتِدْلَالٍ .

ووافقه الزَّجَّاجُ ، وَالنَّحَّاسُ ، وَالزَّمْخَشَرِيُّ ، وَابْنُ عَطِيَّةٍ ، وَابْنُ الْجَوْزِيِّ ، وَالرَّازِيُّ ،

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٤) .

والنسفي، والخازن، وابن كثير، والبلنسي، وابن حجر، والثعالبي، والآلوسي، والشهاب الخفاجي، والقنوجي، والقاسمي، والسيد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي، والطاهر، والشنقيطي<sup>(١)</sup>.

وذكر غير واحد منهم: أن هذا القول عليه جمهور المحققين<sup>(٢)</sup>.

ويدل على صحته ما يلي:

١- السياق، وبيان ذلك من وجوه أربعة:

أولها: من حيث تشبيه إراءة الله تعالى إياه هذا الملكوت وما يترتب عليه من إبطال ربوبية الكواكب بإراءته ضلال أبيه وقومه في عبادة الأصنام.

ثانيها: من إسناد هذه الإراءة إلى الله تعالى الدال على تمييز ما رأى بها على ما كان يرى قبلها.

ثالثها: من تعليل الإراءة بما تقدم.

رابعها: من التعقيب على ذلك بمحاجة قومه، وقوله تعالى إنه آتاه الحجة عليهم.

قرر ذلك العلامة السيد محمد رشيد رضا وقال: «وفي قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا

ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾ [الأنعام: ٨٣] الإشارة إلى كل ما تقدم في هذا السياق»<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٦)، ومعاني القرآن الكريم (٢/ ٤٥٠ - ٤٥١)، والكشاف (٢/ ٣٦٦-٣٦٧)، والمحرم الوجيز (٥/ ٢٦٠ - ٢٦١)، وزاد المسير (٣/ ٧٤) وتذكرة الأريب (١/ ١٦١)، ومفاتيح الغيب (٥/ ٤٠)، ومدارك التزويل (٢/ ٢٠)، ولباب التأويل (٢/ ٢٩)، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ٩٧-٩٩)، وتفسير مبهمات القرآن (١/ ٤٣٧)، وفتح الباري (٦/ ٣٩١)، والجواهر الحسان (١/ ٤٩٤)، وروح المعاني (٧/ ١٩٨)، وحاشية الشهاب (٤/ ٨٦)، وفتح البيان (٤/ ١٧٧)، ومحاسن التأويل (٦/ ٢٣٧٧، ٢٣٨٠، ٢٣٨٤)، وتفسير القرآن الحكيم (٧/ ٤٨٠)، وتفسير المراغي (٧/ ١٧٠)، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ٣٧)، والتحرير والتنوير (٧/ ٣١٧-٣١٩)، وأضواء البيان (٢/ ٢٠١ - ٢٠٢) والعذب النمير (١/ ٣٥٠-٣٥٨).

(٢) منهم الخازن، والقنوجي.

(٣) تفسير القرآن الحكيم (٧/ ٤٨٠-٤٨١).

ويقول الآلوسي : « وسياق الآية وسباقها شاهدا عدل على ذلك »<sup>(١)</sup>.

ويقول الشنقيطي : « الظاهر شمول قوله تعالى : ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ﴾ الآية [الأنعام:

٨٠] وقوله : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ﴾ الآية [الأنعام: ٨٣] لجميع احتجاجاته عليهم »<sup>(٢)</sup>.

٢- قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَنْقُورِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ يدل على أنه كان في مقام المناظرة والمحاجة لقومه لا في مقام النظر والاستدلال أو في حال الطفولة أو في الغار<sup>(٣)</sup>.

٣- أن إبراهيم — عليه السلام — لم يتقدم عليه شرك يوماً ما .

قال الشنقيطي : « لأن الله نفى عنه كون الشرك الماضي في قوله : ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ

الْمُشْرِكِينَ ﴾ في عدة آيات<sup>(٤)</sup>، ونفي الكون الماضي يستغرق جميع الزمن الماضي »<sup>(٥)</sup>.

وقد أخبر الله عن إبراهيم أنه قال : ﴿ وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم: ٣٥]

وقال : ﴿ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الصفات: ٨٤] أي : لم يشرك قط<sup>(٦)</sup>.

٤- أن إبراهيم — عليه الصلاة والسلام — كان جازماً موقناً بعدم ربوبية غير الله ، دلَّ عليه

ترتيب قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ أَيْلٌ رءَا كَوْكَبًا ط قَالَ هَذَا رَبِّي ﴾ إلى آخره بالفاء

على قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ

الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ . وفي هذا الدلالة على أنه قال ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ مناظراً ومحاجاً لهم<sup>(٧)</sup>.

قال ابن عطية : « هذه الفاء في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ ﴾ رابطة جملة ما بعدها بما

(1) روح المعاني (٧/ ١٩٨) .

(2) أضواء البيان (٢/ ٢٠١ — ٢٠٢) . وينظر: العذب النمير (١/ ٣٧٢ — ٣٧٦) .

(3) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٥/ ٢٥٩) ، والكشاف للزمخشري (٢/ ٣٦٧) ، ومدارك التتزيل (٢/ ٢٠) .

(4) الأنعام ٧٩ ، ويوسف ١٠٨ . وفي قوله : ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ في البقرة ١٣٥ ، وآل عمران ٦٧ ، ٩٥ ، والأنعام ١٦١ ، والنحل ١٢٣ .

(5) أضواء البيان (٢/ ٢٠١) .

(6) ينظر: معاني القرآن الكريم للنحاس (٢/ ٤٥١) .

(7) ينظر: أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٢٠١ — ٢٠٢) .

قبلها، وهي ترجح أن المراد بالملكوت هو هذا التفصيل الذي في هذه الآية «<sup>(١)</sup>» .

٥- قوله تعالى عن إبراهيم : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٥١] يدفع أن يكون قال ذلك ناظرًا ومستدلًا<sup>(٢)</sup> .

٦- ويدفعه كذلك ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : ( كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ )<sup>(٣)</sup> .

وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( قال الله : إني خلقت عبادي حنفاء )<sup>(٤)</sup> .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ومعناه كقوله عز وجل : ﴿ فَطَرَتِ اللَّهُ اللَّيْلِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم: ٣٠] .

قال ابن كثير : « فإذا كان هذا في حق سائر الخليقة ، فكيف يكون إبراهيم الخليل — الذي جعله الله أمةً قانتًا لله حنيفًا ولم يكن من المشركين — ناظرًا في هذا المقام؟! بل هو أولى الناس بالفطرة السليمة والسجية المستقيمة بعد رسول الله ﷺ بلا شك ولا ريب »<sup>(٥)</sup> .

٧- وردَ في حديث الشفاعة أنهم يأتون إبراهيم عليه الصلاة والسلام فيلتمسون منه الشفاعة فيقول : نفسي ! نفسي ! ويذكر كذباته الثلاثة<sup>(٦)</sup> ، وليس منها قوله في الكوكب : ( هذا ربي ) .

(1) المحرر الوجيز (٥/ ٢٥٧) .

(2) ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٩٨) .

(3) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز برقم (١٣٥٨ و ١٣٥٩ و ١٣٨٥) وفي كتاب التفسير برقم (٤٧٧٥) وفي كتاب القدر برقم (٦٥٩٩) ، ومسلم في كتاب القدر برقم (٢٦٥٨) .

(4) في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها برقم (٢٨٦٥) .

(5) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٩٨ — ٩٩) بتصرف يسير .

(6) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء برقم (٣٣٦١) ، وفي كتاب التفسير برقم (٤٧١٢) . والكذبات الثلاثة المذكورة في كتاب أحاديث الأنبياء برقم (٣٣٥٨) من حديث أبي هريرة .

نعم جاءت من طريقٍ عند مسلم<sup>(١)</sup> ، والذي يظهر كما حققه ابن حجر أنها وهمٌ من بعض الرواة ؛ فإنه ذكر قوله في الكوكب بدل قوله في سارة ، والذي اتفقت عليه الطرق : ذكرُ سارة دون الكوكب ، والأنبياء قبل النبوة معصومون من ذلك على الصحيح<sup>(٢)</sup> .

وأما القول بأن محاجة إبراهيم — عليه الصلاة والسلام — لقومه في الكوكب والقمر والشمس وقوله ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ كان قبل البلوغ والتكليف وفي حال طفولته، فقولٌ حكاه ابن جرير الطبري عن قوم لم يسمهم<sup>(٣)</sup> .

وهو مفهوم كلام مقاتل بن سليمان<sup>(٤)</sup> ، ومحمد بن إسحاق<sup>(٥)</sup> ، والواحدي<sup>(٦)</sup> ، ونسبه الأخير إلى المفسرين.

وذهب ابن عباس إلى أن قول إبراهيم ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ على ظاهره ، قال : « ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ فعبدته حتى غاب ، وعبد القمر حتى غاب ، وعبد الشمس حتى غابت »<sup>(٧)</sup> .

ففهم ابن عطية من هذا أن ابن عباس يرى أن ذلك جرى من إبراهيم عليه الصلاة والسلام في حال صباه وقبل بلوغه<sup>(٨)</sup> .

واختار الطبري أنه على ظاهره كما فسره ابن عباس ، وأنه لم يكن في حال طفولته ولم

(1) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان (١٨٦/١) برقم (١٩٤) من حديث أبي هريرة .

(2) ينظر: فتح الباري (٦/٣٩١) ، ومحاسن التأويل للقاسمي (٦/٢٣٧٧) ، والعذب النمير (١/٣٥٢ — ٣٥٤) .

(3) ينظر: جامع البيان (٩/٣٦٠) ، والمحزر الوجيز لابن عطية (٥/٢٥٨) .

(4) ينظر: تفسير مقاتل (١/٥٦٩ — ٥٧٢) .

(5) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/٣٥٦ — ٣٥٩) عن محمد بن حميد ، عن سلمة بن الفضل ، عنه . وذكر الرواية المطولة والتي أوردها ابن جزي مختصرةً .

(6) ينظر: الوسيط (٢/٢٩٠) .

(7) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/٣٥٦) وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/١٣٢٨ ، ١٣٢٩) (١٣٢٩ ، ٧٥١١ ، ٧٥١٧) .

(٧٥٢٠) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/٣٠٠) فنسبه إلى ابن المنذر

مختصراً . ورواه أبو صالح عنه . ينظر: زاد المسير لابن الجوزي (٣/٧٢) . قال أبو حيان في البحر المحيط

(٤/١٦٦) : «ولعل هذا لا يصح» . وأنكر هذه الرواية عن ابن عباس وأبطلها السيد محمد رشيد رضا في تفسيره

(٧/٤٨٠) .

(8) ينظر: المحزر الوجيز (٥/٢٥٨) .

يقله على وجه الإنكار على قومه والتوبيخ لهم بل قاله على سبيل الإخبار ، وأن الصواب من القول في ذلك : الإقرارُ بخبر الله تعالى ذكره الذي أخبر به عنه ، والإعراض عما عداه .  
كذا قاله الطبري<sup>(١)</sup> . واختاره ابن تيمية<sup>(٢)</sup> .

واستدل لهذا القول بما يلي :

١- ما رواه ابن إسحاق وغيره ، وقد سبق تحريجها ، وهو فيها مستندٌ إلى أخبارٍ إسرائيلية لا يوثق بها ولا سيما إذا خالفت الحق<sup>(٣)</sup> .

٢- أن إبراهيم عليه السلام قال : ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ .

فهذا يدل على نوع تحيُّرٍ ، وذلك لا يكون إلا في حال الصغر وقبل البلوغ وقيام الحجة<sup>(٤)</sup> . وظاهرها يدل على أنه قال ﴿هَذَا رَبِّي﴾ مخبراً لا مستخبراً .

ويشكل على الاستدلال بهذه الآية على ما ذهبوا إليه؛ أن فيها قرينتين تبطلان ذلك الاستدلال :

— الأولى : قوله : ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ ، فهذا يدل على أنه يعرف ربه جلّ وعلا ، وأن الهداية بيده سبحانه ، وأنه لم يقل : ﴿هَذَا رَبِّي﴾ اعتقاداً وخبراً بل قالها مناظراً ومحاجاً لهم .

— والثانية : قوله : ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ ، يدلّ على معرفته بضلال قومه في اتخاذهم الكواكب والقمر آلهةً .

قال الزمخشري : « ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ تنبيه لقومه على أن من اتخذ القمر إلهاً ، وهو

(1) جامع البيان (٩/ ٣٦١) . وذكر الشنقيطي أن جماعة من العلماء غلطوا في هذا المقام ، منهم ابن جرير . ينظر: العذب النمير (١/ ٣٥٠) .

(2) ينظر: دقائق التفسير (١/ ٤٦٥) .

(3) ينظر: البداية والنهاية لابن كثير (١/ ٣٣١) .

(4) ينظر: زاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٧٤) ، ولباب التأويل للبخاري (٢/ ٢٨) .

نظير الكوكب في الأفول، فهو ضالٌّ»<sup>(١)</sup>.

وقال الطاهر بن عاشور : « وقوله : ﴿ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾ قصد به تنبيه قومه للنظر في معرفة الرب الحق وأنه واحد ، وأن الكوكب والقمر كليهما لا يستحقان ذلك مع أنه عرض في كلامه بأن له رباً يهديه وهم لا ينكرون عليه ذلك ؛ لأنهم قائلون بعدة أرباب . وفي هذا تهينة لنفوس قومه لما عزم عليه من التصريح بأن له رباً غير الكواكب . ثم عرض بقومه أنهم ضالون وهيأهم قبل المصارحة للعلم بأنهم ضالون؛ لأن قوله : ﴿ لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾ يُدخل على نفوسهم الشك في معتقدتهم أن يكون ضلالاً ، ولأجل هذا التعريض لم يقل : لأكونن ضالاً ، وقال : ﴿ لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾ ؛ ليشير إلى أن في الناس قوماً ضالين ، يعني قومه »<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن الجوزي : « وهذا القول لا يُرتضى ، والمتأهلون للنبوة محفوظون من مثل هذا على كل حال . فأما قوله : ﴿ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي ﴾ فما زال الأنبياء يسألون الهدى ، ويتضرعون في دفع الضلال عنهم ، كقوله : ﴿ وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم: ٣٥] ، ولأنه قد آتاه رشده من قبل ، وأراه ملكوت السماوات والأرض ليكون موقناً ، فكيف لا يعصمه عن مثل هذا التحير؟! »<sup>(٣)</sup>.

هذا وأكثر المحققين على فساد هذا القول ، وقد أبطله الرازي من أوجه كثيرة أبرزها باختصار ما يلي :

- ١- أن الكفر غير جائز على الأنبياء بالإجماع .
- ٢- أن إبراهيم عرف ربه بالدليل قبل هذه الواقعة بدليل قوله قبلها لأبيه : ﴿ اتَّخَذُ

أَصْنَامًا ۗ إِلَهًا ۗ إِنَّي أَخْرَجْتُكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾

- ٣- وقوع هذه القصة بعد دعوة أبيه مراراً وأطواراً ، وبعد أن عرف الله بعمدة .

(1) الكشاف (٢/ ٣١) ، وينظر: البحر المحيط (٤/ ١٦٧) .

(2) التحرير والتنوير (٧/ ٣٢١) .

(3) زاد المسير (٣/ ٧٤) .

٤- وقوعها بعد رؤية الملكوت .

٥- أن الله وصفه بقوله : ﴿ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ ، وقوله : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ

مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَلِيمِينَ ﴾ .

٦- أن الله قال فيه : ﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ ثم قال : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ ﴾ والفاء تقتضي

الترتيب ، فثبت أن هذه الواقعة بعد أن صار إبراهيم من الموقنين العارفين بربه .

٧- أنها حصلت بسبب مناظرة قومه بدليل : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ﴾

ولم يقل : على نفسه .

٨- كيف يقول : ﴿ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ وليس في الغار قوم ولا صنم؟

٩- قوله : ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ﴾ وكيف يحاجونه وهم بعد ما رأوه وهو ما رأيهم؟<sup>(١)</sup>

وبعد، فإذا تقرر هذا وكان ذلك كذلك ، فإن أولى القولين بالصواب هو ما رجّحه

ابن جُزَيٍّ ومن وافقه، وهو قول جمهور المفسرين وأكثر المحققين ، والله تعالى أعلم .

**تكميل :** ذكر المفسرون في توجيه قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾

أوجهًا كثيرة ، اختار منها ابن جُزَيٍّ واحدًا وهو: أنه قال ذلك على سبيل الاستفهام

الإنكاري التوبيخي ، أي: أنه قال ذلك مستفهمًا استفهام إنكارٍ وإبطالٍ رادًا عليهم وموبِّخًا

لهم ، وسقط حرف الاستفهام منه استغناءً عنه ؛ لدلالة الكلام عليه .

وهذا الوجه ذكره ابن عطية ، والرازي ، والشنقيطي ، وغيرهم<sup>(٢)</sup> .

(1) ينظر: مفاتيح الغيب (٥/ ٣٩ - ٤٠) .

(2) ينظر لزيادة التفصيل والتدليل على ذلك: العذب النمير (١/ ٣٥٥ - ٣٥٨) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٨٢)

٢٥- الخلاف في قائل هذه الإجابة : هل هو إبراهيم ؟ أم أنها خبر من الله وفصل منه

جلّ وعلا بين إبراهيم وقومه ؟

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « ... ثم أوقفهم على ذلك بقوله : ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾ يعني : فريق المؤمنين ، وفريق الكافرين ، ثم أجاب عن السؤال بقوله : ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآية . وقيل : إن ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ استئناف ، وليس من كلام إبراهيم»<sup>(١)</sup>.

العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام هو القائل : ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ . ووافق ما نُسِبَ إلى ابن عباس<sup>(٢)</sup>.

ووافقه على هذا الترجيح: الواحددي، والزمخشري، والرازي، والنسفي، والقمي النيسابوري، وأبوحيان، والبقاعي، والطاهر بن عاشور<sup>(٣)</sup>.

وذكر هذا القول بصيغة (قيل) جماعة من المفسرين منهم : السمعاني، والحازن، والشوكاني، والقنوجي<sup>(٤)</sup>. ولم يذكروا له دليلاً .

قال الطاهر بن عاشور : « تولى جواب استفهامه بنفسه ولم ينتظر جوابهم ؛ لكون الجواب مما لا يسع المسئول إلا أن يجيب بمثله . وهو تبكييت لهم . قال ابن عباس : كما

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/١٤-١٥).

(2) نسبه إليه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٨/٤٤٤) ، والطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير (٧/٣٣٢).

(3) ينظر: الوسيط (٢/٢٩٢)، والكشاف (٢/٣٦٩)، ومفاتيح الغيب (٥/٤٩)، ومدارك التنزيل (٢/٢١)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/١٠٩)، والبحر المحييط (٤/١٧١)، ونظم الدرر (٧/١٦٧)، والتحرير والتنوير (٧/٣٣١-٣٣٢).

(4) ينظر: تفسير القرآن (٢/١٢١)، ولباب التأويل (٢/٣٠)، وفتح القدير (٢/١٩٠)، وفتح البيان (٤/١٨٢).

يسأل العالم ويحجب نفسه بنفسه . أي : بقوله : (فإن قلت قلت) «<sup>(١)</sup>» .

ويمكن أن يستأنس له بوقوع نظيره في القرآن في قوله عز وجل : ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ

الْوَّاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦] ، فإن الله تعالى تولى جواب نفسه بنفسه ، والله أعلم .

وهل يُتصور أن يسألهم إبراهيم في معرض محاجته لهم : ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ

كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٨١] ثم لا يجيبهم بنفسه ؟ الذي يظهر أنه هو الذي تولى الإجابة ؛

ليكتمل قيام الحجة عليهم ، وليتم البلاغ المبين ، والله تعالى أعلم .

وأما القول بأن هذه الإجابة هي خبرٌ من الله تعالى فصلَ بذلك بين إبراهيم وقومه ،

فهو قولُ ابن زيد<sup>(٢)</sup> ، ومحمد بن إسحاق<sup>(٣)</sup> .

ورجَّحه الطبري، والبغوي، وابن عطية، والقرطبي، والخازن، وابن القيم، وابن كثير،

والثعالبي، والسيوطي، وأبو السعود، والشوكاني، والقنوجي، والقاسمي، والمراغي، والسعدي،

والشنقيطي<sup>(٤)</sup> . ولم يذكروا له دليلاً .

قال السيد محمد رشيد رضا : «ومما يرجَّحه في اللفظ عطف الآية التالية على هذه»<sup>(٥)</sup> .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن كلا القولين جائز ، ولا دليل لأحدهما يجب المصير إليه وترجيحه

على الآخر .

(1) التحرير والتنوير (٧/ ٣٣٢) .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٣٦٧، ٣٦٩) عن يونس ، عن ابن وهب ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في

تفسيره (٤/ ١٣٣٢) (٧٥٣٩) من طريق أصبغ بن الفرج ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٠٧)

نسبته إلى أبي الشيخ .

(3) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٣٦٨) عن ابن حميد ، عن سلمة بن الفضل ، عنه .

(4) ينظر: جامع البيان (٩/ ٣٦٩)، ومعالم التنزيل (٢/ ٤١)، والمحرر الوجيز (٥/ ٢٦٨)، والجامع لأحكام القرآن

(٨/ ٤٤٤)، ولباب التأويل (٢/ ٣٠)، وبدائع التفسير (٢/ ١٥٣، ١٥٦) وإغاثة اللهفان (١/ ٢٥٥) والصواعق

المرسلة (٤٨٥ ، ٤٩٠) ، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ١٠١)، والجواهر الحسان (١/ ٤٩٦) ، وتفسير الجلالين

(الفتوحات ١/ ٤١٠)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٧٣)، وفتح القدير (٢/ ١٩٠)، وفتح البيان (٤/ ١٨٢)،

ومحاسن التأويل (٦/ ٢٣٨٧)، وتفسير المراغي (٧/ ١٧٨)، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ٣٩)، وأضواء البيان

(٢/ ٢٠٢) .

(5) تفسير القرآن الحكيم (٧/ ٥٠١) بتصرف يسير .

وإلى تجويز القولين ذهب الزجاج، والنحاس<sup>(١)</sup>، والله تعالى أعلم بالصواب .

وروي عن ابن جريج أنه من قول قوم إبراهيم<sup>(٢)</sup> .

وقد ردّه الطبري في موضع<sup>(٣)</sup> ثم رجع في موضع آخر ففسّره على أنه من قول قومه ، قال : « يعني تعالى ذكره بقوله : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ﴾ قول إبراهيم لمخاصميه من قومه المشركين : ﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أمّن يعبد رباً واحداً...؟ وإجابتهم إياه بقولهم: بل من يعبد رباً واحداً أحق بالأمن . وقضاؤهم له على أنفسهم ، فكان في ذلك قطع عذرهم وانقطاع حجّتهم واستعلاء حجة إبراهيم عليهم، فهي الحجة التي آتاها الله إبراهيم على قومه<sup>(٤)</sup> .

وذكره الطاهر بـ ( قيل ) ، وقال : « ولا يصح ؛ لأن الشأن في ذلك أن يقال : قال الذين آمنوا... الخ ؛ ولأنه لو كان من قول قومه لما استمرّ بهم الضلال والمكابرة إلى حدّ أن لقوا إبراهيم في النار<sup>(٥)</sup> .

ولعله يستأنس له بوقوع نظيره في سورة الأنبياء : ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ .

قال السيد محمد رشيد رضا : « كما اعترفوا حين كسر أصنامهم من بعد إذ قال لهم

﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ ... الآيات .»

وهذا القول أبعد من القولين الأولين ، بل ظاهر الضعف ؛ لأن هذه الجملة ليست مما يعهد من كلام المشركين ، والله تعالى أعلم .

(1) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/٢٦٩)، ومعاني القرآن الكريم (٢/٤٥٣) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٩/٣٦٩) .

(3) ينظر: جامع البيان (٩/٣٦٩) .

(4) جامع البيان (٩/٣٧٩) .

(5) التحرير والتنوير (٧/٣٣٢) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ

وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾

٢٦- الخلاف في عود الضمير في قوله تعالى: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ ﴾.

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « الضمير لنوح أو لإبراهيم عليهما السلام ، والأول هو الصحيح<sup>(١)</sup> ؛ لذكر لوطٍ وليس من ذرية إبراهيم »<sup>(٢)</sup>.

العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ أن ضمير الذرية يعود لنوح عليه السلام ؛ لأن الله تعالى ذكر منهم لوطاً وليس من ذرية إبراهيم عليهم السلام . ووافق ما روي عن ابن عباس<sup>(٣)</sup> . وقال به مقاتل<sup>(٤)</sup> ، والكلبي<sup>(٥)</sup> .

وإليه ذهب الفراء، والطبري، والواحدي، والسمعي، والبغوي، وابن عطية ، وابن الجوزي، والعكبري، والنسفي، والحازن، والبلنسي، والثعالبي، والسيوطي، والطاهر بن عاشور<sup>(٦)</sup> .

(1) وقع في النسخة المطبوعة (الضمير لإبراهيم أو لنوح) ! وهذا خطأ ، وصواب العبارة ما أثبتته ثم وجدته هكذا في جميع مخطوطات الكتاب بتقديم نوح وهو الصواب .

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (١٥ / ٢) .

(3) رواه أبو صالح ، عنه كما ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٧٩ / ٣) .

(4) ينظر: تفسير مقاتل (٥٧٣ / ١) .

(5) نسبه إليه السمرقندي في بحر العلوم (٤٩٩ / ٢) .

(6) ينظر: معاني القرآن (٣٤٢ / ١) ، وجامع البيان (٣٨١ / ٩) ، والوجيز (٣٦٣ / ١) والوسيط (٢٩٥ / ٢) ، وتفسير

القرآن (١٢٢ / ٢) ، ومعالم التنزيل (٤٢ / ٢) ، والمحزر الوجيز (٢٦٩ / ٥) — وقال : هذا هو الجيد — ، وتذكرة

الأريب (١٦٢ / ١) ، والتبيان (٥١٥ / ١) ، ومدارك التنزيل (٢١ / ٢) ، ولباب التأويل (٣١ / ٢) ، وتفسير مبهمات

القرآن (٤٤١ / ١) ، والجواهر الحسان (٤٩٦ / ١) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٤١٢ / ٢) ، والتحرير

والتنوير (٣٣٨ / ٧) .

ونسبه الخازن و القنوجي إلى جمهور المفسرين<sup>(١)</sup> .

وذكره بصيغة (قيل) : القرطبي، والبيضاوي، وأبو السعود<sup>(٢)</sup> .

واستدل ابن جزي لصحته بأن الله ذكر لوطاً عليه السلام من الذرية فقال :

﴿وَأَسْمِعِمْ وَأَلِيسَع وَيُوسُ وَلُوطًا وَكَأَلًا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٦] .

ومن المعلوم أن لوطاً لم يكن من ذرية إبراهيم — عليهما الصلاة والسلام — ولكن من ذرية نوح قطعاً ، فلو أريد بالذرية ذرية إبراهيم لما دخل لوط فيهم ، فلذلك وجب أن تكون الهاء في الذرية لنوح عليه السلام<sup>(٣)</sup> .

وزاد بعضهم أن يونس أيضاً ليس من ذرية إبراهيم ولم يُتَّفَقْ على ذلك ، أما لوط فاتفقوا على أنه ابن أخي إبراهيم . وقيل : ابن أخته . وهذا حسبما جاء في التوراة ، والله أعلم .

قال الواحدي : « والعلماء بالنسب يقولون : الكناية تعود إلى نوح ؛ لأنه ذكر في جملة من عَدَّ من هذه الذرية يونس ولوطاً ، ولا شك أنهما لم يكونا من ذرية إبراهيم »<sup>(٤)</sup> .

ويؤيد عود الضمير إلى نوح عليه السلام أنه أقرب مذكور . وأوجه الرازي<sup>(٥)</sup> .

قال ابن كثير : «وعود الضمير إلى نوح ؛ لأنه أقرب المذكورين ظاهر لا إشكال فيه»<sup>(٦)</sup> .

وأما القول بأن الضمير يعود إلى إبراهيم عليه السلام فُنُسِبَ إلى الضحاك<sup>(٧)</sup> ، وعطاء<sup>(٨)</sup> .

(1) ينظر: فتح البيان (٤/ ١٨٥) .

(2) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٤٤٦)، وأنوار التنزيل (١/ ٣١٠)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٧٥) .

(3) ينظر: جامع البيان للطبري (٩/ ٣٨١ — ٣٨٢) .

(4) الوسيط (٢/ ٢٩٥) . وينظر: التبيان للعكبري (١/ ٥١٥) ، والمشكل لمكي (١/ ٢٥٩) .

(5) ينظر: مفاتيح الغيب (٥/ ٥٢) .

(6) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٦/ ١٠٧) .

(7) نسبه إليه السمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٤٩٩) .

(8) نسبه إليه ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٧٩) .

ورجّحه القرطبي ، والبيضاوي ، والبقاعي ، وأبو السعود ، والشهاب ، والقنوجي ،  
والقاسمي ، والمراغي<sup>(١)</sup> . وحسنه ابن كثير<sup>(٢)</sup> . وهو مفهوم كلام الشوكاني<sup>(٣)</sup> .

وضعّفه العكبري<sup>(٤)</sup> ، وذكره الكرمانى بصيغة (قيل)<sup>(٥)</sup> .

ويدلُّ لصحة هذا القول : أن إبراهيم — عليه الصلاة والسلام — هو المقصود بالذكر  
في هذه الآيات ، وإنما ذكر الله تعالى نوحًا ؛ لأن كون إبراهيم عليه السلام من أولاده أحدُ  
موجبات رفعة إبراهيم عليهما الصلاة والسلام . أفاده الرازي<sup>(٦)</sup> .

والسياق كلّهُ لمدح الخليل عليه السلام<sup>(٧)</sup> ، وبيان شئونه العظيمة؛ من إيتاء الحجة ورفعة  
الدرجات وهبة الأولاد والأنبياء وإبقاء هذه الكرامة في نسله إلى يوم القيامة<sup>(٨)</sup> .

قال السيد محمد رشيد رضا : « لأن الكلام في شأنه ، وما آتاه الله من فضله ، وإنما  
ذكر نوحًا لأنه جدُّه ، فهو لبيان نعم الله عليه في أفضل أصوله ، تمهيدًا لبيان نعمه عليه في  
الكثير من فروعِهِ . ويزاد على ذلك أن الله جعل الكتاب والنبوة في نسلهما معًا ، منفردًا ،  
ومجتمعا ، كما قال تعالى في سورة الحديد : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا  
الْثُبَّةَ وَالْكِتَابَ ﴾<sup>(٩)</sup> . [٢٦] .

ومما يدل له أيضًا قوله تعالى في آخر الآية : ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

(1) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٤٤٦/٨)، وأنوار التنزيل (٣١٠ / ١)، ونظم الدرر (١٧٢/٧)، وإرشاد العقل  
السليم (١٧٥ / ٢)، وحاشية الشهاب (٩٠ / ٤)، وفتح البيان (١٨٥/٤)، ومحاسن التأويل (٦ / ٢٣٩٥ —  
٢٣٩٦)، وتفسير المراغي (١٨١ / ٧).

(2) ينظر: تفسير القرآن العظيم (١٠٧ / ٦).

(3) ينظر: فتح القدير (١٩٢ / ٢).

(4) ينظر: التبيان (٥١٥ / ١) .

(5) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل (٣٧٠ / ١).

(6) ينظر: مفاتيح الغيب (٥٢ / ٥) .

(7) ينظر: نظم الدرر للبقاعي (١٧٢ / ٧) ، وأنوار التنزيل للبيضاوي (٣١٠ / ١) ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير  
(١٠٧ / ٦) .

(8) ينظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود (١٧٥ / ٢) ، ومحاسن التأويل للقاسمي (٦ / ٢٣٩٥) .

(9) تفسير القرآن الحكيم (٥٠٦ / ٧) ، وتبعه المراغي (١٨١ / ٧) .

قال ابن الجوزي : « ثم قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ من أيّين دليل على أنه إبراهيم؛ لأن افتتاح الكلام إنما هو بذكر ما أثاب به إبراهيم »<sup>(١)</sup>.

وأما الإشكال عليه بأن لو طاً ليس من ذرية إبراهيم ، وأنه ابن أخيه أو ابن أخته، فيجاب عنه بما يلي :

أنه لا يصح الاعتماد على ما في التوراة ؛ إذ ليس كل ما فيها مسلماً مما يذكر فيها من الأنساب<sup>(٢)</sup>.

سلمنا أن لو طاً ليس من ذرية إبراهيم ، وأنه ابن أخيه أو ابن أخته، فإنه يخرج بأن العرب تجعل العمّ أباً كما أخبر الله عن ولد يعقوب أنهم قالوا : ﴿ قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾ [البقرة: ١٣٣] . وإسماعيل عمُّ يعقوب . وعدّ عيسى من ذرية إبراهيم ، وإنما هو ابن البنت. قاله القرطبي<sup>(٣)</sup>.

ولوط وإن كان ليس من ذرية إبراهيم — على تسليم هذه الفرضية — فيدخل فيها تغليباً ؛ كدخول إسماعيل في آباء يعقوب تغليباً .

ونظيره قوله تعالى : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾ [ص: ٧٣ - ٧٤] . فدخل إبليس في أمر الملائكة بالسجود وذم على المخالفة ؛ لأنه كان في تشبه بهم، فعومل معاملتهم ودخل معهم تغليباً ، وإلاّ فهو كان من الجنّ، وطبيعته من النار ، والملائكة من نور . قاله ابن كثير<sup>(٤)</sup>.

والتغليب كان مستعملاً شائعاً في لسان العرب ، كما قال القاسمي<sup>(٥)</sup>.

(1) زاد المسير (٣ / ٧٩) .

(2) تراجع مسألة اسم أبي إبراهيم عليه السلام .

(3) الجامع لأحكام القرآن (٤٤٧/٨) بتصرف يسير . وينظر: البحر المحيط لأبي حيان (٤ / ١٧٣)، والدر المصون للسمين (٥ / ٢٨) ، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢ / ١٧٥)، وروح المعاني للآلوسي (٧ / ٢١٢) .

(4) تفسير القرآن العظيم (٦ / ١٠٧) بتصرف يسير .

(5) محاسن التأويل (٦ / ٢٣٩٥) .

ويمكن أن يُتأول على ما قاله أبو سليمان الدمشقي : « أي : ووهبنا له لوطاً في المعاضدة والنصرة أو أنه معطوف على ﴿ وَنُوحًا هَدَيْنَا ﴾ من عطف الجملة على الجملة»<sup>(١)</sup>.  
قال الطاهر : « ويجوز أن يجعل ذكر اسمه بعد انتهاء أسماء مَنْ هم مِنْ ذرية إبراهيم منصوباً على المدح بتقدير فعلٍ لا على العطف »<sup>(٢)</sup>.

وقال الباقر : « أو يحملونه على فعل آخر دون ﴿ وَوَهَبْنَا ﴾ »<sup>(٣)</sup>.

كما يمكن أن يُخرَج على أن لوطاً عومل معاملة ذرية إبراهيم ؛ لشدة اتصاله به<sup>(٤)</sup>، فإنه آمن به ، وهاجر معه ، والله تعالى أعلم .

وبعد، فإذا تقرر ذلك فإن أولى القولين بالصواب هو أن يعود الضمير على إبراهيم — عليه الصلاة والسلام — ؛ لأن دلالة السياق قوية في كون الضمير عائداً إليه .

ويتأيد هذا القول بقاعدة (عود الضمير على المحدث عنه)<sup>(٥)</sup>، وبما تُعارضُ قاعدة (عوده إلى الأقرب) . وهنا ترجح قاعدة عوده على المحدث عنه ؛ لتأييدها بمقصود الآية الكريمة وسياقها.

وأما ذكر لوط فإنه مخرَج بما سبق ، وهذا على الفرض بصحة ما يقوله علماء النسب، وهم يعتمدون في ذلك على ما في التوراة ولا يخفى ما فيها ، والله تعالى أعلم وأحكم ونسبة العلم إليه أسلم .

هذا وقد جوّز الزجاج القولين ؛ لأن ذكرهما جميعاً قد جرى<sup>(٦)</sup>.

(1) ينظر: زاد المسير لابن الجوزي (٣ / ٧٩) فإنه نقله عنه .

(2) التحرير والتنوير (٧ / ٣٣٨) .

(3) كشف المشكلات (١ / ٤٤٣) .

(4) ينظر: التحرير والتنوير للطاهر (٧ / ٣٣٨) .

(5) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (٢ / ٦٠٣) .

(6) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢ / ٢٦٩) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هُنَّ لِأَوْلَادِهَا﴾

﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ (٨٩)

٢٧- الخلاف في المراد بالقوم في قوله: ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «هم الأنبياء المذكورون . وقيل : الصحابة . وقيل : كل مؤمن . والأول أرجح ؛ لدلالة ما بعده على ذلك»<sup>(١)</sup> .

### العرض والمناقشة :

رجح ابن جزي أن المراد بالقوم في قوله تعالى : ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا﴾ هم الأنبياء المذكورون قبل هذه الآية، والمشار إليهم بقوله عز وجل : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ . ووافق المروي عن قتادة<sup>(٢)</sup> ، والحسن<sup>(٣)</sup> .

ووافقه في هذا الترجيح : الطبري، والزجاج، والنحاس، وابن أبي زنين، والزمخشري، والبيضاوي، والشوكاني، والقنوجي، والشنقيطي<sup>(٤)</sup> .

ودليل هذا القول : السياق .

قال ابن جرير الطبري : «وذلك أن الخبر في الآيات قبلها عنهم مضى ، وفي التي بعدها

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٥) .

(2) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢١٣) — ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٣٩) (٧٥٧٦) — عن معمر ، عنه . وأخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٣٩٠) من طريق معمر ، عنه . وأخرجه الطبري (٩/ ٣٩٠) من طريق سعيد ، وأخرجه ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٤٠) (٧٥٨١) من طريق شيبان ، كلاهما ، عنه .

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٣٩) (٧٥٧٥) بلفظ : ( النبيين والصالحين ) .

(4) ينظر : جامع البيان (٩/ ٣٩٠ ، ٣٩١) ، ومعاني القرآن وإعراجه (٢/ ٢٧٠) ، ومعاني القرآن الكريم (٢/ ٤٥٦) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ٨٣) ، والكشاف (٢/ ٣٦٩) ، وأنوار التنزيل (١/ ٣١١) ، وفتح القدير (٢/ ١٩٤) ، وفتح البيان (٤/ ١٨٨) ، والعذب النмир (١/ ٤٠٠) .

عنهم ذِكْرٌ ، فما بينها بأن يكون خيراً عنهم أَوْلَى وأحقُّ من أن يكون خيراً عن غيرهم»<sup>(١)</sup> .

وقال الشوكاني : « فَإِنَّ الإِشَارَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى بَعْدَهَا : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْنَهُمْ أَقْتَدَهُ ﴾ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ الْمَذْكُورِينَ لَا إِلَى الصَّحَابَةِ ؛ إِذْ لَا يَصِحُّ أَنْ يُؤْمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْإِقْتِدَاءِ بِهِدَاهِمُ »<sup>(٢)</sup> .

وأما القول بأن المراد هم الصحابة<sup>(٣)</sup> — رضي الله تعالى عنهم — فهو قولُ ابنِ عباس<sup>(٤)</sup> ، وقتادة<sup>(٥)</sup> ، وعكرمة<sup>(٦)</sup> ، وسعيد بن جبير<sup>(٧)</sup> ، والضحاك<sup>(٨)</sup> ، وابن المسيب<sup>(٩)</sup> ، والسدي<sup>(١٠)</sup> ، ومجاهد<sup>(١١)</sup> ، وابن جريج<sup>(١٢)</sup> ، ومقاتل<sup>(١٣)</sup> .

وذهب إليه الفراء، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي، والقرطبي، والسيوطي، والقاسمي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والطاهر بن

(1) جامع البيان (٩ / ٣٩١) .

(2) فتح القدير (٢ / ١٩٤) بتصريف يسير .

(3) اختلفت عبارات المفسرين في هذا القول ومؤداها واحد ، وذلك على النحو التالي : (أهل المدينة والأنصار ، أهل المدينة ، الأنصار ، المهاجرين لمن هاجر من مكة إلى المدينة ، أهل المدينة من الأنصار ، الصحابة) .

(4) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٣٨٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤ / ١٣٣٩) (٧٥٧٤) من طريق علي ابن أبي طلحة ، عنه . وأخرجه الطبري (٩ / ٣٨٩) من طريق عطية العوفي ، عنه . قال عطية : ولم أسمع هذا من ابن عباس ، ولكن سمعته من غيره .

(5) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٣٨٨) ، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٤ / ١٣٣٨) عقب (٧٥٧١) . وعكس النحاس في معاني القرآن الكريم (٢ / ٤٥٥) فنسب إلى قتادة قوله : (النيين) .

(6) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤ / ١٣٣٩) (٧٥٧٨) .

(7) نسبه إليه السمرقندي في بحر العلوم (٢ / ٤٩٩) .

(8) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٣٨٨) من طريق جوير ، عنه . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٤ / ١٣٣٩) عقب (٧٥٧٤) .

(9) ذكره ابن أبي حاتم (٤ / ١٣٣٩) عقب (٧٥٧٤) . وعزاه الألوسي في روح المعاني (٧ / ٢١٦) لعبد بن حميد .

(10) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٣٨٩) وابن أبي حاتم في تفسيره (٤ / ١٣٣٩) من طريق أسباط ، عنه .

(11) نسبه إليه النحاس في معاني القرآن الكريم (٢ / ٤٥٥) .

(12) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٣٨٩) عن القاسم ، عن الحسين ، عن حجاج ، عنه .

(13) ينظر: تفسير مقاتل (١ / ٥٧٤) .

عاشور<sup>(١)</sup>.

وذكره البيضاوي بصيغة (قيل)<sup>(٢)</sup> ، ووافقه ابن جزيّ .

ويدل له أن في الآية قرينة تمنع من أن يكون المراد بذلك الأنبياء ، وهي : أن الله تعالى وصفهم بأنهم ليسوا بها بكافرين ، وهذا وصفٌ لقومٍ حاضرين ، ووصف الأنبياء السابقين بذلك لا يظهر له وجه . قاله السيد رشيد رضا<sup>(٣)</sup>.

وقال القاسمي : « وهذا الوصف للصحابة في مقابلة كفار قريش »<sup>(٤)</sup>.

وأما القول الثالث : وهو أن المراد بهم كل مؤمن ، فمنسوب إلى ابن زيد<sup>(٥)</sup> ، ومفهوم رواية الحسن : « النبيين والصالحين » ؛ لإفادتها العموم .

ورجّحه ابن عطية، وأبو حيان، وابن القيم، وابن كثير<sup>(٦)</sup>.

وذكره بصيغة (قيل) الزمخشري، والقرطبي<sup>(٧)</sup>.

ويدلّ له العموم ، فإن النكرة في سياق الامتنان تفيد العموم<sup>(٨)</sup> .

قال ابن عطية : « فالآية على هذا التأويل ، وإن كان القصد في نزولها هذين الصنفين [يعني بهما : كفار قريش ، ومؤمني أهل المدينة "الصحابة"] فهي تعمُّ الكفرة والمؤمنين إلى يوم القيامة » .

(1) ينظر: معاني القرآن (١/ ٣٤٢)، والوجيز (١/ ٣٦٤) والوسيط (٢/ ٢٩٦)، وتفسير القرآن (٢/ ١٢٣)، ومعالم التنزيل (٢/ ٤٣)، وإيجاز البيان (١/ ٢٤٨)، وتذكرة الأريب (١/ ١٦٣)، والجامع لأحكام القرآن (٨/ ٤٥١)، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢/ ٤١٥)، ومحاسن التأويل (٦/ ٢٤٠٠)، وتفسير القرآن الحكيم (٧/ ٥١٢)، وتفسير المراغي (٧/ ١٨٤)، والتحرير والتنوير (٧/ ٣٥٤) .

(2) ينظر: أنوار التنزيل (١/ ٣١١) .

(3) تفسير القرآن الحكيم (٧/ ٥١٣) بتصرف يسير .

(4) محاسن التأويل (٦/ ٢٤٠٠) .

(5) نسبه إليه الخازن في لباب التأويل (٢/ ٣٢) .

(6) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٢٧٤)، والبحر المحييط (٤/ ١٧٥)، وبدائع التفسير (٢/ ١٥٨ ، ١٦٢)، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ١٠٩) .

(7) ينظر: الكشف (٢/ ٣٦٩)، والجامع لأحكام القرآن (٨/ ٤٥٢) .

(8) قرّر ذلك العلامة محمد الأمين الشنقيطي . ينظر: مذكرة في أصول الفقه (٢٠٦) .

وقال ابن القيم : « والقوم الموكّلون بها هم الأنبياء أصلاً ، والمؤمنون بهم تبعاً ، فيدخل كلُّ من قام بحفظها والذبُّ عنها والدعوة إليها ، ولا ريب أن هذا للأنبياء أصلاً وللمؤمنين بهم تبعاً ، وأحقُّ من دخل فيها من أتباع الرسل : خلفاؤه في أمته وورثته ، فهم الموكّلون بها . وهذا ينتظم الأقوال التي قيلت في الآية . »

وقال أيضاً : « والصواب : أن المراد مَنْ قام بها إيماناً ودعوةً وجهاداً ونُصرةً ، فهؤلاء هم الذين وكلهم الله بها . »

وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن أولى الأقوال بالصواب هو القول بالعموم ؛ لانتظامه الأقوال كلها وعدم اطّراحه شيئاً منها سيما وأن اللفظ يدل على الشمول ، فيدخل في الآية الأنبياء بالأصالة والصحابة بالتبع والتابعون لهم بإيمان وإحسان ، والله تعالى أعلم .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ لِيَجْزِيَ قِرَاطِيْسَ تَبَدُّوْنَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿١١﴾ ﴾

## ٢٨- الخلاف في القائلين هذه المقالة : ﴿ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾ .

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « والقائلون هم اليهود بدليل ما بعده ، وإنما قالوا ذلك مبالغة في إنكار نبوة محمد ﷺ ، ورؤي أن الذي قالها منهم مالك بن الصييف ، فرد الله عليهم بأن أزمهم ما لا بُدَّ لهم من الإقرار به وهو إنزال التوراة على موسى . وقيل : القائلون قريش ، ولزموا ذلك ؛ لأنهم كانوا مقرين بالتوراة »<sup>(١)</sup>.

### العرض والمناقشة :

رجح ابن جزي أن اليهود هم الذين قالوا : ﴿ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾ . ووافق المروي عن قتادة<sup>(٢)</sup> . ونسب إلى الحسن<sup>(٣)</sup> .  
ورؤي عن سعيد بن جبيرة<sup>(٤)</sup> ، وعكرمة<sup>(٥)</sup> أن الذي قالها منهم هو مالك بن الصييف . ونسب هذا إلى ابن عباس<sup>(٦)</sup> .

- (1) التسهيل لعلوم التنزيل (١٥ / ٢) . ولعل العبارة : وألزموا ذلك ...
- (2) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٣٩٥) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤ / ١٣٤٣) من طريق يزيد ، عن سعيد ، عنه قال : هم اليهود والنصارى . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٣١٥) نسبه إلى عبد بن حميد .
- (3) نسبه له ابن أبي زمنين في تفسيره (٢ / ٨٣) .
- (4) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٣٩٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤ / ١٣٤٢) (٧٥٩٧) من طريق يعقوب القمي ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عنه . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٣١٤) إلى ابن المنذر أيضاً . وينظر: أسباب التزول للواحد (٢٥٣) .
- (5) أخرجه الطبري (٩ / ٣٩٤) عن القاسم ، ثنا الحسين ، ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عنه . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٣١٤) إلى ابن المنذر . وينظر: أسباب التزول للواحد (٢٥٣) .
- (6) نسبه له ابن الجوزي في زاد المسير (٣ / ٨٢) برواية أبي صالح ، عنه .

وعليه مقاتل، والزجاج، والنحاس، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والكرماني، والزخشي، وابن الجوزي، والبيضاوي، والنسفي، والبلنسي، والثعالبي، والبقاعي، والسيوطي، وأبوالسعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والشنقيطي<sup>(١)</sup>.

وقال الخازن : « وهذا قول جمهور المفسرين »<sup>(٢)</sup>.

وذكره بصيغة (قيل) : ابن عطية، وابن كثير<sup>(٣)</sup>.

واستدل له ابن جزيّ بالسياق فقال : « بدليل ما بعده » . وهو قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ لِيَجْزِيَوهُ قَرَاتٍ وَسُبُوحًا يُسْمَعُونَ كَثِيرًا وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ﴾ .

ووجه ذلك : أن خاتمة الآية خبرٌ عن اليهود وخطاب لهم ، فابتداء الآية إذاً خبرٌ عنهم<sup>(٤)</sup>.

قال الشنقيطي : « وسياق الكلام يُعِينُ أن الآية نازلة في اليهود لا في مشركي مكة ، كما قاله بعض العلماء »<sup>(٥)</sup>.

(1) ينظر: تفسير مقاتل (١/ ٥٧٤) وقال : نزلت في مالك بن الصيف ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧١) وقال : جماعة من اليهود من منافقيهم ، ومعاني القرآن الكريم (٢/ ٤٥٧)، وبحر العلوم (١/ ٥٠٠) قال : نزلت في مالك بن الصيف، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ٨٣)، الوجيز (١/ ٣٦٤) والوسيط (٢/ ٢٩٧)، تفسير القرآن (٢/ ١٢٤) ونسبه إلى مالك بن الصيف، ومعالم التنزيل (٢/ ٤٣)، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٣٧٠) وقال : نزلت في مالك بن الصيف، والكشاف (٢/ ٣٧٠)، وتذكرة الأريب (١/ ١٦٣)، وأنوار التنزيل (١/ ٣٢١)، ومدارك التنزيل (٢/ ٢٢)، و تفسير مبهمات القرآن (١/ ٤٦٥) وذكر أنها في مالك بن الصيف، والجواهر الحسان (١/ ٤٩٨)، ونظم الدرر (٧/ ٤٩٨)، تفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢/ ٤١٦)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٧٩)، وفتح القدير (٢/ ١٩٥)، وروح المعاني (٧/ ١٧٩)، وفتح البيان (٤/ ١٩١)، والعذب النмир (١/ ٤١٨) .

(2) ينظر: لباب التأويل (٢/ ٣٣) .

(3) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٢٧٩)، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ١١٠) .

(4) ينظر: جامع البيان للطبري (٩/ ٣٩٨) .

(5) العذب النмир (١/ ٤١٨) .

واستدل له الزمخشري بقراءة: ﴿تَجْعَلُونَهُ﴾ بالتاء ، وكذلك: ﴿تُبَدُونَهَا وَتُخْفُونَ﴾ .  
 وقال: « وإنما قالوا ذلك ؛ مبالغةً في إنكار إنزال القرآن على رسول الله ﷺ فألزموا  
 مالا بُدَّ لهم من الإقرار به من إنزال التوراة على موسى — عليه السلام — وأدرج تحت  
 الإلزام توبيخهم وأن نعى عليهم سوء جهلهم لكتابتهم ، وتحريفهم وإبداء بعض وإخفاء بعض»<sup>(١)</sup> .

وقال الشهاب: « واستدلَّ عليه بقراءة الخطاب في قوله: ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَاتِيسَ﴾ .  
 وتقرير الاستدلال: أن قوله: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ﴾ الخ جواب لأولئك القائلين، والتاء في  
 ﴿تَجْعَلُونَهُ﴾ خطاب لهم ، ولا شك في أن الجاعلين التوراة قراتيس هم اليهود ، فيكون  
 القائلون تلك المقالة هم اليهود .

فإن قلت: اليهود يقولون: التوراة كتاب الله أنزله على موسى ﷺ فكيف يقولون: ما  
 أنزل الله على بشر من شيء؟ أجيب: بأن مرادهم الطعن في رسالته ﷺ مبالغةً في ذلك  
 الإنكار فقليل لهم على سبيل الإلزام: قد أنزل الله التوراة على موسى ﷺ فلم لا يجوز إنزال  
 القرآن على محمد ﷺ؟ فكأنهم أبرزوا إنزال القرآن عليه في صورة الممتنع حتى بالغوا في  
 إنكاره فألزموا بتجويزه... وقراءة الغيب على هذا التفات تبعيًا لهم بسبب ارتكابهم  
 القبيح»<sup>(٢)</sup> .

وقال الآلوسي: « المراد أنه تعالى قد أنزل التوراة على موسى عليه السلام ولا سبيل  
 لكم إلى إنكار ذلك ، فلم لا تجوزون إنزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم؟ وبهذا  
 ينحل إشكال ما عليه الجمهور»<sup>(٣)</sup> .

ويقول الشهاب أيضاً: « ودليل آخر هو: تضمن ذلك [ أي: قوله تعالى: ﴿تُبَدُونَهَا وَتُخْفُونَ﴾  
 كثيراً ] توبيخهم على سوء جهلهم بالتوراة وذمهم على تجزئتها بإبداء بعض ما انتخبوه

(1) الكشاف (٢/ ٣٧٠) . وتبعه البيضاوي في أنوار التنزيل (١/ ٣١٢) .

(2) حاشية الشهاب (٤/ ٩٣) .

(3) روح المعاني (٧/ ٢٩١) .

وكتبوه في ورقات متفرقة وإخفاء بعض لا يشتهونه»<sup>(١)</sup>.

وقال الشنقيطي : « أظهر الأقوال فيها : أن المراد بهم اليهود الذين أنزل عليهم التوراة ، أن الله علمهم بواسطة القرآن من غرائب ما في التوراة وعجائبه ما كانوا جاهلين به ؛ لأن القرآن مهيمن على الكتب . وكانت أشياء غامضة عليهم لا يعرفونها فينبئها القرآن حتى عرفوها ... كما قال جل وعلا : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَفُونَ ﴾ [النمل: ٧٦] وقال : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾<sup>(٢)</sup> [المائدة: ١٥].

واستدل له أيضاً بسبب التزول ، كما رواه علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قال : قالت اليهود : يا محمد ، أنزل الله عليك كتاباً ؟ قال : (نعم) . قالوا : والله ، ما أنزل الله من السماء كتاباً . فترلت : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا ﴾<sup>(٣)</sup> .

وقال محمد بن كعب القرظي : جاء ناس من اليهود إلى النبي ﷺ وهو مُحْتَبٍ فقالوا : يا أبا القاسم ، ألا تأتينا بكتاب من السماء كما جاء به موسى ألواحاً يحملها من عند الله ؟ فأنزل الله : ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [النساء: ١٥٣] فحشا رجل من يهود فقال : ما أنزل الله عليك ، ولا على موسى ، ولا على عيسى ، ولا على أحد شيئاً . فأنزل الله : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ . قال محمد بن كعب : ما علموا كيف الله إذ قالوا : ﴿ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا ﴾ فحلَّ رسول الله ﷺ حُبُونَهُ ، وجعل يقول : ( ولا على أحدٍ ؟ )<sup>(٤)</sup> .

(1) المصدر السابق (٤ / ٩٤) .

(2) العذب النمير (١ / ٤١٨) .

(3) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٣٩٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤ / ١٣٤١ — ١٣٤٢) (٧٥٩٢) ، ٧٥٩٣ ، ٧٥٩٥ ، ٧٥٩٦ . وينظر : أسباب التزول للواحدي (٢٥٣) .

(4) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٣٩٥) وهو مُعَلٌّ بالإرسال . وفيه أبو معشر المدني نجيح بن عبد الرحمن السندي ، ضعيف ، أسنَّ واختلط . وينظر : التقريب لابن حجر (٩٩٨) .

وأما القول بأن القائلين هم مشركوا قريش، فهو قول مجاهد<sup>(١)</sup>. ونُسبَ إلى ابن عباس<sup>(٢)</sup>، وعبد الله بن كثير<sup>(٣)</sup>.

ورجّحه الطبري، وابن كثير، والقاسمي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، وابن عاشور<sup>(٤)</sup>. وقدمه ابن عطية<sup>(٥)</sup>.

وذكره بصيغة (قيل) : الزمخشري، والبيضاوي، والبلنسي، وأبو السعود، والشوكاني، والقنوجي<sup>(٦)</sup>.

واستدلّ لهذا القول أيضاً بالسياق. وتقديره — كما قال ابن جرير الطبري — :

(1) أخرجه الطبري في جامع البيان (٣٩٧ / ٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤ / ١٣٤١) (٧٥٨٧) من طريق أبي حذيفة ، ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عنه . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٣١٤) إلى أبي الشيخ . وأخرجه الطبري أيضا (٩ / ٣٩٦) ، وابن أبي حاتم أيضا (٤ / ١٣٤١) (٧٥٩٢) من طريق حجاج ، قال : قال ابن جريج : قال عبد الله بن كثير : إنه سمع مجاهداً... فذكر أولها في مشركي قريش ، وآخرها في المسلمين ، وأوسطها في اليهود.

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٣٩٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤ / ١٣٤١) (٧٥٨٦) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه قوله : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ قال : «هم الكفار ، لم يؤمنوا بقدره الله عليهم ، فمن آمن أن الله على كل شيء قدير ، فقد قدر الله حقَّ قدره، ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حقَّ قدره» . كذا جاء في هذه الرواية أنها في الكفار يعني أول الآية الكريمة . ولذا نسبه إليه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٨ / ٤٥٥) ، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٦ / ١١٠) . ومجموع الروايتين عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس يتبين أنه يفسر أولها أنها في الكفار ويفسر ما بعدها وهو قوله : ﴿ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ﴾ في اليهود وأنها نزلت فيهم وهذا ظاهره التعارض !! والذي عليه العلماء هو قبول صحيفة علي بن أبي طلحة التي رواها عن ابن عباس في التفسير واعتمدها البخاري في صحيحه . لكن إذا كان ما يرويه ابن عباس مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم فينظر في إسنادهما على أنه حديث مرفوع ، وعليه ففيه انقطاع على الصحيح ؛ لأن علياً لم يسمع من ابن عباس بل أرسل عنه ولم يره كما ذكره العلماء . وينظر : التقريب (٦٩٨).

(3) نسبه إليه ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٦ / ١١٠) .

(4) ينظر : جامع البيان (٩ / ٣٩٧) ، وتفسير القرآن العظيم (٦ / ١١٠ — ١١١) ، ومحاسن التأويل (٦ / ٢٤٠٨) ، وتفسير القرآن الحكيم (٧ / ٥٣١ ، ٥٣٣) ، وتفسير المراغي (٧ / ١٨٨) ، و التحرير والتنوير (٧ / ٣٦١) .

(5) ينظر : المحرر الوجيز (٥ / ٢٧٩) .

(6) ينظر : الكشف (٢ / ٣٧١) ، وأنوار التنزيل (١ / ٣١٢) ، وتفسير مبهمات القرآن (١ / ٤٦٥) ، وإرشاد العقل السليم (٢ / ١٧٩) ، وفتح القدير (٢ / ١٩٥) ، وفتح البيان (٤ / ١٩١) .

«وذلك أن سياق الخبر عنهم أولاً ، فإن يكون ذلك أيضاً خبراً عنهم ، أشبه من أن يكون خبراً عن اليهود ولما يَجْرُ لهم ذكرٌ يكون هذا به متصلاً ، مع ما في الخبر عَمَّن أخبر الله عنه في هذه الآية من إنكاره أن يكون الله أنزل على بشر شيئاً من الكتب ، وليس ذلك مما تدين به اليهود ، بل المعروف من دين اليهود الإقرارُ بصحف إبراهيم وموسى وزبور داود ، وإذا لم يكن بما رُوِيَ من الخبر بأن قائل ذلك كان رجلاً من اليهود خبرٌ صحيح متصل السند ، ولا كان على أن ذلك كان كذلك من أهل التأويل إجماعٌ ، وكان الخبرُ من أول السورة ومبتدئها إلى هذا الموضع خبراً عن المشركين من عبدة الأوثان ، وكان قوله : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ موصولاً بذلك غير مفصول عنه ، لم يَجْزُ لنا أن ندعي أن ذلك مصروفٌ عما هو به موصول ، إلا بحجةٍ يجب التسليم لها من خبرٍ أو عقل»<sup>(1)</sup>.

وقرره الطاهر بن عاشور بوجود واو العطف في صدر هذه الجملة ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ ، فإنها تنادي على أنها نزلت متناسقة مع الجمل التي قبلها ، وأنها وإياها واردتان في غرض واحد هو: إبطال مزاعم المشركين ، فهذا عطف على جملة ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ ﴾ [الأنعام: ٨٩] وأنها ليست ابتدائية في غرض آخر . فواو الضمير في قوله : ﴿ قَدَرُوا ﴾ عائد على ما عاد إليه اسم الإشارة في قوله : ﴿ هَؤُلَاءِ ﴾<sup>(2)</sup>.

ومما يدل له أيضاً أن الآية مكية وفي سورة مكية ، والمناظرات التي وقعت بين الرسول ﷺ وبين اليهود والنصارى كلها مدنية، كما قاله الرازي<sup>(3)</sup>.

وقال ابن كثير : « اليهود لا ينكرون إنزال الكتب من السماء ، وقريش والعرب قاطبة كانوا يبعدون إرسال رسول من البشر كما قال : ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ ﴾ [يونس: ٢] وكما قال : ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ

(1) جامع البيان (٩/٣٩٧) .

(2) التحرير والتنوير (٧/٣٦١) بتصرف يسير .

(3) ينظر: مفاتيح الغيب (٥/٦٠) .

قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿١﴾ [الإسراء: ٩٤] .

وجعل الطاهر بن عاشور هذه الجملة مثل ما حكاها الله عنهم في قوله : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ (٢) [سبأ: ٣١] .

وقوّاه الطاهر أيضاً بأن قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ﴾ أشدّ انطباقاً على المشركين ؛ لأنهم لم يكونوا عالمين بأخبار الأنبياء وأحوال التشريع ونظامه، ... وقد وصفهم الله بمثل هذا في آيات أخرى كقوله : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ﴾ (٣) [هود: ٤٩] .

وعلى هذا القول إشكال ذكره الرازي وهو : كيف يمكن إبطال قول المشركين بقوله: ﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى ﴾ وذلك لإنكارهم رسالة جميع الأنبياء ، فكيف يحسن إيراد هذا الإلزام عليهم ؟ (٤)

وأجيب بأنه لما كان إنزال التوراة من المشهورات الذائعة عندهم حسن إلزامهم بما ذكر، ولذلك كانوا يقولون : ﴿ لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ ﴾ (٥) [الأنعام: ١٥٧] .  
وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أولى القولين بالصواب في ذلك هو قول مجاهد : أن الآية في مشركي قريش ، وهو ما رجّحه الطبري ومن معه ؛ لقوة أدلته :

— فإن دلالة السياق عليه أقوى وأظهر من دلالتها على كونها في اليهود ؛ لأن دلالتها على كونها في اليهود هو باللاحق أما دلالتها على كونها في مشركي قريش فبالسباق واللاحق فتكون أقوى وأظهر، والله أعلم .

— ولكون الآية بل السورة كلّها مكية فالخطاب مع المشركين .

(1) تفسير القرآن العظيم (٦/ ١١٠) .

(2) ينظر: التحرير والتنوير (٧/ ٣٦٢) .

(3) المصدر السابق (٧/ ٣٦٦) .

(4) ينظر: مفاتيح الغيب (٥/ ٥٩ — ٦٠) .

(5) ينظر: أنوار التنزيل للبيضاوي (١/ ٣١٢) ، وروح المعاني للآلوسي (٧/ ٢١٩) .

— ولدلالة النظائر القرآنية على إنكار مشركي قريش للكتب السماوية كقوله تعالى :  
﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ . وكقوله تعالى :  
﴿ أبعث الله بشراً رسولا ﴾ . وكقوله تعالى : ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ  
أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكٰفِرُونَ إِنَّكَ هٰذَا لَسِحْرٌ  
مُّبِينٌ ﴾ .

وأما قراءة ﴿ تَجْعَلُونَهُ ﴾ — بالتاء — فهي مخرّجة على أن الخطاب لهذا الجنس الذي  
فعلوا ذلك ، أي : تجعلونه يا من أنزل عليه كذلك<sup>(١)</sup> . وهو التفات من خطاب قوم إلى  
خطاب قوم آخرين<sup>(٢)</sup> .

قال ابن كثير : « أي : يجعلها حملتها قراطيس »<sup>(٣)</sup> .

وأما سبب التزول فما روي فيه فلا يصح منه شيء .

وإذا كان ذلك كذلك، فإن ما رجّحه ابن جزيّ ومن وافقه من جمهور المفسرين  
مرجوح؛ لما ذكر ، والله تعالى أعلم .

(1) ينظر: بدائع التفسير لابن القيم (٢/ ١٦٤) .

(2) ينظر: حاشية الشهاب (٤/ ٩٥) .

(3) تفسير القرآن العظيم (٦/ ١١١) .

تكميل : ذهب بعض المفسرين إلى العموم وصلاحيه اللفظ لكلا الفريقين .

— قال السعدي (٢/ ٤٣) : هذا تشنيع على من نفى الرسالة من اليهود والمشرّكين .

— وقال القاسمي (٦/ ٢٤١١) : وبالجملة فالآية الكريمة متصادقة مع الأربعة المذكورة، وتنتزل في التأويل على ما  
بيننا في كلّ تزيلا لا شائبة معه لإشكال ما .

— وقال الطاهر (٧/ ٣٦٧) : واعلم أن نظم الآية صالح للرد على كلا الفريقين مراعاة لمقتضى الروايتين .

قَالَ تَعَالَى:

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَىِّ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَالِقُ ٱلْحَبِّ﴾ (٩٥)

### ٢٩- الخلاف في معنى قوله : ﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « أي : يَفْلِقُ الْحَبَّ تحت الأرض لخروج النبات منها ، وَيَفْلِقُ النَّوَى لخروج الشجر منها . وقيل : أراد الشَّقِيْنَ اللَّذِينَ فِي النَّوَاةِ وَالْحَنْطَةِ . والأول أرجح ؛ لعمومه في أصناف الحبوب »<sup>(١)</sup>.

### العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ أن قوله عز وجل : ﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ . معناه : أنه يَفْلِقُ الْحَبَّ تحت الأرض لخروج النبات منها ، وَيَفْلِقُ النَّوَى لخروج الشجر منها ، كما تفلق الحبة عن السنبله ، والنواة عن النخلة . ووافق مفهوم ما رُوِيَ عن ابن عباس<sup>(٢)</sup> ، والحسن<sup>(٣)</sup> ، وقتادة<sup>(٤)</sup> ، والسدي<sup>(٥)</sup> ، وابن زيد<sup>(٦)</sup> .

ووافقه على هذا الترجيح أكثر المفسرين ، ومنهم : الطبري ، والنحاس ، والسمرقندي ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ، والسمعي ، والكرماني ، وابن عطية ، ومحمود النيسابوري ، والبيضاوي ، وأبوحيان ، وابن كثير ، والثعالبي ، والبقاعي ، والسيوطي ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والآلوسي ،

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (١٦ / ٢) .

(٢) رواه أبو صالح ، عنه كما ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩٠ / ٣) .

(٣) نسبه إليه ابن أبي زمنين في تفسير القرآن العزيز (٨٦ / ٢) ، والماوردي في النكت والعيون (١٤٦ / ٢) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٩٠ / ٣) .

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢١٤ / ٢) عن معمر ، عنه . ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٥١ / ٤) (٧٦٥١) . وأخرجه الطبري في جامع البيان (٤٢٠ / ٩) من طريق معمر به . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٢٤ / ٣) نسبه إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان (٤٢٠ / ٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٥١ / ٤) (٧٦٥٤) من طريق أحمد ابن المفضل ، عن أسباط ، عنه .

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان (٤٢١ / ٩) عن يونس ، عن ابن وهب ، عنه .

والقنوجي، والقاسمي، والسعدي، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي<sup>(١)</sup>.

وعلل ابن جزي رححائه بعمومه في أصناف الحبوب .

قال البغوي : « والحَب : جمع الحبة ، وهي اسم لجميع البذور والحبوب ؛ من البرّ والشعير والذرة، وكل ما لم يكن له نوى . والنوى : جمع النواة ، وهي كل ما لم يكن حباً ، كالتمر والمشمش والخوخ ونحوها »<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن عطية : « هذه إشارة إلى فعل الله في أن يشق جميع الحب عن جميع النبات الذي يكون منه ، ويشق النوى عن جميع الأشجار الكائنة عنه . وهذا هو الظاهر الذي يعطي العبرة التامة، فسبحان الخلاق العظيم »<sup>(٣)</sup>.

وقال الطبري : « وذلك أن الله جل ثناؤه أتبع ذلك بإخباره عن إخراج الحيّ من الميت، والميت من الحي ، فكان معلوماً بذلك أنه إنما عني بإخباره عن نفسه أنه فالق الحبّ عن النبات ، والنوى عن العُروس والأشجار ، كما هو مُخْرَجُ الحيّ من الميت ، والميت من الحي »<sup>(٤)</sup>.

واستدل له الشنقيطي بأنه ظاهر القرآن الذي دلّ عليه بعض القرائن كقوله تعالى:

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۚ ﴿٢٤﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ [ عبس ] . قال : ثم

(1) ينظر: جامع البيان (٩/ ٤٢٠، ٤٢٢)، وإعراب القرآن (٢/ ٨٣)، وبحر العلوم (١/ ٥٠٢)، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ٨٦)، والوجيز (١/ ٣٦٦)، وتفسير القرآن (٢/ ١٢٨)، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (٣٧٤/١) ونسبه للجمهور ، والمحرف الوجيز (٥/ ٢٩٣)، وإيجاز البيان (١/ ٢٥٠)، وأنوار التنزيل (١/ ٣١٣)، والبحر المحيط (٤/ ١٨٤)، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ١١٥)، والجواهر الحسان (١/ ٥٠١)، ونظم الدرر (٧/ ١٩٤)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٨٢)، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢/ ٤٢٥)، وفتح القدير (٢/ ٢٠١)، وروح المعاني (٧/ ٢٢٦) — وقال : وعليه أكثر المفسرين ولعله الأولى — ، وفتح البيان (٤/ ١٩٨)، ومحاسن التأويل (٦/ ٢٤٢١)، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ٤٧)، والتحرير والتنوير (٧/ ٣٨٨)، والعذب النمير (١/ ٤٤١).

(2) معالم التنزيل (٢/ ٤٧).

(3) المحرف الوجيز (٥/ ٢٩٣) . وتبعه أبو حيان (٤/ ١٨٤) .

(4) جامع البيان (٩/ ٤٢٢) .

شققنا الأرض عن النبات شقاً بعد أن شققنا الحبة عن السنبله<sup>(١)</sup>.

وقال : « هذا التفسير هو الذي عليه جمهور المفسرين ، وهو المعروف عن علماء السلف والخلف »<sup>(٢)</sup>.

وأما القول بأنه أراد الشقين اللذين في النواة والحنطة ، فهو قول مجاهد<sup>(٣)</sup>، وأبي مالك<sup>(٤)</sup>.

واستغربه الكرماني<sup>(٥)</sup>. وردّه ابن عطية بقوله : « والعبرة — على هذا القول — مخصوصة في بعض الحب وبعض النوى ، وليس لذلك وجه »<sup>(٦)</sup>.

وضعه الشهاب، والآلوسي، والقاسمي<sup>(٧)</sup>، بأنه لا دلالة له على كمال القدرة .

وذكره بصيغة ( قيل ) : البيضاوي، وأبو السعود<sup>(٨)</sup>. ووافقهما ابن جزيّ .

ولم يذكروا له دليلاً .

وبعد، فإذا تقرّر هذا فإن أولى القولين بالصواب في ذلك هو ما رجّحه ابن جزيّ ومن وافقه ، وهو المروي عن أكثر السلف ، وعليه جمهور المفسرين ، والله تعالى أعلم .

(1) العذب النمير (١ / ٤٤١) .

(2) المصدر السابق (١ / ٤٤٣) .

(3) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٤٢١، ٤٢٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤ / ١٣٥١) (٧٦٥٣) من طرق، عنه. وزاد نسبه السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٣٢٤) إلى ابن أبي شيبه، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وأبي الشيخ .

(4) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٤٢٢) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٣٢٤) نسبه إلى سعيد بن منصور ، وابن المنذر .

(5) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل (١ / ٣٧٤) .

(6) المحرر الوجيز (٥ / ٢٩٣) .

(7) ينظر: حاشية الشهاب (٤ / ١٠٠) ، وروح المعاني (٧ / ٢٢٦) ، ومحاسن التأويل (٦ / ٢٤٢١) .

(8) ينظر: أنوار التنزيل (١ / ٣١٣) ، وإرشاد العقل السليم (٢ / ١٨٢) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ (١٦)

### ٣٠- الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ﴾ .

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ﴾ أي : الصبح ، فهو مصدرٌ سُمِّيَ به الصبح . ومعنى فلقه : أخرجته من الظلمات . وقيل : إن الظلمة هي التي تنفلق عن الصبح . فالتقدير : فالق ظلمة الإصباح »<sup>(١)</sup>.

#### العرض والمناقشة :

رجح ابن جزي أن معنى قوله تعالى : ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ﴾ . على ظاهرها ، أي : أخرج الصبح من الظلمات ، وأبدى ضوئه بعد ظلام الليل . فالذي يفلقه الله هو الإصباح ، هذا هو ظاهر الآية الكريمة . ووافق في هذا ما روي عن قتادة<sup>(٢)</sup> ، ومجاهد<sup>(٣)</sup> ، والضحاك<sup>(٤)</sup> ، وابن زيد<sup>(٥)</sup> . ووافقه على ترجيحه هذا : الطبري ، والزجاج ، والنحاس ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، والكرماني ، وابن عطية ، ومحمود النيسابوري ، والقرطبي ، والنسفي ، وعلاء الدين المارديني ابن التركماني ، والسيوطي ، والقاسمي<sup>(٦)</sup>.

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (١٦ / ٢) .

(2) أخرجه عبد الزاق في تفسيره (٢ / ٢١٤) — ومن طريق الطبري في جامع البيان (٩ / ٤٢٥) — عن معمر ، عنه قال : (فالق الصبح) . ونسبه السيوطي في الدر أيضاً (٣ / ٣٢٥) إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر . وذكره ابن أبي حاتم (٤ / ١٣٥٤) عقب (٧٦٧٣) عن قتادة .

(3) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٤٢٥) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤ / ١٣٥٤) (٧٦٧٣) عن مجاهد قال : (إضاءة الفجر) . وزاد نسبه السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٣٢٥) إلى ابن أبي شيبه ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(4) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٤٢٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤ / ١٣٥٤) (٧٦٧٤) من طريق عبيد بن سليمان ، عنه قال : ( فالق النور ، نور النهار ) . وزاد نسبه السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٣٢٥) إلى أبي الشيخ . وأخرجه الطبري أيضاً (٩ / ٤٢٥) من طريق جوير ، عنه قال : (إضاؤه الصبح) .

(5) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٤٢٦) عن يونس ، عن ابن وهب ، عنه قال : ( فلق الإصباح من الليل ) . وذكره ابن أبي حاتم معلقاً (٤ / ١٣٥٤) (٧٦٧٢) .

(6) ينظر : : جامع البيان (٩ / ٤٢٤) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢ / ٢٧٤) ، وإعراب القرآن (٢ / ٨٤) ، وتفسير القرآن

ويدل له ظاهر الآية الكريمة ، فإنها تدل أن الفلق للإصباح لا للظلمة .

قال الواحدي : « وذلك أن الفلق معناه في اللغة : الشقُّ ، وذلك راجع إلى الإبداء والإيضاح »<sup>(١)</sup>.

وقال الطبري : « يعني بقوله : ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ﴾ : شاقُّ عمود الصبح عن ظلمة الليل وسواده . والإصباح مصدرٌ من قول القائل : أصبحنا إصباحًا . وبنحو ما قلنا في ذلك قال عامة أهل التأويل »<sup>(٢)</sup>.

وأما القول بأن الظلمة هي التي تنفلق عن الصبح ، ويكون التقدير : فالقُ ظلمة الإصباح ، فلم أره منقولاً عن أحدٍ من السلف .

قال الزمخشري : « فإن قلت : فما معنى فلق الصبح ، والظلمة هي التي تنفلق عن الصبح كما قال :

تَرَدَّتْ بِهِ ثُمَّ انْفَرَى عَنْ أَدِيمِهَا      تَفَرَّى لَيْلٌ عَنْ بِياضِ نَهَارٍ<sup>(٣)</sup>؟

قلتُ : فيه وجهان : أحدهما : أن يراد فالق ظلمة الإصباح ، وهي الغبش في آخر الليل ، ومقتضاه الذي يلي الصبح . والثاني : أن يراد فالق الإصباح الذي هو عمود الفجر عن بياض النهار وإسفاره »<sup>(٤)</sup>.

وتبعه الرازي ، والخانزني ، والقمي النيسابوري ، وأبوحيان ، والسمين<sup>(٥)</sup>.

العزير (٢ / ٨٦) ، والوجيز (١ / ٣٦٦) والوسيط (٢ / ٣٠٢) ، وتفسير القرآن (٢ / ١٢٨) ، ومعالم التنزيل (٢ / ٤٧) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (١ / ٣٧٥) ، والمحرر الوجيز (٥ / ٢٩٥) ، وإيجاز البيان (١ / ٢٥٠) ، والجامع لأحكام القرآن (٨ / ٤٦٦) ، ومدارك التنزيل (٢ / ٢٤) ، وبهجة الأريب (١ / ٢٠٥) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢ / ٤٢٦) ، ومحاسن التأويل (٦ / ٢٤٢٩) .

(١) الوسيط (٢ / ٣٠٢) .

(٢) جامع البيان (٩ / ٤٢٤) .

(٣) البيت لأبي نواس يصف الحُمرة .

(٤) الكشف (٢ / ٣٣٦) .

(٥) ينظر : مفاتيح الغيب (٥ / ٧٨) ، ولباب التأويل (٢ / ٣٧) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣ / ١٢٦) ، والبحر

المحيط (٤ / ١٨٥) ، والدر المصون (٥ / ٦٠) .

وعليه ابن كثير، والسيد محمد رشيد رضا، والسعدي، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي<sup>(1)</sup>.

قال ابن كثير : « أي : خالق الضياء والظلام ، كما قال في أول السورة : ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ [ الأنعام : ١ ] أي : فهو سبحانه يفلق ظلام الليل عن غرّة الصباح ، فيضيء الوجوه ويستنير الأفق ، ويضمحلّ الظلام ، ويذهب الليل بدآدئه و ظلام رواقه ، ويجيء النهار بضياءه وإشراقه ، كقوله : ﴿ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا ﴾ [ الأعراف : ٥٤ ] .

وقال السيد محمد رشيد رضا : « وفلق الإصباح عبارة عن فلّق ظلمة الليل وشقّها بعمود الصبح الذي يبدو في جهة مطلع الشمس من الأفق مستطيلاً ، فلا يعتد به حتى يصير مستطيلاً ، تتفرّى الظلمة عنه عن أمامه وعن جانبيه إلى أن تنقشع وتزول ، ولذلك سمي فجرًا ؛ فإن الفجر بمعنى الفلق كما تقدم آنفًا . والله تعالى هو فالق الإصباح بنور الشمس الذي يتقدمها»<sup>(2)</sup>.

وقال الطاهر بن عاشور : « وفلّق الإصباح استعارة لظهور الضياء في ظلمة الليل ، فشبّه ذلك بفلق الظلمة عن الضياء ، كما استعير لذلك أيضًا السَّلْخُ في قوله تعالى : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ ﴾ [يس: ٣٧] . فإضافة ﴿ فَالِقُ ﴾ إلى ﴿ الإِصْبَاحِ ﴾ حقيقة وهي لأدنى ملابسة على سبيل المجاز ، وقد يعتبر فيه المفعولية على التوسّع فحذف حرف الجر، أي : فالق عن الإصباح فانتصب على نزع الخافض ، ولذلك سموا الصبحَ فلّقًا ... فتكون الإضافة على هذا لفظية بالتأويل ، وليست إضافته من إضافة الوصف إلى معموله ؛ إذ ليس الإصباح مفعولَ الفلّق . والمعنى : فالق عن الإصباح ، فيعلم أن المفلوق هو الليل ، ولذلك فسّروه : فالق ظلمة الإصباح ، أي : الظلمة التي يعقبها الصبح ، وهي ظلمة الغبش؛ فإن فلّق الليل عن الصبح أبدع في مظهر القدرة ، وأدخل في المنة بالنعمة ؛ لأن الظلمة عدمٌ والنور وجود، والإيجاد هو مظهر القدرة ، ولا يكون العدم مظهرًا للقدرة إلا إذا تسلّط على

(1) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٦/ ١١٦)، وتفسير القرآن الحكيم (٧/ ٥٤٧)، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ٤٧)،

والنحرير والتنوير (٧/ ٣٩٠)، والعذب النمير (١/ ٤٤٨ ، ٤٤٩) .

(2) تفسير القرآن الحكيم (٧/ ٥٤٧) .

موجود وهو الإعدام ، و فلق الإصباح نعمة أيضاً على الناس لينتفعوا بحياتهم واكتسابهم»<sup>(١)</sup>.  
 وقال الشنقيطي : « لأن الإصباح يبدأ أولاً شعاعه وتحتة ظلام ، ولم يُسفرِ إسفاراً تاماً  
 يكشف الظلام كشفاً كلياً ، ثم ينصدع ذلك الإصباح انصداعاً كلياً عن ضوء النهار كما  
 ينبغي ، وهذا معروف ومنه قول أبي تمام :

وأزرق الفجر يبدو قبل أبيضه      وأول الغيث قطراً ثم ينسكبُ

فعلى هذا القول : يبدو الإصباح أولاً وهو مختلط بعَلس الظلام ، ثم إن الله يشق ذلك  
 الإصباح الذي بدأت أوائله مختلطة بالظلام شقاً واضحاً عن وَضَح النهار ، وهذا هو  
 المعروف ، أن الظلام سواء كان ظلاماً دامساً ، أو ظلاماً مختلطاً ببعض ضوء الصبح هو  
 الذي يُشقُّ عن الصبح كما هو معروف ، ومنه قول أبي نواس :

تَرَدَّتْ به ثم انفري عن أديمها      تَفَرَّى لَيْلٍ عن ضياءِ نهارِ

ويقدرّون مضافاً فيقولون : فالفق ظلمة الإصباح . أي : شاقها بضوء الصبح ، أو  
 ﴿ فالفقُ الإصباح ﴾ . أي : أوائل الإصباح المختلطة بعَلس الظلام ، فالفقها وشاقها عن النور،  
 نور النهار الحقيقي»<sup>(٢)</sup>.

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن ظاهر القرآن يدل على ما رجّحه ابن جُزَيٍّ ومن وافقه ،  
 وهو قول السلف ، ولا يحتاج إلى تقدير مضاف .  
 وإذا كان ذلك كذلك ، فإن أولى القولين بالصواب هو ما رجّحه ابن جُزَيٍّ ؛ وذلك  
 لما يلي :

— لدلالة ظاهر القرآن عليه ولا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلاّ بدليل<sup>(٣)</sup> .

— وهو قول السلف المأثور عنهم ، واختاره الأكثرون.

(1) التحرير والتنوير (٧/ ٣٩٠) بتصريف يسير .

(2) العذب النمير (١/ ٤٤٨ — ٤٤٩) بتصريف يسير . والبيت في الكشاف للزمخشري (٢/ ٣٧٦) ، والدر المصون  
 للسمين الحلبي (٥/ ٦٠) .

(3) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ١٣٧) .

— ولأنه لا يحتاج إلى تقدير محذوف ، وما كان كذلك كان أرجح وأولى مما احتاج إلى تقدير ، والله تعالى أعلم .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ

لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿١٨﴾

٣١- الخلاف في الاستقرار والاستيداع في قوله: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ من كسر القاف من "مُسْتَقَرٌّ" فهو اسم فاعل، و"مستودع" اسم مفعول، والتقدير: فمنكم مُسْتَقَرٌّ ومستودع. ومن فتحها فهو اسم مكان أو مصدر، ومستودع مثله، والتقدير على هذا: لكم مُسْتَقَرٌّ ومُسْتَوْدَعٌ. والاستقرار في الرَّحْمِ، والاستيداع في الصُّلْبِ. وقيل: الاستقرار فوق الأرض، والاستيداع تحتها»<sup>(١)</sup>.

#### العرض والمناقشة:

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وروخ عن يعقوب بكسر القاف من قوله: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾، وقرأ الباقر بفتحها<sup>(٢)</sup> على أنه اسم مكان أو مصدر ميمي، ومستودع كذلك، والتقدير على هذا: لكم مُسْتَقَرٌّ ولكم مستودع، أي: موضع استقرار واستيداع.

ورجح ابن جزي أن الاستقرار في أرحام الأمهات، والاستيداع في أصلاب الرجال.

ووافق المروي عن ابن مسعود<sup>(٣)</sup>،

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (١٧/٢).

(٢) ينظر: السبعة لابن مجاهد (٢٦٣)، والكشف لمكي (١/٤٤٢)، والنشر لابن الجزري (٢/٢٥١)، والحجة لأبي علي الفارسي (٢٦٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤/١٨٨)، والدر المصون للسمين (٥/٦٦)، والمبسوط لابن مهران (١٩٩)، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/٣٩٥).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٩/٤٣٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/١٣٥٦) (٧٦٨٥)، والطبراني في الكبير (٩/٩٠١٦، ٩٠١٧) من طريق إسماعيل بن أبي خالد، عن إبراهيم النخعي، عنه قال: «المستقر في الرحم، والمستودع حيث تموت». ورجاله ثقات رجال الصحيح. وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/٣٣٢) نسبه إلى الفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وأبي الشيخ. ومن المفسرين (كابن كثير ١١٧/٦ - ١١٨) من نسب إلى ابن مسعود هذا القول: «المستقر في الرحم، والمستودع في الأصلاب». ونسب إليه أيضاً: «فمستقر في الدنيا، ومستودع حيث يموت». وسيأتي تخرجه في القول الثاني بإذن الله.

وابن عباس<sup>(١)</sup> ، وقيس بن أبي حازم<sup>(٢)</sup> ، وسعيد بن جبير<sup>(٣)</sup> ، وأبي عبد الرحمن السلمي<sup>(٤)</sup> ،  
ومجاهد<sup>(٥)</sup> ، وإبراهيم النخعي<sup>(٦)</sup> ، وقتادة<sup>(٧)</sup> ، والسدي والضحاك وعطاء الخراساني<sup>(٨)</sup> ، وعكرمة<sup>(٩)</sup> ،

- (1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٩/ ٤٣٦) وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٥٥ ، ١٣٥٧) (٧٦٨٣) ،  
(٧٦٩٢) من طريق عكرمة . وأخرجه أيضاً الطبري (٩/ ٤٣٨) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٥٧) (٧٦٩٣)  
من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه . وأخرجه الطبري (٩/ ٤٣٧) من طريق سعيد بن جبير . وأخرجه  
سعيد بن منصور في سننه (٨٩٢ — تفسير ) ، والطبري (٩/ ٤٤١) ، والحاكم (٢/ ٣١٦) من طريق قتادة .  
وأخرجه الطبري (٩/ ٤٣٨) من طريق عطية العوفي . جميعاً ، عنه بلفظ : (المستقر ما كان في أرحام النساء ،  
والمستودع ما كان في أصلاب الرجال ) أو نحوه . وأخرج ابن جرير الطبري (٩/ ٤٣٧) من طريق قابوس ،  
عن أبيه ، عن ابن عباس قال : المستقر في الرحم ، والمستودع ما كان عند رب العالمين مما هو خالقه ولم يُخلَق .  
وحكي عن ابن عباس عكسه ولفظه : المستقر في الصلب ، والمستودع في الرحم . حكاه الماوردي في النكت  
والعيون (٢/ ١٢٩) ، والسمعي في تفسير القرآن (٢/ ١٢٩) . وروي هذا عن إبراهيم بن محمد بن الحنفية ،  
أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٥٦ ، ١٣٥٧) (٧٦٩٠ ، ٧٦٩٧) من طريق يعقوب الأشعري القمي ،  
عنه . وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٩٢) : قاله ابن بحر . وأما ابن كثير فنسبه إلى ابن مسعود وطائفة .  
ينظر: تفسير القرآن العظيم (٦/ ١١٨) .
- (2) ذكره عنه معلقاً ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٥٥ ، ١٣٥٧) عقب الأثرين : (٧٦٨٣) و (٧٦٩٣) .
- (3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٩/ ٤٣٤ — ٤٣٥) عنه قال : مستودعون ما كانوا في أصلاب  
الرجال فإذا قروا في أرحام النساء أو على ظهر الأرض أو في بطنها فقد استقروا . وأخرج عنه الطبري  
(٩/ ٤٤٢) قوله : المستقر في الرحم ، والمستودع في الصلب . وذكره معلقاً ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٥٥ ،  
١٣٥٧) عقب الأثرين (٧٦٨٣) و (٧٦٩٣) .
- (4) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٥٥ ، ١٣٥٧) عقب الأثرين (٧٦٨٣) و (٧٦٩٣) .
- (5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٩/ ٤٣٨ — ٤٤١) من طرق عنه . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره  
(٤/ ١٣٥٥ ، ١٣٥٧) عقب الأثرين (٧٦٨٣) و (٧٦٩٣) .
- (6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٩/ ٤٤٠) بلفظ : المستقر في الرحم ، والمستودع في الصلب . وذكره  
ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٥٥ ، ١٣٥٧) عقب الأثرين (٧٦٨٣) و (٧٦٩٣) . وأخرجه الطبري أيضاً  
(١١/ ٥٦٣ طبعة أحمد شاكر) بلفظ : المستقر في الرحم ، والمستودع حيث تموت .
- (7) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢١٤) ، والطبري في جامع البيان (٩/ ٤٤١) . وذكره ابن أبي حاتم في  
تفسيره (٤/ ١٣٥٥ ، ١٣٥٧) عقب الأثرين (٧٦٨٣) و (٧٦٩٣) .
- (8) أخرجه عنهم ابن جرير الطبري في جامع البيان (٩/ ٤٤١) . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٥٥ ،  
١٣٥٧) عقب الأثرين (٧٦٨٣) و (٧٦٩٣) .
- (9) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٩/ ٤٣٦) .

وَمُقَسَّم<sup>(١)</sup>، وابن زيد<sup>(٢)</sup>.

وعليه أكثر المفسرين<sup>(٣)</sup> ومنهم : مقاتل، والفراء، والنحاس، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، والواحدي، وأبو البركات الأنباري، وابن الجوزي، وابن كثير، والسيوطي، والمراغي<sup>(٤)</sup>. وقدمه الزجاج<sup>(٥)</sup> مع تجويزه غيره، والرازي<sup>(٦)</sup> ومال إليه، ومثله الخازن، والقمي<sup>(٧)</sup>. ومال إليه الشنقيطي<sup>(٨)</sup>.

واستدل على أن الاستقرار في الرحم بقوله تعالى: ﴿ وَنَفَرُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ ﴾<sup>(٩)</sup> [الحج: ٥]، وبقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾<sup>(١٠)</sup> [المؤمنون: ١٣].

قال الشنقيطي: « وعلى هذا : فالمستقرُّ : هو القرار المكين الذي يجعل الله فيه الإنسان في رحم أمه بعد أن خلق آدم من تراب ، كما قال : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾<sup>(١١)</sup> ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ [المؤمنون] يعني : رحم أمه »<sup>(١١)</sup>.

- (1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٩ / ٤٣٤) بلفظ : المستقر في الصلب والمستودع حيث تموت .
- (2) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٤٤٢) .
- (3) حيث نسبه للجمهور ابن عطية في المحرر الوجيز (٥ / ٢٩٧) ، ونسبه لأكثر أهل التفسير: النحاس في إعرابه (٨٥ / ٢) ، و القرطبي في الجامع (٨ / ٤٦٩) ، والشنقيطي في العذب النмир (٢ / ٤٦٧) .
- (4) ينظر: تفسير مقاتل (١ / ٥٨٠) ، ومعاني القرآن (١ / ٣٤٧) ، ومعاني القرآن الكريم (٢ / ٤٦١) وإعراب القرآن (٢ / ٨٥) ، وبحر العلوم (١ / ٥٠٣) ، وتفسير القرآن العزيز (٢ / ٨٧) ، والوجيز (١ / ٣٦٧) والوسيط (٢ / ٣٠٣ — ٣٠٤) ، والبيان في غريب إعراب القرآن (١ / ٢٨١) ، وتذكرة الأريب (١ / ١٦٤) ، وتفسير القرآن العظيم (٦ / ١١٨) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٢ / ٤٢٨ ) ، وتفسير المراغي (٧ / ٢٠١) .
- (5) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢ / ٢٧٤) .
- (6) ينظر: مفاتيح الغيب (٥ / ٨١) وقال : وهو المنقول عن ابن عباس في أكثر الروايات .
- (7) ينظر: لباب التأويل (٢ / ٣٨) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣ / ١٢٧) .
- (8) ينظر: العذب النмир (٢ / ٤٦٧) .
- (9) ينظر: معالم التنزيل للبعوي (٢ / ٤٨) ، ومفاتيح الغيب للرازي (٥ / ٨١) ، ولباب التأويل للخازن (٢ / ٣٨) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للقمي (٣ / ١٢٧) .
- (10) ينظر: العذب النмир للشنقيطي (٢ / ٤٦٨) .
- (11) العذب النмир (٢ / ٤٦٨) بتصرف يسير .

وقال الرازي : « وما يدل أيضاً على قوة هذا القول أن النطفة الواحدة لا تبقى في صلب الأب زماناً طويلاً والجنين يبقى في رحم الأم زماناً طويلاً ، ولما كان المكث في الرحم أكثر مما في صلب الأب كان حمل الاستقرار على المكث في الرحم أولى »<sup>(١)</sup>.

وقال القمّي : « ولأن اللبث في الرحم أكثر فيكون لفظ القرار بذلك أنسب ، بخلاف المستودع فإنه في معرض الاسترداد ساعة فساعة ، وهذا شأن المنيّ في الأصلاب فإنه بصدد الإراقة في كل حين وأوان »<sup>(٢)</sup>.

وأما القول بأن الاستقرار فوق الأرض والاستيداع تحتها، فرؤي أيضاً عن ابن مسعود<sup>(٣)</sup>، وابن عباس<sup>(٤)</sup>، ومجاهد<sup>(٥)</sup>، ورووي عن الحسن<sup>(٦)</sup>.

ولم أر من اختاره من المفسرين بل ذكره بصيغة ( يقال أو قيل ) : السمرقندي، ومحمود النيسابوري<sup>(٧)</sup>.

(1) مفاتيح الغيب (٥ / ٨١) . وتابعه الخازن في لباب التأويل (٢ / ٣٨) .

(2) غرائب القرآن و رغائب الفرقان (٣ / ١٢٧) .

(3) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢ / ٢٠٧) — ومن طريقه الطبري في جامع البيان (٩ / ٤٣٥) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤ / ١٣٥٥) (٧٦٨٤) — عن ابن عيينة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن إبراهيم ، عنه بلفظ : (مستقر في الدنيا ومستودعها في الآخرة) . وأخرجه ابن أبي حاتم (٤ / ١٣٥٧) (٧٦٩٤) من طريق إسرائيل ، عن السدي ، عن مرة ، عنه بلفظ : المستودع : المكان الذي تموت فيه . وأخرجه أيضاً (٧٦٩٥) بلفظ : مستودعها في الآخرة .

(4) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٤ / ١٣٥٧) عقب (٧٦٩٤) بقوله : ورووي عن الضحاك ، عن ابن عباس مثل ذلك . وأخرجه أيضاً في تفسيره (٤ / ١٣٥٦) (٧٦٨٦) من طريق عبد الرزاق ، ثنا ابن التيمي ، عن ليث ، عن الحكم ، عن مقسم ، عنه بلفظ : فمستقرها حيث تأوي . ونسبه له ابن الجوزي في زاد المسير (٣ / ٩٢) وزاد : والمستودع حيث يموت .

(5) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤ / ١٣٥٦) (٧٦٨٨) من طريق إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عنه . وذكره عنه أيضاً عقب (٧٦٩٤) بقوله : ورووي عن مجاهد في أحد قوليه مثله .

(6) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٤٤٢) وابن أبي حاتم في تفسيره (٤ / ١٣٥٦ ، ١٣٥٧) (٧٦٨٩) (٧٦٩٦) عن طريق قتادة ، عنه بلفظ : المستقر في القبر ، والمستودع في الدنيا . ونسبه له الماوردي في النكت والعيون (٢ / ١٤٩) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٣ / ٩٢) بلفظ : المستقر في الدنيا والمستودع في القبر . أو المستقر في الأرض ، والمستودع في القبر . ورووي ابن الجوزي عنه عكسه كما أخرجه الطبري وابن أبي حاتم .

(7) ينظر : بحر العلوم (١ / ٥٠٣) ، ووضح البرهان (١ / ٣٤٠) .

واستُدِلَّ على أن الاستقرار فوق الأرض وعلى وجهها بقوله تعالى : ﴿ وَكُمِّ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾<sup>(١)</sup> [البقرة: ٣٦] ، وبقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴾<sup>(٢)</sup> أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴿٣٦﴾ [المرسلات] .

قال الشنقيطي : « الكَفَاتُ هنا : مَحَلُّ الكَفْتِ . والكَفْتُ في اللغة معناه : الضَّمُّ . أي: مَحَلًّا يَضْمُهُمْ أَحْيَاءٌ عَلَى ظَهْرِهَا ، وَيَضْمُهُمْ أَمْوَاتًا فِي بَطْنِهَا »<sup>(٣)</sup> .

وقال القرطبي : « والاستيداع إشارة إلى كونهم في القبر إلى أن يبعثوا للحساب »<sup>(٤)</sup> .

ورجح الطبري القول بالعموم فقال : « وأولى التأويلات في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله جل ثناؤه عَمَّ بقوله : ﴿ فَسْتَقَرُّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ كلَّ خلقه الذي أنشأ من نفسٍ واحدة مستقرًّا ومستودعًا ، ولم يَخْصُصْ من ذلك معنىً دون معنىً ، ولا شك أن من بني آدم مستقرًّا في الرحم ، ومستودعًا في الصلب ، ومنهم من هو مستقر على ظهر الأرض أو بطنها، ومستودع في أصلاب الرجال ، ومنهم مستقر في القبر ، مستودع على ظهر الأرض، فكلُّ مستقرٍّ أو مستودعٍ بمعنى من هذه المعاني ، فداخلٌ في عموم قوله : ﴿ فَسْتَقَرُّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ ومرادٌ به ، إلا أن يأتي خبرٌ يجب التسليم له بأنه معنيٌّ به معنىً دون معنىً ، وخاصٌّ دون عامٍّ »<sup>(٥)</sup> .

وقال ابن عطية : « والذي يقتضيه النظر أن ابن آدم هو مستودع في ظهر أبيه ، وليس بمستقر فيه استقرارًا مطلقًا ؛ لأنه ينتقل لا محالة : ينتقل إلى الرحم ، ثم ينتقل إلى الدنيا ، ثم ينتقل إلى القبر ، ثم ينتقل إلى المحشر ، ثم ينتقل إلى الجنة أو النار فيستقر في إحدهما استقرارًا مطلقًا ، وليس فيها مستودع ؛ لأنه لا نقلة له بعد . وهو في كل مرتبة متوسطة بين هذين

(1) ينظر: معالم التنزيل للبغوي (٢/ ٤٨) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/ ٤٧٠) ، ولباب التأويل للخازن (٢/ ٣٨) .

(2) ينظر: العذب النمير للشنقيطي (٢/ ٤٧٠) .

(3) المصدر السابق .

(4) الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٤٧٠) .

(5) جامع البيان (٩/ ٤٤٢) .

الطرفين مستقر بالإضافة إلى التي قبلها ، ومستودع بالإضافة إلى التي بعدها ؛ لأن لفظ الوديعة يقتضي فيها نقلة ولا بد «<sup>(١)</sup>» .

وتبعه أبو حيان على أن الاستقرار والاستيداع أمران نسيان<sup>(٢)</sup> .

واختار السعدي أن المستقر هي دار القرار ، التي لا مستقر وراءها ولا نهاية فوقها ، وأن المستودع بمعنى أن الله أودعهم في الأصلاب ثم الأرحام ثم في دار الدنيا ثم في البرزخ ، كل ذلك على وجه الوديعة التي لا تستقر ولا تثبت ، بل ينتقل منها حتى يوصل إلى الدار التي هي المستقر . وأما هذه الدار فإنها مستودع وممر<sup>(٣)</sup> .

قال ليبيد :

وما المال والأهلون إلا وديعة ولا بُدَّ يوماً أن ترد الودائع<sup>(٤)</sup> .

والمستقر : حيث يكون القرار والإقامة<sup>(٥)</sup> ، ففي الأرض مستقر مؤقت كما قال تعالى :

﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [البقرة] وقال : ﴿ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ [النمل: ٦١] .

والآخرة هي دار القرار الدائم كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتْعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ

هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ [غافر] .

وأما المستودع : فموضع الوديعة ، وهي ما يتركه المرء عند غيره مؤقتاً ليأخذه بعد<sup>(٦)</sup> ،

والاستيداع : طلب الترك ، وأصله من الودع ، وهو الترك على أن يسترجع المستودع .

يقال : استودعه مالا إذا جعله عنده وديعة ، فالاستيداع مؤذن بوضع مؤقت<sup>(٧)</sup> .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أولى الأقوال بالصواب في ذلك هو القول بالعموم وعدم

(1) الحرر الوجيز (٥ / ٢٩٨) .

(2) ينظر: البحر المحيط (٤ / ١٨٨) .

(3) ينظر : تيسير الكريم الرحمن (٢ / ٤٩) .

(4) البيت في ديوان ليبيد (٨٩) ، وأسرار البلاغة لعبدالقاهر الجرجاني (١٠١) ، والدر المصون (٥ / ٦٧) .

(5) ينظر: تفسير القرآن الحكيم للسيد محمد رشيد رضا (٧ / ٥٥٢) .

(6) ينظر : المصدر السابق .

(7) ينظر: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧ / ٣٩٦) .

تخصيص المستقر والمستودع بحال دون حال أو معنى دون معنى . وهو ما ذهب إليه الطبري، وابن عطية ، وأبو حيان ؛ لأنه يجمع الأقوال كُلِّها وتلتئم به الأدلة جميعها ، ويؤيده القاعدة الترجيحية: ( يجب حمل نصوص الوحي على العموم )<sup>(١)</sup>، والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٥٢٧) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾

### ٣٢- الخلاف في معنى ﴿دَانِيَةٌ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « ﴿دَانِيَةٌ﴾ أي : قريبة سهلة التناول . وقيل : قريبة بعضها من بعض »<sup>(١)</sup> .

#### العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ أن معنى ﴿دَانِيَةٌ﴾ : قريبة سهلة التناول ، ووافق المروي عن ابن عباس<sup>(٢)</sup> ، والبراء<sup>(٣)</sup> ، وقتادة<sup>(٤)</sup> ، والضحاك<sup>(٥)</sup> .

ووافقه في هذا الترجيح أكثر المفسرين منهم : مقاتل، والطبري، والزجاج،

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (١٧/٢) .

(٢) وأخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٤٤٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٥٩) رقم (٧٧١١) من طريق عطية العوفي ، عنه قال : الدانية لتهذُل العذوق من الطلع . وأخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٤٤٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٥٩) رقم (٧٧٠٥) من طريق علي بن أبي طلحة الوالي ، عنه قال : قصار النخل اللاصقة عذوقها بالأرض . وزاد نسبه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٣٣) إلى ابن المنذر .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢١٥) عن الثوري ، عن أبي إسحاق السبيعي ، عنه قال : قريبة . وأخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٤٤٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٥٩) رقم (٧٧٠٩) من طريق الثوري به . وزاد نسبه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٣٣) إلى أبي الشيخ ، وابن المنذر . وجعل الماوردي في النكت والعيون (٢/ ١٣٠) قول البراء هكذا : قريبة المتناول . ومثله السمعاني في تفسير القرآن (٢/ ١٣٠) .

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢١٥) عن معمر ، عنه . ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٥٩) رقم (٧٧١٢) . ولفظه : متهدلة . قال ابن أبي حاتم : يعني : متدليلة . وأخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٤٤٧) من طريق معمر به . ومن طريق سعيد ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٣٣) نسبه إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٤٤٧ - ٤٤٨) ، وابن أبي حاتم (٤/ ١٣٥٨) رقم (٧٧٠٤) من طريق أبي معاذ ، عن عبيد بن سليمان ، عنه قال : النخل القصار المتزقة بالأرض .

والسمرقندي، والواحدي، والماوردي، والسمعاني، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية،  
ومحمود النيسابوري، والقرطبي، وابن الجوزي، والرازي، والنسفي، والخازن، والقمي،  
وأبوحيان، والسمين، وابن كثير، والثعالبي، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والمراعي،  
والسعدي، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي<sup>(١)</sup>.

ويدلّ لهذا القول المعنى اللغوي لكلمة (دانية) فإنها بمعنى القُرب<sup>(٢)</sup>.

يقول القرطبي : « وخصَّ الدانية بالذكر ؛ لأن من الغرض في الآية ذكرَ القدرة  
والامتنان بالنعمة ، والامتنان فيما يَقْرُبُ متناوله أكثر »<sup>(٣)</sup>.

وهذه الآية كقوله تعالى في وصف الجنة : ﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾ [الحاقة] .

وأما القول الآخر بأن معنى ﴿ دَانِيَةٌ ﴾ : قريبة بعضها من بعض ، أي : مُلْتَفَّةٌ ، فُنَسِبَ  
إلى الحسن<sup>(٤)</sup> . واختاره السيوطي<sup>(٥)</sup>.

وذكره بصيغة (قيل) : ابن عطية، ومحمود النيسابوري<sup>(٦)</sup>.

(1) ينظر: تفسير مقاتل (١ / ٥٨١)، وجامع البيان (٩ / ٤٤٦)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢ / ٢٧٥)، وبحر العلوم  
(١ / ٥٠٣)، والوجيز (١ / ٣٦٧) والوسيط (٢ / ٣٠٤)، والنكت والعيون (٢ / ١٣٠)، وتفسير القرآن  
(٢ / ١٣٠)، ومعالم التنزيل (٢ / ٤٩)، والكشاف (٢ / ٣٧٩)، والحرر الوجيز (٥ / ٣٠٠) — ونسبه إلى ابن  
عباس، والبراء، والضحاك —، ووضح البرهان (١ / ٣٤١)، والجامع لأحكام القرآن (٨ / ٤٧٢) — ونسبه  
لابن عباس، والبراء، وغيرهما —، وزاد المسير (٣ / ٩٤)، ومفاتيح الغيب (٥ / ٨٥)، ومدارك التنزيل  
(٢ / ٢٥)، ولباب التأويل (٢ / ٣٩)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣ / ١٢٨ — ١٢٩)، والبحر المحيط  
(٤ / ١٨٩) — ونسبه لابن عباس، والبراء، والضحاك وقال : وحسنه الزمخشري — والدر المنصور (٥ / ٧٣)،  
وتفسير القرآن العظيم (٦ / ١١٩)، والجواهر الحسان (١ / ٥٠٣)، وفتح القدير (٢ / ٢٠٣)، وروح المعاني  
(٧ / ٢٣٩)، وفتح البيان (٤ / ٢٠٧)، وتفسير المراعي (٧ / ١٩٦ ، ٢٠٢)، وتيسير الكريم الرحمن (٢ / ٥٠)،  
والتحرير والتنوير (٧ / ٤٠١)، والعذب النمير (٢ / ٤٨٠).

(2) ينظر: المفردات للراغب (٣١٨) : دنو .

(3) الجامع لأحكام القرآن (٨ / ٤٧٢) .

(4) نسبه له الماوردي (٢ / ١٤٩)، والزمخشري (٢ / ٣٧٩)، وأبو حيان (٤ / ١٨٩) .

(5) ينظر: تفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢ / ٤٣٠) .

(6) ينظر: الحرر الوجيز (٥ / ٣٠٠)، وضح البرهان (١ / ٣٤١) .

وبالتأمل في هذين القولين يظهر عدم التعارض بينهما ، فكأنهما قولان ومعنيان قريبٌ بعضُهما من بعض ؛ حيث وُصِفَتِ القنوانُ — وهي عُدُوق النخلِ — بكونها دانيةً ، وهذا يشمل قريها من بعض ، كما يشمل قريها من متناولها .

وإلى تساوي هذين القولين ذهب البيضاوي، وأبو السعود، والسيد محمد رشيد رضا<sup>(١)</sup>.

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن ما رجّحه ابن جزيّ واختاره أكثر المفسرين ، وعليه قول السلف ، هو القول الأولى والمقدم ، وأما القول الآخر فيدلُّ عليه لفظ الآية الكريمة ولا يتعارض مع القول الأول الذي يترجّح من جهة أن الامتنان إنما هو بكونها قريبةً من متناولها، والله تعالى أعلم .

(1) ينظر: أنوار التنزيل (١/ ٣١٥)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٨٥)، وتفسير القرآن الحكيم (٧/ ٥٥٥).

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٠٠﴾

### ٣٣- الخلاف في المراد بالجن في قوله ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ ﴾

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « ﴿ شُرَكَاءَ الْجِنَّ ﴾ نصب الجن على أنه مفعول أول لـ "جَعَلُوا" ، و﴿ شُرَكَاءَ ﴾ مفعول ثان ، وقدم لاستعظام الإشراف ، أو ﴿ شُرَكَاءَ ﴾ مفعول أول ، والله في موضع المفعول الثاني ، و﴿ الْجِنَّ ﴾ بدل من شركاء ، والمراد بهم هنا الملائكة ، وذلك ردًا على من عبدهم . وقيل : المراد : الجن ، والإشراف بهم طاعتهم »<sup>(١)</sup>.

#### العرض والمناقشة :

رجح ابن جزي أن المراد بالجن في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ ﴾ أنهم الملائكة ، ووافق المروي عن قتادة<sup>(٢)</sup> ، والسدي<sup>(٣)</sup> ، وابن زيد<sup>(٤)</sup> .  
وعلى هذا مقاتل ، والسمعاني ، والكرماني ، ومحمود النيسابوري ، وابن الجوزي ، والآلوسي<sup>(٥)</sup> .

وذكره بصيغة (قيل) : الشوكاني ، والقنوجي ، والقاسمي<sup>(٦)</sup> .

ووجه هذا القول : أن المشركين قالوا عن الملائكة بأنهم بنات الله فهم شركاؤه ،

(1) التسهيل (١٧ / ٢) .

(2) نسبه لهما الماوردي في النكت والعيون (١٥٠ / ٢) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٩٦ / ٣) ، وتذكرة الأريب (١٦٤ / ١) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٨٠ / ٨) . وينظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٣٦١ / ٤) .

(3) ينظر : المراجع السابقة .

(4) نسبه لهما الماوردي ، وابن الجوزي . وينظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٣٦١ / ٤) .

(5) ينظر: تفسير مقاتل (٥٨١ / ١) ، وتفسير القرآن (١٣١ / ٢) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (٣٧٨ / ١) ، وإيجاز البيان (٢٥١ / ١) ، وتذكرة الأريب (١٦٤ / ١) ، وروح المعاني (٢٤١ / ٧) .

(6) ينظر: فتح القدير (٢٠٧ / ٢) ، وفتح البيان (٢٠٩ / ٤) ، ومحاسن التأويل (٢٤٤٢ / ٧) .

كقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِجَابًا ﴾ [الصفات: ١٥٨]. وسمى الملائكة جنًّا ؛ لاجتنانهم ، أي : لاختفائهم عن العيون<sup>(١)</sup>.

قال القاسمي : « وتسمية الملائكة (جنًّا) حقيقة ؛ لشمول لفظ الجنِّ لهم . وقيل : استعارة . أي : عبدوا ما هو كالجنِّ ، في كونه مخلوقاً مستتراً عن الأعين »<sup>(٢)</sup>.  
وأما القول الثاني وهو أن المراد هم الجنُّ ، فهو قول الحسن<sup>(٣)</sup>.

وعليه الزجاج ، والنحاس ، والسمرقندي ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ، والبغوي ، والزخشري ، وابن عطية ، والقرطبي ، والنسفي ، وأبوحيان ، وابن كثير ، والثعالبي ، والبقاعي ، والسيوطي ، والقنوجي ، والقاسمي ، والطاهر بن عاشور<sup>(٤)</sup>. وهو مفهوم كلام الفراء ، والطبري<sup>(٥)</sup>.

وذكره الآلوسي بقيل<sup>(٦)</sup>.

واستدل لهذا القول بظاهر القرآن .

قال أبوحيان : « وظاهر لفظ الجن أنهم الذين يتبادر إليهم الذهن من أنهم قسيم الإنس في قوله تعالى : ﴿ يَمَعَشَرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ ﴾ [الأنعام : ١٣٠ ، الرحمن : ٣٣] ، وأنهم ليسوا

(1) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٣ / ٩٦) ، والنكت والعيون للماوردي (٢ / ١٥٠) .

(2) محاسن التأويل (٧ / ٢٤٤٢) .

(3) نسبه له الواحدي في الوسيط (٢ / ٣٠٦) ، والماوردي في النكت والعيون (٢ / ١٥٠) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٨ / ٤٨٠) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٣ / ٩٦) ، والخازن في لباب التأويل (٢ / ٣٩) ، والآلوسي في روح المعاني (٧ / ٢٤١) .

(4) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٢ / ٢٧٧) ، وإعراب القرآن (٢ / ٨٧) — وهو مفهوم كلامه في معاني القرآن الكريم (٢ / ٤٦٥) — وبحر العلوم (١ / ٥٠٤) ، وتفسير القرآن العزيز (٢ / ٨٩) ، والوجيز (١ / ٣٦٨) والوسيط (٢ / ٣٠٦) ، ومعالم التنزيل (٢ / ٤٩) ، والكشاف (٢ / ٣٨٠) ، والحرر الوجيز (٥ / ٣٠٣) ، والجامع لأحكام القرآن (٨ / ٤٧٩) ، ومدارك التنزيل (٢ / ٢٦) ، والبحر الحيط (٤ / ١٩٣) ، وتفسير القرآن العظيم (٦ / ١٢٠) ، والجواهر الحسان (١ / ٥٠٤) ، ونظم الدرر (٧ / ٢١٥ — ٢١٦) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢ / ٤٣٢) ، وفتح البيان (٤ / ٢٠٩) ، ومحاسن التأويل (٧ / ٢٤٤١) ، والتحرير والتنوير (٧ / ٤٠٦) .

(5) ينظر : معاني القرآن (١ / ٣٤٨) ، وجامع البيان (٩ / ٤٥٣) .

(6) ينظر : روح المعاني (٧ / ٢٤١) .

الملائكة؛ لقوله: ﴿ ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْتُولَاءِ إِنَّا كُنَّا عَابِدُونَ لَكُمْ لَوْلَا إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [سبا] فالآية مشيرة إلى الذين جعلوا الجن شركاء لله في عبادتهم إياهم ، وأنهم يعلمون الغيب ، وكانت طوائف من العرب تفعل ذلك وتستجير بجن الأودية في أسفارها «<sup>(١)</sup>.

ووجه الإشراك بهم طاعتهم في عبادة الأوثان حتى جعلوها شركاء لله في العبادة<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير : « فإن قيل : فكيف عُبِدت الجنُّ وإنما كانوا يعبدون الأصنام ؟ فالجواب : أنهم ما عبدوا الأصنام إلا عن طاعة الجنِّ ، وأمرهم إياهم بذلك كقوله : ﴿ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْثَاءً وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا امْتَنَيْتَهُمْ وَلَا مَرَّتْهُمْ فَلَئِن بَكَرْتَهُ لَأَنْعَمَ وَلَا أَمُرْتَهُمْ فَلْيَغْيِرْ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ ﴾ [النساء] وكقوله تعالى : ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾ [الكهف] وقال إبراهيم لأبيه : ﴿ يَتَّابِتْ لَكَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ ﴾ [مريم] وكقوله : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَئِ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [يس] وتقول الملائكة يوم القيامة : ﴿ سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ «<sup>(٣)</sup> [سبا] .

وأبطل الرازي القول الأول من وجوه :

الوجه الأول : أن هذا المذهب [ يعني قول العرب : الملائكة بنات الله ] قد حكاه الله تعالى بقوله : ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ فالقول بإثبات البنات لله ليس إلا قول من

(1) البحر المحيط (٤/ ١٩٣) . وينظر : المحرر الوجيز لابن عطية (٥/ ٢٩٥) .

(2) ينظر : النكت والعيون للماوردي (٢/ ١٥٠) ، والوسيط للواحدي (٢/ ٣٠٦) ، وتفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢/ ٨٩) .

(3) تفسير القرآن العظيم (٦/ ١٢٠) .

يقول الملائكة بنات الله ، فلو فسّرنا قوله : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ ﴾ بهذا المعنى يلزم منه التكرار في الموضع الواحد من غير فائدة ، وأنه لا يجوز .

الوجه الثاني : أن العرب قالوا : الملائكة بنات الله ، وإثبات الولد لله غير ، وإثبات الشريك له غير . والدليل على الفرق بين الأمرين أنه تعالى ميّز بينهما في قوله : ﴿ لَمْ يَكِلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ [الإخلاص] ولو كان أحدهما عين الآخر لكان هذا التفصيل في هذه السورة عبثاً .

الوجه الثالث : أن القائلين بيزدان وأهرمن [ يعني : إله الخير وإله الشر ] يصرّحون بإثبات شريك لإله العالم في تدبير هذا العالم ، فصرف اللفظ عنه وحمله على إثبات البنات صرف للفظ عن حقيقته إلى مجازه من غير ضرورة وأنه لا يجوز<sup>(١)</sup> .

كما أنه استبعد القول الثاني جداً بحجة أن الداعي إلى القول بالشرك لا يجوز تسميته بكونه شريكاً لله لا بحسب حقيقة اللفظ ولا بحسب مجازه . وقال : «لو حملنا هذه الآية على هذا المعنى لزم وقوع التكرير من غير فائدة ؛ لأن الرد على عبدة الأصنام وعلى عبدة الكواكب قد سبق على سبيل الاستقصاء»<sup>(٢)</sup> .

وقال : «إن طائفة من المشركين قالوا : لهذا العالم إلهان : أحدهما: فاعل الخير ، والثاني: فاعل الشر ، والمقصود من هذه الآية حكاية مذهب هؤلاء» .

ورجّح أن الآية نزلت في الزنادقة الذين قالوا : إن الله وإبليس أخوان ، فالله خالق الناس والدواب والأنعام والخيرات ، وإبليس خالق السباع والحيات والعقارب والشرور .

ونسبه لابن عباس وقال : إن هذا القول أحسن الوجوه المذكورة في هذه الآية ؛ لأن به يحصل لهذه الآية مزيد فائدة مغايرة لما سبق ذكره في الآيات المتقدمة ، ويُقَوِّيه قوله تعالى :

﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا ﴾<sup>(٣)</sup> [ الصافات : ١٥٨ ] .

(1) ينظر: مفاتيح الغيب (٥/ ٩٠) .

(2) المصدر السابق (٥/ ٩٠) .

(3) مفاتيح الغيب (٥/ ٨٨) . وينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/ ٤٨٠) ، ولباب التأويل للخازن

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن ما نسبته الرازي إلى ابن عباس ليس له إسناد ، وهو مخالف لظاهر الآية والمتبادر إلى الذهن منها . وكذلك ما ذهب إليه ابن جُزَيٍّ ومن وافقه هو مخالف للظاهر المتبادر من الآية الكريمة .

وإذا كان ذلك كذلك فإن أولى الأقوال بالصواب في ذلك هو القول بأن المراد بهم الجنُّ على ظاهر الآية الكريمة ، فهم الذين يتبادر الذهن إليهم وهم قَسِيمُ الْإِنْسِ .

فالآية واردة في الذين عبدوا الجنَّ من دون الله عز وجل ، وقد بين ابن كثير كيفية عبادتهم مستدلاً لذلك بآيات قرآنية في غاية الوضوح بحمد الله تعالى .

ويتأيد هذا القول بأن إطلاق لفظ " الجنِّ " على الجنِّ الذين هم قسيم الإنس إطلاق حقيقي ، وعلى الملائكة مجازي ، والحقيقة مقدمة على المجاز ، ويجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة<sup>(١)</sup> .

وأيضاً فإطلاق لفظ " الجنِّ " على الجنِّ — الذين هم قسيم الإنس — هو المعهود من استعمال القرآن ، وحمل الآية عليه أولى من حملها على الملائكة<sup>(٢)</sup> ، وهذا هو ظاهر القرآن المتبادر إلى الأذهان ، ولا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلاّ بدليل يجب التسليم له<sup>(٣)</sup> ، والله تعالى أعلم .

(٣٩/٢) وفيهما نسبته للكلي دون ابن عباس . وفي غرائب القرآن ورغائب الفرقان للقمي (٣/ ١٣١) نسبه للكلي عن ابن عباس .

(1) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/ ٣٨٧) .

(2) ينظر: المصدر السابق (١/ ١٧٢) .

(3) ينظر: المصدر السابق (١/ ١٣٧) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿وَلَوْ أَنَّا زَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتُونَ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ

اللَّهُ وَلَئِنْ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١٣﴾﴾

### ٣٤ - الخلاف في معنى ﴿قُبُلًا﴾.

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى: «﴿قُبُلًا﴾ بكسر القاف وفتح الباء ، أي : معاينة فنصبه على الحال . وقرئ بضميتين ، ومعناه : مواجهة ، كقوله: ﴿قَدْ مِنْ قُبُلٍ﴾ [يوسف: ٢٦]. وقيل : هو جمع قَبِيلٍ بمعنى كفيل ، أي : كقبلاً<sup>(١)</sup> بتصديق رسول الله ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

#### العرض والمناقشة :

قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر قوله تعالى: ﴿قُبُلًا﴾ بكسر القاف وفتح الباء<sup>(٣)</sup>، ومعناها : معاينة ، أي : حشرنا كل شيء من ذلك عياناً .

وقرأ الباقر ﴿قُبُلًا﴾ بضميتين ، وعلى هذه القراءة ساق ابن جُزَيِّ الخلاف في معناها، ورجح أن معناها : مواجهة ، فهي بمعنى القراءة الأولى. ووافق معنى ما روي عن ابن عباس<sup>(٤)</sup>، وابن زيد<sup>(٥)</sup>، وقتادة<sup>(٦)</sup>، وابن إسحاق<sup>(٧)</sup>.

(1) كذا في جميع النسخ الخطية ، وفي المطبوع : كفلا .

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (١٩ / ٢) .

(3) ينظر : النشر لابن الجزري (٢ / ١٩٦) ، وحجة القراءات لابن زنجلة (٢٦٧) ، والسبعة لابن مجاهد (٢٦٥) ، والكشف لمكي (١ / ٤٤٦) ، البحر المحيط لأبي حيان (٤ / ٢٠٥) ، الدر المصون للسمين (٥ / ١١٢ — ١١٣) ، والتيسير لأبي عمرو الداني (١٠٦) .

(4) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٤٩٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤ / ١٣٧٠) (٧٧٨٢) من طريق عطية العوفي ، عنه قال : لو استقبلهم ذلك كله لم يؤمنوا إلا أن يشاء الله . وذكره ابن كثير في تفسيره (٦ / ١٣٧) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه .

(5) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٤٩٦) عنه بلفظ : حشروا إليهم جميعاً ، فقابلوهم وواجهوهم .

(6) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٨ / ٤٩٩) ، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٦ / ١٣٧) ، والآلوسي في روح المعاني (٨ / ٢) .

(7) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٢ / ١٥٧) .

وذهب إليه الواحدي، وأبو حيان وحسنه، وابن كثير، والثعالبي، والشهاب الخفاجي،  
والألوسي، والمراغي، والسعدي، والطاهر<sup>(١)</sup>.

وجوزة الزجاج، والنحاس<sup>(٢)</sup>. وهو قول محمد بن يزيد<sup>(٣)</sup>، وأبي زيد، وأبي علي  
الفارسي<sup>(٤)</sup>.

وذكره البغوي، والزمخشري بصيغة (قيل)<sup>(٥)</sup>.

قال ابن الجوزي: «قال أبو زيد: لقيت فلاناً قبلاً وقبلاً وقبلاً وقبلاً وقبلاً وقبلاً ومقابلاً،  
وكله واحد، وهو للمواجهة. قال أبو علي: فالمعنى في القرآن — على ما قاله أبو زيد —  
واحد، وإن اختلفت الألفاظ»<sup>(٦)</sup>.

واستدل ابن جزي لهذا القول بقوله تعالى: ﴿قَدْ مِّن قَبْلِ﴾<sup>(٧)</sup> [يوسف: ٢٦].

وتقول العرب: أتيتك قبلاً ولم آتك دُبْرًا. إذا أتاه من قبَل وجهه<sup>(٨)</sup>.

ومنه: "قُبْلُ الرجل ودبره"؛ لما كان بين يديه ومن ورائه.

ومنه: قُبْلُ الحيض<sup>(٩)</sup>.

ومنه: قراءة ابن عمر: ﴿لِقُبْلِ عِدْتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١] وهي قراءة شاذة. والمعنى:

(1) ينظر: الوجيز (١/ ٣٧١)، والبحر المحيط (٤/ ٢٠٦)، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ١٣٧)، والجواهر الحسان  
(١/ ٥٠٨)، وحاشية الشهاب على البيضاوي (٤/ ١٤)، وروح المعاني (٨/ ٢)، وتفسير المراغي (٨/ ٤)،  
وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ٥٩)، والتحرير والتنوير (٨/ ٦).

(2) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٨٣)، ومعاني القرآن الكريم (٢/ ٤٧٦).

(3) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٩١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/ ٤٩٩).

(4) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي (١/ ٤٤٧)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/ ١٠٧)، ومفاتيح  
الغيب للرازي (٥/ ١١٧)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/ ٥٠٠).

(5) ينظر: معالم التنزيل (٢/ ٥١)، والكشاف (٢/ ٣٨٨).

(6) زاد المسير (٣/ ١٠٧). وينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٥/ ١١٧).

(7) ومثله أبو حيان في البحر المحيط (٤/ ٢٠٦).

(8) ينظر: جامع البيان لابن جرير الطبري (٩/ ٤٩٥)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٣٥١)، والبحر المحيط لأبي حيان  
(٤/ ٢٠٦).

(9) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٩١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/ ٥٠٠).

لاستقبالها ومواجهتها في الزمن<sup>(١)</sup>.

قال الطاهر بن عاشور : « و﴿ قُبُلًا ﴾ لغة في (قَبَل) بمعنى المواجهة والمعاينة . وتأولها بعض المفسرين بتأويلات أخرى بعيدة عن الاستعمال وغير مناسبة للمعنى »<sup>(٢)</sup>.

وقال الشنقيطي : « وكان بعض العلماء يقول : معناهما واحد ؛ لأن القُبُل هو ما تستقبله بوجهك وتعاينه . ومنه : قيل لما يستقبله الرجل من وجهه : (قُبُل) ولما خلفه (دُبُر). وعلى هذا القول فـ (قُبُلًا) و (قُبُلًا) معناهما واحد »<sup>(٣)</sup>.

وأما القول الثاني في ﴿ قُبُلًا ﴾ — بالضم — فـ قُبُل جمع قبيل ، كما أن الرُّغْف جمع رغيف ، والقُضْب جمع قضيب . والمعنى : وحشرنا عليهم كل شيء قبيلةً قبيلةً ، صنفاً صنفاً، وجماعةً جماعةً ، أي : كُفلاءً بصدق محمد ﷺ يضمنون صدقه عليه الصلاة والسلام . وذهب إلى هذا القول الفراء، والزجاج، والسمرقندي، والبغوي، والزخشي، والنسفي، والحازن، والشوكاني، والقنوجي، والقاسمي<sup>(٤)</sup> . وقدمه القرطبي<sup>(٥)</sup> . وحكي عن أبي عبيدة<sup>(٦)</sup> .

وضَعَفَه الفارسي<sup>(٧)</sup> . وذكره النحاس، والآلوسي بصيغة (قيل)<sup>(٨)</sup> .

واستُدِلَّ لهذا القول بقوله تعالى : ﴿ أَوْ تَأْتِي بِلَهُ وَالْمَلَكَةِ قَبِيلًا ﴾ [الإسراء] . قال الفراء : « يضمنون ذلك » .

(1) ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية (٥ / ٣٢١ — ٣٢٢) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٤ / ٢٠٦) .

(2) التحرير والتنوير (٦ / ٨) .

(3) العذب النمير (٢ / ٥٦٥) .

(4) ينظر : معاني القرآن (١ / ٣٥٠) ، ومعاني القرآن وإعراجه (٢ / ٢٨٣) ، وبحر العلوم (١ / ٥٠٧) ، ومعالم التنزيل

(٢ / ٥١) ، والكشاف (٢ / ٣٨٨) ، ومدارك التنزيل (٢ / ٢٩) ، ولباب التأويل (٢ / ٤٥) ، وفتح القدير

(٢ / ٢١٥) ، وفتح البيان (٤ / ٢٢١) ، ومحاسن التأويل (٦ / ٢٤٧٠) .

(5) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (٨ / ٤٩٩) .

(6) حكاه عنه السيد رشيد رضا ، ينظر : تفسير القرآن الحكيم (٨ / ٦) .

(7) ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية (٥ / ٣٢١) .

(8) ينظر : معاني القرآن الكريم (٢ / ٤٧٥) ، وروح المعاني (٨ / ٢) .

ويقال : قَبِلْتُ الرجلَ أَقْبَلُهُ قَبَالَةً — بفتح الباء في الماضي والقاف في المصدر — أي : تكفّلت به . والقبيل والكفيل والزعيم والأذنين والضمين والحميل بمعنى واحد ، وإنما سمّيت الكفالة قَبَالَةً ؛ لأنها أوكدُ تَقْبِيلٍ ، وباعتبار معنى الكفالة سمي العهد المكتوب قَبَالَةً . ذكره السمين الحلبي (١) .

وبعد، فإذا تقرر هذا فالذي يظهر — والله أعلم — أنه لا تعارض بين المعنيين على قراءة ﴿ قَبَلًا ﴾ بضمّتين ، ويمكن الجمع بين القولين بأن يقال : ولو حشرنا عليهم كل شيء قبيلةً قبيلةً فواجهوهم وعابنوههم وشهدوا أن الرسول ﷺ حق وصدق، وتكفّلوا لهم بصدقه وضمنوا لهم ذلك ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله .

قال السيد محمد رشيد رضا : « وكل ما ذكر من المعاني للقراءتين متفق يؤيد بعضه بعضاً » (٢) .

وعليه، فلا يترجّح قول على قول ولا معنى على معنى ؛ لإمكان الجمع بينهما ، والله تعالى أعلم .

(1) الدر المصون (٥/ ١١٣) .

(2) تفسير القرآن الحكيم (٦/ ٨) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِيَّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ

لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

٣٥- هل كلمة " مثل " لها معنى في قوله: ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾؟

أم أنها زائدة؟

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى: «﴿كَمَنْ مَثَلُهُ﴾ مثل هنا بمعنى صفة . وقيل : زائدة، والمعنى : كمن هو»<sup>(١)</sup>.

العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيِّ أن **مَثَلٌ** في قوله تعالى: ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ﴾ ليست زائدة بل هي بمعنى "صِفَتُهُ" . ووافق معنى ما رُوِيَ عن قتادة<sup>(٢)</sup>.

وذهب إليه مقاتل، والطبري، والزرجاج ، والزمخشري، والبيضاوي، والنسفي، والقمي النيسابوري، والبقاعي، وأبو السعود، والشهاب الخفاجي، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والطاهر بن عاشور<sup>(٣)</sup>.

وذكره ابن الجوزي ، والقرطبي بصيغة (قيل)<sup>(٤)</sup> .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٢٠) .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٥٣٥) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤ / ١٣٨٣) رقم (٧٨٦٥) من طريق يزيد ، عن سعيد ، عنه قال : **مَثَلُ الكافر في الضلالة ...** وزاد نسبه السيوطي في الدر المنثور (٣ / ) إلى عبْد بن حميد ، وأبي الشيخ .

(3) ينظر : تفسير مقاتل (١ / ٥٨٧) ، وجامع البيان (٩ / ٥٣٣) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢ / ٢٨٨) ، والكشاف (٢ / ٣٩٢) ، وأنوار التنزيل (١ / ٣٢٠) ، ومدارك التنزيل (٢ / ٣١) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣ / ١٥٧) ، ونظم الدرر (٧ / ٢٥٣) ، وإرشاد العقل السليم (٢ / ٢٠١) ، وحاشية الشهاب (٤ / ١٢٢) ، وفتح القدير (٢ / ٢٢٤) ، وروح المعاني (٨ / ١٨) ، وفتح البيان (٤ / ٢٣٣) ، وتفسير القرآن الحكيم (٨ / ٢٩) ، وتفسير المراغي (٨ / ١٩) ، والتحرير والتنوير (٨ / ٤٤) .

(4) ينظر : زاد المسير (٣ / ١١٧) ، والجامع لأحكام القرآن (٩ / ١٩) .

ودلّل له الزمخشري بنظيره من القرآن وهو قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَرٌ ﴾ [محمد : ١٥] أي : صفتها هذه وهي قوله : ﴿ فِيهَا أَنْهَرٌ ﴾<sup>(١)</sup> .

ومثلها قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ﴾ [الرعد : ٣٥] . والمعنى : صفة الجنة .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾ [النحل : ٦٠] معناه : لله الصفة العليا والوصف الأكمل<sup>(٢)</sup> . ومثله قوله عز وجل : ﴿ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الروم : ٢٧] .

قال الزمخشري مبيناً معنى الآية : « كمن صفتها هذه وهي قوله : ﴿ فِي الظُّلْمَتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾ »<sup>(٣)</sup> .

فالمراد صفتها العجيبة الغريبة ، فإن المثل مخصوص به<sup>(٤)</sup> .

وأما القول بأن (مَثَلٌ) زائدة ، والمعنى : كمن هو ، فهو معنى قول السدّي<sup>(٥)</sup> .

وذهب إليه الواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، والخازن ، والسيوطي<sup>(٦)</sup> . ومال إليه ابن عطية<sup>(٧)</sup> .

وذكره الشوكاني ، والقنوجي بصيغة (قيل)<sup>(٨)</sup> .

(1) ينظر : الكشاف (٢ / ٣٩٢) .

(2) ينظر : تفسير الجلالين (٤ / ٢٤٧) .

(3) الكشاف (٢ / ٣٩٢) .

(4) ينظر : حاشية الشهاب (٤ / ١٢٢) .

(5) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٥٣٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤ / ١٣٨٢) رقم (٧٨٥٨) من طريق أحمد بن المفضل ، عن أسباط ، عنه قال : «هذا كمن هو في الظلمات . يعني : الشرك» .

(6) ينظر : الوجيز (١ / ٣٧٣) والوسيط (٢ / ٣١٨) ، وتفسير القرآن (٢ / ١٤١) ، ومعالم التنزيل (٢ / ٦٠) ، وزاد

المسير (٣ / ١١٧) وتذكرة الأريب (١ / ١٦٧) ، والجامع لأحكام القرآن (٩ / ١٩) ، ولباب التأويل (٢ / ٤٩) ،

وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢ / ٤٥٥) .

(7) ينظر : المحرر الوجيز (٥ / ٣٢٧) .

(8) ينظر : فتح القدير (٢ / ٢٢٤) ، وفتح البيان (٤ / ٢٣٣) .

واستُبدِلَ لهذا القول بأن مثل قد وردت زيادتها في قوله تعالى : ﴿ فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ﴾ [المائدة : ٩٥] ، وفي قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] .  
تقول : أنا أكرمُ مثلك ، أي : أكرمك<sup>(١)</sup> .

ولأن المثل معناه الصفة ، والمستقر في الظلمات ذواتهم لا صفاتهم<sup>(٢)</sup> .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن ما رجّحه ابن جُزَيٍّ ومن وافقه هو القول الصحيح ؛ لأنه لا يجوز القول بزيادة حرف في القرآن ، وما جرى عليه كثير من المعربين بقولهم : حرف زائد لا شك في غلطه ، ولعل مرادهم زائد في المبني ؛ لغرض بلاغي .

وعليه ، فلا يُسَلَّمُ للاستدلال على زيادة (مثل) بقوله تعالى : ﴿ فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾<sup>(٣)</sup> . والله تعالى أعلم .

(1) ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٩/٩) ، وفتح القدير للشوكاني (٢/٢٢٤) .

(2) ينظر : الفتوحات الإلهية لسليمان الجمل (٢/٤٥٥) .

(3) للدكتور محمد عبدالله دراز بحث في غاية النفاسة في "خلو القرآن من الكلمات المقحمة والحروف الزائدة" في كتابه القيم "النبأ العظيم" (١٦٢-١٧٣) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمَّا كُرُوا فِيهَا <sup>ط</sup>

وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾

### ٣٦- الخلاف في إعراب ﴿مُجْرِمِيهَا﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « ﴿مُجْرِمِيهَا﴾ إعرابه : مضاف إليه عند الفارسي وغيره . وقال ابن عطية وغيره : إنه مفعول أول بـ جَعَلْنَا ، و أَكْبَرًا مفعول ثانٍ مقدم . وهذا جيد في المعنى ضعيف في العربية ؛ لأن أَكْبَرًا جمع أكبر وهو من أفعل فلا يستعمل إلا بـ مِنْ أو بالإضافة <sup>(١)</sup> .

#### العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيِّ في إعراب ﴿مُجْرِمِيهَا﴾ قول أبي علي الفارسي وهو أنها مضاف إليه . وذهب إليه الكرمانى، والقمى النيسابورى، وأبوحيان، والسمين الحلبي <sup>(٢)</sup> ، فأعربوا ﴿أَكْبَرًا﴾ مفعولا أوّلا مضافا لـ مُجْرِمِيهَا ، و ﴿فِي كُلِّ قَرْيَةٍ﴾ مفعولا ثانياً مقدّماً؛ لأن جعل بمعنى صيّر تنصب مفعولين .

وصحّحه ابن عطية، وتبعه الثعالبي <sup>(٣)</sup> . وجوّزه البيضاوي بشرط تفسير الجعل بالتمكين <sup>(٤)</sup> .

واستظهر الطاهر بن عاشور أن جعل بمعنى خلق وأوجد ، يتعدّى إلى مفعول واحد

وهو: ﴿أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا﴾ <sup>(٥)</sup> .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٢٠) .

(2) ينظر : : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١ / ٣٨٣)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣ / ١٥٧)، والبحر المحيظ (٤ / ٢١٥)، والدر المصون (٥ / ١٣٤) .

(3) ينظر : المحرر الوجيز (٥ / ٣٣٨)، والجواهر الحسان (١ / ٥١١) .

(4) ينظر : أنوار التنزيل (١ / ٣٢١) .

(5) ينظر : التحرير والتنوير (٨ / ٤٨) .

قال الكرمانى : « وأضاف ﴿ أَكْبَرَ ﴾ إلى ﴿ مُجْرِمِيهَا ﴾ ؛ لأن أفعال إذا كان للتفضيل لا يستعمل إلا مع مَنْ أو مع الألف واللام أو الإضافة ، ولا يجمع إلا مع الألف واللام أو الإضافة »<sup>(١)</sup>.

ولما ذكر أبوحيان تجويز ابن عطية أن يكون ﴿ مُجْرِمِيهَا ﴾ المفعول الأول و ﴿ أَكْبَرَ ﴾ المفعول الثانى ، والتقدير : مجرميها أكابر ، وكذلك تجويز أبى البقاء العكبرى أن يكون ﴿ مُجْرِمِيهَا ﴾ بدلاً من ﴿ أَكْبَرَ ﴾ قال : « وما أجازته خطأً وذهولاً عن قاعدة نحوية وهو : أن أفعال التفضيل إذا كان بمن مفعولاً بها أو مقدرة أو مضافة إلى نكرة كان مفرداً مذكراً دائماً سواء كان لمذكر أو مؤنث مفرد ، أو مثنى أو مجموع ، فإذا أنث أو تُنِّي أو جُمع طابق ما هو له فى ذلك ولزمه أحد أمرين : إما الألف واللام ، أو الإضافة إلى معرفة . وإذا تقرر هذا فالقول بأن مُجْرِمِيهَا بدل من أَكْبَرَ أو أن مُجْرِمِيهَا مفعول أول خطأ ؛ لالتزامه أن يبقى أَكْبَرَ مجموعاً وليس فيه ألف ولام ولا هو مضاف إلى معرفة وذلك لا يجوز . وقد تنبه الكرمانى لهذه القاعدة فقال : أضاف الأكابر إلى مجرميها ؛ لأن أفعال لا يجمع إلا مع الألف واللام أو مع الإضافة . وكان ينبغي أن يقيد فيقول : أو مع الإضافة إلى معرفة »<sup>(٢)</sup> .

قال السمين الحلبى : « وأما هذه القاعدة فمسلّمة »<sup>(٣)</sup> .

ومنع هذا الإعراب الواحدى ، والرازى ، والحازن<sup>(٤)</sup> ، فلم يجوزوا إضافة ﴿ أَكْبَرَ ﴾ إلى ﴿ مُجْرِمِيهَا ﴾ .

قال الواحدى : « والآية على التقديم والتأخير تقديره : جعلنا مجرميها أكابر . ولا يجوز أن تكون الأكابر مضافة ؛ لأنه لا يتم المعنى ، ويحتاج على إضمار المفعول الثانى للجعل ... ، ولأنك إذا أضفت الأكابر فقد أضفت النعت إلى المنعوت ، وذلك لا يجوز عند

(1) غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٣٨٣) .

(2) البحر المحيط (٤/ ٢١٥) .

(3) الدر المصون (٥/ ١٣٥) .

(4) ينظر : الدر المصون للسمين الحلبى (٥/ ١٣٥) ، ومفاتيح الغيب (٥/ ١٣٥) ، ولباب التأويل (٢/ ٥٠) .

البصريين»<sup>(١)</sup>.

قال السمين : « قلت : هذان الوجهان اللذان ردّ بهما الواحدي ليسا بشيء... والإضافة للبيان لا لقصد الوصف فليس من باب إضافة الصفة لموصوفها ؛ لأن المجرمين أكابر و أصاغر...»<sup>(٢)</sup>.

ويجاب عن قوله : إنه يحتاج إلى إضمار المفعول الثاني للجعل بأن قوله : ﴿ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ ﴾ هو المفعول الثاني وليس في هذا إضمار .

وأما إعراب ابن عطية<sup>(٣)</sup> فالظن أنه أخذه من مكي، كما قال السمين : « ولكن قد ذكر مكي مثل ما ذكر ابن عطية سواء وما أظنه أخذ إلاّ منه. وكذلك الواحدي أيضاً»<sup>(٤)</sup>.

فأعربوا ﴿ مُجْرِمِيهَا ﴾ مفعولا أولا لـ جَعَلْنَا ، و﴿ أَكْبَرَ ﴾ مفعولا ثانيا مقدما والتقدير: وجعلنا في كل قرية مجرميها أكابر .

وعلى هذا الإعراب : السمرقندي، وابن أبي زمنين، والسمعاني، وابن الجوزي، والرازي، والقرطبي، والبيضاوي، والخازن، والثعالبي<sup>(٥)</sup>. واحتمله الطاهر بن عاشور<sup>(٦)</sup>.

وقد جوّده ابن جُزَيّ من حيث المعنى ، وضعّفه من حيث القواعد العربية . وكذلك استغربه الكرمانبي وزيفه<sup>(٧)</sup>. وقد سبق ذكر علته في كلام الكرمانبي وأبي حيّان .

واستظهر الإعرابين كليهما الشنقيطي فقال : « وأظهر أوجه الإعراب المذكورة في الآية عندي اثنان : أحدهما : أن ﴿ أَكْبَرَ ﴾ مضاف إلى ﴿ مُجْرِمِيهَا ﴾ وهو المفعول

(1) ينظر : الدر المصون للسمين الحلبي (١٣٥ / ٥) .

(2) المصدر السابق .

(3) ينظر : المحرر الوجيز (٣٣٨ / ٥) .

(4) الدر المصون (١٣٥ / ٥) .

(5) ينظر بحر العلوم (٥١١ / ١)، وتفسير القرآن العزيز (٩٦ / ٢)، وتفسير القرآن (١٤١ / ٢)، وتذكرة الأريب

(١٦٧/١)، ومفاتيح الغيب (١٣٥ / ٥)، والجامع لأحكام القرآن (٢٠-١٩/٩)، وأنوار التنزيل (١ / ٣٢١)،

ولباب التأويل (٥٠ / ٢)، والجواهر الحسان (٥١١ / ١) .

(6) ينظر : التحرير والتنوير (٤٨ / ٨) .

(7) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (٣٨٣ / ١ - ٣٨٤) .

الأول لجعل التي بمعنى صير ، والمفعول الثاني هو الجار والمجرور ، أعني ﴿ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ ﴾ .  
 والثاني : أن ﴿ مُجْرِمِيهَا ﴾ مفعول أول ، و ﴿ أَكْبَرَ ﴾ مفعول ثاني ، أي : جعلنا  
 مجرميها أكابرها . والأكابر جمع الأكبر<sup>(١)</sup> .  
 وإلى تجويز الإعرابين كليهما ذهب العكبري<sup>(٢)</sup> .  
 وبعد ، فإذا تقرر هذا فالذي يظهر جوازهما معاً ، وإن كان ما رجّحه ابن جزيّ ومن  
 وافقه أولى ؛ لعدم حاجته إلى تقدير ، وخروجه من الإشكال النحوي في لزوم أَكْبَرَ  
 للإضافة ، والله تعالى أعلم .

(1) أضواء البيان (٢ / ٢٠٩) . ويلحظ هنا أنه أضاف ﴿ أَكْبَرَ ﴾ إلى معرفة في تقدير الإعراب الثاني فقال :  
 « جعلنا مجرميها أكابرها » . وبهذا تجاوز الإشكال الذي ذكره الكرمانى وأبوحيان وهو : أن أكابر لا تجمع إلا مع  
 الألف واللام أو مع الإضافة إلى معرفة .

(2) التبيان (١ / ٥٣٦) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمَعَشَرَ الْجَنِّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا  
أَسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوٍ لَكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ

حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾

٣٧- المراد بالأجل الذي بلغوه في قوله ﴿ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « ﴿ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا ﴾ : هو الموت . وقيل : الحشر »<sup>(١)</sup> .

العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ أن المراد بالأجل الذي بلغوه هو الموت ، ووافق في هذا ما روي عن محمد بن كعب<sup>(٢)</sup> ، وابن جريج<sup>(٣)</sup> ، والسدي<sup>(٤)</sup> . وَنُسِبَ إلى ابن عباس<sup>(٥)</sup> ، والحسن<sup>(٦)</sup> . وقال به الكلبي<sup>(٧)</sup> .

وإليه ذهب مقاتل، والطبري، والسمرقندي، وابن عطية، والقرطبي، وابن الجوزي، والخازن، وأبو حيان ونسبه للجمهور، وابن كثير ، والثعالبي<sup>(٨)</sup> . ولم يذكروا له دليلا .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٢١) .

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤ / ١٣٨٨) رقم (٧٨٩٦) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٣٥٧) نسبه إلى ابن المنذر .

(3) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٣٥٨) إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(4) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٥٥٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤ / ١٣٨٨) من طريق أسباط ، عنه .

(5) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان (٤ / ٢٢٠) .

(6) ينظر : النكت والعيون للماوردي (٢ / ١٦٨) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٣ / ١٢٤) .

(7) ينظر : بحر العلوم للسمرقندي (١ / ٥١٣) .

(8) ينظر : تفسير مقاتل (١ / ٥٨٩) ، وجامع البيان (٩ / ٥٥٦) ، وبحر العلوم (١ / ٥١٣) ، والحرر الوجيز (٥ / ٣٤٩) ،

والجامع لأحكام القرآن (٩ / ٢٨) ، وتذكرة الأريب (١ / ١٦٨) ، ولباب التأويل (٢ / ٥٢) ، والبحر المحيط

(٤ / ٢٢٠) ، وتفسير القرآن العظيم (٦ / ١٧٣) ، والجواهر الحسان (١ / ٥١٣) .

وقد يستأنس له بقراءة ﴿ آجَلْنَا ﴾ بالجمع<sup>(١)</sup>.

ووجهها — والله تعالى أعلم — : أن لكل واحد أجلا قد بَلَغَهُ وهو الموت ، وأما الحشر والبعث فهو أجل موّحد للجميع .

وأما القول الثاني وهو أن الأجل الذي بلغوه هو الحشر والبعث ، فقد استظهره الواحدي<sup>(٢)</sup> . وعليه السمعاني، والبغوي، والزحشري، والبيضاوي، والنسفي، والسيوطي، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والمراغي، والسعدي<sup>(٣)</sup> .

وذكره ابن عطية ، والخازن ، والثعالبي بصيغة ( قيل )<sup>(٤)</sup> .

ولم يذكروا له دليلاً أيضاً .

وذهب ابن القيم إلى الجمع بينهما فقال : الأجل يتناول أجل الموت وأجل البعث ، فكلاهما أجل الله لعباده ، وهما الأجلان اللذان قال الله فيهما : ﴿ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ﴾<sup>(٥)</sup> [ الأنعام : ٢ ] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أولى القولين بالصواب من ذلك هو القول الأول وهو أن الأجل الذي بلغوه هو الموت ؛ لأن الظاهر أن الاستمتاع قد انقطع بالموت ، ولم ينقطع بالبعث والحشر . وهذا قول السلف ، والله تعالى أعلم .

(1) ذكرها العكبري في التبيان (١/ ٥٣٨)، وأبوحيان في البحر المحيط (٤/ ٢٢٠)، والسمين الحلبي في الدر المصون

(٥/ ١٤٩) وفيه عن أبي علي : ﴿ أَلَّذِي ﴾ جنس أوقع موقع التي .

(2) ينظر : الوجيز (١/ ٣٧٥) ، والوسيط (٢/ ٣٢٣) .

(3) ينظر : تفسير القرآن (٢/ ١٤٤) ، ومعالم التنزيل (٢/ ٦٤) ، والكشاف (٢/ ٣٩٥) ، وأنوار التنزيل

(١/ ٣٢٢) ، ومدارك التنزيل (٢/ ٣٣) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٢/ ٤٦٣ ) ، وإرشاد العقل السليم

(٢/ ٢٠٥) ، وفتح القدير (٢/ ٢٢٧) ، وروح المعاني (٨/ ٢٦) ، وتفسير المراغي (٨/ ٢٩) ، وتيسير الكريم

الرحمن (٢/ ٦٩) .

(4) ينظر : المحرر الوجيز (٥/ ٣٤٩) ، ولباب التأويل (٢/ ٥٢) ، والجواهر الحسان (١/ ٥١٣) .

(5) بدائع التفسير (٢/ ١٨٢ — ١٨٣) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعَظْمِ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١٣١)

### ٣٨- الخلاف في تأويل ﴿ نُؤَيِّ بِعَظْمِ الظَّالِمِينَ بَعْضًا ﴾ في قوله: ﴿ نُؤَيِّ بِعَظْمِ الظَّالِمِينَ بَعْضًا ﴾

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « ﴿ نُؤَيِّ بِعَظْمِ الظَّالِمِينَ بَعْضًا ﴾ أي: نجعل بعضهم ولياً لبعض. وقيل: يتبع بعضهم بعضاً في دخول النار. وقيل: نسلط بعضهم على بعض»<sup>(١)</sup>.

#### العرض والمناقشة:

اختلف المفسرون في المراد بتولية الله عز وجل بعض الظالمين بعضاً على ثلاثة أقوال ذكرها ابن جزي، ورجح أن المعنى المراد: هو جعل بعضهم ولياً لبعض. فوافق ما روي عن قتادة حيث قال: «إنما يؤلي الله بين الناس بأعمالهم، فال مؤمن ولي المؤمن أين كان وحيث كان، والكافر ولي الكافر أين كان وحيثما كان، ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي»<sup>(٢)</sup>.

ونسب هذا القول أيضاً للحسن<sup>(٣)</sup>.

وإليه يذهب مقاتل، والطبري، وابن أبي زمنين، والقرطبي، والسيوطي، والشوكاني، والقنوجي، والقاسمي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي<sup>(٤)</sup>.

واستدل ابن جرير الطبري لهذا القول بالسياق فقال: «لأن الله ذكر قبل هذه الآية ما

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢١).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٥٥٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٨٨) رقم (٧٨٩٩) من طريق يزيد، عن سعيد، عنه. وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٥٨) نسبته إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وأبي الشيخ. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٨٩) رقم (٧٩٠٠) من طريق شيبان، عنه نحوه.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢/ ٩٧).

(٤) ينظر: تفسير مقاتل (١/ ٥٨٩)، وجامع البيان (٩/ ٥٥٩)، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ٩٧)، والجامع لأحكام القرآن (٩/ ٢٩)، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢/ ٤٦٤)، وفتح القدير (٢/ ٢٢٩)، وفتح البيان (٤/ ٢٤١)، ومحاسن التأويل (٦/ ٢٥٠٤)، وتفسير القرآن الحكيم (٨/ ٩٦)، وتفسير المراغي (٨/ ٣١)، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ٦٩).

كان من قول المشركين ، فقال جل ثناؤه : ﴿ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ﴾ [ الأنعام : ١٢٨ ] . وأخبر جل ثناؤه أن بعضهم أولياء بعض ، ثم عقب خبره ذلك بخبره عن أن ولاية بعضهم بعضاً بتوليته إياهم ، فقال : وكما جعلنا بعض هؤلاء المشركين من الجن والإنس أولياء بعض ، يستمتع بعضهم ببعض ، كذلك نجعل بعضهم أولياء بعض في كل الأمور ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ من معاصي الله ويعملونه «<sup>(١)</sup> .

وقال ابن عطية : « ويؤيده ما تقدم من ذكر الجن والإنس واستمتاع بعضهم ببعض »<sup>(٢)</sup> . ويدل لهذا القول أن الله تبارك وتعالى ذكر ولاية الكفار بعضهم بعضاً فقال جل وعز : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعُهُمُ أَوْلِيَاءَ بَعْضٍ ﴾ [ الأنفال : ٧٣ ] .

ولذا فقد علل الشنقيطي هذا القول بقوله : « لأن الكافرين بعضهم أولياء بعض »<sup>(٣)</sup> . ويقول السيد محمد رشيد رضا : « وأما تولية الله الناس بعضهم بعضاً فهو جعلهم أولياء وأنصاراً بعضهم لبعض ؛ إما بمقتضى أمره في شرعه ومقتضى سننه وقدره معاً ، وإما بمقتضى الثاني فقط . فالأول : ولاية المؤمنين بعضهم بعضاً في الحق والخير والمعروف ، فقد أمرهم بذلك في شرعه ونهاهم عن ضده ، وهو مقتضى الإيمان الصادق وأثره الذي لا ينفك عنه بحسب تقدير الله الذي مضت به سنته في خلقه . والثاني : ولاية الكفار المجرمين والمنافقين بعضهم بعضاً ، فهو أثر مترتب على الاعتقاد والأخلاق والمنفعة المشتركة بينهم بحسب تقديره وسننه في نظام الحياة البشرية . وهو لم يأمرهم بشيء يتناصرون به في الباطل والشر والمنكر بل نهاهم عنه »<sup>(٤)</sup> .

فقوله تعالى : ﴿ تَوَلَّى ﴾ مأخوذ من الولاية<sup>(٥)</sup> .

والمقصود بها هنا ولاية النصره — بفتح الواو — وصاحبها وليّ ، ومنه : تولى زيد

(1) جامع البيان (٩/ ٥٥٩) .

(2) المحرر الوجيز (٥/ ٣٥١) .

(3) العذب النمير (٢/ ٦٥٦) .

(4) تفسير القرآن الحكيم (٨/ ٩٥ — ١٠٠) .

(5) ينظر : تفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٢/ ٤٦٤ ) .

عَمْرًا : بنصره وكذلك القوم : ﴿لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾<sup>(١)</sup> [المتحنة : ١٣] .  
والقول الثاني — وهو أن المعنى المراد هو : جعل بعض الظالمين يَتَّبِعُ بعضًا في دخول النار — أيضًا رُوِيَ عن قتادة<sup>(٢)</sup> . واختاره السمعاني<sup>(٣)</sup> .

وأخذ معنى ﴿نُوِّلِي﴾ — على هذا القول — من الموالاتة ، وهي المتابعة بين الشيء والشيء ، من قول القائل : وَالْيَتُّ بَيْنَ كَذَا وَكَذَا ، إِذَا تَابَعْتَ بَيْنَهُمَا . ذكره ابن جرير الطبري<sup>(٤)</sup> .

ومنه : الموالاتة في الوضوء<sup>(٥)</sup> .

وذكر الشنقيطي قول قتادة هذا وقال : ليس بأظهرها<sup>(٦)</sup> .

والقول الثالث — وهو أن المعنى المراد هو : تسليط بعض الظالمين على بعض — هو قول ابن زيد<sup>(٧)</sup> . حيث فسّر الآية بقوله : « وَنَسَلَّتْ ظِلْمَةَ الْجِنِّ عَلَى ظِلْمَةِ الْإِنْسِ » .

وعليه السمرقندي، والواحدي، والكرماني، والبغوي، والخازن، وابن كثير، والطاهر ابن عاشور<sup>(٨)</sup> .

(1) ينظر : تفسير القرآن الحكيم للسيد رشيد رضا (٨ / ٩٥ — ١٠٠) .

(2) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢ / ٢١٨) — ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤ / ١٣٨٨) رقم (٧٨٩٨) — عن معمر ، عنه . وأخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٥٥٨) من طريق محمد بن ثور ، عن معمر به . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٣٥٨) نسبته إلى أبي الشيخ .

(3) ينظر : تفسير القرآن (٢ / ١٤٥) .

(4) ينظر : جامع البيان (٩ / ٥٥٨) .

(5) ينظر : تفسير القرآن الحكيم للسيد رشيد رضا (٨ / ٩٥ — ١٠٠) .

(6) العذب النمير (٢ / ٦٥٦) .

(7) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٥٥٩) عن يونس ، عن ابن وهب ، عنه . وزاد نسبه السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٣٥٨) إلى أبي الشيخ .

(8) ينظر : بحر العلوم (١ / ٥١٣) ، والوسيط (٢ / ٣٢٣) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (١ / ٣٨٥) ، ومعالم التنزيل (٢ / ٦٥) ، ولباب التأويل (٢ / ٥٣) ، وتفسير القرآن العظيم (٦ / ١٧٥) ، والتحرير والتنوير (٨ / ٧٤) .

قال ابن عطية : « وهذا التأويل [ يعني : تفسير ابن زيد ] لا تؤيده ألفاظ الآية المتقدمة»<sup>(١)</sup>.

واستبعده أبو حيان<sup>(٢)</sup>. وذكره السمعاني بصيغة ( قيل )<sup>(٣)</sup>.

واستدل ابن زيد على تفسيره هذا بقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِصْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾<sup>(٤)</sup> [ الزخرف ] .

وروي : ( مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا سَلَّطَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ )<sup>(٥)</sup>.

ويجاب عنه بأنه حديث لا يصح بل موضوع أو متروك .

واستدل له بأنه حُفِظَ في استعمال الصحابة والتابعين ، ومن ذلك : ما روي عن عبدالله بن الزبير لما بلغه أن عبد الملك بن مروان قتل عمرو بن سعيد الأشدق قال : ﴿ وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .

فابن الزبير يرى أن كلا منهما ظالم ، وقد سلط الله واحداً منهما على الآخر<sup>(٦)</sup>.

وهذا الاستدلال بالمحفوظ من استعمال الصحابة والتابعين لا يصح بإطلاق في تفسير الآية ؛ لأن استعمالهم لآية في مقام ما لا يدل على تفسيرها بل جرت عادتهم بالاستشهاد

(1) المحرر الوجيز (٥ / ٣٥١) .

(2) ينظر : البحر المحيط (٤ / ٢٢٢) .

(3) ينظر : تفسير القرآن (٢ / ١٤٥) .

(4) ينظر : جامع البيان للطبري (٩ / ٥٥٩) .

(5) ينظر : معالم التنزيل للبعوي (٢ / ٦٥) . قال السخاوي في المقاصد الحسنة (٣٩٨) : رواه ابن عساكر في

"تاريخه" — (٤ / ٣٤) — عن ابن مسعود رفعه . وفيه ابن زكريا العدوي ، متهم بالوضع ، فهو آفته ، وقد أورده

الدليمي بلا سند عن ابن مسعود . [ وينظر : كشف الخفاء (٢ / ٢٩٨) — فيض القدير (٦ / ٧٢) — تمييز

الطيب من الخبيث (١٧٧) ] . وقال ابن كثير : هذا حديث غريب . [ تفسير القرآن العظيم (٦ / ١٧٥) ] .

وأخرجه أبو حفص الكتاني في " جزء من حديثه " (١٤١ — ١٤٢) كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني

(٤ / ١٩٣٧) بإسناده . قال الألباني : وهذا إسناد موضوع ، رجاله كلهم ثقات ، غير العدوي الحسن بن علي ،

وهو كذاب ، وهو آفته . وقال الشوكاني في الفوائد المجموعة (٢١١) : في إسناده متهم بالوضع .

(6) ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية (٥ / ٣٥١) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٤ / ٢٢٢) ، والتحرير والتنوير لابن عاشور

(٨ / ٧٤) .

بالآيات على بعض المقامات والأحوال دون التنصيص على أن هذا هو التفسير المتعين ، وإنما لأنه قد يدل أحد وجوهها على ذلك<sup>(١)</sup>.

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أولى الأقوال في ذلك بالصواب هو ما رجّحه ابن جُزَيٍّ ومن وافقه ، وأن تفسير ابن زيد ومن وافقه ليس ببعيد عن الصواب . وأما قول قتادة : يتبع بعضهم بعضاً في النار فليس بظاهر .

يقول الشنقيطي : « في هذه الآية الكريمة أوجه متقاربة من التفسير معروفة عند العلماء لا يكذب بعضها بعضاً ، بل كلها حق »<sup>(٢)</sup>. وقد سبق ذكر قوله عن قول قتادة هذا بأنه : « ليس بأظهرها » . والله تعالى أعلم .

(1) ينظر : محاسن التأويل للقاسمي (٢٣٥٨/٦) .

(2) العذب النمير (٦٥٦ / ٢) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ ذَلِكُمْ أَن لَّمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكًا الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴾ (١٣١)

٣٩- الخلاف في معنى قوله ﴿ ذَلِكُمْ أَن لَّمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكًا الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ ﴾ .

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « ﴿ يُظْلَمُ ﴾ فيه وجهان : أحدهما : أن الله لم يكن ليهلك القرى دون بعث الرسل إليهم ، فيكون إهلاكهم ظلماً إذ لم ينذرهم . فهو كقوله : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء] . والآخر : أن الله لا يهلك القرى بظلمهم إذا ظلموا ، دون أن ينذرهم . ففاعل الظلم على هذا أهل القرى ، وغفلتهم : عدم إنذارهم . حكى الوجهين ابن عطية ، والزمخشري . والوجه الأول صحيح على مذهب المعتزلة ، ولا يصح على مذهب أهل السنة ؛ لأن الله لو أهلك عباده بغير ذنب لم يكن ظلماً عندهم »<sup>(١)</sup>.

#### العرض والمناقشة :

حكى ابن جزي في تفسير قوله تعالى : ﴿ يُظْلَمُ ﴾ وجهين كما حكاهما الزمخشري وابن عطية، ويبيّن أن الوجه الأول يصح على مذهب المعتزلة .

قال الزمخشري : « ﴿ يُظْلَمُ ﴾ بسبب ظلم قدموا عليه ، أو ظلماً ، على أنه لو أهلكهم وهم غافلون لم ينبهوا برسول وكتاب لكان ظلماً ، وهو متعالٍ عن الظلم وعن كل قبيح »<sup>(٢)</sup>.

وتبعه البيضاوي، والنسفي<sup>(٣)</sup>.

والوجه الأول من التفسير هو معنى كلام مقاتل<sup>(٤)</sup>.

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٢١) .

(2) الكشف (٢ / ٣٩٨) . وينظر : مفاتيح الغيب للرازي (٥ / ١٥٢) .

(3) ينظر : أنوار التنزيل (١ / ٣٢٢)، ومدارك التنزيل (٢ / ٣٤) .

(4) ينظر : تفسير مقاتل (١ / ٥٩٠) .

وإليه ذهب الفراء<sup>(١)</sup>، والزجاج<sup>(٢)</sup>. وهو مفهوم كلام السمرقندي<sup>(٣)</sup>. وجوّزه البقاعي<sup>(٤)</sup>.

وقال الشنقيطي عنه : « ليس على الصحيح »<sup>(٥)</sup>.

وذكره البغوي ، والشوكاني ، والقنوجي بصيغة (قيل)<sup>(٦)</sup> .

قال الفراء : « وفيها وجه — وهو أحبّ إليّ من ذا ، ... والمعنى : لم يكن ليهلكهم بظلم فيه وأهلها مصلحون »<sup>(٧)</sup>.

وصحّح هذا المعنى السيد محمد رشيد رضا واستدلّ له بقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ ﴾<sup>(٨)</sup> [هود : ١١٧] .

وأما الوجه الثاني من التفسير فهو مذهب أهل السنة ، وهذا ما رجّحه ابن جرّي .

قال ابن عباس : « ﴿ يَظْلِمُ ﴾ : بشرك »<sup>(٩)</sup>.

وهو معنى قول مجاهد<sup>(١٠)</sup>، والكلبي<sup>(١١)</sup>.

وعليه : الطبري، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، وابن عطية، والرازي، والقرطبي،

(1) عند تفسيره لآية هود: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾<sup>(١٧)</sup> . ينظر : معاني القرآن (١ / ٣٥٥) .

(2) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٢ / ٢٩٣) .

(3) ينظر : بحر العلوم (١ / ٥١٤) قال : بغير ذنب في الدنيا .

(4) ينظر : نظم الدرر (٧ / ٢٧٤) .

(5) العذب النمير (٢ / ٦٧٣) .

(6) ينظر : معالم التنزيل (٢ / ٦٦) ، وفتح القدير (٢ / ٢٣٠) ، وفتح البيان (٤ / ٢٤٣) .

(7) معاني القرآن (١ / ٣٥٥) .

(8) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (٨ / ١٠٤) . كما أنه صحح المعنى الآخر أيضاً .

(9) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣ / ١٢٦) .

(10) قاله الماوردي في النكت والعيون (٢ / ١٧٢) ، ونسبه إليه أبو حيان في البحر المحيط (٤ / ٢٢٤) .

(11) نسبه إليه الواحدي في الوسيط (٢ / ٣٢٤) ، والبغوي في معالم التنزيل (٢ / ٦٦) ، والخازن في لباب التأويل (٢ / ٥٤) .

والخازن — ونسبه لجمهور المفسرين — ، وأبوحيان ، وابن كثير ، والثعالبي ، والبقاعي ، والسيوطي ، وأبوالسعود ، والشوكاني ، والقنوجي ، والقاسمي ، والمراغي ، والطاهر بن عاشور ، والشنقيطي<sup>(1)</sup> .

وعَلَّلَ هذا القولَ الطبريُّ بقوله : « لأن قوله : ﴿ ذَلِكْ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ ﴾ عقيب قوله : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي ﴾ . فكان في ذلك الدليل الواضح على أن نصَّ قوله : ﴿ ذَلِكْ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ ﴾ إنما هو : إنما فعلنا ذلك من أجل أنا لا نهلك القرى بغير تذكير وتنبية »<sup>(2)</sup> .

ويدل لهذا الوجه من التفسير: تفسير الظلم بالشرك ، كما قاله ابن عباس ، وكما قال لقمان : ﴿ إِنَّكَ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان] .

والمعنى : لم يكن ربك مهلك القرى بشرك من أشرك وكفر من كفر من أهلها إلا بعد أن ينذرهم ويذكرهم وينبههم ، فلا يكون الإهلاك وهم غافلون بلا إنذار وتنبية وتذكير . والله غير ظلام لعبيده ، وقد نفى الله الظلم عن نفسه في آيات كثيرة من كتابه<sup>(3)</sup> ؛ كقوله : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت] .

وفي صحيح مسلم<sup>(4)</sup> عن أبي ذر رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : ( قال الله تعالى : يا عبادي ، إني حرمت الظلم على نفسي ) .

(1) ينظر : جامع البيان (٩ / ٥٦٣) ، والوجيز (١ / ٣٧٦) والوسيط (٢ / ٣٢٤) ، وتفسير القرآن (٢ / ١٤٦) ، ومعالم التنزيل (٢ / ٦٦) ، والحرر الوجيز (٥ / ٣٥٤) — وقال : وهذا هو البين القوي — ، ومفاتيح الغيب (٥ / ١٥٢) ، والجامع لأحكام القرآن (٩ / ٣٣) ، ولباب التأويل (٢ / ٥٤) ، والبحر المحيط (٤ / ٢٢٤) ، وتفسير القرآن العظيم (٦ / ١٧٧) — وقال : ولا شك أنه أقوى — ، والجواهر الحسان (١ / ٥١٥) ، ونظم الدرر (٧ / ٢٧٤) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية / ٢ / ٤٦٦ ) ، وإرشاد العقل السليم (٢ / ٢٠٧) ، وفتح القدير (٢ / ٢٣٠) ، وفتح البيان (٤ / ٢٤٣) ، ومحاسن التأويل (٦ / ٢٥٠٩ — ٢٥١٠) ، وتفسير المراغي (٨ / ٣٤) ، والتحرير والتنوير (٨ / ٨٢) ، والعذب النمير (٢ / ٦٧٣) .

(2) جامع البيان (٩ / ٥٦٣) .

(3) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي (٤٣٤-٤٣٨) .

(4) (٤ / ١٩٩٤) برقم (٢٥٧٧) .

ولأنه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، لا اعتراض لأحد عليه في شيء من أفعاله ، غير أنه أخبر أنه لا يعذب قبل بعثة الرسل ، ولو فعل ذلك لم يكن ظلماً منه<sup>(١)</sup> .

قال السمعاني : « أجرى الله سنته : أن لا يأخذ أحداً بالذنب إلا بعد وجود الذنب ، وإنما يكون مذنباً إذا أمر فلم يأتمر ، ونهيه فلم يمتعه ، ودُعِيَ فلم يُجب »<sup>(٢)</sup> .

ومما يدل لهذا الوجه أيضاً : قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ﴾<sup>(٣)</sup> [هود : ١٠٢] .

ووجهه : أن الظلم إنما هو من أهل القرى .

وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن أولى الوجهين بالصواب هو مذهب أهل السنة الذي رجّحه ابن جزيّ ومن وافقه ؛ لقوة أدلته ، والله تعالى أعلم .

لكن التعليل الذي ذكره ابن جزيّ إنما هو مذهب الأشاعرة الذين يقولون : " لو عذب الله المطيعين ونعم العاصين لم يكن ظلماً " . وأما أهل السنة فيقولون : " إن الظلم الذي حرّمه الله على نفسه وتزّه عنه فعلا وإرادة ، هو ما فسره به سلف الأمة ، أنه لا يحمل المرء سيئات غيره ، ولا يعذبه بما لا تكسب يداه ، وأنه لا ينقص من حسناته " <sup>(٤)</sup> . والعلم عند الله .

(1) لباب التأويل للخازن (٢ / ٥٤) .

(2) تفسير القرآن (٢ / ١٤٦) .

(3) ينظر : تفسير القرآن الحكيم للسيد محمد رشيد رضا (٨ / ١٠٤) .

(4) ينظر : القضاء والقدر لعبدالرحمن المحمود (١٨٨-١٩٤) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ ۗ ﴾

إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾

#### ٤٠ - الخلاف في المراد بـ ﴿عَقِيبَةُ الدَّارِ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « ﴿عَقِيبَةُ الدَّارِ﴾ أي : الآخرة أو الدنيا . والأول أرجح ؛ لقوله : ﴿عُقْبَى الدَّارِ﴾ ﴿٢٣﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ ﴿٢٢﴾ » [الرعد : ٢٢ - ٢٣] .

#### العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ أن المراد بعاقبة الدار هي الآخرة ، يعني الجنة . ووافق ما رُوِيَ عن ابن عباس <sup>(٢)</sup> .

ووافقه في هذا الترجيح مقاتل، والطبري، والزجاج، والنحاس، وابن أبي زمنين، والواحدي، والبغوي، وابن الجوزي، والحازن، وأبوحيان، والثعالبي، والسيوطي، والزمخشري، والبيضاوي، والقمي، وأبوالسعود، والشهاب الخفاجي، والآلوسي، والقاسمي <sup>(٣)</sup> . وقدّمه ابن عطية ميلاً إليه <sup>(٤)</sup> .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٢) .

(2) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٢٥) .

(3) ينظر : تفسير مقاتل (١/ ٥٩٠)، وجامع البيان (٩/ ٥٦٨) و (١٨/ ٢٥٣) — وكلامه في الموضع الأول : (من الذي تعقبه دنياه ما هو خير له منها أو شر منها ، بما قدّم فيها من صالح أعماله أو سيئها) — ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩٤)، ومعاني القرآن الكريم (٢/ ٤٩٣)، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ٩٩)، والوجيز (١/ ٣٧٦)، ومعالم التنزيل (٢/ ٦٧)، وزاد المسير (٣/ ١٢٧) وتذكرة الأريب (١/ ١٦٩)، ولباب التأويل (٢/ ٥٥)، والبحر المحيط (٤/ ٢٢٦) — قال : يظهر منه أنها دار الآخرة — والجواهر الحسان (١/ ٥١٦)، و تفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٢/ ٤٦٨)، والكشاف (٢/ ٣٩٩)، وأنوار التنزيل (١/ ٣٢٣)، وغرائب القرآن و رغائب الفرقان (٣/ ١٧١)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٠٩)، وحاشية الشهاب (٤/ ١٢٧)، وروح المعاني (٨/ ٣١)، ومحاسن التأويل (٦/ ٢٥١٢) .

(4) ينظر : المحرر الوجيز (٥/ ٣٥٦) .

واستدل له ابن جزيّ بنظيره من القرآن وهو قوله تعالى: ﴿عُقْبَى الدَّارِ ۚ جَنَّتٌ عَدْنٍ﴾ .

ومثلها في الرعد أيضاً: ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ۚ﴾ ، وقوله تعالى في آخرها: ﴿وَسَيَعْلَمُ  
الْكَافِرُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ۚ﴾ .

وقوله عز وجل: ﴿رَبِّىْ أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا  
يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [ القصص ] .

فهذه الآيات تفسّر المراد بـ عَاقِبَةُ الدَّارِ ، وأنها الجنة .

قال الشهاب : « أي : عاقبة الخير ؛ لأنها الأصل ، فإنه تعالى جعل الدنيا مزرعة  
الآخرة وقلعة إليها ، وأراد من عباده أعمال الخير ؛ لينالوا حسن الخاتمة . وأما عاقبة الشر  
فلا اعتداد بها ؛ لأنها من نتائج تحريف الفجار »<sup>(١)</sup> .

وأما القول بأن المراد بها الدنيا، فنسبه الماوردي لابن بحر<sup>(٢)</sup> . والمراد نصر الله في الدنيا  
لأوليائه وحذلانه لأعدائه .

واختاره ابن كثير<sup>(٣)</sup> . ومال إليه السيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والطاهر بن  
عاشور<sup>(٤)</sup> . واحتمله ابن عطية<sup>(٥)</sup> .

واستدل له ابن كثير بأن الله أنجز موعوده لرسوله ﷺ ، فمكّنه في البلاد وحكّمه في  
العباد ، وفتح له مكة ، وأظهره على من كذّبه ، واستقرّ أمره على سائر جزيرة العرب  
واليمن والبحرين ، وكل ذلك في حياته ، ثم فتحت الأمصار بعد وفاته في أيام خلفائه ،  
كما قال الله تعالى : ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [ المجادلة ] .

(1) حاشية الشهاب (٤/ ١٢٧) . وتبعه الآلوسي (٨/ ٣١) .

(2) ينظر : النكت والعيون (٢/ ١٧٣) .

(3) ينظر : تفسير القرآن العظيم (٦/ ١٨٠) .

(4) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (٨/ ١١٤) ، وتفسير المراغي (٨/ ٣٩) ، والتحرير والتنوير (٨/ ٩٣) قال ابن

عاشور : ( أي : بلد مكة أن تكون للمسلمين ، كقوله : ﴿ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [ الأنبياء ] .

(5) ينظر : المحرر الوجيز (٥/ ٣٥٦) .

وقال : ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ (٥١) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ [غافر] . وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ (١٠٥) [الأنبياء] . وقال تعالى إخباراً عن رسوله : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٣) وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ [إبراهيم] . وقال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ [النور : ٥٥] . وقد فعل الله ذلك بهذه الأمة الحمادية وله الحمد والمنة»<sup>(١)</sup> .

وذهب السمرقندي ، والقرطبي ، والشوكاني ، والقنوجي ، والسعدي<sup>(٢)</sup> إلى أن المراد: عاقبة الأمر في الدنيا بالنصر ووراثة الأرض ، والجنة في الآخرة . وذكره أبوحيان بصيغة (قيل)<sup>(٣)</sup> ، وذكره السيد رشيد رضا وإن كان يميل أكثر إلى أن العاقبة الحسنة في الدنيا<sup>(٤)</sup> .

وهذا القول الجامع بين القولين حسنٌ لكن أن يكون هو المراد في الآية فلا ؛ لأن العاقبة الحسنة في الدنيا لهذه الأمة ليست دائمة ومطلقة بخلاف الآخرة ، والله أعلم . وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن أولى القولين بالصواب في ذلك هو ما رجّحه ابن جزيّ ، ومن وافقه ، وهو قول الأكثر ، ويشهد له القرآن الكريم ، وما كان كذلك فهو أولى<sup>(٥)</sup> . كما أن من جمع بين القولين فاختر أنها في الدنيا وفي الآخرة أحسنٌ ممن اقتصر على أن المراد بالعاقبة الحسنة في الدنيا ، والله تعالى أعلم .

(1) تفسير القرآن العظيم (٦ / ١٨٠) بتصرف يسير .

(2) ينظر : بحر العلوم (١ / ٥١٥) ، والجامع لأحكام القرآن (٩ / ٣٦) ، وفتح القدير (٢ / ٢١٣) ، وفتح البيان (٤ / ٢٤٦) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢ / ٧٢) .

(3) ينظر : البحر المحيط (٤ / ٢٢٦) .

(4) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (٨ / ١١٣ - ١١٤) .

(5) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (١ / ٣١٢) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۚ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ۗ

وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾

#### ٤١ - الخلاف في المراد بالمعروشات وغير المعروشات.

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « ﴿ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ ﴾ : مَرْفُوعَاتٍ عَلَى دَعَائِمٍ وَشَبَّهَهَا . ﴿ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ ﴾ : مَتْرُوكَاتٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ . وَقِيلَ : الْمَعْرُوشَاتُ : مَا غَرَسَهُ النَّاسُ فِي الْعِمْرَانِ . وَغَيْرَ الْمَعْرُوشَاتُ : مَا أَنْبَتَهُ اللَّهُ فِي الْجِبَالِ وَالْبَرَارِيِّ »<sup>(١)</sup>.

#### العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابْنُ جُزَيِّ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْمَعْرُوشَاتِ : مَا كَانَ مَرْفُوعًا عَلَى دَعَائِمٍ وَشَبَّهَهَا كَالْكَرْمِ وَنَحْوِهِ ، وَغَيْرَ الْمَعْرُوشَاتِ : مَا كَانَ مَتْرُوكًا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ كَالزَّرْعِ وَمَا قَامَ عَلَى سَاقِهِ . وَوَافِقٌ فِي تَرْجِيحِهِ تَفْسِيرَ الْمَعْرُوشَاتِ بِالْمَرْفُوعَاتِ عَلَى دَعَائِمٍ مَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ : « الْمَعْرُوشَاتُ : مَا عَرَّشَ النَّاسُ ، وَغَيْرَ الْمَعْرُوشَاتِ : مَا خَرَجَ فِي الْجِبَالِ وَالْبَرِّيَّةِ مِنَ الثَّمَرَاتِ »<sup>(٢)</sup>.

وَبِالتَّأَمُّلِ فِي هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ يَلْحَظُ أَنَّ الْخِلَافَ إِنَّمَا هُوَ فِي تَفْسِيرِ " الْمَعْرُوشَاتِ " ، وَأَمَّا " غَيْرَ الْمَعْرُوشَاتِ " فَلَا يَظْهَرُ فَرْقٌ بَيْنَ تَفْسِيرِهَا بِالْمَتْرُوكَاتِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ وَتَفْسِيرِهَا بِمَا أَنْبَتَهُ اللَّهُ فِي الْجِبَالِ وَالْبَرَارِيِّ ، خِلَافًا لِمَا صَوَّرَهُ ابْنُ جُزَيِّ .

قال الطبري: « ﴿ مَعْرُوشَاتٍ ﴾ : وَهِيَ مَا عَرَّشَ النَّاسُ مِنَ الْكَرُومِ ﴿ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ ﴾ : غَيْرَ مَرْفُوعَاتٍ مَبْنِيَّاتٍ ، لَا يَنْبَتُهُ النَّاسُ وَلَا يَرْفَعُونَهُ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُهُ وَيُنْبِتُهُ

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٣) .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٥٩٣) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور

(٣/ ٣٦٧) نسبته إلى ابن المنذر .

و يُنمِّيهِ»<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا التفسير جماهير المفسرين ومنهم : مقاتل، والسمرقندي، والواحدي، والسمعاني، والبيغوي، والزمخشري، وابن الجوزي، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، والخازن، وأبوحيان، وابن التركماني، والبقاعي، وأبوالسعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والقاسمي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي، والطاهر بن عاشور<sup>(٢)</sup>.

ويدل لهذا القول أن مادة "عَرَشٌ" تدلُّ على الرفع ، ومنها : عَرَشَ الْمَلِكُ<sup>(٣)</sup> . وَسُمِّيَ السَّرِيرَ عَرَشًا ؛ لارتفاعه . ومنه : قوله تعالى : ﴿ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾ [ البقرة : ٢٥٩ ، الكهف : ٤٢ ، الحج : ٤٥ ] أي : على أعاليها وما ارتفع منها<sup>(٤)</sup>.

قال الطاهر بن عاشور : « يقال : عَرَّشَ الْكَرْمَةَ ، إذا رفعها على أعمدة ليكون نماؤها في ارتفاع لا على وجه الأرض ؛ لأن ذلك أجود لعينها إذ لم يكن مُلْقَى على وجه الأرض . وعَرَّشَ فِعْلٌ مشتق من العَرَّش وهو السقف . ويقال للأعمدة التي ترفع فوقها أغصان الشجر فتصير كالسقف يَسْتَظِلُّ تحته الجالس : العَرِيشُ . ومنه ما يذكر في السيرة : العريش الذي جعل للنبي ﷺ يوم بدر »<sup>(٥)</sup>.

وقال أبوحيان : « والظاهر أن المعروش ما جعل له عَرَّشٌ كَرَمًا كان أو غيره، وغير

(1) جامع البيان (٩/ ٥٩٣) .

(2) ينظر : تفسير مقاتل (١/ ٥٩٣)، وبحر العلوم (١/ ٥١٨)، والوجيز (١/ ٣٧٨) والوسيط (٢/ ٣٢٩)، وتفسير القرآن (٢/ ١٤٩)، ومعالم التنزيل (٢/ ٧٠)، والكشاف (٢/ ٤٠٤)، وتذكرة الأريب (١/ ١٧٠)، والجامع لأحكام القرآن (٩/ ٥٠)، وأنوار التنزيل (١/ ٣٢٤)، ومدارك التنزيل (٢/ ٣٦)، ولباب التأويل (٢/ ٥٨)، والبحر المحيظ (٤/ ٢٣٦)، وبهجة الأريب (١/ ٢٠٩)، ونظم الدرر (٧/ ٢٨٩)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢١٢)، وفتح القدير (٢/ ٢٣٦)، وروح المعاني (٨/ ٣٧)، وفتح البيان (٤/ ٢٥٣)، ومحاسن التأويل (٦/ ٢٥٢٤)، وتفسير القرآن الحكيم (٨/ ١٢٥)، وتفسير المراغي (٨/ ٤٩)، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ٧٦)، والتحرير والتنوير (٨/ ١١٨) .

(3) ينظر : تفسير القرآن الحكيم للسيد رشيد رضا (٨/ ١٢٥) .

(4) ينظر : النكت والعيون للماوردي (٢/ ١٧٨) .

(5) التحرير والتنوير (٨/ ١١٨) .

المعروش ما لم يجعل له ذلك»<sup>(١)</sup>.

وأما القول الآخر في تفسير المعروشات بما غرسه الناس في العمران ، وتفسير غير المعروشات بما أنبته الله في الجبال والبراري ، فقد سبق ذكر قول ابن عباس في تفسير غير المعروشات ، وأنه لا فرق — فيما يظهر — بينه وبين تفسيرها بالمتروكات على وجه الأرض.

وأما تفسير المعروشات بما غرسه الناس في العمران، فلم أر من اختاره ورجّحه من المفسرين بل ذكره الزمخشري ، والبيضاوي ، والحازن ، والقمي ، وأبو السعود ، والشوكاني، والقنوجي بصيغة ( قيل )<sup>(٢)</sup>. ووافقهم ابن جزيّ على هذا .

واستدلّ له بقراءة علي بن أبي طالب : مَعْرُوسَاتٍ وَغَيْرِ مَعْرُوسَاتٍ بِالغَيْنِ المعجمة والسين المهملة<sup>(٣)</sup>. وهذه قراءة شاذة .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن ما رجّحه ابن جزيّ ومن وافقه هو القول الصحيح ، ويندرج فيه تفسير غير المعروشات بما أنبته الله في الجبال والبراري وهو ما تركه الناس على وجه الأرض ولم يرفعه . وعليه عامة المفسرين ، والله تعالى أعلم .

(1) البحر المحيط (٤/ ٢٣٦) .

(2) ينظر : الكشف (٢/ ٤٠٤) ، وأنوار التنزيل (١/ ٣٢٤) ، ولباب التأويل (٢/ ٥٨) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ١٧٧) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢١٢) ، وفتح القدير (٢/ ٢٣٦) ، وفتح البيان (٤/ ٢٥٣) .

(3) ذكرها القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٥٠) . قال محققوا الجامع : لم نقف على هذه القراءة .

قَالَ تَعَالَى:

﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشٌ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ

وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾

#### ٤٢ - الخلاف في المراد بالحمولة والفرش .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « والحمولة : الكبار ، والفرش : الصغار ؛ كالعجاجيل والفصلان . وقيل : الحمولة : الإبل ؛ لأنها يحمل عليها ، والفرش : الغنم ؛ لأنها تُفْرَشُ للذبح ، ويفرش ما ينسج من صوفها »<sup>(١)</sup> .

#### العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيِّ أن الحمولة هي الكبار ، وتشمل : الإبل والبقر عند بعض الناس<sup>(٢)</sup> ، وأن الفرش هي الصغار من ذلك كالعجاجيل ؛ صغار البقر ، والفصلان ؛ صغار الإبل . وعلى هذا القول فإن الغنم لا تدخل في الحمولة والفرش . ووافق ما رُوِيَ عن ابن مسعود<sup>(٣)</sup> ، وابن عباس<sup>(٤)</sup> ،

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٣) .

(٢) قال أبوحيان في البحر المحيط (٤/ ٢٣٤) : «وأدخل بعضهم فيها البقر إذ من عادة بعض الناس الحمل عليها ..» وينظر : النكت والعيون للماوردي (٢/ ١٧٩) ، والعذب النمير للشنقيطي (٢/ ٧١٥) .

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٦١٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٠٠) رقم (٧٩٧٠ ، ٧٩٧٤) ، والطبراني في المعجم الكبير رقم (٩٠١٨) ، والحاكم وصححه (٢/ ٣١٧) من طريق سفيان ، عن أبي الأحوص ، عنه قال : (الحمولة ما حمل عليه من الإبل ، والفرش صغار الإبل التي لا تحمل) . وأخرج الطبري (٩/ ٦١٩) ، (٦٢٠) ، وأبو عبيد في الأموال (٩٦٩) وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٠٠) رقم (٧٩٧١) — مقتصرًا على الحمولة فقط — من طرق عن أبي إسحاق ، عنه قال : « الحمولة الكبار ، والفرش الصغار » . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٧٠) نسبه إلى الفريابي ، وعبد بن حميد ، وأبي عبيد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٦١٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٠١) رقم (٧٩٧٥) عنه قال : «الحمولة الكبار من الإبل ، والفرش الصغار من الإبل». وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٧٠) نسبه إلى عبد بن حميد ، وأبي الشيخ . وأخرج الطبري (٩/ ٦٢٠) من طريق العوفي ، عنه قال : « الحمولة ما حمل من الإبل ، والفرش صغار الإبل ، الفصيل وما دون ذلك مما لا يحمل » .

ومجاهد<sup>(١)</sup>، والحسن<sup>(٢)</sup>.

ووافقه في هذا الترجيح الفراء، وأبو عبيدة، وابن قتيبة، والطبري، والزجاج، والنحاس، وغلّام ثعلب، ومكي، والبغوي، ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي، والخازن، وتاج الدين اليماني، والسّمين الحلبي، والسيوطي، والمراغي، والسعدي<sup>(٣)</sup>.

وأدخل بعض المفسرين في الفرش الغنم أيضاً منهم : السمرقندي، والواحدي، وابن عطية، والثعالبي<sup>(٤)</sup>.

وذكر هذا القول الزمخشري، والبيضاوي، والقمي، وابن التركماني، وأبو السعود بصيغة (قيل)<sup>(٥)</sup>.

قال الطبري : « والحمولة : ما حُمِلَ عليه من الإبل وغيرها ، والفرش : صغار الإبل

(1) أخرجه الطبري في جامع البيان (٦١٩ / ٩) من طرق عنه قال : « الحمولة ما حمل من الإبل ، والفرش : ما لم يَحْمِل ، صغار الإبل ».

(2) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢١٩ / ٢)، والطبري في جامع البيان (٦٢٠ / ٩) من طريق معمر ، عن قتادة ، عن الحسن قال : الحمولة ما حمل عليها ، والفرش حواشيها يعني صغارها . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٠١ / ٥) عقب أثر ابن عباس رقم (٧٩٧٥) . وأخرجه الطبري في جامع البيان (٦٢٠ / ٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤٠٠ / ٥) رقم (٧٩٧٣) من طريق سليمان التيمي ، والربيع ، عنه قال : (الحمولة من الإبل والبقر).

(3) ينظر : معاني القرآن (١ / ٣٥٩) ، ومجاز القرآن (١ / ٢٠٧) ، وتأويل مشكل القرآن (٣٣٩) ، وجامع البيان (٩ / ٦١٨) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢ / ٢٩٨) ، ومعاني القرآن الكريم (٢ / ٥٠٤) ، وياقوتة الصراط (٢٢٥) ، وتفسير المشكل (١٦٧) ، ومعالم التنزيل (٢ / ٧٢) ، وإيجاز البيان (١ / ٢٥٧) ، وتذكرة الأريب (١ / ١٧٠) ، ولباب التأويل (٢ / ٥٩) ، والترجمان عن غريب القرآن (٤٦ ، ٤٧) ، والدر المصون (٥ / ١٩٠) — وقال : هذا هو المشهور في اللغة — وتفسير الجلالين (الفتوحات ٢ / ٤٧٧) ، وتفسير المراغي (٨ / ٥٣) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢ / ٧٧) .

(4) ينظر : بحر العلوم (١ / ٥١٩) ، والوجيز (١ / ٣٧٩) والوسيط (٢ / ٣٣٠) ، والمحرر الوجيز (٥ / ٣٧٢) — وقال : « والحمولة : ما تحمل الأثقال من الإبل والبقر عند من عادته أن يحمل عليها ... والفرش : ما لا يحمل ثقلاً كالغنم وصغار البقر والإبل ، هذا هو المروي عن ابن مسعود ... » — والجواهر الحسان (١ / ٥١٨) .

(5) ينظر : الكشاف (٢ / ٤٠٥) ، وأنوار التنزيل (١ / ٣٢٥) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣ / ١٧٩) ، وبهجة الأريب (١ / ٢١٠) ، وإرشاد العقل السليم (٢ / ٢١٣) .

التي لم تدرك أن يحمل عليها»<sup>(١)</sup>.

وقال الزجاج : « الحمولة : الإبل التي تحمل . وأجمع أهل اللغة على أن الفرش صغارها »<sup>(٢)</sup>.

وقال النحاس : « وهذا المعروف عند أكثر أهل اللغة »<sup>(٣)</sup>.

فالحمولة : ما يحمل عليه المتاع أو الناس . يقال : حمل المتاع وحمل فلاناً .

ومنه قوله تعالى : ﴿ إِذَا مَا اتَّوَكَّ لِتَحْمِلَهُمْ ﴾<sup>(٤)</sup> [ التوبة : ٩٢ ] .

والحمولة : ما يحمل عليه الأثقال ويسافر عليها كما قال تعالى : ﴿ وَتَحْمِلُ

أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ ﴾ [ النحل : ٧ ] . وقال سبحانه : ﴿ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴾<sup>(٥)</sup> [ يس ] .

وعلى هذا فالحمولة من الأنعام هي : كبار الإبل التي يحمل عليها ، والبقر في بعض البلاد .

والفرش : مأخوذ من افتراش الأرض بها على الاستواء .

قال ابن بحر : « الافتراش : الإضجاع للنحر ، فتكون الحمولة كبارها ، والفرش صغارها ، قال الراجز :

أُورَثِي حَمُولَةً وَفَرَشًا      أَمْشُهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مَشًّا

أي : أمسحها »<sup>(٦)</sup>.

(1) جامع البيان (٩/ ٦١٨) .

(2) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩٨) .

(3) معاني القرآن الكريم (٢/ ٥٠٤) .

(4) ينظر : التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٨/ ١٢٥) .

(5) ينظر : العذب النمير للشنقيطي (٢/ ٧١٥) .

(6) ينظر : النكت والعيون للماوردي (٢/ ١٧٩) .

وأما القول الآخر في تفسير الحمولة بالإبل ، والفرش بالغنم ، فرُوي عن الضحاك<sup>(١)</sup> ، وابن زيد<sup>(٢)</sup> واستحسنه ابن كثير واستشهد عليه بآيات قرآنية كما سيأتي .

ويادخال البقر مع الإبل في الحمولة رُويَ عن أبي العالية<sup>(٣)</sup> ، وقتادة<sup>(٤)</sup> ، والربيع بن أنس<sup>(٥)</sup> .

وبالاقتصار على تفسير الفرش بالغنم رُويَ عن الحسن<sup>(٦)</sup> .

وعلى هذا القول مقاتل ، وابن أبي زمنين ، وابن التركماني ، والبقاعي ، وأبو السعود<sup>(٧)</sup> .

وذهب الزمخشري إلى أن الحمولة : ما يحمل الأثقال ، والفرش : ما يفرش للذبح أو ينسج من وبره وصفوفه وشعره<sup>(٨)</sup> . وتبعه البيضاوي ، والقمي ، والقاسمي<sup>(٩)</sup> .

وذكره السمين الحلبي ، والشوكاني ، والقنوجي بصيغة ( قيل )<sup>(١٠)</sup> ، ووافقهم ابن جزيّ في هذا .

ويذهب الشوكاني إلى أن الحمولة : ما يحمل عليها وهو يختص بالإبل ، والفرش ما

- 
- (1) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٦٢٢) من طريق عبيد بن سليمان ، عنه .. وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٤٠١) عقب الأثر (٧٩٧٦) بتفسير الفرش فقط .
  - (2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٩ / ٦٢٢) عن يونس ، عن ابن وهب ، عنه .
  - (3) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٤٠١) عقب الأثر (٧٩٧٦) بتفسير الفرش فقط بالغنم . ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٣٧٠) إلى عبد بن حميد بلفظ : (الحمولة : الإبل والبقر ، والفرش : الضأن والمعز) .
  - (4) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢ / ٢٢٠) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٩ / ٦٢١) من طريق معمر ، عنه . وأخرجه الطبري من طريق سعيد ، عنه .
  - (5) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٦٢١) . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٤٠١) عقب الأثر (٧٩٧٦) مقتصرًا على تفسير الفرش بالغنم .
  - (6) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٦٢٢) من طريق أبي بكر الهذلي ، عنه . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٤٠١) عقب الأثر (٧٩٧٦) .
  - (7) ينظر : تفسير مقاتل (١ / ٥٩٣) ، وتفسير القرآن العزيز (٢ / ١٠٢) ، وبهجة الأريب (١ / ٢١٠) ، ونظم الدرر (٧ / ٢٩٣) ، وإرشاد العقل السليم (٢ / ٢١٣) .
  - (8) ينظر : الكشف (٢ / ٤٠٥) .
  - (9) ينظر : أنوار التنزيل (١ / ٣٢٥) ، وغرائب القرآن ورفائب الفرقان (٣ / ١٧٩) ، ومحاسن التأويل (٦ / ٢٥٢٩) .
  - (10) ينظر : الدر المنثور (٥ / ١٩١) ، وفتح القدير (٢ / ٢٣٧) ، وفتح البيان (٤ / ٢٥٧) .

يتخذ من الوبر والصوف والشعر فراشاً يفرشه الناس<sup>(١)</sup>. وتبعه القنوجي<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير : « وهذا الذي قاله عبد الرحمن بن زيد في تفسير الآية حسن ، ويشهد له قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴾<sup>(٧١)</sup> ، وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴾<sup>(٧٢)</sup> [يس] ، وقوله : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُنْقِضُوا بِطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ قَرْيَةٍ وَدَمِيرٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّرِيبِينَ ﴾<sup>(٦٦)</sup> إلى أن قال : ﴿ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأُوبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئْتًا إِلَى حِينٍ ﴾<sup>(٨٠)</sup> [النحل : ٦٦ - ٨٠] ، وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾<sup>(٧٨)</sup> وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبَلَّغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾<sup>(٨٠)</sup> [غافر] .

وعُلِّلَ هذا القول بأن الحمولة ما يحمل عليها ، فاشتقاقها من الحمل ، وأن الفرش ما يفرش للذبح وما ينسج من الصوف .

قال الماوردي : « ومنه قول ابن مسلمة :

وحوينا الفرش من أنعامكم والحمولات وربات الحجل<sup>(٤)</sup> .

ويدل لهذا القول قوله تعالى : ﴿ ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ﴾ [الأنعام : ١٤٣] وقوله : ﴿ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ ﴾ [الأنعام : ١٤٤] .

فلما جاء هذا بدلاً من قوله : ﴿ حَمُولَةً وَفَرْشًا ﴾ جعله للبقرة والغنم مع الإبل . قاله الزجاج<sup>(٥)</sup> . وقال : « وإن البقر والغنم من الفرش » .

وقال النحاس : « واستشهد لصاحب هذا القول بقوله : ﴿ ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ ﴾ قال :

- (1) ينظر : فتح القدير (٢/ ٢٣٧) .
- (2) ينظر : فتح البيان (٤/ ٢٥٧) .
- (3) تفسير القرآن العظيم (٦/ ١٩٢) .
- (4) النكت والعيون (٢/ ١٧٩) .
- (5) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩٨) .

فثمانية بدل من قوله: ﴿حَمُولَةٌ وَفَرَشًا﴾<sup>(١)</sup>.

وروي عن ابن عباس أنه قال: «الحمولة: الإبل والخيل والبغال والحمير وكل شيء يحمل عليه، والفرش: الغنم»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن جرير الطبري: «والصواب من القول في ذلك عندي: أن يقال: إن الحمولة هي ما يحمل من الأنعام؛ لأن ذلك من صفتها إذا حملت، لا أنه اسم لها كالإبل والخيل والبغال، فإذا كانت إنما سميت حمولة لأنها تحمل، فالواجب أن يكون كل ما حمل على ظهره من الأنعام فحمولة، وهي جمع لا واحد لها من لفظها، كالركوبة والجزورة، وكذلك الفرش إنما هو صفة لما لطف فقرّب من الأرض جسمه، ويقال له: الفرش. وأحسبها سميت بذلك تمثيلاً لها في استواء أسنانها ولطفها بالفرش من الأرض، وهي الأرض المستوية التي يتوطئها الناس»<sup>(٣)</sup>.

فيفهم من كلام الطبري هذا أن الخيل والبغال تدخل في الحمولة، وأخذه من تفسير ابن عباس، وهذا لا مدخل له في الآية.

قال ابن عطية معلقاً على قول ابن عباس: «وهذا منه تفسير لنفس اللفظة لا من حيث هي في هذه الآية، ولا مدخل في الآية لغير الأنعام»<sup>(٤)</sup>.

وقال الشنقيطي عن قول ابن عباس: «إنه قول لا يصح؛ لأن الأنعام لا تطلق إلا على الإبل والبقر ونوعي الغنم، فلا تطلق على الخيل ولا على البغال»<sup>(٥)</sup>.

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الصواب هو تفسير الحمولة بالإبل الكبار لأنها يحمل عليها، ويدخل فيها البقر عند من يحمل عليها، وتفسير الفرش بصغار الإبل والبقر والغنم.

(1) معاني القرآن الكريم (٢/ ٥٠٤).

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٦٢١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٠٠، ١٤٠١) رقم (٧٩٧٢، ٧٩٧٦) من طريق علي بن أبي طلحة، عنه. وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٧٠) نسبتاً إلى ابن المنذر.

(3) جامع البيان (٩/ ٦٢٢).

(4) المحرر الوجيز (٥/ ٣٧٣).

(5) العذب النمير (٢/ ٧١٥).

يقول الشنقيطي : « الحمولة : ما يحمل عليه الأثقال ويسافر عليها ، كالإبل والبقر في بعض البلاد . والفرش : فيه أقوال متقاربة للعلماء . والتحقيق : أن الآية تشمل كل ذلك فيدخل في الفرش : الغنم وفصال الإبل ، وعجاجيل البقر ؛ لأن ولد البقرة يقال له : عجل ويجمع على عجاجيل على غير قياس »<sup>(١)</sup>.

ولما ذكر الطاهر بن عاشور المعاني في كلمة " الفرش " وهي :

— ما لا يطبق الحمل من الإبل أي : فهو يركب كما يُفرش الفرش<sup>(٢)</sup>.

— ما يذبح ؛ لأنه يفرش على الأرض حين الذبح أو بعده . أي : فهو الضأن والمعز والبقر ؛ لأنها تذبح .

— ما ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش كما قال تعالى : ﴿ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأُوبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئْتًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [النحل] ، وقال : ﴿ وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [النحل : ٥-٧] ، ولأنهم كانوا يفترشون جلود الغنم والمعز للجلوس عليها .

قال بعد ذلك : « ولفظ ﴿ وَفَرَشًا ﴾ صالح لهذه المعاني كلها ، ومحامله كلها مناسبة للمقام فينبغي أن تكون مقصودة من الآية ، وكأن لفظ " الفرش " لا يوازنه غيره في جمع هذه المعاني ، وهذا من إعجاز القرآن من جانب فصاحته . فالحمولة الإبل خاصة ، والفرش يكون من الإبل والبقر والغنم على اختلاف معاني اسم الفرش الصالحة لكل نوع مع ضميمته إلى كلمة " ﴿ وَفَرَشًا ﴾ الصالحة للابتداء »<sup>(٣)</sup>.

فإذا كان ذلك كذلك فإن الجمع بين القولين هو الصواب ؛ لأن لفظ " الحمولة " مأخوذ من الحمل ، فكل ما يحمل عليه من الأنعام يدخل فيه ؛ كالإبل — والبقر عند بعض — وكذا لفظ " الفرش " صالح للمعاني التي قيلت فيه، فيشمل صغار الإبل والبقر، كما يشمل

(1) العذب النمير (٢/ ٧١٥) بتصرف يسير .

(2) نسبه للراغب .

(3) التحرير والتنوير (٨/ ١٢٥) .

الغنم بنوعيه المعز والضأن .

قال السيد محمد رشيد رضا جامعاً بين القولين في تفسير الحمولة والفرش : « وهي ما يَحْمَلُ عليه الناسُ الأثقالَ من الإبل والبقر وهو كبارها ، وفرشاً : وهو ما يفرش للذبح من الضأن والمعز وكذا صغار الإبل والبقر أو ما يتخذ الفرش من صوفه ووبره وشعره »<sup>(١)</sup> .  
ويؤيده أن الجمع بين القولين أولى من إهمال وإطراح أحدهما، سيما وأن اللفظ صالح للجميع ، والله تعالى أعلم .

(1) تفسير القرآن الحكيم (٨ / ١٣٢) . وتبعه تلميذه المراغي في تفسيره (٨ / ٤٩ — ٥٠) وفي (٨ / ٥٣) اختار القول الأول ! .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾

في هذه الآية الكريمة ثلاث مسائل :

المسألة الأولى هي :

٤٣ - الخلاف في معنى الْحَوَايَا .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « هي المباعر . وقيل : المصارين والحشوة ونحوهما مما يتحوَّى في البطن »<sup>(١)</sup>.

العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيِّ أن الحوايا هي المباعر ، واحدها : مَبْعَر — بفتح الميم وكسرهما — وهو حيث يجتمع البعر من الأمعاء . ووافق في هذا الترجيح ما رُوِيَ عن ابن عباس<sup>(٢)</sup> ، ومجاهد<sup>(٣)</sup> ، وسعيد بن جبير<sup>(٤)</sup> ، وقتادة<sup>(٥)</sup> ، والضحاك<sup>(٦)</sup> ، والسدي<sup>(٧)</sup> ،

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٢٤) .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٦٤٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٤١٠) رقم (٨٠٣٧) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه . وأخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٦٤٥) من طريق عطية العوفي ، عنه .

(3) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٦٤٤) من طريق عيسى وشبل ، عنه . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٤١١) عقب (٨٠٣٧) .

(4) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٦٤٥) من طريق شريك ، عن عطاء ، عنه . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٤١١) عقب (٨٠٣٧) .

(5) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٦٤٥) من طريق سعيد ومعمر ، عنه . وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢ / ٢٢١) عن معمر عنه . بلفظ ( البقر ) وهو خطأ مطبعي . والصواب ( البعر أو المبعر ) .

(6) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٦٤٥) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٤١١) رقم (٨٠٣٨) من طريق أبي أسامة — زاد الطبري : والحارب — كلاهما ، عن جوير ، عنه . لفظ الطبري : ( المبعر ) . وعند ابن أبي حاتم :

( المباعر والمرابط ) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٣٧٩) نسبه إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر .

(7) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٦٤٥) من طريق أحمد بن المفضل ، عن أسباط ، عنه . وذكره ابن أبي حاتم

وابن زيد<sup>(١)</sup>، ومقاتل بن حيان ، وعطاء الخراساني<sup>(٢)</sup>.

وإليه يذهب الفراء، والزجاج، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، ومكي، والواحدي، والسمعاني، والبيغوي، ومحمود النيسابوري، والقرطبي، والحازن، وعلاء الدين ابن التركماني، وابن كثير، والشوكاني، والقنوجي<sup>(٣)</sup>.

ونسبه لجمهور المفسرين الحازن، والقنوجي .

وأما القول بأنها المصارين والحشوة ونحوهما مما يتحوّى في البطن ، فهو قول مقاتل<sup>(٤)</sup>.

وعليه الزمخشري، وابن عطية، والبيضاوي، والنسفي، والقمي، وتاج الدين القرشي اليماني، والبقاعي، والسيوطي، والقاسمي<sup>(٥)</sup>.

واختار الطبري الجمع بين القولين فقال : « ما تحوّى من البطن فاجتمع واستدار ، وهي نبات اللبن<sup>(٦)</sup>، وهي المباعر ، وتسمّى المرائب ، وفيها الأمعاء »<sup>(٧)</sup>.

وعليه فكل ما تحوّى واستدار من المباعر والأمعاء ونحوهما في البطن فيقال له الحوايا.

في تفسيره (١٤١١ / ٥) عقب (٨٠٣٧) .

(1) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩ / ٦٤٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٤١١) رقم (٨٠٣٩) عنه قال : الحوايا المرائب التي تكون فيها الأمعاء ، تكون وسطها ، وهي نبات اللبن ، وهي في كلام العرب تدعى المرائب.

(2) ذكره عنهما ابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٤١١) عقب الأثر (٨٠٣٧) .

(3) ينظر : معاني القرآن (١ / ٣٦٣) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢ / ٣٠١) ، وبحر العلوم (١ / ٥٢١) ، وتفسير القرآن العزيز (٢ / ١٠٤) ، وتفسير المشكل (١٦٨) ، والوجيز (١ / ٣٨٠) والوسيط (٢ / ٣٣٣) ، وتفسير القرآن (٢ / ١٥٣) ، ومعالم التنزيل (٢ / ٧٥) ، وإيجاز البيان (١ / ٢٥٨) ، والجامع لأحكام القرآن (٩ / ٩٨) ، ولباب التأويل (٢ / ٦٢) ، وهجّة الأريب (٢١٠) ، وتفسير القرآن العظيم (٦ / ٢٠٠) ، وفتح القدير (٢ / ٢٤٣) ، وفتح البيان (٤ / ٢٦٧) .

(4) ينظر : تفسير مقاتل (١ / ٥٩٥) .

(5) ينظر : الكشاف (٢ / ٤٠٨) ، والحرر الوجيز (٥ / ٣٨٤) ، وأنوار التنزيل (١ / ٣٢٦) ، ومدارك التنزيل (٢ / ٣٨) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣ / ١٨١) ، والترجمان عن غريب القرآن (٤٦) ، ونظم الدرر (٧ / ٣٠٨) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٢ / ٤٨٥) ، ومحاسن التأويل (٦ / ٢٥٣٩) .

(6) نبات اللبن هي ما صغر من الأمعاء . ينظر : اللسان (بنو) .

(7) جامع البيان (٦٤٣ ، ٦٤٤) .

قال الشنقيطي : « والحوايا : تختلف فيها عبارات المفسرين بألفاظ متقاربة ، معناها راجع إلى شيء واحد . منهم من يقول : هي المباعر ، أي : المحالُّ التي يجتمع فيها البعر والزَّيل . ومنهم من يقول : هي بنات اللبن ، ويسمونها بأسماء . والتحقيق : أنهما كل ما كان مُدَوَّرًا في البطن مما يسمَّى : الدَّوَّارة ، والمصارين ، ومحلُّ البعر الذي يخرج منه . ما تعلَّق بذلك الجوف من الشحوم غير الثُّروب التي هي غشاء فوق الجوف ، كل ما تعلَّق بذلك فهو حلال لهم ... وإنما يحرم عليهم الثُّروب ، وهي الغشاء الذي فوق الكرش والأمعاء من الشحم، وشحم الكلى»<sup>(١)</sup>.

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الحوايا يراد بها كل ما تحوَّى في البطن واستدار ، فيدخل في ذلك : الأمعاء والمصارين والمباعر وما اتصل بها من خزائن اللبن . وهذا أجمع للقولين وهو أولى من أطراح أحدهما ، والله أعلم .

## المسألة الثانية هي :

### ٤٤ - الخلاف في مفرد ﴿الْحَوَايَا﴾ ووزنها .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « وواحد حوايا : حَوِيَّةٌ على وزن [فعيلة]<sup>(١)</sup> . فوزن حوايا على هذا فعائل كصحيفة وصحائف . وقيل : واحدها : حاوية على وزن فاعلة . فحوايا على هذا فواعل كضاربة وضوارب »<sup>(٢)</sup> .

### العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيِّ أن واحد حوايا : حَوِيَّةٌ على وزن فَعِيلَةٌ ، ووزن حوايا — على هذا — فعائل ، كصحيفة وصحائف<sup>(٣)</sup> . وقال به الجوهري<sup>(٤)</sup> . وعليه ابن عطية ، والبقاعي ، والطاهر بن عاشور<sup>(٥)</sup> .

وذكره الكرمانى ، وتاج الدين القرشي اليماني ، والشوكاني ، والقنوجي ، والشنقيطي بصيغة (قيل)<sup>(٦)</sup> .

وأما القول بأن واحد الحوايا : الحاوية ووزن الحوايا : فواعل فذهب إليه سيبويه<sup>(٧)</sup> . وقال به الأخفش<sup>(٨)</sup> . وعليه السمرقندي ، والكرمانى ، والباقولي ، ومحمود النيسابوري ، وأبوالمحسن القرشي اليماني ، والشوكاني ، والقنوجي ، والشنقيطي<sup>(٩)</sup> .

- (1) في المطبوع : فعلية ، والصواب ما أثبتته كما في النسخ المخطوطة .
- (2) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٢٤) .
- (3) وسفينة وسفائن ، ونظيرها في الْمُعْتَلِّ : مَطِيَّةٌ ومطابا . ينظر : البحر المحيط لأبي حيان (٤ / ٢٣٥) ، والدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٠٦) .
- (4) نقله عنه القمي في غرائب القرآن و رغائب الفرقان (٣ / ١٨١) .
- (5) ينظر : المحرر الوجيز (٥ / ٣٨٤) ، ونظم الدرر (٧ / ٣٠٨) ، والتحرير والتنوير (٨ / ١٤٢) .
- (6) ينظر : عجائب التفسير وغرائب التأويل (١ / ٣٩٠) ، والترجمان في غريب القرآن (٤٦) ، وفتح القدير (٢ / ٢٤٤) ، وفتح البيان (٤ / ٢٦٧) ، والعذب النмир (٢ / ٧٦٠) .
- (7) ذكره الكرمانى في عجائب التفسير وغرائب التأويل (١ / ٣٩٠) .
- (8) ينظر : معاني القرآن (١ / ٢٩٠) .
- (9) ينظر : بحر العلوم (١ / ٥٢١) وعجائب التفسير (١ / ٣٩٠) وكشف المشكلات (١ / ٤٥٧) وإيجاز البيان (١ / ٢٥٩، ٢٥٨) والترجمان (٤٦) وفتح القدير (٢ / ٢٤٤) وفتح البيان (٤ / ٢٦٧) والعذب النмир (٢ / ٧٦٠) .

وذكره ابن عطية ، والبقاعي بصيغة ( قيل )<sup>(١)</sup>.

وقال الأصمعي : « واحدها : حاوية ، وحاوية ، وحاوية »<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا ابن جرير الطبري ، والزجاج ، والواحدي ، والعكبري ، وابن التركماني ، والبيضاوي<sup>(٣)</sup>.

وفي الصحاح للجوهري : وحاوية البطن ، وحاوية البطن ، وحاوية البطن ، كله بمعنى<sup>(٤)</sup>.

وجمع بين القولين ابن الأعرابي فقال : «هي الحوية أو الحاوية ، وهي الدائرة التي في بطن الشاة»<sup>(٥)</sup>.

وقال الكسائي : « واحدهما : حاوية وحاوية »<sup>(٦)</sup>.

وعلى هذا غلام ثعلب ، والبغوي ، والرازي ، والخازن<sup>(٧)</sup>.

واستشهد لهذا بقول الشاعر :

أقتلهم ولا أرى معاوية الجاحظ العين العظيم الحاوية<sup>(٨)</sup>.

قال السمين الحلبي : « وقد جوز الفارسي أن يكون جمعاً لكل واحد من الثلاثة . يعني

أنه صالح لذلك . وقال ابن الأعرابي : هي الحوية والحاوية ولم يذكر الحاوية »<sup>(٩)</sup>.

(1) ينظر : المحرر الوجيز (٥ / ٣٨٤) ، ونظم الدرر (٧ / ٣٠٨) .

(2) ينظر : زاد المسير (٣ / ١٤٣) .

(3) ينظر : جامع البيان (٩ / ٦٤٣) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢ / ٣٠١) ، والوسيط (٢ / ٣٣٣) ، والتبيان في إعراب القرآن (١ / ٥٤٦) — لكن سوى بينها بأو — ، ومهجة الأريب (٢١٠) ، وأنوار التنزيل (١ / ٣٢٦) لكن سوى بينها بأو .

(4) (٦ / ٣٢٢) .

(5) ينظر : مفاتيح الغيب للرازي (٥ / ١٧٢) ، والدر المصون للسمين (٥ / ٢٠٦) .

(6) ينظر : معاني القرآن الكريم للنحاس (٢ / ٥١١) .

(7) ينظر : ياقوتة الصراط (٢٢٦) ، ومعالم التنزيل (٢ / ٧٥) ، ومفاتيح الغيب (٥ / ١٧٢) ، ولباب التأويل (٢ / ٦٢) .

(8) ينظر : اللسان ، (حوي) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٣ / ١٤٣) .

(9) الدر المصون (٥ / ٢٠٦ ، ٢٠٧) .

قال النحاس : « وحكى سيبويه : الحاوياء »<sup>(١)</sup>.

وقال السمين : « وذكر ابن السكيت الثلاثة فقال : يقال : حاوية وحاويا مثل زاوية وزوايا ، وراوية وروايا . ومنهم من يقول : حوية وحاويا مثل الحاوية التي توضع على ظهر البعير ويركب فوقها . ومنهم من يقول لواحدتها : حاوياء . وأنشد قول جرير :

تضغو الحنانيص والغول التي أكلت      في حاوياء رُدُوم الليل مجعار<sup>(٢)</sup>

وأنشد أبو بكر الأنباري :

كأن نقيق الحب في حاويائه      فحيح الأفاعي أو نقيق العقارب<sup>(٣)</sup>

فإن كان مفردها حاوية فوزنها فواعل كضاربة وضوارب ، ونظيرها في المعتلّ : زاوية وزوايا وراوية وروايا ، والأصل : حاوي كضوارب فقلبت الواو التي هي عين الكلمة همزة؛ لأنها تالي حرفي لينٍ اكتنفا مَدَّة مَفَاعِلٍ ، فاستثقلت همزة مكسورة فقلبت ياءً فاستثقلت الكسرة على الياء فجعلت فتحة ، فتحرك حرف العلة وهو الياء التي هي لام الكلمة بعد فتحة فقلبت ألفاً فصارت حاويا . وإن شئت قلت : قلبت الواو همزة مفتوحة فتحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً ، فصارت همزة مفتوحة بين ألفين يشبهانها فقلبت الهمزة ياءً .

وكذلك إذا قلنا : إن مفردها (حاوياء) كان وزنها فواعل أيضاً كقاصعاء وقواصع وراهطاء ورواهط [ جحر اليربوع ] ، والأصل حاوي أيضاً ففعل به ما فعل فيما قبله .

وإن قلنا : إن مفردها (حاوية) فوزنها فعائل كطرائف ، والأصل حوائي فقلبت الهمزة ياءً مفتوحة ، وقلبت الياء التي هي لام الكلمة ألفاً فصار اللفظ (حاويا) أيضاً ، فاللفظ متحد والعمل مختلف<sup>(٤)</sup>.

(1) معاني القرآن الكريم (٢ / ٥١١) .

(2) البيت في ديوانه (٣١٣) . وتضغو : تصيح وتصوت ، والحنانيص : صغار الخنازير ، ورُدُوم : الضروط ، ومجعار : السلوح . ينظر: اللسان (ضغا ٤٨٥/١٤ ، حنص ٣١/٧ ، ردم ٢٣٦/١٢) .

(3) نسبة الجوهري في الصحاح (٦ / ٣٢٢) إلى جرير . والبيت في شرح شواهد الشافية (٤٤٣) .

(4) الدر المنصور (٥ / ٢٠٦ ، ٢٠٧) .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن اللغة تشهد لصحة هذه الأقوال الثلاثة ، فيقال في مفرد  
الحوايا : حوية وحاوية وحاوياء ، على وزن فعيلة وفعائل ، وفاعلة وفواعل ، وفاعلاء  
وفواعل على الترتيب ، والله تعالى أعلم .

### المسألة الثالثة هي :

#### ٤٥ - عَلَامَ عَطَفْتَ الْحَوَايَا ؟ وما حكمها إذن ؟

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله : « وهو معطوف على ﴿ مَا ﴾ في قوله : ﴿ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا ﴾ فهو من المستثنى من التحريم . وقيل : عطف على الظهور . فالمعنى : إلا ما حملت الظهور أو حملت الحوايا . وقيل : عطف على الشحوم فهو من المحرّم »<sup>(١)</sup>.

#### العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيِّ أن الحوايا معطوف على الاسم الموصول : ﴿ مَا ﴾ في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا ﴾ ، فما حملت الظهور حلالٌ لهم وكذا ما عطف عليه ، فتكون الحوايا حلالاً لهم ومستثناة من التحريم .

وهذا مفهوم كلام مقاتل، والسمعاني<sup>(٢)</sup>. وعليه ابن عطية، والعكبري<sup>(٣)</sup>.

قال السمين : « وحكى ابن الأنباري عن أبي عبيد أنه قال : قلت للفراء : هو بمتزلة قول الشاعر:

لا يَسْمَعُ المرءُ فيها ما يؤنسه  
بالليل إلا نعيمَ البومِ والضُّوعَا

فقال لي : نعم ، يذهب إلى أن "الضُّوع" عطف على "النعيم" ولم يعطف على "البوم" كما عطفت الحوايا على "ما" ولم تعطف على "الظهور" «<sup>(٤)</sup>.

وقال الشهاب : « قال النحرير : الأنسب عطفها على ﴿ مَا حَمَلَتْ ﴾ بتقدير مضاف، أي : شحوم الحوايا «<sup>(٥)</sup>.

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٤) .

(2) ينظر : تفسير مقاتل (١/ ٥٩٥) ، وتفسير القرآن (٢/ ١٥٣) .

(3) ينظر : المحرر الوجيز (٥/ ٣٨٥) ، والتبيان (١/ ٥٤٦) .

(4) الدر المصون (٥/ ٢٠٥) . وسيأتي عن الفراء أنه يجوز القولين الأولين .

(5) حاشية الشهاب الخفاجي (٤/ ١٣٤) .

وذكر هذا القول النحاس ، والكرماني ، والباقولي بصيغة (قيل)<sup>(١)</sup>.

وقال السمين بعد نقله ما حكاه ابن الأنباري : « فمقتضى ما حكاه ابن الأنباري أن

تكون الحوايا عطفاً على ﴿ مَا ﴾ المستثناة ، وفي معنى ذلك قَلَقُ بَيْنَ »<sup>(٢)</sup>.

وأما القول الثاني وهو عطف الحوايا على الظهور ، والمعنى : إلا ما حملت الظهور أو حملت الحوايا ، فجوزّه الفراءُ وبدأ به فقال : « والحوايا في موضع رفع ، تردّها على الظهور : إلا ما حملت ظهورهما أو حملت الحوايا »<sup>(٣)</sup>. وإليه يذهب الكسائي<sup>(٤)</sup>.

وعلى هذا القول ابن جرير الطبري، والنحاس، والكرماني، والقرطبي، والنسفي، وأبو حيان، والسمين، وابن كثير، وأبو السعود، والشوكاني، والطاهر، والشنقيطي<sup>(٥)</sup>.

وهو مفهوم كلام الواحدي، والبغوي، وابن الجوزي، والزمخشري، والبيضاوي، والقنوجي، والقاسمي<sup>(٦)</sup>.

ومعنى هذا القول : أن ما حملت الحوايا من الشحوم فهو حلال لهم .

قال الطبري : « والصواب في ذلك من القول أن يقال : إن الله كان حرم على اليهود من البقر والغنم شحومهما إلا ما استثناه منها ، مما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط

(1) ينظر : معاني القرآن الكريم (٢ / ٥١٢) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (١ / ٣٩٠) ، وكشف المشكلات (١ / ٤٥٨) .

(2) الدر المصون (٥ / ٢٠٥) .

(3) معاني القرآن (١ / ٣٦٣) .

(4) نسبه له النحاس في معاني القرآن الكريم (٢ / ٥١٢) ، وابن عطية في المحرر الوجيز (٥ / ٣٨٥) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٤ / ٢٤٤) ، والسمين في الدر المصون (٥ / ٢٠٣) .

(5) ينظر : جامع البيان (٩ / ٦٤٤) ، وإعراب القرآن (٢ / ١٠٤) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (١ / ٣٩٠) ، والجامع لأحكام القرآن (٩ / ٩٨) ، ومدارك التنزيل (٢ / ٣٨) ، والبحر المحيط (٤ / ٢٤٤) ، والدر المصون (٥ / ٢٠٣) — وقال : وهذا هو الظاهر — ، وتفسير القرآن العظيم (٦ / ٢٠٠) ، وإرشاد العقل السليم (٢ / ٢١٦) ، وفتح القدير (٢ / ٢٤٣) ، والتحرير والتنوير (٨ / ١٤٢) — وقال : فالمقصود العطف على المباح لا على الحرم — ، والعذب النмир (٢ / ٧٥٩) .

(6) ينظر : الوسيط (٢ / ٣٣٣) ، ومعالم التنزيل (٢ / ٧٥) ، وتذكرة الأريب (١ / ١٧١) ، والكشاف (٢ / ٤٠٨) ، وأنوار التنزيل (١ / ٣٢٦) ، وفتح البيان (٤ / ٢٦٧) ، ومحاسن التأويل (٦ / ٢٥٣٩) .

بعظم، فكلُّ شحم سوى ما استثناه الله في كتابه من البقر والغنم ، فإنه كان محرماً عليهم»<sup>(١)</sup>.

ثم ذكر حديث النبي ﷺ : ( قاتل الله اليهود ، حرّمت عليهم الشحوم فجمّلوها ، ثم باعوها وأكلوا أثمانها )<sup>(٢)</sup>.

وقال أيضاً : « يقول تعالى ذكره : ومن البقر والغنم حرّمتنا على الذين هادوا شحومهما ، سوى ما حملت ظهورهما ، أو ما حملت حواياهما ، فإننا أحللنا ذلك لهم وإلا ما اختلط بعظم ، فهو لهم أيضاً حلال »<sup>(٣)</sup>.

واستدلّ لهذا القول بظاهر الآية الكريمة، كما قاله السمعاني<sup>(٤)</sup>.

وأما القول الثالث وهو عطف الحوايا على الشحوم ، فتكون الحوايا محرمة عليهم أيضاً، فنسبه ابن الجوزي إلى الزجاج كما فهمه من كلامه<sup>(٥)</sup>. واختاره الباقر<sup>(٦)</sup>.

قال السمين : « وإلى هذا ذهب جماعة قليلة »<sup>(٧)</sup>.

وضعّفه السمعاني، والشنقيطي<sup>(٨)</sup>.

(1) جامع البيان (٩ / ٦٤٢) .

(2) أخرجه البخاري في صحيحه ، برقم ( ٢٢٢٣ ، ٢٢٢٤ ، ٢٢٣٦ ، ٣٤٦٠ ، ٤٦٣٣ ) ، ومسلم في صحيحه برقم ( ١٥٨١ ، ١٥٨٢ ، ١٥٨٣ ) من حديث ابن عباس ، عن عمر بن الخطاب ، وحديث جابر بن عبد الله ، وحديث أبي هريرة ، كلهم عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم نحوه . وقوله : (جملوها) قال في النهاية : جمّلتُ الشحم وأجمّلتُهُ : إذا أذنته واستخرجت دهنه ، وجمّلت أفصح من أجمّلت . (١ / ٢٩٨) . وفي أحاديث تحريم الشحم على اليهود . ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦ / ٢٠١ — ٢٠٣) .

(3) جامع البيان (٩ / ٦٤٦) .

(4) ينظر : تفسير القرآن (٢ / ١٥٣) .

(5) ينظر : زاد المسير (٣ / ١٤٤) . وينظر كلام الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٢ / ٣٠١ ، ٣٠٢) ، ومفاتيح الغيب للرازي (٥ / ١٧٢) ، وغرائب القرآن و رغائب الفرقان للقمي (٣ / ١٨٢) .

(6) (١ / ٤٥٧) .

(7) الدر المصون (٥ / ٢٠٤) .

(8) ينظر : تفسير القرآن (٢ / ١٥٣) — ونسبه لبعضهم ولم يصحّحه بل صحح القول بأن الكل يدخل في الاستثناء — والعذب النسيم (٢ / ٧٦٠) وقال : وهذا القول ضعيف مرجوح .

واستغربه الكرمانى<sup>(١)</sup>. وذكره النحاس، والزمخشري، والعكبري، والقرطبي، والبيضاوي، والقمي، وأبو حيان، والشوكاني<sup>(٢)</sup> بصيغة (قيل).

يقول ابن عطية: « وهذا قول لا يعضده اللفظ ولا المعنى ، بل يدفعانه »<sup>(٣)</sup>.

ولم يبين دفع اللفظ والمعنى لهذا القول كما قال أبو حيان<sup>(٤)</sup>.

وقال الشوكاني: « وقيل: إن الحوايا وما اختلط بعظم معطوفة على الشحوم ».

قال الرازي: « **أَوْ الْحَوَايَا** معطوف على المستثنى منه ، ودخلت كلمة (أو)

كدخولها في قوله تعالى: **﴿ وَلَا تَطْعَمْنَهُمْ إِيَّامًا أَوْ كُفُورًا ﴾** [الإنسان]. والمعنى: كل هؤلاء أهل أن يُعَصَى ، فاعص هذا واعص هذا ، فكذا ههنا المعنى: حرمننا عليهم هذا وهذا إلا ما حملت ظهورهما فإنه غير محرم »<sup>(٥)</sup>.

والمعنى: حرمننا عليهم شحومهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم إلا ما حملت ظهورهما فإنه غير محرم. ولا وجه لهذا التكلف ولا موجب له؛ لأنه يكون المعنى: إن الله حرم عليهم إحدى هذه المذكورات<sup>(٦)</sup>.

وبعد، فإذا تقرر هذا فإنه لا يظهر فرق بين القول الأول والثاني؛ لأنه إذا أُحِلَّت الحوايا فإن الشحم الذي تحمله حلال كذلك، وإذا أُحِلَّ ما حملت الحوايا من الشحم فإن الحوايا حلال من باب أولى، والله أعلم.

ولعدم الفرق بينهما من حيث الحكم فقد نسب ابن الجوزي القول الأول إلى

(1) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٣٩١).

(2) ينظر: معاني القرآن الكريم (٢/ ٥١٢)، والكشاف (٢/ ٤٠٨)، والتبيان (١/ ٥٤٦)، والجامع لأحكام القرآن

(٩٨/٩)، وأنوار التنزيل (١/ ٣٢٦)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ١٨٢)، والبحر المحيط (٤/ ٢٤٥)،

وفتح القدير (٢/ ٢٤٤).

(3) المحرر الوجيز (٥/ ٣٨٥).

(4) البحر المحيط (٤/ ٢٤٥).

(5) مفاتيح الغيب (٥/ ١٧٢). وينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣٠١، ٣٠٢).

(6) فتح القدير (٢/ ٢٤٤).

الأكثرين<sup>(١)</sup>. فهما كالقول الواحد في الحكم وإن اختلفا في المحلّ الإعرابي . وإلى جواز الإعرابين ذهب الفراء<sup>(٢)</sup> .

وعليه، فإن القول الأول الذي رجّحه ابن جُزَيِّ والقول الثاني ، كلاهما هو القول الأوّل بالصواب .

وأما القول الثالث فهو ضعيف مرجوح، كما قاله الشوكاني، والشنقيطي ؛ لما فيه من التكلّف الذي لا حاجة إليه ، والله تعالى أعلم .

(١) ينظر : زاد المسير (٣/ ١٤٤) .

(٢) قال الفراء في معاني القرآن (١/ ٣٦٣) : والحوايا : في موضع رفع ، تردّها على الظهور ... والنصب على أن

تريد ( أو شحوم الحوايا ) فتحذف الشحوم وتكتفي بالحوايا كما قال : ﴿ وَسَأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف: ٨٢] يريد : واسأل أهل القرية .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا  
أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقْتُمْ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ  
وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾

٤٦- الخلاف في إعراب " أَنْ " و " لَا " من قوله : ﴿ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ .

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « قيل : أَنْ حرفُ عبارةٍ وتفسير ، فلا موضع لها من الإعراب ، و " لا " ناهية جزمت الفعل . وقيل : أَنْ مصدرية في موضع رفع تقديره : الأمرُ أَلَّا تُشْرِكُوا ، فـ " لا " على هذا نافية . وقيل : أَنْ في موضع نصب بدلا من قوله : ﴿ مَا حَرَّمَ ﴾ . ولا يصحُّ ذلك إلا إن كانت " لا " زائدة ، وإن لم تكن زائدة فسد المعنى ؛ لأن الذي حرم على ذلك يكون ترك الإشراك . والأحسن عندي : أن تكون " أَنْ " مصدرية في موضع نصب على البدل و " لا " نافية ، ولا يلزم ما ذكر من فساد المعنى ؛ لأن قوله : ﴿ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ ﴾ معناه : ما وصاكم به ربكم بدليل قوله في آخر الآية : ﴿ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ ﴾ فضمَّ التحريمَ معنى الوصية ، والوصيةُ في المعنى أعم من التحريم ؛ لأن الوصية تكون بتحريم وتحليل وبوجوب وندب ، ولا يُنكر أن يريد بالتحريم الوصية ؛ لأن العرب قد تذكر اللفظ الخاص وتريد به العموم كما تذكر اللفظ العام وتريد به الخصوص .

إذا تقرر هذا فتقدير الكلام : قل تعالوا أتل ما وصاكم به ربكم ثم أبدل منه على وجه التفسير له والبيان فقال : أن لا تشركوا به شيئا . أي : وصاكم أن لا تشركوا به شيئا ، ووصاكم بالإحسان بالوالدين ، ووصاكم أن لا تقتلوا أولادكم . فجمعت الوصيةُ ترك الإشراك وفعل الإحسان بالوالدين وما بعد ذلك .

ويؤيد هذا التأويل الذي تأولنا : أن الآيات اشتملت على أوامر كالإحسان بالوالدين وقول العدل والوفاء في الوزن ، وعلى نواهي كالإشراك وقتل النفس وأكل مال اليتيم ، فلا بد أن يكون اللفظ المقدم في أولها لفظاً يجمع الأوامر والنواهي ؛ لأنها أجملت فيه ثم فسرت بعد ذلك ، ويصلح لذلك لفظ الوصية ؛ لأنه جامع للأمر والنهي ، فلذلك جعلنا التحريم بمعنى

الوصية .

ويدل على ذلك : ذكر لفظ الوصية بعد ذلك . وإن لم يتأول على ما ذكرناه لزم في الآية إشكال وهو عطف الأوامر على النواهي ، وعطف النواهي على الأوامر ، فإن الأوامر طلب فعلها ، والنواهي طلب تركها ، وواو العطف تقتضي الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه ، ولا يصح ذلك إلا على الوجه الذي تأولناه من عموم الوصية للفعل والترك .

وتحتمل الآية عندي تأويلاً آخر ، وهو : أن يكون لفظ التحريم على ظاهره ، ويعم فعل المحرمات وترك الواجبات ؛ لأن ترك الواجبات حرام<sup>(١)</sup> .

### العرض والمناقشة :

ذكر ابن جزيّ ثلاثة أعراب في " أن " و " لا " من قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ <sup>ط</sup> إِلَّا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ ، وهي :

الإعراب الأول : " أن " تفسيرية لا محلّ لها من الإعراب ، و " لا " ناهية جازمة للفعل تُشْرِكُوا . وهذا الوجه هو اختيار الفراء، والزمخشري، والنسفي، وأبي حيان، والبيضاوي، والسيوطي، وأبي السعود، والشوكاني، والقنوجي، والسيد محمد رشيد رضا، والطاهر بن عاشور<sup>(٢)</sup> .  
ومال إليه السمين وقال : « وهذا وجه ظاهر<sup>(٣)</sup> » .

قال الشنقيطي : « وقال بعض العلماء : " أن " هنا تفسيرية . وهو التحقيق ، وهي مفسّرة لـ حَرَّمَ<sup>(٤)</sup> » .

وكون " أن " تفسيرية يدل له أن ﴿ أَتْلُ ﴾ فعل بمعنى القول ، وما بعد " أن " جملة

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٥) .

(2) ينظر : معاني القرآن (١/ ٣٦٤) — وينظر : الدر المصون للسمين (٥/ ٢١٣) — ، والكشاف (٢/ ٤١١) ، ومدارك التنزيل (٢/ ٤٠) ، والبحر المحيط (٤/ ٢٤٩) ، وأنوار التنزيل (١/ ٣٢٧) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢/ ٤٨٩) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢١٩) ، وفتح القدير (٢/ ٢٤٧) ، وفتح البيان (٤/ ٢٧٢) ، وتفسير القرآن الحكيم (٨/ ١٧٤) ، والتحرير والتنوير (٨/ ١٥٧) .

(3) الدر المصون (٥/ ٢١٣) .

(4) العذب النمير (٢/ ٨١٨) .

فاجتمع فيها شرطا التفسيرية وهما : أن يتقدمها معنى القول ، وأن يكون بعدها جملة . قاله أبو حيان<sup>(١)</sup> .

وأورد الزمخشري على هذا الإعراب إشكالا وهو : أنه إذا كانت " أن " تفسيرية لفعل التلاوة وهو معلق بقوله : ﴿ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ وجب أن يكون ما بعده منهياً عنه محرماً كله كالشرك وما بعده مما دخل عليه النهي . فما يصنع بالأوامر كإحسان بالوالدين ؟..

ثم أجاب عنه : بأن التحريم راجع إلى أضداد هذه الأوامر وهي الإساءة إلى الوالدين وبخس الكيل والميزان وترك العدل في القول ونكث عهد الله<sup>(٢)</sup> .

قال الفراء : « كقولك : أمرتك أن لا تذهب إلى زيد ، بالنصب والجزم » .

وقال السمين : « يعني : فعطف هذه الجملة الأمرية يقوي أن ما قبلها نهي ؛ ليتناسب طرفا الكلام »<sup>(٣)</sup> .

وقال أبو السعود : « الأمر بالشيء مستلزم للنهي عن ضده ، بل هو عينه عند البعض . كأن الأوامر ذكرت وقصد لوازمها ، فإن عطف الأوامر على النواهي الواقعة بعد "أن" المفسرة لتلاوة المحرمات مع القطع بأن المأمور به لا يكون محرماً دليل واضح على أن التحريم راجع إلى الأضداد على الوجه المذكور . فكأنه قيل : أتل ما حرم ربكم أن لا تشركوا ، ولا تسيئوا إلى الوالدين خلا أنه قد أخرج مخرج الأمر بالإحسان إليهما بين النهيين المكتنفين له؛ للمبالغة في إيجاب مراعاة حقوقهما ، فإن مجرد ترك الإساءة إليهما غير كاف في قضاء حقوقهما ، ولذلك عقب به النهي عن الإشراك الذي هو أعظم المحرمات وأكبر الكبائر ههنا وفي سائر المواقع »<sup>(٤)</sup> .

والإعراب الثاني : أن مصدرية في موضع رفعٍ تقديره : الأمرُ ألا تشركوا ، و "لا"

(1) البحر المحيط (٤/ ٢٥٠) .

(2) ينظر : الكشف (٢/ ٤١١) .

(3) الدر المصون (٥/ ٢١٤) . وهو ناقل لكلام الفراء .

(4) إرشاد العقل السليم (٢/ ٢١٩) .

قال الطبري : « وأما " أن " في قوله : ﴿ أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ فَرَفَعُ ؛ لأن معنى الكلام: قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ؛ هو ألا تشركوا به شيئاً . وإذا كان ذلك معناه، كان في قوله : ﴿ تُشْرِكُوا ﴾ وجهان :

= الجزم بالنهى ، وتوجيه " لا " إلى معنى النهي .

= والنصب على توجيه الكلام إلى الخبر ، ونصب ﴿ تُشْرِكُوا ﴾ بـ ﴿ أَلَا ﴾ ، كما يقال : أمرتك ألا تقوم<sup>(١)</sup> .

واختار هذا الإعراب الثعالبي<sup>(٢)</sup> . وجوزه النحاس<sup>(٣)</sup> . وصححه ابن عطية<sup>(٤)</sup> .  
وذكره الشوكاني بـ قيل<sup>(٥)</sup> .

والإعراب الثالث: " أن " في موضع نصب بدلا من قوله : ﴿ مَا حَرَّمَ ﴾ ، و" لا " زائدة .  
قال الطبري : « وإن شئت جعلت " أن " في موضع نصب ردًّا على " ما " وبيانا عنها، ويكون في قوله : ﴿ تُشْرِكُوا ﴾ أيضا من وَجْهَيِ الإعراب على نحو ما كان فيه منه، و" أن " في موضع رفع . ويكون تأويل الكلام حينئذ : قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم؛ أتلُ ألا تشركوا به شيئاً .

فإن قال قائل : وكيف يجوز أن يكون قوله : ﴿ تُشْرِكُوا ﴾ نصبا بـ ﴿ أَلَا ﴾ ؟ أم كيف يجوز توجيه قوله : ﴿ أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ على معنى الخبر ، وقد عطف عليه بقوله : ﴿ وَلَا تَقْنُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ ﴾ وما بعد ذلك من جزم النهي؟  
قيل : جاز ذلك كما قال تعالى ذكره : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ﴾

(1) جامع البيان (٩/ ٦٥٦) .

(2) ينظر : الجواهر الحسان (١/ ٥٢١) .

(3) ينظر : إعراب القرآن (٢/ ١٠٦) .

(4) ينظر : المحرر الوجيز (٥/ ٣٩٢) .

(5) ينظر : فتح القدير (٢/ ٢٤٧) .

[الأنعام : ١٤] فجعل ﴿ أَنْ أَكُونُ ﴾ خبرًا ، و ﴿ أَنْ ﴾ اسمًا ، ثم عطف عليه : ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ .

وكما قال الشاعر :

حجَّ وأوصى بسُلَيْمَى الأعبدا

ألا ترى ولا تكلم أحدا

ولا يزلُ شراهما مبردا

فجعل قوله " ألا ترى " خبرًا ، ثم عطف بالنهي ، فقال : ولا تُكَلِّمْ ، ولا يزلُ «<sup>(١)</sup> .

واختاره ابن الجوزي<sup>(٢)</sup> ، وجوّزه النحاس<sup>(٣)</sup> ، وصححه ابن عطية<sup>(٤)</sup> .

ومنعهُ القمّي ولم يجوّزه وقال : ولا يجوز أن يجعل " أن " ناصبة ، وإلاّ لزم عطف

الطلب — أعني الأمر — على الخبر<sup>(٥)</sup> .

وذكره أبوالسعود — قيل<sup>(٦)</sup> .

وكون " لا " زائدة لتلا يفسد المعنى ؛ لأن الذي حرم على ذلك يكون ترك الشرك . قاله

ابن جزيّ .

ويقول الشنقيطي : « وزيادة " لا " أسلوب عربي معروف ؛ لتوكيد الكلام وتقويته إذا

كانت القرينة تدل على أنها لا يُقصد بها نفي . وزيادة لفظ " لا " لتوكيد الكلام وتقويته أجمع

عليها جميع علماء العربية في الكلام الذي فيه معنى الجحد — أعني الكلام المشتمّ برائحة النفي

— لا خلاف في هذا بين العلماء ، وهو كثير في القرآن ، ومنه :

(1) جامع البيان (٩/ ٦٥٧) .

(2) ينظر : تذكرة الأريب (١/ ١٧٢) .

(3) ينظر : إعراب القرآن (٢/ ١٠٦) .

(4) ينظر : المحرر الوجيز (٥/ ٣٩٢) .

(5) غرائب القرآن و رغائب الفرقان (٣/ ١٨٧) .

(6) ينظر : إرشاد العقل السليم (٢/ ٢٢٠) .

— قوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٣﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ﴾ [ طه : ٩٢ — ٩٣ ] .

يعني : ما منعك أن تتبعني .

— وقوله : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾ [ الأعراف : ١٢ ] .

أي : ما منعك أن تسجد — على أصح التفسيرين — ، بدليل قوله في (ص) : ﴿ مَا

مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي ﴾ [٧٥] .

— وقوله : ﴿ إِنَّا لَنَعْلَمُ أَهْلَ الْكِتَابِ ﴾ [ الحديد : ٢٩ ] .

أي : ليعلم أهل الكتاب <sup>(١)</sup> .

— وقوله : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [ النساء : ٦٥ ] .

أي : فوربك لا يؤمنون .

— وقوله : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ﴾ [ فصلت : ٣٤ ] .

أي : ولا تستوي الحسنة والسيئة .

— وقوله : ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [ الأنعام ] .

على أحد التفسيرين .

وهو كثير في كلام العرب معروف ، ومن أمثله :

— قول أبي النجم :

وما ألوم البيض ألا تسخرأ لما رأين الشمط

و "لا" هنا صلة دل المقام عليها ، وهي تفيد تقوية الكلام ، والنهي عن

الشرك <sup>(٢)</sup> . اهـ .

(1) كذا ! والأولى كذا : [ أي : لأن يعلم أهل الكتاب ] .

(2) العذب النمير ( ٢ / ٨١٦ — ٨١٨ ) وينظر : ( ٢ / ٥٥٥ — ٥٥٧ ) .

وبعد ، فهذه الأعراب التي ذكرها ابن جُزَيِّ وقد جوّزها وصحّحها كلّها العكبريُّ في التبيان<sup>(1)</sup>.

واستحسن ابن جُزَيِّ أن تكون ﴿ ۞ ﴾ مصدرية في موضع نصب على البدل من قوله: ﴿ مَا حَرَّمَ ﴾ ، وأن تكون ﴿ ۞ ﴾ نافية ، وليست زائدة .

وعلّل ذلك بأن قوله: ﴿ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ ﴾ معناه : ما وصّاكم به ربكم بدليل قوله في آخر الآية : ﴿ ذَلِكُمْ وَصَّانُكُمْ بِهِ ﴾ فضمّن التحريم معنى الوصية .

ويكون معنى الكلام : قل تعالوا أتل ما وصّاكم به ربكم : وصّاكم أن لا تشركوا به شيئاً ، ووصّاكم بالإحسان بالوالدين ، ووصّاكم أن لا تقتلوا أولادكم . فجمعت الوصية ترك الإشراف وفعل الإحسان بالوالدين وما بعد ذلك .

وأيد تأويله هذا بأن الآيات مشتملة على أوامر ونواهٍ ، فلا بد أن يكون اللفظ المقدم في أولها جامعاً لها كلّها ؛ لأنها أُجملت فيه ثم فسّرت بعد ذلك ، ويصلح لذلك لفظ الوصية ؛ لأنه جامع للأمر والنهي ، ويدل على ذلك ذكر لفظ الوصية بعد ذلك .

وعطف الأوامر على النواهي ، وعطف النواهي على الأوامر مشكل ، ولا يجلّه إلا أن يجعل لفظ التحريم مُضْمَنًا معنى الوصية ؛ لعمومها للفعل والترك .

قال الشنقيطي : « وأظهر الأوجه وأحسنها : هو ما دلّ عليه القرآن ؛ لأن خير ما يفسّر به القرآن القرآن ، أن معنى قوله : ﴿ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ أي : ما حرمه عليكم فعلاً وتركاً ، وأن التحريم فعلاً وتركاً هنا مضمّن معنى : ﴿ وَصَّانُكُمْ بِهِ ﴾ فكأنه يقول : أتلو ما وصّاكم ربكم به تحريمًا وإباحة .

والدليل على هذا : أن الله علم أن في الآية شبه إجمالٍ أوضحه في آخرها فقال : ﴿ ذَلِكُمْ وَصَّانُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ . فعرفنا أن ذلك التحريم هو معنى الوصية ، فيكون معنى : ﴿ حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ أي : حرم عليكم فعلاً وتركاً . أي : وصّاكم بأن تفعلوه أو

تتركوه ، كما فسّره بقوله : ﴿ ذَلِكُمْ وَصَّانِكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ .

ونظيره في كلام العرب قول الراجز :

حجّ وأوصى بسليمي الأعبدا

أن لا ترى ولا تكلم أحدا

ولا يزل شراهما مبردا»<sup>(١)</sup> . اهـ .

وقال في موضع آخر : « الظاهر في قوله : ﴿ حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ أنه مضمن معنى ما وصاكم به فعلاً أو تركاً ؛ لأن كلاً من ترك الواجب ، وفعل الحرام حرام ، فالمعنى : وصاكم ألا تشركوا ، وأن تحسنوا بالوالدين إحساناً . وقد بين تعالى أن هذا هو المراد بقوله : ﴿ ذَلِكُمْ وَصَّانِكُمْ بِهِ ﴾ الآية»<sup>(٢)</sup> .

واحتمل ابن جزي أن يكون لفظ التحريم على ظاهره ، ويعمّ فعل المحرمات وترك الواجبات ؛ لأن ترك الواجبات حرام .

وبعد ، فإذا تقرر هذا وكان ذلك كذلك ، فإن هذه الأعراب كلها صحيحة ، وأحسنها : أن تكون " أن " تفسيرية لفعل ﴿ أَتَلُّ ﴾ ؛ لأن التلاوة فيها معنى القول<sup>(٣)</sup> ، وأن تكون " لا " نافية ، وأن ﴿ حَرَّمَ ﴾ مضمّن معنى الوصية ، على ما استحسنته ابن جزي ، ووافقته الشنقيطي ؛ لقوله تعالى في آخر الآية : ﴿ ذَلِكُمْ وَصَّانِكُمْ بِهِ ﴾ ، والله تعالى أعلم .

(1) العذب النمير (٢ / ٨١٩) .

(2) أضواء البيان (٢ / ٢٧٧ ، ٢٧٨) .

(3) ينظر : التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٨ / ١٥٧) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَى وَرَحْمَةً

لَعَلَّهُمْ يَلْقَاءُ رَبَّهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾

٤٧- الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ ﴾ ،

ومن المراد بالذي أحسن ؟

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « فيه ثلاث تأويلات : أحدها : أن المعنى : تَمَامًا للنعمة على الذي أحسن من قوم موسى . ففاعل أَحْسَنَ ضمير يعود على الذي ، و ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ ﴾ يراد به جنس المحسنين . والآخر : أن المعنى : تَمَامًا أي : تفضلاً أو جزاء على ما أحسن موسى عليه السلام من طاعة ربه وتبليغ رسالته . فالفاعل ضمير موسى عليه السلام . و ﴿ الَّذِي ﴾ صفة لعمل موسى . والثالث : تَمَامًا أي : إكمالاً على ما أحسن الله به إلى عباده . فالعامل [ كذا ولعلها : فالفاعل ] على هذا ضمير الله تعالى «<sup>(١)</sup>» .

العرض والمناقشة :

ذكر ابن جُزَيِّ في معنى قوله تعالى : ﴿ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ ﴾ ثلاث تأويلات ، ويظهر من منهجه أنه يرجح أولها وهو أن المعنى : تماما على الذي أحسن من قوم موسى عليه السلام ، وفاعل ﴿ أَحْسَنَ ﴾ ضمير يعود على ﴿ الَّذِي ﴾ ، و ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ ﴾ يراد به جنس المحسنين . ووافق في هذا المروي عن مجاهد<sup>(٢)</sup> وقتادة<sup>(٣)</sup> .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٦) .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٦٧٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٢٣) رقم (٨١١١) من طريق ابن أبي نجيح ، عنه قال : ( على المؤمنين والمحسنين ) .

(3) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٢/ ٢٢١) — ومن طريقه الطبري في جامع البيان (٩/ ٦٧٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٢٣) رقم (٨١١٢) — عن معمر ، عنه قال : من أحسن في الدنيا تم الله له ذلك في الآخرة . وذهب الطبري وابن عطية إلى جعل قول قتادة هذا ضمن القول الثاني !! ، وذهب ابن أبي زمنين إلى جعله في القول الأول هذا وهو الأصوب .

وعليه مقاتل بن سليمان، وابن قتيبة، والنحاس، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، والشوكاني، والقنوجي، والمراغي، والسعدي، والطاهر بن عاشور<sup>(١)</sup>. ومال إليه الآلوسي<sup>(٢)</sup>. واستغربه الكرمانى<sup>(٣)</sup>.

ويؤيده قراءة عبد الله بن مسعود: ﴿ تَمَامًا عَلَى الَّذِينَ أَحْسَنُوا ﴾<sup>(٤)</sup>، وقراءة الحسن: ﴿ تَمَامًا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴾<sup>(٥)</sup>.

قال النحاس: « والدليل على صحة هذا القول أن ابن مسعود قرأ: ﴿ تَمَامًا عَلَى الَّذِينَ أَحْسَنُوا ﴾<sup>(٦)</sup> .

وقال مقاتل: « يقول: تمت الكرامة على من أحسن منهم في الدنيا والآخرة فتمم الله لبني إسرائيل ما وعدهم من قوله: ﴿ وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۗ وَنُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾<sup>(٧)</sup> [ القصص ] .

وقال ابن قتيبة: « كما تقول أوصي بمالٍ للذي غزا وحجَّ ، تريد الغازين الحاجين . ويكون ﴿ الَّذِي ﴾ في موضع مَنْ كأنه قال : تمامًا على من أحسن . والمحسنون : هم الأنبياء — صلوات الله عليهم أجمعين — والمؤمنون . و﴿ عَلَى ﴾ في هذا الموضع بمعنى "لام

(1) ينظر : تفسير مقاتل (١/ ٥٩٧) ، وتأويل مشكل القرآن (٣٩٨) ، ومعاني القرآن الكريم (٢/ ٥١٩) ، وبحر العلوم (١/ ٥٢٥) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ١٠٧) ، وفتح القدير (٢/ ٢٥٢) ، وفتح البيان (٤/ ٢٨٠) ، وتفسير المراغي (٨/ ٧٧) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ٨٧) ، والتحريير والتنوير (٨/ ١٧٦) .

(2) ينظر : روح المعاني (٨/ ٥٩) .

(3) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٣٩٣) .

(4) ذكرها الفراء في معاني القرآن (١/ ٣٦٥) . وينظر : القراءات الشاذة (٤١) لابن خالويه . وقال السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٨٦) : أخرجها ابن الأباري في المصاحف عن هارون .

(5) ينظر : الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٣٨٦) .

(6) معاني القرآن الكريم (٢/ ٥١٩) .

(7) تفسير مقاتل (١/ ٥٩٧) .

الجر" كما يقال : أتمَّ الله عليه وأتمَّ له . ولأنه في مصحف عبد الله : ﴿ تَمَامًا عَلَى الَّذِينَ أَحْسَنُوا ﴾ وفي هذا ما دل على ذلك التأويل «<sup>(١)</sup> .

وقال الطبري : « فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : فَكَيْفَ جَازَ أَنْ يُقَالَ : ﴿ عَلَى الَّذِينَ أَحْسَنَ ﴾ فَيُوحَدُ ﴿ الَّذِينَ ﴾ وَالتَّأْوِيلُ : عَلَى الَّذِينَ أَحْسَنُوا ؟

قيل : إنَّ العَرَبَ تَفْعَلُ ذَلِكَ خَاصَّةً فِي ﴿ الَّذِينَ ﴾ وَفِي الْأَلْفِ وَاللَّامِ ، إِذَا أَرَادَتْ بِهِ الْكُلَّ وَالْجَمِيعَ ، كَمَا قَالَ جَلُّ ثَنَاؤِهِ : ﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ ﴾ [العصر] . وكما قالوا : أَكْثَرَ الدَّرْهِمِ فِي أَيْدِي النَّاسِ .

وقد ذكر عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقرأ ذلك : ﴿ تَمَامًا عَلَى الَّذِينَ أَحْسَنُوا ﴾ . وذلك من قراءته كذلك يؤيد قول مجاهد<sup>(٢)</sup> .

ثم قال بعد ذلك : وأما ما ذكر عن مجاهد من توجيهه ﴿ الَّذِينَ ﴾ إلى معنى الجميع ، فلا دليل في الكلام يدل على صحة ما قال من ذلك «<sup>(٣)</sup> .

وأما القول الثاني : في معنى ﴿ تَمَامًا عَلَى الَّذِينَ أَحْسَنَ ﴾ أي : تَفْضُلًا أَوْ جِزَاءً عَلَى مَا أَحْسَنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ طَاعَةِ رَبِّهِ وَتَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ . وَأَنَّ الْفَاعِلَ ضَمِيرُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَ﴿ الَّذِينَ ﴾ صِفَةٌ لِعَمَلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَهُوَ مَرْوِيُّ عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ<sup>(٤)</sup> .

وإليه ذهب الطبري، والواحدي، وابن الجوزي، والسمين الحلبي، وابن كثير،

(1) تأويل مشكل القرآن (٣٩٨) .

(2) جامع البيان (٦٧٤ / ٩) .

(3) المصدر السابق (٦٧٨ / ٩) .

(4) أخرجه الطبري في جامع البيان (٦٧٦ / ٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٢٣ / ٥) رقم (٨١١٣) من طريق عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عنه قال : فيما أعطاه الله . قال الطبري : وكان الكلام حينئذ : — على تأويل الربيع — ثم آتينا موسى الكتاب تمامًا على ما أحسن موسى . أي : آتينا الكتاب لأتمم له كرامتي في الآخرة ، تمامًا على إحسانه في الدنيا في عبادة الله والقيام بما كلفه به من طاعته .

والسيوطي<sup>(١)</sup>.

وتعجّب منه الكرمان<sup>(٢)</sup>. وذكره الشوكاني، والقنوجي بصيغة (قيل)<sup>(٣)</sup>.

قال الطبري: «لأن ذلك أظهر معانيه في الكلام، وأن إيتاء موسى كتابه نعمة من الله عليه، ومِنَّةٌ عظيمة، فأخبر جل ثناؤه أنه أنعم بذلك عليه لما سلف له من صالح عمل وحسن طاعة. وقال أيضاً: بل ظاهر الكلام بالذي اخترنا من القول أشبه، وإذا تُنوزع في تأويل الكلام، كان أولى معانيه به أغلبه على الظاهر إلا أن يكون من العقل أو الخبر دليل واضح على أنه معنيّ به غير ذلك»<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن كثير: «فكأنه [يعني الطبري] جعل ﴿الَّذِي﴾ مصدرية كما قيل في قوله

تعالى: ﴿وَحُضِّمُ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ [التوبة: ٦٩] أي: كنحوضهم. وقال ابن رواحة:

فثبت الله ما آتاك من حسنٍ في المرسلين ونَصْرًا كالذي نُصِرُوا»<sup>(٥)</sup>.

وأما القول الثالث: وهو أن المعنى: إكمالاً على ما أحسن الله به إلى عباده، والفاعل

ضمير الله تعالى، فهو قول ابن زيد<sup>(٦)</sup>، وأبي صخر<sup>(٧)</sup>. واختاره الكرمان<sup>(٨)</sup>.

وذكره الشوكاني، والقنوجي بصيغة (قيل)<sup>(٩)</sup>.

قال ابن زيد: «تماماً لنعمته عليهم وإحسانه».

(1) ينظر: جامع البيان (٩/ ٦٧٧)، والوجيز (١/ ٣٨٢) والوسيط (٢/ ٣٣٩)، وتذكرة الأريب (١/ ١٧٢)،

والدر المصون (٥/ ٢٧٧)، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٢٤)، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢/ ٤٩٤).

(2) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٣٩٣).

(3) ينظر: فتح القدير (٢/ ٢٥٢)، وفتح البيان (٤/ ٢٨٠).

(4) جامع البيان (٩/ ٦٧٧، ٦٧٨).

(5) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٢٤).

(6) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ٦٧٧) من طريق ابن وهب، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٢٣) رقم

(٨١١٠) من طريق أصبغ، كلاهما عنه.

(7) أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٢٣) (٨١٠٩) من طريق ابن أبي مريم، عن الفضل بن فضالة، عنه.

(8) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٣٩٣).

(9) ينظر: فتح القدير (٢/ ٢٥٢)، وفتح البيان (٤/ ٢٨٠).

وقال أبو صخر : « الله الذي أحسن ، أتى محمداً الكتاب من عنده ، تماماً لما قد كان من إحسانه إليه ، يقول : ﴿ تُمْرَأَاتِنَا مُوسَىٰ أَلَكُنَّبَ تَمَامًا ﴾ : على أن الذي أتم له ذلك له ، فالله الذي أحسن » .

وردّه الطبري بقوله : « ولو كان التأويل على ما قاله ابن زيد ، كان الكلام : ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسننا . أو : ثم أتى الله موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن . وفي وصفه جل ثناؤه نفسه بإتيائه الكتاب ، ثم صرّفه الخبر بقوله : ﴿ أَحْسَنَ ﴾ إلى غير المُخْبِر عن نفسه ، بقرب ما بين الخبرين — الدليل الواضح على أن القول غير الذي قاله ابن زيد »<sup>(١)</sup> .

وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن ما قاله ابن زيد ومن وافقه بعيد ؛ لما ذكره الطبري ، وأن أولى الأقوال بالصواب هو ما قدمه ابن جزيّ ، وتأييد بقراءة ابن مسعود ، والحسن البصري ، واستعمال العرب لـ "الذي" تريد به الكل والجميع . وأما القول الثاني : فهو قريب من الصواب ؛ لقربه من ظاهر الكلام ، ونظيره قوله تعالى : ﴿ وَخُضِّمُ كَالَّذِي خَاضُوا ﴾ [التوبة : ٦٩] والله أعلم .

(1) جامع البيان (٩/ ٦٧٨) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ

ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾

#### ٤٨ - الخلاف في المراد بالذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا؟

قال ابن جزي رحمه الله: «هم اليهود والنصارى . وقيل : أهل الأهواء والبدع . وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال : ( افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافتترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق أمي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ) . قيل : يا رسول الله ، ومن تلك الواحدة ؟ قال : ( من كان على ما أنا وأصحابي عليه )<sup>(١)</sup>»<sup>(٢)</sup>.

#### العرض والمناقشة :

رجح ابن جزي أن المراد بالذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا هم اليهود والنصارى ، ووافق المروي عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>، ومجاهد<sup>(٤)</sup>، وقتادة<sup>(٥)</sup>،

(1) روي معناه عن جماعة كثيرة من الصحابة ، وعده السيوطي من المتواتر كما في "النظم المتناثر" (٣٣-٣٤) ، وهو حديث ثابت صحيح . وينظر : "درء الارتياب عن حديث ما أنا عليه والأصحاب" ، و"نصح الأمة في فهم أحاديث افتراق هذه الأمة" كلاهما لسليم الهلالي ، و تخريج الأحاديث والآثار في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لسامي الجهنبي (٣٤٥/١-٣٤٨) فإنه صححه وأخرجه من حديث أبي هريرة ومعاوية وأبي أمامة وعبدالله بن عمرو وأنس بن مالك .

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٢٧) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠ / ٣٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٤٣٠) رقم (٨١٥٣) من طريق عطية العوفي ، عنه . قال : «اختلفت اليهود والنصارى قبل أن يبعث محمد ﷺ ففرقوا ، فلما بعث محمد أنزل عليه : ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ . وأخرج النحاس في الناسخ والمنسوخ (٢ / ٣٥٦) من طريق جوير ، عن الضحاک ، عنه قال : اليهود والنصارى تركوا الإسلام والذين الذي أمروا به .

(4) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠ / ٣١) من طريق ابن أبي نجیح ، عنه قال : يهود .

(5) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢ / ٢٢٢) — ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٤٣٠) (٨١٥٤) — عن معمر ، عنه . والطبري في جامع البيان (١٠ / ٣١) من طريق معمر به . وأخرجه الطبري في جامع البيان

والسدي<sup>(١)</sup>، والكلبي<sup>(٢)</sup>، والضحاك<sup>(٣)</sup>.

وعليه مقاتل بن سليمان، والفراء، والزجاج، وابن أبي زمنين، والواحدي، والزنجشيري، وابن الجوزي، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، والسيوطي، وأبو السعود، والآلوسي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراعي<sup>(٤)</sup>.

قال الواحدي معللاً هذا القول : « وذلك أنهم اختلفوا فصاروا فرقا يكفر بعضهم بعضاً ، وآمنوا ببعض ما في أيديهم وكفروا ببعض ، وذلك قوله : ﴿ وَكَانُوا شِيعًا ﴾ أي : فرقا وأحزاباً في الضلالة »<sup>(٥)</sup>.

وقال القرطبي : « لأنهم قد وصفوا بالتفرق ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ [ البينة ] . وقال : ﴿ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾ [ النساء : ١٥٠ ] .

وأما القول بأنهم هم أهل الأهواء والبدع ، فقال به أبوهريرة<sup>(٧)</sup>.

- (١٠/٣٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٣٠) (٨١٥٥) من طريق شيبان ، عنه . وأخرجه الطبري في جامع البيان (٣١ / ١٠) من طريق سعيد ، عنه .
- (1) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠ / ٣٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٤٣٠ ، ١٤٣١) (٨١٥٦) ، (٨١٦٣) من طريق أحمد بن المفضل ، عن أسباط ، عنه . زاد السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٤٠٣) نسبته إلى أبي الشيخ .
- (2) نسبه له الواحدي في الوسيط (٢ / ٣٤١) .
- (3) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠ / ٣٢) من طريق عبيد بن سليمان ، عنه .
- (4) ينظر : : تفسير مقاتل (١ / ٥٩٩) ، ومعاني القرآن (١ / ٣٦٦) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢ / ٣٠٨) ، وتفسير القرآن العزيز (٢ / ١٠٨) ، والوجيز (١ / ٣٨٤) ، والكشاف (٢ / ٤١٦) ، وتذكرة الأريب (١ / ١٧٣) ، والجامع لأحكام القرآن (٩ / ١٣٤) ، وأنوار التنزيل (١ / ٣٣٠) ، ومدارك التنزيل (٢ / ٤٢) ، وإرشاد العقل السليم (٢ / ٢٢٨) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٢ / ٥٠٢ ) ، وروح المعاني (٨ / ٦٨) ، وتفسير القرآن الحكيم (٨ / ٢٠٥) ، وتفسير المراغي (٨ / ٨٤) .
- (5) الوسيط (٢ / ٣٤١) .
- (6) الجامع لأحكام القرآن (٩ / ١٣٤) .
- (7) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠ / ٣٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٤٢٩) (٨١٥١) من طريق ابن مهدي، عن سفيان، عن ليث، عن طاوس، عنه . وذكره البخاري في خلق أفعال العباد (٦٧) عن طاوس به .

وُسِبَ إِلَى أَبِي الْأَحْوَصِ ، وَأُمُّ سَلْمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ<sup>(١)</sup> .  
وعليه النحاس<sup>(٢)</sup> .

وذكره الألويسي — قيل<sup>(٣)</sup> .

واستدل له بما رُوِيَ عن أبي غالب أنه سئل عن هذه الآية : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَاعًا ﴾ فقال : حدثني أبو أمامة ، عن رسول الله ﷺ أنهم الخوارج<sup>(٤)</sup> .

وبما رُوِيَ عن عمر بن الخطاب : أن رسول الله ﷺ قال لعائشة : ( يا عائشة ، إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَاعًا ﴾ هم أصحاب البدع ، وأصحاب الأهواء ، وأصحاب الضلالة من هذه الأمة ليست لهم توبة . يا عائشة ، إن لكل صاحب ذنب توبة غير أصحاب البدع وأصحاب الأهواء ليس لهم توبة ، أنا منهم بريء وهم مني براء<sup>(٥)</sup> .

ودلّل له النحاس بظاهر الآية الكريمة وقال : « لأهم إذا ابتدعوا تجادلوا وتخاصموا ، وتفرّقوا فليس النبي ﷺ ولا الفرقة الناجية ، وهي الجماعة الظاهرة ، منهم في شيء ؛ لأهم

وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٤٠٢) نسبه إلى الفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن أبي شيبه ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه . وأخرجه الطبري في جامع البيان (١٠ / ٣٣) من طريق عبّاد بن كثير ، عن ليث به مرفوعاً إلى النبي ﷺ . قال ابن كثير في تفسيره (٦ / ٢٣٩) : هذا الإسناد لا يصح ؛ فإن عبّاد بن كثير متروك ، ولم يحتلق هذا الحديث لكنه وهم في رفعه ...

(1) نسبه إليهما الثعالبي في الجواهر الحسان (١ / ٥٢٤) .

(2) ينظر : الناسخ والمنسوخ (٢ / ٣٥٧) ، وإعراب القرآن (٢ / ١١٠) .

(3) ينظر : روح المعاني (٨ / ٦٨) .

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٤٢٩) (٨١٥٠) ، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (٢ / ٣٥٧) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٤٠٢) نسبه إلى ابن مردويه . وفيه أبو غالب — صاحب أبي أمامة — صدوق يخطيء . وأخرجه عبد بن حميد ، وأبو الشيخ ، وابن مردويه — كما في الدر المنثور (٣ / ٤٠٢) — عن أبي أمامة موقوفاً عليه قال : هم الحروية . قال ابن كثير : وروي عنه مرفوعاً ولا يصح .

(5) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٤٣٠) (٨١٥٧) ، والطبراني في الصغير (١ / ٢٠٣) ، وأبو نعيم في الحلية (٤ / ١٣٧ ، ١٣٨) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٥ / ٧٢٣٩ ، ٧٢٤٠) من طريق شعبة ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن شريح ، عن عمر . قال أبو نعيم : حديث غريب من حديث شعبة تفرد به بقية . وقال ابن كثير : غريب لا يصح رفعه . [ينظر : تفسير ابن كثير ٦ / ٢٣٩] . وفيه مجالد بن سعيد : ضعيف . قال ابن حجر في التقريب (٥٢٠) : ليس بالقوي وقد تغير في آخر عمره .

منكرون عليهم ما هم فيه ، مخالفون لهم»<sup>(١)</sup>.

وذهب الشنقيطي إلى أن الآية في أهل الأهواء والبدع ، ويدخل فيهم اليهود والنصارى<sup>(٢)</sup>.

وذهب ابن جرير الطبري، وابن كثير، والشوكاني، والقنوجي، والسعدي إلى أن الآية عامة في كل من فارق دينه الذي بُعثَ به ﷺ من مشرك ، ووثني ، ويهودي ، ونصراني ، ومتحنفٍ مبتدعٍ في الإسلام<sup>(٣)</sup>.

وصوّب الجمع بين القولين السيد محمد رشيد رضا، وتبعه المراغي<sup>(٤)</sup>، ثم عادا وذكر أن المقصود هم أهل الكتاب<sup>(٥)</sup>.

ويدل للقول بالعموم : أن اللفظ يفيد العموم، كما قاله الشوكاني<sup>(٦)</sup>.

وقال ابن كثير : « والظاهر أن الآية عامة في كل من فارق دين الله وكان مخالفاً له ، فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق ... كقوله تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ . [ الشورى : ١٣ ] . وفي الحديث: (نحن معاشر الأنبياء أولاد علات ، ديننا واحد )»<sup>(٧)</sup>.

ومما يدل على القول بالعموم أيضاً : حديث الافتراق الذي أورده ابن جزيّ بعد ذكره

(1) الناسخ والمنسوخ (٢/ ٣٥٧) .

(2) ينظر : العذب النمير (٢/ ٩٢٧) .

(3) ينظر : جامع البيان (١٠/ ٣٣ ، ٣٤) ، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٤٠) ، وفتح القدير (٢/ ٥٦) ، وفتح البيان (٤/ ٢٨٨) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ٩١) .

(4) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (٨/ ٢٠٣) ، وتفسير المراغي (٨/ ٢٠٣) .

(5) سبق العزو إليهما في القول الأول .

(6) فتح القدير (٢/ ٥٦) .

(7) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٤٠) . والحديث أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ( ٣٤٤٢ و ٣٤٤٣ ) ، ومسلم في كتاب الفضائل (٢٣٦٥) من حديث أبي هريرة . و " أولاد علات " معناه : الإخوة من أمهات شتى والأب واحد ، والمقصود : أن دين الأنبياء واحد وهو عبادة الله وحده لا شريك له وإن تنوّعت شرائعهم . وينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/ ٣٨٦) .

للقولين ، فإنه يدل على حدوث الافتراق في اليهود والنصارى وفي هذه الأمة .  
وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أولى الأقوال بالصواب هو القول بالعموم والجمع بين  
القولين، وإن كان اليهود والنصارى هم المقصودين ؛ لتقدمهم على هذه الأمة فإنه يدخل في  
الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً أهل الأهواء والبدع ، أما قصر الآية على أهل الأهواء  
والبدع فقط فلا يصح ؛ لضعف الأحاديث الواردة في ذلك ، والله تعالى أعلم .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلِغَكُمْ فِي مَآءَاتِكُمْ ﴾

إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

٤٩- من الخطاب في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ﴾ ؟

قال ابن جزي رحمه الله : « ﴿ حَلَّتِيفَ ﴾ : جمع خليفة ، أي : يخلف بعضكم بعضاً في السكنى في الأرض . أو خلائف عن الله في أرضه . والخطاب على هذا لجميع الناس . وقيل : لأمة محمد ﷺ ؛ لأنهم خَلَفُوا الأُمَّمَ المُتَقَدِّمَةَ »<sup>(١)</sup>.

العرض والمناقشة :

فرع ابن جزي الخلاف في المقصود بالخطاب في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ﴾ عن تفسير ﴿ حَلَّتِيفَ الْأَرْضِ ﴾ بأنهم خلائف عن الله تعالى في أرضه ، ورجح أن الخطاب لجميع الناس . ووافق المفهوم من ظاهر قول ابن زيد فإنه قال : «يستخلف في الأرض قوماً بعد قوم وقوماً بعد قوم»<sup>(٢)</sup> . ونسب إلى الحسن<sup>(٣)</sup> . وعليه ابن كثير ، والآلوسي<sup>(٤)</sup> .

ونظر له ابن كثير بقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴾ ﴿٦٠﴾ [الزخرف] ، وبقوله تعالى : ﴿ وَيَجْعَلْكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ﴾ [النمل : ٦٢] ، وبقوله تعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة : ٣٠] ، وبقوله تعالى : ﴿ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٣٩﴾ [الأعراف] .

ووجه الدلالة منها ظاهر في عدم اختصاص الاستخلاف بهذه الأمة .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٢٨) .

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٤٣٥) .

(3) نسبه إليه الآلوسي في روح المعاني (٨ / ٧١) .

(4) ينظر : تفسير القرآن العظيم (٦ / ٢٥٣) ، وروح المعاني (٨ / ٧١) .

وأما القول الثاني بأن الخطاب في الآية لأمة محمد ﷺ فهو قول السدي<sup>(١)</sup>.

وإليه ذهب مقاتل، والفراء، والطبري، والنحاس، والسمرقندي، والواحدي، والبغوي، والزحشري، وابن عطية، والقرطبي، والحازن، وأبو حيان، والسيوطي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي<sup>(٢)</sup>.

قال ابن عطية : « وهذا يتصور في جميع الأمم وسائر أصناف الناس ؛ لأن من أتى خليفة لمن مضى ، ولكنه يحسن في أمة محمد ﷺ أن يسمى أهلها بجملة خلائف للأمم ، وليس لهم من يخلفهم ؛ لأنهم آخر الأمم وعليهم قيام الساعة » .  
وعنه ابن جرير بقوله : « لأنهم خلفوا الأمم المتقدمة »<sup>(٣)</sup>.

وقواه النحاس بالحديث<sup>(٤)</sup>، وهو قوله ﷺ : ( أنتم توفون سبعين أمة ، أنتم خيرها وأكرمها على الله تبارك وتعالى )<sup>(٥)</sup>.

ووجهه : أن هذه الأمة هي آخر الأمم ، فقد خلقت من كان قبلها من الأمم .

ويؤيد هذا القول أن الله تعالى قال بعد ذكر إهلاك القرون الخالية : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾<sup>(٦)</sup> [يونس].

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أولى القولين بالصواب في ذلك هو القول بأن الخطاب لأمة

(1) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠ / ٥٠) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٤٣٥) رقم (٨١٨٩) كلاهما من

طريق أحمد بن الفضل ، عن أسباط ، عنه . ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٤١١) أيضاً إلى أبي الشيخ .

(2) تفسير مقاتل (١ / ٦٠٠) ، ومعاني القرآن (١ / ٣٦٧) ، وجامع البيان (١٠ / ٥٠) ، ومعاني القرآن الكريم

(٢ / ٥٢٦) ، وبحر العلوم (١ / ٥٢٩) ، والوجيز (١ / ٣٨٥) والوسيط (٢ / ٣٤٦) ، ومعالم التنزيل

(٢ / ٨٧) ، والكشاف (٢ / ٤٢٠) ، والمحزر الوجيز (٥ / ٤٢٠) ، والجامع لأحكام القرآن (٩ / ١٤٧) ، ولباب

التأويل (٢ / ٧١) ، والبحر المحيط (٤ / ٢٦٣) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٢ / ٥٠٦) ، وتفسير

القرآن الحكيم (٨ / ٢٣٧) ، وتفسير المراغي (٨ / ٩٣) .

(3) وينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢ / ٣١٢) ، وبحر العلوم للسمرقندي (١ / ٥٢٩) ، والكشاف

للزحشري (٢ / ٤٢٠) .

(4) ينظر : معاني القرآن الكريم (٢ / ٥٢٦) . واستدل به أيضاً ابن عطية ، وأبو حيان .

(5) رواه أحمد في المسند (٤ / ٤٤٧) ، والترمذي في سننه (٥ / ٢٢٦) وحسنه .

(6) ينظر : تفسير القرآن الحكيم للسيد محمد رشيد رضا (٨ / ٢٣٧) .

محمد ﷺ ؛ لأن أحسن ما يفسر به القرآن القرآن ، ونظير هذه الآية آية يونس : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ خَلِيفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ ، وهو قول جمهور المفسرين ، وما ذهب إليه ابن جزيّ يعدّ مرجوحاً ، والله تعالى أعلم .

ترجماتُ ابنِ جُزَيِّ

في تفسير سورة الأعراف

قَالَ تَعَالَى:

﴿ كَتَبَ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِيُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢)

١- الخلاف في المراد بالخرج في قوله ﴿ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ ﴾

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « أي : ضيقٌ من تبليغه مع تكذيب قومك . وقيل :

الخرج هنا : الشك ، فتأويله كقوله : ﴿ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ (١) [آل عمران : ٦٠] .

العرض والمناقشة :

رجح ابن جزي أن الخرج في قوله تعالى : ﴿ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ ﴾ معناه :

الضيقُ، أي : فلا يكن في صدرك ضيقٌ من تبليغه مع تكذيب قومك به . ووافق في هذا ما نُسبَ إلى الحسن (٢)، والضحاك (٣)، وأبي العالية (٤) .

وإلى هذا ذهب الفراء، وأبو عبيدة، والطبري، والرجاج، والواحدي، ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي ، والرازي ، والقرطبي ، والخازن، وابن القيم ، والبقاعي، والسيوطي، والقاسمي ، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي ، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي (٥) . وهو مفهوم كلام ابن عطية، وأبي حيان (٦) . وجوزَه النحاس، والآلوسي (٧) .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٢٨) .

(٢) ينظر : النكت والعيون للماوردي (٢ / ١٩٩) .

(٣) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٤١٣) لأبي الشيخ .

(٤) ينظر : معالم التنزيل للبعوي (٢ / ٨٩) .

(٥) ينظر : معاني القرآن (١ / ٣٧٠) ، ومجاز القرآن (١ / ٢١٠) ، وجامع البيان (١٠ / ٥٤) ، ومعاني القرآن

وإعرابه (٢ / ٣١٥) ، والوجيز (١ / ٣٨٦) والوسيط (٢ / ٣٤٨) — وعزاه فيه لابن عباس بمعنى (ضيق) !! ولعله

يقصد ما ورد عنه في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ الأنعام : ١٢٥ . وينظر : جامع البيان

للطبري (٩ / ٥٤٤) — ، وإيجاز البيان (١ / ٢٦٣) ، وتذكرة الأريب (١ / ١٧٤) ، ومفاتيح الغيب (٥ / ١٩٦) ،

والجامع لأحكام القرآن (٩ / ١٥٠) ، ولباب التأويل (٢ / ٧١) ، وبدائع التفسير (٢ / ١٩١) ، ونظم الدرر

(٧ / ٣٤٨) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٣ / ٤ ) ، ومحاسن التأويل (٧ / ٢٦٠٩) ، وتفسير القرآن

الحكيم (٨ / ٢٨٨ ، ٢٨٩) ، وتفسير المراغي (٨ / ٩٨) ، والتحرير والتنوير (٨ / ١٣ ، ١٤) ، وأضواء البيان

(٢ / ٢٨٥ ، ٢٨٦) .

(٦) ينظر : المحرر الوجيز (٥ / ٤٢٣) ، والبحر المحيط (٤ / ٢٦٦) .

(٧) ينظر : معاني القرآن الكريم (٣ / ٨) ، وروح المعاني (٨ / ٧٥) .

وذكره السمرقندي ، والسمعاني بصيغة (قيل) (1) .  
ويدل لهذا القول اللغة ؛ فإن أصل الحرج في اللغة هو الضيق .  
قال الطبري : « والحرج هو الضيق في كلام العرب » (2) .  
وقال أيضاً : « والحرج أشدّ الضيق ... وأصله من الحَرَج ، والحَرَجُ جمعُ حَرَجَةٍ ،  
وهي الشجرة الملتف بها الأشجار ، لا يدخل بينها وبينها شيء لشدة التفافها بها » (3) .  
وقال الطاهر : « والحرج حقيقته المكان الضيق من الغابات الكثيرة الأشجار ، بحيث  
يعسر السلوك فيه » (4) .  
وقال الراغب : « أصل الحَرَج والحراج مجتمعُ الشيئين ، وتُصوَّرُ منه ضيقُ ما بينهما ،  
فقيل للضيق: حرج ، ولالإثم حرج » (5) .  
وتقول : حَرَجْتُ منه ، أي : ضِقْتُ بسببه (6) . ويقال : حرج منه ، أي : ضاق به  
صدره (7) . وحرج إليه : لجأ عن ضيق . وأحرجه إليه : أَلجأه وضيق عليه (8) . وحرج صدره  
حرجاً ، من باب (تعب) : ضاق ... وصدر حرج : ضيق (9) . والتحريج : التضييق ،  
وحرج صدره يحرج حرجاً : ضاق فلم ينشرح لخير (10) . ورجل حَرَجٌ وحَرَجٌ : ضيق  
الصدر (11) .

- 
- 1) ينظر : بحر العلوم ( ١ / ٥٣٠ ) ذكره بصيغة (يقال) ، وتفسير القرآن ( ٢ / ١٦٣ ) .
  - 2) جامع البيان ( ١٠ / ٥٤ ) .
  - 3) المصدر السابق ( ٩ / ٥٤٤ ) .
  - 4) التحرير والتنوير ( ٨ / ١٣ ، ١٤ ) .
  - 5) مفردات ألفاظ القرآن ( حرج ) ( ٢٢٦ — ٢٢٧ ) . وينظر : تاج العروس ( ٥ / ٤٧٤ — ٤٨١ ) .
  - 6) ينظر : الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢٤١ ) .
  - 7) ينظر : إرشاد العقل السليم لأبي السعود ( ٢ / ٢٣٢ ) .
  - 8) المحكم والمحيط الأعظم ( ٣ / ٧٠ ) .
  - 9) المصباح المنير ( ١ / ١٢٧ ) ، ( ٢ / ٣٦٧ ) .
  - 10) لسان العرب ( حرج ) ( ٢ / ٢٣٣ — ٢٣٥ ) .
  - 11) المصدر السابق ، وينظر أيضاً : مختار الصحاح ( ١ / ٥٤ ) ، والمعجم الوسيط ( ١ / ١٦٤ ) ، وأساس البلاغة ( ١١٩ / ١ ) ، وتاج العروس ( ٥ / ٤٧٣ ) وما بعدها ، وتهذيب اللغة ( ٤ / ٨٤ — ٨٦ ) ، وجمهرة اللغة ( ١ / ٤٣٦ ) ، ومقاييس اللغة ( ٢ / ٥٠ — ٥١ ) .

قال الطبري : « وإنما اخترنا العبارة عنه بمعنى الضيق ؛ لأن ذلك هو الغالب عليه من معناه في كلام العرب »<sup>(1)</sup>.

ويشهد لهذا القول قوله تعالى في سورة هود: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِيَّاكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾<sup>(2)</sup>.

يقول الشنقيطي : « وجمهور العلماء على أن المراد بالخرج في الآية الضيق . أي : لا يكن في صدرك ضيق عن تبليغ ما أمرت به لشدة تكذيبهم لك ؛ لأن تحمل عداوة الكفار ، والتعرض لبطشهم مما يضيق به الصدر ، وكذلك تكذيبهم له صلى الله عليه وسلم مع وضوح صدقه بالمعجزات الباهرات مما يضيق به الصدر . وقد قال صلى الله عليه وسلم : (إذا يتلغوا رأسي فيدعوه خبزة) . أخرجه مسلم<sup>(3)</sup> . والتلغ : الشدخ ، وقيل : ضرب الرطب باليابس حتى ينشدخ ، وهذا البطش مما يضيق به الصدر . ويدل لهذا الوجه الأخير في الآية قوله تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِيَّاكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ ﴾ ، وقوله : ﴿ وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾<sup>(4)</sup> [الحجر] وقوله : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾<sup>(5)</sup> [الكهف] ، وقوله : ﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(6)</sup> [الشعراء] .

ويؤيد الوجه الأخير في الآية : أن الحرج في لغة العرب : الضيق . وذلك معروف في كلامهم ، ومنه قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ ﴾ [النور : ٦١ ، الفتح : ١٧] . وقوله :

(1) جامع البيان (١٠ / ٥٥) . وينظر : مفردات الراغب ( حرج ) ( ٢٢٦ - ٢٢٧ ) ، وأضواء البيان ( ٢ / ٢٨٥ - ٢٨٦ ) ، والعذب النمير ( ٣ / ٩٦١ - ٩٦٤ ) للشنقيطي .

(2) ينظر : حاشية الشهاب ( ٤ / ١٤٦ ) ، ومحاسن التأويل ( ٧ / ٢٦٠٩ ) ، وتفسير القرآن الحكيم ( ٨ / ٢٨٨ - ٢٨٩ ) .

(3) صحيح مسلم ( ٤ / ٢١٩٧ ) برقم ( ٢٨٦٥ ) من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه . وأخرجه أحمد في مسنده برقم ( ١٧٤٨٤ طبعة التركي ) ، والنسائي في الكبرى ( ٥ / ٢٦ - ٢٧ ) رقم ( ٨٠٧٠ ) . وينظر : شرح النووي على مسلم ( ١٧ / ١٩٨ ) ، ومعاني القرآن الكريم للنحاس ( ٣ / ٨ ) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ( ٩ / ١٥٠ ) ، ومعاني القرآن للزجاج ( ٢ / ٣١٥ ) ، وتفسير القرآن للسمعاني ( ٢ / ١٦٤ ) .

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [ الحج : ٧٨ ] وقوله : ﴿ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾

[الأنعام:١٢٥] أي : شديد الضيق ، إلى غير ذلك من الآيات .

ومنه قول عمر بن أبي ربيعة ، أو جميل<sup>(١)</sup> :

فخرجتُ خوفَ يمينها فتبسَّمتُ  
فعلمتُ أن يمينها لم تُحرج  
وقول العرجي<sup>(٢)</sup> :

عوجي علينا ربة الهودج  
إنك إلا تفعلني تُحرجي

والمراد بالإحراج في البيتين : الإدخال في الحرج ، بمعنى الضيق كما ذكرنا «<sup>(٣)</sup>» .  
وقال ذوالرُّمَّة<sup>(٤)</sup> :

تزداد للعين إهائجاً إذا سفرت  
وتحرج العين فيها حين تنتقب

أي : تحار وتضيق عن أن تنظر إليها .

وأحاديث التحريج تدل على أن الحرج معناه الضيق ، ومنها :

— قوله صلى الله عليه وسلم : ( أُحْرَجَ عَلَيْكُمْ حَقُّ الضَّعِيفِينَ : اليتيم والمرأة )<sup>(٥)</sup> .

أي : أضيقه وأحرمه على من ظلمهما<sup>(٦)</sup> .

— وقوله صلى الله عليه وسلم : ( فحرجوا عليها )<sup>(٧)</sup> . أي : قولوا : أنت في حرج ،

أي : في ضيق إن عدت إلينا فلا تلومينا أن نضيق عليك بالتبع والطرده والقتل<sup>(٨)</sup> .

(1) البيت في ديوان عمر بن أبي ربيعة (٨٣) . وينظر : عيون الأخبار لابن قتيبة (٩٣/٤) وهو غير منسوب فيه .

(2) البيت في عيون الأخبار لابن قتيبة (٩٠/٤) . والعرجي هو عبدالله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان ، كان

يتزل موضع قبل الطائف يقال له العرج ، فنسب إليه . قاله ابن قتيبة في الشعر والشعراء (٣٨٦) .

(3) أضواء البيان (٢٨٦/٢) .

(4) ديوان ذي الرمة (٢/١) . وينظر : المحكم والمحيط الأعظم (٧١/٣) ، وغريب الحديث للحري (٢٤١/١) .

(5) أخرجه الحاكم في المستدرک (١٣١/١) ، والبيهقي في السنن الكبرى (١٣٤/١٠) ، والسنن الصغرى (٤٧/٩)

نسخة الأعظمي ) من حديث أبي هريرة . قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .

(6) ينظر : مشارق الأنوار للقاضي عياض (١٨٦/١) ، وما بعدها ، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير

(٣٦١/١) .

(7) أخرجه مسلم في صحيحه (١٧٥٦/٤) باب قتل الحيات وغيرها ، برقم (٢٢٣٦) من حديث أبي سعيد

الخدري .

(8) ينظر : النهاية لابن الأثير (٣٦١/١) ، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (١٨٦/١) وما بعدها .

وأما القول الثاني ، وهو تفسير الحرج بالشك ، فروي عن ابن عباس<sup>(١)</sup> ، ومجاهد<sup>(٢)</sup> ، وقتادة<sup>(٣)</sup> ، والسدي<sup>(٤)</sup> ، وسعيد بن جبير<sup>(٥)</sup> ، وعكرمة<sup>(٦)</sup> .

وعليه مقاتل بن سليمان ، وابن قتيبة ، والسمرقندي ، وابن أبي زمنين ، ومكي ، والسمعاني ، والزخشري ، وابن الأنباري ، والبيضاوي ، والقمي النيسابوري ، وابن كثير ، وأبو السعود ، والآلوسي<sup>(٧)</sup> .  
وجوزة النحاس<sup>(٨)</sup> .

وذكره الفراء ، والزجاج ، ومحمود النيسابوري بصيغة (قيل)<sup>(٩)</sup> .

ويشهد لهذا القول نظائر قرآنية :

كقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ [يونس] .

- (1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٣٨ / ٥) رقم (٨٢٠٧) من طريق عبد الله بن عبيد بن عمير ، عنه قال : الشك وقال لأعرابي : ما الحرج فيكم ؟ قال : الشك . ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٤١٣ / ٣) أيضاً لعبد بن حميد . وأخرجه الطبري في جامع البيان (٥٤ / ١٠) من طريق عطية العوفي ، عنه .
- (2) أخرجه الطبري في جامع البيان (٥٤ / ١٠) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٣٨ / ٥) رقم (٨٢٠٨) من طريق ابن أبي نجيح ، عنه .
- (3) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٢٥ / ٢) ، عن معمر ، عنه . وأخرجه الطبري في جامع البيان (٥٥ / ١٠) من طريق معمر به ، ومن طريق سعيد ، عن قتادة .
- (4) ، أخرجه الطبري في جامع البيان (٥٥ / ١٠) من طريق أسباط ، عنه . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٣٨ / ٥) عقب الأثر (٨٢٠٨) .
- (5) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٣٨ / ٥) عقب الأثر (٨٢٠٨) .
- (6) المراجع السابقة .
- (7) ينظر : تفسير مقاتل (٢٩ / ٢) ، وتأويل مشكل القرآن (٤٨٤) — وينظر : زاد المسير (١٦٥ / ٣) — ، وبحر العلوم (٥٣٠ / ١) ، وتفسير القرآن العزيز (١١١ / ٢) ، وتفسير المشكل (١٧٠) ، وتفسير القرآن (١٦٣ / ٢) ، والكشاف (٤٢١ / ٢) ، ومفاتيح الغيب للرازي (١٩٦ / ٥) ، وأنوار التنزيل (٣٣٢ / ١) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (١٩٨ / ٣) ، وتفسير القرآن العظيم (٢٥٧ / ٦) ، وإرشاد العقل السليم (٢٣١ / ٢) ، وروح المعاني (٧٥ / ٨) .
- (8) ينظر : معاني القرآن الكريم (٨ / ٣) .
- (9) ينظر : معاني القرآن (٣٧٠ / ١) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٣١٥ / ٢) ، وإيجاز البيان (٢٦٣ / ١) .

وقوله تعالى : ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ [البقرة] .

وقوله تعالى : ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ [آل عمران] .

والممترى : هو الشاك ؛ لأنه مفتعل من المرية وهي الشك<sup>(1)</sup> .

قال ابن قتيبة : « الحرج : أصله الضيق . ومن الضيق : الشك ، كقوله تعالى : ﴿ فَلَا

يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ ﴾ ، أي : شك ؛ لأن الشاك في الشيء يضيّق صدرًا به »<sup>(2)</sup> .

وقال الزمخشري : « وسمي الشك حرجًا ؛ لأن الشاك ضيق الصدر حرجه ، كما أن

المتيقن منشرح الصدر منفسحه، أي : لا تشك في أنه منزل من الله، ولا تخرج من تبليغه»<sup>(3)</sup> .

قال الزبيدي : « ثم استعمل [ الحرج ] في الشك ؛ لأن النفس تقلق منه ولا

تطمئن»<sup>(4)</sup> .

وقال الراجز :

آليت لولا حرج يعروني ما جئت أغزوك ولا تغزوني<sup>(5)</sup> .

وعلى هذا القول فالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد نهي غيره عن الشك في

القرآن . قاله الزجاج وغيره<sup>(6)</sup> . واستبعده القرطبي<sup>(7)</sup> .

واختار الشوكاني ، والقنوجي ، والسعدي<sup>(8)</sup> ، الجمع بين القولين :

فيكون تفسير الحرج بالشك ، أي : من جهة إنزاله وأنه حق من عند الله ، ويكون

تفسير الحرج بالضيق ، أي : من جهة إبلاغه والإنذار به .

قال الزجاج : « وكلا التفسيرين له وجه »<sup>(1)</sup> .

(1) أضواء البيان للشنقيطي (٢ / ٢٨٥) .

(2) تأويل مشكل القرآن (٤٨٤) .

(3) الكشف (٢ / ٤٢١) .

(4) تاج العروس (٥ / ٤٧٤) .

(5) ينظر : النكت والعيون للماوردي (٢ / ١٩٩) ، وتفسير القرآن للسمعاني (٢ / ١٦٣) .

(6) معاني القرآن وإعرابه (٢ / ٣١٥) .

(7) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (٩ / ١٥٠) .

(8) ينظر : فتح القدير (٢ / ٢٦٤) ، وفتح البيان (٤ / ٢٩٩) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢ / ٩٥) .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن كلا القولين صحيح ، والأولى الجمع بينهما والقول بأن الحرج هنا يعم الشكّ والضيق. أي : فلا يكن في صدرك شك في أنه حق منزل من عند الله، ولا يكن في صدرك ضيق من إبلاغه والإنذار به . والجمع بين القولين على هذا الوجه الذي اختاره الشوكاني ، هو أولى من الاقتصار على قول واطّراح الآخر مع شهود القرآن لكليهما، والله تعالى أعلم .

قَالَ تَعَالَى:

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَانَهُمْ إِذِ جَاءَهُمْ بِأَسْنَانٍ إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾﴾

## ٢- الخلاف في المراد بـ دَعْوَانَهُمْ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « أَي : ما كان دعاؤهم واستغاثتهم إلا للاعتراف بأنهم ظالمون . وقيل : المعنى : أن دعاوهم هنا ما كانوا يدعونه من دينهم فاعترفوا لما جاءهم العذاب أنهم كانوا ظالمين في ذلك » (١) .

### العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ في المراد بدعواهم في الآية الكريمة أنها بمعنى الدعاء والاستغاثة للاعتراف بأنهم كانوا ظالمين . ووافق ما نُسِبَ لابن عباس (٢) . وقال به اللغويون (٣) . وعليه مقاتل بن سليمان، والطبري، والنحاس، والسمرقندي، وابن الأنباري، وابن أبي زمنين، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي، والرازي، والقرطبي، والنسفي، والخازن، وابن كثير، والبقاعي، والسيوطي، والشوكاني، والقنوجي، والمراغي، والسعدي (٤) .

قال الطبري : وللدعوى في كلام العرب وجهان : أحدهما : الدعاء ، والآخر : الادعاء للحق . ومن الدعوى التي معناها الدعاء : قول الله تبارك وتعالى : ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَانَهُمْ﴾ [ الأنبياء : ١٥ ] . ومنه قول الشاعر:

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٢٩) .

(٢) نسبه له الرازي في مفاتيح الغيب (٥ / ١٩٩) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٤ / ٢٦٩) .

(٣) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٣ / ١٦٨) .

(٤) ينظر : تفسير مقاتل (٢ / ٢٩) ، وجامع البيان (١٠ / ٦٢) ، ومعاني القرآن الكريم (٣ / ١٠) ، وبحر العلوم (١ / ٥٣١) ، والوسيط للواحدي (٢ / ٣٤٩) ، ومفاتيح الغيب للرازي (٥ / ١٩٩) ، وتفسير القرآن العزيز (٢ / ١١٢) ، والوجيز (١ / ٣٨٧) ، وتفسير القرآن (٢ / ١٦٥) ، ومعالم التنزيل (٢ / ٩٠) ، وإيجاز البيان (١ / ٢٦٤) ، وتذكرة الأريب (١ / ١٧٥) ، ومفاتيح الغيب (٥ / ١٩٩) ، والجامع لأحكام القرآن (٩ / ١٥٤) ، ومدارك التنزيل (٢ / ٤٥) ، ولباب التأويل (٢ / ٧٢) ، وتفسير القرآن العظيم (٦ / ٢٥٨) ، ونظم الدرر (٧ / ٣٥٧) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣ / ٧) ، وفتح القدير (٢ / ٢٦٥) ، وفتح البيان (٤ / ٣٠٣) ، وتفسير المراغي (٨ / ١٠٢) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢ / ٩٦) .

وَإِنْ مَدَلْتُمْ رَجُلِي دَعْوَتِكَ أَشْتَفِي دَعْوَاكَ مَنْ مَدَلَّ بِهَا فَيَهُونُ<sup>(١)</sup>

وقال النحاس : « وأجاز النحويون : " اللهم أشركنا في صالح دعوى مَنْ دعاك " »<sup>(٢)</sup>.  
وهذا قول الخليل<sup>(٣)</sup>، وسيبويه<sup>(٤)</sup>.

ومنه قوله تعالى : ﴿ دَعْوَتُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۗ وَأٰخِرُ دَعْوَتِهِمْ أَنِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ [يونس] .

ومنه ما أنشده سيبويه :

وَلَّتْ وَدَعْوَاهَا كَثِيرٌ صَخْبُهُ<sup>(٦)</sup>.

وأما القول بأن دعواهم في الآية هي بمعنى ادّعاتهم للحق فلما جاءهم العذاب اعترفوا أنهم كانوا في ذلك الادّعاء ظالمين ، فقال به الزجاج<sup>(٧)</sup>. وعليه الزمخشري، وعلاء الدين ابن التركماني<sup>(٨)</sup>.

وذكره الشوكاني والقنوجي بصيغة ( قيل )<sup>(٩)</sup>. وجوزّه الطاهر بن عاشور<sup>(١٠)</sup>.

قال الزجاج : « والدعوى اسم لما يدّعيه » .

وقال أبو عبيدة : « ﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَتُهُمْ ﴾ لها موضعان : أحدهما : قولهم ودعواهم ،

(1) ينظر : جامع البيان ( ١٠ / ٦٢ ) . والبيتُ لكثيرٍ عزّة . ينظر : ديوانه ( ٢ / ٢٤٥ ) ، ونهاية الأرب ( ٢ / ١٢٥ ) ، وزاد المسير ( ٣ / ١٦٩ ) . ومدلّت رجله مدلاً ، أي : خدّرت . ينظر : المحكم ( ١٠ / ٧٦ ) : ( بذكراك بدل دعواك ) . واللسان ( ١١ / ٦٢٢ ) ، وتاج العروس (مدل) ، وفي تهذيب اللغة ( ١٤ / ٣١٣ ) .

(2) معاني القرآن الكريم ( ٣ / ١٠ ) .

(3) ينظر : البحر المحيط ( ٤ / ٢٦٩ ) .

(4) ينظر : الكتاب ( ٤ / ٤٠ ) ، والوسيط للواحد ( ٢ / ٣٤٩ ) ، وتفسير القرآن للسمعاني ( ٢ / ١٦٥ ) ، ومعالم التنزيل للبعوي ( ٢ / ٩٠ ) ، ولباب التأويل للنازك ( ٢ / ٧٢ ) .

(5) ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ( ٩ / ١٥٤ ) ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ( ٦ / ٢٥٨ ) ، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي ( ٢ / ٩٦ ) ، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ( ٨ / ٢٣ ) .

(6) البيت لبشير بن التكت . ينظر : الكتاب ( ٢ / ٢٢٨ ) ، المحكم والمحيط العظيم ( ٢ / ٣٢٥ ) ، ولسان العرب ( ٤ / ٢٨٨ ) و ( ١٤ / ٢٥٧ ) ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ( ٢ / ٣١٨ ) .

(7) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ( ٢ / ٣١٨ ) .

(8) ينظر : الكشف ( ٢ / ٤٢٤ ) وجوز القول الأول ، وبهجة الأريب ( ١ / ٢١٣ ) .

(9) ينظر : فتح القدير ( ٢ / ٢٦٥ ) ، وفتح البيان ( ٤ / ٣٠٣ ) .

(10) ينظر : التحرير والتنوير ( ٨ / ٢٣ ) .

والآخر : ادّعاؤهم»<sup>(١)</sup>.

فإطلاق الدعوى على الادّعاء معروف من كلام العرب كما ذكره الطبري<sup>(٢)</sup>.

وذكر الآلوسي أن المشهور في معنى الدعوى : الادّعاء<sup>(٣)</sup>.

قال ابن عطية : « ويتوجّه أيضاً أن يكون [دَعَوْتُهُمْ] بمعنى الادّعاء ؛ لأن من ناله مكروه أو حزبه حادث فمن شأنه أن يدعو كما ذهب إليه المفسّرون في فعل هؤلاء المذكورين في هذه الآية ، ومن شأنه أيضاً أن يدّعي معاذير وأشياء تحسّن حاله وتقيم حجته في زعمه ، فيتجه أن يكون هؤلاء بحال من يدّعي معاذير ونحوها ، فأخبر الله عنهم أنهم لم يكن لهم دعوى ثم استثنى من غير الأول كأنه قال : لم يكن دعاءً أو ادّعاءً إلاّ الإقرار والاعتراف ، أي : هذا كان بدل الدعاء والادّعاء»<sup>(٤)</sup>.

وذكر القولين على جهة التساوي بصيغة (أو) : البيضاوي، وأبوالسعود<sup>(٥)</sup>.

واحتملهاها هنا معاً السمين الحلبي<sup>(٦)</sup>، ومال إلى ذلك أيضاً السيد محمد رشيد رضا،

والشنقيطي<sup>(٧)</sup> ولم يرجح بينهما .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أولى القولين بالصواب في ذلك ما رجّحه ابن جُزَيٍّ ومن

وافقه ؛ لأن الدعوى بمعنى الدعاء وردت في القرآن ، وحمل معاني كلام الله على الغالب من

أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى<sup>(٨)</sup>، وهو قول جمهور المفسّرين ، والله تعالى أعلم .

(1) مجاز القرآن (١/ ٢١٠) .

(2) ينظر : جامع البيان (١٠/ ٦٢) .

(3) ينظر : روح المعاني (٨/ ٨٠) .

(4) الحرر الوجيز (٥/ ٤٢٨) وتبعه الثعالبي مختصراً (الجواهر الحسان ١/ ٥٢٩) .

(5) ينظر : أنوار التنزيل (١/ ٣٣٣) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٣٤) .

(6) ينظر : الدر المصون (٥/ ٢٥٤) .

(7) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (٨/ ٢٩٦) ، والعذب النمير (٣/ ٩٩٠) .

(8) ينظر : قواعد الترجيح (١/ ١٧٢) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ﴾

### ٣- الخلاف في معنى (ما) في قوله : ﴿ فِيمَا أُغْوِيَنِي ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « الباء<sup>(١)</sup> للتعليل وهي تتعلق بفعل قَسَمَ محذوف ، تقديره: أقسم بالله بسبب إغوائك لي لأغوين بني آدم ، و ﴿ مَا ﴾ مصدرية . وقيل : استفهامية . ويُبطله ثبوت الألف في " ما " مع حرف الجرّ<sup>(٢)</sup> .

#### العرض والمناقشة :

ورجَّح ابن جُزَيِّ أن "ما" في قوله تعالى : ﴿ فِيمَا أُغْوِيَنِي ﴾ مصدرية وليست استفهامية، أي : فبإغوائك لي . وعلى هذا أكثر المفسرين وإن لم يصرِّحوا بذلك ، وإنما يفهم من تفسيرهم ذلك حينما يؤلونها بالمصدر ( بإغوائك لي ) ، وكثير منهم لا يذكر الخلاف في "ما"<sup>(٣)</sup> .

ورجَّح هذا القول : الكرمانى، والقسمى، وأبوحيان، والسمين الحلبى، وأبوالسعود، والشهاب، والشوكاني، والآلوسى، والقنوجى، والطاهر<sup>(٤)</sup> .  
وذكره البغوي ، والقرطبي بصيغة ( قيل )<sup>(٥)</sup> .

وقال البغوي : « كقوله تعالى : ﴿ يَمَا غَفَرَلِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ ﴿٢٧﴾ » [يس] .  
وأما القول الثاني بأن "ما" استفهامية فهو مفهوم كلام الطبري قال : « يقول جل ثناؤه: قال إبليس لربه : ﴿ فِيمَا أُغْوِيَنِي ﴾ . يقول : فبأي شيء أضللتني »<sup>(٦)</sup> .

(1) في المطبوع : الفاء وهو تصحيف ، والصواب ما أثبتته .

(2) التسهيل لعلوم التنزيل ( ٢ / ٢٩ ) .

(3) ينظر على سبيل المثال : الوجيز للواحدي ( ١ / ٣٨٨ ) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٣ / ١٤ ) ، ومحاسن التأويل ( ٧ / ٢٦٣٥ ) ، وتفسير القرآن الحكيم ( ٨ / ٣١٩ ) ، وتفسير المراغي ( ٨ / ١١٥ ) .

(4) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل ( ١ / ٣٩٩ ) ، وغرائب القرآن ( ٣ / ٢١٠ ) ، والبحر المحيط ( ٤ / ٢٧٤ ) ، والدر المصون ( ٥ / ٢٦٥ ) ، وإرشاد العقل السليم ( ٢ / ٢٤٢ ) ، وحاشية الشهاب ( ٤ / ١٥٥ ) ، وفتح القدير ( ٢ / ٢٧٠ ) ، وروح المعاني ( ٨ / ٩٤ ) ، وفتح البيان ( ٤ / ٣١٣ ) ، والتحرير والتنوير ( ٨ / ٤٧ ) .

(5) ينظر : معالم التنزيل ( ٢ / ٩٣ ) ، والجامع لأحكام القرآن ( ٩ / ١٧٠ ) .

(6) جامع البيان ( ١٠ / ٩١ ) .

ثم ساق الآثار والأقوال في معنى ﴿أَغْوَيْتَنِي﴾ .

وفهم هذا منه ابن عطية فقال : « ويحتمل أن يريد بقوله : ﴿فِيمَا﴾ الاستفهام عن السبب في إغوائه ، ثم قطع ذلك وابتدأ الإخبار عن قعوده لهم ، وبهذا فسّر الطبري أثناء لفظه «<sup>(١)</sup>» .

وبدأ به الخازن ثم ذكر الأقوال الأخرى — قيل <sup>(٢)</sup> .

واستغربه الكرماني وقال : « وفيه ضعف ؛ لأن ألفه لا تحذف مع الجارِّ ، إلا في الشعر » <sup>(٣)</sup> .

وذكره البغوي ، والزمخشري ، والقرطبي ، والقمي ، والشوكاني ، والقنوجي بصيغة (قيل) <sup>(٤)</sup> .

قال الزمخشري : « وإثبات الألف إذا أدخل حرف الجر على " ما " الاستفهامية قليل شاذ » .

واستشكله الرازي بنفس الإشكال <sup>(٥)</sup> .

وقال أبوحيان : « وضَعَّفَ بإثبات الألف في (ما) الاستفهامية وذلك شاذ أو ضرورة

نحو قولهم : عمّا تسأل ؟ فهذا شاذ . والضرورة كقوله : على ما قام يشتمني لئيم ؟ » <sup>(٦)</sup> .

وقال الشهاب : « ولا يخفى ضعفه وإن قيل به » <sup>(٧)</sup> .

وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن ما رجّحه ابن جزيّ من أن " ما " مصدرية في قوله : ﴿فِيمَا﴾

(1) المحرر الوجيز (٥ / ٤٤٥) .

(2) ينظر : لباب التأويل (٢ / ٧٦) .

(3) غرائب التفسير وعجائب التأويل (١ / ٣٩٩) .

(4) ينظر : معالم التنزيل (٢ / ٩٣) ، والكشاف (٢ / ٤٢٩) ، والجامع لأحكام القرآن (٩ / ١٧٠) ، وغرائب القرآن

ورغائب الفرقان (٣ / ٢١٠) ، وفتح القدير (٢ / ٢٧٠) ، وفتح البيان (٤ / ٣١٣) .

(5) ينظر : مفاتيح الغيب (٥ / ٢١٢) .

(6) البحر المحيط (٤ / ٢٧٥) . ومثله السمين في الدر المصون (٥ / ٢٦٥) .

(7) حاشية الشهاب (٤ / ١٥٥) . ومثله الألوسي في روح المعاني (٨ / ٩٤) .

أَغْوَيْتَنِي ﴿ هو الوجه التفسيري الموافق لرسم المصحف <sup>(١)</sup>.

وأما القول الآخر بأنها استفهامية فقول ضعيف ؛ لثبوت الألف في " ما " مع حرف

الجرِّ وهو قليل شاذّ كما قال الزمخشري ، والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر : قواعد الترجيح (١ / ١١٠) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤْرِي سَوْءَ تِكُمْ وَرِدِيْشًا وَ لِبَاسَ التَّقْوَى ذَلِك خَيْرٌ ذَلِك مِنْ ءَايَاتِ اللّٰهِ

لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿٣٦﴾

٤ - الخلاف في معنى ﴿أَنْزَلْنَا﴾ من قوله: ﴿قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤْرِي سَوْءَ تِكُمْ وَرِدِيْشًا﴾.

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « ومعنى ﴿أَنْزَلْنَا﴾ : خلقنا . وقيل : المراد أنزلنا ما يكون عنه اللباس وهو المطر » (١) .

#### العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيِّ أن معنى ﴿أَنْزَلْنَا﴾ : خَلَقْنَا ، ففسَّرَ أنزل بـ خَلَقَ ، ووافق في هذا ما نُسِبَ إلى سعيد بن جبير (٢) .

ووافقه في هذا الطبري، والسمرقندي، والواحدي، والكرماني، وابن الجوزي، والبيضاوي، والسيوطي، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي (٣) .

واستدل لهذا القول بنظيره في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ﴾ (٤) [الزمر: ٦]. بمعنى : وخلق لكم .

وبقوله تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ (٥) [الحديد : ٢٥] .

قال ابن عطية : « فخلق الله عز وجل وأفعاله إنما هي من عُلُوٍّ فِي الْقَدْرِ وَالمترلة » (٦) .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٣٠) .

(2) نسبه له القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٩ / ١٨٥) .

(3) ينظر : : جامع البيان (١٠ / ١١٩) ، وبحر العلوم (١ / ٥٣٥) ، والوجيز (١ / ٣٩٠) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (١ / ٤٠٠) ، وتذكرة الأريب (١ / ١٧٦) ، وأنوار التنزيل (١ / ٣٣٦) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣ / ٢٢) ، وإرشاد العقل السليم (٢ / ٢٤٥) ، وفتح القدير (٢ / ٢٧٧) ، وروح المعاني (٨ / ١٠٣) ، وفتح البيان (٤ / ٣٢٣) ، وتفسير القرآن الحكيم (٨ / ٣٣٩) ، وتفسير المراغي (٨ / ١٢٥) .

(4) ينظر : أنوار التنزيل للبيضاوي (١ / ٣٣٦) ، والمحزر الوجيز لابن عطية (٥ / ٤٧٠) ، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢ / ٢٤٥) .

(5) ينظر : المصادر السابقة .

(6) المحزر الوجيز (٥ / ٤٧٠) .

وقال السيد محمد رشيد رضا : « والمراد بإنزال ما ذكر أن الله تعالى خلق لبني آدم مادته من القطن والصوف والوبر وريش الطير والحريز وغيرها ، وعلمهم بما خلق لهم من الغرائز والقوى والأعضاء وسائل صنع اللباس منها كالزراعة والغزل والنسج والخياطة »<sup>(١)</sup> .  
ويقول الألوسي : « أي خلقنا لكم ذلك بأسباب نازلة من السماء كالمطر الذي ينبت به القطن الذي يجعل لباساً ... وعلى كل فالكلام لا يخلو من مجاز »<sup>(٢)</sup> .

وأما القول الثاني بأن المراد هو إنزال المطر الذي يكون عنه اللباس والريش ، فهو منسوب إلى الحسن<sup>(٣)</sup> .

وإليه ذهب الجصاص، والجرجاني، والسمعاني، والرازي، والقرطبي، والنسفي، والبلنسي<sup>(٤)</sup> .

وهو مفهوم كلام النحاس، والعكبري<sup>(٥)</sup> .

وذكره السمرقندي ، والقنوجي بصيغة ( قيل )<sup>(٦)</sup> . واستغربه الكرمان<sup>(٧)</sup> .

واستدل له بأن اللباس يكون من نبات الأرض أو من جلود الحيوان وأصوافها ، وقوام جميعها بالمطر النازل من السماء . ذكره الجصاص<sup>(٨)</sup> .

قال الرازي : « وتحقيق القول : إن الأشياء التي تحدث في الأرض لما كانت معلقة بالأمور النازلة من السماء صار كأنه تعالى أنزلها من السماء » .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً أَزْوَاجًا ﴾ ، وقوله : ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ

بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾<sup>(٩)</sup> .

(1) تفسير القرآن الحكيم (٨ / ٣٣٩) .

(2) روح المعاني (٨ / ١٠٣) .

(3) نسبه له الماوردي في النكت والعيون (٢ / ٢١٣) .

(4) ينظر : أحكام القرآن (٤ / ٢٠٣) ، والوسيط للواحد (٢ / ٣٥٨) ، وتفسير القرآن (٢ / ١٧٣) ومفاتيح الغيب

(٥ / ٢٢١) ، والجامع لأحكام القرآن (٩ / ١٨٤) ، ومدارك التنزيل (٢ / ٤٩) مبهمات القرآن (١ / ٤٧٣) .

(5) ينظر : إعراب القرآن (٢ / ١٢٠) ، والتبيان (١ / ٥٦٢) .

(6) ينظر : بحر العلوم (١ / ٥٣٥) ، وفتح البيان (٤ / ٣٢٢) .

(7) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١ / ٤٠٠) .

(8) ينظر : أحكام القرآن (٤ / ٢٠٣) .

(9) مفاتيح الغيب (٥ / ٢٢١) .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن كلا القولين قولٌ بالمجاز ، ومثله تفسير الإنزال بالإلهام كما ذهب إليه الطاهر بن عاشور<sup>(١)</sup> وقال أيضًا : « وقد كان ذلك اللباس الذي نزل به آدم هو أصل اللباس الذي يستعمله البشر ». اهـ.

والصواب هو إجراؤ لفظ ﴿ أَنْزَلْنَا ﴾ على حقيقته وعدم إخراجها عن معناه المعروف لغة.

قال ابن تيمية : « لا حاجة إلى إخراج اللفظ عن معناه المعروف لغة ؛ فإن اللباس يتزل من ظهور الأنعام فامتدَّ سبحانه بما ينتفعون به من الأنعام في اللباس والأثاث ، وهذا — والله أعلم — معنى إنزاله ؛ فإنه يتزل من ظهور الأنعام ، وهو كسوة الأنعام من الأصواف والأوبار والأشعار، وينتفع به بنو آدم في اللباس والرياش ، فقد أنزلها عليهم . وأكثر أهل الأرض كسوتهم من جلود الدواب ، فهي لدفع الحر والبرد ، وأعظم مما يصنع من القطن والكتان»<sup>(٢)</sup>.

فإذا كان ذلك كذلك فإن الواجب هو حمل اللفظ على حقيقته<sup>(٣)</sup>، وإجراؤه على معناه المعروف من كلام العرب هو الأولى<sup>(٤)</sup> ، فهو إنزال حقيقي كما أخبر الله تعالى لكن الكيفية مجهولة بالنسبة لنا ، فهل المراد أنه أنزل أصل اللباس الذي يستعمله البشر مع آدم وحواء حينما أنزلهما إلى الأرض<sup>(٥)</sup>؟ أم المراد أنه أنزل من ظهور الأنعام<sup>(٦)</sup>؟ الله تعالى أعلم. لقد أخبرنا جل وعلا بأنه أنزله ولم يخبرنا كيف أنزله ، وهذا هو الصواب في هذه المسألة ، والله تعالى أعلم .

والاستدلال بقوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمِينَةَ أَرْوَاحٍ ﴾ [ الزمر : ٦ ] لا يصح على أن معنى أنزل : خلق ؛ لأن الله قال في أول الآية : ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا

- (1) أي : ألهمهم الله كيفية صناعة اللباس . ينظر : التحرير والتنوير (٧٣ / ٨) ، وزاد المسير (٣ / ١٨١) . وذكره القرطبي في الجامع (٩ / ١٨٥) بصيغة ( قيل ) .
- (2) ينظر : محاسن التأويل للقاسمي (٧ / ٢٦٤٥) .
- (3) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (٢ / ٣٨٧) .
- (4) ينظر : المصدر السابق (٢ / ٣٦٩) .
- (5) كما قاله الطاهر بن عاشور . وينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩ / ١٨٤) ، فإنه ذكره بصيغة ( قيل ) .
- (6) كما قاله ابن تيمية .

زَوْجَهَا ﴿ ثُمَّ قَالَ : ﴿ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ﴾ ثُمَّ قَالَ : ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ  
 أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ ﴾ . فَذِكْرُ ( أَنْزَلَ ) بَيْنَ ( خَلَقَكُمْ ) وَ( يَخْلُقُكُمْ ) يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ( أَنْزَلَ )  
 هُنَا لَيْسَتْ بِمَعْنَى خَلَقَ ، وَهَذَا وَاضِحٌ لَا إِشْكَالَ فِيهِ لِمَنْ تَأَمَّلَهُ . وَمِثْلُ الْخَوْضِ فِي كَيْفِيَّةِ  
 الْإِنْزَالِ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجِ الْخَوْضِ فِي كَيْفِيَّةِ إِنْزَالِ الْحَدِيدِ وَأَنَّهُ مِنْ رُؤُوسِ وَأَعْلَى الْجِبَالِ ،  
 وَلَمْ لَا يَكُونُ إِنْزَالًا حَقِيقِيًّا مِنَ السَّمَاءِ ؟ ! وَمَا الَّذِي يَمْنَعُ مِنْهُ ؟ !

قَالَ تَعَالَى:

﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾

﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ (٢٩)

٥- الخلاف في المراد بقوله: ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ هل المقصود المكان؟ أم الزمان؟

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «أَيُّ: في كل مكان سجود أو في وقت كل سجود، والأول أظهر. والمعنى: إباحة الصلاة في كل موضع؛ كقوله ﷺ: (جعلت لي الأرض مسجداً)» (١).

العرض والمناقشة:

رجح ابن جزي أن المراد بقوله ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾: مكان الصلاة، والمعنى: إباحتها في كل موضع. ووافق ما روي عن مجاهد (٢)، ومفهوم ما نسب لابن عباس (٣)، والضحاك (٤) من أن المراد: أن يصلي في أي مسجد إذا حضرت الصلاة، ولا يقول: لا أصلي إلا في مسجد قومي. ونسب إلى السدي أيضاً (٥).

وقال به الكلبي (٦). وعليه مقاتل، والفراء، والنحاس، وابن أبي زمنين، والبغوي، ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي، والقرطبي، والحازن، والقنوجي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والطاهر بن عاشور (٧).

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٣١).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠ / ١٤٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٤٦٢) رقم (٨٣٦٢) من طريق ابن أبي نجیح، وعمر بن ذر، عنه.

(٣) ينظر: زاد المسير لابن الجوزي (٣ / ١٨٥)، ومفاتيح الغيب للرازي (٥ / ٢٢٧).

(٤) ينظر: معالم التنزيل للبغوي (٢ / ٩٨)، وزاد المسير (٣ / ١٨٥).

(٥) ينظر: الوسيط للواحد (٢ / )، ومعالم التنزيل (٢ / ٩٨).

(٦) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (١ / ٥٣٧).

(٧) ينظر: تفسير مقاتل (٢ / ٣٤)، ومعاني القرآن (١ / ٣٧٦)، ومعاني القرآن الكريم (٣ / ٢٦)، وتفسير القرآن العزيز (٢ / ١١٨)، ومعالم التنزيل (٢ / ٩٨)، ووضح البرهان (١ / ٣٥٧)، وإيجاز البيان (١ / ٢٦٨)، وتذكرة الأريب (١ / ١٧٦)، والجامع لأحكام القرآن (٩ / ١٩٠)، ولباب التأويل (٢ / ٨٢)، وفتح البيان

وهو مفهوم كلام الواحدي، وابن القيم، وابن كثير<sup>(١)</sup>.  
وبدأ به السمعاني، وابن عطية<sup>(٢)</sup>، ونسبه لمجاهد والسدي وذكره وغيره من الأقوال بصيغة (قيل) .

قال مجاهد: « إلى الكعبة حيثما صليتم في الكنيسة وغيرها » . وقال: « إلى الكعبة حيثما كنت ».

فمجاهد يفسر قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ﴾ باستقبال الكعبة (القبلة) ، ويفسر قوله تعالى: ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ بكل مكان وحيثما كنتم وصليتم ولو في كنيسة أو بيعة أو غيرها .

وردّه الطبري بقوله: « إن القوم أمروا أن يتوجهوا بصلاتهم إلى ربهم لا إلى ما سواه من الأوثان والأصنام...؛ لأن الله جل ثناؤه إنما خاطب بهذه الآية قومًا من مشركي العرب لم يكونوا أهل كنائس وبيع، وإنما كانت الكنائس والبيع لأهل الكتابين، فغير معقول أن يقال لمن لا يصلي في كنيسة أو بيعة: وجهه وجهك إلى الكعبة في كنيسة كنت أو بيعة»<sup>(٣)</sup>.

ويفهم من كلام الطبري أن ﴿كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ معناه الصلاة، والمقصود التوجه بها إلى الله وإخلاصها له .

واستدل ابن جزّي بقوله ﷺ: ( وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا ، وأبما رجل من أمتي أدر كته الصلاة فليصل )<sup>(٤)</sup> .

- 
- (٤/٣٢٩)، وتفسير القرآن الحكيم (٨/٣٥٤)، وتفسير المراغي (٨/١٣٠)، والتحرير والتنوير (٨/٨٧-٨٨).
- (1) ينظر: الوجيز (١/٣٩١) ، والوسيط (٢/٣٦١) — ونسبه إلى مجاهد والسدي — ، وبدائع التفسير (٢/٢٤)، وتفسير القرآن العظيم (٦/٢٨١) .
- (2) ينظر: تفسير القرآن (٢/١٧٦) ، والمحرر الوجيز (٥/٤٧٨ ، ٤٧٩) .
- (3) جامع البيان (١٠/١٤١) بتصرف .
- (4) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٣٣٥) في كتاب التيمم ، و (٤٣٨) في كتاب الصلاة ، باب قول النبي ﷺ: ( جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا ، و (٣١٢٢) كتاب فرض الخمس . ومسلم في صحيحه رقم (٥٢١) في كتاب المساجد ومواضع الصلاة . وغيرهما من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه . وأخرجه مسلم في صحيحه (٥ / ٢٥٣) كتاب المساجد ، وأحمد في مسنده (٢/٤١١) ، وابن ماجه في سننه (٥٦٧) كتاب الطهارة ، أبواب التيمم ، باب ما جاء في السبب ، والترمذي في سننه (١٥٥٣) وغيرهم من حديث أبي هريرة

ووجه الاستدلال : إباحة الصلاة في كل موضع .

ويدل عليه أيضاً ظاهر اللفظ ، فإن لفظ ﴿مَسْجِدٍ﴾ يدل على المكان دلالةً ظاهرة ، ودلالته على موضع الصلاة ومكان إقامتها دلالةً حقيقيةً بخلاف دلالته على السجود فإنها مجازٌ ، والحقيقة مقدمة على المجاز<sup>(١)</sup> .

ولو سَلَّمْنَا أن المسجد يطلق في اللغة على السجود بمعنى الصلاة ، فإن الحقيقة الشرعية مقدمة على الحقيقة اللغوية<sup>(٢)</sup>؛ لأن اسم المسجد حقيقة شرعية في المكان والموضع المعد للصلاة .

قال الطاهر بن عاشور : « اسم المسجد منقول في الإسلام للمكان المعين المحدود المتخذ للصلاة »<sup>(٣)</sup> .

فالمسجد في الاصطلاح الشرعي هو المكان المتخذ للصلاة .

ومما يشهد له قوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١] . يقول الشنقيطي : « سواء كان المسجد الحرام للطواف أو غيره من المساجد للصلاة . وكون الزينة هنا لبس اللباس للطواف والصلاة يكاد يجمع عليه المفسرون »<sup>(٤)</sup> .  
وأما القول الآخر وهو أن المراد بكل مسجد : وقت كل سجود ، أي : وقت كل صلاة ، فهو قول الزجاج<sup>(٥)</sup> . وذهب إليه الرازي<sup>(٦)</sup> ، والزمخشري<sup>(٧)</sup> ، والنسفي<sup>(٨)</sup> .

رضي الله عنه . وفي الباب عن عبد الله بن عمرو ، وأبي ذر ، وأبي أمامة ، وابن عباس ، وعوف بن مالك ، وعلي بن أبي طالب ، وابن عمر . ينظر : تخريج الأحاديث والآثار في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لسامي الجهنبي (٦٨٦ / ٢ - ٦٩٣) .

(١) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل (٩ / ١) ، وقواعد الترجيح (٢ / ٣٨٧) .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح (٢ / ٤٠١) .

(٣) التحرير والتنوير (٨ / ٨٨) .

(٤) العذب النمير (٣ / ١٥٤ - ١٥٥ ط دار العالم الفوائد . بإشراف د. بكر أبو زيد) .

(٥) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٢ / ٣٣٠) .

(٦) ينظر : مفاتيح الغيب (٥ / ٢٢٦) .

(٧) ينظر : الكشاف (٢ / ٤٣٧) قال : ( في كل وقت سجود أو في مكان سجود وهو الصلاة ) . ونقله عنه أبو

حيان في البحر المحيط (٤ / ٢٨٨) ، والسمين الحلبي في الدر المصون (٥ / ٩٧) بالواو بدل أو .

(٨) ينظر : مدارك التنزيل (٢ / ٥٠) .

وهو مفهوم كلام السمرقندي ، والسعدي<sup>(١)</sup> .  
 وذكره البغوي ، والخازن بصيغة ( قيل )<sup>(٢)</sup> .  
 قال الرازي : « اختلفوا في أن المراد زمان الصلاة أو مكانه ، والأقرب هو الأول ؛  
 لأنه الموضع الذي يمكن فيه إقامة الوجه للقبلة ، فكأنه تعالى بيّن لنا أن لا نعتبر الأماكن ، بل  
 نعتبر القبلة ، فكان المعنى : وجهوا وجوهكم حيثما كنتم في الصلاة إلى الكعبة »<sup>(٣)</sup> .  
 وعلى هذا القول فإن السجود مجاز عن الصلاة ، كما قاله الآلوسي ، والقاسمي<sup>(٤)</sup> .  
 وسوّى بين القولين البيضاوي ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والقاسمي<sup>(٥)</sup> .  
 وذكرها أبو حيان بصيغة ( قيل ) ولم يرجح<sup>(٦)</sup> .  
 قال السمين : « ومسجد هنا يحتمل أن يكون مكاناً وزماناً »<sup>(٧)</sup> .  
 وقال الآلوسي : « والمسجد اسم زمان أو مكان بالمعنى اللغوي »<sup>(٨)</sup> .  
 وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن الأولى بالصواب هو ما رجّحه ابن جزيّ ومن وافقه ؛ لأن  
 الظاهر من قوله ﴿ مَسْجِدٍ ﴾ هو المكان المتخذ لأداء الصلاة ، وهذا اصطلاح شرعي وهو  
 ظاهر كلامه تعالى ، ويعضده الحديث النبوي في جعل الأرض مسجداً وطهوراً ، فيكون  
 المعنى المراد هو إقامة الصلاة في كل مكان .  
 والذي يظهر أنه يلزم من هذا القول القول الآخر ؛ لأن المساجد إنما بنيت لأداء الصلاة  
 فيها وإقامة ذكر الله ، فحيثما صليتم وأقمتم الصلاة فتوجهوا إلى القبلة وأخلصوا النية لله ،  
 والعلم عند الله تعالى .

- (1) ينظر : بحر العلوم (١ / ٥٣٧) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢ / ١٠٥) .
- (2) ينظر : معالم التنزيل (٢ / ٩٨) ، ولباب التأويل (٢ / ٨٢) .
- (3) مفاتيح الغيب (٥ / ٢٢٦ — ٢٢٧) .
- (4) ينظر : روح المعاني (٨ / ١٠٧) ، ومحاسن التأويل (٧ / ٢٦٥٥) .
- (5) ينظر : أنوار التنزيل (١ / ٣٣٨) ، وإرشاد العقل السليم (٢ / ٢٤٧) ، وفتح القدير (٢ / ٢٨٠) ، ومحاسن  
التأويل (٧ / ٢٦٥٥) .
- (6) ينظر : البحر المحيط (٤ / ٢٨٧ ، ٢٨٨) .
- (7) الدر المصون (٥ / ٢٩٧) .
- (8) روح المعاني (٨ / ١٠٧) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ خُدُوًا زَيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوْا وَاشْرَبُوْا وَلَا تُسْرِفُوْا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ ﴿٣١﴾﴾

### ٦- الخلاف في معنى الإسراف المنهي عنه في قوله: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « أي : لا تكثرُوا من الأكل فوق الحاجة . وقال الأطباء : إن الطَّبَّ كُلَّهُ مجموعٌ في هذه الآية . وقيل : لا تسرفوا بأكل الحرام »<sup>(١)</sup>.

#### العرض والمناقشة :

رحَّح ابن جُزَيِّ أن الإسراف المنهي عنه في قوله تعالى : ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ معناه : الزيادة من الأكل فوق الحاجة . وهذا قول الزجاج<sup>(٢)</sup> . وذهب إليه القرطبي ، والبقاعي ، والرازي ، والطاهر<sup>(٣)</sup> . واستغربه الكرمانى<sup>(٤)</sup> .

وقال الآلوسى : « وذهب إليه كثير »<sup>(٥)</sup>.

ويدل له أن الإسراف في لغة العرب : هو مجاوزة الحد<sup>(٦)</sup> .

وجاء في الحديث : ( أصل كل داء البردَّة )<sup>(٧)</sup> يعني : التُّخْمَة .

ويستأنس له بقول الأطباء : إن الطَّبَّ كُلَّهُ مجموع في هذه الآية : ﴿وَكُلُوْا وَاشْرَبُوْا وَلَا

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٣١) .

(2) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٢ / ٣٣٣) .

(3) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (٩ / ٢٠١) ، ونظم الدرر (٧ / ٣٨٧) ، ومفاتيح الغيب (٥ / ٢٣٠) ، والتحرير والتنوير (٨ / ٩٥) .

(4) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١ / ٤٠٢) .

(5) روح المعاني (٨ / ١١٠) .

(6) ينظر : لسان العرب ، مادة (سرف) ، والعذب النمير للشنقيطي (٣ / ١٠٨٣) .

(7) رواه ابن السني ، وأبو نعيم عن أنس مرفوعاً . ورواه من حديث أبي سعيد الخدري مثله . ينظر : الدر المنثور للسيوطي (٣ / ٤٤٥) . ورواه ابن حبان في المجروحين (١ / ٢٠٤) ، وابن عددي في الكامل (٢ / ٥١٣) ، والعقيلي في الضعفاء (١ / ١٦٩) من حديث أنس مرفوعاً ، وفيه تمام بن نجيح ، وهو ضعيف جداً . وقال الخطابي في إصلاح غلط المحدثين (٧٠) : هو من قول ابن مسعود . وقال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٢ / ٤٦٨) : ولا يصح رفعه . والبردَّة : هي التُّخْمَة . قال الخطابي في إصلاح غلط المحدثين (٧٠) : وأصحاب الحديث يقولون : "البردُّ" وهو غلط .

تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١﴾ .

وقال الرازي : « وحمل لفظ "الإسراف" على الاستكثار مما لا ينبغي أولى من حمله على المنع مما يجوز وينبغي »<sup>(٢)</sup>.

وأما القول الثاني في معنى الإسراف المنهي عنه في الآية الكريمة وهو أن المعنى : لا تسرفوا بأكل الحرام ، فهو قول ابن زيد<sup>(٣)</sup>. ومفهوم كلام الطبري<sup>(٤)</sup>. وعليه السمعاني<sup>(٥)</sup>.

وروي عن ابن عباس<sup>(٦)</sup>، والسدي<sup>(٧)</sup> أن المراد : النهي عن تحريم ما أحل لكم . ونقل الرازي عن أبي بكر الأصم قوله : « إن المراد من الإسراف قولهم بتحريم البحيرة والسائبة »<sup>(٨)</sup>.

قال ابن عطية : « واللفظ يقتضي النهي عن السرف مطلقاً ، فمن تلبس بفعل حرام فتأول تلبسه به حصل من المسرفين وتوجه النهي عليه . ومن تلبس بفعل مباح فإن مشى فيه على القصد وأوساط الأمور فحسن ، وإن أفرط حتى دخل الضرر حصل أيضاً من المسرفين

(1) ينظر : بحر العلوم للسمرقندي (٥٣٨/١)، وغرائب التفسير للكرماني (٤٠٢/١)، ومعالم الترتيل للبغوي (٩٩/٢)، والكشاف للزمخشري (٤٣٨/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (١٨٨/٣)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٩٧/٩)، ومدارك الترتيل للنسفي (٥١/٢)، وغرائب القرآن للنيسابوري القمي (٢٢٥/٣)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢٩٠/٤)، ومحاسن التأويل للقاسمي (٢٦٦٤/٧)، والعذب النمير للشنقيطي (١٠٨١ / ٣) .

(2) مفاتيح الغيب (٢٣٠ / ٥) . وتبعه القمي في غرائب القرآن (٢٢٥ / ٣) .

(3) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٥٦ / ١٠) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٦٦ / ٥) رقم (٨٣٨٧) .

(4) ينظر : جامع البيان (١٠ / ١٤٩ و ١٥٦) .

(5) ينظر : تفسير القرآن (١٧٧ / ٢ ، ١٧٨) .

(6) ينظر : النكت والعيون للماوردي (٢ / ٢١٨) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٣ / ١٨٧ ، ١٨٨) .

(7) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠ / ١٥٥) .

(8) ينظر : مفاتيح الغيب للرازي (٥ / ٢٣٠) .

والبحيرة الفعيلة ، من قول القائل : بَحَرْتُ أُذُنَ هَذِهِ النَّاقَةِ — إِذَا شَقَّهَا — أَبْجَرُهَا بَجْرًا . والناقة مبْحُورَةٌ ، ثم تصرف المفعولة إلى فعيلة ، فيقال : هي بَحِيرَةٌ .

والسائبة هي المسيبة المخلاة في المرعى ، فلا تُرَدُّ عن حَوْضٍ ، ولا عَلْفٍ ، كانت الجاهلية يفعل ذلك أحدُهم ببعض مواشيه ، فيحرم الانتفاع به على نفسه . ينظر : جامع البيان للطبري (٩ / ٢٩٠، ٣٠) ، ومفردات ألفاظ

القرآن للراغب (٤٣١، ١٠٩) مادة : بحر ، سيب .

وتوجّه النهي عليه ، مثل أن يُفْرط إنسان في شراء ثيابٍ ونحوها ويستنفذ في ذلك جُلَّ ماله، أو يعطي ماله أجمع ويكابد بعياله الفقر بعد ذلك ونحوه...»<sup>(١)</sup>.

وقال الشنقيطي : «ولا مانع من أن تشمل الآية الجميع فلا يجوز الإسراف بتحريم ما أحلَّ الله ، وتحليل ما حرّم الله ، كما لا يجوز الإسراف الكثير...»<sup>(٢)</sup>.  
وسوّى بين هذه الأقوال : البيضاوي، والنسفي، وأبو السعود، والآلوسي، والشوكاني، والقنوجي، والسعدي<sup>(٣)</sup>.

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الجمع بين هذه الأقوال هو الأولى بالصواب في تفسير الإسراف المنهي عنه ؛ لشمول لفظ الإسراف لها، فإنه في لغة العرب بمعنى مجاوزة الحدِّ بغلوٍّ أو تقصير فيدخل فيه : تحريم الحلال ، وتحليل الحرام ، والإكثار من الأكل والشرب فوق الحاجة ، وهذا ما ذهب إليه ابن عطية ، وتبعه الثعالبي ، واختاره الشنقيطي .  
ويؤيده القاعدة الترجيحية : ( يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص )<sup>(٤)</sup>، والله تعالى أعلم .

(1) المحرر الوجيز (٥/ ٤٨٢) .

(2) العذب النمير (٣/ ١٠٨٣) .

(3) ينظر : أنوار التنزيل (١/ ٣٣٨) ، ومدارك التنزيل (٢/ ٥٠) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٤٧) ، وفتح القدير (٢/ ٢٨٢) ، وروح المعاني (٨/ ١١٠) ، وفتح البيان (٤/ ٣٣٣) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ١٠٦) .

(4) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/ ٥٢٧) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ

حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾

٧- الخلاف في معنى قوله : ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ﴾ .

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « فيه ثلاثة أقوال : أحدها : لا يصعد عملهم إلى السماء . والثاني : لا يدخلون الجنة ؛ فإن الجنة في السماء . والثالث : لا تفتح أبواب السماء لأرواحهم إذا ماتوا كما تفتح لأرواح المؤمنين »<sup>(١)</sup> .

العرض والمناقشة :

قدم ابن جزي في قوله تعالى : ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ﴾ القول بأن معناه : لا يصعد عملهم إلى السماء ؛ ترجيحاً له على غيره من الأقوال . ووافق ما روي عن ابن عباس<sup>(٢)</sup> ، ومجاهد<sup>(٣)</sup> ، وسعيد بن جبير<sup>(٤)</sup> ، والنخعي<sup>(٥)</sup> ، وقتادة<sup>(٦)</sup> .

وذهب إليه الفراء ، والسمرقندي ، ومكي ، والزمخشري<sup>(٧)</sup> .

وذكره القرطبي ، والآلوسي ، والشوكاني ، والقنوجي بصيغة ( قيل )<sup>(٨)</sup> .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٣٢) .

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠ / ١٨٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٤٧٧) رقم ( ٨٤٦٠ ) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه . وأخرجه أيضاً من طريق عطاء ، عنه . وأخرجه أيضاً من طريق عطية العوفي ، عنه . بألفاظ متقاربة : لا يصعد إلى الله من عملهم شيء . لا يصعد لهم قول ولا عمل . لا تفتح لخير يعملون . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٤٥٢) نسبه إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠ / ١٨٤) من طريق سفيان ، عن منصور ، عنه قال : لا يصعد لهم كلام ولا عمل . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٤٧٧) عقب الأثر ( ٨٤٦٢ ) .

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ١٨٤ ) من طريق شريك ، عنه قال : لا يرفع لهم عمل صالح ولا دعاء .

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ١٨٤ ) من طريق شريك ، عن منصور ، عنه قال : لا يرفع لهم عمل ولا دعاء .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٤٧٧) رقم (٨٤٦٤) من طريق سعيد بن بشير ، عنه .

(٧) ينظر : معاني القرآن (١ / ٣٧٩) وبحر العلوم (١ / ٥٤٠) وتفسير المشكل ( ١٧١ ) والكشاف (٢ / ٤٤١) .

(٨) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (٩ / ٢١٩) وروح المعاني (٨ / ١١٨) ، وفتح القدير (٢ / ٢٨٩) وفتح البيان (٤ / ٣٥٧) .

واستدلَّ له الزمخشري بقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾<sup>(١)</sup> [فاطر: ١٠].  
 ووجه الاستدلال ظاهر في صعود الكلم الطيب إلى الله تعالى والذي يقتضي تفتُّح  
 أبواب السماء له ، ومفهومُه عدمُ تفتُّحِها لعمل الكفار .

واستدلَّ له أيضا بقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلْتَيْنَ﴾<sup>(٢)</sup> [المطففين: ١٨].  
 وأما القول الثاني بأن المعنى لا يدخلون الجنة ؛ لأن الجنة في السماء ، فذكره الزجاج  
 بقوله: « وقال بعضهم : لا تفتح لهم أبواب السماء ، أي : أبواب الجنة ؛ لأن الجنة في  
 السماء ، والدليل على ذلك قوله: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ . فكأنه لا تفتح لهم أبواب الجنة ولا  
 يدخلونها»<sup>(٣)</sup> . اهـ . وهذا تكلف ظاهر بل الآية على التفريق بين أبواب السماء والجنة .  
 ويردّه أن المراد بالسماء المعروفة ، وهو المشهور ، كما قاله ابن الجوزي<sup>(٤)</sup> .  
 وذكر هذا القول : النحاس ، والزمخشري ، والقرطبي ، وأبوحيان ، والشوكاني ،  
 والقنوجي بصيغة ( قيل )<sup>(٥)</sup> .

وأما القول الثالث بأن معنى الآية : لا تفتح أبواب السماء لأرواحهم إذا ماتوا كما  
 تفتح لأرواح المؤمنين ، فروي عن ابن عباس أيضا<sup>(٦)</sup> . وقال به السدي<sup>(٧)</sup> ، والضحاك<sup>(٨)</sup> .  
 ونُسبَ إلى أبي موسى الأشعري<sup>(٩)</sup> .

- 
- (1) ينظر : الكشف ( ٢ / ٤٤١ ) .
  - (2) المصدر السابق .
  - (3) معاني القرآن وإعرابه ( ٢ / ٣٣٧ ) . وتبعه السمرقندي كما في بحر العلوم ( ١ / ٥٤٠ ) .
  - (4) ينظر : زاد المسير ( ٣ / ١٩٧ ) .
  - (5) ينظر : معاني القرآن الكريم ( ٣ / ٣٤ ) ، والكشف ( ٢ / ٤٤١ ) ، والجامع لأحكام القرآن ( ٩ / ٢١٩ ) ، والبحر  
 المحيط ( ٤ / ٢٩٧ ) ، وفتح القدير ( ٢ / ٢٨٩ ) ، وفتح البيان ( ٤ / ٣٥٧ ) .
  - (6) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ١٨٢ ) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٤٧٦ ) رقم ( ٨٤٥٩ ) من طريق  
 أبي سنان ، عن الضحاك ، عنه قال : لا تفتح لأرواحهم ، وتفتح لأرواح المؤمنين . وزاد السيوطي في الدر  
 المنثور ( ٣ / ٤٥٢ ) نسبه إلى أبي الشيخ .
  - (7) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ١٨٢ ) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٤٧٧ ) رقم ( ٨٤٦٣ ) من طريق  
 أحمد بن الفضل ، عن أسباط ، عنه .
  - (8) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٤٧٦ ) عقب الأثر ( ٨٤٥٩ ) .
  - (9) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي ( ٣ / ١٩٦ ) .

وعليه القرطبي، والسيوطي، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والسعدي<sup>(١)</sup>.  
 وذكره السمرقندي، ومكي، والزحشري بصيغة (قيل)<sup>(٢)</sup>.  
 قال ابن الجوزي: « والأحاديث تشهد به »<sup>(٣)</sup>.  
 وقال الشوكاني: « وقد دلّ على هذا المعنى وأنه المراد من الآية ما جاء في الأحاديث الصحيحة أن الملائكة إذا انتهوا بروح الكافر إلى السماء الدنيا يستفتحون فلا تفتح لهم أبواب السماء »<sup>(٤)</sup>.

ومن هذه الأحاديث التي تدل على هذا القول:

— ما رواه أبو هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: ( الميت تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل الصالح قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة... ) الحديث. وفيه قوله:  
 ( وإذا كان الرجل السوء قالوا: اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث... ثم يُعْرَجُ بها إلى السماء، فيستفتح لها، فقال: من هذا؟ فيقولون: فلان. فيقولون: لا مرحباً بالنفس الخبيثة، كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمة، فإنه لم تفتح لك أبواب السماء. فترسل بين السماء والأرض، فتصير إلى القبر )<sup>(٥)</sup>.

— وما رواه البراء بن عازب، أن رسول الله ﷺ ذكر قبضَ روح الفاجر، وأنه يصعد بها إلى السماء، قال: ( فيصعدون بها، فلا يمرون على ملاء من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بأقبح أسمائه التي كان يدعى بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له فلا يفتح له ). ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ

(1) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٢١٨/٩)، و تفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ٣٧)، وفتح القدير

(٢) (٢٨٩/٢)، وروح المعاني (١١٨/٨)، وفتح البيان (٣٥٧/٤)، و تيسير الكريم الرحمن (١١٠/٢).

(3) ينظر: بحر العلوم (١/ ٥٤٠)، و تفسير المشكل (١٧١)، والكشاف (٤٤١/٢).

(4) زاد المسير (٣/ ١٩٦).

(5) فتح القدير (٢/ ٢٨٩)، و تبعه تلميذه القنوجي.

(6) أخرجه أحمد (٣٧٧/ ١٤)، رقم (٣٧٨)، رقم (٨٧٦٩) — ط التركي — [ و ط الميمنة ٦/ ١٣٩ ]، والنسائي في

الكبرى رقم (١١٤٤٢)، وابن ماجه في سننه رقم (٤٢٦٢، ٤٢٦٨)، والطبري في جامع البيان (١٠/ ١٨٥)،

وابن حبان في صحيحه (الإحسان رقم ٣٠١٤)، والحاكم في مستدرکه (١/ ٣٥٢، ٣٥٣). وينظر: الدر

المنثور للسيوطي (٣/ ٤٥٢ — ٤٥٣). قال محققوا المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

السَّمَاءَ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴿١﴾ .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن بعض المفسرين قد سوى بين هذه الأقوال الثلاثة منهم :  
النسفي، والقاسمي، والشنقيطي<sup>(٢)</sup> وقال : « في عدم فتح أبواب السماء لهم أقوال متقاربة  
معروفة ، لا يُكذَّب بعضها بعضاً ، وهي كلها حق . والآية تشمل هذا كله ... » .  
وقال أيضاً : « وحديث البراء المشهور .. يستدل به المفسرون على دخول القول  
الأخير في الآية » . اهـ .

وذهب ابن جريج إلى الجمع بين القولين الأول والثالث فقال : « لا تفتح لأرواحهم  
ولا لأعمالهم »<sup>(٣)</sup> .

وعلى الجمع بينهما جماعة من المفسرين منهم : مقاتل، والطبري، والزجاج، والنحاس،  
وابن أبي زمنين، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، وابن عطية، وابن الجوزي، والخازن،  
وابن القيم ، والثعالبي، والبقاعي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراعي<sup>(٤)</sup> .  
واستدل الطبري لهذا بعموم خبر الله أن أبواب السماء لا تفتح لهم ، ولم يخصص الخبر  
بأنه تفتح لهم في شيء ، فذلك على ما عمه خبر الله بأنها لا تفتح لهم في شيء<sup>(٥)</sup> .  
قال الشوكاني : « ولا مانع من حمل الآية على ما يعم الأرواح والدعاء والأعمال ،

(1) أخرجه الطيالسي في مسنده ( رقم ٧٨٩ ) ، وابن أبي شيبة في مصنفه ( ٣ / ٣١٠ ، ٣٧٤ ، ٣٨٠ — ٣٨٢ ) ،  
وأحمد في مسنده ( ٣٠ / ٤٤٩ — ٥٠٦ ) رقم ( ١٨٥٣٤ — ١٨٥٣٦ ) ، وهناد في الزهد ( ٣٣٩ ) ، وأبو داود في  
سننه رقم ( ٣٢١٢ ، ٤٧٥٣ ، ٤٧٥٤ ) ، والطبري في جامع البيان ( ١٠ / ١٨٥ ) ، وابن أبي حاتم في تفسيره  
( ٥ / ١٤٧٧ ، ١٤٧٨ ) رقم ( ٨٤٦٥ ) ، والحاكم وصححه ( ١ / ٣٧ ) . وينظر : الدر المنثور للسيوطي  
( ٤٥٣ / ٣ — ٤٥٥ ) .

(2) ينظر : مدارك التنزيل ( ٢ / ٥٣ ) ، ومحاسن التأويل ( ٧ / ٢٦٨١ ، ٢٦٨٢ ) ، والعذب النمير ( ٣ / ١١٤١ ) .

(3) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ١٨٤ ) من طريق حجاج ، عنه .

(4) ينظر : تفسير مقاتل ( ٢ / ٣٧ ) ، وجامع البيان ( ١٠ / ١٨٢ ) ، ومعاني القرآن وإعرابه ( ٢ / ٣٣٧ ) معاني القرآن  
الكريم ( ٣ / ٣٤ ) ، وتفسير القرآن العزيز ( ٢ / ١٢٢ ) ، والوجيز ( ١ / ٣٩٤ ) والوسيط ( ٢ / ٣٦٧ ) ،  
وتفسير القرآن ( ٢ / ١٨١ ) ، ومعالم التنزيل ( ٢ / ١٠٢ ) ، والمحرر الوجيز ( ٥ / ٥٠٢ ) ، وتذكرة الأريب  
( ١٧٨ / ١ ) ، ولباب التأويل ( ٢ / ٨٧ ) ، وبدائع التفسير ( ٢ / ٢١٢ ) ، والجواهر الحسان ( ١ / ٥٤٣ ، ٥٤٤ ) ،  
ونظم الدرر ( ٧ / ٣٩٩ ) ، وتفسير القرآن الحكيم ( ٨ / ٣٩٣ ) ، وتفسير المراعي ( ٨ / ١٥١ ) .

(5) ينظر : جامع البيان ( ١٠ / ١٨٤ ) .

ولا ينافيه ورود ما ورد من أنها لا تفتح أبواب السماء لواحد من هذه ، فإن ذلك لا يدل على [عدم] فتحها لغيره مما يدخل تحت عموم الآية «<sup>(١)</sup> .

وعلى التسوية بين هذين القولين يذهب البيضاوي ، وأبو السعود<sup>(٢)</sup> . وجعلهما السيد محمد رشيد رضا قولين غير متنافيين<sup>(٣)</sup> .

وبعد ، فإذا تقرر هذا ، وكان ذلك كذلك فإن الأولى في معنى الآية الكريمة ما قاله ابن جريج ومن وافقه ؛ لأن فيه إعمالاً للأدلة كلها وعدم إهمال شيء منها ؛ لإمكان الجمع بينها وعدم تنافياها ، ولهذا فسّر ابن عباس الآية مرةً بهذا ومرةً بهذا ، وإذا أمكن الجمع بين القولين لشهود الأدلة على صحتها كليهما فإنه لا يصار إلى الترجيح بينهما ؛ إذ ليس قول أولى من الآخر بالصواب<sup>(٤)</sup> . وهذا هو المتعين ، وعليه جمهور المفسرين . والله تعالى أعلم . وأما القول الثاني وهو أن المعنى : لا يدخلون الجنة فمردود بالآية نفسها : ﴿لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ . والله تعالى أعلم .

(1) فتح القدير (٢ / ٢٨٩) . وتبعه القنوجي (٤ / ٣٥٧ ، ٣٥٨) .

(2) ينظر : أنوار التنزيل (١ / ٣٣٩) ، وإرشاد العقل السليم (٢ / ٢٥١) .

(3) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (٨ / ٣٩٣) .

(4) ينظر : قواعد الترجيح (١ / ٤١ — ٤٥) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ۖ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا ۗ وَهُمْ يَسْتَعْجِلُونَ ﴾

لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾

في هذه الآية الكريمة ثلاث مسائل

المسألة الأولى هي :

### ٨- الخلاف في عايد ضمير ﴿ وَبَيْنَهُمَا ﴾

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « أي : بين الجنة والنار . أو بين أصحابها ، وهو

أرجح ؛ لقوله : ﴿ فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ ﴾ ﴿<sup>(١)</sup> [ الحديد : ١٣ ] .

العرض والمناقشة :

رجح ابن جُزَيِّ أن الضمير في قوله تعالى : ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ﴾ يعود على أصحاب الجنة والنار . ووافق ما رُوي عن ابن عباس في تفسير الأعراف حيث قال : والأعراف السور الذي بين أهل الجنة وأهل النار وهو الحجاب <sup>(٢)</sup> .

ووافق ابن جُزَيِّ على هذا الترجيح : السمرقندي، والواحدي، وأبوحيان، وابن القيم، والسمين، والسيوطي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي، والشنقيطي <sup>(٣)</sup> . واحتمله ابن عطية، وتبعه الثعالبي <sup>(٤)</sup> .

وذكره البغوي ، والحازن بصيغة ( قيل ) <sup>(٥)</sup> .

واستدل له ابن جُزَيِّ بقوله تعالى : ﴿ فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُدًى ﴾ [ الحديد : ١٣ ] .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٣٣) .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٨٣) رقم (٨٤٨٩) .

(٣) ينظر : بحر العلوم (١/ ٥٤٢) ، والوجيز (١/ ٣٩٥) والوسيط (٢/ ٣٧٠) ، والبحر المحيط (٤/ ٣٠١) ، وبدائع التفسير (٢/ ٢١٤) ، والدر المصون (٥/ ٣٢٨) ، وتفسير الجلالين (٣/ ٤٢) ، وتفسير القرآن الحكيم (٨/ ٤٠٣) ، وتفسير المراغي (٨/ ١٥٨) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ١١٤) ، وأضواء البيان (٢/ ٣٠٠) ، (٣٠١) ، والعذب النمير (٣/ ١١٧٣) .

(٤) ينظر : المحرر الوجيز (٥/ ٥١٢) ، والجواهر الحسان (١/ ٥٤٥) .

(٥) ينظر : معالم التنزيل (٢/ ١٠٥) ، ولباب التأويل (٢/ ٩٠) .

وهذا من بيان القرآن بالقرآن<sup>(١)</sup>.

ويقوي أنه بين الفريقين لفظ ﴿بَيْنَهُمْ﴾ في قوله: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ﴾ إذ هو ضمير العقلاء، ولا يُحِيلُ ضَرْبَ السُّورِ بَعْدُ ما بين الجنة والنار وإن كانت تلك في السماء والنار أسفل السافلين<sup>(٢)</sup>.

ومما يدّ لهذا القول أيضا: أنهم هم المحدث عنهم، وهو الظاهر كما قاله أبو حيان<sup>(٣)</sup>.  
وأما القول الآخر بأن المراد بين الجنة والنار، فالضمير راجع إليهما، فعليه مقاتل، والطبري، وابن أبي زمنين، والسمعاني، والبغوي، وابن عطية، وابن الجوزي، والقرطبي، والخازن، والثعالبي، والطاهر بن عاشور<sup>(٤)</sup>.

وذكره أبو حيان، والسمين، والشنقيطي بصيغة (قيل)<sup>(٥)</sup>.

قال الطبري: «و بين الجنة والنار حاجز، وهو السور الذي ذكره الله تعالى فقال: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ سُورًا بَابًا بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهَرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣] وهو الأعراف التي يقول الله جل ثناؤه فيها: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾».

وتبعه القرطبي على هذا الاستدلال بهذه الآية: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ سُورًا﴾ على هذا القول، وقال: «لأنه جرى ذكرهما».

ويقول الطاهر بن عاشور: «ضمير ﴿بَيْنَهُمَا﴾ يعود إلى لفظي الجنة والنار الواقعتين في قوله: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾ [الأعراف: ٤٤]. وهما اسما مكان، فيصلح اعتبار التوسط بينهما، وجعل الحجاب فصلاً بينهما. وتثنية الضمير تعين هذا المعنى، ولو أريد

(1) ينظر: أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣٠١)، والدر المصون للسمين (٥/ ٣٢٨).

(2) ينظر: البحر المحيط (٤/ ٣٠١).

(3) المصدر السابق.

(4) ينظر: تفسير مقاتل (٢/ ٣٨)، وجامع البيان (١٠/ ٢٠٨)، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ١٢٤)، وتفسير القرآن (٢/ ١٨٤)، ومعالم التنزيل (٢/ ١٠٥)، والمحرم الوجيز (٥/ ٥١٢)، وزاد المسير (٣/ ٢٠٤) وتذكرة الأريب (١/ ١٧٨)، والجامع لأحكام القرآن (٩/ ٢٢٦)، ولباب التأويل (٢/ ٩٠)، والجواهر الحسان (١/ ٥٤٥)، والتحرير والتنوير (٨/ ١٤٠).

(5) ينظر: البحر المحيط (٤/ ٣٠١) — وقال: وبدأه الزمخشري وابن عطية —، والدر المصون (٥/ ٣٢٨)، والعذب النسيم (٣/ ١١٧٣).

من الضمير فريقا أهل الجنة وأهل النار لقال : ( بينهم ) كما قال : في سورة الحديد :  
﴿ فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ سُورًا ﴾ الآية « . اهـ .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن كلا القولين صحيح ، ولكل دليل صحيح ، ولهذا فإن طائفة من المفسرين سوّت بين القولين من غير ترجيح <sup>(١)</sup> بل إن السيد محمد رشيد رضا كأنه يسوّي بينهما فبعد أن فسّره "بالفريقين" عاد وقال : « بين الجنة والنار » ، ثم جعلهما متلازمين بقوله : « والأعراف هو ذلك السور والحجاب بين الدارين وأهلها » <sup>(٢)</sup>.

فإذا كان ذلك كذلك فإن كلاهما قول صحيح ، والذي يظهر أنهما قولان متلازمان ، والله تعالى أعلم.

(1) ينظر : مفاتيح الغيب للرازي (٥ / ٢٤٨) ، وأنوار التنزيل للبيضاوي (١ / ٣٣٩) ، ومدارك التنزيل للنسفي (٥٤/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للقمي (٣ / ٣٣٩) ، ونظم الدرر للبقاعي (٧ / ٤٠٥) ، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢ / ٢٥٣) ، وروح المعاني للآلوسي (٨ / ١٢٣) ، وفتح القدير للشوكاني (٢ / ٢٩٢) ، وفتح البيان للقنوجي (٤ / ٣٦٤) ، ومحاسن التأويل للقاسمي (٧ / ٢٦٩١) .  
(2) تفسير القرآن الحكيم (٨ / ٤٠٣ ، ٤٠٤) .

## المسألة الثانية هي :

### ٩- الخلاف في المراد بالأعراف .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « قال ابن عباس : هو تَلُّ بين الجنة والنار . وقيل : سور الجنة »<sup>(١)</sup>.

### العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ أن المراد بالأعراف ما قاله ابن عباس : « هو تَلُّ بين الجنة والنار ، حُبَسَ عليه ناس من أهل الذنوب بين الجنة والنار »<sup>(٢)</sup>.

وقال سعيد بن جبيرة : « الأعراف جبالٌ بين الجنة والنار ، فهم على أعرافها ، يقول : على ذراها »<sup>(٣)</sup>.

وذكرَ هذا التفسير أيضاً عن أبي هريرة<sup>(٤)</sup>.

وذهب إليه تاج الدين أبو المحاسن القرشي اليماني<sup>(٥)</sup>.

وأما القول الآخر في المراد بالأعراف أنه سور الجنة ، فالذي يظهر أن ابن جُزَيِّ يقصد السورَ الذي بين الجنة والنار المذكورَ في قوله تعالى : ﴿ فَضْرَبَ بَيْنَهُمْ سُورًا لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ [الحديد: ١٣] .

فإن كان ذلك كذلك — وهو الظاهر — فإنه رُوِيَ عن ابن عباس أيضاً أنه قال : «الأعراف سور بين الجنة والنار»<sup>(٦)</sup>.

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٣٣) .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٢١٠) من طريق عبيد الله بن أبي يزيد ، أنه سمع ابن عباس يقول ...

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٨٤) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٤١٦) نسبته إلى ابن المنذر وأبي الشيخ .

(4) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٠٤) قال : وقال أبو هريرة : الأعراف جبال بين الجنة والنار ، فهم على أعرافها ، يعني : على ذراها ، خلقتها كخلقة عرف الديك .

(5) ينظر : الترجمان عن غريب القرآن (٤٩) .

(6) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٢١١) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه . وأخرجه أيضاً (١٠/ ٢١٠) وهناد في الزهد (٢٠٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٨٣) رقم (٨٤٩١) من طريق مجاهد ، عنه قال : الأعراف سور كعرف الديك . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٤٦٠) نسبته إلى الفريابي ، وعبد بن حميد ، وأبي الشيخ . وأخرجه أيضاً (١٠/ ٢١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٨٣) رقم (٨٤٨٩) و

وعلى هذا التفسير حذيفة<sup>(١)</sup>، ومجاهد<sup>(٢)</sup>، وقتادة<sup>(٣)</sup>، والضحاك<sup>(٤)</sup>، والسدي<sup>(٥)</sup>، وأبو جعفر<sup>(٦)</sup>.

وإلى هذا القول ذهب جمهور المفسرين وأكثرهم ومنهم : مقاتل، والفراء، وأبو عبيدة، والطبري، والنحاس، والسمرقندي، والسمعاني، والكرماني، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي، والرازي، والقرطي، والبيضاوي، والنسفي، وأبو حيان، وابن التركماني، وابن القيم، والبلنسي، والبقاعي، وأبو السعود، والشوكاني، والقنوجي، والقاسمي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي<sup>(٧)</sup>.

(٥/١٤٨٥) رقم (٨٥٠٢) من طريق عبد الله بن الحارث ، عنه . وأخرجه الطبري (١٠ / ٢١١) من طريق عطية العوفي ، عنه .

(1) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٤٨٣) عقب الأثر (٨٤٩١) . ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٣/٤٦١) إلى سعيد بن منصور ، وابن المنذر .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠ / ٢١٠) و (١٠ / ٢١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٤٨٣) رقم (٨٤٩٢) من طريق ابن أبي نجيح ، عنه قال : الأعراف حجاب بين الجنة والنار ، سور له باب . وهناد في الزهد (٢٠٣) من طريق خصيف ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/٤٦٠) نسبته إلى عبد بن حميد ، وأبي الشيخ .

(3) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/٢٢٩) عن معمر ، عنه .

(4) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠ / ٢١٢) . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٤٨٣) .

(5) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠ / ٢٠٨) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٤٨٣) رقم (٨٤٩٠) من طريق أسباط ، عنه .

(6) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠ / ٢١١) .

(7) ينظر : تفسير مقاتل (٢/٣٩) ، ومعاني القرآن (١/٣٧٩) ، ومجاز القرآن (١/٢١٥) ، وجامع البيان (١٠/٢٠٨) ، وإعراب القرآن (٢/١٢٧) ، وبحر العلوم (١/٥٤٢) ، وتفسير القرآن (٢/١٨٤) — وقال : وعليه الأكترون — ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (١/٤٠٤) ، ومعالم التنزيل (٢/١٠٥) ، والكشاف (٢/٤٤٦) ، والمحرم الوجيز (٥/٥١٢) ، وإيجاز البيان (١/٢٧٠) ، وتذكرة الأريب (١/١٧٨) ، ومفاتيح الغيب (٥/٢٤٨) ، والجامع لأحكام القرآن (٩/٢٢٦) ، وأنوار التنزيل (١/٣٣٩) ، ومدارك التنزيل (٢/٥٤) ، والبحر المحيط (٤/٣٠١) ، وبهجة الأريب (١/٢١٨) ، وبدائع التفسير (٢/٢١٤) ، وتفسير مبهمات القرآن (١/٤٧٧) ، ونظم الدرر (٧/٤٠٦) ، وإرشاد العقل السليم (٢/٢٥٣) ، وفتح القدير (٢/٢٩٣) ، وفتح البيان (٤/٣٦٤) ، ومحاسن التأويل (٧/٢٦٩٢) ، وتفسير القرآن الحكيم (٨/٤٠٤) ، وتفسير المراغي (٨/١٥٩) ، والتحرير والتنوير (٨/١٤١) ، والعذب النمير (٣/١١٧٤) .

قال الطبري : « يعني جل ثناؤه بقوله : ﴿ وَيَبْنِيهَا حِجَابٌ ﴾ : وبين الجنة والنار ﴿ حِجَابٌ ﴾ . يقول : حاجز ، وهو السور الذي ذكره الله تعالى فقال : ﴿ فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ [ الحديد: ١٣ ] وهو الأعراف التي يقول الله جل ثناؤه فيها : ﴿ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ ﴾ «<sup>(١)</sup> .

والأعراف في اللغة : المكان المُشْرِفُ ، جمع عُرفٍ<sup>(٢)</sup> .  
يقال لكلِّ عالٍ : عُرفٌ . وكل ما ارتفع من الأرض وعلا فهو عرف ، وجمعه : أعراف<sup>(٣)</sup> .

قال الشاعر :

كُلُّ كِنَازٍ لِحِمِّهِ نِيَافٍ      كَالْعَلَمِ الْمُوفِيِّ عَلَى الْأَعْرَافِ<sup>(٤)</sup>

وقال الآخر :

وَرَثْتُ بِنَاءَ آبَاءِ كِرَامٍ      عَلَوْا بِالْمَجْدِ أَعْرَافَ الْبِنَاءِ<sup>(٥)</sup>

ومنه قول الشماخ :

وِظَلَّتْ بِأَعْرَافٍ تَعَالَى ..<sup>(٦)</sup>

ومنه : عرف الفرس وعرف الديك ؛ لعلوهما<sup>(٧)</sup> .

ويقول الطبري : « الأعراف جمعٌ ، واحدها عُرفٌ ، وكل مرتفع من الأرض عند العرب فهو عرف ، وإنما قيل لعُرفِ الديك : عُرفٌ ؛ لارتفاعه على ما سواه من جسده»<sup>(٨)</sup> .

(1) جامع البيان (١٠ / ٢٠٨) .

(2) ينظر : معاني القرآن الكريم للنحاس (٣ / ٤٠) . وهو بهذا المعنى مروى عن ابن عباس أيضاً . ينظر : تفسير عبد الرزاق (٢ / ٢٢٩) ، وجامع البيان للطبري (١٠ / ٢٠٩) ، وتفسير ابن أبي حاتم (٥ / ١٤٨٣) ، والدر المنثور للسيوطي (٣ / ٤٦٠) . واندرج معه أيضاً بهذا التفسير الكلبي ، وأبو مجلز .

(3) ينظر : زاد المسير (٣ / ٢٠٤) ، ولسان العرب (عرف) .

(4) البيت غير منسوب في مجاز القرآن (١ / ٢١٥) ، وجامع البيان (١٠ / ٢٠٩) ، ولسان العرب (نوف) ، وزاد المسير (٣ / ٢٠٤) . والكناز : المجتمع اللحم القوي اللحم ، والنياف : الطويل ، والعلم : الجبل .

(5) ينظر : زاد المسير (٣ / ٢٠٤) .

(6) ديوان الشماخ (٥٣) . والبيت في مجاز القرآن (١ / ٢١٥) ، والمحزر الوجيز (٥ / ٥١٣) .

(7) ينظر : الكشاف (٢ / ٤٤٦) ، والمحزر الوجيز (٥ / ٥١٣) .

(8) جامع البيان (١٠ / ٢٠٩) .

وقال السيد محمد رشيد رضا : « والتحقق أن الأعراف هو ذلك السور والحجاب بين الدارين وأهلها أو أعاليه التي يكون عليها أولئك الرجال الذين يرون أهل الجنة وأهل النار جميعاً قبل الدخول فيهما — فيما يظهر — فيعرفون كلا منهما بسيماهم ... وأما بعد الدخول فيها فالتمييز بين الفريقين من تحصيل الحاصل ، وذكره عبث يتره عنه التزليل إلا إذا أريد معرفة أشخاص معينين وهو لا يظهر هنا وإنما يظهر في قوله : ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجَالًا ﴾ <sup>(١)</sup> [الأعراف: ٤٨].

وقال الشنقيطي : « وهذه الأعراف معناها بإطابق المفسرين أماكن مرتفعة عالية ، وأكثر المفسرين على أنها هي أعاليها والسور وشرفاته ؛ لأن هذا الحجاب المضروب بين أهل الجنة والنار ، والسور الذي له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب له شرفات — أي : أعاليه له شرفات — مرتفعة في أعلاه هي الأعراف التي عليها هؤلاء الرجال المذكورون . وعلى هذا القول أكثر المفسرين <sup>(٢)</sup> .

وإن كان مقصود ابن جزري أنه سور خاص بالجنة فقد يكون مأخوذاً من كلام الواحدي في الوجيز <sup>(٣)</sup> حيث قال : « يريد سور الجنة » . لكنه في الوسيط <sup>(٤)</sup> قال : « قال ابن عباس : " يريد سور الجنة " . وهو سور بين الجنة والنار » . ثم عاد عند تفسير قوله : ﴿ رِجَالٌ ﴾ فقال نقلاً عن ابن عباس والمفسرين : « هم قوم استوت حسناهم وسيئاتهم ... فيقومون على سور الجنة ، ثم يدخلهم الله الجنة برحمته .. » .

وعلى هذا — إن كان ذلك كذلك — السيوطي <sup>(٥)</sup> . ولم أره لغيرهما . وأورد السيوطي في الدر المنثور <sup>(٦)</sup> ما أخرجه البيهقي في البعث عن أنس بن مالك ، عن النبي ﷺ قال : ( إن مؤمني الجن لهم ثواب وعليهم عقاب ) . فسألناه عن ثوابهم فقال : ( على الأعراف وليسوا في الجنة مع أمة محمد ) . فسألناه : وما الأعراف ؟ قال : ( حائط

(1) تفسير القرآن الحكيم (٨ / ٤٠٤) .

(2) العذب النمير (٣ / ١١٧٤) .

(3) (١ / ٣٩٥) .

(4) (٢ / ٣٧١) .

(5) ينظر : تفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٣ / ٤٣ ) .

(6) (٣ / ٤٥٦) .

الجنة، تجري فيه الأنهار وتنبت فيه الأشجار والثمار<sup>(١)</sup> .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الله تعالى ذكر ثلاثة أشياء : الحجاب بين الجنة والنار أو بين الفريقين ، والأعراف ، والسور المضروب بين أهل الجنة والنار ، والقرآن يُفسر بعضه بعضاً . وأكثر المفسرين على أن الحجاب هو السور ، وأن الأعراف هي أعاليه وشرفاته المرتفعة كما تدلّ على ذلك اللغة ، وهو المروي عن ابن عباس وغيره من السلف . وهذا القول هو الأرجح؛ لقوة دليله ، والله تعالى أعلم .

وأما القول بأن تفسير الأعراف بأنها جبال فهذا من الأشياء الغيبية التي لا يصار إليها إلا بدليل ثابت مرفوع ( ولا يصحّ حمل الآية القرآنية على تفصيلات وتفسيرات غيبية لا دليل عليها من القرآن والسنة )<sup>(٢)</sup> . وهذا وإن روي عن ابن عباس فإن الأولى بالتقديم قوله الآخر والذي وافقه فيه أكثر السلف ، وروي عنه من طرق كثيرة .

وأما تفسير الأعراف بأنها سور الجنة على ما ذكر السيوطي فيه حديثاً، فإنه حديث لا يصح ، وهذا قول غريب ، والله تعالى أعلم .

(1) أخرجه البيهقي في البعث والنشور رقم ( ١٠٨ ) ، ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق — من طريق البيهقي — في ترجمة الوليد بن موسى ، وإسناده ضعيف جداً . وينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٣١٠) — (٣١١) . والوليد بن موسى : قواه أبو حاتم ، وقال غيره : متروك ، وقال الدارقطني : منكر الحديث ، ووهاه العقيلي وابن حبان، وقال الحاكم : أحاديثه موضوعة . ينظر : ترجمته : ميزان الاعتدال للذهبي (٧/ ١٤٤) ، ولسان الميزان لابن حجر (٦/ ٢٢٧) .

(2) قواعد الترجيح (١/ ١٠٠) .

### المسألة الثالثة هي :

#### ١٠- الخلاف في المراد بـ أصحاب الأعراف المذكورين في قوله تعالى :

#### ﴿ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ ﴾

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « هم أصحاب الأعراف . ورد في الحديث أنهم قوم من بني آدم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فلم يدخلوا الجنة ولا النار . وقيل : هم قوم خرجوا إلى الجهاد بغير إذن آبائهم ، فاستشهدوا ، فمنعوا من الجنة لعصيان آبائهم ، ونَجَوْا من النار للشهادة »<sup>(١)</sup>.

#### العرض والمناقشة :

رَجَّح ابن جُزَيِّ أن أصحاب الأعراف هم قوم من بني آدم استوت حسناتهم وسيئاتهم فحبسوا على الأعراف فلم يدخلوا الجنة ولا النار مستدلاً على ذلك بما ورد في الحديث . ووافق في هذا الترجيح ما روي عن ابن مسعود<sup>(٢)</sup>، وحذيفة<sup>(٣)</sup> ، وابن عباس<sup>(٤)</sup>، وأبي هريرة<sup>(٥)</sup>، وعبد الله بن الحارث بن نوفل<sup>(٦)</sup>، والشعبي<sup>(٧)</sup>، ومجاهد<sup>(٨)</sup>،

(١) التسهيل (٢/ ٣٣) .

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٢١٣ ، ٢١٤) من طريق ابن المبارك ، عن أبي بكر الهذلي ، عن سعيد بن جبیر ، عنه مُطَوَّلًا وفيه : فمن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف . وأخرجه ابن المبارك في الزهد ( ٤١١ — زوائد نعيم ) . وأبو بكر الهذلي متروك الحديث . ينظر : لسان الميزان (٧/ ٤٥٤) .

(٣) رُوِيَ من طُرُق عن الشعبي ، عن حذيفة قال : هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فقَصَّرَتْ بهم سيئاتهم عن الجنة ، وخَلَّفَتْ بهم سيئاتهم عن النار ، فوقفوا هنالك على السور حتى يقضي الله فيهم ، فيقول : ادخلوا الجنة بفضلي ومغفرتي ، لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون . أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٢١٢ — ٢١٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٨٤) رقم (٨٤٩٩) ، وغيرهما .

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢٢٩) — ومن طريقه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٢١٧) — عن معمر ، عن قتادة ، عنه قال : أهل الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم . وأخرجه الطبري أيضًا من طريق همام (١٠/ ٢١٥) ، ومن طريق سعيد (١٠/ ٢١٧) كلاهما عن قتادة به نحوه .

(٥) نسبه له ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٠٥) .

(٦) ينظر : الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٤٦٣) وفيه نسبه إلى الفريابي ، وابن أبي شيبه ، وهناد ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(٧) نسبه في الدر المنثور (٣/ ٤٦٦) إلى أبي الشيخ . وينظر : زاد المسير (٣/ ٢٠٥) .

(٨) نسبه في الدر المنثور (٣/ ٤٦) إلى عبد بن حميد ، وأبي الشيخ ، والبيهقي في البعث والنشور .

وقتادة<sup>(١)</sup>، وسعيد بن جبير<sup>(٢)</sup>، وأبي علقمة مولى عثمان<sup>(٣)</sup>، والضحاك<sup>(٤)</sup>، وعطاء<sup>(٥)</sup>.  
 وذهب إليه جمهور المفسرين ومنهم: مقاتل بن سليمان، والفراء، والطبري، والنحاس،  
 والواحدي، وابن الجوزي، وأبو حيان، وابن القيم، وابن كثير، والبلنسي، والبقاعي،  
 والسيوطي، والسيد محمد رشيد رضا، والمرآغي، والسعدي، والشنقيطي<sup>(٦)</sup>.  
 واستدل لهذا القول بحديث جابر قال: سئل رسول الله ﷺ عمّن استوت حسناته  
 وسيئاته؟ فقال: ( أولئك أصحاب الأعراف ﴿لَمَّا دَخَلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ )<sup>(٧)</sup>.  
 وحديث حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: ( يجمع الناس يوم القيامة، فيؤمر بأهل  
 الجنة إلى الجنة ويؤمر بأهل النار إلى النار، ثم يقال لأصحاب الأعراف: ما تنتظرون؟ قالوا:  
 نتظر أمرك. فيقال لهم: إن حسناتكم تجاوزت بكم النار أن تدخلوها، وحالت بينكم  
 وبين الجنة خطاياكم، فادخلوا الجنة بمغفرتي ورحمتي<sup>(٨)</sup>.  
 قال ابن القيم: «وهو الثابت عن الصحابة. وقد رويت فيه آثار كثيرة مرفوعة لا

- (1) نسبه له ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٠٥).
- (2) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٢١٧).
- (3) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٢١٧ - ٢١٨).
- (4) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٢١٧) من طريق جوير عنه.
- (5) نسبه له السمعاني في تفسيره (٢/ ١٨٤).
- (6) ينظر: تفسير مقاتل (٢/ ٤٠) — لكنه خصّهم بأنهم من أمة محمد ﷺ. وينظر: زاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٢٠٥) — ، ومعاني القرآن (١/ ٣٨٠)، وجامع البيان (١٠/ ٢٢٢)، ومعاني القرآن الكريم (٣/ ٣٩) — وقال عنه بأنه أشهر وأعرف — ، والوجيز (١/ ٣٩٥) والوسيط (٢/ ٣٧١)، وتذكرة الأريب (١/ ١٧٩)، والبحر المحيط (٤/ ٣٠١، ٣٠٢)، وبدائع التفسير (٢/ ٢١٤)، وتفسير القرآن العظيم (٦/ ٣٠٦)، وتفسير مبهمات القرآن (١/ ٤٧٦)، ونظم الدرر (٧/ ٤٠٦)، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ٤٣)، وتفسير القرآن الحكيم (٨/ ٤٠٦ - ٤٠٨)، وتفسير المرآغي (٨/ ١٥٩)، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ١١٥)، والعذب النمير (٣/ ١١٧٧).
- (7) أخرجه ابن مردويه كما في تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٣٠٦). قال ابن كثير: وهذا حديث غريب من هذا الوجه. اهـ. وإسناده ضعيف جداً. وينظر: تخريج الأحاديث والآثار في كتاب التسهيل لسامي الجهني (٢/ ٦٥٥). وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٤٦٣) نسبه إلى أبي الشيخ، وابن عساكر.
- (8) نسبه في الدر المنثور (٣/ ٤٦٣) إلى البيهقي في البعث.

تكاد تثبت أسانيدها ، وآثار الصحابة في ذلك معتمدة»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن كثير : « واختلفت عبارات المفسرين في أصحاب الأعراف من هم ؟ وكلها قريبة ترجع إلى معنى واحد ؛ وهو : أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم . نصَّ عليه حذيفة وابن عباس وابن مسعود وغير واحد من السلف والخلف رحمهم الله »<sup>(٢)</sup>.

ويقول السيد محمد رشيد رضا : « والإينصاف أن هذا الدعاء [ وهو قوله تعالى عنهم: ﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٤٧) ] أليق بحال من استوت حسناتهم وسيئاتهم ، وكانوا موقوفين مجهولا مصيرهم ».

ثم أورد أثر حذيفة وابن مسعود ثم قال : « فهذا أوضح بيان مفصل للقول الذي اعتمده الجمهور ، وللاثرين الموقوفين فيه قوة الحديث المرفوع »<sup>(٣)</sup>.

وأورد على هذا القول أن هؤلاء الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم ، ليسوا من الرجال وحدهم والتعبير برجال يمنع أن يكون فيهم نساء ، والتغليب لا يظهر هنا . وأجيب عنه بأن تخصيص الرجال بالذكر ؛ لأنهم هم الذين يخاطبون أهل الجنة وأهل النار دون من معهم من النساء<sup>(٤)</sup> .

قال الشنقيطي : « وظاهر القرآن أنهم كلهم ذكور ؛ لأنه قال ﴿ رِجَالٌ ﴾ ولم يقل "نساء" ، والمقرر في الأصول : أن لفظة "الرجال" لا يدخل فيها النساء . وقال بعض العلماء: إذا ذكر الرجال فلا مانع من دخول النساء بحكم التبع . واستأنسوا لهذا بأن العرب تسمي المرأة "رَجُلَةً" ، وتسمية المرأة "رجلة" لغة صحيحة معروفة في كلام العرب ، ومنه قول الشاعر:

كُلُّ جَارٍ ظَلَّ مَغْتَبِطًا      غير جيران بني سلمة  
مَزَّقُوا ثُوبَ فَتَاهُمْ      لم يراعوا حرمة الرجلة

يعني : المرأة »<sup>(٥)</sup>.

(1) بدائع التفسير (٢/ ٢١٦) .

(2) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٣٠٦) .

(3) تفسير القرآن الحكيم (٨/ ٤٠٧ - ٤٠٨) .

(4) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (٨/ ٤٠٦ ، ٤٠٨) .

(5) العذب النمير (٣/ ١١٧٧) . وروى ابن جني البيتين كما في اللسان (رجل) وفيه : "جَبَلَه" بدل : سلمة ، "حَرَقُوا

وأما القول الثاني وهو أن أصحاب الأعراف هم قوم خرجوا إلى الجهاد بغير إذن آبائهم ، فاستشهدوا ، فمنعوا من الجنة لعصيان آبائهم ، ونجوا من النار للشهادة ، فرؤي عن النبي ﷺ من طريق محمد بن المنكدر ، عن رجل من مزينة قال : سئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف ؟ فقال : ( إنهم قوم خرجوا عصاة بغير إذن آبائهم ، فقتلوا في سبيل الله )<sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير : « والله أعلم بصحة هذه الأخبار المرفوعة ، وقصارها أن تكون موقوفة، وفيه دلالة على ما ذكر »<sup>(٢)</sup>.  
وبه قال شرحبيل بن سعد<sup>(٣)</sup>.

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن القول الراجح في المراد بأصحاب الأعراف هو ما رجحه ابن جُزَيٍّ ومن وافقه ، وهو : أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، وهذا تفسير السلف من الصحابة والتابعين وهو حجة على من بعدهم<sup>(٤)</sup>، وهو قول جمهور المفسرين<sup>(٥)</sup>.  
وأما القول الآخر فإنه من جنس القول الأول ويندرج فيه ، وهو كالتمثيل لهذا الاستواء بين الحسنات والسيئات ؛ لأن الجهاد والاستشهاد حسنة ، وعقوق الوالدين سيئة ، والقول بالعموم في استواء الحسنات والسيئات دون التمثيل أولى ، لا سيما وأنه لم يصح ما روي عن النبي ﷺ في ذلك . والله تعالى أعلم .

جَيْبٌ بدل : مَرَّقُوا ثوب ، "يُبالوا" بدل : يراعوا . وقال : عَنِ بَجِيئِهَا هَنَّا .

- (1) أخرجه ابن مردويه كما في تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٣٠٦) . ونسبه له أيضاً السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٤٦٥) وزاد نسبه إلى أبي الشيخ . وروي مرفوعاً أيضاً من حديث عبد الرحمن المزني ، ومن حديث أبي سعيد الخدري ، ومن حديث ابن عباس . وكلها لا تصح عن النبي ﷺ . ينظر : جامع البيان للطبري (١٠/ ٢١٨) ، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٨٤) ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٣٠٧ — ٣٠٨) ، والدر المنثور للسيوطي (٣/ ٤٦٤ — ٤٦٥) .
- (2) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٣٠٨) .
- (3) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٢١٨) .
- (4) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ٢٧١) .
- (5) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل لابن جُزَيٍّ (١/ ٩) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ أَهْوَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ (٤١)

١١ - الخلاف في القائل : ﴿ أَهْوَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ﴾ ،

وَمَنْ الْمَشَارُ إِلَيْهِ ؟

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « مِنْ كَلَامِ أَصْحَابِ الْأَعْرَافِ خُطَابًا لِأَهْلِ النَّارِ ، وَالْإِشَارَةَ بِهَوَاءٍ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْكُفَّارَ كَانُوا فِي الدُّنْيَا يُقْسِمُونَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَرْحَمُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَعْأُ بِهِمْ فَظَهَرَ خِلَافُ مَا قَالُوا . وَقِيلَ : هِيَ مِنْ كَلَامِ الْمَلَائِكَةِ خُطَابًا لِأَهْلِ النَّارِ ، وَالْإِشَارَةَ بِهَوَاءٍ إِلَى أَصْحَابِ الْأَعْرَافِ » (١).

العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابْنُ جُزَيْيٍّ أَنَّ أَصْحَابَ الْأَعْرَافِ هُمُ الْقَائِلُونَ لِأَهْلِ النَّارِ : أَهْوَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ... ، وَهَوَاءٍ إِشَارَةً إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ .  
وَوَافِقٌ فِي هَذَا التَّرْجِيحِ مَا نُسِبَ إِلَى الْحَسَنِ (٢) ، وَابْنِ السَّائِبِ (٣) . وَقَالَ بِهِ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ (٤) .

وَوَافِقُهُ عَلَى هَذَا جَمْعُ الْمَفْسَّرِينَ مِنْهُمْ : السَّمْرَقَنْدِيُّ ، وَالْوَاهِدِيُّ ، وَالسَّمْعَانِيُّ ، وَالْبَغَوِيُّ ، وَالزَّمْخَشَرِيُّ ، وَالرَّازِيُّ ، وَالْقُرْطُبِيُّ ، وَالنَّسْفِيُّ ، وَالْحَازِنُ ، وَالْقَمِيُّ ، وَأَبُو حَيَّانَ ، وَابْنُ الْقَيْمِ ، وَالثَّعَالِبِيُّ ، وَالْبَقَاعِيُّ ، وَالسِّيُوطِيُّ ، وَأَبُو السَّعُودِ ، وَالشُّوْكَانِيُّ ، وَالْقَنُوجِيُّ ، وَالْقَاسِمِيُّ ، وَالسَّيِّدُ مُحَمَّدُ رَشِيدُ رِضَا ، وَالْمِرَاغِيُّ ، وَالسَّعْدِيُّ ، وَالطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورَ ، وَالشَّنْقِيطِيُّ (٥) .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٣٣) .

(٢) نسبه له القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٩ / ٢٣٢) .

(٣) نسبه له ابن الجوزي في زاد المسير (٣ / ٢٠٧ ، ٢٠٨) .

(٤) نسبه له السمين في الدر المصون (٥ / ٣٣٢) .

(٥) ينظر : بحر العلوم (١ / ٥٤٤) ، والوسيط (٢ / ٣٧٢) ، وتفسير القرآن (٢ / ١٨٦) ، ومعالم التنزيل (٢ / ١٠٧) ، والكشاف (٢ / ٤٤٦) ، ومفاتيح الغيب (٥ / ٢٥١) ، والجامع لأحكام القرآن (٩ / ٢٣٢) ، ومدارك التنزيل (٢ / ٥٥) ، ولباب التأويل (٢ / ٩١) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣ / ٢٤١) ، والبحر المحيط (٤ / ٣٠٣) ، وبدائع التفسير (٢ / ٢١٧) ، والجواهر الحسان (١ / ٥٤٧) ، ونظم الدرر (٧ / ٤٠٧) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣ / ٤٦) ، وإرشاد العقل السليم (٢ / ٢٥٣) ، وفتح القدير (٢ / ٢٩٤) ، وفتح

ومال إليه الألو سي وقدمه على غيره<sup>(١)</sup>.

وعلله ابن جزى بأن الكفار في الدنيا كانوا يملفون أن الله لا يرحم المؤمنين في الآخرة ولا يعبا بهم فظهر خلاف ما قالوه .

قال السعدي : « وهذا كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ۖ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ ۗ ﴾ (٣٠) إلى أن قال : ﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾ (٣٤) عَلَى الْأَرَائِكِ يُنظُرُونَ ۗ ﴾ (٣٥) [ المطففين ] .

واستدل لهذا القول بظاهر القرآن .

يقول الشنقيطي : « فظاهر القرآن أنه من بقية كلام أصحاب الأعراف ، يوبخون رؤساء أهل النار ، ويقولون لهم : أهؤلاء الضعفاء المساكين الذين كنتم تسخرون منهم في الدنيا ، وتستهزئون بهم ، وتضحكون منهم ... » .

وقال الطاهر : « والإشارة — هؤؤلاء إلى قوم من أهل الجنة كانوا مستضعفين في الدنيا ومحقرين عند المشركين بقريئة قوله : ﴿ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ﴾ ، وقوله : ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ ﴾ . »

وأما القول الثاني وهو أن الملائكة هم الذين قالوا : ﴿ أَهْلُؤَلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ﴾ ، يخاطبون بذلك أهل النار ، ويشيرون إلى أصحاب الأعراف ، فهو قول مركب من قولين مرويين عن ابن عباس ، وأبي مجلز ؛ أما ابن عباس فإنه جعله من قيل الله خطاباً لأهل النار ، والإشارة لأصحاب الأعراف<sup>(٢)</sup> .

البيان (٤ / ٣٦٨) ، ومحاسن التأويل (٧ / ٢٦٩٤ ، ٢٦٩٥) ، وتفسير القرآن الحكيم (٨ / ٤٠٩) ، وتفسير المراغي (٨ / ١٦٢) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢ / ١١٥) ، والتحرير والتنوير (٨ / ١٤٦) ، والعذب النمير (٣ / ١١٨٧) .

(1) ينظر : روح المعاني (٨ / ١٢٦) .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠ / ٢٣١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٤٨٧ — ١٤٨٩) رقم (٨٥١٥) ، (٨٥٢٨) من طريق علي بن أبي طلحة ، وعطية العوفي ، عنه . وزاد نسبه السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٤٦٨) إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر .

وأما أبو مجلز فإنه جعله من قبيل الملائكة خطاباً لأهل النار ، والإشارة لأهل الجنة<sup>(١)</sup> .  
وهكذا جعلهما الطبري قولين اثنين على هذا التفصيل المبني على ما أثير عن هذين  
المفسرين<sup>(٢)</sup> .

ويميل الطبري إلى ترجيح قول ابن عباس<sup>(٣)</sup> ؛ لأنه قد ردّ على قول أبي مجلز والذي بناه  
على رأيه في أصحاب الأعراف بأنهم هم الملائكة<sup>(٤)</sup> ، وهو قول شاذّ مخالف لتفسير الصحابة  
والتابعين، وجمهور المفسرين<sup>(٥)</sup> .

وأما ابن جزي فإنه تبع ابن عطية في التلفيق بين القولين ، والغريب أن ابن عطية نسبه  
لابن عباس ! وعزاه للنقاش ، وقدمه ومال إليه<sup>(٦)</sup> .

وهو قول مقاتل<sup>(٧)</sup> . وذهب إليه الواحدي، وابن كثير<sup>(٨)</sup> .

وذكره القرطبي ، والخازن ، وأبو السعود بصيغة ( قيل )<sup>(٩)</sup> ، وكذا ابن القيم ثم قال  
عنهما : « والقولان قويان محتملان »<sup>(١٠)</sup> . وسوى البيضاوي بينهما<sup>(١١)</sup> .

وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن أولى القولين بالصواب في ذلك هو ما رجّحه ابن جزي ومن  
وافقه ؛ لظاهر القرآن ( ولا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل )<sup>(١٢)</sup> ، وهو اختيار  
أكثر المفسرين ، والله تعالى أعلم .

- (1) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠ / ٢١٩ — ٢٢١ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ) من طرق عن أبي مجلز .  
وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٤٨٦ ) رقم ( ٨٥٠٧ ) .
- (2) ينظر : جامع البيان ( ١٠ / ٢٣٠ ، ٢٣٤ ) .
- (3) ينظر : المصدر السابق ( ١٠ / ٢٣٤ ) . واختاره ابن الجوزي في تذكرة الأريب ( ١ / ١٧٩ ) .
- (4) ينظر : جامع البيان ( ١٠ / ٢٢١ ) .
- (5) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين ( ١ / ٢٨٨ ) .
- (6) ينظر : المحرر الوجيز ( ٥ / ٥١٨ ) .
- (7) ينظر : تفسير مقاتل ( ٢ / ٣٩ ) .
- (8) ينظر : الوجيز ( ١ / ٣٩٦ ) ، وتفسير القرآن العظيم ( ٦ / ٣١٣ ) .
- (9) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ( ٩ / ٢٢٩ ) ، ولباب التأويل ( ٢ / ٩١ ) ، وبدائع التفسير ( ٢ / ٢١٧ ) ، وإرشاد  
العقل السليم ( ٢ / ٢٥٤ ) .
- (10) بدائع التفسير ( ٢ / ٢١٧ ) .
- (11) ينظر : أنوار التنزيل ( ١ / ٣٤١ ) .
- (12) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين ( ١ / ١٣٧ ) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُورُ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ

وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ التَّصْحِيحَ ﴾ (٧٩)

١٢- متى تولى عنهم : قبل نزول العذاب ؟ أم بعد هلاكهم ؟

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « يحتمل أن يكون تولى عنهم وقوله لهم حين عقروا الناقة قبل نزول العذاب بهم ؛ لأنه رُوي أنه خرج من بين أظهرهم . أو أن يكون ذلك بعد أن هلكوا ، وهو ظاهر الآية . وعلى هذا خاطبهم بعد موتهم على وجه التفجع عليهم »<sup>(١)</sup>.

### العرض والمناقشة :

اختلف المفسرون رحمهم الله في وقت تولى نبي الله صالح عليه السلام عن قومه : هل كان قبل نزول العذاب ؟ أم كان بعد نزوله وهلاكهم ؟  
 ظاهر كلام ابن جُزَيِّ يرجح الثاني بدلالة ظاهر الآية الكريمة . ووافق في هذا مفهوم ما رُوي عن قتادة قال : إن نبي الله صالحاً أسمع قومه كما والله أسمع محمد ﷺ قومه<sup>(٢)</sup> .  
 وعلى هذا من المفسرين : الواحدي، والسمعاني، والبغوي ، والزمخشري، والبيضاوي، والقمي، وأبوحيان، وابن كثير، والبقاعي، وأبو السعود، والآلوسي، والقاسمي ، والمراغي، والسعدي، والشنقيطي<sup>(٣)</sup> .  
 وذكره السمرقندي بصيغة (يقال)<sup>(٤)</sup>، والقنوجي بصيغة (قيل)<sup>(٥)</sup> .

(1) التسهيل (٢ / ٣٨) .

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٥١٧) رقم (٨٦٩٠) . وينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٣ / ٢٢٧) .

(3) ينظر : الوجيز (١ / ٤٠١) والوسيط (٢ / ٣٨٥) ، وتفسير القرآن (٢ / ١٩٥) ، ومعالم التنزيل (٢ / ١٢١) ، والكشاف (٢ / ٤٦٨) ، وأنوار التنزيل (١ / ٣٤٨) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣ / ٢٧٥) ، والبحر المحيط (٤ / ٢٣٢) ، وتفسير القرآن العظيم (٦ / ٣٤٤) ، ونظم الدرر (٧ / ٤٥١) ، وإرشاد العقل السليم (٢ / ٢٦٧) ، وروح المعاني (٨ / ١٦٥) ، ومحاسن التأويل (٧ / ٢٧٨٩) ، وتفسير المراغي (٨ / ٢٠٢) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢ / ١٣٠) ، والعذب النмир (٣ / ١٣٧٠) .

(4) ينظر : بحر العلوم (١ / ٥٥٣) .

(5) ينظر : فتح البيان (٤ / ٤٠٠) .

واستدل لهذا القول بظاهر الآية الكريمة ؛ فإن ظاهرها يدل على أن تولّيه عنهم كان بعد أن أبصرهم جائئين . قال الله تعالى : ﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِعِينَ ۗ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ ﴾ .  
قال الرازي : « والفاء تدل على التعقيب ، فدلّ على أن حصول هذا التولّي بعد جثومهم »<sup>(١)</sup> .

ويقول الشنقيطي : « لأن قوله : ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ ﴾ مرتّبٌ بالفاء على قوله : ﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِعِينَ ﴾ ، والفاء تقتضي التعقيب ، فكونه قال لهم هذا بعد أن ماتوا وأصبحوا في دارهم جائعين هو ظاهر القرآن ، وظاهر القرآن لا يجوز العدول عنه إلاّ لأمر يجب الرجوع إليه »<sup>(٢)</sup> .

واستدل له أيضاً العلامة السيد محمد رشيد رضا بأنه أسلوب معهود وطريق مسلوک ؛ ما يقوله المتحسرّ على من مات جائيّاً على حياته بالسكر ونحوه المعزّي لنفسه بأنه لم يقصر في دفع الضرر عنه ، والمتحزن لعدم قبوله ما بذل من النصح له : ألم أنك عن هذه المسكرات ؟ ألم أحذرك عاقبة هذه المخدرات؟ ولكن لا تحب الناصحين . ونحو هذا مما يقال في أحوال الحزن المختلفة خطاباً للموتى بحسب أحوالهم ، بل عهد منهم : مخاطبة الديار ، والطلول والآثار<sup>(٣)</sup> .

والدليل الآخر على رجحان هذا القول : القياسُ على نبي الله محمد ﷺ لما خاطب صناديد قريش وهم موتى في قلب بدر ، فإن رسول الله ﷺ لما ظهر على أهل بدر ، أقام هناك ثلاثاً ، ثم أمر براحلته فشدت بعد ثلاث من آخر الليل فركبها ، ثم سار حتى وقف على القلب ؛ قلب بدر ، فجعل يقول : ( يا أبا جهل بن هشام ، يا عتبة بن ربيعة ، يا شيبه بن ربيعة ، ويا فلان بن فلان ، هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً ) . فقال عمر : يا رسول الله ، ما تكلم من أقوام قد جيّفوا . فقال : (والذي نفسي بيده ، ما أنتم أسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يجيبون )<sup>(٤)</sup> .

(1) مفاتيح الغيب (٥ / ٣٠٩) .

(2) العذب النمير (٣ / ١٣٧٠) .

(3) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (٨ / ٤٧٢) .

(4) أخرجه أحمد في مسنده (١٨٢ ط التركي) ، ومسلم في صحيحه (٢٨٧٣) من حديث عمر بن الخطاب رضي

وأما القول بأن توليه عنهم وقوله لهم حيث عقروا الناقة كان قبل نزول العذاب بهم ، فهو مفهوم كلام مقاتل<sup>(١)</sup> . وعليه : الفراء ، والطبري ، والسمرقندي ، والماوردي ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، والنسفي ، والثعالبي ، والشوكاني ، والقنوجي<sup>(٢)</sup> . وذكره أبو حيان ، وأبو السعود ، والآلوسي بصيغة (قيل)<sup>(٣)</sup> وزاد الأخير بأنه خلاف الظاهر . واستدل لهذا القول بأنه رُوِيَ أنه عليه السلام خرج من بين أظهرهم قبل نزول العذاب<sup>(٤)</sup> .

وهذه رواية لم تثبت ، ولو ثبتت لكانت نصًّا في المسألة .  
ويدل له ظاهر مخاطبته لهم<sup>(٥)</sup> .

قال الرازي : « وذلك يدل على كونهم أحياء من ثلاثة أوجه : أحدها : أنه قال لهم : ﴿يَقْوَرُ﴾ والأموات لا يوصفون بالقوم ؛ لأن اشتقاق لفظ القوم من الاستقلال بالقيام ، وذلك في حق الميت مفقود . والثاني : أن هذه الكلمات خطاب مع أولئك وخطاب الميت لا يجوز . والثالث : أنه قال : ﴿وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَاتِ﴾ . فيجب أن يكونوا بحيث يصح حصول المحبة فيهم . ويمكن أن يجاب عنه فنقول : قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت وكان قد نصحه ، فلم يقبل تلك النصيحة حتى ألقى نفسه في الهلاك : يا أخي منذ كم نصحتك فلم تقبل ؟ وكم منعتك فلم تمتنع ؟ فكذا ههنا »<sup>(٦)</sup> . اهـ .

الله عنه . وأخرجه أحمد في مسنده (٨٤٦٤) ، والبخاري في صحيحه (١٣٧٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما . وأخرجه أحمد في مسنده (١٢٠٢٠) ، ومسلم في صحيحه (٢٨٧٤) من حديث أنس رضي الله عنه . وأخرجه أحمد في مسنده (٢٦٣٦١) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(١) ينظر : تفسير مقاتل (٤٧ / ٢) .

(٢) ينظر : معاني القرآن (١ / ٣٨٥) ، وجامع البيان (١٠ / ٣٠٤) ، وبحر العلوم (١ / ٥٥٣) ، والنكت والعيون (٢ / ٢٣٦) ، والمحزر الوجيز (٥ / ٥٦٨) ، وتذكرة الأريب (١ / ١٨٢) وزاد المسير (٣ / ٢٢٧) ، والجامع لأحكام القرآن (٩ / ٢٧٢ — ٢٧٣) ، ومدارك التزليل (٢ / ٦٢) ، والجواهر الحسان (١ / ٥٥٨) ، وفتح القدير (٢ / ٣١٢) ، وفتح البيان (٤ / ٤٠٠) .

(٣) ينظر : البحر المحيط (٤ / ٢٣٢) ، وإرشاد العقل السليم (٢ / ٢٦٨) ، وروح المعاني (٨ / ١٦٦) .

(٤) كذا ذكره ابن جزيّ متابعاً فيه لابن عطية في المحزر الوجيز (٥ / ٥٦٨) .

(٥) ينظر : المحزر الوجيز (٥ / ٥٦٨) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٤ / ٢٣٢) .

(٦) مفاتيح الغيب (٥ / ٣٠٩) . والجواب عن الوجه الثالث نقله عن الزمخشري كما في الكشاف (٢ / ٤٦٩) .

وأجاب أبو حيان عن قوله : ﴿ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّصِيحَاتِ ﴾ بتقدير : ولكن كنتم لا تحبون فتكون حكاية حال ماضية <sup>(١)</sup> .

ويجاب عن الوجه الأول بعدم الامتناع من وصف الأموات بالأقوام ، وعن الثاني بثبوت ذلك عن النبي ﷺ في مخاطبته لقتلى بدر .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن ما رجّحه ابن جُزَيٍّ ومن وافقه هو القول الراجح؛ لظاهر القرآن، ولما ثبت عن نبينا ﷺ مع كفار قريش وهم قتلى في قليب بدر .

ويتأيد هذا القول بقاعدة (عدم جواز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل) <sup>(٢)</sup> ، وقاعدة (إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجّح له على ما خالفه) <sup>(٣)</sup> . والله تعالى أعلم .

(1) ينظر : البحر المحيط (٤ / ٢٣٢) .

(2) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (١ / ١٣٧) .

(3) ينظر : المصدر السابق (١ / ٢٠٦) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾

١٣ - الخلاف في معنى قوله : ﴿ أَرْجِهْ ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « ﴿ أَرْجِهْ ﴾ : من قرأه بالهمزة فهو من "أرجأت الرجل" إذا أخرته<sup>(١)</sup>، فمعناه : أخرهما حتى ننظر في أمرهما . وقيل : المراد بالإرجاء هنا السجن<sup>(٢)</sup> .

### العرض والمناقشة :

رجح ابن جُزَيِّ أن قوله : ﴿ أَرْجِهْ ﴾ — على قراءة من قرأه بالهمزة — معناه : أخره ، ووافق في هذا الترجيح ما روي عن ابن عباس<sup>(٣)</sup> ، والحسن<sup>(٤)</sup> . وعلى هذا عامة المفسرين منهم : مقاتل، والفراء، وأبو عبيدة، وابن قتيبة، والطبري، والزجاج، والنحاس ، وابن أبي زمنين، ومكي، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والزمخشري ، والباقولي ، وابن عطية، وابن الجوزي، والرازي، والقرطبي ، والبيضاوي، والحازن ، والقمي ، والقرشي اليماني، والثعالبي ، والبقاعي، والسيوطي، وأبو السعود، والشهاب الخفاجي، والآلوسي، والشوكاني، والقنوجي ، والقاسمي ، والسيد محمد رشيد رضا ، والمراغي ، والطاهر بن عاشور<sup>(٥)</sup> .

(1) قرأ ابن كثير ، وهشام عن ابن عامر : [ أَرْجِهْهُ ] مهموزة بواو بعد الهاء في اللفظ . وقرأ أبو عمرو : [ أَرْجِهْهُ ] مضمومة الهاء من غير إشباع . وقرأ ابن عامر — قال أبو حيان : في رواية ابن ذكوان — : [ أَرْجِهْهُ ] بالهمز وكسر الهاء من غير إشباع . وقرأ نافع برواية ورش عنه ، والكسائي : [ أَرْجِهْهُ ] بغير همز وبجر الهاء ، يصلان بياء . وقرأ الحلواني عن نافع : [ أَرْجِهْ ] بكسر الهاء من غير إشباع . وهي قراءة قالون والمسيبي عن نافع كذلك كما قاله ابن الجوزي في زاد المسير (٣ / ٢٣٩) . وقرأ عاصم ، وحمزة : [ أَرْجِهْ ] بترك الهمزة وسكون الهاء . ينظر: حجة القراءات لابن زنجلة (٢٨٩ — ٢٩١) .

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (٤١ / ٢) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠ / ٣٥٠) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٥٣٣) رقم (٨٧٩٠) و (٨ / ٢٧٦١) رقم (١٥٦٠٦) من طريق ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٥١٢) نسبه إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(4) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٢ / ٢٤٥) .

(5) ينظر : تفسير مقاتل (٢ / ٥٣) ، ومعاني القرآن (١ / ٣٨٨) ، ومجاز القرآن (١ / ٢٢٥) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٣ / ٢٣٩) ، وجامع البيان (١٠ / ٣٤٩) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢ / ٣٦٥) ، ومعاني القرآن

ودليل هذا القول اللغة .

قال الطبري : « الإرجاء في كلام العرب التأخير ، يقال منه : أَرْجَيْتُ هذا الأمر وأرجأته ، إذا أخرته . ومنه قول الله جل ثناؤه : ﴿ تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ ﴾ [ الأحزاب : ٥١ ] : تؤخر . فالهمز من كلام بعض قبائل العرب من قيس ، يقولون : أرجأت هذا الأمر . وترك الهمز من لغة تميم وأسد ، يقولون : أرجيته »<sup>(١)</sup> .  
وقال النحاس : « المعروف عند أهل اللغة أن يقال : أرجأت هذا الأمر : إذا أخرته »<sup>(٢)</sup> .

ومنه قول الله تعالى : ﴿ وَءَاخِرُونَ مَرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ ﴾ [ التوبة : ١٠٦ ]<sup>(٣)</sup> .  
أي : مؤخرون لأمر الله حتى يتزل الله فيهم ما يريد — على قراءة : ﴿ مَرْجُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> .  
ومنه المرجئة ، سموها بذلك ؛ لتأخيرهم العمل في الإيمان ، فإنهم زعموا أن العمل ليس من الإيمان ، قاله السمعاني<sup>(٥)</sup> .

وأما القول بأن المراد بالإرجاء هنا السجن ، فإنه رُوي عن قتادة<sup>(٦)</sup> ،

الكريم ( ٦٢ / ٣ ) ، وتفسير القرآن العزيز ( ١٣٥ / ٢ ) ، وتفسير المشكل ( ١٧٣ ) ، والوجيز ( ٤٠٦ / ١ ) ،  
والوسيط ( ٣٩٣ / ٢ ) ، وتفسير القرآن ( ٢٠٣ / ٢ ) ، ومعالم التنزيل ( ١٣٥ / ٢ ) ، والكشاف ( ٤٨٥ / ٢ ) ،  
وكشف المشكلات ( ٤٧٣ / ١ ) ، والمحرم الوجيز ( ٣١ / ٦ ) ، وتذكرة الأريب ( ١٨٥ / ١ ) ، ومفاتيح الغيب  
( ٣٣٢ / ٥ ) ، والجامع لأحكام القرآن ( ٢٩٤ / ٩ ) ، وأنوار التنزيل ( ٣٥٤ / ١ ) ، ولباب التأويل ( ١١٧ / ٢ ) ،  
وغرائب القرآن ورغائب الفرقان ( ٢٩٨ / ٣ ) ، والترجمان ( ٥٠ ) ، والجواهر الحسان ( ٥٦٦ / ١ ) ، ونظم  
الدرر ( ٢٥ / ٨ ) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٣ / ٨٩ ) ، وإرشاد العقل السليم ( ٢٨٣ / ٢ ) ،  
وحاشية الشهاب ( ٢٠٢ / ٤ ) ، وفتح القدير ( ٣٢٨ / ٢ ) ، وروح المعاني ( ٢١ / ٩ ) ، وفتح البيان ( ٤٢٦ / ٤ ) ،  
ومحاسن التأويل ( ٢٨٣٢ / ٧ ) ، وتفسير القرآن الحكيم ( ٥٧ / ٩ ) ، وتفسير المراغي ( ٢٥ / ٩ ) ، والتحرير  
والتنوير ( ٤٣ / ٩ ) .

- (١) جامع البيان ( ٣٤٩ / ١٠ ) .
- (٢) معاني القرآن العظيم ( ٦٢ / ٣ ) . وينظر : جمهرة اللغة لابن دريد ( ٢٢٣ / ٣ ) ، ومقاييس اللغة لابن فارس ( ٤٩٥ / ٢ ) ، والمصباح المنير ( ٢٣٧ / ١ ) ، والصحاح للجوهري ، ولسان العرب لابن منظور مادة ( رجأ ) .
- (٣) ينظر : الوسيط للواحد ( ٣٩٣ / ٢ ) .
- (٤) ينظر : لسان العرب مادة ( رجأ ) .
- (٥) تفسير القرآن ( ٢٠٣ / ٢ ) .
- (٦) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ٣٥١ / ١٠ ) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ( ١٥٣٣ / ٥ ) رقم ( ٨٧٩١ ) و

والكلبي<sup>(١)</sup> . وعليه السمرقندي<sup>(٢)</sup> .

وذكره البغوي ، والزمخشري ، وأبو حيان ، والآلوسي ، والشوكاني ، والقنوجي بصيغة (قيل)<sup>(٣)</sup> .

وضَعفه الرازي لوجهين : الأول : أن الإرجاء في اللغة هو التأخير لا الحبس .

والثاني : أن فرعون ما كان قادراً على حبس موسى بعد ما شاهد حال العصا<sup>(٤)</sup> .

وكذا زَيْفه القمي بأنه خلاف اللغة<sup>(٥)</sup> .

وقد جمع بين القولين : التركماني ، والسعدي<sup>(٦)</sup> .

ويردُّه قوله تعالى : ﴿ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلَفُهُ ، نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوِيًّا ﴾ (٥٨)

[ طه ] فلو كان محبوساً لما احتاجوا إلى ضرب موعد بينهم ، والله أعلم .

وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن القول الراجح في معنى ﴿ أَرْجَاهُ ﴾ هو التأخير أي : أخرهما

وأمهلهما . وهو ما رجَّحه ابن جُزَيٍّ وعمامة المفسرين .

ويتأيّد باللغة والقرآن ؛ فإنه يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام

العرب<sup>(٧)</sup> ، والقول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك<sup>(٨)</sup> . والله تعالى أعلم .

(١/٨/٢٧٦١) . وزاد السيوطي نسبه في الدر المنثور (٣/٥١٢) إلى عبد بن حميد .

(1) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٢/٢٤٥) ، ونسبه إليه القمي كذلك في غرائب القرآن (٣/٢٩٨) .

(2) ينظر : بحر العلوم (١/٥٥٩) .

(3) ينظر : معالم التنزيل (٢/١٣٥) ، والكشاف (٢/٤٨٥) ، والبحر المحيط (٤/٣٥٩) ، وروح المعاني (٩/٢١) ،

وفتح القدير (٢/٣٤٩) ، وفتح البيان (٤/٤٢٦) وضَعفه .

(4) ينظر : مفاتيح الغيب (٥/٣٣٢) . وتبعه الخازن (٢/١١٧) .

(5) ينظر : غرائب القرآن ورجائب الفرقان (٣/٢٩٨) .

(6) ينظر : بهجة الأريب (٢٢٢) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/١٤١) .

(7) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/٣٦٩) .

(8) المصدر السابق (٢/٣١٢) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالِدَّمَ ءآيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ ﴾

فَأَسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾

#### ١٤ - الخلاف في المراد بالطوفان المرسل على فرعون وقومه .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « روي أنه كان مطراً شديداً دائماً مع فيض النيل حتى هدم بيوتهم ، وكادوا يهلكون ، وامتنعوا من الزراعة . وقيل : هو الطاعون »<sup>(١)</sup>.

#### العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ أَنَّ الطوفان يراد به المطر مستدلاً على ذلك بما رُوي في ذلك . ووافق ما رُوي عن ابن عباس<sup>(٢)</sup> ، وسعيد بن جبير<sup>(٣)</sup> ، وقتادة<sup>(٤)</sup> ، والضحاك<sup>(٥)</sup> ، والسدي<sup>(٦)</sup> ،

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٤٢) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠ / ٣٨٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٥٤٥) رقم (٨٨٦١) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠ / ٣٧٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٥٤٥) رقم (٨٨٦٤) من طريق سعيد بن جبير ، عنه . وأخرجه الطبري في جامع البيان (١٠ / ٣٨٠) و (١٠ / ٣٩١) من طريق عطية العوفي ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٥٤٤) رقم (٨٨٥٧) من طريق أبي روق ، عن الضحاك ، عنه .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠ / ٣٨٦) . وعلقه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٥٤٤) عقب الأثر (٨٨٥٧) . ونسبه إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر : السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٥١٩) . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠ / ٣٩٤) عن سعيد بن جبير أيضاً وفيه : ( قال : وقد قال قائل لابن عباس : إني سألت ابن عمر عن الطوفان . فقال : ما أدري موتاً كان أو ماءً . فقال ابن عباس : أما يقرأ ابن عمر سورة العنكبوت حين ذكر الله قوم نوح فقال : ﴿ فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ ﴿١٤﴾ [العنكبوت] . رأيت لو ماتوا ، إلى من جاء موسى عليه السلام بالآيات الأربع بعد الطوفان ؟

(4) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١ / ٢٣٤) عن معمر ، عنه . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠ / ٣٨٨) من طريق معمر به . و (١٠ / ٣٨٩) من طريق سعيد ، عنه .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠ / ٣٧٩) من طريق جويبر ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٥٤٤) رقم (٨٨٥٤) من طريق عبيد بن سليمان ، عنه . وعلقه أيضاً عنه عقب الأثر (٨٨٥٧) .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠ / ٣٨٧) من طريق أسباط ، عنه . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره عقب الأثر رقم (٨٨٥٧) معلقاً عنه .

وأبي مالك<sup>(١)</sup>، وابن إسحاق<sup>(٢)</sup>. وذهب إليه جمهور المفسرين منهم : مقاتل، والفراء، وابن قتيبة، والزجاج، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، ومكي، والواحدي، والزحشري، وابن عطية، وابن الجوزي، والعكبري، والرازي، والقرطبي، والبيضاوي، والقمي، والسمين، والثعالبي، والسيوطي، وأبوالسعود، والشهاب، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والقاسمي، والسيد رشيد رضا، والمراعي، والسعدي، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي<sup>(٣)</sup>. ويشهد لهذا القول اللغة والقرآن .

أما اللغة ، فإن استعمال العرب للطوفان كثر في الماء والمطر الشديد . قال ابن عطية : « الطوفان : مصدر من قولك : طاف يطوف ، فهو عامٌّ في كل شيء يطوف إلا أن استعمال العرب له كثر في الماء والمطر الشديد ، ومنه قول الشاعر :

غَيْرَ الْجَدَّةِ مِنْ آيَاتِهَا      خَرِقُ الرِّيحِ وَطُوفَانُ الْمَطْرِ<sup>(٤)</sup>

ومنه قول أبي النَّجْمِ :

قَدْ مَدَّ طُوفَانٌ فَبَثَ مَدَدًا      شَهْرًا شَأْيِبَ وَشَهْرًا بَرْدًا<sup>(٥)</sup> .

- (1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٣٧٩ ) ، وذكره معلقاً عنه ابن أبي حاتم عقب الأثر ( ٨٨٥٧ ) .
- (2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٣٩٢ ) .
- (3) ينظر : تفسير مقاتل ( ٢ / ٥٧ ) ، ومعاني القرآن ( ١ / ٣٩٢ ) — وزاد المسير لابن الجوزي ( ٣ / ٢٤٨ ) ، والبحر المحييط لأبي حيان ( ٤ / ٣٧٢ ) — ، ومعاني القرآن وإعرابه ( ٢ / ٣٦٩ ) ، وبحر العلوم ( ١ / ٥٦٤ ) ، وتفسير القرآن العزيز ( ٢ / ١٣٩ ) ، وتفسير المشكل ( ١٧٤ ) — فسره بالسييل العظيم — ، والوجيز ( ١ / ٤٠٩ ) والوسيط ( ٢ / ٣٩٨ ) ، والكشاف ( ٢ / ٤٩٦ ) ، والمحزر الوجيز ( ٦ / ٤٩ ، ٥٠ ) ، وزاد المسير ( ٣ / ٢٤٨ ) وتذكرة الأريب ( ١ / ١٨٦ ) ، والتبيان ( ١ / ٥٩٠ ) ، ومفاتيح الغيب ( ٥ / ٣٤٦ ) — وعزاه إلى الأكثرين — ، والجامع لأحكام القرآن ( ٩ / ٣٠٩ ) ، وأنوار التنزيل ( ١ / ٣٥٧ ) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان ( ٣ / ٣٠٧ ) ، والدر المصون ( ٥ / ٤٣٣ ) — ونسبه لليث — ، والجواهر الحسان ( ١ / ٥٧٠ ) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٣ / ١٠١ ) ، وإرشاد العقل السليم ( ٢ / ٢٨٩ ) ، وحاشية الشهاب ( ٤ / ٢٠٩ ) ، وروح المعاني ( ٩ / ٣٣ ) ، وفتح القدير ( ٢ / ٣٣٨ ) ، وفتح البيان ( ٤ / ٤٣٩ ) ، ومحاسن التاويل ( ٧ / ٢٨٤١ ) تفسير القرآن الحكيم ( ٩ / ٨٠ ) ، وتفسير المراغي ( ٩ / ٤٣ ) ، وتيسير الكريم الرحمن ( ٢ / ١٤٧ ) ، والتحرير والتنوير ( ٩ / ٦٩ ) ، والعذب النمير ( ٤ / ١٥٢٩ ) .
- (4) نسبه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٣٨٢ ) إلى الحسن بن عُرفطة ، وجاء فيه : غير الجدّة من عرفانه ... ويروى: خَرِقُ الرِّيحِ بِطُوفَانِ الْمَطْرِ .
- (5) المحزر الوجيز ( ٦ / ٤٩ ) . وينظر : الدر المصون ( ٥ / ٤٣٣ ) .

وجاء في الصحاح للجوهري : الطوفان : المطر الغالب ، والماء الغالب ، يغشى كل شيء . قال تعالى : ﴿ فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (١٤) [ العنكبوت ] .  
وقال الشنقيطي : « كما صرّح الله بذلك ؛ لأنه أهلك قوم نوح بالطوفان » (٢) .  
وأما القول الآخر بأن الطوفان هو الطاعون فإنه روي عن مجاهد (٣) . ونُسب إلى وهب بن منبه (٤) ، وأبي قلابة (٥) .  
ولم أقف على من ذهب إليه ! بل ذكره الزمخشري ، والبيضاوي ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والآلوسي بصيغة ( قيل ) (٦) .  
وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن ما رجّحه ابن جزيّ من أن الطوفان هنا المراد به الماء والمطر هو القول الراجح ؛ لدلالة اللغة له ، وشهادة القرآن له كما في قوله تعالى : ﴿ فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ ، وهو اختيار جمهور المفسرين .  
ويؤيده من القواعد الترجيحية عند المفسرين قاعدة : ( وجوب حمل كلام الله تعالى على المعروف من لغة العرب وكلامهم ) (٧) ، وقاعدة : ( القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك ) (٨) . ومن أوجه الترجيح عند ابن جزيّ : أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين ؛ فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه (٩) . والله تعالى أعلم .

(1) (٣٩٧ / ٤) . وينظر : المصباح المنير (٢ / ٢٨) .

(2) العذب النمير (٤ / ١٥٢٩) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠ / ٣٧٩) من طريق عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عنه قال : الطوفان الماء والطاعون على كل حال . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٥٤٥) رقم ( ٨٨٦٠ ) .

(4) نسبه إليه البغوي في معالم التنزيل (٢ / ١٤٠) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٣ / ٢٤٨) .

(5) قال أبو قلابة : الطوفان : الجدري ، وهم أول من عذبوا به فبقي في الأرض . ينظر : معالم التنزيل للبغوي (٢ / ١٤٠) ، والكشاف للزمخشري (٢ / ٤٩٦) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٤ / ٣٧٣) .

(6) ينظر : الكشاف (٢ / ٤٩٦) ، وأنوار التنزيل (١ / ٣٥٧) ، وإرشاد العقل السليم (٢ / ٢٨٩) ، وفتح القدير (٢ / ٣٣٨) ، وروح المعاني (٩ / ٣٣) .

(7) قواعد الترجيح عند المفسرين (١ / ٣٦٩) .

(8) المصدر السابق (١ / ٣١٢) .

(9) التسهيل لعلوم التنزيل (١ / ٩) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ ۖ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ (١٣٧)

### ١٥- الخلاف في معنى ﴿يَعْرِشُونَ﴾ واشتقاقها .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « أي : يَنُون . وقيل : هي الكروم وشبهها . فهو على الأول من العرش ، وعلى الثاني من العريش »<sup>(١)</sup> .

#### العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيِّ أن معنى ﴿يَعْرِشُونَ﴾ : يَنُون ، واشتقاقها من العَرَشِ ، ووافق في هذا ما رُوِيَ عن ابن عباس<sup>(٢)</sup> ، ومجاهد<sup>(٣)</sup> .

وإليه ذهب مقاتل ، وأبو عبيدة ، والطبري ، والرجاج ، والنحاس ، وابن أبي زمنين ، ومكي ، والواحدي ، والسمعاني ، وابن الجوزي ، والخازن ، وابن التركماني ، وابن كثير ، والثعالبي ، والسيوطي<sup>(٤)</sup> . وجَوَّزه الطاهر بن عاشور<sup>(٥)</sup> . وذكره القمي ، والشوكاني ، والقنوجي بصيغة (قيل)<sup>(٦)</sup> .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٤٣) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٤٠٧ ) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه . وابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٥٥٢ ) رقم ( ٨٩٠٠ ) من طريق أبي روق ، عن الضحاك ، عنه .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٤٠٧ ) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٥٥٢ ) رقم ( ٨٩٠١ ) من طريق أبي نجیح ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور ( ٣ / ٥٣٢ ) نسبه إلى ابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(4) ينظر : تفسير مقاتل ( ٢ / ٦٠ ) ، ومجاز القرآن ( ١ / ٢٢٧ ) ، وجامع البيان ( ١٠ / ٤٠٧ ) ، ومعاني القرآن وإعرابه ( ٢ / ٣٧١ ) ، ومعاني القرآن الكريم ( ٣ / ٧٣ ) ، وتفسير القرآن العزيز ( ٢ / ١٤٠ ) ، وتفسير المشكل ( ١٧٤ ) ، والوجيز ( ١ / ٤١١ ) والوسيط ( ٢ / ٤٠٣ ) ، وتفسير القرآن ( ٢ / ٢١٠ ) ، وزاد المسير ( ٣ / ٢٥٣ ) وتذكرة الأريب ( ١ / ١٨٧ ) ، ولباب التأويل ( ٢ / ١٢٤ ) ، ومهجة الأريب ( ٢٢٥ ) ، وتفسير القرآن العظيم ( ٦ / ٣٧٩ ) والجواهر الحسان ( ١ / ٥٧٢ ) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٣ / ١٠٦ ) .

(5) ينظر : التحرير والتنوير ( ٩ / ٧٩ ) .

(6) ينظر : غرائب القرآن ورجائب الفرقان ( ٣ / ٣٠٩ ) ، وفتح القدير ( ٢ / ٣٤١ ) ، وفتح البيان ( ٤ / ٤٤٥ ) .

قال الزجاج : « عَرَشَ يَعْرِشُ وَتَعْرِشُ : إِذَا بَنَى »<sup>(١)</sup>.

والعَرَشُ : البناء والتنضيد . قاله ابن عطية<sup>(٢)</sup> .

ومنه قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾ [البقرة: ٢٥٩] .

قال الطبري : « وأما العروش فإنها الأبنية والبيوت ، واحدها عَرَشٌ ، وَجَمْعُ قَلِيلِهِ أَعْرَاشٌ ، وكل بناء فإنه عَرَشٌ ، ويقال : عَرَشَ فلان ، إذا بنى — يَعْرِشُ وَيَعْرِشُ — عَرَشًا ، ومنه قول الله تعالى ذكره : ﴿ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ . يعني : يبنون . ومنه قيل : عَرِيشٌ مكة ، يعني به خيامها وأبنيتها »<sup>(٣)</sup> . اهـ .

ومنه أيضا قوله تعالى : ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى

عُرُوشِهَا وَيَبْتَئِرُ مُعْطَلَةٌ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾ [الحج : ٤٥] .

قال الطبري : « ﴿ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾ . يعني : على بنائها وسقوفها » .

وأسند عن الضحاك في قوله : ﴿ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾ . قال : خاؤها : خراها ، وعروشها : سقوفها<sup>(٤)</sup> .

وأما في آية الأعراف هذه فقد قال : « وما كانوا يبنون من الأبنية والقصور ، فأخرجناهم من ذلك كله ، وخربنا جميع ذلك »<sup>(٥)</sup> .

وجاء في اللسان : والعرش : البيت ، وجمعه عروش . وعرش البيت : سقفه . والعرش والعريش : ما يستظل به<sup>(٦)</sup> .

وأما القول الآخر بأن المراد بقوله : ﴿ يَعْرِشُونَ ﴾ هي الكروم وشبهها ، وأن

(1) معاني القرآن وإعرابه (٣٧١/٢) .

(2) المحرر الوجيز (٥٧ / ٦) .

(3) جامع البيان (٥٨٥ / ٤) .

(4) ينظر : جامع البيان (٥٩٠ / ١٦) . وأثر الضحاك أخرجه أيضًا ابن حاتم في تفسيره (٥٠٠ / ٢ ، ٥٠١) .

رقم (٢٦٤٥ ، ٢٦٤٧) .

(5) جامع البيان (٤٠٧ / ١٠) .

(6) لسان العرب ، مادة (عرش) .

اشتقاقها من العريش ، فهو قول الحسن<sup>(١)</sup> .

وذهب إليه القمي، والسمين ، والشوكاني، والقنوجي ، والسيد محمد رشيد رضا،  
والمراغي، والطاهر بن عاشور<sup>(٢)</sup> .

واستدلوا له بنظيره في القرآن وهو قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَعَيْرَ  
مَّعْرُوشَاتٍ ﴾<sup>(٣)</sup> [ الأنعام : ١٤١ ] .

قال الطاهر : « ﴿ يَعْرِشُونَ ﴾ : ينشئون من الجنات ذات العرايش . والعريش : ما  
يرفع من دوالي الكروم ، ويطلق أيضاً على النخلات العديدة تربى في أصل واحد<sup>(٤)</sup> .  
وقريء شاذاً بالغين المعجمة والسين المهملة من غرس الأشجار<sup>(٥)</sup> .

ويمكن أيضاً أن يستدل له بقوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ  
الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾<sup>(٦)</sup> [ النحل ] .

قال ابن زيد في قوله : ﴿ يَعْرِشُونَ ﴾ قال : « الكرم »<sup>(٦)</sup> .  
أما الطبري فجعل المعنى : مما يبنون من السقوف فرفعوها بالبناء<sup>(٧)</sup> .  
وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَهِيَ حَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ [ الكهف : ٤٢ ] .  
ووجهه : أن العروش هنا يراد بها النبات من العنب والنخل ؛ لأن الله ذكر ذلك في

(1) نسبه إليه البغوي في معالم التنزيل (٢ / ١٤٤) ، وابن عطية في المحرر الوجيز (٦ / ٥٧ ، ٥٨) ، والقرطبي في الجامع  
لأحكام القرآن (٩ / ٣١٦) ، والخازن في لباب التأويل (٢ / ١٢٤) ، وأبوحيان في البحر المحيط (٤ / ٣٧٧) ،  
والقنوجي في فتح البيان (٤ / ٤٤٥) .

(2) ينظر : غرائب القرآن ورجائب الفرقان (٣ / ٣٠٩) ، والدر المصون (٥ / ٤٤١) ، وفتح القدير (٢ / ٣٤١) ،  
وفتح البيان (٤ / ٤٤٥) ، وتفسير القرآن الحكيم (٩ / ٩٠) ، وتفسير المراغي (٩ / ٤٩) ، والتحرير والتنوير  
(٧٨ / ٩) .

(3) ينظر : غرائب القرآن ورجائب الفرقان (٣ / ٣٠٩) ، وفتح القدير (٢ / ٣٤١) .

(4) التحرير والتنوير (٧٨ / ٩) .

(5) ذكر هذه القراءة : ( يَعْرِشُونَ ) الزمخشري في الكشاف (٢ / ٤٩٨) ثم قال : وما أحسبه إلا تصحيفاً . وينظر :  
الدر المصون (٥ / ٤٤١) ، وروح المعاني (٩ / ٤٠) . وينظر صحيفة (٢٩١) من هذا البحث .

(6) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٤ / ٢٨٧) .

(7) ينظر : المصدر السابق (١٤ / ٢٨٦) .

أول القصة فقال : ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴾ (٣٢) [الكهف] .

ولذا قال الطبري : « وهي خالية على نباتها وبيوتها »<sup>(١)</sup> .

وقال السمين : « أصل العرش : شيء مسقف . ومنه : عَرَشْتُ الكرم أُعَرِّشُهُ : إذا جعلت له كهيئة السقف . ويقال له : عَرِيشٌ أَيْضًا . واعترش العنب : ركب عرشه . وقوله : ﴿ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ . أي : لكرومهم »<sup>(٢)</sup> .

وجاء في اللسان : وَعَرَشُ الْكَرْمِ : ما يدعم به من الخشب . وَعَرَشُ الْكَرْمِ يَعْرِشُهُ وَيَعْرِشُهُ عَرِشًا وَعَرُوشًا وَعَرَّشَهُ : عَمِلَ لَهُ عَرِشًا . وَعَرَّشَهُ إِذَا عَطَفَ الْعِيدَانَ الَّتِي تَرَسُلُ عَلَيْهَا قِضْبَانَ الْكَرْمِ . وَالوَاحِدُ عَرَشٌ وَالْجَمْعُ عُرُوشٌ . وَيُقَالُ : اعْتَرَشَ الْعَنْبُ الْعَرِيشَ اعْتِرَاشًا إِذَا عَلَاهُ عَلَى الْعَرَاشِ<sup>(٣)</sup> .

وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن الأولى هو الجمع بين القولين وتجويزهما معًا ؛ لدلالة القرآن على كل منهما ، ولاستعمال اللغة لهما .

وإذا كان ذلك كذلك فلا ينبغي إهمال قول منهما بل الأصحُّ والأرجح القول بالجمع والعموم ، فيكون قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ شاملًا تدميره — جلَّ وعزَّ — ما كانوا يبنونه من القصور والبيوت وما كانوا يرفعونه من جنات الأعناب والنخيل . وإلى هذا ذهب السمرقندي ، والبقاعي<sup>(٤)</sup> فقالا : ما كانوا يبنون من البيوت والكروم ، ومن الجنان والقصور العالية الأركان .

وجوزَّهما الزمخشري<sup>(٥)</sup> . وسوّى بينهما البيضاوي ، والنسفي ، وأبوالسعود ، والآلوسي ، والقاسمي<sup>(٦)</sup> ، قالوا : وما كانوا يعرشون من الجنات أو ما كانوا يرفعون من البنيان كصرح

(١) المصدر السابق (١٥ / ٢٦٨) .

(٢) عمدة الحفاظ (٣ / ٥٠) مادة (عرش) .

(٣) ينظر : لسان العرب ، مادة (عرش) .

(٤) ينظر : بحر العلوم (١ / ٥٦٦) ، ونظم الدرر (٨ / ٤٥) .

(٥) ينظر : الكشف (٢ / ٤٩٨) .

(٦) ينظر : أنوار التنزيل (١ / ٣٥٨) ، ومدارك التنزيل (٢ / ٧٣) ، وإرشاد العقل السليم (٢ / ٢٩١) ، وروح

المعاني (٩ / ٣٩) ، ومحاسن التأويل (٧ / ٢٨٤٥) .

هامان . فكلا القولين حق ، والقرآن يشهد لكل منهما ، وليس أحدهما أَوْلَى من الآخر (1)  
والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين ( ١ / ٤٥ ) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأْمَرَ

قَوْمَكَ يَا خُدُوأَ بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾

### ١٦- الخلاف في المراد بـ دَارَ الْفَاسِقِينَ.

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « أي : دار فرعون وقومه [ وهي ] <sup>(١)</sup> مِصْرُ ، ومعنى ﴿ سَأُورِيكُمْ ﴾ : كيف أفقرت منهم لما هلكوا . وقيل : منازل عاد وثمود ، ومن هلك من الأمم المتقدمة ؛ ليعتبروا بها . وقيل : جهنم . وقرأ ابن عباس : ﴿ سَأُورِيكُمْ ﴾ بالثاء من الوراثة ، وهي على هذا [ مِصْرُ ] <sup>(٢)</sup> ؛ لقوله : ﴿ وَأُورِثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ <sup>(٣)</sup> [ الشعراء : ٥٩ ] .

#### العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيِّ أن المراد بـ ﴿ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ هي مِصْرُ ، ووافق في هذا ما رُوِيَ عن علي بن أبي طالب <sup>(٤)</sup> ، وسعيد بن جبير <sup>(٥)</sup> ، وقتادة <sup>(٦)</sup> ، وعطية العوفي <sup>(٧)</sup> .  
ووافقه على هذا الترجيح مقاتل ، وابن أبي زمنين ، والزمخشري ، وابن الجوزي ، وأبو حيان ، والسيوطي ، والقنوجي <sup>(٨)</sup> .

(1) في المطبوع : وهو ، والصواب ما أثبتته .

(2) في المطبوع : مصدر ، وكذا في جميع النسخ !! والصواب ما أثبتته .

(3) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٤٥) .

(4) نسبه إليه ابن عطية في المحرر الوجيز (٦ / ٧٧) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٤ / ٣٨٩) .

(5) نسبه إليه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٩ / ٣٣٠) .

(6) أخرجه أبو الشيخ كما في الدر المنثور (٣ / ٥٦٢) . ونسبه إليه أيضاً الألوسي في روح المعاني (٩ / ٦٠) .

(7) نسبه إليه ابن الجوزي في زاد المسير (٣ / ٢٦٠) ، والبغوي في معالم التنزيل (٢ / ١٥٢) ، والخازن في لباب

التأويل (٢ / ١٣٠) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٤ / ٣٨٩) ، والألوسي في روح المعاني (٩ / ٦٠) ،

والقنوجي في فتح البيان (٥ / ١٧) .

(8) ينظر : تفسير مقاتل (٢ / ٦٣) — ونسبه إليه ابن عطية ، وأبو حيان — ، و تفسير القرآن العزيز (٢ / ١٤٢) ،

والكشاف (٢ / ٥٠٨) ، وتذكرة الأريب (١ / ١٨٨) ، والبحر المحيط (٤ / ٣٨٩) ، و تفسير الجلالين

(الفتوحات الإلهية ٣ / ١١٤) ، وفتح البيان (٥ / ١٧) .

وتعجب منه الكرمانى<sup>(١)</sup> .

واستدلوا له بقوله تعالى : ﴿ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [ الشعراء ] .

ويؤيده قراءة من قرأ : ﴿ سَأُورِثُكُمْ ﴾ بالثاء المثلثة كما في قوله تعالى : ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمِغْرِبَهَا ﴾ [ الأعراف : ١٣٧ ] . قاله أبو السعود<sup>(٢)</sup> .

وقال القمي : « ويدل عليه قوله : ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ ... ﴾ [ الأعراف : ١٣٧ ] وقوله :

﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ [ القصص ]<sup>(٣)</sup> .

ونقل القنوجي عن جمهور المفسرين أن بني إسرائيل بعد ذهابهم إلى الشام رجعوا إلى مصرَ وملكوا أرض القبط وأموالهم<sup>(٤)</sup> .

وخطأ هذا القول الطاهر بن عاشور وقال : « لأنهم قد كانوا بها وخرجوا منها ولم يرجعوا إليها . ومن البعيد تفسير دار الفاسقين بجهتهم »<sup>(٥)</sup> .

والقول بعدم رجوع بني إسرائيل إلى مصرَ ضعفه جداً القنوجي<sup>(٦)</sup> .

ويرده قوله تعالى : ﴿ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [ الشعراء ] .

وأما القول الثاني بأن ﴿ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ هي منازل عاد وثمود ومن هلك من الأمم

(1) ينظر : غرائب التفسير و عجائب التأويل ( ٤٢٣ / ١ ) .

(2) إرشاد العقل السليم ( ٢ / ٢٩٥ ) . وقراءة ( سأورثكم ) بالثاء المثلثة قرأ بها قسامة بن زهير المازني . قال

الزمخشري : وهي قراءة حسنة يصححها قوله تعالى : ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ ﴾ ينظر :

البحر المحيط ( ٤ / ٣٨٩ ) ، والدر المصون ( ٥ / ٤٥٦ ) . ونسبها إليه السمعاني كما في تفسيره ( ٢ / ٢١٥ ) ،

وابن عطية كما في الحرر الوجيز ( ٦ / ٧٦ ) وزاد هو والقرطبي كما في الجامع ( ٩ / ٣٣٠ ) ، وأبوحيان كما في

البحر المحيط ( ٤ / ٣٨٩ ) نسبتها إلى ابن عباس . وينظر : القراءات الشاذة لابن خالويه ( ٤٦ ) .

(3) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ( ٣ / ٣١٧ ) .

(4) فتح البيان ( ٥ / ١٧ ) .

(5) التحرير والتنوير ( ٩ / ١٠٢ ) .

(6) ينظر : فتح البيان ( ٥ / ١٧ ) .

المتقدمة ، فهو منسوب لقتادة<sup>(١)</sup> ، وقاله الكلبي<sup>(٢)</sup> .  
 وذكره الزمخشري ، وابن الجوزي بصيغة ( قيل )<sup>(٣)</sup> .  
 واستبعده الطاهر بن عاشور بحجة أن بني إسرائيل لم يمروا مع موسى — عليه السلام — على هذه البلاد<sup>(٤)</sup> .

وأما القول الثالث بأن ﴿ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ هي جهنم فهو قول الحسن<sup>(٥)</sup> ،  
 ومجاهد<sup>(٦)</sup> . ونُسب إلى ابن عباس<sup>(٧)</sup> ، وعطاء<sup>(٨)</sup> .  
 وعليه الطبري ، والواحدي ، وابن كثير<sup>(٩)</sup> . وكأنَّ النحاس عليه<sup>(١٠)</sup> .  
 وتعجَّب منه الكرماني<sup>(١١)</sup> . وذكره الزمخشري بصيغة ( قيل )<sup>(١٢)</sup> .  
 قال الطبري : « وإنما قال ﴿ سَأُورِيكُمْ ﴾ . كما يقول القائل لمن يخاطبه : سأريك غدًا إلى

- (1) نسبه له الماوردي في النكت والعيون (٢ / ٢٦١) .
- (2) ينظر : معالم التنزيل للبغوي (٢ / ١٥٢) ، والمحزر الوجيز لابن عطية (٦ / ٧٧) ، ومفاتيح الغيب للرازي (٥ / ٣٦١) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩ / ٣٣٠) ، ولباب التأويل للبخاري (٢ / ١٣٠) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للقمي (٣ / ٣١٧) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٤ / ٣٨٩) ، وروح المعاني للآلوسي (٩ / ٦٠) .
- (3) ينظر : الكشف (٢ / ٥٠٨) ، وتذكرة الأريب (١ / ١٨٨) .
- (4) ينظر : التحرير والتنوير (٩ / ١٠٣) .
- (5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠ / ٤٤١) من طريق مبارك ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٥٦٦) رقم (٨٩٧٨) من طريق يونس ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٥٦٢) نسبه إلى أبي الشيخ .
- (6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠ / ٤٤١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٥٦٥) رقم (٨٩٧٧) من طريق ابن أبي نجيح ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٥٦٢) نسبه إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ .
- (7) نسبه إليه القمي في غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣ / ٣١٧) .
- (8) نسبه إليه البغوي في معالم التنزيل (٢ / ١٥٢) ، والبخاري في لباب التأويل (٢ / ١٣٠) .
- (9) ينظر : جامع البيان (١٠ / ٤٤١) ، والوجيز (١ / ٤١٣) ، والوسيط (٢ / ٤٠٩) ، وتفسير القرآن العظيم (٦ / ٣٩٢) .
- (10) ينظر : معاني القرآن الكريم (٣ / ٧٨) .
- (11) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١ / ٤٢٢) .
- (12) ينظر : الكشف (٢ / ٥٠٨) .

ما يصير إليه حالٌ من خالف أمرى . على وجه التهديدِ والوعيدِ لمن عصاه وخالف أمره»<sup>(١)</sup> .  
وقال أيضا : « وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في تأويل ذلك ؛ لأن الذي قبل قوله :  
﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ أمرٌ من الله لموسى وقومه بالعمل بما في التوراة ، فأولى الأمور  
بحكمة الله أن يختم ذلك الوعيد على من ضيَّعه ، وفرَّط في العمل به ، وحاد عن سبيله ،  
دونَ الخير عما قد انقطع الخبرُ عنه ، أو عما لم يجز له ذكرٌ »<sup>(٢)</sup> .  
وقال ابن كثير : « لأن هذا كان بعد انفصال موسى وقومه عن بلاد مصر ، وهو  
خطاب لبني إسرائيل قبل دخولهم التيه ، والله أعلم »<sup>(٣)</sup> .  
وقال القنوجي : « وقراءة ﴿سَأُورِيكُمْ﴾ بالثاء المثلثة تردُّ القول بأنها جهنم »<sup>(٤)</sup> .  
وإلى التسوية بين الأقوال الثلاثة ذهب البيضاوي<sup>(٥)</sup> .  
قال الشهاب : « ولا مانع من الجمع »<sup>(٦)</sup> .  
وجمع النسفي بين الأول والثاني<sup>(٧)</sup> . وسوى بينهما السيد محمد رشيد رضا<sup>(٨)</sup> .  
وذكرها كلها بصيغة ( قيل ) : الثعالبي ، والشوكاني<sup>(٩)</sup> .  
وقال الثعالبي : « وقيل غير هذا مما يفتقر إلى صحة إسناد » .  
وذهب البقاعي ، والقاسمي ، والطاهر بن عاشور<sup>(١٠)</sup> إلى أن المراد بـ ﴿دَارَ  
الْفَاسِقِينَ﴾ هي الأرض المقدسة .  
يقول الطاهر : « ويؤيده ما روي عن قتادة أنها دار العمالقة والجبابرة وهي الشام » .

- 
- (1) جامع البيان ( ١٠ / ٤٤١ ) .
  - (2) المصدر السابق ( ١٠ / ٤٤٢ ) .
  - (3) تفسير القرآن العظيم ( ٦ / ٣٩٢ ) .
  - (4) فتح البيان ( ٥ / ١٧ ) .
  - (5) ينظر : أنوار التنزيل ( ١ / ٣٦١ ) .
  - (6) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ( ٤ / ٢١٨ ) .
  - (7) ينظر : مدارك التنزيل ( ٢ / ٧٦ ) .
  - (8) ينظر : تفسير القرآن الحكيم ( ٩ / ١٧٣ ) .
  - (9) ينظر : الجواهر الحسان ( ١ / ٥٧٦ ) ، وفتح القدير ( ٢ / ٣٤٧ ) .
  - (10) ينظر : نظم الدرر ( ٨ / ٨١ — ٨٢ ) ، ومحاسن التأويل ( ٧ / ٢٨٥٤ ) ، والتحرير والتنوير ( ٩ / ١٠١ ، ١٠٢ ) .

وقال الطبري : « وقال آخرون : معنى ذلك : سأدخلكم أرض الشام ، فأريكم منازل الكافرين الذين هم سكّانها من الجبابرة والعمالقة »<sup>(١)</sup> .

ثم ساق بإسناده عن قتادة قال : « منازلهم »<sup>(٢)</sup> .

واختلف المفسّرون في العزو إلى قتادة ، فمنهم من ينسب إليه القول بأن المراد بدار الفاسقين هي مصر<sup>(٣)</sup> ، ومنهم من ينسب إليه القول بأن المراد منازل عاد وثمود<sup>(٤)</sup> ، ومنهم من ينسب إليه القول بأن المراد منازل الجبابرة والعمالقة<sup>(٥)</sup> . وقتادة إنما قال : منازلهم . حَسْبُ .

قال الآلوسي : « ولا يصحُّ ذلك عليها إذا أريد من الدار أرض الجبابرة بناء على أن موسى عليه السلام لم يدخلها وإنما دخلها يوشع مع القوم بعد وفاته عليه السلام . ويصح بناء على القول بأن موسى عليه السلام دخلها ويوشع على مقدّمته »<sup>(٦)</sup> .

وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن القول بأن ﴿ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ هي مصرٌ قولٌ بعيد ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿ سَأُورِيكُمْ ﴾ والسين للاستقبال ، والفعل من الإراءة لا من الوراثة وهذا ظاهر القرآن ، ولا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلاّ بدليل يجب الرجوع إليه<sup>(٧)</sup> ولا دليل . وقراءة ﴿ سَأُورِثُكُمْ ﴾ بالثاء المثلثة من الوراثة لا تسعف بذلك ؛ لأنها قراءة شاذة ، ولأنه لا يصح الحمل على أن المراد هو توريثهم مصر ؛ لأن الله تعالى قد قال قبل ذلك : ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا ﴾ [ الأعراف : ١٣٧ ] فإذا كان المراد بمشارك الأرض ومغاربها هي مصرٌ ، فكيف يقول بعدما أورثهم سأورثكم مصر ؟! وهو قد أورثهموها من قبل !!

(1) جامع البيان ( ١٠ / ٤٤٢ ) .

(2) وأخرجه كذلك عبد الرزاق في تفسيره ( ١ / ٢٣٦ ) عن معمر ، عنه . وابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٥٦٦ ) رقم ( ٨٩٧٩ ) من طريق معمرٍ به .

(3) كالسيوطي ، والآلوسي .

(4) كالماوردي .

(5) كالسمعاني ، والبغوي ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والطاهر بن عاشور .

(6) روح المعاني ( ٩ / ٦٠ ) .

(7) ينظر : قواعد الترجيح ( ١ / ١٣٧ ) .

ثم إنه قد انقضى الحديث عن فرعون وقومه ، وبقي في موسى عليه السلام وبني إسرائيل ، هذا ما يدل عليه سياق الآيات الكريمة .

وأما القول بأن المراد بـ ﴿ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ هي دار عاد فهو كذلك قول بعيد ؛ لأن دارهم كانت بالأحقاف ولم تكن على طريق بني إسرائيل بعد مجاوزتهم للبحر وذهابهم للأرض المقدسة .

وأما القول بأنها دار ثمود ففيه بُعدٌ كذلك .

وأما القول بأن المراد بها جهنم فهو قول بعيد أيضاً ؛ لأنه إذا كانت الآية على سبيل التهديد والوعيد فإنه لا يُتَوَعَّدُ بالإراءة إياهم جهنم ، وإنما يتوعد بالنار بإدخالهم إياها لا بمشاهدتها .

وبقي احتمال أن يكون المراد بـ ﴿ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ هي الشام ، والفاسقون الذين كانوا بها هم قوم لوط . ويدل على ذلك أن الله تعالى جعل قريتهم آية لمن يمر بها، والشام هي الأرض المقدسة التي أمر الله بني إسرائيل بدخولها . هذا الاحتمال أقرب من تلك الأقوال، والله تعالى أعلم .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا

وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾

١٧ - ما المراد بالصرف عن آيات الله ؟

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « والصرف يراد به حَدُّهم عن فهمها وعن الإيمان بها عقوبة لهم على تكبرهم . وقيل : الصرف منعهم من إبطالها »<sup>(١)</sup> .

### العرض والمناقشة :

رَجَّح ابن جُزَيِّ أن المراد بصرف الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق عن آيات الله هو: منعهم عن فهمها وعن الإيمان بها<sup>(٢)</sup> . ووافق في هذا ما روي عن السدي<sup>(٣)</sup> ، وابن جريح<sup>(٤)</sup> ، وابن عيينة<sup>(٥)</sup> . ونسب إلى ابن عباس<sup>(٦)</sup> ، والحسن<sup>(٧)</sup> ، وقتادة<sup>(٨)</sup> .  
وإليه ذهب الطبري، والزجاج، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، وابن الأنباري،

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٤٥) .

(2) يندرج في هذا القول مايلي : أنزع عنهم فهم القرآن — أصدهم عن التفكير والاعتبار فيها — أصدهم عن التصديق والإيمان بها — أصدهم عن نفعها ... هكذا ورد في التفاسير ، وكلها لا تعارض بينها عند التأمل ؛ لأن القرآن من آيات الله الشرعية بلا ريب. وقد ذكرها الشوكاني في فتح القدير (٢ / ٣٤٧) كلها بصيغة ( قيل ) ، وكذا القنوجي في فتح البيان (٥ / ١٨ ) إلا أن الشوكاني لم يذكر القول الثاني وهو : منعهم من إبطالها .

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٥٦٧ ) رقم ( ٨٩٨٢ ) . قال : سأصرفهم عن أن يتفكروا في آياتي . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٥٦٢) نسبه إلى أبي الشيخ .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٤٤٣ ) من طريق حجاج ، عنه قال : سأصرفهم عن أن يتفكروا فيها أو يعتبروا فيها . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٥٦٢) نسبه إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٤٤٣ ) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٥٦٧ ) رقم (٨٩٨٣) عنه قال : أنزع عنهم فهم القرآن . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٥٦٢) نسبه إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(6) نسبه إليه الخازن في لباب التأويل (٢ / ١٣٠) .

(7) نسبه إليه ابن أبي زمنين في تفسير القرآن العزيز (٢ / ١٤٢) قال : سأصرفهم عنها حتى لا يؤمنوا بها .

(8) نسبه إليه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٩ / ٣٣١) قال : سأمنعهم فهم كتابي . ثم قال القرطبي : وقاله سفيان بن عيينة .

والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، وابن الجوزي، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، والخازن، وابن كثير، والثعالبي، والسيوطي، وأبو السعود، والآلوسي، والقاسمي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي<sup>(١)</sup>.

وجوزّه الطاهر بن عاشور<sup>(٢)</sup>. وكأن النحاس عليه<sup>(٣)</sup>.

وهذا القول يُعمّ منعمهم عن فهم آيات الله الشرعية كالقرآن، وعن التفكير والتدبر في آيات الله الكونية والشرعية، وعن الإيمان بها. ولذا فإن الطبري بعد ما ساق اختلاف أهل التأويل في معنى ذلك على قولين هما :

١— سأزّع عنهم فهم القرآن<sup>(٤)</sup>.

٢— سأصرفهم عن الاعتبار بالحجج<sup>(٥)</sup>.

قال : « وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكّره أخبر أنه سيصرف عن آياته ، وهي أدلته وأعلامه على حقيقة ما أمر به عباده ، وفرض عليهم من طاعته في توحيده وعدله وغير ذلك من فرائضه ، والسموات والأرض وكل موجود من خلقه فمن آياته ، والقرآن أيضاً من آياته . وقد عمّ بالخبر أنه يصرف عن آياته المتكبرين في الأرض بغير الحق ، وهم الذين حقّت عليهم كلمة الله أنهم لا يؤمنون ، فهّم عن فهم جميع آياته والاعتبار والادّكار بما مصروفون ؛ لأنهم لو وقّفوا لفهم بعض ذلك ، وهدوا للاعتبار

(1) ينظر : : جامع البيان ( ١٠ / ٤٤٣ ) ، ومعاني القرآن وإعرابه ( ٢ / ٣٧٦ ) ، وبحر العلوم ( ١ / ٥٦٩ ) ، وتفسير القرآن العزيز ( ٢ / ١٤٢ ) ، والوسيط ( ٢ / ٤١٠ ) — وفيه قول ابن الأنباري — ، وتفسير القرآن ( ٢ / ٢١٥ ) ، ومعالم التنزيل ( ٢ / ١٥٢ ) ، والكشاف ( ٢ / ٥٠٩ ) ، والمحزر الوجيز ( ٦ / ٧٨ ) ، وتذكرة الأريب ( ١ / ١٨٨ ) ، والجامع لأحكام القرآن ( ٩ / ٣٣١ ) ، وأنوار التنزيل ( ١ / ٣٦١ ) ، ومدارك التنزيل ( ٢ / ٧٦ ) ، ولباب التأويل ( ٢ / ١٣٠ ) ، وتفسير القرآن العظيم ( ٦ / ٣٩٣ ) ، والجواهر الحسان ( ١ / ٥٧٦ ) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٣ / ١١٥ ) ، وإرشاد العقل السليم ( ٢ / ٢٩٥ ) ، وروح المعاني ( ٩ / ٦٠ ) ، ومحاسن التأويل ( ٧ / ٢٨٥٥ ) ، وتفسير القرآن الحكيم ( ٩ / ١٧٦ ) ، وتفسير المراغي ( ٩ / ٦٤ ) ، وتيسير الكريم الرحمن ( ٢ / ١٥٤ ) .

(2) ينظر : التحرير والتنوير ( ٩ / ١٠٤ ) .

(3) ينظر : معاني القرآن الكريم ( ٣ / ٧٨ ) .

(4) كما هو قول ابن عيينة .

(5) كما هو قول السدي وابن جريج .

به ؛ لاتعظوا وأنا بوا إلى الحق ، وذلك غير كائن منهم ؛ لأنه جل ثناؤه قال : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ﴾ . ولا تبديل لكلمات الله «<sup>(١)</sup> .

وذكر بعض المفسرين<sup>(٢)</sup> أن هذه الآية كقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف : ٥] ، وكقوله تعالى : ﴿ وَنَقَلَبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الأنعام : ١١٠] .

ومنع الجصاص وقال : « ولا يجوز أن يكون معناه سأصرف عن الإيمان بأياتي ؛ لأنه لا يجوز أن يأمر بالإيمان ثم يمنع منه ؛ إذ كان ذلك سفهاً وعبثاً »<sup>(٣)</sup> .

وأما القول الآخر بأن المراد بالصرف هو منعهم من إبطالها فمنسوب إلى قتادة . قال أبو حيان : « وقال قتادة : سأصدهم عن الإعراض والطعن والتحريف والتبديل والتغيير . فالآيات : القرآن ؛ فإنه مختص بصونه عن ذلك »<sup>(٤)</sup> .

واحتمل هذا القول الجصاص<sup>(٥)</sup> ، واختاره الطاهر بن عاشور<sup>(٦)</sup> . وذكره الزمخشري ، والبيضاوي ، وأبو السعود بصيغة ( قيل )<sup>(٧)</sup> . ولا دليل عليه . وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن ما رجحه ابن جزي هو الأولى ؛ لموافقه لما روي عن السلف ، واختيار أكثر المفسرين . ويتأيد هذا القول بقاعدة : ( تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم )<sup>(٨)</sup> . ومن وجوه الترجيح عند ابن جزي : ( أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين ؛ فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه )<sup>(٩)</sup> . والله أعلم .

(1) جامع البيان ( ١٠ / ٤٤٣ ) .

(2) كالألوسي ، والقاسمي وغيرهما .

(3) أحكام القرآن ( ٤ / ٢١٠ ) . وتعليل الجصاص عليل .

(4) البحر المحيط ( ٤ / ٣٨٩ ) . وقد مضى أن القرطبي نسب إلى قتادة قوله : سأمنعهم فهم كتابي .

(5) ينظر : أحكام القرآن ( ٤ / ٢١٠ ) .

(6) ينظر : التحرير والتنوير ( ٩ / ١٠٣ ) .

(7) ينظر : الكشف ( ٢ / ٥٠٩ ) ، وأنوار التنزيل ( ١ / ٣٦١ ) ، وإرشاد العقل السليم ( ٢ / ٢٩٦ ) .

(8) قواعد الترجيح عند المفسرين ( ١ / ٢٧١ ) .

(9) التسهيل لعلوم التنزيل ( ١ / ٩ ) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ۖ أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ  
وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعَفُونِي وَكَادُوا  
يَقْتُلُونَنِي فَلَا تَشْمِتْ بِالْأَعْدَاءِ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾  
١٨ - الخلاف في معنى ﴿أَسِفًا﴾ .

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « شديد الحزن على ما فعلوه . وقيل : شديد الغضب

كقوله : ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا ﴾ <sup>(١)</sup> [ الزخرف : ٥٥ ] .

العرض والمناقشة :

رجح ابن جزي أن ﴿أَسِفًا﴾ في قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾  
معناها : شديد الحزن . ووافق في هذا المعنى ما روي عن ابن عباس <sup>(٢)</sup> ، ومجاهد <sup>(٣)</sup> ،  
وقتادة <sup>(٤)</sup> ، والحسن <sup>(٥)</sup> ، والسدي <sup>(٦)</sup> ، ومالك ابن دينار <sup>(٧)</sup> .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٥) .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٦٩) رقم (٨٩٩٤) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه قال :

﴿غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ : يعني : الغضبان الحزين . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠/ ٤٥٠) ، وابن

أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٦٩) رقم (٨٩٩٦) من طريق عطية العوفي ، عنه : في قوله : ﴿غَضْبَانَ أَسِفًا﴾

قال : حزينا . وفي الزخرف : ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا﴾ يقول : أغضبونا ، والأسف على وجهين : الغضب

والحزن . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٦٩) رقم (٨٩٩٥) من طريق الضحاك ، عنه . وزاد

السيوطي نسبته في الدر المنثور (٣/ ٥٦٤) إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٦٩) رقم (٨٩٩٧) من طريق ابن أبي نجيح ، عنه قال : جزعا . وزاد

السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٦٤) نسبته إلى ابن المنذر . والجزع : هو : حزنٌ يصرف الإنسان عما هو

بصدده، ويقطعه عنه . ينظر : مفردات ألفاظ القرآن للراغب (١٩٤) مادة (جزع) .

(٤) أخرجه أبو الشيخ كما في الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٥٦٤) . ونسبه لقتادة : الماوردي في النكت والعيون

(٢/ ٢٦٢) ، والألوسي في روح المعاني (٩/ ٦٥) .

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠/ ٤٥٠) من طريق مالك بن دينار ، عنه . وذكره ابن أبي حاتم

في تفسيره (٥/ ١٥٦٩) عقب الأثر (٨٩٩٥) .

(٦) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠/ ٤٥٠) من طريق أسباط ، عنه .

(٧) ذكره ابن أبي حاتم عنه في تفسيره (٥/ ١٥٦٩) عقب الأثر (٨٩٩٥) .

وهو قول الكلبي<sup>(١)</sup> .

وعليه مقاتل، والسمرقندي، والراغب، والواحدي، ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي، والرازي، والنسفي، والحازن، والبقاعي، والسيوطي، والقاسمي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والطاهر بن عاشور<sup>(٢)</sup> .

وذكره السمعي، والزحشري، والبيضاوي، وأبو السعود بصيغة ( قيل )<sup>(٣)</sup> .

ودليله : إطلاق اللغة واستعمالها للأسف بمعنى الحزن<sup>(٤)</sup> .

يقال : أسِفَ ، من باب تعب : حَزِنَ وتلهف<sup>(٥)</sup> .

ومنه قوله تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام : ﴿ وَقَالَ يَا سَفَى عَلَى يَوْسُفَ ﴾ [يوسف :

٨٤] . ومنه قول أبي نواس :<sup>(٦)</sup>

غَيْرُ مَأْسُوفٍ عَلَى زَمَنِ يَنْقُضِي بِالْهَمِّ وَالْحَزْنَ .

وفي حديث عائشة : ( إن أبا بكر رجل أسيف<sup>(٧)</sup> ) أي : حزين .

(1) ينظر : الوسيط للواحدى (٢/ ٤١٢) .

(2) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٦٤) ، ومجر العلوم (١/ ٥٧١) ، ومفردات ألفاظ القرآن (٧٦) مادة (أسف) ، والوجيز (١/ ٤١٤) ، وإيجاز البيان (١/ ٢٧٨) ، وتذكرة الأريب (١/ ١٨٨) ، ومفاتيح الغيب (٥/ ٣٧١) ، ومدارك التنزيل (٢/ ٧٨) ، ولباب التأويل (٢/ ١٣١) ، ونظم الدرر (٨/ ٨٨) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ١١٩) ، ومحاسن التأويل (٧/ ٢٨٦٠) ، وتفسير القرآن الحكيم (٩/ ١٨٥) ، وتفسير المراغى (٩/ ٧٠ ، ٧١) ، والتحرير والتنوير (٩/ ١١٤) .

(3) ينظر : تفسير القرآن (٢/ ٢١٧) ، والكشاف (٢/ ٥١١) ، وأنوار التنزيل (١/ ٣٦٢) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٢٩٨) .

(4) ينظر : عمدة الحفاظ للسمين الحلبي (١/ ٩٠) ، مادة (أسف) . وفي الصحاح (٤/ ١٣٣٠) مادة (أسف) : الأسف : أشد الحزن . وقد أسف على ما فاتته وتأسف أي تلهف . وأسف عليه أسفًا : أي غضب . وآسفه أغضبه . والأسيف والأسوف : السريع الحزن الرقيق . وقد يكون الأسيف الغضبان مع الحزن . وينظر : لسان العرب (٩/ ٥) مادة (أسف) .

(5) المصباح المنير للفيومي (١/ ١٥) .

(6) ينظر : الدر المصون (٥/ ٤٦٥) .

(7) أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٦٦٤) في كتاب الأذان باب حد المريض أن يشهد الجماعة (٧١٢) — باب : من أسمع الناس تكبير الإمام . (٧١٣) — وباب : الرجل يأتى بالإمام ، ويأتى الناس بالمأموم . (٧١٦) — وباب : إذا بكى الإمام في الصلاة . وفي كتاب الأنبياء ، رقم (٣٣٨٤) . — ومسلم في الصلاة (٩٥ — ٤١٨) (١/ ٣١٣ — ٣١٤) وفي رواية : ( إن أبا بكر رجل رقيق ) . وهي عند البخاري برقم (٦٧٨) . قال النووي :

ومما يدل عليه أن الله عز وجل فتنهم ، وأنه قد أعلم موسى بذلك فحزن لأجل ذلك<sup>(١)</sup>.

والجمع بين الغضبان والأسف في صفة موسى عليه السلام يدل على أن الأسف بمعنى الحزين . قاله السيد محمد رشيد رضا<sup>(٢)</sup> .

وأما القول الآخر في معنى ﴿ أَسْفًا ﴾ أنه : شديد الغضب ، فهو مرؤيٌّ عن أبي الدرداء<sup>(٣)</sup> ، ومحمد بن كعب القرظي<sup>(٤)</sup> . ونسب إلى ابن عباس<sup>(٥)</sup> ، وعطاء<sup>(٦)</sup> .

وإليه ذهب الأخفش — كما ذكره الماوردي — ، وأبو عبيدة ، وابن قتيبة ، والطبري ، والزجاج ، وغلام ثعلب ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ، والسمعي ، والزمخشري ، والقرظي ، والبيضاوي ، وابن كثير ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والسعدي ، والشنقيطي<sup>(٧)</sup> .

وذكره محمود النيسابوري بصيغة (قيل)<sup>(٨)</sup> .

ودليله : إطلاق اللغة عليه<sup>(٩)</sup> .

كما يدل عليه قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَسْفُونَا أَنْقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ [ الزخرف : ٥٥ ] .

(أسيف) أي : حزين . وقيل : سريع الحزن والبكاء . [ شرح النووي على مسلم (٤ / ١٤٠ — ١٤١) ] .

(1) ينظر : مفاتيح الغيب للرازي (٥ / ٣٧١) ، ولباب التأويل للخازن (٢ / ١٣١) .

(2) تفسير القرآن الحكيم (٩ / ١٨٥) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠ / ٤٥٠) .

(4) أخرجه عبد بن حميد كما في الدر المنثور للسيوطي (٣ / ٥٦٤) .

(5) ينظر : مفاتيح الغيب للرازي (٥ / ٣٧١) .

(6) ينظر : روح المعاني للآلوسي (٩ / ٦٥) .

(7) ينظر : النكت والعيون (٢ / ٢٦٢) ، ومجاز القرآن (١ / ٢٢٨) ، وغريب القرآن (١٧٣) ، وجامع البيان

(١٠ / ٤٤٩) ، ومعاني القرآن وإعراجه (٢ / ٣٧٨) ، وياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن (٢٣٢) ،

وتفسير القرآن العزيز (٢ / ١٤٤) ، والوسيط (٢ / ٤١٢) ، وتفسير القرآن (٢ / ٢١٧) ، والكشاف

(٢ / ٥١١) ، والجامع لأحكام القرآن (٩ / ٣٣٦) ، وأنوار التنزيل (١ / ٣٦٢) ، وتفسير القرآن العظيم

(٦ / ٣٩٥) ، وإرشاد العقل السليم (٢ / ٢٩٨) ، وفتح القدير (٢ / ٣٥٣) تيسير الكريم الرحمن (٢ / ١٥٦) ،

والعذب النمير (٤ / ١٥٨٠) .

(8) ينظر : إيجاز البيان (١ / ٢٧٨) .

(9) ينظر : الصحاح للجوهري ، مادة (أسف) ، ولسان العرب ، مادة (أسف) . وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي ،

مادة (أسف) .

قال الشنقيطي : « والتحقيق أن ﴿ أَسِفًا ﴾ هنا معناه : شديد الغضب ، فهي كالتوكيد لغضبان . ومنه قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا ءَاسَفُونَا اُنْقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ أي : فلما أغضبونا انتقمنا منهم وأغرقناهم . والأسف : شدة الغضب . وشدّ بعض العلماء هنا فقال : الأَسْفُ : الحزين ، أي : غضبان حزينًا . والأول هو الأظهر . وغضبه وشدة أسفه مما فعله قومه من عبادة العجل »<sup>(١)</sup> . هـ .

وما ذكره الشنقيطي من شدوذ بعض العلماء هنا لا يليق ؛ لورود هذا التفسير عن السلف ، وصحة إطلاق اللغة عليه ، واختيار طائفة من المفسرين له .  
 وذهب الواحدي إلى تقارب القولين<sup>(٢)</sup> ، وجمع بينهما النحاس<sup>(٣)</sup> ، وسوّى بينهما الشهاب<sup>(٤)</sup> .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن كلا القولين يدل له القرآن الكريم واللغة العربية لكن الأقرب إلى الصواب في معنى ﴿ أَسِفًا ﴾ هنا هو ما رجّحه ابن جُزَيٍّ ومن وافقه؛ لتأييده بالقاعدة الترجيحية وهي أنه ( إذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد كان حمله على التأسيس أولى ؛ لإفادته معنى جديدًا )<sup>(٥)</sup> . لاسيما وقد تكرر مرة أخرى في سورة طه فقال : ﴿ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ﴾ [ ٨٦ ] . فهل يقال : إنه للتأكيد وقد أكدّه قبل ذلك في الأعراف !؟ .

ويؤيده كذلك قاعدة : ( حمل ألفاظ الوحي على التباين أرجح من حملها على الترادف )<sup>(٦)</sup> .

وقد جمع الله للدلالة على حال موسى عليه السلام بين الوصفين : الغضب وشدة الحزن على قومه ، كما هو حال نبينا محمد ﷺ مع قومه كما في قوله جل وعز :

(1) العذب النمير (٤/ ١٥٨٠ ، ١٥٨١) .

(2) ينظر : مفاتيح الغيب للرازي (٥/ ٣٧١) .

(3) ينظر : معاني القرآن الكريم (٣/ ٨٢) .

(4) ينظر : حاشية الشهاب (٤/ ٢٢٠) .

(5) ينظر : قواعد الترجيح (٢/ ٤٧٣) .

(6) المصدر السابق (٢/ ٤٨١) .

﴿ فَاعْلَمْكَ بِنَجْعِ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ ﴿٦﴾ [الكهف] وهذا هو حال الأنبياء مع أقوامهم يغضبون ويشتد حزنهم عليهم ولذا قال تعالى : ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ ﴾ [فاطر : ٨] والله تعالى أعلم .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَبِئْسَ أَتَاهِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنَّ هِيَ إِلَّا فِئْتَنُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾ (١٥٥)

في هذه الآية الكريمة مسألتان :

المسألة الأولى هي :

١٩ - الخلاف في سبب الرجفة التي أخذتهم .

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « ﴿ وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ ﴾ أي : من قومه ﴿ سَبْعِينَ رَجُلًا ﴾ حملهم معه إلى الطور يسمعون كلام الله لموسى فقالوا : أرنا الله جهرة ، فأخذتهم الرجفة ؛ عقاباً لهم على قولهم . وقيل : إنما أخذتهم الرجفة ؛ لعبادتهم العجل أو لسكوتهم على عبادته . والأول أرجح ؛ لقوله : ﴿ فَقَالُوا أَرْنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ﴾ (١) [النساء: ١٥٣] .

العرض والمناقشة :

رجح ابن جزي أن الرجفة التي أخذتهم كانت عقوبة لهم على قولهم : أرنا الله جهرة . ووافق في هذا ما روي عن نوف البكالي<sup>(٢)</sup> ، والسدي<sup>(٣)</sup> ، وابن إسحاق<sup>(٤)</sup> ، والربيع بن أنس<sup>(٥)</sup> . وهو قول الكلبي<sup>(٦)</sup> .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٦) .

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٧٥) رقم (٩٠٢٥) قال : ﴿ فَقَالُوا أَرْنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ فأخذتهم الرجفة فصعقوا . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٦٩) نسبته إلى أبي الشيخ .

(3) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٤٦٨) من طريق أسباط ، عنه .

(4) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/ ٤٦٨) عنه . وأخرجه في تاريخه (١/ ٤٢٧ ، ٤٢٨) عنه ، عن صدقة بن يسار ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١/ ٦٩٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ١١٢) رقم (٥٣٩) ، (٥٤٤) .

(6) ينظر : تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢/ ١٤٥) .

وذهب إليه مقاتل، والفراء، والنحاس، وابن أبي زمنين، والواحدي، والبغوي،  
والرمحشري، وابن الجوزي، والبيضاوي، والخازن، وأبوالسعود، والشوكاني، والقنوجي،  
والسعدي<sup>(١)</sup> .

وذكره ابن عطية ، والقرطبي بصيغة ( قيل )<sup>(٢)</sup> .

واستدل له ابن جرير بقوله تعالى : ﴿ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ﴾ [النساء : ١٥٣] .

قال الشوكاني : « سبب الرجفة ما حكاه الله عنهم من قولهم : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّعِقَةُ وَأَنْتُمْ نُنظَرُونَ ﴾ » [البقرة] .  
وأما القول الآخر بأن سبب الرجفة هو عبادتهم العجل أو سكوتهم على عبادته ،  
فروى عن ابن عباس<sup>(٤)</sup> ، وقتادة<sup>(٥)</sup> ، وابن جريج<sup>(٦)</sup> ، ومحمد بن كعب القرظي<sup>(٧)</sup> .

(1) ينظر : تفسير مقاتل ( ٢ / ٦٦ ) ، ومعاني القرآن ( ١ / ٣٩٥ ) ، ومعاني القرآن الكريم ( ٣ / ٨٦ ) ، وتفسير القرآن العزيز ( ٢ / ١٤٥ ) ، والوجيز ( ١ / ٤١٥ ) والوسيط ( ٢ / ٤١٥ ) ، ومعالم التنزيل ( ٢ / ١٥٦ ) ، والكشاف ( ٢ / ٥١٦ ) ، وتذكرة الأريب ( ١ / ١٨٩ ) ، وأنوار التنزيل ( ١ / ٣٦٣ ) ، ولباب التأويل ( ٢ / ١٣٤ ) ، وإرشاد العقل السليم ( ٢ / ٣٠١ ) ، وفتح القدير ( ٢ / ٣٥٨ ) ، وفتح البيان ( ٥ / ٣٠ ) ، وتيسير الكريم الرحمن ( ٢ / ١٥٩ ) .

(2) ينظر : المحرر الوجيز ( ٦ / ٩٤ ) .

(3) ينظر : فتح القدير ( ٢ / ٣٥٨ ) . وكذا الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ( ٩ / ٣٤٩ ) ، ولباب التأويل للخازن ( ٢ / ١٣٤ ) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٤٧١ ) عن قتادة قال : ذُكِرَ لَنَا أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَ يَقُولُ : إِنَّمَا تَنَاوَلْتَهُمُ الرَّجْفَةَ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا الْقَوْمَ حَتَّىٰ نَصَبُوا الْعَجَلَ ، وَقَدْ كَرِهُوا أَنْ يَجَامِعُوهُمْ عَلَيْهِ . وَأَخْرَجَهُ أَيْضًا ( ١٠ / ٤٧٢ ، ٤٧٣ ) مِنْ طَرِيقِ سَعِيدِ بْنِ حِيَانَ ، عَنْهُ . وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ( ٥ / ١٥٧٥ ) رَقْم ( ٩٠٢٧ ) عَنْ سَعِيدِ بْنِ حِيَانَ مِنْ قَوْلِهِ . وَأَخْرَجَهُ أَيْضًا ( ٥ / ١٥٧٥ ) رَقْم ( ٩٠٢٤ ) مِنْ طَرِيقِ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : كَانَ فِيهِمْ مَنْ قَدْ اطَّلَعَ اللَّهُ مِنْهُ عَلَىٰ مَا أَشْرَبَ قَلْبَهُ مِنْ حُبِّ الْعَجَلِ وَالْإِيمَانِ بِهِ فَلذَلِكَ رَجَفَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ . وَزَادَ السِّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنْتَوِرِ ( ٣ / ٥٧٠ ) فَنَسَبَهُ إِلَىٰ عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ ، وَابْنِ أَبِي عَمْرِو الْعَدْنِيِّ ، وَأَبِي الشَّيْخِ .

(5) نسبه له ابن الجوزي في زاد المسير ( ٣ / ٢٦٩ ) .

(6) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٤٧٢ ) .

(7) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٤٧٢ ) .

وعليه السيوطي ، والطاهر بن عاشور<sup>(١)</sup> .

وذكره ابن عطية ، والشوكاني ، والقنوجي بصيغة ( قيل )<sup>(٢)</sup> .

قال ابن كثير : « ويتوجه هذا القول بقول موسى : ﴿ أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ مِنَّا ﴾<sup>(٣)</sup> .

وقال الطاهر : « فإن قول موسى : ﴿ أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ مِنَّا ﴾ يؤذن بأنه يعني به

عبادتهم العجل ، وحضورهم ذلك ، وسكوتهم ، وهو المعنى بقوله : ﴿ إِن هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ ﴾ .

وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن سياق الآية الكريمة كما هو ظاهرها يدل على رجحان

القول الثاني . وأما القول الأول فيحتاج إلى تقدير محذوف ، أي : قالوا : أرنا الله جهرة

فأخذهم الرجفة . وكان هذا القول منهم هو المعنى بقول موسى : ﴿ أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ

مِنَّا ﴾ . ويشهد له آية البقرة ، وآية النساء .

وفي الاستدلال بهما نظر ؛ لأن الله تعالى ذكر قولهم مرتين ورتب عليه أخذهم

بالصاعقة ، ولم يذكر الرجفة في واحدة منهما . والأصل في ألفاظ القرآن الكريم التباين<sup>(٤)</sup> ،

فالصاعقة غير الرجفة . وهذا يدل على تغاير الواقعتين ، فالرجفة عقوبة على عبادتهم العجل

أو سكوتهم عليها ، والصاعقة عقوبة على قولهم : أرنا الله جهرة .

ويتأيد رجحان القول الثاني ؛ لعدم حاجته إلى تقدير و ( ما لا تقدير فيه أولى مما فيه

تقدير إلا بحجة يجب الرجوع إليها تثبت المحذوف المقدر )<sup>(٥)</sup> .

وتوقف في الترجيح بين القولين في هذه المسألة جماعة من المفسرين ومنهم : السيد

محمد رشيد رضا وقال : « كل ما نقل عن مفسري المأثور في هذه المسألة وأمثالها مأخوذ

عن الإسرائيليات غير الموثوق بها ؛ إذ ليس فيه شيء مرفوع إلى النبي ﷺ وإنما يرجح من

بعدهم بعض أقوالهم على بعض بكونه أقرب إلى ظاهر نظم الآيات وأساليبها وتناسبها من

(1) ينظر : تفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٣ / ١٢٤ ) ، والتحرير والتنوير ( ٩ / ١٢٤ ) .

(2) ينظر : المحرر الوجيز ( ٦ / ٩٤ ) ، وفتح القدير ( ٢ / ٣٥٨ ) ، وفتح البيان ( ٥ / ٣٠ ) .

(3) تفسير القرآن العظيم ( ٦ / ٤٠٢ ) .

(4) ينظر : قواعد الترجيح ( ٢ / ٤٨١ ) .

(5) أضواء البيان ( ٤ / ١٣٧ ) . وينظر : قواعد الترجيح ( ٢ / ٤٢١ - ٤٢٨ ) .

غيره»<sup>(١)</sup>.

ومنهم الشنقيطي فإنه ذكر أقوال المفسرين ثم قال : « هذه أقوال المفسرين وفيها غير هذا، ولا شيء يقوم عليه الدليل القاطع منها ، والله أعلم»<sup>(٢)</sup>.  
ومما يقوّي القول بالتوقف القاعدة الترجيحية : (لا يصحُّ حمل الآية القرآنية على تفسيرات وتفصيلات غيبية لا دليل عليها من القرآن والسنة)<sup>(٣)</sup>.

(١) تفسير القرآن الحكيم (٩/ ١٩٣) .

(٢) العذب النمير (٤/ ١٥٩٢) .

(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ٢٢٥) .

### المسألة الثانية :

#### ٢٠- هل الرجفة كانت رجفة موت أو إغماء ؟

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « ويحتمل أن تكون رجفة موت أو إغماء . والأول

أظهر ؛ لقوله : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> [ البقرة : ٥٦ ] .

#### العرض والمناقشة :

رجح ابن جزي أن تكون الرجفة التي أخذتهم رجفة موت . ووافق في هذا ما روي عن مجاهد <sup>(٢)</sup> ، والسدي <sup>(٣)</sup> ، وابن إسحاق <sup>(٤)</sup> ، ومحمد بن كعب القرظي <sup>(٥)</sup> ، وابن جريج <sup>(٦)</sup> . وهو مفهوم ما روي عن علي بن أبي طالب <sup>(٧)</sup> .

وعلى هذا جمهور المفسرين ومنهم : مقاتل ، والزجاج ، والنحاس ، والسمرقندي ، والواحدي ، والسمعي ، والبغوي ، والباقولي ، والقرظي ، والبقاعي ، وأبو السعود ، والآلوسي ، والقنوجي ، والسعدي <sup>(٨)</sup> . وهو مفهوم كلام الطبري <sup>(٩)</sup> .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ( ٤٦ / ٢ ) .

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٤٧٥ ) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٥٧٥ ) رقم ( ٩٠٢٦ ) من طريق ابن أبي نجیح ، عنه قال : ماتوا ثم أحياهم . وزاد نسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٣ / ٥٦٩ ) إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٤٦٨ ) من طريق أسباط ، عنه .

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٤٦٨ ) .

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٤٧٢ ) .

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٤٧٢ ) .

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٤٧٠ ) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٥٧٣ ، ١٥٧٥ ) رقم ( ٩٠١٨ ، ٩٠٢٨ ) من طريق سفيان الثوري ، عن أبي إسحاق السبيعي ، عن عمارة بن عبد السلولي ، عن علي رضي الله عنه . وأخرجه الطبري ( ١٠ / ٤٧١ ) من طريق شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن رجل من بني سلول ، أنه سمع علياً يقول .

(٨) ينظر : تفسير مقاتل ( ٢ / ٦٦ ) ، ومعاني القرآن وإعرابه ( ٢ / ٣٨٠ ) ، ومعاني القرآن الكريم ( ٣ / ٨٦ ) ، وبحر العلوم ( ١ / ٥٧٢ ) ، والوجيز ( ١ / ٤١٥ ) ، وتفسير القرآن ( ٢ / ٢١٩ ) ، ومعالم التنزيل ( ٢ / ١٥٦ ) ، وكشف المشكلات ( ١ / ٤٨١ ) ، والجامع لأحكام القرآن ( ٩ / ٣٤٨ ) ، ونظم الدرر ( ٨ / ١٠١ ) ، وإرشاد العقل السليم ( ٢ / ٣٠١ ) ، وروح المعاني ( ٩ / ٧٤ ) — ونسبه للكثير — ، وفتح البيان ( ٥ / ٣٠ ) ، وتيسير الكريم الرحمن ( ٢ / ١٥٩ ) .

(٩) ينظر : جامع البيان ( ١٠ / ٤٧٦ ، ٤٧٧ ) .

وذكره الشوكاني بصيغة ( قيل )<sup>(١)</sup>.

واستدل له ابن جزيّ بقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾ [البقرة : ٥٦] .  
وهذا بناءً على ترجيحه أن سبب الرجفة هي قولهم : أرنا الله جهرة ، ولذا فسّر  
الرجفة هنا بأنها رجفة موت بآية البقرة ، وجعل الرجفة هي الصاعقة التي أخذتهم فأماتتهم  
ثم أحياهم الله بعد موتهم .

قال الطبري : « وأولى الأقوال بتأويل الآية قول من قال : إن موسى إنما حزن على  
هلاك السبعين بقوله : ﴿ أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ﴾ . وأنه إنما عني بالسفهاء عبدة العجل ،  
وأن موسى حين قال ما قال من ذلك لم يكن عنده السبعون من عبدة العجل ... وجائز أن  
يكون معنى ذلك الهلاك قبض الأرواح على غير وجه العقوبة ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ إِنْ  
أَمْرًا هَلَكَ ﴾ [النساء : ١٧٦] . بمعنى : مات ، فيقول : أتميتنا بما فعل السفهاء منا ؟ »<sup>(٢)</sup> .  
وأما القول الآخر بأن الرجفة كانت رجفة إغماء فهو قول وهب بن منبه<sup>(٣)</sup> .  
ومفهوم كلام البيضاوي<sup>(٤)</sup> .

وذكره الآلوسي بصيغة ( قيل )<sup>(٥)</sup> . واحتمل القولين أبوحيان<sup>(٦)</sup> .

ولم أر أحداً ذكر دليلاً على القول الثاني !

ويدل له أن الرجفة لا يلزم منها الموت ، ومن أين الدليل على أنهم ماتوا بسبب  
الرجفة التي أخذتهم ؟ ألا ترى أن الله لما ذكر الصاعقة التي أخذتهم بسبب قولهم : ﴿ أَرِنَا  
اللَّهِ جَهْرَةً ﴾ ذكر أنه أماتهم بها ثم أحياهم كما قال جل وعلا : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ  
نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ نُنظَرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ  
لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [البقرة] .

(1) ينظر : فتح القدير ( ٢ / ٣٥٨ ) .

(2) جامع البيان ( ١٠ / ٤٧٦ - ٤٧٧ ) . وينظر : الجامع لأحكام القرآن ( ٩ / ٣٤٨ ) .

(3) ينظر : لباب التأويل للخازن ( ٢ / ١٣٤ ) .

(4) ينظر : أنوار التنزيل ( ١ / ٣٦٣ ) .

(5) ينظر : روح المعاني ( ٩ / ٧٤ ) .

(6) ينظر : البحر المحيط ( ٤ / ٤٠٠ ) .

وفي آية الأعراف هذه لم يذكر أنه أماتهم ، ولو كانوا ماتوا من الرجفة لذكر ذلك ولذكر إحياءهم ، فدل على أن هذه الرجفة لم تكن رجفة موت بل هي حركة وزلزلة شديدة<sup>(١)</sup> قد تؤدي إلى الموت وقد لا تؤدي إليه . بل قد قام الدليل على أنه قد يكون مصعوقاً وهو حي غير ميت كما قال تعالى عن موسى : ﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ [الأعراف : ١٤٣] . يعني : مغشياً عليه . فقد عُلِمَ أنه عليه السلام لم يكن حين غُشِيَ عليه فصعقَ مَيِّتًا ؛ لأن الله قد أخبر عنه لما أفاق قال : ﴿ تَبَّتْ إِلَيْكَ ﴾<sup>(٢)</sup> [الأعراف : ١٤٣] . وقول موسى : ﴿ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِنِّي أَتَمَلِكُنَّ مَا فَعَلَ الشَّفَهَاءُ مِنَّا ﴾ لا يدل صراحة على وقوع الهلاك بالموت بسبب الرجفة ، وإن كان الهلاك قد يكون بمعنى الموت ، لكن ليس في الآية ما يدل على وقوعه ، والله تعالى أعلم .

وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن ما رجّحه ابن جزيّ إنما يتوجّه على تفسير الرجفة بالصاعقة التي أخذتهم بسبب قولهم : ﴿ أَرَأَىٰ اللَّهُ جَهْرَةً ﴾ . وقد سبق بيان عدم رجحان هذا القول في المسألة السابقة . وإذا كان ذلك كذلك فجائز أن يكونوا قد ماتوا بسبب الرجفة وسكت الله عن ذلك ، وجائز ألا يكون قد نتج عنها موت سيما وأن الله لم يذكر ذلك . ولا خبر بصحة شيء منهما تقوم به حجة فيسلم له ، فجائز أن تكون رجفة موت ، وجائز أن تكون رجفة إغماءٍ وغشية ، فإذا كان لا خبر بذلك تقوم به حجة ، فالصواب من القول فيه أن يقال : إن الله تعالى قد أخبر أنهم أخذتهم الرجفة ، وهي الزلزلة الشديدة والحركة الشديدة ، ولم يخبر أنهم ماتوا منها أو لم يموتوا منها ، فيوقف مع ظاهر القرآن ولا يتعدى إلى ما سكت عنه ، والله تعالى أعلم أي ذلك كان .

وفي القواعد : لا يصحُّ حمل الآية القرآنية على تفسيرات وتفصيلات غيبية لا دليل عليها من القرآن والسنة<sup>(٣)</sup> .

(1) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ( ٢ / ٣٨٠ ) ، ومعاني القرآن الكريم للنحاس ( ٣ / ٨٦ ) ، وتذكرة الأريب لابن الجوزي ( ١ / ١٨٩ ) .

(2) ينظر : جامع البيان للطبري ( ١ / ٦٩١ ) .

(3) القواعد الترجيحية عند المفسرين ( ١ / ٢٢٥ ) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿وَأَكْتَبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۗ

وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ

وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾

٢١- هل قوله تعالى : ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾ يراد به أصحاب الرجفة ؟

أم هو على العموم ؟

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « قيل : الإشارة بذلك إلى الذين أخذتهم الرجفة .  
والصحيح أنه عموم يندرجون فيه مع غيرهم »<sup>(١)</sup> .

العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيِّ أن قوله تعالى : ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾ على عمومه ، وأن  
الذين أخذتهم الرجفة يندرجون فيه مع غيرهم .

ووافق في هذا ما ذهب إليه جمهور المفسرين منهم : الطبري ، والسمرقندي ، والبغوي ،  
وابن عطية ، والحازن ، وأبو حيان ، والثعالبي ، والشوكاني ، والقنوجي<sup>(٢)</sup> .

وهو مفهوم كلام أبي السعود ، والسيد محمد رشيد رضا ، والمراغي ، والسعدي<sup>(٣)</sup> .

قال الطبري : « يقول الله جل ثناؤه : قال الله لموسى : هذا الذي أصبتُ به قومك من

الرجفة ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾ مِنْ خَلْقِي ، كما أصبتُ به هؤلاء الذين أصبتهم  
به من قومك » . اهـ .

ووجه هذا القول : أن الاسم الموصول ﴿مَنْ﴾ من ألفاظ العموم كما هو مقرر في  
الأصول ، ولا دليل على التخصيص فحملة على العموم أولى وهو الصحيح .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ( ٤٧ / ٢ ) .

(٢) ينظر : جامع البيان ( ٤٨٣ / ١٠ ) ، وبحر العلوم ( ٥٧٣ / ١ ) ، ومعالم التنزيل ( ١٥٧ / ٢ ) ، والمحرم الوجيز  
( ٩٧ / ٦ ) ، ولباب التأويل ( ١٣٥ / ٢ ) ، والبحر المحييط ( ٤٠١ / ٤ ) ، والجواهر الحسان ( ٥٧٨ / ١ ) ،  
وفتح القدير ( ٣٥٩ / ٢ ) ، وفتح البيان ( ٣٢ / ٥ ) .

(٣) ينظر : إرشاد العقل السليم ( ٣٠٣ / ٢ ) ، وتفسير القرآن الحكيم ( ١٩٨ / ٩ ) ، وتفسير المراغي ( ٨٠ / ٩ ) ،  
وتيسير الكريم الرحمن ( ١٦٠ / ٢ ) .

قال ابن عطية : « ويحتمل — وهو الأظهر — أن الكلام قُصِدَ به الخير عن عذابه وعن رحمته من أول ما ابتداءً ، ويندرج أمر أصحاب الرجفة في عموم قوله : ﴿ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ﴾ . اهـ .

وأما القول بأن الإشارة بذلك إلى الذين أخذتهم الرجفة وأنهم هم المراد بالآية، فذكره أبوحيان ، والشوكاني ، والقنوجي بصيغة ( قيل )<sup>(١)</sup>.

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن ما رجّحه ابن جُزَيٍّ ومن وافقه هو القول الصحيح ويتأيد بقاعدة ( وجوب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص )<sup>(٢)</sup>.

وعلى اعتبار أن الذين أخذتهم الرجفة هم السبب في قوله تعالى : ﴿ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ﴾ فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب<sup>(٣)</sup> ، والله تعالى أعلم .

(1) ينظر : البحر المحيط ( ٤ / ٤٠١ ) ، وفتح القدير ( ٢ / ٣٥٩ ) ، وفتح البيان ( ٥ / ٣٢ ) .

(2) قواعد الترجيح ( ٢ / ٥٢٧ ) .

(3) ينظر : المصدر السابق ( ٢ / ٥٤٥ ) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَقَطَعْنَاهُمْ أَثْنَى عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَنَهُ قَوْمُهُ أَنْ أُضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ وَظَلَلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾

## ٢٢- الخلاف في إعراب ﴿أَسْبَاطًا﴾ .

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « السبط في بني إسرائيل كالقبيلة في العرب . وانتصابه على البدل من ﴿ أَثْنَى عَشْرَةَ ﴾ لا على التمييز ؛ فإن تمييز ﴿ أَثْنَى عَشْرَةَ ﴾ لا يكون إلا مفردًا . وقال الزمخشري : على التمييز ؛ لأن كل قبيلة أسباط لا سبط »<sup>(١)</sup> .

### العرض والمناقشة :

رجح ابن جزي أن ﴿أَسْبَاطًا﴾ منصوبٌ على البدل من ﴿أَثْنَى عَشْرَةَ﴾ .  
ووافق في هذا الأخفش، وأبا علي الفارسي — كما نسبه إليه الرازي والقمي — ، والطبري، والزجاج، والنحاس، والكرماني، والباقولي، والجوهري — كما نسبه إليه القمي — ، وابن عطية، ومحمود النيسابوري، والعكبري، والقرطبي، وأباحيان، والسمين، والثعالبي، والسيوطي، والآلوسي، والشنقيطي<sup>(٢)</sup> .  
وإلى القول بالبدلية ذهب ابن الأنباري، وابن مالك، وابن هشام، والأشعري، ومحي الدين الدرويش<sup>(٣)</sup> .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل ( ٢ / ٥١ ) .

(2) ينظر : معاني القرآن ( ٢ / ٣١٣ ) ، ومفاتيح الغيب للرازي ( ٥ / ٣٨٨ ) وغرائب القرآن وغرائب الفرقان للقمي ( ٣ / ٣٣٦ ) ، وجامع البيان ( ١٠ / ٥٠٣ ) ، ومعاني القرآن وإعرابه ( ٢ / ٣٨٣ ) ، وإعراب القرآن ( ٢ / ١٥٦ ) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل ( ١ / ٤٢٥ ) ، وكشف المشكلات ( ١ / ٤٨٢ ) ، وغرائب القرآن وغرائب الفرقان ( ٣ / ٣٣٦ ) ، والحرر الوجيز ( ٦ / ١٠٩ ) ، وإيجاز البيان ( ١ / ٢٧٩ ) ، والتبيان ( ١ / ٥٩٩ ) ، والجامع لأحكام القرآن ( ٩ / ٣٦٠ ) ، والبحر المحيط ( ٤ / ٤٠٧ ) ، والدر المصون ( ٥ / ٤٨٤ ) ، والجواهر الحسان ( ١ / ٥٨٣ ) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٣ / ١٣٠ ) ، وروح المعاني ( ٩ / ٨٧ ) — وعزاه هو والشهاب في حاشيته ( ٤ / ٢٢٧ ) إلى ابن الحاجب — ، والعذب النмир ( ٤ / ١٦٣٨ ) .

(3) ينظر : البيان في غريب إعراب القرآن ( ١ / ٣١٨ ) ، وأوضح المسالك ( ٤ / ٢٥٧ ) ، وشرح شذور الذهب

وذكره السمعاني بـ قيل<sup>(١)</sup> .

وَوَجْهٌ كَوْنٌ ﴿أَسْبَاطًا﴾ بدلا أمران :

الأول : أنه جَمْعٌ . وتمييز العدد المركب — وهو من أحد عشر إلى تسعة عشر — مفرد منصوب، وهذا جَمْعٌ .

قال الطبري : « والصواب من القول في ذلك عندي : أن ( الاثني عشرة ) أُثْنَتْ ؛ لتأنيث (القطعة) . ومعنى الكلام : وقطعناهم قطعاً اثني عشرة . ثم ترجم عن القطع بالأسباط ، وغير جائز أن تكون الأسباط مفسرةً عن الاثني عشرة ، وهي جَمْعٌ ؛ لأن التفسير [يعني : التمييز] فيما فوق العشر إلى العشرين بالتوحيد لا بالجمع ، والأسباط جَمْعٌ لا واحدٌ ، وذلك كقولهم : عندي اثنتا عشرة امرأةً . ولا يقال : عندي اثنتا عشرة نسوةً ففي ذلك بيان أن الأسباط ليست بتفسيرٍ لـ ( الاثني عشرة ) . وأن القول في ذلك على ما قلنا<sup>(٢)</sup> . اهـ .

فلو كان تمييزاً لقال : اثني عشرة سبطاً ، كقوله تعالى : ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ [التوبة : ٣٦] ، وكقولك : اثني عشر رجلاً . ولكن التمييز محذوف دلّ المقام عليه والتقدير : اثني عشرة فرقة ، وأسباط بدل من اثني عشرة<sup>(٣)</sup> .  
الثاني : أن مفرده مُذَكَّرٌ .

قال ابن هشام : « ولو كان ﴿أَسْبَاطًا﴾ تمييزاً لذكر العددان ؛ لأن السببُ مذكر<sup>(٤)</sup> . أي : فكان يكون التركيب " اثني عشر " بتذكيرهما وتجريدتهما من علامة التأنيث ؛ لأن السببُ — واحد الأسباط — مذكرٌ فكان يجب أن تجرد التاء من عدده<sup>(٥)</sup> .

(٤٥٩)، وحاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (٦٩/٤) ، و شرح التصريح على التوضيح

(٢/٢٧٤) ، وإعراب القرآن الكريم وبيانه (٣/٤٧٥) .

(1) ينظر : تفسير القرآن (٢/٢٢٤) .

(2) جامع البيان (١٠/٥٠٣) . وهذا قول الجمهور ، وأجاز الفراء جمع التمييز .

(3) ينظر : كشف المشكلات للباقولي (١/٤٨٢) ، والمحزر الوجيز لابن عطية (٦/١١٠) ، والبيان للعكبري

(١/٥٩٩) ، والتحرير والتنوير للطاهر (٩/١٤٣) .

(4) أوضح المسالك (٤/٢٥٧) .

(5) ينظر : شرح التصريح على التوضيح (٢/٢٧٤ ، ٢٧٥) .

وقال أبوحيان عن هذا القول بأنه : الأجرى على قواعد العرب<sup>(١)</sup> .

وأما قول الزمخشري<sup>(٢)</sup> بأن ﴿أَسْبَاطًا﴾ تمييز ، فهو قول الفراء<sup>(٣)</sup> ، وابن مالك في شرح الكافية<sup>(٤)</sup> . وعليه الرازي ، والنسفي ، والبقاعي<sup>(٥)</sup> .

وعلل الزمخشري انتصاب ﴿أَسْبَاطًا﴾ على التمييز بأن المراد : وقطعناهم اثني عشرة قبيلة ، وكل قبيلة أسباط لا سبط ، فوضع ﴿أَسْبَاطًا﴾ موضع قبيلة ، ونظيره :  
بَيْنَ رِمَاحِيٍّ مَالِكٍ وَنَهْشَلٍ<sup>(٦)</sup> .

قال الشهاب : السبط مفرد . بمعنى ولد ؛ كالحسن والحسين سبطا رسول الله ﷺ ، ثم استعمل في كل جماعة من بني إسرائيل . بمعنى القبيلة . وقد يطلق على كل قبيلة منهم أسباط أيضا كما غلب الأنصار على جمع مخصوص فيكون مفردا تأويلا ؛ لأنه بمعنى الحي والقبيلة ، فلذا وقع موقع المفرد في التمييز كما يثنى الجمع في نحو قوله :  
بَيْنَ رِمَاحِيٍّ مَالِكٍ وَنَهْشَلٍ .

إذ عدّ كل طائفة ونوع منها واحدا ثم ثناه كما يثنى المفرد<sup>(٧)</sup> .

وأجاب ابن مالك عن قولهم : إن ﴿أَسْبَاطًا﴾ مفردة مذكر ، بأن ذَكَرَ ﴿أُمَّمًا﴾ رجح حكم التأنيث في ﴿أَسْبَاطًا﴾ ؛ لكونه وُصِفَ بـ ﴿أُمَّمًا﴾ ، وهو جمع أمة ؛ كما رجحه — أي : التأنيث — في شخوص ذكر " كاعبان و معصر " في قوله :  
فَكَانَ مَجْنِيٍّ دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَّقِي ثَلَاثُ شُخُوصٍ : كَاعِبَانَ وَ مِعْصِرُ  
وكان القياس " ثلاثة شخوص " ؛ لأن الشخص مذكر ، ولكنه لما فسره — كاعبان

(1) ينظر : البحر المحيط ( ٤ / ٤٠٧ ) .

(2) ينظر : الكشاف ( ٢ / ٥٢١ ) .

(3) ينظر : معاني القرآن ( ١ / ٣٩٧ ) .

(4) ينظر : شرح الكافية الشافية ( ٣ / ١٦٦٤ ) .

(5) ينظر : مفاتيح الغيب ( ٥ / ٣٨٨ ) ، ومدارك الترتيل ( ٢ / ٨١ ) ، ونظم الدرر ( ٨ / ١٣٢ ) .

(6) البيت لأبي النجم يصف رمكة تعودت الحروب . وأوله : تبتلت في أول التبتل . ينظر : روح المعاني للآلوسي ( ٨٧ / ٩ ) ، والدر المصون للسمين ( ٣ / ٣٥٧ ) .

(7) حاشية الشهاب ( ٤ / ٢٢٨ ) .

ومعصر ، وهما مؤنثان ، رجع تأنيثه<sup>(١)</sup> .

وردّه ابن هشام بأنه ضرورة ، والذي سهّل ذلك قوله : " كاعبان ومعصر " فاتصل باللفظ ما يعضد المعنى المراد ، ومع ذلك فليس بقياس خلافاً للناظم [ ابن مالك ]<sup>(٢)</sup> .

ومما يشهد لهذا القول ما رُوِيَ عن ابن مسعود قال : « قضى في دية الخطأ عشرين بنت مخاض وعشرين بني مخاض » .

قال الأزهري : « وتخرّج أبي حيان على أن بني مخاض حال من عشرين أو نعت لها والتمييز محذوف خلاف الأصل »<sup>(٣)</sup> .

ومما يشهد له أيضاً أنه ظاهر القرآن .

قال الشنقيطي : « وظاهر القرآن أن مميّزه ﴿أَسْبَاطًا﴾ فقالوا : الأسباط جمع سبط مضمّن معنى القبيلة ، وأن الأسباط : القبيلة تكون فيها أسباط كثيرة . وعليه فالمعنى : قطعناهم اثنتي عشرة قبيلة . فالأسباط بمعنى القبيلة »<sup>(٤)</sup> .

وردّ هذا القول أبو حيان فقال : « وما ذهب إليه — يعني الزمخشري — من أن كلّ قبيلة أسباطٌ خلاف ما ذكر الناس . ذكروا أن الأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب ، وقالوا : الأسباط جمع سبط وهم الفرق ، والأسباط من ولد إسحاق بمنزلة القبائل من ولد إسماعيل . ويكون على زعمه قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ ﴾ [ البقرة : ١٣٦ ] . معناه : القبيلة . وقوله : ونظيره (بَيْنَ رِمَاحِيٍّ مَالِكٍ وَنَهْشَلٍ) ليس بنظيره ؛ لأن هذا من تثنية الجمع وهو لا يجوز إلا في الضرورة »<sup>(٥)</sup> .

وكذا ردّ هذا القول الشنقيطي فقال : « وهذا مردود ؛ لما ذكرنا من أن الأسباط في ذرية إسحاق بمعنى القبائل في ذرية إسماعيل »<sup>(٦)</sup> .

(1) ينظر : شرح الكافية الشافية ( ٣ / ١٦٦٤ ) ، أوضح المسالك ( ٤ / ٢٥٧ ) ، وشرح التصريح على التوضيح ( ٢ / ٢٧٤ — ٢٧٥ ) .

(2) أوضح المسالك ( ٤ / ٢٥١ ) .

(3) شرح التصريح على التوضيح ( ٢ / ٢٧٥ ) لخالد الأزهري .

(4) العذب النمير ( ٤ / ١٦٣٨ ) .

(5) البحر المحيط ( ٤ / ٤٠٧ ) .

(6) العذب النمير ( ٤ / ١٦٣٨ ) .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن القول بأن ﴿أَسْبَاطًا﴾ منصوب على البدل هو القول الراجح؛ لتمشّيه مع القواعد العربية وجريه على الأصول، وهو قول الجمهور. ويتأيد هذا القول بالقاعدة الترجيحية: (يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية القوية والمشهورة دون الضعيفة والشاذة والغريبة)<sup>(1)</sup>. وقد نصّوا على أن مميز العدد المركب يجب أن يكون مفردًا منصوبًا. وإذا كان ذلك كذلك فإن ما رجّحه ابن جُزَيٍّ ومن وافقه هو القول الأرجح؛ لقوة تعليله، والله تعالى أعلم.

---

(1) قواعد الترجيح ( ٢ / ٦٤٥ ) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا

كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾

٢٣- الخلاف في العذاب البئيس الذي أخذ الذين ظلموا .

هل هو المسخ؟ أم غيره؟

قال ابن جزّي رحمه الله تعالى : « والمعنى : أنهم عذبوا أولاً بعذاب شديد فعتوا [ بعد ذلك ]<sup>(١)</sup> فمسخوا قرده . وقيل : ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا ﴾ تكرار لقوله : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا ﴾ ، والعذاب البئيس هو المسخ<sup>(٢)</sup> .

العرض والمناقشة :

رجح ابن جزّي أن العذاب البئيس هو عذاب شديد عذبوا به أولاً لما نسوا ما ذكروا به ، فعتوا بذلك فمسخوا قرده ، وهذا عذاب آخر .  
ووافق في هذا معنى ما روي عن ابن عباس<sup>(٣)</sup> ، ومجاهد<sup>(٤)</sup> ، وقتادة<sup>(٥)</sup> ، وابن زيد<sup>(٦)</sup> .  
فإنهم فسروا العذاب البئيس بأنه : الذي لا رحمة فيه ، الوجيع ، الأليم ، الشديد ، الموجع ... ولم يفسروه بأنه المسخ .  
وهذا هو مفهوم كلام جمهور المفسرين كالطبري ، والزجاج ، والنحاس ، والسمرقندي ،

(1) وقع في المطبوع : ( بذلك ) ، والصواب ما أثبتته كما في جميع النسخ .

(2) التسهيل لعلوم التنزيل ( ٢ / ٥٣ ) .

(3) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ( ٢ / ٢٤٠ - ٢٤٢ ) ، والطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٥٢٧ ) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦٠٢ ) عقب الأثر ( ٨٤٦٤ ) من طريق عكرمة ، عنه قال : أليم وجيع . وفي إسناده مجهول . ونسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٣ / ٥٩١ ) إلى أبي الشيخ بلفظ : لا رحمة فيه .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري ( ١٠ / ٥٢٨ ) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦٠٢ ) رقم ( ٨٤٦٤ ) من طريق ابن أبي نجیح ، عنه قال : شديد .

(5) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ( ١ / ٢٣٩ ) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٥٢٨ ) من طريق معمر ، عنه قال : موجع . وأخرج ابن جرير الطبري من طريق سعيد ، عنه قال : لما مرد القوم على المعصية ﴿ قُلْنَا لَهُمْ

كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾ فصاروا قرده لها أذنان تعاوى بعد ما كانوا رجالا ونساءً .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٥٢٨ ) من طريق ابن وهب ، عنه قال : شديد .

وابن أبي زمين، ومكي، والسمعي، والبغوي، وابن عطية، وابن الجوزي، والقرطي،  
والثعالبي<sup>(١)</sup>.

وعليه الزمخشري، والرازي، والبيضاوي، والنسفي، والقمي، وأبو حيان، والبقاعي،  
وأبوالسعود، والآلوسي، والقاسمي<sup>(٢)</sup>.

ودليله ظاهر القرآن ؛ لأن الترتيب بالفاء يدل على أن المسخ ترتب على العتو<sup>و</sup>، والعتو<sup>و</sup>  
متأخر في الرتبة بعد النسيان ، قال : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا ﴾ ثم قال : ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا ﴾ .

قال أبو حيان : « والظاهر من قوله : ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا ﴾ أنهم أولاً أخذوا بالعذاب حين نسوا  
ما ذكروا به ثم لما عتوا مسخوا »<sup>(٣)</sup>.

وأما القول الآخر وهو أن قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا ﴾ تكرر لقوله : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا ﴾ ،  
فهو قول مقاتل<sup>(٤)</sup> . وعليه الواحدي، والسيوطي، والمراغي<sup>(٥)</sup> .

وجوزّه البيضاوي ، والآلوسي ، والقاسمي<sup>(٦)</sup> .

وذكره الزمخشري بصيغة ( قيل ) ، وتبعه النسفي ، والقمي ، وأبو حيان<sup>(٧)</sup> .  
ولم يذكروا له دليلاً .

وذكر القولين معاً بصيغة ( قيل ) : الشوكاني ، والقنوجي ، والسيد محمد رشيد رضا ،

(1) ينظر : جامع البيان ( ١٠ / ٥٢٧ ، ٥٢٨ ) ، ومعاني القرآن وإعرابه ( ٢ / ٣٨٦ ) ، ومعاني القرآن الكريم  
( ٣ / ٩٥ ) ، وبحر العلوم ( ١ / ٥٧٨ ) ، وتفسير القرآن العزيز ( ٢ / ١٤٩ ) ، وتفسير المشكل ( ١٧٦ ) ،  
وتفسير القرآن ( ٢ / ٢٢٦ ) ، ومعالم التنزيل ( ٢ / ١٦٤ ) ، والمحرم الوجيز ( ٦ / ١١٨ ) ، وتذكرة الأريب  
( ١ / ١٩١ ) ، والجامع لأحكام القرآن ( ٩ / ٣٦٩ ) ، والجواهر الحسان ( ١ / ٥٨٤ ) .

(2) ينظر : الكشف ( ٢ / ٥٢٦ ) ، ومفاتيح الغيب ( ٥ / ٣٩٣ ) ، وأنوار التنزيل ( ١ / ٣٦٦ ) ، ومدارك التنزيل  
( ٢ / ٨٣ ) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان ( ٣ / ٣٣٨ ) ، والبحر المحيط ( ٤ / ٤١٣ ) ، ونظم الدرر  
( ٨ / ١٤٠ ) ، وإرشاد العقل السليم ( ٢ / ٣١٢ ) ، وروح المعاني ( ٩ / ٩٣ ) ، ومحاسن التأويل ( ٧ / ٢٨٩٠ ) .

(3) البحر المحيط ( ٤ / ٤١٣ ) .

(4) ينظر : تفسير مقاتل ( ٢ / ٧١ ) .

(5) ينظر : الوجيز ( ١ / ٤١٨ ) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٣ / ١٣٦ ) ، وتفسير المراغي ( ٩ / ٩٦ ) .

(6) ينظر : أنوار التنزيل ( ١ / ٣٦٦ ) ، وروح المعاني ( ٩ / ٩٣ ) ، ومحاسن التأويل ( ٧ / ٢٨٩٠ ) .

(7) ينظر : الكشف ( ٢ / ٥٢٦ ) ، ومدارك التنزيل ( ٢ / ٨٣ ) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان ( ٣ / ٣٣٨ ) ،  
والبحر المحيط ( ٤ / ٤١٣ ) .

والطاهر بن عاشور<sup>(١)</sup> ، ثم قال : « ولكن أسلوب الآية أبلغ وأوفر فائدة ، وأبعد عن التكرير اللفظي »<sup>(٢)</sup> .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن ما رجّحه ابن جُزَيِّ ومن وافقه هو القول الراجح ؛ لأنه ظاهر القرآن ، ولا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلاّ بدليل<sup>(٣)</sup> .  
ويتأيد هذا القول بالقاعدة الترجيحية : ( إذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد فحملة على التأسيس أولى )<sup>(٤)</sup> . والله تعالى أعلم .

- 
- (1) ينظر : فتح القدير ( ٢ / ٣٦٧ ) ، وفتح البيان ( ٥ / ٦١ ) ، وتفسير القرآن الحكيم ( ٩ / ٣٣٢ ) ، والتحرير والتنوير ( ٩ / ١٥٣ ) .
- (2) التحرير والتنوير ( ٩ / ١٥٤ ) .
- (3) ينظر : قواعد الترجيح ( ١ / ١٣٧ ) .
- (4) المصدر السابق ( ٢ / ٤٧٣ ) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ

مِثْلَهُ، يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ

وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَنْتَقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٦﴾

٢٤- من المراد بالخلف؟ أهم اليهود أم النصارى؟

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «أي: حدث بعدهم قوم سوء، والخلف - بسكون اللام - ذم، وبفتحها: مدح، والمراد: من حدث من اليهود بعد المذكورين. وقيل: المراد النصارى»<sup>(١)</sup>.

### العرض والمناقشة:

رجح ابن جزي أن المراد بالخلف في قوله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ ﴾ هم اليهود الذين حدثوا بعد المذكورين. ووافق في هذا معنى ما روي عن السدي<sup>(٢)</sup>، وابن زيد<sup>(٣)</sup>. ونُسبَ إلى ابن عباس<sup>(٤)</sup>.

وذهب إليه جمهور المفسرين منهم: مقاتل، والطبري، والنحاس، والواحدي، والسمعاني، والزمخشري، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، والخازن، والقمي، والبقاعي، والسيوطي، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والقاسمي، والسيد محمد رشيد رضا، والشنقيطي<sup>(٥)</sup>.

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٥٣).

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠ / ٥٣٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٦٠٧) رقم (٨٤٩٢).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠ / ٥٣٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٦٠٧، ١٦٠٨).

(٤) نسبه إليه ابن الجوزي في زاد المسير (٣ / ٢٨٠)، وأبو حيان في البحر المحیط (٤ / ٤١٦).

(٥) ينظر: تفسير مقاتل (٢ / ٧١)، وجامع البيان (١٠ / ٥٣٥)، ومعاني القرآن الكريم (٣ / ٩٨)، والوجيز

(١ / ٤١٩) والوسيط (٢ / ٤٢٢)، وتفسير القرآن (٢ / ٢٢٨)، والكشاف (٢ / ٥٢٧)، والجامع

لأحكام القرآن (٩ / ٣٧٢)، وأنوار التنزيل (١ / ٣٦٧)، ومدارك التنزيل (٢ / ٨٣)، ولباب التأويل

(٢ / ١٤٢)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣ / ٣٣٩)، ونظم الدرر (٨ / ١٤٦)، وتفسير الجلالين

(الفتوحات الإلهية ٣ / ١٣٩)، وإرشاد العقل السليم (٢ / ٣١٣)، وفتح القدير (٢ / ٣٧٠)، وروح

وهو مفهوم كلام ابن كثير ، والمراغي <sup>(١)</sup> .

ودليله السياق القرآني ، فسابق الكلام ولاحقه في اليهود وحدهم <sup>(٢)</sup> .

قال الطبري : « والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال : إن الله — تعالى ذكره — إنما وصف أنه خلفَ القومَ الذين قصَّ قصصهم في الآيات التي مضت — خلفَ سوءٍ رديءٍ، ولم يذكر لنا أنهم نصارى في كتابه . وقصتهم بقصص اليهود أشبه منها بقصص النصارى . وبعد ، فإن ما قبل ذلك خبرٌ عن بني إسرائيل [ يعني به اليهود ] وما بعده كذلك ، فما بينهما بأن يكون خبراً عنهم أشبه ؛ إذ لم يكن في الآية دليل على صرف الخبر عنهم إلى غيرهم ، ولا جاء بذلك دليل يوجب صحة القول به .... كما قال جل ثناؤه فيهم : ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ <sup>(٣)</sup> [البقرة] .

وقال النحاس : « قال مجاهد : يعني النصارى . وقال غيره : يعني أبناءهم . قال أبو جعفر : وهذا أولى القولين — والله أعلم — ؛ لأنه يقال لولد الرجل : خلفه ، يقال للواحد، وللثنتين ، والجمع ، والمؤنث ، على لفظٍ واحدٍ ، والجمعُ خلفٌ » <sup>(٤)</sup> .  
وأما القول الآخر بأن المراد بالخلف هم النصارى، فهو قول مجاهد <sup>(٥)</sup> . واقتصر عليه ابن أبي زمنين مختاراً له <sup>(٦)</sup> . وضعفه الطبري <sup>(٧)</sup> كما قاله ابن عطية <sup>(٨)</sup> .

المعاني ( ٩ / ٩٦ ) ، وفتح البيان ( ٥ / ٦٥ ) ، ومحاسن التأويل ( ٧ / ٢٨٩٤ ) ، وتفسير القرآن الحكيم ( ٩ / ٣٣٥ ) ، والعذب النمير ( ٤ / ١٦٧٦ ) .

(١) ينظر : تفسير القرآن العظيم ( ٦ / ٤٣٠ ) ، وتفسير المراغي ( ٩ / ٩٩ ) .

(٢) ينظر : تفسير القرآن الحكيم للسيد محمد رشيد رضا ( ٩ / ٣٣٥ ) .

(٣) جامع البيان ( ١٠ / ٥٣٥ ) .

(٤) معاني القرآن الكريم ( ٣ / ٩٨ ) .

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٥٣٥ ) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦٠٧ ) رقم

( ٨٤٩٣ ) من طريق ابن أبي نجیح ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور ( ٣ / ٥٩٣ ) نسبه إلى ابن أبي شيبة ،

وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٦) ينظر : تفسير القرآن العزيز ( ٢ / ١٥٠ ) .

(٧) ينظر : جامع البيان ( ١٠ / ٥٣٥ ) .

(٨) ينظر : المحرر الوجيز ( ٦ / ١٢٨ ) .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الصواب هو ما رجّحه ابن جُزَيٍّ ومن وافقه من أن المراد بالخلف هم اليهود الذين حدثوا بعد المذكورين ؛ لدلالة السياق القرآني على ذلك .  
ويتأيد هذا القول بقاعدة : ( إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلاّ بدليل يجب التسليم له )<sup>(١)</sup> . وعدّ ابن جُزَيٍّ من أوجه الترجيح : ( أن يشهد بصحة القول سياق الكلام ، ويدل عليه ما قبله أو ما بعده )<sup>(٢)</sup> . والله تعالى أعلم .  
تنبية : قال ابن كثير : « وقد يكون أعمّ من ذلك »<sup>(٣)</sup> . وعلى هذا فتادة فإنه قال :  
«يعني اليهود والنصارى »<sup>(٤)</sup> . لكن لم يتابع عليه . وإن كانت قاعدة "القول بالعموم" تؤيده ، والله تعالى أعلم .

(١) قواعد الترجيح ( ١ / ١٢٥ ) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ( ١ / ٩ ) .

(٣) تفسير القرآن العظيم ( ٦ / ٤٣٠ ) .

(٤) أخرجه بهذا اللفظ ابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦٠٧ ) رقم ( ٨٤٩٤ ) من طريق سعيد ، عنه .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَنُهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ ﴾

في هذه الآية الكريمة مسألتان :

المسألة الأولى هي :

٢٥ - الخلاف في معنى أخذ الذرية ، وإشهادهم المذكور .

قال ابن جزِّي رحمه الله تعالى : « في معناها قولان : أحدهما : أن الله لما خلق آدم أخرج ذريته من صلبه وهم مثل الدر ، وأخذ عليهم العهد بأنه ربهم ، فأقروا بذلك والتزموه . روي هذا المعنى عن النبي ﷺ من طرق كثيرة . وقال به جماعة من الصحابة وغيرهم . والثاني : أن ذلك من باب التمثيل ، وأن أخذ الذرية عبارة عن إيجادهم في الدنيا ، وأما إشهادهم فمعناه : أن الله نصب لبني آدم الأدلة على ربوبيته فشهدت بها عقولهم فكأنه أشهدهم على أنفسهم ، وقال لهم : ألسنت بربكم ؟ وكأنهم قالوا بلسان الحال : بلى أنت ربنا . والأول هو الصحيح ؛ لتواتر الأخبار به إلا أن ألفاظ الآية لا تطابقه بظاهرها ، فلذلك عدل عنه من قال بالقول الآخر ، وإنما تطابقه بتأويل ؛ وذلك أن أخذ الذرية إنما كان من صلب آدم ، ولفظ الآية يقتضي أن أخذ الذرية من بني آدم ، والجمع بينهما : أنه ذكر بني آدم في الآية والمراد آدم ؛ كقوله : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾ [ الأعراف : ١١ ] . وعلى تأويل [ أن معناه ] : لقد خلقنا أباكم آدم [ ثم صورناه ]<sup>(١)</sup> . وقال الزمخشري : إن المراد ببني آدم أسلاف اليهود ، والمراد بذريتهم من كان في عصر النبي ﷺ . وفي الصحيح المشهور أن المراد جمع<sup>(٢)</sup> بني آدم حسبما ذكرناه<sup>(٣)</sup> .

(1) في المطبوع : من صورته . والصواب ما أثبتته كما في جميع النسخ .

(2) في المطبوع : جمع . والصواب ما أثبتته كما في جميع النسخ .

(3) التسهيل لعلوم التنزيل ( ٢ / ٥٣ ) .

### العرض والمناقشة :

هذه الآية مشككة كما قاله النحاس<sup>(١)</sup>. وفيها قولان معروفان لأهل العلم ذكرهما ابن جزيّ، ورجح أن المعنى المراد من أخذ الذرية من آدم وهم مثل الذرّ هو حقُّ على حقيقته، وأن الإشهاد والميثاق كذلك حقُّ على حقيقته وظاهره، وأنه كان بلسان المقال .  
وحكى أن هذا المعنى رُوِيَ عن النبي ﷺ من طرق كثيرة وقال به جماعة من الصحابة وغيرهم . وصحَّح هذا القول ؛ لتواتر الأخبار به .

ووافق في هذا جماعة من الصحابة والتابعين ومنهم : ابن عباس<sup>(٢)</sup> ، وأبي بن كعب<sup>(٣)</sup> ،

(1) ينظر : إعراب القرآن ( ١٦١ / ٢ ) . وتبعه السمعاني في تفسيره ( ٢ / ٢٢٩ ) و القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ( ٣٧٥ / ٩ ) .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٥٥٤ ) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦١٤ ) رقم ( ٨٥٣٦ ) ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ( ٣ / ٥٦١ ) رقم ( ٩٩٢ ) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه . وأخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٥٥٠ ) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦١٣ ) رقم ( ٨٥٣٠ ) من طريق علي بن بزيم ، عن سعيد بن جبير ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور ( ٣ / ٥٩٨ ) نسبه إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ . وأخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٥٠ ) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦١٣ ) رقم ( ٨٥٢٩ ) ، وابن سعد في الطبقات ( ١ / ٢٩ ) وغيرهم من طريق كلثوم بن جبر ، عن سعيد بن جبير ، عنه . وأخرجه الطبري ، وابن سعد من طريق عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عنه . وأخرجه الطبري ( ١٠ / ٥٥٦ ) من طريق ابن جريج ، عن الزبير بن موسى ، عن سعيد بن جبير ، عنه . وأخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٥٥٥ ) من طريق عطية العوفي ، عنه . وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره ( ٢ / ٢٤٢ ) عن معمر ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عنه . وأخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٥٥١ ) من طريق جوير ، عن الضحاك ، عنه . وفي ( ١٠ / ٥٥٩ ) من طريق أبي معاذ ، عن عبيد ، عن الضحاك به . وينظر: تخريج الأحاديث والآثار في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل ( ٢ / ٦٩٤ - ٦٩٨ ) .

(3) أخرجه عبدالله بن أحمد في زوائد المسند ( ٥ / ١٣٥ ) ، والطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٥٥٧ ) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦١٥ ) رقم ( ٨٥٣٣ ) ، والفريابي في القدر ( رقم ٥٢ ) ، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ( ٣ / ٥٥٩ ، ٥٦١ ) رقم ( ٩٩١ ) ، والحاكم في مستدركه ( ٢ / ٣٢٣ ) ، وابن عبد البر في التمهيد ( ١٨ / ٩١ ) وغيرهم من طريق أبي العالية ، عنه . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي . وصحح إسناده ابن شاعر في تعليقه على جامع البيان للطبري ( ١٣ / ١٢٣٩ ) ، وقال الألباني في تخريج مشكاة المصابيح ( ١ / ٤٤ ) : سنده حسن موقوف ، ولكنه في حكم المرفوع ؛ لأنه لا يقال بالرأي . وينظر : تخريج الأحاديث والآثار في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل ( ٢ / ٧١٠ ) . والدر المنثور للسيوطي ( ٣ / ٦٠٠ ) .

وعلي بن أبي طالب<sup>(١)</sup>، والحسن<sup>(٢)</sup>، وابن جريج<sup>(٣)</sup>، ومحمد بن كعب القرظي<sup>(٤)</sup>، وأبو جعفر الباقر محمد بن علي<sup>(٥)</sup>، وعطاء<sup>(٦)</sup>، والضحاك<sup>(٧)</sup>، وسعيد بن جبير<sup>(٨)</sup>، ونضر بن عربي<sup>(٩)</sup>، والسدي<sup>(١٠)</sup>، والكلبي<sup>(١١)</sup>.

ونُسب أيضاً إلى سعيد بن المسيّب، وعكرمة<sup>(١٢)</sup>، وقتادة، ومجاهد<sup>(١٣)</sup>.

وذهب إليه مقاتل، والطبري، والنحاس، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، وابن عبد البر، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، وابن عطية، ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي، والقرطبي، والخازن، والثعالبي، والسيوطي، والشوكاني، والقنوجي، والشنقيطي، والألباني<sup>(١٤)</sup>.

- (1) ينظر : الدر المنثور للسيوطي (٦٠٥ / ٣) .
- (2) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٤٢ / ١) عن معمر قال : وكان الحسن يقول مثل ذلك . أي : مثل قول ابن عباس . وينظر : جامع البيان للطبري (٥٥٢ / ١٠) .
- (3) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٦٠٧ / ٣) لابن المنذر ، وأبي الشيخ عن ابن جريج .
- (4) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١١٥ / ١٤) ، وابن عبد البر في التمهيد (٨٠ / ١٨) ، والطبري في جامع البيان (٥٦٢ / ١٠) . ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٥٩٩ / ٣) لأبي الشيخ .
- (5) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٦٠٥ / ٣) لأبي الشيخ .
- (6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٥٩ / ١٠) .
- (7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٥٩ / ١٠) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦١٥ / ٥) رقم (٨٥٣٨) .
- (8) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٥٦ / ١٠) عن ابن جريج عنه . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦١٣ / ٥) عقب الأثر (٨٥٢٩) .
- (9) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٥٩ / ١٠) .
- (10) أخرجه الطبري في جامع البيان (٥٦٠ ، ٥٦١ / ١٠) وفي تاريخه (١٣٦ / ١) ، وابن عبد البر في التمهيد (٨٥ / ١٨) من طريق أسباط ، عنه .
- (11) أخرجه الطبري في جامع البيان (٥٦١ / ١٠) من طريق معمر ، عنه .
- (12) ينظر : مفاتيح الغيب للرازي (٣٩٨ / ٥) ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٤٧ / ٦) .
- (13) ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٤٧ / ٦) .
- (14) ينظر : تفسير مقاتل (٧٢ - ٧٤ / ٢) ، وجامع البيان (٥٤٦ / ١٠) ، ومعاني القرآن الكريم (١٠١ / ٣) ، وبحر العلوم (٥٧٩ - ٥٨١ / ١) ، وتفسير القرآن العزيز (١٥٢ / ٢) ، والتمهيد (٨٥ / ١٨) ، والوجيز (٤٢٠ / ١) ، وتفسير القرآن (٢٢٩ / ٢) ، ومعالم التنزيل (١٦٧ / ٢) ، والمحرر الوجيز (١٣٤ / ٦) ، وإيجاز البيان (٢٨٢ / ١) ، وزاد المسير (٢٨٣ / ٣) ، وتذكرة الأريب (١٩٢ / ١) ، والجامع لأحكام القرآن (٣٧٥ / ٩) ، ولباب التأويل (١٤٣ / ٢) ، والجواهر الحسان (٥٨٦ / ١) ، وتفسير الجلالين

ومال إليه الرازي ، وتبعه القمي<sup>(١)</sup> . وكان الآلوسي يميل إليه<sup>(٢)</sup> .  
وعليه أكثر المتقدمين من السلف كما قاله الشنقيطي .  
ونسبه إلى جماعة المفسرين : الواحدي<sup>(٣)</sup> ، والسمعاني .  
وقال الخازن : « وهو مذهب أهل التفسير والأثر ، وظاهر ما جاءت به الروايات عن  
السلف » .

وقال ابن الأنباري : « هذا مذهب أصحاب الحديث وكبراء أهل العلم »<sup>(٤)</sup> .  
واستدل له ابن جزيّ بأنه رويّ معناه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من  
طرق كثيرة متواترة<sup>(٥)</sup> . ومن هذه الأحاديث :

— ما رواه أنس بن مالك ، عن النبي ﷺ قال : ( يقال للرجل من أهل النار يوم  
القيامة: أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتدياً به ؟ فيقول : نعم .  
فيقول : قد أردت منك أهون من ذلك ، قد أخذت عليك في ظهر أبيك آدم أن لا تشرك  
بي فأبيت إلا أن تشرك بي )<sup>(٦)</sup> .

قال الشنقيطي : « وهذا القول قال به كثير من السلف ، ودلت عليه أحاديث كثيرة  
من أصحابها وأدلتها عليه ما ثبت في الصحيحين من حديث أنس ، وقد ذكر فيه النبي ﷺ أن

(الفتوحات الإلهية ٣ / ١٤٦) ، وفتح القدير ( ٢ / ٣٧٤ ) ، وفتح البيان ( ٥ / ٧٠ ) ، وأضواء البيان ( ٢ / ٣٣٦ )

والعذب النمير ( ٤ / ١٦٨٧ ) ، وسلسلة الأحاديث الصحيحة ( ٤ / ١٥٩ - ١٦٣ ) .

(1) ينظر : مفاتيح الغيب ( ٥ / ٤٠١ ، ٤٠٢ ) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان ( ٣ / ٣٤٣ ) .

(2) ينظر : روح المعاني ( ٩ / ١٠٣ ) .

(3) ينظر : الوسيط ( ٢ / ٤٢٥ ) .

(4) ينظر : لباب التأويل للخازن ( ٢ / ١٤٤ ) .

(5) وقد سبقه إلى ذلك ابن عطية في المحرر الوجيز ( ٦ / ١٣٤ ) . والمقصود التواتر المعنوي كما قاله الشيخ صالح

المقبلي في " الأبحاث المسوّدة " : ولا يبعد دعوى التواتر المعنوي في الأحاديث والروايات في ذلك . ينظر : فتح

البيان للفتوح ( ٥ / ٧١ ) ، وسلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ( ٤ / ١٥٩ ) . وتبعهم على ذلك الألباني كما

في السلسلة الصحيحة ( ٤ / ١٦٢ ) .

(6) أخرجه البخاري في صحيحه برقم ( ٣٣٣٤ ) في أحاديث الأنبياء ، باب خلق آدم وذريته وفي مواضع أخرى

( ٦٥٣٨ ) ، ( ٦٥٥٧ ) . وأخرجه مسلم في صحيحه ( ٤ / ٢١٦٠ ) رقم ( ٢٨٠٥ ) في صفات المنافقين

وأحكامهم ، باب في الكفار . وأخرجه أحمد في مسنده ( ٣ / ١٢٧ و ١٢٩ ) .

عدم الإشراف أخذ عليهم وهم في ظهر آدم ، فدل ذلك على أن قوله : ﴿ وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ أنه استخراج الله لهم ، وإشهادهم عليهم ، ثم ردّهم في ظهر أبيهم آدم»<sup>(١)</sup> .

— وما رواه ابن عباس ، عن النبي ﷺ قال : ( أخذ الله الميثاقَ من ظهر آدم بنعمان — يعني : عرفة — فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنثرهم بين يديه كالذر ، ثم كلمهم قبلاً فقال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ (١٧٣) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَنفَهُلْ كُنَّا بِمَا فَعَلَ الْمُبْتَلُونَ ﴾ (١٧٣) )<sup>(٢)</sup> .

قال الألباني : « وجملة القول : إن الحديث صحيح ، بل هو متواتر المعنى كما سبق ، وأنه لا تعارض بينه وبين آية الميثاق ، فالواجب ضمه إليها ، وأخذ الحقيقة من مجموعهما»<sup>(٣)</sup> .

فبضميمة الحديث إلى الآية يمكن الجمع بينهما ؛ فذكرت الآية الأخذ من ظهور بني آدم ، وذكر الحديث الأخذ من ظهر آدم .

(1) العذب النمير ( ٤ / ١٦٨٧ ) بتصرف يسير .

(2) أخرجه أحمد في المسند ( ١ / ٢٧٢ ) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٥٤٧ ) وفي تاريخه ( ١ / ١٣٤ ) ، والنسائي في السنن الكبرى ( رقم ١١١٩١ ) ، وابن أبي عاصم في السنة ( ٢٠٢ ) ، والطحاوي في مشكل الآثار برقم ( ٣٨٨٩ ) ، وابن منده في الرد على الجهمية ( ٢٩ ) ، والحاكم ( ٢ / ٥٤٤ ) ، والبيهقي في الأسماء والصفات ( ٧١٤ ) ، والواحدي في الوسيط ( ٢ / ٤٢٥ ) جميعاً من طريق كلثوم بن جبر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس مرفوعاً . وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي . وقال ابن كثير في البداية والنهاية ( ١ / ١٠٠ ) : إسناده قوي على شرط مسلم . وقال الشوكاني : وإسناده لا مطعن فيه . وتابعه تلميذه القنوجي . ينظر : فتح القدير ( ٢ / ٣٧٦ ) وفتح البيان ( ٥ / ٧٣ ) . واحتلّف في رفعه ووقفه ، ورجّح ابن كثير الموقوف كما في تفسيره ( ٦ / ٤٣٥ - ٤٣٦ ) . قال الألباني : قلت : هو كما قال رحمه الله تعالى ، ولكن ذلك لا يعني أن الحديث لا يصح مرفوعاً ، وذلك لأن الموقوف في حكم المرفوع ؛ لسببين : الأول : أنه في تفسير القرآن ، وما كان كذلك فهو في حكم المرفوع ، ولذلك اشترط الحاكم في كتابه المستدرک أن يخرج فيه التفاسير عن الصحابة كما ذكر ذلك فيه ( ١ / ٥٥ ) . الآخر : أن له شواهد مرفوعة عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جمع من الصحابة ، وهم عمر ابن الخطاب ، وعبد الله بن عمرو ، وأبو هريرة ، وأبو أمامة ، وهشام بن حكيم أو عبد الرحمن بن قتادة السلمي — على خلاف بينهما — ومعاوية بن أبي سفيان ، وأبو الدرداء ، وأبو موسى ، وهي وإن كان غالبها لا تخلو أسانيداً من مقال ، فإن بعضها يقوي بعضاً... الخ . ينظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة ( ٤ / ١٥٩ ) . وينظر أيضاً : تخريج الأحاديث والآثار في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل ( ٢ / ٦٩٤ ) .

(3) سلسلة الأحاديث الصحيحة ( ٤ / ١٦٢ ) .

قال الرازي : « ثبت إخراج الذرية من ظهور بني آدم بالقرآن ، وثبت إخراج الذرية من ظهر آدم بالخبر ... فلا منافاة بين الأمرين ولا مدافعة ، فوجب المصير إليهما معاً ؛ صوتاً للآية والخبر عن الطعن بقدر الإمكان »<sup>(١)</sup> .

وقال البغوي في الجمع بين الآية والحديث : « إن الله أخرج ذرية آدم بعضهم من ظهور بعض على نحو ما يتوالد الأبناء من الأبناء<sup>(٢)</sup> في الترتيب ، فاستغنى عن ذكر ظهر آدم لما عَلِمَ أنهم كلهم بنوه وأخرجوا من ظهره »<sup>(٣)</sup> .

— وما رواه أبو هريرة ، عن رسول الله ﷺ قال : ( إن الله لما خلق آدم مسح ظهره فجرت منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة ، ونزع ضلعاً من أضلاعه فخلق منه حواء ، ثم أخذ عليهم العهد : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ ... ) الحديث بطوله<sup>(٤)</sup> .

— وما رواه عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : ( ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ قال : أخذوا من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس ، فقال لهم : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ قالت الملائكة : ﴿ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ )<sup>(٥)</sup> .

(1) مفاتيح الغيب ( ٤٠٢ / ٥ ) .

(2) كذا في المطبوع . ولعل الصواب : من الآباء . والله أعلم .

(3) معالم التنزيل ( ١٦٨ / ٢ ) .

(4) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير من سننه ( ٥ / ٢٤٩ ) رقم ( ٣٠٧٦ ) وقال : هذا حديث حسن صحيح . وابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦١٤ ) رقم ( ٨٥٣٥ ) . وصححه الحاكم في مستدركه ( ٢ / ٥٤٤ ) ووافقه الذهبي . وصححه الألباني في تخريج السنة لابن أبي عاصم ( ٢٠٤ و ٢٠٥ بتحقيقه ) . السلسلة الصحيحة ( ٤ / ١٥٩ ) وينظر للتوسع في تخريجه : تخريج الأحاديث والآثار في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل ( ٢ / ٧٠٥ — ٧٠٧ ) . وينظر : الدر المنثور للسيوطي ( ٣ / ٦٠١ ) .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٥٥٢ ) من طريق أحمد بن أبي طيبة ، عن الثوري ، عن الأجلح ، عن الضحاك . وعن منصور ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً . قال الطبري ( ١٠ / ٥٦٤ ) : ولا أعلمه صحيحاً ؛ لأن الثقات الذين يعتمد على حفظهم وإتقانهم حدثوا بهذا الحديث عن الثوري فوقوه على عبد الله بن عمرو ولم يرفعه ، ولم يذكروا في الحديث هذا الحرف الذي ذكره أحمد بن أبي طيبة عنه . اهـ . ولعله يعني بذلك قوله : ( فقال لهم : ألسنت بربكم ... ) الخ . وأعله ابن كثير أيضاً كما في تفسيره ( ٦ / ٤٣٩ )

— وما رواه أبو أمامة ، أن رسول الله ﷺ قال : ( خلق الله الخلق وقضى القضية ، وأخذ ميثاق النبيين وعرشه على الماء ، فأخذ أهل اليمين بيمينه ، وأخذ أهل الشمال بيده الأخرى — وكلتا يدي الرحمان يمين — فقال : يا أصحاب اليمين ، فاستجابوا له ، فقالوا : لبيك ربنا وسعديك . قال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾ . قال : يا أصحاب الشمال ، فاستجابوا له ، فقالوا : لبيك ربنا وسعديك . قال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾ . فخلط بعضهم ببعض . فقال قائل منهم : رب لم خلطت بيننا؟! قال : ﴿ وَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ ﴾ [المؤمنون]. ﴿ أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ . ثم ردّهم في صلب آدم ، فأهل الجنة أهلها ، وأهل النار أهلها ) . فقال قائل : يا رسول الله ، فما الأعمال؟ قال : (يعمل كل قوم لمنازلهم) . فقال عمر بن الخطاب : إذا نجتهد<sup>(١)</sup> .

— وما رواه هشام بن حكيم ، أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، أتبدأ الأعمال أم قد قضى القضاء؟ فقال رسول الله ﷺ : ( إن الله أخذ ذرية آدم من ظهورهم ، ثم أشهدهم على أنفسهم ، ثم أفاض بهم في كفيّهم ، ثم قال : هؤلاء في الجنة ، وهؤلاء في النار... ) الحديث<sup>(٢)</sup> .

— وما رواه السدي ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ؛ وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ في قول الله — عز وجل — : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ قالوا : لما أخرج الله آدم من الجنة قبل أن يهبطه من السماء ، مسح صفحة ظهره اليمنى ، فأخرج منها ذرية بيضاء مثل اللؤلؤة كهيئة

بالوقف ، وصحح الموقوف . وعلته أحمد بن أبي طيبة فإن له أفراداً ، وقد خولف من ثقات أثبات أوقفوه على عبد الله بن عمرو ، وهو الصواب . فهو صحيح موقوفاً وله حكم الرفع ؛ لأنه لا يقال من قبيل الرأي . وينظر : تخريج الأحاديث والآثار في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل ( ٢ / ٦٩٨ - ٧٠٠ ) .

(1) نسبه ابن كثير في تفسيره ( ٦ / ٤٤٥ ) إلى ابن مردويه — وضعّف إسناده — والسيوطي في الدر المنثور ( ٣ / ٦٠٣ ) وزاد : عبد بن حميد ، والحكيم الترمذي في نوادره ، وأبو الشيخ في العظمة . وفي إسناده : — جعفر بن الزبير ، ضعيف جداً ، متروك . — والقاسم بن عبد الرحمن الدمشقي ، صاحب أبي أمامة ، صدوق يغرب . ينظر : تخريج الأحاديث والآثار في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل ( ٢ / ٧٠٧ - ٧٠٨ ) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٥٦٢ - ٥٦٣ ) من طرق عنه . وينظر في تخريجه بتوسّع : حاشية تفسير القرآن العظيم لابن كثير ( ٦ / ٤٤٣ - ٤٤٥ ) .

الذر ، فقال لهم : ادخلوا الجنة برحمتي ، ومسح صفحة ظهره اليسرى ، فأخرج منها ذرية سوداء كهيئة الذر ، فقال : ادخلوا النار ولا أبالي ؛ فذلك قوله : " أصحاب اليمين والشمال " . ثم أخذ منهم الميثاق فقال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ . فأعطاه طائفة طائعين وطائفة كارهين على وجه التقية . فقال هو والملائكة : ﴿ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ ﴾ . قالوا : فليس أحد من ولد آدم إلا وهو يعرف الله أنه ربه ؛ وذلك قوله — عز وجل — : ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [ آل عمران ] . وذلك قوله : ﴿ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدْنَاكُمْ لَهْدَنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ [ الأنعام ] . يعني يوم أخذ الميثاق <sup>(١)</sup> .

قال ابن عبد البر : « هذا من أحسن ما روي في تأويل هذه الآية » <sup>(٢)</sup> .

وبالجملة فالأحاديث والآثار في هذا الباب على أقسام :

— قسم منها فيه ذكر الميثاق وأخذ الذرية من ظهر آدم .

— وقسم منها فيه ذكر أخذ الذرية من ظهره ، وليس فيها ذكر الميثاق ، وفيها أيضاً

ذكر القبضتين : أصحاب اليمين ، وأصحاب الشمال .

— وقسم منها ليس فيه ذكر أخذ الذرية ولا الميثاق .

— وقسم منها فيه ذكر استخراج الذرية من ظهره فقط .

قال ابن القيم : « وبالجملة فالآثار في إخراج الذرية من ظهر آدم ، وحصولهم في

القبضتين كثيرة لا سبيل إلى ردها وإنكارها ، ويكفي وصولها إلى التابعين ، فكيف

بالصحابه؟ ومثلها لا يقال بالرأي والتخمين » <sup>(٣)</sup> . اهـ .

« وقد تلقاها أو تلقى ما اتفقت عليه من إخراج الذرية من ظهر آدم وإشهادهم على

أنفسهم ؛ السلف الصالح من الصحابة والتابعين دون اختلاف بينهم » . قاله الألباني <sup>(٤)</sup> .

وأما ابن كثير فإنه بعد سياقه للأحاديث ( ٦ / ٤٣٣ - ٤٤٦ ) قال : « فهذه

(1) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد ( ١٨ / ٨٥ ) .

(2) المصدر السابق .

(3) بدائع التفسير ( ٢ / ٣٠٠ ) .

(4) سلسلة الأحاديث الصحيحة ( ٤ / ١٥٩ ) . ثم عدّد جماعة منهم .

الأحاديث دالة على أن الله — عز وجل — استخرج ذرية آدم من صلبه ، وميّز بين أهل الجنة وأهل النار ، وأما الإشهاد عليهم هناك بأنه ربهم فما هو إلا في حديث كلثوم بن جبر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . وفي حديث عبد الله بن عمرو . وقد بينا أنهما موقوفان لا مرفوعان ، كما تقدم «<sup>(١)</sup> . وقد مضى الكلام عليهما فيما سبق .

وعلق عليه الألباني قائلاً : « وليس الأمر كما نفى ، بل الإشهاد وارد في كثير من تلك الأحاديث »<sup>(٢)</sup> . ثم ذكرها .

وأما القول الثاني وهو أن ذلك من باب التمثيل ، وأن أخذ الذرية عبارة عن إيجادهم في الدنيا<sup>(٣)</sup> ، وأن إشهدهم معناه : أن الله نصب لهم الأدلة على ربوبيته فشهدت بها عقولهم ، فكأنه أشهدهم على أنفسهم وقال لهم : ألسنت بربكم ؟ فقالوا بلسان الحال : بلى أنت ربنا ، فهو قول المعتزلة منهم : القاضي عبد الجبار<sup>(٤)</sup> ، والزمخشري<sup>(٥)</sup> .

ونسبه الرازي إلى أصحاب النظر وأرباب المعقولات<sup>(٦)</sup> وقال : « لا طعن فيه ألبتة ، وبتقدير صحته لم يكن منافياً لصحة القول الأول » !! .

وأما أبو عمر ابن عبد البر فنسبه إلى أهل البدع<sup>(٧)</sup> . واختاره البيضاوي<sup>(٨)</sup> ، والنسفي<sup>(٩)</sup> .

(1) تفسير القرآن العظيم (٦ / ٤٤٧) .

(2) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤ / ١٦٠) .

(3) أي : قرناً بعد قرن ، وجيلاً بعد جيل ، على طريق التناسل كما قال تعالى : ﴿ كَمَا أَنْشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ ﴾

ءآخِرِينَ ﴿١٣٣﴾ [ الأنعام ] . ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦ / ٤٤٧) ، وأضواء البيان للشنقيطي (٢ / ٣٣٥) .

(4) ينظر : تنزيه القرآن عن المطاعن (١٤٠) نقلاً عن " أسباب الخطأ في التفسير " (١ / ٥٧٧) .

(5) ينظر : الكشف (٢ / ٥٢٩) .

(6) ينظر : مفاتيح الغيب (٥ / ٤٠٠) .

(7) ينظر : التمهيد (١٨ / ٩٥) .

(8) ينظر : أنوار التنزيل (١ / ٣٦٨) . وذكر القول الأول بصيغة ( قيل ) .

(9) ينظر : مدارك التنزيل (٢ / ٨٥) وقال : إلى هذا ذهب المحققون من أهل التفسير منهم : الشيخ أبو منصور ، والزجاج ، والزمخشري . وذهب جمهور المفسرين إلى القول الأول . اهـ . ونسبته إلى الزجاج فيها نظر ؛ لأنه ذكر القولين ولم يرجح ولم يختار ، والله أعلم . ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٢ / ٣٩٠) .

وتبعهم أبوحيان، والبقاعي، وأبوالسعود، والقاسمي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي<sup>(١)</sup>.

وذهب ابن قتيبة<sup>(٢)</sup>، وابن تيمية<sup>(٣)</sup>، وابن القيم<sup>(٤)</sup>، وابن كثير<sup>(٥)</sup>، والسعدي<sup>(٦)</sup>، والطاهر<sup>(٧)</sup> إلى ما دلت عليه الأحاديث والآثار من حقيقة الأخذ وأنه على ظاهره جمعاً بين الآية والأحاديث والآثار.. ولكن ذهبوا إلى أن الإشهاد والإقرار هو فطرهم على التوحيد، وفسروا الآية بحديث: ( كل مولود يولد على الفطرة )<sup>(٨)</sup>. وأن الإقرار كان بلسان الحال؛ كما قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ ﴾ [التوبة: ١٧].

ووافقهم الغزالي في أن الإشهاد هو فطرهم على التوحيد<sup>(٩)</sup>. قال الزمخشري: « وباب التمثيل واسع في كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ، وفي كلام العرب. ونظيره قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ لَكُنْ فَيَكُونُ ﴾ [النحل]، وقوله: ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أُنْتِ يَا طَوَّعًا أَوْ كَرِهًا قَالَتْ أَنَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [فصلت] وقوله: إذ قالت الأنساعُ للبطن: الحقي قالت له ريحُ الصَّبَا: قَرَقَارٍ<sup>(١)</sup>

- (1) ينظر: البحر المحيط (٤ / ٤٢٠)، ونظم الدرر (٨ / ١٥٢)، وإرشاد العقل السليم (٢ / ٣١٥)، ومحاسن التأويل (٨ / ٢٨٩٧)، وتفسير القرآن الحكيم (٩ / ٣٣٨ - ٣٣٩)، وتفسير المراغي (٩ / ١٠٣).
- (2) نسبه له ابن القيم كما في أحكام أهل الذمة (٢ / ٥٢٥ - ٥٢٧).
- (3) ينظر: درء تعارض العقل والنقل (٨ / ٤٨٢، ٤٨٧). واختيارات ابن تيمية وترجيحاته في التفسير لمحمد المسند (١ / ٤٢٧).
- (4) ينظر: أحكام أهل الذمة (٢ / ٥٢٥) وما بعدها، والروح (١٦١ - ١٦٣). وينظر: بدائع التفسير (٢ / ٢٧٥).
- (5) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٦ / ٤٤٧، ٤٤٨).
- (6) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٢ / ١٧٠). وذكر القول الأول بقيل.
- (7) ينظر: التحرير والتنوير (٩ / ١٦٦).
- (8) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز برقم (١٣٥٨ و ١٣٥٩ و ١٣٨٥) وفي كتاب التفسير برقم (٤٧٧٥) وفي كتاب القدر برقم (٦٥٩٩)، ، ومسلم في القدر (٢٦٥٨)، والترمذي في القدر (٢٣١٩)، وأبو داود في السنة (٤٧١٤).
- (9) ينظر: إحياء علوم الدين (١ / ٨٧).

ومعلوم أنه لا قولَ ثمَّ ، وإنما هو تمثيل وتصوير للمعنى «<sup>(٢)</sup>» .

وردّ عليه ابن المنير فقال : « إن القاعدة مستقرة على أن الظاهر ما لم يخالف المعقول يجب إقراره على ما هو عليه ، فكذلك أقره الأكثرون على ظاهره وحقيقته ولم يجعلوه مثلاً ، وأما كيفية الإخراج والمخاطبة فالله أعلم بذلك »<sup>(٣)</sup> .

ويجاب عن استشهاده بالآية ﴿ قَالَتَا أَئِنَّمَا طَائِعِينَ ﴾ بأن الأصل هو حملها على ظاهرها ولا مُلجِيءَ للمجاز لا سيّما وأن الله في نفس السورة ذكر أن الجلود تقول : ﴿ أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [فصلت: ٢١] .

وقالوا : إن ظاهر ألفاظ الآية لا يدل على حقيقة الأخذ والإشهاد ؛ لأنه قال : ﴿ مِنْ بَنِي ءَادَمَ ﴾ ولم يقل : من آدم . ثم قال : ﴿ مِنْ ظُهُورِهِمْ ﴾ ولم يقل : من ظهره . ثم قال : ﴿ ذُرِّيَّتِهِمْ ﴾ ولم يقل : ذريته .

وجوابه : أن الحديث الثابت في ذلك والآثار المرفوعة والموقوفة تفسّر الآية وتكمل معناها فما لم يذكر في الآية فقد ذكر في الحديث .

قال السمرقندي : « فالمعنى في ذلك — والله أعلم — أنه قد أخرج ذرية آدم الذين هم ولده من صلبه ثم أخرج من ظهورهم ذريتهم ثم أخرج من بعدهم حتى أخرج جميع ما هو كائن إلى يوم القيامة ، فأخرج من ظهورهم كل نسمة تخرج من ظهره . فذكر الأخذ من ظهور ذريته ولم يذكر ظهر آدم ؛ لأن في الكلام دليلاً عليه ؛ كما قال الله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر] ولم يذكر فرعون ؛ لأن في الكلام دليلاً عليه »<sup>(٤)</sup> .

(1) الأول : " إذ قالت الأنساع للبطن : الحقي " . جعله محقق الكشاف مستقلاً وجعله أبوحيان صدر البيت الثاني . أما السمين الحلي فجعله مستقلاً ( ٨٧ / ٢ ) ونسبه لأبي النجم العجلي ، وتمتمته كما قال محققه : قَدْماً فَأَضَتْ كَالْفَيْنِقِ الْمُحْتَقِّ . وجعل السمين ( ٥ / ٥١٥ ) قوله : " قالت له ريح الصبا : قرقار " مستقلاً . قال محققه : وبعده : " واختلط المعروف بالإنكار " . وهو في شرح الكافية ( ٧٦ / ٢ ) والبحر المحيطة ( ٤ / ٤٢١ ) . وقرقار : صَوْتٌ . وينظر : الكتاب لسيبويه ( ٣ / ٢٧٦ ) ، وشرح المفصل لابن يعيش ( ٤ / ٥١ ) .

(2) الكشاف ( ٢ / ٥٣٠ ) .

(3) حاشية الكشاف ( ٢ / ٥٢٩ ) .

(4) بحر العلوم ( ١ / ٥٨٠ ) . وفيه كلام نفيس للغاية حيث أورد أقوالهم وأجاب عنها ثم تتابع بعض العلماء عليها من بعده .

وقالوا : إن هذا العهد والميثاق لا يذكره أحد ، فكيف يحتج عليهم بأمر ليس عندهم به خبر ، ولا له عين ولا أثر؟! فلا تكون الحجة بشيء لم يذكر وإنما تكون الحجة بشيء يكون الإنسان ذاكرًا له .

وجوابه : أن يقال : إن الله تعالى قد أرسل الرسل وأخبرهم بذلك الميثاق ، وإذا أخبرهم الرسل بذلك صار حجة عليهم وإن لم يذكره . وما ثبت عن الرسل هو وما حضره الإنسان في التحقيق واحد ؛ لأن ما قاله الرسول ﷺ نحن نجزم بوقوعه أشد مما نجزم بما شاهدناه ولا حظناه وتذكرناه<sup>(١)</sup> .

يقول الواحدي : « وهذه الآية تذكير لجميع المكلفين ذلك الميثاق ؛ لأنها وردت على لسان صاحب المعجزة ، فقامت في النفوس مقام ما هو على ذكرٍ منها »<sup>(٢)</sup> .

وقال ابن القيم : « أحسن ما فسرت به الآية قوله ﷺ : ( كل مولود يولد على الفطرة )<sup>(٣)</sup> . فحملها على ما فطروا عليه من الإقرار برهم وفاطرهم . قال : فالميثاق والإشهاد هو الفطرة التي فطروا عليها ؛ لأنه سبحانه احتج عليهم بذلك ، وهو لا يحتج عليهم بما لا يعرفه أحد منهم ولا يذكره ، بل بما يشركون في معرفته والإقرار به »<sup>(٤)</sup> .  
وأجيب : بأن الفطرة هي أثر ذلك الإشهاد والميثاق<sup>(٥)</sup> .

وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن الراجح هو ما رجحه ابن جزري و صححه ومن وافقه من أن أخذ الذرية حق على حقيقته وكذا الإشهاد حق على حقيقته ، وأن ذلك كان بلسان المقال لا بلسان الحال ، وليس من التمثيل في شيء بل هو حق على ظاهره كما أخبر الله تعالى ؛ لأنه ظاهر القرآن ، ولا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل<sup>(٦)</sup> ، والأصل حمل الآية على ظاهرها .

ويؤيده أن مقتضى قول من قال : إن الأخذ من باب التمثيل ، والإشهاد كان بلسان

(1) ينظر : بحر العلوم ( ١ / ٥٨٠ ) ، والعذب النمير ( ٤ / ١٦٨٧ ) .

(2) الوجيز ( ١ / ٤٢١ ) . وينظر : الوسيط ( ٢ / ٤٢٦ ) .

(3) ينظر : بدائع التفسير ( ٢ / ٢٧٥ ) .

(4) بدائع التفسير ( ٢ / ٢٧٥ ) بتصرف يسير .

(5) ينظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ( ٤ / ١٦٣ ) .

(6) ينظر : قواعد الترجيح ( ١ / ١٣٧ ) .

الحال مقتضاه : أن ما أقامه الله من البراهين كخلق السماوات والأرض الدالة على أنه الرب وحده ، وما ركز في خلقه من الفطرة كافٍ في قيام الحجة عليهم ولو لم يأثم نذير . هذا هو مقتضى قولهم ، والآيات القرآنية مصرّحة بأن الله لا يعذب أحداً حتى يقيم عليه الحجة بإنذار الرسل ، وهو دليل كافٍ على عدم الاكتفاء بما نصب من الأدلة ، وما ركزه من الفطرة . ومنها قوله تعالى ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء] فإنه قال : حتى نبعث رسولاً ، ولم يقل : حتى نخلق عقولاً ، وننصب أدلة ، ونركز فطرة !! .

ومنها قوله تعالى ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء : ١٦٥] فصّرّح بأن الذي تقوم به الحجة وينقطع به العذر هو : إنذار الرسل ، لا نصب الأدلة والخلق على الفطرة<sup>(١)</sup> .

ومما يؤيد هذا القول من القواعد الترجيحية :

— قاعدة : ( إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجّح له على ما خالفه ) .

— وقاعدة : ( تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم ) .

— وقاعدة : ( تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ )<sup>(٢)</sup> .

« ونحن إلى ما روي في الآية عن رسول الله ﷺ وما ذهب إليه أهل العلم من السلف الصالح أمثل ، وله أقبل ، وبه آنس . والله ولي التوفيق لما هو أولى وأهدى »<sup>(٣)</sup> .

قال الشوكاني : « وهذا هو الحق الذي لا ينبغي العدول عنه ، ولا المصير إلى غيره ؛ لثبوته مرفوعاً إلى النبي ﷺ ، وموقوفاً على غيره من الصحابة . ولا ملجئ للمصير إلى المجاز ، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل »<sup>(٤)</sup> .

(1) ينظر : أضواء البيان ( ٢ / ٣٣٦ - ٣٣٧ ) .

(2) ينظر : قواعد الترجيح ( ١ / ٢٠٦ ، ٢٧١ ، ٢٨٨ ) ..

(3) قاله الحسن بن يحيى الجرجاني كما نقله عنه ابن القيم في كتاب (( الروح )) ( ١٦٩ ) .

(4) فتح القدير ( ٢ / ٣٧٤ ) وتبعه القنوجي في فتح البيان ( ٥ / ٧٠ ) . وينظر : أسباب الخطأ في التفسير

( ١ / ٥٧٤-٥٧٨ ) للدكتور طاهر يعقوب ، وعدّ القول الثاني من الخطأ في التفسير ؛ لأنه من التعويل على العقل

المخض في إدراك الأمور الغيبية الواردة في القرآن . ولشيخنا الدكتور عبد العزيز العثيم المتوفى في آخر سنة

١٤١٢ هـ — رحمه الله — رسالة في هذه المسألة أسماها : أخذ الميثاق في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي

وهذه الآية كقوله تعالى في أول السورة: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ الآية [ الأعراف : ١١ ] . والمعنى : ولقد خلقنا أباكم آدم ثم صورناه . قاله الطبري<sup>(١)</sup> .

وكقوله تعالى في آخر السورة : ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلْنَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَلَىٰ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [ الأعراف ] . والمراد بقوله : ﴿جَعَلْنَا لَهُ شُرَكَاءَ﴾ ذريتهما بدليل آخرها: ﴿فَتَعَلَىٰ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (١٩٠) ﴿أَيْشُرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ﴾ (١٩١) [ الأعراف ] .  
وأما قول الزمخشري : إن المراد ببني آدم أسلاف اليهود ، والمراد بذريتهم مَنْ كان في عصر النبي ﷺ ، فيكفي ما سبق في بيان بطلانه . وأما استدلاله عليه بسياق الآيات القرآنية فلا تقوم به حجة ؛ لأن ما ورد من الأحاديث والآثار في تفسير الآية يضعف دلالة السياق التي استدلل بها ، وهذا أمر واضح بحمد الله ، والله تعالى أعلم .

ءآدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ ورجح فيها القول الأول .

(1) جامع البيان ( ٧٩ / ١٠ ) . وينظر : الروح لابن القيم ( ١٧٠ - ١٧١ ) .

(2) ينظر : أضواء البيان للشنقيطي ( ٣٤١ / ٢ ) .

### المسألة الثانية هي :

٢٦- الخلاف في القائل : ﴿ شَهِدْنَا ﴾ من قوله تعالى : ﴿ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ

الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « وأما قولهم ﴿ شَهِدْنَا ﴾ فمعناه : شهدنا بربوبيتك ، فهو تحقيق لربوبية الله وأداء لشهادتهم بذلك عند الله . وقيل : إن ﴿ شَهِدْنَا ﴾ من قول الله والملائكة . أي : شهدنا على بني آدم باعترافهم »<sup>(١)</sup> .

### العرض والمناقشة :

في قائل ﴿ شَهِدْنَا ﴾ خلاف بين المفسرين ، هل هو من قول بني آدم ؟ أم من قول الله والملائكة؟<sup>(٢)</sup>

فسر ابن جُزَيِّ الآية على أنها من قيل بني آدم . ووافق في هذا ما نُسِبَ إلى ابن عباس ، وأبي بن كعب<sup>(٣)</sup> . وإليه ذهب مقاتل بن سليمان، والطبري، وابن الجوزي، والنسفي، وابن القيم، والسيوطي، و أبوالسعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والقاسمي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والطاهر بن عاشور<sup>(٤)</sup> . واحتمله ابن عطية<sup>(٥)</sup> .

قالوا : إن الظاهر يدل على أنه خبرٌ من الله عن قيل بني آدم بعضهم لبعض ؛ لأن الله قال : ﴿ وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴾ فكانه قيل : فقال الذين شهدوا

(1) التسهيل لعلوم التنزيل ( ٢ / ٥٤ ) .

(2) وثمّت قولان آحران : من قيل الملائكة فقط ، أو من قيل الله وحده ، وسيأتيان . ينظر : تفسير القرآن للسمعي ( ٢٣١ / ٢ ) ، والبحر المحيط ( ٤ / ٤٢١ ) .

(3) نسبه إليهما القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ( ٩ / ٣٨٢ ) . وأما أبي بن كعب فقد سبق تخريج قوله وسيأتي ذكره .

(4) ينظر : تفسير مقاتل ( ٢ / ٧٣ ) — ويلحظ أن مقاتلا جعله أيضاً من قول الملائكة — ، وجامع البيان ( ١٠ / ٥٦٤ ) ، وزاد المسير ( ٣ / ٢٨٤ ) ، ومدارك التنزيل ( ٢ / ٨٥ ) ، وبدائع التفسير ( ٢ / ٣٠١ ) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٣ / ١٤٦ ) ، وإرشاد العقل السليم ( ٢ / ٣١٧ ، ٣١٥ ) ، وفتح القدير ( ٢ / ٣٧٥ ) ، وروح المعاني ( ٩ / ١٠١ ) ، وفتح البيان ( ٥ / ٧٢ ) ، ومحاسن التأويل ( ٧ / ٢٨٩٧ ) ، وتفسير القرآن الحكيم ( ٩ / ٣٣٩ ) ، وتفسير المراغي ( ٩ / ١٠٣ ) ، والتحرير والتنوير ( ٩ / ١٦٩ ) .

(5) ينظر : المحرر الوجيز ( ٦ / ١٣٩ ) . وتبعه الثعالبي في الجواهر الحسان ( ١ / ٥٨٧ ) .

على المقرّين حين أقرّوا فقالوا ↓ ﴿﴾ ◆ ◻ ○ ↑ : شهدنا عليكم بما أقررتم به على أنفسكم ؛ كيلا تقولوا يوم القيامة : إنا كنا عن هذا غافلين<sup>(١)</sup> .

وروى أبو العالية عن أبي بن كعب قال : « جمعهم جميعاً ، فجعلهم أزواجاً ، ثم صورهم ، ثم استنطقهم ، ثم قال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴾ أنك إلّنا...»<sup>(٢)</sup> .

وأما القول الثاني بأن ﴿ شَهِدْنَا ﴾ من قيل الله وملائكته ، فهو قول أبي مالك<sup>(٣)</sup> ، ورؤي عن السدي<sup>(٤)</sup> . وذكره القرطبي ، والسمين — قيل<sup>(٥)</sup> .

وقال الكلبي : « إنه من قول الملائكة »<sup>(٦)</sup> . وعُزي إلى مجاهد ، والضحاك ، والسدي أيضاً<sup>(٧)</sup> .

وعليه النحاس ، والواحدي ، والقرطبي<sup>(٨)</sup> .

وذكره السمين — قيل<sup>(٩)</sup> .

ودليله ما رواه عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ قال : أخذوا من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس ، فقال لهم : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ قالت الملائكة : ﴿ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾<sup>(١٠)</sup> .

(1) ينظر : جامع البيان للطبري ( ١٠ / ٥٦٤ ) .

(2) سبق تخريجه في المسألة السابقة . وينظر : زاد المسير ( ٣ / ٢٨٥ ) .

(3) نسبته إليه القرطبي كما في الجامع لأحكام القرآن ( ٩ / ٣٨٢ ) .

(4) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٥٦١ ) ، وابن عبد البر في التمهيد ( ١٨ / ٨٥ ) من طريق أسباط ، عنه .

(5) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ( ٩ / ٣٨٢ ) ، الدر المصون ( ٥ / ٥١٣ ) .

(6) نسبته إليه الواحدي في الوسيط ( ٢ / ٤٢٦ ) ، والبغوي في معالم التنزيل ( ٢ / ١٦٩ ) ، وابن الجوزي في زاد المسير ( ٣ / ٢٨٥ ) .

(7) عزاه إليهم القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ( ٩ / ٣٨١-٣٨٢ ) . وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦١٥ ) أثر الضحاك برقم ( ٨٥٣٨ ) .

(8) ينظر : معاني القرآن الكريم ( ٣ / ١٠٣ ) — ونسبه إلى ابن أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني — ، والوجيز ( ١ / ٤٢٠ ، ٤٢٦ ) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ( ٩ / ٣٨٢ ) ونسبه إلى مكّي .

(9) ينظر : الدر المصون ( ٥ / ٥١٣ ) .

(10) سبق تخريجه في المسألة السابقة .

واعتبر الطبري هذا القول أوّلَى بالصواب لو صحَّ هذا الحديث<sup>(١)</sup> . واحتمله ابن عطية<sup>(٢)</sup> .

واستدلَّ له بالوقف على قوله : ﴿ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ ، وقراءة الجماعة قوله : ﴿ أَنْ تَقُولُوا ﴾ بالتاء<sup>(٣)</sup> . أي : قالت الملائكة : شهدنا عليكم بالإقرار بالربوبية ؛ لثلاثا تقولوا . قال مكِّي : « وهو الاختيار ؛ لصحة معناه ، ولأن الجماعة عليه »<sup>(٤)</sup> . واختار السمين الحلبي أن قوله : ﴿ شَهِدْنَا ﴾ هو من كلام الله تعالى<sup>(٥)</sup> . وجعل ابن أبي زمنين قوله : ﴿ شَهِدْنَا ﴾ من قول بني آدم ومن قول الملائكة معاً<sup>(٦)</sup> . وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن قوله : ﴿ شَهِدْنَا ﴾ يحتمل أن يكون من قول الله تعالى ، ويحتمل أن يكون من قول الملائكة ، ويحتمل أن يكون من قول الله وملائكته ، والأظهر في ذلك ما عليه ابن جُزَيٍّ ومن وافقه من أن ﴿ شَهِدْنَا ﴾ هو من قيل بني آدم ؛ لأنه ظاهر القرآن<sup>(٧)</sup> ، وهو اختيار جمهور المفسرين<sup>(٨)</sup> ، والله تعالى أعلم .

(1) ينظر : جامع البيان ( ١٠ / ٥٦٤ ) .

(2) ينظر : المحرر الوجيز ( ٦ / ١٣٩ ) وتبعه الثعالبي في الجواهر الحسان ( ١ / ٥٨٧ ) .

(3) قرأها أبو عمرو وحده بالياء ، وقرأها الباقر بالتاء . ينظر : حجة القراءات لابن زنجلة ( ٣٠٢ ) والتيسير للداني ( ٩٤ ) .

(4) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ( ٩ / ٣٨٢ ) .

(5) ينظر : الدر المصون ( ٥ / ٥١٣ ) .

(6) ينظر : تفسير القرآن العزيز ( ٢ / ١٥٢ ) .

(7) ولا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلاّ بدليل . ينظر : قواعد الترجيح ( ١ / ١٣٧ ) .

(8) والقول إذا كان قول جمهور المفسرين كان هذا مرجحاً له على غيره . ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل ( ١ / ٩ ) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾  
 وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ  
 إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا  
 فَأَقْصِصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾

في هذه الآية الكريمة ثلاث مسائل :

### المسألة الأولى هي :

#### ٢٧- الخلاف في الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها .. من هو ؟

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « قال ابن مسعود : هو رجل من بني إسرائيل بعثه موسى عليه السلام إلى ملك مدين داعياً إلى الله فَرَشَاهُ الْمَلِكُ وَأَعْطَاهُ الْمُلْكَ عَلَى أَنْ يَتْرِكَ دِينَ مُوسَى وَيَتَابِعَ الْمَلْكَ عَلَى دِينِهِ ففعل ، وأضلَّ الناس بذلك . وقال ابن عباس : هو رجل من الكنعانيين اسمه : بَلْعَمُ بن باعوراء ، كان عنده اسم الله الأعظم ، فلما أراد موسى قتال الكنعانيين وهم الجبارون سألوا مَنْ بَلْعَمُ أَنْ يَدْعُوَ بِاسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ عَلَى مُوسَى وَعَسْكَرِهِ فَأَبَى فَأَلْحَوْا عَلَيْهِ حَتَّى دَعَا عَلَيْهِ أَلَّا يَدْخُلَ الْمَدِينَةَ . ودعا عليه موسى . فالآيات التي أعطيتها على هذا القول : هي اسم الله الأعظم ، وعلى قول ابن مسعود هي : ما علَّمه موسى من الشريعة . وقيل : كان عنده من صحف إبراهيم . وقال عبد الله بن عمرو بن العاصي : هو أمية بن أبي الصلت . وكان قد أوتي علماً وحكمة وأراد أن يسلم قبل غزوة بدر ، ثم رجع عن ذلك ومات كافراً . وفيه قال النبي ﷺ : ( كاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم )<sup>(١)</sup> . فالآية على هذا ما كان عنده من العلم »<sup>(٢)</sup> .

### العرض والمناقشة :

تضمّن كلام ابن جُزَيِّ هذا مسألتين :

الأولى : مَنْ هُوَ الَّذِي آتَاهُ اللَّهُ آيَاتَهُ فَانْسَلَخَ مِنْهَا ؟

(1) أخرجه مسلم في صحيحه (١٧٦٨/٤) في كتاب الشعر برقم (٢٢٥٥) من حديث عمرو بن الشريد ، عن أبيه . وبرقم (٢٢٥٦) من حديث أبي هريرة . وينظر : تخريج الأحاديث والآثار في كتاب التسهيل (٧١٥/٢) .

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٥٤) .

والثانية : ما المراد بهذه الآيات التي أوتيتها ؟ وسيأتي الكلام عليها بإذن الله .  
 أما الخلاف في تعيين الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها فإن ابن جُزَيّ ذكر في ذلك ثلاثة أقوال منسوبة إلى أصحابها ، وقَدّم قول ابن مسعود إشعاراً بترجيحه .  
 والأوّلَى أن يُحكى الخلاف في هذه المسألة على النحو التالي ، فيقال :  
 اختلف أهل التأويل في المراد بالذي آتاه الله آياته فانسلخ منها على قولين اثنين :  
 القول الأول : أنه بَلَعُمُ بن باعوراء<sup>(١)</sup> ، ثم اختلفوا فيه على ثلاثة أقوال :  
 أولها : أنه من بني إسرائيل . قاله ابن مسعود<sup>(٢)</sup> ، ومجاهد<sup>(٣)</sup> ، ومالك بن دينار<sup>(٤)</sup> ،  
 والسدّي<sup>(٥)</sup> . ورُوِيَ عن ابن عباس أيضاً<sup>(٦)</sup> ، وعكرمة<sup>(٧)</sup> .

- (1) في اسمه واسم أبيه خلاف غير معتبر على التحقيق ؛ لإمكان الجمع بين الأقوال الواردة في ذلك ، وبالله التوفيق .
- (2) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ( ١ / ٢٤٣ ) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٥٦٦-٥٦٨ ) ، والنسائي في السنن الكبرى ( ١١١٩٣ ) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦١٦ ) ، والطبراني في الكبير ( ٩٠٦٤ ) ، والحاكم في مستدركه ( ٢ / ٣٢٥ ) ، وابن عساكر في تاريخه ( ١٠ / ٣٩٧ ) من طرق مختلفة عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عنه . وبألفاظ متقاربة : بَلَعُمُ بن أَيْرُ أو أَيْرُ — بفتح الباء وبضمها — أو أَيْرُ أو باعوراء . وزاد نسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٣ / ٦٠٨ ) إلى الفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه .
- (3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٥٦٨ ) من طرق مختلفة ، عنه بلفظ : ( بَلَعُمُ بن باعَر ، من بني إسرائيل ) . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦١٨ ) .
- (4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦١٨ ) رقم ( ٨٥٥٣ ) . ونسبه السيوطي أيضاً في الدر المنثور ( ٣ / ٦١٠ ) إلى ابن المنذر .
- (5) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٥٧٢ ، ٥٨١ ) من طريق أسباط ، عنه . وفيه : أن النبي هو يوشع بن نون ، وكان ذلك بعد انقضاء زمن التيه (( الأربعين سنة )) .
- (6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٥٧٣ ) عن مجاهد وعكرمة ، عن ابن عباس قال : كان في بني إسرائيل بلعام بن باعَر ، أوتي كتاباً . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦١٨ ) رقم ( ٨٥٥١ ) وليس فيه " أوتي كتاباً" . وأخرجه أيضاً ( ٥ / ١٦١٧ ) رقم ( ٨٥٤٧ ) عن الشعبي ، عن ابن عباس قال : هو رجل من بني إسرائيل يقال له : بلعم بن باعورة ، وكانت الأنصار تقول : هو ابن الراهب الذي بني له مسجد الشقاق ، وكانت تقيف تقول : هو أمية بن أبي الصلت . وزاد السيوطي في الدر المنثور ( ٣ / ٦١٠ ) نسبه إلى ابن مردويه . وفي الدر المنثور للسيوطي ( ٣ / ٦٠٨ ) : وأخرجه عبد بن حميد ، وابن جرير ، وأبو الشيخ ، وابن مردويه من طرق عن ابن عباس قال : هو بلعم بن باعوراء . وفي لفظ : بلعام بن عامر الذي أوتي الاسم كان في بني إسرائيل .
- (7) نسبه إليه ابن الجوزي كما في زاد المسير ( ٣ / ٢٨٧ ) .

ثانيها : أنه من الكنعانيين ، من مدينة الجبارين . قاله ابن عباس<sup>(١)</sup> ، وسيار<sup>(٢)</sup> ، وسالم أبوالنضر<sup>(٣)</sup> ، وكعب الأخبار<sup>(٤)</sup> .

ثالثها : أنه من أهل اليمن . قاله ابن عباس أيضاً<sup>(٥)</sup> ، ورؤي عن ابن مسعود أيضاً<sup>(٦)</sup> .

القول الثاني : أنه أمية بن أبي الصلت الثقفى . قاله عبد الله بن عمرو بن العاصي<sup>(٧)</sup> ، وسعيد بن المسيب<sup>(٨)</sup> ، والزهرى<sup>(١)</sup> ، والكلبى<sup>(٢)</sup> ،

- (1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠ / ٥٦٨ ، ٥٧٠ ، ٥٧٥ ) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٦١٦) رقم (٨٥٤٥) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه بلفظ : ( هو رجل من مدينة الجبارين يقال له : بلعم ) .
- (2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠ / ٥٧٦-٥٧٨ ) من طريق المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عنه . وذكر متناً منكراً غريباً جداً . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٦١١) نسبه إلى أبي الشيخ .
- (3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠ / ٥٧٩-٥٨١ ) ، وفي تاريخه (١ / ٤٣٧ ) ومن طريقه ابن عساکر في تاريخه (١٠ / ٤٠١-٤٠٣ ) من طريق محمد بن إسحاق ، عنه .
- (4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٦١٧) .
- (5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠ / ٥٦٩ ) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٦١٨) رقم (٨٥٥٢) من طريق عطية العوفي ، عنه . بلفظ : رجل يُدعى بلعم من أهل اليمن .
- (6) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٦١٦) رقم (٨٥٤١) من طريق الثوري ، عن منصور ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عنه .
- (7) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١ / ٢٤٣ ) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (١٠ / ٥٧٠-٥٧٢ ) ، والنسائي في الكبرى (١١١٩٢ ، ١١١٩٤ ) ، وفي كتاب الأخوة — كما في تحفة الأشراف (٦ / ٣٨٦) (٨٩٤١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٦١٦) رقم (٨٥٤٢) و (٥ / ١٦٢٠) (٨٥٦٥) . وغيرهم من طرق مختلفة ، عنه . وزاد نسبه السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٦٠٩) إلى الطبراني ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه . قال ابن كثير في تفسيره (٦ / ٤٥٠) : « وقد رُوِيَ من غير وجهٍ عنه ، وهو صحيح إليه . وكأنه إنما أراد أن أمية بن أبي الصلت يشبهه ؛ فإنه كان قد اتصل إليه علم كثير من علم الشرائع المتقدمة ، ولكنه لم ينتفع بعلمه ، فإنه أدرك زمان رسول الله ﷺ وبلغته أعلامه وآياته ومعجزاته ، وظهرت لكل من له بصيرة ، ومع هذا اجتمع به ولم يتبعه ، وصار إلى موالاته المشركين ومناصرتهم وامتداحهم ، ورثى أهل بدر من المشركين بمرثاة بليغة ، قبحه الله . وقد جاء في بعض الأحاديث : ( أنه ممن آمن لسانه ولم يؤمن قلبه ) ؛ فإن له أشعاراً ربانية وحكماً وفصاحة ، ولكن لم يشرح الله صدره للإسلام . »
- (8) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٦٠٩) إلى ابن عساکر ، عن سعيد مرسل قال : قدمت الفارعة أخت أمية بن أبي الصلت على رسول الله ﷺ بعد فتح مكة ، فقال لها : ( هل تحفظين من شعر أخيك شيئاً ؟ ) قالت : نعم . فقال النبي ﷺ : ( يا فارعة ، إن مثل أخيك كمثل الكلب آتاه الله آياته فانسلك منها ) .

وقتادة<sup>(٣)</sup> ، وزيد بن أسلم<sup>(٤)</sup> ، وأبو رَوْق<sup>(٥)</sup> .

والأكثر على أنه بلعام بن باعوراء .

قال ابن الجوزي : « والمشهور في التفسير أنه بلعام »<sup>(٦)</sup> .

وعلى كونه من بني إسرائيل : ابن أبي زمنين ، والزمخشري ، والقرطبي ، والسيوطي ،

والآلوسي<sup>(٧)</sup> . وقدمه ابن عطية<sup>(٨)</sup> . ومال إليه الشنقيطي<sup>(٩)</sup> . وذكره النسفي بـ قيل<sup>(١٠)</sup> .

قال الآلوسي : « وكونه إسرائيلياً أنسب بالمقام ، كما لا يخفى ، والأشهر أنه بلعام أو

بلعم ، وكان قد أوتي علماً ببعض كتب الله تعالى ، ودون ذلك في الشهرة أنه أمية وكان قد

قرأ بعض الكتب » .

أما القنوجي فقال : « ولا يصح ذلك من غير نظر فيه ولا بحث »<sup>(١١)</sup> .

ويقول الشنقيطي : « وأكثر المفسرين يقولون : إنها في رجل علمه الله علم الكتاب من

بني إسرائيل ، وشذ قوم فقالوا من الكنعانيين » .

ويقول أيضاً : « وأكثر المفسرين والمؤرخين يقولون : إنه رجل من بني إسرائيل يقال

(1) المصدر السابق ، ونسبه إلى ابن عساكر ، عن الزهري مرسلًا .

(2) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢٤٣) عن معمر ، عنه .

(3) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦١٦) عقب الأثر (٨٥٤٢) .

(4) نسبه إليه الواحدي في أسباب النزول (٢٦١) ، والبغوي في معالم التنزيل (٢/ ١٧١) ، والرازي في مفاتيح الغيب

(٥/ ٤٠٣) ، والقرطبي في الجامع (٧/ ٣٢٠) ، والخازن في لباب التأويل (٢/ ١٤٧) ، والقمي في غرائب

القرآن (٣/ ٣٤٦) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٤/ ٤٢٢) . وينظر : فتح الباري لابن حجر (٧/ ١٥٤) .

(5) نسبه إليه ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٨٧) ، والرازي ، والقمي ، وأبو حيان .

(6) زاد المسير (٣/ ٢٨٨) .

(7) ينظر : تفسير القرآن العزيز (٢/ ١٥٣) — حيث اقتصر على قول مجاهد — ، والكشاف (٢/ ٥٣١) ،

والجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٨٥) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ١٤٧ - ١٤٨) ، وروح المعاني

(٩/ ١١١) .

(8) ينظر : المحرر الوجيز (٦/ ١٤١) .

(9) ينظر : العذب النمير (٤/ ١٦٩٣ ، ١٦٩٤ ، ١٦٩٧) .

(10) ينظر : مدارك التنزيل (٢/ ٨٥) .

(11) فتح البيان (٥/ ٧٧) .

له : بلعام بن باعوراء ، وبعضهم يقول : بلعم بن باعر ، وفيه غير ذلك » .  
وعلى كونه من الكنعانيين — الجبارين — : مقاتل، والواحدي، والسمعاني،  
والكرماني، والبغوي، وابن الجوزي ، والرازي، والخازن ، والقمي، وابن كثير، والبلنسي،  
والثعالبي<sup>(١)</sup> .

وذكره الزمخشري — قيل<sup>(٢)</sup> .

ولم أر من اختار أنه من أهل اليمن بل ذكره القرطبي — قيل<sup>(٣)</sup> .  
وذهب النسفي إلى أنه عالم من علماء بني إسرائيل<sup>(٤)</sup> . وتبعه أبو السعود وقال : « هو  
الأنسب بمقام توبيخ اليهود بهناتهم »<sup>(٥)</sup> .  
وجعله البيضاوي أحد الأقوال وقدمه على غيره<sup>(٦)</sup> .

قال الطاهر بن عاشور : « وذهب كثير من المفسرين إلى أنها نزلت في رجل من  
الكنعانيين ، وكان في زمن موسى عليه السلام يقال له : بلعام بن باعور ، وذكروا قصته  
فخلطوها وغيروها واختلفوا فيها . والتحقيق : أن بلعام هذا كان من صالحى أهل مدين  
وعرّافيهم في زمن مرور بني إسرائيل على أرض "مؤاب" ولكنه لم يتغيّر عن حال الصلاح ،  
وذلك المذكور في سفر العدد من التوراة... فلا ينبغي الالتفات إلى هذا القول ؛ لاضطرابه  
واختلاطه »<sup>(٧)</sup> .

ومال الطاهر بن عاشور إلى أنه أمية الثقفي فقال : « وظاهر اسم الموصول المفرد أن  
صاحب الصلة واحد معيّن ، وأن مضمون الصلة حال من أحواله التي عرف بها ، والأقرب

(1) ينظر : تفسير مقاتل ( ٢ / ٧٤ ) ، والوسيط ( ٢ / ٤٢٧ ) ، وتفسير القرآن ( ٢ / ٢٣٢ ، ٢٣٣ ) ، وغرائب  
التفسير وعجائب التأويل ( ١ / ٤٢٧ ) ، ومعالم التنزيل ( ٢ / ١٦٩ ) ، وزاد المسير ( ٣ / ٢٨٨ ) ، ومفاتيح  
الغيب ( ٥ / ٤٠٣ ) ، ولباب التأويل ( ٢ / ١٤٦ ) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان ( ٣ / ٣٤٥ ) ، وتفسير  
القرآن العظيم ( ٦ / ٤٥٤ ) ، وتفسير مبهمات القرآن ( ١ / ٥٠٠ ) ، والجواهر الحسان ( ١ / ٥٨٧ ) .

(2) ينظر : الكشف ( ٢ / ٥٣١ ) .

(3) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ( ٩ / ٣٨٥ ) .

(4) ينظر : مدارك التنزيل ( ٢ / ٨٥ ) .

(5) ينظر : إرشاد العقل السليم ( ٢ / ٣١٨ ) .

(6) ينظر : أنوار التنزيل ( ١ / ٣٦٨ ) .

(7) التحرير والتنوير ( ٩ / ١٧٥ ) .

أن يكون صاحب هذا النبأ ممن للعرب إمام بمجمل خبره . فقيل : المعني به أمية بن أبي الصلت الثقفي ، وروى هذا عن ... وقال القرطبي في التفسير : هو الأشهر ، وهو قول الأكثر...»<sup>(١)</sup> . اهـ .

واختاره محمود النيسابوري<sup>(٢)</sup> ، واستغربه الكرمانى<sup>(٣)</sup> .

وردّ الشنقيطي هذا القول وأبى أن يكون أمية الثقفي هو المراد أو أبو عامر الراهب ، وذلك لأنه لا دليل عليه<sup>(٤)</sup> .

وبعد، فإذا تقرر ذلك فإن الصواب من ذلك والأولى أن يقال : إن هذا مثلاً ضربه الله لعلماء السوء ، وما أثار عن السلف من التعيين إنما هو من باب التفسير بالمثل ، والله أعلم . يقول الطبري : « والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله — تعالى ذكره — أمر نبيه ﷺ أن يتلو على قومه خبر رجل كان الله آتاه حججه وأدلته ، وهي الآيات... وجائز أن يكون .. بلعم ، وجائز أن يكون أمية . وإن كانت الآيات بمعنى كتاب منزل ، أو بمعنى اسم الله الأعظم ، أو بمعنى النبوة فغير جائز أن يكون معنياً به أمية ؛ لأن أمية لا تختلف الأمة في أنه لم يكن أوتي شيئاً من ذلك ، ولا خبر بأيّ ذلك المراد ، وأيّ الرجلين المعنيّ ، يوجب الحجّة ، ولا في العقل دلالة على أن ذلك المعنيّ به من أيّ . فالصواب أن يقال فيه ما قال الله ، ويُقرّ بظاهر التزويل على ما جاء به الوحي من الله »<sup>(٥)</sup> .

وقال القاسمي : « ومن الأقوال التي تناقلها المفسرون : أنها نزلت في بلعام بن بعور ، ويحكون عنه قصة لم تُرو في جوامع الآثار الصحيحة عندنا ، ولا هي مطابقة لما عند أهل الكتاب »<sup>(٦)</sup> .

وقال العلامة السيد محمد رشيد رضا : « هذا مثلاً ضربه الله تعالى للمكذّبين بآيات الله

(1) المصدر السابق (٩ / ١٧٤) . وما نقله عن القرطبي فإنما أراد القرطبي بالقول الأول أنه بلعام بن باعوراء على ما

قاله ابن مسعود وابن عباس . ينظر : الجامع لأحكام القرآن (٩ / ٣٨٢ - ٣٨٥) .

(2) ينظر : إيجاز البيان (١ / ٢٨٢) .

(3) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١ / ٤٢٧) .

(4) ينظر : العذب النмир (٤ / ١٦٩٧) .

(5) جامع البيان (١٠ / ٥٧٤) .

(6) محاسن التأويل (٨ / ٢٩٠٦) .

المتزلة على رسوله ﷺ...»<sup>(١)</sup> .

وقال أيضاً : « وهذا الذي آتاه الله آياته من مبهمات القرآن لم يبيّنه الله ولا رسوله في حديث صحيح عنه اسمه ولا جنسه ولا وطنه ؛ لأن هذه الأشياء لا دخل لها فيما أنزل الله الآيات لبيانه »<sup>(٢)</sup> .

وقال : « والصواب في تفسير هذه الآية : أنه لا يخصّ منه شيء ؛ إذ كان لا دلالة على خصوصه من خبر ولا عقل »<sup>(٣)</sup> .

وقال السعدي : « وهذا الذي آتاه الله آياته ، يحتمل أن المراد شخص معين ، قد كان منه ، ما ذكره الله ، فقصّ الله قصته تنبيهاً للعباد . ويحتمل أن المراد بذلك أنه اسم جنس ، وأنه شامل لكل من آتاه الله آياته فانسلخ منها »<sup>(٤)</sup> .

فإذا كان ذلك كذلك فإن الأولى في ذلك بالصواب هو عدم التعيين والتخصيص ؛ لإبهام الله له ، ولعدم وروده صحيحاً عن النبي ﷺ . وما ورد عن السلف إنما هو تفسير بالمثال ، والله تعالى أعلم .

(1) تفسير القرآن الحكيم ( ٩ / ٣٥٣ ) .

(2) تفسير القرآن الحكيم ( ٩ / ٣٥٤ ) .

(3) المصدر السابق ( ٩ / ٣٦٢ ) .

(4) تيسير الكريم الرحمن ( ٢ / ١٧٢ ) .

### المسألة الثانية هي :

٢٨ - الخلاف في المراد بالآيات التي آتاه الله إياها فانسلخ منها<sup>(١)</sup>.

### العرض والمناقشة :

حكى ابن جُزَيِّ في ذلك أربعة أقوال هي :

- القول الأول : أنها اسم الله الأعظم ، الذي إذا دُعِيَ اللهُ به أجاب . وبه قال ابن عباس<sup>(٢)</sup> ، والسدِّي<sup>(٣)</sup> ، وابن زيد<sup>(٤)</sup> ، وكعب الأحبار<sup>(٥)</sup> ، وسعيد بن جبير<sup>(٦)</sup> .  
وعليه السمرقندي ، والسمعاني ، وابن الجوزي ، والخازن ، وابن كثير ، والبلنسي<sup>(٧)</sup> .  
وقال القنوجي : « هي علوم الكتب القديمة والتصرف بالاسم الأعظم »<sup>(٨)</sup> .  
وذكر هذا القول ابن عطية بصيغة ( قيل )<sup>(٩)</sup> .  
وهذا القول والقولان بعده مبنية على أن المراد بالذي آتاه الله هو بلعأم بن باعوراء .  
القول الثاني : أنها العلم بشريعة موسى عليه السلام .  
وهو مفهوم كلام الزمخشري حيث قال : « أوتي علمَ بعضِ كتبِ الله »<sup>(١٠)</sup> .  
وذكره السمرقندي بصيغة ( يقال )<sup>(١١)</sup> .  
القول الثالث : هي ما كان عنده من صحف إبراهيم عليه السلام .

(1) سبق إيراد كلام ابن جُزَيِّ فيها في المسألة السابقة .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٥٧٣ ) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦١٦ ) ( ٨٥٤٥ ) من طريق علي ابن أبي طلحة ، عنه .

(3) أخرجه الطبري ( ١٠ / ٥٧٢ ) وفي تاريخه ( ١ / ٤٣٩ ) من طريق أسباط ، عنه .

(4) أخرجه الطبري ( ١٠ / ٥٧٣ ) من طريق ابن وهب ، عنه .

(5) أخرجه ابن أبي حاتم ( ٥ / ١٦١٧ ) ( ٨٥٤٦ ) و ( ٥ / ١٦١٨ ) ( ٨٥٥٠ ) .

(6) نسبه إليه ابن الجوزي في زاد المسير ( ٣ / ٢٨٨ ) .

(7) ينظر : : بحر العلوم ( ١ / ٥٨٢ ) ، وتفسير القرآن ( ٢ / ٢٣٢ ) ، وتذكرة الأريب ( ١٩٢ ) ، ولباب التأويل ( ٢ / ١٤٨ ) ، وتفسير القرآن العظيم ( ٦ / ٤٥٦ ) ، وتفسير مبهمات القرآن ( ١ / ٥٠٠ ) .

(8) فتح البيان ( ٥ / ٧٦ ) .

(9) ينظر : المحرر الوجيز ( ٦ / ١٤٢ ) .

(10) الكشف ( ٢ / ٥٣١ ) .

(11) ينظر : بحر العلوم ( ١ / ٥٨٢ ) .

قال ابن عباس : « كتاب من كتب الله »<sup>(١)</sup> .  
 وذكره ابن جُزَيِّ بصيغة ( قيل ) متابعاً في ذلك لابن عطية<sup>(٢)</sup> .  
 القول الرابع : أنها العلم والحكمة .  
 وهذا القول مَبْنِيٌّ على أن المراد به هو أمية بن أبي الصلت الثقفي . قاله عبد الله بن عمرو بن العاص .

وقال الطاهر : « و "الآيات" : دلائل الوجدانية التي كَرَّهت إليه الشرك وبعثته على تطلب الحنيفية بالنسبة لأمية بن أبي الصلت . أو دلائل الإنجيل على صفة محمد ﷺ بالنسبة للراهب أبي عامر بن صيفي »<sup>(٣)</sup> .

واختار الطبري أنها الأدلة والأعلام والحجج والبيانات ، والهدى والحق<sup>(٤)</sup> . وقال به قتادة<sup>(٥)</sup> ، وعكرمة<sup>(٦)</sup> . وعليه الواحدي، والرازي، والقمي ، والمراغي<sup>(٧)</sup> .

يقول الشنقيطي : « و ﴿ءَايَاتِنَا﴾ هنا : آيات كتابه الشرعية »<sup>(٨)</sup> .  
 وبعد، فإذا تقرر هذا فالصواب أن يقال : إن الله آتاه حججه وأدلته الشرعية ، وجائز أن تكون العلم ببعض كُتُبِ الله ، وما منْ خبر يقطع بذلك . فالأولى أن يقال فيه ما قال الله، ويُقرَّر بظاهر التتريل على ما جاء به الوحي من الله تعالى<sup>(٩)</sup> . والله أعلم .

- 
- (1) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٥٧٣ ) من طريق مجاهد وعكرمة ، عنه .
  - (2) ينظر : المحرر الوجيز ( ٦ / ١٤١ ) .
  - (3) التحرير والتنوير ( ٩ / ١٧٥ ) .
  - (4) ينظر : جامع البيان ( ١٠ / ٥٧٤ ) .
  - (5) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٥٨٧ ) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦١٧ ) ( ٨٥٤٨ ) و ( ١٦١٨ / ٥ ) ( ٨٥٥٥ ) . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ( ٣ / ٦١٠ ) إلى عبد بن حميد ، وأبي الشيخ . قال قتادة: هذا مثلٌ ضربه الله لمن عرض عليه الهدى فأبى أن يقبله وتركه ...
  - (6) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦١٨ ) ( ٨٥٥٤ ) من طريق سماك ، عنه قال : هم اليهود والنصارى والحنفاء ممن أعطاه الله الحق فتركه ...
  - (7) ينظر : الوجيز ( ١ / ٤٢١ ) والوسيط ( ٢ / ٤٢٧ ) ، ومفاتيح الغيب ( ٥ / ٤٠٤ ) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان ( ٣ / ٣٤٦ ) ، وتفسير المراغي ( ٩ / ١٠٧ ) .
  - (8) العذب النمير ( ٤ / ١٦٩٧ ) . وقد قال قبل ذلك ( ٤ / ١٦٩٤ ) : والآيات : علم بعض كتب الله أو الاسم الأعظم .
  - (9) ينظر : جامع البيان للطبري ( ١٠ / ٥٧٤ ) .

### المسألة الثالثة هي :

٢٩- هل المراد بقوله تعالى : ﴿ فَثَلَّهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ

أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثْ ﴾ التمثيل أم هو على الحقيقة ؟

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « ﴿ فَثَلَّهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ ﴾ أَي : صفته كصفة الكلب ، وذلك غاية في الحسنة والرداءة . ﴿ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثْ ﴾ اللهث : هو تنفس بسرعة وتحريك أعضاء الفم وخروج اللسان ، وأكثر ما يعترى ذلك الحيوانات مع الحرِّ والتعب ، وهي حالة دائمة للكلب . ومعنى ﴿ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ ﴾ : إن تفعل معه ما يشق عليه من طرد أو غيره ﴿ أَوْ تَرَكَهُ ﴾ دون أن تحمل عليه ، فهو يلهث على كل حال . ووجه تشبيه ذلك الرجل به : أنه إن وعظته فهو ضالٌّ وإن لم تعظه فهو ضالٌّ ، فضلالته على كل حال كما أن لهث الكلب على كل حال . وقيل : إن ذلك الرجل خرج لسانه على صدره فصار مثل الكلب في صورته ولهته حقيقة<sup>(١)</sup> .

### العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيِّ أن المراد بقوله تعالى : ﴿ فَثَلَّهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثْ ﴾ هو تمثيل حاله بحال الكلب . ووافق في هذا معنى ما رُوِيَ عن ابن عباس<sup>(٢)</sup> ، ومجاهد<sup>(٣)</sup> ، وقتادة<sup>(٤)</sup> ، والكلبي<sup>(٥)</sup> ، والربيع<sup>(٦)</sup> ، وابن جريج<sup>(٧)</sup> . ووافقهم جمهور المفسرين منهم : مقاتل ، وابن قتبية ، والطبري ، والزجاج ، والنحاس ،

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ( ٢ / ٥٤ - ٥٥ ) .

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٥٨٧ ) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦٢٠ ) ( ٨٥٦٩ ) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه .

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٥٨٦ ) من طريق ابن جريج ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦٢٠ ) ( ٨٥٧٠ ) من طريق ابن أبي نجیح ، عنه . وزاد نسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٣ / ٦١١ ) إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٥٨٧ ) وابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦١٧ ، ١٦٢٠ ) .

(٥) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ( ١ / ٤٤ ) عن معمر ، عنه .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦٢١ ) رقم ( ٨٥٧٢ ) .

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٥٨٦ ) .

والسمرقندي، وابن أبي زمنين ، والماوردي، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والزخشي ، وابن الجوزي، والرازي، والقرطي ، والبيضاوي، والنسفي، والخازن، والقمي ، وابن القيم، والبقاعي، والسيوطي، وأبوالسعود ، والشوكاني، والقنوجي ، والقاسمي ، والسيد محمد رشيد رضا، والمراعي، والسعدي، والطاهر ، والشنقيطي<sup>(١)</sup> .

وقدمه أبو حيان ميلاً إليه<sup>(٢)</sup> . وعزاه ابن عطية للجمهور<sup>(٣)</sup> .

ويدلّ عليه قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا ﴾<sup>(٤)</sup> .

قال الطبري : « فجعل ذلك مثل المكذبين بآياته ، وقد علمنا أن اللّهات ليس في خلقة كلّ مكذب كتب عليه ترك الإنابة من تكذيب آيات الله ، وإن ذلك إنما هو مثل ضربه الله لهم ، فكان معلوماً بذلك أنه للذي وصف اللّه صفته في هذه الآية كما هو لسائر المكذبين بآيات الله مثل<sup>(٥)</sup> » .

وأما القول الثاني بأنه صار ذلك الرجل مثل الكلب في صورته و لهته حقيقة لا تمثيلاً ، فهو قول السدي<sup>(٦)</sup> .

(1) ينظر : تفسير مقاتل ( ٧٥ / ٢ ) ، وتأويل مشكل القرآن ( ٣٦٩ ) ، وجامع البيان ( ١٠ / ٥٨٨ ) ، ومعاني القرآن وإعرابه ( ٣٩١ / ٢ ) ، ومعاني القرآن الكريم ( ١٠٦ / ٣ ) ، وبحر العلوم ( ١ / ٥٨٣ ) ، وتفسير القرآن العزيز ( ١٥٣ / ٢ ) ، والنكت والعيون ( ٢ / ٢٨٠ ) ، والوجيز ( ١ / ٤٢٢ ) ، والوسيط ( ٢ / ٤٢٨ ) ، وتفسير القرآن ( ٢٣٣ / ٢ ) ، ومعالم التنزيل ( ٢ / ١٧٣ - ١٧٤ ) ، والكشاف ( ٢ / ٥٣٢ ) ، وزاد المسير ( ٣ / ٢٩٠ ) ، ومفاتيح الغيب ( ٥ / ٤٠٥ ) ، والجامع لأحكام القرآن ( ٩ / ٣٨٧ - ٣٨٨ ) ، وأنوار التنزيل ( ١ / ٣٦٨ ) ، ومدارك التنزيل ( ٢ / ٨٦ ) ، ولباب التأويل ( ٢ / ١٤٨ ) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان ( ٣ / ٣٤٧ ) ، وبدائع التفسير ( ٢ / ٣٠٧ - ٣٠٩ و ٣١٣ - ٣١٤ ) ، ونظم الدرر ( ٨ / ١٦٠ ) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣ / ١٤٩ ) ، وإرشاد العقل السليم ( ٢ / ٣١٩ ) ، وفتح القدير ( ٢ / ٣٧٩ ) ، وفتح البيان ( ٥ / ٧٩ - ٨٠ ) ، ومحاسن التأويل ( ٨ / ٢٩٠٤ - ٢٩٠٥ ) ، وتفسير القرآن الحكيم ( ٩ / ٣٥٥ ) ، وتفسير المراغي ( ٩ / ١٠٩ ) ، وتيسير الكريم الرحمن ( ٢ / ١٧٢ ) ، والتحرير والتنوير ( ٩ / ١٧٧ - ١٧٨ ) ، والعذب النмир ( ٤ / ١٧٠٢ ) .

(2) ينظر : البحر المحيط ( ٤ / ٤٢٤ ) .

(3) ينظر : المحرر الوجيز ( ٦ / ١٤٦ ) .

(4) ينظر : جامع البيان ( ١٠ / ٥٨٨ ) ، والعذب النмир ( ٤ / ١٧٠٢ ) .

(5) جامع البيان ( ١٠ / ٥٨٨ ) .

(6) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٥٨٨ ) من طريق أسباط ، عنه .

ولم أر من اختاره من المفسرين ! بل ذكره الزمخشري ، والبيضاوي ، والنسفي ،  
وأبوالسعود بصيغة ( قيل )<sup>(١)</sup>.

ولا دليل عليه من خبر صحيح .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أوّلَى القولين في ذلك بالصواب هو ما رجّحه ابن جزيّ  
ومن وافقه من أن المراد إنما هو مَثَلٌ لحاله بحال الكلب ؛ لتركه العمل بآيات الله التي آتاها  
إياه . وأن معناه : سواءٌ وَعُظَّ أو لم يوعظ ، في أنه لا يترك ما هو عليه من خلافه أمر ربه ،  
وهذا مَثَلُ الكلب حُمِلَ عليه و طُرِدَ ، أو تُرِكَ فلم يُطرد ، فإنه لا يدع اللهث في كلتا  
حالتيه<sup>(٢)</sup> .

وهذا هو الصواب ؛ لدلالة قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾  
عليه، ولعدم الدليل على القول الآخر .

ويتأيد رجحان هذا القول بأنه قول السلف<sup>(٣)</sup> ، وجمهور المفسرين<sup>(٤)</sup> ، والله تعالى  
أعلم.

(1) ينظر : الكشاف ( ٥٣٢ / ٢ ) ، وأنوار التنزيل ( ١ / ٣٦٩ ) ، ومدارك التنزيل ( ٢ / ٨٦ ) ، وإرشاد العقل  
السليم ( ٢ / ٣٢٠ ) .

(2) ينظر : جامع البيان ( ١٠ / ٥٨٨ ) .

(3) ينظر : قواعد الترجيح ( ١ / ٢٨٨ ) .

(4) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل ( ١ / ٩ ) . فائدة : قال القرطبي : وهذا المثل في قول كثير من أهل العلم  
بالتأويل عامٌّ في كل من أوتي القرآن فلم يعمل به . وقال : فدلت الآية لمن تدبرها على ألاّ يغتَرَّ  
أحدٌ بعمله ولا بعلمه ؛ إذ لا يدري بم يختم له . اهـ . نسأل الله تعالى حسن الخاتمة ؛ إنه جواد كريم .

قَالَ تَعَالَى:

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾

سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾

في هذه الآية الكريمة مسألتان :

المسألة الأولى هي :

٣٠- هل قوله تعالى : ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ منسوخ أم أنه محكم ؟

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « قيل : معنى ﴿وَذَرُوا﴾ : اتركوهم لا تحاجوهم ولا تتعرضوا لهم . فالآية على هذا منسوخة بالقتال . وقيل : معنى ﴿وَذَرُوا﴾ الوعيد والتهديد كقوله : ( ذرني والمكذبين )<sup>(١)</sup> وهو الأظهر ؛ لما بعده »<sup>(٢)</sup> .

العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيِّ أن قوله تعالى : ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ آية محكمة وليست منسوخة ، وأن معنى قوله : ﴿وَذَرُوا﴾ هو التهديد والوعيد . وإلى هذا ذهب الطبري ، والشوكاني ، والقنوجي ، والشنقيطي<sup>(٣)</sup> . وهو مفهوم كلام السيد رشيد رضا ، والمراغي<sup>(٤)</sup> .

وذكره ابن عطية بصيغة ( قيل )<sup>(٥)</sup> .

قال مكِّي : « وقيل : إن هذا محكم ، وإنما هو تهديد ووعيد من الله ، لا أنه أمر نبيه أن يتركهم يلحدون في آيات الله ، وهو مثل قوله تعالى : ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾ في الحجر [٣] »<sup>(٦)</sup> .

(1) كذا ! ولعله يقصد قوله تعالى : ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَدِّبُ﴾ [القلم: ٤٤] .

(2) التسهيل لعلوم التنزيل ( ٥٥ / ٢ ) .

(3) ينظر : جامع البيان ( ١٠ / ٥٩٩ ) ، وفتح القدير ( ٢ / ٣٨٣ ) ، وفتح البيان ( ٥ / ٨٦ ) ، وأضواء البيان ( ٣٣٩ / ٢ ) والعذب النمير ( ٤ / ١٧٢٣ ) .

(4) ينظر : تفسير القرآن الحكيم ( ٩ / ٣٨٣ ) ، وتفسير المراغي ( ٩ / ١١٨ ) .

(5) ينظر : المحرر الوجيز ( ٦ / ١٥٦ ) .

(6) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ( ٢٩١ ) .

وقال ابن الجوزي : « والجمهور على أن هذه الآية محكمة ؛ لأنها خارجة مخرج التهديد ؛ كقوله : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۖ ﴾ <sup>(١)</sup> [المدثر] .

ويقول الشنقيطي : « وقد تقرر في فنّ الأصول في مباحث الأمر ، وفي فنّ المعاني : أن من الصيغ التي تأتي لها "أفعل" أنها تأتي للتهديد . والتحقيق أن الصورة هنا للتهديد ، وهو قوله : ﴿ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۖ ﴾ بدليل قوله : ﴿ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> . وكذا قول الشوكاني : « وهذا أولى ؛ لقوله : ﴿ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ، فإنه وعيد لهم بترول العقوبة ، وتحذير للمسلمين أن يفعلوا كفعالهم » <sup>(٣)</sup> .

وأما القول الآخر بأنها منسوخة ، ومعناها الإعراض عن الكفار ، فهو قول ابن زيد <sup>(٤)</sup> . وعليه ابن أبي زمنين ، وابن عطية ، والثعالبي ، والسيوطي ، والجملي <sup>(٥)</sup> .

قال الطبري : « ولا معنى لما قال ابن زيد في ذلك من أنه منسوخ ؛ لأن قوله : ﴿ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۖ ﴾ ليس بأمرٍ من الله لنبيه ﷺ بترك المشركين أن يقولوا ذلك ، حتى يأذن له في قتالهم . وإنما هو تهديد من الله للملحدين في أسمائهم ووعيد منه لهم ، كما قال في موضع آخر : ﴿ ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ ﴾ [الحجر : ٣] . وكقوله : ﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ <sup>(٦)</sup> [العنكبوت] . وهو كلام خرج مخرج الأمر بمعنى الوعيد والتهديد . ومعناه : إن ثمهل الذين يلحدون ، يا محمد ، في أسماء الله إلى أجل هم بالغوه ، فسوف يجزون — إذا جاءهم أجل الله الذي أحلهم إليه — جزاء أعمالهم التي كانوا يعملونها قبل ذلك ؛ من الكفر بالله ، والإلحاد في أسمائه ، وتكذيب رسوله » <sup>(٦)</sup> .

وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن أولى القولين بالصواب من ذلك ما استظهره ابن جزي من أن الآية محكمة وليست بمنسوخة ؛ لقوة دليله ، والله تعالى أعلم .

(1) زاد المسير (٣ / ٢٩٣) .

(2) العذب النمير (٤ / ١٧٢٣) .

(3) فتح القدير (٢ / ٣٨٣) .

(4) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠ / ٥٩٩) من طريق ابن وهب عنه قال: هؤلاء أهل الكفر ، وقد نُسخَ ، ونسخه القتال .

(5) تفسير القرآن العزيز (٢ / ١٥٥) والمحزر الوجيز (٦ / ١٥٦) والجواهر الحسان (١ / ٥٩٠) والفتوحات الإلهية (٢ / ١٥٢) .

(6) جامع البيان (١٠ / ٥٩٩) .

### المسألة الثانية هي :

#### ٣١- ما معنى الإلحاد في أسماء الله ؟

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « وإلحادهم في أسماء الله : هو ما قاله أبو جهلٍ فترلت الآية بسببه . وقيل : تسميته بما لا يليق . وقيل : تسمية الأصنام باسمه ؛ كاشتقاقهم اللات من الله ، والعزى من العزيز »<sup>(١)</sup> .

#### العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ أن الإلحاد في أسماء الله هو ما قاله أبو جهلٍ فترلت الآية بسببه . ووافق في هذا قول مقاتل بن سليمان حيث قال : وذلك أن رجلاً دعا الله في الصلاة ودعا الرحمن ، فقال رجل من مشركي مكة وهو أبو جهل : أليس يزعم محمد وأصحابه أنهم يعبدون رباً واحداً ، فما بال هذا يدعو ربين اثنين . فأنزل الله : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ . يعني الرحمان ، الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، الباريء ، المصور ، ونحوها ...<sup>(٢)</sup> .

وما ذهب إليه ابن جُزَيِّ مِنْ أَنَّ الإلحاد فيها هو ما قاله أبو جهل ، إنما يستقيم على حَمَلِ كلام أبي جهلٍ على معنى التكذيب لها فيكون إلحاداً فيها ، كما رُوِيَ عن ابن عباس : « أَيُّ : يكذبون »<sup>(٣)</sup> . أي : يأبون ويمتنعون من تسميته ببعض أسمائه الحسنى نحو أن يقولوا : يا الله ، ولا يقولوا : يا رحمان<sup>(٤)</sup> . وعلى هذا الكلي<sup>(٥)</sup> .

وذهب إليه الطاهر بن عاشور حيث قال : « ومعنى الإلحاد في أسماء الله جعلها مظهرًا من مظاهر الكفر ، وذلك بإنكار تسميته تعالى بالأسماء الدالة على صفات ثابتة له وهو الأحق بكمال مدلولها ، فإنهم أنكروا الرحمن ، وجعلوا تسميته به في القرآن وسيلةً للتشنيع ولمز النبي عليه الصلاة والسلام بأنه عدد الآلهة ، ولا أعظم من هذا البهتان والجور في الجدل

(1) التسهيل لعلوم التنزيل ( ٢ / ٥٥ ) .

(2) تفسير مقاتل ( ٢ / ٧٦ ) . ونسبه إليه ابن الجوزي في زاد المسير ( ٣ / ٢٩٢ ) .

(3) ينظر : معالم التنزيل للبخاري ( ٢ / ١٧٥ ) .

(4) الكشف للزمخشري ( ٢ / ٥٣٤ ) .

(5) ينظر : الوسيط للواحدى ( ٢ / ٤٣١ ) .

فَحَقُّ بَأْنِ يَسْمَى إِلْحَادًا ؛ لِأَنَّهُ عَدُولٌ عَنِ الْحَقِّ بِقَصْدِ الْمَكَابِرَةِ وَالْحَسَدِ «<sup>(١)</sup> .  
وَجَوَّزَهُ الْآلُوسِيُّ <sup>(٢)</sup> .

وَأَمَّا الْقَوْلُ الثَّانِي بِأَنْ الْإِلْحَادَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ هُوَ تَسْمِيَتُهُ بِمَا لَا يَلِيْقُ ، فَهُوَ قَوْلُ  
الْأَعْمَشِ <sup>(٣)</sup> .

وَذَهَبَ إِلَيْهِ الزَّجَّاجُ ، وَابْنُ قَتِيْبَةَ وَأَبُو سَلِيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ — كَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ — ،  
وَالنَّسْفِيُّ ، وَالْآلُوسِيُّ <sup>(٤)</sup> .

وَجَوَّزَهُ السَّمِينُ <sup>(٥)</sup> . وَنَسَبَهُ الْبَغْوِيُّ إِلَى أَهْلِ الْمَعَانِي <sup>(٦)</sup> .

قَالَ الزَّجَّاجُ : « لَا يَنْبَغِي أَنْ يَدْعُوهُ أَحَدٌ بِمَا لَمْ يَصِفْ نَفْسَهُ بِهِ ، أَوْ لَمْ يَسْمِ بِهِ نَفْسَهُ ،  
فَيَقُولُ فِي الدُّعَاءِ : يَا اللَّهُ يَا رَحْمَانَ يَا جُودًا ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ : يَا سُبْحَانَ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَصِفْ  
نَفْسَهُ بِهَذِهِ اللَّفْظَةِ . وَتَقُولُ : يَا رَحِيمًا ، وَلَا يَقُولُ : يَا رَفِيقًا <sup>(٧)</sup> ، وَتَقُولُ : يَا قَوِيًّا ، وَلَا  
تَقُولُ : يَا جَلْدًا » .

وَأَمَّا الْقَوْلُ الثَّلَاثُ بِأَنْ الْإِلْحَادَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ هُوَ تَسْمِيَةُ الْأَصْنَامِ بِاسْمِهِ ، كَأَشْتِقَاقِهِمْ  
اللَّاتَ مِنْ اللَّهِ ، وَالْعَزَّى مِنْ الْعَزِيزِ ، فَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ <sup>(٨)</sup> ، وَمَجَاهِدٍ <sup>(٩)</sup> ،

(١) التحرير والتنوير (٩ / ١٢٥) .

(٢) ينظر : روح المعاني (٩ / ١٢٥) .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٦٢٣) رقم (٨٥٨٧) عنه قال : يدخلون فيها ما ليس منها .

(٤) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٢ / ٣٩٢) ، وزاد المسير (٣ / ٢٩٣) ، ومدارك التنزيل (٢ / ٨٧) ، وروح  
المعاني (٩ / ١٢١) .

(٥) ينظر : الدر المصون (٥ / ٥٢٣) .

(٦) ينظر : معالم التنزيل (٢ / ١٧٥) .

(٧) ثبت هذا الاسم الحسن الكريم لله عزَّوجلَّ في حديث : ( إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله ) . أخرجه

البخاري (٦ / ٢٥٣٩) طبعة البغا) في كتاب استنابة المرتدين ، باب إذا عرَّضَ الذمي وغيره بسبِّ النبي ﷺ ولم  
يصرح ، برقم (٦٥٢٨) .

(٨) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠ / ٥٩٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٦٢٣) رقم (٨٥٨٤) من

طريق عطية العوفي ، عنه قال : إلحاد الملحدين أن يدعوا اللات والعزى في أسماء الله . وفي الدر المنثور للسيوطي  
(٣ / ٦١٦) بلفظ : اشتقوا العزى من العزيز ، واشتقوا اللات من الله .

(٩) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠ / ٥٩٧) من طريق ابن جريج ، عنه قال : اشتقوا العزى من العزيز ،  
واشتقوا اللات من الله .

وعطاء<sup>(١)</sup> ، وابن جريح<sup>(٢)</sup> . وقاله مقاتل<sup>(٣)</sup> .

وذهب إليه الطبري، وابن أبي زمنين، والواحدي، والسمعاني، والبغوي ، وابن عطية،  
ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي، وابن التركماني، والسمين، والثعالبي، والسيوطي ،  
والشنقيطي<sup>(٤)</sup> . وجوزّه الألوسي<sup>(٥)</sup> .

وذكره الزمخشري بصيغة ( قيل )<sup>(٦)</sup> .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أصل الإلحاد في كلام العرب هو العدول عن القصد  
والاستقامة ، والجور عن ذلك ، والإعراض<sup>(٧)</sup> .

وعليه، فإن هذه الأقوال الثلاثة المذكورة في معنى الإلحاد كلها داخلة فيه ، ومعنى  
الإلحاد يشملها جميعاً .

قال الشوكاني : « والإلحاد في أسمائه سبحانه يكون على ثلاثة أوجه : إما بالتغيير  
كما فعله المشركون ، فإنهم أخذوا اسم اللات من الله ، والعزى من العزيز ، ومناة من  
المتان . أو بالزيادة عليها بأن يخرعوا أسماء من عندهم لم يأذن الله بها . أو بالنقصان منها بأن  
يدعوه ببعضها دون بعض »<sup>(٨)</sup> .

وقال السيد محمد رشيد رضا : « والإلحاد في أسمائه على وجهين : أحدهما : أن  
يوصف بما لا يصح وصفه به . والثاني : أن يتأول أوصافه على ما لا يليق به »<sup>(٩)</sup> .

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦٢٣ ) رقم ( ٨٥٨٥ ) من طريق عثمان بن عطاء ، عن أبيه قال : الإلحاد  
المضاهاة .

(2) ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ( ٦ / ٤٦٥ ) فإنه نسبه إليه كقول مجاهد .

(3) ينظر : تفسير مقاتل ( ٢ / ٧٧ ) .

(4) ينظر : جامع البيان ( ١٠ / ٥٩٦ ) ، وتفسير القرآن العزيز ( ٢ / ١٥٥ ) ، والوجيز ( ١ / ٤٢٣ ) والوسيط  
( ٢ / ٤٣١ ) ، وتفسير القرآن ( ٢ / ٢٣٦ ) ، ومعالم التنزيل ( ٢ / ١٧٥ ) ، والمحزر الوجيز ( ٦ / ١٥٧ ) ،  
وإيجاز البيان ( ١ / ٢٨٤ ) ، وتذكرة الأريب ( ١ / ١٩٣ ) ، ومهجة الأريب ( ١ / ٢٣١ ) ، والدر المصون  
( ٥ / ٥٢٣ ) ، والجواهر الحسان ( ١ / ٥٩٠ ) ، وتفسير الجلالين ( ٣ / ١٥٢ ) ، وأضواء البيان ( ٢ / ٣٣٩ ) .

(5) ينظر : روح المعاني ( ٩ / ١٢٥ ) .

(6) ينظر : الكشف ( ٢ / ٥٣٥ ) .

(7) ينظر : جامع البيان للطبري ( ١٠ / ٥٩٨ ) ، والوسيط للواحدي ( ٢ / ٤٣١ ) .

(8) فتح القدير ( ٢ / ٣٨٣ ) . وتبعه القنوجي في فتح البيان ( ٥ / ٨٥ ) .

(9) تفسير القرآن الحكيم ( ٩ / ٣٨٥ ) .

وقال أيضاً : « فالإلحاد في أسمائه الحسنی أقسام :

- ١— التغيير فيها لوضعها لغيره مما عبد من دونه كما ورد في اللات والعزى ومناة ...
  - ٢— تسميته تعالى بما لم يسم به نفسه ...
  - ٣— ترك تسميته بما سمي به نفسه أو وصفه بما وصفها به ...
  - ٤— تحريف أسمائه وصفاته عما وضعت له بضروب من التأويل ، تقتضي التشبيه أو التعطيل ...
  - ٥— إشراك غيره فيما هو خاص به من أسمائه باللفظ وما في معناه ...
  - ٦— إشراك غيره تعالى في معاني أسمائه الخاصة مع تغيير اللفظ .
  - ٧— إشراك غيره في كمال أسمائه التام الذي وصفت لأجله بالحسن ...»<sup>(١)</sup> .
- وعلى شمولية معنى الإلحاد لما ذكر من المعاني المنقولة : ابن القيم، والبيضاوي، وأبوالسعود، والمراغي<sup>(٢)</sup>، والسعدي<sup>(٣)</sup> .
- فإذا كان ذلك كذلك فإن الصواب من القول في ذلك : هو أن الإلحاد في أسمائه سبحانه وتعالى أنواعٌ وعلى أوجهٍ ، وأن كل ما ذكر في ذلك داخل فيه ؛ إذ لا دليل على تخصيص قول دون قول ، فالأولى حمل معناه على العموم ، والله تعالى أعلم .

(١) تفسير القرآن الحكيم (٩/ ٣٨٦ - ٣٩١) .

(٢) ينظر : بدائع التفسير (٢/ ٣١٤) ، وأنوار التنزيل (١/ ٣٦٩) — فإنه ذكر الأقوال كلها بـ (أو) — ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٣٢٣) ، وتفسير المراغي (٩/ ١١٨) وهو كالبيضاوي .

(٣) القواعد المثلى لابن عثيمين (١٦) ، والمنهاج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنی (١/ ٥٥) ، والنهج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنی (١/ ٣٦) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ (١٨٤)

٣٢- هل الأولى أن يوصل قوله : ﴿ أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا ﴾ بما بعده فيكون معموله هو

قوله: ﴿ مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ ﴾ ؟ أم الأولى أن يوقف عليه ويكون قوله :

﴿ مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ ﴾ خبراً استئنافياً ؟

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله : « يعني بصاحبهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فنفى عنه ما نسب له المشركون من الجنون . ويحتمل أن يكون قوله : ﴿ مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ ﴾ معمولاً لقوله : ﴿ أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا ﴾ فيوصل به ، والمعنى : أو لم يتفكروا فيعلمون أن ما بصاحبهم من جنة . ويحتمل أن يكون الكلام قد تمّ في قوله : ﴿ أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا ﴾ ثم ابتداءً إخباراً استئنافاً لقوله : ﴿ مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ ﴾ . والأول أحسن » (١) .

العرض والمناقشة :

استحسن ابن جُزَيِّ وَصَلَ قوله تعالى : ﴿ أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا ﴾ بقوله : ﴿ مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ ﴾ وأن تكون الجملة الثانية معمولّة للجملة الأولى على معنى : أو لم يتفكروا فيؤدي بهم هذا التفكير إلى العلم بنفي الجنون عن النبي ﷺ . ووافقه على هذا الترجيح : الطبري، والواحدي، وابن الجوزي، والرازي، والقمي، وأبوحيان، والسيوطي، وأبوالسعود، والقاسمي (٢) . وهو مفهوم كلام ابن أبي زمنين، وابن كثير ، والبقاعي، والسعدي، والشنقيطي (٣) .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٥٦) .

(٢) ينظر : جامع البيان (١٠ / ٦٠٢) ، والوجيز (١ / ٤٢٤) والوسيط (٢ / ٤٣٢) ، وزاد المسير (٣ / ٢٩٦) وتذكرة الأريب (١ / ١٩٤) ، ومفاتيح الغيب (٥ / ٤١٩) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣ / ٣٥٥) ، والبحر المحييط (٤ / ٤٣١ - ٤٣٢) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣ / ١٥٣) ، وإرشاد العقل السليم (٢ / ٣٢٥) ، ومحاسن التأويل (٧ / ٢٩١٤) .

(٣) ينظر : تفسير القرآن العزيز (٢ / ١٥٦) ، وتفسير القرآن العظيم (٦ / ٤٦٦) ، ونظم الدرر (٨ / ١٨٠) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢ / ١٧٦) ، والعذب النمير (٤ / ١٧٣١ - ١٧٣٢) .

ومال إليه الألو سي<sup>(١)</sup> . واحتمله ابن عطية، والثعالبي<sup>(٢)</sup> .  
واستغربه الكرمانى<sup>(٣)</sup> .

قالوا : في اللفظ محذوف . والتقدير : أو لم يتفكروا فيعلموا ما بصاحبهم من جنة<sup>(٤)</sup> .  
وأبى أبو حيان أن يكون في اللفظ محذوف بل استظهر أن ﴿يَنْفَكُرُوا﴾ معلق عن  
الجملة المنفية ؛ لأنه من أعمال القلوب ، فيجوز تعليقه . وهذا مما ثبت في اللسان العربي فلا  
ينبغي العدول عنه . فإذا كان فعل القلب يتعدى بحرف جر قدرت الجملة ﴿مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ  
جِنَّةٍ﴾ في موضع جر بعد إسقاط حرف الجر . والمعنى : أو لم يتدبروا في انتفاء وصف  
الجنون عن الرسول ﷺ ، فإنه منتفٍ عنه لا محالة ، ولا يمكن لمن أنعم الفكر أن ينسب ذلك  
إليه<sup>(٥)</sup> .

وقال سليمان الجمل : « ﴿مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ : هذه الجملة في محل نصب معمولة  
لـ ﴿يَنْفَكُرُوا﴾ فهو عامل فيها محلاً لا لفظاً ؛ لوجود المعلق له عن العمل ، وهو ﴿مَا﴾  
النافية، والسيوطي جعلها سادة مسدّ مفعولين لفعل محذوف تقديره : فيعلموا ، مع أنه لا  
حاجة لذلك ، وهو مبني على مرجوح وهو : أن تفكر لا يعلق عن العمل<sup>(٦)</sup> .  
وأما القول الثاني وهو الوقف على قوله : ﴿أَوْلَمْ يَنْفَكُرُوا﴾ والابتداء بقوله : ﴿مَا  
بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ ، فذهب إليه : السمرقندي، والكرمانى، وابن عطية، والقرطبي، والنسفي،  
والثعالبي، والسيد محمد رشيد رضا، والطاهر بن عاشور<sup>(٧)</sup> . وجوزّه القاسمي<sup>(٨)</sup> .

(1) ينظر : روح المعاني ( ١٢٧ / ٩ ) .

(2) ينظر : المحرر الوجيز ( ١٦١ / ٦ ) ، والجواهر الحسان ( ٥٩١ / ١ ) .

(3) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل ( ٤٢٩ / ١٠ ) .

(4) ينظر : مفاتيح الغيب للرازي ( ٤١٩ / ٥ ) .

(5) ينظر : البحر المحيط ( ٤٣١ / ٤ - ٤٣٢ ) ، والدر المصون للسمين الحلي ( ٥٢٥ / ٥ ) .

(6) الفتوحات الإلهية ( ١٥٤ / ٣ ) .

(7) ينظر : بحر العلوم ( ٥٨٦ / ١ ) ، وغرائب التأويل وعجائب التفسير ( ٤٢٩ / ١ ) ، والمحرر الوجيز ( ٦ /

١٦١ ) ، والجامع لأحكام القرآن ( ٣٩٨ / ٩ ) ، ومدارك التنزيل ( ٨٨ / ٢ ) ، والجواهر الحسان ( ٥٩١ / ١ ) ،

وتفسير القرآن الحكيم ( ٣٩٧ / ٩ ) ، والتحرير والتنوير ( ١٩٣ / ٩ - ١٩٤ ) .

(8) ينظر : محاسن التأويل ( ٢٩١٤ / ٧ ) .

وذكره أبو حيان ، وأبو السعود بصيغة ( قيل )<sup>(١)</sup> .

يقول الشوكاني : « قوله : ﴿ مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ ﴾ ردُّ على قولهم : ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ [ الحجر ] ويكون الكلام قد تم عند قوله : ﴿ أَوْلَمْ يَنْفَكُرُوا ﴾ . والوقف عليه من الأوقاف الحسنة »<sup>(٢)</sup> .

وجعل السمرقندي ، والسيد رشيد رضا هذه الآية شبيهة بآية سباً : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْئِيًّ وَفِرَادَىً تُمَرَّدَى ثَمَّ نَنْفَكُرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ ﴾ [سبأ: ٤٦] .

ووافق الطاهر بن عاشور على تعليق فعل ﴿ يَنْفَكُرُوا ﴾ ونزله مترلة اللازم فلا يقدر له متعلق ، للاستغناء عن ذلك بما دلّ عليه النفي في قوله : ﴿ مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ ﴾ . وقال : « والمقصود من تعليق الفعل هو الانتقال من علم الظان إلى تحقيق الخبر المظنون وجعله قضية مستقلة ، فيصير الكلام بمتزلة خبرين : خبر من جانب الظان ونحوه ، وخبر عن جانب المتكلم دخل في قسم الوقعات ، فنحو قوله تعالى ﴿ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾ [ الأنبياء ] . هو في قوة أن يقال : لقد علمت لا ينطقون ما هؤلاء ينطقون . أي : ذلك علمك وهذا علمي . وقوله هنا : ﴿ أَوْلَمْ يَنْفَكُرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ ﴾ في قوة : أو لم يتفكروا صاحبهم غير مجنون ، ما بصاحبهم من جنة . فتعليق أفعال القلوب ضرب من ضروب الإيجاز ، وأحسب هذا هو الغرض من أسلوب التعليق لم ينبه عليه علماء المعاني ، وأن خصائص العربية لا تنحصر »<sup>(٣)</sup> .

أما الكرمانى فاستغرب القول بالوصل قائلاً : « إن التفكير لا يعلّق ولا يبلغى »<sup>(٤)</sup> . وعلى أنه وقف تام ذهب أبو بكر ابن الأنباري ، وأبو عمرو الداني<sup>(٥)</sup> .

- (1) ينظر : البحر المحيط ( ٤ / ٤٣٢ ) ، وإرشاد العقل السليم ( ٢ / ٣٢٥ ) .
- (2) فتح القدير ( ٢ / ٣٨٨ ) بتصرف يسير . وتبعه القنوجي في فتح البيان ( ٥ / ٨٩ ) .
- (3) ينظر : بحر العلوم ( ١ / ٥٨٦ ) ، وتفسير القرآن الحكيم ( ٩ / ٣٩٦ ) . وينظر أيضاً : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ( ٦ / ٤٦٦ ) .
- (4) التحرير والتنوير ( ٩ / ١٩٣ - ١٩٤ ) .
- (5) غرائب التفسير وعجائب التأويل ( ١ / ٤٢٩ ) .
- (6) ينظر : الإيضاح في الوقف والابتداء ( ٢ / ٦١٧ ) ، والمكفنى في الوقف والابتداء ( ٢٨١ ) .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأولى في ذلك هو الوقف على قوله : ﴿ أَوْلَمَّ يَنْفَكُّرُوا ﴾  
ثم الابتداء والإستئناف بقوله : ﴿ مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جِنَّةٍ ﴾؛ لقوة تعليقه ، ولنظيره في القرآن كما  
في آية سبأ [ ٤٦ ] ويكون الوقف عليه حسناً و تاماً . ومما يؤيد رجحان هذا القول قاعدة:  
(القول الذي يؤيده نظائر قرآنية مقدّم على ما عدم ذلك) <sup>(١)</sup> .  
وإذا كان ذلك كذلك فإن ما استحسسه ابن جزيّ خلاف الأولى وليس براجح ، وإن  
لم يكن مدفوعاً ، والله أعلم .

(1) ينظر : قواعد الترجيح ( ١ / ٣١٢ ) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِنُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ

ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا

قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

في هذه الآية الكريمة مسألتان :

المسألة الأولى هي :

٣٣- الخلاف في معنى ثقل الساعة في السماوات والأرض.

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « في معناه ثلاثة أقوال : الأول : ثقلت على أهل السماوات والأرض ؛ لهيبتها عندهم وخوفهم منها . والثاني : ثقلت على السماوات<sup>(١)</sup> والأرض أنفسها ؛ لتفطر السماء فيها وتبديل الأرض . والثالث : معنى ﴿ ثَقُلَتْ ﴾ أي : ثَقُلَ عِلْمُهَا ، أي : حَفِيٌّ »<sup>(٢)</sup> .

العرض والمناقشة :

ذكر ابن جُزَيِّ ثلاثة أقوال في معنى قوله تعالى : ﴿ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ، وقدم الأول منها ترجيحاً له على غيره وهو : أن الساعة ثقلت على أهل السماوات وأهل الأرض ؛ لهيبتها عندهم وخوفهم منها . ووافق في هذا الترجيح ما روي عن الحسن<sup>(٣)</sup> . ونسب إلى ابن عباس<sup>(٤)</sup> . وذهب إليه الواحدي ، والعكبري ، والسيوطي ، والشنقيطي<sup>(٥)</sup> . وذكره السمعاني ، والقرطبي ، وأبو السعود بصيغة ( قيل )<sup>(٦)</sup> .

(1) في المطبوع : على أهل السماوات . بزيادة كلمة " أهل " . وكذا في جميع النسخ !! والصواب حذفها .

(2) التسهيل لعلوم التنزيل ( ٥٦ / ٢ ) .

(3) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ( ٢٤٥ / ١ ) ، والطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦٠٨ ، ٦٠٩ ) من طريقه ، ومن طريق محمد بن ثور ، وابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦٢٧ ) رقم ( ٨٦١١ ) من طريق معمر ، عنه قال : إذا جاءت ثقلت على أهل السماوات والأرض : كبرت عليهم .

(4) نسبه إليه الواحدي في الوسيط ( ٤٣٣ / ٢ ) .

(5) ينظر : الوجيز ( ١ / ٤٢٤ ) والوسيط ( ٢ / ٤٣٣ ) ، والتبيان ( ١ / ٦٠٦ ) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٣ / ١٥٦ ) ، والعذب النمير ( ٤ / ١٧٤١ ) .

(6) ينظر : تفسير القرآن ( ٢ / ٢٣٧ ) ، والجامع لأحكام القرآن ( ٩ / ٤٠٥ ) ، وإرشاد العقل السليم ( ٢ / ٣٢٨ ) .

قال الشنقيطي : « أي : كبرت الساعة وعظمت على أهل السماوات والأرض ؛ لأن ما فيها من الأهوال والأوجال يصعب على جميع الخلائق . وهذا أقرب » .  
 وأما القول الثاني بأن معناها : ثقلت على السماوات والأرض أنفسهما ؛ لتفطر السماء فيها وتبديل الأرض ، فهو قول قتادة<sup>(١)</sup> . ونسب إلى الحسن<sup>(٢)</sup> ، وابن جريج<sup>(٣)</sup> .  
 وذهب إليه ابن أبي زمنين ، وابن الجوزي<sup>(٤)</sup> . وهو مفهوم كلام الطاهر بن عاشور<sup>(٥)</sup> .

وذكره الألويسي بصيغة ( قيل )<sup>(٦)</sup> .

واستدل له بأن "في" بمعنى "على" ، فالمعنى : ثقلت على السماوات والأرض<sup>(٧)</sup> ؛ لأن السماوات تعجز عن حملها فتشقق ، وتتناثر النجوم ، وتُلف الشمس ، ويخسف القمر ، وأن الأرض تُرفع جبالها ، وتُبدل الأرض غير الأرض فلا تطيقها السماوات والأرض<sup>(٨)</sup> .

وأما القول الثالث بأن معنى ﴿ ثَقُلَتْ ﴾ : خفيت ، أي : خفي علمها على أهل السماوات والأرض ، فهو قول السدي<sup>(٩)</sup> ، وقتادة<sup>(١٠)</sup> أيضاً . ونسب إلى معمر<sup>(١١)</sup> .  
 وعليه جمهور المفسرين ومنهم : مقاتل ، والفراء ، وأبو عبيدة ، والطبري ، والنحاس ،

(1) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦٠٩ ) من طريق سعيد ، عنه .

(2) نسبه إليه ابن أبي زمنين ( ٢ / ١٥٧ ) .

(3) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦٠٩ ) من طريق حجاج ، عنه قال : إذا جاءت انشقت السماء ، وانتشرت النجوم ، وكورت الشمس وسيرت الجبال ، وكان ما قال الله ، فذلك ثقلها .

(4) ينظر : تفسير القرآن العزيز ( ٢ / ١٥٧ ) ، وتذكرة الأريب ( ١ / ١٩٤ ) .

(5) ينظر : التحرير والتنوير ( ٩ / ٢٠٣ ) .

(6) ينظر : روح المعاني ( ٩ / ١٣٣ ) .

(7) ينظر : زاد المسير ( ٣ / ٢٩٨ ) .

(8) العذب النمير ( ٤ / ١٧٤١ ) .

(9) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦٠٨ ) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦٢٧ ) رقم ( ٨٦١٢ ) من طريق أسباط ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور ( ٣ / ٦٢١ ) نسبه إلى أبي الشيخ .

(10) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ( ١ / ٢٤٤ ) ، والطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦٠٨ ) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦٢٧ ) ( ٨٦١١ ) كلاهما من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عنه . زاد الأولان : عن قتادة والكلبي .

(11) نسبه إليه ابن عطية في المحرر الوجيز ( ٦ / ١٦٧ ) .

والسمرقندي، ومكي، والسمعاني، والكرماني، والبغوي، والباقولي، والقرطي، والخازن ، وابن التركماني، وابن كثير ، والبقاعي، وأبوالسعود، والآلوسي، والسيد محمد رشيد رضا<sup>(١)</sup>.

وقال الشنقيطي : « ليس قريباً من الظاهر »<sup>(٢)</sup> .

وذكره العكبري بصيغة ( قيل )<sup>(٣)</sup> .

ودليله السياق سباقاً و لاحقاً ؛ لأن الله أخفى ذلك عن خلقه ، فلم يطلع عليه منهم أحداً كما أخبر بذلك بعد قوله : ﴿ قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ ﴾ ، وأخبر بعده أنها لا تأتي إلا بغتة كما في قوله : ﴿ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾ ، فالأولى أن يكون ما بين ذلك الخبرين خبراً عن خفاء علمها عن الخلق ؛ إذ كان ما قبله وما بعده كذلك<sup>(٤)</sup> .

يقول أبوالسعود : « وهو الأنسب بما قبله وبما بعده من قوله تعالى : ﴿ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾ ، فإنه أيضاً استئناف مقرر لمضمون ما قبله فلا بُدَّ من اعتبار الثقل من حيث الخفاء » .  
« وقال أبوعلي الفارسي : أصل هذا قولهم : أحطت به علماً ، أي : ذلَّ لي فصرت لعلمي به غالباً عليه فحفَّ عليّ ولم يثقل كما يثقل ما لا يعلمه عليه ألا تراه قال : ﴿ ثَقُلْتُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ »<sup>(٥)</sup> .

ويقال : إذا خفي الشيء ثقل علمه<sup>(٦)</sup> .

(1) ينظر : تفسير مقاتل ( ٧٨ / ٢ ) ، ومعاني القرآن ( ٣٩٩ / ١ ) ، ومجاز القرآن ( ٢٣٥ / ١ ) ، وجامع البيان ( ٦٠٩ / ١٠ ) ، ومعاني القرآن الكريم ( ١١١ / ٣ ) ، وبحر العلوم ( ٥٨٧ / ١ ) ، وتفسير المشكل ( ١٧٨ ) ، وتفسير القرآن ( ٢٣٧ / ٢ ) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل ( ٤٢٩ / ١ ) ، ومعالم التنزيل ( ١٧٨ / ٢ ) ، وكشف المشكلات ( ٤٨٧ / ١ ) ، والجامع لأحكام القرآن ( ٤٠٥ / ٩ ) ، ولباب التأويل ( ١٥٤ / ٢ ) ، ومهجة الأريب ( ٢٣٢ / ١ ) ، وتفسير القرآن العظيم ( ٤٧٠ / ٦ ) ، ونظم الدرر ( ١٨٦ / ٨ ) ، وإرشاد العقل السليم ( ٣٢٨ / ٢ ) ، وروح المعاني ( ١٣٣ / ٩ ) ، وتفسير القرآن الحكيم ( ٤٠٧ / ٩ ) .

(2) العذب النمير ( ١٧٤١ / ٤ ) .

(3) ينظر : التبيان ( ٦٠٦ / ١ ) .

(4) ينظر : جامع البيان للطبري ( ٦٠٩ / ١٠ ) .

(5) كشف المشكلات للباقولي ( ٤٨٧ / ١ ) . وأبوعلي هو الفضل بن الحسن الطبرسي له مجمع البيان في تفسير القرآن .

(6) ينظر : لسان العرب ( ثقل ) ( ٨٦ / ١١ ) .

وجعله السيد رشيد رضا هو المتبادر .  
 وقدّمه ابن عطية على غيره من الأقوال<sup>(١)</sup> .  
 ونفى ابن كثير تعارض خفاء علمها مع ثقل مجيئها على أهل السماوات والأرض .  
 ولذا فقد اختار السعدي الجمع بينهما<sup>(٢)</sup> .  
 وسوّى الزمخشري بين هذه الأقوال، وتبعه النسفي، والقمي، والقاسمي<sup>(٣)</sup> .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن هذه الأقوال التي ذكرت في معنى قوله تعالى: ﴿ثُقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ كلّها صحيحة ، ولا تعارض بينها ؛ فإن الساعة كبرت وعظمت على السماوات والأرض فلا تطيقها ؛ لأن السماوات تعجز عن حملها فتتشقق، و تتناثر النجوم ، وتُلفُّ الشمس، و يُخسف القمر ، وأن الأرض تُرفع جبالها ، وتبدل الأرض غير الأرض فلا تطيقها السماوات والأرض . وأنها تعظم وتنقل وتكبر على أهلها ؛ لشدة ما فيها من عظم الأهوال والأوجال .  
 ولما خفيت عليهم فلم يعلموا متى تكون ؟ شقّ عليهم ذلك وثقل عليهم خفاؤها والجهل بوقتها ؛ لأن كل شيء خفي على الإنسان ولم يعلمه ثقل عليه .

لكنّ أوّلَى هذه الأقوال بأن يكون هو المعنى المراد هنا هما القولان الأولان ؛ لأنهما أقرب إلى الظاهر ، وذلك أن كلمة ﴿ثُقُلَتْ﴾ تدل بظاهرها على الثقل ، وهذا هو استعمال القرآن لهذه الكلمة في جميع الآيات التي وردت فيها هذه اللفظة بمشتقاتها<sup>(٤)</sup> ، ولم تستعمل في القرآن بمعنى الخفاء !! وما ذكر من دلالة السياق عليه فلا يلزم ؛ لأن الساعة وصفت بأوصاف منها : خفاء علمها ، وثقلها في السماوات والأرض ؛ لأنهم سألوا عن وقت مجيئها فأخبرهم بأنه غير معلوم وأنها ثقلت في السماوات والأرض . وهذا من زيادة البيان عن الساعة لهؤلاء السائلين. فإذا كان ذلك كذلك فإن القولين الأولين بمجموعهما هما الأولى بالصواب في معنى قوله: ﴿ثُقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ، والله تعالى أعلم .

(1) ينظر : المحرر الوجيز ( ١٦٧ / ٦ ) .

(2) ينظر : تيسير الكريم الرحمن ( ١٧٧ / ٢ ) .

(3) ينظر : الكشف ( ٥٣٨ / ٢ ) ، ومدارك التزيل ( ٨٩ / ٢ ) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان ( ٣٥٥ / ٣ ) ، ومحاسن التأويل ( ٢٩١٦ / ٤ ) .

(4) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ( ١٥٩ ) . وفي سورة الأعراف الآيات : ٨ ، ٥٧ ، ١٨٩ ، كلها استعملت فيها هذه اللفظة بهذا المعنى ، والله أعلم .

## المسألة الثانية هي :

### ٣٤ - الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « الحَفِيُّ بالشيء هو المهتل به المعتني به . والمعنى : يسألونك عنها كأنك حفيٌّ بعلمها . وقيل : المعنى : يسألونك عنها كأنك حفي بهم لقربتك منهم . فـ ﴿ عَنْهَا ﴾ على هذين القولين يتعلق بـ ﴿ يَسْأَلُونَكَ ﴾ . وقيل : المعنى : يسألونك كأنك حفي بالسؤال عنها »<sup>(١)</sup> .

### العرض والمناقشة :

في قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ﴾ رجَّح ابن جُزَيِّ أن يكون المعنى : يسألونك عنها كأنك حفيٌّ بعلمها مُعْتَنٍ به .

ووافق في هذا معنى ما رُوِيَ عن ابن زيد<sup>(٢)</sup> ، ومجاهد<sup>(٣)</sup> ، والضحاك<sup>(٤)</sup> ، والكلبي<sup>(٥)</sup> .  
 وذهب إليه جمهور المفسرين ومنهم : مقاتل، والفراء، وأبو عبيدة، وابن قتيبة، والطبري، والمبرد، ومكي، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، والباقولي، ومحمود النيسابوري، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، والقمي، والقرشي اليماني، وابن التركماني، وابن كثير، والبقاعي، والسيوطي، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والقاسمي، والسعدي، والظاهر، والشنقيطي<sup>(٦)</sup> .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ( ٢ / ٥٦ ) .

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦١٤ ) . ونسبه له الواحدي في الوسيط ( ٢ / ٤٣٤ ) ، والموردي في النكت والعيون ( ٢ / ٢٨٥ ) ، وابن الجوزي في زاد المسير ( ٣ / ٣٠٠ ) ، وابن عطية في المحرر الوجيز ( ٦ / ١٦٨ ) .

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦١٣ ) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦٢٨ ) رقم ( ٨٦١٨ ) . وزاد السيوطي في الدر المنثور ( ٣ / ٦٢١ ) نسبه إلى ابن أبي شيبه ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦١٣ ) من طريق جوير ، وأبي رَوْق ، عنه . وأخرجه أيضاً من طريق أبي معاذ ، عن عُبَيْد بن سليمان عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦٢٨ ) رقم ( ٨٦١٥ ) من طريق أبي رَوْق ، عنه ، عن ابن عباس .

(٥) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ( ١ / ٢٤٥ ) عن معمر ، عنه . وأخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦١٣ ) من طريق معمر ، عن بعضهم .

(٦) ينظر : تفسير مقاتل ( ٢ / ٧٨ ) ، ومعاني القرآن ( ١ / ٣٩٩ ) ، ومجاز القرآن ( ١ / ٢٣٥ ) وزاد المسير لابن

ومال إليه ابن الجوزي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراعي<sup>(١)</sup> .  
 وذكره ابن أبي زمنين ، والسمعاني ، والخازن بصيغة ( قيل )<sup>(٢)</sup> .  
 واستُبدِلَ له بأن العرب تقول : فلانٌ حفيٌّ بخبر فلان ، أي : معنيٌّ بالسؤال عنه . يقال :  
 أحفى في سؤاله وألحف وألح ، كلّه بمعنى<sup>(٣)</sup> . فهو من قولهم : أحفيت في المسألة ، أي :  
 بالغت فيها . معناه : كأنك بالغت في السؤال عنها حتى علمتها .

« قال ابن فارس : الحفيّ : العالم بالشيء . والحفي : المستقصي في السؤال .

ومنه قول الأعشى :

فإن تسألني عني فيارب سائلٍ حفيٌّ عن الأعشى به حيث أصعدا<sup>(٤)</sup> .

وقال الطبري : « فوجه هؤلاء تأويل قوله : ﴿ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ﴾ إلى : حفي بها .  
 وقالوا: تقول العرب : تحفّيتُ له في المسألة وتحفّيتُ عنه . قالوا : ولذلك قيل : أتينا فلاناً  
 نسأله به . بمعنى : نسأل عنه ... فإن قال قائل : وكيف قيل : ﴿ حَفِيٌّ عَنْهَا ﴾ ولم يقل :  
 (حفي بها) إن كان ذلك تأويل الكلام ؟ قيل : إن ذلك قيل كذلك ؛ لأن الحفاوة إنما  
 تكون في المسألة ؛ وهي البشاشة للمسئول عند المسألة ، والإكثار من السؤال عنه . والسؤال  
 يُوصل بهما السؤال ، وهو ( عن ) كما قال الشاعر :

الجوزي (٢٩٩/٣) ، وجامع البيان (١٠ / ٦١٤) ، وإعراب القرآن للنحاس (٢ / ١٦٦) ، وتفسير المشكل  
 (١٧٨) ، والوجيز (١ / ٤٢٤) والوسيط (٢ / ٤٣٣) ، ومعالم التنزيل (٢ / ١٧٨) ، والكشاف  
 (٥٣٨/٢) ، وكشف المشكلات (١ / ٤٨٧) ، وإيجاز البيان (١ / ٢٨٤) ، والجامع لأحكام القرآن  
 (٤٠٦/٩) ، وأنوار التنزيل (١ / ٣٧١) ، ومدارك التنزيل (٢ / ٨٩) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان  
 (٣٥٨/٣) ، والترجمان (٥٢) ، وبهجة الأريب (١ / ٢٣٢) ، وتفسير القرآن العظيم (٦ / ٤٧١) ، ونظم  
 الدرر (٨ / ١٨٧) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/١٥٧) ، وإرشاد العقل السليم (٢ / ٣٢٨ -  
 ٣٢٩) ، وفتح القدير (٢ / ٣٩١) ، وروح المعاني (٩ / ١٣٣) ، وفتح البيان (٥ / ٩٤) ، ومحاسن التأويل  
 (٧ / ٢٩١٧) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢ / ١٧٧) ، والتحرير والتنوير (٩ / ٢٠٤) ، والعذب النمير  
 (٤ / ١٧٤٤) .

(1) ينظر : تذكرة الأريب (١ / ١٩٤) ، وتفسير القرآن الحكيم (٩ / ٤٠٩) ، وتفسير المراعي (٩ / ١٢٩) .

(2) ينظر : تفسير القرآن العزيز (٢ / ١٥٧) ، وتفسير القرآن (٢ / ٢٣٨) ، ولباب التأويل (٢ / ١٥٤) .

(3) ينظر : عمدة الحفاظ (١ / ٤٣٥) (حفي) .

(4) ينظر : فتح القدير للشوكاني (٢ / ٣٩١) ، وتابعه القنوجي في فتح البيان (٥ / ٩٤) .

سؤال حَفِيٍّ عن أخيه كأنه بذكرته وَسَنَانُ أو مُتَوَاسِنٌ»<sup>(١)</sup> .  
 وَنَسَبَ الزمخشري إلى ابن مسعود أنه قرأ : ( كأنك حفي بها ) ، أي : عالم بها ، بليغ  
 في العلم بها<sup>(٢)</sup> . ونسبها ابن عطية إلى ابن عباس<sup>(٣)</sup> .  
 قال السمين : « وهي تدلُّ لمن ادَّعى أن ( عن ) بمعنى الباء »<sup>(٤)</sup> .  
 وأما القول الثاني بأن المعنى : يسألونك عنها كأنك حفيُّ بهم لقرايتك منهم ، فهو  
 معنى ما رُوِيَ عن ابن عباس<sup>(٥)</sup> ، وقتادة<sup>(٦)</sup> ، ومجاهد و عكرمة<sup>(٧)</sup> ، والسدي<sup>(٨)</sup> ، وأبي  
 مالك<sup>(٩)</sup> . وعليه النحاس ، والخازن<sup>(١٠)</sup> . وجوزَه الطاهر<sup>(١١)</sup> .

- (1) جامع البيان (١٠/٦١٤) . والبيت كذا رواه ابن جرير . وهو في ديوان الهذليين (٣/٤٣-٤٩) ، وشرح أشعار  
 الهذليين (١/٤٤٤-٤٥٠) : "سؤال الغني" . وسياق القصيدة يقضي بأنه سؤال الغني المستغني — غير الحفي —  
 لا سؤال حفيٍّ . وهو الأصح .
- (2) ينظر : الكشاف (٢/٥٣٩) ، وتبعه أبو حيان في البحر المحيط (٤/٤٣٥) ، والسمين في الدر المصون  
 (٥/٥٣٢) . وينظر : الشواذ لابن خالويه (٤٧) .
- (3) ينظر : المحرر الوجيز (٦/١٦٨) ، وتبعه الثعالبي في الجواهر الحسان (١/٥٩٢) .
- (4) الدر المصون (٥/٥٣٢) .
- (5) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/٦١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٦٢٨) رقم (٨٦١٧) من  
 طريق عطية العوفي ، عنه قال : كأنك صديق لهم . زاد السيوطي في الدر المنثور (٣/٦٢٢) نسبته إلى ابن  
 مردويه . وأخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/٦١٢) من طريق سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال :  
 قريب منهم وتحفَى عليهم .
- (6) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/٢٤٥) ، والطبري في جامع البيان (١٠/٦١١) من طريق معمر ، عنه  
 قال : قالت قريش لحمد ﷺ : إن بيننا وبينك قرابة فأسرِّ إلينا متى الساعة ؟ فقال الله : ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ  
 عَنْهَا﴾ يقول : كأنك حفي بهم . وأخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/٦١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره  
 (٥/١٦٢٨) رقم (٨٦٢١) من طريق يزيد ، عن سعيد ، عنه .
- (7) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/٦١٢) من طريق حجاج ، عن خصيف ، عنهما . وأخرجه ابن أبي حاتم  
 في تفسيره (٥/١٦٢٨) رقم (٨٦١٩) من طريق خصيف ، عن مجاهد وحده .
- (8) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/٦١٢) من طريق أسباط ، عنه .
- (9) أخرجه عبد بن حميد كما في الدر المنثور للسيوطي (٣/٦٢٢) . وينظر : جامع البيان للطبري (١٠/٦١٢) .
- (10) ينظر : معاني القرآن الكريم (٣/١١١) ، ولباب التأويل (٢/١٥٤) .
- (11) ينظر : التحرير والتنوير (٩/٢٠٤) .

وذكره الزمخشري ، والبيضاوي ، وأبو السعود بصيغة ( قيل )<sup>(١)</sup> .  
 واستدل له بأن معنى ﴿ حَفِيٌّ ﴾ أي : بُرُّهُمْ ؛ كقوله تعالى :  
 ﴿ إِنَّهُ كَانَ بِحَفِيًّا ﴾ [مریم] ففيه تقديم وتأخير<sup>(٢)</sup> .  
 يقال : فلان حفي بفلان ، أي : مبالغٌ في برِّه<sup>(٣)</sup> .  
 وأما القول الثالث بأن المعنى : يسألونك كأنك حفي بالسؤال عنها ، أي : كأنك  
 تهتم وتحفل وتحب أن تسأل عن الساعة ، فهو مرؤيٌّ عن ابن عباس<sup>(٤)</sup> ، ومجاهد<sup>(٥)</sup> .  
 وعليه الزجاج ، والسمعي<sup>(٦)</sup> . وجوزَه الكرمانی<sup>(٧)</sup> .  
 وذكره البيضاوي ، والقمي ، وأبو السعود بصيغة ( قيل )<sup>(٨)</sup> .  
 قال الزجاج : « يقال : تحفيتُ بفلان في المسألة : إذا سألت سؤالاً أظهرت فيه المحبة  
 والبر به ، وأحفي فلان بفلان في المسألة ، وإنما تأويله الكثرة » .  
 وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن أوَّلَى الأقوال بالصواب في ذلك ما رجَّحه ابن جُزَيٍّ و مَنْ  
 وافقه ؛ لدلالة اللغة عليه ، وقريب منه القول الثالث ، والله تعالى أعلم .

- 
- (1) ينظر : الكشف ( ٥٣٩ / ٢ ) ، وأنوار التنزيل ( ٣٧١ / ١ ) ، وإرشاد العقل السليم ( ٣٢٩ / ٢ ) .
  - (2) ينظر : النكت والعيون للماوردي ( ٢٨٥ / ٢ ) ، وزاد المسير لابن الجوزي ( ٢٩٨ / ٣ ) .
  - (3) ينظر : عمدة الحفاظ للسمين الحلبي ( ٤٣٥ / ١ ) ( حَفِيٌّ ) .
  - (4) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ٦١٤ / ١٠ ) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ( ١٦٢٨ / ٥ ) رقم ( ٨٦١٦ ) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه قال : كأنك يعجبك سؤالهم .
  - (5) عزاه له ابن الجوزي كما في زاد المسير ( ٢٩٩ / ٣ ) .
  - (6) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ( ٣٩٣ / ٢ ) ، وتفسير القرآن ( ٢٣٧ / ٢ ) .
  - (7) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل ( ٤٣٠ / ١ ) .
  - (8) ينظر : أنوار التنزيل ( ٣٧١ / ١ ) ، و غرائب القرآن ورغائب الفرقان ( ٣٥٨ / ٣ ) ، وإرشاد العقل السليم ( ٣٢٩ / ٢ ) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنْ الْخَيْرِ ﴾

﴿ وَمَا مَسَّنِي السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٨٨)

في هذه الآية الكريمة مسألتان :

المسألة الأولى هي :

٣٥- هل قوله تعالى : ﴿ وَمَا مَسَّنِي السُّوءُ ﴾ معطوف على ما قبله أم هو استئناف ؟

وما تفسير ﴿ السُّوءُ ﴾ ؟

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « ﴿ وَمَا مَسَّنِي السُّوءُ ﴾ عطفٌ على ﴿ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنْ الْخَيْرِ ﴾ . أي : لو علمت الغيب لاستكثرت من الخير واحترست من السوء ولكن لا أعلمه فيصيبني ما قدّر لي من الخير والشر . وقيل : إن قوله : ﴿ وَمَا مَسَّنِي السُّوءُ ﴾ استئناف إخبار ، والسوء — على هذا — هو الجنون . واتصاله بما قبله أحسن «<sup>(١)</sup>

العرض والمناقشة :

الخلاف في هذه المسألة مبني على تفسير ﴿ السُّوءُ ﴾ ، فمن فسّره بالجنون فإن الجملة تكون ابتدائية ، ومن فسّره بالفقر أو الضّرّ أو التّكذيب فإن الجملة على هذا تكون متعلّقة بما قبلها متصلة بما معطوفة عليها . وابن جزي رجّح أن يكون قوله ﴿ وَمَا مَسَّنِي السُّوءُ ﴾ متصلاً بما قبله معطوفاً عليه وفسّر السوء بالشر ، فوافق في هذا معنى ما روي عن ابن عباس<sup>(٢)</sup> ، وابن زيد<sup>(٣)</sup> .

وعلى هذا أكثر المفسّرين — وإن اختلفت عباراتهم في تفسير السوء والتي ترجع كلها

(1) التسهيل لعلوم التنزيل ( ٢ / ٥٦ ) .

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦٢٩ ) رقم ( ٨٦٢٧ ) من طريق أبي روق ، عن الضحاك ، عنه قال : السوء : الفقر .

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦٣٠ ) رقم ( ٨٦٢٨ ) من طريق أصبغ ، عنه قال : لاجتنبت ما يكون من الشر قبل أن يكون وأتقيه .

إلى هذا القول ؛ كتفسيره بالضَّرُّ أو بالتكذيب أو بالفقر . والظاهر عموم الخبر وعدم تعيين السوء كما قاله أبوحيان<sup>(١)</sup> — ومنهم : مقاتل، والطبري، والزجاج، والنحاس، والسمرقندي، والواحدي، والسمعاني، والبيغوي، والزمخشري، والرازي، والبيضاوي، والنسفي، والحازن، والقمي، وأبوحيان، والسمن، وابن كثير، والبقاعي، والسيوطي، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والقاسمي، والسيد رشيد رضا، والمراخي، والسعدي، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي<sup>(٢)</sup>.

وذكره القرطبي بصيغة ( قيل )<sup>(٣)</sup> .

ودلّ على هذا قوله تعالى : ﴿ إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾ . قاله القرطبي<sup>(٤)</sup> .

ويوضح ذلك : أنه تقدّم قوله : ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾ فقابل النفع بقوله :

﴿ لَأَسْتَكَرَّتْ مِنَ الْخَيْرِ ﴾ وقابل الضر بقوله : ﴿ وَمَا مَسَّنِي السُّوءُ ﴾ .

ولأن المترتب على تقدير علم الغيب كلاهما وهما اجتلاب النفع واجتتاب الضر . قاله

أبوحيان<sup>(٥)</sup> .

وأما القول الثاني في تفسير السوء بالجنون، فمنسوب إلى الحسن<sup>(٦)</sup> . وعليه محمود

(1) ينظر : البحر المحيط ( ٤ / ٤٣٧ ) .

(2) ينظر : تفسير مقاتل ( ٢ / ٧٩ ) ، وجامع البيان ( ١٠ / ٦١٧ ) ، ومعاني القرآن وإعرابه ( ٢ / ٣٩٤ ) ، ومعاني القرآن الكريم ( ٣ / ١١٣ ) ، وبحر العلوم ( ١ / ٥٨٧ ) ، والوجيز ( ١ / ٤٢٥ ) والوسيط ( ٢ / ٤٣٤ ) ، وتفسير القرآن ( ٢ / ٢٣٨ ) ، ومعالم التنزيل ( ٢ / ١٧٨ ) ، والكشاف ( ٢ / ٥٤٠ ) ، ومفاتيح الغيب ( ٥ / ٤٢٦ ) ، وأنوار التنزيل ( ١ / ٣٧١ ) ، ومدارك التنزيل ( ٢ / ٨٩ ) ، ولباب التأويل ( ٢ / ١٥٤ ) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان ( ٣ / ٣٥٩ ) ، والبحر المحيط ( ٤ / ٤٣٦ ) ، والدر المصون ( ٥ / ٥٣٢ ) ، وتفسير القرآن العظيم ( ٦ / ٤٧٨ ) ، ونظم الدرر ( ٨ / ١٨٨ ) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٣ / ١٥٨ ) ، وفتح القدير ( ٢ / ٣٩٢ ) ، وروح المعاني ( ٩ / ١٣٦ ) ، وفتح البيان ( ٥ / ٩٦ ) ، ومحاسن التأويل ( ٧ / ٢٩١٩ ) ، وتفسير القرآن الحكيم ( ٩ / ٤٤٧ ) ، وتفسير المراغي ( ٩ / ١٣٦ ) ، وتيسير الكريم الرحمن ( ٢ / ١٧٨ ) ، والتحرير والتنوير ( ٩ / ٢٠٨ ) ، والعذب النمير ( ٤ / ١٧٤٧ ) .

(3) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ( ٩ / ٤٠٨ ) .

(4) الجامع لأحكام القرآن ( ٩ / ٤٠٨ ) .

(5) البحر المحيط ( ٤ / ٤٣٦ ، ٤٣٧ ) .

(6) نسبه له ابن الجوزي كما في زاد المسير ( ٣ / ٣٠٠ ) .

النيسابوري، والقرطبي، والثعالبي<sup>(١)</sup> .

وعلى هذا القول تكون الجملة ﴿ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾ ابتدائية .

والسوء : الجنون بلغة هذيل<sup>(٢)</sup> .

ويدل له نحو قوله سبحانه : ﴿ مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ ﴾<sup>(٣)</sup> [سبأ : ٤٦] .

والمعنى : ليس بي جنون ؛ لأنهم نسبوه إلى الجنون<sup>(٤)</sup> .

وذكر هذا القول الزجاج ، والبغوي ، وأبوحيان ، والشوكاني بصيغة (قيل)<sup>(٥)</sup> .

واستبعده الرازي جداً ؛ لأنه يوجب تفكك نظم الآية<sup>(٦)</sup> .

قال أبوحيان : « وهذا القول فيه تفكيك لنظم الكلام واقتصار على أن يكون جواب

(لو) ﴿ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ ﴾ فقط ، وتقدير حصول علم الغيب يترتب عليه الأمران لا

أحدهما ، فيكون إذ ذاك جواباً قاصراً<sup>(٧)</sup> .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أولى القولين في الصواب من ذلك هو ما رجّحه ابن جزيّ

ومن وافقه ؛ لوجهته ، ولأن تفسير السوء بالجنون هنا فيه بعد ؛ لأن القرآن في مواضع

صرّح بنفي الجنون عن النبي ﷺ ، كقوله تعالى : ﴿ مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ جِنَّةٍ ﴾ [سبأ : ٤٦] ،

وقوله في الأعراف : ﴿ مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جِنَّةٍ ﴾ [١٨٤] . وقوله : ﴿ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴾<sup>(٨)</sup>

[التكوير] وقوله : ﴿ فَذَكَرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾<sup>(٩)</sup> [الطور] وقوله : ﴿ مَا

أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾<sup>(١٠)</sup> [القلم] ... وعليه فحمل السوء — هنا — على الجنون بعيد ،

والأولى أن يحمل على الضر والشر وما يدخل فيهما ، والله أعلم .

(1) ينظر : إيجاز البيان ( ٢٨٥ / ١ ) ، والجامع لأحكام القرآن ( ٤٠٨ / ٩ ) ، والجواهر الحسان ( ٥٩٣ / ١ ) .

(2) ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية ( ١٧١ / ٦ ) ، والمصدر السابق .

(3) قاله الثعالبي .

(4) الجامع لأحكام القرآن ( ٤٠٨ / ٩ ) .

(5) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ( ٣٩٤ / ٢ ) ومعالم التنزيل ( ١٧٩ / ٢ ) والبحر المحييط ( ٤٣٧ / ٤ ) وفتح القدير

( ٣٩١ / ٢ ) .

(6) ينظر : مفاتيح الغيب ( ٤٢٦ / ٥ ) .

(7) ينظر : البحر المحييط ( ٤٣٧ / ٤ ) .

ولما كان هذا القول هو اختيار أكثر المفسرين رجّحه ابن جُزَيّ واستحسنه على غيره ،  
وهذا مما يتأيد به هذا القول ويترجّح على غيره<sup>(١)</sup> ، والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل ( ٩ / ١ ) .

### المسألة الثانية هي :

٣٦- هل قوله تعالى ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يتعلّق بقوله ﴿نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾؟

أم يتعلّق بـ ﴿بَشِيرٌ﴾ وحدها؟

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : «﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يجوز أن يتعلّق بـ بشير ونذير معاً، أي : أبشر المؤمنين وأنذرهم . و خصّ بهم البشارة والندارة ؛ لأنهم هم الذين ينتفعون بها. ويجوز أن يتعلّق بالبشارة وحدها ، ويكون [ المتعلّق ] <sup>(١)</sup> بـ نذير محذوف <sup>(٢)</sup> أي : نذير للكافرين . والأول أحسن» <sup>(٣)</sup> .

### العرض والمناقشة :

جوّز ابن جُزَيِّ تعلق ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بـ ﴿نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ معاً ، و بـ بشير وحدها، واستحسن الأول . والمختار عند الكوفيين تعلقه بـ نذير ؛ لأنه الأسبق ، وعند البصريين تعلقه بـ بشير ؛ لأنه الثاني <sup>(٤)</sup> .

ووافق ابن جُزَيِّ على هذا : البيضاوي، وأبو حيان، والشوكاني، والقنوجي، والشنقيطي <sup>(٥)</sup> . وهو مفهوم كلام مقاتل، والواحدي، والسعدي <sup>(٦)</sup> .

قال الزمخشري : « لأن الندارة والبشارة إنما تنفعان فيهم <sup>(٧)</sup> . قال تعالى : ﴿وَمَا تُعْنِي

الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ » <sup>(٨)</sup> [ يونس ] .

ونظير الآية — على هذا التعليل — من القرآن :

قوله تعالى : ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾ [ق] مع أنه تذكير للأسود

(1) وقع في المطبوع : التعلّق . والصواب ما أثبتته كما في جميع النسخ الخطية .

(2) كذا في المطبوع ! وصوابه بالنصب لأنه خبر يكون .

(3) التسهيل لعلوم التنزيل ( ٢ / ٥٦ ، ٥٧ ) .

(4) ينظر : التبيان للعكبري ( ١ / ٦٠٧ ) ، والدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٥٣٣ ) .

(5) ينظر : أنوار التنزيل ( ١ / ٣٧١ ) ، والبحر المحيط ( ٤ / ٤٣٧ ) ، وفتح القدير ( ٢ / ٣٩٢ ) ، وفتح البيان

( ٥ / ٩٦ ) ، والعذب النمير ( ٤ / ١٧٤٨ - ١٧٤٩ ) .

(6) ينظر : تفسير مقاتل ( ٢ / ٧٩ ) ، والوجيز ( ١ / ٤٢٥ ) ، وتيسير الكريم الرحمن ( ٢ / ١٧٨ ) .

(7) ينظر : الكشف ( ٢ / ٥٤٠ ) .

(8) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان ( ٤ / ٤٣٧ ) .

والأحمر .

وقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا نُنذِرُ مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ ﴾ [يس : ١١] وهو منذر للأسود والأحمر .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ [فاطر : ١٨] وهو منذر للأسود

والأحمر .

فخصّوا في هذه الآية بالندارة والبشارة ؛ لأنهم هم المنتفعون بها ؛ لأن غير المنتفع بها هي في شأنه كلا شيء<sup>(١)</sup> .

وأما القول الثاني بأن قوله تعالى : ﴿ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ يتعلّق بشير وحدها ، وأن متعلّق الندارة محذوف ، فعليه ابن كثير ، والسيوطي ، والمراغي<sup>(٢)</sup> . وهو مفهوم كلام البغوي<sup>(٣)</sup> . وجوّزه الزمخشري ، والبيضاوي<sup>(٤)</sup> .

وذكره أبوحيان ، والشوكاني ، والقنوجي بصيغة ( قيل )<sup>(٥)</sup> .

واستدلوا على جواز حذف متعلّق الندارة بإثبات مقابله ، والتقدير : نذير للكافرين

وبشير لقوم يؤمنون ؛ كما حذف المعطوف في قوله : ﴿ سَرَّيْلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ ﴾ [النحل : ٨١] أي : والبرد<sup>(٦)</sup> .

ويؤيده قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا

﴿ ١٧ ﴾ [مریم] .

وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن كلا القولين جائز ، ولذا احتمل الوجهين ابن عطية ولم

يرجح بينهما ، وتبعه الثعالبي<sup>(٨)</sup> . وجوّزهما القاسمي<sup>(١)</sup> .

(١) ينظر : العذب النمير للشنقيطي ( ١٧٤٨ / ٤ - ١٧٤٩ ) .

(٢) ينظر : تفسير القرآن العظيم ( ٤٧٩ / ٦ ) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٣ / ١٥٨ ) ، وتفسير المراغي ( ١٣٧ / ٩ ) .

(٣) ينظر : معالم التنزيل ( ١٧٩ / ٢ ) .

(٤) ينظر : الكشف ( ٥٤٠ / ٢ ) ، وأنوار التنزيل ( ٣٧١ / ١ ) .

(٥) ينظر : البحر المحيط ( ٤٣٧ / ٤ ) ، وفتح القدير ( ٣٩٢ / ٢ ) ، وفتح البيان ( ٩٦ / ٥ ) .

(٦) ينظر : البحر المحيط ( ٤٣٧ / ٤ ) ، والدر المصون ( ٥٣٣ / ٥ ) .

(٧) ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ( ٤٧٩ / ٦ ) ، والعذب النمير للشنقيطي ( ١٧٤٧ / ٤ ) .

(٨) ينظر : المحرر الوجيز ( ١٧١ / ٦ ) ، والجواهر الحسان ( ٥٩٣ / ١ ) . وذكرهما النسفي والباقعي وأبوالسعود

ويرى الطاهر بن عاشور صحة القولين و قَصَدَ المعنيين ، وأن هذا من إعجازه فيقول :  
« وإنما قَدِّم وصف النذير على وصف البشير هنا ؛ لأن المقام خطاب المكذبين والمشركين ،  
فالندارة أعلق بهم من البشارة . وقوله : ﴿ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ يتنازعُ تعلقه كلُّ من نذير وبش ؛  
لأن الانتفاع بالأمرين يختص بالذين هميؤا إلى الإيمان بأن يتأملوا في الآيات وينهوا من أنفسهم  
ويقولوا الحق على آبائهم ، دون الذين جعلوا دَيْدَنَهُم التَكْذِيبَ والإِعْرَاضَ والمكابرة ،  
فالمضارع مراد به الحال والاستقبال كما هو شأنه ؛ ليشمل مَنْ هَيَأَ للإيمان حالاً ومآلاً ،  
وأما شموله لمن آمنوا فيما مضى فهو بدلالة فحوى الخطاب ؛ إذ هم أولى ، وهذا على حدِّ  
قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ يَخْشَاهَا ﴾ [النازعات] . وفي نظم الكلام على هذا الأسلوب  
من التنازع ، وإيلاء وصف ( البشير ) بقوم يؤمنون ، إيهام أن البشارة خاصة بالمؤمنين ،  
وأن متعلق الندارة المتروك ذكره في النظم هو لأضداد المؤمنين ، أي المشركين ، وهذا المعنى  
مقصود على نحو قوله تعالى : ﴿ لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُبَشِّرَ لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأحقاف]<sup>(٢)</sup>  
وهذه المعاني المستتبعات مقصود من القرآن ، وهي من وجوه إعجازه ؛ لأن فيها استفادة  
معانٍ وافرة من ألفاظ وجيزة »<sup>(٣)</sup> .

فإذا كان ذلك كذلك فإن لكل قول دليلاً من القرآن يدل عليه ، إلا أن الأقرب  
للظاهر أنه جلّ وعلا في هذه الآية ﴿ إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ خصَّ الندارة  
والبشارة بالمؤمنين دون غيرهم ؛ لأنهم هم المنتفعون بها . ويؤيده عدم الحاجة إلى تقدير  
محدوف<sup>(٤)</sup> ؛ لدلالة القرآن على ذلك في آي كثيرة ، والله تعالى أعلم .

والألوسي بالتساوي دون ترجيح . ينظر : مدارك التنزيل ( ٢ / ٨٩ ) ، ونظم الدرر ( ٨ / ١٨٨ ) ، وإرشاد

العقل السليم ( ٢ / ٣٣٠ ) ، وروح المعاني ( ٩ / ١٣٧ ) .

(1) ينظر : محاسن التاويل ( ٧ / ٢٩١٩ ) .

(2) (لتنذر) بالمشاة الفوقية خطاب للرسول ﷺ فيحصل وصفه بأنه منذر ، وهي قراءة نافع ، وابن عامر ، والبري عن

ابن كثير . وقراءة الجمهور بالمشاة التحتية على أنه خبر عن الكتاب . ينظر : التحرير والتنوير ( ٢٦ / ٢٦ ) .

(3) التحرير والتنوير ( ٩ / ٢٠٩ ) .

(4) ينظر : قواعد الترجيح ( ٢ / ٤٢١ ) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾  
فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَهُ لَهُمْ شُرَكَاءَ لِمَا شَرَكُوا فِيهَا إِنَّهُمَا قَعَلَا اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾  
في هذه الآية الكريمة ثلاثة مسائل :

### المسألة الأولى هي :

#### ٣٧- من المقصود بقوله تعالى : ﴿ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ ؟

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « ﴿ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ يعني : آدم . ﴿ زَوْجَهَا ﴾ يعني : حواء . وقيل : ﴿ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ هو قُصِيُّ بن كلاب وزوجته . و ﴿ جَعَلَهُ لَهُمْ شُرَكَاءَ ﴾ أي : سموا<sup>(١)</sup> أولادهما عبد العزى و عبد الدار و عبد مناف . وهذا القول بعيد ؛ لوجهين : أحدهما : أن الخطاب على هذا خاص بذرية قُصِيِّ من قريش ، والظاهر أن الخطاب عام لبني آدم . والآخر : أن قوله ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ فإن هذا يصح في حواء ؛ لأنها خلقت من ضلع آدم ، ولا يصح في زوجة قُصِيِّ »<sup>(٢)</sup> .

### العرض والمناقشة :

رجح ابن جزي أن آدم عليه السلام وزوجه حواء هما المقصودان والمعنيان في قوله تعالى : ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ . ووافق في هذا ما روي عن ابن عباس<sup>(٣)</sup> ، ومجاهد<sup>(٤)</sup> ، وقتادة<sup>(٥)</sup> ، والسدي<sup>(٦)</sup> ، والضحاك<sup>(٧)</sup> ،

(1) كذا في المطبوع . والصواب : سَمِيًّا كما في أكثر النسخ الخطية ، وفي واحدة منها فقط وافقت المطبوع .

(2) التسهيل لعلوم التنزيل ( ٥٧ / ٢ ) .

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ( ١٦٣١ / ٥ ) رقم ( ٨٦٣٦ ) من طريق خصيف ، عن سعيد بن جبير ، عنه .

في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا ﴾ قال : فلما تغشاهما آدم حملت .

(4) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦١٧ ) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦٣٠ ) رقم ( ٨٦٣٤ ) .

(5) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦١٧ ) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦٣١ ) رقم ( ٨٦٣٥ ) .

(6) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦٣٠ ) عقب الأثر ( ٨٦٣٤ ) .

(7) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦٣٠ ) رقم ( ٨٦٣٢ ) من طريق جويبر ، عنه .

وأبي مالك<sup>(١)</sup> .

وذهب إليه جمهور المفسرين ومنهم : مقاتل، والطبري، والزجاج، والنحاس،  
والسمرقندي، وابن أبي زمنين، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية،  
ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي، والرازي، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، والخازن،  
والقمي، وأبو حيان، وابن كثير، والثعالبي، والبقاعي، والسيوطي، وأبو السعود، والشوكاني،  
والألوسي، والقنوجي، والقاسمي، والسعدي، والشنقيطي<sup>(٢)</sup> .

ودليله قوله تعالى : ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ  
لِتَعَارَفُوا ﴾ [ الحجرات : ١٣ ] .

وقوله تعالى : ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا  
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ [ النساء : ١ ] .

وقوله تعالى : ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ . [ الزمر : ٦ ] .<sup>(٣)</sup>

ووجه دلالة هذه الآيات على أن المراد آدم وحواء في غاية الظهور .

- (1) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ( ١٦٣٠ / ٥ ) عقب الأثر ( ٨٦٣١ ) .
- (2) ينظر : تفسير مقاتل ( ٧٩ / ٢ ) ، وجامع البيان ( ٦١٧ / ١٠ ) ، ومعاني القرآن وإعرابه ( ٣٩٤ / ٢ ) ،  
ومعاني القرآن الكريم ( ١١٣ / ٣ ) ، و بحر العلوم ( ٥٨٨ / ١ ) ، وتفسير القرآن العزيز ( ١٥٨ / ٢ ) ،  
والوجيز ( ٤٢٥ / ١ ) والوسيط ( ٤٣٤ / ٢ ) ، وتفسير القرآن ( ٢٣٨ / ٢ ) ، ومعالم التنزيل ( ١٧٩ / ٢ ) ،  
والكشاف ( ٥٤٠ / ٢ ) ، والحرر الوجيز ( ١٧١ / ٦ ) — ونسبه إلى جمهور المفسرين — ، وإيجاز البيان  
( ٢٨٥ / ١ ) — وفيه فسّر النفس الواحدة بآدم ، وفسّر ( من زوجها ) : من كل نفس زوجها على طريق الجنس  
— ، وزاد المسير ( ٣٠٠ - ٣٠١ / ٣ ) ، ومفاتيح الغيب ( ٤٢٩ / ٥ ) — وقال عنه بأنه المشهور — ، والجامع  
لأحكام القرآن ( ٤٠٨ / ٩ ) — ونسبه لجمهور المفسرين — ، وأنوار التنزيل ( ٣٧١ / ١ ) ، ومدارك التنزيل  
( ٨٩ / ٢ ) ، ولباب التأويل ( ١٥٥ / ٢ ) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان ( ٣٥٩ / ٣ ) ، والبحر المحيط ( ٤ /  
٤٣٨ ) — وعزاه للجمهور — ، وتفسير القرآن العظيم ( ٤٧٩ / ٦ ) ، والجواهر الحسان ( ٥٩٣ / ١ ) ، ونظم  
الدرر ( ١٨٩ / ٨ ) ، وإرشاد العقل السليم ( ٣٣٠ / ٢ ) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ١٥٨ / ٣ ) ،  
وروح المعاني ( ١٣٧ / ٩ ) — وقال : على ما نصّ عليه الجمهور — ، وفتح القدير ( ٣٩٢ / ٢ ) — ونسبه  
لجمهور المفسرين — ، وفتح البيان ( ٩٧ / ٥ ) ، ومحاسن التأويل ( ٢٩١٩ / ٧ ) ، وتيسير الكريم الرحمن ( ٢ /  
١٧٩ ) ، وأضواء البيان ( ٣٤٠ / ٢ ) والعذب النمير ( ١٧٤٩ / ٤ ) .
- (3) ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ( ٤٧٩ / ٦ ) ، والمصدر الأخير .

وأما القول الثاني في معنى قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ بأنه قُصَيٌّ بن كلاب وزوجته ، فذكره الرّمخشري وقال عنه : « وهذا تفسير حسن لا إشكال فيه »<sup>(١)</sup> . وقال : « الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله ﷺ ، وهم آل قصي ، ألا ترى إلى قوله في قصة أم مَعْبُد :

فَيَا لَقُصَيٍّ مَا زَوَى اللَّهُ عَنْكُمْ بِهِ مِنْ فَخَارٍ لَا يُبَارَى وَ سُؤْدَدٍ »<sup>(٢)</sup> .

وذكره الرازي أيضاً على أنه وجه صحيح سليم خالٍ من الإشكال !!<sup>(٣)</sup>

وذكره أبوحيان بصيغة ( قيل )<sup>(٤)</sup> .

واستبعده ابن جُزَيٍّ؛ لوجهين :

الأول : لبعده عن ظاهر القرآن ، فإن الخطاب عام لبني آدم وليس خاصاً بذرية قصي

من قريش .

والثاني : لأن التي خلقت من زوجها وجعلت منه هي حواء .

وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن القول الصحيح هو أن المراد بالنفس الواحدة آدم عليه

السلام ، و أن المراد بزوجها حواء . ويؤيده أنه ظاهر القرآن ، ولا يجوز العدول عن

ظاهره إلاّ بدليل<sup>(٥)</sup> . كما يتأيد بأنه قول السلف<sup>(٦)</sup> ، وجمهور المفسرين<sup>(٧)</sup> ، وهذا ما رجّحه

ابن جُزَيٍّ ، والله تعالى أعلم .

(1) الكشاف ( ٢ / ٥٤١ ) .

(2) البيت للفرزدق . ينظر : ديوانه ( ١ / ١٧٣ ) ، والدر المصون ( ١ / ٢٣١ ) .

(3) ينظر : مفاتيح الغيب ( ٥ / ٤٢٨ ) .

(4) ينظر : البحر المحيط ( ٤ / ٤٣٩ ) .

(5) ينظر : قواعد الترجيح ( ١ / ١٣٧ ) .

(6) ينظر : المصدر السابق ( ١ / ٢٧١ ) .

(7) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل ( ١ / ٩ ) .

## المسألة الثانية :

### ٣٨- الخلاف في معنى الحمل الخفيف .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « أي : خَفَّ عليها ولم تَلْقَ منه ما يَلْقَى بعض الحوامل من حملهن من الأذى والكرب . وقيل : الحمل الخفيف المنيُّ في فرجها »<sup>(١)</sup> .

#### العرض والمناقشة :

رَجَّح ابن جُزَيِّ أن قوله تعالى : ﴿ حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيفًا ﴾ معناه : خَفَّ عليها حملها ولم تَلْقَ منه من الأذى والكرب ما يلقاه بعض الحوامل من حملهن . وعلى هذا المعنى مقاتل، والنحاس، والزمخشري، والنسفي، وأبو حيان<sup>(٢)</sup> . وكأن السيد رشيد رضا يميل إليه<sup>(٣)</sup>، وكذا المراغي<sup>(٤)</sup> . وجوزّه الألويسي<sup>(٥)</sup> .

وذكره القمّي ، والشوكاني بصيغة ( قيل )<sup>(٦)</sup> .

قال الزمخشري : « وقد تسمع بعضهن تقول في ولدها : ما كان أخفّه على كبدي حين حملته »<sup>(٧)</sup> .

ويؤيده قوله تعالى : ﴿ فَمَرَّتْ بِهِ ﴾ على تفسير مَرَّتْ بـ استمرت بذلك الحمل تقوم وتقع وتعضي في حوائجها ، لا تجد به ثقلاً ولا مشقة ولا كلفة<sup>(٨)</sup> .

وردّ هذا القول أبو السعود بقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ ﴾ إذ معناه : فلما صارت ذات ثقل لكبير الولد في بطنها ، ولا ريب في أن الثقل بهذا المعنى ليس مقابلاً للطفة بالمعنى المذكور، إنما يقابلها الكرب الذي يعترى بعضهن من أول الحمل إلى آخره دون بعض

(1) التسهيل لعلوم التنزيل ( ٥٧ / ٢ ) .

(2) ينظر : تفسير مقاتل ( ٧٩ / ٢ ) ، ومعاني القرآن الكريم ( ١١٣ / ٣ ) ، والكشاف ( ٥٤١ / ٢ ) ، ومدارك التنزيل ( ٩٠ / ٢ - ٩١ ) ، والبحر المحيط ( ٤٣٩ / ٤ ) .

(3) ينظر : تفسير القرآن الحكيم ( ٤٥١ / ٩ ) .

(4) ينظر : تفسير المراغي ( ١٣٩ / ٩ ) .

(5) ينظر : روح المعاني ( ١٣٨ / ٩ ) .

(6) ينظر : غرائب القرآن و رغائب الفرقان ( ٣٦٠ / ٣ ) ، وفتح القدير ( ٣٩٢ / ٢ ) .

(7) الكشاف ( ٥٤١ / ٢ ) .

(8) ينظر : فتح البيان للقتوجي ( ٩٧ / ٥ ) .

أصلاً<sup>(١)</sup>.

وأما القول الثاني بأن المراد بالحمل الخفيف هو المنى في فرجها ، فهو معنى ما رُوِيَ عن السدّي قال : « هي النطفة »<sup>(٢)</sup>.

وذهب إليه أكثر المفسرين ومنهم : الفراء ، والطبري ، والزجاج ، والسمرقندي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، وابن عطية ، ومحمود النيسابوري ، وابن الجوزي ، والرازي ، والخازن ، والقمي ، وابن التركماني ، وابن كثير ، والثعالبي ، والبقاعي ، والسيوطي ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والآلوسي ، والقنوجي ، والقاسمي ، والسعدي ، والطاهر بن عاشور ، والشنقيطي<sup>(٣)</sup>.

وذكره الزمخشري بصيغة ( قيل )<sup>(٤)</sup>.

قال الطبري : « يعني بخفّة الحمل الماء الذي حملته حواء في رحمها من آدم ، أنه كان حملاً خفيفاً ، وكذلك هو حمل المرأة ماء الرجل ؛ خفيف عليها »<sup>(٥)</sup>.

وقال الشنقيطي : « العادة في أول الحمل أن يكون نطفة فعلاقة فمضغة ، يكون خفيفاً كأنها ليس في بطنها شيء تذهب وتجيء ولا تجد ثقلاً له إلى حوالي خمسة أشهر »<sup>(٦)</sup>.

ودل عليه قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَثَقَلَتْ ﴾ فإن معناه : فلما صارت ذات ثقل لكبر الولد

(1) ينظر : إرشاد العقل السليم ( ٣٣١ / ٢ ) .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ٦١٨ / ١٠ ) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ( ١٦٣١ / ٥ ) رقم ( ٨٦٤٠ ) من طريق أسباط ، عنه .

(3) ينظر : معاني القرآن ( ٤٠٠ / ١ ) ، وجامع البيان ( ٦١٨ / ١٠ ) ، ومعاني القرآن وإعرابه ( ٣٩٥ / ٢ ) ، وبحر العلوم ( ٥٨٨ / ١ ) ، والوجيز ( ٤٢٥ / ١ ) والوسيط ( ٤٣٤ / ٢ ) ، وتفسير القرآن ( ٢٣٨ / ٢ ) ، ومعالم التنزيل ( ١٧٩ / ٢ ) ، والمحزر الوجيز ( ١٧١ / ٦ ) ، وإيجاز البيان ( ٢٨٥ / ١ ) ، وزاد المسير ( ٣٠١ / ٣ ) ، ومفاتيح الغيب ( ٤٣٠ / ٥ ) ، ولباب التأويل ( ١٥٥ / ٢ ) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان ( ٣٦٠ / ٣ ) ، وبهجة الأريب ( ٢٣٢ / ١ ) ، و تفسير القرآن العظيم ( ٤٧٩ / ٦ ) ، والجواهر الحسان ( ٥٩٣ / ١ ) ، ونظم الدرر ( ١٩٠ / ٨ ) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٣ / ١٥٩ ) ، وإرشاد العقل السليم ( ٣٣١ / ٢ ) ، وفتح القدير ( ٣٩٢ / ٢ ) ، وروح المعاني ( ١٣٨ / ٩ ) ، وفتح البيان ( ٩٧ / ٥ ) ، ومحاسن التأويل ( ٢٩٢٠ / ٧ ) ، وتيسير الكريم الرحمن ( ١٧٩ / ٢ ) ، والتحرير والتنوير ( ٢١٢ / ٩ ) ، والعذب النمير ( ١٧٧٠ / ٤ ) .

(4) ينظر : الكشف ( ٥٤١ / ٢ ) .

(5) جامع البيان ( ٦١٨ / ١٠ ) .

(6) العذب النمير ( ١٧٧٠ / ٤ ) .

في بطنها . قاله أبو السعود<sup>(١)</sup> .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أولى القولين بالصواب من ذلك هو قول من قال : إن الحمل الخفيف هو ما كان في مباديء الأمر ؛ فإنه عند كونه نطفة أو علقة أو مضغة أخفّ عليها بالنسبة إلى ما بعد ذلك من المراتب<sup>(٢)</sup> ، ولذلك قال بعده : ﴿ فَلَمَّا أَثَقَّلت ﴾ . أي : فلما ثقل حملها ؛ لأنه كان في أول الأمر خفيفاً ، وليس المعنى أنها لم تلقَ منه أذىً ولا كرباً . وهذا هو معنى قول السدّي ، واختيار جمهور المفسرين<sup>(٣)</sup> .  
وعليه فإن ما رجّحه ابن جُزَيّ يعدّ مرجوحاً، والله أعلم .

(1) إرشاد العقل السليم ( ٢ / ٣٣١ ) . وينظر : فتح القدير للشوكاني ( ٢ / ٣٩٢ ) ، وفتح البيان للفتنوجي ( ٥ / ٩٨ ) .

(2) ينظر : إرشاد العقل السليم ( ٢ / ٣٣١ ) .

(3) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل لابن جُزَيّ ( ١ / ٩ ) .

### المسألة الثالثة هي :

#### ٣٩- الخلاف في تفسير قوله تعالى : ﴿ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ .

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « أي : لما آتاهما - آدم وحواء - ولدًا صالحًا كما طلبا : جعل أولادهما له شركاء . فالكلام على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه . وكذلك ﴿ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ أي : فيما أتى أولادهما وذريتهما . وقيل : إن حواء لما حملت جاءها إبليس وقال لها : إن أطعتيني وسميت<sup>(١)</sup> ما في بطنك عبد الحارث ، فأخلصه لك ، وكان اسم إبليس الحارث ، وإن عصيتني في ذلك قتلته ، فأخبرت بذلك آدم ، فقال لها : إنه عدونا الذي أخرجنا من الجنة ، فلما ولدت مات الولد ثم حملت مرة أخرى فقال لها إبليس مثل ذلك ، فعصته فمات الولد ثم حملت مرة ثالثة فسمياه عبد الحارث طمعًا في حياته . فقوله : ﴿ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ أي : في التسمية لا غير ، لا في عبادة غير الله . والقول الأول أصح لثلاثة أوجه :

أحدها : أنه يقتضي براءة آدم وزوجه من قليل الشرك وكثيره ، وذلك هو حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

والثاني : أنه يدل على أن الذين أشركوا هم أولاد آدم وذريته ؛ لقوله تعالى :

﴿ فَتَعَلَى اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ بضمير الجمع .

والثالث : أن ما ذكروا من قصة آدم وتسميته الولد عبد الحارث يفتقر إلى نقل بسند

صحيح، وهو غير موجود في تلك القصة .

وقيل : ﴿ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ هو قصي بن كلاب وزوجته و ﴿ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ ﴾

أي: سموا أولادهما عبد العزى وعبد الدار وعبد مناف . وهذا القول بعيد لوجهين :

أحدهما : أن الخطاب على هذا خاص بذرية قصي من قريش ، والظاهر أن الخطاب

عام لبني آدم . والآخر : أن قوله ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ، فإن هذا يصح في حواء ؛ لأنها

خلقت من ضلع آدم ، ولا يصح في زوجة قصي «<sup>(٢)</sup>» .

(1) كذا في المطبوع . والصواب : وسميتي ، بإثبات الباء .

(2) التسهيل لعلوم التنزيل ( ٢ / ٥٧ ) .

### العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابنُ جُزَيٍّ أَنَّ الشَّرْكََ إِنَّمَا وَقَعَ فِي أَوْلَادِ آدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَقَعْ مِنْ آدَمَ وَحَوَاءِ شَرِكٌ . وَوَأَفَقَ فِي هَذَا مَا رُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ : إِنَّمَا عَنَى بِهِ ذُرِّيَّةَ آدَمَ مَنْ أَشْرَكَ مِنْهُمْ بَعْدَهُ<sup>(١)</sup> .

وُنُسِبَ هَذَا الْقَوْلُ إِلَى عِكْرَمَةَ<sup>(٢)</sup> ، وَقَتَادَةَ<sup>(٣)</sup> ، وَابْنِ الْأَنْبَارِيِّ<sup>(٤)</sup> .  
وَالِيهِ ذَهَبَ النَّحَّاسُ<sup>(٥)</sup> . وَعَلَيْهِ الزَّمَخْشَرِيُّ ، وَابْنُ الْعَرَبِيِّ ، وَالْقُرْطُبِيُّ ، وَابْنُ كَثِيرٍ ، وَالْبَيْضَاوِيُّ ، وَالْبَقَاعِيُّ ، وَأَبُو السَّعُودِ ، وَالْأَلُوسِيُّ ، وَالسَّيِّدُ مُحَمَّدُ رَشِيدُ رِضَاءِ ، وَالْمِرَاغِيُّ ، وَالسَّعْدِيُّ ، وَالطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ ، وَالشَّنَقِيطِيُّ<sup>(٦)</sup> .

(1) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ( ٢٤٥ / ١ ) ، والطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦٢٩ ) من طريق معمر ، عنه .  
وصحح إسناده ابن كثير . وأخرج الطبري ( ١٠ / ٦٢٩ ) من طريق عمرو ، عنه قال : كان هذا في بعض أهل الملل ، ولم يكن بآدم .

(2) نسبه إليه النحاس في معاني القرآن الكريم ( ٣ / ١١٦ ) ، والسمعاني في تفسير القرآن ( ٢ / ٢٤٠ ) ، والبغوي في معالم التنزيل ( ٢ / ١٨٢ ) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ( ٩ / ٤١١ ) .

(3) نسبه إليه الجصاص في أحكام القرآن ( ٤ / ٢١٢ ) ، والمواردي في النكت والعيون ( ٢ / ٢٨٧ ) ، وابن الجوزي في زاد المسير ( ٣ / ٣٠٣ ) .

(4) نسبه إليه ابن الجوزي كما في زاد المسير ( ٣ / ٣٠٤ ) .

(5) ينظر : معاني القرآن الكريم ( ٣ / ١١٦ ) . قال النحاس : والتقدير على هذا : الجنس كله ، أي : خلق كلِّ

واحد منكم من نفس واحدة ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا ﴾ أي : من جنسها ﴿ زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا ﴾ على الجنس كله ، وكذا ﴿ دَعَا ﴾ يراد به الجنسان الكافران ثم حُمِلَ ﴿ فَتَعَلَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ على معنى الجميع . فهذا أولى — والله أعلم — من أن ينسب إلى الأنبياء عليهم السلام مثل هذا . وينظر : إعراب القرآن له ( ٢ / ٥٤١ ) .

(6) ينظر : الكشاف ( ٢ / ٥٤١ ) ، وأحكام القرآن ( ٢ / ٨٠٩ ) ، والجامع لأحكام القرآن ( ٩ / ٤١١ ) ، وتفسير القرآن العظيم ( ٦ / ٤٨١ - ٤٨٥ ) — وقال : وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله في هذا ، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء ، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته — ، وأنوار التنزيل ( ١ / ٣٧٢ ) ، ونظم الدرر ( ٨ / ١٩١ ) ، وإرشاد العقل السليم ( ٢ / ٣٣١ ) ، وروح المعاني ( ٩ / ١٣٩ ) ، وتفسير القرآن الحكيم ( ٩ / ٤٥٢ ، ٤٥٣ ) — واختار أنه الجنس لا فردين معينين — ، وتفسير المراغي ( ٩ / ١٣٨ ) — متابعاً لأستاذه وشيخه — ، وتيسير الكريم الرحمن ( ٢ / ١٧٩ ) ، والتحرير والتنوير ( ٩ / ٢١٣ ) ، وأضواء البيان ( ٢ / ٣٤١ ) والعذب النمير ( ٤ / ١٧٧٣ ) .

وهو مفهوم كلام الرازي، والقمي<sup>(١)</sup>. ومال إليه السمين<sup>(٢)</sup>.  
 واستحسنه السمعاني<sup>(٣)</sup>، والبغوي<sup>(٤)</sup> ولم يرجحاه .  
 وذكره الزجاج ، وابن الجوزي بصيغة ( قيل )<sup>(٥)</sup> .

قالوا : في الآية — على هذا القول — انتقال من النوع إلى الجنس ، فإن أول الكلام في آدم وحواء ثم انتقل الكلام في الجنس<sup>(٦)</sup> .

قال ابن العربي : « والقول الأشبه بالحق أن المراد بهذا جنس الآدميين . وهذا أقرب للصدق وهو ظاهر الآية وعمومها الذي يشمل جميع متناولاتها ويسلم فيها الأنبياء عن النقص الذي لا يليق بجهال البشر ، فكيف بساداتهم وأنبيائهم ! »<sup>(٧)</sup> .

واستدل لهذا القول بأنه حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ، وهو استعمال عربي معروف ، فحذف الأولاد وأقام آدم وحواء مقامهم وهذا كثير في القرآن ومنه :

— قوله تعالى لبني إسرائيل في زمن النبي ﷺ : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ

الْمَنَ وَالسَّلْوَى ﴾ [ البقرة : ٥٧ ] .

— وقوله لهم أيضاً : ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ﴾ [ البقرة : ٦٣ ] .

— وقوله لهم أيضاً : ﴿ ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ ﴾ [ البقرة : ٩٢ ] .

— وقوله لهم أيضاً : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا ﴾ [ البقرة : ٧٢ ] .

فالخطاب في هذه الآيات لليهود الذين كانوا في عهد النبي ﷺ، وكان الفعل من

(1) ينظر : مفاتيح الغيب ( ٤٢٨ / ٥ ) ، وغرائب القرآن وغرائب الفرقان ( ٣ / ٣٥٩ - ٣٦٠ ) متابعاً للرازي .

(2) ينظر : الدر المصون ( ٥ / ٥٣٥ ) .

(3) ينظر : تفسير القرآن ( ٢ / ٢٤٠ ) .

(4) ينظر : معالم التنزيل ( ١٨٢ / ٢ ) قال : وهذا قول حسن لولا قول السلف مثل عبد الله بن عباس — رضي الله عنهما — ومجاهد وسعيد بن المسيب وجماعة المفسرين أنه في آدم وحواء .

(5) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ( ٢ / ٣٩٥ ) ، وتذكرة الأريب ( ١ / ١٩٥ ) .

(6) ينظر : معاني القرآن الكريم للنحاس ( ٣ / ١١٦ ) ، وأحكام القرآن لابن العربي ( ٢ / ٨٠٩ ) ، وتيسير الكريم الرحمن ( ٢ / ١٧٩ ) .

(7) أحكام القرآن ( ٢ / ٨٠٩ ) .

آبائهم<sup>(١)</sup> .

قال الشنقيطي : « أسند فعل الذرية إلى آدم وحواء ؛ لأنهما أصل لذريتهما كما قال : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾ [ الأعراف : ١١ ] أي : بتصويرنا لأبيكم آدم ؛ لأنه أصلهم بدليل قوله بعده : ﴿ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَكِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ [ الأعراف : ١١ ] .

والدليل من القرآن على أنه أطلق آدم وحواء وأراد ذريتهما أنه قال بعده : ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ثم قال : ﴿ أَيُّشْرِكُونَ ﴾ — بصيغة الجمع — ﴿ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ [ الأعراف ] ثم ذكر علامات الأصنام التي يُشرك بها أولادهم كما هو واضح . وهذا نص قرآني صريح في أن المراد المشركون من بني آدم ، لا آدم وحواء<sup>(٢)</sup> . كما استدل ابن جزيّ على صحة هذا القول ببطلان القصة المذكورة في تسمية ولديهما عبد الحارث ؛ لافتقارها إلى نقلٍ بسندٍ صحيح .

وأما القول الثاني في قوله تعالى : ﴿ جَعَلْنَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَيْنَاهُمَا ﴾ = وهو أن المعنى المراد : أن آدم وحواء أشركا في التسمية فقط ، ولم يشركا في عبادة غير الله . فمعنى قوله : ﴿ جَعَلْنَا لَهُ شُرَكَاءَ ﴾ أي : بتسميته عبد الحارث ، والحارث من أسماء الشيطان ، فسمّياه عبد الحارث طمعاً في حياته . فالشرك الواقع منهما إنما هو في التسمية وليس في العبادة = فهو قولٌ رُوِيَ عن ابن عباس<sup>(٣)</sup> ، وأبي بن كعب<sup>(٤)</sup> ، وسمرة بن جندب<sup>(٥)</sup> ، ومجاهد<sup>(٦)</sup> ، وسعيد بن جبير<sup>(٧)</sup> ،

(1) ينظر : معالم التنزيل للبغوي ( ٢ / ١٨٢ ) ، والعذب النمير للشنقيطي ( ٤ / ١٧٧٣ ) .

(2) أضواء البيان ( ٢ / ٣٤١ ) ، والعذب النمير ( ٤ / ١٧٧٣ ) بتصرف يسير .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦٢٤ ) وفي تاريخه ( ١ / ١٤٨ ، ١٤٩ ) من طريق ابن إسحاق ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عنه . وأخرجه أيضاً في جامع البيان ( ١٠ / ٦٢٤ ) من طريق عطية العوفي ، عنه . وأخرجه أيضاً في جامع البيان ( ١٠ / ٦٢٤ ) من طريق ابن جريج ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦٣٤ ) رقم ( ٨٦٥٤ ) من طريق شريك ، عن خصيف ، عن سعيد ، عنه .

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦٣٣ ) رقم ( ٨٦٥٣ ) من طريق قتادة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عنه .

(5) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦٢٣ ، ٦٢٤ ) من طريق سليمان التيمي ، عن أبي العلاء ابن الشخير ، عنه .

(6) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦٢٦ ) من طريق ابن أبي نجيح ، عنه .

(7) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦٢٦ ، ٦٢٧ ) من طريق سالم بن أبي حفصة وعبد الملك ، عنه .

وعكرمة<sup>(١)</sup>، والكلبي<sup>(٢)</sup>، وقتادة<sup>(٣)</sup>، والسدي<sup>(٤)</sup>، وابن زيد<sup>(٥)</sup>، وبكر ابن عبد الله المزني<sup>(٦)</sup>.  
ونسب إلى ابن المسيب<sup>(٧)</sup>.

وعليه مقاتل، والفراء، وابن قتيبة، والطبري، والسمرقندي، وابن أبي زمنين،  
والواحدي، والسمعاني، والبغوي، وابن عطية، وابن الجوزي، والخازن، والسيوطي،  
والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي<sup>(٨)</sup>.  
وذكره البيضاوي بصيغة ( قيل )<sup>(٩)</sup>.

واستدلوا له بما روى الحسن، عن سُمرة بن جندب، عن النبي ﷺ قال: ( كانت  
حواء لا يعيش لها ولد، فنذرت لئن عاش لها ولد لتسمينه عبد الحارث، فعاش لها ولد،

- (1) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦٢٥ ) من طريق هارون، عن الزبير بن الحرّيت، عنه.
- (2) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ( ١ / ٢٤٥ ) عن معمر، عن الكلبي وقتادة.
- (3) أخرجه عبد الرزاق كما مرّ، والطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦٢٥ ) من طريق معمر، عن قتادة وحده.
- (4) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦٢٧ )، وابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦٣٤ ) رقم ( ١٦٥٧ ) من طريق أسباط، عنه.
- (5) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦٣٢ ) من طريق ابن وهب، عنه. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦٣٥ ) رقم ( ٨٦٦٤ ) من طريق أصبغ، عنه.
- (6) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦٣٤ ) رقم ( ٨٦٥٨ ) من طريق معتمر بن سليمان، عن أبيه، عنه.
- (7) نسبه إليه البغوي في معالم التنزيل ( ٢ / ١٨٢ ) .
- (8) ينظر: تفسير مقاتل ( ٢ / ٨٠ )، ومعاني القرآن ( ١ / ٤٠٠ )، وتأويل مشكل القرآن ( ٢٥٨ - ٢٥٩ ) — ونسب ذلك إلى المفسرين —، وجامع البيان ( ١٠ / ٦٢٩ )، وبحر العلوم ( ١ / ٥٨٨ ) — وذهب السمرقندي، عفا الله عنه، إلى أبعد من نسبة آدم وحواء إلى الشرك في الاسم!! فقال في آخر تفسير الآية بعد أن قرر أن معنى ﴿شُرَكَاءٌ﴾ أي: في التسمية، قال: فضرب الله تعالى بهذا مثلاً للكفار، يعني: كما أن آدم وحواء أعطاهما ورزقهما فأشركوا في عبادته. ا. هـ. ولم يقع من آدم وحواء شرك في عبادته تعالى بالإجماع —، وتفسير ابن أبي زمنين ( ٢ / ١٥٨ )، والوجيز ( ١ / ٤٢٥ - ٤٢٦ ) والوسيط ( ٢ / ٤٣٥ )، وتفسير القرآن ( ٢ / ٢٣٩ )، ومعالم التنزيل ( ٢ / ١٨١ )، والمحزر الوجيز ( ٦ / ١٧٣ )، وتذكرة الأريب ( ١ / ١٩٥ )، ولباب التناويل ( ٢ / ١٥٦ )، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٣ / ١٥٩ )، وفتح القدير ( ٢ / ٣٩٣ )، وروح المعاني ( ٩ / ١٤٢ )، وفتح البيان ( ٥ / ٩٩ ) . وقصره القنوجي على حواء فقط ونفاه عن آدم عليه السلام وقال: قد يسند فعل الواحد إلى اثنين بل إلى جماعة وهو شائع في كلام العرب، وفي الكتاب العزيز من ذلك الكثير الطيب.
- (9) ينظر: أنوار التنزيل ( ١ / ٣٧٢ ) وقال: وأمثال ذلك لا تليق بالأنبياء.

فسمّته عبد الحارث ، وإنما كان ذلك عن وَحْيِ الشيطان (١) .

وأجيب عن هذا الحديث بأنه معلول من ثلاثة أوجه — كما قاله ابن كثير (٢) — :

الأول : أن في إسناده عمر بن إبراهيم البصري ، وثقه ابن معين لكن قال أبو حاتم

الرازي : لا يحتج به .

الثاني : أنه قد رُوِيَ من قول سمرة نفسه ، وليس مرفوعاً .

الثالث : أن الحسن نفسه فسّر الآية بغير هذا ، فلو كان هذا عن سمرة مرفوعاً لما

عدل عنه . فرَوَى عنه ابن جرير الطبري بأسانيد صحيحة أنه قال : « كان هذا في بعض أهل

الملل ، ولم يكن بآدم » . رواه عنه عمرو .

وقال : « عنى بها ذرية آدم ، ومن أشرك منهم بعده » . رواه عنه معمر .

وقال : « هم اليهود والنصارى ، رزقهم الله أولاداً فهوّدوا ونصّروا » . رواه عنه قتادة .

قال ابن كثير : « وهو من أحسن التفاسير ، وأولى ما حملت عليه الآية ، ولو كان هذا

الحديث عنده محفوظاً عن رسول الله ﷺ لما عدل عنه هو ولا غيره لا سيما مع تقواه لله

وورعه . فهذا يدل على أنه موقوف على الصحابي ، ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل

الكتاب من آمن منهم ، مثل كعب أو وهب بن منبه وغيرهما ، وأما الآثار فيظهر عليها أنها

من آثار أهل الكتاب . اهـ .

واستدل الطبري لهذا القول بإجماع الحجّة من أهل التأويل على ذلك (٣) .

ومقصوده بذلك الأكثر ؛ لأنه روى عن الحسن خلاف ذلك .

كما استدلوا على أن تسمية آدم وحواء ولديهما عبد الحارث ليس بشرك في العبادة

وإنما هو شرك في الاسم ، بإطلاق اسم العبد على من لا يراد به أنه مملوك كما قال الشاعر :

(1) أخرجه أحمد في مسنده ( ١١ / ٥ ) ، والترمذي في سننه ( ٣٠٧٧ ) في تفسير سورة الأعراف ، وابن جرير

الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦٢٣ ) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦٣١ ) رقم ( ٨٦٣٧ ) .

(٢) ( ٦٨٩٥ / ٧ ) ، والحاكم في مستدركه ( ٢ / ٥٤٥ ) ، وابن عدي في الكامل ( ٥ / ١٧٠٠ ) وغيرهم من طريق

عمر بن إبراهيم العبدي ، عن قتادة ، عن الحسن به . وعمر بن إبراهيم صدوق ، في حديثه عن قتادة ضعف

كما في التقريب لابن حجر ( ٤١٠ ) . وقال الترمذي : « هذا حديث حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث

عمر بن إبراهيم عن قتادة . ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه » .

(2) ينظر : تفسير القرآن العظيم ( ٦ / ٤٨١ - ٤٨٥ ) .

(3) ينظر : جامع البيان ( ١٠ / ٦٢٩ ) .

وإني لعبدُ الضيفِ ما دام ثاوياً ومافِيَّ إلاّ تلك من شيمة العبدِ<sup>(١)</sup>  
قال الخازن : « أخبر عن نفسه أنه عبد الضيف ما أقام عنده مع بقاء الحرية عليه ،  
وإنما أراد بالعبودية خدمة الضيف والقيام بواجب حقوقه كما يقوم العبد بواجب حقوق  
سيده »<sup>(٢)</sup>.

وقال السمعاني : « كيف يقول : ﴿ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ ﴾ وآدم كان نبياً معصوماً عن  
الإشراك بالله ؟ قيل : لم يكن هذا إشراكاً في التوحيد ، وإنما ذلك إشراك في الاسم ، وذلك  
لا يقدر في التوحيد ، وهو مثل تسمية الرجل ولده عبد يغوث وعبد زيد وعبد عمرو ،  
وقول الرجل لصاحبه : أنا عبدك ، وعلى ذلك قول يوسف — صلوات الله عليه — : ﴿ إِنَّهُ  
رَبِّي أَحْسَنَ مَنَوَايَ ﴾ [ يوسف : ٢٣ ] ومثل هذا لا يقدر »<sup>(٣)</sup>.

وأجيب عن هذا الجواب بأن آدم عليه السلام كان علماً في علم الأسماء والمسميات ،  
فعدم علمه بإبليس واسمه ، واتباعه إياه في مثل هذا الشأن الخطير أمر قريب من المحال ، والله  
تعالى أعلم بحقيقة الحال . قاله أبو السعود<sup>(٤)</sup>.

كما أشكل على هذا القول قوله تعالى في آخر الآية : ﴿ فَتَعَلَى اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾  
ويجاب عن هذا الإشكال بأن الخبر عن آدم وحواء قد انقضى عند قوله : ﴿ جَعَلَا لَهُ  
شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ ثم استؤنف قوله : ﴿ فَتَعَلَى اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ .  
قال السدي عن آخر هذه الآية : هذه فصلٌ من آية آدم ، خاصة في آلهة العرب<sup>(٥)</sup> .  
وأما السمعاني فإنه قال : « وأما قوله : ﴿ فَتَعَلَى اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ابتداء كلام بعد

(1) ينظر : الوسيط للواحد ( ٤٣٥ / ٢ ) ، ولباب التأويل للخازن ( ١٥٦ / ٢ ) ، وزاد المسير لابن الجوزي  
( ٣٠٣ / ٣ ) ، وفتح القدير للشوكاني ( ٣٩٣ / ٢ ) . والبيت للمقنع الكندي وهو في الحماسة ( ١١٨٠ / ٣ ) ،  
والأمالي ( ٢٧٧ / ١ ) . ونسبه الشوكاني إلى حاتم الطائي .

(2) لباب التأويل ( ١٥٦ / ٢ ) .

(3) تفسير القرآن ( ٢٣٩ / ٢ ) . وتابعه البغوي في معالم التنزيل ( ١٨١ / ٢ ) . وينظر أيضاً : المصدر السابق .

(4) إرشاد العقل السليم ( ٣٣٣ / ٢ ) .

(5) ينظر : جامع البيان للطبري ( ١٠ / ٦٢٩ ) . وقول السدي أخرجه الطبري ( ١٠ / ٦٣٠ ) ، وابن أبي حاتم  
في تفسيره ( ١٦٣٥ / ٥ ) رقم ( ٨٦٦١ ) من طريق أسباط ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم ( ٨٦٦٣ ) من طريق  
سفيان ، عن السدي ، عن أبي مالك .

الأول ، وأراد به : إشراك أهل مكة ، ولئن أراد به الإِشراك الذي سبق استقامَ الكلامُ ؛ لأنه كان الأولى ألاّ يفعل ما أتى به من الإِشراك في الإِسم ، وكان ذلك زلّةً منه ؛ فلذلك قال : ﴿ فَتَعَلَى اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾<sup>(١)</sup> .

وقال ابن عطية : « ويتّجه أن يقال : تعالى الله عن ذلك اليسير المتوهم من الشرك في عبودية الإِسم... وجاء الضمير في ﴿ يُشْرِكُونَ ﴾ ضمير جمع ؛ لأن إبليس مُدبّر معهما تسمية الولد عبد الحارث »<sup>(٢)</sup> .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أولى القولين بالصواب في ذلك هو ما رجّحه ابن جُزَيٍّ ومن وافقه ، وهو قول الحسن البصري ؛ لدلالة القرآن عليه بقوله تعالى : ﴿ فَتَعَلَى اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ، ولم يقل : عما يشركان . وهو نص قرآني صريح في أن المراد هم المشركون من بني آدم ، وليس آدم وحواء .

ومما يدل على رجحان هذا القول أن القول الآخر مداره على قصة مذكورة في ضعيف الحديث ، وفي الإسرائيليات التي ليس لها ثبات ولا يُعوّل عليها من له قلب ؛ فإن آدم وحواء وإن كانا غرهما بالله الغرور ، فلا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ! وما كانا بعد ذلك ليقبلا لإبليس نصحاً ولا ليسمعا له قولاً .

قال القاسمي : « وقد ذكر المفسرون ها هنا أحاديث وآثاراً تفهم أن المراد بهذا السياق آدم وحواء . ولا حاجة بنا إلى روايتها ؛ لأنها واهية الإسناد معلولة ، كما بينه الحافظ ابن كثير في تفسيره . و تقبلُ ثلّةً من السلف لها وتلقوها لا يجدي في صحتها شيئاً ؛ إذ أصلها مأخوذ من أقاصيص مُسلمة أهل الكتاب كما برهن عليه ابن كثير . وتحويلُ بعضهم بأنها مقتبسة من مشكاة النبوة ، إذ أخرجها فلان وفلان ، من تنميق الألفاظ لتمزيق المعاني ؛ فإن المشكاة النبوية أجلّ من أن يقتبس منها إلاّ كل ما عرفت جودته »<sup>(٣)</sup> .

وكذا قال الشنقيطي : « والتحقيق أنّها لم يثبت في الحقيقة شيء منها والأغلب أن من

(1) تفسير القرآن ( ٢ / ٢٣٩ ) .

(2) المحرر الوجيز ( ٦ / ١٧٥ ) . وينظر : لباب التأويل للخازن ( ٢ / ١٥٦ ) .

(3) محاسن التأويل ( ٧ / ٢٩٢١ ) .

رويت عنه من الصحابة أخذوها من الإسرائيليين»<sup>(١)</sup> .

ويتأيد هذا القول بالقاعدة الترجيحية وهي : ( القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك )<sup>(٢)</sup> . والقاعدة الأخرى : ( القول الذي يعظم مقام النبوة ولا ينسب إليها ما لا يليق بها أولى بتفسير الآية )<sup>(٣)</sup> .

وترجيح هذا القول فيه تبرئة لآدم وحواء من قليل الشرك وكثيره ، وذلك هو حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والله تعالى أعلم .

(١) العذب النمير ( ٤ / ١٧٧٣ ) .

(٢) ينظر : قواعد الترجيح ( ٣١٢ / ١ ) .

(٣) ينظر : المصدر السابق ( ٣٢٨ / ١ ) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (١٩٩)

في هذه الآية الكريمة ثلاث مسائل :

المسألة الأولى هي :

٤٠ - الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « فيه قولان : أحدهما : أن المعنى : خذ من الناس في أخلاقهم وأقوالهم ومعاشرتهم ما تيسر لا ما يشق عليهم ؛ لئلا يَنْفَرُوا . فالعفو على هذا بمعنى السهل و[السمح] <sup>(١)</sup> عنهم ، وهو ضدُّ [الجهْد] <sup>(٢)</sup> والتكليف ، كقول الشاعر :

خُذِي الْعَفْوَ مَنِي تَسْتَدْبِمِي مَوَدِّي

والآخر : أن المعنى : خذ من الصدقات ما سهل على الناس في أموالهم أو ما فضل لهم وذلك قبل فرض الزكاة . فالعفو على هذا بمعنى السهل أو بمعنى الكثرة « <sup>(٣)</sup> .

العرض والمناقشة :

على قاعدة ابن جُزَيِّ في تقديم القول الراجح فإنه يرجح أن قوله تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ معناه : خذ من الناس ما تيسر من أخلاقهم وأقوالهم ومعاشرتهم . ووافق في هذا ما رُوِيَ عن ابن الزبير <sup>(٤)</sup> ، وابن عمر <sup>(٥)</sup> ، وعائشة <sup>(٦)</sup> ، ومجاهد <sup>(٧)</sup> ،

(1) في المطبوع : "الصفح" ، وهو خطأ . والصواب ما أثبتته كما في أكثر النسخ الخطية .

(2) في المطبوع : "الجهل" وهو خطأ ، والصواب ما أثبتته كما في أكثر النسخ الخطية . كما في أكثرها : "والتكلف" .

(3) التسهيل لعلوم التنزيل ( ٥٨ / ٢ ) .

(4) أخرجه البخاري في صحيحه ( ٤٦٤٣ ) ، وأبوداود في سننه ( ٤٧٨٧ ) ، والطبري في جامع البيان

( ٦٤٠ / ١٠ ) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ( ١٦٣٧ / ٥ ) رقم ( ٨٦٧٤ ) ، والطبراني في الكبير ( ١٣ / ١٠٧ )

( ٢٥٧ ) ، والحاكم في مستدركه ( ١ / ١٢٤ ) وغيرهم من طريق هشام بن عروة ، عن أبيه وعن وهب بن

كيسان ، كلاهما عن عبد الله بن الزبير قال : ما نزلت هذه الآية إلا في أخلاق الناس . وفي لفظ : أمر الله نبيه ﷺ

أن يأخذ العفو من أخلاق الناس . وينظر : الدر المنثور للسيوطي ( ٣ / ٦٢٨ ) .

(5) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ( ١٦٣٧ / ٥ ) رقم ( ٨٦٧٥ ) من طريق هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن ابن

عمر قال : أمر الله نبيه أن يأخذ العفو من أخلاق الناس . وينظر : الدر المنثور للسيوطي ( ٣ / ٦٢٨ ) .

(6) عزاه السيوطي في الدر المنثور ( ٣ / ٦٢٩ ) إلى ابن مردويه . بنحو ما قاله ابن الزبير .

(7) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦٣٩ - ٦٤١ ) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦٣٧ ) ( ٨٦٧٧ )

وقتادة<sup>(١)</sup> ، وعروة بن الزبير<sup>(٢)</sup> . ونسب إلى الحسن<sup>(٣)</sup> .

وذهب إليه أبو عبيدة، والطبري، والزجاج، والنحاس، والجصاص، وابن أبي زمنين، ومكي، والواحدي، والزمخشري، وابن عطية، والقرطبي، والنسفي، والحازن، وأبو حيان، وابن القيم، وابن كثير، والثعالبي، والسيوطي، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والمراعي، والسعدي، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي<sup>(٤)</sup> .

قال الطبري : « وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال : معناه : خذ العفو من أخلاق الناس واترك الغلظة عليهم . وقال : أمرَ بذلك نبي الله ﷺ في المشركين . واعترض عليه النحاس بمخالفة غيره له ، وذلك أن النبي ﷺ أمر بالأخلاق السهلة اللينة لجميع الناس ، بل هذا للمسلمين أولى »<sup>(٥)</sup> .

واستدل له النحاس بصحة إسناد رواية ابن الزبير ، وأنه عن صحابي يخبر بتزول الآية ، وإذا جاء الشيء هذا المحيي لم يسع أحداً مخالفته<sup>(٦)</sup> .

من طرق عنه قال : من أخلاق الناس وأعمالهم بغير تجسس . وفي لفظ : خُلِقَ أمرَ الله به نبيه ودلّه عليه . وزاد السيوطي في الدر المنثور ( ٦٢٩ / ٣ ) نسبه إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ .

- (1) عزاه السيوطي في الدر المنثور ( ٦٢٩ / ٣ ) إلى عبد بن حميد ، والطبري .
- (2) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ( ٢٤٥ / ١ ) ، والطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦٣٩ ) من طريق هشام بن عروة، عنه . وعلقه ابن أبي حاتم في تفسيره ( ١٦٣٨ / ٥ ) عقب الأثر ( ٨٦٧٨ ) .
- (3) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي ( ٣٠٧ / ٣ ) .
- (4) ينظر : مجاز القرآن ( ١ / ٢٣٦ ) ، وجامع البيان ( ١٠ / ٦٤٢ ) ، ومعاني القرآن وإعرابه ( ٢ / ٣٩٦ ) ، والناسخ والمنسوخ ( ٢ / ٣٦٠ ) ومعاني القرآن الكريم ( ٣ / ١١٩ ) ، وأحكام القرآن ( ٤ / ٢١٣ ) ، وتفسير القرآن العزيز ( ٢ / ١٦٢ ) ، وتفسير المشكل ( ١ / ١٧٨ ) ، والوجيز ( ١ / ٤٢٧ ) والوسيط ( ٢ / ٤٣٧ ) ، والكشاف ( ٢ / ٥٤٤ ) ، والمحزر الوجيز ( ٦ / ١٨٥ ) — ونسبه للجمهور — ، والجامع لأحكام القرآن ( ٩ / ٤١٨ - ٤٢١ ) ، ومدارك التنزيل ( ٢ / ٩١ ) ، ولباب التأويل ( ٢ / ١٥٨ ) ، والبحر المحيط ( ٤ / ٤٤٨ ) ، وبدائع التفسير ( ٢ / ٣١٩ ) ، وتفسير القرآن العظيم ( ٦ / ٤٩٠ ) — وقال : وهذا أشهر الأقوال — ، والجواهر الحسان ( ١ / ٥٩٧ ) — وقال : وهو قول الجمهور — ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٣ / ١٦٤ ) ، وفتح القدير ( ٢ / ٣٩٩ ) ، وروح المعاني ( ٩ / ١٤٦ ) ، وفتح البيان ( ٥ / ١٠٨ ) ، وتفسير المراغي ( ٩ / ١٤٧ ) ، وتيسير الكريم الرحمن ( ٢ / ١٨٢ ) ، والتحرير والتنوير ( ٩ / ٢٢٦ ) ، والعذب النمير ( ٤ / ١٧٨٩ ) .
- (5) ينظر : الناسخ والمنسوخ ( ٢ / ٣٦٢ ) .
- (6) ينظر : المصدر السابق ( ٢ / ٣٦٠ ) .

و عُلِّلَ هذا القول بدلالة السياق ؛ لأن الله قال قبله : ﴿ قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ (١٩٥) ثم عقبه بقوله ﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ (٢٠٢) . فالأولى أن يكون ما بينهما تأديباً للنبي ﷺ في عشرتهم لا أمره بأخذ الصدقة من المسلمين (١) .  
والعفو في كلام العرب : ما أتى بغير كُفَّةٍ (٢) . ومنه قول الشاعر (٣) :  
خذي العفو مني تستديمي مودتي      ولا تنطقي في سورتني حين أغضب  
والعفو هنا ما سمحت به النفس من الأخلاق .  
ومنه قول حسان يمدح المهاجرين :  
خُذْ مِنْهُمْ مَا أَتَوْا عَفْوَاً إِذَا غَضِبُوا      ولا يكنْ هَمُّكَ الأَمْرَ الَّذِي مَنَعُوا (٤)  
وهذه الآية — على هذا القول — كقول النبي ﷺ : ( يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا ) (٥) .

ويشهد لهذا القول ما رواه جابر قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ قال النبي ﷺ : ( يا جبريل ، ما تأويل هذه الآية ؟ قال : حتى أسأل . فصعد ثم نزل فقال : يا محمد ، إن الله يأمرك أن تصفح عمن ظلمك ، وتعطي من حرمك وتصل من قطعك ) . فقال النبي ﷺ : ( ألا أدلكم على أشرف أخلاق الدنيا والآخرة ؟ ) . قالوا : وما ذاك يا رسول الله ؟ قال : ( تعفو عمن ظلمك ، وتعطي من حرمك ، وتصل من قطعك ) (٦) .

- (1) ينظر : جامع البيان للطبري ( ١٠ / ٦٤٢ ) .
- (2) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ( ٢ / ٣٩٦ ) ، وتفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ( ٢ / ١٦٢ ) ، والوسيط للواحدي ( ٢ / ٤٣٧ ) .
- (3) هو أسماء بن خارجة . وقيل : حاتم الطائي وليس في ديوانه . ينظر : تاريخ دمشق ( ٩ / ٥٧ ) ، وعيون الأخبار لابن قتيبة ( ٣ / ١١ ) ، ( ٤ / ٧٧ ) وعزاه لأبي الأسود الدؤلي ، والمحرر الوجيز لابن عطية ( ٦ / ١٨٥ ) وعزاه لحاتم الطائي ، وروضة الحبين لابن القيم ( ٧١ ) ، وأضواء البيان ( ١ / ٤٦ ) ، والعذب النمير ( ٤ / ٤٣٩ ) ط بكر أبو زيد ) . وهو بلا نسبة في اللسان ( ١٥ / ٧٥ ) مادة : عفا .
- (4) ينظر : العذب النمير ( ٤ / ٤٣٩ ) ، وديوان حسان ( ١٥٣ ) .
- (5) ينظر : الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٥٤٤ ) .
- (6) عزاه السيوطي في الدر المنثور ( ٣ / ٦٢٨ ) لابن مردويه . وأخرجه ابن مردويه أيضاً بنحوه عن قيس بن سعد بن عبادة ، وعن أنس . كما في الدر المنثور للسيوطي ( ٣ / ٦٢٨ ) . وأخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦٤٣ )

وأما القول الآخر بأن الآية في الصدقات أي : خذ ما فَضَّلَ وسهل في أموالهم ، وأن ذلك قبل فرض الزكاة ، فهو قول ابن عباس<sup>(١)</sup> ، والسدي<sup>(٢)</sup> ، والضحاك<sup>(٣)</sup> . و نُسِبَ إلى الكلبي<sup>(٤)</sup> .

وعليه مقاتل، والسمرقندي، وابن الجوزي<sup>(٥)</sup> .

وذكره الزمخشري والقرطبي والشوكاني بصيغة ( قيل )<sup>(٦)</sup> .

واستدل له بأن "عفا" معناه : فَضَّلَ وزاد ، من قولهم : عفا النبات والشعر . أي : كثر<sup>(٧)</sup> .

واختار السيد محمد رشيد رضا أن العفو يشمل ما كان في الأخلاق والأموال وأن

من طريق سفيان بن عيينه ، عن رجل قد سماه مرفوعاً . وأخرجه أيضاً هو وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٣٨/٥) من طريق ابن عيينة ، عن أمي مرفوعاً . وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره ( ٢٤٦ / ١ ) من طريق سفيان بن عيينه، عن أبي — كذا والصواب : أمي — المرادي ، عن الشعبي مرفوعاً . وقال ابن حجر في الكافي الشافي (٦٦): هذا منقطع ، وأخرجه ابن مردويه موصولاً من حديث جابر وحديث قيس ابن سعد . ينظر : تخریج أحاديث الكشاف ( ٤٧٧ / ١ ) ، وجامع الأصول لابن الأثير ( ٢ / ١٤٣ - ١٤٤ ) مع حاشية المحقق. وأخرجه ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق — كما في الدر المنثور للسيوطي ( ٣ / ٦٢٨ ) — عن إبراهيم بن أدهم مرفوعاً.

(1) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦٤١ ) ، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (٦٣١/١) رقم (١٨١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ( ١٦٣٨ / ٥ ) رقم ( ٨٦٧٩ ) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه قال : خذ ما عفي لك من أموالهم ، وما أتوك به من شيء فخذ ، وكان هذا قبل أن تنزل براءة بفرائض الصدقات وتفصيلها . وزاد السيوطي في الدر المنثور ( ٦٣١ / ٣ ) نسبته إلى ابن المنذر. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ( ١٦٣٧ / ٥ ) رقم ( ٨٦٧٦ ) من طريق ابن جبير ، عنه . و ( ١٦٣٨ / ٥ ) رقم ( ٨٦٧٨ ) من طريق أبي روق ، عن الضحاك ، عنه قال : خذ الفضل ، أنفق الفضل . وزاد السيوطي في الدر المنثور ( ٣ / ٦٣١ ) نسبته إلى أبي الشيخ .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦٤١ ) ، والنحاس في الناسخ والمنسوخ ( ٣٥٩ / ٢ ) رقم ( ٥٠٩ ) من طريق أسباط ، عنه قال : الفضل من المال ، نسخته الزكاة .

(3) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦٤١ ) من طريق عبيد بن سليمان ، عنه . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ( ١٦٣٨ / ٥ ) عقب الأثر ( ٨٦٧٩ ) .

(4) نسبه إليه البغوي كما في معالم التنزيل ( ٢ / ١٨٤ ) .

(5) ينظر : تفسير مقاتل ( ٢ / ٨١ ) ، وبحر العلوم ( ١ / ٥٨٩ ) ، وتذكرة الأريب ( ١ / ١٩٦ ) .

(6) ينظر : الكشاف ( ٢ / ٥٤٥ ) ، والجامع لأحكام القرآن ( ٩ / ٤٢١ ) ، وفتح القدير ( ٢ / ٣٩٩ ) .

(7) ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية ( ٦ / ١٨٦ ) .

المراد به أن من أصول آداب هذا الدين وقواعد شرعه اليسرَ وتجنُّبَ الحرج وما يشقُّ على الناس<sup>(١)</sup>.

وحمل الرازي الآية على العموم، وتبعه القمي<sup>(٢)</sup>.

قال البقاعي : « وهذه المادة [ عفا ] تدور على السهولة ، وتارة تكون من الكثرة ، وتارة من القلّة . فعفا المال ، أي : كثر ، فصار يسهل إخراجه ، ويسمح به لزيادته عن الحاجة . وعفا المنزل ، أي : درس ، فسهل أمره حتى صار لا يلتفت إليه »<sup>(٣)</sup>.

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أوّلَى القولين بالصواب من ذلك هو ما قدّمه ابن جُزَيٍّ مرجّحاً له هو و مَنْ وافقه ، من أن الآية نازلة في أخلاق الناس ومعاشرتهم ، أمر النبي ﷺ بأخذ ما تسهّل منها وما تيسّر . وعلى هذا تفسير عبد الله بن الزبير وغيره من السلف، وهو قول جمهور المفسرين . ولو كانت الآية في الصدقات لبيّن ذلك كما قال في آية البقرة : ﴿ وَكَيْسَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾ [٢١٩] . وفي آية براءة : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً ﴾ [١٠٣] لكن آية الأعراف هذه في الأخلاق ومعاشرة الناس . ولذلك قال القرطبي عن القول بأن الآية في الزكاة : « وفيه بُعد؛ لأنه من عفاً : إذا درَسَ ... وسبب التزول يرُدُّه ، والله أعلم، فإنه لما أمره بمحاجة المشركين ؛ دلّ على مكارم الأخلاق، فإنها سبب جرّ المشركين إلى الإيمان »<sup>(٤)</sup>.

(1) ينظر : تفسير القرآن الحكيم ( ٤٦٤ / ٩ ) .

(2) ينظر : مفاتيح الغيب ( ٤٣٤ / ٥ ) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان ( ٣٦٥ / ٣ ) .

(3) نظم الدرر ( ٢٠٢ / ٨ ) .

(4) الجامع لأحكام القرآن ( ٤٢١ / ٩ ) .

## المسألة الثانية هي :

### ٤١ - الخلاف في المراد بالعرف .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « أي : بالمعروف وهو أفعال الخير . وقيل : العرف<sup>(١)</sup> الجاري بين الناس من العوائد . واحتج المالكية بذلك على الحكم بالعوائد »<sup>(٢)</sup> .

### العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ أن العُرفَ المأمور به في قوله تعالى : ﴿ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ يراد به المعروف وهو فعل الخير . ووافق في هذا ما رُوِيَ عن ابن عباس<sup>(٣)</sup> ، ومجاهد<sup>(٤)</sup> ، وقتادة<sup>(٥)</sup> ، والسدِّي<sup>(٦)</sup> ، وعروة بن الزبير<sup>(٧)</sup> ، وسفيان الثوري<sup>(٨)</sup> .

وعليه عامة المفسرين : مقاتل، وأبو عبيدة، والطبري، والزجاج، والنحاس، والجصاص، وابن أبي زمنين، ومكي، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، وابن عطية، وابن الجوزي، والرازي، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، والخازن، والقمي، وأبو حيان، وابن القيم، وابن كثير، والثعالبي، والبقاعي، والسيوطي، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والسيد محمد رشيد رضا، والسعدي، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي<sup>(٩)</sup> .

- (1) في المطبوع : "فعل الخير" ... "العفو" ، والصواب ما أثبتته كما في جميع النسخ .
- (2) التسهيل لعلوم التنزيل ( ٥٨ / ٢ ) .
- (3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ( ١٦٣٨ / ٥ ) رقم ( ٨٦٨٤ ) من طريق أبي روق ، عن الضحاك ، عنه قال : بالمعروف . وزاد السيوطي في الدر المنثور ( ٦٣١ / ٣ ) نسبه إلى أبي الشيخ .
- (4) نسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٦٢٩ / ٣ ) إلى عبد بن حميد ، والطبري ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ .
- (5) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦٤٤ ) من طريق يزيد ، عن سعيد ، عنه .
- (6) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦٤٤ ) من طريق أسباط ، عنه . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ( ١٦٣٨ / ٥ ) عقب ( ٨٦٨٤ ) معلقاً . وزاد السيوطي في الدر المنثور ( ٦٣١ / ٣ ) نسبه إلى أبي الشيخ .
- (7) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ( ٢ / ٢٤٥ ) ، والطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦٤٤ ) من طريق معمر ، عن هشام ، عنه . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦٣٨ ) عقب الأثر ( ٨٦٨٤ ) .
- (8) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦٣٨ ) عقب الأثر ( ٨٦٨٤ ) .
- (9) ينظر : تفسير مقاتل ( ٨١ / ٢ ) ، وحجاز القرآن ( ١ / ٢٣٦ ) ، وجامع البيان ( ١٠ / ٦٤٤ ) ، ومعاني القرآن وإعرابه ( ٢ / ٣٩٦ ) ، وإعراب القرآن ( ٢ / ١٧٠ ) والناسخ والمنسوخ ( ٢ / ٣٦٢ ) ومعاني القرآن الكريم ( ٣ / ١٢٠ ) ، وأحكام القرآن ( ٤ / ٢١٣ ) ، وتفسير القرآن العزيز ( ٢ / ١٦٢ ) ، وتفسير المشكل ( ١ / ١٧٨ ) ،

ودليله : أن العرف هو المعروف في كلام العرب ، مصدرٌ في معنى المعروف .  
يقال : أَوْلَيْتَهُ عُرْفًا وَعَارِفًا وَعَارِفَةً . كل ذلك بمعنى المعروف<sup>(١)</sup> .  
ويدخل في المعروف صلةٌ رحم مَنْ قَطَعَ ، وإعطاء مَنْ حَرَمَ ، والعفو عمن ظلم ، وكل ما أمر الله به أو نذبه إليه فهو من العرف<sup>(٢)</sup> .  
قال الشاعر :

من يفعل الخير لا يَعدَمُ جَوَازِيهَ لا يَذْهَبُ العُرْفُ بين الله والناس<sup>(٣)</sup> .  
وأما القول الثاني في معنى العرف بأنه الجاري بين الناس من العوائد ، فلم أرَ مَنْ اختاره من المفسرين .

قال الشنقيطي : « وكان بعض علماء الأصول يقول : إن هذه الآية يدخل فيها ما يتعارف عليه الناس في معاملاتهم وبيوعاتهم ونحو ذلك »<sup>(٤)</sup> .  
ولذلك ذكر ابن جُزَيٍّ أن المالكية احتجوا بالآية على الحكم بالعوائد . ولا ريب أن العادة محكمة ، وهي قاعدة فقهية كبرى<sup>(٥)</sup> .

والوجيز ( ٤٢٨ / ١ ) والوسيط ( ٤٣٧ / ٢ ) ، وتفسير القرآن ( ٢٤٢ / ٢ ) ، ومعالم التنزيل ( ١٨٤ / ٢ ) ،  
والحرر الوجيز ( ١٨٦ / ٦ ) ، وزاد المسير ( ٣٠٨ / ٣ ) وتذكرة الأريب ( ١٩٦ / ١ ) ، ومفاتيح الغيب  
( ٤٣٤ / ٥ ) ، والجامع لأحكام القرآن ( ٤٢١ / ٩ ) ، وأنوار التنزيل ( ٣٧٣ / ١ ) ، ومدارك التنزيل ( ٩١ / ٢ ) ،  
ولباب التأويل ( ١٥٨ / ٢ ) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان ( ٣٦٤ / ٣ ) ، والبحر المحيظ ( ٤٤٨ / ٤ ) ،  
وبدائع التفسير ( ٣١٩ / ٢ ) ، وتفسير القرآن العظيم ( ٤٩٢ / ٦ ) ، والجواهر الحسان ( ٥٩٧ / ١ ) ، ونظم  
الدرر ( ٢٠٣ / ٨ ) ، وإرشاد العقل السليم ( ٣٣٦ / ٢ ) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٣ / ١٦٤ ) ،  
وفتح القدير ( ٣٩٩ / ٢ ) ، وروح المعاني ( ١٤٧ / ٩ ) ، وفتح البيان ( ١٠٨ / ٥ ) ، وتفسير القرآن الحكيم  
( ٤٦٤ / ٩ ) ، وتيسير الكريم الرحمن ( ١٨٣ / ٢ ) ، والتحرير والتنوير ( ٢٢٧ / ٩ ) ، والعذب النمير  
( ١٧٨٩ / ٤ - ١٧٩٠ ) .

- (١) ينظر : جامع البيان للطبري ( ٦٤٤ / ١٠ ) ، والناسخ والمنسوخ للنحاس ( ٣٦٣ / ٢ ) .
- (٢) ينظر : جامع البيان ( ٦٤٤ / ١٠ ) .
- (٣) البيت للحطينة ، وهو في ديوانه ( ٢٨٤ ) . وينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ( ٤٢١ / ٩ ) .
- (٤) العذب النمير ( ١٧٩٠ / ٤ ) . وينظر : نشر البنود ( ٢٧٢ / ٢ ) ، والعرف وأثره في التشريع الإسلامي ( ١٢٢ ) .
- (٥) ينظر : التحبير شرح التحرير للمرداوي ( ٣٨٥١ / ٨ ) ، والأشباه والنظائر للسيوطي ( ٧ / ١ ) ، وشرح القواعد الفقهية لأحمد الزرقا ( ٢١٩ / ١ ) .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أوّلَى القولين بالصواب من ذلك هو ما رجّحه ابن جُزَيٍّ ومن وافقه؛ لدلالة اللغة على ذلك ، وأن القول الثاني في تفسير العرف بالعوائد الجارية بين الناس يندرج فيه ولا يخرج عنه .

قال المراغي : « المعروف : هو ما تعرفه النفس من الخير وتأنس به وتطمئن إليه ، ولا شك أن هذا مبني على اعتبار عادات الأمة الحسنة وما تتواطأ عليه من الأمور النافعة في مصالحتها »<sup>(١)</sup> .

فالآية تشمل القولين على الصحيح ؛ لأن الله تعالى لم يَخْصُصْ من ذلك معنَى دون معنَى ، فالحق فيه أن يقال : إن الله تعالى أمر نبيّه ﷺ أن يأمر عباده بالمعروف كُله لا ببعض معانيه دون بعض<sup>(٢)</sup> . والله تعالى أعلم .

(1) تفسير المراغي ( ٩ / ١٤٧ ) .

(2) ينظر : جامع البيان للطبري ( ١٠ / ٦٤٥ ) .

### المسألة الثالثة هي :

#### ٤٢ - خلاف أهل التأويل في قوله تعالى : ﴿ وَأَعْرَضَ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾

#### بين الإحكام والنسخ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « ﴿ وَأَعْرَضَ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ أَي : لا تكافيء السفهاء بمثل قولهم أو فعلهم و احلّم عنهم . ولما نزلت هذه الآية سأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم جبريل عنها فقال : لا أدري حتى أسأل . ثم رجع فقال : يا محمد ، إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك<sup>(١)</sup> . وعن جعفر الصادق : أمر الله نبيّه ﷺ فيها بمكارم الأخلاق<sup>(٢)</sup> . وهي على هذا ثابتة الحكم وهو الصحيح . وقيل : كانت مداراةً للكفار ، ثم نسخت بالقتال<sup>(٣)</sup> .

#### العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيِّ أن الآية ثابتة الحكم غير منسوخة . ووافق في هذا أكثر المفسرين ومنهم : الطبري، والنحاس، ومكي، والواحدي، والسمعاني، وابن عطية، والرازي، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، والقمي، وأبوحيان، وابن القيم، والسيوطي، والآلوسي، والسيد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي<sup>(٤)</sup>.

(1) سبق تخريجه .

(2) ذكره البغوي في معالم التنزيل ( ١٨٤ / ٢ ) ، وتابعه الزمخشري في الكشاف ( ٥٤٥ / ٢ ) .

(3) التسهيل لعلوم التنزيل ( ٥٨ - ٥٩ / ٢ ) .

(4) ينظر : جامع البيان ( ١٠ / ٦٤٣ ، ٦٤٥ ) — وذهب ابن كثير في تفسيره ( ٦ / ٤٨٨ ) إلى أن الطبري اختار قول ابن زيد ، وفيه نظر !! — ، والناسخ والمنسوخ ( ٢ / ٣٦٠ ، ٣٦٣ - ٣٦٤ ) ، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ( ٢٩٣ ) ، والوجيز ( ١ / ٤٢٨ ) والوسيط ( ٢ / ٤٣٧ ) ، وتفسير القرآن ( ٢ / ٢٤٢ ) ، والحرر الوجيز ( ٦ / ١٨٧ ) — ونسبه لجمهور من العلماء — ، ومفاتيح الغيب ( ٥ / ٤٣٥ ) ، والجامع لأحكام القرآن ( ٩ / ) — وفيه : وقال مجاهد وقتادة : هي محكمة ، وهو الصحيح — ، وأنوار التنزيل ( ١ / ٣٧٣ ) — حيث لم يذكر أنها منسوخة — ، ومدارك التنزيل ( ٢ / ٩١ ) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان ( ٣ / ٣٦٥ ) ، والبحر المحيط ( ٤ / ٤٤٨ ) ، وبدائع التفسير ( ٢ / ٣٢٠ ) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ( ٣ / ١٦٤ ) ، وروح المعاني ( ٩ / ١٤٧ ) ، وتفسير القرآن الحكيم ( ٩ / ٤٦٧ ) ، وتفسير المراغي ( ٩ / ١٤٨ ) ، وتيسير الكريم الرحمن ( ٢ / ١٨٣ ) ، والتحرير والتنوير ( ٩ / ٢٢٧ ) — وقال : ومن قال إن هذه الآية نسختها آيات القتال فقد وهم — ، والعذب النمير ( ٤ / ١٧٩١ ) .

وهو مفهوم كلام البقاعي، وأبي السعود<sup>(١)</sup>.  
 واستدل على إحكام الآية بأنها إنما نزلت في أخلاق الناس، كما أخبر بذلك عبد الله  
 ابن الزبير وغيره، « وإذا جاء الشيء هذا المجيء لم يسع أحدًا مخالفته »<sup>(٢)</sup>.  
 وسياق الآيات يدل كذلك على أنها في أخلاق الناس وليست منسوخة؛ لقوله تعالى  
 بعدها: ﴿ وَإِنَّمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾<sup>(٣)</sup> فهذه في دفع  
 العدو الشيطاني<sup>(٤)</sup>.

ومما يدل على إحكام الآية أيضًا: استعمال عمر بن الخطاب لها، واستدلال الحر بن  
 قيس بها<sup>(٥)</sup>، كما في قصة دخول عيينة بن حصن الفزاري على عمر، فإنه لما قدم نزل على  
 ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من التفر الذين يُدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس  
 عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، لك وجهٌ عند  
 هذا الأمير فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه، فأذن له عمر، فلما دخل عليه  
 قال: هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل. فغضب عمر حتى  
 همَّ به، فقال له الحرُّ: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ  
 وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾<sup>(٦)</sup> وإن هذا من الجاهلين، فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه،  
 وكان وقافاً عند كتاب الله<sup>(٧)</sup>.

وكذلك استعملها الحسن بن علي بن أبي طالب، كما قاله القرطبي<sup>(٨)</sup>.  
 وأما القول الآخر بأن الآية كانت مداراةً للكفار ثم نسخت بآيات القتال، فرؤي عن

- (1) ينظر: نظم الدرر (٢٠٣ / ٨)، وإرشاد العقل السليم (٣٣٦ / ٢).
- (2) الناسخ والمنسوخ للنحاس (٣٦٠ / ٢). ويعني: أنه صحابي يخبر بتزول الآية فلا يسع أحدًا مخالفة هذا التفسير؛  
 لما له من حكم الرفع، والله أعلم.
- (3) ينظر: المصدر السابق (٣٦٤ / ٢)، والعذب النمير (١٧٩١ / ٤).
- (4) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (١٨٧ / ٦)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٢٢ / ٩)، والبحر المحيط  
 لأبي حيان (٤٤٨ / ٤).
- (5) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير برقم (٤٦٤٢) وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٦)  
 من حديث ابن عباس.
- (6) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٢٢ / ٩).

السدي<sup>(١)</sup> ، وابن زيد<sup>(٢)</sup> .

واختاره مقاتل<sup>(٣)</sup> ، وذهب إلى أن آية براءة — آية الصدقات — نسخت العفو ،  
ونسخ الإعراض آية السيف . وعليه الجصاص ، والسمرقندي ، وابن أبي زمنين ، والبغوي ،  
وابن الجوزي ، والحازن<sup>(٤)</sup> .

وعلل الجصاص هذا القول بأن الفرض كان حينئذ على الرسول إبلاغهم وإقامة الحجّة  
عليهم ، وهو مثل قوله : ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ [النجم] .  
وأما بعد الأمر بالقتال فقد تقرر أمر المبطلين والمفسدين على وجوه معلومة من إنكار فعلهم  
تارة بالسيف وتارة بالسوط وتارة بالإهانة والحبس<sup>(٥)</sup> .

وبعد ، فإذا كان ذلك كذلك فإن القول الراجح هو ما صحّحه ابن جزيّ من أن الآية  
محكمة « ولا ضرورة إلى دعوى النسخ في الآية كما لا يخفى على المتدبر »<sup>(٦)</sup> . وقد وهم  
من ادّعى نسخها بآيات القتال كما قاله الطاهر بن عاشور .

ويتأيد هذا القول بالقاعدة الترجيحية وهي أنه ( لا تصح دعوى النسخ في آية من  
كتاب الله إلا إذا صح التصريح بنسخها )<sup>(٧)</sup> . والله تعالى أعلم .

(1) قال : نزلت هذه الآية قبل أن تفرض الصلاة والزكاة والقتال ، أمره الله بالكف ثم نسخها القتال ، وأنزل :

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا ﴾ . الآية [ الحج : ٣٩ ] . أخرجه أبو الشيخ كما في الدر المنثور  
للسيوطي (٦٣١/٣) .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦٤٢ ) من طريق ابن وهب ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره  
(١٦٣٨/٥) رقم ( ٨٦٨١ ) وفي ( ٥ / ١٦٣٩ ) رقم ( ٨٦٨٧ ) من طريق أصبغ ، عنه مختصراً . وينظر :  
الناسخ والمنسوخ للنحاس ( ٢ / ٣٦٣ ) . وعزاه القرطبي إليه وإلى عطاء ، كما في الجامع لأحكام القرآن  
( ٤٢١/٩ ) .

(3) ينظر : تفسير مقاتل ( ٨٢ / ٢ ) .

(4) ينظر : أحكام القرآن ( ٤ / ٢١٤ ) ، وبحر العلوم ( ١ / ٥٨٩ ) ، وتفسير القرآن العزيز ( ٢ / ١٦٢ ) ، ومعالم  
التنزيل ( ٢ / ١٨٤ ) ، وتذكرة الأريب ( ١ / ١٩٦ ) ، ولباب التأويل ( ٢ / ١٥٨ ) .

(5) أحكام القرآن ( ٤ / ٢١٤ ) .

(6) روح المعاني للآلوسي ( ٩ / ١٤٧ ) . وقال الرازي في مفاتيح الغيب ( ٥ / ٤٣٥ ) : لا حاجة على التزام النسخ  
، إلا أن الظاهرية من المفسرين مشغوفون بتكثير الناسخ والمنسوخ من غير ضرورة ولا حاجة .

(7) قواعد الترجيح ( ١ / ٧١ ) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ (٢٠٢)

٤٣ - بِمَ يَتَعَلَّقُ الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ ﴿فِي الْغَيِّ﴾ ؟

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « ﴿فِي الْغَيِّ﴾ يتعلّق بـ ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾ . وقيل : يتعلّق بـ ﴿وَإِخْوَانُهُمْ﴾ كما تقول : إخوة في الله ، أو في الشيطان »<sup>(١)</sup> .

العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ أن قوله تعالى : ﴿فِي الْغَيِّ﴾ يتعلّق بقوله تعالى قبله : ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾ . وعلى هذا المعنى أقوال السلف<sup>(٢)</sup> .

قال السدّي : « إخوان الشياطين من المشركين يمدّهم الشيطان في الغي ثم لا يقصرون » .

وقال قتادة : « إخوان الشياطين يمدّهم الشيطان في الغي ثم لا يقصرون » .

وعلى هذا عامة المفسّرين ومنهم : الطبري ، والسمرقندي ، والواحدي ، والسمعي ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن كثير ، والبقاعي ، وأبو السعود ، والآلوسي ، والقنوجي ، والقاسمي ، والسيد محمد رشيد رضا ، والمراغي ، والسعدي ، والطاهر بن عاشور ، والشنقيطي ، ومحي الدين الدرويش<sup>(٣)</sup> . وهو مفهوم كلام مقاتل ، والفراء<sup>(٤)</sup> .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل ( ٥٩ / ٢ ) .

(2) ينظر : جامع البيان للطبري ( ١٠ / ٦٥٠ - ٦٥٣ ) وتفسير ابن أبي حاتم ( ٥ / ١٦٤١ - ١٦٤٢ ) ففيهما عن ابن عباس ، والسدي ، وقاتدة ، وسفيان ، وعبد الله بن كثير ، وعطاء ، ومجاهد .

(3) ينظر : : جامع البيان ( ١٠ / ٦٥٠ ) ، وبحر العلوم ( ١ / ٥٩٠ ) ، والوجيز ( ١ / ٤٢٨ ) و الوسيط ( ٢ / ٤٣٩ ) ، وتفسير القرآن ( ٢ / ٢٤٣ ) ، ومعالم التنزيل ( ٢ / ١٨٥ ) ، والكشاف ( ٢ / ٥٤٧ ) ، وتفسير القرآن العظيم ( ٦ / ٤٩٦ ) ، ونظم الدرر ( ٨ / ٢٠٦ ) ، وإرشاد العقل السليم ( ٢ / ٣٣٧ ) ، وروح المعاني ( ٩ / ١٤٩ ) ، وفتح البيان ( ٥ / ١١١ ) ، ومحاسن التأويل ( ٧ / ٢٩٣١ ) ، وتفسير القرآن الحكيم ( ٩ / ٤٧٧ ) ، وتفسير المراغي ( ٩ / ١٥١ ) ، وتيسير الكريم الرحمن ( ٢ / ١٨٤ ) ، والتحرير والتنوير ( ٩ / ٢٣٦ ) ، والعذب النمبر ( ٤ / ١٧٩٥ ) ، وإعراب القرآن الكريم وبيانه ( ٣ / ٥٢١ ) .

(4) ينظر : تفسير مقاتل ( ٢ / ٨٢ ) ، ومعاني القرآن ( ١ / ٤٠٢ ) .

وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ وَيَدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (١) [البقرة] .

قال القنوجي : « المعنى : وإخوان الشياطين وهم الفجار من ضلال الإنس ، على أن الضمير في إخوانهم يعود إلى الشيطان المذكور سابقاً والمراد به الجنس ، فجاز إرجاع ضمير الجمع إليه . والمعنى : تمدهم الشياطين ﴿ فِي الْغَيِّ ﴾ وتكون مدداً لهم . وهذا التأويل هو قول الجمهور ، وعليه عامة المفسرين » (٢) .

وأما القول الثاني بأن قوله تعالى : ﴿ فِي الْغَيِّ ﴾ يتعلق بقوله : ﴿ وَإِخْوَانُهُمْ ﴾ كقولك : إخوة في الله ، أو إخوة في الشيطان ، فمفهوم كلام الجصاص على هذا (٣) .  
واحتتمل القولين ابن عطية (٤) . وجوزهما القرطبي ، والسمين (٥) .

(1) ينظر : الوسيط للواحدى ( ٢ / ٤٣٩ ) .

(2) فتح البيان ( ٥ / ١١١ ) .

(3) ينظر : أحكام القرآن ( ٤ / ٢١٤ ) .

(4) ينظر : المحرر الوجيز ( ٦ / ١٩٣ ) .

(5) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ( ٩ / ٤٢٨ ) ، والدر المصون ( ٥ / ٥٥٠ ) .

تكميل : هذه المسألة — وهي تعلق ﴿ فِي الْغَيِّ ﴾ هل هو بالفعل ﴿ يَمْدُونَهُمْ ﴾ ؟ أم بالإخوان ؟ — متفرعة عن

مرجع الضمائر في قوله : ﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمْدُونَهُمْ ﴾ وفيها أوجه : أحدها : أن الضمير في ↓

على الشيطان نفسه ؛ لأنه لا يراد به الواحد بل الجنس . والضمير المنصوب في ﴿ يَمْدُونَهُمْ ﴾ يعود على

الكفار ، والمرفوع يعود على الشياطين أو الشيطان . والتقدير : وإخوان الشياطين يمدهم الشيطان في الغي .

فالإمداد مسند إلى الشياطين في المعنى ، وهو في اللفظ خبر عن (إخوانهم) . وعلى هذا الوجه : فالخبر جار على

غير مَنْ هو له في المعنى . ومثله :

قوم إذا الخيل جالوا في كواثبها فوارس الخيل لا ميل ولا قدم

وعليه : فـ ﴿ فِي الْغَيِّ ﴾ متعلق بـ ﴿ يَمْدُونَهُمْ ﴾ . الثاني : أن المراد بالإخوان الشياطين ، وبالضمير المضاف

إليه الجاهلون أو غير المتقين ؛ لأن الشيء يدل على مقابله . والواو تعود على الإخوان ، والضمير المنصوب يعود

على الجاهلين أو غير المتقين . والمعنى : والشياطين — الذين هم إخوان الجاهلين أو غير المتقين — يمدون الجاهلين

أو غير المتقين في الغي . والخبر في هذا الوجه جار على من هو له لفظاً ومعنى . وهذا تفسير قتادة . قال : إخوان

الشياطين يمدهم الشيطان في الغي . وعليه : فـ ﴿ فِي الْغَيِّ ﴾ متعلق بـ ﴿ يَمْدُونَهُمْ ﴾ مثل الوجه الأول .

الثالث : أن يعود الضمير المجرور والمنصوب على الشياطين ، والمرفوع على الإخوان وهم الكفار . قال ابن

عطية : « ويكون المعنى : وإخوان الشياطين في الغي بخلاف الإخوة في الله يمدون الشياطين ، أي : بطاعتهم لهم

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أولى القولين هو أن متعلق قوله : ﴿ فِي الْغَيِّ ﴾ بقوله : ﴿ يَمْدُونَهُمْ ﴾ ، كما دلّ عليه نظيره في قوله تعالى : ﴿ وَيَمْدُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ ، وهو ما رجّحه ابن جزيّ ومن وافقه ، وعليه عامة المفسّرين ، والله أعلم .

وقبولهم منهم . ولا يترتب هذا التأويل على أن يتعلّق ﴿ فِي الْغَيِّ ﴾ بالإمداد ؛ لأنّ الإنس لا يعوون الشياطين . وعليه : فيتعلّق ﴿ فِي الْغَيِّ ﴾ بإخوانهم ، وهو الأحسن ؛ لتضمنه معنى المؤاخاة والأخوة . ويجوز أن يكون ﴿ فِي الْغَيِّ ﴾ حالا من المبتدأ ، أي : وإخوانهم حال كونهم مستقرين في الغي . وفي مجيء الحال من المبتدأ خلاف . وعليه : فلا يتعلّق لا بـ ﴿ يَمْدُونَهُمْ ﴾ ولا بإخوانهم . قال أبو حيان : « ويمكن أن يتعلّق ﴿ فِي الْغَيِّ ﴾ — على هذا التأويل — بـ ﴿ يَمْدُونَهُمْ ﴾ على جهة السببية ، أي : يمدونهم بسبب غوايتهم نحو : ( دخلت امرأة النار في هرة ) . أي : بسبب هرة . ويحتمل أن يكون ﴿ فِي الْغَيِّ ﴾ حالا فيتعلّق بمحذوف ، أي : كائنين في الغي ، فيكون ﴿ فِي الْغَيِّ ﴾ في موضعه ، ولا يتعلّق بإخوانهم . وقد جوّز ذلك ابن عطية . وعندني في ذلك نظر ، فلو قلت : " مُطْعَمُكَ زَيْدٌ لِحْمًا " تريد : مطعمك لحمًا زيدٌ ، فتفصل بين المبتدأ ومعموله بالخبر لكان في جوازه نظر ؛ لأنك فصلت بين العامل والمعمول بأجنبيّ لهما معًا ، وإن كان ليس أجنبيًّا لأحدهما وهو المبتدأ . قال السمين الحلبي : ولا يظهر منع هذا ألّبة ؛ لعدم أجنبيّته . وقال : يجوز أن يكون ﴿ فِي الْغَيِّ ﴾ متعلّقًا بالفعل ، أو بإخوانهم ، أو بمحذوف على أنه حال : إما من إخوانهم ، وإما من واو ﴿ يَمْدُونَهُمْ ﴾ ، وإما من مفعوله . [ينظر : الدر المصون للسمين الحلبي ٥ / ٥٤٨ - ٥٤٩ ] .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَإِذْ لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ قَالُوا لَوْلَا أُجْتَبِيَّتْهَا قُلْ إِنَّمَا أُتِيحُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي ﴾

﴿ هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢٠٣)

٤٤ - الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿ أُجْتَبِيَّتْهَا ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « وفي معنى ﴿ أُجْتَبِيَّتْهَا ﴾ قولان : أحدهما : اخترعتها من قِبَلِ نَفْسِكَ . فالآية على هذا من القرآن . وكان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يتأخر عنه الوحي أحياناً ، فيقول الكفار : هَلَّا جِئْتَ بقرآنٍ من قولك . والآخر : معناه : طلبتها من الله ، وتخيَّرتها عليه . فالآية على هذا معجزة ، أي : يقولون : اطلب المعجزة من الله » (١) .

#### العرض والمناقشة :

قدّم ابن جُزَيِّ في معنى قوله تعالى : ﴿ أُجْتَبِيَّتْهَا ﴾ قولَ مَنْ قال معناه : اخترعتها من قِبَلِ نَفْسِكَ ، على أن الآية يراد بها الآية من القرآن ، وذلك ترجيح منه بناءً على منهجه في الترجيح بين الأقوال .

ووافق في هذا معنى ما رُوِيَ عن ابن عباس أنه قال : هَلَّا افْتَعَلْتَهَا من تلقاء نفسك (٢) .

وكذا معنى ما رُوِيَ عن مجاهد (٣) ، وقتادة (٤) ، وابن زيد (٥) ، والسدي (٦) .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ( ٢ / ٥٩ ) .

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦٥٥ ) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦٤٣ ) رقم ( ٨٧١٣ ) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم ( ٥ / ١٦٤٣ ) رقم ( ٨٧١٢ ) من طريق أبي روق ، عن الضحاك ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور ( ٣ / ٦٣٣ ) نسبه إلى أبي الشيخ ، وابن مردويه .

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦٥٥ ) من طريق ابن جريج ، عن ابن كثير ، عنه قال : ابتدعتها . وزاد السيوطي في الدر المنثور ( ٣ / ٦٣٣ ) نسبه إلى عبد بن حميد ، وأبي الشيخ .

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ( ٢ / ٢٤٧ ) عن معمر ، عنه . ومن طريقه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦٥٥ ) قال : لولا جئت بها من نفسك . وأخرجه الطبري أيضاً ( ١٠ / ٦٥٤ ) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦٤٤ ) رقم ( ٨٧١٧ ) من طريق يزيد ، عن سعيد ، عنه .

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦٥٥ ) من طريق ابن وهب ، عنه .

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦٥٥ ) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦٤٣ ) رقم ( ٨٧١٦ ) من طريق أسباط ، عنه .

وذهب إليه مقاتل، والفراء، وابن قتيبة، والطبري، والرجاج، والنحاس، والسمرقندي، وابن أبي زمين، ومكي، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، وابن الجوزي، والقرطبي، والثعالبي، والسيوطي<sup>(١)</sup>.

قال الطبري : « وأولى التاويلين بالصواب في ذلك ، تأويل من قال : تأويله ؛ هلاً أحدثتها من نفسك ؛ لدلالة قول الله : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَآئِرٌ مِنْ رَبِّيكُمْ ﴾ يبين ذلك أن الله إنما أمر نبيه ﷺ بأن يجيبهم بالخبر عن نفسه أنه إنما يتبع ما ينزل عليه ربه ويوحيه إليه ، لا أنه يحدث من قبل نفسه قولاً وينشئه فيدعو الناس إليه »<sup>(٢)</sup>.  
واللغة تدل على هذا القول ؛ قال أبو عبيد : « وكان أبو زيد يقول : إنما تقول العرب ذلك للكلام يبتدئه الرجل لم يكن أعدّه قبل ذلك في نفسه »<sup>(٣)</sup>.

يقال : اجتبيت الشيء ، وارتجلته ، واخترعته ، واختلقته : إذا جئت به من عند نفسك<sup>(٤)</sup>.

وفي معناه قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَيْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ [يونس : ١٥] .

وأما القول الآخر بأن معنى ﴿ اجْتَبَيْتَهَا ﴾ : طلبتها من الله وتخيرتها عليه ، وأن الآية يراد بها على هذا المعجزة ، فهو معنى ما روي عن ابن عباس أيضاً قال : « لولا تقبّلها من الله

(1) ينظر : تفسير مقاتل ( ٨٣ / ٢ ) ، ومعاني القرآن ( ٤٠٢ / ١ ) ، وزاد المسير لابن الجوزي ( ٣ / ٣١٢ ) ، وجامع البيان ( ١٠ / ٦٥٦ ) ، ومعاني القرآن وإعرابه ( ٢ / ٣٩٧ ) ، ومعاني القرآن الكريم ( ٣ / ١٢١ ) ، وبحر العلوم ( ١ / ٥٩١ ) ، وتفسير القرآن العزيز ( ٢ / ١٦٣ ) ، وتفسير المشكل ( ١ / ١٧٩ ) ، والوجيز ( ١ / ٤٢٨ ) ، والوسيط ( ٢ / ٤٣٩ ) ، وتفسير القرآن ( ٢ / ٢٤٤ ) ، ومعالم التنزيل ( ٢ / ١٨٦ ) ، وزاد المسير ( ٣ / ٣١٢ ) وتذكرة الأريب ( ١ / ١٩٧ ) ، والجامع لأحكام القرآن ( ٩ / ٤٣٠ ) ، والجواهر الحسان ( ١ / ٥٩٩ ) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٣ / ١٦٦ ) .

(2) جامع البيان ( ١٠ / ٦٥٦ ) .

(3) المصدر السابق ( ١٠ / ٦٥٧ ) .

(4) معاني القرآن الكريم للنحاس ( ٣ / ١٢١ ) .

«(١)» .

وقال قتادة : « لولا تقبلتها من ربك »(٢) .

وهو معنى ما رُوِيَ عن الكلبي أيضاً(٣) ، والضحاك(٤) . وعليه النسفي(٥) . وهو مفهوم كلام القاسمي(٦) .

وسوى بين القولين جماعة من المفسرين ولم يرجحوا بينهما منهم : الزمخشري، وابن عطية، والرازي، والبيضاوي، والقمي، وأبو السعود، والشهاب الخفاجي ، والآلوسي، والسيد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي(٧) .

وجوزهما الطاهر بن عاشور(٨) . وجمع بينهما الشنقيطي(٩) .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الترجيح بين القولين مترتب على معرفة المراد بالآية في قوله

تعالى: ﴿ وَإِذْ لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ ﴾ وهي محتملة للآية القرآنية وللمعجزة الخارقة ، والسياق يدل

على رجحان الأول ؛ لأن الله قال بعدها : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي ۚ هَذَا بَصَائِرُ

مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا

لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ .

(1) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠ / ٦٥٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٦٤٣) رقم (٨٧١٥) من طريق عطية العوفي ، عنه .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠ / ٦٥٦) من طريق معمر ، عنه .

(3) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢ / ٢٤٦) عن معمر ، عنه .

(4) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠ / ٦٥٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٦٤٣) رقم (٨٧١٤) من طريق أبي معاذ ، عن عبيد بن سليمان ، عنه قال : لولا أخذها أنت ، فجئت بها من السماء .

(5) ينظر : مدارك التنزيل (٢ / ٩٢) .

(6) ينظر : محاسن التأويل (٧ / ٢٩٣٢) .

(7) ينظر : الكشف (٢ / ٥٤٧) ، والمحرر الوجيز (٦ / ١٦٥) ، ومفاتيح الغيب (٥ / ٤٣٨) ، وأنوار التنزيل

(١ / ٣٧٤) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣ / ٣٦٧) ، وإرشاد العقل السليم (٢ / ٣٣٧) ، وحاشية

الشهاب (٤ / ٢٤٨) ، وروح المعاني (٩ / ١٤٩) ، وتفسير القرآن الحكيم (٩ / ٤٧٨) ، وتفسير المراغي

(٩ / ١٥٣) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢ / ١٨٤) .

(8) ينظر : التحرير والتنوير (٩ / ٢٣٦) .

(9) ينظر : العذب النمير (٤ / ١٧٩٧ - ١٨٠٠) .

وإذا كان ذلك كذلك فإن أولى القولين في معنى ﴿اجْتَبَيْتَهَا﴾ هو ما قدمه ابن جُزَيِّ ترجيحاً له من أن معناها هو : هلاً اخترعتها وأحدثتها واختلقتها من تلقاء نفسك ؛ لأنهم كانوا يقولون : ﴿مَا هَذَا إِلَّا إِنْكَ مُفْتَرَى﴾ [سبأ : ٤٣] ، فهو كذلك على زعمهم فكما أتى به أولاً من عند نفسه افتراءً فهلاً أتى به ثانياً كذلك .  
وأيضاً فإن القول الآخر ليس بمدفوع بل له وَجْهٌ .

قال الطاهر بن عاشور : « والجواب الذي أمر الرسول ﷺ بأن يجيب به وهو قوله : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ صالح للمعنيين ، فالاتباع مستعمل في معنى الاختصار والوقوف عند الحد ، أي : لا أطلب آيةً غير ما أوحى الله إليّ ، ويعضد هذا ما في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : ( ما من الأنبياء إلا أوتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة )<sup>(١)</sup> . ويكون الاتباع أيضاً متعلقاً بالزمان أي : إنما أنتظر ما يوحى إلي ولا أستعجل نزول القرآن إذا تأخر نزوله »<sup>(١)</sup> .

(1) أخرجه أحمد في مسنده (٤٥١/٢) برقم (٩٨٢٧) ، والبخاري في فضائل القرآن (٤٩٨١) و في الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٧٤) ، ومسلم (١٣٤/١) برقم (١٥٢) من حديث أبي هريرة .  
(2) التحرير والتنوير ( ٢٣٦ / ٩ ) بتصريف يسير .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٢٠٤)

#### ٤٥ - الخلاف في الإنصات المأمور به في قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا ﴾ .

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « فيه ثلاثة أقوال : أحدها : أن الإنصات المأمور به هو لقراءة الإمام في الصلاة . والثاني : أنه الإنصات للخطبة . والثالث : أنه الإنصات لقراءة القرآن على الإطلاق . وهو الراجح ؛ لوجهين : أحدهما : أن اللفظ عام ولا دليل على تخصيصه . والثاني : أن الآية مكيّة ، والخطبة إنما شرعت بالمدينة »<sup>(١)</sup> .

#### العرض والمناقشة :

رجح ابن جزي أن الإنصات المأمور به في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ هو لقراءة القرآن على الإطلاق . ووافق في هذا ما نسب إلى الحسن<sup>(٢)</sup> ، وعليه أهل الظاهر<sup>(٣)</sup> . وذهب إليه الزمخشري، والقرطبي، وأبو حيان، والبقاعي، وأبو السعود، والشوكاني، والقنوجي، والقاسمي، والسعدي<sup>(٤)</sup> . ومال إليه البيضاوي، والنسفي<sup>(٥)</sup> . واستدلوا له بظاهر الآية الكريمة ؛ فإن ظاهرها يدل على الاستماع والإنصات لقراءة القرآن مطلقاً في صلاة وغير صلاة .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل ( ٢ / ٥٩ ) .

(2) نسبه إليه الرازي في مفاتيح الغيب ( ٥ / ٤٣٩ ) ، والخازن في لباب التأويل ( ٢ / ١٦٠ ) ، والقمي في غرائب القرآن ورجائب الفرقان ( ٣ / ٣٦٧ ) ، وأبو حيان في البحر المحيط ( ٤ / ٤٥٢ ) .

(3) ينظر : مفاتيح الغيب للرازي ( ٥ / ٤٣٩ ) ، ولباب التأويل للخازن ( ٢ / ١٦٠ ) ، ومحاسن التأويل للقاسمي ( ٧ / ٢٩٣٤ ) .

(4) ينظر : الكشف ( ٢ / ٥٤٨ ) ، والجامع لأحكام القرآن ( ٩ / ٤٣١ ) ، والبحر المحيط ( ٤ / ٤٥٢ ) ، ونظم الدرر ( ٨ / ٢٠٩ ) ، وإرشاد العقل السليم ( ٢ / ٣٣٨ ) ، وفتح القدير ( ٢ / ٤٠٢ ) ، وفتح البيان ( ٥ / ١١٣ ) ، ومحاسن التأويل ( ٧ / ٢٩٣٤ ) ، وتيسير الكريم الرحمن ( ٢ / ١٨٥ ) .

(5) ينظر : أنوار التنزيل ( ١ / ٣٧٤ ) ، ومدارك التنزيل ( ٢ / ٩٢ ) .

قال البيضاوي : « وظاهر اللفظ يقتضي وجوبهما حيث يقرأ القرآن مطلقاً ، وعمامة العلماء على استحبابهما خارج الصلاة »<sup>(١)</sup> .

وقال النحاس : « وفي اللغة يجب أن يكون في كل شيء إلا أن يدل دليل على اختصاص شيء »<sup>(٢)</sup> .

ومما يدل عليه عموم اللفظ ، فإنه عام في كل من سمع كتاب الله يتلى ، فإنه مأمور بالاستماع له والإنصات . ويتأكد في الصلاة الجهرية<sup>(٣)</sup> .

يقول الشوكاني : « وجمهور الصحابة على أنه في استماع المؤتمر ... وأما خارج الصلاة فعامة العلماء على استحبابهما . وقيل : هذا الأمر خاص بوقت الصلاة عند قراءة الإمام . ولا يخفك أن اللفظ أوسع من هذا . والعام لا يقصر على سببه ، فيكون الاستماع والإنصات عند قراءة القرآن في كل حالة وعلى أي صفة مما يجب على السامع »<sup>(٤)</sup> .

لكن حكى ابن المنذر الإجماع على عدم وجوب الاستماع والإنصات في غير الصلاة والخطبة، وذلك أن إيجابهما على كل من يسمع أحداً يقرأ فيه حرج عظيم ؛ لأنه يقتضي أن يترك له المشتغل بالعلم علمه ، والمشتغل بالحكم حكمه ... وكل ذي شغل شغله<sup>(٥)</sup> .  
وأما القول الأول بأن الإنصات المأمور به هو لقراءة الإمام في الصلاة فرؤي عن أكثر السلف منهم : ابن مسعود<sup>(٦)</sup> ، وأبو هريرة<sup>(٧)</sup> ،

(1) أنوار التنزيل ( ١ / ٣٧٤ ) .

(2) إعراب القرآن ( ٢ / ١٧٣ ) .

(3) ينظر : تيسير الكريم الرحمن للسعدي ( ٢ / ١٨٥ ) ، ومفاتيح الغيب للرازي ( ٥ / ٤٣٩ ) .

(4) فتح القدير ( ٢ / ٤٠٢ ) . وتبعه القنوجي في فتح البيان ( ٥ / ١١٣ ) .

(5) ينظر : تفسير القرآن الحكيم للسيد محمد رشيد رضا ( ٩ / ٤٧٩ ) ، وتفسير المراغي ( ٩ / ١٥٥ ) ، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ( ٩ / ٢٣٩ - ٢٤٠ ) .

(6) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦٥٨ ، ٦٥٩ ) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦٤٦ ) رقم ( ٨٧٣٠ ) ، وابن عبد البر في التمهيد ( ١١ / ٢٩ ) ، والبيهقي في القراءة خلف الإمام ( ٢٥٨ ) .

(7) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦٢ ) ، وابن المنذر في الأوسط ( ٣ / ١٠٥ ) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦٤٥ ) رقم ( ٨٧٢٦ ، ٨٧٢٨ ) ، والبيهقي في السنن الكبرى ( ٢ / ١٥٥ ) ،

وابن عبد البر في التمهيد ( ١١ / ٢٩ ) وغيرهم . قال : ( نزلت في رفع الأصوات ، وهم خلف رسول الله ﷺ في الصلاة ) .

وابن عباس<sup>(١)</sup>، وعبد الله بن مغفل<sup>(٢)</sup>، ومجاهد<sup>(٣)</sup>، ومحمد بن كعب القرظي<sup>(٤)</sup>، وقتادة<sup>(٥)</sup>،  
والكلبي<sup>(٦)</sup>، وسعيد بن المسيب<sup>(٧)</sup>، وسعيد بن جبير<sup>(٨)</sup>، والضحاك، وإبراهيم النخعي<sup>(٩)</sup>،  
وعامر الشعبي<sup>(١٠)</sup>، والزهري<sup>(١١)</sup>، وعبيد بن عمير، وعطاء بن أبي رباح<sup>(١٢)</sup>، والسدي<sup>(١٣)</sup>،  
وزيد بن أسلم<sup>(١٤)</sup>، وابن زيد<sup>(١٥)</sup>.

وذهب إليه الفراء، والزجاج، والنحاس، والجصاص، والسمرقندي، وابن أبي زمنين،  
والواحدي، والسمعاني، والبغوي، وابن عطية<sup>(١٦)</sup>.

(1) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ١٠٠ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤ ) ، وابن المنذر في الأوسط ( ٣ / ١٠٥ ) قال : ( يعني في الصلاة المفروضة ) . وأخرجه ابن مردويه — كما في الدر المنثور للسيوطي ( ٣ / ٦٣٤ ) — عنه قال : صَلَّى

النبي ﷺ فقرأ خلفه قوم ، فتزلت ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا ﴾ .

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦٤٦ ) رقم ( ٨٧٣٢ ) — وجاء فيه : عبد الله بن مفضل — وعزاه السيوطي في الدر المنثور ( ٣ / ٦٣٥ ) إليه وإلى ابن أبي شيبه ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه .

(3) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ( ٢ / ٢٤٧ ، ٢٤٨ ) ، وفي المصنف برقم ( ٤٠٥٥ ، ٤٠٥٦ ) ، والطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٣ ) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦٤٦ ) رقم ( ٨٧٣١ ) ، وغيرهم .

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦٤٥ ) رقم ( ٨٧٢٧ ) . ونسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٣ / ٦٣٤ ) أيضاً إلى سعيد بن منصور .

(5) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ( ٢ / ٢٤٧ ) ، والطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦٦١ ) . وزاد نسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٣ / ٦٣٦ ) إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر وأبي الشيخ .

(6) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ( ٢ / ٢٤٧ ) .

(7) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦٦٠ ) ، والبيهقي في القراءة خلف الإمام ( ٢٦٩ ) ، وابن عبد البر في التمهيد ( ١١ / ٣٠ )

(8) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦٦١ ) .

(9) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦٦١ ) ، وابن عبد البر في التمهيد ( ١١ / ٣٠ ) .

(10) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦٦٢ ) .

(11) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦٥٩ ، ٦٦٢ ، ٦٦٤ ) .

(12) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦٥٩ ) .

(13) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦٦٣ ) .

(14) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦٤٦ ) رقم ( ٨٧٣٥ ) .

(15) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦٦٣ ) .

(16) ينظر : معاني القرآن ( ١ / ٤٠٢ ) ، ومعاني القرآن وإعرابه ( ٢ / ٣٩٨ ) ، ومعاني القرآن الكريم ( ٣ / ١٢٢ )

ودليله :

— أن سبب نزولها أنهم كانوا يرفعون أصواتهم وهم خلف رسول الله ﷺ في الصلاة ،  
فترلت الآية في ذلك .

— وإجماعهم على عدم وجوب الاستماع والإنصات في غير الصلاة والخطبة .

قال الجصاص : « فقد حصل من اتفاق الجميع أنه قد أريد ترك القراءة خلف الإمام  
والاستماع والإنصات لقراءته . ولو لم يثبت عن السلف اتفاقهم على نزولها في وجوب ترك  
القراءة خلف الإمام لكانت الآية كافية في ظهور معناها وعموم لفظها ووضوح دلالتها على  
وجوب الاستماع والإنصات لقراءة الإمام ؛ وذلك لأن قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ  
فَأَسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا ﴾ يقتضي وجوب الاستماع والإنصات عند قراءة القرآن في الصلاة  
وغيرها . فإن قامت دلالة على جواز ترك الاستماع والإنصات في غيرها لم يبطل حكم  
دلالتها في إيجاب ذلك فيها »<sup>(١)</sup> .

وأما القول الثاني بأن الإنصات المأمور به هو الإنصات للخطبة ، فُسبب إلى عائشة ،  
وسعيد بن جبير ، وعطاء ، وعمرو بن دينار<sup>(٢)</sup> . و رُوِيَ عن مجاهد<sup>(٣)</sup> . واختاره  
السيوطي<sup>(٤)</sup> .

وذكره الواحدي بصيغة ( قيل )<sup>(٥)</sup> .

وضعفه ابن عطية ؛ لأن الآية مكية والخطبة لم تكن إلا بعد الهجرة النبوية<sup>(٦)</sup> .

وإعراب القرآن ( ١٧٣/٢ ) ، وأحكام القرآن ( ٢١٥ / ٤ - ٢١٦ ) ، وبحر العلوم ( ١ / ٥٩١ ) ، وتفسير  
القرآن العزيز ( ١٦٣ / ٢ ) ، والوجيز ( ٤٢٩/١ ) و الوسيط ( ٢ / ٤٤٠ ) ، وتفسير القرآن ( ٢ / ٢٤٤ ) ،  
ومعالم التنزيل ( ١٨٧ / ٢ ) ، والمحرر الوجيز ( ١٩٦ / ٦ ، ١٩٧ ) وأوجب الأخير الإنصات لقراءة القرآن في  
الصلاة والخطبة ، وجعله على الندب في غير الصلاة .

(1) أحكام القرآن ( ٢١٥ / ٤ - ٢١٦ ) .

(2) ينظر : معالم التنزيل للبعوي ( ١٨٧ / ٢ ) ، وزاد المسير لابن الجوزي ( ٣ / ٣١٣ ) .

(3) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦٦٤ ، ٦٦٥ ) ، وغيره .

(4) ينظر : تفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ١٦٧ / ٢ ) . وقال : نزلت في ترك الكلام في الخطبة ، وعبر عنها  
بالقرآن ؛ لاشتمالها عليه . وقيل : في قراءة القرآن مطلقاً .

(5) ينظر : الوجيز ( ١ / ٤٢٩ ) .

(6) ينظر : المحرر الوجيز ( ١٩٦ / ٦ ) . وتبعه ابن جزي .

واختار الطبري أنها نزلت في صلاة الجمعة ، وفيما يجهر به من القراءة في الصلاة ؛ «لصححة الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال : ( إذا قرأ الإمام فأنصتوا )<sup>(١)</sup> ، وإجماع الجميع على أن من سمع خطبة الإمام ممن عليه الجمعة الاستماع والإنصات لها ، مع تتابع الأخبار بالأمر بذلك عن رسول الله ﷺ ، وأنه لا وقت يجب على أحدٍ استماع القرآن والإنصات لسامعه من قارئه إلا في هاتين الحالتين ، على اختلاف في إحداهما ، وهي حالة أن يكون خلف إمام مؤتم به . وقد صحَّ الخبر عن رسول الله ﷺ بما ذكرنا من قوله : ( إذا قرأ الإمام فأنصتوا ) فالإنصات خلفه لقراءته واجب على من كان به مؤتمًا سامعًا قراءته بعموم ظاهر القرآن والخبر عن رسول الله ﷺ»<sup>(٢)</sup> .

وروي هذا القول عن ابن عباس ، ومجاهد ، وعطاء<sup>(٣)</sup> ، وجابر بن زيد<sup>(٤)</sup> ، والحسن<sup>(٥)</sup> .

وروي عن سعيد بن جبير أنها في يوم الأضحى ، ويوم الفطر ، ويوم الجمعة ، وفيما يجهر به الإمام من الصلاة<sup>(٦)</sup> .

وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن القول بأن الإنصات المأمور به في خطبة الجمعة لا يخلو من بُعد ؛ لثلاثة أوجه : الأول : أن القرآن غير كثير فيها<sup>(٧)</sup> . الثاني : أن الجمعة ما شرعت إلا بالمدينة ، والآية مكية ؛ لأن سورة الأعراف من القرآن النازل بمكة قبل الهجرة<sup>(٨)</sup> .

(1) أخرجه أحمد ( ٤ / ٤١٥ ) ، ومسلم ( ٤٠٤ / ٦٣ ) ، وأبو داود ( ٩٧٣ ) ، وابن ماجه ( ٨٤٧ ) .

(2) جامع البيان ( ١٠ / ٦٦٧ ) .

(3) ينظر : الدر المنثور للسيوطي ( ٣ / ٦٣٧ ) .

(4) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ( ٢ / ٢٤٧ ) .

(5) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦٦٦ ) قال : في الصلاة ، وعند الذكر .

(6) أخرجه الطبري في جامع البيان ( ١٠ / ٦٦٦ ) . وأخرج نحوه ابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦٤٦ ) رقم

( ٨٧٣٣ ) عنه ، عن ابن عباس .

(7) ينظر : العذب النمير للشنقيطي ( ٤ / ٤٥٨ طبعة أبو زيد ) .

(8) ينظر : تفسير القرآن للسمعي ( ٢ / ٢٤٤ ) ، ومعالم التنزيل للبغوي ( ٢ / ١٨٧ ) ، والمحرر الوجيز ( ٦ / ١٩٦ ) ،

والمصدر السابق .

الثالث : أن الخطبة مأمور بالاستماع و الإنصات لها قريء قرآن أو لا<sup>(١)</sup> .  
 وأما القولان الآخران فيمكن الجمع بينهما بأن يقال : إن الاستماع والإنصات لقراءة القرآن في الصلاة الجهرية واجب ، والاستماع والإنصات لقراءة القرآن — في غير الصلاة — وغير الخطبة أيضًا — مستحبٌ .  
 وفي الجمع بين هذين القولين إعمال للأدلة كلّها وجمع بينها ، وهو أولى من إهمال وإطّراح أحد القولين . فالاستماع والإنصات لقراءة القرآن في الصلاة والخطبة مأمور بهما أمر إيجاب ، وفي غيرهما مأمور بهما أمر استحباب ، والله تعالى أعلم .  
 قال النقاش: «أجمع أهل التفسير أن هذا الاستماع في الصلاة المكتوبة وغير المكتوبة»<sup>(٢)</sup> .

ومما يؤيد هذين القولين من القواعد الترجيحية قاعدة : ( لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلاّ بدليل ) ، وقاعدة : ( العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ) ، وقاعدة : ( يجب حمل نصوص الوحي على العموم )<sup>(٣)</sup> . والله تعالى أعلم .

(1) ينظر : معاني القرآن الكريم للنحاس (٣/ ١٢٢) ، والمصادر السابقة .

(2) ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ٤٣١) .

(3) ينظر : قواعد الترجيح (١/ ١٣٧) و(٢/ ٥٤٥ و ٥٢٧) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَأَذْكُرَّتْكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾

﴿ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (٢٥)

#### ٤٦ - الخلاف في المراد بـ الغدوّ والآصال .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « ﴿ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ أي : في الصباح والعشي . والآصال : جمع أُصْل ، والأُصْل : جمع أُصِيل . قيل : المراد صلاة الصبح والعصر . وقيل : فرض الخمس . والأظهرُ الإطلاقُ » (١) .

#### العرض والمناقشة :

فسر ابن جُزَيِّ الغدوّ والآصال بالصباح والعشي ، ووافق في ذلك جمهور المفسرين منهم : مقاتل، والطبري، والزجاج، والجصاص، والواحدي، والبغوي، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، والخازن، وأبوالسعود، والشوكاني، والقاسمي (٢) .  
وعبر عنه آخرون بأوائل النهار وأواخره منهم : السمعاني، وابن كثير، والسيوطي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي، والشنقيطي (٣) .  
وعندهم أن الغدوّ هو الوقت ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس ، والآصال ما بين العصر والمغرب . كذا فيما يقال في كلام العرب (٤) .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٦٠) .

(٢) ينظر : تفسير مقاتل (٢ / ٨٣) — قال: بالغداة والعشي — ، وجامع البيان (١٠ / ٦٦٩) — قال: بالبر والعشيات — ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢ / ٣٩٨) — قال : والآصال : العشيات — ، وأحكام القرآن (٤ / ٢٢٢) — قال : وقال قتادة : والآصال : العشيات — ، والوجيز (١ / ٤٢٩) ، ومعالم التنزيل (٢ / ١٨٨) ، والجامع لأحكام القرآن (٩ / ٤٣٤) ، وأنوار التنزيل (١ / ٣٧٤) ، ومدارك التنزيل (٢ / ٩٢) ، ولباب التأويل (٢ / ١٦١) ، وإرشاد العقل السليم (٢ / ٣٣٨) ، وفتح القدير (٢ / ٤٠٢) ، ومحاسن التأويل (٧ / ٢٩٣٧) .

(٣) ينظر : تفسير القرآن (٢ / ٢٤٥) ، وتفسير القرآن العظيم (٦ / ٥٠٥) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣ / ١٦٩) ، وتفسير القرآن الحكيم (٩ / ٤٨٣) ، وتفسير المراغي (٩ / ١٥٦) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢ / ١٨٥) ، والعذب النمير (٤ / ١٨٠٩) .

(٤) ينظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة (١ / ٢٣٩) ، وجامع البيان للطبري (١٠ / ٦٦٩) ، والصحاح للجوهري ، (أطم) ، وتاج العروس للزبيدي (أصل) .

قال أبو ذؤيب الهذلي<sup>(١)</sup>:

لعمري لأنت البيتُ أكرمُ أهله وأقعدُ في أفيائه بالأصائل

قال أبو عبيدة: « يقال: آخر النهار »<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي صخر: أن الأصال ما بين الظهر والعصر<sup>(٣)</sup>. وقال: « فالأصال لا يجهر فيها »<sup>(٤)</sup>.

وهو قول مخالف لما عليه العرب.

وذهب الطاهر بن عاشور إلى أن الغدو النصفُ الأولُ من النهار، والأصال النصف الثاني من النهار<sup>(٥)</sup>.

وأما الراغب الأصفهاني فاعتبر العشيَّ من زوال الشمس إلى الصباح، واستدلَّ بقوله

تعالى: ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات]. وأما الغدوة والغداة فمن أول النهار<sup>(٦)</sup>.

وأما القول بأن المراد بالغدو صلاة الصبح، وبالأصال صلاة العصر، فهو قول

قتادة<sup>(٧)</sup>، ومجاهد<sup>(٨)</sup>. ونُسبَ لابن عباس<sup>(٩)</sup>. ويُخرَج هذا القول على أن أهم الذكر في

هذين الوقتين؛ في أول النهار وآخره هما صلاة الفجر وصلاة العصر<sup>(١٠)</sup>.

(1) ديوان الهذليين ( ١ / ١٤١ ).

(2) مجاز القرآن ( ١ / ٢٣٩ ).

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦٤٨ ) رقم ( ٨٧٤٧ ).

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٦٤٨ ) رقم ( ٨٧٤٨ ).

(5) ينظر: التحرير والتنوير ( ٩ / ٢٤٢ ).

(6) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن ( غدا ) ( ٦٠٣ )، و ( عشا ) ( ٥٦٧ ).

(7) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ( ٢ / ٢٤٦ ) عن معمر، عنه قال: الأصال العشي. وأخرجه ابن أبي حاتم في

تفسيره ( ٥ / ١٦٤٨ ) رقم ( ٨٧٤٥ و ٨٧٤٦ ) من طريق يزيد، عن سعيد، عنه. وفي الدر المنثور للسيوطي

( ٣ / ٦٣٨ ) نسبه إلى عبد بن حميد، والطبري، وابن المنذر. وفيه: ( أما الغدو: فصلاة الصبح، والأصال:

بالعشي ). ونسبه إليه الماوردي في النكت والعيون ( ٢ / ٢٩١ )، وأبو حيان في البحر المحيط ( ٤ / ٤٥٣ ) قال:

صلاة الصبح والعصر.

(8) نسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٣ / ٦٣٨ ) إلى الطبري، وأبي الشيخ. ونسبه إليه أيضاً الماوردي في النكت

والعيون ( ٢ / ٢٩١ )، وابن عطية في المحرر الوجيز ( ٦ / ١٩٨ ).

(9) نسبه إليه الماوردي ( ٢ / ٢٩١ )، وابن الجوزي في زاد المسير ( ٣ / ٣١٤ ).

(10) ينظر: تفسير القرآن الحكيم للسيد رشيد رضا ( ٩ / ٤٨٤ )، وتفسير المراغي ( ٩ / ١٥٦ ).

واختار ابن أبي زمنين، وابن كثير<sup>(١)</sup> أن ذلك حين كانت الصلاة ركعتين غدوةً  
وركعتين عشية قبل أن تفرض الصلوات الخمس ؛ لأن هذه الآية مكية .

وأما القول بأن المراد الصلوات الخمس فهو منسوب لابن عباس أيضاً<sup>(٢)</sup> .  
وُتَسَبَّ إلى الضحاك أن المراد الجهر بالقراءة في صلاة الغداة والمغرب والعشاء<sup>(٣)</sup> .  
واستظهر ابن جُزَيِّ الإطلاق وعدم تعيين صلاة بعينها ، وأن المراد هو ذكر الله على  
الدوام وليس التخصيص .

وعلى هذا ابن عطية، والرازي، والسمين، والبقاعي، والشوكاني، والقنوجي ، والطاهر  
ابن عاشور<sup>(٤)</sup> . وأمكنه القمي<sup>(٥)</sup> .

وذكره بصيغة ( قيل ) : النسفي، وأبوحيان، والآلوسي<sup>(٦)</sup> .

ويدل عليه أن الله تعالى نهي عن الغفلة عن ذكره بعد ذلك فقال : ﴿ وَلَا تَكُنْ مِّنَ

الْغَافِلِينَ ﴾ .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن ما ذهب إليه ابن جُزَيِّ من تفسير الغدو بالصباح والآصال بالعشي  
فقد وافقه عليه جمهور المفسرين ، وهو الراجح ؛ لوروده في كلام العرب كذلك .  
وأما ما استظهره من أن المراد هو دوام الذكر لله تعالى فقد تابعه عليه جماعة وخالفه  
آخرون، والله أعلم بمراده وأسرار كتابه .

(1) ينظر : تفسير القرآن العزيز ( ١٦٣ / ٢ ) ، وتفسير القرآن العظيم ( ١٩٨ / ٦ ) .

(2) نسبه إليه الواحدي في الوسيط ( ٤٤١ / ٢ ) .

(3) نسبه إليه السمرقندي في بحر العلوم ( ٥٩١ / ١ ) .

(4) ينظر : المحرر الوجيز ( ١٩٨ / ٦ ) — وتابعه الثعالبي في الجواهر الحسان ( ٦٠٠ / ١ ) — ، ومفاتيح الغيب

( ٤٤٤ / ٥ ) ، والدر المصون ( ٥٥٢ / ٥ ) ، ونظم الدرر ( ٢١١ / ٨ ) ، وفتح القدير ( ٤٠٣ / ٢ ) ، وفتح البيان

( ١٢٣ / ٥ ) ، والتحرير والتنوير ( ٢٤٢ / ٩ ) .

(5) ينظر : غرائب القرآن ورجائب الفرقان ( ٣٦٩ / ٣ ) .

(6) ينظر : مدارك التنزيل ( ٩٢ / ٢ ) ، والبحر المحيط ( ٤٥٣ / ٤ ) ، وروح المعاني ( ١٥٥ / ٩ ) .

ترجيحاتُ ابنِ جُزَيِّ  
في تفسير سورة الأنفال

قَالَ تَعَالَى:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾

في هذه الآية الكريمة مسألتان :

المسألة الأولى هي :

١ - الخلاف في معنى الأنفال .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « والأنفال هي الغنائم . وقيل : الأنفال هنا ما ينقله الإمام لبعض الجيش من الغنيمة زيادةً على حظِّه »<sup>(١)</sup>.

العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيِّ بأن الأنفال هي الغنائم . ووافق في ذلك ما رُوِيَ عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>، ومجاهد<sup>(٣)</sup>، وقتادة<sup>(٤)</sup>، وعكرمة<sup>(٥)</sup>، والضحاك<sup>(٦)</sup>، وابن زيد<sup>(٧)</sup>، وعطاء<sup>(٨)</sup> . و تُسبَّ إلى الحسن<sup>(٩)</sup> .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٦٠/٢) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٩٤/٥) رقم (٨٧٥٤) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه . وأخرجه الطبري أيضاً في جامع البيان (٦/١١) من طريق عطية العوفي ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٤) نسبته إلى ابن المنذر ، وابن مردويه ، والبيهقي في سننه (٢٩٣/٦) .

(3) أخرجه الطبري في جامع البيان (٥/١١) من طريق ابن أبي نجیح ، عنه . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٤٩/٥) عقب الأثر رقم (٨٧٥٤) .

(4) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٥١/٢) عن معمر ، عنه . وأخرجه الطبري في جامع البيان (٦/١١) من طريق سعيد ، عنه .

(5) أخرجه الطبري في جامع البيان (٥/١١) من طريق حماد بن زيد ، عنه .

(6) أخرجه الطبري في جامع البيان (٥/١١) من طريق جوير ، عنه . وأخرجه أيضاً (٦/١١) من طريق عبيد بن سليمان ، عنه . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٤٩/٥) عقب الأثر (٨٧٥٤) .

(7) أخرجه الطبري في جامع البيان (٦/١١) من طريق ابن وهب ، عنه .

(8) أخرجه الطبري في جامع البيان (٦/١١) من طريق ابن المبارك ، عن ابن جريح ، عنه . وأخرجه أبو عبيد في الأموال (٧٥٧) — وعنه ابن زنجويه في الأموال (١١٢٧) — عن حجاج ، عن ابن جريح ، عنه . وزاد أبو عبيد ذكر "ابن عباس" . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٤٩/٥) عقب الأثر (٨٧٥٤) .

(9) نسبه إليه ابن الجوزي في زاد المسير (٣١٨/٣) .

وذهب إليه عامّة المفسرين منهم : أبو عبيد القاسم بن سلام، وأبو عبيدة، وابن قتيبة، والزجاج، والنحاس، والجصاص، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، ومكي، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والزمخشري، وابن العربي، وابن عطية، وابن الجوزي، والرازي، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، والخازن، والقمي، وأبو حيان، وابن التركماني، والسمين، والبقاعي، والسيوطي، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والقاسمي، والمراغي، والسعدي، والشنقيطي<sup>(١)</sup> .

قال البغوي : « وأكثر المفسرين على أن الآية في غنائم بدر » . وتبعه الخازن .  
وأيدته ابن عطية بأسباب النزول المروية وسماها "آثار يوم بدر" ، ومناسبة الوقت الذي  
نزلت الآية فيه ، ومنها :

ما رواه أبو أمامة الباهلي قال : سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال ، فقال : فينا  
معشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا فانتزعه الله من أيدينا  
وجعله إلى رسول الله < فقسمه رسول الله < بين المسلمين عن بؤاء . يقول : على السواء  
(٢) .

وروى الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله < : ( لم تحلَّ  
الغنيمةُ لقومِ سودِ الرؤوسِ قبلكم . كانت تنزل نار من السماء فتأكلها ) . فلما كان يومُ بدرٍ  
أسرع الناس في الغنائم فأنزل الله تعالى : ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ

(1) ينظر: الأموال (٣٨٤/١) ، و مجاز القرآن (٢٤٠ /١) ، وتفسير غريب القرآن (١٧٧) ، ومعاني القرآن وإعرابه  
(٣٩٩/٢) ، ومعاني القرآن الكريم (١٢٩ /٣) ، وأحكام القرآن (٢٢٢ /٤) ، وبحر العلوم (٣/٢) ، وتفسير  
القرآن العزيز (١٦٥ /٢) ، وتفسير المشكل (١٨٠) ، والوجيز (٤٣٠ /١) ، وتفسير القرآن (٢٤٦ /٢) ،  
ومعالم التنزيل (١٩٣ /٢) ، والكشاف (٥٤٩ /٢) ، وأحكام القرآن (٨٣٥ /٢) ، والمحزر الوجيز  
(٢٠١/٦) ، وتذكرة الأريب (١٩٨ /١) ، ومفاتيح الغيب (٤٤٧ /٥) ، والجامع لأحكام القرآن (٤٤٣/٩) ،  
وأنوار التنزيل (٣٧٥ /١) ، ومدارك التنزيل (٩٣/٢) ، ولباب التأويل (١٦٢/٢) ، وغرائب القرآن (٣٧٢/٣) ،  
والبحر المحيظ (٤٥٦/٤) ، وبهجة الأريب (٢٣٥/١) ، والدر المصون (٥٥٦/٥) ، ونظم الدرر (٢١٧/٨) ،  
وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣ /١٧٠) ، وإرشاد العقل السليم (٣٣٩/٢) ، وفتح القدير (٤٠٦/٢) ،  
وروح المعاني (١٦٠/٩) ، وفتح البيان (١٢٧ /٥) ، ومحاسن التأويل (٢٩٤٦/٨) ، وتفسير المراغي (١٦١ /٩) -  
(١٦٢) ، وتيسير الكريم الرحمن (١٨٧ /٢) ، والعذب النمير (٤ /١٨١١ ، ١٨١٣ ، ١٨١٥) .

(2) أخرجه أحمد في مسنده (٣٢٢ /٥) .

عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ﴿١﴾ [الأنفال: ٦٨-٦٩] .

وعن ابن عباس قال : لما كان يوم بدر قال النبي < : ( من قتل قتيلاً فله كذا وكذا ، ومن أسر أسيراً فله كذا وكذا ) . وكانوا قتلوا سبعين وأسروا سبعين ، فجاء أبو اليسر بن عمرو بأسيرين فقال : يا رسول الله ، إنك وعدتنا من قتل قتيلاً فله كذا ، ومن أسر أسيراً فله كذا ، وقد جئت بأسيرين . فقام سعد بن عبادة فقال : يا رسول الله ، إنا لم نَمْنَعْنَا زهادةً في الأجر ولا جُبْنٌ عن العدو ، ولكننا قمنا هذا المقام خشية أن يقتطعك المشركون ، وإنك إن تُعْطِ هؤلاء لا يبقى لأصحابك شيء . قال : فجعل هؤلاء يقولون ، وهؤلاء يقولون ، فترلت : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ قال : فَسَلِّمُوا الْغَنِيمَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ < ، قال [ثم] نزلت : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ الآية <sup>(٢)</sup> [ الأنفال : ٤١ ] .

وفي رواية قال : فترلت ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ فَقَسَمَ الْغَنَائِمَ بَيْنَهُمْ بِالسُّوْيَةِ <sup>(٣)</sup> .

وعن الكلبي قال : لما كان يوم بدر قال النبي < : ( من جاء برأسٍ فله كذا وكذا ، ومن جاء بأسير فله كذا وكذا ) . فلما هزم المشركون تبعهم ناس من المسلمين [ وبقي مع النبي < ناس ] فقال الذين بقوا مع النبي < : يا نبي الله ، والله ما منعنا أن نصنع كما صنع هؤلاء وأن نتبعهم ضعفٌ بنا ولا تقصير ، ولكننا كرهنا أن نُعْرِيكَ وندعك وحدك ، قال : فتدارؤوا في ذلك فأنزل الله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ﴾ ثم أخبر الله تعالى بمواضعها فقال : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى ﴾

(1) أخرجه تمام الرازي في فوائده (٢٦٣/١) برقم (٦٤٠) . وذكره الجصاص في أحكام القرآن (٤/ ٣٢٢) .  
(2) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٤٩) ، وفي المصنف (٥/ ٢٣٩) (٩٤٨٣) عن الثوري ، عن محمد بن السائب ، عن أبي صالح ، عنه . ورواه عبْد بن حميد ، وابن مردويه كما في الدر المنثور للسيوطي (٦/٤) .  
(3) أخرجه الحاكم في المستدرک (٢/ ٢٤١) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٣١٥) . قال الحاكم : هذا حديث صحيح ولم يخرجاه . وينظر: الدر المنثور للسيوطي (٦/٤) .

الآية<sup>(١)</sup> [الأَنْفَال: ٤١].

قال الجصاص : « والصحيح أنه لم يتقدم من النبي < قول في الغنائم قبل القتال ، فلما فرغوا من القتال تنازعوا في الغنائم فأنزل الله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ﴾ فاجعل أمرها إلى النبي < في أن يجعلها لما شاء فقسّمها بينهم بالسواء »<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : « ومعنى الأنفال في كلام العرب : كل إحسان فعله فاعل تَفَضُّلاً من غير أن يجب ذلك عليه ، فكذلك النفل الذي أحله الله للمؤمنين من أموال عدوّهم ، إنما هو شيء خصّهم الله به تطوّلاً منه عليهم ، بعد أن كانت الغنائم محرمة على الأمم قبلهم فنفلها الله هذه الأمة ، فهذا أصل النفل ، وبه سمي جعل الإمام للمقاتلة نفلاً وهو تفضيله بعض الجيش على بعض بشيء سوى سهامهم ، يفعل ذلك على قدر الغنى عن الإسلام ، والنكفي في العدو »<sup>(٣)</sup>.

وقال النحاس : « والأنفال في اللغة : ما يتطوّع به الإمام ، مما لا يجب عليه نحو قوله : (من جاء بأسير فله كذا) ، ومنه : النافلة من الصلوات ، ثم قيل للغنيمة : نفل ؛ لأنه يُروى أن الغنائم لم تُحلّ لأحد إلاّ لأمة محمد <<sup>(٤)</sup> ، فكأنهم أعطوها نافلةً »<sup>(٥)</sup>.

وقال أيضاً : « ويجعل بعضهم اشتقاقه من النافلة ، وهي الزيادة ، فالغنائم أنفال ؛ لأن الله تعالى نفلها أمة محمد < خصّهم بذلك »<sup>(٦)</sup>.

والنفل في اللغة : الزيادة ، ومنه قول لبيد<sup>(٧)</sup> :

إن تقوى ربنا خير نفلٍ      وبإذن الله ريثي و عَجَل

(1) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٥٠/٢) عن معمر ، عنه .

(2) أحكام القرآن (٤/٢٢٣) .

(3) الأموال (١/٣٨٦) . وينظر: تفسير ابن أبي حاتم (٥/١٦٥٠) ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/١١١) .

(4) روى البخاري في صحيحه في كتاب التيمم برقم (٣٣٥) ، وفي كتاب الصلاة برقم (٤٣٨) ، وفي كتاب فرض

الخمس برقم (٣١٢٢) ، ومسلم في صحيحه (١/٣٧٠) برقم (٥٢١) من حديث جابر وفيه : (وَأُحِلَّتْ لِي

الغَنَائِمُ ولم تُحَلِّ لِلأَحَدِ قَبْلِي) . ورواه مسلم في صحيحه (١/٣٧١) برقم (٥٢٣) من حديث أبي هريرة .

(5) معاني القرآن الكريم (٣/١٢٩) .

(6) الناسخ والمنسوخ (٢/٣٦٦) .

(7) ديوان لبيد بن ربيعة (٢/١١) ، جمهرة أشعار العرب (١٦) ، مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/٢٤٠) ، جامع البيان

للطبري (١١/١١) ، المحرر الوجيز لابن عطية (٦/٢٠١) .

وسميت الغنيمة نفلًا ؛ لأنها زيادة على القيام بالجهاد وحماية الدين والدعاء إلى الله لأ .  
قاله ابن عطية<sup>(١)</sup> .

ومنه قول عنتره<sup>(٢)</sup> :

إنا إذا احمرّ الوغى نُروِي القنا      و نَعْفُ عند تقاسم الأنفال

ومنه ولد الولد ؛ لأنه زيادة على الولد . قال تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ

نَافِلَةً ﴾ [الأنبياء: ٧٢] أي : زيادة على ما سأل<sup>(٣)</sup> .

وأما القول الثاني بأن الأنفال هنا هي ما ينفله الإمام لبعض الجيش من الغنيمة زيادةً  
على حظّه ، فرُوِي عن ابن عباس أنه سئل عن الأنفال فقال : « السَلْبُ والفرس »<sup>(٤)</sup> .

وقال : « الأنفال ما أخذ مما سقط من المتاع بعد ما تقسم الغنائم ، فهي نَفْلٌ لله ولرسوله »<sup>(٥)</sup> .

وقال عطاء : « هو ما شدّ من المشركين إلى المسلمين بغير قتال من عبدٍ أو أمةٍ أو

متاعٍ أو [ثَقْلٍ]<sup>(٦)</sup> ، فهو للنبى < يصنع فيه ما شاء »<sup>(٧)</sup> .

(1) المحرر الوجيز (٢٠١/٦) .

(2) ديوان عنتره (١٩٣) . والبيت من قصيدة قالها عنتره في إغارته على بني ضبة .

(3) ينظر : مفاتيح الغيب للرازي (٤٤٧/٥) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للقمي (٣٧٢/٣) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧٠٨/١١) من طريق معمر ، عن الزهري ، عنه . وأخرجه : (٨/١١)

من طريق مالك ، عن الزهري ، عن القاسم بن محمد ، عنه بنحوه . وأخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار

(٢٣٠/٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٥١/٥) من طريق معن ، عن مالك به . وأخرجه مالك في الموطأ

(٤٥٥/٢) ، ومن طريقه أبو عبيد في الأموال (٧٦٠ ، ٧٦١) ومسدد في مسنده - كما في المطالب العالية

(٣٩٨٩) - وابن زنجويه في الأموال (١١٣٠) ، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٢٣٠/٣) ، والنحاس في

الناسخ والمنسوخ (٣٧٣/٢) رقم (٥٢٣) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨/٤) نسبته إلى عبد بن حميد ، وابن

المنذر ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه . وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/٢٩٤) - ومن طريق الطبري في

جامع البيان (٩/١١) - عن معمر . وأخرجه الطبري في جامع البيان (٨/١١) من طريق ابن جريج ، عن عثمان

ابن أبي سليمان ، عن الزهري به قال : الفرّس ، الدرّع ، الرمح . وأخرجه أبو عبيد في الأموال (٧٥٨) - وعنه

ابن زنجويه في الأموال (١١٢٨) - عن حجاج ، عن ابن جريج به

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٨/١١) من طريق عطية العوفي ، عنه .

(6) هذا هو الصواب ، ووقعت في جامع البيان (نَفْلٌ) . و الثَّقَلُ : متاع المسافر وحشمه .

(7) أخرجه الطبري في جامع البيان (٧/١١) ، وأبو عبيد في الأموال (٧٦٢) ، وابن زنجويه في الأموال (١١٣٢) ،

والنحاس في ناسخه (٢/٣٧٤) رقم (٥٢٥) من طريق عبد الملك ، عنه .

وقال أيضاً : « الأنفال : الفرس الشاذّ والدرع والثوب »<sup>(١)</sup> .  
واختاره الطبري<sup>(٢)</sup> . وهو مفهوم كلام مقاتل<sup>(٣)</sup> .

قال الطبري : « وأولى هذه الأقوال بالصواب في معنى الأنفال قول من قال : هي زيادات يزيدّها الإمام بعض الجيش أو جميعهم ، إما من سلّبه على حقوقهم من القسمة ، وإما مما وصل إليه بالتفّل أو ببعض أسبابه ؛ ترغيباً له ، وتحريضاً لمن معه من جيشه على ما فيه صلاحهم وصلاح المسلمين ، أو صلاح أحد الفريقين . وقد يدخل في ذلك ما قاله ابن عباس من أنه الفرس والدرع ونحو ذلك ، ويدخل فيه ما قاله عطاء من أن ذلك ما عاد من المشركين إلى المسلمين من عبدٍ أو فرسٍ ؛ لأن ذلك أمره إلى الإمام ، إذا لم يكن ما وصلوا إليه لغلبةٍ وقهرٍ ، يفعل ما فيه صلاح أهل الإسلام ، وقد يدخل فيه ما غلب عليه الجيش بقهرٍ...» اهـ.

قال ابن عطية : « وهذا القول أيضاً يحسن مع الآية ومع ما ذكرناه من آثار يوم بدر<sup>(٤)</sup> ».

واستشهد له ابن كثير بما رُوِيَ في سبب نزول الآية عن سعد بن أبي وقاص قال : لما كان يوم بدر ، وقُتِلَ أخي عمير ، وقتلتُ سعيد بن العاص وأخذت سيفه ، وكان يسمى "ذا الكتيفة" فأتيت به النبي < فقال : ( اذهب فاطرحه في القبض ) ، قال : فرجعت وبني ما يعلمه إلا الله ، من قُتِلَ أخي وأخذ سلمي ، قال : فما جاوزت إلا يسيراً حتى نزلت سورة الأنفال ، فقال لي رسول الله < : ( اذهب فخذ سيفك )<sup>(٥)</sup> .

ومما يدل لهذا القول أن التفّل في كلام العرب هو الزيادة على الشيء ، يقال منه : نفلتكَ كذا و أنفلتكَ : إذا زدتك .

(1) أخرجه الطبري في جامع البيان (٨/١١) من طريق ابن جريج ، عنه .

(2) ينظر : جامع البيان (١٠/١١) .

(3) ينظر : تفسير مقاتل (٩٩/٢) .

(4) المحرر الوجيز (٢٠٦/٦) .

(5) تفسير القرآن العظيم (٧/٧) . والحديث رواه أحمد في مسنده (١٨٠/١) (١٥٥٦) . قال ابن أبي حاتم في

المراسيل (٦٧) : محمد بن عبيد الله الثقفي أبو عون : ثقة ، ولكنه لم يدرك سعداً . ورواه أبو عبيد في الأموال

(٣٠٣) . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/٤) لابن أبي شيبة ، وأحمد ، وابن مردويه .

والأنفالُ : جمع نَفْلٍ ، ومنه قول لبيد :

إن تقوى ربنا خير نفل

فكل مَنْ زِيدَ من مقاتلة الجيش على سهمه من الغنيمة فهو مُنْفَلٌ ما زيد من ذلك ؛ لأن الزيادة هي الفضل .

والفرق بين الغنيمة والنفل : أن الغنيمة هي ما أفاء الله على المسلمين من أموال المشركين بغلبة وقهرٍ ، نُفْلٌ منه مُنْفَلٌ أو لم يُنْفَلْ ، والنفلُ : هو ما أعطيه المرء على البلاء والغناء عن الجيش على غير قسمة . قاله الطبري<sup>(١)</sup> .

وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن ما رُوِيَ في أسباب نزول الآية يشهد لكلا القولين ، لكن التحقيق الذي عليه الجمهور : أنها نزلت في اختلاف الصحابة في غنائم بدر وجمعها لما تنازعوا فيها وساءت أخلاقهم ، فأنزل الله الآية وقسمها رسوله < بينهم على السواء<sup>(٢)</sup> . وإذا كان ذلك كذلك فإن أولى القولين بالصواب في ذلك هو ما رجّحه ابن جُزَيِّ ومَنْ وافقه ، وهو قول أكثر السلف ، وعليه جماهير المفسرين<sup>(٣)</sup> .

ومما يؤيده القاعدة الترجيحية : ( تفسير السلف حجة على من بعدهم )<sup>(٤)</sup> وهو مقدم على غيره<sup>(٥)</sup> ، والله تعالى أعلم .

(1) جامع البيان (١١ / ١٠-١٢) .

(2) ينظر: العذب النمير للشنقيطي (٤/٤٧٠ ط/أبوزيد) .

(3) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٩/١) .

(4) ينظر: قواعد الترجيح (١/٢٧١) .

(5) ينظر: المصدر السابق (١/٢٨٨) .

### المسألة الثانية هي :

#### ٢- ما معنى ﴿ذَاتَ﴾ في قوله تعالى : ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ ؟

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « وذات هنا بمعنى الأحوال ، قاله الزمخشري<sup>(١)</sup> . وقال ابن عطية : يراد بها في هذا الموضع نفس الشيء وحقيقته<sup>(٢)</sup> . وقال الزبيري : إطلاق الذات على نفس الشيء وحقيقته ليس من كلام العرب »<sup>(٣)</sup> .

#### العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيِّ بأن ذات في قوله تعالى : ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ بمعنى الأحوال. ووافق في هذا ما ذهب إليه الطبري، والسمعاني، والكرماني، والبغوي، والزمخشري، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، والحازن، والقمي، وأبوحيان، والسمين، والتاج اليماني، وابن التركماني، والبقاعي، وأبوالسعود، والقاسمي، والمراغي، والشنقيطي، ومحي الدين درويش<sup>(٤)</sup> .

قال الزمخشري : « كقوله : ﴿بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾<sup>(٥)</sup> ، وهي مضمراهما ، لما كانت الأحوال ملابسة للبين قيل لها : ذات البين ؛ كقولهم : اسقني ذا إنائك ، يريدون ما في الإناء من الشراب » . اهـ .

(1) الكشاف (٥٥٢/٢) .

(2) المحرر الوجيز (٢١٣/٦) .

(3) التسهيل لعلوم التنزيل (٦٠/٢) .

(4) ينظر: جامع البيان (٢٦/١١) ، وتفسير القرآن (٢/٢٤٧) — وفيه قال ثعلب : يعني أصلحوا الحالة التي بينكم — ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (١/٤٣٣) ، ومعالم التنزيل (٢/١٩٣) ، والجامع لأحكام القرآن (٩/٤٤٨) ، وأنوار التنزيل (١/٣٧٥) ، ومدارك التنزيل (٢/٩٣) ، ولباب التأويل (٢/١٦٣) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/٣٧٣) ، والبحر المحيط (٤/٤٥٦) ، والدر المصون (٥/٥٥٧) ، وترجمان القرآن (٥٤) ، وبهجة الأريب (١/٢٣٥) ، ونظم الدرر (٨/٢١٩) ، وإرشاد العقل السليم (٢/٣٤١) ، ومحاسن التأويل (٨/٢٩٤٨) ، وتفسير المراغي (٩/١٦٣) ، والعذب النمير (٤/١٨١٦) ، وإعراب القرآن الكريم وبيانه (٣/٥٢٧) .

(5) آل عمران (١١٩) . ووردت في القرآن ﴿عَلِمُوا بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ اثني عشرة مرة . ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (٢٧٨-٢٧٩ ، ٤٠٤) .

وقال الشنقيطي : « معنى : ﴿ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أي : الأحوال الكائنة فيما بينكم مما يستوجب المحبة والوثام ، وما يستوجب النفرة والوحشة والفراق ، هذه الأحوال التي تكون فيما بينكم أصلحها لتكون جارية على ما يرضي الله . وقد اشتهر في كلام العرب إطلاق "إصلاح ذات البين" على أن يصلح ما بين هذا وهذا من الأحوال حتى يكون الشيء الذي بينهما على الحالة التي تنبغي ، خالياً من النزاع والخصام »<sup>(١)</sup> .

وقال الزجاج : « وكذلك " اللهم أصلح ذات البين " أي : أصلح الحال التي بها يجتمع المسلمون »<sup>(٢)</sup> .

وفسر أبو حيان البين هنا بالفراق والتباعد وجعل ﴿ذَاتَ﴾ نعتاً لمفعول محذوف والمعنى : وأصلحوا أحوالاً ذات افتراقكم ، فلما كانت الأحوال ملابسة للبين أضيفت صفتها إليه .

وقال : « وإنما اخترنا أنه بمعنى الفراق ؛ لأن استعماله فيه أشهر من استعماله في الوصل ، ولأن إضافة ذاتٍ إليه أكثر من إضافة ذاتٍ إلى بين الظرفية ؛ لأنها ليست كثيرة التصرف بل تصرفها كتصرف أمّامٍ وخلفٍ وهو تصرف متوسط ليس بكثير »<sup>(٣)</sup> .

وأما قول ابن عطية بأن ﴿ذَاتَ﴾ يراد بها في هذا الموضع نفس الشيء وحقيقته ، فهو اختيار الزجاج ، والنحاس ، والواحدي ، وابن الجوزي ، والثعالبي ، والسيوطي<sup>(٤)</sup> . وعليه استعمال المتكلمين<sup>(٥)</sup> .

قال الزجاج : « معنى ﴿ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ حقيقة وُصلِكُمْ . والبينُ : الوصلُ ، قال تعالى : ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [ الأنعام : ٩٤ ] أي : وصلكم » .

(1) العذب النمير (٤/ ١٨١٦) بتصرف يسير .

(2) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٠٠) .

(3) ينظر : البحر المحيط (٤/ ٤٥٦ ، ٤٥٧) .

(4) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٠٠) ، ومعاني القرآن الكريم (٣/ ١٢٩) ، والوجيز (١/ ٤٣٠) والوسيط

(٢/ ٤٤٣) ، وتذكرة الأريب (١/ ١٩٨) ، والجواهر الحسان (٢/ ٤) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية

٣/ ١٧١) .

(5) ينظر : حاشية الشهاب على البيضاوي (٤/ ٢٥١) ، وبدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ٦) ، وروح المعاني للآلوسي

(٩/ ١٦٤) .

فالمعنى : اتقوا الله وكونوا مجتمعين على ما أمر الله ورسوله \$ .  
 واستغرب الكرمانى إطلاق الذات على نفس الشيء وحقيقته (١) .  
 ونقل ابن جزي عن شيخه وأستاذه الزبيرى نفيه عن كلام العرب .  
 قال الراغب : « وقد استعار أصحاب المعاني الذات ، فجعلوها عبارة عن عين الشيء ،  
 جوهرًا كان أو عرضًا ، واستعملوها مفردة ومضافةً إلى المضمر ، بالألف واللام ، وأجروها  
 مُجرى النفس والخاصة ، فقالوا : ذاته ، ونفسه وخاصته ، وليس ذلك من كلام  
 العرب » (٢) .

وقال ابن القيم : « وأصل هذه اللفظة هو تأنيث ذو بمعنى صاحب ، فذات صاحبة  
 كذا في الأصل ، ولهذا لا يقال ذات الشيء إلا لما له صفات ونعوت تضاف إليه » (٣) .  
 وإلى الجمع بين القولين ذهب محمود النيسابورى ، والقنوجى فى تفسيره للآية كما  
 يفهم من كلامه ، وكذا السيد محمد رشيد رضا (٤) وقال : « أي . أصلحوا نفس ما بينكم  
 وهى الحال والصلة التى بينكم » .

وأجاز القولين الطاهر بن عاشور فقال : « و ﴿ ذَاتَ ﴾ يجوز أن تكون مؤنث (ذو)  
 الذى هو بمعنى صاحب فتكون ألفها مبدلة من الواو . ووقع فى كلامهم مضافاً إلى الجهات  
 وإلى الأزمان وإلى غيرهما ، يجرونه مُجرى الصفة لموصوف يدل عليه السياق ؛ كقوله تعالى :  
 ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ﴾ فى سورة الكهف [١٨] ، على تأويل جهة .  
 وتقول : لقيته ذات ليلة ، ولقيته ذات صباح ، على تأويل المقدّر ساعة أو وقت . وجرت  
 مجرى المثل فى ملازمتها هذا الاستعمال . ويجوز أن تكون ﴿ ذَاتَ ﴾ أصلية الألف كما  
 يقال : أنا أعرف ذات فلان ، فالمعنى : حقيقة الشيء وماهيته ، كذا فسرها الزجاج ،  
 والزحشرى ، فهو كقول ابن رواحة :

وذلك فى ذات الإله وإن يشأ  
 يبارك على أوصال شلِّو ممزَّع

(1) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (٤٣٣/١) .

(2) مفردات ألفاظ القرآن ، مادة (ذو) (٣٣٣) .

(3) بدائع الفوائد (٧/٢) .

(4) ينظر : إيجاز البيان (٢٨٨/١) ، وفتح البيان (١٢٨/٥) ، وتفسير القرآن الحكيم (٥٠٩/٩) .

فتكون كلمة مقحمة لتحقيق الحقيقة ، جعلت مقدمة ، وحققها التأخير ؛ لأنها للتأكيد مثل المعنى في قولهم : جاءني بذاته . وفيه يقولون : ذات اليمين وذات الشمال ، قال تعالى :

﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾<sup>(١)</sup> [ الأنفال : ٤٣ ] .

وقال أيضاً : « واعلم أي لم أف على استعمال "ذات بين" في كلام العرب فأحسب أنها من مبتكرات القرآن »<sup>(٢)</sup> .

وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن الصواب من القول في ذلك هو جواز القولين كليهما ؛ لعدم الدليل على بطلان قول دون الآخر ، والله تعالى أعلم .

(1) التحرير والتنوير (٩ / ٢٥٣) . والبيت المذكور هو لحبيب بن عدي . ينظر : صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير (٣٠٤٥ ، ٣٩٨٩) وكتاب المغازي (٤٠٨٦) وكتاب التوحيد (٧٤٠٢) ، وتهذيب اللغة للأزهري (٩٥/٢) .

(2) التحرير والتنوير (٩ / ٢٥٤) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴾

### ٣- الخلاف في موضع الكاف من قوله تعالى : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « فيه ثلاثة [أوجه] <sup>(١)</sup> : أحدها : أن تكون الكاف في موضع رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، تقديره : هذه الحال كحال إخراجك . يعني : أن حالهم في كراهة [تنفيل الغنائم كحالهم في كراهة] <sup>(٢)</sup> خروجك للحرب . والثاني : أن يكون في موضع الكاف نصب <sup>(٣)</sup> على أنه صفة لمصدر الفعل المقدّر في قوله : ﴿ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ أي : استقرت الأنفال لله والرسول استقراراً مثل استقرار خروجك . والثالث : أن تتعلّق الكاف بقوله : ﴿ يُجَدِّدُ لَكَ ﴾ <sup>(٤)</sup> [الأنفال : ٦] .

#### العرض والمناقشة :

للمفسّرين في متعلّق كاف التشبيه في قوله تعالى : ﴿ كَمَا ﴾ تأويلات كثيرة بلغت العشرين ، غالبها ضعيف ، وبعضها متحدّ المعنى <sup>(٥)</sup> . وسبب ذلك أن الكلام يقتضي تشبيه شيء بهذا الإخراج ، وهذا المشبّه غير مصرّح به في الآية وفيه خفاء ، فاختلّفوا في بيانه وكذا في إعرابه على وجوه كثيرة <sup>(٦)</sup> ، أحسنها ما ذكره ابن جُزَيِّ هنا . ورجّح منها ما بدأ به وهو : أن تكون الكاف في موضع رفع خبراً لمبتدأ محذوف تقديره : هذه الحال كحال إخراجك . ومعناه : حالهم في كراهة تنفيل الغنائم كحالهم في كراهة خروجك للحرب .

(1) هكذا في جميع النسخ ، وهو الصواب . وفي المطبوع : " ثلاث تأويلات " .

(2) هكذا في جميع النسخ ، وهو الصواب . وفي المطبوع : " تفضيل الغنائم كحالهم في حالة خروجك للحرب " .

(3) في العبارة قلق ! ولو كانت ( أن تكون الكاف في موضع نصب ... ) لكن أقوم . وفي جميع النسخ : " نصباً " بالتثوين ، فالله أعلم .

(4) التسهيل لعلوم التنزيل (٦١/٢) .

(5) ينظر : الدر المصون للسمين (٥٦٣/٥) ، والتحرير والتنوير للظاهر (٢٦٤/٩) ، ووإعراب القرآن الكريم وبيانه للدرويش (٥٣١/٣) .

(6) ينظر: حاشية الشهاب (٢٥٣/٤) ، وروح المعاني للآلوسي (١٦٩/٩) .

وهذا قول الفراء<sup>(١)</sup>، وبه قال المبرد<sup>(٢)</sup>. وهو مفهوم كلام ابن قتيبة<sup>(٣)</sup>. وعليه الواحدي<sup>(٤)</sup>، والزمخشري وحسنه<sup>(٥)</sup>. وعليه أيضاً ابن عطية، وابن الجوزي، والرازي، والقمي، والبقاعي، والسيوطي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والشنقيطي<sup>(٦)</sup>. وذكره الخازن، والشوكاني بصيغة ( قيل )<sup>(٧)</sup>. والقول الثاني هو قول الزجاج<sup>(٨)</sup>، وحسنه الزمخشري<sup>(٩)</sup>. وعليه الباقر، والنسفي<sup>(١٠)</sup>. وقدمه السمين<sup>(١١)</sup>. وذكره بصيغة ( قيل ) مكّي<sup>(١٢)</sup>. واستغربه الكرمانى<sup>(١٣)</sup>. قال الزجاج: « كذلك نفل من رأينا وإن كرهوا؛ لأن بعض الصحابة قال للنبي <

- 1) ينظر: معاني القرآن له (٤٠٣/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٢١/٣)، وإعراب القرآن الكريم وبيانه للدرويش (٥٣٥/٣).
- 2) ينظر: تفسير القرآن للسمعي (٢٤٩/٢). وذكر القنوجي في فتح البيان (١٣٣/٥) قول الزجاج - وهو القول الثاني هنا - ثم قال: وبه قال المبرد. وسبب الاختلاف في ذلك - كما سيأتي - هو خلاف بعضهم في التفريق بين قول الفراء وقول الزجاج أو جعلهما بمعنى واحد، والله أعلم.
- 3) ينظر: تأويل مشكل القرآن (٢٢١). وينظر أيضاً بحر العلوم للسميرقندي (٥/٢).
- 4) ينظر: الوجيز (٤٣١/١).
- 5) ينظر: الكشف (٥٥٤/٢). وينظر: البحر المحيط لأبي حيان (٤٦٢/٤)، وحاشية الشهاب (٢٥٣/٤)، والدر المصون للسمين (٥٦١/٥). قال السمين: واختار الزمخشري هذا الوجه وحسنه... وهذا الذي حسنه الزمخشري هو قول الفراء.
- 6) ينظر: المحرر الوجيز (٢١٩/٦)، وتذكرة الأريب (١٩٨/١) وقدمه في زاد المسير (٣٢١/٣)، ومفاتيح الغيب (٤٥٦/٥) - وقال عنه بأنه أحسن الوجوه المذكورة هنا - ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣٧٥/٣)، ونظم الدرر (٢٢٣/٩)، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/١٧٣)، وتفسير القرآن الحكيم (٥١٧/٩)، وتفسير المراغي (١٦٨/٩)، والعذب النمير (١٨٢٢/٤-١٨٢٤).
- 7) ينظر: لباب التأويل (١٦٥/٢)، وفتح القدير (٤١٣/٢).
- 8) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٤٠٠/٢).
- 9) ينظر: الكشف (٥٥٤/٢).
- 10) ينظر: كشف المشكلات (٤٨٩/١)، ومدارك الترتيل (٩٤/٢).
- 11) ينظر: الدر المصون (٥٥٩/٥).
- 12) ينظر: مشكل إعراب القرآن (٣٠٩/١).
- 13) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل (٤٣٤/١).

حين جعل لكل من أتى بأسير شيئاً ، قال : يبقى أكثر الناس بغير شيء . فموضع الكاف في

﴿ كَمَا ﴾ نصبٌ ، المعنى : الأنفال ثابتة لك مثل إخراج ربك إياك من بيتك الحق .» .

وقال القمي : « ووجه تخصيص هذا المشبه به بالذكر من بين سائر أحكام الله أن القصة واحدة ، ووجه جعل الإخراج مشبهًا به كونه أقوى في وجه الشبه ؛ لأن مدار القصة عليه »<sup>(١)</sup> .

واعترض عليه أبوحيان بأن فيه بُعدًا ؛ لكثرة الفصل بين المشبه والمشبه به ، وبأنه لا يظهر كبير معنى لتشبيه هذا بهذا ، ولو كانا متقاربين لم يظهر للتشبيه كبير فائدة<sup>(٢)</sup> .

قال الشهاب : « قال ابن الشجري في الأمالي : الوجه هو الأول ، وهذا ضعيف ؛ لتباعد ما بينهما<sup>(٣)</sup> . وأيضًا جعله داخلًا في حيز (قل) ليس يحسن في الانتظام ... والاعتذار بأن الفاصل كالاقتراض لا يخلو من الاعتراض »<sup>(٤)</sup> .

وقال الآلوسي : « وادعى العلامة الطيبي أن هذا الوجه أدقّ التثامًا من الأول والتشبيه فيه أكثر تفصيلًا ؛ لأنه حينئذٍ من تنمة الجملة السابقة داخل في حيز المقول مع مراعاة الالتفات . وأطال الكلام في بيان ذلك ، واعتذر عن الفصل بأن الفاصل جار مجرى الاعتراض ، ولا أراه سالمًا من الاعتراض »<sup>(٥)</sup> .

وهذان القولان الأولان حسّنهما الزمخشري . وسوّى بينهما محمود النيسابوري ، وأبو السعود ، والطاهر بن عاشور<sup>(٦)</sup> وهما اختياره وترجيحه . وجوّزهما محي الدين الدرويش<sup>(٧)</sup> .

وقد جعل النحاس قول الفراء والزجاج بمعنى واحد<sup>(٨)</sup> . وكذا السمعاني ، والقرطبي ،

(1) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/٣٧٥) .

(2) ينظر: البحر المحيط (٤/٤٦٢) .

(3) قال الآلوسي في روح المعاني (٩/١٦٩) : لتباعد ما بين ذلك الفعل وهذا بعشر جُمَل .

(4) حاشية الشهاب (٤/٢٥٣) . ثم قال : وبعد اللتيا والتي في النفس شيء من أكثر هذه التخريجات .

(5) روح المعاني (٩/١٦٩) .

(6) ينظر: إيجاز البيان (١/٢٨٨) ، وإرشاد العقل السليم (٢/٣٤٢) ، والتنوير والتنوير (٩/٢٦٤) .

(7) ينظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه (٣/٥٣١) .

(8) ينظر: إعراب القرآن (٢/١٧٦) قال النحاس : وقول أبي إسحاق - يعني الزجاج - هذا هو معنى قول الفراء ؛

والبيضاوي<sup>(١)</sup>. وخالفهم آخرون كابن عطية ، وابن الجوزي وغيرهما ففرّقوا بينهما .  
والذي يظهر - والله أعلم - هو اتحادهما في المعنى على خلاف في محلّ الكاف من  
الإعراب بين الرفع والنصب .

وأما القول الثالث فهو معنى قول مجاهد<sup>(٢)</sup> . وبه قال الكسائي<sup>(٣)</sup> . واختاره الطبري ،  
ومكي<sup>(٤)</sup> .

وذكره الباقر ، والخازن بصيغة ( قيل )<sup>(٥)</sup> .

وقال ابن عطية عن هذا القول وعن قول الفراء : « فهذان قولان مطردان يتم بهما  
المعنى ويحسن رصف اللفظ »<sup>(٦)</sup> .

ويقول الطبري : « وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال في ذلك بقول  
مجاهد، وقال : معناه : كما أخرجك ربك بالحق ، على كُرّه من فريق من المؤمنين ، كذلك  
يجادلونك في الحق بعدما تبين ؛ لأن كلا الأمرين قد كان ، أعني خروج بعض من خرج من  
المدينة كارهاً ، وجداهم في لقاء العدو عند دنوّ القوم بعضهم من بعض ، فتشبيه بعض ذلك  
ببعض مع قرب أحدهما من الآخر ، أولى من تشبيهه بما بُعد عنه » . اهـ .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أظهر الأقوال وأقربها إلى الصواب هو القول الأول وهو : أن  
الله تعالى شبه حال بعض الصحابة في كراهة تنفيل الغنائم بحال بعضهم في كراهة الخروج  
للقتال ، وأن الله تعالى قد قضى عليهم في الحالين شيئاً ليسوا يرغبونه لكنه هو المصلحة لهم  
في دينهم وديناهم ، فكأنه بهذا التشبيه يشير تعالى إلى أنه أعلم بمصالح خلقه منهم ، وأن

لأن الفراء قال : امض لأمرك في الغنائم ونفل من شئت وإن كرهوا كما أخرجك ربك من بيتك بالحق .

(1) ينظر: تفسير القرآن (٢/٢٤٩) ، والجامع لأحكام القرآن (٩/٤٥٢) ، وأنوار التنزيل (١/٣٦٧) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/٣٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٦٥٩) (٣/٨٨٠) من طريق  
ابن أبي نجيح عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣/١٥) نسبه إلى ابن أبي شيبه ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ،  
وأبي الشيخ .

(3) ينظر: معاني القرآن الكريم (٣/١٣١) ، وإعراب القرآن (٢/١٧٦) للنحاس ، وزاد المسير لابن الجوزي  
(٣/٣٢٢) .

(4) ينظر: جامع البيان (١١/٣٥) ، ومشكل إعراب القرآن (١/٣٠٩) .

(5) ينظر: كشف المشكلات (١/٤٨٩) ، ولباب التأويل (٢/١٦٥) .

(6) المحرر الوجيز (٦/٢٢٠، ٢١٩) .

المصلحة لهم فيما يختاره لهم كما قال جل وعلا : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> [ البقرة: ٢١٦ ] .

وهذا ما رجّحه ابن جُزَيّ وهو قول الفراء واختاره الأكثر ، وهو الأولى . ويقرب منه قول الزجاج . وما قول مجاهد - عند التأمل - ببعيد ؛ لأنه يؤول إلى قول الفراء ، والله تعالى أعلم .  
وإذا كان ذلك كذلك فإن ما ذكره ابن جُزَيّ من أقوال هنا كلها صحيحة مقبولة ،  
والعلم عند الله .

(1) ينظر: العذب النمير للشنقيطي (٤/١٨٢٢-١٨٢٤) ، والتحرير والتنوير للظاهر (٩/٢٦٤) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِآلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ ﴾<sup>(١)</sup>

٤- الخلاف في موقع ﴿ إِذ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾ .

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « ﴿ إِذ ﴾ بدل من ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُم ﴾ [الأنفال: ٧].

وقيل: يتعلق بقوله: ﴿ لِيُحِقَّ الْحَقَّ ﴾ [الأنفال: ٨] أو بفعل مضمر «<sup>(١)</sup>» .

العرض والمناقشة:

رجح ابن جزي أن ﴿ إِذ ﴾ بدل من قوله: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُم ﴾ . ووافق الزمخشري، والقمي، وسليمان الجمل، والآلوسي<sup>(٢)</sup> . وقدمه البيضاوي<sup>(٣)</sup> . وصححه ابن عطية<sup>(٤)</sup> . وجوزه العكبري<sup>(٥)</sup> .

وذكره الشوكاني، والسيد محمد رشيد رضا بصيغة ( قيل )<sup>(٦)</sup> .

وتعليل هذا الوجه أن الوعد كان في وقت الاستغاثة<sup>(٧)</sup> . بل ذهب الشهاب إلى أبعد من ذلك فقال: « وإن كان زمان الوعد غير زمان الاستغاثة ؛ لأنه بتأويل أن الوعد والاستغاثة وقعا في زمان واسع كما تقول: لقيته سنة كذا... »<sup>(٨)</sup> اهـ .

وأما القول بأن ﴿ إِذ ﴾ تتعلق بقوله: ﴿ لِيُحِقَّ الْحَقَّ ﴾ ، فعليه ابن جرير الطبري، وابن الجوزي، والطاهر بن عاشور<sup>(٩)</sup> .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٦١/٢) .

(2) ينظر: الكشاف (٥٥٧/٢) ، وغرائب القرآن و رغائب الفرقان (٣٧٨/٣) ، والفتوحات الإلهية (١٧٧/٣) ، وروح المعاني (١٧٢/٩) .

(3) ينظر: أنوار التنزيل (٣٧٧/١) .

(4) ينظر: المحرر الوجيز (٢٢٧/٦) .

(5) ينظر: التبيان (٦١٧/٢) .

(6) ينظر: فتح القدير (٤١٦/٢) ، وتفسير القرآن الحكيم (٥٢٥/٩) .

(7) ينظر: المحرر الوجيز (٢٢٧/٦) .

(8) حاشية الشهاب (٢٥٥/٤) ، ونسب هذا الكلام إلى الطبري كما في روح المعاني للآلوسي (١٧٢/٩) .

(9) ينظر: جامع البيان (٥٠/١١) — وينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٢٢٦/٦) — ، وزاد المسير (٣٢٥/٣) ،

وجوّزه الرازي (١).

وذكره الزمخشري ، والقمي النيسابوري ، وأبوالسعود ، والشوكاني ، والسيد رشيد رضا بصيغة ( قيل ) (٢).

قال الطاهر بن عاشور : « يتعلّق ظرف ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ ﴾ بفعل ﴿ وَيُرِيدُ اللَّهُ ﴾ ؛ لأن إرادة الله مستمرّ تعلّقها بأزمنةٍ منها زمانُ استغاثة النبي < والمسلمين ربهم على عدوهم ، حين لقائهم مع عدوهم يوم بدر ، فكانت استجابة الله لهم بإمدادهم بالملائكة من مظاهر إرادته تحقيق الحق فكانت الاستغاثة يوم القتال في بدر ، وإرادة الله أن يحق الحق حصلت في المدينة يوم وعدهم إحدى الطائفتين ، ورشّح لهم أن تكون إحدى الطائفتين ذات الشوكة ، ويّين وقت الإرادة ووقت الاستغاثة مدة أيام ، ولكن لما كانت الإرادة مستمرة إلى حين النصر يوم بدر صحّ تعليق ظرف الاستغاثة بفعلها ؛ لأنه اقترن ببعضها في امتدادها. وهذا أحسن من الوجوه التي ذكروها في متعلّق هذا الظرف أو موقعه » (٣).

وغلّط السمين الحلي قول الطبري بعلّة أن قوله ﴿ لِيُحَقِّقَ ﴾ مستقبل ؛ لأنه منصوب

بإضمار ﴿ أَنْ ﴾ ، و ﴿ إِذْ ﴾ ظرف لما مضى ، فكيف يعمل المستقبل في الماضي؟! (٤)  
وردّ عليه أبوالسعود وقال : « ليس بشيء ؛ لأن كونه مستقبلاً إنما هو بالنسبة إلى زمان ما هو غاية له من الفعل المقدر لا بالنسبة إلى زمان الاستغاثة حتى لا يعمل فيه بل هما في وقت واحد. وإنما عبّر عن زمانها بـ إِذْ ؛ نظراً إلى زمان التزول ، وصيغة الاستقبال في ﴿ تَسْتَغِيثُونَ ﴾ لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها العجيبة » (٥).

والتحرير والتنوير (٩/٢٧٣-٢٧٤) .

(1) ينظر: مفاتيح الغيب (٥/٤٥٩) .

(2) ينظر: الكشاف (٢/٥٥٧) ، وغرائب القرآن ورجائب الفرقان (٣/٣٧٨) ، وإرشاد العقل السليم (٢/٣٤٥) ، وفتح القدير (٢/٤١٦) ، وتفسير القرآن الحكيم (٩/٥٢٥) .

(3) التحرير والتنوير (٩/٢٧٣-٢٧٤) .

(4) ينظر: الدر المصون (٥/٥٦٥) .

(5) إرشاد العقل السليم (٢/٣٤٥) .

وقال الشهاب : « فإن قلت : ﴿ لِيُحِقَّ ﴾ مستقبل لنصبه بـ أن ، و ﴿ إِذْ ﴾ لزمان الماضي فكيف تعمل فيه ؟ قيل : إنه على ما ذهب إليه بعض النحاة كابن مالك من أنها تكون بمعنى إذا للمستقبل كما في قوله : ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٧٠) إِذِ الْأَعْلَى فِيهِمْ ﴾ [ غافر : ٧٠-٧١ ] وقد يجعل من التعبير عنه بالماضي لتحققه فتأمل « (١) .

وأما القول بأن ﴿ إِذْ ﴾ متعلقة بفعل مضمر ، تقديره : اذكر أو اذكروا ، فذهب إليه النحاس ، والسمرقندي ، وابن عطية ، والخازن ، والسيوطي ، والشوكاني ، والقنوجي ، والمراعي ، والسعدي ، والدرويش (٢) . وقدمه السمين (٣) . ومال إليه الشنقيطي (٤) . وجوزّه الرازي ، والعكبري (٥) .

وذكره أبو السعود ، والآلوسي ، والسيد رشيد رضا بصيغة ( قيل ) (٦) .

و علّل هذا القول بكثرة نصب الظرف ﴿ إِذْ ﴾ بفعل ﴿ وَأَذْكُرْ ﴾ في القرآن ،

كقوله تعالى : ﴿ وَأَذْكُرْ أَخَاعَادِ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ ﴾ [ الأحقاف : ٢١ ] .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا ﴾ [ الأعراف : ٨٦ ] ،

وقوله تعالى : ﴿ وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ [ الأنفال : ٢٦ ] .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّبَدَتْ ﴾ [ مريم : ١٦ ] .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ ﴾ [ ص : ٤١ ] .

(١) حاشية الشهاب (٢٥٥/٤) .

(٢) ينظر : إعراب القرآن (١٧٧/٢) ، وبحر العلوم (٩/٢) ، والمحجر الوجيز (٢٢٦/٦) ، ولباب التأويل (١٦٨/٢) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ١٧٧/٣ ) ، وفتح القدير (٤١٦/٢) ، وفتح البيان (١٣٧/٥) ، وتفسير المراعي (١٧٣/٩) ، وتيسير الكريم الرحمن (١٩٠/٢) ، وإعراب القرآن الكريم وبيانه (٥٣٢/٣) .

(٣) ينظر : الدر المصون (٥٦٥/٥) .

(٤) ينظر : العذب النمير (١٨٦٠/٤) .

(٥) ينظر : مفاتيح الغيب (٤٥٩/٥) ، والنبیان (٦١٧/٢) .

(٦) ينظر : إرشاد العقل السليم (٣٤٥/٢) ، وروح المعاني (١٧٢/٩) ، وتفسير القرآن الحكيم (٥٢٥/٩) .

وقوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

وغيرها من الآيات <sup>(١)</sup> . فـ إذ الواقعة في مفتتح القصص شأنها أن تكون مفعولاً لفعل (اذكر) أو (اذكروا) محذوف <sup>(٢)</sup> .

والمقصود أن يعدد الله تعالى نعمه على المؤمنين في يوم بدر فقال : ( واذكروا إذ فعلنا بكم كذا ) <sup>(٣)</sup> ، فَحَذَفُ الفعلِ معلومٌ من السياق <sup>(٤)</sup> .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الباحث متوقف في هذه المسألة ، والله أعلم .

(1) ينظر: العذب النمير (٤/١٨٦٠) ، والمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (٢٧١-٢٧٢) .

(2) ينظر: التحرير والتنوير (٩/٢٦٩) .

(3) ينظر: المحرر الوجيز (٦/٢٣١) ، وإرشاد العقل السليم (٢/٣٤٥) .

(4) ينظر: تفسير القرآن الحكيم للسيد رشيد رضا (٩/٥٢٥) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا

الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾

في هذه الآية الكريمة مسألتان :

المسألة الأولى هي :

### ٥- الخلاف في معنى ﴿فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « ومعنى ﴿فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ أي : على الأعناق ، حيث المفصل بين الرأس والعنق ؛ لأنه مذبج ، والضرب فيها يطير الرأس . وقيل : المراد الرؤوس ؛ لأنها فوق الأعناق . وقيل : المراد الأعناق ؛ و ﴿فَوْقَ﴾ زائدة «<sup>(١)</sup> .

العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيِّ أن قوله تعالى : ﴿فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ معناه : الضرب على الأعناق حيث المفصل بين الرأس والعنق ، فتكون ﴿فَوْقَ﴾ بمعنى "على" . ووافق في هذا أبا عبيدة ، والسمرقندي ، والسمعاني ، والزمخشري ، والقمي ، وأبا حيان ، والسمين ، والسعدي ، والشنقيطي<sup>(٢)</sup> .  
واستغربه الكرمانى<sup>(٣)</sup> . وذكره البغوي ، ومحمود النيسابوري ، والحازن ، والشهاب ، والآلوسي بصيغة ( قيل )<sup>(٤)</sup> .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٦٢/٢) .

(2) ينظر: مجاز القرآن (٢٤٢/١) ، وبحر العلوم (١٠/٢) ، وتفسير القرآن (٢٥٢/٢) ، والكشاف (٥٦٢/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣٨٢/٣) ، والبحر المحيط (٤٧٠/٤) ، والدر المصون (٥٧٨/٥) ، وتيسير الكريم الرحمن (١٩٢/٢) ، والعذب النمير (١٨٧٨/٤) .

(3) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل (٤٣٦/١) .

(4) ينظر: معالم التنزيل (٢٠١/٢) ، ووضح البرهان (٣٨٠/١) ، ولباب التأويل (١٧٠/٢) ، وحاشية الشهاب (٢٥٩/٤) ، وروح المعاني (١٧٨/٩) .

قال أبو حيان : « وهذا قول حسن ؛ لإبقاء ﴿فَوْقَ﴾ على معناها من الظرفية »<sup>(١)</sup> .  
وقال الشنقيطي : « وهذا قول ليس ببعيد »<sup>(٢)</sup> .

واستدلوا له بأن "على" و "فوق" معناهما متقاربان ، فجاز أن يوضع أحدهما مكان الآخر<sup>(٣)</sup> .

قال الزمخشري : « أراد أعالي الأعناق التي هي المذابح ؛ لأنها مفاصل ، فكان إيقاع الضرب فيها حزاً وتطييراً للرؤوس »<sup>(٤)</sup> .

ويقول الشنقيطي : « وأظهر الأقوال وأقربها للصواب ما قاله بعض العلماء : أن الله علّم الملائكة أو أصحاب النبي < حزّ الرؤوس ، ويّين لهم مفصل الرأس الذي يُطير الرأس عن الجثة ، وأنه فوق الأعناق ؛ لأن الرقبة المحل الذي تتركب منه في الرأس هو مفصل للحزّ إذا ضربه الإنسان طار الرأس بسرعة ، وكان ذلك أهون لإبانة الرأس ؛ ولذا كانت العرب تفتخر بضرب القمّاحِدِ ، والقَمّاحِدُ : جمع قَمْحُودَة<sup>(٥)</sup> ، وهو العظم الذي خلف الأذن ؛ لأنه تحت عظم الرأس وفوق عظم الرقبة ، وذلك هو مفصل الرقبة وموضع حزّها الذي يسهل به إطالة الرأس وإبانته عن الجثة كما هو معروف . ومن هذا المعنى قول الشاعر يمدح خالد بن الوليد ط :

رأيت رجالاً من قريش كثيرة      ولم أرَ في القوم القيامَ كخالد  
كسارك الوليدُ بن المغيرة مجده      وعلمك الشيخان ضَرْبَ القَمّاحِدِ<sup>(٦)</sup> .

واحتمل هذا القول ابن عطية فقال : « ويحتمل عندي أن يريد بقوله : ﴿فَوْقَ﴾

الأَعْنَاقِ ﴿﴾ وصفَ أبلغِ ضرباتِ العُنُقِ وأحكمها ، وهي الضربة التي تكون فوق عظم العنق ودون عظم الرأس ، في المفصل . ومنه قول دُرَيْدِ بن الصَّمَّةِ لابن الدُّعْنَةَ : خذ سيفي

(1) البحر المحيط (٤/٤٧٠) .

(2) العذب النمير (٤/١٨٧٧) .

(3) ينظر : جامع البيان للطبري (١١/٧١) .

(4) الكشف (٢/٥٦٢) .

(5) في لسان العرب ، مادة (فحد) : والقَمْحُودَةُ : ما خَلْفَ الرأسِ ، والجمع قَمّاحِدُ .

(6) العذب النمير (٤/١٨٧٨) .

وارفع عن العظم واخفض عن الدماغ فهكذا كنت أضرب أعناق الأبطال.  
ومثله قول الشاعر :

جعلت السيف بين الجيد فيه وبين أسيلِ خَدَيْهِ عَذَارًا<sup>(١)</sup> .

وأما القول بأن المراد هو ضرب الرؤوس ؛ لأنها فوق الأعناق ، فهو قول عكرمة<sup>(٢)</sup> .  
ونسب إلى عطاء<sup>(٣)</sup> . وذهب إليه الفراء ، ومكي ، والواحدي ، وابن الأنباري كما نسبه إليه  
الواحدي والبغوي — ، وابن عطية ، ومحمود النيسابوري ، وابن الجوزي ، والعكبري ،  
والرازي ، والقرشي اليماني ، والثعالبي ، والسيوطي ، والآلوسي<sup>(٤)</sup> . وهو مفهوم كلام  
المبرد<sup>(٥)</sup> .

وذكره مكي ، والكرماني ، والزمخشري ، والقمي بصيغة ( قيل )<sup>(٦)</sup> .  
واستدلوا له بظاهر القرآن<sup>(٧)</sup> . لأنها هي التي فوق الأعناق ، وكونها فوق الأعناق  
ظاهر<sup>(٨)</sup> .

قال الطبري : « واعتلَّ قائلو هذه المقالة بأن الذي فوق الأعناق الرؤوس . قالوا : وغيرُ  
جائز أن تقول : فوق الأعناق ، فيكون معناه : الأعناق . قالوا : ولو جاز ذلك كان أن

(1) المحرر الوجيز (٢٣٩/٦) .

(2) أخرجه الطبري في جامع البيان (٧٠/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٦٨/٥) رقم (٨٨٧٧) من طريق  
الحسين بن واقد ، عن يزيد النحوي ، عنه .

(3) ذكره عنه الواحدي في الوسيط (٤٤٨/٢) ، والآلوسي في روح المعاني (١٧٨/٩) . ووهم القرطي فنسبه لابن  
عباس (٤٦٨/٩) .

(4) ينظر : معاني القرآن (٤٠٥/١) ، وإعراب مشكل القرآن (٣١٢/١) ، والوجيز (٤٣٣/١) والوسيط (٤٤٨/٢) ،  
ومعالم التنزيل للبغوي (٢٣٥/٢) ، والمحرر الوجيز (٢٣٩/٦) — قال عنه : وهذا التأويل أنبلها — ، ووضح  
البرهان (٣٨٠/١) ، وتذكرة الأريب (٢٠٠/١) ، والتبيان (٦١٩/٢) ، ومفاتيح الغيب (٤٦٣/٥) ، والترجمان  
(٥٥) ، والجواهر الحسان (٩/٢) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ١٨١/٣) ، وروح المعاني (١٧٨/٩) .

(5) ينظر : إعراب القرآن للنحاس (١٨٠/٢) .

(6) ينظر : تفسير المشكل (١٨١/١) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (٤٣٦/١) ، والكشاف (٥٦٢/٢) ،  
وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣٨٢/٣) .

(7) ينظر : حاشية الشهاب (٢٥٩/٤) .

(8) ينظر : الوسيط للواحدي (٤٤٨/٢) ، ومعالم التنزيل للبغوي (٢٠١/٢) ، والكشاف للزمخشري (٥٦٢/٢) ،  
وزاد المسير لابن الجوزي (٣٣٠/٣) ، وروح المعاني للآلوسي (١٧٨/٩) .

يقال : تحت الأعناق ، فيكون معناه : الأعناق . قالوا : وذلك خلاف المعقول من الخطاب ،  
وقلبُ معاني الكلام»<sup>(١)</sup> .

ومنه قول عمرو بن الإطنابة<sup>(٢)</sup> :

وإقدامي على المكروه نفسي      وضربي هامةَ البطل المشيخ  
والهامة هي الرأس .  
ومنه قول الآخر<sup>(٣)</sup> :

نُفلقَ هاماً من كرام أعزة      علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلما

قال الشنقيطي : « والعرب معلوم أنها في الحرب تبادر لضرب الرؤوس ، ويمدحون  
الرجال بضرب الرؤوس وفلق الهام ، وهو معنى مشهور ، كثير في كلام العرب وأشعارها .  
قال الشاعر<sup>(٤)</sup> :

غشيتَه وهو في جأواءٍ باسلة      عَضباً أصاب سواءَ الرأس فانفلقا  
يفتخر بضرب الهام»<sup>(٥)</sup> .

وأما القول بأن المراد الأعناق ، وأن ﴿فَوْقَ﴾ زائدة ، فهو معنى ما روي عن  
عطية<sup>(٦)</sup> ، والضحاك<sup>(٧)</sup> . ونسب إلى الحسن<sup>(٨)</sup> . وعليه مقاتل ، وابن قتيبة ، والأخفش ، وابن  
أبي زمنين ، ومكي ، والقرطي ، وابن كثير<sup>(٩)</sup> .

(1) جامع البيان (٧١/١١) .

(2) البيت في معجم الشعراء (٨) ، والكشاف للزمخشري (٥٦٢/٢) ، والدر المصون للسمين (٤٠٤/٣) ، ولسان  
العرب ، مادة (شبح) ، وينظر: العذب النميز للشنقيطي (١٨٧٧/٤) .

(3) البيت للحصين بن الهمام المري ، وهو في الشعر والشعراء لابن قتيبة (٦٤٨/٢) . وينظر: تفسير القرآن العظيم  
لابن كثير (٣٣/٧) ، والعذب النميز للشنقيطي (١٨٧٨ /٤) .

(4) هو بلعاء بن قيس ، والبيت في الكشاف للزمخشري (٥٦٢/٢) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٤٧٠/٤) ، والدر  
المصون للسمين (٥٧٩/٥) .

(5) العذب النميز (١٨٧٧-١٨٧٨ /٤) .

(6) أخرجه الطبري في جامع البيان (٧٠/١١) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٥/٤) نسبه إلى ابن المنذر .

(7) أخرجه الطبري في جامع البيان (٧٠/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٦٨/٥) (٨٨٧٨) .

(8) ينظر : تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (١٦٨/٢) .

(9) ينظر : تفسير مقاتل (١٠٤/٢) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٠٣/٣) ، ومعاني القرآن (٣١٩/٢) ، وتفسير

واقصر عليه النحاس بذكره بـ (قيل)<sup>(١)</sup> . وهو مفهوم صنيع القنوجي ، ومفهوم كلام الطاهر بن عاشور<sup>(٢)</sup> . وذكره السمعاني، والعكبري، والشهاب ، والآلوسي بـ (قيل)<sup>(٣)</sup> .

واستدلوا له بما رواه القاسم ، عن النبي قال : ( إني لم أبعث لأعذب بعذاب الله ، إنما بعث لضرب الأعناق ، وشد الوثاق )<sup>(٤)</sup> . وهو حديث معضل لا يصح .

واحتج قائلوا هذه المقالة بأن العرب تقول : رأيت نفس فلان . بمعنى رأيت ، قالوا : فكذاك قوله : ﴿ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ ﴾ إنما معناه : فاضربوا الأعناق . قاله الطبري<sup>(٥)</sup> .

ونظر له البغوي، وابن كثير بقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾ [محمد : ٤] . وهذا القول مبني على القول بزيادة ﴿ فَوْقَ ﴾<sup>(٦)</sup> . وهذا ليس بجيد - كما قال أبوحيان<sup>(٧)</sup> - ؛ لأن فوق اسم ظرف ، والأسماء لا تزداد .

وقال الشنقيطي : «فهذا القول لا يجوز أن يقال به في القرآن ؛ لأن لفظاً جاء في القرآن لا ينبغي لأحد أن يحكم عليه بأنه زائد لا معنى له»<sup>(٨)</sup> .

القرآن العزيز (١٦٨/٢) ، و تفسير المشكل (١٨١/١) ، والجامع لأحكام القرآن (٤٦٨/٩) ، وتفسير القرآن العظيم (٣٣/٧) .

- (1) ينظر : معاني القرآن الكريم (١٣٧/٣) .
- (2) ينظر : فتح البيان (١٤٣/٥) ، والتحرير والتنوير (٢٨٣/٩) .
- (3) ينظر : تفسير القرآن (٢٥٢/٢) ، والتبيان (٦١٩/٢) ، وحاشية الشهاب (٢٥٩/٤) ، وروح المعاني (١٧٨/٩) .
- (4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧٠/١١) من طريق وكيع ، عن المسعودي ، عن القاسم . وهو حديث معضل . وينظر : النكتة العيون للماوردي (٣٠١/٢) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٦٨/٩) ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٣/٧) .
- (5) جامع البيان (٧٠/١١) .
- (6) ينظر : معاني القرآن الكريم للنحاس (١٣٧/٣) ، وإعراب القرآن له (١٨٠/٢) .
- (7) البحر المحیط (٤٧٠/٤) ، وتبعه السمين في الدر المنصون (٥٧٨/٥) .
- (8) العذب النمير (١٨٧٧/٤) .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن قوله تعالى: ﴿فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ يحتمل أن يكون مراداً به الرؤوس، ويحتمل أن يكون مراداً به ما فوق جلدة الأعناق، فيكون معناه: على الأعناق، وهذان القولان لا إشكال فيهما.

ويبقى الإشكال في القول الثالث وهو: أن يكون المراد الأعناق نفسها وأن ﴿فَوْقَ﴾ زائدة. ومحلّ الإشكال هو القول بزيادة ﴿فَوْقَ﴾ وهذا لا يجوز في القرآن وهو خلاف ظاهره كما هو ظاهر. لكن يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَضْرَبَ الرَّقَابَ﴾ [محمد: ٤] فيكون محتملاً من هذا الوجه.

وإذا كان ذلك كذلك (لم يكن لنا أن نوجهه إلى بعض معانيه دون بعض؛ إلا بحجة يجب التسليم لها، ولا حجة تدل على خصوصه، فالواجب أن يقال: إن الله أمر أصحاب نبيه < أو ملائكته بضرب رؤوس المشركين وأعناقهم ورقابهم ><sup>(١)</sup>. وعليه فإن ما قيل هنا كـلّه صحيح دون القول بزيادة "فوق"، والله تعالى أعلم.

(1) جامع البيان (٧١/١١) بتصرف يسير.

### المسألة الثانية :

#### ٦- الخلاف في المراد بالبنان في قوله تعالى : ﴿ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « **كُلُّ بَنَانٍ** ﴾ قيل : هي المفاصل . وقيل : الأصابع ، وهو الأشهر في اللغة . وفائدة ذلك أن المقاتل إذا ضربت أصابعه تعطلَّ عن القتال فأمكن أسره وقتله »<sup>(١)</sup> .

#### العرض والمناقشة :

ذكر ابن جُزَيِّ في المراد بالبنان في قوله تعالى : ﴿ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ قولين اثنين : أما القول الأول فهو : أنها المفاصل ، ورُوي هذا عن عطية العوفي<sup>(٢)</sup> ، وقتادة<sup>(٣)</sup> ، وعكرمة<sup>(٤)</sup> ، والضحاك<sup>(٥)</sup> ، والسدي<sup>(٦)</sup> .  
 وذهب إليه : محمود النيسابوري، والحازن، والقنوجي، والسعدي<sup>(٧)</sup> .  
 وذكره السمرقندي بصيغة ( يقال )<sup>(٨)</sup> .  
 قال محمود النيسابوري : « كل مِفْصَل ، أبن بالمكان : أقام به ، فكل مِفْصَلٍ أُقِيمَ عليه عضو »<sup>(٩)</sup> .

وأما القول الثاني : فهو أنها الأصابع ، وهو الذي رجّحه ابن جُزَيِّ ؛ ووافق في هذا ما

- (1) التسهيل لعلوم التنزيل (٦٢/٢) .
- (2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧٢/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٦٨/٥) رقم (٨٨٨٠) .
- (3) أخرجه عبد بن حميد كما في الدر المنثور للسيوطي (٣٦/٤) .
- (4) أخرجه الطبري في جامع البيان (٧٢/١١) قال : الأطراف . ويقال : مفصل . وعلّقه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٦٨/٥) عقب الأثر (٨٨٨٠) .
- (5) أخرجه الطبري في جامع البيان (٧٢/١١) من طريق جويبر ، عنه . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٦٨/٥) عقب الأثر (٨٨٨٠) .
- (6) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٦٨/٥) عقب الأثر (٨٨٨٠) .
- (7) ينظر : إيجاز البيان (٢٩٠/١) ووضح البرهان (٣٨٠/١) ، ولباب التأويل (١٧٠/٢) ، وفتح البيان (١٤٣/٥) ، وتيسير الكريم الرحمن (١٩٢/٢) .
- (8) ينظر : بحر العلوم (١٠/٢) .
- (9) إيجاز البيان (٢٩٠/١) ، ووضح البرهان (٣٨٠/١) .

رُويَ عن ابن عباس<sup>(١)</sup> ، وعكرمة<sup>(٢)</sup> ، وابن جريج<sup>(٣)</sup> ، والضحاك<sup>(٤)</sup> ، والسدي<sup>(٥)</sup> .  
واختاره عامة المفسرين على تنوع عباراتهم في ذكره<sup>(٦)</sup> ومنهم : مقاتل ، وأبو عبيدة ،  
والزجاج ، والنحاس ، والسمرقندي ، والراغب ، ومكي ، والواحدي ، وابن الأنباري — كما  
ذكره عنه الواحدي والآلوسي — ، والزمخشري ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والرازي ،  
والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والقمي ، وأبو حيان ، وابن التركماني ، والثعالبي ، والبقاعي ،  
والسيوطي ، والشوكاني ، والآلوسي ، والقاسمي ، والطاهر بن عاشور ، والشنقيطي<sup>(٧)</sup> .

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧٢/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٦٨/٥) رقم (٨٨٧٩) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه قال : الأطراف . وفي رواية الطستي أن نافعا الأزرق قال له : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ وَأَصْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ قال : أطراف الأصابع ، وبلغه هذيل : الجسد كله . قال : فأنشدي في كليتهما . قال : نعم ، أما أطراف الأصابع فقول عنتره العبسي :

فنعم فوارس الميحاء قومي إذا علق الأعنة بالبنان

وقال الهذلي في الجسد :

لها أسد شاكي البنان مقذف له لبد أظفاره لم تقلم

ينظر: الدر المنثور للسيوطي (٣٥/٤) .

(2) سبق تخريجه . قال : الأطراف . ويقال : كل مفصل .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧٣/١١) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧٣/١١) من طريق أبي معاذ ، عن عبيد بن سليمان ، عنه قال :  
الأطراف .

(5) نسبته إليه الواحدي في الوسيط (٤٤٨/٢) قال : الأطراف من اليدين والرجلين . وينظر: تفسير القرآن العظيم لابن  
كثير (٣٤/٧) .

(6) ورد عنهم في تفسيرها ما يلي : الأصابع ، الأطراف ، أطراف الأصابع ، أطراف اليدين والرجلين . وأحيانا  
يذكرونها ويخالفون بينها بقولهم : وقيل كذا .. وقيل كذا .. وكل هذه الأقوال تندرج في هذا القول ، وهي كما  
ترى بمعنى واحد ، والله أعلم .

(7) ينظر: تفسير مقاتل (١٠٤/٢) ، ومجاز القرآن (٢٤٢/١) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٤٠٥/٢) — وينظر: زاد  
المسير لابن الجوزي (٣٣٠/٣) — ، ومعاني القرآن الكريم (١٣٧/٣) ، وبحر العلوم (١٠/٢) ، ومفردات ألفاظ  
القرآن ، مادة (بَنَ) (١٤٧) ، وتفسير المشكل (١٨١/١) ، وإعراب مشكل القرآن (٣١٢/١) ، والوجيز  
(٤٣٣/١) والوسيط (٤٤٨/٢) ، وروح المعاني للآلوسي (١٧٨/٩) ، والكشاف (٥٦٣/٢) ، والمحزر الوجيز  
(٢٤١/٦) ، وتذكرة الأريب (٢٠٠/١) ، و مفاتيح الغيب (٤٦٣/٥) ، والجامع لأحكام القرآن (٤٦٨/٩) ،  
وأنوار التنزيل (٣٧٨/١) ، ومدارك التنزيل (٩٧/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣٨٢/٣) ، والبحر  
الحيط (٤٧١، ٤٥٥/٤) ، وبهجة الأريب (٢٣٦/١) ، والجواهر الحسان (١٠/٢) ، ونظم الدرر (٢٣٨/٩) ،

واستدلّوا له بأن هذا هو معناه المشهور في كلام العرب .  
قال ابن فارس : « البنان : الأصابع ، ويقال : الأطراف »<sup>(١)</sup> .  
وقال الطبري : « والبنان : جمع بنانة ، وهي أطراف أصابع اليدين والرجلين ، ومن ذلك قول الشاعر :

ألا ليتني قَطَعْتُ مَنِّي بنانة      ولاقِيْتُهُ في البيت يقظان حاذرا  
يعني بالبنانة : واحدة البنان »<sup>(٢)</sup> .

وهذا المعنى كثير في أشعار العرب ومنه قول عنتره<sup>(٣)</sup> :

وكان فتى الهيجاء يحمي ذمارها      ويضرب عند الكرب كلّ بنان  
والعرب تسمي أطراف الأصابع : بنانا ، ومنه قول عنتره أيضا<sup>(٤)</sup> :

وإن الموت طوع يدي إذا ما      وَصَلْتُ بناها بالهندواني  
والعرب تقول : بَنَانٌ مُطَرَّفٌ ، ومُطَرَّفَةٌ ، إذا خضبت المرأة أطراف أصابعها بالحناء .  
ومنه قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي :

بدا لي منها مَعْصَمٌ يوم جَمَرْتِ      وَكَفُّ حَضِيْبٌ زَيْنَتْ بِنَانِ  
فوالله ما أدري وإني لحاسب      بسبعٍ رميتُ الجمرَ أم بثمانٍ  
فقوله : كفُّ حَضِيْبٌ زينت بِنَانِ ، أي : بأصابع<sup>(٥)</sup> .

قال ابن عطية : « قصد أبلغ المواضع ؛ لأن المقاتل إذا قطع بنانه استأسر ولم ينتفع بشيء من أعضائه في مكافحة وقتال »<sup>(٦)</sup> .

وجمع ابن جرير الطبري بين القولين فقال : « فَإِن معناه : واضربوا ، أيها المؤمنون ،

وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٣/١٨٢ ) ، وفتح القدير (٢/٤١٩-٤٢٠) ، وروح المعاني (٩/١٧٨) ،  
ومحاسن التأويل (٨/٢٩٦١) ، والتحرير والتنوير (٩/٢٨٣) ، والعذب النمير (٤/١٨٧٩) .

(١) مجمل اللغة (١/١١٤) .

(٢) جامع البيان (١١/٧١) . والبيت ذكره أبو عبيدة في مجاز القرآن (١/٢٤٢) ونسبه إلى عباس بن مرداس .

(٣) ديوان عنتره (٧٠) .

(٤) ديوان عنتره (٧٢) .

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/٤٦٩) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٤/٤٧١) ، والعذب النمير  
للسنقيطي (٤/١٨٧٩) .

(٦) المحرر الوجيز (٦/٢٤١) .

من عدوكم كلّ طَرْفٍ و مَفْصِلٍ من أطراف أيديهم وأرجلهم»<sup>(١)</sup> .  
وكذا الماوردي وقال : « إن البنان يطلق على المفاصل من أطراف الأيدي والأرجل ،  
وأطراف الأصابع من اليدين والرجلين »<sup>(٢)</sup> .  
وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أولى القولين في ذلك بالصواب هو ما رجحه ابن جُزَيٍّ ومن  
وافقه ؛ لاشتهار إطلاق البنان في اللغة على الأصابع والأطراف أكثر من اشتهاار إطلاقها  
على المفاصل ، وهو اختيار جمهور المفسرين<sup>(٣)</sup> .  
ويتأيد هذا بالقاعدة الترجيحية من ( وجوب حمل كلام الله تعالى على المعروف من  
كلام العرب )<sup>(٤)</sup> ، والله تعالى أعلم .

(1) جامع البيان (٧١/١١) .

(2) النكت والعيون (٣٠٢/٢) .

(3) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جُزَيٍّ (٩/١) .

(4) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (٣٦٩/٢) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِنَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ

مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾

### ٧- الخلاف في إعراب ﴿مُتَحَرِّفًا﴾

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « وانتصب قوله ﴿مُتَحَرِّفًا﴾ على الاستثناء من

قوله ﴿ وَمَنْ يُؤْلِهِمْ ﴾ . وقال الزمخشري : انتصب على الحال و﴿إِلَّا﴾ لَعَوُّ»<sup>(١)</sup> .

#### العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيِّ أن قوله ﴿مُتَحَرِّفًا﴾ منصوب على الاستثناء من المولِّين . ووافق

في هذا ما ذهب إليه الفراء، وأبو حيان، والشوكاني، والطاهر بن عاشور<sup>(٢)</sup> .

وجوزّه الزجاج، وابن الجوزي، والقمي، والآلوسي<sup>(٣)</sup> .

قال الطاهر : « والمستثنى يجوز أن يكون ذاتاً مستثنى من الموصول في قوله : ﴿ وَمَنْ

يُؤْلِهِمْ ﴾ والتقدير : إلا رجلاً متحرفاً لقتال ، فحذف الموصوف وبقيت الصفة . ويجوز أن

يكون المستثنى حالة من عموم الأحوال دلّ عليها الاستثناء أي : إلا في حال تحرفه لقتال»<sup>(٤)</sup> .

وقال القمّي النيسابوري : « وعلى هذا انتصب ﴿مُتَحَرِّفًا﴾ و﴿مُتَحَيِّرًا﴾ على أنه

استثناء مفرّغ من أعم الأحوال ، ووجه صحته من أنه ليس في الكلام نفي ظاهر هو أنه في

معنى النفي كأنه قيل : ومن لا يقدم أو لا يعطف عليهم في حال من الأحوال إلا في حال

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٦٣/٢) .

(2) ينظر: معاني القرآن (٤١٠/١) ، والبحر المحيظ (٤٧٥/٤) ، وفتح القدير (٤٢٣/٢) ، والتحرير والتنوير (٢٨٩/٩) .

(3) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٤٠٦/٢) ، وزاد المسير (٣٣١/٣) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣٨٣/٣) ، وروح المعاني (١٨٢/٩) .

(4) التحرير والتنوير (٢٨٩/٩) .

التحرف أو التحيز»<sup>(١)</sup>.

وأما ما ذكره الزمخشري<sup>(٢)</sup> من انتصاب ﴿مُتَحَرِّفًا﴾ على الحال، فإنه ذهب الزجاج، والنحاس، ومكي، وابن عطية، وابن الجوزي، والعكبري، والنسفي، والبقاعي، والآلوسي<sup>(٣)</sup>. وجوزّه الشوكاني<sup>(٤)</sup>.

وهذا القول بدأ به الزمخشري. وقوله في ﴿إِلَّا﴾ "إنها لغو" بينه أبوحيان بقوله: «ولا يريد الزمخشري بقوله (و﴿إِلَّا﴾ لغو) أنها زائدة، إنما يريد أن العامل الذي هو ﴿يُولِّهِمْ﴾ وصل إلى العمل فيما بعدها؛ كما قالوا: في لا من قولهم: جئت بلا زاد، إنها لغو. وفي الحقيقة هو استثناء من حالة محذوفة، والتقدير: ومن يولهم ملتبسًا بأية حالة إلا في حال كذا، وإن لم يقدر حال غاية محذوفة لم يصح دخول إلا؛ لأن الشرط عندهم واجب وحكم الواجب لا تدخل إلا فيه لا في المفعول ولا في غيره من الفضلات؛ لأنه يكون استثناء مفرغًا والاستثناء المفرغ لا يكون في الواجب. لو قلت: ضربت إلا زيدًا، وقمت إلا ضاحكًا لم يصح. والاستثناء المفرغ لا يكون إلا مع النفي أو النهي أو المؤول بهما، فإن جاء ما ظاهره خلاف ذلك قدر عموم قبل إلا حتى يصح الاستثناء من ذلك العموم فلا يكون استثناء غير مفرغ»<sup>(٥)</sup>. اهـ.

قال السمين: «قوله "لا في المفعول ولا في غيره من الفضلات" لا حاجة إليه؛ لأن الاستثناء المفرغ لا يدخل في الإيجاب مطلقًا سواء كان ما بعد (إلا) فضلًا أم عمدة، فذكرُ الفضلة والمفعول يوهم جوازه في غيرها»<sup>(٦)</sup>.

وقال الآلوسي: «ونصب الوصفين على الحالية و (إلا) ليست عاملة ولا واسطة في

(1) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/٣٨٣).

(2) ينظر: الكشف (٢/٥٦٥).

(3) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/٤٠٦)، وإعراب القرآن (٢/١٨١)، ومشكل إعراب القرآن (١/٣١٣)، والحرر الوجيز (٦/٢٤٧)، وزاد المسير (٣/٣٣١)، والتبيان (٢/٦٢٠)، ومدارك التنزيل (٢/٩٨)، ونظم الدرر (٩/٢٤١)، وروح المعاني (٩/١٨٢).

(4) ينظر: فتح القدير (٢/٤٢٣).

(5) البحر المحيط (٤/٤٧٥).

(6) الدرر المصون (٥/٥٨٥).

العمل وهو معنى قولهم : لغو . وكانت كذلك لأنه استثناء مفرغ من أعم الأحوال ، ولولا التفرغ لكانت عاملة أو واسطة في العمل على الخلاف المشهور . وشرط الاستثناء المفرغ أن يكون في النفي أو صحة عموم المستثنى منه نحو : "قرأت إلاّ يوم كذا" ومنه ما نحن فيه . ويصح أن يكون من الأول باعتبار أن يُؤلّي بمعنى لا يقبل على القتال . ونظير ذلك : ما قالوا في قوله عليه الصلاة والسلام : ( العالمُ هلِكى إلاّ العالمون ) الحديث<sup>(١)</sup> . وجوز أن يكون على الاستثناء من المولين ...»<sup>(٢)</sup> الخ .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن بعض المفسرين قد ذهب إلى جواز القولين كابن أبي زمنين<sup>(٣)</sup> . والزمخشري نفسه سوّى بينهما بـ أو وإن كان قد قدّم القول الثاني ، و تبعه البيضاوي، وأبو السعود، والقنوجي<sup>(٤)</sup> .

وعامة المعربين على جواز الوجهين كالسمين الحلبي، والدرويش<sup>(٥)</sup> .

قال الدرويش : « فعلى القول الأول : ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء ، و ﴿مُتَحَرِّفًا﴾ مستثنى من ضمير المؤمنين . وعلى القول الثاني : ﴿إِلَّا﴾ أداة حصر لتقدم النهي ، و ﴿مُتَحَرِّفًا﴾ حال . »

فإذا كان ذلك كذلك فإن الذي يظهر هو جواز الوجهين دون قول الزمخشري : " و ﴿إِلَّا﴾ لغو " أي : لا عمل لها ، فليس بصواب هذا التعبير منه في كتاب الله تعالى ، والله أعلم .

(1) أورده الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (١٠٢/١) برقم (٧٦) بلفظ : ( الناس كلهم موتى إلا العالمون ، والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون ، والعالمون كلهم غرقى إلا المخلصون ، والمخلصون على خطر عظيم ) . وقال : موضوع . أورده الصغاني (ص٥) وقال : « وهذا الحديث مفتري ملحون ، والصواب في الإعراب : (العالمين) و (العاملين) و (المخلصين) » . قلت : وهو شبيهه بكلام الصوفية . اهـ .

(2) روح المعاني (١٨٢/٩) .

(3) ينظر : تفسير القرآن العزيز (١٦٩/٢) .

(4) ينظر : أنوار التنزيل (٣٧٩/١) ، وإرشاد العقل السليم (٣٥١/٢) ، وفتح البيان (١٤٧/٥) .

(5) ينظر : الدر المصون (٥٨٥/٥) ، وإعراب القرآن الكريم وبيانه (٥٤٣/٣) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿إِنْ تَسْتَفْهِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ

وَلَنْ نُغْنِيَ عَنْكُمْ فِتْنَتَكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾

٨- لمن الخطاب في قوله: ﴿إِنْ تَسْتَفْهِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ الآية؟

هل الخطاب لكفار قريش؟ أم للمؤمنين؟

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى: «خطاب لكفار قريش، وذلك أنهم كانوا قد دعوا الله أن ينصر أحب الطائفتين إليه. وروى أن الذي دعا بذلك أبو جهل فنصر الله المؤمنين، وفتح لهم. ومعنى ﴿إِنْ تَسْتَفْهِحُوا﴾: تطلبوا الفتح. ويحتمل أن يكون الفتح الذي طلبوه بمعنى النصر أو بمعنى الحكم. وقيل: إن الخطاب للمؤمنين. ﴿وَإِنْ تَنْهَوْا﴾ أي: ترجعوا عن الكفر. وهذا يدل على أن الخطاب للكفار»<sup>(١)</sup>.

العرض والمناقشة:

رجَّح ابن جُزَيِّ أن قوله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَفْهِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ خطاب لكفار قريش. ووافق في هذا ما روَى عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>، و مجاهد<sup>(٣)</sup>، والضحاك<sup>(٤)</sup>، وابن زيد<sup>(٥)</sup>. وهو المفهوم من تفسير عكرمة<sup>(٦)</sup>،

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٦٣/٢).

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٩٠/١١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٧٥/٥) رقم (٨٩١٨) من طريق علي بن أبي طلحة، عنه. وأخرجه الطبري أيضاً من طريق ابن جريح، عن ابن كثير، عنه. وينظر: الدر المنثور للسيوطي (٤٢/٤) وزاد نسبه إلى ابن أبي شيبه، وابن المنذر.

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٩٠/١١) من طريق ابن أبي نجيح، عنه. وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٢/٤) نسبه إلى عبد بن حميد.

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٨٩/١١) من طريق جوير، عنه.

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٩٢/١١) من طريق ابن وهب، عنه.

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٩٠/١١)، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٧٥/٥) عقب الأثر (٨٩٢٣). وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٢/٤) نسبه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر. وينظر: أسباب النزول للواحدي (٢٦٩).

والسدّي<sup>(١)</sup> ، و قتادة<sup>(٢)</sup> .

وروي عن ابن عباس<sup>(٣)</sup> ، وعطية<sup>(٤)</sup> ، والضحاك<sup>(٥)</sup> ، و يزيد بن رومان<sup>(٦)</sup> ، وعبد الله ابن ثعلبة العدوي<sup>(٧)</sup> ، وعروة بن الزبير<sup>(٨)</sup> : أن الذي دعا بذلك منهم هو أبو جهل . ونُسب هذا إلى الحسن ، ومجاهد ، والسدي<sup>(٩)</sup> .

وذهب إلى هذا القول جمهور المفسرين<sup>(١٠)</sup> ومنهم : مقاتل، والطبري، والفراء، والزجاج، والنحاس، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية ، ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، والقمي، وابن كثير، والبلنسي، والثعالبي، والبقاعي، والسيوطي، وأبوالسعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والقاسمي، والمراغي، والسعدي، والشنقيطي<sup>(١١)</sup> .

- (1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٩٦،٩٢/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٧٦/٥) رقم (٨٩٢٥)، (٨٩٢٧) من طريق أسباط ، عنه. وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٢/٤) نسبه إلى أبي الشيخ.
- (2) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٤٣/٤) إلى عبد بن حميد .
- (3) رواه أبو صالح ، عن ابن عباس . ينظر: زاد المسير لابن الجوزي (٣٣٥/٣) .
- (4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٩٣/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٧٥/٥) رقم (٨٩٢٠) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٢/٤) نسبه إلى ابن أبي شيبه ، وابن المنذر .
- (5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٩٢/١١) من طريق عُبَيْد بن سليمان ، عنه .
- (6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٩٤/١١) من طريق أبي معشر ، عنه .
- (7) أخرجه أحمد في المسند (٤٣١/٥) ، والنسائي في الكبرى (١١٢٠١) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٩١/١١، ٩٣، ٩٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٧٥/٥) رقم (٨٩١٧) ، والحاكم في المستدرک و صححه (٣٢٨/٢) ، والبيهقي في الدلائل (٧٤/٣) جميعاً من طريق الزهري ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٢/٤) نسبه إلى ابن أبي شيبه ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه ، وابن منده . وينظر: سيرة ابن هشام (٦٢٨/١) ، وأسباب التزول للواحدي (٢٦٨) . ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٥٦/٢) وفي المصنف (٣٤٧/٥) رقم (٩٧٢٥) موقوفاً على الزهري . ومن طريقه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٩١/١١) . وأخرجه ابن جرير الطبري (٩٣،٩١/١١) من طريق معمر ، عن الزهري .
- (8) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٧٥/٥) رقم (٨٩١٩) وفي (١٦٧٦/٥) رقم (٨٩٢٤،٨٩٢٦،٨٩٢٨) .
- (9) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (١٤٦٨/٥) ، و الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٧٩/٩) ، و غرائب القرآن و غرائب الفرقان للقمي (٣٨٥/٣) .

(10) منهم من قال : إنهم المشركون ، ومنهم من قال : إنه أبو جهل ، ومنهم من جمع بين ذلك .

(11) ينظر: تفسير مقاتل (١٠٧/٢) ، وجامع البيان (٨٩/١١) ، ومعاني القرآن (٤٠٦/١) ، ومعاني القرآن وإعراجه

واستدلوا له بما رُوِيَ عن السلف أنها في كفار قريش ، وبقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَنْهَوُا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ <sup>ط</sup> ﴾ ، فإنه يدل على أن الخطاب للكفار ، وهذا هو الظاهر .

قال الشنقيطي : « المراد بالفتح هنا الحكم عند جمهور العلماء ، ويدل على ذلك أنه تعالى أتبعه بما يدل على أن الخطاب لكفار مكة ، وهو قوله : ﴿ وَإِنْ تَنْهَوُا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ <sup>ط</sup> وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ <sup>ط</sup> . ويبين إطلاق الفتح بمعنى الحكم في القرآن قوله تعالى عن شعيب وقومه : ﴿ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا أَفْتَحَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَالِحِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٩] . أي : احكم بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الحاكمين . ويدل لذلك قوله تعالى عن شعيب في نفس القصة : ﴿ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٧] . وهذه لغة حمير ؛ لأنهم يسمون القاضي فتاحاً ، والحكومة فتاحة . ومنه قول الشاعر :

ألا أبلغ بني عمرو رسولاً  
بأي عن فتاحتكم غني

أي : عن حكومتكم وقضائكم «<sup>(١)</sup>» .

وأما القول الآخر بأن الخطاب في الآية الكريمة للمؤمنين فروي عن عطاء الخراساني<sup>(٢)</sup> .

(٢/٤٠٨) ، وإعراب القرآن (٢/١٨٢) ، وبحر العلوم (٢/١٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/١٧١) — ونسبه إلى الكلبي — ، والوجيز (١/٤٣٤) و الوسيط (٢/٤٥٠) ، وتفسير القرآن (٢/٢٥٦) ، ومعالم التنزيل (٢/٢٠٧) ، والكشاف (٢/٥٦٧) ، والمحزر الوجيز (٦/٢٥٣) ، وإيجاز البيان (١/٢٩١) و وضع البرهان (١/٣٨١) ، وزاد المسير (٣/٣٣٥) — قال : وهو الأشهر — وتذكرة الأريب (١/٢٠٠) ، والجامع لأحكام القرآن (٩/٤٨٠) ، وأنوار التنزيل (١/٣٨٠) ، ومدارك التنزيل (٢/٩٩) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/٣٨٥) ، وتفسير القرآن العظيم (٧/٤٣) ، ومبهمات القرآن (١/٥٠٨) ، والجواهر الحسان (٢/١١) ، ونظم الدرر (٩/٢٤٦) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٣/١٨٧ ) ، وإرشاد العقل السليم (٢/٣٥٢) ، وفتح القدير (٢/٤٢٧) ، وروح المعاني (٩/١٨٧) ، وفتح البيان (٥/١٥١) ، ومحاسن التأويل (٨/٢٩٦٩) ، وتفسير المراغي (٩/١٨٢) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/١٩٤) ، وأضواء البيان (٢/٣٤٧) .

(١) المصدر الأخير .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٦٧٥) رقم (٨٩٢٢) .

وُسِبَ إِلَى أَبِي بِنِ كَعْبٍ <sup>(١)</sup> . وَذَهَبَ إِلَيْهِ الْقَاضِي الْجَبَائِي <sup>(٢)</sup> . وَتَبِعَهُ الْخَازِنُ ، وَأَبُو حِيَانَ <sup>(٣)</sup> .  
وَأَنْتَصَرَ لَهُ السَّيِّدُ رَشِيدُ رِضَا <sup>(٤)</sup> . وَجَوَّزَهُ الْقَاسِمِيُّ <sup>(٥)</sup> .

وَذَكَرَهُ النَّحَّاسُ ، وَالزَّمْخَشَرِيُّ ، وَالْبَيْضَاوِيُّ ، وَالنَّسْفِيُّ ، وَالْقَمِيُّ ، وَأَبُو السَّعُودِ بِصِيغَةِ  
(قِيلَ) <sup>(٦)</sup> .

وَاسْتَدَلُّوا لَهُ بِالسِّيَاقِ سَبَاقًا وَلِحَاقًا ، فَإِنَّ الْآيَاتِ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ فِي الْمُؤْمِنِينَ <sup>(٧)</sup> .  
وَيَكُونُ الْمَعْنَى عَلَى هَذَا : إِنْ تَسْتَنْصِرُوا رَبَّكُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ النِّصْرُ ، وَإِنْ تَنْتَهَوْا عَنِ  
التَّكَاسُلِ فِي الْقِتَالِ وَالرَّغْبَةِ عَمَّا يَأْمُرُ بِهِ الرَّسُولُ وَمَجَادَلَتِهِ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ،  
وَإِنْ تَعُودُوا نَعْدَ عَلَيْكُمْ بِالْإِنْكَارِ أَوْ تَهْيِيجِ الْعَدُوِّ ، وَلَنْ تَغْنِيَّ عَنْكُمْ كَثْرَتُكُمْ إِذَا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ  
مَعَكُمْ بِالنِّصْرِ ، فَهَذَا نَحْنُ أَوْلَاءُ قَدْ نَصَرْنَاكُمْ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَضَعْفِكُمْ <sup>(٨)</sup> .

وَقَالَ الْقَاضِي الْجَبَائِي - وَتَبِعَهُ الْخَازِنُ - : « إِنْ قَوْلُهُ : ﴿ فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ ﴾  
لَا يَلِيقُ إِلَّا بِالْمُؤْمِنِينَ ، هَذَا عَلَى تَفْسِيرِ الْفَتْحِ بِالنِّصْرِ . وَعَلَى تَفْسِيرِهِ بِالْحُكْمِ لَمْ يَمْتَنِعْ أَنْ يَرَادَ  
بِهِ الْكُفَّارُ » <sup>(٩)</sup> .

وَيَرِدُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ أَنَّ الْمَخَاطَبَةَ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَإِنْ تَنْتَهُوا ﴾ هِيَ لِلْكَفَّارِ <sup>(١٠)</sup> .

- 
- 1) ينظر: زاد المسير لابن الجوزي (٣/٣٣٤) ، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/٢٠٨) ، ولباب التأويل للخازن (١٧٣/٢) ، والتحرير التنوير للطاهر (٩/٣٠٠) .
  - 2) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٥/٤٦٨) ، وروح المعاني للآلوسي (٩/١٨٨) .
  - 3) ينظر: لباب التأويل (٢/١٧٤) ، والبحر المحيط (٤/٤٧٨، ٤٧٩) .
  - 4) ينظر: تفسير القرآن الحكيم (٩/٥٣٩) .
  - 5) ينظر: محاسن التأويل (٨/٢٩٧٠) .
  - 6) ينظر: إعراب القرآن (٢/١٨٢) ، والكشاف (٢/٥٦٨) ، وأنوار التنزيل (١/٣٨٠) ، ومدارك التنزيل (٢/٩٩) ، وغرائب القرآن ورجائب الفرقان (٣/٣٨٥) ، وإرشاد العقل السليم (٢/٣٥٣) .
  - 7) ينظر: أنوار التنزيل للبيضاوي (١/٣٨٠) ، وروح المعاني للآلوسي (٩/١٨٨) ، وتفسير القرآن الحكيم للسيد محمد رشيد رضا (٩/٥٣٩) .
  - 8) المصدر الأخير .
  - 9) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٥/٤٦٨) ، ولباب التأويل للخازن (٢/١٧٤) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٤/٤٧٨) .
  - 10) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٦/٢٥٥) .

ولا يخفى أن هذا القول هو خلاف الظاهر جداً كما قاله الآلوسي<sup>(١)</sup> .

قال الشوكاني : « ولا يخفى أنه يأبى هذا القول معنى : ﴿ وَلَنْ نُغْنِيَ عَنْكُمْ فِتْنَتَكُمْ شَيْئًا ﴾ ، ويأباه أيضاً : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . وتوجيه ذلك لا يمكن إلا بتكلف وتعسف<sup>(٢)</sup> .

وقال أيضاً : « ومن جعل الخطاب في ﴿ إِنْ تَسْتَفْهِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ ﴾ للمؤمنين ، وما بعده للكافرين فإنه لا يخفى ما في هذا من تفكيك النظم ، وعود الضمائر الجارية في الكلام على نمط واحد إلى طائفتين مختلفتين<sup>(٣)</sup> .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أظهر القولين هو ما رجّحه ابن جزيّ ومن وافقه من أن الخطاب في قوله تعالى : ﴿ إِنْ تَسْتَفْهِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ ﴾ للكافرين ، وهو قول أكثر السلف ، واختاره جمهور المفسرين<sup>(٤)</sup> . ويؤيده أنه ظاهر القرآن ولا يعدل عنه إلا بدليل<sup>(٥)</sup> . ويتأيد أيضاً بقاعدة : ( تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم )<sup>(٦)</sup> . وما ذكره من دلالة السياق على القول الآخر ليست ظاهرة ؛ لما في ذلك من التكلف والتعسف ، والله تعالى أعلم .

(1) روح المعاني (١٨٨/٩) .

(2) فتح القدير (٤٢٧/٢) . وينظر: فتح البيان للقنوجي (١٥٢/٥) .

(3) المصدرين الأخيرين .

(4) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٩/١) .

(5) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (١٣٧/١) .

(6) المصدر السابق (٢٧١/١) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذَاهُ الْحَقُّ مِنِّكَ فَامْطُرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ ﴾

﴿ وَأَنْتِنَا بِعَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ (٣٢)

٩- الخلاف في قائل هذه المقالة ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذَاهُ الْحَقُّ مِنِّكَ﴾ الآية.

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « قالها النضر بن الحارث أو سائر قريش لما كذبوا النبيّ < دعوا على أنفسهم إن كان أمره هو الحق . والصحيح أن الذي دعا بذلك أبو جهل؛ رواه البخاري ومسلم في كتابيهما »<sup>(١)</sup>.

العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ أن الذي دعا بذلك أبو جهل مستدلاً على ذلك بما رواه البخاري<sup>(٢)</sup> ومسلم<sup>(٣)</sup> عن أنس بن مالك . وهو قول قتادة<sup>(٤)</sup> .  
ووافق في هذا الترجيح القرطبي<sup>(٥)</sup> ، وابن العربي<sup>(٦)</sup> ، والبلنسي<sup>(٧)</sup> ، وابن حجر<sup>(٨)</sup> ، والشنقيطي<sup>(٩)</sup> .  
وذكره أبو حيان بصيغة ( قيل )<sup>(١٠)</sup> .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٦٥/٢) .

(2) في صحيحه (١٦٠/٤) - كتاب التفسير ، باب قوله : ﴿ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ ﴾ رقم (٤٦٤٩) .

(3) في صحيحه (٢١٥٤/٤) في كتاب صفات المنافقين ، باب في قوله : ﴿ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ ﴾ (٢٧٩٦/٣٧) . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٨٩/٥) رقم (٩٠٠٧) و (١٦٩١/٥) رقم (٩٠١٦) .  
وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٥/٤) نسبه إلى أبي الشيخ ، وابن مردويه . وينظر: أسباب النزول للواحدي (٢٧٠) .

(4) أخرجه عبد بن حميد كما في الدر المنثور للسيوطي (٥٥/٤) .

(5) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٤٩٦/٩) .

(6) ينظر: تفسير مبهمات القرآن للبلنسي (٥١٣/١) .

(7) ينظر: المصدر الأخير .

(8) كما في تفسير القرآن الحكيم للسيد رشيد رضا (٥٦٣/٩) .

(9) ينظر: العذب النمير (١٩٠٢/٤) .

(10) ينظر: البحر المحيط (٤٨٨/٤) .

وأما القول الذي بدأ به ابن جُزَيٍّ مِنْ أَنْ قائل ذلك هو النضر بن الحارث ، فهو مَرُويٌّ عن ابن عباس <sup>(١)</sup> . وبه قال سعيد بن جبیر <sup>(٢)</sup> ، ومجاهد <sup>(٣)</sup> ، وعطاء <sup>(٤)</sup> ، والسدي <sup>(٥)</sup> .

ورُويٌّ عن يزيد بن رومان ، ومحمد بن قيس <sup>(٦)</sup> ، وقتادة <sup>(٧)</sup> ، وابن إسحاق <sup>(٨)</sup> : أنها في قریش .

وعلى هذا القول جمهور المفسرين <sup>(٩)</sup> .

قال الشنقيطي : « والأكثر من المفسرين يقولون : إن قائل هذه المقالة النضر بن الحارث » <sup>(١٠)</sup> .

وهذا القول ذهب إليه مقاتل ، والطبري ، وابن قتيبة ، والنحاس ، والسمرقندي ، وابن أبي زمنين ، والماوردي ، والواحدي ، والسمعاني ، والكرماني ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن عطية ، ومحمود النيسابوري ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، وأبوحيان ، والسهيلي ، والبقاعي ، والسيوطي وأبوالسعود ، والمراعي <sup>(١١)</sup> .

- (1) قال ابن الجوزي زاد المسير (٣/٣٤٨) : رواه جماعة عن ابن عباس . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٦٩٠) رقم (٩٠٠٨) من طريق سعيد بن جبیر ، عنه . وفي (٥/١٦٩٠) رقم (٩٠١٣) .
- (2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/١٤٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٦٨٩) .
- (3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/١٤٤) .
- (4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/١٤٥) .
- (5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/١٤٥) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٦٩٠) رقم (٩٠٠٩) .
- (6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/١٥١) .
- (7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/١٤٥) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٦٩٠) رقم (٩٠١٠) .
- (8) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/١٤٦) . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٦٩٠) رقم (٩٠١١) و (٥/١٦٩١) رقم (٩٠١٢ و ٩٠١٤) عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر ، عن عروة من قوله . وينظر: سيرة ابن هشام (١/٦٧٠) .
- (9) قال أبوحيان في البحر المحیط (٤/٤٨٨) : وقال الجمهور : قائل ذلك كفار قریش .
- (10) العذب النمير (٤/١٩٠٢) .
- (11) ينظر: تفسير مقاتل (٢/١١٢) ، وجامع البيان (١١/١٤٤) ، وتأويل مشكل القرآن (٧١) ، ومعاني القرآن الكريم (٣/١٤٩) ، وبحر العلوم (٢/١٦) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/١٧٥) ، والنكت والعيون (٢/٣١٣) ، والوجيز (١/٤٣٨) والوسيط (٢/٤٥٥) ، وتفسير القرآن (٢/٢٦٠) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل

وذكره ابن كثير بـ (قيل)<sup>(١)</sup> .

قال الواحدي : « وجميع المفسرين على أن هذا من قول النضر بن الحارث ، وروي في الصحيحين أن هذا من قول أبي جهل لعنه الله »<sup>(٢)</sup> . وتبعه السمعاني ، والبغوي ، والحازن .

وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن أصح القولين هو ما صححه ابن جُزَيٍّ ومن وافقه من أن قائل هذه المقالة هو أبو جهل ؛ لثبوت ذلك في الصحيحين من حديث أنس بن مالك . وما ثبت في الصحيحين مقدم على غيرهما<sup>(٣)</sup> .

قال ابن حجر : « الظاهر أنه أبو جهل ، وإن كان هذا القول نسب إلى جماعة فلعله بدأ به ورضي الباقر فنسب إليهم »<sup>(٤)</sup> . اهـ .

فإسناده إلى الجميع إسناد ما فعله رئيس القوم إليهم<sup>(٥)</sup> .

يقول الطاهر : « وإسناد القول إلى جميع المشركين من حيث إنهم كانوا يؤيدونه ويحكونه ويحاكونه »<sup>(٦)</sup> .

واحتمل ابن حجر أن يكون - النضر و أبو جهل - كلاهما قالا ، ولكن نسبته إلى أبي جهل أولى<sup>(٧)</sup> . وإذا كان ذلك كذلك فالصحيح أن أبا جهل هو قائل تلك المقالة ، ويحتمل أن يكون النضر بن الحارث قالها أيضاً ، وإسنادها إلى جميع المشركين إنما هو من حيث التأييد لها وحكايتها ، والله أعلم .

(١/٤٣٩) ، ومعالم التنزيل (٢/٢١٦) ، والكشاف (٢/٥٧٧) ، والمحرر الوجيز (٦/٢٧٩) ، وإيجاز البيان (١/٢٩٣) ، وأنوار التنزيل (١/٣٨٣) ، ومدارك التنزيل (٢/١٠٢) ، ولباب التأويل (٢/١٧٩) ، والبحر المحيظ (٤/٤٨٧) ، والتعريف والإعلام (٤٣) - وينظر: المبهمات للبلنسي (١/٥١٣) - ، والنظم والدر (٨/٢٧٠) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/١٩٧) ، وإرشاد العقل السليم (٢/٣٥٨) ، وتفسير المراغي (٩/٢٠١) .

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧/٦٣) .

(٢) الوسيط (٢/٤٥٥) . وينظر: أسباب النزول له (٢٧٠) .

(٣) وهذا من أوجه الترجيح .

(٤) نقلا عن تفسير القرآن الحكيم للسيد رشيد رضا (٩/٥٦٣) .

(٥) قاله السيد رشيد رضا (٩/٥٦٤) . وسبقه البيضاوي في أنوار التنزيل (١/٣٨٣) .

(٦) التحرير والتنوير (٩/٣٣٠) .

(٧) ينظر: تفسير القرآن الحكيم للسيد رشيد رضا (٩/٥٦٣) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (٢٣)

١٠- الخلاف في عائد الضمائر في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ هل تعود كلها على الكفار ؟

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ إكراماً للنبي < ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ أي : لو آمنوا واستغفروا ؛ فإن الاستغفار أمان من العذاب قال بعض السلف : كان لنا أمانان من العذاب وهما : وجود النبي < ، والاستغفار، فلما مات النبي < ذهب الأمان الواحد ، وبقي الآخر <sup>(١)</sup> . وقيل : الضمير في ﴿ لِيُعَذِّبَهُمْ ﴾ للكفار ، وفي ﴿ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ للمؤمنين الذين كانوا بين أظهرهم <sup>(٢)</sup> .»

#### العرض والمناقشة :

تضمن تفسير ابن جزي لهذه الآية الكريمة ترجيحه لقول من قال : إن الضمائر كلها في جمل الآية : ﴿ لِيُعَذِّبَهُمْ ﴾ ، ﴿ فِيهِمْ ﴾ ، ﴿ مُعَذِّبَهُمْ ﴾ ، ﴿ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ أنها كلها عائدة على الكفار . ووافق في هذا معنى ما روي عن يزيد بن رومان ، ومحمد بن قيس <sup>(٣)</sup> ، وابن إسحاق <sup>(٤)</sup> ، والسدي <sup>(٥)</sup> ،

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٥١/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٩١/٥) رقم (٩٠١٧) وغيرهما من طريق عكرمة ، عن أبي زميل ، عن ابن عباس . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٥٢/١١) ، والحاكم في المستدرک (٥٤٢/١) ، عن أبي موسى الأشعري . وأخرجه الترمذي في سننه (٣٠٨٢) من طريق أبي بردة ، عن أبيه أبي موسى مرفوعاً . وقال : هذا حديث غريب ، وإسماعيل بن مهاجر يضعف في الحديث . وينظر: الدر المنثور للسيوطي (٥٥/٤) .

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (٦٥/٢) .

(3) أخرجه عنهما ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٥١/١١) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٥٢-١٥١/١١) . وينظر: سيرة ابن هشام (٦٧٠/١) .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٥٤-١٥٣/١١) وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٩٢/٥) رقم (٩٠٢٣) .

وابن زيد <sup>(١)</sup> ، وقتادة <sup>(٢)</sup> ، ومجاهد <sup>(٣)</sup> ، وعكرمة <sup>(٤)</sup> ، والحسن <sup>(٥)</sup> ، والكلبي <sup>(٦)</sup> .  
وعليه ابن جرير الطبري، وابن أبي زمنين، ومكي، والزمخشري، وابن عطية، والقمي  
النيسابوري، وأبو حيان، والسمين الحلبي، والبقاعي، والطاهر بن عاشور، ومحي الدين درويش <sup>(٧)</sup> .

قال ابن جرير الطبري : « وأولى هذه الأقوال عندي في ذلك بالصواب قول من قال :  
تأويله: وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم يا محمد ، وبين أظهرهم مقيم ، حتى أخرجك من بين  
أظهرهم ؛ لأني لا أهلك قريةً وفيها نبيها ، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون من ذنوبهم  
وكفرهم ، ولكنهم لا يستغفرون من ذلك ، بل هم مصرون عليه ، فهم للعذاب مستحقون» <sup>(٨)</sup> .

ثم علّله بقوله : « لأن القوم ، أعني مشركي مكة ، كانوا استعجلوا العذاب فقالوا : اللهم إن  
كان ما جاء به محمد هو الحق ، فأمطر علينا حجارة من السماء أو اتتنا بعذاب أليم . فقال الله لنبيه :  
ما كنت لأعذبهم وأنت فيهم ، وما كنت لأعذبهم لو استغفروا ، وكيف لا أعذبهم بعد إخراجك  
منهم وهم يصدون عن المسجد الحرام . فأعلمه جلّ ثناؤه أن الذي استعجلوه من العذاب حائق بهم  
ونازل ، وأعلمهم حال نزوله بهم ، وذلك بعد إخراجهم إياه من بين أظهرهم . ولا وجه لإعادتهم  
العذاب في الآخرة وهم مستعجلوه في العاجل ، ولا شك أنهم في الآخرة إلى العذاب صائرون ، بل

- (1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/١٥٤) . وذكره النحاس في الناسخ والمنسوخ (٢/٣٨٤) .
- (2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/١٥٣) .
- (3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/١٥٤، ١٥٥) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/٥٦) نسبه إلى  
عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ .
- (4) أخرجه ابن جرير في جامع البيان (١١/١٥٤) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/٥٦) نسبه إلى عبد بن حميد .
- (5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/١٥٧) عن عكرمة ، والحسن البصري . وابن أبي حاتم في تفسيره  
(٥/١٦٩٣) .
- (6) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/٢١٣) عن معمر ، عنه .
- (7) ينظر: جامع البيان (١١/١٥٧) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/١٧٦) ، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه (٢٩٨) ،  
والكشاف (٢/٥٧٨) ، والمحزر الوجيز (٦/٢٨٣) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/٣٩٥) ، والبحر المحيظ  
(٤/٤٩٠) ، والدر المصون (٥/٥٩٨) ، ونظم الدرر (٨/٢٧١) ، والتحرير والتنوير (٩/٣٣٤) ، وإعراب  
القرآن الكريم وبيانه (٣/٥٦٩) .
- (8) جامع البيان (١١/١٥٧) .

في تعجيل الله لهم ذلك يوم بدر الدليل الواضح على أن القول في ذلك ما قلنا «. اهـ .

وقال الطاهر بن عاشور : « وجملة ﴿ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ حال مقررة ، أي : إذا استغفروا الله من الشرك ، وحسن موقعها هنا أنها جاءت قيداً لعامل منفي فالمعنى : وما كان الله معذبهم لو استغفروا . وبذلك يظهر أن جملة ﴿ وَمَا لَهُمْ إِلَّا يَعْذِبُهُمُ اللَّهُ ﴾ [ الأنفال : ٣٤ ] صادفت محزها من الكلام ، أي : لم يسلكوا [ ما ] يحول بينهم وبين عذاب الله ، فليس لهم أن ينتفي عنهم عذاب الله «<sup>(١)</sup> .

وقال الشنقيطي : « وهذا معنى معروف في كلام العرب ؛ لأن المعنى : وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون لو استغفروا ، إلا أنهم لم يستغفروا فصار لا مانع من العذاب ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهِلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ﴾ [هود : ١١٧] أي : لو كانوا مصلحين لما نزل بهم العذاب ، لكنهم لم يصلحوا فتزل بهم العذاب «<sup>(٢)</sup> . اهـ .

ويدل له أيضاً : قوله عليه الصلاة والسلام عن عبدالله بن جدعان : ( إنه لم يقل يوماً : رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين )<sup>(٣)</sup> .

وأما القول الآخر بأن الضمير في ﴿ يَعْذِبُهُمُ ﴾ للكفار ، وفي ﴿ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ للمؤمنين ، فهو مروى عن عطية<sup>(٤)</sup> ، وأبي مالك<sup>(٥)</sup> ، والضحاك<sup>(٦)</sup> ، وابن أبيزى<sup>(٧)</sup> . وهو أيضاً مفهوم ما روي عن ابن عباس<sup>(٨)</sup> . وعليه ابن قتيبة ، والنحاس ،

(1) التحرير والتنوير (٣٣٤/٩) .

(2) العذب النمير (١٩٠٦/٤) .

(3) أخرجه أحمد (١٢٠،٩٣/٦) ، ومسلم في صحيحه (١٩٦/١) رقم (٢١٤) من حديث عائشة ك .

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٩٢/٥) رقم (٩٠٢٢) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٦/٤) نسبه إلى عبد بن حميد ، والطبري ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٤٨/١١) ، وذكره ابن أبي حاتم معلقاً في تفسيره (١٦٩٢/٥) عقب (٩٠٢٤) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٧/٤) فنبهه إلى عبد بن حميد .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٤٩/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٩١/٥) ، وعلقه في (١٦٩٢/٥) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٩/٤) نسبه إلى عبد بن حميد ، والنحاس ، وأبي الشيخ .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٤٩،١٤٨/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٩٣/٥) رقم (٩٠٢٧) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٦/٤) نسبه إلى أبي الشيخ .

(8) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٥٠/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٩٣/٥) رقم (٩٠٢٩) من

والسمرقندي، والواحدي، والكرماني، ومحمود النيسابوري، والثعالبي، والمراعي<sup>(١)</sup>.  
وكان الشنقيطي يميل إليه حيث قدمه على غيره وأطال الكلام فيه<sup>(٢)</sup>.  
وذكره الزمخشري، وابن الجوزي، والقرطبي، والقسي، والسيوطي، والسيد محمد  
رشيد رضا بصيغة ( قيل )<sup>(٣)</sup>.  
واستدل له بأن اللفظ عام والمراد بعضهم. والمعنى: وما كان الله معذب هؤلاء الكفار  
وفيههم مؤمنون مستغفرون<sup>(٤)</sup>.

وإطلاق المجموع مراداً بعبه أسلوب عربي كما قال تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ﴾  
[ الشمس : ١٤ ] والعاقر واحد بدليل قوله تعالى: ﴿ فَنادُوا صَاحِبَهُمْ فَنَعَاطَى فَعَقَرَ ﴾ [ القمر : ٢٩ ].  
ويزيد هذا وضوحاً قراءة حمزة والكسائي<sup>(٥)</sup>: ﴿ فَإِن قَتَلُوكُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ ﴾ [ البقرة :  
١٩١ ] بالفعلين من القتل بالفعل المجرد ؛ لأن المقتول لا يقتل قاتله ، فأسند الفعل إلى  
مجموعهم والمراد بعضهم .

ونظيره في القرآن قوله تعالى: ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾  
[ الفتح : ٢٥ ] أي : لو تميز المشركون عن ضعفاء المسلمين المقيمين بينهم في مكة لعذبناهم  
عذاباً أليماً ، فرغ الله عنهم العذاب الأليم ؛ لوجود ضعفاء المسلمين بين أظهرهم<sup>(٦)</sup>.  
قال الطيبي : « وهذا الوجه أبلغ ؛ لدلالته على أن استغفار الغير مما يدفع به العذاب

طريق ابن جريج ، عنه . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٥٠/١١) من طريق عطية العوفي، عنه.  
(1) ينظر: تأويل مشكل القرآن (٧١) — ثم قال في (٧٢) : وهو معنى قول ابن عباس — ، و معاني القرآن الكريم  
(١٥٠/٣) والناسخ والمنسوخ (٣٨٣/٢) ، وبجر العلوم (١٦/٢) ، والوجيز (٤٣٩/١) والوسيط (٤٥٧/٢) ،  
وغرائب التفسير وعجائب التأويل (٤٣٩/١) ، وإيجاز البيان (٢٩٣/١) ، والجواهر الحسان (١٧/٢) ، وتفسير  
المراعي (٢٠٢/٩) .  
(2) ينظر: العذب النмир (١٩٠٤/٤-١٩٠٦) .  
(3) ينظر: الكشف (٥٧٨/٢) ، وتذكرة الأريب (٢٠٢/١) ، والجامع لأحكام القرآن (٤٩٧/٩) ، وغرائب القرآن  
ورغائب الفرقان (٣٩٥/٣) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ١٩٧/٣) ، وتفسير القرآن الحكيم (٥٦٤/٩)  
(4) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٤٨٠/٥) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للقمي (٣٩٥/٣) .  
(5) ينظر: حجة القراءات لابن زنجلة (١٢٧-١٢٨) .  
(6) ينظر: العذب النмир (١٩٠٥/٤) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ١٩٨/٣) .

عن أمثال هؤلاء الكفرة»<sup>(١)</sup> .

وردّ هذا القول ابن جرير الطبري بحجة عدم دلالة السياق عليه ، وأنه لا دليل على أن الخبر عن المؤمنين قد مضى ، وعلى أنهم عنوا بذلك<sup>(٢)</sup> .

وقال ابن عطية : « ويدفع في صدر هذا القول أن المؤمنين الذين ردّ الضمير عليهم لم يَجْر لهم ذكر »<sup>(٣)</sup> .

وحسن النحاس هذا القول وغلط الطبري في ردّه له بهذه الحجة بعلّة تقدّم ذكر المؤمنين في غير موضع من السورة . وأجاب عن القول بأنه لم يتقدم ذكرهم في هذا الموضع بأن

المعنى يدل على ذكرهم وذلك في قولهم: ﴿ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ... ﴾ على معنى : فأهلك الجماعة من الكفار و المسلمين ، فهذا وجه ذكر المسلمين ، فيكون معنى

الآية : كيف يهلك الله تعالى المسلمين ﴿ وَهُمْ يَسْتَعْفِرُونَ ﴾ وأما قوله : ﴿ وَمَا لَهُمْ إِلَّا

يَعِدُّهُمْ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ ﴾ فيعني به الكافرين<sup>(٤)</sup> .

وجواب النحاس هذا فيه تكلف فيما يظهر ، والله أعلم .

وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن الأولى هو قول من قال بعود الضمائر كلها على الكفار ،

وهو ما تضمّنه تفسير ابن جزيّ ، ورجّحه الطبري ومن وافقه ؛ لدلالة السياق عليه .

ويؤيده قاعدة : ( توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها )<sup>(٥)</sup> ،

والله تعالى أعلم .

(1) ينظر: حاشية الشهاب (٢٧١/٤) ، وروح المعاني (٢٠٠/٩) ، ومحاسن التأويل (٢٩٨٦/٨) .

(2) ينظر: جامع البيان (١٥٨/١١) .

(3) المحرر الوجيز (٢٨٢/٦) .

(4) ينظر: الناسخ والمنسوخ (٣٨٣/٢) .

(5) قواعد الترجيح عند المفسرين (٦١٣/٢) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً

ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾

١١- الخِلاَف فِيمَ نَزَلَتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ.

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « نزلت في إنفاق قريش في غزوة أحد . وقيل : إنها نزلت في أبي سفيان بن حرب ؛ فإنه استأجر العير من الأحباش فقاتل بهم النبي < يوم أحد >»<sup>(١)</sup>.

### العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيِّ أن الآية نزلت في إنفاق قريش في غزوة أحد . ووافق في هذا ابن عطية<sup>(٢)</sup> . ومفهوم كلام ابن أبي زمنين على أن ذلك الإنفاق كان بعد بدر<sup>(٣)</sup> . وصوبه الشنقيطي<sup>(٤)</sup> .

ويدل له ما رواه ابن إسحاق عن الزهري ، ومحمد بن يحيى بن حيان ، وعاصم بن عمر ابن قتادة ، والحصين بن عبد الرحمن بن عمر قالوا : لما أصيبت قريش يوم بدر ورجع فلهم إلى مكة ورجع أبو سفيان بعيره ، مشى عبد الله بن ربيعة ، وعكرمة بن أبي جهل ، وصفوان ابن أمية ، في رجال من قريش إلى من كان معه تجارة فقالوا : يا معشر قريش ، إن محمداً قد وتَرَكم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربته فلعلنا أن ندرك منه ثأراً . ففعلوا . ففيهم كما ذكر ابن عباس ب ، أنزل الله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾<sup>(٥)</sup> .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٦٥/٢) .

(2) ينظر: المحرر الوجيز (٢٩٥/٦) .

(3) ينظر: تفسير القرآن العزيز (١٧٧/٢) .

(4) ينظر: العذب النمير (١٩١٢/٤) .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٧٣/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٩٨/٥) رقم (٩٠٥٥) ، والبيهقي في دلائل النبوة (٢٢٤/٣) .

وينظر: سيرة ابن هشام (٦٠/٢) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٣/٤) نسبه إلى ابن المنذر .

قال الشنقيطي : « وهذا الذي عليه جمهور العلماء من المفسرين وأصحاب المغازي والتاريخ وأن ذلك هو معنى إنفاقهم ليصدوا عن سبيل الله . هذا هو الأصوب إن شاء الله ، وعليه جماهير العلماء »<sup>(١)</sup>.

وأما القول بأنها نزلت في أبي سفيان بن حرب واستتجاره العير من الأحباش<sup>(٢)</sup> للقتال في أحد ، فهو مروى عن ابن عباس<sup>(٣)</sup> ، ومجاهد<sup>(٤)</sup> ، وسعيد بن جبير<sup>(٥)</sup> ، والحكم بن عيينة<sup>(٦)</sup> ، وابن أبزى<sup>(٧)</sup> ، وقتادة<sup>(٨)</sup> ، وعطاء بن دينار<sup>(٩)</sup> . ونسب إلى السدي<sup>(١٠)</sup> .

وعليه النحاس ، والبلنسي ، والثعالبي<sup>(١١)</sup> .

وذكره الزمخشري بقبيل<sup>(١٢)</sup> .

وروي عن الضحاك أنه قال : « هم أهل بدر »<sup>(١٣)</sup> . وحكى نحوه النقاش<sup>(١٤)</sup> .

ونُسب إلى الكلبي أنها في إنفاق قريش في غزوة بدر<sup>(١٥)</sup> .

- (1) العذب النمير (١٩١٢/٤) بتصرف يسير .
- (2) الأحباش : هم بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة . ويقال لهم : الأحابيش . ينظر: نسب قريش للزبيرى (٩) .
- (3) أخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور للسيوطي (٦٣/٤) .
- (4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٧٢/١١) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٣/٤) نسبته إلى عبد بن حميد ، وأبي الشيخ .
- (5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٧٠/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٩٧/٥) رقم (٩٠٥٤) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٣/٤) نسبته إلى ابن سعد ، وعبد بن حميد ، وأبي الشيخ ، وابن عساكر .
- (6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٧١/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٩٧/٥) رقم (٩٠٥٣) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٦٣/٤) نسبته إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ .
- (7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٧١/١١) .
- (8) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٧٢/١١) .
- (9) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٧٤/١١) .
- (10) نسبه إليه ابن عطية في المحرر الوجيز (٢٩٤/٦) ، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٧٣/٧) .
- (11) ينظر: معاني القرآن الكريم (١٥٣/٣) ، وتفسير مبهمات القرآن (٥١٣/١) ، والجواهر الحسان (١٨/٢) .
- (12) ينظر: الكشف (٥٧٩/٢) .
- (13) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٧٤/١١) .
- (14) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٢٩٦/٦) .
- (15) ينظر: الوسيط للواحدى (٤٥٨/٢) ، وأسباب النزول له (٢٧١) ، ومعالم التنزيل للبعوي (٢٢٠/٢) في آخرين . ورواه أبو صالح ، عن ابن عباس : أنها في المطعمين ببدر . ينظر: زاد المسير (٣٥٥/٣) .

وعلى هذا القول مقاتل، والواحدي، وابن الجوزي، والنسفي<sup>(١)</sup>.  
 وذكره الزمخشري بقليل<sup>(٢)</sup>.

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الصواب من القول في ذلك هو القول بالعموم؛ لأن الله لم يخبرنا بأيّ ذلك عني، غير أنه عمّ بالخبر الذين كفروا. وجائز أن يكون ذلك بأحد، وجائز أن يكون ذلك ببدر، وجائز أن يكون عني الفريقين<sup>(٣)</sup>.  
 وعلى القول بأنها في أبي سفيان فهذا من باب التفسير بالمثال.

وعلى القول بالعموم ذهب أبوحيان، والسيد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي، والطاهر<sup>(٤)</sup>. ومال إليه ابن كثير، والبقاعي، والشوكاني، والقنوجي، والقاسمي<sup>(٥)</sup>.

ودليله: قوله تعالى: ﴿يُنْفِقُونَ﴾ بصيغة المضارع إشارة إلى أن ذلك دأبهم، وأن الإنفاق مستمر لإعداد العدد لغزو المسلمين، فإنفاقهم حصل في الماضي كبدر وأحد والأحزاب، ويحصل في الحال والاستقبال.

وقوله: ﴿لِيَصُدُّوا﴾ أشعرت لام التعليل بأن الإنفاق مستمر؛ لأنه منوط بعلّة ملازمة لنفوسهم وهي بغض الإسلام وصدّهم الناس عنه. أفاده الطاهر بن عاشور، وهو الصواب إن شاء الله.

ويؤيده قاعدتان ترجيحيتان:

١- يجب حمل نصوص الوحي على العموم.

(1) ينظر: تفسير مقاتل (١١٥، ١١٤/٢)، والوجيز (٤٣٩/١)، وتذكرة الأريب (٢٠٣/١)، ومدارك التنزيل (١٠٣/٢).

(2) ينظر: الكشف (٥٧٩/٢).

(3) ينظر: جامع البيان للطبري (١٧٤/١١).

(4) ينظر: البحر المحيط (٤٩٣/٤)، وتفسير القرآن الحكيم (٥٦٨/٩)، وتفسير المراغي (٢٠٥/٩)، وتيسير الكريم الرحمن (٢٠٢/٢)، والتحرير والتنوير (٣٤٠/٩-٣٤١).

(5) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧٤/٧) — وقال: وعلى كل تقدير فهي عامة، وإن كان سبب نزولها خاصاً — ، ونظم الدرر (٢٧٧/٨)، وفتح القدير (٤٤٠/٢)، وفتح البيان (١٧١/٥)، ومحاسن التأويل (٢٩٩٣/٨) وقال: ولا يخفى ثمول الآية لجميع ذلك.

٢- العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب<sup>(١)</sup>.

قال أبو حيان: « والظاهر الإخبار عن الكفار بأن إنفاقهم ليس في سبيل الله بل سببه الصد عن سبيل الله فيندرج هؤلاء الذين كفروا في هذا العموم ، وقد يكون اللفظ عاماً والسبب خاصاً ... »<sup>(٢)</sup>. ثم قال: « والإخبار بسين الاستقبال يدل على إنفاق متأخر عن وقعة أحد وبدر ، وأن ذلك إخبار عن علو الإسلام وغلبة أهله ، وكذا وقع ، فتحوا البلاد ودوخوا العباد ، وملاً الإسلام معظم أقطار الأرض واتسعت هذه الملة اتساعاً لم يكن لشيء من الملل السابقة ». والله تعالى أعلم .

(1) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٥٢٧ ، ٥٤٥) .

(2) البحر المحيط (٤/٤٩٣) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي

جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾

١٢- الخلاف في المراد الخبيث والطيب في قوله تعالى :

﴿ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « معنى ﴿ لِيَمِيزَ ﴾ : يُفَرِّقُ بين الخبيث والطيب . والخبيث هنا الكفار ، والطيب المؤمنون . وقيل : الخبيث ما أنفق الكفار ، والطيب ما أنفق المؤمنون . واللام في ﴿ لِيَمِيزَ ﴾ على هذا تتعلق بـ ﴿ يُغْلَبُونَ ﴾ ، وعلى الأول بـ ﴿ يُحْشَرُونَ ﴾ »<sup>(١)</sup>.

العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ أن الخبيث في قوله تعالى : ﴿ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ يراد به الكفار ، وأن الطيب المؤمنون أي : ليفرق الله بين الكفار والمؤمنين . ووافق في هذا معنى ما رُوِيَ عن ابن عباس<sup>(٢)</sup> ، والسدي<sup>(٣)</sup> .  
وعليه مقاتل، والطبري، والنحاس، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، وابن الجوزي، والقرطبي، والنسفي، والخازن، والقمي، وأبو حيان، وابن كثير، والبقاعي، والسيوطي، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والطاهر، والشنقيطي<sup>(٤)</sup>.

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٦٥/٢) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٧٥/١١) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه قال : نُمِيزُ أهل السعادة من أهل الشقاوة .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٧٥/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٩٩/٥) رقم (٩٠٦١) .

(4) ينظر: تفسير مقاتل (١١٥/٢) ، وجامع البيان (١٧٥/١١) ، ومعاني القرآن الكريم (١٥٤/٣) ، والوجيز (٤٤٠/١) والوسيط (٤٥٩/٢) ، ومعالم التنزيل (٢٢١/٢) ، والكشاف (٥٧٩/٢) ، وتذكرة الأريب (٢٠٣/١) ، والجامع لأحكام القرآن (٥٠٠/٩) ، ومدارك التنزيل (١٠٣/٢) ، ولباب التأويل (١٨١/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣٩٧/٣) ، والبحر المحيط (٤٩٤/٤) ، وتفسير القرآن العظيم (٧٤/٧) ، ونظم الدرر (٢٧٨/٨) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/٢٠٠) ، وفتح القدير (٤٤٠/٢) ، وروح المعاني

واستدل له أبو حيان بأن الكفار هم المحدث عنهم بقوله : ﴿يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾<sup>(١)</sup>  
 وقوله : ﴿فَسَيُنْفِقُونَهَا﴾<sup>(٢)</sup> وبقوله : ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ ، وبأنهم هم المشار  
 إليهم آخرًا بقوله : ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾<sup>(٣)</sup> .

وأما ابن كثير فإنه استدل له بوقوع التفريق بين الفريقين في الدنيا كقوله تعالى : ﴿وَمَا  
 أَصْبَحْتُمْ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانَ فَيَاذَنَ اللَّهُ وَلَيَعْلَمُ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup> [آل عمران :  
 ١٦٦-١٦٧] ، وقوله : ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ  
 الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران : ١٧٩] . وبوقوعه في الآخرة كقوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِئِدِ  
 يَنْفَرِقُونَ﴾ [الروم : ١٤] . وقوله : ﴿وَأَمْتَرُوا أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾<sup>(٥)</sup> [يس : ٥٩] .

قال الطاهر بن عاشور : « تعلق اللام في ﴿لِيَمِيزَ﴾ بـ ﴿يُحْشَرُونَ﴾ ؛ لبيان  
 أن من حكمة حشرهم إلى جهنم أن يتمييز الفريق الخبيث من الناس من الفريق الطيب في يوم  
 الحشر ؛ لأن العلة غير المؤثرة تكون متعددة ، فتمييز الخبيث من الطيب من جملة الحكم  
 لحشر الكافرين إلى جهنم . وجعل الخبيث بعضه على بعض علة أخرى لحشر الكافرين إلى  
 جهنم ، ولذلك عطف بالواو »<sup>(٦)</sup> .

وأما القول الآخر بأن الخبيث ما أنفق الكفار ، والطيب ما أنفق المؤمنون ، فهو قول  
 منسوب لابن زيد<sup>(٧)</sup> ، وابن سلام<sup>(٨)</sup> .  
 وعليه الزجاج ، وابن أبي زمنين ، والسمعاني<sup>(٩)</sup> .

وذكره السمرقندي ، والبعوي ، والزحشري ، والحازن ، والقمي ، والشوكاني ،

(١) (٢٠٥/٩) ، وفتح البيان (١٧٢/٥) ، والتحرير والتنوير (٣٤٢/٩) ، والعذب النميز (١٩١٧/٤-١٩١٨) .

(٢) ينظر : البحر المحيط (٤٩٤/٤) .

(٣) ينظر : تفسير القرآن العظيم (٧٤/٧) .

(٤) التحرير والتنوير (٣٤٣، ٣٤٢/٩) .

(٥) نسبه إليه ابن الجوزي كما في زاد المسير (٣٥٦/٣) .

(٦) نسبه إليه ابن عطية كما في المحرر الوجيز (٢٩٨/٦) ، وأبو حيان كما في البحر المحيط (٤٩٣/٤) .

(٧) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٤١٢/٢) ، وتفسير القرآن العزيز (١٧٧/٢) ، وتفسير القرآن (٢٦٤/٢) .

والقنوجي بصيغة ( قيل )<sup>(١)</sup>.

قال الزجاج : « قوله : ﴿ فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ ﴾ أي : يجعل بعض ما أنفقه المشركون على بعض ، ويجعل عليهم في النار ، فيكون مما يعذبون به ، كما قال جل وعزّ :

﴿ فَتَكُونُ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> [التوبة : ٣٥] .

ولذا ذكره الشنقيطي على أنه يندرج في القول الأول واستدل بآية التوبة هذه<sup>(٣)</sup>.

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الصواب من القول في ذلك هو القول بالعموم ، وأن الخبيث والطيب هو عام في كل شيء من الأعمال والنفقات والنفوس ، والأشخاص . فالخبيث يطلق على ما يكره رداءةً وخساسةً محسوساً كان أو معقولاً ، في الاعتقاد والأقوال والأعمال والأموال والنفوس والأشخاص<sup>(٤)</sup> ، وكذا عكسه الطيب<sup>(٥)</sup> .

فالخبيث والطيب وصفان يصلحان للآدميين وللمال ، كما قاله أبو حيان<sup>(٦)</sup> .

وعلى القول بالعموم ذهب السعدي<sup>(٧)</sup> .

وإلى التسوية بين القولين ذهب البيضاوي، وأبو السعود، والقاسمي<sup>(٨)</sup> .

ومما يؤيد القول بالعموم القاعدة الترجيحية : (يجب حمل نصوص الوحي على

العموم)<sup>(٩)</sup>، والله تعالى أعلم .

(1) ينظر: بحر العلوم (١٧/٢) ، ومعالم التنزيل (٢٢١/٢) ، والكشاف (٥٨٠/٢) ، ولباب التأويل (١٨١/٢) ،

وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣٩٧/٣) ، وفتح القدير (٤٤١/٢) ، وفتح البيان (١٧٢/٥) .

(2) معاني القرآن وإعرابه (٤١٣/٢) . وينظر: معاني القرآن الكريم للنحاس (١٥٤/٣) ، والكشاف للزمخشري

(٥٨٠/٢) ، والمحزر الوجيز لابن عطية (٢٩٨/٦) ، وفتح القدير للشوكاني (٤٤١/٢) ، وفتح البيان للقنوجي

(١٧٢/٥) .

(3) ينظر: العذب النмир (١٩١٨/٤) .

(4) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب (٢٧٢-٢٧٣) مادة ( خبث ) .

(5) ينظر: المصدر السابق (٥٢٧) مادة ( طيب ) .

(6) البحر المحيط (٤٩٣/٤) .

(7) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٢٠٢/٢) .

(8) ينظر: أنوار التنزيل (٣٨٥/١) ، وإرشاد العقل السليم (٣٥٩/٢) ، و محاسن التأويل (٢٩٩٤/٨) .

(9) قواعد الترجيح عند المفسرين (٥٢٧/٢) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ  
 وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِن لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا  
 لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾  
 ١٣ - الخلاف في المراد بالهلاك والحياة بين الحقيقة والمجاز .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « أي : يموت من مات بيدٍ عن إعدارٍ وإقامة الحجّة  
 عليه، ويعيش من عاش بعد البيان له . وقيل : ﴿ لِيَهْلِكَ ﴾ : من يكفر . و ﴿ وَيَحْيَىٰ ﴾ :  
 من يؤمن »<sup>(١)</sup> .

#### العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ أن الهلاك والحياة في قوله تعالى : ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ  
 وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ﴾ هما على الحقيقة . ووافق في هذا الترجيح ما ذهب إليه الطبري،  
 والبغوي، والرازي، والقرطبي، والخازن، وأباحيان، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي<sup>(٢)</sup> .  
 ومفهوم كلام العكبري على تجويزه<sup>(٣)</sup> .

واستدلوا له بأنه ظاهر القرآن ، وبقوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَمْراً هَلَك ﴾ [ النساء : ١٧٦ ] .  
 ويقول الفرّاضيون : هلك هالك . يعني : مات ميت .  
 واستبعد الطاهر حمل الهلاك والحياة هنا على الحقيقة، وعلل ذلك بقوله : « لأنه وإن  
 تحمّله المعنى في قوله : ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ ﴾ فلا يتحمّله في قوله : ﴿ وَيَحْيَىٰ مَنْ  
 حَيَّ ﴾ ؛ لأن حياة الأحياء ثابتة لهم من قبل يوم بدر »<sup>(٤)</sup> .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٦٦/٢) .

(2) ينظر: جامع البيان (٢٠٧/١١-٢٠٨) ، ومعالم التنزيل (٢٢٧/٢) ، ومفاتيح الغيب (٤٨٧/٥) ، والجامع  
 لأحكام القرآن (٣٦/١٠) ، ولباب التأويل (١٨٤/٢) ، والبحر المحيط (٥٠١/٤) ، وفتح القدير (٤٤٨/٢) ،  
 وروح المعاني (٧/١٠) وفتح البيان (١٨٥/٥) .

(3) ينظر: التبيان (٦٢٥/٢) .

(4) ينظر: التحرير والتنوير (٢١/١٠) .

ولهذا اختار البقاعي أن الهلاك في حال القتال وبعدها ، ويجي من حيِّ بالإسلام<sup>(١)</sup> .  
وأما القول الآخر بحمل الهلاك والحياة في الآية على المجاز ، فيراد بهما الكفر والإيمان ،  
فهو معنى ما رُوِيَ عن عبّاد بن عبد الله بن الزبير<sup>(٢)</sup> ، وابن إسحاق<sup>(٣)</sup> . ونسب إلى الكلبي<sup>(٤)</sup> ،  
وقتادة<sup>(٥)</sup> .

وعليه مقاتل ، والسمرقندي ، والواحدي ، والسمعاني ، والزمخشري ، والنسفي ، والقمي ،  
وابن القيم ، والسمين ، وابن كثير ، والثعالبي ، والسيوطي ، والقاسمي ، والسعدي ، والطاهر ،  
والشنقيطي<sup>(٦)</sup> .

وجوزّه الألوسي<sup>(٧)</sup> . وذكره الشوكاني ، والقنوجي بصيغة ( قيل )<sup>(٨)</sup> .  
قال الواحدي : « أكثر أهل العلم على أن المراد بالهلاك ها هنا الكفر والضلال ،  
وبالحياة الاهتداء والدين »<sup>(٩)</sup> .

وقال ابن عطية : « فالهلاك والحياة - على هذا - مستعارتان ، والمعنى : أن الله تعالى  
جعل قصة بدر عبرةً وآيةً ؛ ليؤمن من آمن عن وضوح وبيان ، ويكفر أيضاً من كفر عن  
مثل ذلك »<sup>(١٠)</sup> .

- (1) ينظر: نظم الدرر (٢٨٨/٨) .
- (2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٠٨/٥) رقم (٩١١٦) .
- (3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٠٨/١١) . وينظر: سيرة ابن هشام (٦٧٢/١) .
- (4) نسبه إليه السمرقندي كما في بحر العلوم (١٩/٢) .
- (5) نسبه إليه البغوي كما في معالم التنزيل (٢٢٧/٢) ، والخازن كما في لباب التأويل (١٨٥/٢) .
- (6) ينظر: تفسير مقاتل (١١٧/٢) ، وبحر العلوم (١٩/٢) ، والوجيز (٤٤٢/١) ، وتفسير القرآن (٢٦٨/٢) ،  
والكشاف (٥٨٥/٢) ، ومدارك التنزيل (١٠٥/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤٠٣/٣) ، وبدائع  
التفسير (٣٣٨/٢) ، والدر المصون (٦١٥/٥) ، وتفسير القرآن العظيم (٩٣/٧) ، والجواهر الحسان (٢١/٢) ،  
وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٢٠٤/٣ ) ، ومحاسن التأويل (٣٠٠٦/٨ ، ٣٠٠٧) ، وتيسير الكريم الرحمن  
(٢٠٥/٢) ، والتحرير والتنوير (٢١/١٠) ، والعذب النمير (١٩٦٧-١٩٦٨) .
- (7) ينظر: روح المعاني (٧/١٠) .
- (8) ينظر: فتح القدير (٤٤٨/٢) ، وفتح البيان (١٨٥/٥) .
- (9) الوسيط (٤٦٣/٢) .
- (10) المحرر الوجيز (٣٢١/٦) . وينظر: الكشاف للزمخشري (٥٨٥/٢) ، وأنوار التنزيل للبيضاوي (٣٨٦/١) ،  
ومدارك التنزيل للنسفي (١٠٥/٢) .

واستدلوا له بقوله تعالى : ﴿ أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي

النَّاسِ ﴾ [ الأنعام : ١٢٢ ] .

ووجهه : أن الإيمان هو حياة القلوب <sup>(١)</sup> .

وقالت عائشة في قصة الإفك : « فِيَّ هَلِكٌ مِّنْ هَلِكٍ » <sup>(٢)</sup> . أي : قال فيها ما قال من

الكذب والبهتان والإفك <sup>(٣)</sup> .

ويدل له قوله تعالى : ﴿ يَهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ ﴾ [ الأنعام : ٢٦ ] .

وقوله : ﴿ لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا ﴾ <sup>(٤)</sup> [ يس : ٧٠ ] .

واختار السيد محمد رشيد رضا شمول الهلاك والحياة هنا للحسي والمعنويّ منهما <sup>(٥)</sup> .

ومفهوم كلام المراغي يشعر بميله إليه <sup>(٦)</sup> .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الصواب في ذلك هو القول بالعموم والشمول ، وأن كلا

المعنيين مراد ؛ وذلك لقوة أدلة القولين ووجاهتها ، فالجمع بينها أولى من أطراح بعضها .

والقاعدة الترجيحية تؤيد ذلك وهي أنه : ( يجب حمل نصوص الوحي على العموم ) <sup>(٧)</sup> ،

والله تعالى أعلم .

(1) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٩٤/٧) .

(2) ينظر البخاري ، كتاب التفسير رقم (٤٧٥٠ ، ٤٧٥٧) وفيه قولها عن حمزة بنت جحش : فهلكتُ فيمن هلك .

(3) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٩٤/٧) .

(4) ينظر: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢١/١٠) .

(5) ينظر: تفسير القرآن الحكيم (١٩/١٠) .

(6) ينظر: تفسير المراغي (٧/١٠) .

(7) قواعد الترجيح عند المفسرين (٥٢٧/٢) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ إِذْ يَكْفُلُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَوَاهُ دِينَهُمْ ﴾

وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾

١٤ - الخلاف في المراد بالمنافقين في قوله تعالى : ﴿ إِذْ يَكْفُلُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي

قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ هل هم منافقوا المدينة ؟ أم الذين كانوا مع الكفار بمكة ؟

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « ﴿ يَكْفُلُ الْمُنَافِقُونَ ﴾ : الذين كانوا بالمدينة .  
وقيل : الذين كانوا مع الكفار ، وهم نفر من قريش منهم : قيس بن الوليد بن المغيرة ،  
وأبوقيس بن الفاكه بن المغيرة ، والحارث بن ربيعة <sup>(١)</sup> بن الأسود ، وعلي بن أمية بن خلف ،  
والعاصي بن أمية <sup>(٢)</sup> بن الحجاج ، وكانوا قد أسلموا ولم يهاجروا وخرجوا يوم بدر مع  
الكفار فقالوا هذه المقالة « <sup>(٣)</sup> .

#### العرض والمناقشة :

رجح ابن جزي أن المنافقين الذين كانوا بالمدينة هم الذين عناهم الله بقوله : ﴿ إِذْ  
يَكْفُلُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَوَاهُ دِينَهُمْ ﴾ . ووافق في هذا معنى ما  
روى عن ابن عباس <sup>(٤)</sup> ، والحسن <sup>(٥)</sup> . ونسب إلى الضحاك <sup>(٦)</sup> .

(1) في زاد المسير لابن الجوزي (٣/٣٦٨) : الحارث بن زمعة .

(2) في زاد المسير لابن الجوزي (٣/٣٦٨) : العاصي بن مئنة .

(3) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٦٧) .

(4) قال : هم قوم من أهل المدينة من الأوس والخزرج . ينظر: الوسيط للواحد (٢/٤٦٦) ، وزاد السير لابن  
الجوزي (٣/٣٦٧) . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٧١٦) رقم (٩١٦٥) بالإسناد المسلسل بالعوفيين،  
عنه قال : وهم يومئذ في المسلمين . قال الألوسي في روح المعاني (١٠/١٦) : وفي القلب من هذا شيء ؛ فإن  
الذي تشهد له الآثار أن أهل بدر كانوا خلاصة المسلمين .

(5) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/٢٦٠) عن معمر ، عنه قال : هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر فسموا  
منافقين . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/٢٢٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٧١٦) رقم  
(٩١٦٦) من طريق معمر به . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/٧٩) نسبته إلى ابن المنذر .

(6) قال : نزلت في عبد الله بن أبي وأصحابه . ينظر : بحر العلوم للسمرقندي (٢/٢١) .

وعليه الواحدي، والزمخشري، وابن الجوزي، والرازي، والنسفي، والحازن، والقمي، وأبوحيان، والبقاعي، والشوكاني، والقنوجي، والقاسمي<sup>(١)</sup>. ومفهوم كلام الشنقيطي يشير إليه<sup>(٢)</sup>. واحتمله ابن عطية<sup>(٣)</sup>.

وذكره البيضاوي، وأبوالسعود بصيغة ( قيل )<sup>(٤)</sup>.

وأما القول الآخر بأن المنافقين والمذكورين في الآية هم الذين كانوا مع الكفار، وهم نفر من قريش أسلموا ولم يهاجروا وخرجوا يوم بدر مع الكفار فقالوا هذه المقالة، فهو قول منسوب إلى ابن عباس<sup>(٥)</sup>. وروي عن مجاهد<sup>(٦)</sup>، والكلبي<sup>(٧)</sup>، وابن إسحاق، والشعبي<sup>(٨)</sup>، وابن جريج<sup>(٩)</sup>.

وعليه مقاتل، والطبري، وابن أبي زمنين، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والبلنسي، والثعالبي، والآلوسي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي<sup>(١٠)</sup>.

(1) ينظر: الوسيط (٤٦٦/٢)، والكشاف (٥٩٠/٢)، وتذكرة الأريب (٢٠٥/١)، ومفاتيح الغيب (٤٩٣/٥)، ومدارك التنزيل (١٠٧/٢)، ولباب التأويل (١٨٨/٢)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤٠٦/٣)، والبحر المحيط (٥٠٥/٤)، ونظم الدرر (٢٩٩/٨-٣٠٠)، وفتح القدير (٤٥٤/٢)، وفتح البيان (١٩٢/٥)، ومحاسن التأويل (٣٠١٥/٨).

(2) ينظر: العذب النمير (١٩٩٧/٥).

(3) ينظر: المحرر الوجيز (٣٢٩/٦). وتبعه الثعالبي في الجواهر الحسان (٢٥/٢).

(4) ينظر: أنوار التنزيل (٣٨٨/١)، وإرشاد العقل السليم (٣٦٥/٢).

(5) رواه أبوصالح، عنه. ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (٢١/٢)، والنكت والعيون للماوردي (٣٢٥/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٦٨/٣).

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٢٧/١١).

(7) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٦١/٢) عن معمر، عنه. وذكره معلقاً ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٢٧/١١) عن معمر به.

(8) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧١٦/٥) رقم (٩١٦٧).

(9) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٢٨/١١). وذكر الطبري عنه قولاً آخر: أن القائل هم المشركون. وعليه ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة، عنه. أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧١٧/٥) رقم (٩١٦٨).

(10) ينظر: تفسير مقاتل (١٢٠/٢) — على خلاف يسير في تعدادهم — ، وجامع البيان (٢٢٦/١١)، وتفسير القرآن العزيز (١٨٢/٢)، والوجيز (٤٤٤/١)، وتفسير القرآن (٢٧١/٢)، ومعالم التنزيل (٢٣١/٢)، وتفسير مبهمات القرآن (٥١٥/١)، والجواهر الحسان (٢٤/٢)، وروح المعاني (١٦/١٠)، وتفسير القرآن

وبعد، فإذا تقرر هذا فإنه لا دليل يعين المراد بالمنافقين ؛ والأصل أن النفاق إنما ظهر بالمدينة ورأسه عبد الله بن أبي بن سلول .  
وعليه، فإن الظاهر أن المنافقين هنا هم الذين كانوا بالمدينة وهم الذين في قلوبهم مرض، وعلى هذا استعمال القرآن .  
فإذا كان ذلك فإن الصواب هو ما رجّحه ابن جزيّ ومن معه ، وإن خالفه الأكثرون ؛ لأن المنافقين كانوا بالمدينة ولم يكن بمكة نفاق ، والله تعالى أعلم .

قَالَ تَعَالَى:

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ اتَوَفَى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَھُمْ﴾

وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾

١٥ - الخلاف في المراد بالأدبار في قوله: ﴿الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَھُمْ﴾ .

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « ﴿وَأَدْبَرَھُمْ﴾ أي: أَسْتَاهَهُمْ. وقيل: ظهورهم »<sup>(١)</sup>.

العرض والمناقشة:

رجح ابن جزي أن ﴿أَدْبَرَھُمْ﴾ معناها: أَسْتَاهَهُمْ. ووافق في هذا ما روي عن مجاهد<sup>(٢)</sup>، وسعيد بن جبیر<sup>(٣)</sup>، وعكرمة<sup>(٤)</sup>، وعمر مولى غفرة<sup>(٥)</sup>.

وعليه الطبري، والزمخشري، وابن عطية، والقرطبي، وأبو حيان، وابن كثير، والثعالبي، والشوكاني، والقنوجي، والشنقيطي<sup>(٦)</sup>. وهو مفهوم كلام البغوي<sup>(٧)</sup>.

قال مجاهد: « وأَسْتَاهَهُمْ، ولكن الله كريم يكني ».

وقال ابن عطية: « قال جمهور المفسرين: يريد أَسْتَاهَهُمْ ولكن الله كريم يكني ».

ودبر كل شيء عقبه ومؤخره، وجمعه أدبار<sup>(٨)</sup>.

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٦٧/٢).

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٣٠/١١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧١٨/٥) رقم (٩١٧٤). وزاد السيوطي في الدر المنثور (٨١/٤) نسبته إلى ابن المنذر، وأبي الشيخ.

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٣٠/١١). وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧١٨/٥) عقب الأثر (٩١٧٤) معلقاً.

(4) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧١٨/٥) عقب الأثر (٩١٧٤) معلقاً.

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٣١/١١). وذكره معلقاً ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧١٨/٥) عقب (٩١٧٤).

(6) ينظر: جامع البيان (٢٢٩/١١)، والكشاف (٥٩٠/٢)، والمحرر الوجيز (٣٤٠/٦)، والجامع لأحكام القرآن (٤٥/١٠)، والبحر المحيط (٥٠٦/٤)، وتفسير القرآن العظيم (١٠٤/٧)، والجواهر الحسان (٢٥/٢)، وفتح القدير (٤٥٦/٢)، وفتح البيان (١٩٣/٥)، والعذب النمير (٢٠٠٣/٥).

(7) ينظر: معالم التنزيل (٢٣١/٢).

(8) ينظر: لسان العرب، والقاموس المحيط مادة (دبر).

وَدُبِّرُ الشَّيْءُ : خِلاَفُ الْقُبُلِ . وَكُنِّيَ بِهِمَا عَنِ الْعَضْوِينَ الْمَخْصُوصِينَ . قَالَ الرَّاعِبُ<sup>(١)</sup> .  
 وَإِنَّمَا خَصَّ وَجُوهُهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ بِالضَّرْبِ ؛ لِأَنَّ الْخِزْيَ وَالنِّكَالَ فِي ضَرْبِهَا أَشَدُّ<sup>(٢)</sup> .  
 وَأَمَّا الْقَوْلُ الْآخَرُ بِأَنَّ أَدْبَارَهُمْ هِيَ ظُهُورُهُمْ ، فَهُوَ قَوْلٌ مَنْسُوبٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٣)</sup> ،  
 وَالْحَسَنِ<sup>(٤)</sup> . وَعَلَيْهِ الشَّهَابُ الْخَفَّاجِيُّ ، وَالْأَلُوسِيُّ<sup>(٥)</sup> .  
 وَذَكَرَهُ الزَّمْخَشَرِيُّ ، وَالشُّوْكَانِيُّ ، وَالْقَنُوجِيُّ بِصِغَةِ ( قِيلَ )<sup>(٦)</sup> .  
 وَاسْتَدْلَّ لَهُ بِمَا رَوَاهُ الْحَسَنُ عَنْ رَجُلٍ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي رَأَيْتُ بَظْهَرَ أَبِي جَهْلٍ  
 مِثْلَ الشَّرَاكِ ! قَالَ : مَا ذَاكَ ؟ قَالَ : ( ضَرَبُ الْمَلَائِكَةِ )<sup>(٧)</sup> .  
 وَقَالَ الشَّهَابُ : « يَعْنِي بِالْأَدْبَرِ مَا أَدْبَرُ ، وَهِيَ كُلُّ الظَّهْرِ أَوْ بَعْضُهُ كَمَا اخْتَصَّ بِهِ فِي  
 عَرَفِ اللَّغَةِ »<sup>(٨)</sup> .

وَإِلَى التَّسْوِيَةِ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ ذَهَبَ الْبِيضَاوِيُّ وَقَالَ : « وَلَعَلَّ الْمُرَادَ تَعْمِيمَ الضَّرْبِ ، أَيْ :  
 يَضْرَبُونَ مَا أَقْبَلَ مِنْهُمْ وَمَا أَدْبَرَ »<sup>(٩)</sup> .  
 وَهَذَا قَوْلُ ابْنِ جَرِيرٍ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ : « يَرِيدُ مَا أَقْبَلَ مِنْ أَجْسَادِهِمْ وَأَدْبَرَ ، يَعْنِي :  
 يَضْرَبُونَ جَمِيعَ أَجْسَادِهِمْ »<sup>(١٠)</sup> .  
 وَجَمَعَ بَيْنَهُمَا النَّسْفِيُّ<sup>(١١)</sup> .  
 وَمَنْ مَالَ إِلَى الْقَوْلِ بِتَعْمِيمِ الضَّرْبِ لِجَمِيعِ الْجَسَدِ : الْبَقَاعِيُّ ، وَالسَّيِّدُ مُحَمَّدُ رَشِيدُ رِضَا ،

(1) مفردات ألفاظ القرآن (٣٠٦) مادة (دبر) .

(2) قاله الزمخشري في الكشاف (٥٩٠/٢) ، وتبعه القمي في غرائب القرآن وרגائب الفرقان (٤٠٩/٣) ، وأبوحيان في البحر المحيط (٥٠٦/٤) .

(3) نسبه إليه ابن عطية في المحرر الوجيز (٣٤٠/٦) ، والتعالبي في الجواهر الحسان (٢٥/٢) .

(4) نسبه إليه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٥/١٠) ، والتعالبي (٢٥/٢) .

(5) ينظر: حاشية الشهاب (٢٨٢/٤) ، وروح المعاني (١٧/١٠) .

(6) ينظر: الكشاف (٥٩١/٢) ، وفتح القدير (٤٥٦/٢) ، وفتح البيان (١٩٣/٥) .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٣٠/١١) وفي إسناده مجهول .

(8) حاشية الشهاب (٢٨٢/٤) .

(9) ينظر: أنوار التنزيل (٣٨٩/١) وقدم (ظهورهم) .

(10) نسبه إليه البغوي في معالم التنزيل (٢٣١/٢) .

(11) ينظر: مدارك التنزيل (١٠٨/٢) .

والمراغي، والطاهر بن عاشور<sup>(١)</sup> وقال : « وذكر الوجوه والأدبار للتعميم ، أي : يضربون جميع أجسادهم . فالأدبار : جمع دبر ، وهو ما دَبَّرَ من الإنسان . ومنه قوله تعالى : ﴿ سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيَوْلُونَ الدُّبُرَ ﴾ [ القمر : ٤٥ ] . وكذلك الوجوه كناية عما أقبل من الإنسان . وهذا كقول العرب : ضربته الظهر والبطن ، كناية عما أقبل وما أدبر ، أي : ضربته في جميع جسده » . اهـ .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأولى بالصواب في ذلك هو ما رجَّحه ابن جُزَيٍّ ومن وافقه؛ لأنه قولٌ بالحقيقة ؛ لأن إطلاق الأدبار على الأستاه هو إطلاق حقيقي ، وأما إطلاقها على الظهر فهو كناية ، والقول بالحقيقة مقدّم على القول بالكناية<sup>(٢)</sup> ، ولا مانع من إرادة الحقيقة هنا ؛ إذ إن ضربها أخزى وأشد نكالا . ( ويجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة )<sup>(٣)</sup> ، والله تعالى أعلم .

- 
- (1) ينظر: نظم الدرر (٣٠١/٨) — وقال : أعلى أجسامهم وأدناها فغيره أولى — ، وتفسير القرآن الحكيم (٣٢/١٠) ، وتفسير المراغي (١٥/١٠) ، والتحرير والتنوير (٤١/١٠) .
- (2) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٩/١) .
- (3) قواعد الترجيح عند المفسرين (٣٨٧/٢) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ

وَعَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

يُوفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾

١٦- الخلاف في المراد بالآخرين في قوله تعالى : ﴿وَعَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمْ﴾ .

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « ﴿وَعَاخِرِينَ﴾ يعني : المنافقين . وقيل : بني قريظة . وقيل : الجن ؛ لأنها تنفر من سهيل الخيل . وقيل : فارس . والأول أرجح ؛ لقوله : ﴿مَرَدُّوْا عَلَى النِّفَاقِ﴾ [التوبة : ١٠١] .

﴿لَا نَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ قال السهيلي : لا ينبغي أن يقال فيهم شيء ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿لَا نَعْلَمُونَهُمْ﴾ ، فكيف يعلمهم أحد ؟ وهذا لا يلزم ؛ لأن معنى قوله : ﴿لَا نَعْلَمُونَهُمْ﴾ : لا تعرفونهم . أي : لا تعرفون آحادهم وأعيانهم وقد يُعرفُ صنفهم من الناس ، ألا ترى أنه قال مثل ذلك في المنافقين «<sup>(١)</sup>» .

العرض والمناقشة :

رجح ابن جزي أن المراد بالآخرين في قوله تعالى : ﴿وَعَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ هم المنافقون . ووافق في هذا ما روي عن ابن زيد <sup>(٢)</sup> ، والحسن <sup>(٣)</sup> ، ومقاتل بن حيان <sup>(٤)</sup> .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٦٨/٢) .

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٤٩/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٢٤/٥) رقم (٩١١٢) عنه قال : هؤلاء المنافقون لا تعلمونهم ؛ لأنهم معكم يقولون : لا إله إلا الله ، ويعزؤون معكم .

(٣) ينظر: الوسيط للواحد (٤٦٩/٢) ، والنكت والعيون للماوردي (٣٣٠/٢) ، ومعالم التنزيل للبغوي (٢٣٦/٢) ، ولباب التأويل للخازن (١٩٢/٢) .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٢٣/٥) رقم (٩١٠٩) و (١٧٢٤/٥) رقم (٩١١٣) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٩٧/٤) نسبه إلى أبي الشيخ .

وعليه ابن أبي زمنين، والواحدي، وابن الجوزي، والرازي، وأبوحيان، وابن كثير،  
والبقاعي، والقاسمي<sup>(١)</sup>.

وذكره الشوكاني بصيغة ( قيل )<sup>(٢)</sup> . واستبعده القنوجي<sup>(٣)</sup> .

واستدل له ابن جزّي بقوله تعالى : ﴿ مَرَدُّوْا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُوهُمُ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ﴾

سَعَدِيَّهِمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يَرُدُّوْنَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿ [ التوبة : ١٠١ ] .

وتبعه على هذا ابن كثير ، والبقاعي ، والقاسمي .

قال البقاعي : « ولأنهم لا يكونون دونهم إلا إذا لم يكونوا في العداوة مثلهم ، وكل من  
فرض غير المنافقين مظهرون للعداوة ، وأما المنافقون فإنهم مدعون بإظهار الإسلام أنهم أولياء  
لا أعداء »<sup>(٤)</sup> .

وقال أبوحيان : « لأنه قال : ﴿ لَا نَعْلَمُونَهُمْ ﴾ أي : لا تعلمون أعيانهم  
وأشخاصهم؛ إذ هم مستترون عن أن تعلموهم بالإسلام . فالعلم هنا كالمعرفة تعدى إلى  
واحد ... وأشار إليهم على جهة الطعن عليهم والتنبيه على سوء حالهم وليستريب بنفسه  
كل من يعلم منها نفاقاً إذا سمع الآية . وبفزعهم ورهبتهم غنى كبير في ظهور الإسلام  
وعلوه »<sup>(٥)</sup> .

ووجه إرهاب المنافقين هؤلاء من حيث إنهم إذا شاهدوا قوة المسلمين انقطع عنهم  
طمعهم من أن يصيروا مغلوبين ، فيحملهم ذلك على ترك الكفر في قلوبهم وبواطنهم  
وإخلاص الإيمان ، كما يحملهم ذلك أيضاً على ترك الإفساد والتفريق بين المسلمين<sup>(٦)</sup> .

ورد ابن جرير الطبري هذا القول بحجة أن المنافقين لم يكن ترعهم خيل المسلمين ولا

(1) ينظر: تفسير القرآن العزيز (٢/١٨٥) ، والوجيز (١/٤٤٦) ، وتذكرة الأريب (١/٢٠٧) ، ومفاتيح الغيب  
(٥/٥٠٠) ، والبحر المحيط (٤/٥١٣) ، وتفسير القرآن العظيم (٧/١١٢) ، ونظم الدرر (٨/٣١٤) ، ومحاسن  
التأويل (٨/٣٠٢٦) .

(2) ينظر: الكشف (٢/٥٩٥) .

(3) ينظر: فتح البيان (٥/٢٠٣) .

(4) نظم الدرر (٨/٣١٥) .

(5) البحر المحيط (٤/٥١٣) بتصرف يسير .

(6) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٥/٥٠٠) .

سلاحهم ، وإنما كان يرُوعهم أن يظهر المسلمون على سرائرهم ، وإنما أمر المؤمنون بإعداد القوة لإرهاب العدو ، فأما من لم يُرهبه ذلك فغير داخلٍ في معنى مَنْ أَمَرَ المؤمنون بإعداد ذلك له <sup>(١)</sup> .

وأما القول الثاني بأن المراد بالآخرين هم بنو قُرَيْظَةَ ، فهو قول مجاهد <sup>(٢)</sup> ، وقتادة <sup>(٣)</sup> .  
وعليه مقاتل ، والسمرقندي ، والزمخشري ، ومحمود النيسابوري <sup>(٤)</sup> .  
وذكره ابن الجوزي بصيغة ( قيل ) <sup>(٥)</sup> .

وردّه ابن جرير الطبري بحجة علم المؤمنين بعداوتهم لهم ، وعلمهم بأنهم مشركون ، وأنهم لهم حرب <sup>(٦)</sup> .

وأما القول الثالث بأن المراد بالآخرين هم الجنُّ ، فهو مروِيٌّ عن ابن عباس <sup>(٧)</sup> ، وابن اليمان <sup>(٨)</sup> . ونسب إلى معاذ بن جبل <sup>(٩)</sup> .  
وعليه ابن جرير الطبري <sup>(١٠)</sup> . ونسبه السيد رشيد رضا إلى الألوسي <sup>(١١)</sup> .

- (1) ينظر: جامع البيان (٢٥٠/١١) .
- (2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٤٨/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٢٣/٥) رقم (٩١٠٨) .  
وينظر: الدر المنثور للسيوطي (٩٧/٤) فنسبه إلى الفريابي ، وابن أبي شيبه ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ .
- (3) نسبه إليه البغوي في معالم التنزيل (٢٣٦/٢) .
- (4) ينظر: تفسير مقاتل (١٢٣/٢) ، وبحر العلوم (٢٤/٢) ، والكشاف (٥٩٥/٢) ، وإيجاز البيان (٢٩٧/١) و  
وضح البرهان (٣٨٨/١) .
- (5) ينظر: تذكرة الأريب (٢٠٧/١) .
- (6) ينظر: جامع البيان (٢٥٠/١١) .
- (7) أخرجه أبو الشيخ ، وابن مردويه كما في الدر المنثور للسيوطي (٩٧/٤) عن ابن عباس قال : (وآخرين من دولهم) يعني  
الشیطان ، لا يستطيع ناصية فرس ؛ لأن النبي < قال : الخيل معقود في نواصيها الخير فلا يستطيعه شیطان أبداً .
- (8) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٢٤/٥) رقم (٩١١١) من طريق ابن أبي عمر العدني ، عن سفيان ، عنه  
قال: هم الشياطين التي في الدور . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٩٨/٤) نسبه إلى أبي الشيخ .
- (9) نسبه إليه الماوردي في النكت والعيون (٣٣٠/٢) ، والسمعاني في تفسير القرآن (٢٧٦/٢) .
- (10) ينظر: جامع البيان (٢٤٩/١١) .
- (11) ينظر: تفسير القرآن الحكيم (٥٨/١٠) قال : (قال الألوسي : وروي ذلك عن ابن عباس ب أيضاً ، واختاره  
الطبري ، وإذا صح الحديث لا ينبغي العدول عنه .ا.هـ . وهو ظاهر في اختياره له بظنه أن الحديث صحيح) .  
وينظر: روح المعاني للألوسي (٢٧/١٠) فإنه فسر قوله تعالى : ﴿وَالْآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ فقال : أي من غيرهم  
من الكفرة . ثم ذكر الأقوال في تفسير الآية .

وذكره البغوي ، والزمخشري بصيغة ( قيل ) <sup>(١)</sup> . واستبعده القنوجي <sup>(٢)</sup> .  
 واستدل له بما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : (هم الجن ، وإن الشيطان لا يُخَبَّلُ  
 أحدًا في داره فرسٌ عتيقٌ) <sup>(٣)</sup> .  
 وأجيب عن هذا الحديث بأنه منكر لا يصح إسناده ولا متنه <sup>(٤)</sup> .

قال الطبري : « لأنه جل ثناؤه قد أدخل بقوله : ﴿ وَمِنْ رَبَّاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ ﴾  
 بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ الأمر بارتباط الخيل لإرهاب كل عدوِّ الله وللمؤمنين يَعْلَمُونَهُمْ ،  
 ولا شك أن المؤمنين كانوا عالمين بعداوة قريظة وفارس لهم ؛ لعلمهم بأنهم مشركون ، وأنهم لهم  
 حَرْبٌ . ولا معنى لأن يقال : وهم يَعْلَمُونَهُمْ لهم أعداءٌ ﴿ وَعَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا  
 نَعْلَمُونَهُمْ ﴾ ، ولكن معنى ذلك — إن شاء الله — تُرْهَبُونَ بارتباطكم أيها المؤمنون الخيلَ  
 عدوِّ الله وأعداءكم من بني آدم ، الذين قد علمتم عداوتهم لكم لكفرهم بالله ورسوله ، وترهبون  
 بذلك جنسًا آخر من غير بني آدم ، تعلمون أماكنهم وأحوالهم الله يعلمهم دونكم ؛ لأن بني آدم  
 لا يرونهم . وقيل : إن سهيل الخيل يُرْهَبُ الجنَّ ، وإن الجنَّ لا تُقْرَبُ دارًا فيها فرسٌ » <sup>(٥)</sup> .  
 قال ابن عطية : « وفيه — على احتماله — نظرٌ ... ورهبة الجن وفزعهم لا غناء له في  
 ظهور الإسلام . وهو أجنبيٌّ جدًّا » <sup>(٦)</sup> .

وقال الرازي : « وهذا القول مشكل ؛ لأن تكثير آلات الجهاد لا يعقل تأثيره في إرهاب الجن » <sup>(٧)</sup> .

(1) ينظر: معالم التنزيل (٢/٢٣٦) ، والكشاف (٢/٥٩٥) .

(2) ينظر: فتح البيان (٥/٢٠٣) .

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٧٢٣) رقم (٩١٠٧) دون قوله : وإن الشيطان... الخ . عن يزيد بن عبد  
 الله بن غريب ، عن أبيه ، عن جده . وأخرجه ابن عدي في الكامل (٣/٣٦٠) ونقل تضعيف راويه سعيد بن  
 سنان عن الأئمة ، وقال : عامة ما يرويه وخاصة عن أبي الزاهرية غير محفوظ . وأخرجه الطبراني في المعجم  
 الكبير (١٧/١٨٩) (٥٠٦) عن يزيد بن عبد الله بن غريب به . ولفظه : ( لا يُخَبَّلُ بيت فيه عتيق من الخيل ) .  
 وقال : هذا الحديث منكر لا يصح إسناده ولا متنه . وينظر: الدر المنثور للسيوطي (٤/٩٧) .

(4) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/١١٢) ، والجمع للهيتمي (٧/٣٠) .

(5) جامع البيان (١١/٢٤٩) .

(6) المحرر الوجيز (٦/٣٦٢) .

(7) مفاتيح الغيب (٥/٥٠٠) .

وأنكره السيد محمد رشيد رضا بشدّة ؛ لكونه خلاف المتبادر من الآية ومن سائر السياق الذي هو في قتال المحاربين من أعداء المؤمنين ، ولكون الحديث فيه لم يصح<sup>(١)</sup> .  
 وأما القول الرابع بأن المراد بالآخرين هم فارس، فهو قول السدي<sup>(٢)</sup> .  
 وعليه ابن العربي<sup>(٣)</sup> . ومال إليه القرطبي وقدمه<sup>(٤)</sup> .  
 وسبق كلام الطبري في ردّه لهذا القول من جهة علم المؤمنين بعداوة فارس لهم .

وأما قول السهيلي بالتوقف فيهم ؛ لأنه تعالى قال : ﴿لَا نَعْلَمُونَهُمْ﴾ فكيف يدّعي أحد علماً بهم<sup>(٥)</sup> ، فإنه قد وافقه وتابعه عليه جماعة منهم : الزركشي، والبلنسي، والشوكاني، والقنوجي، والشنقيطي<sup>(٦)</sup> .

يقول الشنقيطي : « والتحقق : أنه لم يثبت فيهم شيء عن النبي > . وقال بعض العلماء : البحث عن هؤلاء الآخرين لا طائل تحته ؛ لأن الله صرّح بأننا لا نعلمهم فكيف نتكلم فيما قال ربنا إننا لا نعلمه ، والله يقول : ﴿وَلَا نَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء : ٣٦] .  
 وأما جواب ابن جزّي عن قول السهيلي بأنه لا يلزم ؛ لتفسير العلم بالمعرفة ، والمعنى : نفي المعرفة بالآحاد والأعيان ، لكن النوع والصنف معروف . فيقال : لو كان ذلك كذلك لكان المراد بالآخرين هم المنافقين ولسّلم لهذا القول ، لكن تفسير العلم بالمعرفة محتمل ، وعليه فالتوقف أولى .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأسلم والأولى هو القول بالتوقف وعدم التعيين ؛ لقوله

تعالى : ﴿لَا نَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ ، والله تعالى أعلم .

(1) ينظر: تفسير القرآن الحكيم (٥٨/١٠) . . وعده من سقطات الطبري وما كان ينبغي لرشيد رضا هذا عفا الله عنه .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٤٨/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٢٤/٥) رقم (٩١١٠) .

(3) ينظر: أحكام القرآن (٨٧٥/٢) قال : فارس والروم .

(4) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٦١/١٠) .

(5) ينظر: التعريف والإعلام للسهيلي (٤٦، 45) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦١/١٠) .

(6) ينظر: البرهان في علوم القرآن (١٥٥/١) ، وتفسير مبهمات القرآن (٥٢٧/١) ، وفتح القدير (٤٦١/٢) ، وفتح

البيان (٢٠٣/٥) ، والعذب النмир (٢٠٤٠/٥) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٦٤)</sup>

١٧- الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « ﴿ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، عطف على اسم الله . وقال الزمخشري : مفعول معه ، والواو بمعنى مع ، أي : حسبك وحسب من اتبعك الله »<sup>(١)</sup> .

العرض والمناقشة :

ظاهر كلام ابن جُزَيِّ أنه يرجح في معنى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أن الله تعالى والمؤمنين المتبعين لرسوله < جميعاً حسبُ النبي > ، فالله حسبه وكذلك من اتبعه حسبه<sup>(٢)</sup> .  
ووافق في هذا ما نُسِبَ إلى مجاهد<sup>(٣)</sup> ، والحسن<sup>(٤)</sup> .  
وعليه الكسائي<sup>(٥)</sup> ، والفراء<sup>(٦)</sup> ، والأخفش<sup>(٧)</sup> . وكذا الكرماني ، وأبو حيان ، والسمين ، والسيوطي ، والطاهر بن عاشور<sup>(٨)</sup> . ومال إليه البقاعي<sup>(٩)</sup> . وقبَلَهُ النحاس في معانيه<sup>(١٠)</sup> .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٦٨/٢) .

(٢) الحسب بمعنى الكافي . أي : يكفيك الله ويكفيك من اتبعك .

(٣) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٣٧٧/٣) ، والدر المنثور للسيوطي (١٠١/٤) .

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦٨/١٠) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٥١٥/٤) ، والدر المصون للسمين الحلبي (٦٣١/٥) ، وأضواء البيان للشنقيطي (٤١٦/٢) .

(٥) ينظر : معاني القرآن للفراء (٤١٨/١) .

(٦) ينظر : المصدر السابق .

(٧) ينظر : إعراب القرآن للنحاس (١٩٥ /٢) .

(٨) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (٤٤٤/١) ، والبحر المحيط (٥١٥/٤) ، والدر المصون (٦٣١/٥) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٢١٩/٣ ) ، والتحرير والتنوير (٦٥/١٠) وقال عنه : أولى وأرشق .

(٩) ينظر : نظم الدرر (٣١٩/٨-٣٢٠) .

(١٠) ينظر : معاني القرآن الكريم (١٦٨/٣) .

واحتمله السيد محمد رشيد رضا<sup>(١)</sup> . وجوّزه النحاس في إعرابه، والنسفي، والقمي<sup>(٢)</sup> .

وذكره الخازن بصيغة ( قيل )<sup>(٣)</sup> .

واستدلّوا له بما رُوِيَ في أسباب التزول من أنها نزلت لما أسلم عمر بن الخطاب ،  
وأكمل المسلمون أربعين رجلاً وامرأة<sup>(٤)</sup> .

واحتجوا له بدلالة السياق ؛ فإن الله تعالى قال قبلها : ﴿ هُوَ الَّذِي آيَدُكَ بِنَصْرِهِ

وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ [ الأنفال : ٦٢ ] كما قال بعدها : ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ

عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَكِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ﴾ [ الأنفال : ٦٥ ] .

قال الفراء : « لأن التلاوة تدل على معنى الرفع [ يعني أن (من) في موضع رفع ] ألا

ترى أنه قال : ﴿ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَكِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ﴾ »<sup>(٥)</sup> .

وقال الطاهر بن عاشور : « لما أخبره الله بأنه حسبه وكافيه ، وبيّن ذلك بأنه أيده

بنصره فيما مضى وبالمؤمنين ، فقد صار للمؤمنين حظّ في كفاية الله تعالى رسوله < فلا

جرّم أنتج ذلك أنّ حسبه الله والمؤمنون ... والتناسب بينها وبين الآية التي بعدها ظاهر ...

فهي تمهيد لأمر المؤمنين بالقتال ليحققوا كفايتهم الرسول »<sup>(٦)</sup> .

(1) ينظر: تفسير القرآن الحكيم (٦٦/١٠) .

(2) ينظر: إعراب القرآن (١٩٥/٢) ، ومدارك التنزيل (١١٠/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤١٥/٣) .

(3) ينظر: لباب التأويل (١٩٣/٢) .

(4) أخرجه الواحدي في أسباب التزول (٢٧٢) وفي الوسيط (٤٦٩/٢) عن ابن عباس . قال السيوطي في لباب

النقول (١١٣) : أخرجه البزار بسند ضعيف . ونسبه للبزار ، والطبراني ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه في الدر

المنثور (١٠١/٤) . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٢٨/٥) رقم (٩١٣٥) عن سعيد بن جبير . ونسبه

السيوطي في الدر المنثور لابن المنذر ، وابن مردويه . وأخرجه أبو الشيخ - كما في الدر المنثور - عن سعيد بن

المسيب . وذكره ابن أبي حاتم معلقاً في تفسيره (١٧٢٨/٥) عقب الأثر (٩١٣٥) . وأخرجه ابن أبي حاتم في

تفسيره (١٧٢٨/٥) رقم (٩١٣٦) عن الزهري : أنها نزلت في الأنصار . وعزاه في الدر المنثور (١٠١/٤) لأبي

محمد إسماعيل بن علي الخطي من طريق طارق ، عن عمر بن الخطاب .

(5) معاني القرآن (٤١٧/١) . وينظر: جامع البيان للطبري (٢٦١/١١) .

(6) التحرير والتنوير (٦٥/١١) .

ونظر له ابن عاشور بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .  
وأجيب عنه بأن الآية مدنية ، وإسلام عمر كان بمكة بعد الهجرة إلى أرض الحبشة  
وقبل الهجرة إلى المدينة (١) .

وعلى فرض صحة ماروي في ذلك فإن الاستدلال بها على هذا المعنى قد نُوزِع ، فهذا  
الواحدي يستدل بها على المعنى الآخر فيقول : « أسلم مع النبي > ثلاثة وثلاثون رجلاً ،  
وست نسوة ، ثم أسلم عمر ط ، فتزلت هذه الآية ، والمعنى : يكفيك الله ، ويكفي من  
اتبعك من المؤمنين » (٢) .

وأما احتجاجهم بدلالة السياق فغير مسلم لهم ؛ لأن الله في نفس الآية ؛ ﴿ فَإِنَّكَ  
حَسْبُكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ فرق بين الحسب والتأييد فجعل  
الحسب له وحده ، وجعل التأييد له بنصره وبالمؤمنين (٣) .

وكذا قوله تعالى بعدها : ﴿ يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ حَرِيضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ  
مِّنْكُمْ عَشْرُونَ صَدِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ﴾ فإنها تدل على أن الحسب لله وحده ؛ إذ لو كان  
للمؤمنين منه شيء لما احتاجوا إلى التحريض ، كيف وقد الله بعدها : ﴿ أَلَكُنْ خَفَّفَ اللَّهُ  
عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾ [٦٦] فمن كان فيه ضعف ، كيف يكون كافيًا  
لغيره؟! (٤) .

وأما جعل الطاهر بن عاشور لفظ الحسب كلفظ الصلاة ، فلا يستقيم ؛ لأن لفظ  
الصلاة من الألفاظ المشتركة ، وليس الحسب كذلك (٥) .  
وقد غلط ابن تيمية قائل هذا القول (٦) ، وكذا ابن القيم خطأه (١) ، وسيأتي كلامهما .

(1) قاله ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١١٨/٧) .

(2) الوجيز (٤٤٧/١) .

(3) ينظر : زاد المعاد (٣٥/١) ، و بدائع التفسير (٣٤٢/٢-٣٤٣) .

(4) ينظر : اختيارات ابن تيمية وترجيحاته في التفسير لمحمد المسند (٤٨٢/٢) .

(5) ينظر : المصدر السابق (٤٨٣/٢) .

(6) مجموع الفتاوى (١٥٤/١٠) ، ومنهاج السنة النبوية (٥٥/٤) ، واختيارات ابن تيمية وترجيحاته في التفسير

وأما القول الآخر في معنى قوله تعالى : ﴿ يَتَّيِبُهَا لِلَّهِ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ بأن معناها هو أن الله تعالى وحده حسب النبي < وحسب أتباعه ، أي : أن الله يكفيك ويكفي من اتبعك ، فهو مَرُويٌّ عن ابن عباس <sup>(٢)</sup> ، وابن زيد <sup>(٣)</sup> ، وعطاء الخراساني <sup>(٤)</sup> ، والشعبي <sup>(٥)</sup> ، والضحاك <sup>(٦)</sup> ، والكلبي <sup>(٧)</sup> .  
وعليه أكثر المفسرين ، منهم : مقاتل ، والطبري ، والنحاس ، وابن أبي زمنين ، ومكي ، والواحدي ، وابن الجوزي ، والنسفي ، والحازن ، والقمي ، وابن تيمية ، وابن القيم ، وابن كثير ، والقاسمي ، والسيد محمد رشيد رضا ، والمراغي ، والسعدي ، والشنقيطي <sup>(٨)</sup> . ومال إليه الرازي ، والآلوسي ، والقنوجي <sup>(٩)</sup> . وجوزَه الفراء <sup>(١٠)</sup> .

. (٤٧٨/٢)

(1) ينظر: بدائع التفسير (٣٤٢/٢-٣٤٣) .

(2) رواه أبو صالح ، عنه . ينظر: زاد المسير لابن الجوزي (٣٧٧/٣) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٦٠/١١) . وذكره معلقاً ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٢٧/٥) عقب الأثر (٩١٣٤) .

(4) ذكره معلقاً ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٢٧/٥) عقب الأثر (٩١٣٤) .

(5) أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٦٠/١١) ، والبخاري في التاريخ الكبير (٢٦١/٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٢٧/٥) رقم (٩١٣٤) . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٠١/٤) لأبي الشيخ ، وابن المنذر . وينظر: تفسير سفيان (١٢١) .

(6) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (٢٥/٢) .

(7) ينظر: النكت والعيون للماوردي (٣٣١/٢) .

(8) ينظر: تفسير مقاتل (١٢٤/٢) ، وجامع البيان (٢٥٩/١١) ، ومعاني القرآن الكريم (١٦٨/٣) ، وتفسير القرآن العزيز (١٨٦/٢) ، وإعراب مشكل القرآن (٣١٩/١) ، والوجيز (٤٤٧/١) ، وزاد المسير (٣٧٧/٣) وتذكرة الأريب (٢٠٧/١) ، ومدارك الترتيل (١١٠/٢) ، ولباب التأويل (١٩٣/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤١٥/٣) ، ومجموع الفتاوى (١٥٤/١٠) ومنهاج السنة النبوية (٥٥/٤) واختيارات ابن تيمية وترجيحاته في التفسير لمحمد المسند (٤٧٨/٢) ، وزاد المعاد (٣٥/١) وبدائع التفسير (٣٤١/٢) ، وتفسير القرآن العظيم (١١٧/٧) ، ومحاسن التأويل (٣٠٣٠-٣٠٣٢/٨) ، وتفسير القرآن الحكيم (٦٦/١٠) ، وتفسير المراغي (٢٩/١٠) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢١٤/٢) ، وأضواء البيان (٤١٦/٢) والعذب النмир (٢٠٤٩/٥) .

(9) ينظر: مفاتيح الغيب (٥٠٣ / ٥ ، ٥٠٤) ، وروح المعاني (٣٠/١٠) ، وفتح البيان (٢٠٨/٥) مع احتمال الأخير للوجه الأول .

(10) ينظر: معاني القرآن (٤١٧/١) .

وقدمه الزمخشري مع ذكره للقول الأول مسوياً بينهما بـ (أو) ، وتبعه أبو السعود<sup>(١)</sup> .  
وذكره الكرمانى بصيغة ( قيل )<sup>(٢)</sup> .

ودلّ على هذا القول استقراء القرآن العظيم ؛ فإن دلالة الاستقراء في القرآن على أن  
الحسب والكفاية لله وحده ، كالتوكل والتقوى والعبادة .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَىٰكَ بِنَصْرِهِ  
وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ [ الأنفال : ٦٢ ] ففرّق بين الحسب والتأييد ، فجعل الحسب له وحده ،  
وجعل التأييد له بنصره وبعباده .

وقد أثنى الله سبحانه على أهل التوحيد والتوكل من عباده حيث أفردوه بالحسب فقال  
عز وجل : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا  
وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [ آل عمران : ١٧٣ ] . ولم يقولوا : حسبنا الله ورسوله .  
وفي صحيح البخاري ، عن ابن عباس أنه قال في هذه الكلمة " حسبنا الله ونعم  
الوكيل " : « قالها إبراهيم حين ألقى في النار ، وقالها محمد حين قال لهم الناس إن الناس قد  
جمعوا لكم فاحشواهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل »<sup>(٣)</sup> .

فكلا النبيين قال " حسبي الله " فلم يشرك بالله غيره في كونه حسبه ؛ فدلّ على أن الله  
وحده حسبه ، وليس معه غيره . فإذا كان هذا قولهم ومدح الرب تعالى لهم بذلك فكيف  
يقول لرسوله ( الله وأتباعك حسبك ) وأتباعه قد أفردوا الربّ تعالى بالحسب ولم يشركوا  
بينه وبين رسوله فيه ؟! فكيف يشرك بينهم وبينه في حسب رسوله ؟ هذا من أمحل المحال ،  
وأبطل الباطل .

ونظير هذا : قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا

حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُوتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾ [التوبة : ٥٩] .

(1) ينظر : الكشاف (٥٩٦/٢) ، وإرشاد العقل السليم (٣٧٣/٢) .

(2) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (٤٤٤/١) .

(3) صحيح البخاري ، في كتاب التفسير ، سورة آل عمران ، باب قوله : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ

جَمَعُوا لَكُمْ ﴾ رقم (٤٥٦٣) .

فتأمل كيف جعل الإتياء لله ورسوله ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ [الحشر : ٧] وجعل الحسب له وحده ، فلم يقل : وقالوا حسبنا الله ورسوله ، بل جعله خالص حقه ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾ [التوبة] . ولم يقل : وإلى رسوله . بل جعل الرغبة إليه وحده ، كما قال تعالى : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۗ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ [الشرح : ٧-٨] فالرغبة والتوكل والإنابة والحسب لله وحده ، والنذر والحلف لا يكون إلا لله سبحانه وتعالى .

ونظير هذا : قوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۗ ﴾ [الزمر : ٣٦] .  
فالحسب هو الكافي ، فأخبر سبحانه وتعالى أنه وحده كاف عبده ، فكيف يجعل أتباعه مع الله في هذه الكفاية ؟

ونظيره أيضاً : قوله تعالى : ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [التوبة : ١٢٩] .  
أفاد ذلك ابن تيمية ، وابن القيم ، والشنقيطي .  
ويشهد له أيضاً قول الشاعر <sup>(١)</sup> :

إذا كانت الهيجاء وانشقت العصا فحسبك والضحاك سيفٌ مهندٌ <sup>(٢)</sup>

فنصب (والضحاك) مفعولاً معه . أي : حسبك مع الضحاك .  
وهذا استشهادٌ على أن (مَنْ) في موضع نصب ، على معنى : حسبك الله وحسب من اتبعك <sup>(٣)</sup> .

(1) نُسِبَ البيت لجرير في الأمالي لأبي علي القالي (٢/٢٦١) ، وكذا في ذيله (١٤١) ، وهو غير موجود في ديوانه المطبوع . وينظر: اللسان (هيج) ، (عصا) ، ومغني اللبيب ، رقم (٨٠٠) . وينظر: معاني القرآن للفراء (١/٤١٧) ، وإعراب القرآن للنحاس (٢/١٩٥) ، وتفسير القرآن للسمعاني (٢/٢٧٧) ، والكشاف للزمخشري (٢/٥٩٦) ، والمحرم الوجيز لابن عطية (٦/٢٦٩) ، وحاشية الشهاب (٤/٢٨٩) ، والعذب النمير (٥/٢٠٤٩) .  
(2) المصدر الأخير .

(3) ينظر: تفسير القرآن للسمعاني (٢/٢٧٧) .

وهذا كقول العرب : حسبك وزيداً درهم<sup>(١)</sup> .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الراجح في معنى الآية الكريمة هو القول الثاني، وهو أن الله تعالى وحده حسبُ النبيّ < وحسبُ أتباعه .

وهذا القول يوافق الاعتقاد الصحيح، والتوحيد الخالص الذي جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام . ونظير هذا نهي النبيّ < أن يقال : ماشاء الله وشئت<sup>(٢)</sup> ؛ لأن الواو العاطفة تقتضي المساواة ، فأمر أن يقال : ماشاء الله ثم شاء فلان .

وأما قول السمين الحلبي : «ولا محذور في ذلك من حيث المعنى ، وإن كان بعض الناس استصعب كون المؤمنين يكونون كافين النبيّ <»<sup>(٣)</sup> . فإنه قد تبين المحذور في ذلك بل قال ابن تيمية : وقد ظن بعض العارفين أن معنى الآية : أن الله والمؤمنين حسبك ، ويكون ﴿وَمَنْ أَتَّبَعَكَ﴾ رفعا ، عطفاً على اسم الله ، وهذا خطأ قبيح ، مستلزم للكفر، فإن الله وحده حسب جميع الخلق...<sup>(٤)</sup> .

وإذا كان ذلك كذلك فإن ابن جزيّ قد غلَطَ في ترجيحه في هذه المسألة ، والله تعالى أعلم .

(1) ينظر: الكشاف للزمخشري (٥٩٦/٢) .

(2) أخرجه أحمد (٥/٣٨٤ ، ٣٩٤ ، ٣٩٨) ، وأبوداود في سننه (٥/٣٤٥) رقم (٤٩٨٠) في كتاب الأدب ، باب (لا يقول خبثت نفسي) . والطحاوي في مشكل الآثار (٩٠/١) ، والبيهقي في سننه (٢١٦/٣) من حديث حذيفة ط . وصححه النووي في كتاب الأذكار (٣١٨) ، والألباني في السلسلة الصحيحة (٢١٤/١) رقم (١٣٧) وينظر أيضاً : رقم (١٣٦) ، وفي صحيح الجامع (١٢٣٤/٢) رقم (٧٤٠٦) .

(3) الدر المصون (٥/٦٣٢) . وينظر: محاسن التأويل للقاسمي (٨/٣٠٣٢) . ولذا فقد احتمل القولين الشوكاني (٢/٤٦٤) ، وجوزهما جميعاً الزجاج (٢/٤٢٣) . وذكرهما دون ترجيح : السمرقندي (٢/٢٥) ، والسمعي (٢/٢٧٧) ، والبغوي (٢/٢٣٧) مع نسبه القول الثاني لأكثر المفسرين ، وابن عطية (٦/٢٦٨) وقدم الأول . وقال الآلوسي في روح المعاني (١٠/٣٠) إنه — يعني ابن عطية — اختار القول الثاني ! ولم يظهر لي ذلك . والعكبري (٢/٦٣١) ، والبيضاوي (١/٣٩١) .

(4) منهاج السنة النبوية (٤/٥٥) . وينظر: اختيارات ابن تيمية وترجيحاته في التفسير (٢/٤٧٨) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٦٨)

١٨- الخلاف في المعنى المراد بالكتاب الذي سبق من الله .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « الكتاب : ما قضاه الله في الأزل من العفو عنهم .  
وقيل : ما قضاه الله من تحليل الغنائم لهم » (١) .

العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ أن الكتاب في قوله تعالى : ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ معناه : ما  
قضاه الله تعالى في الأزل من العفو عنهم . ووافق في هذا الترجيح معنى ما رُوِيَ عن ابن  
عباس (٢) ، وسعيد بن جبیر (٣) ، ومجاهد (٤) ، وابن زيد (٥) ، والحسن (٦) ، وعطاء (٧) .  
وعليه الجصاص ، والزمخشري ، والرازي (٨) .  
وذكره النحاس ، ومكي بصيغة ( قيل ) (٩) .

قال الرازي : « معناه : لولا أنه تعالى حكم في الأزل بالعفو عن هذه الواقعة لمسَّهم

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٦٨/٢) .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٣٦/٥) رقم (٩١٧٢) من طريق ابن أبي نجيح ، عن عطاء ، عنه قال : لولا  
أني لا أعذب من عصاني حتى أتقدم إليهم . وأخرجه النسائي في التفسير (٥٣١/١) عنه بلفظ : سبقت لهم من  
الله الرحمة قبل أن يعملوا بالمعصية . ونسبه السيوطي في الدر المنثور (١١٠/٤) إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ .  
وقال الجصاص في أحكام القرآن (٢٥٩/٤) : رواه أبو زميل ، عن ابن عباس .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٣٥/٥) رقم (٩١٦٦) بلفظ : ما سبق لأهل بدر من السعادة .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٣٥/٥) رقم (٩١٦٧) بلفظ : سبق لهم المغفرة .

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٨١/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٣٥/٥) رقم (٩١٦٩)  
بلفظ : سبق من الله العفو عنهم ، والرحمة لهم .

(٦) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٨١/١١) بلفظ : سبق أن لا يعذب أحداً من أهل بدر . وذكره ابن  
أبي حاتم في تفسيره (١٧٣٥/٥) عقب الأثر (٩١٦٦) معلقاً .

(٧) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٣٥/٥) عقب (٩١٦٦) معلقاً . بنحو قول الحسن .

(٨) ينظر : أحكام القرآن (٢٥٩/٤) ، والكشاف (٦٠١/٢) ، ومفاتيح الغيب (٥١٢/٥) .

(٩) ينظر : معاني القرآن الكريم (١٧١/٣) ، وإعراب القرآن (١٩٧/٢) ، وإعراب مشكل القرآن (٣٢٠/١) ،  
والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه (٣٠٣) .

عذاب عظيم ، وهذا هو المراد من قوله : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام: ٥٤] ومن قوله : (سبقت رحمتي غضبي) «<sup>(١)</sup> .

وقال الجصاص : « وذلك لأنهم لم يعلموا بتحريم الغنائم على أمم الأنبياء المتقدمين وبقاء هذا الحكم عليهم من شريعة نبينا محمد > فاستباحوها على ظنّ منهم أنها مباحة ، ولم يكن قد تقدم لهم من النبي > قول في تحريمها عليهم ، ولا أخبار منه إياهم بتحريمها على الأمم السالفة ، فلم يكن خطؤهم في ذلك معصية يستحق عليها العقاب »<sup>(٢)</sup> .

وأما القول الآخر بأن الكتاب الذي سبق معناه : ما قضاه الله من تحليل الغنائم لهم ، فهو مروى عن ابن عباس<sup>(٣)</sup> ، وأبي هريرة<sup>(٤)</sup> ، والحسن<sup>(٥)</sup> ، والضحاك<sup>(٦)</sup> ، وعطاء<sup>(٧)</sup> ، وقتادة ، وسعيد بن جبيرة<sup>(٨)</sup> ، وعبيدة<sup>(٩)</sup> ، والأعمش<sup>(١٠)</sup> .

وعليه مقاتل، والنحاس، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، ومكي، والواحدي، وابن العربي، وابن الجوزي، والقرطبي، والسيوطي<sup>(١١)</sup> .

(1) مفاتيح الغيب (٥١٢/٥) .

(2) أحكام القرآن (٢٥٩/٤-٢٦٠) .

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٣٤/٥) رقم (٩١٦٤) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٧٧/١١) بالإسناد المسلسل بالعوفيين ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (١١١/٤) لابن مردويه . وينظر: (١٠٨/٤-١٠٩) . وينظر: زاد المسير لابن الجوزي (٣٨١/٣) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٧٨/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٣٤/٥-١٧٣٥) رقم (٩١٦٥) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٠٨/٤) نسبه لابن مردويه .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٧٧-٢٧٦/١١) .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/٢٧٩-٢٨٠) .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/٢٨٠) . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٣٤/٥) عقب (٩١٦٤) .

(8) ذكره عنهما ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٣٤/٥) عقب (٩١٦٤) .

(9) ينظر: النكت والعيون للماوردي (٣٣٣/٢) .

(10) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٦٢/٢) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/٢٧٨) .

(11) ينظر: تفسير مقاتل (١٢٦/٢) ، ومعاني القرآن الكريم (١٧١/٣) ، وبحر العلوم (٢٦/٢) ، وتفسير القرآن العزيز (١٨٧/٢) ، وتفسير المشكل (١٨٣) وإعراب مشكل القرآن (٣٢٠/١) والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه (٣٠٣) ، والوجيز (٤٤٩/١) والوسيط (٤٧٢/٢) ، وأحكام القرآن (٨٨٣/٢) ، وتذكرة الأريب

ومال إليه ابن كثير <sup>(١)</sup> .

وذكره الزمخشري ، ومحمود النيسابوري بصيغة ( قيل ) <sup>(٢)</sup> .

واستدلوا له بما روي في سبب النزول عن أبي هريرة قال : قال رسول الله < : ( ما أحلت الغنائم لأحدٍ سود الرؤوس من قبلكم ، كانت تنزل نار من السماء وتأكلها ) . حتى كان الناس يوم بدر ، فوقع الناس في الغنائم ، فأنزل الله : ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ ﴾ حتى بلغ : ﴿ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ <sup>(٣)</sup> .

قال ابن كثير : « ويستشهد لهذا القول بما أخرجه في الصحيحين عن جابر قال : قال رسول الله < : ( أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس عامة ) » <sup>(٤)</sup> .  
وردّ هذا القول الجصاصُ فقال : « حُكِمُ اللهُ تعالى بأنه ستحل لهم الغنيمة في المستقبل لا يزيل عنهم حكم الحظر قبل إحلالها ، ولا يخفف من عقابه . فلا يجوز أن يكون التأويل أن إزالة العقاب لأجل أنه كان في معلومه إباحة الغنائم لهم بعده » <sup>(٥)</sup> .

(٢٠٨/١) ، والجامع لأحكام القرآن (٧٨/١٠) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢٢٣/٣) .

(1) ينظر: تفسير القرآن العظيم (١٢٢/٧) .

(2) ينظر: الكشاف (٦٠١/٢) ، ووضح البرهان (٣٨٩/١) .

(3) أخرجه أحمد في مسنده (٤٠٣/١٢ ، ٤٠٤) ، رقم (٧٤٣٣) ، والنسائي في الكبرى (١١٢٠٩) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٧٨/١١) - واللفظ له - وابن الجارود في المنتقى (١٠٧١) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٢٩٠/٦) ، وابن عبد البر في التمهيد (٤٥٧/٦) من طريق أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة . وأخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (٢٥٥١) ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٣٣/٥) برقم (٩٨٩٥) ، و(١٧٣٤/٥) برقم (٩٨٩٦) ، والترمذي في سننه (٣٠٨٥) - وقال : حسن صحيح غريب - ، والطحاوي في المشكل (٣٣١٠-٣٣١٢) ، وابن حبان [الإحسان ١١/١٣٤ (٤٨٠٦)] ، والبيهقي (٢٩٠/٦) ، من طريق الأعمش به . وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٠٨/٤) نسبته إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه .

(4) تفسير القرآن العظيم (١٢٢/٧) . والحديث في صحيح البخاري برقم (٣٣٥) و (٤٣٨) و (٣١٢٢) . وفي صحيح مسلم برقم (٥٢١) .

(5) أحكام القرآن (٢٥٩/٤) .

واستشكله الرازي من جهة أن التحليل والإذن وإن كان حاصلًا في ذلك الوقت امتنع إنزال العذاب عليهم ، وإن لم يكن حاصلًا ذلك الوقت كان ذلك الفعل حرامًا في ذلك الوقت ، والحكم بحله بعد ذلك لا يقدر في كونه حرامًا في ذلك الوقت <sup>(١)</sup> .

وقال أبوالسعود : « وأما أن الفدية التي أخذوها ستحل لهم فلا يصلح أن يعد من موانع مساس العذاب ؛ فإنَّ الحِلَّ اللاحق لا يرفع حكم الحرمة السابقة ، كما أن الحرمة اللاحقة ، كما في الخمر مثلاً ، لا ترفع حكم الإباحة السابقة ، على أنه قادح في تهويل ما نعى عليهم من أخذ الفداء » <sup>(٢)</sup> .

واختار الطبري العموم والجمع بين القولين <sup>(٣)</sup> ، وعلل ذلك بأن قوله تعالى : ﴿ لَوْلَا

كُنْتُ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ ﴾ خبرٌ عامٌ غيرٌ محصورٍ على معنىٍ دون معنىٍ ، وكل هذه المعاني التي ذكرت مما كُتِبَ لهم وسبق في كتاب الله أنه لا يؤخذ بشيء منها هذه الأمة . ولا وجه لأن يُخَصَّصَ من ذلك معنى دون معنى ، وقد عمَّ الله الخبر بكل ذلك بغير دلالةٍ توجب صحة القول بخصوصه <sup>(٤)</sup> .

وصوبه ابن القيم <sup>(٥)</sup> . وكذا جمع بينها البقاعي ، والآلوسي ، والسعدي ، والسيد محمد رشيد رضا <sup>(٦)</sup> .

وسوى بينهما البيضاوي ، والنسفي <sup>(٧)</sup> .

قال الآلوسي : « ولا يبعد عندي أن يكون المانع من مساس العذاب كل ما تقدم ، وفي ذلك تهويل لما نعى عليهم حيث منع من ترتب مساس العذاب عليه موانع جملة ، ولولا تلك الموانع الجملة لترتب ، وتعدُّ موانع شيءٍ واحدٍ جائز ، وليس كتعدد العلل واجتماعها

(1) ينظر: مفاتيح الغيب (٥/٥١١-٥١٢) .

(2) إرشاد العقل السليم (٢/٣٧٦) .

(3) ينظر: جامع البيان (١١/٢٧٦) .

(4) ينظر: المصدر السابق (١١/٢٨٢) .

(5) ينظر: بدائع التفسير (٢/٣٤٤) .

(6) ينظر: نظم الدرر (٨/٣٣٢) ، وروح المعاني (١٠/٣٥) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/٢١٧) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٠/٨٤) .

(7) ينظر: أنوار التنزيل (١/٣٩٣) ، ومدارك التنزيل (٢/١١١) .

على معلول واحد شخصي كما يُبين في موضعه . وبهذا يجمع بين الروايات المختلفة عن الحَبْر [يريد ابن عباس ] في بيان هذا الكتاب وذلك بأن يكون في كل مرة ذكر أمرًا واحدًا من تلك الأمور ، والتنصيب على الشيء بالذكر لا يدل على نفي ما عداه ، وليس في شيء من الروايات ما يدل على الحصر فافهم»<sup>(١)</sup> .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الصواب في ذلك هو القول بالعموم ، وقد ورد في معنى الكتاب الذي سبق روايات وآراء تدل على أنه مما أجهم ؛ لتذهب الأفهام إلى كل ما يحتمله اللفظ ويدلّ عليه المقام . وليس من نصّ نبويّ يدل على أحد منها ، فيجوز إرادة كل ما يحتمله اللفظ من المعاني ، وأن هذا سبب تنكيهه وإبهامه<sup>(٢)</sup> .

ويتأيد هذا بالقاعدة الترجيحية : (يجب حمل نصوص الوحي على العموم)<sup>(٣)</sup> ، والله تعالى أعلم .

(1) روح المعاني (٣٥/١٠) .

(2) ينظر: تفسير القرآن الحكيم للسيد محمد رشيد رضا (١٠/٨١ ، ٨٤) .

(3) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٥٢٧) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ  
بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يَهَاجِرُوا  
وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ  
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾

١٩ - الخلاف في الولاية بين المهاجرين والأنصار ، هل هي ولاية التعاون والتناصر ؟

أم هي ولاية الميراث ؟

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ إلى آخر السورة ، مقصدها بيان منازل المهاجرين والأنصار ، والذين آمنوا ولم يهاجروا ، والذين هاجروا بعد الحديبية ، فبدأ أولاً بالمهاجرين ، ثم ذكر الأنصار وهم الذين آووا ونصروا ، وأثبت الولاية بينهم ، وهي ولاية التعاون والتناصر . وقيل : هي ولاية الميراث . ثم نسخت بقوله : ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾ <sup>(١)</sup> [ الأنفال : ٧٥ ] .

**العرض والمناقشة :**

رجح ابن جزي أن الولاية بين المهاجرين والأنصار هي ولاية التعاون والتناصر . وهذا القول نسبه الماوردي للجمهور <sup>(٢)</sup> ، وعزاه ابن عطية لأكثر المفسرين <sup>(٣)</sup> . وعليه الكسائي ، والطبري ، ومحمود النيسابوري ، وابن الجوزي ، والعكبري ، والرازي ، والغازن ، والقمي النيسابوري ، وأبوحيان ، وابن التركماني ، والشوكاني ، والقنوجي ، والقاسمي ، والمراعي <sup>(٤)</sup> .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٦٩/٢) . وقد وقع في المطبوع تصحيف ، والصواب ما أثبتته . وينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٣٨٧/٦) .

(2) ينظر: النكت والعيون (٣٣٤/٢) .

(3) ينظر: المحرر الوجيز (٣٨٨/٦) .

(4) ينظر: : معاني القرآن للفراء (٤١٩/١) ، وجامع البيان (٢٨٩/١١ ، ٢٩٩) ، وإيجاز البيان (٢٩٨/١) ووضح البرهان (٣٩٠/١) ، وتذكرة الأريب (٢٠٨/١) ، والبيان (٦٣٣/٢) ، ومفاتيح الغيب (٥١٦/٥) ، ولباب التأويل (١٩٧/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤٢٢/٣) ، والبحر المحييط (٥٢١/٤) ، وبهجة الأريب

ومال إليه النحاس<sup>(١)</sup> . وفسرها السمرقندي بهذا على فتح واو الولاية<sup>(٢)</sup> .  
 وذكره البغوي ، والقرطبي ، والنسفي ، وأبو السعود بصيغة (قيل)<sup>(٣)</sup> .  
 واستدلوا له بأن الولاية - بفتح الواو - أكثر إطلاقاً على معنى النصر<sup>(٤)</sup> .  
 قال النحاس : « والفتح في هذا أبين وأحسن ؛ لأنه بمعنى النصر »<sup>(٥)</sup> .  
 وقال ابن جرير الطبري : « المعروف في كلام العرب من معنى الولي أنه التصير والمعين ،  
 أو ابن العم والنسيب . فأما الوارث فغير معروف ذلك من معانيه ، إلا أنه بمعنى أنه يليه في  
 القيام بإرثه من بعده ، وذلك معنى بعيد ، وإن كان قد يحتمله الكلام . وتوجيه معنى كلام  
 الله إلى الأظهر الأشهر أولى من توجيهه إلى خلاف ذلك »<sup>(٦)</sup> .

وقال أيضاً : « وهذه الآية [ يعني قوله : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي  
 سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ ] الأنفال:  
 [٧٤] ] تنبئ عن صحة ما قلنا : إن معنى قول الله : ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ في هذه الآية  
 [ يعني آية ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ ] وقوله : ﴿ مَا لَكُمْ مِّنْ وَلِيَّتِهِم مِّنْ  
 شَيْءٍ ﴾ إنما هو النصرة والمعونة دون الميراث ؛ لأنه جل ثناؤه عقب ذلك بالثناء على  
 المهاجرين والأنصار ، والخبر عمالم دون من لم يهاجر بقوله : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا  
 وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا ﴾ الآية ، ولو كان مراداً بالآيات قبل ذلك

(١) (٢٤١/١) ، وفتح القدير (٤٧١/٢) ، وفتح البيان (٢١٩/٥) ، ومحاسن التأويل (٣٠٤٤/٨) ، وتفسير المراغي  
 (٤٢/١٠) .

(١) ينظر: إعراب القرآن (١٩٩/٢) .

(٢) ينظر: بحر العلوم (٢٨/٢) .

(٣) ينظر: معالم التنزيل (٢٤٢/٢) ، والجامع لأحكام القرآن (٨٦/١٠) ، ومدارك التنزيل (١١٣/٢) ، وإرشاد العقل  
 السليم (٣٧٧/٢) .

(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء (٤١٨-٤١٩) ، والمحمل لابن فارس (٩٣٧/٣) ، وزاد المسير لابن الجوزي  
 (٣٨٥/٣) .

(٥) إعراب القرآن (١٩٩/٢) .

(٦) جامع البيان (٢٩٩/١١) .

الدلالة على حكم ميراثهم لم يكن عقيب ذلك إلا الحثُّ على مُضيِّ الميراث على ما أمر، وفي صحة ذلك كذلك الدليل الواضح على أن لا ناسخ في هذه الآيات لشيء ولا منسوخ»<sup>(١)</sup>. اهـ .

ونظر له أبو حيان بقوله تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾<sup>(٢)</sup> [التوبة: ٧١].  
وأما ابن عطية فجعل هذا القول لازماً من دلالة اللفظ<sup>(٣)</sup>.

وأما القول الآخر بأن الولاية بين المهاجرين والأنصار كانت ولاية الميراث ، فهو المروي عن السلف منهم : ابن عباس<sup>(٤)</sup> ، وابن عمر<sup>(٥)</sup> ، ومجاهد<sup>(٦)</sup> ، وقتادة<sup>(٧)</sup> ، وعكرمة<sup>(٨)</sup> ، والحسن<sup>(٩)</sup> ، والسدي<sup>(١٠)</sup> ، وعبد الله بن كثير<sup>(١١)</sup>.

وعليه مقاتل، والفراء، والزجاج، والسمرقندي، والواحدي، والزخشي، والنسفي،

(1) جامع البيان (٣٠٠/١١) .

(2) ينظر: البحر المحيط (٥٢١/٤) .

(3) ينظر: المحرر الوجيز (٣٨٨/٦) .

(4) أخرجه أبو داود في سننه (رقم ٢٩٢٤) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٨٩/١١-٢٩٠) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٣٨/٥-١٧٤٠ ، ١٧٤٣) رقم (٩١٨٥ ، ٩١٨٧ ، ٩١٨٩ ، ٩١٩١ ، ٩١٩٢) من طرق عن ابن عباس . وينظر: صحيفة علي بن أبي طلحة (٢٥٧) ، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (٣٥٣) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (١١٤/٤) نسبته إلى ابن مردويه . وقال : آخى النبي ﷺ بين أصحابه ، وكانوا يتوارثون بذلك الإخاء حتى نزلت هذه الآية [ وَأَوْلُوا الْأَرْحَامَ ... ] ، فتوارثوا بالنسب . وفي لفظ : جعل الله تعالى الميراث للمهاجرين والأنصار دون ذوي الأرحام .

(5) نسبه السيوطي في الدر المنثور (١١٣/٤-١١٤) لابن أبي حاتم ، وابن مردويه .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٩١/١١) .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٩٢/١١) .

(8) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٩٢/١١) من طريق يزيد ، عن عكرمة والحسن . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٣٩/٥) رقم (٩١٩٠) عن عكرمة وحده . وابن الجوزي في نواسخ القرآن (٣٥٥) عن عكرمة . وأخرجه أيضاً (٣٥٤) عن عكرمة ، عن ابن عباس .

(9) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٩٢/١١) من طريق يزيد ، عن عكرمة والحسن . وعلقه ابن الجوزي في نواسخ القرآن (٣٥٥) عن الحسن .

(10) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٩٣/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٣٩/٥ ، ١٧٤٠) .

(11) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٩١/١١) .

وابن كثير، والبقاعي، وأبو السعود، والآلوسي، والشهاب الخفاجي<sup>(١)</sup>.  
وهو مفهوم كلام الجصاص، ومكي<sup>(٢)</sup>.

وذكره الطبري، وابن الجوزي، والشوكاني، والقنوجي بصيغة (قيل)<sup>(٣)</sup>.

قال الشهاب الخفاجي: « والوليُّ القريب الناصر؛ لأن أصله في القرب المكاني ثم جعل للمعنوي كالنسب والدين والنصرة، فقد جعل < في أول الإسلام التناصر الديني أخوةً وأثبت لها أحكام الأخوة الحقيقية من التوارث. فلا وجه لما قيل إن هذا التفسير لا تساعده اللغة. فالولاية على هذا الورثة المسببة عن القرابة الحكيمة »<sup>(٤)</sup>.

واستدلوا له بأن الولاية لو كانت بمعنى النصر لتعارض هذا المعنى مع قوله تعالى:

﴿ وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ ﴾ بعد نفي موالاتهم؛ لأنه معطوف عليه،

والمعطوف مغاير للمعطوف عليه، فوجب أن يكون المراد بها أمراً مغايراً لمعنى النصر<sup>(٥)</sup>.

وأجاب عنه الرازي بأنه استدلال ضعيف؛ لحمل تلك الولاية على التعظيم والإكرام وهو أمر مغاير للنصرة؛ كنصر المسلم للذمي في أمر ما، ونصر السيد عبده بمعنى الإعانة مع أنه لا يواليه تعظيماً وإجلالاً<sup>(٦)</sup>.

وقال أيضاً: « لفظ الولاية غير مشعر بأن معناها الولاية في الميراث؛ لأن هذا اللفظ مشعر بالقرب. ويقال: " السلطان ولي من لا ولي له " ولا يفيد الإرث. وقال تعالى:

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يونس: ٦٢] ولا يفيد

(1) ينظر: تفسير مقاتل (١٣٠/٢)، ومعاني القرآن (٤١٨/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٨٥/٣)، وبحر العلوم (٢٨/٢)، والوجيز (٤٥٠/١) والوسيط (٤٧٤/٢)، والكشاف (٦٠٣/٢)، ومدارك التنزيل (١١٣/٢)، وتفسير القرآن العظيم (١٢٧/٧)، ونظم الدرر (٣٣٨/٨) — وجعل من لوازمه النصر في (٣٣٩/٨) —، وإرشاد العقل السليم (٣٧٧/٢)، وروح المعاني (٣٧/١٠)، وحاشية الشهاب (٢٩٤/٤).

(2) ينظر: أحكام القرآن (٢٦٣/٤)، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه (٣٠٤).

(3) ينظر: جامع البيان (٢٨٩/١١)، تذكرة الأريب (٢٠٨/١)، فتح القدير (٤٧١/٢)، فتح البيان (٢١٩/٥).

(4) حاشية الشهاب (٢٩٤/٤).

(5) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٥١٧/٥)، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (٣٧٧/٢)، وروح المعاني للآلوسي (٣٨/١٠)، ومحاسن التأويل للقاسمي (٣٠٤٧/٨)، والمصدر السابق.

(6) مفاتيح الغيب (٥١٧/٥) تصرف يسير.

الإرث بل الولاية تفيد القرب ، فيمكن حمله على معنى النصره والمعونة ... وإذا كان اللفظ محتملاً لهذا المعنى كان حمله على الإرث بعيداً عن دلالة اللفظ ، لاسيما وهم يقولون إن ذلك الحكم صار منسوخاً بقوله تعالى في آخر الآية : ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾ [ الأنفال : ٧٥ ] وأي حاجة تحملنا على حمل اللفظ على معنى لا إشعار لذلك اللفظ به ، ثم الحكم بأنه صار منسوخاً بآية أخرى مذكورة معه ، هذا في غاية البعد ، اللهم إذا حصل إجماع المفسرين على أن المراد ذلك ، فحينئذ يجب المصير إليه إلا أن دعوى الإجماع بعيد .  
ويجاب عن هذا بأن السلف فسروها بولاية الميراث . فهذا ابن عباس — وهو عربي قح — يقول في قوله تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ مِّنْ وَلِيَّتِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ : « ما لكم من ميراثهم من شيء »<sup>(١)</sup>.

وإلى الجمع بين القولين وإرادة كلا المعنيين ذهب النحاس في معانيه<sup>(٢)</sup> . ويفهم من كلامه في إعرابه<sup>(٣)</sup> أنه يميل إلى تفسير الولاية — بفتح الواو — بمعنى النصر .  
ومفهوم كلام السمرقندي وصنيعه الجمع بينهما<sup>(٤)</sup> .  
وعلى هذا السيوطي ، والسيد محمد رشيد رضا ، والسعدي ، والشنقيطي<sup>(٥)</sup> .  
وذكرهما معاً السمعاني وقدم "النصرة والعون"<sup>(٦)</sup> ، وكذا ابن العربي وقال : « فلا يُبَالَى أن يكون المراد أحدهما أو كلاهما ؛ لأن النبي > قد بين حكم الميراث بقوله : ( ألحقوا الفرائض بأهلها ، فما بقي فهو لأولى عصبية ذكر )<sup>(٧)</sup> . وأما قوله : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يِهَاجِرُوا مَا

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٨٩/١١-٢٩٠) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٤٠/٥) رقم (٩١٩١) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه .

(2) معاني القرآن الكريم (١٧٤/٣) عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ مِّنْ وَلِيَّتِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ .

(3) إعراب القرآن (١٩٩/٢) .

(4) ينظر: بحر العلوم (٢٨/٢) .

(5) ينظر: تفسير الجلالين (الفوتوحات الإلهية ٢٢٥/٣) ، وتفسير القرآن الحكيم (٩٦/١٠-٩٧) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢٢٠/٢) ، والعذب النمير (٢٠٧٨/٥) .

(6) ينظر: تفسير القرآن (٢٨٢/٢) .

(7) أخرجه البخاري في كتاب الفرائض برقم (٦٧٣٢ ، ٦٧٣٥ ، ٦٧٣٧ ، ٦٧٤٦) ، ومسلم في صحيحه (١٢٣٣/٣) برقم (١٦١٥) من حديث ابن عباس .

لَكُمْ مِّنْ وَلِيَّتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ﴿٤﴾ فَإِنَّ ذَلِكَ عَامٌ فِي النَّصْرَةِ وَالْمِيرَاثِ «<sup>(١)</sup>» .

وسوّى بينهما البيضاوي - على عادته - وقدّم الميراث <sup>(٢)</sup> .

قال الشهاب : « وبهذا يظهر أن التفسير في الآية السابقة هو هذا ، ولذا قدّمه المصنف / »<sup>(٣)</sup> .

وقال السيد محمد رشيد رضا : « والمتعین أن يكون لفظ الأولياء عاماً يشمل كل معنى يحتمله . والمقام الذي نزلت فيه هذه الآية بل السورة كلها يأبى أن يكون المراد به حكماً مدنياً من أحكام الأموال فقط ، فهي في الحرب وعلاقة المؤمنين بعضهم ببعض وعلاقتهم بالكفار ، وكل ما يصحح أن يقال : في مسألة التوارث أنها داخلة في عموم هذه الولاية سواء كان بالإسلام أم بالقرابة »<sup>(٤)</sup> .

وقال الطاهر بن عاشور : « ولما أطلق الله الولاية بينهم احتتمل حملها على أقصى معانيها، وإن كان موردُها في خصوص ولاية النصر ؛ فإن ذلك كورود العام على سبب خاص ... فحملها ابن عباس على ما يشمل الميراث »<sup>(٥)</sup> .

وقال الشنقيطي : « وهذه الولاية ولاية نصر ومعاونة ومساعدة، وميراثٌ تُعمُّ ذلك كله »<sup>(٦)</sup> .  
وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الصواب في ذلك هو القول بالعموم ، وأن كلا المعنيين مراد ؛ لصحة أدلة القولين وعدم تعارضها . والجمع بين القولين وإرادة كلا المعنيين أولى ؛ إعمالاً للأدلة كلها ، وأحسن من أطراح أحد القولين مع صحة دليله واستشهاده .  
ويؤيد القول بالعموم القاعدة الترجيحية : ( يجب حمل نصوص الوحي على العموم )<sup>(٧)</sup> ، والله تعالى أعلم .

(1) أحكام القرآن (٨٨٧/٢) .

(2) ينظر: أنوار التنزيل (٣٩٣/١) .

(3) حاشية الشهاب (٢٩٤/٤) .

(4) تفسير القرآن الحكيم (٩٧/١٠) .

(5) التحرير والتنوير (٨٥/١٠) .

(6) العذب النمير (٢٠٧٨/٥) وقال في (٢٠٨٠) : « والتحقق أنها عامة » .

(7) قواعد الترجيح عند المفسرين (٥٢٧/٢) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي

كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾

٢٠- الخلاف في المراد بـ كتاب الله المذكور في قوله : ﴿ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ .

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « ﴿ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ أي : القرآن . وقيل : اللوح المحفوظ » (١) .

### العرض والمناقشة :

رجح ابن جزي المراد بكتاب الله المذكور في قوله تعالى : ﴿ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ أنه القرآن . ووافق في هذا ما روي عن قتادة (٢) .  
وعليه ابن عطية، والرازي، وأبو حيان، والثعالبي (٣) . وهو مفهوم كلام النحاس (٤) .  
وجوز الزجاج (٥) .

وذكره البغوي ، والزمخشري ، والخبازن بصيغة ( قيل ) (٦) .  
ودليله : أن الله تعالى بين قسمة الميراث في سورة النساء (٧) .  
وقال عليه الصلاة والسلام : ( لأقضي بينكما بكتاب الله ) (٨) . فقضى بالجلد وتغريب عام ، والرحم عليها إذا كانت مُحَصَّنَةً .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٦٩/٢) .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٤٤/٥) رقم (٩٢١١) .

(٣) ينظر: المحرر الوجيز (٣٩٥/٦) ومفاتيح الغيب (٥٢٠/٥) والبحر المحيط (٥٢٣/٤) والجواهر الحسان (٣٤/٢) .

(٤) ينظر: إعراب القرآن (١٩٩/٢) .

(٥) ينظر: الوسيط للواحد (٤٧٤/٢) .

(٦) ينظر: معالم التنزيل (٢٤٣/٢) ، والكشاف (٦٠٤/٢) ، ولباب التأويل (١٩٨/٢) .

(٧) وهي الآيات (١١-١٢) و(١٧٦) . ينظر: زاد المسير لابن الجوزي (٣٨٧/٣) ، ومعالم التنزيل للبغوي

(٢٤٣/٢) ، والكشاف للزمخشري (٦٠٤/٢) ، ومفاتيح الغيب للرازي (٥٢٠/٥) ، ومدارك التنزيل للنسفي

(١١٤/٢) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٥٢٣/٤) .

(٨) أخرجه البخاري في الصلح (٢٦٩٥، ٢٦٩٦) — وينظر أطرافه في الوكالة (٢٣١٤، ٢٣١٥) ، ومسلم في الحدود

(١٣٢٥/٣) (١٦٩٧) ، وأبوداود في الحدود (٤٤٤٥) ، وغيرهم من حديث أبي هريرة وزيد بن خالد .

وما أُورِدَ عليه من أن الرجم ليس في كتاب الله ، فيكون معنى "بكتاب الله" ، أي: بحكم الله ، فيجاء عنه : بأن الله تعالى قال : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ [الحشر : ٧] فكان القبول من النبي < بكتاب الله عز وجل <sup>(١)</sup> .

وأما القول الآخر في معنى ﴿ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ أنه اللوح المحفوظ ، فذهب إليه الطبري، وابن العربي، والسيوطي <sup>(٢)</sup> .

وذكره النحاس ، والزمخشري ، وابن عطية ، والخازن ، والثعالبي بصيغة ( قيل ) <sup>(٣)</sup> .

واستدل له بنظيره في القرآن وهو قوله تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ﴾ <sup>(٤)</sup> [الحديد : ٢٢] .

وذهب جماعة من المفسرين إلى أن المعنى : في حكم الله ، ومنهم : السمرقندي، وابن أبي زمنين، والواحدي، والزجاج، والسمعاني، والبغوي، والزمخشري، والخازن، وابن كثير، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي <sup>(٥)</sup> وعزاه إلى جمهور العلماء .

واستدل له بقوله تعالى : ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ ﴾ [المجادلة : ٢١] أي : حَكَمَ اللهُ <sup>(٦)</sup> .

(1) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٢٠٠/٢) .

(2) ينظر: جامع البيان (٣٠١/١١) ، وأحكام القرآن (٨٩٠/٢) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية (٢٢٧/٣) .

(3) ينظر: إعراب القرآن (٢٠٠/٢) ، والكشاف (٦٠٤/٢) ، والمحرر الوجيز (٣٩٥/٦) ، ولباب التأويل (١٩٨/٢) ، والجواهر الحسان (٣٤/٢) .

(4) ينظر: أحكام القرآن للحصص (٢٦٤/٤) .

(5) ينظر: بحر العلوم (٢٩/٢) — وذكر القولين الأوين بـ (يقال) — ، وتفسير القرآن العزيز (١٩٠/٢) — وعبارته:

في فرض الله — ، والوجيز (٤٥١/١) والوسيط (٤٧٤/٢) ، وتفسير القرآن (٢٨٣/٢) ، ومعالم التنزيل

(٢٤٣/٢) ، والكشاف (٦٠٤/٢) ، ولباب التأويل (١٩٨/٢) ، وتفسير القرآن العظيم (١٣٣/٧) ، وتفسير

القرآن الحكيم (١٠٧/١٠) ، وتفسير المراغي (٤٥/١٠) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢٢١/٢) ، والتحرير والتنوير

(٩٢/١٠) ، والعذب النمير (٢١٠٢/٥) .

(6) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (٢٩/٢) .

وقوله تعالى : ﴿ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾<sup>(١)</sup> [ النساء : ٢٤ ] .

وإلى التسوية بين هذه الأقوال الثلاثة ذهب البيضاوي وقدّم الثالث ، ومثله النسفي ،  
والقمي ، والسمن الحلي ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والقنوجي ، والقاسمي<sup>(٢)</sup> .

وقال الآلوسي : « في حكمه أو في اللوح »<sup>(٣)</sup> .

وقال البقاعي : « في القرآن أو في حكمه »<sup>(٤)</sup> .

وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن الأولى في معنى قوله تعالى : ﴿ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ هو الجمع بين  
هذه الأقوال الثلاثة ، وأنها كلها مرادة .

ووجه الجمع : أن المراد في حكم الله الذي بينه في القرآن ، وهو آيات المواثيق التي في  
سورة النساء ، وهذا الحكم مُسَطَّرٌ مكتوبٌ في اللوح المحفوظ . والجمع بينها بهذا ممكن ،  
ولا مانع من إرادة الكل ، وهو أولى من اطراح بعضها بلا دليل .

قال القاسمي : « لأن ﴿ كِتَابِ اللَّهِ ﴾ يطلق على كل منها »<sup>(٥)</sup> .

ويؤيد هذا القاعدة الترجيحية : ( يجب حمل نصوص الوحي على العموم )<sup>(٦)</sup> ، والله أعلم .

(1) ينظر: تفسير القرآن الحكيم للسيد رشيد رضا (١٠٧/١٠) .

(2) ينظر: أنوار التنزيل (٣٩٤/١) ، ومدارك التنزيل (١١٤/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤٢٣/٣) ،  
والدر المصون (٦٤٢/٥) ، وإرشاد العقل السليم (٣٧٨/٢) ، وفتح القدير (٤٧٣/٢) ، وفتح البيان (٢٢٣/٥) ،  
ومحاسن التأويل (٣٠٥١/٨) .

(3) روح المعاني (٣٩/١٠) .

(4) نظم الدرر (٣٤٩/٨) .

(5) محاسن التأويل (٣٠٥١/٨) .

(6) قواعد الترجيح عند المفسرين (٥٢٧/٢) .

ترجماتُ ابنِ جُزَيِّ  
في تفسير سورة التوبة

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ۚ

فَإِن تَبَتَّمْتُمْ فَمَوْ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ۗ

وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾

١- الخلاف في يوم الحج الأكبر ، أي يوم هو؟

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « ﴿ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ ﴾ هو يوم عرفة أو يوم التَّحْر. وقيل : أيام الموسم كلها ، وعبر عنها بيوم كقولك : يوم صيفين والجمَل ، وكانت أياماً كثيرة »<sup>(١)</sup> .

#### العرض والمناقشة :

سوى ابن جزي بين قولين اثنين في المراد بـ ﴿ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ ﴾ ، وتقديمه ليوم عرفة يشعر بميله إليه وترجيحه له ؛ بدليل قوله قبل ذلك : « وذلك أن رسول الله > بعث تلك السنة أبا بكر الصديق يحج بالناس ثم بعث بعده علي بن أبي طالب فقرأ على الناس سورة براءة يوم عرفة . وقيل : يوم النحر »<sup>(٢)</sup> . وهذا تصريح منه بأنه يرجح القول بأن يوم الحج الأكبر هو يوم عرفة . ووافق في هذا الترجيح ما روي عن عمر<sup>(٣)</sup> ، وعلي في رواية<sup>(٤)</sup> ، وابن عباس في رواية<sup>(٥)</sup> ، وابن الزبير<sup>(٦)</sup> ، وأبي جحيفة<sup>(٧)</sup> ،

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٧٠/٢) .

(2) المصدر السابق .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٢٢/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٤٨/٦) رقم (٩٢٢٩) ، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٣٨١/٢) و (١٢٥/٧) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٢٩/٤) نسبه إلى ابن أبي شيبة ، وأبي الشيخ .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٢١/١١) .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٢٤/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٤٨/٦) رقم (٩٢٣٠) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٢٩/٤) نسبه إلى أبي عبيد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٢٣/١١) . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٤٨/٦) عقب الأثر (٩٢٣٠) معلقاً .

(7) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٦٧/٢) ، ومن طريقه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٢٢/١١) .

ومجاهد في رواية<sup>(١)</sup>، وطاوس<sup>(٢)</sup>، وعطاء<sup>(٣)</sup>، وسعيد بن المسيب في رواية<sup>(٤)</sup>.  
 وإليه ذهب الواحدي، والزمخشري، وابن الجوزي<sup>(٥)</sup>. وهو مفهوم كلام الجصاص<sup>(٦)</sup>.  
 وقدمه البغوي<sup>(٧)</sup>.

وذكره مكّي، والبيضاوي، وأبو السعود، والآلوسي بصيغة (قيل)<sup>(٨)</sup>.  
 واستدل القائلون بأن يوم الحج الأكبر هو يوم عرفة بأدلة، منها:  
 - ما رواه محمد بن قيس بن مخزومة، أن رسول الله ﷺ خطب يوم عرفة وقال: (هذا  
 يوم الحج الأكبر)<sup>(٩)</sup>. وهو نص فيه كما ترى.  
 وأجيب عنه بأنه مرسل.  
 - وبحديث النبي ﷺ: (الحج عرفة)<sup>(١٠)</sup>.

- (1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٢٣/١١).
- (2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٢٤/١١). وذكره ابن أبي حاتم معلقاً في تفسيره (١٧٤٨/٦) عقب الأثر (٩٢٣٠).
- (3) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٦٦/٢، ٢٦٧)، ومن طريقه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٢٢/١١)، ٣٢٣، ٣٣٤. وذكره ابن أبي حاتم معلقاً في تفسيره (١٧٤٨/٦) عقب الأثر (٩٢٣٠).
- (4) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٤٨/٦) عقب الأثر (٩٢٣٠) معلقاً.
- (5) ينظر: الوجيز (٤٥٢/١)، والكشاف (٩/٣)، وتذكرة الأريب (٢٠٩/١).
- (6) ينظر: أحكام القرآن (٢٦٩/٤) مع احتماله للقولين الآخرين.
- (7) ينظر: معالم التنزيل (٢٤٩/٢).
- (8) ينظر: تفسير المشكل (١٨٤)، وأنوار التنزيل (٣٩٦/١)، إرشاد العقل السليم (٣٨١/٢)، وروح المعاني (٤٦/١٠).
- (9) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٢٣/١١) من طريق محمد بن بكر. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٤٨/٦) رقم (٩٢٢٨) من طريق سفيان. وأخرجه أيضاً الطبري في جامع البيان (٣٢٤/١١)، وأبو داود في المراسيل (١٥٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٢٥/٥) من طريق ابن إدريس. (ثلاثتهم: محمد بن بكر، وسفيان، وابن إدريس) عن ابن جريج، عن محمد بن قيس بن مخزومة مرفوعاً. وهذا حديث مرسل. وأخرجه الواحدي في الوسيط (٤٧٦/٢) من طريق ابن جريج، عن محمد بن قيس، عن المسور بن مخزومة مرفوعاً. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٢٩/٤) إلى ابن أبي حاتم، وابن مردويه عن المسور بن مخزومة ط أن رسول الله ﷺ قال يوم عرفة: (هذا يوم الحج الأكبر). وحكم عليه الحافظ ابن كثير في تفسيره (١٤٤/٧) بأنه مرسل.
- (10) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (١٨٥/١) (١٣٠٩)، وابن أبي شيبة في مسنده (٢٤١/٢) (٧٣١) وفي مصنفه (٢٢٦/٣) (١٣٦٨٣ ط الحوت)، وأحمد في مسنده (٣٠٩/٤) (١٨٧٧٣، ١٨٩٥٤، ١٨٧٧٥)، وابن ماجه في سننه (١٠٠٣/٢) (٣٠١٥)، والترمذي في جامعه (٢٣٧/٣) (٨٨٩)، والنسائي في المجتبى (٢٥٦/٥)

قالوا : وهذا يدلُّ على أن يوم الحج الأكبر هو يوم عرفة <sup>(١)</sup> .  
قال الرازي : « لأن أعظم أعمال الحج هو الوقوف بعرفة ؛ لأن من أدركه فقد أدرك الحج ، ومن فاتته فقد فاتته الحج ، وذلك إنما يحصل في هذا اليوم » <sup>(٢)</sup> .  
وأجاب الشنقيطي بأن هذا لا يرد ؛ لأن عرفة شامل لليل والنهار ، فالوقوف الذي هو الركن الأعظم في الحج يكون في الليل ولا يشترط أن يكون في النهار ، والكلام في خصوص اليوم . وقد أجمع العلماء على أن من وقف بعرفة ليلة النحر أجزاء ذلك <sup>(٣)</sup> .  
وأما القول الثاني بأن يوم الحج الأكبر هو يوم النَّحْرِ ، فرُوِيَ عن ابن عباس أيضا <sup>(٤)</sup> ، وعلي بن أبي طالب أيضا <sup>(٥)</sup> ، وأبي هريرة <sup>(٦)</sup> ،

- (٢٦٤ ، ٣٠١٦ ، ٣٠٤٤) ، وفي الكبرى (٤٢٤/٢ ، ٤٣٢ ، ٤٦٢) (٤٠١١ ، ٤٠٥٠ ، ٤١٨٠) ، وابن خزيمة في صحيحه (٢٥٧/٤) (٢٨٢٢) ، والدارقطني في سننه (٢٤٠/٢) (١٩) ، والحاكم في مستدرکه (٦٣٥/١) و(٣٠٥/٢) ، والبيهقي في السنن الكبرى (١٧٣/٥) من طريق بكير بن عطاء ، عن عبدالرحمن بن يَعمَرَ الدَّيْلِي مرفوعًا . وإسناده صحيح ، رجاله ثقات .
- (1) ينظر: أحكام القرآن للحصاص (٢٦٩/٤) ، ومفاتيح الغيب للرازي (٥٢٥/٥) ، وأنوار التنزيل للبيضاوي (٣٩٦/١) .
- (2) مفاتيح الغيب (٥٢٥/٥) .
- (3) ينظر: العذب النمير (٢١١٨/٥) .
- (4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٢٨/١١) من طريق حماد بن سلمة ، عن سماك ، عن عكرمة ، عنه . وذكره معلقًا (٣٣١/١١) من طريق سعيد بن جبير ، عنه .
- (5) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٦٧/٢) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٢٤/١١) من طريق الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن علي . وأخرجه ابن جرير الطبري أيضًا في جامع البيان (٣٢٥/١١) ، (٣٢٦) من طرق عن أبي إسحاق به . وأخرجه الترمذي في سننه (٣٠٨٩) من طريق ابن عيينة ، عن أبي إسحاق به . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٣١/١١) من طريق معمر ، عن أبي إسحاق ، عن علي . وذكره أيضًا (٣٣٢/١١) معلقًا عن الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن علي . فسقط منه الحارث والله أعلم . وأخرجه ابن جرير الطبري أيضًا (٣٢٦/١١) من طريق شعبة ، عن الحكم ، عن يحيى الجزار ، عن علي . وذكره أيضًا معلقًا (٣٣٠/١١) من طريق الشعبي ، عن علي . وخالفهم محمد بن إسحاق فرواه عن أبي إسحاق الهمداني ، عن الحارث ، عن علي فرعه إلى النبي < . أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٤٧/٦) رقم (٩٢٢٦) .
- (6) أخرجه أحمد في مسنده ( رقم ٧٩٧٧ ) ، ومسلم في صحيحه ( رقم ١٣٤٧ ) ، وابن خزيمة في صحيحه ( رقم ٢٧٠٢ ) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٣١/١١) من طريق الزهري ، عن حميد بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة قال : بعثني رسول الله < مع أبي بكر في الحجّة التي أمره رسول الله < عليها قبل حجة الوداع ، في رَهْطٍ يُؤذَنون في الناس يوم النحر ، ألاَّ يجحّ بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان . قال الزهري : فكان

والمغيرة بن شعبة<sup>(١)</sup> ، وعبد الله بن أبي أوفى<sup>(٢)</sup> ، وعبد الله بن شداد بن الهاد<sup>(٣)</sup> ، وأبي جحيفة<sup>(٤)</sup> ، وسعيد بن جبير<sup>(٥)</sup> ، والزهري<sup>(٦)</sup> ، وقيس بن عباد<sup>(٧)</sup> ، ونافع بن جبير بن مطعم<sup>(٨)</sup> ، وإبراهيم النخعي<sup>(٩)</sup> ، والشعبي<sup>(١٠)</sup> ، ومجاهد في رواية<sup>(١١)</sup> ، وعكرمة<sup>(١٢)</sup> ، وابن زيد ، وأبيه زيد بن أسلم ، وابن عمر<sup>(١٣)</sup> ، والسدي<sup>(١٤)</sup> ، ومحمد بن علي<sup>(١٥)</sup> .

حُميد يقول : يوم النحر يوم الحج الأكبر . وأخرجه البخاري في صحيحه (١٦٢٢) من طريق يونس ، عن الزهري به . وأخرجه أيضاً (٣٦٩ ، ٣١٧٧ ، ٤٣٦٣ ، ٤٦٥٥ ، ٤٦٥٧) ، وأبو داود في سننه (١٩٤٦) ، والنسائي (٢٩٥٧) من طريق الزهري به .

- (1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٢٧/١١) .
- (2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٣٢) من طرق عنه .
- (3) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/٢٦٧) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/٣٢٩ ، ٣٣٢) من طرق عن أبي إسحاق ، عنه .
- (4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/٣٢٨) .
- (5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/٣٢٨) من طريق ابن بشر قال : اختصم علي بن عبد الله بن عباس ، ورجل من آل شيبه في يوم الحج الأكبر ، قال عليٌّ : هو يوم النحر . وقال الذي من آل شيبه : هو يوم عرفة . فأرسل إلى سعيد بن جبير فسأله ، فقال : هو يوم النحر . ألا ترى أنه من فاته يوم عرفة لم يفته الحج ، فإذا فاته يوم النحر فقد فاته الحج ؟
- (6) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/٢٦٦) عن معمر ، عنه . وذكره ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/٣٣١) عن معمر به .
- (7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/٣٢٩) من طريق سليمان التيمي ، عن رجل ، عن أبيه ، عنه .
- (8) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/٣٢٩) .
- (9) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣) من طرق عن المغيرة ، عنه .
- (10) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/٣٢٩ ، ٣٣٠) .
- (11) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/٣٣٠) من طرق عنه .
- (12) ذكره ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/٣٣٠) معلقاً عنه وعن مجاهد .
- (13) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/٣٣٤) عن ابن زيد قال في قوله: ﴿يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ قال: يوم النحر ، يوم يحل فيه الحرم، وينتحر فيه البدن . وكان ابن عمر يقول : هو يوم النحر . وكان أبي يقوله . وكان ابن عباس يقول : هو يوم عرفة . ولم أسمع أحداً يقول : إنه يوم عرفة إلا ابن عباس . قال ابن زيد: والحج يفوت بفوت يوم النحر، ولا يفوت بفوت يوم عرفة، إن فاته اليوم لم يفته الليل، يقف ما بينه وبين طلوع الفجر .
- (14) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/٣٣٥) من طريق أسباط ، عنه .
- (15) ذكره ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/٣٣١) معلقاً .

ونسب إلى أبي موسى الأشعري<sup>(١)</sup> . وقاله حميد بن عبد الرحمن<sup>(٢)</sup> .  
وهو قول الجمهور منهم : مقاتل، والفراء، والبخاري، والطبري، والنحاس ، وابن أبي  
زمنين، ومكي، وابن العربي، وابن الجوزي، والبيضاوي، وابن التركماني، وابن كثير،  
والسيوطي، وأبوالسعود، والشوكاني ، والآلوسي، والقنوجي، والسيد محمد رشيد رضا،  
والمراغي، والسعدي، والشنقيطي<sup>(٣)</sup> .  
ومال إليه القاسمي<sup>(٤)</sup> . ومفهوم كلام الطاهر بن عاشور الميل إليه<sup>(٥)</sup> . واحتمله  
الخصاص<sup>(٦)</sup> .

وذكره الواحدي ، والزمخشري ، وابن الجوزي في التذكرة بصيغة ( قيل )<sup>(٧)</sup> .  
واستدلوا له بأدلة نقلية وعقلية ، منها :  
- ما رواه أبو بكره قال : لما كان ذلك اليوم ، قَعَدَ عليٌّ بعيرٍ له النبيُّ > ، وأخذ  
إنسانٌ بخطامه - أو زمامه - فقال : (أَيُّ يَوْمٍ هَذَا ؟) قال : فسكنتنا حتى ظننا أنه سيُسَمِّيهِ  
غيرَ اسمه، فقال : (أليس يوم الحج ؟)<sup>(٨)</sup>

- (1) نسبه إليه ابن الجوزي كما في زاد المسير (٣/٣٩٦) .
- (2) قال الزهري : فكان حميد يقول : يوم النحر يوم الحج الأكبر . أخرجه البخاري في صحيحه (رقم ٤٦٥٧) ،  
ومسلم في صحيحه (٤٣٥/١٣٤٧) .
- (3) ينظر: تفسير مقاتل (١٥٦/٢) ، ومعاني القرآن (٤٢٠/١) ، صحيح البخاري ، وجامع البيان (٣٣٦/١١) ،  
ومعاني القرآن الكريم (١٨٣/٣) ، وتفسير القرآن العزيز (١٩٢/٢) ، وتفسير المشكل (١٨٤) - ونسبه إلى  
مالك وأصحابه - ، وأحكام القرآن (٨٩٨/٢) - ونسبه إلى مالك وقال: رواه عنه ابن وهب، وابن القاسم،  
وأشهب، وعبدالله بن الحكم - ، وزاد المسير (٣/٣٩٤) ، وأنوار التنزيل (١/٣٩٦) ، وبهجة الأريب  
(٢٤٢/١) ، وتفسير القرآن العظيم (١٣٨/٧) ، وإرشاد العقل السليم (٣٨١/٢) ، وتفسير الجلالين (٢٣٣/٣)  
، وفتح القدير (٤٧٨/٢ ، ٤٨٢) ، وروح المعاني (٤٦/١٠) - وقال عنه : أقوى رواية ودراية - ، وفتح البيان  
(٢٣٢/٥) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٤٢/١٠ ، ١٤٧ ، ١٤٩) ، وتفسير المراغي (٥٥/١٠) ، وتيسير الكريم  
الرحمن (٢٢٣/٢) ، وأضواء البيان (٤٢٩/٢) .
- (4) ينظر : محاسن التأويل (٣٠٦٨/٨) وعزاه لابن القيم .
- (5) ينظر: التحرير والتنوير (١٠٨/١٠) .
- (6) ينظر: أحكام القرآن (٢٦٩/٤) .
- (7) ينظر: الوجيز (٤٥٢/١) ، الكشاف (٩/٣) ، تذكرة الأريب (٢٠٩/١) .
- (8) أخرجه أحمد في مسنده (٣٧/٥ ، ٤٥) ، والبخاري في صحيحه (١٧٤١) ، ومسلم في صحيحه (١٦٧٩) ، وابن  
أبي شيبه في مصنفه (٢٦/١٥ ، ٢٧) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٣٣/١١) ، وابن حبان في صحيحه

- وعن ابن عمر ، أن رسول الله < وقف يوم النحر بين الجمرات في الحجّة التي حج فقال : (أيُّ يومٍ هذا ؟) قالوا : يوم النحر . قال : (هذا يوم الحج الأكبر) <sup>(١)</sup> .
- وروى مُرَّةٌ ، عن رجل من أصحاب النبي < قال : خطبنا رسول الله < على ناقته الحمراء وقال : (أتدرون أيُّ يومٍ هذا ؟ هذا يوم النحر وهذا يوم الحج الأكبر) <sup>(٢)</sup> .
- وعن علي بن أبي طالب قال : سألت رسول الله < عن يوم الحج الأكبر ، فقال : (يوم النحر) <sup>(٣)</sup> .
- وعن ابن أبي أوفى ، عن النبي < أنه قال : (يوم الأضحى هذا يوم الحج الأكبر) <sup>(٤)</sup> .
- وعن عبد الله بن قرط قال : قال رسول الله < : (أعظم الأيام عند الله يوم النحر ثم يوم القر) <sup>(٥)</sup> .

قالوا : فهذه الأحاديث تنصُّ على أن يوم الحج الأكبر هو يوم النحر ، ولا تقوى على

- (الإحسان - ٣٨٤٨ ، ٥٩٧٣) من طريق محمد بن سيرين، عن عبد الرحمن عن أبي بكره به. وفي تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٤٦/٧) زيادة : الأكبر .
- (1) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١٨٤/٢) ، والبخاري تعليقا (١٧٤٢) ، وأبو داود في سننه (١٩٤٥) ، وابن ماجه في سننه (٣٠٥٨) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٣٣/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٤٨/٦) رقم (٩٢٢٧) ، وأبو نعيم في الحلية (٢٧٤/٨) من طريق نافع ، عنه . قال السيد محمد رشيد رضا في تفسير القرآن الحكيم (١٤٩/١٠) : ورواه أبو داود وابن ماجه موصولا عنه وسنده صحيح ، وهو القول الفصل . وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٢٧/٤) نسبته إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه .
- (2) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٨/١٥) ، وأحمد في المسند (٤١٢/٥) و(٢٢١/٢٥) رقم (١٥٨٨٦) ، والنسائي (٤٠٩٩) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٣٣/١١) ، (٣٣٤ ، ٣٣٥) من طريق شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن مُرَّةِ الهمداني به .
- (3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٤٧/٦) رقم (٩٢٢٦) من طريق محمد بن إسحاق ، عن أبي إسحاق الهمداني ، عن الحارث ، عن علي مرفوعا . وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (١٢٧/٤) إلى ابن المنذر ، وابن مردويه . وقد رواه السفينان ومعمر ، عن أبي إسحاق به موقوفاً . وكذا رواه يحيى الجزار ، والشعبي ، عن علي موقوفاً ، ولعله أشبهه . وقد سبق تخريجه عن علي . وأخرج ابن مردويه بسند ضعيف - كما في الدر المنثور للسيوطي (١٢٧/٤) - عنه قال : أربع حفظتهن من رسول الله < : (أن الصلاة الوسطى العصر ، وأن الحج الأكبر يوم النحر ، وأن أدبار السجود الركعتان بعد المغرب ، وأن أدبار النجوم الركعتان قبل صلاة الفجر) .
- (4) أخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور للسيوطي (١٢٧/٤) .
- (5) أخرجه أبو داود في سننه (١٧٦٥) ، والحاكم وصححه في المستدرک (٢٢١/٤) ووافقه الذهبي . والقرُّ : هو اليوم الذي يلي يوم النحر .

معارضتها تلك الواردة في أنه يوم عرفة .

وعن ابن عباس ، أن رسول الله < خطب الناس يوم النحر فقال : ( يا أيها الناس ، أيُّ يوم هذا ؟ ) قالوا : يوم حرام . قال : ( فأَيُّ بَلَدٍ هذا ؟ ) قالوا : بلد حرام . قال : ( فأَيُّ شهر هذا ؟ ) قالوا : شهر حرام ، قال : ( فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا ) (١) .

فدلَّ هذا الحديث على أنه يوم النحر ؛ لأن مَنِيَّ من الحرم ، وليست عرفات منه (٢) .

قال الشوكاني : « ولا يخفك أن الأحاديث الواردة في كون يوم النحر هو يوم الحج الأكبر ، هي ثابتة في الصحيحين وغيرهما من طرق فلا تقوى لمعارضتها الروايات المصرحة بأنه يوم عرفة » (٣) .

وعلَّلوا هذا أيضاً بأن الإعلام كان فيه ؛ لأنه ثبت في الصحيحين أن أبا بكر وعلياً ب أذنا بذلك يوم النحر ، لا يوم عرفة (٤) .

قال الطبري : « تظاهرت الأخبار عن جماعة من أصحاب رسول الله < أن علياً نادى

بما أرسله به رسولُ الله < من الرسالة إلى المشركين ، وتلا عليهم ﴿ بَرَاءَةٌ ﴾ يومَ النحر . هذا مع الأخبار التي ذكرناها عن رسول الله < أنه قال يوم النحر : (أتدرون أي يوم هذا ؟ هذا يوم الحج الأكبر) . ويوم الحج يوم يحجون فيه ، وإنما يحج الناس ويقضون مناسكهم يوم النحر ؛ لأن في ليلته الوقوف بعرفة وهو غير فائت إلى طلوع الفجر ، وفي صُبْحَتِهَا يُعْمَلُ أَعْمَالُ الْحَجِّ . وَالْحَجُّ كُلُّهُ يَوْمَ النَّحْرِ » (٥) .

وأما القول الثالث بأن يوم الحج الكبير يراد به أيامُ الموسمِ كُلِّهَا ، فهو مَرْوِيٌّ عن مجاهد (٦) .

(1) أخرجه مسلم في صحيحه (١٦٧٩) ، وأبو داود في سننه (١٩٤٧) ، وأحمد في مسنده (٣٧/٥) .

(2) ينظر : معاني القرآن الكريم للنحاس (١٨٤/٣) .

(3) فتح القدير (٤٨٢/٢) . وتابعه القنوجي في فتح البيان (٢٣٣/٥) .

(4) ينظر : محاسن التأويل للقاسمي (٣٠٦٨/٨) .

(5) جامع البيان (٣٣٦/١١) بتصرف يسير .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٣٦ ، ٣٣٥/١١) من طريق ابن أبي نجیح ، وابن جريج ، عنه قال :

حين الحج ، أيامه كلها . وفي لفظ : أيام منى كلها .

وبه قال الثوري <sup>(١)</sup> . وعليه ابن عطية، والبقاعي <sup>(٢)</sup> . ولم يرَ به بأساً الشنقيطي <sup>(٣)</sup> .  
وضَعَّفَه البلسني <sup>(٤)</sup> . وذكره أبوحيان بصيغة ( قيل ) <sup>(٥)</sup> .

قال ابن عطية : « والذي تظاهرت به الأحاديث .. أن عليًّا ط أذن بتلك الآية يوم  
عرفة إثر خطبة أبي بكر، ثم رأى أنه لم يعلم الناس بالإسماع فتتبعهم بالأذان بها يوم النحر ،  
وفي ذلك اليوم بعث معه أبوبكر من يُعيّنه بالأذان بها كأبي هريرة ط وغيره ، وتتبعوا بها  
أيضاً أسواق العرب ، كذي المجاز وغيره ، فمن هنا يترجَّح قول سفيان : إن ﴿ يَوْمَ ﴾ في  
هذه الآية بمعنى "أيام" . وقال ابن عيينة : المراد أيام الحج كلها كما تقول : " يوم صفيان ،  
ويوم الجمل " تريد : جميع أيامه . وهذا كما قال عثمان لعمر ب حين عرض عليه زواج  
حفصة ك : إني رأيت ألا أتزوج يَوْمِي هذا . وكما ذكر سيبويه أنك تقول لرجل : ما  
شغلك اليوم ؟ وأنت تريد : في أيامك هذه « <sup>(٦)</sup> .

واستبعد الرازي هذا ؛ لأنه يقتضي تفسير اليوم بالأيام الكثيرة ، وهو خلاف  
الظاهر <sup>(٧)</sup> . (ولا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلاّ بدليل) <sup>(٨)</sup> .

وقال الطبري : « وأما ما قال مجاهد من أن يوم الحج ، إنما هو أيامه كلها ، فإن ذلك  
وإن كان جائزاً في كلام العرب ، فليس بالأشهر الأعراف في كلام العرب من معانيه . بل  
أغلبُ على معنى اليوم عندهم أنه من غروب الشمس إلى مثله من الغد ، وإنما مَحْمَلُ تأويلِ  
كتاب الله على الأشهر الأعراف من كلام من نزل الكتاب بلسانه « <sup>(٩)</sup> .  
وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأولى بالصواب هو قول من قال : يوم الحج الأكبر هو يوم

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٣٦/١١) من طريق أبي عبيد ، عنه .

(2) ينظر: المحرر الوجيز (٤٠٤/٦) ، ونظم الدرر (٣٧٧/٨) .

(3) ينظر: العذب النمير (٢١١٨/٥) .

(4) ينظر: تفسير مبهمات القرآن (٥٣٤/١) .

(5) ينظر: البحر المحيط (٧/٥) .

(6) المحرر الوجيز (٤٠٣/٦) .

(7) ينظر: مفاتيح الغيب (٥٢٦/٥) .

(8) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (١٣٧/١) .

(9) جامع البيان (٣٣٧/١١) .

النحر؛

— لثبوت ذلك عن النبي > ، وإذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه <sup>(١)</sup> .

— ولقوة أدلته وصراحتها وعدم معارضتها .

— ولكثرة القائلين به من السلف ، وتفسير جمهور السلف مقدم على غيره <sup>(٢)</sup> ، وهذا القول عليه جمهور المفسرين <sup>(٣)</sup> ، والله تعالى أعلم.

(١) المصدر السابق (٢٠٦/١) .

(٢) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (١/٢٨٨) .

(٣) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٩/١) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ  
وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثُرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (٨)

٢- الخلاف في تفسير "الإل" والمراد به في قوله تعالى: ﴿ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً ﴾

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى: « الإل: القرابة . وقيل: الحلف »<sup>(١)</sup>.

### العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيِّ أن الإلَّ في قوله تعالى: ﴿ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا ﴾ معناه: القرابة .

ووافق في هذا ما رُوِيَ عن ابن عباس<sup>(٢)</sup> ، والضحاك<sup>(٣)</sup> ، والسدي<sup>(٤)</sup> .

وعليه مقاتل، والبخاري، والنحاس، والسمرقندي، والواحدي، والسمعاني، وابن الجوزي ، وأبوالمحاسن القرشي اليماني، وابن كثير، والبقاعي، والسيوطي، والقاسمي، والسيد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي<sup>(٥)</sup> . وعزاه ابن الجوزي وغيره للفراء<sup>(٦)</sup> .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٧١/٢) .

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٥٥/١١) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه . وأخرجه أيضاً (٣٥٦/١١) من طريق عطية العوفي، عنه . ومن طريق عكرمة، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٥٨/٦) رقم (١٠٠٠٣) من طريق الضحاك، عنه . وينظر: الدر المنثور للسيوطي (١٣٥/٤) ، وصحيفة علي (٢٦٠) .

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٥٦/١١) من طريق جوير ، عنه، ومن طريق عبيد بن سليمان، عنه. وذكره ابن أبي حاتم معلقاً في تفسيره (١٧٥٨/٦) عقب الأثر (١٠٠٠٣) .

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٥٦/١١) من طريق أسباط ، عنه .

(٥) ينظر: تفسير مقاتل (١٥٨/٢) ، وصحيح البخاري في كتاب التفسير (بعد ٤٦٥٣) ، ومعاني القرآن الكريم (١٨٧/٣) ، وبحر العلوم (٣٥/٢) ، والوجيز (٤٥٤/١) والوسيط (٤٧٩/٢) ، وتفسير القرآن (٢٩٠/٢) ، وتذكرة الأريب (٢١٠/١) ، والترجمان عن غريب القرآن (٥٧) ، وتفسير القرآن العظيم (١٥٣/٧-١٥٤) — قال عنه: أشهر وأظهر وعليه الأكثر — ، ونظم الدرر (٣٨٤/٨ ، ٣٨٩) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ٢٣٩) ، ومحاسن التأويل (٣٠٨٠/٨) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٧١/١٠) — قال: أشهر الأقوال المأثورة — ، وتفسير المراغي (٦٢/١٠ ، ٦٤) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢٢٧/٢) .

(٦) ينظر: زاد المسير لابن الجوزي (٤٠٢/٣) ، والدر المصون للسمين الحلبي (١٨/٦) ، وفتح البيان للفتوحاني (٢٤١/٥) .

وحسنه ابن قتيبة<sup>(١)</sup> . وقدّمه البغوي، والآلوسي<sup>(٢)</sup> . وجوّزه ابن عطية<sup>(٣)</sup> .  
 وذكره مكّي ، والزخشي ، ومحمود النيسابوري ، والبيضاوي ، وأبو السعود بصيغة  
 (قيل)<sup>(٤)</sup> .

قالوا : إطلاق الإلّ على القرابة معنى معروف ومشهور في كلام العرب ومنه :  
 - قول الشاعر :

جزى الله إلّا كان بيني وبينهم      جزاء ظلوم لا يؤخّر عاجلاً<sup>(٥)</sup>

- وقول حسان بن ثابت :

لعمرك إن إلّك من قريش      كإلّ السقب من رأل النعام<sup>(٦)</sup>

أراد أنك ضعيف النسب في قريش ، وأنتك حين وجدت أدنى سبب ادعيت إليهم ،  
 وأن ذلك السبب في ضعفه كشبهه الرأل بالسقب . يعني ما قرابتك في قريش إلّا كقرابة  
 الفصيل من ولد النعام ، أي : لست منهم في نسب<sup>(٧)</sup> .

- وقول ابن مُقبل :

أفسد الناس خُلوفٌ خَلَفُوا      قطعوا الإلّ وأعراق الرّحم<sup>(٨)</sup>

بمعنى : قطعوا القرابة .

(1) ينظر : تأويل مشكل القرآن (٤٤٩) .

(2) ينظر : معالم الترتيل (٢٥٢/٢) ، وروح المعاني (٥٥/١٠) .

(3) ينظر : المحرر الوجيز (٤١٩/٦) .

(4) ينظر : تفسير المشكل (١٨٥) ، والكشاف (١٦/٣) ، وإيجاز البيان (٣٠١/١) ، ووضح البرهان (٣٩٢/١) ،  
 وأنوار الترتيل (٣٩٧/١) ، وإرشاد العقل السليم (٣٨٦/٢) .

(5) هذا استشهاد ابن عباس في جوابه لنافع بن الأزرق كما في الدر المنثور للسيوطي (١٣٥/٤) .

(6) ينظر : الدر المنثور للسيوطي (١٣٥/٤) وعزاه إلى ابن الأنباري في كتاب الوقف والابتداء عن ميمون بن مهران

أن نافع بن الأزرق قال لابن عباس ب : أخبرني عن قول الله تعالى : ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَاذِمَّةً ﴾ قال  
 : الرحم ، وقال : فيه حسان بن ثابت ... فذكره . والبيت في ديوان حسان بن ثابت (٤٠٧) ، واللسان (ألّ) .

وهو من أبيات هجا بما أبا سفيان قبل إسلامه . والسقب : ولد الناقة حين يولد . والرأل : ولد النعام .

(7) ينظر : المعاني الكبير لابن قتيبة (٣٣٦/١) ، والأملّي لأبي علي القالي (٤١/١) ، والحيوان (٣٦٠/٤) .

(8) ينظر : جامع البيان للطبري (٣٥٨/١١) ، والعذب النمير للشنقيطي (٢١٤٧/٥) . والبيت لتميم بن مُقبل .

والخُلوف : جمع خَلَفَ .

قال ابن عطية : « أنشده أبو عبيدة على القرابة ، وظاهر أنه في العهود »<sup>(١)</sup> .  
وهذا غير ظاهر ؛ لأنه لا يقال في العهد "قطع" وإنما القطيعة تكون للقرابة والرحم ،  
والعهد يقال فيه نقض ؛ لأنه بمعنى الميثاق أو يقال فيه غدر ؛ كما في الحديث : ( وإذا عاهد  
غدر )<sup>(٢)</sup> . والله تعالى أعلم .  
- وفي رواية ابن الأثير في النهاية<sup>(٣)</sup> لحديث أم زرع : « وَفِي الْإِلِّ كَرِيمُ الْخَلِّ بَرُودُ  
الظِّلِّ » .

أي : أنه وفي القرابة والصلة ، كريم الصحبة ، طيب العشرة .  
وأما القول الآخر بأن معنى "الإل" : الحلف ، فهو قول قتادة<sup>(٤)</sup> .  
واختاره الزمخشري ، ومحمود النيسابوري ، والبيضاوي ، وأبو السعود<sup>(٥)</sup> .  
قال الزمخشري : « والوجه : أن اشتقاق الإل بمعنى الحلف ؛ لأنهم إذا تماسحوا وتحالفوا ،  
رفعوا به أصواتهم وشهروه ، من الأل وهو الجوار ، وله أليل ، أي : أنين ، يرفع به صوته  
.... دعت أَلَيْهَا : إذا وَلَوْتَ »<sup>(٦)</sup> .

وقال الشنقيطي : « والعرب تقول : دعت الجارية أَلَيْهَا إذا وَلَوْتَ ؛ لأن الأليل  
صراخٌ وصوت . ومن قولهم ذلك قول الكُميت :  
وأنت ما أنت في غَبَاءٍ مُظْلَمَةٍ إذا دعت أَلَيْهَا الكَاعِبُ الْفُضْلُ »<sup>(٧)</sup> .

(1) المحرر الوجيز (٤١٩/٦) .

(2) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان برقم (٣٤) ، وفي كتاب المظالم برقم (٢٤٥٩) ، وفي كتاب الجزية والموادعة  
برقم (٣١٧٨) ، ومسلم (٧٨/١) برقم (٥٨) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص .

(3) النهاية في غريب الحديث والأثر (٦١/١ ، ١١٥) . وحديث أم زرع أخرجه البخاري في النكاح برقم (٤٨٩٣)  
، ومسلم في فضائل الصحابة رضي الله عنهم (١٨٦٩/٤) برقم (٢٤٤٨) من حديث عائشة .

(4) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٦٨/٢) عن معمر ، عنه . وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٥٨/٦) رقم  
(١٠٠٠٦) من طريق معمر به . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٥٧/١١) من طريق يزيد ، عن  
سعيد ، عنه .

(5) ينظر: الكشاف (١٦/٣) ، وإيجاز البيان (٣٠١/١) ووضح البرهان (٣٩٢/١) ، وأنوار التنزيل (٣٩٧/١) ،  
وإرشاد العقل السليم (٣٨٦/٢) .

(6) الكشاف (١٦/٣) .

(7) العذب النمير (٢١٤٨/٥) . والبيت في اللسان (مادة : أَل) .

وقال ابن عطية : « والعرب تقول للعهد والحلف والجوار ونحو هذه المعاني : إلا ،  
ومنه قول أبي جهل :

لِإِلِّ عَلَيْنَا وَاجِبٌ لَا نُضِيعُهُ      متينٌ قَوَاهُ غَيْرُ مُنْتَكَثِ الْحَبْلِ «<sup>(١)</sup> .  
وقال أبو عبيدة : « الإلّ : اليمين ، والذمة العهد ، ومنه قول ابن مقبل :

أفسدَ الناسَ خُلُوفٌ خَلَفُوا      قطعوا الإلّ وأعراقَ الرحم «<sup>(٢)</sup> .  
- قال أوس بن حجر :

لولا بنو مالكٍ والإلُّ مَرْقَبَةٌ      ومالكٌ فيهمُ الآلاءُ والشَّرَفُ<sup>(٣)</sup>  
يعني : الحلفُ<sup>(٤)</sup> .

وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن كلا القولين يشهد لهما كلام العرب وأشعارها ، فالصواب أن يقال : الإلّ : اسم مشترك يطلق على عدّة معانٍ منها : القرابة والحلف ، ولم يكن الله جل وعلا خصّاً من ذلك معنى دون معنى ، فالصحيح والأولى أن يُعمَّ ذلك ، كما عمَّ بها جل ثناؤه . ويتأيد ذلك بما حرّره الأصوليون المحققون من جواز حمل المشترك على معنيه أو معانيه<sup>(٥)</sup> .

وعلى هذا الطبريُّ، والزجاج، والراغب، وابن عطية، والنسفي، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي<sup>(٦)</sup> .

وإذا كان ذلك كذلك فالإقتصار على أن المراد بالإلّ هو القرابة ، كما رجّحه ابن جُزَيٍّ ومن وافقه ، هو خلاف الأولى ، وكذا الإقتصار على أنه الحلف ، فالقول بالعموم وعدم أطراح قولٍ وله وَجْهٌ في كلام العرب هو الصواب ، ويؤيده قاعدة ( وجوب حمل نصوص الوحي على العموم )<sup>(٧)</sup> ، والله تعالى أعلم .

(1) المحرر الوجيز (٤١٨/٦ - ٤١٩) .

(2) ينظر: النكت والعيون (٣٤٣/٢) ، وزاد المسير (٤٠٢/٣) . والمصدر السابق . والبيت لتميم بن مقبل .

(3) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٥٣٢/٥) ، والدر المصون للسمين الحلبي (١٧/٦) .

(4) ينظر: مفاتيح الغيب (٥٣٢/٥) .

(5) قاله الشنقيطي في العذب النمير (٢١٤٩/٥) .

(6) ينظر: جامع البيان (٣٥٨/١١) ومفاتيح الغيب للرازي (٥٣٢/٥) ومفردات ألفاظ القرآن مادة (ألّ) والمحرر الوجيز

(٤١٨/٦ - ٤١٩) ومدارك التزليل (١١٧/٢) والتحرير والتنوير (١٢٤/١٠) والعذب النمير (٢١٤٩/٥) .

(7) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (٥٢٧/٢) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَإِنْ تَكُفَرُوا أَيَّمَنَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَنَلُوا آيِمَّةَ الْكُفْرِ  
إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴾ (١٢)

٣- مَنْ هُمْ أئمة الكفر في قوله تعالى : ﴿ فَقَنَلُوا آيِمَّةَ الْكُفْرِ ﴾ ؟

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « ﴿ آيِمَّةَ الْكُفْرِ ﴾ أي : رؤساء أهله . قيل :  
إنهم أبو جهل لعنه الله ، وأمّية بن خلف ، وعتبة بن ربيعة ، وأبوسفيان بن حرب ، وسهيل  
ابن عمرو . وحكى ذلك الطبري ، وهو ضعيف ؛ لأن أكثر هؤلاء كان قد مات قبل نزول  
هذه السورة . والأحسن أنها على العموم »<sup>(١)</sup> .

العرض والمناقشة :

استحسن ابن جزي أن قوله تعالى : ﴿ آيِمَّةَ الْكُفْرِ ﴾ على العموم . ووافق في  
هذا السمرقندي ، وابن عطية ، والقرطي ، والقمي النيسابوري ، وأباحيان ، وابن كثير ،  
والبلنسي ، والثعالبي ، والشوكاني ، والقنوجي ، والسيد محمد رشيد رضا ، والسعدي ، والطاهر  
ابن عاشور ، والشنقيطي<sup>(٢)</sup> .

قال ابن عطية : « وأصوب ما في هذا أن يقال : إنه لا يُعنى بها مُعَيَّن ، وإنما وقع الأمر  
بقتال أئمة الناكثين بالعهود من الكفرة إلى يوم القيامة دون تعيين »<sup>(٣)</sup> .  
وقال ابن كثير : « والصحيح أن الآية عامة ، وإن كان سبب نزولها مشركي قريش ،  
فهي عامة لهم ولغيرهم ، والله أعلم »<sup>(٤)</sup> .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٧١/٢) .

(٢) ينظر: بحر العلوم (٣٥/٢) ، والمحزر الوجيز (٤٢٦/٦) ، والجامع لأحكام القرآن (١٢٦/١٠) ، وغرائب القرآن  
ورغائب الفرقان (٤٣٦/٣) ، والبحر المحيط (١٤/٥) ، وتفسير القرآن العظيم (١٥٥/٧) ، وتفسير مبهمات  
القرآن (٥٣٦/١) ، والجواهر الحسان (٣٨/٢) ، وفتح القدير (٤٨٨/٢) ، وفتح البيان (٢٤٥/٥) ، وتفسير  
القرآن الحكيم (١٧٨/١٠) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢٢٨/٢) ، والتحرير والتنوير (١٣٠/١٠) ، والعذب  
النمير (٢١٥٨/٥) .

(٣) المحزر الوجيز (٤٢٦/٦) وتابعه أبو حيان ، والثعالبي .

(٤) تفسير القرآن العظيم (١٥٥/٧) .

ويدل عليه تفسير أبي بكر الصديق للآية ، ففي عهده إلى الناس حين وجههم إلى الشام أنه قال : إنكم ستجدون قوماً مجوفة رؤوسهم فاضربوا مقاعد الشيطان منهم بالسيوف ، فوالله لأن أقتل رجلاً منهم أحب إليّ من أن أقتل سبعين من غيرهم ، وذلك بأن الله يقول :

﴿ فَاقْتُلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ ﴾<sup>(١)</sup> .

فاستعمال أبي بكر للآية هنا دليل على إفادتها العموم عنده ، والله أعلم .

قال السيد رشيد رضا : « والحق أنها صريحة في مشركي العرب أصحاب العهود مع المؤمنين مَنْ بقي منهم ، ويدخل في حكمها كل من كانت حاله مع المؤمنين كحالهم . فكل من يجمع بين عداوتهم بنكث عهودهم والظعن في دينهم فيجب عدّه من أئمة الكفر وله حكمهم »<sup>(٢)</sup> .

ولذا كان حذيفة يقول : « لم يأت أهلها بعد »<sup>(٣)</sup> .

وأما القول بأن أئمة الكفر هم أبوجهل ، وأمّية بن خلف ، وعتبة بن ربيعة ، وأبوسفيان بن حرب ، وسهيل بن عمرو ، فهو قول قتادة<sup>(٤)</sup> . وفي رواية عنه قال : فكان من أئمة الكفر ؛ أبوجهل بن هشام ... الخ ، وهم الذين هُمّوا بإخراجه<sup>(٥)</sup> . ونُسب إلى ابن عباس<sup>(٦)</sup> ، وأنس بن مالك<sup>(٧)</sup> .

(1) ينظر: فتح البيان للقتوجي (٢٤٥/٥) وعزاه لابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير .

(2) تفسير القرآن الحكيم (١٧٨/١٠) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٦٥/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٦١/٦) .

(4) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٨٦/٢) عن معمر ، عنه . ومن طريقه ابن جرير الطبري في جامع البيان

(٣٦٥/١١) . وأخرجه ابن جرير أيضاً (٣٦٤/١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٦١/٦) رقم (١٠٠٢٢) من

طريق محمد بن ثور ، عن معمر به . وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٣٦/٤) نسبه إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٦٣/١١-٣٦٤) من طريق يزيد ، عن سعيد ، عنه .

(6) ينظر: زاد المسير لابن الجوزي (٤٠٤/٣) . واقتصر الماوردي في النكت والعيون (٣٤٥/٢) على قوله : "إنهم

زعماء قريش" . ولم يسمهم . ونسبه السيوطي في الدر المنثور (١٣٦/٤) إلى أبي الشيخ . وأخرجه ابن جرير

الطبري في جامع البيان (٣٦٣/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٦٠/٦ ، ١٧٦١) من طريق عطية العوفي ،

عنه . وليس فيه ذكر لأسمائهم .

(7) نسبه السيوطي في الدر المنثور (١٣٦/٤) إلى ابن عساكر .

وقال ابن عمر <sup>(١)</sup> ، ومجاهد <sup>(٢)</sup> ، وسعيد بن جبير <sup>(٣)</sup> : أبوسفیان منهم .

قال ابن أبي حاتم : يعني قبل أن يسلم .

والقائلون بهذا القول من المفسرين منهم من يُعَيِّنُهُم بِأَسْمَائِهِمْ ، ومنهم من يكتفي بالقول بأنهم من قريش أو من أهل مكة . وعلى هذا مقاتل ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي <sup>(٤)</sup> . وذكره البيضاوي بصيغة ( قيل ) <sup>(٥)</sup> .

وأحسن ما يحمل عليه تفسير هؤلاء أنه على جهة المثال ، أي : أن هؤلاء المذكورين هم من رؤوس الكفر وقادته . وأما أنهم هم وغيرهم ليسوا منهم ممن كانت حالهم كحالهم فهو قول ضعيف ؛ لأن الآية نزلت بعد بَدْرٍ بكثير ، نزلت عام تسع أو قبل الفتح عام ثمان . وحين نزلت وقرئت على الناس كان الله قد استأصل شأفة قريش فلم يبق إلا مسلم أو مسالم <sup>(٦)</sup> .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الصواب في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَكُنُوا أَيْمَّةً

الْكَفْرِ ﴾ حملها على العموم ، وهو ما رجَّحه ابن جزيٍّ ومن وافقه . ويتأيد هذا بقاعدتين ترجيحيتين : الأولى : ( يجب حمل نصوص الوحي على العموم ) <sup>(٧)</sup> . والأخرى : ( العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ) <sup>(٨)</sup> ، والله تعالى أعلم .

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٦١/٦) رقم (١٠٠٢١) من طريق مجاهد ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٣٦/٤) نسبته إلى أبي الشيخ ، وابن مردويه .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٦٤/١١) .

(3) ذكره ابن أبي حاتم معلقاً في تفسيره (١٧٦١/٦) عقب (١٠٠٢١) .

(4) ينظر : تفسير مقاتل (١٥٩/٢) ، والوجيز (٤٥٥/١) والوسيط (٤٨٠/٢) ، وتفسير القرآن (٢٩٢/٢) ، ومعالم التنزيل (٢٥٤/٢) .

(5) ينظر : أنوار التنزيل (٣٩٨/١) .

(6) ينظر : الحرر الوجيز لابن عطية (٤٢٦/٦) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٢٦/١٠) ، والبحر المحيط لأبي حيان (١٤/٥) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٧٨/١٠) ، والعذب النمير (٢١٥٨/٥) وفيه حكي الإجماع على تأخر نزول هذه الآية كثيراً إلى عام تسع ، أو قبل الفتح عام ثمان .

(7) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (٥٢٧/٢) .

(8) ينظر : المصدر السابق (٥٤٥/٢) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ قَتَلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾

وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾

٤- الخلاف في المراد بالقوم المؤمنين في قوله تعالى :

﴿ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « ﴿ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ قيل : إهم خزاعة . والإطلاق أحسن » (١) .

العرض والمناقشة :

استحسن ابن جزيّ الإطلاق في المراد بقوم مؤمنين في قوله تعالى : ﴿ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ ، ولم يقيدها بخزاعة ولا غيرها . ووافق في هذا الطبري (٢) فإنه قدّمه وكأنّه يميل إليه ، وكذا البغوي (٣) أطلق ولم يحدد . وعليه أبوحيان ، وابن كثير ، والسعدي (٤) .

قال أبوحيان: « وجاء التركيب ﴿ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ ؛ ليشمل المخاطبين وكلّ مؤمن ؛ لأن ما يصيب أهل الكفر من العذاب والخزي هو شفاء لصدر كل مؤمن » (٥) . وقال ابن كثير : « وهذا عامّ في المؤمنين كلّهم » (٦) . وأما القول بأنهم خزاعة ، فهو مرّوي عن مجاهد (٧) ، وقتادة (٨) ،

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٧٢/٢) .

(2) ينظر: جامع البيان (٣٦٩/١١) .

(3) ينظر: معالم التنزيل (٢٥٥/٢) .

(4) ينظر: البحر المحيط (١٧/٥) ، وتفسير القرآن العظيم (١٥٦/٧) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢٢٩/٢) .

(5) البحر المحيط (١٧/٥) .

(6) تفسير القرآن العظيم (١٥٦/٧) .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٦٩/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٦٣/٦) رقم

(١٠٠٣٦ ، ١٠٠٣٥) من طرق عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٣٨/٤) نسبته إلى ابن المنذر، وأبي الشيخ .

(8) نسبه السيوطي في الدر المنثور (١٣٨/٤) إلى أبي الشيخ .

والسدّي<sup>(١)</sup>، وعكرمة<sup>(٢)</sup>. ونسب إلى ابن عباس<sup>(٣)</sup>.

وذهب إليه عامة المفسرين منهم : مقاتل، والنحاس، والسمرقندي، وابن أبي زمين، والواحدي، والسمعاني، والزمخشري، ومحمود النيسابوري، والرازي، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، والخازن، والقمي النيسابوري، والبلنسي، والسيوطي، وأبو السعود، والآلوسي، والقنوجي، والشنقيطي<sup>(٤)</sup>.

وقال السيد رشيد رضا<sup>(٥)</sup> - وتبعه تلميذه المراغي<sup>(٦)</sup> - : « كخزاعة ومن لم يهاجر لعجزه ».

وكذا البقاعي قال : « كخزاعة وغيرهم »<sup>(٧)</sup>.

وأما الطاهر ابن عاشور فقال : « هم خزاعة ، وتستلزم شفاء صدور المؤمنين كلهم »<sup>(٨)</sup>.

وذكر هذا القول الطبري بصيغة ( قيل ) ثم ذكر مَنْ قال به<sup>(٩)</sup>.

ودليل هذا القول : قصة نقض قريش العهد ومعاونتها لبني بكر على خزاعة حلفاء

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٧٠/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٦٣/٦) رقم (١٠٠٣٧) من طريق أسباط ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٣٨/٤) نسبه إلى أبي الشيخ .

(2) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٦٣/٦) عقب (١٠٠٣٥) .

(3) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٤٠٦/٣) .

(4) ينظر : تفسير مقاتل (١٦١/٢) ، ومعاني القرآن الكريم (١٩٠/٣) ، وبحر العلوم (٣٦/٢) ، وتفسير القرآن العزيز (١٩٧/٢) ، والوجيز (٤٥٦/١) والوسيط (٤٨١/٢) ، وتفسير القرآن (٢٩٢/٢) ، والكشاف (١٩/٣) ، وإيجاز البيان (٣٠٢/١) ، ومفاتيح الغيب (٦/٦) ، والجامع لأحكام القرآن (١٣٠/١٠) ، وأنوار التنزيل (٣٩٩/١) ، ومدارك التنزيل (١١٩/٢) ، ولباب التأويل (٢٠٥/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤٣٨/٣) ، وتفسير مبهمات القرآن (٥٣٦/١) ، وإرشاد العقل السليم (٣٨٩/٢) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢٤٢/٣) ، وروح المعاني (٦١/١٠) ، وفتح البيان (٢٤٩/٥) ، والعذب النمير (٢١٦٧/٥) - (٢١٦٨) .

(5) تفسير القرآن الحكيم (١٨٢/١٠) . بتصرف يسير .

(6) تفسير المراغي (٦٩/١٠) .

(7) نظم الدرر (٣٩٧/٨) .

(8) التحرير والتنوير (١٣٥/١٠) .

(9) ينظر : جامع البيان (٣٦٩/١١ - ٣٧٠) .

رسول الله < ، ثم نصر النبي > لخزاعة وفتح مكة حين نقضت قريش العهد <sup>(١)</sup> .  
واحتمل ابن عطية القولين فقال : « فإن الكلام يحتمل أن يريد جماعة المؤمنين ؛ لأن كل ما يهد من الكفر هو شفاء من همّ صدور المؤمنين . ويحتمل أن يريد تخصيص قوم من المؤمنين . ورؤي أنهم خزاعة ، قاله مجاهد والسدي . ووجه تخصيصهم : أنهم الذين نُقضَ فيهم العهد ونالتهم الحرب ، وكان يومئذ في خزاعة مؤمنون كثير » <sup>(٢)</sup> .  
وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن الأولى والأحسن هو حمل الآية على العموم والقول بالإطلاق ؛ لأن الآية وإن كانت واردة في "خزاعة" فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب <sup>(٣)</sup> ، والله تعالى أعلم .

- 
- (1) القصة مشهورة ومذكورة في كتب السيرة النبوية والتاريخ . ينظر: السيرة النبوية لابن هشام (٤٢/٥ وما بعدها)، ودلائل النبوة للبيهقي (٥/٥ وما بعدها) .  
(2) المحرر الوجيز (٤٣٠/٦) . وتبعه الثعالبي في الجواهر الحسان (٣٩/٢) .  
(3) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (٥٤٥/٢) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ ۗ

أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ ۗ

٥- الخلاف في معنى شهادة المشركين على أنفسهم بالكفر.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « ﴿ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ ۗ ﴾ أي : أن أحوالهم وأقوالهم تقتضي الإقرار بالكفر . وقيل : الإشارة إلى قولهم في التلبية : لا شريك لك إلا شريك هو لك »<sup>(١)</sup> .

### العرض والمناقشة :

رجح ابن جزي في قوله تعالى : ﴿ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ ۗ ﴾ أن معنى شهادتهم بذلك هي أن أحوالهم وأقوالهم تقتضي الإقرار بالكفر . ووافق في هذا معنى ما نُسِبَ إلى ابن عباس أنه قال : « شهادتهم على أنفسهم بالكفر سجودهم لأصنامهم »<sup>(٢)</sup> . ونُسِبَ أيضاً إلى الحسن<sup>(٣)</sup> . وقال السدي : « هو قول اليهودي : أنا يهودي ، وقول النصراني : أنا نصراني »<sup>(٤)</sup> . وعليه السمرقندي ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن عطية ، ومحمود النيسابوري ، والرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والقمي ، وابن كثير ، والبقاعي ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والآلوسي ، والقنوجي ، والسعدي<sup>(٥)</sup> .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٧٢) .

(٢) ينظر: الوسيط للواحدي (٢ / ٤٨٢) ، ومعالم التنزيل للبغوي (٢ / ٢٥٦) .

(٣) ينظر: المصدر الأخير ، والنكت والعيون للماوردي (٢/٣٤٦ - ٣٤٧) ، ولباب التأويل للخازن (٢/٢٠٦) ، وإرشاد العقل السليم (٢/٣٩١) .

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧ / ١٥٨) .

(٥) ينظر: بحر العلوم (٢ / ٣٨) ، وتفسير القرآن العزيز (٢ / ١٩٨) ، والوجيز (١ / ٤٥٧) والوسيط (٢ / ٤٨٢ - ٤٨٣) ، ومعالم التنزيل (٢ / ٢٥٦) ، والكشاف (٣ / ٢٠) ، والمحزر الوجيز (٦ / ٤٣٦) ، وإيجاز البيان (١ / ٣٠٣) ، ومفاتيح الغيب (٦ / ٩) ، وأنوار التنزيل (١ / ٣٩٩) ، ومدارك التنزيل (٢ / ١٢٠) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣ / ٤٤٢) ، وتفسير القرآن العظيم (٧ / ١٥٨) ، ونظم الدرر (٨ / ٤٠١) ، وإرشاد العقل السليم (٢ / ٣٩١) ، وفتح القدير (٢ / ٤٩٢ - ٤٩٣) ، وروح المعاني (١٠ / ٦٤) ، وفتح البيان

قال الرازي - وتبعه القمي - : « الأصح أنهم أقروا على أنفسهم بعبادة الأوثان وتكذيب القرآن وإنكار النبوة ، وكل ذلك كفر » .

وأما القول الآخر بأن معنى شهادتهم على أنفسهم بالكفر هو الإشارة إلى قولهم في التلبية : لا شريك لك إلا شريكاً هو لك ، فذكره الزمخشري بصيغة ( قيل ) (١) ، وتبعه على ذلك ابن عطية ، والشوكاني ، والآلوسي ، والقنوجي (٢) .

وجمع بين القولين السمعاني ، والسيد رشيد رضا ، والمرآغي ، والطاهر بن عاشور (٣) .  
قال ابن عاشور : « وشهادتهم على أنفسهم بالكفر حاصلة في كثير من أقوالهم وأعمالهم ، فمثل قولهم في التلبية ... ومثل سجودهم للأصنام ... » اهـ .

وجوز أبوحيان أن يكون المراد هو قولهم في التلبية ذلك ، وقولهم إذا سئلوا عن دينهم : نعبد اللات والعزى ، وتكذيبهم الرسول ، وقول المشرك : أنا مشرك كما يقول اليهودي : هو يهودي ، والنصراني : هو نصراني ... ، وظهور أفعال الكفرة من نصب أصنامهم ، وطوافهم بالبيت عراة (٤) .

وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن تجويز الأقوال كلها هو الأولى ، فتحمل الآية على العموم ؛ إذ كل قول وعمل وحال يدل على كفر المشركين ويشهد به ، فأحوالهم وأقوالهم وأعمالهم تقتضي الإقرار بالكفر والشهادة به على أنفسهم ، فيدخل في ذلك : سجودهم لأصنامهم ، وتلبيتهم الشركية ، وتكذيب الرسول < ونحو ذلك .

ويؤيد هذا القاعدة الترجيحية : ( يجب حمل نصوص الوحي على العموم ) (٥) ، والله تعالى أعلم .

(٥٣/٥) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/٢٣٠) .

(1) ينظر : الكشف (٣/٢٠) .

(2) ينظر : المحرر الوجيز (٦/٤٣٦) ، وفتح القدير (٢/٤٩٣) ، وروح المعاني (١٠/٦٤) ، وفتح البيان (٥/٢٥٣) .

(3) ينظر : تفسير القرآن (٢/٢٩٣) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٠/١٩٣) ، وتفسير المرآغي (١٠/٧٣) ، والتحرير والتنوير (١٠/١٤٠) .

(4) ينظر : البحر المحيط (٥/١٩) .

(5) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٥٢٧) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٢٣)

٦- الخلاف فيمن نزلت هذه الآية : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ

### وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « قيل : إنها نزلت فيمن تُبَطَّ عن الهجرة . ولفظها عام وكذلك حكمها »<sup>(١)</sup> .

### العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيِّ أن الآية الكريمة عامّة ، ولا تختصُّ بمن نزلت فيه على فرض صحّة ذلك . وعلى هذا ابن عطية، والقرطبي، والثعالبي، والشوكاني، والقنوجي، والسيد محمد رشيد رضا<sup>(٢)</sup> .

قال ابن عطية : « ظاهر هذه المخاطبة أنها لجميع المؤمنين كافة ، وهي باقية الحكم إلى يوم القيامة » .

وأما القول بأنها نزلت فيمن تُبَطَّ عن الهجرة إلى المدينة ، فرُوِيَ عن ابن عباس<sup>(٣)</sup> ، ونُسب إلى الكلبي<sup>(٤)</sup> . وعليه السمرقندي، والواحدي، والسمعي، والبغوي، والزخشي، والبيضاوي، والنسفي، والقمي النيسابوري، وأبو حيان، وأبو السعود، والآلوسي، والطاهر ابن عاشور، والشنقيطي<sup>(٥)</sup> .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٧٢) .

(٢) ينظر: المحرر الوجيز (٦ / ٤٤٤) ، والجامع لأحكام القرآن (١٠ / ١٣٩) ، والجواهر الحسان (٢ / ٤٢) ، وفتح القدير (٢ / ٤٩٦) ، وفتح البيان (٥ / ٢٥٨) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٠ / ٢٠٧) .

(٣) عزاه الزيلعي للثعلبي من رواية جوير ، عن الضحاك ، عنه . ينظر: تخريج أحاديث الكشاف (٢ / ٦٠) ، والكافي الشافي (٧٤) . وعزاه البغوي في معالم التنزيل (٢ / ٢٦٠) إلى الكلبي ، عن أبي صالح ، عنه . وينظر : تفسير القرآن للسمعي (٢ / ٢٩٧) ، وروح المعاني للآلوسي (١٠ / ٧٠) .

(٤) ينظر : أسباب النزول للواحدي (٢٨٠) .

(٥) ينظر: بحر العلوم (٢ / ٤٠) ، والوجيز (١ / ٤٥٨) ، وتفسير القرآن (٢ / ٢٩٧) معالم التنزيل (٢ / ٢٦٠) ،

قال الآلوسي : « ورُوِيَ أَنهَا نَزَلَتْ فِي حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ حِينَ كَتَبَ إِلَى قَرِيْشٍ بِعَزْمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى فَتْحِ مَكَّةِ ... وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ فَالْمَعْتَبَرُ عَمُومُ اللَّفْظِ لَا خِصُوصَ السَّبَبِ »<sup>(١)</sup> .

وقال السيد رشيد رضا : « وقيل : إن هذه الآية نزلت في قصته [ يعني حاطب ] ، وقيل : في امتناع العباس من الهجرة ، وقيل : في كل من ثقلت عليه الهجرة ... ولا يصحُّ من ذلك شيء »<sup>(٢)</sup> .

وهذا صحيح ، فإنه لم يصح في سبب نزولها ولا فيمن نزلت شيء . وبعد ، فإذا تقرر هذا فإنه على فرض صحة ما رُوِيَ في نزولها فإن الأولى هو حملها على العموم وكذا حكمها ؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب<sup>(٣)</sup> ، وحمل ألفاظ الوحي على العموم واجب إذا لم يقم الدليل الصحيح على التخصيص<sup>(٤)</sup> ، والله تعالى أعلم .

والكشفاف ( ٢٥ / ٣ ) ، وأنوار التنزيل ( ٤٠١ / ١ ) ، ومدارك التنزيل ( ١٢١ / ٢ ) ، وغرائب القرآن و رغائب الفرقان ( ٤٤٥ / ٣ ) ، والبحر المحيط ( ٢٢ / ٥ ) ، وإرشاد العقل السليم ( ٣٩٥ / ٢ ) ، وروح المعاني ( ٧٠ / ١٠ ) ، والتحرير والتنوير ( ١٥١ / ١٠ ) ، و العذب النمير ( ٥ / ٢١٩٩ - ٢٢٠١ ) .

(١) روح المعاني ( ٧٠ / ١٠ ) بتصرف .

(٢) تفسير القرآن الحكيم ( ٢٠٧ / ١٠ ) .

(٣) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين ( ٥٤٥ / ٢ ) .

(٤) ينظر : المصدر الأخير ( ٥٢٧ / ٢ ) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ  
عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾

### ٧- الخلاف في إعراب ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ﴾ .

قال ابن جزّي رحمه الله تعالى : « ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ﴾ عطف على مَوَاطِنَ أو منصوب  
بفعل مضمر ، وهذا أحسن ؛ لوجهين : أحدهما : أن قوله : ﴿ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ  
كَثْرَتُكُمْ ﴾ مختص بحنين ، ولا يصحُّ في غيره من المواطن ، فيضعف عطف ﴿ وَيَوْمَ  
حُنَيْنٍ ﴾ على المواطن ؛ للاختلاف الذي بينهما في ذلك . والآخر : أن المواطن ظرف  
مكان، ويوم حنين ظرف زمان ، فيضعف عطف أحدهما على الآخر ، إلا أن يريد بالمواطن  
الأوقات » (١) .

### العرض والمناقشة :

استحسن ابن جزّي أن ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ﴾ منصوب بفعل مضمر . ووافق في هذا  
الزمخشري (٢) .

وذكره أبوالسعود، والشوكاني بصيغة ( قيل ) (٣) .

وعلل ابن جزّي هذا القول بوجهين :

الأول : أن قوله تعالى : ﴿ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾ مختصُّ بحنين . وبيان  
ذلك : أن كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ، كما أنهم لم يكونوا كثيراً في جميعها .  
قال الزمخشري : « الواجب أن يكون يوم حنين منصوباً بفعل مضمر لا بهذا الظاهر ،  
وموجب ذلك أن قوله : ﴿ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾ بدل من يوم حنين ، فلو جعلت ناصبه  
هذا الظاهر لم يصح ؛ لأن كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ، ولم يكونوا كثيراً في

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٧٣) .

(2) ينظر: الكشاف (٣/ ٢٨) .

(3) ينظر: إرشاد العقل السليم (٢/ ٣٩٦) ، وفتح القدير (٢/ ٤٩٧) .

جميعها ، فبقي أن يكون ناصبه فعلاً خاصاً به ، إلا إذا نصبت "إذ" بإضمار "اذكر" «<sup>(١)</sup> .  
وقدح فيه السمين الحلبي من جهة أن الله تعالى لم يقل : في جميع المواطن حتى يلزم ما  
قال ، ويمكن أن يكون أراد بالكثرة الجميع ، كما يراد بالقلّة العدم <sup>(٢)</sup> .  
قال الرازي : « أي : واذكروا يومَ حنين من جملة تلك المواطن حال ما أعجبتكم  
كثرتكم » <sup>(٣)</sup> .

والوجه الآخر : أن المواطن ظرف مكان ، ويوم حنين ظرف زمان ، فعطف أحدهما  
على الآخر ضعيف ، إلا أن يريد بالمواطن الأوقات .  
قال الزمخشري : « ويجوز أن يراد بالموطن الوقت ك مقتل الحسين » <sup>(٤)</sup> .

وعلى القول بأن "يومَ حنين" معطوف على "مواطن" فهو محتمل للعطف على اللفظ  
وتقديره : ونصركم في يوم حنين . فأنحذف حرف الخفض في حال تقديره ، ولا حاجة إليه  
كما قاله السمين الحلبي <sup>(٥)</sup> . ومحتمل أيضاً للعطف على المحلّ والموضع وتقديره : ونصركم  
يومَ حنين .

وعلى هذا الإعراب : مكّي، والعكبري، والقرطبي، والبيضاوي، والقمي، وأبوحيان،  
والسمين، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والدرويش <sup>(٦)</sup> .  
وهو مفهوم كلام الطبري، والنحاس، وابن أبي زمنين، والواحدي، والخازن، والسيد  
رشيد رضا، والمراغي، والشنقيطي <sup>(٧)</sup> .

(1) الكشف ( ٢٨ / ٣ ) .

(2) ينظر : الدر المصون ( ٣٥ / ٦ ) .

(3) مفاتيح الغيب ( ١٨ / ٦ ) .

(4) الكشف ( ٢٨ / ٣ ) .

(5) ينظر : الدر المصون ( ٣٥ / ٦ ) .

(6) ينظر : مشكل إعراب القرآن ( ١ / ٣٢٦ ) ، والبيان ( ٢ / ٦٣٩ ) ، والجامع لأحكام القرآن ( ١٠ / ١٤٨ ) ،  
وأنوار التنزيل ( ١ / ٤٠١ ) ، وغرائب القرآن و رغائب الفرقان ( ٣ / ٤٤٧ ) ، والبحر المحيظ ( ٥ / ٢٤ ) ، والدر  
المصون ( ٦ / ٣٥ ) ، وفتح القدير ( ٢ / ٤٩٧ ) ، وروح المعاني ( ١٠ / ٧٣ ) ، والتحرير والتنوير ( ١٠ / ١٥٥ ) ،  
وإعراب القرآن الكريم وبيانه ( ٤ / ٧٩ ) .

(7) ينظر : جامع البيان ( ١١ / ٣٨٦ ) ، وإعراب القرآن ( ٢ / ٢٠٩ ) ومعاني القرآن الكريم ( ٣ / ١٩٤ ) ، وتفسير  
القرآن العزيز ( ٢ / ١٩٩ ) ، والوسيط ( ٢ / ٤٨٧ ) ، ولباب التأويل ( ٢ / ٢٠٩ ) ، وتفسير القرآن الحكيم

وهذا العطف جائز على إرادة المواطن بالأيام والأوقات ، كمقتل الحسين ، ومقدم الحجاج<sup>(١)</sup>.

ويجوز أن يقدر : في أيام موطن .

قال الطاهر : « لأن موطن الحرب تقتضي أياماً تقع فيها الحرب ، فتدلّ الموطن على الأيام كما تدلّ الأيام على الموطن ، فلما أضيف اليوم إلى اسم مكان عَلِمَ أنه موطن من موطن النصر ولذلك عطف بالواو ؛ لأنه لو لم يعطف لُتُوهُمَ أن الموطن كُلُّها في يوم حنين، وليس هو المراد . ولهذا فالتقدير : في موطن كثيرة وأيام كثيرة منها موطن حنين ويوم حنين»<sup>(٢)</sup> .

وذهب أبوحيان إلى جواز عطف ظرف الزمان على المكان<sup>(٣)</sup> .

وهكذا السمين الحلبي صحَّحَ عطف أحد الطرفين على الآخر من غير تقدير أحدهما ومن غير حاجة إلى تأويل الموطن بالوقت ، تقول : سرت أمامك يوم الجمعة<sup>(٤)</sup> .

قال الدرويش : « ولا مانع من عطف الطرفين المكاني والزماني أحدهما على الآخر كعطف أحد المفعولين على الآخر والفعل واحد ؛ إذ يجوز أن تقول : ضرب زيد عمراً في المسجد ويوم الجمعة ، كما تقول : ضربت زيداً وعمراً . ولا يحتاج إلى إضمار فعل جديد غير الأول ، هذا مع أنه لا بد من تغاير الفعلين الواقعيين بالمفعولين في الحقيقة . فإنك إذا قلت : "اضرب زيداً اليوم وعمراً غداً" لم يشك في أن الضربين متغايران بتغاير الطرفين ، ومع ذلك الفعل واحد في الصناعة . فعلى هذا يجوز في الآية بقاء كل واحد من الطرفين على حاله غير مؤول إلى الآخر»<sup>(٥)</sup> .

وقال البيضاوي : « ولا يمنع إبدال قوله : ﴿ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾ منه [أي: من "يوم حنين"] أن يعطف على موضع "في موطن" ؛ فإنه لا يقتضي تشاركهما فيما

(١٠ / ٢٢٥) ، وتفسير المراغي (١٠ / ٨٦) ، والعذب النمير (٥ / ٣٨٧ ط/أبوزيد) .

(1) ينظر: الكشف للزمخشري (٣ / ٢٨) .

(2) التحرير والتنوير (١٠ / ١٥٥) .

(3) ينظر: البحر المحيط (٥ / ٢٤) .

(4) ينظر: الدر المصون (٦ / ٣٥) .

(5) إعراب القرآن الكريم وبيانه (٤ / ٧٩ - ٨٠) .

أضيف إليه المعطوف حتى يقتضي كثرتهم وإعجابها إياهم في جميع المواطن»<sup>(١)</sup>.  
وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأعراب الثلاثة كلّها صحيحة وجائزة ، فيجوز عطف  
"يوم حنين" على "مواطن" ؛ على لفظه أو على موضعه ، كما يجوز أن يكون منصوباً بفعل  
مضمر ، والله تعالى أعلم .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ قَنِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ،

وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾

٨- الخلاف في تأويل قوله تعالى : ﴿عَنْ يَدٍ﴾ بين الحقيقة والكناية .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « ﴿عَنْ يَدٍ﴾ فيه تأويلان : أحدهما : دَفْعُ الذَّمِّ لها بيده لا بيعتها مع أحدٍ ولا يَمُطُّ بها ، كقولك : يَدًا بِيَدٍ . الثاني : عن استسلامٍ وانقياد ، كقولك : ألقى فلان بيده » (١) .

#### العرض والمناقشة :

قدّم ابن جُزَيِّ تأويل قوله تعالى : ﴿عَنْ يَدٍ﴾ بالحقيقة ترجيحاً له . وهو قول سفيان ابن عيينة (٢) . ورُوي عن ابن عباس (٣) .

وعليه أبو عبيدة، والطبري، والنحاس، والواحدي، والسعدي (٤) .

ودلّل له ابن جُزَيِّ بما ورد في حديث أبي سعيد الخدري في الرِّبَا ، وفيه قوله < : (يَدًا بِيَدٍ) (٥) .

قال الطبري : « تقول العرب لكلِّ مُعْطٍ قَاهِرًا له شَيْئًا ، طَائِعًا له أو كَارِهًا : أعطاه عن يده ، وعن يدٍ . وَذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِهِمْ : كَلَّمْتَهُ فَمَا لَفِمٍ ، وَلَقَيْتَهُ كَفَّةً لِكَفَّةٍ ، وَكَذَلِكَ :

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٧٤) .

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٧٨٠) .

(3) قال ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/ ٤٠٨) : وذلك قولٌ رُويَ عن ابن عباس من وَجِهٍ فيه نظر . ونسبه إليه الواحدي في الوسيط (٢/ ٤٨٩) ، والبغوي في معالم التنزيل (٢/ ٢٦٨) ، وابن العربي في أحكام القرآن (٢/ ٩٢٢) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ١٧٠) ، والخازن في لباب التأويل (٢/ ٢١٤) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٣٠) .

(4) ينظر : مجاز القرآن (١/ ٢٥٦) ، وجامع البيان (١٠/ ٤٠٦) ، ومعاني القرآن الكريم (٣/ ١٩٩) ، والوجيز (١/ ٤٦٠) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ٢٣٨) .

(5) أخرجه البخاري (١٠٩٧) ، ومسلم (١٥٨٤) . وأخرجه عن ابن عباس ، ابن ماجه (٢٦٨٣) .

أعطيته عن يَدٍ ليدٍ»<sup>(١)</sup> .

وأما التأويل الآخر لقوله تعالى : ﴿عَنْ يَدٍ﴾ بالكناية عن الاستسلام والقهر والذل، فهو مَرَوِيٌّ عن قتادة<sup>(٢)</sup> . ونسب إلى السدي<sup>(٣)</sup> .

وعليه الزجاج، والبعوي، ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي، والعكبري، والحازن، وابن التركماني، وابن القيم، وابن كثير<sup>(٤)</sup> .

وجاء في تهذيب اللغة والقاموس المحيط<sup>(٥)</sup> تفسير اليد بالاستسلام والذل .

ومنه بهذا الاستعمال قول عثمان : «هذه يدي لعمّار» . أي : أنا منقاد ومطيع له<sup>(٦)</sup> .

ويقال في خلافه : نزع يده من الطاعة ؛ لأن من أبي وامتنع ، لم يعط يده ، بخلاف المطيع المنقاد .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن من المفسرين من احتمال القولين؛ كابن عطية، والثعالبي، والآلوسي، والقاسمي<sup>(٧)</sup> . كما سوى بينهما مع تقديم الثاني : البيضاوي، والنسفي، والسيوطي، وأبوالسعود<sup>(٨)</sup> . وتفسير الطاهر بن عاشور على الجمع بينهما<sup>(٩)</sup> .

فإذا كان ذلك كذلك فإن الأولى بالتقديم هو القول بالحقيقة ، وحمّلها على ما يتبادر

(1) جامع البيان ( ٤٠٧ / ١٠ ) .

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ( ١٧٨٠ / ٦ ) رقم ( ١٠٠٣٦ ) . وزاد السيوط في الدر المنثور ( ١٦٨ / ٤ ) نسبه إلى أبي الشيخ .

(3) نسبه إليه ابن الجوزي كما في زاد المسير ( ٤٢٠ / ٣ ) .

(4) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ( ٤٨٩ / ٢ ) معالم التنزيل ( ٢٦٨ / ٢ ) ، وإيجاز البيان ( ٣٩٣ / ١ ) ، وتذكرة الأريب ( ٢٢٣ / ١ ) ، والتبيان ( ٦٤٠ / ٢ ) ، ولباب التأويل ( ٢١٤ / ٢ ) ، وبهجة الأريب ( ٢٤٤ / ١ ) ، وبدائع التفسير ( ٣٥١ / ٢ ) وأحكام أهل الذمة ( ٢٢ - ٢٥ ) ، وتفسير القرآن العظيم ( ١٧٦ / ٧ ) .

(5) تهذيب اللغة للأزهري ( ١٦٨ / ١٤ ) ، والقاموس المحيط للفيروز آبادي باب الواو والياء \_ فصل الياء ( ١٧٣٦ ) .

(6) ينظر : روح المعاني للآلوسي ( ٧٨ / ١٠ ) .

(7) ينظر : المحرر الوجيز ( ٤٦٠ / ٦ ) ، والجواهر الحسان ( ٤٥ / ٢ ) ، وروح المعاني ( ٧٨ / ١٠ ) ، ومحاسن التأويل ( ٣١٠٦ - ٣١٠٧ ) .

(8) ينظر : أنوار التنزيل ( ٤٠٢ / ١ ) ، ومدارك التنزيل ( ١٢٣ / ٢ ) ، وإرشاد العقل السليم ( ٣٩٩ / ٢ ) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٣ / ٥٢ ) .

(9) ينظر : التحرير و التنوير ( ١٦٦ / ١٠ ) .

منها أولى ، ولأنه يَرِدُ على قول من قال : عن ذلِّ وقهرٍ ، آخرُ الآية ، فإن معنى قوله : ﴿وَهُمْ صَغُرُونَ﴾ : وهم أذلاء مقهورون ، يقال للذليل الحقيير : صاغر<sup>(١)</sup> .

وعليه، فتنفسير ﴿عَنْ يَدٍ﴾ بالذلِّ والقهر يكون تكررًا - والله أعلم - والتأسيس أولى من التأكيد ؛ لأن التكرار للتأكيد . ويتأيد هذا القول بقاعدتين ترجيحيتين :  
- الأولى : ( يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة )<sup>(٢)</sup> .

- والأخرى : ( إذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد فحملة على التأسيس أولى )<sup>(٣)</sup> .  
والله تعالى أعلم .

(1) ينظر : جامع البيان للطبري ( ٤٠٧ / ١١ ) .

(2) قواعد الترجيح عند المفسرين ( ٣٨٧ / ٢ ) . وينظر : التسهيل لعلوم التنزيل ( ٩ / ١ ) . فقد جعل ابن جزيّ من وجوه الترجيح تقديم الحقيقة على المجاز .

(3) قواعد الترجيح عند المفسرين ( ٤٧٣ / ٢ ) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَنَلَهُمُ اللَّهُ أَن يَكُونُوا يَوْمَ كُونَ ﴾

### ٩- اختلاف أهل التأويل في القائل : ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « قال ابن عباس : إن هذه المقالة قالها أربعة من اليهود وهم : سَلَامُ بنِ مِشْكَمٍ ، ونُعْمَانُ بنِ أَوْفَى ، وشَأْسُ بنِ قَيْسٍ ، ومالك بن الصَّيْفِ . وقيل : لم يقلها إلا فَنَحَاصُ . ونسب ذلك إلى جميعهم ؛ لأنهم متبعون لمن قالها . والظاهر أن جماعتهم قالوها ؛ إذ لم ينكروها حين نُسبت إليهم » (١) .

#### العرض والمناقشة :

اختلف المفسرون في تعيين قائل هذه المقالة : ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ على أقوال ، ذكر ابن جُزَيِّ منها ثلاثة وهي :

القول الأول : قول ابن عباس : أن أربعة من اليهود قالوها وهم : سَلَامُ بنِ مِشْكَمٍ ، ونُعْمَانُ بنِ أَوْفَى ، وشَأْسُ بنِ قَيْسٍ ، ومالك بن الصَّيْفِ (٢) . وهذا القول عليه أكثر المفسرين ومنهم : الجصاص، والسمعاني، والزنجشيري، والقمي ، وأبو حيان ، والبلنسي، والثعالبي، والبقاعي، والسيد رشيد رضا، والمراغي، والشنقيطي (٣) .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٧٤) .

(٢) أخرجه ابن إسحاق \_ كما في سيرة ابن هشام ١/ ٥٧٠ \_ وأخرجه الطبري ١١/ ٤٠٩ ، وابن أبي حاتم (١٧٨١/٦) (١٠٠٤٣) من طريق سعيد بن جبيرة أو عكرمة ، عنه . وزاد السيوطي في الدر (٤/ ١٧٠ - ١٧١) نسبة إلى أبي الشيخ ، وابن مردويه . وإسناده ضعيف ، فيه : محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، مجهول .

(٣) ينظر : أحكام القرآن (٤/ ٢٩٩) ، تفسير القرآن (٢/ ٣٠٢) ، الكشاف (٣/ ٣٣) ، غرائب القرآن و رغائب الفرقان (٣/ ٤٥٥) ، البحر المحيط (٥/ ٣١) ، تفسير مبهمات القرآن (١/ ٥٣٨) ، الجواهر الحسان (٢/ ٤٥) ، نظم الدرر (٨/ ٤٣٨) ، تفسير القرآن الحكيم (١٠/ ٢٩٣، ٢٩٤) ، تفسير المراغي (١٠/ ٩٨) ، العذب النмир (٥/ ٢٢٦٤) .

وهو مفهوم كلام ابن عطية ، والقرطبي <sup>(١)</sup> .  
القول الثاني : أنه لم يقلها إلا واحد وهو فنحاصُ .  
وهذا قول عبد الله بن عبيد بن عمير <sup>(٢)</sup> . ونسب لابن عمر <sup>(٣)</sup> ، وابن جريج <sup>(٤)</sup> .  
وذكره ابن جزيّ بـ ( قيل ) ومثله : الزمخشري <sup>(٥)</sup> .  
وهذا القول يندرج في القول الذي قبله من جهة أنه قولٌ لبعض اليهود .  
ولذا فقد ذهب جماعة من المفسرين إلى أنه قول لبعض اليهود من غير تحديد وتعيين  
لهم ، منهم : البيضاوي ، وابن تيمية ، والآلوسي ، وسليمان الجمل ، والسعدي ، وابن  
عاشور <sup>(٦)</sup> .

قال السيد رشيد رضا : « وقد اتفق المفسرون على إن إسناد هذا القول إليهم يراد به  
بعضهم لا كلهم » <sup>(٧)</sup> .  
وهذان القولان يستدل لهما بما يلي :

١- النظائر القرآنية ؛ كقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا  
لَكُمْ ﴾ [ آل عمران : ١٧٣ ] . فلم يقل جميع الناس ، ولا قال : إن جميع الناس قد جمعوا  
لكم ؛ بل المراد به الجنس <sup>(٨)</sup> . فكذلك قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ ﴾ هذا لفظ خرج  
على العموم ومعناه الخصوص ؛ لأنه ليس كل اليهود قالوا ذلك <sup>(٩)</sup> .  
٢- المعروف من مخاطبات الناس وكلامهم أنه يقال : الطائفة الفلانية تفعل كذا ،

- 
- (1) ينظر : المحرر الوجيز (٦ / ٤٦١) ، الجامع لأحكام القرآن (١٠ / ١٧٢) .
  - (2) أخرجه الطبري (١١ / ٤٠٨ - ٤٠٩) عن القاسم ، ثنا الحسين ، ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عنه .
  - (3) نسبه له ابن الجوزي في زاد المسير (٣ / ٤٢٢ ، ٤٢٣) .
  - (4) أخرجه ابن المنذر كما في الدر المنثور للسيوطي (٤ / ١٧١) ونسبه له ابن الجوزي .
  - (5) ينظر : الكشاف (٣ / ٣٣) .
  - (6) ينظر : أنوار التنزيل (١ / ٤٠٣) ، ومجموع الفتاوى (١٥ / ٤٧) ، وروح المعاني (١٠ / ٨٠) ، والفتوحات  
الإلهية (٢ / ٢٥٣) ، وتيسير الكريم المنان (٢ / ٢٣٩) ، والتحرير والتنوير (١٠ / ١٦٨) .
  - (7) تفسير القرآن الحكيم (١٠ / ٢٩٣) .
  - (8) ينظر : مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٥ / ٤٧) .
  - (9) ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠ / ١٧٣) .

والمراد بعضهم . وأهل البلد الفلاني يفعلون كذا ، والمراد بعضهم <sup>(١)</sup> .  
قال الجصاص : « وهو كقول القائل : الخوارج ترى الاستعراض وقتل الأطفال ،  
والمراد فرقة منهم لا جميعهم . وكقولك : جاءني بنو تميم ، والمراد بعضهم » <sup>(٢)</sup> .  
وقال الرازي : « وعلى هذين القولين فالقائلون بهذا المذهب بعضُ اليهود إلا أن الله  
نسب ذلك القول إلى اليهود بناءً على عادة العرب في إيقاع اسم الجماعة على الواحد .  
يقال : فلان يركب الخيول ، ولعله لم يركب إلا واحداً منها . وفلان يجالس السلاطين ،  
ولعله لا يجالس إلا واحداً » <sup>(٣)</sup> .  
القول الثالث : أن القائل هم جماعة اليهود . وقد رجَّحه ابن جُزَيِّ ، ووافق في هذا ما  
رَوِيَ عن ابن عباس أنهم جميع بني إسرائيل <sup>(٤)</sup> ، وكذا السدِّي <sup>(٥)</sup> .  
وهذا قول مقاتل ، والكليبي <sup>(٦)</sup> . ورجَّحه الشوكاني ، وتابعه تلميذه القنوجي <sup>(٧)</sup> .  
وهو مفهوم كلام الفراء ، والسمرقندي ، والواحدي <sup>(٨)</sup> .  
واستدل له بظاهر التلاوة .

قال الشوكاني : « وظاهر قوله : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ ﴾ أن هذه المقالة  
لجميعهم » . اهـ . ثم ذكر الأقوال الأخرى بصيغة ( قيل ) .  
وبعد ، فإذا تقرر هذا فإنه لا تعارض بين القولين فيما يظهر ، فمن لم يقل هذه المقالة  
ابتداءً فقد قالها ارتضاءً ، ولذا نسبها الله إليهم فقال : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ ﴾ . ونسب

- 
- (1) ينظر : مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام .
  - (2) أحكام القرآن ( ٤ / ٢٩٩ ) . وقال محمود النيسابوري في إيجاز البيان ( ١ / ٣٠٤ ) : « فهو كقولك : الخوارج تقول بتعذيب الأطفال ، وإنما يقوله الأزارقة منهم » ..
  - (3) مفاتيح الغيب ( ٦ / ٢٨ ) . وينظر : لباب التأويل للخازن ( ٢ / ٢١٥ ) ، ونظم الدرر للبقاعي ( ٨ / ٤٣٨ ) .
  - (4) وهو مفهوم رواية العوفي ، عنه . أخرجه الطبري ( ١١ / ٤٠٩ ) ، وابن أبي حاتم ( ٦ / ١٧٨١ ) وزاد السيوطي في الدر ( ٤ / ١٧٠ - ١٧١ ) نسبتها إلى ابن إسحاق وأبي الشيخ وابن مردويه .
  - (5) أخرجه الطبري ( ١١ / ٤١٠ ) وابن أبي حاتم ( ٦ / ١٧٨١ ، ١٧٨٢ ) من طريق أحمد بن المفضل ، ثنا أسباط ، عنه .
  - (6) ينظر : تفسير مقاتل بن سليمان ( ٢ / ١٦٧ ) ، معالم التنزيل للبغوي ( ٢ / ٢٧١ ) .
  - (7) ينظر : فتح القدير ( ٢ / ٥٠٤ ) ، فتح البيان ( ٥ / ٢٨١ ) .
  - (8) ينظر : معاني القرآن ( ١ / ٤٣٢ ) ، بحر العلوم ( ٢ / ٤٥ ) ، الوسيط ( ٢ / ٤٨٩ ) .

ذلك إلى جميعهم وإن كان قول بعضهم ؛ لأمرين :

- (١) أن إيقاع اسم الجماعة على الواحد معروف في اللغة ، تقول العرب : جئت من البصرة على البغال ، وإن كان لم يركب إلاّ بغلاً واحداً .
- (٢) أن من لم يقله ، لم ينكره <sup>(١)</sup> .
- قال ابن تيمية : « وإذا قال بعضهم فسكت الباقون ولم ينكروا ذلك فإنهم يشتركون في إثم القول ، والله أعلم » <sup>(٢)</sup> .

(1) ينظر : النكت والعيون للماوردي (٣٥٣/٢) ، زاد المسير لابن الجوزي (٤٢٤ /٣) .

(2) مجموع الفتاوى (٤٧ /١٥) . تنبيهان : الأول : تردّد النسفي (١٢٣ /٢) فقال : كلهم أو بعضهم . ولا وجه له . والآخر : قال الجصاص (٢٩٩ /٤) : وليس في اليهود من يقول ذلك الآن فيما نعلم ، وإنما كانت فرقة منهم قالت ذلك فانقرضت . اهـ . ونقل ابن عطية (٤٦١ /٦) عن النقاش نحو هذا . وينظر : تفسير القرآن للسمعاني (٣٠٢ /٢) . وتبعه على هذا جماعة ، فالله أعلم .

قَالَ تَعَالَى:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَجْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ  
بِالْبَاطِلِ وَيُصَدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ  
وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾  
١٠- الخلاف في عائد الضمير في قوله تعالى : ﴿وَلَا يُنْفِقُونَهَا﴾ .

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « ﴿وَلَا يُنْفِقُونَهَا﴾ الضمير للأموال والكنوز التي  
يتضمنها المعنى . وقيل : هي الفضة ، واكتفى في ذلك عن الذهب ؛ إذ الحكم فيهما  
واحد»<sup>(١)</sup> .

#### العرض والمناقشة :

رجح ابن جزي أن الضمير في قوله تعالى : ﴿وَلَا يُنْفِقُونَهَا﴾ عائد على الأموال  
والكنوز التي يتضمنها المعنى . ووافق في ترجيحه هذا ما ذهب إليه مقاتل ، والسمرقندي ،  
وابن عطية ، وابن الجوزي ، والخازن ، والبقاعي ، والسيوطي ، والطاهر بن عاشور<sup>(٢)</sup> .  
واستدلوا له بأن المعنى يدل عليه فإن « الذهب والفضة هي الكنوز في هذا الموضع»<sup>(٣)</sup> .  
قال الزمخشري : « ذهاباً بالضمير إلى المعنى دون اللفظ ؛ لأن كل واحد منهما جملة  
وافية ، وعدة كثيرة ، ودنانير ودراهم ، فهو كقوله : ﴿وَأَن طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ  
أَفْتَلُوا﴾»<sup>(٤)</sup> [ الحجرات : ٩ ] .

وقال البقاعي : « ولما كان من المعلوم أنهما [ أي الذهب والفضة ] أجلُّ أموال الناس ،  
وكان الكثر دالاً على المكثرة فيهما ، أعاد الضمير عليهما بما يدل على الأنواع الكثيرة

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٧٥) .

(2) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ١٦٩) ، وبحر العلوم (٢/ ٤٧) ، والحرر الوجيز (٦/ ٤٧٥) ، وتذكرة الأريب  
(١/ ٢١٤) ، ولباب التأويل (٢/ ٢١٩) ، ونظم الدرر (٨/ ٤٤٧) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية  
٣/ ٢٥٨) ، والتحرير والتنوير (١٠/ ١٧٧) .

(3) جامع البيان للطبري (١١/ ٤٣٥) . وينظر : بحر العلوم (٢/ ٤٧) .

(4) الكشف (٣/ ٤٠) .

فقال: ﴿وَلَا يَنْفِقُونَهَا﴾ أي : ينفقون ما وجب عليهم من هذه الأموال التي جمعوها من هذين النوعين مجتمعين أو منفردين ، ولو تئى لأوهم أن اجتماعهما شرط للترهيب «<sup>(١)</sup> .

وأما القول الآخر بأن الضمير في قوله تعالى : ﴿وَلَا يَنْفِقُونَهَا﴾ عائدٌ إلى الفضة ، فاختاره ابن الأنباري، والواحدي، والشنقيطي<sup>(٢)</sup> . وقدمه الشوكاني، وتبعه القنوجي<sup>(٣)</sup> .  
واستدلوا له بـ :

— أن الفضة أقرب مذكور .  
— وأنها أعمُّ وأغلب أموال الناس .  
— وأن الدَّمَّ على كثرتها — والحاجة إليها لكثرتها — أقلُّ ، فالذَّمُّ على كثرة الذهب من باب الأولى ؛ لأنه أعلى منها وأعزَّ<sup>(٤)</sup> .

قال الطبري : « استغنى بالخبر عن إحداهما في عائد ذكرهما من الخبر عن الأخرى ؛ لدلالة الكلام على أن الخبر عن الأخرى مثل الخبر عنها »<sup>(٥)</sup> .

وقالوا : يكثر في كلام العرب وأشعارها رجوع الضمير على أحد المتعاطفين بـ(الواو) أو (الفاء) أو (أو) اكتفاءً ببعضهما ؛ لأن الآخر مفهوم منه . تفعل العرب ذلك إذا أشركوا بين اثنين قصرُوا فخبَّروا عن أحدهما استغناءً بذلك وتخفيفاً ؛ لمعرفة السامع بأن الآخر قد شاركه ودخل معه في ذلك الخبر . وهو أسلوب عربي نزل به القرآن<sup>(٦)</sup> .

ومن أمثلة ذلك في القرآن :

— قوله تعالى : ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ [ البقرة : ٤٥ ] فجعله للصلاة .

— وقوله تعالى : ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ﴾ [ الأنفال : ٢٠ ] فجعله لرسوله .

(1) نظم الدرر (٨/ ٤٤٦-٤٤٧) .

(2) ينظر : الوسيط للواحدى (٢/ ٤٩٢) ، والعذب النميز (٥/ ٢٢٧٨) .

(3) ينظر : فتح القدير (٢/ ٥٠٩) ، وفتح البيان (٥/ ٢٩٤) .

(4) ينظر : المصدر السابق ، وروح المعاني للآلوسي (١٠/ ٨٨) .

(5) جامع البيان (١١/ ٤٣٥) .

(6) ينظر : المصدر السابق ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٢٥٧-٢٥٨) والعذب النميز للشنقيطي (٥/ ٢٢٧٨) .

- وقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ ﴾ [ التوبة : ٦٢ ] فجعله لرسوله .
- وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا ﴾ [النساء : ١١٢] فجعله للإثم ، والله تعالى أعلم .
- وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا ﴾ [الجمعة : ١١] فجعله للتجارة<sup>(١)</sup> .
- ونازع ابن عطية في هذا بأن آية التوبة ﴿ وَلَا يُنْفِقُونَهَا ﴾ لا تشبه آية الجمعة هذه ؛ لأن (أَوْ) قد فصلت التجارة عن اللهو وحسنت عود الضمير على أحدهما دون الآخر<sup>(٢)</sup> .
- ومن أمثله في أشعار العرب :
- قول امرئ القيس<sup>(٣)</sup> :
- فتوضح فالمقراة لم يعفُ رسمها  
فردّه على أحدهما ، ولم يقل : رسمها .
- وقول نابغة ذبيان<sup>(٤)</sup> :
- وقد أراي و نُعماً لاهيين بها  
والدهر والعيش لم يههم بامرار
- ولم يقل : ولم يههما .
- وقول حسان بن ثابت<sup>(٥)</sup> :
- إن شرخ الشباب والشعر الأُسـ  
وَدَ ما لم يُعاصَ كان جنونا
- ولم يقل : ما لم يعاصيا .

(1) ينظر : المصادر السابقة ، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٤٣٤) ، والنكت والعيون للماوردي (٢/ ٣٥٩) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٤٢٩) ، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/ ٢٧٧) ، وكشف المشكلات للباقولي (٥٠٠/١) .

(2) ينظر : المحرر الوجيز (٦/ ٤٧٦) . وتبعه أبوحيان في البحر المحيط (٤/ ٣٦) .

(3) ديوان امرئ القيس (١/١) .

(4) ديوان النابغة الذبياني (٣١/١) .

(5) ديوان حسان (٢٥٢) .

- وقول جرير <sup>(١)</sup> :

ما كان حَيْنَكَ والشقاء لينتهي حتى أزورك في مُغارٍ مُحْصَدٍ

ولم يقل : لينتهيا .

- وقول الآخر <sup>(٢)</sup> :

فمن يك أمسى بالمدينة رَحْلُهُ فإني وقْيَارٌ بها لغريب

ولم يقل : لغريبين .

- وقول الآخر <sup>(٣)</sup> :

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأي مختلف

ولم يقل : راضون .

- وقول الآخر <sup>(٤)</sup> :

إني ضمنت لمن أتاني ما جَنَى وأبي وكان وكنت غير غَدُورٍ

ولم يقل : غدورين .

فاكتفي في ذلك كله بأحدهما دون الآخر <sup>(٥)</sup> .

وزهد الزمخشري، وتبعه البيضاوي، والنسفي، وأبو السعود، والآلوسي، والقاسمي،

(1) لم أقف عليه .

(2) نسبه في تاج العروس (٣١٦/١) لضابيء بن الحارث البرجمي ثم البربوعي من بني تميم . وقْيَارٌ : حَمَلُ ضَائِي

ابن الحارث البرجمي قاله الجوهرِيُّ أو فرسه ، قال الأزهرِيُّ : وَسَمِّيَ قِيَارًا لِسَوَادِهِ . يقول : مَنْ كَانَ بِالْمَدِينَةِ

بَيْتَهُ وَمَنْزِلَهُ ، فَلَسْتُ مِنْهَا وَلَا لِي بِهَا مَنْزَلٌ . ينظر : تاج العروس (٥٠٠/١٣) .

(3) الكتاب لسيبويه (٧٥/١) ونسبه لقيس بن الخطيم . ونسبه صاحب جمهرة أشعار العرب (١٢ ، ٢٠٠) لعمر بن

امرئ القيس ، وهو ما رجحه البغدادي في الخزانة (٢٨٣/٤) . ونسبه ابن الأنباري في الإنصاف (٩٥/١)

لدرهم بن زيد الأنصاري . والبيت في ديوان حسان بن ثابت (١٨٩/١) ، وبلا نسبة في تهذيب اللغة

(١٣٧/١) ، ولسان العرب (٣٦٠/٣) و(٤٦/٥) .

(4) البيت للفرزدق كما في تهذيب اللغة (١٣٧/١) ، ولسان العرب (٣٦٠/٣) .

(5) ينظر : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (٢٨٨) ، الصاحبي لابن فارس (٣٦٢) ، فقه اللغة للثعالبي (٢٩٨) ،

المدخل للحدادي (٢٧٤) ، البرهان في علوم القرآن للزركشي (١٢٦/٣) و(٢٨/٤) ، (٣٠) ، الإتيقان للسيوطي

(٢٨٣/٢) ، الكليات للكفوي (٣٨٦ ، ٥٦٩) ، العذب النمير (٤٨/١-٤٩ ، ٢٧٢-٢٧٣) و(٥٤/٥-٤٥٤)

٤٥٥ ط أبو زيد) ، قواعد التفسير لخالل السبب (٤٠٦/١) .

والسيد محمد رشيد رضا <sup>(١)</sup> : إلى أن الضمير عائد إلى الدنانير والدرهم المضروبة من كل من الذهب والفضة ؛ لأنها هي المعدّة للإتفاق ، والوسيلة للمنفعة والارتفاق . وكل مثني له أفراد لكل من نوعيه يجوز إرجاع الضمير بعده إلى جملة الأفراد من نوعيه ؛ كقوله تعالى :

﴿ وَإِنْ طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ﴾ .

وهذا القول لا تعارض - فيما يظهر - بينه وبين القول الأول الذي رجّحه ابن جزيّ، من جهة أن الضمير يعود إلى المعنى المفهوم من لفظ الذهب والفضة ، فالأولون قالوا : هي الأموال والكنوز ، وهؤلاء قالوا : الدنانير والدرهم ، والخطب يسير .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن كلا القولين صحيح وجائز ، فمن نظر إلى المعنى أعاد الضمير إلى الأموال والكنوز أو الدنانير والدرهم ، ومن نظر إلى اللفظ أعاد الضمير إلى الفضة ؛ لأنها أقرب مذكور ، والذهب من باب أولى . والقرآن يدلّ عليهما معاً فوجب حمل الآية على الجميع ، وهو أولى من أطراح وإهمال أحدهما، والله تعالى أعلم .

وعلى جواز القولين : الفراء، والزجاج، والنحاس، والجصاص، وابن العربي ، والعكبري، والرازي، والقرطبي <sup>(٢)</sup> .

واحتملها معاً الطبري <sup>(٣)</sup> . وسوّى بينهما بـ ( أو ) : أبوحيان، والنسفي <sup>(٤)</sup> .

(1) ينظر : الكشف (٣ / ٤٠) ، وأنوار التنزيل (١ / ٤٠٤) ، ومدارك التنزيل (٢ / ١٢٤) ، وإرشاد العقل السليم (٢ / ٤٠٤) ، وروح المعاني (١٠ / ٨٨) ، ومحاسن التأويل (٨ / ٣١٤٠) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٠ / ٣٥٩) .

(2) ينظر : معاني القرآن (١ / ٤٣٤) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢ / ٤٤٥) ، ومعاني القرآن الكريم (٣ / ٢٠٢) ، وأحكام القرآن (٤ / ٣٠٠) ، وأحكام القرآن (٢ / ٩٣٢) ، والتبيان (٢ / ٦٤١) ، ومفاتيح الغيب (٦ / ٣٨) ، والجامع لأحكام القرآن (١٠ / ١٨٨) .

(3) ينظر : جامع البيان (١١ / ٤٣٥) .

(4) ينظر : البحر المحيط (٥ / ٣٦) ، ومدارك التنزيل (٢ / ١٢٤) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَتْلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يَقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٣٦)

في هذه الآية الكريمة مسألتان :

المسألة الأولى هي :

١١- الخلاف في المراد بـ كِتَابِ اللَّهِ في قوله تعالى : ﴿ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « ﴿ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ أي : في اللوح المحفوظ .  
وقيل : في القرآن . والأول أرجح ؛ لقوله : ﴿ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ (١) .  
العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ أن المراد بكتاب الله في قوله تعالى : ﴿ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ

اللَّهِ ﴾ هو اللوح المحفوظ . ووافق في هذا المعنى ما رُوِيَ عن ابن عباس (٢) ، والسدي (٣) .  
وعليه مقاتل ، والطبري ، والسمرقندي ، والواحدي ، وابن العربي ، وابن عطية ، ومحمود  
النيسابوري ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، والخازن ، والقمي ، وأبو حيان ، والثعالبي ، والسيوطي ،  
والألوسي ، والسيد رشيد رضا (٤) .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٧٥) .

(2) نسبه إليه الواحدي في الوجيز (٢ / ٤٩٤) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٣ / ٤٣٢) ، والقمي في غرائب

القرآن وרגائب الفرقان (٣ / ٤٦٣) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٥ / ٣٨) أنه قال : في الإمام الذي عند الله .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١ / ٤٤٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦٠ / ١٧٩١) رقم (١٠٠٩٨) من طريق أسباط ، عنه .

(4) ينظر : تفسير مقاتل (٢ / ١٦٩) ، وجامع البيان (١١ / ٤٤٠ ، ٤٤٣) ، وبحر العلوم (٢ / ٤٨) ، والوجيز

(١ / ٤٦٢) (٢ / ٤٩٤) ، والوسيط (٢ / ٤٩٤) ، وأحكام القرآن (٢ / ٩٣٨) ، والمحزر الوجيز (٦ / ٤٨٤) ، ووضح

البرهان (١ / ٣٩٦) وإيجاز البيان (١ / ٣٠٥) ، وزاد المسير (٣ / ٤٣٢) وتذكرة الأريب (١ / ٢١٤) ،

والجامع لأحكام القرآن (١٠ / ١٩٥) ، ولباب التأويل (٢ / ٢٢٠) ، وغرائب القرآن ورجائب الفرقان

(٣ / ٤٦٣) ، والبحر المحيط (٥ / ٣٨) ، والجواهر الحسان (٢ / ٤٩) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية

وذكره السمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، والخازن بصيغة ( قيل )<sup>(١)</sup> .

واستدل له ابن جزيّ بقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ .  
قال السيد رشيد رضا : « ولكن ذكر خلق السماوات والأرض أشدّ مناسبة لهذا القول »<sup>(٢)</sup> .

كما استدل السيد رضا له بقوله تعالى : ﴿ قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾ [ طه : ٥٢ ] ، وبقوله : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ [ الرعد : ٣٨ ] ، وبقوله : ﴿ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ ﴾ [ المجادلة : ٢٢ ] ، وبقوله : ﴿ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَآءَ ﴾ [ الحشر : ٣ ] .

ووجه ذلك : أن الكتاب هنا هو اللوح المحفوظ . والكتابة هي في اللوح المحفوظ ، والله أعلم .

وقال القرطبي : « يريد اللوح المحفوظ ، وأعادته بعد أن قال : ﴿ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ ؛ لأن كثيراً من الأشياء يوصف بأنه عند الله ، ولا يقال : إنه مكتوب في كتاب الله ، كقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ »<sup>(٣)</sup> [ لقمان : ٣٤ ] .

وأما القول الثاني بأنه القرآن ، فعليه القنّوجي<sup>(٤)</sup> . وهو مفهوم كلام الشوكاني<sup>(٥)</sup> . وذكره القمي ، وأبوحيان ، والآلوسي<sup>(٦)</sup> .

وعلة هذا القول : أن السنة المعتمدة في هذه الشريعة هي السنة القمرية ، وهذا الحكم في

٣ / ٢٥٩ ) ، وروح المعاني ( ١٠ / ٨٩ ) ، وتفسير القرآن الحكيم ( ١٠ / ٣٦٦ ) .

(١) ينظر : تفسير القرآن ( ٢ / ٣٠٧ ) ، ومعالم التنزيل ( ٢ / ٢٧٨ ) ، والكشاف ( ٣ / ٤١ ) ، ولباب التأويل ( ٢ / ٢٢٠ ) .

(٢) تفسير القرآن الحكيم ( ١٠ / ٣٦٧ ) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ( ١٠ / ١٩٥ ) .

(٤) ينظر : فتح البيان ( ٥ / ٢٩٦ ) .

(٥) ينظر : فتح القدير ( ٢ / ٥١٢ ) .

(٦) ينظر : غرائب القرآن و رغائب الفرقان ( ٣ / ٤٦٣ ) ، والبحر المحيظ ( ٥ / ٣٨ ) ، وروح المعاني ( ١٠ / ٨٩ ) .

القرآن؛ في قوله تعالى : ﴿ وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾ [يونس: ٥] ، وفي قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾<sup>(١)</sup> [البقرة: ١٨٩] .

قال الألوسي : « وليس بشيء »<sup>(٢)</sup> .

واختار السمعاني أن المراد بقوله تعالى : ﴿ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ أي : في حكم الله التشريعي<sup>(٣)</sup> . وعلى هذا القول : البغوي، والزمخشري، والرازي<sup>(٤)</sup> . وذكره السيد رشيد رضا بصيغة ( قيل )<sup>(٥)</sup> .

واستدل له بأن إطلاق الكتاب بهذا المعنى معروف ، ومنه : قوله تعالى بعد سرد المحرمات في النكاح : ﴿ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ [النساء : ٢٤] . وقال : ويناسبه قوله : ﴿ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ﴾ .

كما استدلل لهذا القول بقوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ ﴾ [البقرة : ٢١٦] ، وقوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ ﴾ [البقرة : ١٧٨] . قالوا : الكتاب في هذا الموضع الحكم والإيجاب . يقال : الأمر كذا وكذا في حساب فلان وحكمه<sup>(٦)</sup> .

وذهب السعدي إلى أن المراد : في حكمه القدري<sup>(٧)</sup> .

وقال الطاهر بن عاشور : « في تقديره ... ؛ كقوله : ﴿ كُنُوبًا مُّوجِبَةً ﴾ [آل عمران :

(1) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان (٥ / ٣٨) ، وفتح البيان (٥ / ٢٩٦) .

(2) روح المعاني (١٠ / ٨٩) .

(3) ينظر : تفسير القرآن (٢ / ٣٠٧) .

(4) ينظر : معالم التنزيل (٢ / ٢٧٨) ، والكشاف (٣ / ٤١) ، ومفاتيح الغيب (٦ / ٤١) .

(5) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (١٠ / ٣٦٦) .

(6) ينظر : مفاتيح الغيب للرازي (٦ / ٤١) .

(7) ينظر : تيسير الكريم الرحمن (٢ / ٢٤٣) .

١٤٥] أي : قدرًا محددًا»<sup>(١)</sup> .

وسوّى البيضاوي ، وأبو السعود ، والقاسمي بين القول بأنه اللوح المحفوظ ، والقول بأنه في حكمه بصيغة (أو) مع تقديم الأول<sup>(٢)</sup> . وعكس النسفي<sup>(٣)</sup> .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أولى الأقوال بالصواب من ذلك هو ما رجّحه ابن جزيّ ومن وافقه . وهو معنى قول ابن عباس ، والسديّ ، واختيار جمهور المفسّرين ؛ لظهور دلالة قوله تعالى : ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ عليه ، ومناسبتها له ، والله تعالى أعلم .

(1) التحرير والتنوير ( ١٠ / ١٨٢ ) .

(2) ينظر : أنوار التنزيل ( ١ / ٤٠٥ ) ، وإرشاد العقل السليم ( ٢ / ٤٠٥ ) ، ومحاسن التأويل ( ٨ / ٣١٤٢ ) .

(3) ينظر : مدارك التنزيل ( ٢ / ١٢٥ ) .

### المسألة الثانية هي :

١٢- الخلاف في عائد الضمير في قوله: ﴿فِيهِنَّ﴾ من قوله تعالى :

﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنْ أَنْفُسَكُمْ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « الضمير في قوله: ﴿فِيهِنَّ﴾ للأشهر الحرم ، تعظيماً لأمرها وتغليظاً للذنوب فيها ، وإن كان الظلم ممنوعاً في غيرها . وقيل : الضمير للاثني عشر شهراً أو الزمان كله . والأول أظهر » (١) .

### العرض والمناقشة :

استظهر ابن جُزَيِّ أن ضمير ﴿فِيهِنَّ﴾ من قوله تعالى: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنْ أَنْفُسَكُمْ﴾ عائد للأشهر الحرم . ووافق معنى ما رُوِيَ عن الحسن بن محمد بن علي (٢)، وابن إسحاق (٣) . ونسب إلى قتادة (٤) . وهو مفهوم رواية علي بن أبي طلحة الوالي ، عن ابن عباس (٥) .

وعليه أكثر المفسرين ، منهم : مقاتل، والفراء، وابن الأنباري (٦) ، وابن جرير الطبري،

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٧٥ / ٢) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١ / ٤٤٥ ، ٤٤٦ ) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦ / ١٧٩٢) رقم (١٠٠٠٦) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١ / ٤٤٥) . وينظر : سيرة ابن هشام (٢ / ٥٤٨) .

(4) نسبته إليه الماوردي في النكت والعيون (٢ / ٣٦٠) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٣ / ٤٣٣) . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١ / ٤٤٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦ / ١٧٩٣) رقم (١٠٠١٠) من طريق يزيد ، عن سعيد ، عنه قال : إن الظلم في الشهر الحرام أعظم خطيئة ووزراً من الظلم فيما سواه ، وإن كان الظلم على كل حال عظيماً ولكن الله يعظم من أمره ما شاء ... وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤ / ١٨٧) نسبته إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(5) قال ابن عباس : في كلهنّ ، ثم خصّ من ذلك أربعة أشهر فجعلهن حُرماً ، و عظم حرمانهن وجعل الذنب فيهن أعظم ، والعمل الصالح والأجر أعظم . أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١ / ٤٤٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦ / ١٧٩١ ، ١٧٩٣) رقم (١٠٠٠٠ و ١٠٠٠٩) ، وأبو جعفر النحاس في القطع والائتناف (٣٦١) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٨٠٦) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤ / ١٨٦) نسبته إلى ابن المنذر . وينظر : صحيفة علي بن أبي طلحة (٢٦٤) .

(6) ينظر : تفسير مقاتل (٢ / ١٦٩) ، ومعاني القرآن (١ / ٤٣٥) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٣ / ٤٣٣) .

والنحاس، والواحدي، والزمخشري، والعكبري، والرازي، والقرطي، والبيضاوي، والقمي  
النيسابوري، والسمن الحلي، وابن كثير، والبلنسي، والبقاعي، والسيوطي، وأبو السعود،  
والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والقاسمي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والطاهر  
ابن عاشور<sup>(١)</sup>.

وهو مفهوم كلام السمرقندي، وابن أبي زمنين، ومحمود النيسابوري، والخازن<sup>(٢)</sup>.  
واحتجوا له بأن العرب تقول لما بين الثلاثة والعشرة: هُنَّ، وهؤلاء، فإذا جُزّت  
العشرة، قالوا: هي، وهذه؛ إرادة أن تعرف سمة القليل من الكثير. هذا هو الأوضح في  
كلامها، ويجوز العكس لكنه قليل<sup>(٣)</sup>.  
ويدلُّ له أيضاً أن الأربعة الحُرْم أقرب مذكور<sup>(٤)</sup>.

ولأن الله تعالى خصَّ هذه الأشهر بمزيد الاحترام في آية أخرى وهي: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ  
مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾<sup>(٥)</sup> [البقرة: ١٩٧].  
ولأنها أنسب بسياق التحذير من ارتكاب الظلم فيها، وإلا لكان مجرد اقتضاب بلا  
مناسبة. قاله الطاهر بن عاشور<sup>(٦)</sup>.

(1) ينظر: جامع البيان (١١/٤٤٦)، ومعاني القرآن الكريم (٣/٢٠٦)، وإعراب القرآن (٢/٢١٣)، والوجيز  
(١/٤٦٣)، والكشاف (٣/٤٢)، والنبيان (٢/٦٤٣)، ومفاتيح الغيب (٦/٤٣)، والجامع لأحكام  
القرآن (١٠/١٩٩)، وأنوار التنزيل (١/٤٠٥)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/٤٦٣)، والدر  
المصون (٦/٤٥)، وتفسير القرآن العظيم (٧/١٩٧)، وتفسير مهمات القرآن (١/٥٤٠)، ونظم  
الدرر (٨/٤٥٠)، وإرشاد العقل السليم (٢/٤٠٥)، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/٢٦٠)،  
وفتح القدير (٢/٥١٢)، وروح المعاني (١٠/٩١)، وفتح البيان (٥/٢٩٨)، ومحاسن التأويل  
(٨/٣١٤٣)، وتفسير القرآن الحكيم (١٠/٣٦٧)، وتفسير المراغي (١٠/١١٥)، والتحرير والتنوير  
(١٠/١٨٥).

(2) ينظر: بحر العلوم (٢/٤٨)، وتفسير القرآن العزيز (٢/٢٠٤)، وإيجاز البيان (١/٣٠٥) ووضح البرهان  
(١/٣٩٦)، ولباب التأويل (٢/٢٢١).

(3) ينظر: معاني القرآن للفراء (١/٤٣٥)، وجامع البيان للطبري (١١/٤٤٦-٤٤٧).

(4) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٦/٤٣)، والجامع لأحكام القرآن للقرطي (١٠/١٩٨)، والبحر المحيط لأي  
حيان (٥/٣٩)، والدر المصون للسمن الحلي (٦/٤٥)، والتحرير والتنوير للطاهر (١٠/١٨٥).

(5) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٦/٤٣)، والجامع لأحكام القرآن للقرطي (١٠/١٩٨).

(6) التحرير والتنوير (١٠/١٨٥).

وقال ابن كثير : « لأنها أكد وأبلغ في الإثم من غيرها ، كما أن المعاصي في البلد الحرام تضاعف؛ لقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَاكِمِ يُظْلَمِ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ [الحج : ٢٥] . وكذلك الشهر الحرام تغلظ فيه الآثام»<sup>(١)</sup> .

وأما القول الثاني بأن ضمير ﴿ فَيَرِنُّ ﴾ عائد للثاني عشر شهراً ، فهو قول ابن عباس<sup>(٢)</sup> . وعليه ابن عطية، وابن الجوزي، وأبو حيان، والثعالبي<sup>(٣)</sup> .

وذكره العكبري، والبلنسي، والسيوطي، والآلوسي، والسيد رضا بصيغة (قيل)<sup>(٤)</sup> . قال أبو حيان : « ويؤيده كون الظلم منهياً عنه في كل وقت لا يختص بالأربعة الحرم»<sup>(٥)</sup> .

وأما القول الآخر بأن الضمير عائد للزمان كله فلم أر من اختاره . فيكفيه ضعفاً هجرُ المفسرين له .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أولى الأقوال في ذلك بالصواب هو ما رجّحه ابن جزيّ ومن وافقه ؛ لقوة أدلته . وأما القول الثاني فإنه وإن كان جائزاً ممكناً فليس بالأفصح الأعراف في كلام العرب ، ( وتوجيه كلام الله إلى الأفصح الأعراف أولى من توجيهه إلى الأنكر )<sup>(٦)</sup> .

(1) تفسير القرآن العظيم (١٩٧ / ٧) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٤٤/١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٩٢ / ٦) رقم (١٠٠٠٨) من طريق حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (١٨٦/٤ ، ١٨٧) نسبه إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(3) ينظر : المحرر الوجيز (٤٨٥/٦) وتذكرة الأريب (٢١٤/١) والبحر المحيط (٣٩/٥) والجواهر الحسان (٤٩/٢) .

(4) ينظر : التبيان (٦٤٣ / ٢) ، وتفسير مبهمات القرآن (١ / ٥٤٠) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٢٦٠/٣) ، وروح المعاني (٩١ / ١٠) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٠ / ٣٦٧) .

(5) البحر المحيط (٣٩ / ٥) .

(6) جامع البيان للطبري (١١ / ٤٤٧) . وينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (٣٦٩/٢) . ولجوازه فقد احتمل القولين السعدي كما في تيسير الكريم الرحمن (٢٤٣/٢) . وسوى بينهما النسفي كما في مدارك الترتيل (١٢٥/٢) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿إِلَّا نَضُرُّهُ فَقَدْ نَضَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي  
الْغَارِ إِذِ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَأْتِيكَ اللَّهُ مَعْنَا فَانزَلْنَا اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ  
وَأَيْدِيَهُمْ يُجْنُونَ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى  
وَكَالِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

١٣- الخلاف في عائد الضمير في قوله: ﴿عَلَيْهِ﴾ من قوله تعالى:

﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى: « ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ الضمير  
للرسول < . وقيل: لأبي بكر؛ لأن النبي < نزل معه السكينة . ويضعف ذلك بأن  
الضمائر بعدها للرسول × » (١) .

العرض والمناقشة:

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ أَنَّ الرسول < هو الذي يعود عليه الضمير في قوله تعالى: ﴿فَأَنْزَلَ  
اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾، وَضَعَّفَ القول برجوعه إلى أبي بكر الصديق . ووافق في هذا ما  
رُوي عن ابن عباس (٢) . وذهب إليه مقاتل، والطبري (٣) ، والزجاج (٤) ، وابن عطية،  
وابن تيمية، وابن كثير، والقاسمي، والمراسي، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي (٥) .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٧٦) .

(٢) ينظر: بحر العلوم للسمرندي (٢/ ٥١) فإنه جعله من رواية الكلبي .

(٣) ينظر: تفسير مقاتل (٢/ ١٧١) ، وجامع البيان (١١/ ٤٦٧) .

(٤) الزجاج أجاز القولين في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٤٩) لكن الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٣٦٤) ،  
والسمعاني في تفسير القرآن (٢/ ٣١١) ذكرا عنه أنه يختار هذا القول !

(٥) ينظر: الخمر الوجيز (١/ ٩٩ - ٥٠٠) ، ومنهاج السنة (٤/ ٢٧٢) ، وتفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٠٦) ،

ومحاسن التأويل (٨/ ٣١٥٧) ، وتفسير المراغي (١٠/ ١٢٢) ، والتحرير والتنوير (١٠/ ٢٠٣ - ٢٠٤) ،

والعذب النمير (٥/ ٢٣٣٨) .

ومال إليه الألووسي <sup>(١)</sup> . وهو مفهوم كلام الزمخشري، والسعدي <sup>(٢)</sup> .

وذكره الشوكاني ، والقنوجي بصيغة ( قيل ) <sup>(٣)</sup> .

واستدلوا له بالسياق ؛ فإن الضمائر كلها للرسول < وخاصة التي جاءت بعد قوله :

﴿ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ﴾ وهي قوله تعالى : ﴿ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ

تَرَوْهَا ﴾ ؛ لأن الرسول < هو المؤيد بهذه الجنود التي هي الملائكة كما كان في يوم بدر .

وكون الضمير عائداً للرسول < هو المناسب للمقام ؛ لأن الرسول < هو المحدث عنه

، والمقام لذكر ثبات النبي < وتأيد الله إياه ، وما جاء ذكر أبي بكر إلا تبعاً لذكر ثبات النبي

< .

وأبطل الرازي هذا القول من وجوه :

١- وجوب عود الضمير إلى أقرب مذكور ، وهو أبو بكر .

٢- وأن الحزن والخوف كان حاصلًا لأبي بكر لا للرسول < .

٣- وأنه لو كان المراد إنزال السكينة على الرسول < لوجب أن يقال : إنه كان قبل

ذلك خائفًا ، ولو كان كذلك لما أمكنه أن يقول لأبي بكر : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ

مَعَنَا ﴾ فمن كان خائفًا كيف يمكنه أن يزيل الخوف عن قلب غيره ؟ <sup>(٤)</sup>

وضعفه السيد رشيد رضا معللاً ذلك بأن إنزال السكينة عطف على ما قبلها بالفاء

الدال على وقوعه بعده وترتبه عليه ، وأن نزولها وقع بعد قوله لصاحبه : ﴿ لَا

تَحْزَنْ ﴾ <sup>(٥)</sup> .

وأجيب عن هذا بأنه لا يلزم أن يكون نزول السكينة عقب قوله : ﴿ لَا تَحْزَنْ

إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ بل إن قوله ذلك هو من آثار سكينة الله التي نزلت عليه ، وتلك

(1) ينظر : روح المعاني ( ٩٨ / ١٠ ) .

(2) ينظر : الكشاف ( ٤٦ / ٣ ) ، وتيسير الكريم الرحمن ( ٢٤٨ / ٢ ) .

(3) ينظر : فتح القدير ( ٥١٧ / ٢ ) ، وفتح البيان ( ٣٠٦ / ٥ ) .

(4) ينظر : مفاتيح الغيب ( ٥٢ / ٦ ) .

(5) ينظر : تفسير القرآن الحكيم ( ٣٨١ / ١٠ ) .

السكينة هي مظهر من مظاهر نصر الله إياه ، فيكون تقدير الكلام : فقد نصره الله فأنزل السكينة عليه وأيده بجنود حين أخرجه الذين كفروا ، وحين كان في الغار ، وحين قال لصاحبه : لا تحزن إن الله معنا . فتلك الظروف الثلاثة متعلّقة بفعل ﴿ نَصَرَهُ ﴾ على الترتيب المتقدّم ، وهي كالاغراض بين المفرّع عنه والتفريع ، وجاء نظم الكلام على هذا السبب البديع للمبادأة بالدلالة على أن النصر حصل في أزمان وأحوال ما كان النصر ليحصل في أمثالها لغيره لولا عناية الله به ، وأن نصره كان معجزة خارقاً للعادة . أفاده الطاهر ابن عاشور (١) .

وأما عود الضمير على أقرب مذكور فليس بواجب بل ينشأ عنه تشتيت الضمائر ، وانفكاك الأسلوب المقتضي تقدماً وتأخيراً .

ولذا قال السيد رشيد رضا : « وليس هذا بشيء » (٢) .

وأما حزن أبي بكر فنعم ، وزال بتطمين النبي < له بتذكيره بمعية الله لهما المقتضية نصرهما وتأييدهما .

وأما القول الآخر بأن الضمير لأبي بكر الصديق ط ، فهو قول ابن عباس (٣) ، وحبیب بن أبي ثابت (٤) . ونسب إلى علي بن أبي طالب (٥) .

وعليه النحاس — ونسبه لأكثر أهل التفسير وأهل اللغة — ، والواحدي، والسمعاني، وابن العربي، ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي، والرازي، والعكبري، والقرطبي، والبيضاوي، والقمي، وأبوحيان، والسمين، والبقاعي، والشوكاني، والقنوجي، والسيد رشيد

(1) التحرير والتنوير ( ١٠ / ٢٠٣ - ٢٠٤ ) .

(2) تفسير القرآن الحكيم ( ١٠ / ٣٨١ ) .

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ( ٦ / ١٨٠١ ) رقم ( ١٠٠٤٧ ) من طريق سعيد بن جبیر ، عنه قال : ( على أبي بكر ط ؛ لأن النبي لم تنزل السكينة معه ) . وزاد السيوطي في الدر المنثور ( ٤ / ٢٠٧ ) نسبه إلى أبي الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقي في الدلائل ، وابن عساكر في تاريخه .

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ( ٦ / ١٨٠١ ) رقم ( ١٠٠٤٦ ) . وزاد السيوطي في الدر المنثور نسبه إلى الخطيب في تاريخه ( ٤ / ٢٠٧ ) .

(5) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي ( ٣ / ٤٤٠ ) .

رضا<sup>(١)</sup> .

ومال إليه السمرقندي، والخازن<sup>(٢)</sup> . وهو مفهوم كلام البلنسي<sup>(٣)</sup> .

وذكره الطبري ، وابن كثير بصيغة ( قيل )<sup>(٤)</sup> .

واستدلوا له بأن النبي < لم تنزل معه السكينة وكان مطمئناً ، وقد أعلمه الله بالنصر .  
وأوردوا في ذلك حديثاً عن أنس بن مالك **ط** قال : دخل النبي < وأبو بكر غارَ حراء ،  
فقال أبو بكر للنبي < : لو أن أحدهم يبصر موضع قدمه لأبصرني وإياك . فقال : ( ما  
ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ يا أبا بكر ، إن الله أنزل سكينته عليك وأيدي بنجود لم تروها )<sup>(٥)</sup> .

وفيه إشكال : وهو أن الغار كان بجبل ثور لا بحراء ، وهذا مما يُضعف به الحديث .  
وروى السمرقندي بسنده<sup>(٦)</sup> عن عمر بن الخطاب **ط** أنه قال : والله ، لليلة من أبي  
بكر خير من عمر و آل عمر . فقيل : وأي ليلة هي ؟ قال : لما خرج رسول الله < هارباً  
من أهل مكة ليلاً فتبعه أبو بكر ... الحديث . وفي آخره : ورسول الله < يقول : ( يا أبا  
بكر ، لا تحزن ) . فذلك قوله تعالى : ﴿ إِذِ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا <sup>ط</sup>  
فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ <sup>ط</sup> ﴾ يعني الطمأنينة لأبي بكر ، فهذه ليلته .

(1) ينظر : : معاني القرآن الكريم ( ٣ / ٢١٠ ) وإعراب القرآن ( ٢ / ٢١٥ ) ، والوجيز ( ١ / ٤٦٤ ) والوسيط  
( ٢ / ٤٩٩ ) ، وتفسير القرآن ( ٢ / ٣١١ ) — وقال عنه بأنه قول الأكثرين — ، وأحكام القرآن ( ٢ / ٩٥١ ) —  
وقال : قال علماءنا : هو الأقوى — ، وإيجاز البيان ( ١ / ٣٠٦ ) ، وزاد المسير ( ٣ / ٤٤٠ ، ٤٤١ ) ، ومفاتيح  
الغيب ( ٦ / ٥٢ ) ، والنبیان ( ٢ / ٦٤٥ ) ، والجامع لأحكام القرآن ( ١٠ / ٢١٨ ) ، وأنوار التنزيل ( ١ / ٤٠٧ ) ،  
وغرائب القرآن ورغائب الفرقان ( ٣ / ٤٧٢ ) ، والبحر المحييط ( ٥ / ٤٣ ) ، والدر المصون ( ٦ / ٥٢ ) ، ونظم  
الدرر ( ٨ / ٤٧٧ ) ، وفتح القدير ( ٢ / ٥١٧ ) ، وفتح البيان ( ٥ / ٣٠٦ ) ، وتفسير القرآن الحكيم  
( ١٠ / ٣٨٢ - ٣٨٣ ، ٣٩٧ ) .

(2) ينظر : بحر العلوم ( ٢ / ٥٠ ) ، ولباب التأويل ( ٢ / ٢٢٧ ) .

(3) ينظر : تفسير مبهمات القرآن ( ١ / ٥٤٥ - ٥٤٦ ) .

(4) ينظر : جامع البيان ( ١١ / ٤٦٧ ) ، وتفسير القرآن العظيم ( ٧ / ٢٠٦ ) .

(5) نسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٤ / ٢٠٧ ) لابن مردويه .

(6) ينظر : بحر العلوم ( ٢ / ٥٠ ) .

قال ابن كثير : « في هذا السياق غرابة ونكارة »<sup>(١)</sup> .

وقالوا : إن السكينة ها هنا هي ما يسكن به القلب ، وأبو بكر ط كان هو الخائف والحزين دون رسول الله < ، والسكينة إنما يحتاج إليها المترعج ، ولم يكن النبي < مترعجًا . واستدل له السيد رشيد رضا بدليلين :

١- معنى السكينة وأنها أنزلت على الرسول والصحابة في عدة مواطن كما ذكرها الله في ثلاثة مواضع من كتابه .

٢- وإنزال الملائكة وتأييدها للصحابة ، وأن أبا بكر ناب عنهم في خدمة رسوله يوم الهجرة فأبي بُعِدَ في أن يكون التأييد المرافق لإنزال السكينة له لحلوله محلهم كلهم ؟ وأنه لا مانع من جعل التأييد لأبي بكر كما ذكره الآلوسي واستدل له بما أخرجه ابن مردويه من حديث أنس : أن النبي < قال لأبي بكر : ( إن الله تعالى أنزل سكنته عليك وأيدك )<sup>(٢)</sup> .

قلت : يمنع منه إجماع المفسرين على أن التأييد للنبي < ، والحديث المذكور لا يصح . قال الشنقيطي : « وظاهر القرآن أن جنود الملائكة تحيط به في ذلك الوقت »<sup>(٣)</sup> . وردَّ هذا القول بسبب اختلاف الضمائر وتشتتها ، والأولى اتحادها وعودها على واحد .

وأجيب عن هذا بأنه كثير في القرآن وفي كلام العرب .

قال الله تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ شم

قال : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴾ [ العلق : ١١-١٤ ] . وقال تعالى : ﴿ لِيَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ

وَنُعَزِّرُوهُ وَنُوَقِّرُوهُ ﴾ يعني النبي < . ﴿ وَسَبِّحُوهُ ﴾ يعني الله عز وجل<sup>(٤)</sup> [ الفتح : ٩ ] .

وقال الشهاب : « ولا ينافيه تَعَيَّنُ عود ضمير ﴿ وَأَيَّدَهُ ﴾ على الرسول < ؛

(1) البداية والنهاية ( ٣ / ١٨٠ ) .

(2) ينظر : تفسير القرآن الحكيم ( ١٠ / ٣٨١ - ٣٨٣ ) .

(3) العذب النمير ( ٥ / ٢٣٣٨ ) .

(4) ينظر : إعراب القرآن للنحاس ( ٢ / ٢١٦ ) ، والجامع لحكام القرآن للقرطبي ( ١٠ / ٢١٩ ) ، وزاد المسير لابن

الجوزي ( ٣ / ٤٤١ ) ، والبحر المحيط لأبي حيان ( ٥ / ٤٣ ) .

لعطفه على ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ﴾ لا على ﴿فَأَنْزَلَ﴾ حتى تتفكك الضمائر»<sup>(١)</sup> .

بل قال الآلوسي : « وإن أبيت فأبي ضرر في التفكيك إذا كان الأمر ظاهراً ؟ »<sup>(٢)</sup>  
وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أولى القولين بالصواب من ذلك هو ما رجّحه ابن جزيّ  
ومن وافقه ، وهوان عائد الضمير للرسول < ؛ لأنه المحدّث عنه ، ولأن المقام في ذكر ثباته  
— عليه الصلاة والسلام — فدلالة السياق عليه ظاهرة .

ويؤيده من القواعد الترجيحية :

— قاعدة : ( توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها )<sup>(٣)</sup> .

— وقاعدة : ( إعادة الضمير إلى المحدّث عنه أولى من إعادته إلى غيره )<sup>(٤)</sup> .

وهما مقدّمتان على قاعدة : ( إعادة الضمير إلى أقرب مذكور )<sup>(٥)</sup> ؛ لأنها مقيدة بما لم  
يُرد دليل بخلافه . ومن ذلك : القرينة في السياق .

فإذا كان ذلك كذلك فالصواب هو عود الضمير في قوله تعالى : ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ

سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ على الرسول < ، وأبو بكر صاحبه تابع له « لكن يقال على هذا

: لما قال لصاحبه ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ ، والنبى < هو المتبوع المطاع ، وأبو بكر تابع

مطيع ، وهو صاحبه ، والله معهما ، إذا حصل للمتبوع في هذه الحال سكينته وتأيد ، كان

ذلك للتابع أيضاً بحكم الحال ، فإنه صاحب تابع لازم .. وأبو بكر لما وصفه الله بالصحة

المطلقة الكاملة ، ووصفها في أحقّ الأحوال أن يفارق الصاحب فيها صاحبه ، وهو حال

شدة الخوف ؛ كان هذا دليلاً بطريق الفحوى على أنه صاحبه وقت النصر والتأييد ، فإن

من كان صاحبه في حال الخوف الشديد ، فلأن يكون صاحبه في حال حضور النصر

والتأييد أولى وأحرى ، فلم يحتج أن يذكر صحبته له في هذه الحال ؛ لدلالة الكلام والحال

عليها ، وإذا علّم أنه صاحبه حال شدة الخوف ، علّم أن ما حصل للرسول < من إنزال

(1) حاشية الشهاب (٤/ ٣٢٧) .

(2) روح المعاني ( ١٠ / ٩٨ ) .

(3) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/ ٦١٣) .

(4) المصدر السابق (٢/ ٦٠٣) .

(5) المصدر السابق (٢/ ٦٢١) . وينظر أيضاً : (١/ ٦٦ - ٦٧) .

السكينة والتأييد بإنزال الجنود التي لم يرها الناس ، فإن لصاحبه المذكور فيها أعظم مما لسائر الناس ، وهذا من بلاغة القرآن وحسن بيانه «<sup>(١)</sup> .

ولذا فقد اختار ابن الأنباري<sup>(٢)</sup> أن "الهاء" هنا في معنى التثنية ، والتقدير : فأَنْزَلَ اللهُ

سكينته عليهما ، فاكتفى بإعادة الذكر على أحدهما من إعادتها عليهما ؛ كقوله : ﴿ وَاللَّهُ

وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ ﴾ [التوبة : ٦٢] . والله تعالى أعلم .

(١) منهاج السنة لابن تيمية (٨ / ٤٩٠-٤٩١) . وينظر : اختيارات ابن تيمية وترجيحاته في التفسير (٢ / ٥١٤) .

(٢) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٣ / ٤٤١) . وذكره السمعاني في تفسيره (٢ / ٣١٢) وقال : ( وَنُقِلَ فِي

مصحف حفصة ك : ﴿ فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِمَا وَأَيْدِيَهُمَا بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا ﴾ . وينظر : المحرر الوجيز

لابن عطية (٦ / ٥٠٠) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٥ / ٤٣) .

## قَالَ تَعَالَى:

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعَلَّمَ الْكَذِبِينَ﴾ (٤٣)

### ١٤ - الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « كان بعض المنافقين قد استأذن النبي > في التخلف عن غزوة تبوك فأذن لهم ، فعاتبه الله تعالى على إذنه لهم ، وقدم العفو على العتاب إكراماً له > . وقيل : إن قوله : ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾ ليس لذنب ولا عتاب ، ولكنه استفتاح كلام ؛ كما يقول : أصلحك الله > (١) .

### العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيِّ أن الله تعالى عاتب نبيه > على إذنه للمنافقين الذين استأذنوه في التخلف عن غزوة تبوك ، ومن إكرام الله له > أن قدم العفو على العتاب .  
ووافق في هذا معنى ما رُوِيَ عن عمرو بن ميمون (٢) ، ومورق العجلي (٣) ، وابن عيينة (٤) ، وقتادة (٥) ، وعون بن عبد الله (٦) ، وعطاء الخراساني (٧) .  
وعليه الطبري ، والنحاس ، والجصاص ، والسمرقندي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، والبيضاوي ، والنسفي ، وابن كثير ، والبقاعي ، والسيوطي ، والشوكاني ، والآلوسي ، والقنوجي ، والسيد رشيد رضا ، والمراغي ، والطاهر بن عاشور (٨) .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٧٦) .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٩٤٠٣) ، والطبري في جامع البيان (١١/ ٤٧٩) .

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/ ٤٧٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٠٥) رقم (١٠٠٧٣) .

(٤) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٤٤٥) .

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/ ٤٧٨) .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٠٥) رقم (١٠٠٧٥) .

(٧) ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/ ٢١١) .

(٨) ينظر : جامع البيان (١١/ ٤٧٧) ، وإعراب القرآن (٢/ ٢١٧) ، وأحكام القرآن (٤/ ٣١٧) ، وبحر العلوم

(٥٣/٢) ، والوجيز (١/ ٤٦٥) ، وتفسير القرآن (٢/ ٣١٣) ، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٨٧) ، وأنوار التنزيل

(١/ ٤٠٧) ، ومدارك التنزيل (٢/ ١٢٨) ، وتفسير القرآن العظيم (٧/ ٢١٠- ٢١١) ، ونظم الدرر

ومال إليه القرطبي <sup>(١)</sup> . وهو مفهوم كلام السعدي <sup>(٢)</sup> .

وأما الزمخشري فقد أساء الأدب مع النبي < في تفسيره لهذه الآية ، ففي حين أن الله تعالى خاطبه - عليه الصلاة والسلام - بخطاب الرقة والرأفة جاء الزمخشري ففسره بخطاب الغلظة والقسوة فقال : « معناه : أخطأت وبئس ما فعلت » <sup>(٣)</sup> !! وشتان ما بينهما .

قال النحاس : « ويدلّ على هذا : ﴿ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ ﴾ ؛ لأنه لا يقال : لم فعلت ما أمرتك به ؟ » <sup>(٤)</sup>

وقال الشوكاني : « ولا يخفك أن هذا التفسير هو المطابق لما يقتضيه اللفظ على حسب اللغة العربية ، ولا وجه لإخراجه عن معناه العربي » <sup>(٥)</sup> .

وقال السيد رشيد رضا : « وأهل السنة على جواز وقوع الذنوب من الأنبياء عليهم

الصلاة والسلام لكن الله يغفرها لهم كما قال : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا

تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [ الفتح : ١-٢ ] وقد كان الإذن المعاتب عليه اجتهاداً منه < فيما لا نصّ فيه من الوحي ، وهو جائز وواقع من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وليسوا بمعصومين من الخطأ فيه » <sup>(٦)</sup> .

وأما القول الآخر بأن قوله تعالى : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ ﴾ لم يكن لذنوب ولا عتاب ، ولكنه استفتاح كلام كقولك : أصلحك الله ، فهو قول ابن الأنباري حيث قال : لم يُخاطَب بهذا الجُرمِ أجرمه ، لكنّ الله وقره ورفع من شأنه حين افتتح الكلام بقوله : ﴿ عَفَا

(١/٨/٤٨١) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣ / ٢٦٨) ، وفتح القدير (٢ / ٥٢١) ، وروح المعاني (١٠/١٠٧) ، وفتح البيان (٥/٣١٠) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٠/٤١١ - ٤١٢) ، و تفسير المراغي (١٠/١٢٦) ، والتحرير والتنوير (١٠/٢١٠) .

(1) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (١٠/٢٢٧) .

(2) ينظر : تيسير الكريم الرحمن (٢/٢٥١) .

(3) الكشف (٣/٤٨) . وينظر : إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢/٤١٢) .

(4) إعراب القرآن (٢/٢١٧) .

(5) فتح القدير (٢/٥٢١) .

(6) تفسير القرآن الحكيم (١٠/٤١١ - ٤١٣) .

اللَّهُ عَنْكَ ﴿ كما يقول الرجل لمخاطبه إذا كان كريماً عليه : عفا الله عنك ، ما صنعت في حاجتي ؟ ورضي الله عنك ، هلاً زرتني <sup>(١)</sup> .

وعليه الرازي، والقاضي عياض، والخازن، والقمي، والقاسمي <sup>(٢)</sup> . ومال إليه أبوحيان <sup>(٣)</sup> . ونُسب إلى نبطويه ، ومكي ، والقشيري ، والداودي <sup>(٤)</sup> .

وذكره البغوي ، والشوكاني بصيغة ( قيل ) <sup>(٥)</sup> . واستغربه الكرمانى <sup>(٦)</sup> . واستدلوا له بأن هذا الخطاب جاء على عادة العرب في التعظيم والتوقير فيقدمون أمثال ذلك بين يدي الكلام .

قال علي بن الجهم يخاطب المتوكل لما نفاه :

عفا الله عنك ألا حرمة	تعود بفضلك أن أبعدا
ألم تر عبداً عدا طوره	ومولى عفا ورشيداً هدى
أقلني أقالك من لم يزل	يُقيل ويصرف عنك الأذى

وحملوا قوله ﴿ لِمَ أَذْنَتَ لَهُمَّ ﴾ على ترك الأولى والأكمل لا على سبيل الذم والإنكار. قال ابن عطية : « لأنه لم يكن منه < ذنب يُعْفَى عنه ؛ لأن صورة الاستنفار وقبول

الأعذار مصروفة إلى اجتهاده . وأما قوله : ﴿ لِمَ أَذْنَتَ ﴾ فهي على معنى التقدير « <sup>(٧)</sup> . وقال القاضي عياض : « إنه أمر لم يتقدم للنبي < فيه من الله تعالى نَهْيٌ فيعدُّ معصيةً ، ولا عدّه تعالى عليه معصية بل لم يعدّه أهل العلم معاتبه وغلطوا من ذهب إلى ذلك ... » <sup>(٨)</sup> .

(1) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي ( ٤٤٥ / ٣ ) .

(2) ينظر : مفاتيح الغيب ( ٥٨ / ٦ ) ، والشفاء ( ١٣٦ / ٢ ) ، ولباب التأويل ( ٢٢٩ / ٢ ) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان ( ٤٧٥ / ٣ ) وزعم أنه عليه المحققون محاسن التأويل ( ٣١٦٣ / ٨ ) .

(3) ينظر : البحر المحيط ( ٤٧ / ٥ ) .

(4) ينظر : لباب التأويل للخازن ( ٢٢٩ / ٢ ) ، وفتح القدير للشوكاني ( ٥٢١ / ٢ ) ، وروح المعاني للآلوسي ( ١٠٧ / ١٠ ) ، ومحاسن التأويل للقاسمي ( ٣١٦٣ / ٨ ) .

(5) ينظر : معالم التنزيل ( ٢٨٨ / ٢ ) ، وفتح القدير ( ٥٢١ / ٢ ) .

(6) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل ( ٤٥٥ / ١ ) .

(7) المحرر الوجيز ( ٥٠٦ / ٦ ) .

(8) الشفاء ( ١٣٩ / ٢ ) . وينظر : لباب التأويل للخازن ( ٢٢٩ / ٢ ) .

وقد ردّ هذا القولَ السيد محمد رشيد رضا ويبيّن أقسام الناس في هذه الآية فقال :  
« الناس في هذه الآية طرفان ووسط ؛ أما الطرف الأول : فهم الذين أسأؤوا الأدب في  
التعبير عن عفو الله تعالى عن رسوله < في هذه الآية ... كالزخشي . وقابلهم آخرون في  
الطرف الآخر كالرازي فأرادوا أن يثبتوا أن العفو لا يدلّ على الذنب ، وغايته أن الإذن  
الذي عاتبه الله عليه هو خلاف الأولى ، وهو جمود مع الاصطلاحات المحدثّة والعرف الخاص  
في معنى الذنب وهو المعصية ... وأما الوسط : فما عليه أهل السنة من جواز وقوع الذنوب  
من الأنبياء \_ عليهم الصلاة والسلام - لكن الله يغفرها لهم ... »<sup>(1)</sup> .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أولى الأقوال بالصواب من ذلك هو ما رجّحه ابن جزيّ  
ومن وافقه ؛ مَنْ أن معنى الآية يدلّ على معاتبه الله نبيّه < على إذنه لأولئك المنافقين في  
التخلّف عن غزوة تبوك ، وهو اجتهاد منه < فيما لا نصّ فيه من الوحي ، ولم يقرّه الله  
تعالى على ذلك بل عاتبه وقدمّ عليه العفو عنه إكراماً له < .

وهذا القول يوافق ما عليه أهل السنة من جواز وقوع الذنوب من الأنبياء - عليهم  
الصلاة والسلام - كالصغائر التي لا تدلّ على حساسة الطبع لكن الله تعالى يغفرها لهم ،  
وهو غير قادح في عصمتهم - عليهم الصلاة والسلام - إذ هم معصومون في التبليغ عن الله  
لأ ، وهم بشر يخطئون ويصيبون ويجهلون فيما لا نصّ فيه من الوحي ولا يُقرّون على  
خطأ ، والله تعالى أعلم .

(1) تفسير القرآن الحكيم (١٠ / ٤١١ - ٤١٣) .

## قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَاهُمْ يَسَخُطُونَ ﴾ (٥٨)

١٥ - الخلاف فيمن نزل فيه قول الله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴾ الآية .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « والآية في المنافقين كالتي قبلها وبعدها . وقيل : في ذي الخويصرة الذي قال : اعدل يا محمد ، فإنك لم تعدل . فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : ( ويلك إن لم أعدل فمن يعدل ؟ ) الحديث «<sup>(١)</sup> .

### العرض والمناقشة :

رجح ابن جُزَيِّ أن قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴾ نزلت في المنافقين كالتي قبلها وبعدها . ووافق في هذا ما رُوِيَ عن ابن زيد<sup>(٢)</sup> ، والضحاك<sup>(٣)</sup> . وقال الكلبي : « نزلت في المؤلفلة قلوبهم ، وهم المنافقون ، قال رجل منهم يقال له : أبو الجواظ ، للنبي عليه الصلاة والسلام : لم تقسم بالسوية ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴾ «<sup>(٤)</sup> . ونسب هذا لابن عباس<sup>(٥)</sup> . وعليه مقاتل ، والطبري ، والجصاص ، والواحدي ، وابن الجوزي ، والنسفي ، والثعالبي ، والقنوجي ، والسيد رشيد رضا ، والمراغي ، والسعدي ، والشنقيطي<sup>(٦)</sup> .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٧٨) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١ / ٥٠٨) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦ / ١٨١٧) رقم (١٠٣٤٦) .

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦ / ١٨١٦) رقم (١٠٣٤٣) .

(4) ينظر : أسباب النزول للواحدي (٢٨٦) ، ومعالم التنزيل للبعوي (٢ / ٢٩٣) ، ومفاتيح الغيب للرازي (٦ / ٧٥) ، ولباب التأويل (٢ / ٢٣٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣ / ٤٨٦) .

(5) ينظر : بحر العلوم للسمرقندي (٢ / ٥٦) وفيه : أبو الخواص . وقال : وروى بعضهم : أبو الجواظ .

(6) ينظر : تفسير مقاتل (٢ / ١٧٥) — ثم اختار أهما في (أبي الخواص) — ، وجامع البيان (١١ / ٥٠٥) ،

وأحكام القرآن (٤ / ٣٢٢) ، والوجيز (١ / ٤٦٩) ، وتذكرة الأريب (١ / ٢١٨) ، ومدارك التنزيل

(٢ / ١٣١) ، والجواهر الحسان (٢ / ٥٥ ، ٥٦) ، وفتح البيان (٥ / ٣٢٥) ، وتفسير القرآن الحكيم

(١٠ / ٤٢٩) ، وتفسير المراغي (١٠ / ١٤٠ - ١٤١) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢ / ٢٥٧) ، والعذب النمير

(٥ / ٢٣٧٨) .

ومال إليه ابن عطية<sup>(١)</sup> .  
 واستظهر أبو السعود أنه أبو الجواظ المنافق<sup>(٢)</sup> .  
 وذكر الماوردي، ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي<sup>(٣)</sup> أنها في ثعلبة بن حاطب .  
 وقال الشنقيطي : « نزلت في رجل من الأنصار من المنافقين كما رواه ابن جريج ،  
 عن داود بن أبي عاصم ، ولا يخفى أن هذا له حكم الإرسال »<sup>(٤)</sup> .  
 وذكر الطبري بأسانيد<sup>(٥)</sup> أنها في رجل من الأنصار ، ورجل من البادية ، وابن ذي  
 الخويصرة التميمي ، والمنافقين . وحاصلها ترجع إلى قولين اثنين : أولهما : أنها في رجل من  
 الأنصار من المنافقين ، والآخر : في رجل من البادية هو ذو الخويصرة .  
 وأما القول الآخر بأنها نزلت في ذي الخويصرة التميمي ، فعليه السمعاني، والبغوي ،  
 والخازن، وأبوحيان، والبقاعي<sup>(٦)</sup> .  
 وذكره الزمخشري ، والبيضاوي ، وأبو السعود بصيغة ( قيل )<sup>(٧)</sup> .  
 واستدلوا له بما أورده ابن جزي وغيره أنها نزلت في ذي الخويصرة وذكر حديثه<sup>(٨)</sup> .

- (1) ينظر : المحرر الوجيز (٦ / ٥٣٠ ، ٥٣١) .
- (2) ينظر : إرشاد العقل السليم (٢ / ٤١٨) .
- (3) ينظر : النكت والعيون (٢ / ٣٧٣) وإيجاز البيان (١ / ٣٠٨) ووضح الريحان (١ / ٤٠٠) وزاد المسير (٣ / ٤٥٤) .
- (4) العذب النمير (٥ / ٢٣٧٨) .
- (5) ينظر : جامع البيان (١١ / ٥٠٦ - ٥٠٨) . وينظر : الدر المنثور للسيوطي (٤ / ٢٢٠) .
- (6) ينظر : تفسير القرآن (٢ / ٣١٩) — [ وجعل أول الآية ﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴾ فيه وسماء :  
 حرقوص بن زهير ، وجعل باقي الآية ﴿ فَإِن أَعْطُوا مَتَّهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطُوا مَتَّهَا إِذَا هُمْ يَسَخَطُونَ ﴾ في  
 ثعلبة بن حاطب وأصحابه ] — ، ومعالم التنزيل (٢ / ٢٩٢) — وسماء : ( حرقوص بن زهير ) أصل الخوارج  
 — ، ولباب التأويل (٢ / ٢٣٢) ، والبحر المحيط (٥ / ٥٥) ، ونظم الدرر (٨ / ٥٠٣) .
- (7) ينظر : الكشف (٣ / ٥٨) ، وأنوار التنزيل (١ / ٤١٠) ، وإرشاد العقل السليم (٢ / ٤١٨) .
- (8) حديث ذي الخويصرة التميمي : أخرجه البخاري في صحيحه (٣٦١٠) و (٦٩٣٣) ، ومسلم في صحيحه  
 (١٠٦٤) ، وأحمد في مسنده (١١٥٣٧) ، والنسائي في الكبرى (١١٢٢٠) ، وابن أبي عاصم في السنة (٩٢٥) ،  
 والطحاوي في المشكل (٤٠٧١) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٨ / ١٧١) وفي دلائل النبوة (٥ / ١٨٧) ،  
 والبغوي في شرح السنة (٢٥٥٢) ، وفي معالم التنزيل (٢ / ٢٩٢) . جميعهم من طريق الزهري ، عن أبي سلمة ،  
 عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً . وليس فيه ذكر سبب التزول . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان  
 (١١ / ٥٠٧) ، وعبد الرزاق في تفسيره (٢ / ٢٧٧) وفي المصنف (١٨٦٤٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره

وأورد عليه : أن كثيراً من المحدثين لم يصرّح في قصة ذي الخويصرة بذكر سبب التزول كالبخاري ومسلم وأحمد وغيرهم .

وأن الآية في قسم الصدقات وليست في الغنائم ، وقصة ذي الخويصرة كانت في غنائم حنين . قاله الشنقيطي <sup>(١)</sup> . وقال : « ذكر كثير من أهل العلم أن هذه الآية نزلت في حرقوص ابن زهير ذي الخويصرة التميمي رأس المنافقين ... ولكن الذي يظهر أن هذه الآية ليست نازلة فيه ، وإن زعم كثير من كبراء المفسرين أنها نازلة في ذي الخويصرة » .

وقال السيد رشيد رضا : « الآية نصٌّ في قسمة الصدقات ، فجعلُ الغنائم سبباً لتزولها من جملة تساهلهم فيما يسمونه أسباب التزول » <sup>(٢)</sup> .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الصواب من القول في ذلك هو أن الآية في المنافقين كسائر الآيات التي قبلها وبعدها ، وأنها في قسمة الصدقات وليست في الغنائم ، وهو ما رجّحه ابن جُزَيٍّ ومن وافقه .

ويؤيده سياق الآيات الواردة في ذكر فضائح المنافقين وهتك أستارهم ، فدلالة السياق قاضية لهذا القول مرجّحة له على ما عداه ، والله تعالى أعلم .

(٦/١٨١٥) رقم (١٠٣٤٠) ، والواحد في أسباب التزول (٢٨٥) وفي الوسيط (٥٠٥/٢) مصرّحين فيه بذكر سبب التزول . زاد الواحدي : وهو حرقوص بن زهير أصل الخوارج . قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٢٩٢/١٢) عن هذه الرواية المصرّحة باسمه : وما أدري من الذي قال : وهو حرقوص ... الخ . وينظر : الدر المنثور للسيوطي (٤/٢١٩) وزاد نسبه فيه إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه .

(١) العذب النمير (٥/٢٣٧٧ ، ٢٣٧٨) بتصرف يسير .

(٢) تفسير القرآن الحكيم (١٠/٢٣٠) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ

وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾

١٦- الخلاف في المراد بـ المؤلفة قلوبهم .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ ﴾ كُفَّارٌ يُعْطُونَ تَرْغِيئًا فِي الْإِسْلَامِ .  
وقيل : هم مسلمون يعطون ليتمكن إيمانهم » (١) .

العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابْنُ جُزَيِّ أَنَّ الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبِهِمْ هُمْ كُفَّارٌ يُعْطُونَ مِنَ الزَّكَاةِ لِتَرْغِيئِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ .  
ووافق في هذا ما رُوِيَ عَنْ قَتَادَةَ (٢) ، وَالضَّحَّاكَ (٣) . وَعَلِيهِ الرَّجَاحُ ، وَابْنُ أَبِي زَمَنِينَ ، وَالزَّمْخَشَرِيُّ ،  
وَالوَاحِدِيُّ (٤) .

وذكره البيضاوي بصيغة (قيل) (٥) .

ودليله : حديثُ صفوان بن أمية قال : لقد أعطاني رسول الله < ، وإنه لأبغض الناس إليَّ ،  
فما برح يعطيني حتى إنه لأحبُّ الناس إليَّ (٦) .

وأما القول الثاني بأن المؤلفة قلوبهم هم مسلمون يعطون من الزكاة ؛ ليتمكن إيمانهم  
ويَقْوَى ، فهو معنى ما رُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (٧) ،

(1) التسهيل (٢ / ٧٨) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١ / ٥٢١) . وعلَّقه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦ / ١٨٢٣) .

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦ / ١٨٢٣) رقم (١٠٣٨٠) .

(4) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٢ / ٤٥٦) ، وتفسير القرآن العزيز (٢ / ٢١٣) ، والكشاف (٣ / ٦٠) ، والوجيز  
(١ / ٤٦٩) والوسيط (٢ / ٥٠٦) .

(5) ينظر : أنوار التنزيل (١ / ٤١٠) .

(6) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢ / ٢٨٢) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (١١ / ٥٢٠) عن طريق معمر ،  
عن الزهري ، عن صفوان . وأخرجه أحمد في مسنده (٦ / ٤٦٥) ، ومسلم في صحيحه (٢٣١٣ / ٥٩) ،  
والترمذي في سننه (٦٦٦) من طريق يونس بن يزيد الأيلي ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن صفوان  
ابن أمية .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١ / ٥١٩) من طريق العوفيين . وزاد السيوطي في الدر المنثور  
(٤ / ٢٢٣) نسبته إلى ابن مردويه . وعزاه صاحب منار السبيل (١ / ٢٠٨) إلى ابن المنذر في تفسيره .

والحسن<sup>(١)</sup> ، والزهرى<sup>(٢)</sup> .

وعليه مقاتل، والطبري، والرازي، والقرطبي، والبيضاوي، والخازن، والقمي،  
والشنقيطي<sup>(٣)</sup> .

قال الطبري : « فَإِئْتَمُّ قَوْمٌ كَانُوا يُتَأَلَّفُونَ عَلَى الْإِسْلَامِ ، مِمَّنْ لَمْ تَصَحَّ نَصْرَتُهُ ؛  
استصلاحًا به نفسه وعشيرته ؛ كأبي سفيان بن حرب ، وعُيينة بن بدرٍ ، والأقرع بن  
حابس، ونظرائهم من رؤساء القبائل »<sup>(٤)</sup> .

وقال الشنقيطي : « والظاهر أنه لا بدّ أن يكون مسلمًا ؛ لأن الزكاة لا تدفع للكافر،  
وهي قربة لا يستحقها إلا المسلمون. فمن قال : إنها تدفع للكافر ليسلم فالظاهر أنه خلاف  
الظاهر »<sup>(٥)</sup> .

وذهب الرازي ، وتبعه البيضاوي ، والخازن ، والقمي<sup>(٦)</sup> ، إلى أن الكفار ؛ المؤلفة من  
المشركين إنما يعطون من مال الفياء لا من الصدقات ، وأن النبي ﷺ أعطى المؤلفة قلوبهم يوم  
حنين ولا تعلق لها بالصدقات ، ولا يصلح أن يجعل ذلك تفسيراً للآية .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الراجح — والله أعلم — هو أن المؤلفة قلوبهم يشمل الفريقين،  
وأهم على صنفين : مسلمين وكفار ؛ أما المسلمون فصنفان :

— صنف نياهم في الإسلام ضعيفة ، فيعطون ؛ تأليفاً ؛ كعيينة بن حصن ، والأقرع بن

حابس .

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٢١/١١) ، وابن أبي شيبة (٢٢٣ / ٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره  
(١٨٢٣/٦) رقم (١٠٣٨١) ، وأبو عبيد في الأموال (١٩٦٠) قال : الذين يدخلون في الإسلام .

(2) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٢٣ / ٣) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٢١ / ١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره  
(١٨٢٣/٦) رقم (١٠٣٨٣) . قال : من أسلم من يهودي أو نصراني .

(3) ينظر : تفسير مقاتل ( ١٧٦ / ٢ ) ، وجامع البيان ( ٥١٩ / ١١ ) ، ومفاتيح الغيب ( ٨٦ / ٦ ) ، والجامع  
لأحكام القرآن ( ١٠ / ٢٦٢ ، ٢٦٥ ) ، وأنوار التنزيل ( ١ / ٤١٠ ) ، ولباب التأويل ( ٢ / ٢٣٥ ) ، وغرائب  
القرآن وغرائب الفرقان ( ٣ / ٤٩٠ ) ، والعذب النмир ( ٥ / ٢٣٨٥ ) .

(4) جامع البيان (٥١٩ / ١١) .

(5) العذب النмир (٥ / ٢٣٨٥) .

(6) ينظر : مفاتيح الغيب (٨٦ / ٦) ، وأنوار التنزيل (١ / ٤١٠) ، ولباب التأويل (٢ / ٢٣٥) ، وغرائب القرآن  
وغرائب الفرقان (٣ / ٤٩٠) .

— وصنف نياتهم في الإسلام حسنة ، فيعطون ؛ تأليفاً لعشائرتهم من المشركين ؛ كعدي ابن حاتم.

وأما الكفار فصنفان :

— صنفٌ يقصدون المسلمين بالأذى ، فيعطون ؛ دفعاً لأذاهم ؛ كعامر بن الطفيل .  
— وصنف كان لهم ميلٌ إلى الإسلام ، فيعطون ؛ تأليفاً على الإسلام ؛ كصفوان بن أمية<sup>(١)</sup>.

فقول الله تعالى : ﴿ فُلُوبِهِمْ ﴾ عامٌّ يشمل الفريقين من المسلمين والكفار ، هذا هو الراجح ؛ لأنه يجمع الآثار ويحقق عموم الآية ، فإن لفظها يفيد العموم وليس فيها تخصيص ، فمن كان في تأليف قلبه على الإسلام دخولاً فيه أو تمكناً منه وتقويةً مصلحةً بإعطائه فإنه يُعطى منها ، هذا الذي تفيد الآية بلفظها . ويفسره عمل النبي < ، فقد أعطى صفوان وهو كافر ثم أسلم بعد ذلك . وأعطى ضعيف الإيمان كأبي سفيان والأقرع ... فأعطى النبي < الفريقين ؛ تأليفاً لقلوبهم على الإسلام<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا النحاس، والجصاص، والماوردي، والسمعاني، والبعوي، وابن العربي، وابن عطية، وابن الجوزي، والنسفي، وابن كثير، والثعالبي، والبقاعي، وأبو السعود، والشهاب، والآلوسي، والسيد رشيد رضا، والمراغي، والطاهر بن عاشور<sup>(٣)</sup> .

(1) اختلف المفسرون في التمثيل لهذه الأصناف ، فمنهم من يمثّل لصنف (ضعيفي الإيمان لكي يقوى إيمانهم) : بأبي سفيان بن حرب ، وعيينة بن حصن الفزازي ، والأقرع بن حابس ، وعباس بن مرداس .. وعليه السمعاني (٣٢١/٢) متابعاً للماوردي (٣٧٥ /٢) . ومنهم من يمثّل بمؤلاء ( أبو سفيان ، وعيينة بن حصن ) لكي يسلموا... وعليه ابن أبي زنين (٢ / ٢١٣) . وليس محلّ البحث مناقشة هذا الاختلاف الوارد في التمثيل لهذه الأصناف .

(2) للوقوف على الآثار الواردة فيمن أُعطى من المؤلفة قلوبهم . ينظر : جامع البيان لابن جرير الطبري (١١ / ٥٢٠-٥٢١) ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧ / ٢٢١) .

(3) ينظر : معاني القرآن الكريم (٣ / ٢٢٤) ، وأحكام القرآن (٤ / ٣٢٤، ٣٢٥) ، والنكت والعيون (٢ / ٣٧٥) ، وتفسير القرآن (٢ / ٣٢١) ، ومعالم التنزيل (٢ / ٢٩٥ - ٢٩٦) ، وأحكام القرآن (٢ / ٩٦٢ - ٩٦٦) ، والحرر الوجيز (٦ / ٥٣٨) ، وزاد المسير (٣ / ٤٥٧) ، ومدارك التنزيل (٢ / ١٣٢) ، وتفسير القرآن العظيم (٧ / ٢٢١) ، والجواهر الحسان (٢ / ٥٦) ، ونظم الدرر (٨ / ٥٠٥) ، وإرشاد العقل السليم (٢ / ٤١٩) ، وحاشية الشهاب (٤ / ٣٣٦) ، وروح المعاني (١٠ / ١٢٢) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٠ / ٤٣٦ - ٤٣٧) ،

وهو مفهوم كلام الفراء، والسمرقندي<sup>(١)</sup> .

ويؤيده القول بالعموم القاعدة الترجيحية : ( يجب حمل نصوص الوحي على العموم)<sup>(٢)</sup> . والله تعالى أعلم .

ولا يرد على هذا القول أن إعطاء المؤلفلة قلوبهم من الكفار إنما هو من الفيء والمال الخاص لا من الزكاة والصدقات ؛ لأن هذا يحتاج إلى دليل خاص ، وهو محتمل لأن يكون من خُمس الخُمس ولأن يكون من الصدقات . والله أعلم .

وتفسير المراعي (١٠ / ١٤٣ - ١٤٤ ) ، والتحرير و التنوير (١٠ / ٢٣٦) .

(1) ينظر : معاني القرآن ( ١ / ٤٤٣ ) ، وبحر العلوم (٢ / ٥٢٧) .

(2) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢ / ٥٢٧) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَتَتْ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ۖ

ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾ (٦٣)

### ١٧- الخلاف في إعراب ﴿ فَأَتَتْ لَهُ ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « ﴿ فَأَتَتْ لَهُ ﴾ [ أَنْ ]<sup>(١)</sup> هنا مكررة تأكيداً للأولى . وقيل : بدل منها . وقيل : التقدير : فواجب أن له ، فهي في موضع خبر مبتدأ محذوف »<sup>(٢)</sup> .

#### العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ في إعراب أَنْ من قوله تعالى : ﴿ فَأَتَتْ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾ أنها تأكيداً للأولى في قوله : ﴿ أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ ﴾ . وهو اختيار المبرد<sup>(٣)</sup> . وعليه الزجاج ، والنحاس ، وابن أبي زمنين ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، والطاهر بن عاشور ، والشنقيطي<sup>(٤)</sup> . وهو مفهوم كلام ابن جرير الطبري حيث قال : « وَقَرَأَتِ الْقَرَأَةُ : ﴿ فَأَتَتْ ﴾ بفتح الألف من أَنْ ، بمعنى : ألم يعلموا أن لمن حادَّ الله ورسوله نارَ جهنم . وإعمال ﴿ يَعْلَمُوا ﴾ فيها ، كأنهم جعلوا أَنْ الثانية مكررة على الأولى ، واعتمدوا عليها ؛ إذ كان

(1) جاء في المطبوع وجميع النسخ الخطية بكسر الهمزة ، وهي قراءة أبي رزين ، وأبي عمران ، وابن أبي عبيدة : ( فإنَّ )  
( وقراً الجمهور ﴿ فَأَتَتْ ﴾ بفتح الهمزة . ينظر : زاد المسير لابن الجوزي ( ٣ / ٤٦٢ ) ، والدر المصون للسمين الحلبي ( ٦ / ٧٩ ) .

(2) التسهيل لعلوم التنزيل ( ٢ / ٧٩ ) .

(3) ينظر : مشكل إعراب القرآن لمكي ( ٣٣٢ ) ، وإعراب القرآن للنحاس ( ٢ / ٢٢٤ ) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ( ١٠ / ٢٨٦ ) .

(4) ينظر : معاني القرآن وإعراجه ( ٢ / ٤٥٩ ) ، وإعراب القرآن ( ٢ / ٢٢٤ ) ، وتفسير ابن أبي زمنين ( ٢ / ٢١٥ ) ، وزاد المسير ( ٣ / ٤٦٢ - ٤٦٣ ) ، والجامع لأحكام القرآن ( ١٠ / ٢٨٦ - ٢٨٧ ) ، والتحرير والتنوير ( ١٠ / ٢٤٧ ) ، والعذب النмир ( ٥ / ٢٣٩٩ ) .

الخبرُ معها دون الأولى»<sup>(١)</sup> .

وذكر هذا الإعراب الزمخشري ، والقمي بصيغة ( قيل )<sup>(٢)</sup> .

قال الزجاج : « لما طال الكلام كان إعادتها أوكد »<sup>(٣)</sup> .

ونظيره : قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ ﴾ [النمل : ٥] .

وقوله تعالى : ﴿ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾<sup>(٤)</sup> [الحشر : ١٧] .

واعترض مكّي على هذا الإعراب بأنه يلزم منه جواز التأكيد قبل تمام المؤكد ؛ لأنَّ

من قوله : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ ﴾ لم يتم قبل الفاء فكيف تؤكد قبل تمامها؟! وتمامها هو

الشرط وجوابه ؛ لأن الشرط وجوابه خبر أن ولا يتم إلا بتمام خبرها<sup>(٥)</sup> .

وأجاب عنه العكبري بأن هذه الآية كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا

السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ﴾ ثم قال : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا ﴾ [النحل : ١١٩] ، والفاء على هذا

جواب الشرط<sup>(٦)</sup> .

ومنه قوله :

لقد علم الحيُّ اليمانون أنني إذا قلت أما بعد أبي خطيبها<sup>(٧)</sup>

ورُدَّ هذا الإعراب أيضاً بأنه لو كان المراد فله وأن توكيد لكان نار جهنم مرفوعاً ولم

يعمل أنَّ فيه ، ولَمَّا فَصَلَ بين المؤكد والمؤكد بجملة الشرط ، ولما وقع أجنبي بين فاء الجزاء

وما في حيزه .

وأجيب عنه : بأنه ليس من باب التوكيد اللفظي بل التكرير لبعده العهد ، وهو من

(1) جامع البيان ( ١١ / ٥٤٠ ) .

(2) ينظر : الكشاف ( ٣ / ٦٣ ) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان ( ٣ / ٤٩٦ ) .

(3) معاني القرآن وإعرابه ( ٢ / ٤٥٩ ) . وينظر : زاد المسير ( ٣ / ٤٦٣ ) .

(4) ينظر : إعراب القرآن للنحاس ( ٢ / ٢٢٤ ) ، والمقتضب للميرد ( ٢ / ٣٥٦ ) .

(5) ينظر : مشكل إعراب القرآن ( ٣٣٣ ) .

(6) ينظر : التبيان ( ٢ / ٦٤٩ ) .

(7) ينظر : حاشية الشهاب ( ٤ / ٣٤٠ ) ، وروح المعاني ( ١٠ / ١٢٩ ) .

باب التطرية ، ومثل ذلك لا يمنع العمل ودخول الفاء . ونظيره قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [ النحل : ١١٩ ] وقوله : لقد علم الحي اليمانون ... وكم وكم . وجعل الآية من هذا الباب ... قاله الآلوسي (١) .

وقال الطاهر بن عاشور : « وأعيدت أن في الجواب ؛ لتوكيد أن المذكورة قبل الشرط توكيداً لفظياً ، فإنها لما دخلت على ضمير الشأن وكانت جملة الشرط وجوابه تفسيراً لضمير الشأن ، كان حكم أن سارياً في الجملتين ، بحيث لو لم تذكر في الجواب لعلم أن فيه معناها ، فلما ذكرت كان ذكرها توكيداً لها ، ولا ضير في الفصل بين التأكيد والمؤكد بجملة الشرط ، والفصل بين فاء الجواب ومدخولها بحرف ، إذ لا مانع من ذلك . ومن هذا القبيل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ . وقول الحماسي ، وهو أحد الأعراب : وإن امرأ دامت موثيق عهده على مثل هذا إنه لكريم » (٢) .

وقال الشنقيطي : « وتكرير أن إذا طال الفصل أسلوباً عربي معروف كثير في كلام العرب ، ومنه هذه الآية على الصحيح ﴿ فَأْتِ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾ » (٣) .

وأما إعراب أن الثانية على البدل من الأولى ، فهو مذهب الخليل ، وسيبويه (٤) . واعترض عليه مكّي أيضاً بما اعترض به على الإعراب الأول (٥) . وضعفه العكبري من وجهين :

أحدهما : أن الفاء التي معها تمنع من ذلك ، والحكم بزيادتها ضعيف .  
والثاني : أن جعلها بدلاً يُوجب سُقوطَ جواب ( مَنْ ) من الكلام (١) .

(1) المصدر الأخير .

(2) التحرير والتنوير ( ١٠ / ٢٤٧ ) .

(3) العذب النمير ( ٥ / ٢٣٩٩ ) .

(4) ينظر : مشكل إعراب القرآن لمكي ( ٣٣٢ ) ، والحرر الوجيز لابن عطية ( ٦ / ٥٥٢ ) . وينظر : الكتاب لسبويه ( ١ / ٤٦٧ ) .

(5) ينظر : مشكل إعراب القرآن ( ٣٣٣ ) .

وقال ابن عطية : « وهذا معترض بأن الشيء لا يبدل منه حتى يستوفى ، والأولى في هذا الموضع لم يأت خبرها بعد إذ لم يتم جواب الشرط ، وتلك الجملة هي الخبر . وأيضاً فإن الفاء تمنع البدل . وأيضاً فهي في معنى آخر غير الأول فيعلق البدل . وإذا تُلطف للبدل فهو بدل الاشتمال »<sup>(٢)</sup> .

وقال السمين : « وقد نُقلَ عن سيويه أنه قال : الثانية بدل من الأولى ، وهذا لا يصح عن سيويه ، فإنه ضعيف أو ممتنع »<sup>(٣)</sup> .

وأما إعراب أَنَّ الثانية على أنها في موضع خبر لمبتدأ محذوف تقديره : فواجبٌ أن له ، فهو إعراب الأخصش علي بن سليمان ، وعَلَّله بأن الفاء قَطَعَتْ ما قبلها مما بعدها<sup>(٤)</sup> .  
لكن ذكر السمين عنه أنه قد قدر الخبر المحذوف متأخراً ، أي : فإن له نار جهنم واجب<sup>(٥)</sup> .

واختاره الزمخشري لكنه جعل الخبر هو المحذوف لا المبتدأ مع أن كلامه المفسر يدل على أن المبتدأ هو المحذوف !! قال : « على حذف الخبر ، أي : فَحَقُّ أن له نار جهنم »<sup>(٦)</sup> .  
ولذا قال المبرد : وهذا مردود ؛ لأن الابتداء بـ أَنَّ لا يجوز مع إضمار الخبر<sup>(٧)</sup> .  
وأخذ بقول الزمخشري : النسفيُّ ، والخازن ، والقمي ، والسمين الحلبي ، وأبوالسعود ، وسليمان الجمل ، والآلوسي ، والقنوجي<sup>(٨)</sup> . وبدأ به البيضاوي<sup>(٩)</sup> .

(1) ينظر : التبيان (٢ / ٦٤٩) .

(2) المحرر الوجيز (٦ / ٥٥٢) .

(3) الدر المصون (٦ / ٧٨) .

(4) ينظر : المقتضب للمبرد (٢ / ٣٥٦ - ٣٥٧) ، وإعراب القرآن للنحاس (٢ / ٢٢٥) ، ومشكل إعراب القرآن لمكي (٣٣٣) .

(5) ينظر : الدر المصون (٦ / ٧٨) .

(6) الكشف (٣ / ٦٣) .

(7) ينظر : المحرر الوجيز (٦ / ٥٥٢) .

(8) ينظر : مدارك التنزيل (٢ / ١٣٣) ، ولباب التأويل (٢ / ٢٣٨) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣ / ٤٩٦) ،

والدر المصون (٦ / ٧٧ ، ٧٨) ، وإرشاد العقل السليم (٢ / ٤٢٢) ، والفتوحات الإلهية (٣ / ٢٨٤) ،

وروح المعاني (١٠ / ١٢٩) ، وفتح البيان (٥ / ٣٣٦) .

(9) ينظر : أنوار التنزيل (١ / ٤١٢) .

وعكس الشوكاني فقال : « خير مبتدأ محذوف ، أي : فحق أن له نار جهنم »<sup>(1)</sup>.  
فجعل المحذوف هو المبتدأ بعكس الزمخشري ومن تبعه .  
وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن أولى هذه الأعراب هو أوَّلُها ، وهو ما رجَّحه ابن جُزَيِّ  
ومن وافقه ؛ لوجود نظيره في القرآن وكلام العرب ، والله تعالى أعلم .

---

(1) فتح القدير (٢ / ٥٣٦) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾

قُلِ اسْتَخِرْهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَمُخْرِجٌ مِمَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾

### ١٨- الخلاف في عائد الضمائر في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ و ﴿نُبِّئُهُمْ﴾ و ﴿قُلُوبِهِمْ﴾.

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « والضمائر في عَلَيْهِمْ وَنُبِّئُهُمْ وَقُلُوبِهِمْ تعود على المنافقين . وقال الزمخشري : إن الضمير في عَلَيْهِمْ وَنُبِّئُهُمْ للمؤمنين ، وفي قُلُوبِهِمْ للمنافقين . والأول أظهر » (١) .

#### العرض والمناقشة :

استظهر ابن جزي أن الضمائر كلها للمنافقين في قوله تعالى : ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ . وعليه أبو حيان ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والآلوسي ، والقنوجي ، والقاسمي (٢) . وهو مفهوم كلام البقاعي ، والسعدي (٣) . وجوزّه الزمخشري ، والبيضاوي ، والقمي ، والطاهر بن عاشور (٤) . ودليله ظاهر تناسق الضمائر ومعادها .

ومعنى قوله ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على هذا القول : في شأنهم ومعناهم ، فإن ما نزل في حقهم نازل عليهم (٥) ؛ كقوله تعالى : ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَانَ﴾ [البقرة: ١٠٢]

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٧٩) .

(٢) ينظر : البحر المحيط (٥ / ٦٦) ، وإرشاد العقل السليم (٢ / ٤٢٢) ، وفتح القدير (٢ / ٥٣٦) ، وروح المعاني (١٠ / ١٣٠) ، وفتح البيان (٥ / ٣٣٧) ، ومحاسن التأويل (٨ / ٣١٩٢) .

(٣) ينظر : نظم الدرر (٨ / ٥١٥) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢ / ٢٦١) .

(٤) ينظر : الكشاف (٣ / ٦٣) أنوار التنزيل (١ / ٤١٢) ، وغرائب القرآن و رغائب الفرقان (٣ / ٤٩٦) ، والتحريير والتنوير (١٠ / ٢٤٨) .

(٥) ينظر : الكشاف للزمخشري (٣ / ٦٣) ، وأنوار التنزيل للبيضاوي (١ / ٤١٢) ، ومدارك التنزيل للنسفي (٢ / ١٣٣) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٥ / ٦٦) ، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢ / ٤٢٢) .

أي : في شأن ملكه . ويقال : كان كذا على عهد الخلفاء ، أي : في عهدهم وزمنهم<sup>(١)</sup> .  
أو تكون "عَلَى" بمعنى لام التعليل ، أي : تترل لأجل أحوالهم ؛ كقوله تعالى :  
﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدٰنٰكُمْ﴾ [البقرة : ١٨٥] وهو كثير في الكلام<sup>(٢)</sup> .

ومعنى قوله ﴿نُنَبِّئُهُمْ﴾ على هذا القول : إذاعة ما كانوا يخفون من أسرارهم فيما  
بين الناس فيسمعونها من أفواه الرجال مذاعة فكأنها تخبرهم بها . أو المراد بالتنبئة المبالغة في  
كون السورة مشتملة على أسرارهم كأنها تعلم من أحوالهم الباطنة ما لا يعلمونه فتنبئهم بها  
وتنعى عليهم قبائحهم<sup>(٣)</sup> . أو المراد تخبرهم بما في قلوبهم على وجه يكون المقصود منه لازم  
فائدة الخبر وهو علم الرسول عليه الصلاة والسلام به<sup>(٤)</sup> . أو تكون تعديية ﴿نُنَبِّئُهُمْ﴾ إلى  
ضمير المنافقين على نزع الخافض ، أي : تنبئ عنهم ، أي : تنبئ الرسول < بما في  
قلوبهم<sup>(٥)</sup> .

قال الشوكاني : « وهم وإن كان كانوا عالمين بما في قلوبهم فالمراد من إنباء السورة لهم  
إطلاعهم على أن المؤمنين قد علموا بما في قلوبهم »<sup>(٦)</sup> .

وأما قول الزمخشري : "إن الضمير في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ و ﴿نُنَبِّئُهُمْ﴾ للمؤمنين ، وفي  
﴿قُلُوبِهِمْ﴾ للمنافقين"<sup>(٧)</sup> ، فعليه الواحدي ، والبغوي ، والرازي ، والقرطبي ، والبيضاوي ،  
والخازن ، والقمي ، والسيوطي<sup>(٨)</sup> . ومال إليه السيد محمد رشيد رضا<sup>(٩)</sup> . وكأن الشنقيطي

(1) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (١٠/٤٦٣) .

(2) ينظر : التحرير و التنوير للطاهر بن عاشور (١٠/٢٤٨) .

(3) ينظر : إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢/٤٢٢) .

(4) ينظر : روح المعاني للآلوسي (١٠/١٣٠) .

(5) ينظر : التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (١٠/٢٤٨) .

(6) فتح القدير (٢/٥٣٦) . وتبعه القنوجي في فتح البيان (٥/٣٣٧) .

(7) الكشاف (٣/٦٣) .

(8) ينظر : الوجيز (١/٤٧٠) ، ومعالم التنزيل (٢/٣٠٠) ، ومفاتيح الغيب (٦/٩٣) ، والجامع لأحكام

القرآن (١٠/٢٨٨) ، وأنوار التنزيل (١/٤١٢) ، ولباب التأويل (٢/٢٣٨) ، وغرائب القرآن و رغائب

الفرقان (٣/٤٩٦) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/٢٨٤) .

(9) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (١٠/٤٦٣) .

يميل إليه <sup>(١)</sup> .

وجوزّه الآلوسي، والطاهر <sup>(٢)</sup> .

وذكره أبو السعود ، والقاسمي بصيغة ( قيل ) <sup>(٣)</sup> .

قال الزمخشري : « وصحَّ ذلك ؛ لأن المعنى يقود إليه » .

وأورد عليه أن فيه تفكيكاً للضمائر . وأجيب بأنه غير ممنوع مطلقاً ، ولا ينافي البلاغة

إلا إذا كان المعنى به غير مفهوم . فأعيد الضمير على المؤمنين ؛ لأن سياق الكلام فيهم <sup>(٤)</sup> .

وقال الطاهر : « ولا يضر تخالف الضميرين مع ضمير ﴿ قُلُوبِهِمْ ﴾ الذي هو

للمنافقين لا محالة ؛ لأن المعنى يردُّ كل ضمير إلى ما يليق بأن يعود إليه » <sup>(٥)</sup> .

واختار ابن جرير الطبري أن الضمير في ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ و ﴿ قُلُوبِهِمْ ﴾ عائد على

المنافقين ، أما ضمير ﴿ نُنبئُهُم ﴾ فيعود على المؤمنين <sup>(٦)</sup> .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن كلا القولين جائز ، والأول أظهر ، وهو ما رجّحه ابن جزيّ

ومن وافقه ؛ لتأييده بالقاعدة الترجيحية : ( توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من

تفريقها ) <sup>(٧)</sup> ، والله تعالى أعلم

(1) ينظر : العذب النمير ( ٥ / ٢٤٠٣ ) .

(2) ينظر : روح المعاني ( ١٠ / ١٣٠ ) ، والتحرير والتنوير ( ١٠ / ٢٤٨ ) .

(3) ينظر : إرشاد العقل السليم ( ٢ / ٤٢٢ ) ، ومحاسن التأويل ( ٨ / ٣١٩٢ ) .

(4) ينظر : تفسير القرآن الحكيم للسيد محمد رشيد رضا ( ١٠ / ٤٦٣ ) .

(5) التحرير والتنوير ( ١٠ / ٢٤٨ ) .

(6) ينظر : جامع البيان ( ١١ / ٥٤١ ) .

(7) قواعد الترجيح عند المفسرين ( ٢ / ٦١٣ ) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾  
**١٩- الخلاف في معنى ﴿الَّذِي﴾ من قوله تعالى: ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾.**

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: «﴿الَّذِي خَاضُوا﴾ تقديره: كالحوض الذي خاضوا. وقيل: كالذين خاضوا، فـ ﴿الَّذِي﴾ هنا - على هذا - بمعنى الجمع»<sup>(١)</sup>.  
**العرض والمناقشة:**

ظاهر كلام ابن جزي أنه يرجح أن ﴿الَّذِي﴾ في قوله تعالى: ﴿كَالَّذِي خَاضُوا﴾ أنها بمعنى المصدر، بمتلة "ما" المصدرية، والتقدير: وخضتم كالحوض الذي خاضوا أو خضتم حوضاً كحوضهم الذي خاضوه. ووافق في هذا المعنى: يونس<sup>(٢)</sup>، والقراء<sup>(٣)</sup>، والأخفش<sup>(٤)</sup>. وعليه الطبري، والواحدي، والبغوي، وابن الجوزي، والرازي، وأبو حيان، والسمين الحلبي، والبقاعي، والسيوطي، والشهاب، والسيد رشيد رضا، والطاهر ابن عاشور<sup>(٥)</sup>.  
 واستغربه الكرمانى<sup>(٦)</sup>. وقال العكبري: «وهو نادر»<sup>(٧)</sup>.

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٨٠).

(2) ينظر: كشف المشكلات للباقولي (١ / ٥٠١).

(3) ينظر: معاني القرآن (١ / ٤٤٦).

(4) ينظر: كشف المشكلات للباقولي (١ / ٥٠١)، وغرائب التفسير وعجائب التأويل للكرمانى (١ / ٤٦٠).

(5) ينظر: جامع البيان (١١ / ٥٥١)، والوجيز (١ / ٤٧٢) والوسيط (٢ / ٥٠٩)، ومعالم التنزيل (٢ / ٣٠٣)،

وتذكرة الأريب (١ / ٢٢٠) وزاد المسير (٣ / ٤٦٧)، ومفاتيح الغيب (٦ / ٩٩)، والبحر المحيط (٥ / ٦٩)،

والدر المصون (٦ / ٨٤)، ونظم الدرر (٨ / ٥٢٣)، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣ / ٨٨٢)،

وحاشية الشهاب (٤ / ٣٤٣)، وتفسير القرآن الحكيم (١٠ / ٤٧٢)، والتحرير والتنوير (١٠ / ٢٥٩).

(6) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل (١ / ٤٦٠).

(7) التبيان (٢ / ٦٥١).

قال السمين الحلبي : « إن ﴿الَّذِي﴾ من صفة المصدر والتقدير : وخضتم خوضاً كالخوض الذي خاضوه . وعلى هذا فالعائد منصوب من غير وساطة حرف جر . وهذا الوجه ينبغي أن يكون هو الراجح ؛ إذ لا محذور فيه »<sup>(١)</sup> .  
وقال الشهاب : « ورُجِّحَ بعدم التكلف فيه »<sup>(٢)</sup> .

وقال السمين أيضاً : « إن ﴿الَّذِي﴾ تقع مصدرية ، والتقدير : وخضتم خوضاً كخوضهم ، ومثله :

فثبت الله ما آتاك من حُسْنٍ في المرسلين ونصراً كالذي نُصِرُوا  
أي : كنصرهم .

وقول الآخر :

يا أم عمرو جزاك الله مغفرةً رُدِّيَ عليَّ فؤادي كالذي كانا  
أي : ككونه .

وقد تقدم أن هذا مذهب الفراء ويونس ، وتقدم تأويل البصريين لذلك »<sup>(٣)</sup> .  
وعلى هذا القول ، فالمراد تشبيهه خوض المنافقين بخوض أولئك ، وهو الخوض الذي حُكِيَ عنهم في قوله تعالى : ﴿لَيَقُولَنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة : ٦٥] والمعنى : وخضتم في الكفر والاستهزاء بآيات الله ورسوله كالخوض الذي خاضوه في ذلك ، فأنتم وهم سواء ، فيوشك أن يحيق بكم ما حاق بهم »<sup>(٤)</sup> .

والقول الآخر في ﴿الَّذِي﴾ بأنها بمعنى الذين ، فذهب إليه محمود النيسابوري، والعكبري، والقرطبي، والشوكاني، والألوسي »<sup>(٥)</sup> .

(1) الدر المصون (٦/ ٨٤) .

(2) حاشية الشهاب (٤/ ٣٤٣) .

(3) الدر المصون (٦/ ٨٤) .

(4) ينظر : التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (١٠/ ٢٥٩) .

(5) ينظر : إيجاز البيان (١/ ٣١٠) ، والتبيان (٢/ ٦٥٠) ، والجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٢٩٦) ، وفتح القدير

(٢/ ٥٤٠) ، وروح المعاني (١٠/ ١٣٤) .

وتعجّب منه الكرمانى (١) .

وذكره البغوي ، وأبو حيان بصيغة ( قيل ) (٢) .

قال الطاهر بن عاشور: « وإذا كان عائد الصلة هنا ضمير جمع تعيّن أن يكون المراد

بـ ﴿الَّذِي﴾ : تأويله بالفريق أو الجمع . ويجوز أن يكون ﴿الَّذِي﴾ هنا أصله الذين

مُخَفَّفٌ بحذف النون على لغة هذيل وتميم ؛ كقول الأشهب بن زميلة النهشلي :

وإن الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد (٣)

ونحاة البصرة يرون هذا الاستعمال خاصاً بحالة أن تطول الصلة كالبيت فلا ينطبق

عندهم على الآية ، ونحاة الكوفة يجوزونه ولو لم تطل الصلة ، كما في الآية « (٤) .

وقال البغوي : « وذلك أن ﴿الَّذِي﴾ اسم ناقص ، مثل (ما) و (من) يُعَبَّرُ به عن

الواحد والجميع ، نظيره قوله تعالى : ﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ ثم قال : ﴿ذَهَبَ اللَّهُ

بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة : ١٧] . (٥)

وضعه السيد محمد رشيد رضا لفظاً ومعنى ، وقال : « المراد أنكم تخوضون كخوض من

قبلكم - وهو الذي يقتضيه العطف - لا كالذين خاضوا مطلقاً من أي فريق كانوا » (٦) .

وذهب الزمخشري إلى الجمع بينهما فقال : « كالفوج الذي خاضوا و كالخوض الذي

خاضوه » (٧) .

وسوّى بينهما بـ (أو) : البيضاوي، والنسفي، والقمي، وأبو السعود، والقاسمي،

والفتوّجي (٨) وقالوا : كالفوج الذي خاضوا أو كالخوض الذي خاضوه .

(1) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل ( ١ / ٤٦٠ ) .

(2) ينظر : معالم التنزيل ( ٢ / ٣٠٣ ) ، والبحر المحيط ( ٥ / ٦٩ ) .

(3) البيت في خزنة الأدب ( ٦ / ٢٩ ) ، ومعجم الشعراء ( ٣٣ ) ، ومعاني القرآن للأخفش ( ١ / ٨٥ ) .

(4) التحرير والتنوير ( ١٠ / ٢٥٩ ) .

(5) معالم التنزيل ( ٢ / ٣٠٣ ) .

(6) تفسير القرآن الحكيم ( ١٠ / ٤٧٢ ) .

(7) ينظر : الكشاف ( ٣ / ٦٥ ) .

(8) ينظر : أنوار التنزيل ( ١ / ٤١٣ ) ، ومدارك التنزيل ( ٢ / ١٣٥ ) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان ( ٣ /

٤٩٩ ) ، وإرشاد العقل السليم ( ٢ / ٤٢٤ ) ، ومحاسن التأويل ( ٨ / ٣١٩٨ ) ، وفتح البيان ( ٥ / ٣٤٢ ) .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أولى القولين في ذلك بالصواب هو ما رجّحه ابن جُزَيٍّ ومن وافقه ، وهو أن تكون ﴿الَّذِي﴾ مصدرية ، والتقدير : وخضتم كالحوض الذي خاضوه أو وخضتم حوضاً كخوضهم ؛ لأن المراد هو تشبيهه حوض المنافقين في الكفر والاستهزاء بآيات الله ورسوله بخوض أولئك الذين من قبلهم ، والله تعالى أعلم .

قَالَ تَعَالَى:

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ أَيْمَانًا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ ۗ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (٧٤)

في هذه الآية الكريمة مسألتان :

المسألة الأولى هي :

٢٠- فيمَن نزلت هذه الآية : ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « نزلت في الجلاس بن سويد ، فإنه قال : إن كان ما يقول محمداً حقاً فنحن شرٌّ من الحمير . فبلغ ذلك النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم فقرأ عليه فحلف أنه ما قاله . وقيل : الآية نزلت في عبد الله بن سلول ، وكلمة الكفر التي قالها : قوله : سمن كلبك يأكلك . وهم بما لم يناله : قوله : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل » (١) .

العرض والمناقشة :

رجح ابن جزي أن قوله تعالى : ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾ الآية . نزلت في الجلاس بن سويد . ووافق في هذا ما روي عن كعب بن مالك (٢) ، وابن عباس (٣) ، وعروة بن الزبير (٤) ،

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٨٠) .

(٢) أخرجه ابن إسحاق كما في السيرة النبوية لابن هشام (١ / ٥١٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦ / ١٨٤٣) رقم (١٠٤٠١) من طريق ابن إسحاق ، ثنا الزهري ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ، عن أبيه ، عن جده كعب . وإسناده حسن ؛ لحال ابن إسحاق ؛ فإنه صدوق ، وبقية رجاله ثقات . وينظر : الدر المنثور (٤ / ٢٤٠) .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦ / ١٨٤٣) رقم (١٠٤٠٢) . وفي آخره : ( فرعموا أنه تاب وحسنت توبته) . وفي إسناده محمد بن أبي محمد مجهول . وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٣ / ٤٧٠) : رواه أبو صالح ، عن ابن عباس . وينظر : الدر المنثور (٤ / ٢٤٠) .

(٤) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٣ / ١٨٣٠٣) ، وابن سعد في طبقاته (٤ / ٣٧٥) ، وابن جرير الطبري في جامع

وابن إسحاق<sup>(١)</sup> ، والكلبي<sup>(٢)</sup> .

وعليه مقاتل، والسمرقندي، والزحشري، وابن عطية، ومحمود النيسابوري، والبيضاوي،  
والنسفي، والبلنسي، والثعالبي، وأبو السعود<sup>(٣)</sup> .

وذكره أبو حيان بصيغة ( قيل )<sup>(٤)</sup> .

وخرّجوا قوله تعالى : ﴿ قَالُوا ﴾ وهي صيغة جمع مع أن القائل هو الجلاس على أن  
الباقيين رضوا بما قاله فصاروا بمتزلة القائل<sup>(٥)</sup> .

قال السيد محمد رشيد رضا : « أشار الذهبي إلى ضعف حديث جلاس هذا مع قوله :  
إنه كان من المنافقين وتاب ، ورؤي أنه كان من المخلفين الذين لم يحضروا غزوة تبوك »<sup>(٦)</sup> .

وأما القول الآخر بأنها نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول ، فهو قول قتادة<sup>(٧)</sup> .

- 
- البيان ( ١١ / ٥٦٩ ، ٥٧٠ ) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ( ٦ / ١٨٤٦ ) . وفي آخره ( أنه تاب ) . وزاد السيوطي  
في الدر المنثور ( ٤ / ٢٤١ ) نسبه إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ .
- (1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان ( ١١ / ٥٧٠ ) . وينظر : سيرة ابن هشام ( ١ / ٥١٩ ) .
- (2) ينظر : معالم التنزيل للبغوي ( ٢ / ٣٠٥ ) ، ولياب التاويل للخازن ( ٢ / ٢٤٣ ) .
- (3) ينظر : ينظر : تفسير مقاتل ( ٢ / ١٨٢ - ١٨٣ ) ، وبحر العلوم ( ٢ / ٦٢ ) ، والكشاف ( ٣ / ٦٨ - ٦٩ ) ،  
والحرر الوجيز ( ٦ / ٥٦٩ ) ، وإيجاز البيان ( ١ / ٣١٠ ) ووضح الريحان ( ١ / ٤٠٣ ) ، وأنوار التنزيل  
( ١ / ٤١٤ ) ، ومدارك التنزيل ( ٢ / ١٣٦ ) ، وتفسير مبهمات القرآن ( ١ / ٥٥١ ) ، والجواهر الحسان  
( ٢ / ٦٢ ) ، وإرشاد العقل السليم ( ٢ / ٤٢٧ - ٤٢٨ ) .
- (4) ينظر : البحر المحيط ( ٥ / ٧٢ ) .
- (5) ينظر : إرشاد العقل السليم لأبي السعود ( ٢ / ٤٢٨ ) ، وحاشية الشهاب ( ٤ / ٣٤٥ ) ، وروح المعاني للآلوسي  
( ١٠ / ١٣٨ ) ، وفتح القدير ( ٢ / ٥٤٤ ) ، وفتح البيان ( ٥ / ٣٥١ ) .
- (6) تفسير القرآن الحكيم ( ١٠ / ٤٨٥ ) بتصرف يسير .
- (7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان ( ١١ / ٥٧٢ ) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ( ٦ / ١٨٤٣ - ١٨٤٤ ) رقم  
( ١٠١١٠ ) وإسناده صحيح إلا أنه مرسل . وزاد السيوطي في الدر المنثور ( ٤ / ٢٤١ ) نسبه إلى ابن المنذر .  
وأخرجه مختصراً عبد الرزاق في تفسيره ( ٢ / ٢٨٣ ) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان ( ١١ / ٥٧٢ ) كلاهما من  
طريق معمر ، عنه . وأصل الخبر دون ذكر نزول الآية عند أحمد في مسنده ( ١٥٢٢٣ ) ، والبخاري في صحيحه  
( ٤٩٠٥ ) ، ومسلم في صحيحه ( ٤ / ٢٥٨٤ ) عن جابر . وعند أحمد في مسنده ( ١٩٣٣٤ ) ، والبخاري في  
صحيحه ( ٤٩٠٣ ) ، ومسلم في صحيحه ( ٢٧٧٢ ) عن زيد بن أرقم . وينظر : أسباب النزول للواحدي  
( ٢٨٩ ) .

وجعله السعدي مثلاً لتفسير الكلمة فقال : «كقول من قال منهم : ليخرجن الأعز منها الأذل»<sup>(١)</sup> .

وذكره أبو حيان بصيغة ( قيل )<sup>(٢)</sup> .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الصواب من القول في ذلك هو عدم التعيين ؛ لعدم الدليل الصحيح على أن المراد به واحد معين ، وقد عمَّ الله تعالى بذلك جماعة المنافقين فيجوز أن يكون القائل هو الجلاس ، ويجوز أن يكون ابن أبي بن سلول ، ولا خبر صحيح يوجب الحجة بأنه أحدهما.

وعلى أنه رجل من المنافقين من غير تسميته : قول أنس بن مالك<sup>(٣)</sup> ، وابن سيرين<sup>(٤)</sup> ، ومجاهد<sup>(٥)</sup> ، والحسن<sup>(٦)</sup> . وذهب إليه ابن جرير الطبري، وابن العربي، والرازي، وابن كثير، والقاسمي، والسيد رشيد رضا، والمراغي، والطاهر بن عاشور<sup>(٧)</sup> .  
ويؤيده من القواعد الترجيحية قاعدة القول بالعموم وهي : ( يجب حمل نصوص الوحي على العموم )<sup>(٨)</sup> . والله تعالى أعلم .

(1) ينظر : تيسير الكريم الرحمن (٢ / ٢٦٧) .

(2) ينظر : البحر المحيط (٥ / ٧٢) .

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦ / ١٨٤٢) رقم (١٠٢٢٢) قال : سمع زيد بن أرقم رجل من المنافقين يقول - والنبي < يخطب - : إن كان هذا صادقاً لنحن شر من الحمير ... الحديث . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٢٤٠) نسبه إلى أبي الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقي في الدلائل . وأصله رواه البخاري في صحيحه (٤٩٠٦) . قال ابن كثير في تفسيره (٧ / ٢٣٨) : والمشهور في هذه القصة أنها كانت في غزوة بني المصطلق ، فعمل الراوي وهم في ذكر الآية وأراد أن يذكر غيرها فذكرها ، والله أعلم .

(4) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٢٤٢) إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١ / ٥٧١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦ / ١٨٤٥) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٢٤٢) نسبه إلى ابن أبي شيبه ، وابن المنذر .

(6) ينظر : النكت والعيون للماوردي (٢ / ٣٨٣) ، وأحكام القرآن للحصاص (٤ / ٣٤٩) ، وأحكام القرآن لابن العربي (٢ / ٩٧٩) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٣ / ٤٧٠) .

(7) ينظر : جامع البيان (١١ / ٥٧٢) ، وأحكام القرآن (٢ / ٩٧٩) ، ومفاتيح الغيب (٦ / ١٠٤) ، وتفسير القرآن العظيم (٧ / ٢٣٧ - ٢٤٣) ، ومحاسن التأويل (٨ / ٣٢٠٥) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٠ / ٤٨٤ - ٤٨٧) ، وتفسير المراغي (١٠ / ١٦٥) ، والتحرير والتنوير (١٠ / ٢٦٩) .

(8) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢ / ٥٢٧) .

### المسألة الثانية هي :

٢١- ما المراد بالهمَّ بما لم ينلْهُ ؟ في قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ أُولَاٰئِكَ نَبَاٌ لِّمَنْ أَعْرَضَ ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « هَمَّ الْجُلَّاسُ بِقَتْلِ مَنْ بَلَغَ تِلْكَ الْكَلِمَةَ عَنْهُ . وَقِيلَ : هَمَّ بِقَتْلِ النَّبِيِّ < »<sup>(١)</sup> .

### العرض والمناقشة :

لما رَجَّحَ ابن جُزَيِّ أَنَّ الحَالِفَ مَا قَالَ كَلِمَةَ الكُفْرِ هُوَ الْجُلَّاسُ بن سويد - وقد تبيَّن أَنَّ هذا مرجوح - رَجَّحَ هنا أَنَّ الهمَّ بما لم ينلْهُ هو : هَمُّهُ بِقَتْلِ مَنْ بَلَغَ تِلْكَ الْكَلِمَةَ عَنْهُ . ووافق في هذا ما ذهب إليه السمرقندي، وابن أبي زمنين، ومحمود النيسابوري، والبلنسي<sup>(٢)</sup> . وقدمه ابن عطية<sup>(٣)</sup> .

وذكره الزمخشري ، والقمي ، وابن كثير بصيغة ( قيل )<sup>(٤)</sup> . وأما القول الآخر بأن الجلاس همَّ بقتل النبي < فلم أر من قال به وذهب إليه . لكن اختار جماعة من المفسرين أن جماعة من المنافقين همَّوا بقتل النبي < ليلة العقبة في غزوة تبوك ، ومنهم : مقاتل، والزجاج، والسمعاني، والزمخشري، وابن الجوزي، والرازي، والقرطبي، والبيضاوي، والقمي، وابن كثير، والسيوطي، وأبو السعود، والآلوسي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي، والطاهر بن عاشور<sup>(٥)</sup> .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٨٠) .

(2) ينظر : بحر العلوم (٢/ ٦٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ٢٢٠) ، وإيجاز البيان (١/ ٣١٠) ، وتفسير مبهمات القرآن (٢/ ٦٢) .

(3) ينظر : المحرر الوجيز (٦/ ٥٧٠) وقال : هذا يشبه الآية إلا أنه غير قوي السند.

(4) ينظر : الكشاف (٣/ ٧٠) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٥٠٤) ، وتفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٤٠) .

(5) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ١٨٣، ١٨٤) - لكنه جعل من هؤلاء من المنافقين ابن أبي الجلاس - ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٦١) ، وتفسير القرآن (٢/ ٣٢٩) ، والكشاف (٣/ ٦٩) ، وتذكرة الأريب (١/ ٢٢١) ، ومفاتيح الغيب (٦/ ١٠٤) ، والجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٣٠٤) ، وأنوار التنزيل (١/ ٤١٤) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٥٠٤) ، وتفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٤٠) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ٢٩٢) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٤٢٨) ، وروح المعاني (١٠/ ١٣٩) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٠/ ٤٨٦) ، وتفسير المراغي (١٠/ ١٦٥) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ٢٦٧) ، والتحرير

وَعُزِّيَ هَذَا الْقَوْلَ إِلَى الْكَلْبِيِّ ، وَالضَّحَّاكَ <sup>(١)</sup> ، وَابْنَ إِسْحَاقَ <sup>(٢)</sup> .  
ويدل له ما رواه حذيفة بن اليمان قال : كنت آخذًا بخطام ناقة رسول الله < ، أقود به ، وعمار يسوق الناقة ، أو أنا أسوقه وعمار يقوده ، حتى إذا كنا بالعقبة ، فإذا أنا باثني عشر راكبًا قد اعترضوه فيها ، قال : فأنبهت رسول الله < بهم ، فصرخ بهم فولوا مدبرين ، فقال لنا رسول الله < : ( هل عرفتم القوم ؟ ) قلنا : لا يا رسول الله ، قد كانوا مثلثمين ، ولكننا قد عرفنا الركاب . قال : ( هؤلاء المنافقون إلى يوم القيامة ، وهل تدرون ما أرادوا ؟ ) قلنا : لا . قال : ( أرادوا أن يزحموا رسول الله < في العقبة فيلقوه منها ) الحديث .<sup>(٣)</sup>  
وعن أبي الطفيل قال : لما أقبل رسول الله < من غزوة تبوك ، أمر مناديًا فنادى : إن رسول الله < آخذ العقبة فلا يأخذها أحد ، فبينما رسول الله < يقوده حذيفة ويسوقه عمار ، إذ أقبل رهط مثلثمون على الرواحل ، فغشوا عمارًا وهو يسوق برسول الله < ، وأقبل عمار ط يضرِب وجوه الرواحل ، فقال رسول الله < لحذيفة : ( قد قد ) حتى هبط رسول الله < فلما هبط نزل ورجع عمار ، فقال : ( يا عمار ، هل عرفت القوم ؟ ) فقال : لقد عرفت عامة الرواحل ، والقوم مثلثمون . قال : ( هل تدري ما أرادوا ؟ ) قال : الله ورسوله أعلم . قال : ( أرادوا أن ينفروا برسول الله < فيطرحوه ) . قال : فسارَّ عمار رجلًا من أصحاب رسول الله < ، فقال : نشدتك بالله ، كم تعلم كان أصحاب العقبة ؟ قال : أربعة عشر رجلًا . فقال : إن كنت منهم فقد كانوا خمسة عشر . قال : فعذر رسول الله < منهم ثلاثة قالوا : والله ما سمعنا منادي رسول الله < وما علمنا ما أراد القوم ، فقال عمار : أشهد أن الاثني عشر الباقيين حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد <sup>(٤)</sup> .

والتنوير ( ٢٧٠/١٠ ) .

- (1) ينظر : الوسيط للواحدى ( ٥١٢ / ٢ ) ، وأسباب النزول له ( ٢٨٩ ) .
- (2) ينظر : الدر المنثور للسيوطي ( ٢٤٣ - ٢٤٤ ) .
- (3) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ( ٥ / ٢٦٠ - ٢٦١ ) دون ذكر الآية .
- (4) أخرجه أحمد في مسنده ( ٥ / ٤٥٣ - ٤٥٤ ) برقم ( ٢٣٣٢١ ، ٢٣٧٩٢ ، ٢٣٨٩٩ ط التركي ) بدون ذكر الآية . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ( ٦ / ١٩٥ ) : رجاله رجال الصحيح .

قال ابن كثير : « ويشهد لهذه القصة بالصحة ما رواه مسلم <sup>(١)</sup> من حديث أبي الطفيل قال : كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة بعض ما يكون بين الناس ، فقال : أنشدك بالله ، كم كان أصحاب العقبة ؟ قال : فقال له القوم : أخبره إذ سألك . قال : كنا نخر أنهم أربعة عشر ، فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر ، وأشهد بالله أن اثني عشر منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ، وعذر ثلاثة قالوا : ما سمعنا منادي رسول الله < ولا علمنا بما أراد القوم ، وقد كان في حرّة فمشى فقال : ( إن الماء قليل ، فلا يسبقني إليه أحد ) . فوجد قومًا قد سبقوه فلعنهم يومئذ » <sup>(٢)</sup> .

وفي المسألة قول آخر وهو : أن المنافقين قالوا في غزوة تبوك : إذا قدمنا المدينة ، عقدنا على رأس عبد الله بن أبيّ تاجًا نباهي به رسول الله < ، فلم ينالوا ما هموا به .  
روى هذا عن السدي <sup>(٣)</sup> ، وأبي صالح <sup>(٤)</sup> . واختاره الواحدي <sup>(٥)</sup> .  
وذكره الزمخشري ، والقرطبي ، والقمي بصيغة ( قيل ) <sup>(٦)</sup> .

وقول آخر وهو : أن الذي همّ هو عبد الله بن أبي سلول ، وكان همّ الذي لم ينلّه قوله : ( لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ) . روي هذا عن قتادة <sup>(٧)</sup> .  
وقال ابن الجوزي : رواه أبو صالح ، عن ابن عباس ، وبه قال قتادة <sup>(٨)</sup> .

وبعد ، فإذا تقرر هذا فالصواب أن الذي همّ بما لم يناله هم جماعة من المنافقين ، وعدم التعيين هو الصحيح ، والأقرب في الهمّ بما لم ينالوا هو همّهم بالفتك برسول الله < ليلة العقبة منصرفه من غزوة تبوك ؛ لقوة أدلته ، ولمناسبة تلك القصة بغزوة تبوك ، وكون هذه السورة نازلة بعدها ، والله تعالى أعلم .

(1) صحيح مسلم ( ٢٧٧٩ ) .

(2) تفسير القرآن العظيم ( ٧ / ٢٤٢ ) .

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ( ٦ / ١٨٤٥ ) رقم ( ١٠٠٠٤ ) . وزاد السيوطي في الدر المنثور ( ٤ / ٢٤٤ ) نسبه إلى أبي الشيخ . وينظر : زاد المسير لابن الجوزي ( ٣ / ٤٧١ ) .

(4) نسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٤ / ٢٤٤ ) إلى أبي الشيخ .

(5) ينظر : الوجيز ( ١ / ٤٧٣ ) والوسيط ( ٢ / ٥١٢ ) .

(6) ينظر : الكشاف ( ٣ / ٧٠ ) ، والجامع لأحكام القرآن ( ١٠ / ٣٠٤ ) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان ( ٣ / ٥٠٤ )

(7) سبق تخريجه في المسألة السابقة .

(8) زاد المسير ( ٣ / ٤٧١ ) .

## قَالَ تَعَالَى:

﴿ اَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۗ ﴾

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾

### ٢٢- الخلاف في معنى قوله تعالى: ﴿ اَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ۗ ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « يحتمل معنيين : أحدهما : أن يكون لفظه أمر ، ومعناه الشرط ، ومعناه : إن استغفرت لهم أو لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ، كما جاء في سورة المنافقين . والآخر : أن يكون تخيير ، كأنه قال : إن شئت فاستغفر لهم ، وإن شئت فلا تستغفر لهم ، ثم أعلمه الله أنه لا يغفر لهم . وهذا أرجح ؛ لقول رسول الله < : ( إن الله خيرني فاخترت ) . وذلك حين قال عمر : أتصلي على عبد الله بن أبيّ وقد نكأ الله عن الصلاة عليه » (١) .

### العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيِّ في معنى قوله تعالى : ﴿ اَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ۗ ﴾ أنه على التخيير . ووافق في هذا ما نُسب إلى الحسن ، وقتادة ، وعروة (٢) .

وعليه النحاس ، والسمرقندي ، وابن أبي زمنين ، والماوردي ، والواحدي ، وابن العربي ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، وأبو حيان ، والثعالبي ، والسيوطي ، والآلوسي (٣) .

واستدل له ابن جُزَيِّ ومن وافقه بما روى ابن عمر ك : أن عبد الله بن أبيّ لما توفي جاء ابنه إلى النبي < فقال : أعطني قميصك أكفنه فيه ، وصلّ عليه واستغفر له . فأعطاه النبي < قميصه فقال : ( آذني أصلي عليه ) فأذنه . فلما أراد أن يصلي عليه جذبه عمر ط

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٨١) .

(٢) نسبه إليهم القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٠ / ٣٢١) .

(٣) ينظر : الناسخ والمنسوخ (٢ / ٤٦٧) ، و بحر العلوم (٢ / ٦٥) ، وتفسير القرآن العزيز (٢ / ٢٢٢) ، والنكت والعيون (٢ / ٣٨٦) ، والوجيز (١ / ٤٧٥) ، وأحكام القرآن (٢ / ٩٩١) — وقال : وهذا أقوى — ، والحرر الوجيز (٦ / ٥٨٠) ، وزاد المسير (٣ / ٤٧٧) — وقال : هذا قول المحققين — ، والبحر المحييط (٥ / ٧٦) ، والجواهر الحسان (٢ / ٦٥) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية / ٣ / ٢٩٨ ) ، وروح المعاني (١٠ / ١٤٧) .

فقال : أليس الله هناك أن تصلي على المنافقين ؟ فقال : ( أنا بين خيرتين ، قال الله تعالى : ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ ) . فصلى عليه ، فزلت ﴿ وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا ﴾ <sup>(١)</sup> [التوبة : ٨٤] . وفي رواية : ( إنما خيرني الله فقال : ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ﴾ وسأزيده على السبعين ) <sup>(٢)</sup> .

وروى ابن عباس ب ، عن عمر بن الخطاب ط أنه قال : لما مات عبد الله بن أبي ابن سلول دُعي له رسول الله < ليصلي عليه : فلما قام رسول الله < وثبت إليه فقلت : يا رسول الله ، أتصلي على ابن أبي ؟ وقد قال يوم كذا وكذا : كذا وكذا ، أعدد عليه ، قال : ( إني خيرت فاخترت لو أعلم أي لو زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها ) <sup>(٣)</sup> الحديث .

وهذا نص واضح في فهم النبي < من الآية التخيير <sup>(٤)</sup> .

قال ابن العربي : « وهذا أقوى ؛ لأن هذا نص صريح صحيح من النبي < في التخيير ، وتلك استنباطات ، والنص الصريح أقوى من الاستنباط » <sup>(٥)</sup> .

ويؤيد هذا القول أن ﴿ أَوْ ﴾ هاهنا للتخيير <sup>(٦)</sup> . ولا يمكن إخراجها عن هذا المعنى إلا بدليل ، كيف وقد فهم النبي < ذلك ؟!

(1) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ١٨) ، والبخاري في صحيحه (١٢٦٩) ، ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٤١) (٢٧٧٤) ، والنسائي في الكبرى (٢٠٢٧) ، (١١٢٢٤) وفي المحتى (١٨٩٩) ، والترمذي (٥/ ٢٧٩) (٣٠٩٨) ، وابن ماجه (١٥٢٣) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/ ٦١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٥٧) ، والواحدي في أسباب التزول (٢٩٤) .

(2) رواها البخاري في صحيحه برقم (٤٦٧٠) .

(3) أخرجه أحمد (١/ ١٦) ، وأبو عبيد في ناسخه (٢٨٥) رقم (٥٢٣) ، والبخاري في صحيحه (١٣٦٦) ، (٤٦٧١) ، والترمذي (٣٠٩٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٥٣) رقم (١٠٥٠٧) ، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (٢/ ٢٦٤) رقم (٦١٩) ، والواحدي في أسباب التزول (٢٩٥) وغيرهم .

(4) ينظر : روح المعاني للآلوسي (١٠/ ١٤٧) .

(5) أحكام القرآن (٢/ ٩٩١) .

(6) قاله النحاس في الناسخ والمنسوخ (٢/ ٤٦٧) .

وأما القول الأول في معنى قوله تعالى : ﴿ أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ أنه خرج مخرج الأمر ، ومعناه الشرط والجزاء ، فيكون المعنى : إن استغفرت لهم أو لم تستغفر لهم فلن يغفر الله لهم ، فهو اختيار ابن جرير الطبري حيث قال : « وهذا كلام خرج مخرج الأمر ، وتأويله الخبر<sup>(١)</sup> ، ومعناه : إن استغفرت لهم يا محمد أو لم تستغفر لهم ، فلن يغفر الله لهم<sup>(٢)</sup> . وعليه الكرمانى ، والبغوي ، والزمخشري ، والبيضاوي ، والخازن ، والقمي ، والنسفي ، والسمن ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والقنوجي ، والقاسمي ، والسيد رشيد رضا ، والطاهر بن عاشور ، والشنقيطي ، ومحي الدين درويش<sup>(٣)</sup> . وذكره أبو حيان بصيغة ( قيل )<sup>(٤)</sup> . وأكثر هؤلاء قالوا : معناه الخبر ، إلا ما كان من الكرمانى والزمخشري ، ولم يقولوا معناه الشرط ، وإن كان كلامهم يفيد ذلك .

قالوا : ونظيره قوله تعالى : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ [المنافقون: ٦] .

وقوله تعالى : ﴿ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُنْقَبَلَ مِنْكُمْ ﴾ [التوبة: ٥٣] .  
وقول كثير عزة<sup>(٥)</sup> :

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة\*  
لدينا ولا مقلية\* إن ثقلت

- (1) جاء في بعض نسخ جامع البيان للطبري : الجزء .
- (2) جامع البيان (١١ / ٥٩٨) . قال ابن عطية في المحرر الوجيز (٦ / ٥٨٠) : وإلى هذا المعنى ذهب الطبري وغيره في معنى الآية .
- (3) ينظر : غرائب التفسير (١ / ٤٦١) ، ومعالم التنزيل (٢ / ٣١٠) ، والكشاف (٣ / ٧٤) ، وأنوار التنزيل (١ / ٤١٥) ، ولباب التأويل (٢ / ٢٤٧) ، وغرائب القرآن (٣ / ٥١١) ، ومدارك التنزيل (٢ / ١٣٨) ، والدر المصون (٦ / ٦٥) ، وإرشاد العقل السليم (٢ / ١٣٨) ، وفتح القدير (٢ / ٥٤٩) ، وفتح البيان (٥ / ٣٥٧) ، ومحاسن التأويل (٨ / ٣٢١٤) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٠ / ٤٩٦) — ونسبه للجمهور — ، والتحرير والتنوير (١٠ / ٢٧٧) ، والعذب النمير (٥ / ٥٦٧) — طبعة بكر أبو زيد — ، وإعراب القرآن الكريم وبيانه (٤ / ١٤٠ - ١٤٢) .
- (4) ينظر : البحر المحيط (٥ / ٧٦) .
- (5) ديوانه (١ / ٥٣) ، لسان العرب ، مادة ( قلا ) ورواها : لا ملومة باللام . و مقلية : مكروهة ، وثقلت : فعلت ما تستحق به الكره والبغض . قال الجوهري : ثقلى أي : تبعض .

أي : لا نلومك أحسنتِ إلينا أو أسأتِ <sup>(١)</sup> .

قال الشنقيطي : « تقرر في الأصول <sup>(٢)</sup> أن من الصيغ التي ترد لها (افعل) قصد التسوية بين الأمرين ، فمن أساليب اللغة أن تأتي بصيغة (افعل) تقصد بذلك أن تسوي بين الأمرين

المذكورين بعد ذلك . ونظيره في القرآن : ﴿ فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ ﴾ [الطور:

١٦] يعني : صبركم وعدمه سواء لا ينفعكم ذلك . ﴿ أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾

[التوبة : ٨٠] يعني : استغفارك وعدمه سواء ، لا ينفع استغفارك ولا عدمه ... وإتيان التسوية

بين الأمرين بصيغة (افعل) معروف في كلام العرب ، كقول كثير عزة ... يعني : إن أسأت

أو أحسنت إلينا فكل ذلك سواء لا يغير وُدنا القديم بالنسبة إليك » <sup>(٣)</sup> .

وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن أولى القولين بالتقديم هو ما رجّحه ابن جُزَيٍّ ومن وافقه ؛

لثبوت الحديث الصحيح الصريح في معناه . ويتأيد بقاعدتين ترجيحيتين :

١ — ( إذا ثبت الحديث وكان نصًّا في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره ) .

٢ — ( إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجّح له على ما خالفه ) <sup>(٤)</sup> .

وأما القول بأنه خبر فيه معنى التسوية ، أو خبر فيه معنى الشرط فهو غير مدفوع ؛

بدلالة : ﴿ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ ، ولوجود ما يدل عليه في القرآن وكلام العرب . والني

> خير من يعلم أن استغفاره لهم لن ينفعهم ، وإنما قال : ( إني خيِّرت ) جوابًا لعمر ،

واستغفر له تطييبًا لقلب ابنه المؤمن .

وذكر الألووسي عن بعض المحققين بعد اختياره للتسوية أنه قال : « إنها لا تنافي

التخيير » <sup>(٥)</sup> . والله تعالى أعلم .

(1) ينظر : الدر المصون للسمين (٦/٦٥) .

(2) ينظر : شرح الكوكب المنير (٣/٢٧) ، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (١٠/٢٧٧) .

(3) العذب النمير (٥/٥٦٧) طبعة أبو زيد .

(4) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/١٩١ ، ٢٠٦) .

(5) روح المعاني (١٠/١٤٧) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ (٨١)

٢٣ - الخلاف في معنى ﴿ خِلَافَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « ﴿ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ أي : بَعْدَهُ حين خرج إلى تبوك ، فـ خِلَافَ على هذا ظَرْفٌ . وقيل : هو مصدرٌ مَنْ خَلَفَ ، فهو على هذا مفعول لأجله » (١) .

### العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ أن ﴿ خِلَافَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ ظَرْفٌ ومعناه: بَعْدَهُ حين خرج إلى تبوك . ووافق في هذا قول أبي عبيدة معمر بن المثنى (٢) .  
 وذهب إليه الكرماني، والبغوي، والزمخشري، وابن الجوزي، والعكبري، والبيضاوي،  
 والخازن، وأبو حيان، وابن كثير، والثعالبي، والسيوطي، وأبو السعود، والآلوسي، والقاسمي (٣) .  
 وقدمه ابن عطية (٤) ، وكذا الشوكاني ومال إليه (٥) . ومال إليه أيضاً الرازي (٦) .  
 وهو مفهوم كلام السعدي (٧) .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٨١) .

(2) مجاز القرآن (٢ / ٢٦٤) . وينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٣ / ٤٧٨) .

(3) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١ / ٤٦١) ، ومعالم التنزيل (٢ / ٣١٠) ، والكشاف (٣ / ٧٥) ،  
 وتذكرة الأريب (١ / ٢٢٢) ، والتبيان (٢ / ٦٥٣) ، وأنوار التنزيل (١ / ٤١٦) ، ولباب التأويل (٢ / ٢٤٨) ،  
 والبحر المحييط (٥ / ٧٩) ، والجواهر الحسان (٢ / ٦٥) ، وتفسير القرآن العظيم (٧ / ٢٥٢) ، وتفسير الجلالين  
 (الفتوحات الإلهية ٣ / ٢٩٩) ، وإرشاد العقل السليم (٢ / ٤٣٢) ، وروح المعاني (١٠ / ١٥١) ، ومحاسن  
 التأويل (٨ / ٣٢١٧) .

(4) ينظر : المحرر الوجيز (٦ / ٥٨٤) .

(5) ينظر : فتح القدير (٢ / ٥٥٠) .

(6) ينظر : مفاتيح الغيب (٦ / ١١٣) .

(7) ينظر : تيسير الكريم الرحمن (٢ / ٢٧١) .

وذكره محمود النيسابوري بصيغة ( قيل )<sup>(١)</sup> .

واستدل لهذا القول باستعمال العرب لـ **خَلَفَ** في معنى **خَلَفَ** و **بَعُدَ** . يقال : أمام زيد خلاف القوم ، أي : تخلف بعد ذهابهم<sup>(٢)</sup> .

ومنه قول الشاعر :

عَقَبَ الرِّبِيعُ خِلاَفَهُمْ فَكَأَنَّمَا      بسط الشواطِبُ بينهن حَصِيرًا<sup>(٣)</sup>

أي : بعدهم .

ومنه قول الآخر :

فقل للذي يبقى خِلاَفَ الذي مضى      تَأَهَّبَ لِأُخْرَى مثلها فكأن قد<sup>(٤)</sup>

وقال الآخر :

قال : تَبَّكَ في رسم الديار فإنها      ديارُ بني عوفٍ وهل عنهم صَبْرٌ

فما كنت أخشى أن أعيش خِلاَفَهُمْ      بستة أبياتٍ كما نبت العتر<sup>(٥)</sup>

ويشهد لهذا التأويل القراءة الشاذة : ﴿ **خَلَفَ** رسول الله ﷺ ﴾<sup>(٦)</sup> .

ومعناها : أنهم تأخروا عن الجهاد في سبيل الله<sup>(٧)</sup> .

(1) ينظر : وضع البرهان ( ٤٠٦ / ١ ) .

(2) ينظر : الدر المصون للسمين ( ٩١ / ٦ ) ، الفتوحات الإلهية للجمل ( ٣٠٠ / ٣ ) .

(3) أنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن ( ٢٦٤ / ٢ ) للحرث بن خالد المخزومي . ويُروى : عفت الديار خِلاَفَهُمْ

... كما في النكت والعيون للماوردي ( ٣٨٦ - ٣٨٧ ) . وفي الأغاني ، واللسان ( عقب ) : عقب الرذاذ ...

والشواطِب : جمع شاطِبة ، وهي التي تعمل الحُصْرَ من الشَّطْبِ ، وهو السَّعْفُ الأخضر . ينظر : اللسان ( خلف ،

عقب وشطب ) .

(4) ينظر : المحرر الوجيز ( ٥٨٤ / ٦ ) ، والبحر المحيط ( ٧٩ / ٥ ) ، والدر المصون ( ٩١ / ٦ ) .

(5) ينظر : وضع البرهان ( ٤٠٦ / ١ ) وعزاه للهدلي وهو : البويق الهدلي والبيتان في ديوان الهدليين ( ٥٨ / ٣ ) ، والثاني

منهما في لسان العرب ( عتر ) . والعتر : شجر له ورق صفار .

(6) ينظر : القراءات الشاذة ( ٥٤ ) ، وزاد المسير لابن الجوزي ( ٤٧٨ / ٣ ) ، والبحر المحيط ( ٧٩ / ٥ ) ، والكشاف

( ٧٥ / ٣ ) وغيرهم . ونسبت القراءة إلى ابن عباس ، وأبي حيوه ، وعمرو بن ميمون ، وابن مسعود ، وابن يعمر ،

والأعمش ، وابن أبي عبله .

(7) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ( ٤٦٣ / ٢ ) ، ومعاني القرآن الكريم للنحاس ( ٢٣٩ / ٣ ) ، وزاد المسير

( ٤٧٨ / ٣ ) .

وأما القول الآخر بأن ﴿خَلَفَ﴾ مصدرٌ من خَلَفَ ، فهو مفعول لأجله ، والمعنى :  
 قعدوا مخالفةً لرسول الله < وفرحوا بذلك ، فذهب إليه الأخفش ، والطبري ، والزجاج ،  
 والنحاس ، وابن أبي زمنين ، والراغب الأصفهاني ، ومكي ، والواحدي ، ومحمود النيسابوري ،  
 والقرطبي ، والنسفي ، والقمي ، والسيد رشيد رضا ، والمراغي <sup>(١)</sup> .  
 وبدأ به الماوردي ونسبه للأكثرين <sup>(٢)</sup> ، وكذا بدأ به وقدمه السمعاني <sup>(٣)</sup> . وجوزّه  
 البيضاوي ، والقاسمي <sup>(٤)</sup> . ونُسِبَ إلى قطرب ، والمؤرج <sup>(٥)</sup> .  
 واستغربه الكرمانى <sup>(٦)</sup> . وذكره البغوي ، والزمخشري ، والعكبري ، والخازن ،  
 وأبو السعود ، والآلوسي بصيغة ( قيل ) <sup>(٧)</sup> .

قال ابن جرير الطبري : « وقوله ﴿خَلَفَ﴾ : مصدرٌ من قول القائل : خالف فلانٌ  
 فلانًا ، فهو يُخالفُه خِلافًا . فلذلك جاء مصدره على تقدير ( فعَالٍ ) ، كما يقال : قاتله  
 فهو يقاتله قتالًا . ولو كان مصدرًا من خَلَفَ ، لكانت القراءة : بمعدهم خَلَفَ رسول الله ؛  
 لأن مصدر خَلَفَ : خَلْفٌ ، لا خِلافٌ ، ولكنه على ما بيّنت من أنه مصدر خالف ، فُقرئ  
 ﴿خَلَفَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ ، وهي القراءة التي عليها قرأة الأمصار ، وهي الصواب عندنا .

(1) ينظر : معاني القرآن ( ٢ / ٣٣٤ ) ، وجامع البيان ( ١١ / ٦٠٢ ) ، ومعاني القرآن وإعرابه ( ٢ / ٤٦٣ ) ،  
 ومعاني القرآن الكريم ( ٣ / ٢٣٨ ) ، وتفسير القرآن العزيز ( ٢ / ٢٢٣ ) ، ومفردات ألفاظ القرآن ( ٢٩٥ ) —  
 (خلف) — ، ومشكل إعراب القرآن ( ٣٣٤ ) ، والوجيز ( ١ / ٤٧٥ ) ، ووضح البرهان ( ١ / ٤٠٦ ) ،  
 والجامع لأحكام القرآن ( ١٠ / ٣١٦ - ٣١٧ ) ، ومدارك التنزيل ( ٢ / ١٣٩ ) ، وغرائب القرآن ورغائب  
 الفرقان ( ٣ / ٥١١ ) ، وتفسير القرآن الحكيم ( ١٠ / ٤٩٨ ) ، وتفسير المراغي ( ١٠ / ١٧٣ ) .

(2) ينظر : النكت والعيون ( ٢ / ٣٨٦ ) .

(3) ينظر : تفسير القرآن ( ٢ / ٣٣٣ ) .

(4) ينظر : أنوار التنزيل ( ١ / ٤١٦ ) ، ومحاسن التأويل ( ٨ / ٣٢١٧ ) .

(5) ينظر : الوسيط للواحدى ( ٢ / ٥١٥ ) ، ومفاتيح الغيب للرازي ( ٦ / ١١٣ ) ، والبحر المحييط لأبي حيان  
 ( ٧٩ / ٥ ) . ونسبه لقطرب وحده القمي في غرائب القرآن ( ٣ / ٥١١ ) ، ونسبه لمؤرج وحده السمين في الدر  
 المصون ( ٦ / ٩١ ) .

(6) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل ( ١ / ٤٦١ ) .

(7) ينظر : معالم التنزيل ( ٢ / ٣١٠ ) ، والكشاف ( ٣ / ٧٥ ) ، والبيان ( ٢ / ٦٥٣ ) ، ولباب التأويل ( ٢ / ٢٤٨ ) ،  
 وإرشاد العقل السليم ( ٢ / ٤٣٢ ) ، وروح المعاني ( ١٠ / ١٥١ ) .

وقد تأول ذلك بعضهم بمعنى : بَعَدَ رسول الله < . واستشهد على ذلك بقول الشاعر

:

عَقَبَ الرِّبِيعُ خِلافَهُمْ فَكأنما بسط الشواطِبُ بينهن حَصِيرًا

وذلك قريبٌ لمعنى ما قلنا ؛ لأنهم قعدوا بَعَدَهُ ، على الخِلافِ له «<sup>(١)</sup> .

وقال أبوحيان : « ويؤيد هذا التأويل قراءة من قرأ ( خُلْفَ ) بضم الخاء ، وما تظاهرت به الروايات من أنه أمرهم بالتَّغَرُّ فغضبوا وخالفوا وقعدوا مستأذنين وغير مستأذنين»<sup>(٢)</sup> .

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ فَأَقْعُدُوا مَعَ الْخُلَفَاءِ ﴾ [ التوبة : ٨٣ ] يقول الفراء : « من الرجال خلوف وخالفون ، والنساء خوالف : اللاتي يَخْلُفْنَ في البيت فلا يبرحن . ويقال : عبد خالف ، وصاحب خالف : إذا كان مخالفاً »<sup>(٣)</sup> .

ويقول أبو عبيدة : « الخالف الذي خَلَفَ بعد شاخص فقعده في رحله ، وهو مَنْ تَخَلَّفَ عن القوم . ومنه : ( اللهم اخلفني في ولدي ) ، ويقال : فلان خالفة أهل بيته . أي : مخالفيهم إذا كان لا خير فيه »<sup>(٤)</sup> .

وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن كلا المعنيين صحيح وثابت استعماله في اللغة ، وقد قرئ قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [ الإسراء : ٧٦ ] على الوجهين : ( خِلافَكَ ) أي : مخالفة لك . و( خَلْفَكَ ) أي : بَعْدَكَ <sup>(٥)</sup> .

قال الطاهر : « ومن نكتة اختيار لفظ ( خِلافَ ) دون ( خَلْفَ ) أنه يشير إلى أن قعودهم كان مخالفةً لإرادة رسول الله < حين استنفر الناس كلهم للغزو »<sup>(٦)</sup> .

(1) جامع البيان (١١ / ٦٠٢) . ويقصد ببعضهم أبا عبيدة معمر بن المثنى ، والله أعلم .

(2) البحر المحيط (٥ / ٧٩) وتبعه السمين في الدر المصون (٦ / ٩١) . وينظر : إرشاد العقل السليم (٢ / ٤٣٢) ، ومحاسن التأويل (٨ / ٣٢١٧) .

(3) معاني القرآن (١ / ٤٤٧) .

(4) مجاز القرآن (١ / ٢٦٥) .

(5) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن للراغب ( ٢٩٥ ) . قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر وأبو جعفر ( خَلْفَكَ ) أي : بعدك . وقرأ الباقون ( خِلافَكَ ) . ينظر : السبعة ( ٣٨٤ ) ، والتيسير ( ١٤١ ) .

(6) التحرير والتنوير ( ١٠ / ٢٨٠ ) .

وإذا كان ذلك كذلك فإن الأصحَّ في معنى ﴿خَلَفَ﴾ في قوله تعالى : ﴿فَرِحَ  
 الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلْفَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ هو أنها بمعنى "المخالفة"، مع صحة كونها بمعنى  
 "بعْد". ويؤيد ذلك القاعدة الترجيحية : ( معنى القراءة المتواترة أولى بالصواب من معنى  
 القراءة الشاذة )<sup>(١)</sup> . والله تعالى أعلم .

(1) قواعد الترجيح عند المفسرين (١ / ١٠٤) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (٨٢)

٢٤- الخلاف في معنى أمرهم بالضحك القليل والبكاء الكثير .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « أمرٌ بمعنى الخبر ، فضحكهم القليل في الدنيا مُدَّة بقائهم فيها ، وبكاؤهم الكثير في الآخرة . وقيل : هو بمعنى الأمر ، أي : يجب أن يكونوا يضحكون قليلاً ويكفون كثيراً في الدنيا لما وقعوا فيه » (١) .

العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ أن الأمر في قوله تعالى : ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾ هو بمعنى الخبر ، أي : ضحكهم القليل في الدنيا ، وبكاؤهم الكثير في الآخرة . ووافق في هذا معنى ما رُوِيَ عن ابن عباس (٢) ، وأبي رزِين (٣) ، والحسن (٤) ، وقتادة (٥) ، وزيد بن أسلم (٦) ، وابن زيد (٧) ، والربيع بن خثيم (٨) .

وذهب إليه : النحاس، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، والواحدي، والبغوي، والزخشري، وابن عطية، والرازي، والبيضاوي، والنسفي، والخازن، والقمي، وأبوحيان، وابن كثير، والثعالبي، والسيوطي، وأبوالسعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي،

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٨١) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١ / ٦٠٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦ / ١٨٥٥) من طريق علي ابن أبي طلحة ، عنه . وينظر : صحيفة علي (٢٦٩) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٢٥٦) نسبته إلى ابن المنذر .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١ / ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦ / ١٨٥٥) ، (١٨٥٦) .

(4) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢ / ٢٨٤) ، والطبري في جامع البيان (١١ / ٦٠٦) من طريق معمر ، عنه . وذكره معلقاً ابن أبي حاتم في تفسيره (٦ / ١٨٥٥ ، ١٨٥٦) .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١ / ٦٠٦) . وذكره معلقاً ابن أبي حاتم في تفسيره (٦ / ١٨٥٥) .

(6) ذكره معلقاً ابن أبي حاتم في تفسيره (٦ / ١٨٥٥) .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١ / ٦٠٧) .

(8) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١ / ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦ / ١٨٥٦) رقم (١٠٢٠٠) .

والقاسمي، والطاهر بن عاشور<sup>(١)</sup> . وهو مفهوم كلام مقاتل، وابن جرير الطبري، والسعدي<sup>(٢)</sup> .

وذكره القرطبي بصيغة (قيل)<sup>(٣)</sup> .

قال الشوكاني : « هذان الأمران معناهما الخبر ... وإنما جيء بهما على لفظ الأمر ؛ للدلالة على أن ذلك أمر محتوم لا يكون غيره »<sup>(٤)</sup> .

وقال الآلوسي : « إخراجها في صورة الأمر ؛ للدلالة على تحتم وقوع الخبر به ... وإذا عبّر عن الأمر بالخبر لإفادة أن المأمور لشدة امتثاله كأنه وقع منه ذلك وتحقق قبل الأمر كان أبلغ، وإذا عبّر عن الخبر بالأمر لإفادة لزومه ووجوبه كأنه مأمور به أفاد ذلك مبالغة من جهة أخرى »<sup>(٥)</sup> .

وأما القول الآخر بأن الأمر في قوله تعالى : ﴿ فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً ﴾ أنه على معناه من إفادة الأمر ، أي : كان الواجب عليهم أن يضحكوا قليلاً وأن يبكوا كثيراً في الدنيا ؛ لما وقعوا فيه ، فقد احتمله ابن عطية<sup>(٦)</sup> ، واختاره السيد محمد رشيد رضا<sup>(٧)</sup> . قال ابن عطية : « على نحو قوله < لأتمته : ( لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتكم قليلاً ) »<sup>(٨)</sup> .

(1) ينظر : معاني القرآن الكريم ( ٢٣٩ / ٣ ) ، وبحر العلوم ( ٦٥ / ٢ ) ، وتفسير القرآن العزيز ( ٢٢٤ / ٢ ) ، والوجيز ( ٤٧٥ / ١ ) ، ومعالم التنزيل ( ٣١١ / ٢ ) ، والكشاف ( ٧٦ / ٣ ) ، والمحرم الوجيز ( ٥٨٥ - ٥٨٦ ) ، ومفاتيح الغيب ( ١١٤ / ٦ ) ، وأنوار التنزيل ( ٤١٦ / ١ ) ، ومدارك التنزيل ( ١٣٩ / ٢ ) ، ولباب التأويل ( ٢٤٨ / ٢ ) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان ( ٥١٢ / ٣ ) ، والبحر المحيط ( ٨٠ / ٥ ) ، وتفسير القرآن العظيم ( ٢٥٥ / ٧ ) ، والجواهر الحسان ( ٦٦ / ٢ ) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٣ / ٣٠٠ ) ، وإرشاد العقل السليم ( ٤٣٣ / ٢ ) ، وفتح القدير ( ٥٥٠ / ٢ ) ، وروح المعاني ( ١٥٢ / ١٠ ) ، وفتح البيان ( ٣٦٠ / ٥ ) ، ومحاسن التأويل ( ٣٢٢١ / ٨ ) ، والتحرير والتنوير ( ٢٨٢ / ١٠ ) .

(2) ينظر : تفسير مقاتل ( ١٨٧ / ٢ ) ، وجامع البيان ( ٦٠٥ / ١١ ) ، وتيسير الكريم الرحمن ( ٢٧١ - ٢٧٢ ) .

(3) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ( ٣١٧ / ١٠ ) .

(4) فتح القدير ( ٥٥٠ / ٢ ) .

(5) روح المعاني ( ١٥٢ / ١٠ ) .

(6) ينظر : المحرم الوجيز ( ٥٨٦ / ٦ ) ، والبحر المحيط لأبي حيان ( ٨٠ / ٥ ) .

(7) ينظر : تفسير القرآن الحكيم ( ٤٩٩ / ١٠ ) . وتبعه تلميذه المراغي في تفسيره ( ١٧٤ / ١٠ ) .

(8) أخرجه البخاري في كتاب الكسوف ( ١٠٤٤ ) والنكاح ( ٥٢٢١ ) والأيمان والندور ( ٦٦٣١ ) ، ومسلم في

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أولى القولين بالصواب في ذلك هو ما رجّحه ابن جُزَيٍّ ومن وافقه من أن الأمر معناه الخبر عن حالهم بأن ضحكهم في الدنيا وبكاؤهم في الآخرة جزاءً بما كانوا يكسبون . ويتأيد بأنه قول السلف <sup>(١)</sup> ، واختيار جماهير المفسرين <sup>(٢)</sup> ، والله تعالى أعلم .

---

الكسوف (٦١٨/٢) برقم (٩٠١) من حديث عائشة . وأخرجه البخاري في الرقاق (٦٤٨٥) والأيمان والندور (٦٦٣٧) من حديث أبي هريرة .

(١) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (١ / ٢٧١ ، ٢٨٨) .

(٢) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل لابن جُزَيٍّ (١ / ٩) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةً أَنْ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ ﴾

﴿ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ (٨٦)

٢٥- الخلاف في المراد بالسورة في قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةً أَنْ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ ﴾ الآية .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « قيل : يعني براءة . والأرجح أنها على الإطلاق »<sup>(١)</sup>.

العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ الإِطْلَاقَ في المراد بالسورة في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةً أَنْ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ ﴾ ،

وضَعَّفَ القول بأنها سورة براءة . ووافق في هذا ما ذهب إليه ابن جرير الطبري، والزمخشري، وابن الجوزي، والرازي، والبيضاوي، والنسفي، وأبو حيان، والبقاعي، والسيوطي، وأبو السعود، والشهاب، والشوكاني، والآلوسي، والفتنوجي، والسيد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي<sup>(٢)</sup> . واحتمله ابن عطية<sup>(٣)</sup> . ومال إليه القاسمي<sup>(٤)</sup> .

ويدلُّ له التَّنْكِيرُ في كلمة (سُورَةٌ) ، فإنه يفيد العموم .

قال الشهاب : « كل سورة ذكر فيها الإيمان والجهاد ، وهذا أولى وأفيد ؛ لأن

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٨٢) .

(2) ينظر : جامع البيان (١١/ ٦١٥) ، والكشاف (٣/ ٨٠) ، وزاد المسير (٣/ ٤٨١) ، ومفاتيح الغيب

(١١٨/٦) ، وأنوار التنزيل (١/ ٤١٦) ، ومدارك التنزيل (٢/ ١٣٩-١٤٠) ، والبحر المحيط (٥/ ٨٢) —

ونسبه للجمهور — ، ونظم الدرر (٨/ ٥٦٩) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ٣٠٤) ، وإرشاد

العقل السليم (٢/ ٤٣٤) ، وحاشية الشهاب (٤/ ٣٥٢) ، وفتح القدير (٢/ ٥٥٢) ، وروح المعاني

(١٠٦/١٠) ، وفتح البيان (٥/ ٣٦٤) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٠/ ٥٠٨) ، وتفسير المراغي (١٠/ ١٧٨)

، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ٢٧٣) .

(3) ينظر : المحرر الوجيز (٦/ ٥٩١) .

(4) ينظر : محاسن التأويل (٨/ ٣٢٢٨) .

استئذاهم عند نزول آيات براءة علم مما مرَّ»<sup>(١)</sup> .  
 وأما القول بأن المراد بالسورة هنا سورة براءة ، فهو قول مقاتل<sup>(٢)</sup> . وعليه  
 السمرقندي، وابن عطية، والطاهر بن عاشور<sup>(٣)</sup> . واحتمله الخازن<sup>(٤)</sup> .  
 وذكره الزمخشري، والرازي ، والقمي، وأبوحيان، والشوكاني، والآلوسي، والفنّوجي  
 بصيغة ( قيل )<sup>(٥)</sup> .

واستدلوا له بأن في سورة براءة الأمر بالإيمان والجهاد .  
 قال الطاهر : « وإطلاق اسم السورة عليها في أثنائها قبل إكمالها مجازٌ متسع فيه ،  
 كإطلاق الكتاب على القرآن في أثناء نزوله في نحو قوله : ﴿ ذَلِكِ الْكِتَابُ لِارْبِّ فِيهِ ﴾  
 [البقرة : ٢] وقوله : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾ [الأنعام : ٩٢] فهذا الوصف وصف مقدر  
 شبه بالحال المقدرة ... ولما كانت السورة ألفاظاً وأقوالاً صحَّ بيانها ببعض ما حوته وهو  
 الأمر بالإيمان والجهاد . فقوله : ﴿ أَنْ ءَامِنُوا بِاللَّهِ ﴾ تفسير للسورة و ﴿ أَنْ ﴾ فيه تفسيرية  
 كالتي في قوله تعالى حكايةً عن عيسى : ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ ءَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي  
 وَرَبَّكُمْ ﴾<sup>(٦)</sup> [المائدة : ١١٧] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأولى هو القول بالعموم ، فيشمل ما أنزل في سورة براءة  
 من آيات تأمر بالإيمان بالله والجهاد مع رسوله < ، ويشمل كل سورة فيها الأمر بالإيمان  
 والجهاد ، وهو ما رجّحه ابن جُزَيِّ ومن وافقه . ويتأيد بالقاعدة الترجيحية : ( يجب حمل  
 نصوص الوحي على العموم )<sup>(٧)</sup> ، والله تعالى أعلم .

(1) حاشية الشهاب (٤/ ٣٥٢) .

(2) تفسير مقاتل (٢/ ١٨٨) . وينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٤٨١) .

(3) ينظر : بحر العلوم (٢/ ٦٧) ، والمحرر الوجيز (٦/ ٥٩١) ، والتحرير والتنوير (١٠/ ٢٨٨) .

(4) ينظر : لباب التأويل (٢/ ٢٥١) .

(5) ينظر : الكشف (٣/ ٨٠) ، ومفاتيح الغيب (٦/ ١١٨) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٥١٤) ، والبحر

المحيط (٥/ ٨٢) ، وفتح القدير (٢/ ٥٥٢) ، وروح المعاني (١٠/ ١٥٦) ، وفتح البيان (٥/ ٣٦٤) .

(6) التحرير والتنوير (١٠/ ٢٨٨) .

(7) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/ ٥٢٧) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا

نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١١)

٢٦- الخلاف في المراد بالضعفاء المنفي عنهم الحرج في الآية .

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « هذا رَفْعٌ للحرج عن أهل الأعدار الصحيحة من ضَعْفِ البدن والفقر إذا تركوا الغزو . وقيل: إن الضعفاء هنا هم النساء والصبيان ، وهذا بعيد » (١) .

### العرض والمناقشة :

ظاهر كلام ابن جزي في المراد بالضعفاء المنفي عنهم الحرج في قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ ﴾ أنهم من كان ضعيفَ البدن ، فيدخل فيهم الشيخ الكبير والهزم ومن خُلِقَ في أصل البنية شديد التحافة والضؤولة بحيث لا يمكنه الجهاد ونحوهم . واستبعد أن يكون المراد بالضعفاء هنا هم النساء والصبيان . ووافق في هذا ما نُسبَ إلى ابن عباس (٢) ، والسدي (٣) .

وذهب إليه جمهور المفسرين منهم : مقاتل، والطبري، والجصاص، والسمرقندي ، وابن أبي زمنين، والواحدي، والزمخشري، وابن عطية، وابن الجوزي، والرازي، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، وأبو حيان، وابن كثير، والثعالبي، والبقاعي، والسيوطي، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والسيد رشيد رضا، والسعدي، والطاهر بن عاشور (٤) .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٨٢) .

(٢) نسبه إليه البغوي في معالم التنزيل (٢/ ٣١٥) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٤٨٤) .

(٣) نسبه إليه ابن أبي زمنين في تفسير القرآن العزيز (٢/ ٢٢٦) .

(٤) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ١٨٩) ، وجامع البيان (١١/ ٦٢٣) ، وأحكام القرآن (٤/ ٣٥٢) ، وجمهر العلوم (٢/ ٦٨) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ٢٢٦) ، والوجيز (١/ ٤٧٧) ، والوسيط (٢/ ٥١٨) ، والكشاف (٣/ ٨١) ، والمحزر الوجيز (٦/ ٥٩٧) ، وزاد المسير (٣/ ٤٨٥) ، ومفاتيح الغيب (٦/ ١٢١) ، والجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٣٣١) ، وأنوار التنزيل (١/ ٤١٧) ، ومدارك التنزيل (٢/ ١٤٠) ، والبحر المحيط (٥/ ٨٥) ، وتفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٦٤) ، والجواهر الحسان (٢/ ٦٧) ، ونظم الدرر (٨/ ٥٧٣) ، وتفسير الجلالين

ويدل لهذا القول سياق الكلام ، فإن الآيات الكريمة جاءت في سياق المعتذرين بتخلفهم عن الغزو والجهاد مع النبي < مع وجوبه عليهم ، فعذر النبي < منهم أهل الأعدار الصحيحة ولم يعذر غيرهم . وهم ثلاثة أصناف : الضعفاء ، والمرضى ، والفقراء .  
وأما القول بأن الضعفاء الذين رفع الله عنهم الحرج بترك الجهاد هم النساء والصبيان ، فقد ذكره السمعاني عن بعضهم ولم ينسبه <sup>(١)</sup> ، واختاره البلنسي <sup>(٢)</sup> .  
وذكره البغوي ، والسيد رشيد رضا بصيغة ( قيل ) <sup>(٣)</sup> .

ويدل لهذا القول عموم قوله تعالى : ﴿ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ ﴾ [ النساء : ٧٥ ] وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَلْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَنُهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ [ النساء : ٩٧ - ٩٨ ] .

كما يدل له إطلاق الضعفة على من كان في أصل خلقته ضعيفاً ، فيدخل فيه النساء والصبيان ، ومن طرأ عليه الضعف لكبرٍ وهرم .

قال البلنسي : « هم النساء والعبيد ، بدليل قوله تعالى بعد ذلك : ﴿ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى ﴾ ولو كان الضعف هنا من المرض لم يذكره بعد ذلك . وبدليل قوله - عليه السلام - : ( اتقوا الله في الضعيفين : المرأة ، والعبد ) » <sup>(٤)</sup> .

ويُبعد هذا القول أن الآية جاءت في سياق المعتذرين بتخلفهم عن الجهاد ، وليس على

(الفتوحات ٣ / ٣٠٦ ، وإرشاد العقل السليم (٢ / ٤٣٦) ، وفتح القدير (٢ / ٥٥٥) ، وروح المعاني (١٠ / ١٥٨)

وتفسير القرآن الحكيم (١٠ / ٥١٢) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢ / ٢٧٥) ، والتحرير والتنوير (١٠ / ٢٩٤) .

(1) ينظر : تفسير القرآن (٢ / ٣٣٧) .

(2) ينظر : تفسير مبهمات القرآن (١ / ٥٥٩) .

(3) ينظر : معالم التنزيل (٢ / ٣١٥) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٠ / ٥١٢) .

(4) تفسير مبهمات القرآن (١ / ٥٥٩) . والحديث رواه السيوطي في الجامع الصغير وعزاه إلى ابن عساكر عن ابن

عمر ، ورمز له بالضعف . وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته (١٩) رقم (١١٩) . ولفظه :

(المملوك ، والمرأة) . وينظر : فيض القدير للمناوي (١ / ١٢٨) .

النساء والصبيان جهاداً أصلاً حتى يقبل منهم العذر بتركه ، وحتى يرفع عنهم الحرج .  
وإلى الجمع بين القولين وشمول الضعفاء للجميع ذهب الخازن، والقنوجي، والقاسمي،  
والمراغي<sup>(١)</sup> .

قال الخازن : « والضعيف هو الصحيح في بدنه العاجز عن الغزو وتحمل مشاق السفر  
والجهاد ، مثل : الشيوخ ، والصبيان والنساء وَمَنْ خُلِقَ فِي أَصْلِ الْخَلْقَةِ ضَعِيفًا نَحِيفًا . ويدل  
على أن هؤلاء الأصناف هم الضعفاء : أن الله سبحانه وتعالى عطف عليهم المرضى فقال  
سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى ﴾ والمعطوف مغاير للمعطوف عليه . فأما المرضى  
فيدخل فيهم أهل العمى والعرج والزمانة<sup>(٢)</sup> ، وكل من كان موصوفاً بمرضٍ يمنعه من  
التمكن من الجهاد والسفر للغزو<sup>(٣)</sup> .

وقال الألوسي : « فالأعمى والأعرج داخلان في المرضى ، وإن أبيت فلا يبعد  
دخولهما في الضعفاء<sup>(٤)</sup> » .

ونظير هذه الآية قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى

الْمَرِيضِ حَرْجٌ ﴾ [الفتح : ١٧] . وظاهرها أن الأعمى والأعرج لا يدخلان في المرضى ، وقد  
رفع الله الحرج عن الجميع . وآية الفتح هذه سابقة في التزول على آية التوبة ، والكلام في  
المراد بالضعفاء في آية التوبة ، فلا يدخل الأعمى والأعرج فيها ؛ لأنه سبق بيان رفع الله  
الحرج عنهما . بقي الكلام في تحقيق المراد بالضعفاء في آية التوبة الذين رفع الله عنهم الحرج  
بترك الجهاد .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن من المقرر أن إطلاق الضعفاء على النساء والصبيان هو

إطلاق صحيح من حيث هو ، ولكنهم لا يدخلون في ﴿ الضُّعَفَاءِ ﴾ الذين رفع الله عنهم  
الحرج بترك الغزو مع رسول الله < ؛ لأنه لا يجب عليهم الجهاد أصلاً ، فهم معذورون .

(1) ينظر : لباب التأويل (٢ / ٢٥٢) ، وفتح البيان (٥ / ٣٦٨) ، ومحاسن التأويل (٨ / ٣٢٣١) ، وتفسير المراغي  
(١٠ / ١٨٢) .

(2) الرِّمْنَى - بفتح الزاي وإسكان الميم مقصوراً - جمع رَمْنٍ ، وهم أصحاب العلل والأمراض .

(3) روح المعاني (١٠ / ١٥٨) .

(4) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (١ / ١٢٥) .

والآية إنما هي في سياق المعتذرين عن ترك الغزو مع النبي < فلم يعذر الله منهم إلا من كان ضعيفاً ومن كان مريضاً ومن كان فقيراً لا يجد ما ينفقه في سبيل الله إذا نصحوا لله ورسوله. وعليه، فلا يدخل في الضعفاء — هنا — النساء ولا الصبيان ولا الأعمى ولا الأعرج ، وتَبَقَى الآية في الشيوخ الكبار والمهرمي وضعفاء الخَلْقَة البدنية . هذا هو الصحيح ، وهو ظاهر كلام ابن جُزَيٍّ ومن وافقه ، وعليه جمهور المفسرين .

ويؤيده دلالة السياق <sup>(١)</sup> ، فإن الآية في سياق الذين جاءوا يعتذرون عن ترك الغزو، فهل كان النساء والصبيان ممن جاء إلى النبي < يعتذرون ؟ هذا بعيد ، والله تعالى أعلم .

(1) ينظر قواعد الترجيح (١/١٢٥) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ

نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾

٢٧- الخلاف في عذاب المنافقين المرّة الأولى في قوله تعالى : ﴿ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « العذاب العظيم هو عذاب النار . وأما المرتان قبله ؛ فالثانية منهما عذاب القبر ، والأولى عذابهم بإقامة الحدود عليهم . وقيل : بفضيحتهم بالنفاق »<sup>(١)</sup> .

### العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ أن عذاب المنافقين المرّة الأولى هو بإقامة الحدود عليهم في الدنيا . ووافق في هذا معنى ما نُسِبَ إلى ابن عباس<sup>(٢)</sup> . قال ابن جرير الطبري : « ذُكِرَ ذلك عن ابن عباس من وَجْهٍ غير مُرْتَضَى »<sup>(٣)</sup> .

وما رَجَّحه ابن جُزَيِّ لم يذكر له دليلاً ، ولم أر من ذهب إليه .

وأما القول الآخر بأن عذابهم المرّة الأولى هو بفضيحتهم بالنفاق، فهو مَرُويٌّ عن ابن عباس<sup>(٤)</sup> . قال ابن عطية : « وهو الأشهر عنه »<sup>(٥)</sup> . وروِي أيضاً عن أبي مالك<sup>(٦)</sup> .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٨٣) .

(2) نسبه إليه البغوي في معالم التنزيل (٢ / ٣٢٠) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٣ / ٤٩٣) ، والخازن في لباب التأويل (٢ / ٢٥٧) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٥ / ٩٤) .

(3) جامع البيان (١١ / ٦٤٨) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١ / ٦٤٤) ، والطبراني في الأوسط (٧٩٢) وابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٧٠ / ٦) رقم (١٠٣٠٣) . وإسناده ضعيف ، فيه الحسين بن عمرو العنقزي وهو ضعيف ، قاله الهيثمي في الجمع (٧ / ٣٣) . وينظر : الدر المنثور للسيوطي (٤ / ٢٧٣) وزاد نسبه لأبي الشيخ .

(5) المحرر الوجيز (٧ / ١٥) .

(6) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٢٧٤) إلى أبي الشيخ عن أبي مالك قال : كان النبي < يعذب المنافقين يوم الجمعة بلسانه على المنبر ، وعذاب القبر . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١ / ٦٤٥) من طريق سفيان، عن السدي ، عنه .

وُنُسِبَ إِلَى السَّدِّيِّ، وَالْكَلْبِيِّ (١) .

وقدّمه السمعاني ، وأبو حيان ، والآلوسي (٢) . وكان ابن عطية يميل إليه (٣) ، وتبعه الثعالبي (٤) .

وذكره الزمخشري بصيغة ( قيل ) (٥) .

واستدلوا له بما أخرجه ابن مردويه عن أبي مسعود الأنصاري ط قال : لقد خطبنا النبي < ما شهدت مثلها قط فقال : ( أيها الناس ، إن منكم منافقين فمن سمّيته فليقم ، قم يا فلان ، قم يا فلان ) حتى قام ستة وثلاثون رجلاً . ثم قال : ( إن منكم وإن منكم فسلوا الله العافية ) ... الحديث (٦) .

وقال ابن عباس : وقام رسول الله < يوم جمعة خطيباً ، فقال : ( قم يا فلان ، فاخرج فإنك منافق ، ويا فلان اخرج ) . ففضحهم (٧) .

قال ابن عطية : وفعل النبي < هذا بهم هو على جهة التأديب اجتهاداً منه فيهم ، ولم يسلخهم ذلك من الإسلام وإنما هو كما يُخرَجُ العصاة والمتهمون ، ولا عذاب أعظم من هذا (٨) .

واستبعد أبو حيان ما قاله ابن عطية ، وأنه ليس من باب إخراج العصاة بل هؤلاء كفار عنده وإن أظهروا الإسلام ؛ لأنه نصّ على نفاق من أخرج بعينه (٩) .

وردّه السيد محمد رشيد رضا قائلاً : « والذي أراه أن الرواية غير صحيحة » (١٠) .

(1) ينظر : الوسيط للواحد (٢ / ٥٢١) ، ومعالم التنزيل للبغوي (٢ / ٣٢٠) ، ولباب التأويل للخان (٢ / ٢٥٧) .

(2) ينظر : تفسير القرآن (٢ / ٣٤٣) ، والبحر المحيط (٥ / ٩٤) ، وروح المعاني (١١ / ١١) .

(3) ينظر : المحرر الوجيز (٧ / ١٥-١٦) .

(4) ينظر : الجواهر الحسان (٢ / ٧٠) .

(5) ينظر : الكشاف (٣ / ٨٧) .

(6) ينظر : الدر المنثور للسيوطي (٤ / ٢٧٤-٢٧٥) . والمتن فيه غرابة .

(7) سبق تخريج أثر ابن عباس . وينظر : النكت والعيون للماوردي (٢ / ٣٩٦) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٣ / ٤٩٢) .

(8) المحرر الوجيز (٧ / ١٦) .

(9) ينظر : البحر المحيط (٥ / ٩٤) .

(10) تفسير القرآن الحكيم (١١ / ١٩) .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن ما ذهب إليه ابن جُزَيٍّ يُعَدُّ مرجوحاً ؛ لأنه لا دليل عليه ، ولم يوافقهُ أحد . وأما القول الآخر فلا يصح عن النبي < أنه كان يفعل ذلك بهم . قال الطاهر بن عاشور : « وقد تحيّر المفسرون في تعيين المراد من المرّتين ، وحملوه كلّهم على حقيقة العدد ، وذكروا وجوهاً لا ينشرح لها الصدر . والظاهر عندي أن العدد مستعمل لمجرد قصد التكرير المفيد للتأكيد ؛ كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَرْجَعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ ﴾ [الملك : ٤] أي : تأمل تأملاً متكرراً . ومنه قول العرب : لبيك وسعديك . فاسم التثنية نائب مناب إعادة اللفظ . والمعنى : سنعذبهم عذاباً شديداً متكرراً مضاعفاً ؛ كقوله تعالى : ﴿ يُضَعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ﴾ [الأحزاب : ٣٠] وهذا التكررتختلف أعداده باختلاف أحوال المنافقين واختلاف أزمان عذابهم »<sup>(١)</sup> .

وما ذكره الطاهر بن عاشور — من عدم قصد العدد وأنه للتكرير — قد سبقه إليه بعض المفسرين منهم : أبو السعود، والآلوسي، والشوكاني، والقاسمي، والسعدي<sup>(٢)</sup> . قال الشوكاني : « والظاهر أن هذا العذاب المكرر هو في الدنيا بما يصدق عليه اسم العذاب ، وأنهم يعذبون مرةً بعد مرةً ، ثم يردّون بعد ذلك إلى عذاب الآخرة »<sup>(٣)</sup> . وقال ابن جرير الطبري : « وأولى القوال في ذلك بالصواب عندي أن يقال : إن الله لأ أخبر أنه يعذب هؤلاء المنافقين الذين مردوا على النفاق مرتين ، ولم يَضَعْ لنا دليلاً يوصلُ به إلى علم صفةِ ذُنُوبِ العذابين . وجائز أن يكون بعضُ ما ذكرنا عن القائلين ما أنبئنا عنه ، وليس عندنا علمٌ بأيّ ذلك من أيّ ، غير أن في قوله جل ثناؤه : ﴿ ثُمَّ يَرُدُّونَ إِلَىٰ عَذَابِ عَظِيمٍ ﴾ دلالةٌ على أن العذاب في المرّتين كليهما قبل دخولهم النار ، والأغلب من إحدى

(1) التحرير والتنوير (١١ / ٢٠) .

(2) ينظر : إرشاد العقل السليم (٢ / ٤٤٣) — قال : ويجوز أن يكون المراد بالمرّتين مجرد التكرير كما في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَرْجَعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ ﴾ أي كرة بعد كرة . — ، وروح المعاني (١١ / ١١) ، وفتح القدير (٢ / ٥٦٤) ، ومحاسن التأويل (٨ / ٣٢٤٥) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢ / ٢٨٢) .

(3) فتح القدير (٢ / ٥٦٤) . وتبعه القنوجي في فتح البيان (٥ / ٣٨٦) وزاد : وقد روي عن جماعة من السلف نحو هذا في تعيين العذابين . وقيل غير ذلك ... مما يطول ذكره مع عدم الدليل على أنه المراد بعينه . والظاهر أن هذا العذاب المكرر ... الخ .

المرتين أهما في القبر»<sup>(١)</sup> .

وقال الرازي : « والأولى أن يقال : مراتب الحياة ثلاثة : حياة الدنيا، وحياة القبر، وحياة القيامة . فقله : ﴿ سَعَدَ بِهِمْ مَرَّتَيْنِ ﴾ المراد منه عذاب الدنيا بجميع أقسامه ، وعذاب القبر»<sup>(٢)</sup> .

وقال السيد محمد رشيد رضا : « أي في الحياة الدنيا ، إحداهما : ما يصيبهم من المصائب وتوبيخ الضمائر ، وانتظار الفضيحة بمتك أستار السرائر ، وما يتلو ذلك من جهادهم إذا ظهر نفاقهم كغيرهم . والثانية : آلام الموت وزهوق أنفسهم وضرب الملائكة ... فأقرب ما يفسر به العذاب مرتين هو ما تقدم في تفسير الآيات ( ٥٥ و ٧٣ و ٧٤ و ٨٢ و ٨٣ ) [من سورة التوبة ] ففيه بيان لكل ما يصيب المنافقين في الدنيا من عذاب الوجدان الباطن ، وعذاب من يفتضح أمرهم في الظاهر»<sup>(٣)</sup> .

فإذا تقرر هذا وكان ذلك كذلك فإن الأولى هو الإمساك عن التعيين ؛ لعدم الدليل . والأحسن أن يقال : قد يكون العذاب في الدنيا شاملاً لما ذُكر من الفضيحة وإقامة الحدود والقتل والخوف والجوع والسي ، وبالأموال والأولاد ، وأخذ الزكاة من أموالهم ، وما يدخل عليهم من الغيظ في أمر الإسلام ، والله أعلم بالصواب .

ثم إنه يجتمل أن يكون ذلك كله هو عذابهم مرتين وأنه في الدنيا كما روي عن قتادة أنه قال : سَعَدَ بِهِمْ مَرَّتَيْنِ قال : عذاباً في الدنيا<sup>(٤)</sup> . ومثله عن الحسن<sup>(٥)</sup> ، وابن جريج<sup>(٦)</sup> ، والربيع بن أنس<sup>(٧)</sup> . كلهم فسروا العذاب مرتين بأنه في الدنيا .

وأما عذاب القبر فيكون داخلياً في العذاب العظيم ؛ لأن القبر هو أول منازل الآخرة . هذا محتمل ، والله تعالى أعلم .

(1) جامع البيان (١١/ ٦٤٩) .

(2) مفاتيح الغيب (٦/ ١٣١) .

(3) تفسير القرآن الحكيم (١١/ ١٨-١٩) . وتبعه المراغي (١٣/١١) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/ ٦٤٦، ٦٤٧) .

(5) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٨٦) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/ ٦٤٧) .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/ ٦٤٧) .

(7) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٧١) رقم (١٠٣٠٨) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ اَلْمُرِيْعَلْمُوْا اَنَّ اَللّٰهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَاْخُذُ الصَّدَقٰتِ

وَاَنَّ اَللّٰهَ هُوَ الرَّحِيْمُ ﴿١٠٤﴾

### ٢٨- الخلاف في عائد الضمير في ﴿ يَعْلَمُوا ﴾

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « الضمير في ﴿ يَعْلَمُوا ﴾ للتائبين من التخلّف .  
وقيل: للذين تخلّفوا ولم يتوبوا . وقيل : عام » (١) .

#### العرض والمناقشة :

رجّح ابن جُزَيِّ أن الضمير في ﴿ يَعْلَمُوا ﴾ عائد للتائبين من التخلّف . وعليه  
الطبري، والنسفي، والخازن، البقاعي، والقاسمي، والمراغي (٢) . وقدمه الزمخشري، والسيد  
رشيد رضا (٣) . واحتمله ابن عطية، والقرطبي (٤) .  
وذكره القمي النيسابوري بصيغة ( قيل ) (٥) .  
واستدل له بظاهر الكلام ومقتضى اللفظ (٦) .

وأما القول الثاني بأن ضمير ﴿ يَعْلَمُوا ﴾ عائد للذين تخلّفوا ولم يتوبوا ، فهو معنى ما  
رُوِيَ عن ابن زيد (٧) . وعليه القرطبي، والقمي، والتعالبي (٨) . وقدمه ابن عطية (٩) .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٨٤) .

(2) ينظر : جامع البيان (١١ / ٦٦٤) ، ومدارك التنزيل (٢ / ١٤٤) ، ولباب التأويل (٢ / ٢٦٠) ، ونظم الدرر  
(١٣ / ٩) ، ومحاسن التأويل (٨ / ٣٢٥٥) ، وتفسير المراغي (١١ / ١٩) .

(3) ينظر : الكشف (٣ / ٨٩) — وعنه الرازي في مفاتيح الغيب (٦ / ١٣٩) — ، وتفسير القرآن الحكيم (١١ / ٢٩) .

(4) ينظر : المحرر الوجيز (٧ / ٢٤) ، والجامع لأحكام القرآن (١٠ / ٣٦٦) .

(5) ينظر : غرائب القرآن و رغائب الفرقان (٣ / ٥٢٧) .

(6) ينظر : أحكام القرآن للجصاص (٤ / ٣٥٥) .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١ / ٦٦٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦ / ١٨٧٦) ونسبه إليه ابن  
عطية في المحرر الوجيز (٧ / ٢٤) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٠ / ٣٦٦) .

(8) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (١٠ / ٣٦٦) ، وغرائب القرآن و رغائب الفرقان (٣ / ٢٥٧) ، والجواهر الحسان  
(٢ / ٧٢) .

(9) ينظر : المحرر الوجيز (٧ / ٢٤) .

وبدأ به الشوكاني، والقنوجي<sup>(١)</sup>. وجوزَه القاسمي<sup>(٢)</sup>.  
 وذكره الزمخشري واستدل له بأنه قد روي أنهم لما تيب عليهم ، قال الذين لم يتوبوا :  
 هؤلاء الذين تابوا كانوا بالأمس معنا ، لا يكلمون ولا يجالسون ، فمالهم . فترلت<sup>(٣)</sup> .  
 وأما القول بأنه عام في التائبين من التخلف ، فيمن تخلف ولم يتب ، وفي غيرهم ،  
 فعليه ابن كثير<sup>(٤)</sup> . وجوزَه الجصاص<sup>(٥)</sup> .

واستدل له بدلالة الحال عليه ؛ كقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ [القدر : ١]  
 يعني : القرآن .

وقوله : ﴿ مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾ [فاطر : ٤٥] وهو يعني الأرض .

وقوله : ﴿ حَتَّى تَوَارَّتْ بِالْحِجَابِ ﴾ [ص : ٣٢] يعني الشمس .  
 فكُنِيَ عن هذه الأمور من غير ذكرها مظهرة في الخطاب ؛ لدلالة الحال عليها . قاله  
 الجصاص .

وأما الطاهر بن عاشور فقد جعل الضمير في ﴿ يَعْلَمُوا ﴾ عائداً على التائبين المعترفين  
 بذنوبهم إن كان بقي في نفوسهم اضطراب وشك خوفاً من أن لا تقبل توبتهم . وإن لم  
 يخطر ببالهم شك في قبولها كان الضمير عائداً لأمثال أولئك ترغيباً لهم في التوبة ممن تأخروا  
 عنها ، فيكون الكلام عاماً على أحوال الأمة وسيق للتحضيض<sup>(٦)</sup> .  
 وعلى هذا أبو السعود، والآلوسي، والسيد رشيد رضا<sup>(٧)</sup> .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأولى بالصواب من ذلك هو ما رجحه ابن جزيّ ومن

(1) ينظر : فتح القدير (٢/ ٥٦٥) ، وفتح البيان (٥/ ٣٩٠) .

(2) ينظر : محاسن التأويل (٨/ ٣٢٥٦) . كما جوز أن يكون الضمير للمنافقين والتائبين معاً للتمكن والتخصيص .

(3) الكشاف (٣/ ٩٠) . وعنه الرازي في مفاتيح الغيب (٦/ ١٣٩) .

(4) ينظر : تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٧٦) . قال : أخبر تعالى أن كل من تاب إليه تاب عليه .

(5) ينظر : أحكام القرآن (٤/ ٣٥٥) .

(6) ينظر : التحرير والتنوير (١١/ ٢٤) .

(7) ينظر : إرشاد العقل السليم (٢/ ٤٤٤ - ٤٤٥) ، وروح المعاني (١١/ ١٥) ، وتفسير القرآن الحكيم (١١/ ٢٩)

وافقه من أن الضمير في ﴿يَعْلَمُوا﴾ عائد للذين تابوا من التخلف وهم الذين اعترفوا بذنوبهم ؛ لأن ظاهر النظم الكريم يدل على ذلك . ويتأيد هذا بدلالة السياق <sup>(١)</sup> . وهذا لا يمنع من كون الآية فيها تحضيضاً لغيرهم على التوبة ، والله تعالى أعلم .

(1) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ١٢٥) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ أَفَمَنْ أَتَسَسَ بِئِكَ نُهُ، عَلَى تَقْوَى مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَتَسَسَ بِئِكَ نُهُ، عَلَى شَفَا

جُرْفٍ هَارٍ فَأَنْهَارَ بِهِ، فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾

٢٩- الخِلاَف فِي عَاقِبَةِ مَسْجِدِ الضَّرَارِ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « ﴿ فَأَنْهَارَ بِهِ، فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ أَي : طاح في جهنم ، وهذا ترشيح للمجاز ؛ فإنه لما شُبِّهَ بالجُرْفِ وَصِفَ بالانهيار الذي هو من شأن الجُرْفِ . وقيل : إن ذلك حقيقة ، وأنه سقط في نار جهنم وخرج الدخان من موضعه . والصحيح أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أمر بَهْدَمِهِ فَهْدِمَ » (١) .

العرض والمناقشة :

صحَّ ابن جُزَيِّ القول في عاقبة مسجد الضَّرَارِ بأنه هُدِمَ بأمر النبي < بَهْدَمِهِ . ووافق في هذا قول الكلبي (٢) .

وذهب إليه الفراء، والسمرقندي، والزمخشري، وابن العربي، وابن عطية، ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي، والرازي، والبيضاوي، والنسفي، وأبوحيان، والبلنسي، والثعالبي، والسيوطي، وأبوالسعود، والقاسمي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي، والطاهر بن عاشور (٣) .

واستدلَّ له بما رواه ابن إسحاق عن الزهري، ويزيد بن رومان ، وعبد الله بن أبي بكر، وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم ، قالوا : أقبل رسول الله < - يعني من تبوك - حتى نزل

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٨٥) .

(2) حكاة عنه السمرقندي في بحر العلوم (٢ / ٧٥) .

(3) ينظر : معاني القرآن (١ / ٤٥٢) ، وبحر العلوم (٢ / ٧٥) ، والكشاف (٣ / ٩١ - ٩٢) ، وأحكام القرآن (٢ / ١٠١٢) ، والحرر الوجيز (٧ / ٤٥) ، ووضح البرهان (١ / ٤٠٩) وإيجاز البيان (١ / ٣١٤ - ٣١٥) ، وتذكرة الأريب (١ / ٢٢٥) وزاد المسير (٣ / ٤٩٨ - ٤٩٩) ، ومفاتيح الغيب (٦ / ١٤٧) ، وأنوار التنزيل (١ / ٤٢١) ، ومدارك التنزيل (٢ / ١٤٥) ، والبحر المحيط (٥ / ٩٨ ، ١٠٠) ، وتفسير مبهمات القرآن (١ / ٥٦٤) ، والجواهر الحسان (٢ / ٧٤) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٣ / ٣٢١) ، وإرشاد العقل السليم (٢ / ٤٤٧) ، ومحاسن التأويل (٨ / ٣٢٦٣ - ٣٢٦٤) ، وتفسير القرآن الحكيم (١١ / ٣٦ - ٣٧) ، وتفسير المراغي (١١ / ٢٤ - ٢٥) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢ / ٢٨٦) ، والتحرير والتنوير (١١ / ٣١) .

بذي أوان ؛ بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار . وكان أصحاب مسجد الضَّرار قد كانوا أتوه، وهو يتجهَّز إلى تبوك ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا قد بنينا مسجداً لذي العَلَّة ، والحاجة ، والليله المطيرة ، والليله الشتية ، وإنا نُحِبُّ أن تأتينا فتصلي لنا فيه . فقال : ( إني على جناح سَفَرٍ وحال شُغْلٍ — أو كما قال رسول الله < — ولو قد قدمنا أتيانكم إن شاء الله ، فصلينا لكم فيه ) . فلما نزل بذي أوان ، أتاه خير المسجد، فدعا رسول الله < مالك بن الدُّخْشَمِ ، أخوا بني سالم بن عوف ، ومَعْنُ بن عديٍّ — أو أخاه عاصم بن عديٍّ — أخوا بني العجلان ، فقال : ( انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهلُه ، فاهدماه وحرِّقاه ) . فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف ، وهم رهط مالك بن الدُّخْشَمِ ، فقال مالكُ لمَعْنِ : أَنْظِرني حتى أخرج إليك بنارٍ من أهلي . فدخل أهله ، فأخذ سَعَفًا من النخل ، فأشعل فيه نارًا ، ثم خرجا يَشْتَدَّان حتى دخلا المسجد ، وفيه أهله ، فحرِّقاه وهدماه ، وتفرَّقوا عنه ، ونزل فيهم من القرآن ما نزل : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا ﴾ ، إلى آخر القصة (١) .

قال السمعاني : « واعلم أن المراد من الآية هو التمثيل والتشبيه في قِلة الثبات والقرار وسوء العاقبة . واختلفوا في الذي كانت عاقبة مسجد الضَّرار ؛ فالأكثر على أن النبي < دعا مالك بن الدخشم ، وعاصم بن عديٍّ وأمرهما أن يهدما ذلك المسجد ويحرِّقاه ففعلوا ذلك .»

والقول الآخر : أن ذلك المسجد انهار بنفسه من غير أن يمسه أحد . وفي بعض التفاسير : أنه خُسِفَ به . ورُوِيَ أنه لما خُسِفَ به سطع منه دخان في السماء ، والله

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦٧٢/١١-٦٧٣) عن ابن حميد ، عن سلمة ، عن ابن إسحاق به . وينظر : السيرة النبوية لابن هشام (٢/٥٢٨-٥٢٩ ، ٥٣٠) ، وأسباب التزلزل للواحيدي (٢٩٨-٣٠٠) ، ودلائل النبوة للبيهقي (٥/٢٥٩) ، ومعالم التنزيل للبعوي (٢/٣٢٥-٣٢٦) ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/٢٨٠-٢٨٢) ، والدر المنثور للسيوطي (٥/٥) . وينظر في تخريج الحديث : تخريج أحاديث الكشاف (٢/١٠٠-١٠٢) ، والكافي الشافعي (٨١) . وضعفه الألباني في تخريج " فقه السيرة " للغزالي (٤٢٧) . وقال ابن حجر : ذكره الثعلبي بغير إسناد . وزاد بعضهم : عمار بن ياسر ، ووحشيًّا مولى المطعم بن عديٍّ ، وعامر ابن السكن ، والله أعلم .

أعلم<sup>(١)</sup>.

وقال أبو حيان : « والظاهر أن هذا الكلام فيه تبيينٌ حَالِيُ المسجدين مسجد قباء أو مسجد الرسول < ومسجد الضَّرار ، وانتفاء تساويهما والتفريق بينهما . وكذلك قال كثير من المفسرين »<sup>(٢)</sup> .

وأما القول بأن مسجد الضَّرار سقط في نار جهنم حقيقة ، وخرج الدخان من موضعه ، فهو معنى ما رُوِيَ عن جابر قال : « أنا رأيت الدخان يخرج منه على عهد رسول الله < »<sup>(٣)</sup> .

وقال ابن عباس : ﴿ فَأْتَاهَا بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ يعني : قواعده في نار جهنم<sup>(٤)</sup> .  
وقال قتادة : والله ما تنهى أن وقع في النار . ذَكَرْنَا أَنَّهُ حُفِرَتْ بُعْعَةٌ مِنْهَا فَرُؤِيَ مِنْهَا الدخان<sup>(٥)</sup> .

وقال ابن جريج : صَلَّوْا فِيهِ الْجُمُعَةَ وَالسَّبْتَ وَالْأَحَدَ ، وَنَهَارَ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ ، فَلَمْ يَتَنَاهَ دُونَ أَنْ وَقَعَ فِي النَّارِ . وَقَالَ : ذَكَرْنَا أَنَّ رَجُلًا حَفَرُوا فِيهِ ، فَأَبْصَرُوا الدَّخَانَ يَخْرُجُ مِنْهُ<sup>(٦)</sup> .

وَذَكَرَ سَفِيَانُ بْنُ عَمِيْنَةَ أَنَّهُ لَا يَزَالُ مِنْهُ دَخَانٌ يَفُورُ ؛ لِقَوْلِهِ : ﴿ فَأْتَاهَا بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾

(1) تفسير القرآن (٢ / ٣٥٠) .

(2) البحر المحيط (٥ / ١٠٠) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١ / ٦٩٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦ / ١٨٨٤) (١٠٠٨٩) ، والحاكم في المستدرک (٤ / ٥٩٦) جميعاً من طريق عبد العزيز بن المختار ، عن عبد الله بن فيروز الداناج ، عن طلق بن حبيب ، عن جابر . وصحح إسناده الحاكم ووافقه الذهبي . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٢٩٢) نسبه لمسدد في مسنده - كما في المطالب العالية (٣ / ٤٠٠) - وابن المنذر ، وابن مردويه . وينظر : زاد المسير (٣ / ٥٠٢) ، والنكت والعيون (٢ / ٤٠٤) ، وفتح القدير (٢ / ٥٧٥) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١ / ٦٩٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦ / ١٨٨٤) (١٠٠٨٨) ، والبيهقي في الدلائل (٥ / ٢٦٣) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١ / ٦٩٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦ / ١٨٨٤) (١٠٠٩٠) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٢٩٢) نسبه إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١ / ٦٩٧) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٢٩٢) نسبه إلى ابن المنذر .

ويقال : إنه بقعة من نار جهنم <sup>(١)</sup> .

وقال حَلْفُ بن ياسين الكوفي : رأيت مسجد المنافقين الذي ذكره الله في القرآن ، وفيه حَجَرٌ يخرج منه الدخان ، وهو اليوم مَزْبَلَةٌ <sup>(٢)</sup> .  
وقال السدي : فمضى حين حُسِفَ به <sup>(٣)</sup> .  
وهذا القول هو قول مقاتل <sup>(٤)</sup> . واستظهره القرطبي وقال : « إذ لا إحالة في ذلك » <sup>(٥)</sup> .

وساق ابن جرير الطبري الآثار الواردة في ذلك ولم ينكرها <sup>(٦)</sup> ، وتبعه البغوي، وابن كثير، والبقاعي، والقنوجي <sup>(٧)</sup> . وكأن ابن أبي زمنين يميل إليه <sup>(٨)</sup> .  
وذكره الزمخشري ، وابن العربي ، والثعالبي بصيغة ( قيل ) <sup>(٩)</sup> .  
قال الآلوسي : « وظاهر الأخبار أن ذلك المسجد إذا وقع وقع في النار ... » . ثم ساق الآثار الواردة في ذلك عن قتادة، وابن جريج، والسدي، وابن عيينة ثم قال : « وأنت تعلم أبي والحمد لله تعالى مؤمن بقدرته سبحانه على أم وجهه ، وأنه جل جلاله فعّال لما يريد ، لكني لا أومن بمثل هذه الظواهر ما لم يرد فيها خبر صحيح عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم » <sup>(١٠)</sup> .

وقد لَّين ابن عطية أسانيد هذه الآثار <sup>(١١)</sup> .

وقال ابن العربي تعليقا على قول جابر : « ولو صحَّ هذا لكان جابر رافعا

- (1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٨٤) . وينظر : الدر المنثور (٤/ ٢٩٢) .
- (2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/ ٦٩٧) وذكر أن هذا في زمن أبي جعفر المنصور .
- (3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٨٤) (١٠٠٩١) .
- (4) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ١٩٨) .
- (5) الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٣٨٧) .
- (6) ينظر : جامع البيان (١١/ ٦٩٦ - ٦٩٨) .
- (7) ينظر : معالم التنزيل (٢/ ٣٢٨) وتفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٩٠) ونظم الدرر (٩/ ٢١) وفتح البيان (٥/ ٤٠١) .
- (8) ينظر : تفسير القرآن العزيز (٢/ ٢٣٣) .
- (9) ينظر : الكشاف (٣/ ٩٥) ، وأحكام القرآن (٢/ ١٠١٧) ، والجواهر الحسان (٢/ ٧٤) .
- (10) روح المعاني (١١/ ٢٣) .
- (11) ينظر : المحرر الوجيز (٧/ ٤٦) .

لإشكال»<sup>(١)</sup> .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أكثر المفسرين على أن النبي < أمر بهدم مسجد الضرار فهدم ؛ لثبوت ذلك في السيرة بلا نكير .  
واختار بعضهم ومال إلى أنه بعد هدمه سقط في نار جهنم حقيقة ، وخرج من موضعه الدخان . ولا يصح هذا ؛ لعدم ثبوته في خبر صحيح ، والله أعلم .  
وإذا كان ذلك كذلك فإن ما رجّحه ابن جرير ومن وافقه هو القول الصحيح ، وأن المراد بقوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْتَهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ هو ضربُ المثل - كما هو اختيار الأكثرين من المفسرين<sup>(٢)</sup> - « أي : مثل هؤلاء المضاررين من المنافقين في قصدهم معصية الله وحوصلهم من ذلك على سخطه كمن ينهار بنيانه في نار جهنم »<sup>(٣)</sup> . والله تعالى أعلم .

(١) أحكام القرآن (٢/ ١٠١٨) .

(٢) بل قال الرازي في مفاتيح الغيب (٦/ ١٤٩) : ولا نرى في العالم مثالا أكثر مطابقة لأمر المنافقين من هذا المثال .

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (٧/ ٤٥) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ

مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ (١١٣)

٣٠- الخلاف في سبب نزول قوله تعالى :

﴿ مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « نزلت في شأن أبي طالب ؛ فإنه لما امتنع أن يقول لا إله إلا الله عند موته ، قال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : ( والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك ) . فكان يستغفر له حتى نزلت هذه الآية . وقيل : إن النبي < استأذن ربه أن يستغفر لأمه فترلت الآية . وقيل : إن المسلمين أرادوا أن يستغفروا لآبائهم المشركين فترلت الآية » (١) .

#### العرض والمناقشة :

رجح ابن جزي أن قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ الآية نزلت في أبي طالب، عم النبي < . وعليه القرطي، والبيضاوي، والبلنسي، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والسيد محمد رشيد رضا (٢) . وقدمه وبدأ به ابن عطية — ونسبه للجمهور — ، وتبعه أبو حيان، والثعالبي (٣) . واستدل له ابن جزي وغيره بما رواه سعيد بن المسيب ، عن أبيه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي < وعنده أبو جهل ، وعبد الله ابن أبي أمية ، فقال النبي < : ( أَيِّ عَمٍّ ، قُلْ : لا إله إلا الله ، كلمة أحاجُّ لك بها عند الله ) . فقال أبو جهل، وعبد الله ابن أبي أمية : أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول الله < يعرضها عليه ويعيدانه بتلك

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٨٦) .

(2) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٣٩٨) ، وأنوار التنزيل (١/ ٤٢٤) ، وتفسير مبهمات القرآن (١/

٥٦٦) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٤٥٣) ، وفتح القدير (٢/ ٥٨١، ٥٨٢) ، وروح المعاني (١١/ ٣٢) ،

وفتح البيان (٥/ ٤١١) ، وتفسير القرآن الحكيم (١١/ ٥٠) .

(3) ينظر : المحرر الوجيز (٧/ ٥٩) ، والبحر المحيظ (٥/ ١٠٤) ، والجواهر الحسان (٢/ ٧٨) .

المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم : على ملة عبد المطلب ، وأبي أن يقول لا إله إلا الله . قال : فقال رسول الله < : ( والله لأستغفرنَّ لك ما لم أُنزل الله : ﴿ مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ وأنزل الله في أبي طالب فقال لرسول الله < : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ <sup>(١)</sup> [القصص : ٥٦] .

وألفاظ هذا الحديث الصحيح صريحة في نزول الآية في شأن أبي طالب ، فهذا حديث صحيح صريح في ذكر سبب النزول .

ويشكل عليه أن وفاة أبي طالب كانت بمكة قبل الهجرة اتفاقاً ، فيحتمل أن يكون نزول الآية متأخر وإن كان سببها تقدم .

ومما يؤيد ذلك استغفار النبي < للمنافقين حتى نزل النهي عن ذلك ، فإن ذلك يقتضي تأخير النزول وإن تقدم السبب .

ويشير إلى ذلك أيضاً قوله في الحديث : وأنزل في أبي طالب : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ ؛ لأنه يشعر بأن قول تعالى : ﴿ مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ نزلت في أبي طالب وغيره ، وآية القصص نزلت فيه وحده <sup>(٢)</sup> .

وعليه فإن ما أعله به الطاهر بن عاشور <sup>(٣)</sup> من أن هذه السورة نزلت بعد ذلك بزمن طويل فهو تعليل واه ؛ لصحة الخبر وصراحته في ذكر سبب النزول ، واحتماله لتأخر نزول الآية ، وإنما استمر النبي < في الاستغفار له حتى نزلت فانتهى عنه .

ونقل ابن الجوزي عن أبي الحسين بن المنادي قوله : « هذا لا يصح ؛ إنما قال النبي <

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/٢٨٨) ، وأحمد في مسنده (٥/٤٣٣) ، والبخاري في صحيحه (١٣٦٠) ، ٣٨٨٤ ، ٤٦٧٥ ، ٤٧٧٢ ، ٦٦٨١) ، ومسلم في صحيحه (٤٠/٢٤) ، والنسائي (٢٠٣٤) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٠/١٢) ، (٢٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/١٨٩٤) (١٠٠٥٢) ، والبغوي في معالم التنزيل (٢/٣٣١) وفي شرح السنة (٥/٥٥) ، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/٣٤٢) ، والواحدي في الوسيط (٢/٥٢٧) ، وفي أسباب النزول (٣٠١) . كلهم من طريق الزهري ، عن سعيد بن المسيب به . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/٢٩٩) نسبته إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه .

(٢) ينظر : فتح الباري (٨/٥٠٨) .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير (١١/٤٤) . قال الطاهر : وأما ما روي في أسباب النزول أن هذه الآية نزلت في شأن أبي طالب ، أو أمه عليه الصلاة والسلام فهما خبران واهيان ؛ لأن هذه السورة نزلت بعد ذلك بزمن طويل .

لعمه: ( لأستغفرن لك ما لم أنه عنك ) قبل أن يموت ، وهو في السياق ، فأما أن يكون استغفر له بعد الموت فلا ، فانقلب ذلك على الرواة ، وبقي على انقلابه «<sup>(١)</sup> .

وهذه دعوى تحتاج إلى برهان !!

وأما القول الثاني وهو أن الآية نزلت في استئذان النبي < رَبِّهِ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِأُمِّهِ ، فهو مَرْوِيٌّ عن ابن عباس <sup>(٢)</sup> . وقاله مقاتل <sup>(٣)</sup> .

وذكره البيضاوي ، وأبو السعود بصيغة ( قيل ) <sup>(٤)</sup> .

واستدل له بما رواه ابن مسعود قال : خرج رسول الله < يوماً إلى المقابر فاتبعناه ، فجاء حتى جلس إلى قبر منها فواجه طويلاً ثم بكى ، فبكينا لبكائه فقال : ( إن القبر الذي جلست عنده قبر أمي ، واستأذنت ربي في الدعاء لها فلم يأذن لي ، فأنزل عليّ : ﴿ مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ <sup>(٥)</sup> .

وبما رواه عطية العوفي قال : لما قدم رسول الله < مكة ، وقف على قبر أمه حتى سَخِنَتْ عليه الشمس ؛ رجاء أن يؤذن له فيستغفر لها ، حتى نزلت : ﴿ مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ

(1) زاد المسير (٣/ ٥٠٧) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٣/١٢) بالإسناد المسلسل بالعوفيين .

(3) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ١٩٩) .

(4) ينظر : أنوار التنزيل (١/ ٤٢٤) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٤٥٣) .

(5) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٩٣/٦) رقم (١٠٠٥١) ، والحاكم في مستدركه (٢/ ٣٣٦) ، والبيهقي في دلائل النبوة (١/ ١٨٩) ، والواحدي في الوسيط (٢/ ٥٢٨) من طريق أيوب بن هانئ ، عن مسروق الأجدع ، عن ابن مسعود . قال الحاكم : صحيح على شرطهما ولم يخرجاه . وتعقبه الذهبي بقوله : ( قلت : أيوب بن هانئ ضعيف ، ضعفه ابن معين ) . وقال ابن كثير في البداية (٢/ ٢٨٠) : غريب ولم يخرجه . وقد روى أحمد في مسنده (٥/ ٣٥٥ ، ٣٥٦ - ٣٥٧ ، ٣٥٩) من حديث ابن بريدة ، عن أبيه نحوه . ولم يذكر نزول الآية . وكذا رواه البيهقي في الدلائل (١/ ١٨٩) ، ورواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/ ٢٢-٢٣) بمعناه وكذا الترمذي في سننه (١٠٥٤) . ولم يذكروا نزول الآية . ورواه مسلم في صحيحه (٢/ ٦٧٠) رقم (٩٧٦) عن أبي هريرة مرفوعاً ولم يذكر نزول الآية . وكذا النسائي (٤/ ٩٠) ، وابن ماجه (٢/ ١٥٧٢) ، والترمذي (٣/ ٣٦١) ولم يذكروا نزول الآية .

أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ تَبَرَّأْمَنَّهُ ﴾ (1) .

قال الألوسي : « وزعم بعضهم أن الآية نزلت في غير ذلك [يعني في غير أبي طالب] . فقد أخرج البيهقي في الدلائل وغيره عن ابن مسعود قال : خرج النبي < يوماً إلى المقابر فجاء حتى جلس إلى قبر منها فناحاه طويلاً ... ولا يخفى أن الصحيح في سبب النزول هو الأول . نعم خبر الاستئذان في الاستغفار لأمه علي الصلاة والسلام وعدم الإذن جاء في رواية صحيحة لكن ليس فيها أن ذلك سبب النزول . فقد أخرج مسلم وأحمد وأبو داود وابن ماجه والنسائي عن أبي هريرة قال : أتى رسولُ الله < قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال عليه الصلاة والسلام : ( استأذنت ربي أن استغفر لها فلم يأذن لي ، واستأذنت أن أزور قبرها فأذن لي ، فزوروا القبور ؛ فإنها تذكركم الموت ) » (2) .

فالروايات الواردة في شأن أمه عليه الصلاة والسلام منها ما ورد فيه ذكر نزول الآية ، ومنها ما لم يرد فيه ذلك ؛ لذلك فقد قال الحافظ بن حجر : فهذه طرق يعضد بعضها بعضاً، وفيها دلالة على تأخير نزول الآية عن وفاة أبي طالب ، ثم احتمال أن يكون لتزولها سببان : متقدم وهو أمرُ أبي طالب ، ومتأخر وهو أمرُ أمِّه (3) .

وأما الشوكاني فقد أبى ذلك وقال : « وما في الصحيح مقدّم على ما لم يكن فيهما على فرض أنه صحيح . فكيف وهو ضعيف غالبه ؟ » (4)

وأما القول الثالث وهو أن الآية نزلت في المسلمين الذين أرادوا أن يستغفروا لآبائهم المشركين ، فهو مرّويٌّ عن ابن عباس (5) ، ومجاهد (6) ، وقتادة (7) ، ومحمد بن كعب (8) ،

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢ / ٢٢) من طريق فضيل ، عنه مرفوعاً ، وهو إسناد منقطع .

(2) روح المعاني (١١ / ٣٤) .

(3) فتح الباري (٨ / ٥٠٨) .

(4) فتح القدير (٢ / ٥٨١ ، ٥٨٢) .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢ / ٢٣-٢٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦ / ١٨٩٣) (١٠٠٥٠) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢ / ٢١) .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢ / ٢٤) .

(8) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٣٠٠) لابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ .

وعمر بن دينار<sup>(١)</sup> . وعليه ابن أبي زمنين<sup>(٢)</sup> .

واستدل له بما رواه عليُّ قال : سمعت رجلاً يستغفر لوالديه وهما مشركان ، فذكرت

ذلك للنبي < فأنزل الله : ﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ ﴾ الآية<sup>(٣)</sup> .

وقال ابن عباس في تفسير هذه الآية : فكانوا يستغفرون لهم حتى نزلت هذه الآية ،

فلما نزلت أمسكوا عن الاستغفار لأمهاتهم ، ولم ينههم أن يستغفروا للأحياء حتى يموتوا ،

ثم أنزل الله : ﴿ وَمَا كَانِ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ ﴾ الآية .

وقال قتادة : ذكّر لنا أن رجلاً من أصحاب النبي < قالوا : يا نبي الله ، إن من آبائنا

من كان يحسن الجوار ، ويصل الأرحام ، ويفك العاني ، ويوفي بالذمم ، أفلا نستغفر لهم ؟

قال : فقال النبي < : ( بلى ، والله لأستغفرن لأبي كما استغفر إبراهيم لأبيه ) . قال :

فأنزل الله : ﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ حتى بلغ

﴿ الْجَحِيمِ ﴾ ، ثم عذر الله إبراهيم فقال : ﴿ وَمَا كَانِ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ

مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ .

وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن أولى الأقوال بالصواب من ذلك هو ما رجحه ابن جزي

ومن وافقه ، وهو أن قوله تعالى : ﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾

نزلت في شأن أبي طالب ، وإن كان قد تأخر نزولها عن وفاة أبي طالب ؛ لأن الحديث

الوارد في ذلك صحيح صريح ، وما روي من روايات أخرى في سبب نزولها فهو إما

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢١/١١) عنه : أن النبي < قال : استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك ،

فلا أزال أستغفر لأبي طالب حتى ينهاني عنه ربي . فقال أصحابه : لنستغفرن لآبائنا كما استغفر النبي < لعمه .

فأنزل الله : ﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ .

(2) ينظر : تفسير القرآن العزيز (٢/٢٣٥) .

(3) أخرجه الطيالسي (١٣٣) ، وأحمد (١٦٢/٢) ، (٣٢٨) ، والنسائي (٢٠٣٥) ، والترمذي (٣١٠١) ، وأبو يعلى

(٣٣٥) ، (٦١٩) ، وابن جرير الطبري (٢٥/١٢) ، (٢٦) ، وابن أبي حاتم (٦/١٨٩٣) ، والحاكم وصححه

(٢/٣٣٥) ، والبيهقي في الشعب (٩٣٧٧) ، (٩٣٧٨) ، والبرز (٨٩٣) ، (٨٩٤) . جميعهم من طريق أبي إسحاق ،

عن أبي الخليل ، عن علي به . وقال الترمذي : هذا حديث حسن . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥/٣٠٠)

نسته إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه ، والضياء في المختارة . وينظر : الكافي الشافي

(٨٢) ، وتخريج أحاديث الكشاف (٢/١٠٦) ، وتحفة الأحوذى (٨/٥٠٥) .

صحيح غير صريح وإما صريح غير صحيح .

ويتأيد هذا القول بالقاعدة الترجيحية : ( إذا تعددت الرويات في سبب النزول ، نُظِرَ إلى الثبوت ، فاقْتَصِرَ على الصحيح ، ثم العبارة ، فاقتصر على الصحيح ، فإن تقارب الزمان حُمِلَ على الجميع ، وإن تباعد حكم بتكرار النزول أو الترجيح )<sup>(١)</sup> . ( وإذا صح سبب النزول الصحيح فهو مرجح لما وافقه من أوجه التفسير )<sup>(٢)</sup> . والله أعلم .

تنبيه :

توقف كثير من المفسرين في ترجيح أحد هذه الأقوال ، واكتفوا بذكر الروايات أو سرد الأقوال منهم : ابن جرير الطبري ، والزجاج ، والنحاس ، والسمرقندي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن العربي ، وابن الجوزي ، والرازي ، والحازن ، وابن كثير ، والمراغي<sup>(٣)</sup> .

واختار الواحدي أن الآية نزلت فيهم جميعاً : في عم النبي < ، وفي أبويه ، وفي استغفار المسلمين لأبائهم المشركين<sup>(٤)</sup> .

وجعلها السيوطي في استغفار النبي < لعمه ، واستغفار بعض الصحابة لأبويه المشركين<sup>(٥)</sup> .

ولذا قال الحافظ ابن حجر : « وهي عامة في حقه [يعني أبا طالب] وفي حق غيره»<sup>(٦)</sup> . وقال البقاعي : «وقد تقدم أنه يجوز أن تتعدد الأسباب»<sup>(٧)</sup> .

وقال القاسمي : « ساق المفسرون ها هنا روايات عديدة في نزول الآية ، ولما رآها

(1) قواعد التفسير لخالد السبت (١/ ٦٩) .

(2) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ٢٤١) .

(3) ينظر : جامع البيان (١٢/ ١٩-٢٤) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧٢-٤٧٣) ، ومعاني القرآن الكريم (٣/ ٢٥٩) ، وبحر العلوم (٢/ ٧٦-٧٧) ، وتفسير القرآن (٢/ ٣٥٢) ، ومعالم التنزيل (٢/ ٣٣١) ، والكشاف (٣/ ٩٨) ، وأحكام القرآن (٢/ ١٠٢١) ، وزاد المسير (٣/ ٥٠٧) ، ومفاتيح الغيب (٦/ ١٥٧-١٥٨) ، ولباب التأويل (٢/ ٢٦٥-٢٦٦) ، وتفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٩٤-٢٩٩) ، وتفسير المراغي (١١/ ٣٥-٣٦) .

(4) ينظر : الوجيز (١/ ٤٨٣) .

(5) ينظر : تفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٣/ ٣٢٨ - ٣٢٩ ) .

(6) فتح الباري (٧/ ١٩٥) .

(7) نظم الدرر ( ٩/ ٣١-٣٣ ) .

بعضهم متنافية ، حاول الجَمْعَ بينها بتعدُّد التزول . ولا تنافي ؛ لما قدمناه مِنْ أن قولهم :  
(نزلت في كذا) قد يراد به : أن حكم الآية يشمل ما وقع من كذا ، بمعنى : أن نزولها  
يتناولها . وقد يراد به : أن كذا كان سبباً لتزولها . وما هنا من الأول . ونظائره كثيرة في  
التزويل ، وقد نبهنا عليه مراراً ، لا سيّما في المقدمة ، فاحفظه «<sup>(1)</sup>» .  
ومن المقرر أن الأصل هو عدم تكرار التزول ، وأن القول بتعدد الأسباب - عند  
صحتها وصراحتها - مقدم عليه . والله تعالى أعلم .

قَالَ تَعَالَى:

﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ

أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا

إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾

### ٣١- الخلاف في معنى ﴿خُلِفُوا﴾.

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « ومعنى ﴿خُلِفُوا﴾ هنا أي : عن الغزوة . وقال كعب بن مالك : معناه : خُلِفُوا عن قبول العُدْرِ ، وليس بالتخلف عن الغزو <sup>(١)</sup> . يقوِّي ذلك كونه جعلَ ﴿إِذَا ضَاقَتْ﴾ غايةً للتخلفِ » <sup>(٢)</sup> .

#### العرض والمناقشة :

ظاهر كلام ابن جُزَيِّ هنا أنه يرجح قول كعب بن مالك في تفسير ﴿خُلِفُوا﴾ ؛ لتصريحه به، ولتقوية قوله والتعليل له . ووافق في هذا ما رُوِيَ عن ابن عباس <sup>(٣)</sup> ، ومجاهد <sup>(٤)</sup> ، والضحاك <sup>(٥)</sup> ، وعكرمة <sup>(٦)</sup> ،

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٧٥٧، ٣٨٨٩، ٤٤١٨، ٤٦٧٦، ٦٦٩٠) ، ومسلم في صحيحه (٢٧٦٩) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢ / ٥٨ - ٦٥) وفي آخره قال كعب : كنا خُلِفْنَا ، أيها الثلاثة ، عن أمر أولئك الذين قَبِلَ رسول الله ﷺ توبتهم حين حلفوا له ، فبايعهم واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه ، فبذلك قال الله : ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا﴾ . وليس الذي ذكر الله ﷻ مما خُلِفْنَا عن الغزو ، إنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه ، فقبل منه . وهذا لفظ ابن جرير الطبري (١٢ / ٦٥) . وينظر : الدر المنثور (٤ / ٣١٠) ، والوسيط للواحدى (٢ / ٥٣٠) ، ومعالم التنزيل للبغوي (٢ / ٣٣٧) ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧ / ٣٠٦) .

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٨٦ - ٨٧) .

(3) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٣ / ٥١٣) .

(4) ينظر : جامع البيان للطبري (١٢ / ٥٥ - ٥٦) ، وأحكام القرآن للجصاص (٤ / ٣٦٩) ، وزاد المسير (٣ / ٥١٣) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠ / ٤١٢) .

(5) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦ / ١٩٠٥) (١٠٠٨٨) .

(6) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢ / ٢٩٠) ، ومن طريقه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢ / ٥٤) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٣١٥) نسبته إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ ، وابن عساكر .

وقتادة<sup>(١)</sup> ، وأبي مالك<sup>(٢)</sup> . وذهب إليه مقاتل، وابن جرير الطبري، والنحاس، والواحدي، وابن عطية، والقرطبي، والقمي، وأبوحيان، وابن القيم، وابن كثير ، والبلنسي، والثعالبي، والبقاعي، والسيوطي، وأبوالسعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والقاسمي، وابن عاشور<sup>(٣)</sup> .

وذكره السمرقندي ، والبغوي ، والزمخشري بصيغة ( قيل )<sup>(٤)</sup> .

ودليله : تفسير الصحابي نفسه كعب بن مالك للآية ، وهو أعلم بها ؛ إذ نزلت فيه وفي صاحبه .

ومما يقوي هذا أن الله تعالى قال : ﴿ حَلْفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ فجعل ضيق الأرض عليهم غايةً للتخلف ، ولم يكن ذلك عن تخليفهم عن الغزو ، وإنما ضاقت عليهم الأرض عن تخليفهم عن قبول العذر . قاله ابن عطية<sup>(٥)</sup> .

ويقول الطاهر : « وهذا الذي فسّر كعب به هو المناسب للغاية بقوله : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا

ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ ؛ لأن تخيل ضيق الأرض عليهم وضيق أنفسهم هو غاية لإرجاء أمرهم انتهى عندها التخليف ، وليس غايةً لتخلفهم عن الغزو ؛ لأن تخلفهم لا انتهاء له »<sup>(٦)</sup> .

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٤/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٠٤/٦) .

(2) ينظر : تفسير ابن أبي حاتم (١٩٠٥/٦) ، ومعاني القرآن الكريم للنحاس (٢٦٤/٣) ، والنكت والعيون للماوردي (٤١٣/٢) .

(3) ينظر : تفسير مقاتل (٢٠١/٢) ، وجامع البيان (٥٣-٥٤/١٢) ، ومعاني القرآن الكريم (٢٥٢/٣) ، والوجيز (٤٨٥/١) ، والمحزر الوجيز (٧٢/٧) ، والجامع لأحكام القرآن (٤١٢/١٠) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥٤١/٣) ، والبحر المحيط (١٠٩/٥) ، وبدائع التفسير (٣٨٢/٢) ، وتفسير القرآن العظيم (٣١٣/٧) ، وتفسير مبهمات القرآن (٥٦٧/١) ، والجواهر الحسان (٨١/٢) ، ونظم الدرر (٣٩/٩) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/٣٣٣) ، وإرشاد العقل السليم (٤٥٥/٢) ، وفتح القدير (٥٨٤/٢) ، وروح المعاني (٤١/١١) ، وفتح البيان (٤١٩/٥) ، ومحاسن التأويل (٣٢٨٧/٨) ، والتحرير والتنوير (٥٢/١١) .

(4) ينظر : بحر العلوم (٨١/٢) ، ومعالم التنزيل (٣٣٧/٢) ، والكشاف (١٠٢/٣) .

(5) ينظر : المحزر الوجيز (٧٢/٧) . وينظر : إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤٥٥/٢) .

(6) التحرير والتنوير (٥٢/١١) .

ولأنه لو أراد تخلفهم عن الغزو لقال : تخلفوا كما قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ [ التوبة : ١٢٠ ] وذلك لأنهم تخلفوا بأنفسهم بخلاف تخليفهم عن أمر المتخلفين سواهم ، فإن الله سبحانه هو الذي خلفهم عنهم ، ولم يتخلفوا عنه بأنفسهم . قاله ابن القيم <sup>(١)</sup> .

وأما القول الآخر في معنى ﴿ خَلَّفُوا ﴾ وهو أن المعنى : تخلفوا عن الغزوة ، فنسب إلى قتادة <sup>(٢)</sup> ، وعكرمة <sup>(٣)</sup> . وعليه السمرقندي ، وابن أبي زمنين ، والبغوي ، والزمخشري ، والنسفي ، والسعدي <sup>(٤)</sup> .

وضعه ابن عطية <sup>(٥)</sup> . وذكره القرطبي ، والقمي بصيغة ( قيل ) <sup>(٦)</sup> .

وأيد هذا القول بقراءة عكرمة بن خالد : ﴿ خَلَّفُوا ﴾ <sup>(٧)</sup> أي : خلفوا الغازين بالمدينة .

- (1) بدائع التفسير ( ٣٨٢ / ٢ ) ، زاد المعاد ( ٣ / ٥٩١ - ٥٩٢ ) .
- (2) ينظر : أحكام القرآن للخصاص ( ٣٦٩ / ٤ ) ، والمحزر الوجيز لابن عطية ( ٧٢ / ٧ ) ، وزاد المسير لابن الجوزي ( ٥١٣ / ٣ ) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ( ٤١٢ / ١٠ ) ، والبحر المحييط لأبي حيان ( ١٠٩ / ٥ ) . وهذه النسبة غلط ؛ لأن الطبري وابن أبي حاتم أخرجاه عنه بإسناد صحيح قوله : ( فخلَّفوا عن التوبة ) .
- (3) نسبه له الماوردي في النكت والعيون ( ٤١٣ / ٢ ) ، وهذا غريب . وقد سبق قول عكرمة مثل قتادة .
- (4) ينظر : بحر العلوم ( ٨١ / ٢ ) ، وتفسير القرآن العزيز ( ٢ / ٢٣٦ ) ، ومعالم التنزيل ( ٢ / ٣٣٧ ) ، والكشاف ( ١٠٢ / ٣ ) ، ومدارك التنزيل ( ٢ / ١٤٩ ) ، وتيسير الكريم الرحمن ( ٢ / ٢٩٣ ) ثم سوى الأخير بينهما وتردد في ( ٢ / ٢٩٥ ) .
- (5) ينظر : المحزر الوجيز ( ٧٢ / ٧ ) .
- (6) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ( ٤١٢ / ١٠ ) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان ( ٣ / ٥٤١ ) .
- (7) أخرجها ابن أبي حاتم في تفسيره ( ١٩٠٥ / ٦ ) رقم ( ١٠٠٨٩ ) عن عكرمة بن خالد المخزومي أنه كان يقرؤها بالنصب ( خَلَّفُوا ) أي : بعد محمد ﷺ وأصحابه . وينظر : معاني القرآن الكريم للنحاس ( ٣ / ٢٥٢ ، ٢٦٥ ) . ونسبها لعكرمة بن عمار : السمعي في تفسير القرآن ( ٢ / ٣٥٦ ) ، وأبو حيان في البحر المحييط ( ٥ / ١١٠ ) ، وزاد نسبتها لزر بن حبيش وعمرو بن عبيد ومعاذ القاري وقال : ورويت عن أبي عمرو . ثم فسره بقوله : أي : خلفوا الغازين بالمدينة أو فسدوا من المخالفة . والقراءة ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ( ٥٥ ) ، وابن جني في المحتسب ( ١ / ٣٠٥ ) وزادا نسبتها لزر بن حبيش ، ونسبها ابن جني أيضاً لعمر بن عمرو . وينظر : الدر المصون للسمين الحلبي ( ٦ / ١٣٦ ) ، وروح المعاني للآلوسي ( ١١ / ٤١ ) .

يقال : خَلَفَ عن أصحابه ، إذا تَخَلَّفَ عنهم في المشي ، يَخْلُفُ - بضم اللام في المضارع . فمعنى ﴿ خَلَّفُوا ﴾ خَلَّفَهُمْ مُخَلَّفٌ ، أي : تركهم وراءه وهم لم يخلفهم أحد ، وإنما تَخَلَّفُوا بفعل أنفسهم . فيجوز أن يكون ﴿ خَلَّفُوا ﴾ بمعنى خَلَّفُوا أَنفُسَهُمْ . قاله الطاهر ابن عاشور<sup>(١)</sup> .

وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن الأولى بالصواب في معنى ﴿ خَلَّفُوا ﴾ هو ما قاله كعب بن مالك ؛ لأن الآية نازلة فيه وهو أعلم بمعناها ، ولقوة تعليقه . وهو تفسير السلف ، واختيار الأكثرين ، والله تعالى أعلم .  
ويتأيد بالقاعدة التفسيرية : ( قول الصحابي مقدم على غيره في التفسير وإن كان ظاهر السياق لا يدل عليه )<sup>(٢)</sup> . والله تعالى أعلم .

(1) التحرير والتنوير (١١ / ٥٢) .

(2) قواعد التفسير لخالد السبت (١ / ١٨٦) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَمَا كَانُ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَفْقَهُوا فِي

الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٤٢﴾

٣٢- الخلاف في النَّفَر الذي كَرِهَهُ اللهُ لجميع المؤمنين في قوله تعالى :

﴿ وَمَا كَانُ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « قال ابن عباس : هذه الآية في البعوث إلى الغزو والسرايا <sup>(١)</sup> . أي : لا ينبغي خروج جميع المؤمنين في السرايا ، وإنما يجب إذا خرج رسول الله ﷺ بنفسه ، ولذلك عاتبهم في الآية المتقدمة على التخلُّف عنه . فالآية الأولى في الخروج معه < ، وهذه في السرايا التي كان يبعثها . وقيل : هي ناسخة لكل ما ورد من الأمر بخروج الجميع . فهو دليل على أن الجهاد فرض كفاية لا فرض عين . وقيل : هي في طلب العلم . ومعناها : أنه لا تجب الرحلة في طلب العلم على الجميع ، بل على البعض ؛ لأنه فرض كفاية » <sup>(٢)</sup> .

### العرض والمناقشة :

قدّم ابن جُزَيِّ قول ابن عباس مرجحاً له على غيره في بيان النَّفَر الذي كَرِهَهُ اللهُ تعالى لكافة المؤمنين ، وهو خروجهم جميعاً في السرايا التي كان يبعثها رسول الله ﷺ . ووافق في هذا المعنى مارُوي عن عبد الله بن عبيد بن عمير <sup>(٣)</sup> ، وقتادة <sup>(٤)</sup> ، والضحاك <sup>(٥)</sup> ، وابن زيد <sup>(٦)</sup> .

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/٧٧-٧٨) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/١٩٠٩) رقم (١٠١١٦) وفي (٦/١٩١٢) رقم (١٠١٢٧) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه . وينظر : صحيفة علي (٢٧٦) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/٣٢٢) نسبته إلى ابن المنذر ، وابن مردويه وغيرهما .

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٨٧) .

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/١٩١٠) رقم (١٠١١٧) . زاد السيوطي في الدر المنثور (٤/٣٢٣) نسبته إلى أبي الشيخ .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/٧٨) . وينظر (١٢/٨٣) .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/٧٨-٧٩) . وينظر (١٢/٨٣) .

(6) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٢/٧٧) .

وُسِبَ للكلي (١) . وعليه مقاتل، والفراء، وابن جرير الطبري، والرجاج، والنحاس، ومكي، وابن أبي زمنين، والواحدي، والبغوي، والقرطبي، وابن القيم، والبقاعي، والسيوطي، والآلوسي، والقاسمي، والسيد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي، والطاهر بن عاشور (٢) .  
وقدمه السمرقندي (٣) . واحتمله الرازي (٤) .

واستدلوا له بأن الآية التي قبل هذه وهي قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ [ التوبة : ١٢٠ ] فيها بيانُ تحريمِ التخلُّفِ خلافَ رسولِ الله < لغيرِ عُذْرٍ يعذرون به ، إذا خرج رسول الله < لغزوٍ وجهادٍ عدوٍّ . وفي هذه الآية ﴿ وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ﴾ بين لهم الله تعالى الواجب عليهم عند مقام رسول الله < بمدينته ، وإشخاص غيره منها ، فنهاهم الله تعالى في هذه الآية أن يخرجوا في غزوٍ وجهادٍ وغير ذلك من أمورهم ، ويدعوا رسول الله < وحيداً ، ولكن عليهم إذا سرى رسول الله < سريةً ، أن ينفر معها من كل قبيلة طائفة (٥) .  
ومما يدل له أيضاً السياق ؛ فإن الآية إنما هي في سياق التغير في الجهاد ، وتوبيخ القاعدين عنه .

« ولفظة النفر إنما تستعمل في الجهاد والغزو ، ولا يقال لمن سافر في طلب علم إنه نَفَرَ ولا استنفر ، ولا يقال للسفر فيه نفير . فحيث استعملت هذه الكلمة فإنما يفهم منها

(1) ينظر : النكت والعيون للماوردي (٢/ ٤١٥) .

(2) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٢٠٣) ، ومعاني القرآن (١/ ٤٥٤) ، وجامع البيان (١٢/ ٨٣) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧٥) ، والناسخ والمنسوخ (٢/ ٤٦٩) ، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه (٣٢٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ٢٤٠) ، و الوجيز (١/ ٤٨٦) ، والوسيط (٢/ ٥٣٤) وأسباب التزول (٣٠٤) ، ومعالم التنزيل (٢/ ٣٤٣) ، والجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٤٢٦) ، وبدائع التفسير (٢/ ٣٨٦) — ونسبه للأكثرين . وقال: وهو الصحيح . — ، ونظم الدرر (٩/ ٤٧) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ٣٣٩) ، وروح المعاني (١١/ ٤٨) ، ومحاسن التأويل (٨/ ٣٢٩٨) ، وتفسير القرآن الحكيم (١١/ ٦٧) ، وتفسير المراغي (١١/ ٤٧) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ٢٩٦-٢٩٧) ، والتحرير والتنوير (١١/ ٦٠) .

(3) ينظر : بحر العلوم (٢/ ٨٢) .

(4) ينظر : مفاتيح الغيب (٦/ ١٧٠) .

(5) ينظر : جامع البيان لابن جرير الطبري (١٢/ ٨٣) .

الجهاد. قال الله تعالى : ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ﴾ [التوبة : ٤١] وقال النبي < : ( لاهجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا )<sup>(١)</sup> . وهذا هو المعروف من هذه اللفظة .

وعلى هذا تكون الآية قد اشتملت على بيان حكم النافرين والقاعدين ، وعلى بيان اشتراكهم في الجهاد والعلم . فالنافرون أهل الجهاد ، والقاعدون أهل التفقه . والدين إنما يتم بالجهاد والعلم ، فإذا اشتغلت طائفة بالجهاد ، وطائفة بالتفقه في الدين ثم يُعَلِّمُ أهل الفقه المجاهدين إذا رجعوا إليهم ؛ حصلت المصلحة بالعلم والجهاد . وهذا الأليق بالآية والأكمل لمعناها . قاله ابن القيم<sup>(٢)</sup> .

وأما القول الثاني بأن قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ﴾ أنها ناسخة لكل ما ورد من الأمر بخروج الجميع ، فهو مروى عن ابن عباس<sup>(٣)</sup> ، وابن زيد<sup>(٤)</sup> . واختاره أبو عبيد القاسم بن سلام<sup>(٥)</sup> .

قال القرطبي : « وهذه الآية ناسخة لقوله تعالى : ﴿ إِلَّا نَفِرُوا ﴾ [التوبة : ٣٩] وللآية التي قبلها [التوبة : ٣٨] ، على قول مجاهد ، وابن زيد<sup>(٦)</sup> . ورد الطبري هذا القول بقوله : « لم تكن إحدى الآيتين اللتين ذكرنا ناسخة للأخرى ؛ إذ لم تكن إحدهما نافية حكم الأخرى من كل وجوهه ، ولا جاء خبر يوجه الحجّة بأن إحدهما ناسخة للأخرى<sup>(٧)</sup> . »

وقال ابن العربي : « أما نسخ بعض هذه لبعض فيفتقر إلى معرفة التاريخ فيها . وأما

(١) أخرجه البخاري في جزاء الصيد (١٨٣٤) والجهاد والسير (٢٧٨٣ و ٢٨٢٥ و ٣٠٧٧ و ٣١٨٩) ، ومسلم

في الإمارة (١٤٨٧/٣) (١٣٥٣) من حديث ابن عباس .

(٢) بدائع التفسير لابن القيم (٢/ ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧) .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٠٩/٦) رقم (١٠١١٥) . وينظر : الدر المنثور للسيوطي (٣٢٢/٤) فإنه

نسبه لابن مردويه .

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٧٣/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٠٧/٦) .

(٥) ينظر : الناسخ والمنسوخ (٢٠٥ ، ٢٠٦) .

(٦) الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٤٢٨) .

(٧) جامع البيان (١٢/ ٧٤) .

الظاهر فنسخ الاستنفاذ العام ؛ لأنه الطارئ ؛ فإن النبي < كان يغزو في فتام من الناس ، ولم يستوف قط جميع الناس إلا في غزوة العُسرة > (١) .

ونقل ابن الجوزي عن أبي سليمان قال : « لكل آية وجهها ، وليس للنسخ على إحدى الآيتين طريق » (٢) .

وقال النحاس : « مذهب ابن زيد أنه نسخها ﴿ وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ﴾ . ومذهب غيره أنه ليس ها هنا ناسخ ولا منسوخ ، وأن الآية الأولى [ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ ] توجب إذا نفر النبي < أو احتيج إلى المسلمين ، فاستنفرُوا لم يسع أحداً التحلف ، وإذا بعث النبي < سَرِيَّةً ، تخلفت طائفة . وهذا مذهب ابن عباس ، والضحاك ، وقتادة > (٣) .

وقال مكي : « وهو الصواب إن شاء الله ؛ لأن حمل الآيتين على فائدتين وحكمين أولى من حملهما على فائدة واحدة » (٤) .

وأما القول بأن قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ﴾ هي في طلب العلم ، والمعنى : لا تجب الرحلة في طلب العلم على الجميع ، بل على البعض ؛ لأنه فرض كفاية ، فهو قول رُوِيَ عن ابن عباس أيضاً (٥) ، ومجاهد (٦) . ونُسِبَ إلى الحسن (٧) . وذهب إليه الجصاص ، والزمخشري ، ومحمود النيسابوري ، والنسفي ، وأبو حيان ، والسمين (٨) .

(1) أحكام القرآن (٢/ ١٠٣٠) .

(2) زد المسير (٣/ ٥١٦) .

(3) الناسخ و المنسوخ (٢/ ٤٦٩) .

(4) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه (٣٢٢) .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/ ٨٠) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩١١) (١٠١٢٢) من طريق عطية العوفي ، عنه .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/ ٧٦، ٧٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩١٠) رقم (١٠١٢١) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٢٤) نسبتاً إلى ابن أبي شيبه ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(7) ينظر : أحكام القرآن للجصاص (٤/ ٣٧٢) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٥١٧) .

(8) ينظر : أحكام القرآن للجصاص (٤/ ٣٧٢) والكشاف (٣/ ١٠٧-١٠٨) ووضح البرهان (١/ ٤١٤) وإيجاز البيان

ونسبه ابن القيم للشافعي<sup>(١)</sup> . واحتمله الرازي<sup>(٢)</sup> . وجوّزه الطاهر<sup>(٣)</sup> .  
 وذهب بعض المفسّرين إلى إمكانية اشتمال الآية على القولين : في الجهاد ، وفي طلب  
 العلم ، منهم : الرازي ، والحازن ، والقمي ، وابن كثير ، وأبو السعود<sup>(٤)</sup> .  
 قال السيد رشيد رضا : « هذه الآية من تنمة أحكام الجهاد والقتال ، مع زيادة حكم  
 طلب العلم والتفقه في الدين ، وهو آلة الجهاد بالحجة والبرهان ، الذي عليه مدار الدعوة إلى  
 الإيمان ، وإقامة دعائم الإسلام ، وإنما جهاد السيف حماية وسياج »<sup>(٥)</sup> .  
 وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن أولى الأقوال بالصواب من ذلك هو ما رجّحه ابن جُزَيٍّ ومَنْ  
 وافقه من أن قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً ﴾ هي في الجهاد  
 والسرايا التي كان يبعثها النبي ﷺ وهو في المدينة ؛ لقوة أدلته ، والله تعالى أعلم .  
 ويؤيده القاعدة الترجيحية : ( إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من  
 الخروج به عن ذلك )<sup>(٦)</sup> وهذه القاعدة تؤيد دلالة السياق .  
 وكذلك القاعدة الأخرى : ( يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب  
 دون الشاذ والضعيف والمنكر )<sup>(٧)</sup> . وهذه القاعدة تؤيد أن استعمال كلمة النفيّر إنما هي  
 في الجهاد دون طلب العلم ، هذا هو المعروف من كلام العرب واستعمالهم .  
 وإذا كان ذلك كذلك فإن هذه الآية ليست بمنسوخة ولا ناسخة ، كما أنها اشتملت على  
 بيان حكم طلب العلم والتفقه في الدين زيادةً على بيان حكم الجهاد ، ورغبت في التفقه في  
 الدين وتعلّمه وتعليمه ؛ فإن ذلك يعدل الجهاد بل ربما يكون أفضل منه ، كما قاله ابن القيم<sup>(٨)</sup> .

(١/ ٣١٦) ومدارك التتريّل (٢/ ١٥٠) والبحر المحيظ (٥/ ١١٤) والدر المصون (٦/ ١٤٠).

(1) ينظر : بدائع التفسير (٢/ ٣٨٤ ، ٣٨٦) .

(2) ينظر : مفاتيح الغيب (٦/ ١٧١) .

(3) ينظر : التحرير والتنوير (١١/ ٦٠) .

(4) ينظر : مفاتيح الغيب (٦/ ١٧٠-١٧١) ، ولباب التأويل (٢/ ٢٧٥) ، ورغائب القرآن ورغائب الفرقان

(٣/ ٥٤٧-٥٤٨) ، وتفسير القرآن العظيم (٧/ ٣١٧) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٤٥٧) .

(5) تفسير القرآن الحكيم (١١/ ٦٧) .

(6) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ١٢٥) .

(7) المصدر السابق (٢/ ٣٦٩) .

(8) ينظر : بدائع التفسير (٢/ ٣٨٥) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرِيكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ أَنْصَرَفُوا <sup>ع</sup>

صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾

٣٣- الخلاف في وجه نظر بعض المنافقين إلى بعض عند نزول سورة من القرآن .

قال ابن جزّي رحمه الله تعالى : « ﴿ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ﴾ أي : تغامزوا وأشار بعضهم إلى بعض على وجه الاستخفاف بالقرآن ثم قال بعضهم لبعض : ﴿ هَلْ يَرِيكُمْ مِنْ أَحَدٍ ﴾ كأنَّ سببَ خوفهم أن يُنقل عنهم ذلك . وقيل : معنى ﴿ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ﴾ على وجه التعجب مما يتزل في القرآن من كشف أسرارهم ، ثم قال بعضهم لبعض : ﴿ هَلْ يَرِيكُمْ مِنْ أَحَدٍ ﴾ أي : هل رأى أحوالكم فنقلها عنكم أو علمت من غير نقل؟! فهذا أيضاً على وجه التعجب » (١) .

#### العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابنُ جُزَيٍّ أنَ نظرَ بعضِ المنافقين إلى بعض عند نزول سورة من القرآن هو على وجه الاستخفاف بالقرآن . ووافق في هذا المعنى جمهور المفسرين منهم : مقاتل، والسمرقندي ، والسمعاني، والزمخشري، والرازي، والبيضاوي، والنسفي، والقمي النيسابوري، وأبوحيان، والبقاعي، وأبوالسعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والقاسمي، والسيد رشيد رضا، والمراغي (٢) .

وأما القول الآخر في معنى نظر المنافقين بعضهم إلى بعض وهو أنه على وجه التعجب مما يتزل في القرآن من كشف أسرارهم ، فعليه ابن عطية، والقرطبي، والثعالبي، والطاهر

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٨٨) .

(٢) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٢٠٤) ، و بحر العلوم (٢/ ٨٤) ، وتفسير القرآن (٢/ ٣٦١-٣٦٢) ، والكشاف (٣/ ١١٠) ، ومفاتيح الغيب (٦/ ١٧٦) ، وأنوار التنزيل (١/ ٤٢٧) ، ومدارك التنزيل (٢/ ١٥١) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٥٥٠) ، والبحر المحيط (٥/ ١١٧) ، ونظم الدرر (٩/ ٥٤) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٤٥٩) ، وفتح القدير (٢/ ٥٩٠) ، وروح المعاني (١١/ ٥١) ، وفتح البيان (٥/ ٤٣٠) ، ومحاسن البيان (٨/ ٣٣٠٣) ، وتفسير القرآن الحكيم (١١/ ٧٣) ، وتفسير المراغي (١١/ ٥٢) .

ابن عاشور<sup>(١)</sup> .

وليس من دليل على أحد القولين .

فإذا تقرر هذا فإن كلا المعنيين جائز أن يكون هو المراد . ولا دليل يوجب صحة

أحدهما دون الآخر ، والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر : المحرر الوجيز (٧ / ٨٧) ، والجامع لأحكام القرآن (١٠ / ٤٣٨) ، والجواهر الحسان (٢ / ٨٥) ،

والتحرير والتنوير (١١ / ٦٨ - ٦٩) .

ترجماتُ ابنِ جُزَيِّ  
في تفسير سورة يُوسُفَ

قَالَ تَعَالَى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ <sup>ط</sup>

تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١﴾

١ - الخلاف في محل الهداية في قوله تعالى : ﴿ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ﴾

هل هو في الدنيا إلى الاستقامة ؟ أم في الآخرة إلى الجنة ؟

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « ﴿ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ﴾ أي : بسبب إيمانهم إلى الاستقامة أو يهديهم في الآخرة إلى طريق الجنة . وهو أرجح ؛ لما بعده « (١) .

العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ في قوله تعالى : ﴿ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ﴾ أن الهداية في الآخرة إلى طريق الجنة . ووافق في هذا معنى ما رُوِيَ عن مجاهد (٢) ، وقتادة (٣) ، والضحاك (٤) ، والربيع (٥) ، والكلبي (٦) ، وأبي روق (٧) .

وعليه ابن جرير الطبري، والنحاس، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، والواحدي، والسمعاني ، والبعوي، وابن الجوزي، والرازي، والخازن، والقمي النيسابوري، وابن كثير، والبقاعي، والسيوطي، وأبوالسعود، والآلوسي، والقاسمي (٨) .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٩٠) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢ / ١٢٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦ / ١٩٢٩) رقم (١٠٢٣٦) عنه قال : يكون لهم نوراً يمشون به . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٣٤٤) نسبه إلى ابن أبي شيبة ، وابن المنذر .

(3) أخرجه أبو الشيخ كما في الدر المنثور للسيوطي (٤ / ٣٤٤) .

(4) نسبه له السمرقندي في بحر العلوم (٢ / ٨٩) قال : يدعوهم ربهم بإيمانهم إلى الجنة .

(5) أخرجه أبو الشيخ كما في الدر المنثور للسيوطي (٤ / ٣٤٥) عنه قال : حتى يدخلهم الجنة .

(6) نسبه له السمرقندي في بحر العلوم (٢ / ٨٩) نحو قول الضحاك .

(7) نسبه له القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٠ / ٤٥٧ - ٤٥٨) .

(8) ينظر : جامع البيان (١٢ / ١٢٣) ، ومعاني القرآن الكريم (٣ / ٢٧٩) ، وبحر العلوم (٢ / ٨٩) — ونسب إلى مقاتل أنه قال : يهديهم على الصراط إلى الجنة بالنور بإيمانهم — ، وتفسير القرآن العزيز (٢ / ٢٤٥) ، والوجيز (١ / ٤٩٠) والوسيط (٢ / ٥٣٩) ، وتفسير القرآن (٢ / ٣٦٨) ، ومعالم التنزيل (٢ / ٣٥٢) ، وتذكرة

وجوزّه الزمخشري <sup>(١)</sup> .

وذكره القرطبي بصيغة ( قيل ) <sup>(٢)</sup> .

واستدل له ابن جزّي بما بعده وهو قوله تعالى : ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي

جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴾ . أي : أن سياق الآية في بيان ثواب الله لهم في الآخرة - وهو هدايتهم

إلى الجنة - بسبب إيمانهم في الدنيا .

ودلّل الرازي <sup>(٣)</sup> على صحته من وجوه منها :

- قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ تُسْرَنُكُمْ الْيَوْمَ

جَنَّتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [ الحديد : ١٢ ] .

- قال الحسن : بلغنا أن النبي < قال : ( المؤمن إذا خرج من قبره صور له عمله في

صورة حسنة وريح طيبة فيقول له : ما أنت ؟ فوالله إني لأراك عين امرئ صدق . فيقول له :

أنا عملك . فيكون له نوراً وقائداً إلى الجنة ) ... الحديث <sup>(٤)</sup> .

وهذا حديث مرسل كما لا يخفى .

وأما القول الآخر في هداية الله لهم أنها في الدنيا إلى الاستقامة ، فذهب إليه الزمخشري ،

والقرطبي ، وأبو حيان ، والطاهر بن عاشور <sup>(٥)</sup> .

الأريب ( ١ / ٢٣١ ) - وبدأ به في زاد المسير ( ٤ / ١٠ ) - ، ومفاتيح الغيب ( ٦ / ٢١٣ ) ، ولباب التأويل

( ٢ / ٢٨١ ) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان ( ٣ / ٥٦٢ ) - ونسبه لأكثر المفسرين - ، وتفسير القرآن

العظيم ( ٧ / ٣٣٧ ) ، ونظم الدرر ( ٩ / ٧٩ ) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٣ / ٣٥٠ ) ، وإرشاد العقل

السليم ( ٢ / ٤٧٠ ) ، وروح المعاني ( ١١ / ٧٣ ) ، ومحاسن التأويل ( ٨ / ٣٣٢٦ ) .

(١) ينظر : الكشف ( ٣ / ١١٦ ) .

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ( ١٠ / ٤٥٧ ) .

(٣) ينظر : مفاتيح الغيب ( ٦ / ٢١٣ ) . وتبعه القمي النيسابوري في غرائب القرآن ورغائب الفرقان ( ٣ / ٥٦٢ ) .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ( ٦ / ١٩٢٩ ) من طريق سعيد ، عن قتادة ، عنه مرسل . وزاد السيوطي في الدر

المنثور ( ٤ / ٣٤٤ ) نسبه لابن المنذر . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان ( ١٢ / ١٢٣ ) من طريق سعيد ،

عن قتادة قوله . وفي معناه ما أخرجه ابن جرير أيضاً ( ١٢ / ١٢٣ ) عن ابن جريج نحوه . وزاد السيوطي في الدر

المنثور ( ٤ / ٣٤٥ ) نسبه لابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(٥) ينظر : الكشف ( ٣ / ١١٦ ) ، والجامع لأحكام القرآن ( ١٠ / ٤٥٧ ) ، والبحر المحييط ( ٥ / ١٢٧ ) ، والتحرير

والتنوير ( ١١ / ١٠١ ) .

وهو مفهوم كلام الشوكاني ، والقنوجي <sup>(١)</sup> . وقدمه البيضاوي، والنسفي <sup>(٢)</sup> .  
 وذكره السمرقندي ، والبغوي ، والآلوسي بصيغة ( قيل ) <sup>(٣)</sup> .

قال أبوحيان : « والظاهر أن ﴿ تَجْرِي ﴾ مستأنفاً فيكون قد أخبر عنهم بخبرين  
 عظيمين : أحدهما : هداية الله لهم وذلك في الدنيا ، والآخر : بجران الأنهار وذلك في  
 الآخرة ، كما تضمنت الآية في الكفار شيئين : أحدهما : اتصافهم بانتفاء رجاء لقاء الله وما  
 عطف عليه . والثاني : مقرهم ومأواهم وذلك في النار . فصار تقسيماً للفريقين في  
 المعنى» <sup>(٤)</sup> .

وعلله الزمخشري بأن التمسك بسبب السعادة كالوصول إليها <sup>(٥)</sup> .  
 وأوردَ عليه أنه قد قرَّرَ أنهم مؤمنون مستقيمون <sup>(٦)</sup> .

وهذا لا يرد ؛ لأنه قد قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا ﴾ [ النساء : ١٣٦ ]  
 وقال : ﴿ وَالَّذِينَ ءَاهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى ﴾ [ محمد : ١٧ ] وقال : ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَاهْتَدَوْا  
 هُدًى ﴾ [ مريم : ٧٦ ] فيكون المعنى : إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم إلى  
 الاستقامة في الدنيا على صراطه المستقيم ويدبمهم عليها ويزيدهم هداية .  
 وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن الأولى هو الجمع بين القولين ؛ لتلازمهما وعدم معارضة  
 أحدهما للآخر . فيكون المعنى : « بسبب ما معهم من الإيمان ، يثيبهم الله أعظم الثواب ،  
 وهو : الهداية ، فيعلمهم ما ينفعهم ، ويمنّ عليهم بالأعمال الناشئة عن الهداية ، ويهديهم  
 للنظر في آياته ويهديهم في هذه الدار إلى الصراط المستقيم ، وفي دار الجزاء إلى الصراط  
 الموصل إلى جنات النعيم» <sup>(٧)</sup> .

(1) ينظر : فتح القدير (٢/ ٦٠١) ، وفتح البيان (٦/ ٢٠) .

(2) ينظر : أنوار التنزيل (١/ ٤٣٠) ، ومدارك التنزيل (٢/ ١٥٤) .

(3) ينظر : بحر العلوم (٢/ ٨٩) ، ومعالم التنزيل (٢/ ٣٥٢) ، وروح المعاني (١١/ ٧٤) .

(4) بحر المحيط (٥/ ١٢٧) .

(5) الكشف (٣/ ١١٦) .

(6) ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية (٧/ ١٠٩) .

(7) تيسير الكريم الرحمان للسعدي (٢/ ٣٠٥) .

وهذا معنى قول مقاتل <sup>(١)</sup> .

وعليه السيد محمد رشيد رضا ، والمراغي، والسعدي <sup>(٢)</sup> .

فالهداية في الآية عامة تشمل الهداية في الدنيا إلى الصراط المستقيم ، وفي الآخرة الهداية إلى الصراط الموصل إلى جنات النعيم . ويتأيد هذا بالقاعدة الترجيحية : ( يجب حمل نصوص الوحي على العموم ) <sup>(٣)</sup> ، والله تعالى أعلم .

---

(١) قال مقاتل في تفسيره (٢٢٧/٢) : « إلى الفرائض ، ويشبههم الجنة » . وهذا جمع منه بين القولين ، والله أعلم .  
(٢) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (١١ / ٢٦٤) ، وتفسير المراغي (١١ / ٧١) ، وتيسير الكريم الرحمان (٢ / ٣٠٥) .  
(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢ / ٥٢٧) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفَضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ<sup>ط</sup>

فَنَذِرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾

٢- الخلاف فيمن نزلت هذه الآية : ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ

بِالْخَيْرِ لَفَضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾ .

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « أي : لو يعجل الله للناس الشر كما يحبون تعجيل الخير لهلكوا جميعاً . ونزلت الآية عند قوم في دعاء الإنسان على نفسه وماله وولده . وقيل : نزلت في الذين قالوا : ﴿إِنْ كَانَتْ هَذَاهُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾<sup>(١)</sup> [ الأنفال : ٣٢ ] .

العرض والمناقشة :

رحَّح ابن جزي أن الآية الكريمة : ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ

بِالْخَيْرِ لَفَضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾ نزلت في دعاء الإنسان على نفسه وماله وولده . ووافق في هذا معنى ما روي عن مجاهد<sup>(٢)</sup> ، وقتادة<sup>(٣)</sup> ، وسعيد بن جبير<sup>(٤)</sup> . ونُسبَ هذا القول إلى ابن عباس<sup>(٥)</sup> ، والضحاك ، والكلبي<sup>(٦)</sup> .

وعليه الفراء، وابن قتيبة، وابن جرير الطبري، والزجاج، والنحاس، وابن أبي زمنين،

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٩٠) .

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/ ١٣٠ - ١٣٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٣٢) رقم

(١٠٢٥٥ و ١٠٢٥٨) . وزاد ابن حجر في تغليق التعليق (٤/ ٢٢٢) نسبه إلى الفريابي ، وفي الفتح (٨/ ٣٤٦)

زاد نسبه إلى عبد بن حميد في تفسيره . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٤٦) نسبه إلى ابن المنذر ، وأبي

الشيخ . وأورده البخاري في صحيحه في كتاب التفسير ، سورة يونس (١) باب .

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/ ١٣١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٣٢) رقم (١٠٢٥٦) .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٣٢) رقم (١٠٢٥٧) .

(٥) ينظر : تفسير القرآن للسمعي (٢/ ٣٦٩) ، ومعالم التنزيل للبغوي (٢/ ٣٥٣) ، وزاد المسير لابن الجوزي

(٤/ ١١) .

(٦) ينظر : بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٩٠) .

والسمعاني، والبغوي، وابن عطية، ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي، والحازن، وابن القيم، وابن كثير، والثعالبي (١) .

واستدل له بالعموم ، فإن لفظة "الناس" هنا عامة وتخصيصها يحتاج إلى دليل .

ونظر له ابن كثير بقوله تعالى : ﴿ وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالْشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ

عَجُولًا ﴾ [الإسراء : ١١] .

وفي معنى هذا القول ما ثبت عن النبي < أنه قال : ( اللهم إني بشر أغضب كما يغضب البشر ، فأبما رجل سببته أو لعنته فاجعلها له طهرة ورحمة ) (٢) .

وعن جابر قال : قال رسول الله < : ( لا تدعوا على أنفسكم ، لا تدعوا على أولادكم ، لا تدعوا على أموالكم ، لا توافقوا من الله ساعة فيها إجابة فيستجيب لكم ) (٣) .

وأما القول الآخر وهو أن الآية نزلت في الذين قالوا : ﴿ إِنْ كَانَتْ هَذَاهُوَ الْحَقِّ مِنْ

عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾ ، فهو قول ابن إسحاق (٤) .

والآية على هذا القول خاصة بالكافر ، أي : ولو يعجل الله للكافر العذاب على كفره

كما عجل له خير الدنيا من المال والولد ، لعجل له قضاء أجله ليتعجل عذاب الآخرة .

وعليه مقاتل، والزمخشري، والرازي، والنسفي، والسيوطي، وأبو السعود، والآلوسي،

(1) ينظر : معاني القرآن (٤٥٨/١) ، وتأويل مشكل القرآن (٣٩٣) ، وجامع البيان (١٢٩/١٢) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٨/٣) ، ومعاني القرآن الكريم (٢٨٠/٣) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/٢٤٦) ، وتفسير القرآن (٣٦٩/٢) ، ومعالم التنزيل (٣٥٣/٢) ، والمحرج الوجيز (١١٣/٧) ، ووضح البرهان (٤١٧/١) وإيجاز البيان (٣١٩/١) ، وتذكرة الأريب (٢٣١/١) ، ولباب التأويل (٢/٢٨٢) ، وبدائع التفسير (٣٩٣/٢-٣٩٤) وإعلام الموقعين (٧٠/٣، ١٤٢) وروضة المحبين (١٥٤) ، وتفسير القرآن العظيم (٣٣٨/٧-٣٣٩) ، والجواهر الحسان (٩١/٢) .

(2) أخرجه البخاري (٦٣٦١) ، ومسلم (٢٦٠١) من حديث أبي هريرة . وأخرجه مسلم (٢٦٠٢) من حديث جابر و(٢٦٠٠) من حديث عائشة و (٢٦٠٣) من حديث أنس ثن . وينظر : تفسير القرآن للسمعاني (٣٦٩/٢) ، ومعالم التنزيل للبغوي (٣٥٣/٢) .

(3) أخرجه مسلم (٢٦٠٢) .

(4) حكاها الماوردي في النكت والعيون (٤٢٥/٢) ونسبه لابن إسحاق . وينظر : زاد المسير لابن الجوزي (١٢/٤) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٦١/١٠) .

والقاسمي، والطاهر بن عاشور<sup>(١)</sup> . وقدمه السمرقندي، والسيد رشيد رضا، والمراغي<sup>(٢)</sup> . وهو مفهوم كلام أبي حيان<sup>(٣)</sup> . ومال إليه الواحدي<sup>(٤)</sup> . وكلام الشوكاني يشعر بالميل إليه<sup>(٥)</sup> . وجوز الزجاج<sup>(٦)</sup> .

وذكره النحاس، والبغوي، وابن عطية، والقرطبي، والخازن، والثعالبي بصيغة (قيل)<sup>(٧)</sup> .

واستدل لهذا القول بتمام الآية : ﴿ فَذُرُّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ

يَعْمَهُونَ ﴾ أي : الكفار الذين لا يخافون البعث والحساب .

يقول الرازي : « أخبر تعالى في آيات كثيرة أن هؤلاء المشركين متى خوفوا بتزول

العذاب في الدنيا استعجلوا ذلك العذاب كما قالوا : ﴿ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذَاهُ الْوَأَلْحَقُ مِنْ

عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ . وقال تعالى :

﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ [ المعارج : ١ ] ثم إنهم لما تواعدوا بعذاب الآخرة في هذه الآية وهو

قوله : ﴿ أَوْلَيْكَ مَاؤُنْهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [ يونس : ٨ ] . استعجلوا

ذلك العذاب ، وقالوا : متى يحصل ذلك ؟ كما قال تعالى : ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا

يُؤْمِنُونَ بِهَا ﴾ [ الشورى : ١٨ ] . وقال في هذه السورة بعد هذه الآية : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى

هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ ءَأَلَكُنَّ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ [ يونس : ٤٨ -

(1) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٢٢٩) ، والكشاف (٣/ ١١٨) ، ومفاتيح الغيب (٦/ ٢١٨) ، ومدارك التنزيل

(٢/ ١٥٥) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ٣٥١) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٤٧١) ، وروح

المعاني (١١/ ٧٧) ، ومحاسن التأويل (٨/ ٣٣٢٨) ، والتحريير والتنوير (١١/ ١٠٥) .

(2) : بحر العلوم (٢/ ٩٠) ، وتفسير القرآن الحكيم (١١/ ٢٦٧) — وقرره أحسن تقرير متابعاً فيه للرازي — ،

وتفسير المراغي (١١/ ٧٣ - ٧٤) متابعاً فيه أستاذه .

(3) ينظر : البحر المحيط (٥/ ١٢٨) .

(4) ينظر : الوسيط (٢/ ٥٤٠) .

(5) ينظر : فتح القدير (٢/ ٦٠٣) . وتابعه القنوجي في فتح البيان (٦/ ٢٥) .

(6) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٨) .

(7) ينظر : معاني القرآن الكريم (٣/ ٢٨٠) ، ومعالم التنزيل (٢/ ٣٥٣) ، والمحزر الوجيز (٧/ ١١٣) ، ولباب التأويل

(٢/ ٢٨٢) ، والجواهر الحسان (٢/ ٩٢) .

[ ٥١ ] . وقال في سورة الرعد : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ ﴾ [ الرعد : ٦ ] . فبين تعالى أنهم لا مصلحة لهم في تعجيل إيصال الشر إليهم ؛ لأنه تعالى لو أوصل ذلك العقاب إليهم لماتوا وهلكوا ؛ لأن تركيبهم في الدنيا لا يحتمل ذلك ، ولا صلاح في إمامتهم ، وربما آمنوا بعد ذلك ، وربما خرج من صلبهم من كان مؤمناً ، وذلك يقتضي أن لا يعاجلهم بإيصال ذلك الشر «<sup>(١)</sup> .

وقال الآلوسي : « هم الذين لا يرجون لقاء الله تعالى المذكورون في قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ﴾ الخ . والآية متصلة بذلك دالة على استحقاقتهم للعذاب ، وأنه سبحانه إنما يمهلهم استدراجاً . وذكر المؤمنين وقع في البين تمييزاً ومقابلة ، وجئ بالناس بدل ضميرهم تفضيلاً للأمر «<sup>(٢)</sup> .

وقال الطاهر : « والقرينة على اتصال هذه الجملة بجملة ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ﴾ قوله في آخر هذه ﴿ فَذُرُّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُعَيْنِهِمْ يَعْمَهُوتُ ﴾ «<sup>(٣)</sup> .

وأجاب عن العموم بأن الكلام لما كان على إبطال شبهة المشركين وكانوا المستحقين للشر كانوا أول من يتبادر من عموم الناس ، كما زاده تصريحاً قوله : ﴿ فَذُرُّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُعَيْنِهِمْ يَعْمَهُوتُ ﴾ «<sup>(٤)</sup> .

وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن الصواب أن يقال : الآية في سياق الكلام عن الذين لا يرجون لقاء الله ، لو يعجل الله لهم ما سألوه من الشر ؛ كعذاب الاستئصال وما دونه من عذاب الدنيا ، أو قيام الساعة وعذاب الآخرة لقضي إليهم أجلهم بإهلاكهم واستئصالهم . والصحيح أنه يدخل في هذا المعنى دعاؤهم على أنفسهم عند اليأس ودعاء بعضهم على

(1) مفاتيح الغيب (٢١٨/٦) . وينظر: تفسير القرآن الحكيم للسيد رشيد رضا (٢٦٧/١١) .

(2) روح المعاني (٧٧ / ١١ ، ٧٨) .

(3) التحرير والتنوير (١٠٦/١١) .

(4) المصدر السابق .

بعض عند الغضب .

وعلى الجمع بين القولين : الواحدي، والبقاعي، والسعدي، والسيد محمد رشيد رضا،  
والمراغي<sup>(١)</sup> .

ويؤيده ذلك القاعدة الترجيحية : ( يجب حمل نصوص الوحي على العموم )<sup>(٢)</sup> .  
فهذه القاعدة تقرر شمول الآية للقولين .

كما أن القاعدة الترجيحية الأخرى : ( إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال  
فهو مرجح له على ما خالفه )<sup>(٣)</sup> تدل على صحة القول الأول ، فإعمالاً للقاعدتين يصحُّ  
القولان ، ويمكن الجمع بينهما بما تقدّم تقريره ، والله تعالى أعلم .

(1) ينظر : الوجيز ( ١ / ٤٩١ ) ، ونظم الدرر ( ٩ / ٨٢ ) ، وتيسير الكريم الرحمن ( ٢ / ٣٠٦ ) ، وتفسير القرآن

الحكيم ( ١١ / ٢٦٨ ) ، وتفسير المراغي ( ١١ / ٧٤ ) .

(2) قواعد الترجيح عند المفسرين ( ٢ / ٥٢٧ ) .

(3) المصدر السابق ( ١ / ٢٠٦ ) .

## قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٢٥)

### ٣- الخلاف في تسمية الجنة — دَارِ السَّلَامِ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « أي : إلى الجنة . وسميت دار السلام ، أي : دار السلامة من العناء والتعب . وقيل : السلام هنا اسم الله . أي : يدعو إلى داره » (١) .

#### العرض والمناقشة :

اتفق المفسرون على أن ﴿ دَارِ السَّلَامِ ﴾ هي الجنة — أورثنا الله الفردوس الأعلى منها بفضله ومَنته — واختلفوا في سبب إضافتها إلى ﴿ السَّلَامِ ﴾ وتسميتها — دَارِ السَّلَامِ . فرجح ابن جُزَيِّ أنَّهَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ ؛ لِأَنَّهَا دَارُ سَالِمَةٍ مِنَ الْعَنَاءِ وَالتَّعَبِ . ووافق في هذا ما ذهب إليه ابن الجوزي، وأبوحيان، وابن كثير، والسيوطي، والمراغي، والسعدي، وابن عاشور (٢) . وجوزّه الزجاج (٣) ، ونقله عن النحاس (٤) .

وذكر هذا القول السمرقندي، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، والثعالبي بصيغة (قيل) (٥) .

واستدل لهذا القول بمعنى كلمة " السلام " فإنها من السلامة .

قال السمرقندي : « سميت بذلك ؛ لأنها سالمة من الآفات والأمراض وغير ذلك » (٦) . وقال الزمخشري : « لأن أهلها سالمون من كل مكروه » (٧) .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٩٢) .

(2) ينظر : زاد المسير (٤ / ٢٢) و (٣ / ٣٦٢) ، والبحر المحييط (٥ / ١٤٥) ، وتفسير القرآن العظيم (٧ / ٣٥٢) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣ / ٣٦٢) ، وتفسير المراغي (١١ / ٦٤) ، وتيسير الكريم الرحمان (٢ / ٣١٤) ، والتحرير والتنوير (٨ / ٦٤) .

(3) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٣ / ١٥) .

(4) ينظر : معاني القرآن الكريم (٣ / ٢٨٨) . وينظر أيضاً : النكت والعيون للماوردي (٢ / ٤٣١) .

(5) ينظر : بحر العلوم (٢ / ٩٤) ، ومعالم التنزيل (٢ / ٣٥٨) ، والكشاف (٣ / ١٣٠) ، والمحرم الوجيز (٧ / ١٣٥) ، والجواهر الحسان (٢ / ٩٥) .

(6) بحر العلوم (٢ / ٩٤) . وينظر : معالم التنزيل للبغوي (٢ / ٣٥٨) .

(7) الكشاف (٣ / ١٣٠) .

وأما القول الآخر بأن ﴿السَّلَامِ﴾ في قوله تعالى : ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ﴾ هو اسم الله تعالى، والمعنى : والله يدعو إلى داره ، فهو مَرُويٌّ عن ابن عباس (١) ، وقتادة (٢) ، والسدي (٣) ، والحسن (٤) ، وأبي الشعثاء (٥) .

وذهب إليه مقاتل، والزجاج، والنحاس، والسمرقندي ، وابن أبي زمنين، والحازن (٦) .  
وبدأ به السمعاني (٧) ، وابن عطية (٨) ، وجوزة أبوحيان (٩) .

وذكره الثعالبي ، والطاهر بن عاشور بصيغة ( قيل ) (١٠) .

قال النحاس : « وإعادة الاسم إذا لم يكن مشكلاً كان أفخم » (١١) .

وجمع ابن جرير الطبري بين القولين فقال : « فإن الله يدعوكم إلى داره ، وهي جناته التي أعدها لأولياؤه ، تسلموا من الهموم والأحزان فيها ، وتأمّنوا من فناء ما فيها من النعيم والكرامة التي أعدها لمن دخلها » (١٢) .

وذكر البغوي وجهاً آخر فقال : « وقيل : المراد بالسلام التحية ، سميت الجنة دار السلام ؛ لأن أهلها يُحيي بعضهم بعضاً بالسلام ، والملائكة تسلم عليهم ، قال الله تعالى :

(1) أخرجه أبو نعيم والديماطي - كما في الدر المنثور للسيوطي (٣٥٤/٤) - من طريق الكلبى، عن أبي صالح ، عنه .  
(2) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٩٣/٢) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (١٥٤/١٢) من طريقه ، وفي (١٥٣/١٢) وابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٤٣/٦) رقم (١٠٣٢٩) من طريق معمر ، عنه قال : الله هو السلام، والدار : الجنة .

(3) ذكره ابن أبي حاتم معلقاً في تفسيره (١٩٤٣/٦) عقب (١٠٣٣٠) .

(4) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (٤٨٠/١٠) .

(5) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٤٣/٦) رقم (١٠٣٣٠) .

(6) ينظر : تفسير مقاتل (٢٣٦ / ٢) ، ومعاني القرآن وإعرابه (١٥/٣) ، ومعاني القرآن الكريم (٢٨٨/٣) ، وبحر العلوم (٩٤ / ٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٢٥١ / ٢) ، ولباب التأويل (٢٨٩ / ٢) .

(7) ينظر : تفسير القرآن (٢ / ) .

(8) ينظر : المحرر الوجيز (١٣٥ / ٧) .

(9) ينظر : البحر المحيط (١٤٥ / ٥) .

(10) ينظر : الجواهر الحسان (٩٥/٢) ، والتحرير والتنوير (٦٤ / ٨) .

(11) معاني القرآن الكريم (٢٨٨/٣) .

(12) جامع البيان (١٥٣/١٢) .

﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾<sup>(١)</sup> [الرعد : ٢٣ - ٢٤] .

فَلَفِشُوا السَّلَامَ بَيْنَهُمْ كما قال تعالى : ﴿وَمَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [يونس : ١٠] وقال :  
﴿إِلَّا قِيَلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ [الواقعة : ٢٦] ، ولتسليم الملائكة عليهم ، ولسلام الله تعالى عليهم  
كما قال : ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس : ٥٨] ؛ لذلك كله سُمِّيَتْ دار السلام .  
وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن الصواب من ذلك هو صحّة تسميتها بذلك كله ؛ جمعاً بين  
الأدلة ؛ إذ لا تعارض بينها ، وهو أولى من إهمال أحدها .

قال السيد محمد رشيد رضا : « وفي المراد بالسلام الذي أضيفت إليه الدار وجوه  
يصح أن تراد كلها »<sup>(٢)</sup> ... ثم ذكر الوجوه الثلاثة .  
وهذا هو الصحيح ، فالسلام هو الله لأ ، ومن دخل داره سلم من الآفات  
والمكروهات ؛ لأنها دار السلامة ، وفيها يُسَلِّمُ اللهُ على أهلها ، والملائكة يُسَلِّمُونَ عليهم ،  
وأهلها يُحَيِّيُّ بعضهم بعضاً بالسلام .  
وذكر هذه الوجوه الثلاثة الرازي<sup>(٣)</sup> ، وجمع بينها كلها البقاعي<sup>(٤)</sup> ، وسوّى بينها  
البيضاوي ، وأبو السعود<sup>(٥)</sup> .  
ويتأيد هذا القول بالقاعدة الترجيحية : ( يجب حمل نصوص الوحي على العموم )<sup>(٦)</sup> ،  
والله تعالى أعلم .

(1) معالم التنزيل (٢/ ٣٥٨) .

(2) تفسير القرآن الحكيم (١١/ ٢٩٨) .

(3) ينظر : مفاتيح الغيب (٦/ ٢٣٨ - ٢٣٩) .

(4) ينظر : نظم الدرر (٩/ ١٠٣ - ١٠٤) .

(5) ينظر : أنوار التنزيل (١/ ٤٣٤) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٤٨٦) .

(6) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/ ٥٢٧) .

تنبيه : جمع القرطبي (٤٨٠/١٠) بين القولين الأولين ، وقدم الأول ، وذكر الثالث بصيغة (قيل) . ومثله النسفي  
(١٦٠/٢) إلا أنه سوّى بين القولين الولين بـ أو . وجمع بين القولين الأولين أيضاً مع تقدم الثاني الشوكاني  
(٦١٥/٢) والقنوجي (٤٧/٦) . وسوّى بين القولين الأولين فقط الألوسي (١١/ ١٠٢) . وذكرها القمي  
(٥٧٥/٣) كلها بـ قيل . وذكر الخازن (٢٨٩/٢) القولين الأخيرين بـ قيل .

قَالَ تَعَالَى:

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾

﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٣٦)

#### ٤- الخلاف في تفسير ﴿الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « الْحُسْنَى : الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجه الله . وقيل : الحسنى : جزاء الحسننة بعشر أمثالها ، والزيادة : التضعيف فوق ذلك إلى سبعمئة . والأول أصح ؛ لوروده في الحديث ، وكثرة القائلين به » (١) .

#### العرض والمناقشة :

صحَّح ابن جُزَيِّ القول بأن الحسنى هي الجنة ، وأن الزيادة هي النظر إلى وَجْهِ اللَّهِ الكريم . ووافق في هذا جماعة من الصحابة منهم : أبو بكر الصديق (٢) ، وعلي (٣) ، وأبي موسى الأشعري (٤) ، وابن عباس (٥) ،

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٩٢) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/ ١٥٦ ، ١٦١) ، وابن خزيمة في التوحيد (١٢٠) ، وابن منده في الرد على الجهمية (٨٤) ، وعبد الله بن أحمد في السنة (٤٧٠ ، ٤٧١) ، والآجري في الشريعة (٥٩٠ ، ٥٩١) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٦٦٦) وفي الاعتقاد (١٣٢) ، وابن أبي عاصم في السنة (٤٧٣) ، والدارمي في الرد على الجهمية (٥٢ ، ٨٤) ، وهناد في الزهد (١٧٠) . وذكره معلقاً ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٤٥) ، عقب الأثر (١٠٣٤١) . وصححه الألباني في السنة (٢٠٦/١) في ظلال الجنة (٤٧٤) .

(3) أخرجه ابن مردويه من طريق الحارث ، عنه كما في الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٣٥٨) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/ ١٥٧ ، ١٥٨) ، وابن خزيمة في التوحيد (١٢١) ، والدارمي في الرد على الجهمية (٥٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٤٥) رقم (١٠٣٤١) ، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٣/ ٤٥٧ - ٤٥٩) (٧٨٢ ، ٧٨٥ ، ٧٨٦) ، والنحاس في معاني القرآن الكريم (٣/ ٢٨٩) ، وابن المبارك في الزهد والرفائق (٤١٩) . وذكره معلقاً أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٤٤) عقب الأثر (١٠٣٣٦) . وفي إسناده أبو بكر الهذلي ضعيف بمرة .

(5) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٤٥) عقب الأثر (١٠٣٤١) . ونسبه لابن عباس الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٤٤) . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٤٤ ، ١٩٤٥) عقب الأثرين (١٠٣٣٦) و (١٠٣٤١) معلقاً عن عكرمة . ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٥٨) إلى الطبري ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي من طريق علي ، عن ابن عباس . ونسبه أيضاً إلى ابن مردويه ، والبيهقي في الأسماء والصفات عن عكرمة ، عن ابن عباس .

وابن مسعود<sup>(١)</sup> ، وحذيفة<sup>(٢)</sup> . وقال به مجاهد ، والسدي ، وأبوسنان<sup>(٣)</sup> ، وسعيد بن المسيب<sup>(٤)</sup> ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى<sup>(٥)</sup> ، والحسن<sup>(٦)</sup> ، وقتادة<sup>(٧)</sup> ، والضحاك<sup>(٨)</sup> ، وعبد الرحمن بن سابط<sup>(٩)</sup> ، وعامر بن سعد البجلي<sup>(١٠)</sup> ، وأبواسحاق السبيعي<sup>(١١)</sup> ،

- (1) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٣٥٨/٤) إلى ابن أبي حاتم ، واللالكائي . وقال ابن القيم : في تفسير أسباط بن نصر، عن إسماعيل السدي ، عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود . ينظر : بدائع التفسير (٤٠٢/٢) .
- (2) ينظر : الدر المنثور للسيوطي (٣٥٨/٤) ، والنكت والعيون للماوردي (٤٣٢/٢ - ٤٣٣) .
- (3) ذكره معلقاً عنهم ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٤٥/٦) عقب الأثر (١٠٣٤١) .
- (4) ذكره معلقاً عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٤٤/٦) عقب الأثر (١٠٣٣٦) .
- (5) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٩٦/٢) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (١٥٨/١٢ ، ١٥٩) ، وابن خزيمة في التوحيد (١١٩ ، ١٢٠) ، والدارمي في الرد على الجهمية (٥٢) ، وعبد الله بن أحمد في السنة (٤٤٥) . وذكره معلقاً عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٤٤/٦) عقب الأثر (١٠٣٣٦) وفي (١٩٤٥/٦) عقب الأثر (١٠٣٤١) . وينظر : الدر المنثور للسيوطي (٣٥٩/٤) .
- (6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٦٠/١٢) ، والبيهقي في الاعتقاد (١٣٢) ، وعبد الله بن أحمد في السنة (١١٤٦) ، وابن خزيمة في التوحيد (١٢١) . وذكره عنه معلقاً ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٤٤/٦) ، (١٩٤٥) عقب الأثرين (١٠٣٣٦) و (١٠٣٤١) .
- (7) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٩٤/٢) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (١٦١/١٢) ، وابن خزيمة في التوحيد (١٢١) . وذكره عنه معلقاً ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٤٤/٦ ، ١٩٤٥) عقب الأثرين (١٠٣٣٦) و (١٠٣٤١) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٥٩/٤) نسبته إلى أبي الشيخ ، والدارقطني .
- (8) ذكره عنه معلقاً ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٤٤/٦ ، ١٩٤٥) عقب الأثرين (١٠٣٣٦) و (١٠٣٤١) . ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٣٥٩/٤) إلى الدارقطني .
- (9) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٦٢/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٤٥/٦) رقم (١٠٣٣٩) ، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٤٦٢/٣) رقم (٧٩٥) ، وابن أبي شيبة (٤٢٩/١٣) . واقتصر لفظ ابن أبي حاتم على تفسير الحسين بالنضرة . وذكره عنه معلقاً (١٩٤٥/٦) عقب (١٠٣٤١) وأنه فسّر الزيادة بالنظر إلى الله . وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٣٥٩/٤) إلى الدارقطني .
- (10) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٥٦/١٢ ، ١٥٧) ، وعبد الله بن أحمد في السنة (٤٧٢ ، ١١٤٥) ، وابن خزيمة في التوحيد (١٢٠) ، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٤٦١/٣) رقم (٧٩٢ ، ٧٩٣) . وذكره معلقاً عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٤٥/٦) عقب الأثر (١٠٣٤١) وتصحّف فيه إلى (عامر بن سعيد) . وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٣٥٩/٤) إلى الدارقطني .
- (11) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٥٧/١٢) ، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٤٦٢/٣) رقم (٧٩٤) . وذكره معلقاً عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٤٥/٦) عقب (١٠٣٤١) . وزاد السيوطي في الدر

وابن زيد <sup>(١)</sup> ، وعكرمة <sup>(٢)</sup> .

وذهب إليه مقاتل، والزجاج، والنحاس، والسمرقندي، وابن أبي زمين، والواحدي، والسمعاني، والكرماني، والبغوي، وابن عطية، ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي، والرازي، والقرطبي، والنسفي، والحازن، وأبوحيان، وابن القيم، والبلنسي، والثعالبي، والسيوطي، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والقاسمي، والسعدي، والظاهر بن عاشور <sup>(٣)</sup> .  
وذكره البيضاوي بصيغة ( قيل ) <sup>(٤)</sup> .

فهذا القول عليه عامة المفسرين ، وأهل الحديث .

قال ابن القيم : « كذلك فسرها رسول الله ﷺ الذي أنزل عليه القرآن ، فالصحابه من بعده » <sup>(٥)</sup> .

المنثور (٣٥٩/٤) نسبه إلى الدارقطني .

- (1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٤٤/٦) رقم (١٠٣٣٨) قال : الحسن الجني .
- (2) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٢٤/٤) ، ومعالم التنزيل للبغوي (٣٥٩/٢) .
- (3) ينظر : تفسير مقاتل (٢/٢٣٦) ، ومعاني القرآن وإعرابه (١٥/٣) — قال : والقول في النظر إلى وجه الله كثير في التفسير ، وهو مرؤي بالأسانيد الصحاح ، لا يُشك في ذلك . — ، ومعاني القرآن الكريم (٢٨٨/٣) — وعزاه إلى أهل الحديث . وينظر : إعراب القرآن (٢٥١/٢) ، وبحر العلوم (٩٥/٢) — وعزاه إلى عامة المفسرين — ، وتفسير القرآن العزيز (٢/٢٥١) ، والوجيز (١/٤٩٥) والوسيط (٢/٥٤٤ - ٥٤٥) ، وتفسير القرآن (٢/٣٧٨ - ٣٧٩) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (١/٤٨٠) ، ومعالم التنزيل (٢/٣٥٩) — وقال : هذا قول جماعة من الصحابة منهم : أبوبكر ، وحذيفة وأبوموسى وعبادة بن الصامت ثل وهو قول الحسن وعكرمة وعطاء ومقاتل والضحاك والسدي . — ، والحرر الوجيز (٧/١٣٧) — ونسبه للجمهور — ، وإيجاز البيان (١/٣١٩) — فسّر الحسنى بالجنة ، ولم يفسر الزيادة — ، وتذكرة الأريب (١/٢٣٤) وزاد المسير (٤/٢٤) ، ومفاتيح الغيب (٦/٢٤٠ - ٢٤١) ، والجامع لأحكام القرآن (١٠/٤٨٢) ، ومدارك التنزيل (١٦٠ - ١٦١) ، ولباب التأويل (٢/٢٩٠) ، والبحر المحيط (٥/١٤٦) — وقال : قال الأكثرون : هي الجنة، وروي ذلك عن الرسول ﷺ ، ولو صحَّ وجب المصير إليه . ثم ردّ على الزمخشري وقال : فليس بموضوع بل خرّجه مسلم في صحيحه عن صهيب والنسائي عنه عن الرسول ﷺ ... — ، وبدائع التفسير (٢/٣٩٨) ، وتفسير مبهمات القرآن (٢/١٢) ، والجواهر الحسان (٢/٩٥) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية (٣/٣٦٣) ، وفتح القدير (٢/٦٢٠) ، وروح المعاني (١١/١٠٢) ، وفتح البيان (٦/٥٠) ، ومحاسن التأويل (٨/٣٣٤١) ، وتيسير الكريم الرحمن (٢/٣١٤) ، والتحرير والتنوير (١١/١٤٦) .
- (4) ينظر : أنوار التنزيل (١/٤٣٤) .
- (5) ينظر : بدائع التفسير (٢/٣٩٨) وحادي الأرواح (٣٦٤) .

وقال البلسني : « صح بالنقل المستفيض عن رسول الله < أن ﴿ الْحُسْنَى ﴾ الجنة ، والزيادة النظرُ إلى الله تعالى »<sup>(١)</sup> .

وقال القاسمي : « تواتر تفسيرها بالرؤية عن غير واحد من الصحابة والتابعين »<sup>(٢)</sup> .  
ومن أدلة هذا القول :

أولاً : ما ثبت عن النبي < في تفسيرها ومن ذلك :

- حديث صهيب ط أن رسول الله < تلا هذه الآية ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى

وَزِيَادَةٌ ﴾ قال : ( إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد : يا أهل الجنة ، إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه . فيقولون : وما هو ، ألم تثقل موازيننا ، وتبيض وجوهنا ، وتدخلنا الجنة ، وتزحزحنا عن النار؟! وقال : فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه ، فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ولا أقرّ لأعينهم )<sup>(٣)</sup> .  
ورؤي مرفوعاً أيضاً من حديث أبي موسى الأشعري<sup>(٤)</sup> ، وكعب بن عُجْرَةَ<sup>(٥)</sup> ،

(1) ينظر : تفسير مبهمات القرآن (٢ / ١٢) .

(2) ينظر : محاسن التأويل (٨ / ٣٣٤١) .

(3) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (١٤١١) ، وأحمد في مسنده (٣٣٢/٤ - ٣٣٣) ، ومسلم في صحيحه (١٦٣/١) (٢٩٧ / ١٨١) ، (١٨٢-١٨١) ، والترمذي في سننه (٢٥٥٢ ، ٣١٠٥) ، وابن ماجه في سننه (٦٧/١) (١٨٧) ، وابن خزيمة في التوحيد (١١٨) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (١٦٠/١٢) ، والنسائي في السنن الكبرى (٧٧٦٦/٤) (١١٧٠) وفي التفسير (١١٢٣٤/٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٤٥/٦) (١٠٣٤٠) ، وابن منده في الرد على الجهمية (٨٣) ، والنحاس في معاني القرآن الكريم (٢٨٩/٣) ، والدارقطني في الرؤية (١٥٣) ، والبغوي في شرح السنة (٢٣٠/١٥) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٦٦٥) ، وفي الاعتقاد (١٢٨) . وزاد السيوطي نسبه في الدر المنثور (٣٥٦/٤ - ٣٥٧) إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٥٨/١٢) ، والدارقطني في الرؤية (٤٣) ، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٧٨٢/٣) . وإسناده ضعيف جداً ، فيه أبان بن أبي عيَّاش ، متروك . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٥٧/٤) نسبه لابن مردويه في تفسيره . وينظر : تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي (١٢٥/٢) ، وبدائع التفسير لابن القيم (٤٠٠/٢) .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٦١/١٢) ، وعبد الله بن أحمد في السنة (٤٨٤) ، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٤٥٦/٣) (٧٨١) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢٠٤/٥) ، من طريق إبراهيم بن المختار ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن كعب بن عجرة . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٥٧/٤) نسبه لابن

وأبي بن كعب<sup>(١)</sup> ، وأنس<sup>(٢)</sup> ، وابن عمر<sup>(٣)</sup> .

ثانياً : أجمع أهل السنة والجماعة على أن الله تعالى لم يره أحد من خلقه في الدنيا ، وأن أهل الجنة يرونه يوم القيامة<sup>(٤)</sup> .

ونفي الرؤية وإنكارها هو مذهب الجهمية والمعتزلة<sup>(٥)</sup> . ( وقد ثبت التفسير بذلك من قول رسول الله ﷺ فلم يبق حينئذ لقائل قول ، ولا التفات إلى المجادلات الواقعة بين المتمذهبة الذين لا يعرفون من السنة المطهرة ما ينتفعون به ، فإنهم لو عرفوا ذلك لكفوا عن كثير من هذيانهم ، والله المستعان )<sup>(٦)</sup> .

ولما ذكر الآلوسي هذا القول وأنه التفسير المأثور عن عدد من الصحابة ، وجاء بحديث صهيب قال بعد ذلك : ( فحكاية هذا التفسير — قيل — كما فعل البيضاوي عفا الله عنه — مما لا ينبغي . وقول الزمخشري — عامله الله بعدله — : إن الحديث مرقوع — بالقاف . أي: مفترى — لا يصدر إلا عن رقيع ، فإنه متفق على صحته وقد أخرجه حفاظ ليس فيهم مقال)<sup>(٧)</sup> .

- 
- مردويه . وإسناده ضعيف . فيه إبراهيم بن المختار التميمي ، أبو إسماعيل الرازي .. صدوق ضعيف الحفظ . قال ابن معين : ليس بذاك؛ وقال البخاري : فيه نظر . [ تهذيب التهذيب ١ / ١٦٢ ] . وعطاء هو الخراساني ، وليس ابن أبي رباح ، قاله ابن القيم ( بدائع التفسير ٢ / ٣٩٩ ) ويروي مراسلا عن الصحابة .
- (1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٦٢/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٤٤/٦) (١٠٣٣٦) ، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٤٥٦/٣) (٧٨٠) . وفي سنده مجهول . وأخرجه الدارقطني في الرؤية (١٨٣) ، واللالكائي (٨٤٩) وفي إسنادهما ضعف أو جهالة أيضاً .
- (2) أخرجه ابن عدي في الكامل (١١٧٣/٣) ، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٧٧٩) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٥٧/٤) نسبه إلى أبي الشيخ ، وابن منده في الرد على الجهمية ، والدارقطني في الرؤية ، وابن مردويه ، والخطيب ، وابن النجار . وفي إسناده : سلم بن سالم البلخي ، ضعفه ابن معين والنسائي . وقال أحمد : ليس بذاك . [ ميزان الاعتدال للذهبي ٢ / ١٨٥ ] . ونوح بن أبي مریم ، قال الحافظ في التقریب (٤٩٨) : كذبوه في الحديث ، وقال ابن المبارك : كان يضع .
- (3) أخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور للسيوطي (٣٥٧/٤) .
- (4) ينظر : بحر العلوم للسمرقندي (٩٥/٢) ونقله عن علي بن عاصم . وحادي الأرواح لابن القيم (٣٦١) .
- (5) ينظر : شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز بتخريج الألباني (١٨٩) .
- (6) فتح القدير للشوكاني (٦٢٠/٢) وتبعه تلميذه القنوجي في فتح البيان (٥٠/٦) .
- (7) روح المعاني للآلوسي (١٠٢/١١) .

ثالثاً : قوله بعد ذلك في آخر الآية : ﴿ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهُهُمْ قَتْرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾ فيه إيماء أو إشارة إلى أن الزيادة هي النظر إلى وجه الله ، فبعد أن نظروا إلى وجهه رهم فإنه لا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أبداً .

تلا ابن أبي ليلي هذه الآية ﴿ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهُهُمْ قَتْرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾ وقال : « بعد نظرهم إلى رهم تبارك وتعالى »<sup>(١)</sup> .

ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢ - ٢٣] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾ [المطففين : ٢٢ - ٢٤] وقد ذكر الله في هذه السورة أن الكفار لا يرونه فقال : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين : ١٥] .

ومنها استدلال الشافعي بمفهوم المخالفة على رؤية المؤمنين رهم سبحانه<sup>(٢)</sup> .

قال ابن القيم : « وقال غير واحد من السلف في الآية : ﴿ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهُهُمْ قَتْرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾ بعد النظر إليه . والأحاديث عنهم بذلك صحيحة . ولما عطف سبحانه الزيادة على الحسنى - التي هي الجنة - دل على أنها أمر آخر وراء الجنة ، وقدر زائد عليها . ومن فسّر الزيادة بالمغفرة والرضوان فهو من لوازم رؤية الرب تبارك وتعالى »<sup>(٣)</sup> .

وأما القول الآخر في تفسير ﴿ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ وهو أن الحسنى هي جزاء الحسننة بعشر أمثالها ، والزيادة هي التضعيف فوق ذلك إلى سبعمائة ، فهو قول روي عن ابن عباس<sup>(٤)</sup> ،

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٤٦/٦) (١٠٣٤٨) .

(2) ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٨٧/١٤) ، وحادي الأرواح لابن القيم (٣٦٨) ، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١٩١) .

(3) بدائع التفسير (٤٠٢ / ٢) وحادي الأرواح (٣٦٧) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٦٣/١٢) بالإسناد المسلسل بالعوفيين قال : هو مثل قوله ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [ق : ٣٥] . يقول : يجزيهم بعملهم ويزيدهم من فضله . وقال : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَزِيدٌ ﴾ [ق : ٣٥] .

والحسن<sup>(١)</sup> ، وعلقمة بن قيس<sup>(٢)</sup> .

وجوّز الزجاج أن تكون الزيادة تضعيف الحسنات ؛ لأنه قال لأ : ﴿ مَن جَاءَ

بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [ الأنعام : ١٦٠ ] مع تفسيره الحسنى بالجنة<sup>(٣)</sup> .

وتعجب الكرماني من هذا التفسير واستغربه<sup>(٤)</sup> .

وذكره الفراء ، والنحاس ، والقرطبي ، والبيضاوي بصيغة ( قيل )<sup>(٥)</sup> .

أما ابن عطية فإنه قال : « وهذا قول يعضده النظر ، ولولا عظم القائلين بالقول الأول لترجح هذا القول ، وطرق ترجيحه أن الآية تتضمن اقتراً بين ذكر عمّال الحسنات وعمّال السيئات ، فوصف المحسنين بأن لهم — على إحسانهم — حسنى وزيادة من جنسها ، ووصف المسيئين بأن لهم بالسيئة مثلها ، فتعادل الكلامان . وعبر عن الحسنات بالحسنى مبالغة إذ هي عشرة . وقال الطبري : الحسنى عام في كل حسنى ، فهي تعم جميع ما قيل ، ووعد الله في جميعها بالزيادة . ويؤيد ذلك أيضاً قوله : ﴿ أَوْلَيْكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾ ، ولو كان معنى الحسنى الجنة لكان في القول تكرير بالمعنى ، على أن هذا ينفصل عنه بأنه وصف المحسنين بأن لهم الجنة ، وأنهم لا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة ، ثم قال : ﴿ أَوْلَيْكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾ على جهة المدح لهم ، أي : أولئك مستحقوها وأصحابها حقاً وباستيجاب<sup>(٦)</sup> .

وأما المعتزلة ، ومنهم الزمخشري ، ففسروا الحسنى بأنها المثوبة الحسنى ، والزيادة ما يزيد

أَمْثَالِهَا ﴾ [ الأنعام : ١٦٠ ] . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٤٤/٦) من طريق أبي روق ، عن الضحاك ، عنه قال : الحسنى مثلها . وينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٢٤/٤) .

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٦٣/١٢) عنه قال : الزيادة الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٦٠/٤) نسبه إلى ابن المنذر .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٦٣/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٤٦/٦) (١٠٣٤٤) عنه بنحو قول ابن عباس . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٦٠/٤) نسبه إلى ابن المنذر .

(3) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (١٥ / ٣) .

(4) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (٤٨٠ / ١) .

(5) ينظر : معاني القرآن (٤٦١/١) ، وإعراب القرآن (٢٥١/٢) ، والجامع لأحكام القرآن (٤٨٤/١٠) ، وأنوار التنزيل (٤٣٤ / ١) .

(6) المحرر الوجيز (١٣٧ / ٧) .

على المثوبة تفضلاً ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ﴾ <sup>(١)</sup> [ النساء : ١٧٣ ] مع إنكارهم للرؤية <sup>(٢)</sup> .

وعلى هذا التفسير : البيضاوي ، والسيد محمد رشيد رضا ، والمراغي <sup>(٣)</sup> ،  
لكن قال السيد رشيد رضا : « وقد ورد في الأحاديث الكثيرة من الطرق العديدة أن  
هذه الزيادة هي النظر إلى وجه الله الكريم » . وتبعه على ذلك تلميذه المراغي .

واختار ابن جرير الطبري في تفسير ﴿ الْحُسْنَى ﴾ أنها الجنة ، وأن تبيض وجوههم ،  
وفي تفسير " الزيادة " اختار العموم ؛ ليشمل كل ما قيل : النظر إلى وجه الله ، والعرف ،  
والمغفرة ، والرضوان .

قال : « وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تبارك وتعالى ، وعد  
المحسنين من عباده على إحسانهم الحسنى ، أن يجزيهم على طاعته إياه الجنة ، وأن يبيض  
وجوههم ، ووعدهم مع الحسنى الزيادة عليها ، ومن الزيادة على إدخالهم الجنة : أن  
يكرمهم بالنظر إليه ، وأن يعطيهم غرقاً من لآلئ وأن يزيدهم غفراناً ورضواناً ، كل ذلك من  
زيادة عطاء الله إياهم على الحسنى التي جعلها الله لأهل جنانه . وعمّ ربنا ، جل ثناؤه ،  
بقوله : ﴿ وَزِيَادَةٌ ﴾ الزيادات على الحسنى ، فلم يخص منها شيئاً دون شيء ، وغير  
مستكر من فضل الله أن يجمع ذلك لهم ، بل ذلك كله مجموع لهم إن شاء الله . فأولى  
الأقوال في ذلك بالصواب أن يُعمّ كما عمّه عزّ ذكره » <sup>(٤)</sup> .

وكذا ابن كثير في قوله : ﴿ وَزِيَادَةٌ ﴾ قال : « يشمل تضعيف ثواب الأعمال  
بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وزيادة على ذلك أيضاً . ويشمل ما يعطيهم الله في  
الجنان من القصور والحدور والرضا عنهم ، وما أخفاه لهم من قرّة أعين ، وأفضل من ذلك  
وأعلاه النظر إلى وجهه الكريم ، فإنه زيادة أعظم من جميع ما أعطوه ، لا يستحقونها بعملهم

(1) ينظر : الكشاف (٣) ، ومفاتيح الغيب للرازي (٦/٢٤٠-٢٤١) .

(2) ينظر في تقرير أدلة المعتزلة في نفي الرؤية ، المصدر الأخير .

(3) ينظر : أنوار التنزيل (١/٤٣٤) ، وتفسير القرآن الحكيم (١١/٢٩٩) ، وتفسير المراغي (١١/٩٥) .

(4) جامع البيان (١٢/١٦٤-١٦٥) .

بل بفضلله ورحمته»<sup>(١)</sup> .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أولى الأقوال بالصواب في تفسير ﴿الْحُسْنَى﴾ أنها الجنة ،  
وفي تفسير ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ أنها النظر إلى وجه الله الكريم ؛ لثبوت ذلك في التفسير النبوي  
الصحيح . ويتأيد هذا بالقاعدة الترجيحية : ( إذا ثبت الحديث وكان نصاً في تفسير الآية  
فلا يصار إلى غيره )<sup>(٢)</sup> .

ويدخل في هذا القول ما قيل في الزيادة من تضعيف الحسنات ، والمغفرة والرضوان  
...؛ لأن هذا من لوازم دخول الجنة والنظر إلى الله تعالى ، والله تعالى أعلم .

(1) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٣٥٤) .

(2) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ١٩١) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِءِ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِءِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾ (٤٠)

٥- هل قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِءِ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِءِ ﴾

إخبارٌ عن المستقبل ؟ أم إخبار عن الحال ؟

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « فيها قولان : أحدهما : إخبار بما يكون منهم في المستقبل ، وأن بعضهم يؤمن وبعضهم يتمادى في الكفر . والآخر : أنها إخبار عن حالهم أن منهم من هو مؤمن به ويكتنم إيمانه ، ومنهم من هو مكذَّب » (١) .

العرض والمناقشة :

على منهج ابن جُزَيِّ في الترجيح فإنه يرجِّح القول الأول ؛ وهو أن قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِءِ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِءِ ﴾ إخبار بما يكون منهم في المستقبل ، فبعضهم يؤمن وبعضهم يتمادى في الكفر .

وعلى هذا القول : مقاتل ، وابن جرير الطبري ، والنحاس ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ، والبغوي ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، والحازن ، وأبوحيان ، وابن كثير ، والبقاعي ، والسيوطي ، والسيد محمد رشيد رضا ، والمراغي (٢) .

وذكره الشوكاني ، والقنوجي بصيغة ( قيل ) (٣) .

ولم يذكروا له دليلاً ولا تعليلاً .

وأما القول الآخر وهو أن الآية إخبار عن حالهم أن منهم من هو مؤمن به ويكتنم

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٩٣) .

(٢) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٢٣٩) ، وجامع البيان (١٢/ ١٨٤ - ١٨٥) ، وإعراب القرآن (٢/ ٢٥٥) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ٢٥٨) ، والوجيز (١/ ٤٩٩) والوسيط (٢/ ٥٤٨) ، ومعالم التنزيل (٢/ ٣٦٣) ، وزاد المسير (٤/ ٣٤) وتذكرة الأريب (١/ ٢٣٦) ، والجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٥٠٥ - ٥٠٦) ، ولباب التأويل (٢/ ٢٩٤) ، والبحر المحييط (٥/ ١٦٠) ، وتفسير القرآن العظيم (٧/ ٣٦٤ - ٣٦٥) ، ونظم الدرر (٩/ ١٢٦) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٣/ ٣٧٥ ) ، وتفسير القرآن الحكيم (١١/ ٣٢٣) ، وتفسير المراغي (١١/ ١٠٩ - ١١٠) .

(٣) ينظر : فتح القدير (٢/ ٦٢٧) ، وفتح البيان (٥/ ٦٦) .

إيمانه، ومنهم من هو مكذّب ، فذهب إليه الزجاج، والنحاس، والسمعاني، والشوكاني،  
والقنوجي، والقاسمي، والطاهر بن عاشور<sup>(١)</sup> .

وذكره أبوحيان ، والسيد رشيد رضا بصيغة ( قيل )<sup>(٢)</sup> .  
ولم يذكروا له دليلاً ولا تعليلاً .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن كلا القولين محتمل ؛ لأن كلمة ﴿يُؤْمِنُ﴾ فعل مستقبل  
وهو يصلح للحال والاستقبال<sup>(٣)</sup>، ولا مرجح لأحدهما على الآخر . وعليه، فالقولان  
محتملان. وكأن أبا السعود ، والآلوسي ، يمتلان القولين معاً<sup>(٤)</sup> .

ولذا فقد ذكرهما بدون ترجيح ابن عطية، وتابعه الثعالبي<sup>(٥)</sup> على نحو ما ذكره ابن  
جُزَيّ . وسوّى بينهما الزمخشري ، والبيضاوي ، والنسفي مع تقديمهم للقول الثاني<sup>(٦)</sup>. والله  
تعالى أعلم .

(1) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ( ٣ / ٢١ - ٢٢ ) ، ومعاني القرآن الكريم ( ٣ / ٢٩٥ ) ، وتفسير القرآن ( ٢ / ٣٨٤ ) ،  
وفتح القدير ( ٢ / ٦٢٧ ) ، وفتح البيان ( ٥ / ٦٦ ) ، ومحاسن التأويل ( ٨ / ٣٣٥٢ ) ، والتحرير والتنوير  
( ١١ / ١٧٥ ) .

(2) ينظر : البحر المحيط ( ٥ / ١٦٠ ) ، وتفسير القرآن الحكيم ( ١١ / ٣٢٣ ) .

(3) ينظر : مفاتيح الغيب للرازي ( ٦ / ٢٥٦ ) .

(4) ينظر : إرشاد العقل السليم ( ٢ / ٤٩٧ ) ، وروح المعاني ( ١١ / ١٢٢ ) .

(5) ينظر : المحرر الوجيز ( ٧ / ١٥٥ ) ، والجواهر الحسان ( ٢ / ٩٨ ) .

(6) ينظر : الكشاف ( ٣ / ١٣٨ ) ، وأنوار التنزيل ( ١ / ٤٣٧ ) ، ومدارك التنزيل ( ٢ / ١٦٤ - ١٦٥ ) . وجمع بين  
إمكانيتهما القمي في غرائب القرآن وרגائب الفرقان ( ٣ / ٥٨٤ ) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿وَيَسْتَنْبِغُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (٥٣)

٦- عن أي شيء الاستنباء في قوله تعالى : ﴿وَيَسْتَنْبِغُونَكَ أَحَقُّ هُوَ﴾ ؟

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « أي : يسألونك هل الوعيد حقٌّ ؟ أو هل الشرع والدين حقٌّ ؟ والأول أرجح ؛ لقوله : ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ أي : لا تفوتون من الوعيد » (١) .

### العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ أن الاستنباء في قوله تعالى : ﴿وَيَسْتَنْبِغُونَكَ أَحَقُّ هُوَ﴾ هو سؤالهم عن الوعيد . ووافق في هذا ما ذهب إليه جمهور المفسرين وعامتهم على اختلاف عباراتهم ، فمنهم من عبّر عنه بالوعيد كابن جُزَيِّ ، ومنهم من عبّر عنه بالعذاب ، ومنهم من عبّر عنه بالبعث وقيام الساعة . ولا تناقض بينها بل كلُّها متلازمة ؛ فإنهم وُعدوا العذاب وهذا إنما يكون بعد البعث يوم القيامة .

وعلى هذا مقاتل، وابن جرير الطبري، والنحاس، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، وابن الجوزي، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، والخازن، والقمي (٢)، وأبو حيان (٣)، وابن كثير (٤) ،

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٩٤) .

(2) ينظر : تفسير مقاتل (٢ / ٢٤١) ، وجامع البيان (١٢ / ١٩١) ، وإعراب القرآن (٢ / ٢٥٨) — قال : عن كون العذاب أحق — ، والوجيز (١ / ٥٠١) — قال : العذاب والبعث — ، ومعالم التنزيل (٢ / ٣٦٦) — قال : العذاب وقيام الساعة . — ، والكشاف (٣ / ١٤٩) — قال : الضمير للعذاب الموعود . — ، والخرر الوجيز (٧ / ١٦٥) ، وزاد المسير (٤ / ٣٨ - ٣٩) — قال : البعث والعذاب — وتذكرة الأريب (١ / ٢٣٧) ، والجامع لأحكام القرآن (١١ / ٨) ، وأنوار التنزيل (١ / ٤٣٩) ، ومدارك التنزيل (٢ / ١٦٧) ، ولباب التأويل (٢ / ٢٩٧) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣ / ٥٨٩) .

(3) ينظر : البحر المحيط (٥ / ١٦٨) قال : على العذاب . وقيل : على الشرع والقرآن . وقيل : على الوعيد . وقيل : على أمر الساعة . ففرّق أبو حيان بين العذاب والوعيد ، وهذا غريب ؛ لأنهم يوعدون العذاب وهو كائن لا محالة بعد البعث يوم القيامة .

(4) ينظر : تفسير القرآن العظيم (٧ / ٣٦٩) قال : المعاد والقيامة . وقال : وهذه الآية ليس لها نظير في القرآن إلا

والثعالبي، والبقاعي، والسيوطي، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والسيد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي، والطاهر بن عاشور<sup>(١)</sup>.

واستدل له ابن جزّيّ بآخر الآية وهو قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾.

ويدل له أيضاً السياق؛ فإن الآية التي قبلها: ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ [يونس: ٥٢] فكأنهم استبعدوه فسألوا أحقُّ هو؟

قال الآلوسي: « كما هو الأنسب بالسياق »<sup>(٢)</sup>.

والآية معطوفة على قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ ﴾ [يونس: ٤٨] وسؤالهم عن الوعد هو على جهة الاستبعاد.

وأما القول الآخر بأن السؤال عن الشرع والدين، فعليه ابن أبي زمنين<sup>(٤)</sup>.

وذكره مقاتل، والبيضاوي، والقمي، وأبو حيان، والشوكاني، والقنوجي بصيغة (قيل)<sup>(٥)</sup>.

آيتان أخريان يأمر الله تعالى رسوله أن يقسم به على من أنكر المعاد في سورة سبأ: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَلِيمًا غَيْبٌ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ وفي التغابن: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾.

(1) ينظر: الجواهر الحسان (٢/ ١٠٠)، ونظم الدرر (٩/ ١٣٩)، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ٣٨٣) — قال: ما وعدتنا به من العذاب والبعث —، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٥٠٤) — قال: العذاب الموعود. —، وفتح القدير (٢/ ٦٣٤) — قال: عن تحقق العذاب —، وروح المعاني (١١/ ١٣٥) — كأبي السعود —، وفتح البيان (٥/ ٧٨)، وتفسير القرآن الحكيم (١١/ ٣٣٤) — قال: عن العذاب الذي تعدهم به. —، وتفسير المراغي (١١/ ١١٩)، وتيسير الكريم الرحمان (٢/ ٣٢٤) — قال: حشر العباد، وبعثهم بعد موتهم ليوم الميعاد وجزاء العباد بأعمالهم —، والتحرير والتنوير (١١/ ١٩٥) قال: عذاب الآخرة.

(2) روح المعاني (١١/ ١٣٥).

(3) ينظر: نظم الدرر للبقاعي (٩/ ١٣٩)، والتحرير والتنوير للطاهر (١١/ ١٩٥).

(4) ينظر: تفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٢٦٢) قال: يعنون القرآن.

(5) ينظر: تفسير مقاتل (٢/ ٢٤١)، وأنوار التنزيل (١/ ٤٣٩)، وغرائب القرآن وروائب الفرقان (٣/ ٥٨٩)،

وليس عليه دليل .

وذكر الرازي<sup>(١)</sup> القولين معاً بصيغة ( قيل ) . وسوّى القاسمي<sup>(٢)</sup> بينهما .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الراجح هو القول الأول الذي رجّحه ابن جُزَيٍّ ومن وافقه

وهو أن السؤال في قوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ ﴾ هو سؤال عن الوعيد أو العذاب الموعود أو البعث وقيام الساعة ؛ لقوة أدلته .

ويتأيد بالقاعدة الترجيحية : ( إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من

الخروج به عن ذلك )<sup>(٣)</sup> . والله تعالى أعلم .

والبحر المحيط ( ١٦٨ / ٥ ) ، وفتح القدير ( ٦٣٤ / ٢ ) ، وفتح البيان ( ٧٨ / ٥ ) .

(١) ينظر : مفاتيح الغيب ( ٢٦٤ / ٦ ) .

(٢) ينظر : محاسن التأويل ( ٣٣٥٩ / ٨ ) .

(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين ( ١٢٥ / ١ ) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ ۗ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ۗ

وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۗ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾

### ٧- الخلاف في معنى كلمة ﴿وَأَسْرُوا﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « أي : أخفوها في نفوسهم . وقيل : أظهروها »<sup>(١)</sup> .

#### العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ أن قوله تعالى : ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ﴾ معناه : وأخفوها في أنفسهم ، ففسَّرَ الإسرار بمعنى الإخفاء . ووافق ما نُسِبَ إلى ابن عباس<sup>(٢)</sup> .

وهو قول عامة المفسرين منهم : الفراء ، وابن جرير الطبري ، والراغب ، والواحدي ، والزمخشري ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والقمي ، والبقاعي ، والسيوطي ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والآلوسي ، والقنوجي ، والقاسمي ، والسيد محمد رشيد رضا ، والمراعي ، والطاهر بن عاشور<sup>(٣)</sup> . وقدّمه النحاس ، وابن عطية ، والثعالبي<sup>(٤)</sup> .

وذكره البغوي ، والحازن ، وابن التركماني بصيغة (قيل)<sup>(٥)</sup> .

ودليله ظاهر القرآن واستعماله .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٩٤ - ٩٥) .

(2) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٤ / ٣٩) وفيه : قال ابن عباس : الرؤساء أخفوها من الأتباع .

(3) ينظر : معاني القرآن (١ / ٤٦٩) — بمعنى قول ابن عباس — ، وجامع البيان (١٢ / ١٩٢) — بمعنى قول ابن عباس — ، ومفردات ألفاظ القرآن ، مادة ( سرر ) ( ٤٠٤ ) ، والوجيز (١ / ٥٠١) والوسيط (٣ / ٢٩٩) — وقال : هذا قول عامة المفسرين وأهل التأويل — ، والكشاف (٣ / ١٥٠) ، وتذكرة الأريب (١ / ٢٣٧) ، والجامع لأحكام القرآن (١١ / ٨-٩) ، وأنوار التنزيل (١ / ٤٤٠) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣ / ٥٨٩) — قال : وهو المشهور — ، ونظم الدرر (٩ / ١٤٠) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية (٣ / ٣٨٤) ، وإرشاد العقل السليم (٢ / ٥٠٥) ، وفتح القدير (٢ / ٦٣٥ - ٦٣٤) ، وروح المعاني (١١ / ١٣٧) ، وفتح البيان (٦ / ٨٠) ، ومحاسن التأويل (٨ / ٣٣٦١) ، وتفسير القرآن الحكيم (١١ / ٣٣٧) ، وتفسير المراعي (١١ / ١٢٠) ، والتحرير والتنوير (١١ / ١٩٨) .

(4) ينظر : معاني القرآن الكريم (٣ / ٢٩٩) ، والمحزر الوجيز (٧ / ١٦٥) ، والجواهر الحسان (٢ / ١٠٠) .

(5) ينظر : معالم التنزيل (٢ / ٣٦٦) ، ولباب التأويل (٢ / ٢٩٧) ، ومهجة الأريب (١ / ٢٥٩) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فَيَصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنفُسِهِمْ تَلْمِيزًا ﴾ [ المائدة : ٥٢ ] .

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ [ نوح : ٩ ] .

وقوله تعالى : ﴿ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ ﴾ [ الرعد : ١٠ ] .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ﴾ [ يوسف : ٧٧ ] .

وقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تَعْلَنُونَ ﴾ [ النحل : ١٩ ] .

وقوله تعالى : ﴿ تُسْرُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ ﴾ [ المتحنه : ١ ] .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ﴾ <sup>(١)</sup> [ الملك : ١٣ ] .

والمعنى المشهور في لغة العرب لـ "أسروا" هو الإخفاء <sup>(٢)</sup> .

قال الراغب : « الإسرار : خلاف الإعلان » <sup>(٣)</sup> .

وذكر الرازي <sup>(٤)</sup> ثلاثة أسباب للإخفاء :

١- لما رأوا العذاب الشديد بهتوا فلم ينطقوا <sup>(٥)</sup> .

٢- حياءً من الأتباع وخوفاً من توبيخهم .

٣- أنهم أخلصوا لله في تلك الندامة ، ومن أخلص في الدعاء أسره .

وأما القول الآخر وهو أن ﴿ وَأَسْرُوا التَّدَامَةَ ﴾ معناه : أظهروها ، فالإسرار بمعنى

الإظهار هنا ، فهو قول أبي عبيدة <sup>(٦)</sup> . وعليه البغوي ، والحازن ، وابن التركماني <sup>(٧)</sup> .

(1) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مادة ( سرر ) ( ٣٤٨ - ٣٤٩ ) .

(2) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان ( ١٦٩ / ٥ ) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للقمي ( ٥٨٩ / ٣ ) ، والدر المصون

للسمين ( ٢٢١ / ٦ ) . وينظر : لسان العرب ، مادة ( سرر ) ، والمجمل لابن فارس ( ٤٥٨ / ٢ ) .

(3) مفردات ألفاظ القرآن ، ( سرر ) ( ٤٠٤ ) .

(4) ينظر : مفاتيح الغيب ( ٢٦٥ / ٦ ) .

(5) قال الطاهر : « لأنهم دهشوا لرؤية ما لم يكونوا يحتسبون فلم يطبقوا صراحاً ولا تعويلاً » . التحرير والتنوير

( ١٩٨ / ١١ ) .

(6) ينظر : مجاز القرآن ( ٣٤ / ٢ ) . وزاد الواحدي في الوسيط ( ٥٥٠ / ٢ ) ، وزاد ابن الجوزي في زاد المسير

( ٣٩ / ٤ ) نسبه للمفضل .

(7) ينظر : معالم التنزيل ( ٣٦٦ / ٢ ) ، ولباب التأويل ( ٢٩٧ / ٢ ) ، وبهجة الأريب ( ٢٥٩ / ١ ) .

وذكره الزمخشري ، والقرطبي ، والبيضاوي ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والقنوجي بصيغة ( قيل )<sup>(١)</sup> .

قال الأزهري : « وأهل اللغة أنكروا قول أبي عبيدة أشدَّ الإنكار »<sup>(٢)</sup> .  
وجعله أبو عبيدة ، وابن الأنباري من الأضداد<sup>(٣)</sup> .

ولهذا قال ابن عطية : « **﴿ وَأَسْرُوا ﴾** لفظة تجيء بمعنى أخفوا ، وهي حينئذ من السر ، وتجيء بمعنى أظهروا وهو حينئذ من أسارير الوجه »<sup>(٤)</sup> .

واستدلوا له بقول الفرزدق :

ولما رأى الحجاجَ جرَّد سيفه      أسرَّ الحروريُّ الذي كان أضمرًا<sup>(٥)</sup>

يعني : أظهر .

وقال كُثَيِّرٌ :

فَأَسْرَرْتُ النَّدَامَةَ يَوْمَ نَادَى      بَرَدَ جَمَالَ غَاضِرَةَ الْمَنَادَى<sup>(٦)</sup>

فيكون المعنى على هذا القول : وأظهروا الندامة عند إحراق النار لهم ؛ لأن النار ألَّهتهم عن التصنع والكتمان<sup>(٧)</sup> .

(1) ينظر : الكشاف (٣ / ١٥٠) ، والجامع لأحكام القرآن (٩ / ١١) ، وأنوار التنزيل (١ / ٤٤٠) ، وإرشاد العقل السليم (٢ / ٥٠٥) ، وفتح القدير (٢ / ٦٣٥) ، وفتح البيان (٦ / ٨٠) ، ثم قال القنوجي : والمعنى الأول هو المشهور في اللغة ، وهو في الآية يحتمل الوجهين .

(2) ينظر : اللسان (سرر) . وقال شمر : وما قال غير أبي عبيدة في قوله : **﴿ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ ﴾** أي : أظهروها . قال : ولم أسمع ذلك لغيره .

(3) ينظر : الأضداد لابن الأنباري (٤٥) . وعمدة الحفاظ للسمين ، مادة (سرر) (٢ / ١٨٩) .

(4) المحرر الوجيز (٧ / ١٦٥ - ١٦٦) .

(5) البيت للفرزدق وليس في ديوانه . وهو في أضداد الأصمعي (٢١) ، وأضداد السجستاني (١٥١) ، وأضداد ابن السكيت (١٧٦) ، وأضداد ابن الأنباري (١٤٦) ، وأضداد أبي الطيب (٣٥٣) ، واللسان ، والتاج : (سرر) . وينظر : زاد المسير (٤ / ٣٩ - ٤٠) .

(6) ديوان كُثَيِّرٍ عَزَّةَ (١٣٧) . وغافرة : اسم امرأة . واستشهد به القرطبي في الجامع (٩ / ١١) على أن الندامة لا يمكن إظهارها .

(7) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٤ / ٣٩ - ٤٠) .

وقال القرطبي : « ويدل عليه أن الآخرة ليست دار تجلّد وتصبر »<sup>(١)</sup> .  
 وذكر الرازي سبب الإظهار وهو إنما أخفوا الندامة على الكفر في الدنيا لحفظ الرياسة،  
 وبطل هذا يوم القيامة فوجب الإظهار<sup>(٢)</sup> .

وذكر النحاس هذا قولاً ثانياً ثم قال : « وقال أبو العباس [ يعني المبرد ] : إن كان هذا  
 صحيحاً فمعناه : بدت الندامة في أسرة وجوههم ، وواحد سراً ، وهي الخطوط التي في  
 الجبهة »<sup>(٣)</sup> .

قال أبو حيان : « فيه بُعد عن سياق الآية »<sup>(٤)</sup> .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن القول الراجح في معنى قوله تعالى : ﴿ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ ﴾ هو  
 ما رجّحه ابن جزيّ وقاله عامة المفسرين من أن ﴿ وَأَسْرُوا ﴾ بمعنى : أخفوا . ويتأيد  
 بالقاعدة الترجيحية : ( حمل معاني كلام الله على الأغلب من أسلوب القرآن ومعهود  
 استعماله أولى )<sup>(٥)</sup> ، وبالقاعدة الأخرى : ( يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من  
 كلام العرب )<sup>(٦)</sup> . والله تعالى أعلم .

وأما أبو حيان فاحتمل القولين ، وتبعه تلميذه السمين الحلبي<sup>(٧)</sup> .

(1) الجامع لأحكام القرآن (٩ / ١١) .

(2) ينظر : مفاتيح الغيب (٦ / ٢٦٥) .

(3) معاني القرآن الكريم (٣ / ٢٩٩) .

(4) البحر المحيط (٥ / ١٦٩) .

(5) قواعد الترجيح عند المفسرين (١ / ١٧٢) .

(6) المصدر السابق (٢ / ٣٦٩) .

(7) ينظر : البحر المحيط (٥ / ١٦٩) ، والدر المصون (٦ / ٢٢١) ، وعمدة الحفاظ للسمين أيضاً (٢ / ١٩٠) (سرر).

وسوى بين القولين النسفي وقدم الثاني ينظر : مدارك التنزيل (٢ / ١٦٧) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (٥٨)

### ٨- الخلاف في المراد بالفضل والرحمة .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « والفضل والرحمة عموم . وقد قيل : الفضل للإسلام، والرحمة القرآن » (١) .

#### العرض والمناقشة :

في المراد بفضل الله ورحمته في قوله تعالى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ أقوال للمفسرين من السلف فمن بعدهم ، والقول بالعموم هو ما رجَّحه ابن جُزَيِّ . وعلى هذا أبوحيان، والشوكاني، والقنوجي (٢) .

قال أبوحيان بعد ذكره لكل ما قيل في الفضل والرحمة : « وهذه تخصيصات تحتاج إلى دلائل ، وينبغي أن يعتقد أنها تمثيلات ، لا أن الفضل والرحمة أريد بهما تعيين ما ذكر وحصرهما فيه » (٣) .

وقال ابن عطية : « ولا وجه عندي لشيء من هذا التخصيص إلا أن يستند منه شيء إلى النبي > » (٤) . ثم فسّر الفضل بأنه هداية الله إلى دينه ، والتوفيق إلى اتباع شريعته ، وفسّر الرحمة بعفو الله وسكنى جنته .

وقريب من تفسيره هذا ما قاله الطاهر بن عاشور : « فإن الفضل هو هداية الله التي في القرآن، والرحمة هي التوفيق إلى اتباع الشريعة التي هي الرحمة في الدنيا والآخرة » (٥) . وقال : « ولم يختلف المفسرون في أن القرآن مراد من فضل الله ورحمته » .

وقال السيد رشيد رضا : « وكل هذه المعاني صحيحة في نفسها لا في روايتها . وأظهرها في الآية وهو المناسب لما قبلها ، والجامع لمعاني الروايات كلها : أن فضل الله توفيقه

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٩٥) .

(2) ينظر : البحر المحيط (٥/ ١٧١) ، وفتح القدير (٢/ ٦٣٦) ، وفتح البيان (٥/ ٨٣) .

(3) البحر المحيط (٥/ ١٧١) .

(4) المحرر الوجيز (٧/ ١٦٨) .

(5) التحرير والتنوير (١١/ ٢٠٥) .

إياهم لتزكية أنفسهم بالموعظة والشفاء والهدى التي امتاز بها القرآن ، ورحمته ثمرتها التي فُضِّلوا بها جميع الناس فكانوا أرحمهم»<sup>(١)</sup> .

وأما الشوكاني فقال : « المراد بالفضل من الله سبحانه هو تَفَضُّلُهُ على عباده في الآجل والعاجل بما لا يحيط به الحصر . والرحمة : رحمته لهم ... » .

ثم قال : « والأوَّلُ حمل الفضل والرحمة على العموم ، ويدخل في ذلك ما في القرآن منهما دخولاً أولياً »<sup>(٢)</sup> .

وأما القول بأن الفضل الإسلام ، والرحمة القرآن ، فهو قول مَرَوِيٌّ عن ابن عباس<sup>(٣)</sup> ، ومجاهد<sup>(٤)</sup> ، والحسن<sup>(٥)</sup> ، وقتادة<sup>(٦)</sup> ، وهلال بن يساف<sup>(٧)</sup> ، وأبي التَّيَّاح<sup>(٨)</sup> ، وأبي العالية، وعكرمة ، والربيع بن أنس ، وزيد بن أسلم ، وابنه ، وسالم بن أبي الجعد ، والضحاك<sup>(٩)</sup> . وعلى القول بأن الفضل الإسلام ، والرحمة القرآن ، أو الفضل القرآن والرحمة الإسلام

(1) تفسير القرآن الحكيم (١١ / ٣٤٤) .

(2) فتح القدير (٢ / ٦٣٦) . وتبعه القنوجي (٥ / ٨٣) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢ / ١٩٦ - ١٩٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦ / ١٩٥٩) رقم (١٠٤٢٨) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٥٩٦) ، من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه قال : فضله الإسلام ، ورحمته القرآن . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٣٦٧) نسبته إلى ابن المنذر .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢ / ١٩٦) من طريق ابن جريح ، عنه قال : ورحمته : القرآن . وأخرجه ابن أبي شيبة (١٠ / ٥٠٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦ / ١٩٥٨) رقم (١٠٤٢٥) من طريق القاسم عنه . وعند ابن أبي حاتم : فضل الله : الدين .

(5) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢ / ٢٩٦) عنه . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢ / ١٩٦) وابن أبي حاتم في تفسيره (٦ / ١٩٥٩) رقم (١٠٤٣٢) من طريق معمر ، عنه . وسقط (معمر) من إسناد عبد الرزاق .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢ / ١٩٦) من طريق يزيد ، عن سعيد ، عنه . وعلَّقه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦ / ١٩٥٩) عقب الأثر (١٠٤٢٩) .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢ / ١٩٥ ، ١٩٦) ، وأبو عبيد في فضائل القرآن (٢٤) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٦٠١ ، ٢٦٠٢) من طرق عن منصور ، عنه . وينظر : التفسير المنسوب للثوري (١٢٨) .

(8) ينظر : معاني القرآن الكريم للنحاس (٣ / ٣٠٠) وأبو التَّيَّاح هو : يزيد بن حُميد الضُّبَعي البصري ، تابعي ثقة (ت ١٢٨) هـ [ التهذيب ١١ / ٣٢٠ ] .

(9) ذكره عنهم معلقاً ابن أبي حاتم في تفسيره (٦ / ١٩٨٥) عقب الأثر (١٠٤٢٩) . كما علَّقه أيضاً عقب الأثر (١٠٤٢٥) عن أبي العالية ، والحسن ، وهلال بن يساف ، وعكرمة، وقتادة ، والربيع بن أنس نحو قول مجاهد : (فضل الله : الدين) .

جماهير المفسرين .

فإلى الأول — الفضل الإسلام ، والرحمة القرآن — ذهب ابن جرير الطبري، والنحاس، وابن أبي زمنين، ومكي، والواحدي، وابن الجوزي، وابن القيم، والسيوطي <sup>(١)</sup> . وقدمه البغوي <sup>(٢)</sup> .

والقول الثاني — الفضل : القرآن ، والرحمة : الإسلام — رُوِيَ أيضاً عن ابن عباس <sup>(٣)</sup>، وزيد بن أسلم <sup>(٤)</sup>، والضحاك <sup>(٥)</sup> . وإليه ذهب مقاتل، والزخشي، والنسفي، والبلنسي، والقاسمي، والسعدي <sup>(٦)</sup> . وهو مفهوم كلام ابن كثير <sup>(٧)</sup> . وقدمه السمعاني، والكرماني <sup>(٨)</sup> .

وذهب جماعة من المفسرين إلى أن المراد بفضل الله ورحمته هو القرآن ، منهم : الزجاج، والبيضاوي، والبقاعي <sup>(٩)</sup> .

(1) ينظر : جامع البيان (١٢ / ١٩٤) ، ومعاني القرآن الكريم (٣ / ٣٠٠) ، وتفسير القرآن العزيز (٢ / ٢٦٣) ، وتفسير المشكل (١٩٣) ، والوجيز (١ / ٥٠٢) والوسيط (٢ / ٥٥١) — وقال : وهذا قول عامة المفسرين — ، وتذكرة الأريب (١ / ٢٣٧) — وذكر أنه اختيار ابن قتيبة . ينظر : زاد المسير (٤ / ٤٠) — ، وبدائع التفسير (٢ / ٤٠٦) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣ / ٣٨٦) .

(2) ينظر : معالم التنزيل (٢ / ٣٦٦) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢ / ١٩٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦ / ١٩٥٩) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٥٩٧) بالإسناد المسلسل بالعوفيين . وينظر : الدر المنثور للسيوطي (٤ / ٣٦٧) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢ / ١٩٧) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٥٩٩) من طريق جعفر بن عون ، عن هشام بن سعد ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦ / ١٩٥٩) رقم (١٠٤٣٠) من طريق أصبغ ، عن ابن زيد ، عنه . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢ / ١٩٨) من طريق ابن وهب ، عن ابن زيد عن أبيه .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢ / ١٩٧) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٦٠٠) من طريق هشيم ، عن جويبر ، عنه .

(6) ينظر : تفسير مقاتل (٢ / ٢٤٢) ، والكشاف (٣ / ١٥١) ، ومدارك التنزيل (٢ / ١٦٨) ، وتفسير مبهمات القرآن (٢ / ١٤) ، ومحاسن التأويل (٨ / ٣٣٦٢) ، وتيسير الكريم الرحمان (٢ / ٣٢٦) .

(7) ينظر : تفسير القرآن العظيم (٧ / ٣٧١) .

(8) ينظر : تفسير القرآن (٢ / ٣٩٠) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (١ / ٤٨٦) .

(9) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٣ / ٢٥) ، وأنوار التنزيل (١ / ٤٤٠) ، ونظم الدرر (٩ / ١٤٦-١٤٧) .

وروي هذا عن أبي سعيد الخدري <sup>(١)</sup> ،  
ومجاهد <sup>(٢)</sup> .

واستدل عليه بما رُوِيَ عن أنس ، عن النبي < <sup>(٣)</sup> .  
وأوردَ على هذا القول أن دخول الباء على كل من الفضل والرحمة يدل على استقلال  
كل منهما بالفرح به ، مما يدل على أن الفضل شيء والرحمة شيء آخر <sup>(٤)</sup> .  
وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن كل ما ورد عن السلف في تفسير الفضل والرحمة في قوله  
تعالى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ هو من باب التفسير بالمثال ، والأولى  
حَمْلُهُمَا على العموم ، فيدخل في ذلك ما قيل فيهما من أنهما القرآن والإسلام أو الإسلام  
والقرآن ، أو القرآن وأن جعلكم من أهله ، مع الاتفاق على دخول القرآن فيهما دخولاً  
أولياً بدلالة السياق .  
ويؤيد هذا القاعدة الترجيحية : ( يجب حمل نصوص الوحي على العموم ) <sup>(٥)</sup> . والله  
تعالى أعلم .

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/١٩٤) ، وابن أبي شيبة (١٠/٥٠١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره  
(٦/١٩٥٨) رقم (١٠٤٢٤) و (١٠٤٢٦) ، والنحاس في الوقف والابتداء ص (٨١) ، والبيهقي في شعب  
الإيمان (٢٥٩٨) ، والواحدي في الوسيط (٢/٥٥١) من طريق أبي معاوية ، عن الحجاج ، عن عطية ، عنه قال :  
(بفضل الله : القرآن ، وبرحمته : أن جعلكم من أهله) . واستغربه الكرمانى في غرائب التفسير وعجائب التأويل  
(١/٤٨٧) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/١٩٦) من طريق ابن أبي نجيح ، عنه قال : القرآن . وزاد  
السيوطي في الدر المنثور (٤/٣٦٧) نسبته إلى ابن أبي شيبة .

(3) أخرجه أبو الشيخ ، وابن مردويه كما في الدر المنثور للسيوطي (٤/٣٦٧) عن أنس مرفوعاً .

(4) ينظر : تفسير القرآن الحكيم للسيد محمد رشيد رضا (١١/٣٤٣) .

(5) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٥٢٧) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ

تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ

وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾

٩- الخلاف في عائد الضمير في قوله ﴿ مِنْهُ ﴾ من قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « الضمير عائد على القرآن وإن لم يتقدم ذكره ؛ لدلالة ما بعده عليه ، كأنه قال : ما تتلو شيئاً من القرآن ... وقيل : يعود على الشأن . والأول أرجح ؛ لأن الإضمار قبل الذكر تفخيم للشيء » (١) .

العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ أن ضمير ﴿ مِنْهُ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ ﴾ يعود على القرآن . وإلى هذا ذهب ابن جرير الطبري، والبقاعي، والقاسمي (٢) .

واحتمله ابن عطية، والثعالبي (٣) . وكان السعدي يميل إليه (٤) . وقدمه النسفي (٥) .

واستغربه الكرمانى (٦) . وذكره أبوحيان ، والسمن بصيغة ( قيل ) (٧) .

واستدل له ابن جُزَيِّ بدلالة ما بعده وهو قوله تعالى : ﴿ مِنْ قُرْآنٍ ﴾ ، والتقدير : وما تتلو من كتاب الله من قرآنٍ أو: وما تتلو من القرآن من قرآن . فكما أن القرآن اسم للمجموع، فكذلك هو اسم لكل جزء منه .

قالوا : والإضمار قبل الذكر تفخيم له (٨) .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٩٥) .

(2) ينظر : جامع البيان (١٢ / ٢٠٤) ، ونظم الدرر (٩ / ١٥٠) ، ومحاسن التأويل (٨ / ٣٣٦٤) .

(3) ينظر : المحرر الوجيز (٧ / ١٧٢) ، والجواهر الحسان (٢ / ١٠٢) .

(4) ينظر : تيسير الكريم الرحمان (٢ / ٣٢٨) .

(5) ينظر : مدارك التنزيل (٢ / ١٦٨) .

(6) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١ / ٤٨٨) .

(7) ينظر : البحر المحيط (٥ / ١٧٤) ، والدر المصون (٦ / ٢٢٨) .

(8) ينظر : الكشف للزمخشري (٣ / ١٥٢) ، ومفاتيح الغيب للرازي (٦ / ٢٧٣) .

ونظّر له القرطبي بقوله تعالى : ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ ﴾<sup>(١)</sup> [ طه : ١٤ ] .

قال البقاعي : « لأنه المحدّث عنه في جميع هذه السورة »<sup>(٢)</sup> .

وقال السيد رشيد رضا : « لأن السياق بل السورة كلها فيه »<sup>(٣)</sup> .

وأما القول الآخر وهو أن ضمير ﴿ مِنْهُ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَمَا نَتْلُوا مِنْهُ مِنْ

قُرْآنٍ ﴾ يعود على الشأن ، فقال به الفراء ، والزجاج ، والنحاس ، ومكي ، وابن عطية ،

وابن الجوزي ، والعكبري ، وأبو حيان ، والسمين ، والثعالبي ، والمراغي<sup>(٤)</sup> . وقدمه الزمخشري ،

والبيضاوي ، وأبو السعود ، والآلوسي<sup>(٥)</sup> .

وذكره البغوي بصيغة ( قيل )<sup>(٦)</sup> .

وشرحه النحاس ووجهه بقوله : « يكون المعنى : وما تتلو من الشأن ، أي : من أجل

الشأن ، أي : يحدث شأنٌ فيتلى من أجله القرآن ؛ ليعلم كيف حكمه ، أو يتزل فيه قرآن

فيتلى »<sup>(٧)</sup> .

وعلّله الزمخشري بقوله : « لأن تلاوة القرآن شأنٌ من شأنِ رسول الله > بل هو

معظم شأنه »<sup>(٨)</sup> .

وعلى هذا يكون داخلاً تحت قوله : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ ﴾ إلا أنه خصّه بالذكر

(1) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (١١ / ١٤) .

(2) نظم الدرر (٩ / ١٥٠) .

(3) تفسير القرآن الحكيم (١١ / ٣٥٠) .

(4) ينظر : إعراب القرآن للنحاس (٢ / ٢٥٩) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٣ / ٢٦) ، ومعاني القرآن الكريم

(٣ / ٣٠١) ، ومشكل إعراب القرآن (١ / ٣٤٨) ، والحرر الوجيز (٧ / ١٧٢) ، وتذكرة الأريب (١ / ٢٣٨) ،

والتبيين (٢ / ٦٧٩) ، والبحر المحيط (٥ / ١٧٤) ، والدر المصون (٦ / ٢٢٨) ، والجواهر الحسان (٢ / ١٠٢) ،

وتفسير المراغي (١١ / ١٢٧) .

(5) ينظر : الكشف (٣ / ١٥٢) ، وأنوار التنزيل (١ / ٤٤١) ، وإرشاد العقل السليم (٢ / ٥٠٨) ، وروح المعاني

(١١ / ١٤٣) .

(6) ينظر : معالم التنزيل (٢ / ٣٦٧) .

(7) إعراب القرآن (٢ / ٢٥٩) .

(8) الكشف (٣ / ١٥٢) . وينظر : البحر المحيط (٥ / ١٧٤) ، والدر المصون (٦ / ٢٢٨) .

تنبيهاً على علو مرتبته ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَلَأْنَا بِهِ رُؤُوسَهُمْ وَجَحَبْنَا فِيهِمْ رِجَالَهُمْ وَجَنَّبْنَا عَنْ الْأَرْضِ وَمَعَانِيَ عَلَيْهَا لَئِيَّهَا يَذَّبُونَ حَتَّى إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ﴾ [ الأحزاب : ٧ ] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأولى بالصواب في قوله تعالى : ﴿ وَمَا نَتَلَّوْا مِنْهُ مِنْ قُرْءَانٍ ﴾ هو ما رجَّحه ابن جُزَيٍّ ومن وافقه من أن عود الضمير في ﴿ مِنْهُ ﴾ على القرآن وإن لم يتقدم له ذكر ؛ لأن السياق يدل عليه ، وهو المحدث عنه .  
ويتأيد هذا بالقاعدة الترجيحية : ( إدخال معاني الكلام في ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك )<sup>(١)</sup> . وبالقاعدة الأخرى : ( إعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره )<sup>(٢)</sup> ، والله تعالى أعلم .

(1) قواعد الترجيح عند المفسرين (١٢٥/١) .

(2) المصدر السابق (٦٠٣/٢) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا نَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾

ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾

١٠ - الخلاف في تفسير بشري الدنيا في قوله تعالى :

﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « أما بشرى الآخرة فهي الجنة اتفاقاً ، وأما بُشْرَى الدنيا فهي الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو تُرَى له . رُوِيَ ذلك عن رسول الله < . وقيل : محبة الناس للرجل الصالح . وقيل : ما بُشِّرَ به في القرآن من الثواب » (١) .

العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ أن البشري الكائنة لهم في الحياة الدنيا هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو تُرَى له . ووافق ما رُوِيَ عن ابن عباس (٢) ، وعروة بن الزبير (٣) ، ومجاهد (٤) ، ويحيى بن أبي كثير (٥) ، وعطاء (٦) .  
وإليه ذهب مقاتل ، وابن أبي زمنين ، ومكي ، وابن الجوزي ، والسمين ، وابن كثير ، والثعالبي ، والسيوطي (٧) .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٩٥) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢ / ٢٢٣) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه . وينظر : صحيفة علي (٢٨٠) . وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١١ / ٥٤) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢ / ٢٢٢) من طريق سعيد بن جبيرة ، عنه .

(3) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١١ / ٥٤) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢ / ٢٢٢) ، (٢٢٤) من طريق هشام بن عروة ، عنه .

(4) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١١ / ٥٤) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢ / ٢٢٢) من طريق ليث ، عنه .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢ / ٢٢٢) من طريق معمر ، عنه موقوفاً عليه . وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢ / ٢٩٦) عن معمر ، عنه مرفوعاً . [ خ (٨ / ٦٩) ، ت (٣ / ٣٦٤) ، الدارمي (٢ / ١٢٣) ، أحمد (٢ / ٢٦٩) و (٥ / ٣٠٩) ] .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢ / ٢٢٣) من طريق ابن لهيعة ، عن خالد بن يزيد ، عنه .

(7) ينظر : : تفسير مقاتل (٢ / ٢٤٣) ، وتفسير القرآن العزيز (٢ / ٢٦٤) ، وتفسير المشكل (١٩٣) ، وتذكرة

وقدمه النحاس، والسمعاني، وابن عطية ومال إليه، وأبو حيان (١) .

وذكره محمود النيسابوري بصيغة ( قيل ) (٢) .

ودليل هذا القول هو تفسير النبي < للبشرى بأها ( الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى

له ) (٣) .

الأريب (١/ ٢٣٨) ، والدر المصون (٦/ ٢٣٢-٢٣٣) ، وتفسير القرآن العظيم (٧/ ٣٧٨-٣٨٢) ،  
والجواهر الحسان (٢/ ١٠٤) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٣/ ٣٩٠) .  
(1) ينظر: معاني القرآن الكريم (٣/ ٣٠٣) ، وتفسير القرآن (٢/ ٣٩٣) ، والمحزر الوجيز (٧/ ١٧٦) ، والبحر  
المحيط (٥/ ١٧٥) .

(2) ينظر: وضع البرهان (١/ ٤٢٣) ، وإيجاز البيان (١/ ٣٢١) .

(3) جاء من حديث جماعة من الصحابة ، وهم : عبادة بن الصامت ، وعبد الله بن عمرو ، وأبو الدرداء ، وأبو هريرة،  
وجابر بن عبد الله بن رثاب الأنصاري السلمي رضي الله عنهم جميعاً :

١- عَنْ أَبِي سَلَمَةَ ، عَنْ عَبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ  
(لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) ؟ قَالَ : ( هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ ) .

رواه أحمد (٣١٥/٥) (٢٣٠٦٣) قال : حدثنا وكيع ، حدثنا علي بن المبارك . وفي (٢٣٠٦٤) قال : حدثنا  
عفان ، حدثنا أبان . وفي (٣٢١/٥) (٢٣١٢٠) قال : حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم . ورواه أبو داود  
الطيالسي (٥٨٣) ، ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان (٤٧٥٣) ، والخطيب البغدادي في شرف أصحاب  
الحديث (٢٢٢) كلاهما عن حرب بن شداد .

ورواه الدارمي (٢١٣٦) قال : أخبرنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا أبان . وابن ماجه (٣٨٩٨) قال : حدثنا علي  
ابن محمد ، حدثنا وكيع ، عن علي بن المبارك .

ورواه ابن قانع في معجم الصحابة (١٠٥٧) من طريق مسدد ، نا عبد الله بن يحيى بن أبي كثير ، عن أبيه  
أربعتهم (علي ، وأبان ، وحرب بن شداد، وعبد الله بن يحيى) عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، فذكره .  
ورواه الترمذي (٢٢٧٥) قال : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا أبو داود ، حدثنا حرب بن شداد ، وعمران  
القطان ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، قال : بُبْتُ عَنْ عَبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ، فذكره .

وَعَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْبَزْزِيِّ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ عَبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ (لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)  
فَقَالَ عَبَادَةُ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: (لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ أَمْرٍ مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي  
تِلْكَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُؤْمِنُ أَوْ تُرَى لَهُ) .

رواه أحمد (٣٢٥/٥) (٢٣١٤٧) قال : حدثنا أبو المعيرة ، ورواه الطبراني في مسند الشاميين (١٠٢٥)  
و(١٠٢٦) من طريق الوليد بن مسلم ، وعبد الوهاب بن نجدة ، وإسماعيل بن عياش . أربعتهم عن صفوان بن  
عمرو ، حدثني حميد بن عبد الرحمن البززي ، فذكره .

قال الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/ ٣٩١) : ورجاله ثقات رجال الشيخين ، لولا أن في بعض روايته  
عند ابن جرير ما يشعر بأنه منقطع بين أبي سلمة بن عبد الرحمن وعبادة ، لكن له عنده طريق أخرى عن عبادة ،

فالحديث بمجموع هذه الطرق صحيح .

٢- عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَانَ بْنِ جُبَيْرِ الْمَصْرِيِّ الْعَامِرِيِّ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا " . قَالَ : (الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ ، يُبَشِّرُهَا الْمُؤْمِنُ ، هِيَ جُزْءٌ مِنْ تِسْعَةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ الثُّبُوتِ ، فَمَنْ رَأَى ذَلِكَ ، فَلْيُخْبِرْ بِهَا ، وَمَنْ رَأَى سِوَى ذَلِكَ ، فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ ، لِيَحْزُنَهُ ، فَلْيَنْفُتْ عَنْ يَسَارِهِ ، ثَلَاثًا ، وَلْيَسْكُتْ ، وَلَا يُخْبِرْ بِهَا أَحَدًا).

رواه أحمد (٢١٩/٢) (٧٠٤٤) قال : حدثنا حسن ، يعني الأشيب ، حدثنا ابن لهيعة ، ورواه الطبري (٢٢٣/١٢) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٧٦٤) ، والواحدي في الوسيط (٥٥٣/٢) من طريق ابن وهب ، ورواه الطبري (٢١٨/١٢) من طريق رشدين بن سعد كلاهما (ابن وهب ، و رشدين) عن عمرو بن الحارث كلاهما ( ابن لهيعة ، وعمرو بن الحارث ) عن درّاج ، عن عبد الرحمان بن جبير ، فذكره .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٦ / ٤٠٤) : رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف . وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط : صحيح لغيره . قلت : لحال دراج أبي السمح .

٣- عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ ، قَالَ : سَأَلْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : { لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } فَقَالَ : مَا سَأَلَنِي عَنْهَا أَحَدٌ غَيْرَكَ ، إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ ، مُنْذُ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : (مَا سَأَلَنِي عَنْهَا أَحَدٌ غَيْرَكَ مُنْذُ أَنْزَلْتُ ، هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ ، يَرَاهَا الْمُسْلِمُ ، أَوْ تُرَى لَهُ) . هذا لفظ الترمذي (٢٢٧٣) .

وفي رواية : عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ، قَالَ : أَتَاهُ رَجُلٌ ، فَقَالَ : مَا تَقُولُ فِي قَوْلِ اللَّهِ : { لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } فِي الْآخِرَةِ ؟ قَالَ : لَقَدْ سَأَلْتُ عَنْ شَيْءٍ مَا سَمِعْتُ أَحَدًا سَأَلَ عَنْهُ بَعْدَ رَجُلٍ سَأَلَ عَنْهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : (بُشْرَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا : الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ ، يَرَاهَا الْمُسْلِمُ ، أَوْ تُرَى لَهُ ، وَبُشْرَاهُمْ فِي الْآخِرَةِ : الْجَنَّةُ). هذا لفظ أحمد (٢٨٠٧٦) .

رواه الحميدي (٣٩١) ، وأحمد (٤٤٧/٦) ، والترمذي (٣١٠٦) ، والفسوي في المعرفة والتاريخ (٦٩٩/٢) ، والطبري (٢٢٠/١٢) ، والحاكم (٣٩١/٤) ، والبيهقي في الشعب (٤٧٥٢) من طريق ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عبد العزيز بن رُفيع ، عن أبي صالح - قال ابن عيينة : ثم سمعته من عبد العزيز ، عن أبي صالح السمان - عن عطاء بن يسار ، عن رجل من أهل مصر قال : سألت أبا الدرداء ...

ورواه الطيالسي (١٠٦٩) ، ورواه أحمد (٤٤٦/٦) (٢٨٠٧٠) قال : حدثنا محمد بن جعفر ، ورواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢١٤/١٢) : عن محمد بن المثني ، ثنا ابن أبي عدي ، ثلاثتهم عن شعبة ، عن سليمان ، عن ذكوان .

ورواه أحمد (٤٤٧/٦) (٢٨٠٧١) قال : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن ابن المنكدر (ح) وعبد العزيز بن رُفيع ، عن أبي صالح .

ورواه سعيد بن منصور في سننه (١٠٦٧ - تفسير) ، و أحمد (٤٤٧/٦) (٢٨٠٧٦) و (٤٥٢/٦) (٢٨١٠٧) ، وابن أبي حاتم (١٩٦٥ / ٦) (١٠٤٥٩) ، و ابن جرير الطبري (٢١٦ / ١٢) والطحاوي في المشكل (٢١٨٠) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٧٥١) من طريق أبي معاوية .

ورواه ابن أبي شيبة (٥١/١١) ، وفي مسنده (٥٦) ، والطبري (٢١٩/١٢) ، وابن أبي حاتم (١٩٦٦/٦)

وفي معناه حديث : ( لم يبق من النبوة إلا المبشرات ) وفيه : ( الرؤيا الصالحة يراها

(١٠٤٦٣) من طريق وكيع .

ورواه الطبري (٢٢٠/١٢) قال : ثنا جرير .

ورواه أحمد (٤٤٥/٦) ، و الطبري (٢١٩/١٢) عن عبد الرزاق ، أخبرنا ابن عيينة . أربعتهم عن الأعمش ، عن أبي صالح .

ورواه سعيد بن منصور في سننه (١٠٦٦- تفسير ) ، وأحمد (٤٤٧/٦) ، والترمذي (٢٢٧٣ ، ٣١٠٦) ، والطبري (٢١٦/١٢ و ٢١٧/١٢) ، وابن أبي حاتم (١٩٦٥/٦) من طريق سفيان ، عن ابن المنكدر .

ورواه الترمذي أيضاً (٣١٠٦) قال : حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن أبي صالح السَّمَّان .

كلاهما (أبو صالح السَّمَّان ذكوان ، ومحمد بن المنكدر) عن عطاء بن يسار ، عن رجل من أهل مصر ، فذكره . قلت : وهذا إسناد ضعيف لإمام الراوي عن أبي الدرداء ، وهو حديث صحيح لغيره .

ورواه ابن أبي شيبة (٥٢/١١) ، والطبري (٢٢٠/١٢) من طريق أبي بكر بن عياش ، ورواه الترمذي (٣١٠٦) قال : حدثنا أحمد بن عبدة الضبي ، حدثنا حماد بن زيد ، ورواه محمد بن عبد الله في مجموع الأجزاء الحديثية (١٢٢/١) من طريق محمد بن غالب بن حرب : حدثنا موسى بن إسماعيل : حدثنا أبان . ثلاثهم عن عاصم بن بهدلة ، عن أبي صالح ، عن أبي الدرداء ، قال : سألتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ : {البُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} قَالَ : (الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ ، أَوْ تُرَى لَهُ) .

قلت : ليس فيه : عن عطاء بن يسار ، عن رجل من أهل مصر ، وهذا حديث محفوظ بهذا الإسناد من حديث أبي صالح ذكوان ، وهو لم يسمع من أبي الدرداء شيئاً ، وهو مرسل .

٤ — عن أبي هريرة قال رسولُ الله: ( الرؤيا الحسنة ، هي البشرى يراها المسلم أو ترى له ) .

رواه ابن أبي شيبة (٥٤/١١) ، والنسائي في الكبرى (١٠٧٤٤) ، و الطبري (٢١٧/١٢) من طريق أبي بكر ثنا هشام ، عن ابن سيرين . ورواه الطبري (٢١٧/١٢) من طريق أبي حُصَيْن ، عن أبي صالح كلاهما قالا : قال أبو هريرة : ( الرؤيا الحسنة بشرى من الله ، وهي المبشرات ) .

ورواه الطبري (٢١٨/١٢) من طريق عمار بن محمد ، ثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي : الرؤيا الصالحة يراها العبد الصالح أو ترى له ، وهي في الآخرة الجنة ) . ورواه ابن مردويه — كما في تخريج الزيلعي (٣/١٣٥) من طريق الأعمش به . ونسبه السيوطي في الدر (٣٧٤/٤) إلى أبي الشيخ .

٥ — عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبَابِ الْأَنْصَارِيِّ السَّلْمِيِّ ؛ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ : (لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) ، قَالَ : (هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْعَبْدُ ، أَوْ تُرَى لَهُ) .

رواه عبد بن حميد (١١٠٥) قال : حدثنا محمد بن الفضل ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، فذكره .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٦ / ٤٠٤) : رواه البزار وفيه محمد بن السائب الكلبي وهو ضعيف جداً .

الرجل الصالح أو ترى له جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة (١) .

قال ابن عطية : « تظاهرت الأحاديث عن رسول الله > أنها الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له » (٢) .

وقال الآلوسي : « وأنت تعلم أنه لا ينبغي العدول عما ورد عن رسول الله > في تفسير ذلك إذا صحَّ » (٣) .

وأما القول الثاني وهو أن البشرى في الحياة الدنيا هي محبة الناس للرجل الصالح ، فاحتمله الماوردي (٤) .

وذكره البغوي ، والزمخشري ، وأبوحيان بصيغة ( قيل ) (٥) .

وذكره النحاس (٦) واستشهد له بحديث أبي ذرّ : قلت للنبي > : الرجل يعمل لنفسه خيراً ويحبه الناس ، فقال : ( تلك عاجل بشرى المؤمن في الدنيا ) (٧) .

وأما القول الثالث وهو أن البشرى في الحياة الدنيا هي ما بُشِّرَ به في القرآن من الثواب، فرؤيَ عن ابن عباس (٨) . ونُسِبَ إلى الحسن (٩) .

وهو اختيار الفراء، والزجاج كما قاله الواحدي (١٠) . وقدّمه الزمخشري (١١) .

- (1) رواه ابن عباس، وعامر بن وائلة، وحذيفة بن أسيد، وأنس، وأبوقتادة، وعائشة، وأم كند الكعبية، وأبوهريرة، وعبادة بن الصامت رضي الله عنهم .
- أخرج البخاري في كتاب التعبير حديث أبي هريرة (٦٩٩٠) . وينظر : الدر المنثور للسيوطي (٣٧٤/٤-٣٧٧) .
- (2) المحرر الوجيز (١٧٦ / ٧) .
- (3) روح المعاني (١١ / ١٥٢) .
- (4) ينظر : النكت والعيون (٢ / ٤٤٢) .
- (5) ينظر : معالم التنزيل (٢ / ٣٦٩) ، والكشاف (٣ / ١٥٦) ، والبحر المحيط (٥ / ١٧٥) .
- (6) ينظر : معاني القرآن الكريم (٣ / ٣٠٣) .
- (7) أخرجه أحمد في مسنده (٥ / ١٥٦) ، ومسلم في صحيحه (٢٦٤٢) ، والبغوي في معالم التنزيل (٢ / ٣٦٩) وفي شرح السنة (١٤ / ٣٢٨) .
- (8) رواه ابن جرير ، وابن المنذر من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه قال : هو قوله لنبيه > : ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٤٧] . ينظر : الدر المنثور للسيوطي (٤ / ٣٧٨) .
- (9) ذكره الواحدي في الوسيط (٢ / ٥٥٣ - ٥٥٤) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٤ / ٤٤) .
- (10) الوسيط (٢ / ٥٥٣ - ٥٥٤) .
- (11) ينظر : الكشاف (٣ / ١٥٦) .

وصححه ابن عطية (١) .

وذكره النحاس بصيغة ( قيل ) (٢) .

قالوا : وهذا كقوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [ البقرة : ٢٥ ] ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَبشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [ فصلت : ٣٠ ] ، وقوله تعالى : ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾ [ التوبة : ٢١ ] .

وقالوا : ويقوي هذا ويدل عليه قوله تعالى في آخر الآية : ﴿ لَا بُدَّ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾ أي : لا خلف لوعده الله (٣) .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأولى بالصواب في تفسير البشرى في الحياة الدنيا هو العموم؛ جمعاً بين الأدلة الدالة على صحة الأقوال كلها التي قيلت فيها .

قال ابن جرير الطبري : « وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر أن لأوليائه المتقين ، البشرى في الحياة الدنيا ، ومن البشارة في الحياة الدنيا: الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له . ومنها : بشرى الملائكة إياه عند خروج نفسه برحمة الله ، كما روي عن النبي < ، أن الملائكة التي تحضره عند خروج نفسه ، تقول لنفسه : أخرجني إلى رحمة الله ورضوانه (٤) . ومنها : بشرى الله إياه ما وعده في كتابه ،

وعلى لسان رسوله < من الثواب الجزيل ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [ البقرة : ٢٥ ] الآية . وكل هذه المعاني من بشرى الله إياه في الحياة الدنيا ، بشره بها . ولم يخص الله من ذلك معنى

(1) ينظر : المحرر الوجيز (٧/ ١٧٧) .

(2) ينظر : إعراب القرآن (٢/ ٢٦١) .

(3) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٤٤) ، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٤٧١) ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٧) ، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٦١) ، والمحرر الوجيز لابن عطية (٧/ ١٧٧) .

(4) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (١/ ١٠٢) ، وابن جرير الطبري في تهذيب الآثار (٢/ ٥٠٠) ، والحاكم في المستدرک (١/ ٩٤) من حديث البراء بن عازب .

دون معنى ، فذلك مما عمه جل ثناؤه أن لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا . وأما الآخرة فالجنة»<sup>(١)</sup> .

وقال الرازي : « لفظ البشارة مشتق من خَبَرٍ سارٍ يظهر أثره في بَشْرَةِ الوجه ، فكل ما كان كذلك دخل في هذه الآية ، ومجموع الأمور المذكورة مشتركة في هذه الصفة ، فيكون الكل داخلاً فيه . فكل ما يتعلّق بالآخرة فهو داخل تحت قوله : ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ وكل ما يتعلّق بالآخرة فهو داخل تحت قوله : ﴿ وَفِي الْآخِرَةِ ﴾»<sup>(٢)</sup> .

وجمع الطاهر بن عاشور بين جميع المعاني وقال : « وتعريف ﴿ الْبُشْرَى ﴾ تعريف الجنس فهو صادق ببيانات كثيرة»<sup>(٣)</sup> .

وإلى الجمع بين الأقوال ذهب البيضاوي، وأبو السعود، والشوكاني، والقنوجي، والسيد رشيد رضا<sup>(٤)</sup> . وسوّى بينهما النسفي — (أو)<sup>(٥)</sup> .  
وجمع السعدي بين الرؤيا الصالحة والثناء الحسن<sup>(٦)</sup> .

وقال الألوسي : « وأنت تعلم أنه لا ينبغي العدول عما ورد عن رسول الله < في تفسير ذلك إذا صحّ ، وحيث عدل من عدل لعدم وقوفه على ذلك فيما أظن ، فالأولى أن يحمل البشري في الدارين على البشارة بما يحقق نفي الخوف والحزن كائنًا ما كان، ويرشد إلى ذلك السباق، ومن أجل ذلك بشرى الملائكة لهم بذلك وقتًا فوقتًا حتى يدخلوا الجنة ، وقد نطق الكتاب العزيز في غير موضع بهذه البشري ، من الله تعالى علينا بما برحمته

(1) جامع البيان (١٢ / ٢٢٥) .

(2) مفاتيح الغيب (٦ / ٢٧٨) .

(3) التحرير والتنوير (١١ / ٢١٩) .

(4) ينظر : أنوار التنزيل (١ / ) ، وإرشاد العقل السليم (٢ / ٥١١ - ٥١٢) ، وفتح القدير (٢ / ٦٤١) ، وفتح البيان (٥ / ٩٢) ، وتفسير القرآن الحكيم (١١ / ٣٥٣ - ٣٥٤) لكن الأخير لم يذكر الرؤيا الصالحة.

(5) ينظر : مدارك التنزيل (٢ / ١٦٩) .

(6) ينظر : تيسير الكريم الرحمان (٢ / ٣٢٩) .

وكرمه»<sup>(١)</sup> .

ويتأيد القول بالعموم بالقاعدة الترجيحية : ( يجب حمل نصوص الوحي على العموم)<sup>(٢)</sup> . وإعمال الأدلة والجمع بين الأقوال أولى من إهمال بعضها وإطراحه ، والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر : روح المعاني (١١ / ١٥٢) .

(2) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢ / ٥٢٧) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ

دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾

١١- الخلاف في " ما " من قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

شُرَكَاءَ هل هي نافية ؟ أم استفهامية ؟

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « فيها وجهان : أحدهما : أن تكون " ما " نافية

وأوجبت بقوله ﴿ إِلَّا الظَّنَّ ﴾ ، وكرّر ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ ﴾ توكيداً . والمعنى : ما يتبع

الكفار إلا الظن . والوجه الثاني : أن تكون " ما " استفهامية ، ويتم الكلام عند قوله :

﴿ شُرَكَاءَ ﴾ . والمعنى : أي شيء يتبعون ؟ على وجه التحقير لما يتبعونه ، ثم ابتداء

الإخبار بقوله : ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ﴾ . والعامل في شركاء على الوجهين

﴿ يَدْعُونَ ﴾ « (١) .

العرض والمناقشة :

قدّم ابن جُزَيِّ الوجه الأول ترجيحاً له ، وهو أن " ما " في قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ

الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ ﴾ نافية .

وعلى هذا الوجه جمهور المفسرين منهم: الواحدي، والسمعاني، وابن الجوزي،

والقرطبي، والبيضاوي، والقمي، وأبو حيان، والسمين، والثعالبي، والبقاعي، والشوكاني،

والألوسي، والقنوجي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي، والطاهر بن

عاشور (٢) .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٩٦) .

(2) ينظر : الوجيز (١ / ٥٠٣) ، والوسيط (٢ / ٥٥٤) ، وتفسير القرآن (٢ / ٣٩٤) ، وتذكرة الأريب (١ / ٢٣٨) ،

والجامع لأحكام القرآن (١١ / ١٩) ، وأنوار التنزيل (١ / ٤٤٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان

(٣ / ٥٩٨) ، والبحر المحييط (٥ / ١٧٦) ، والدر المصون (٦ / ٢٣٥) ، والجواهر الحسان (٢ / ١٠٤) ، ونظم

وهو مفهوم كلام ابن أبي زمنين ، والسيوطي يدل عليه <sup>(١)</sup> . وقدمه الزمخشري <sup>(٢)</sup> .  
وصححه ابن عطية ثم قال : « وفي هذا الوجه عندي تكلف » <sup>(٣)</sup> .  
وذكره الكرماني ، والبغوي بصيغة ( قيل ) <sup>(٤)</sup> .  
قال الواحدي : « أي : ليسوا يتبعون شركاء على الحقيقة ؛ لأنهم يعدونها شركاء [لله]  
شفعاء لهم ، وليست على ما يظنون » <sup>(٥)</sup> .  
وعلله السمعاني بأنه ليس لله شريك <sup>(٦)</sup> .  
ولأن شركة الله في الربوبية محال . قاله الزمخشري <sup>(٧)</sup> .  
وقال الطاهر بن عاشور : « و"ما" نافية لا محالة ، بقرينة تأكيدها بـ "إن" النافية ،  
وإيراد الاستثناء بعدها <sup>(٨)</sup> .  
وأما الوجه الآخر في "ما" وهو أن تكون استفهامية ، فعليه : ابن جرير الطبري،  
والكرماني، والبغوي، والخازن، وابن تيمية <sup>(٩)</sup> . وهو مفهوم كلام مكّي <sup>(١٠)</sup> . وصححه ابن  
عطية وقدمه <sup>(١١)</sup> .  
وجوزّه الزمخشري، والبيضاوي، والقمي، وأبوحيان، والسّمين، والشوكاني،

- 
- الدرر ( ١٥٧/٩ ) ، وفتح القدير ( ٦٤٤ /٢ ) ، وروح المعاني ( ١٥٣ /١١ ) ، وفتح البيان ( ٩٥ /٦ ) ،  
وتفسير القرآن الحكيم ( ٣٨٤ /١١ ) ، وتفسير المراغي ( ١٣٢ /١١ ) ، وتيسير الكريم الرحمان ( ١٣٢ /٢ ) ،  
والتحرير والتنوير ( ٢٢٥ /١١ ) .  
(1) ينظر : تفسير القرآن العزيز ( ٢ / ٢٦٦ ) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٣ / ٣٩٢ ) .  
(2) ينظر : الكشف ( ١٥٨ /٣ ) .  
(3) المحرر الوجيز ( ١٧٩ /٧ ) .  
(4) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل ( ٤٨٩ /١ ) ، ومعالم التنزيل ( ٣٧٠ /٢ ) .  
(5) الوجيز ( ٥٠٣ /١ ) ، والوسيط ( ٥٥٤ /٢ ) .  
(6) تفسير القرآن ( ٣٩٤ /٢ ) .  
(7) الكشف ( ١٥٨ /٣ ) .  
(8) التحرير والتنوير ( ٢٢٥ /١١ ) .  
(9) ينظر : : جامع البيان ( ٢٢٧ /١٢ ) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل ( ٤٨٩ /١ ) — قال : الاستفهام على  
وجه الإنكار — ، ومعالم التنزيل ( ٣٧٠ /٢ ) ، ولباب التأويل ( ٣٠١ /٢ ) ، ومجموع الفتاوى ( ٦١ /١٥ ) .  
(10) ينظر : مشكل إعراب القرآن ( ١ / ٣٤٨ - ٣٤٩ ) .  
(11) ينظر : المحرر الوجيز ( ١٧٩ /٧ ) .

والألوسي<sup>(١)</sup> .

قال ابن تيمية : « ظنّ طائفة أن "ما" نافية ، وهو خطأ . بل هي استفهام ؛ فإنهم يدعون معه شركاء ، كما أخبر عنهم في غير موضع . فالشركاء يوصفون في القرآن بأنهم يُدعون ؛ لأنهم يُتبعون وإنما يتبع الأئمة ، ولهذا قال : ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ﴾ . ولو أراد النفي لقال : إن يتبعون إلا من ليسوا شركاء . بل بين أن المشرك لا علم معه ، إن هو إلا الظنّ والخرص ؛ كقوله : ﴿ قُلِ الْخِرَاصُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> [ الذاريات : ١٠ ] .

وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن كلا الوجهين صحيح وجائر ، ودلّ على كل منهما دليل ، فالنفي دلّ عليه التوكيد في قوله تعالى : ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ﴾ والاستفهام دلّ عليه إخبار الله عنهم في غير موضع أنهم يدعون معه شركاء . وعلى ذكر الوجهين على هذا النسق والترتيب دون ترجيح : العكبري ، والرازي ، والقاسمي<sup>(٣)</sup> . وسوّى بينهما بـ ( أو ) النسفي<sup>(٤)</sup> . والله تعالى أعلم .

(1) ينظر : الكشاف (١٥٨/٣) ، وأنوار التنزيل (٤٤٢ / ١) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥٩٨/٣) ، والبحر

الحيط (١٧٦/٥) ، والدر المصون (٢٣٦/٦) ، وفتح القدير (٦٤٤/٢) ، وروح المعاني (١٥٤/١١) .

(2) مجموع الفتاوى (٦١ / ١٥) .

(3) ينظر : التبيان (٦٨٠/٢) ، ومفاتيح الغيب (٢٧٩/٦ - ٢٨٠) ، ومحاسن التأويل (٣٣٧٧ / ٨) .

(4) ينظر : مدارك التنزيل (١٧٠ / ٢) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴾ (٧٧)

١٢- ﴿ أَسِحْرٌ هَذَا ﴾ هل هو من كلام قوم فرعون ؟ أم من كلام موسى عليه السلام ؟

قال ابن جزّي رحمه الله تعالى : « قيل : إنه معمول ﴿ أَتَقُولُونَ ﴾ ، فهو من كلام قوم فرعون . وهذا ضعيف ؛ لأنهم كانوا يُصَمِّمُونَ على أنه سحر ؛ لقولهم : ﴿ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ فكيف يستفهمون عنه ؟ وقيل : إنه من كلام موسى تقريراً وتوبيخاً لهم ، فيوقف على قوله : ﴿ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ ﴾ ، ويكون معمول ﴿ أَتَقُولُونَ ﴾ محذوفاً (١) تقديره : أتقولون للحق لما جاءكم إنه لسحر . ويدل على هذا المحذوف ما حكى عنهم من قولهم : ﴿ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ فلما تم الكلام ابتداءً موسى توبيخهم بقوله : ﴿ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴾ . وهذا هو اختيار شيخنا الأستاذ أبي جعفر ابن الزبير / « (٢) .

#### العرض والمناقشة :

ظاهر كلام ابن جزّي أنه يرجح اختيار شيخه أبي جعفر بن الزبير في قوله تعالى : ﴿ أَسِحْرٌ هَذَا ﴾ ، وإن ذكره بصيغة ( قيل ) ؛ لتضعيفه القول الأول . وعلى هذا القول — وهو أن قوله ﴿ أَسِحْرٌ هَذَا ﴾ من كلام موسى × — جماهير المفسرين منهم : ابن جرير الطبري ، والزجاج ، والكرماني ، والبغوي ، وابن عطية ، ومحمود النسابوري ، وابن الجوزي ، والعكبري ، والرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، وأبو حيان ، والبقاعي ، والسيوطي ، والشهاب ، والشوكاني ، والقنوجي ، والسيد رشيد رضا ، والسعدي ، والطاهر بن عاشور (٣)

(1) في المطبوع : محذوف . والصواب ما أثبتته كما في جميع النسخ ؛ لأنه خير يكون منصوب .

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٩٧) .

(3) ينظر : جامع البيان (١٢ / ٢٣٨) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٣ / ٢٩) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (١ / ٤٩٠) ، ومعالم التنزيل (٢ / ٣٧٣) ، والمحزر الوجيز (٧ / ١٩٢ - ١٩٣) ، وإيجاز البيان (١ / ٣٢٢) ، وتذكرة الأريب (١ / ٢٣٩) وقدمه في زاد المسير (٤ / ٥٠) ، والنبیان (٢ / ٦٨٢) ، ومفاتيح الغيب (٦ / ٢٨٧) وأنوار التنزيل (١ / ٤٤٤) ، ومدارك التنزيل (٢ / ١٧٢) ، ولباب التأويل (٢ / ٣٠٤) ، والبحر المحيظ

وقدّمه وبدأ به الزمخشري، وأبو السعود، والآلوسي، والقرطبي<sup>(١)</sup>. وهو مفهوم كلام المراغي<sup>(٢)</sup>.

قالوا : معمول ﴿ أَتَقُولُونَ ﴾ - وهو المقول - محذوف ثقةً بدلالة ما قبله وما بعده عليه وإيداناً بأنه مما لا ينبغي أن يُتفوه به ولو على نهج الحكاية<sup>(٣)</sup>.  
 والتقدير : أتقولون للحق لما جاءكم - وهي الآيات التي أتاهم بها من عند الله حجةً على صدقه - : سحرٌ . ثم ابتداء موسى موجباً لهم : أسحرٌ هذا الحق الذي ترونه؟! فيكون السحرُ الأولُ محذوفاً اكتفاءً بدلالة قول موسى لهم : ﴿ أَسْحَرُ هَذَا ﴾ على أنه مراد في الكلام<sup>(٤)</sup>. ودلّ عليه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ أي : أتقولون هذا القول للحق ما جاءكم<sup>(٥)</sup>.

قالوا : ومثل هذا التقدير المحذوف موجود في القرآن وفي كلام العرب ، أما القرآن فكما قال تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْأَوْجُوهُكُمْ ﴾ [الإسراء : ٧] . والمعنى : بعثناهم ليسوؤا وجوهكم ، فترك ذلك اكتفاءً بدلالة الكلام عليه<sup>(٦)</sup>.

وقريبٌ منه قوله تعالى : ﴿ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ ﴾ [آل عمران : ١٨٣]

(٥/١٨١) ، ونظم الدرر (٩/١٧١) - وقال : فالآية من الاحتباك : ذكر القول الأول دالّ على حذف مثله في الثاني ، وذكر السحر الثاني دال على حذفه مثله في الأول - ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٣/٣٩٩ ) ، وحاشية الشهاب ( ٥ / ٥١ ) ، وفتح القدير ( ٢ / ٦٥٠ ) ، وفتح البيان ( ٦ / ١٠٤ ) ، وتفسير القرآن الحكيم ( ١١ / ٣٩٤ ) ، وتيسير الكريم الرحمان ( ٢ / ٣٣٥ ) ، والتحرير والتنوير ( ١١ / ٢٥٠ ) .

(1) ينظر : الكشف ( ٣ / ١٦٣ ) ، وإرشاد العقل السليم ( ٢ / ٥٢٠ ) ، وروح المعاني ( ١١ / ١٦٤ ) ، والجامع لأحكام القرآن ( ١١ / ٢٧ ) مع ذكره - قبيل .

(2) ينظر : تفسير المراغي ( ١١ / ١٤١ ) .

(3) ينظر : إرشاد العقل السليم لأبي السعود ( ٢ / ٥٢٠ ) .

(4) ينظر : جامع البيان للطبري ( ١٢ / ٢٣٨ ) .

(5) ينظر : التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ( ١١ / ٢٥٠ ) .

(6) ينظر : جامع البيان للطبري ( ١٢ / ٢٣٨ ) ، والحرر الوجيز لابن عطية ( ٧ / ١٩٣ ) .

وقوله تعالى : ﴿ بَيْتَ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ ﴾ [النساء : ٨١] فحذف المقول  
لدلالة الكلام عليه <sup>(١)</sup> .

ومن شأن العرب الإيجاز والاختصار إذا كان فيما نطقت به الدلالة الكافية على ما  
حذفت وتركت ، ومن ذلك قول أبي ذؤيب الهذلي :

عَصَيْتُ إِلَيْهَا الْقَلْبَ إِنِّي لِأَمْرِهَا      سَمِيعٌ فَمَا أَدْرِي أَرُشِدُ طَلَابُهَا <sup>(٢)</sup>

يعني بذلك : فما أدري أَرُشِدُ طَلَابُهَا أَمْ غَيٌّ ؟ فحذف ذكر ( أَمْ غَيٌّ ) ، إذ كان فيما  
نطق به الدلالة عليها <sup>(٣)</sup> .

وقول ذي الرُّمَّة :

فَلَمَّا لَبَسْنَا اللَّيْلَ أَوْ حِينَ نَصَبْتُ      لَهُ مِنْ خَذَا آذَانَهَا وَهُوَ جَانِحٌ <sup>(٤)</sup>

يريد : أو حين أقبل ، ثم حُذِفَ اكتفاءً بدلالة الكلام عليه <sup>(٥)</sup> .

وقول الآخر :

لَنَحْنُ الْأَلَى قُلْتُمْ فَأَنَّى مُلْتَمُّمٌ      برؤيتنا قبل اهتمام بكم رعْبًا <sup>(٦)</sup>

وأما القول الأول وهو أن يكون ﴿ أَسْحَرُ هَذَا ﴾ هو معمول ﴿ أَتَقُولُونَ ﴾ ومقوله ،  
ويكون الكلام لقوم فرعون ، فهو قول الأخفش <sup>(٧)</sup> . وعليه القاسمي <sup>(٨)</sup> . وجوزّه  
الآلوسي <sup>(٩)</sup> . وذكره الزمخشري وجهًا ثانيًا <sup>(١٠)</sup> .

(1) ينظر : التحرير والتنوير (١١ / ٢٥٠) .

(2) ديوان الهذليين (١ / ٧١) .

(3) جامع البيان لابن جرير الطبري (١ / ٣٤٤) .

(4) ديوان ذي الرمة (٢ / ٨٩٧) . قاله في نعت حمير .

(5) جامع البيان لابن جرير الطبري (١٢ / ٢٣٨) ، والمحرر الوجيز لابن عطية (٧ / ١٩٣) .

(6) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان (٥ / ١٨١) .

(7) ينظر : معاني القرآن (٢ / ٣٤٧) . ونقله عنه النحاس في إعراب القرآن (٢ / ٢٦٣) ولم يذكر غيره ، فكأن النحاس  
يقول به . ونسبه له أيضًا القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١١ / ٢٧) .

(8) ينظر : محاسن التأويل (٨ / ٣٣٨٣) .

(9) ينظر : روح المعاني (١١ / ١٦٤) .

(10) ينظر : الكشف (٣ / ١٦٣) .

واستغربه الكرماني ، وذكره أبوحيان بصيغة ( قيل ) ، ومنعه أبوالسعود (١) .  
قال الفراء في توجيه هذا القول : « كما ترى الرجل تأتيه الجائزة فيقول : أحقُّ هذا ؟  
وهو يعلم أنه حق لا شكَّ فيه » (٢) .

زاد ابن جرير الطبري : « وقد يجوز أن تكون على التعجب منهم : أسحر هذا ؟ ما  
أعظمه ! » (٣)

وقال ابن عطية : « وقال بعضهم : بل قالوا ذلك على معنى التعظيم للسحر الذي رأوه  
بزعمهم ، كما تقول لفرسٍ تراه يجيد الجري : ( أفرسٌ هذا ؟ ! ) على معنى التعجب منه  
والاستغراب ، وأنت قد علمت أنه فرس » (٤) .

وعلى هذا القول ، فإن موسى حكى قولهم أولاً ويكون ﴿ أَسْحَرُ هَذَا ﴾ هو الذي  
قالوه .

واستدلَّ على هذا بقراءة ﴿ ما جئتم به ءالسحرُ ﴾ على قراءة الاستفهام وهي قراءة  
متواترة (٥) ، ففيها إرشاد إلى أن موسى كافأهم عندما أتوا بالسحر . مثل مقالتهم مستفهماً  
فقال : ما جئتم به ءالسحر ؟ قرضاً بوفاء على السواء (٦) .

وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن الأولى في ذلك بالصواب أن يكون المقول محذوفاً ، ويكون  
قوله : ﴿ أَسْحَرُ هَذَا ﴾ من قيل موسى × استفهماً إنكارياً على فرعون وملئه ؛ لقوة  
أدلتها ووجهتها هذا هو الأولى بالصواب . والقول الآخر غير مدفوع فقد يكون موسى ×  
حكى قولهم ، وإنما قالوه على وجه التعجب والتعظيم للسحر الذي رأوه ، والله تعالى أعلم .

(1) ينظر : غرائب التفسير (١ / ٤٩٠) ، البحر المحيط (٥ / ١٨١) ، إرشاد العقل السليم (٢ / ٥٢٠ - ٥٢١) .

(2) معاني القرآن (١ / ٤٧٤) .

(3) جامع البيان (٢ / ٢٣٨) .

(4) المحرر الوجيز (٧ / ١٩٢) .

(5) قرأ أبو عمرو ، وأبو جعفر بهمزة قطع للاستفهام قبل همزة الوصل . وقرأ الباقون بحذف همزة الاستفهام وإبقاء

همزة الوصل . ينظر : حجة القراءات لابن زنجلة (٣٣٥) ، والبدور الزاهرة لعبد الفتاح القاضي (١٤٨) .

(6) ينظر : محاسن التأويل للقاسمي (٨ / ٣٣٨٣ - ٣٣٨٤) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ فَمَا أَمَّنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّهُ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ <sup>٤</sup>

وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

في هذه الآية الكريمة مسألتان :

المسألة الأولى هي :

١٣ - الخلاف في عايد الضمير في قوله تعالى : ﴿ مِّن قَوْمِهِ ﴾

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « الضمير عائد على موسى . ومعنى الذرية : شبَّانٌ وفتيانٌ من بني إسرائيل آمنوا به على خوف من فرعون . وقيل : إن الضمير عائد على فرعون ، فالذرية على هذا من قوم فرعون . وروي في هذا أنها امرأة فرعون وخازنه . وهذا بعيد ؛ لأن هؤلاء لا يقال لهم ذرية ، ولأن الضمير ينبغي أن يعود على أقرب مذكور <sup>(١)</sup> .

العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جزي أن ضمير ﴿ قَوْمِهِ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ فَمَا أَمَّنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّهُ <sup>٤</sup>

مِّن قَوْمِهِ ﴾ عائد على موسى × ووافق في هذا معنى ما روي عن ابن عباس <sup>(٢)</sup> ، ومجاهد <sup>(٣)</sup> ، والأعمش <sup>(٤)</sup> . ونسب إلى زيد بن أسلم <sup>(٥)</sup> .

وإلى هذا ذهب ابن جرير الطبري، وابن أبي زمنين، والواحدي، والسمعاني،

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٩٧) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/ ٢٤٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٧٥) رقم (١٠٥١٦)

من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه قوله : ﴿ ذُرِّيَّهُ مِّن قَوْمِهِ ﴾ يقول : بني إسرائيل . قال ابن جرير الطبري : فهذا الخبر يُنبئ عن أنه كان يرى أن الذرية في هذا الموضع ، هم بنو إسرائيل دون غيرهم من قوم فرعون . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٨٢) نسبه لابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/ ٢٤٥ - ٢٤٦) من طرق عنه قال : أولادُ الذين أرسل إليهم موسى ، من طول الزمان ، ومات آباؤهم .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/ ٢٤٦) من طريق سفيان ، عنه بنحو أثر مجاهد . ومعناها : أن

القوم قوم موسى ، منهم الذين أرسل إليهم موسى × .

(5) ينظر : النكت والعيون للماوردي (٢/ ٤٤٥) .

والزمخشري، والرازي، والقرطبي، والقسي، وأبو حيان، والسمن، والثعالبي، والبقاعي، وأبو السعود، والشوكاني، والقنوجي، والقاسمي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي، والطاهر بن عاشور<sup>(١)</sup>. وهو مفهوم كلام الزجاج<sup>(٢)</sup>. وقدمه البغوي، وابن الجوزي<sup>(٣)</sup>.

واستدلوا لهذا بعود الضمير على أقرب مذکور؛ «لأنه لم يجز في هذه الآية ذكر لغير موسى، فلأن تكون "الهاء" في قوله: ﴿مِنْ قَوْمِهِ﴾ من ذكر موسى لقربها من ذكره، أولى من أن تكون من ذكر فرعون؛ لبعده ذكره منها، إذ لم يكن بخلاف ذلك دليل من خبر ولا نظير»<sup>(٤)</sup>.

ولأن موسى هو المحدث عنه في هذه الآية. قاله أبو حيان<sup>(٥)</sup>.

ومما يدل على ذلك قوله: ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ﴾.

ووجهه: أن ضمير ﴿مِنْ قَوْمِهِ﴾ لو كان عائداً على فرعون لم يظهر لفظ فرعون، ولكان الكلام: على خوف منه<sup>(٦)</sup>. وضعف ابن عطية هذا القول بأنه لم يحفظ قط أن طائفة من بني إسرائيل كفرت به،

(1) ينظر: جامع البيان (٢٤٧/١٢)، وتفسير القرآن العزيز (٢٧٠/٢)، والوجيز (١/٥٠٥) والوسيط (٢/٥٥٦)، وتفسير القرآن (٢/٣٩٩)، والكشاف (٣/١٦٥)، ومفاتيح الغيب (٦/٢٨٩)، والجامع لأحكام القرآن (١١/٣١)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/٦٠٥)، والبحر المحييط (٥/١٨٤)، والدر المصون (٦/٢٥٤)، والجواهر الحسان (٢/١٠٧)، ونظم الدرر (٩/١٧٥)، وإرشاد العقل السليم (٢/٥٢٢)، وفتح القدير (٢/٦٥٢)، وفتح البيان (٦/١٠٨)، ومحاسن التأويل (٨/٣٣٨٦)، وتفسير القرآن الحكيم (١١/٣٩٦)، وتفسير المراغي (١١/١٤٥)، وتيسير الكريم الرحمان (٢/٣٣٧)، والتحرير والتنوير (١١/٢٥٨، ٢٥٩).

(2) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٠).

(3) ينظر: معالم التنزيل (٢/٣٧٣) — لكن بصيغة (قيل) وذكر قول مجاهد —، وزاد المسير (٤/٥٣) وتذكرة الأريب (١/٢٤٠).

(4) جامع البيان لابن جرير الطبري (١٢/٢٤٧).

(5) البحر المحييط (٥/١٨٤).

(6) المصدران السابقان.

فكيف تعطي هذه الآية أن الأقلّ منهم كان الذي آمن؟! (١) .  
وأجيب عن هذا بأنه لم تبلغ دعوته بقية قومه ، أو لم يؤمر بالتبليغ إليهم حينئذ .  
ويحتمل أن يكون بقية قومه آمنوا به بعد ذلك لما بلغتهم الدعوة . المقصود أن هذا لا يقتضي  
أن بقية قومه كفروا به (٢) . أو يكون المراد أنه ما أظهر وأعلن بإيمانه إلاّ ذرية من بني  
إسرائيل دون غيرهم فإنهم أخفوه ولم يظهره (٣) .

وأما القول الآخر بأن الضمير عائد على فرعون . أي : فما آمن لموسى إلاّ ذرية من قوم  
فرعون ، فهو قول رُوِيَ عن ابن عباس أيضاً (٤) .

وإليه ذهب ابن عطية، وابن كثير، والسيوطي، واستظهره الشهاب، وتبعه الألوسي (٥) .  
وذكره الزمخشري ، والبيضاوي ، وأبوحيان ، وأبوالسعود ، والسيد رضا بصيغة (قيل) (٦) .

واستدل لهذا القول بأن الكلام في قوم فرعون ؛ لأنهم القائلون إنه ساحر (٧) .  
ولأنه أراد بالذرية الأحداث والشباب ، والمعروف أن بني إسرائيل كلهم آمنوا بموسى ×  
واستبشروا به كما قال تعالى : ﴿ قَالُوا أَوْدِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا  
قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَهْلِكَ عِدْوَتِكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ  
كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٢٩] .

- (1) ينظر : المحرر الوجيز (٧/ ١٩٨) .
- (2) ينظر : التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (١١/ ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠) .
- (3) ينظر : حاشية الشهاب (٥٣/٥) ، وروح المعاني للألوسي (١١/ ١٦٨) .
- (4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٤٦/١٢) بالإسناد المسلسل بالعوفيين ، عنه قال : فإن الذرية التي  
آمنت لموسى ، من أناس غير بني إسرائيل ، من قوم فرعون يسيرون ؛ منهم امرأة فرعون ، ومؤمن آل فرعون ،  
وخازن فرعون ، وامرأة خازنه . ونسبه ابن الجوزي في زاد المسير (٥٣/٤) إلى ابن عباس من رواية أبي صالح عنه .
- (5) ينظر : المحرر الوجيز (٧/ ١٩٨) ، وتفسير القرآن العظيم (٧/ ٣٩٠) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية  
٤٠١/٣ ) ، وحاشية الشهاب (٥٣/٥) ، وروح المعاني (١١/ ١٦٨) .
- (6) ينظر : الكشف (٣/ ١٦٥) ، وأنوار التنزيل (٤٤٥/١) ، والبحر المحيط (٥/ ١٨٤) ، وإرشاد العقل السليم  
(٢٢/ ٥٢٢) وقال : وهو بعيد ، وتفسير القرآن الحكيم (١١/ ٣٩٦) .
- (7) ينظر : المحرر الوجيز (٧/ ١٩٨ - ١٩٩) ، وحاشية الشهاب (٥٣/٥) ، وروح المعاني (١١/ ١٦٨) .

والدليل على أنه لم يكن في بني إسرائيل إلا مؤمن قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يُقَوْمُ إِن كُنْتُمْ ءَامِنُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [ يونس : ٨٤ - ٨٦ ] .

قالوا : روي في هذا أمراة فرعون وخازنه وامراة خازنه وشباب من قومه (١) ، نقله ابن عطية عن ابن عباس (٢) .

ولفظ الذرية فيه نُبوُّ عن هذا (٣) .

قال الراغب : « والذرية أصلها : نسل الرجل . وقيل : الصغار من الأولاد ، وإن كان قد يقع على الصغار والكبار معاً في التعارف ، ويستعمل للواحد والجمع ، وأصله الجمع » (٤) .

وفسرها ابن عباس بالقليل (٥) ، وكذا الضحاك (٦) .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يُقَوْمُ إِن كُنْتُمْ ءَامِنُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴾ بعد قوله : ﴿ فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ الدلالة على أن الذرية من قوم موسى لا من قوم فرعون ، هذا الذي يظهر من السياق بعد التأمل . وفيه أيضاً إرشاد إلى اتباع قومه على الإيمان به ، والله أعلم .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأولى بالصواب في ذلك هو ما رجحه ابن جزيٍّ ومن وافقه، وهو عود الضمير على موسى ، فيكون المعنى : فما آمن لموسى إلا ذرية من بني إسرائيل ؛

(1) ينظر : تفسير القرآن العظيم (٧/ ٣٩٠ - ٣٩١) .

(2) لكنه بالإسناد المسلسل بالضعفاء ، وقد روى الوالي ، عن ابن عباس ما يخالف هذا ، وسبق تخريجه .

(3) ينظر : حاشية الشهاب (٥٣/٥) .

(4) مفردات ألفاظ القرآن ، مادة ( ذرو ) ( ٣٢٧ ) .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/ ٢٤٥) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٧٥) من طريق سعيد ، عن قتادة قال : كان ابن عباس يقول : الذرية : القليل .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/ ٢٤٥) من طريق عبيد بن سليمان ، عنه قال : الذرية : القليل ،

كما قال الله تعالى : ﴿ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴾ [ الأنعام : ١٣٣ ] .

لقوة أدلته ، وتأييده بالقاعدة الترجيحية : ( الأصل عود الضمير إلى أقرب مذكور ) <sup>(١)</sup> .  
والقاعدة الأخرى : ( إعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره ) <sup>(٢)</sup> . ودلالة  
السياق عليه أظهر من دلالتها على القول الآخر ، والله تعالى أعلم .

---

(1) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٦٢١) .

(2) المصدر السابق (٢/٦٠٣) .

### المسألة الثانية هي :

#### ١٤ - الخلاف في عايد ضمير ﴿وَمَلَأْنِيهِمْ﴾ في قوله تعالى :

#### ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَأْنِيهِمْ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « الضمير يعود على الذرية . أي : آمنت الذرية من بني إسرائيل على خوف من فرعون ومَلَأ من بني إسرائيل ؛ لأن الأكاير من بني إسرائيل كانوا يمنعون أولادهم من الإيمان خوفاً من فرعون . وقيل : يعود على فرعون بمعنى آل فرعون ، كما يقال : ربيعة ومضر ، أو لأنه ذو أصحاب يأتمرون له »<sup>(١)</sup> .

#### العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيِّ أن ضمير ﴿وَمَلَأْنِيهِمْ﴾ يعود على الذرية من بني إسرائيل . وهذا قول الأحنف<sup>(٢)</sup> . وإليه ذهب ابن جرير الطبري، والحازن، وأبوحيان، والثعالبي، والبقاعي، والمراغي، والطاهر بن عاشور<sup>(٣)</sup> . وهو مفهوم كلام ابن أبي زمنين، والواحدي، والسيد رشيد رضا<sup>(٤)</sup> . وقدمه العكبري<sup>(٥)</sup> . وجوّزه الزمخشري<sup>(٦)</sup> . وذكره بصيغة ( قيل ) ابن الجوزي ، والآلوسي<sup>(٧)</sup> . واختار ابن كثير عود الضمير على الذرية ولكن بمعنى أشرف قوم فرعون وهم الملاء ؛ لأن الذرية عنده هم من قوم فرعون<sup>(٨)</sup> .

قال ابن جرير الطبري : « وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي قول من قال : الهاء

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٩٧) .

(2) ينظر : معاني القرآن (٢/ ٣٤٧) .

(3) ينظر : جامع البيان (١٢/ ٢٤٩) ، ولباب التأويل (٢/ ٣٠٥) ، والبحر المحيط (٥/ ١٨٤) ، والجواهر الحسان (٢/ ١٠٧) ، ونظم الدرر (٩/ ١٧٦) ، وتفسير المراغي (١١/ ١٤٥) ، والتحرير والتنوير (١١/ ٢٦٠) .

(4) ينظر : تفسير القرآن العزيز (٢/ ٢٧٠) ، والوجيز (١/ ٥٠٥) ، وتفسير القرآن الحكيم (١١/ ٣٩٦) .

(5) ينظر : التبيان (٢/ ٦٨٣) .

(6) ينظر : الكشف (٣/ ٦٥) .

(7) ينظر : تذكرة الأريب (١/ ٢٤٠) ، وروح المعاني (١١/ ١٦٩) وقال : ولعل المنساق إلى الذهن رجوعه إلى الذرية، والجمع باعتبار المعنى ، ويؤول المعنى إلى أنهم آمنوا على خوف من فرعون ومن أشرف قومهم .

(8) ينظر : تفسير القرآن العظيم (٧/ ٣٩٠ - ٣٩١) .

والميم عائدتان على الذرية ، ووجه معنى الكلام إلى أنه : على خوفٍ من فرعون ، وملا الذرية ؛ لأنه كان في ذرية القرن الذين أرسل إليهم موسى من كان أبوه قبطياً وأمه إسرائيليةً ، فمن كان كذلك منهم كان مع فرعون على موسى»<sup>(١)</sup> .

وعلل هذا القول أبوحيان بأنهم كانوا يمتنعون أعقابهم خوفاً من فرعون على أنفسهم .

وقال : « ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ أَنْ يَفْنَهُمْ ﴾ أي : يعذبهم»<sup>(٢)</sup> .

وأما القول الآخر في ضمير ﴿ وَمَلَأْنَاهُمْ ﴾ وهو أنه يعود على فرعون بمعنى آل فرعون ، كما يقال : ربيعة ومضر ، أو لأنه ذو أصحاب يأتمرون له ، فهو مرؤي عن ابن زيد<sup>(٣)</sup> .

وإلى هذا ذهب مقاتل ، والفراء ، وابن قتيبة ، والزجاج ، والنحاس ، ومكي ، والسمعاني ، والزحشري ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والرازي ، والقرطبي ، والشوكاني ، والقنوجي<sup>(٤)</sup> . وقدمه وبدأ به البيضاوي ، والآلوسي<sup>(٥)</sup> .

وذكره الخازن ، والسيد محمد رشيد رضا بصيغة ( قيل )<sup>(٦)</sup> .

قال الفراء : « وإنما قال ﴿ وَمَلَأْنَاهُمْ ﴾ ، وفرعون واحد ؛ لأن الملك إذا ذُكِرَ بخوفٍ أو بسفرٍ أو قدومٍ من سفرٍ ذهب الوهمُ إليه وإلى من معه . ألا ترى أنك تقول : قدم الخليفة فكثر الناس ، تريد : بمن معه . وقدم فغلت الأسعار ؛ لأنك تنوي بقدمه قدوم من معه . وقد يكون أن تريد بفرعون : آل فرعون وتحذف الآل فيجوز كما قال : ﴿ وَسَلِّ

(1) جامع البيان (١٢ / ٢٤٩) .

(2) البحر المحيط (٥ / ١٨٤) وهو كتليل ابن جزي .

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦ / ١٩٧٥) رقم (١٠٥١٩) .

(4) ينظر : تفسير مقاتل (٢ / ٢٤٥) ، ومعاني القرآن (١ / ٤٧٦) ، وتأويل مشكل القرآن (٢٩٣) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٣ / ٣٠) ، ومعاني القرآن الكريم (٣ / ٣٠٩) وإعراب القرآن (٢ / ٢٦٥) ، ومشكل إعراب القرآن (١ / ٣٥٣) ، وتفسير القرآن (٢ / ٣٩٩) ، والكشاف (٣ / ١٦٥) ، والحرر الوجيز (٧ / ١٩٩-٢٠٠) ، وتذكرة الأريب (١ / ٢٤٠) ، ومفاتيح الغيب (٦ / ٢٨٩) ، والجامع لأحكام القرآن (١١ / ٣٢) ، وفتح القدير (٢ / ٦٥٢) ، وفتح البيان (٦ / ١٠٨) .

(5) ينظر : أنوار التنزيل (١ / ٤٤٥) ، وروح المعاني (١١ / ١٦٨) .

(6) ينظر : لباب التأويل (٢ / ٣٠٥) ، وتفسير القرآن الحكيم (١١ / ٣٩٦) .

الْقَرِيَّةَ ﴿ [ يوسف : ٨٢ ] تريد أهل القرية ، والله أعلم »<sup>(١)</sup> .

ورد ابن عطية تنظير الفراء بأن إسقاط المضاف في الآية سائغ بسبب ما يعقل من أن القرية لا تُسأل ، ففي الظاهر دليل على ما أضمر ، وأما ما هنا فالخوف من فرعون متمكّن لا يحتاج معه إلى إضمار<sup>(٢)</sup> .

وأما تقديره بآل فرعون فغلطه العكبري معللاً ذلك بأن المحذوف لا يعود إليه ضمير ؛ إذ لو جاز ذلك لجاز أن تقول : زيدٌ قاموا ، وأنت تريد : غلمانٌ زيد قاموا<sup>(٣)</sup> . قال ابن كثير : « ومن قال إن الضمير يعود إلى فرعون وعظم الملك لأجل أتباعه أو على معنى آل فرعون ... فقد أبعد »<sup>(٤)</sup> .

وذكر النحاس ستة أجوبة في ذكر الضمير بالجمع دون إفراده وهي :

١- أن فرعون لما كان جباراً خبر عنه بفعل الجميع .  
٢- أن فرعون لما ذكر عُلمَ أن معه غيره فعاد الضمير عليه وعليهم . وهذا أحد جوابي الفراء.

٣- أن تكون الجماعة سميت بفرعون مثل ثمود .

٤- التقدير : على خوف من آل فرعون . وهذا جواب الفراء الآخر ، وهو خطأ على مذهب الخليل وسيبويه لا يجوز عندهما : قامت هند وأنت تريد غلامها<sup>(٥)</sup> .

٥- أن يكون الضمير يعود على الذرية . أي : وملا الذرية . وهذا مذهب الأخفش .

٦- أن يكون الضمير يعود على قومه . وكأنه أبين الأجوبة<sup>(٦)</sup> . [ أي : وملا قوم فرعون ] .

(1) معاني القرآن (٤٧٦/١ - ٤٧٧) . وينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٥٣) .

(2) الحرر الوجيز (٧/ ٢٠٠) . وينظر : البحر المحيط لأبي حيان (٥/ ١٨٤) ، والدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٥٥ - ٢٥٦) .

(3) التبيان (٢/ ٦٨٣) .

(4) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٣٩١) بتصرف يسير .

(5) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرمان (١/ ٤٩١) .

(6) ينظر : معاني القرآن للنحاس (٣/ ٣٠٩) ، ومشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٣٥٣) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٣٢) .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن هذه المسألة - والله أعلم - مبنية على المسألة السابقة ،  
وعليه فإن الأظهر هو عود الضمير على الذرية من بني إسرائيل ؛ لأن الأكابر والأشراف من  
بني إسرائيل كانوا يمنعون أولادهم من الإيمان خوفاً من فرعون على أنفسهم أن يعذبهم ؛  
لأنه كان عالياً في الأرض جباراً وكان من المسرفين . وهذا هو ما رجّحه ابن جُزَيِّ ، والله  
تعالى أعلم بالصواب .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بَيْوتًا وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾

في هذه الآية الكريمة مسألتان :

المسألة الأولى هي :

١٥- الخلاف في معنى ﴿ قِبْلَةً ﴾ من قوله تعالى : ﴿ وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « أي : مساجد . وقيل : موجَّهَةً إلى جهة القبلة »<sup>(١)</sup> .

العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ أن المراد بالقبلة هو المساجد ، أي : اجعلوا بيوتكم مساجد . ووافق في هذا ما رُوِيَ عن ابن عباس<sup>(٢)</sup> ، ومجاهد<sup>(٣)</sup> ، والنخعي<sup>(٤)</sup> ، وزيد بن أسلم<sup>(٥)</sup> ، وأبي مالك<sup>(٦)</sup> ، والربيع بن أنس<sup>(٧)</sup> ، وقتادة<sup>(٨)</sup> . ونسب إلى الضحاك ، وابن زيد<sup>(٩)</sup> .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل ( ٢ / ٩٨ ) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٥٥/١٢ ، ٢٥٦ ) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٧٧/٦) رقم (١٠٥٢٩) من طريق عكرمة ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٨٣/٤) نسبه إلى الفريابي ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٥٦/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٧٧/٦) رقم (١٠٥٣١) من طريق ابن أبي نجیح ، وليث ، عنه قال : كانوا لا يصلون إلا في البيع ، و كانوا لا يصلون إلا خائفين ، فأمرُوا أن يصلوا في بيوتهم . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٨٣/٤) نسبه إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٥٥ / ١٢ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧) وابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٧٧/٦) رقم (١٠٥٣٠) ، وأبو نعيم في الحلية (٢٣١/٤) قال : كانوا خائفين فأمرُوا أن يصلوا في بيوتهم .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٥٧/١٢) من طريق ابن زيد ، عنه .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٥٦/١٢) من طريق السدي ، عنه . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٧٧/٦) عقب الأثر (١٠٥٣١) معلقاً عنه .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٥٦/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٧٧/٦) من طريق أبي جعفر ، عنه .

(8) ذكره معلقاً ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٧٧/٦) عقب الأثر (١٠٥٣١) .

(9) ينظر : النكت والعيون للماوردي (٤٤٧/٢) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٥٤/٤) .

وذهب إليه ابن جرير الطبري ، ومكي ، والواحدي ، والسمعاني ، والكرماني ،  
والبغوي ونسبه إلى أكثر المفسرين ، وابن عطية ، ومحمود النيسابوري ، وابن الجوزي ،  
والبيضاوي ، وأبو حيان ، والبلنسي ، والبقاعي ، والسيوطي ، وأبو السعود ، والآلوسي ،  
والقاسمي ، والسعدي <sup>(١)</sup> .

وذكره الزجاج ، والقرطبي ، والقمي ، وابن التركماني بصيغة ( قيل ) <sup>(٢)</sup> .  
ومعنى هذا القول : صلّوا في بيوتكم ؛ لتأمنوا من الخوف ؛ لأنهم آمنوا على خوف من  
فرعون . قاله الزجاج <sup>(٣)</sup> وهو معنى ما روي عن ابن عباس وغيره .

ودليله : الاستعمال الأغلب في كلام العرب للقبلة في قبل المساجد وللصلوات .  
قال ابن جرير الطبري : « الأغلب من معاني البيوت - وإن كانت المساجد بيوتاً -  
البيوت المسكونة إذا ذكرت باسمها المطلق ، دون المساجد ... وكذلك القبلة ، الأغلب من  
استعمال الناس إيها في قبل المساجد وللصلوات . فإذا كان ذلك كذلك ، وكان غير جائر  
توجيه معاني كلام الله إلا إلى الأغلب من وجوها ، المستعمل بين أهل اللسان الذي نزل به  
دون الخفيّ المجهول ، ما لم تأت دلالة تدل على غير ذلك ، ولم يكن على قوله :  
﴿ وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبَلَةً ﴾ دلالة تقطع العذر بأن معناه غير الظاهر المستعمل في  
كلام العرب ، لم يجوز لنا توجيهه إلى غير الظاهر الذي وصفنا ، وكذلك القول في قوله :  
﴿ قِبَلَةً ﴾ » <sup>(٤)</sup> .

(1) ينظر : جامع البيان (٢٥٤/١٢) ، وتفسير المشكل (١٩٤) ، والوجيز (٥٠٦/١) ، والوسيط (٥٥٦/٢) ،  
وتفسير القرآن (٤٠٠/٢) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (٤٩٢/١) ، ومعالم التنزيل (٣٧٥ - ٣٧٤/٢) ،  
والحرر الوجيز (٢٠٤/٧) ، وإيجاز البيان (٣٢٢/١) ، ووضح البرهان (٤٢٥/١) ، وتذكرة الأريب (٢٤١/١) ،  
وأنوار التنزيل (٤٤٥/١) ، والبحر المحيط (١٨٦/٥) ، وتفسير مبهمات القرآن (١٦/٢) ، ونظم الدرر  
(٧٨/٩) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٤٠٣/٣) ، وإرشاد العقل السليم (٥٢٣/٢) ، وروح المعاني  
(١٧١/١١) ، ومحاسن التأويل (٣٣٨٨/٨) ، وتيسير الكريم الرحمان (٣٣٨/٢) .

(2) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٣٠/٣) ، والجامع لأحكام القرآن (٣٥/١١) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان  
(٦٠٦/٣) ، وبهجة الأريب (٢٦١/١) .

(3) معاني القرآن وإعرابه (٣٠/٣) .

(4) جامع البيان (٢٦٠ / ١٢) .

وأما القول الآخر في معنى قوله : ﴿ وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ وهو أن المعنى : مُوجَّهَةً إلى جهة القبلة ، فهو قولُ رُوِيَ عن ابن عباس <sup>(١)</sup> ، ومجاهد <sup>(٢)</sup> ، والضحاك <sup>(٣)</sup> ، وقتادة <sup>(٤)</sup> . وعليه مقاتل ، والفراء ، والزجاج ، وابن الأنباري ، وابن التركماني ، والطاهر ابن عاشور <sup>(٥)</sup> .

وذكره مكّي ، وابن عطية ، والقرطبي ، والشوكاني ، والقنوجي بصيغة (قيل) <sup>(٦)</sup> . قال الطاهر بن عاشور : « والقبلة : اسم في العربية لجهة الكعبة . وتلك الجهة هي ما بين المشرق والمغرب ؛ لأن قبلة بلاد مصر كقبلة المدينة ما بين المشرق والمغرب وهي الجنوب ، فيجوز أن يكون التعبير عن تلك الجهة بالقبلة في الآية حكاية لتعبير موسى عنها بما يدل على معنى التوجّه إلى الجهة التي يُصلّون إليها ، وهي قبلة إبراهيم ، فيكون أمرُ بني إسرائيل يومئذ جارياً على الملة الحنيفية قبل أن تنسخ بالاستقبال إلى صخرة القدس . ويجوز

- (1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٥٧/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٧٧/٦) رقم (١٠٥٣٣) من طريق ابن أبي ليلى ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عنه قال : يعني الكعبة . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٥٧/١٢ - ٢٥٨) عنه بالإسناد المسلسل بالعوفيين . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٥٨/١٢) من طريق ابن جريج ، عن مجاهد ، عنه قال : يقول : وجهوا بيوتكم مساجدكم نحو القبلة . ألا ترى أنه يقول : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَدْنَى اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ ﴾ [النور : ٣٦] . ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٣٨٣/٤) إلى ابن مردويه عنه قال : قبل الكعبة ، وذكر أن آدم × فمن بعده كانوا يصلون قبل الكعبة .
- (2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٥٨/١٢) من طريق إسرائيل ، عن أبي يحيى ، ومن طريق حجاج ، عن ابن جريج كلاهما عن مجاهد قال : قبل الكعبة . وذكره معلقاً ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٧٧/٦) عقب الأثر (١٠٥٣٣) .
- (3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٥٩/١٢) من طريق أبي سفيان ، عنه . وذكره معلقاً ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٧٧/٦) عقب الأثر (١٠٥٣٣) .
- (4) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٩٧/٢) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٥٩/١٢) من طريق معمر ، عنه قال : نحو القبلة . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٨٣/٤) إلى أبي الشيخ .
- (5) ينظر : تفسير مقاتل (٢٤٦/٢) ، ومعاني القرآن (٤٧٧/١) ، ومعاني القرآن وإعراجه (٣٠/٣) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٥٥/٤) ، وبهجة الأريب (٢٦١/١) ، والتحريير والتنوير (٢٦٦/١١) .
- (6) ينظر : تفسير المشكل (١٩٤) ، والمحرم الوجيز (٢٠٤/٧) ، والجامع لأحكام القرآن (٣٥/١١) ، وفتح القدير (٦٥٣/٢) ، وفتح البيان (١١٠/٦) .

أن يكون موسى قد عبّر بما يفيد معنى الجنوب فحكيت عبارته في القرآن باللفظ المرادف له الشائع في التعبير عن الجنوب عند العرب وهو كلمة قبة . والذين فسّروا البيوت بأنها بيوت السكنى فسّروا القبلة : إما بمعنى متقابلة ، وإما بمعنى اجعلوا بيوتكم محلّ صلاتكم ، وكلا التفسيرين بعيد عن الاستعمال . وأما الذين تأولوا البيوت بالمساجد فقد فسّروا القبلة بأنها قبة الصلاة، أي : جهة الكعبة . قال ابن عباس : كانت الكعبة قبة موسى . وعن الحسن : كانت الكعبة قبة كل الأنبياء . وهذا التفسير يلائم تركيب ﴿وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ ؛ لأن التركيب اقتضى المفعول قبة هو البيوت أنفسها لا أن تجعل الصلاة فيها إلى جهة القبلة فإذا افتقدنا التاويلات كلّها لا نجد لها إلاّ مفككة متعسّفة خلا التفسير الذي عولنا عليه ، وقد اختلفوا فيه فهدانا الله إليه «<sup>(١)</sup> .

واستظهر ابن العربي أن المراد بالقبلة بيت المقدس ، أمروا أن يستقبلوها حيثما كانوا ، وقد كانت مدة من الزمان قبلة ، ثم نسخ ذلك حسبما في سورة البقرة . وقال عنه : « وهو أظهر القولين ؛ لأن الثاني دعوى »<sup>(٢)</sup> . وتبعه القرطبي ، والشوكاني ، والقنوجي<sup>(٣)</sup> . وذكرهما بصيغة ( قيل ) الخازن وقال : « وظاهر القرآن لا يدل على تعيينها »<sup>(٤)</sup> . وقال الشهاب : « التوجه إلى الكعبة خلاف المشهور »<sup>(٥)</sup> .

وأما تفسير ﴿قِبْلَةً﴾ بأنها متقابلة يقابل بعضها بعضاً ، فروي عن ابن عباس<sup>(٦)</sup> ، وسعيد بن جبير<sup>(٧)</sup> . وعليه السيد محمد رشيد رضا ، والمراغي<sup>(٨)</sup> .

(1) التحرير والتنوير (١١/٢٦٦) .

(2) أحكام القرآن (٣/١٠٥٥) .

(3) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (١١/٣٥) ، وفتح القدير (٢/٦٥٣) ، وفتح البيان (٦/١١٠) .

(4) لباب التأويل (٢/٣٠٥) .

(5) حاشية الشهاب (٥/٥٥) .

(6) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/١٩٧٧) رقم (١٠٥٣٢) من طريق عطاء السائب ، عن سعيد ، عنه قال : يقابل بعضها بعضاً .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/٢٦٠) من طريق عطاء ، عنه .

(8) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (١١/٣٩٨) ، وتفسير المراغي (١١/١٤٦) .

ولمجاهد قولٌ يشمل تفسير "القبلة" بأنها المساجدُ مستقبلةً الكعبة<sup>(١)</sup> .  
 وعليه ابن أبي زمنين، والزخشي، والنسفي، وقدمه القمي<sup>(٢)</sup> .  
 وذكرهما البيضاوي، والثعالبي، وأبو السعود، والآلوسي بصيغة ( قيل )<sup>(٣)</sup> .  
 وبعد، فإذا تقرر هذا فإن أقرب الأقوال إلى الصواب في تفسير ﴿ قِبْلَةً ﴾ هو ما  
 رجّحه ابن جزيّ ومن وافقه ؛ لأن الاستعمال لكلمة قبلة يدل عليه ، وليس كما قال الطاهر  
 ابن عاشور .

وأما القول بأن المراد بها جهة الكعبة فهو خلاف ظاهر القرآن . والقول الآخر بأن  
 المراد بها جهة بيت المقدس لا دليل عليه .  
 وأما تفسيرها بأنها متقابلة في جهة واحدة يعني البيوت ، فهو قول لا معنى له وإن  
 كانت اللغة تساعد عليه ؛ لأن القبلة في الأصل : اسمٌ للحالة التي عليها المقابل نحو : الجلسة  
 والقعدة<sup>(٤)</sup> .

والأولى أن تفسّر البيوت بالبيوت المعروفة وهي بيوت السكنى ، وأن يُصَلَّى فيها ؛  
 لقوله بعدها : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ .

ويؤيد هذا القاعدة الترجيحية : (يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام  
 العرب)<sup>(٥)</sup> . والقاعدة الأخرى : (إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى ممن الخروج  
 به عن ذلك)<sup>(٦)</sup> . (ولا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلاّ بدليل)<sup>(٧)</sup> ، والله تعالى أعلم .

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٥٨/١٢) من طريق ابن جريح ، ومن طريق ابن أبي نجيح ، عنه قال:  
 حين خاف موسى ومن معه من فرعون أن يصلوا في الكنائس الجامعة ، فأمروا أن يجعلوا في بيوتهم مساجد  
 مستقبلةً الكعبة يصلون فيها سرًا .

(2) ينظر : تفسير القرآن العزيز (٢٧١/٢) ، والكشاف (١٦٦/٣) ، ومدارك التنزيل (١٧٣/٢) ، وغرائب القرآن  
 وغرائب الفرقان (٦٠٦/٣) .

(3) ينظر : أنوار التنزيل (٤٤٥/١) ، والجواهر الحسان (١٠٩/٢) ، وإرشاد العقل السليم (٥٢٣/٢) ، وروح المعاني  
 (١٧١ /١١) .

(4) قاله الراغب في مفرداته : ( قبل ) ( ٦٥٤ ) .

(5) قواعد الترجيح عند المفسرين (٣٦٩ /٢) .

(6) المصدر السابق (١٢٥ /١) .

(7) المصدر السابق (١٣٧ /١) .

### المسألة الثانية هي :

١٦- لمن الأمر بالتبشير في قوله تعالى : ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « أمرُ لموسى × . وقيل : لمحمد > » (١) .

### العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيِّ أن الأمر في قوله تعالى : ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ هو أمرُ لموسى × . وعلى هذا جمهور المفسرين منهم : الزمخشري ، وابن عطية ، والعكبري ، والرازي ، والقرطبي وقال : وهو أظهر ، والبيضاوي ، والنسفي ، والحازن ، والقمي ، وأبوحيان ، وابن القيم ، والسمين ، والثعالبي ، والبقاعي ، وأبوالسعود ، والشوكاني ، والقنوجي ، والسيد محمد رشيد رضا ، والمراغبي ، والطاهر بن عاشور (٢) . وهو مفهوم كلام ابن كثير ، والآلوسي ، والسعدي (٣) .

ويُستدلُّ له بأن المؤمنين هم قوم موسى الذين ذكروا في قوله تعالى : ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ﴾ [يونس : ٨٣] وفي قوله : ﴿إِن كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ (٨٤) فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا (٤) [يونس : ٨٤ - ٨٥] .  
وأُفردَ موسى بالتبشير ؛ لأن أخاه تبعُّ له أو لأنه لما كان فعلُ البشارة شريفاً خصَّ به موسى ؛ لأنه الأصل . قاله السمين (٥) .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٩٨) .

(2) ينظر : الكشاف (٣/ ١٦٦) ، والمحزر الوجيز (٧/ ٢٠٤) ، والتبيان (٢/ ٦٨٤) ، ومفاتيح الغيب (٦/ ٢٩١) ، والجامع لأحكام القرآن (١١/ ٣٨) ، وأنوار التنزيل (١/ ٤٤٥) ، ومدارك التنزيل (٢/ ١٧٣) ، ولباب التاويل (٢/ ٣٠٦) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٦٠٦) ، والبحر المحيط (٥/ ١٨٦) ، وبدائع التفسير (٢/ ٤١٠) ، والدر المصون (٦/ ٢٥٩) ، والجواهر الحسان (٢/ ١٠٩) ، ونظم الدرر (٩/ ٧٨) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٥٢٤) ، وفتح القدير (٢/ ٦٥٣) ، وفتح البيان (٦/ ١١١) ، وتفسير القرآن الحكيم (١١/ ٣٩٨) ، وتفسير المراغي (١١/ ١٤٦) ، والتحرير والتنوير (١١/ ٢٦٧) .

(3) ينظر : تفسير القرآن العظيم (٧/ ٣٩٢) ، وروح المعاني (١١/ ١٧٢) ، وتيسير الكريم الرحمان (٢/ ٣٣٨) .

(4) ينظر : التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (١١/ ٢٦٧) .

(5) الدر المصون (٦/ ٢٥٩) .

وأما القول الآخر بأن الأمر بالتبشير هو لمحمد < ، فعليه ابن جرير الطبري ، والبغوي ، ومكي - على ما نسبه إليه ابن عطية والثعالبي - ، وابن الجوزي <sup>(١)</sup> .  
 وذكره القرطبي ، والشوكاني بصيغة ( قيل ) <sup>(٢)</sup> وقال الأخير : « وهذا على طريقة الالتفات والاعتراض ، والأول أولى » .  
 وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن الراجح هو ما رجّحه ابن جزيّ ومن وافقه ، وهو أن الأمر في قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ هو لموسى × ؛ لدلالة السياق عليه <sup>(٣)</sup> ، والله تعالى أعلم .

- 
- (1) ينظر : جامع البيان (٢٦٠/١٢) ، ومعالم التنزيل (٣٧٥/٢) ، والمحزر الوجيز (٢٠٤/٧) ، والجواهر الحسان (١٠٩/٢) ، وزاد المسير (٥٥/٤) .  
 (2) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (٣٨ / ١) ، وفتح القدير (٦٥٣/٢) .  
 (3) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (١٢٥/١) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَنِ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ (٨٨)

١٧- الخلاف في معنى "اللام" التي في قوله تعالى : ﴿ لِيُضِلُّوهُ عَنِ سَبِيلِكَ ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « ﴿ رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَنِ سَبِيلِكَ ﴾ دعاء بلفظ الأمر .  
وقيل : اللام لام كَيِّ ، وتتعلق بقوله : ﴿ آتَيْتَ ﴾ « (١) .  
العرض والمناقشة :

في قوله تعالى : ﴿ لِيُضِلُّوهُ ﴾ قراءتان :  
الأولى : بضم الياء ، وهي قراءة عاصم ، وحمزة ، والكسائي . أي : لِيُضِلُّوا النَّاسَ عَنِ سَبِيلِكَ ، ويصدُّوهم عن دينك .  
والأخرى : بفتح الياء ، وهي قراءة ابن كثير ، ونافع ، وأبي عمرو ، وابن عامر . أي : لِيُضِلُّوْهُمُ عَنِ سَبِيلِكَ ، فيجوروا عن طريق الهدى (٢) .  
وعلى قراءة الفتح يحمل كلام ابن جُزَيِّ هنا حيث جعل اللام لام الأمر ( لِيُضِلُّوا كَذَا ) فيكون أمراً ، والمقصود به الدعاء عليهم بالضلال فقال : دعاء بلفظ الأمر . ولعلَّ فيما يُروى عن السدِّي ما يشير إلى هذا المعنى .  
قال السدِّي : « خرج موسى عليه الصلاة والسلام ببني إسرائيل ليلاً والقبط يعلمون ، وقد دعوا قبل ذلك على القبط ، فقال موسى : ربنا لِيُضِلُّوْهُ عَنِ سَبِيلِكَ » (٣) .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٩٨) .

(2) ينظر : السبعة لابن مجاهد (٢٦٧) ، والتيسير في القراءات السبع (١٠٠) ، والكشف عن وجوه القراءات (٤٤٩/١) ، وجامع البيان لابن جرير الطبري (٢٦١/١٢) ، والحرر الوجيز لابن عطية (٢٠٥/٧) . قال الطاهر بن عاشور : والمعنى الحاصل من القرائتين متحد... (٢٧٠/١١) .

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٧٨/٦) رقم (١٠٥٣٧) من طريق أسباط ، عنه .

وقال ابن عطية، وأبو حيان، والسمين : « ورُوِيَ عن الحسن أنه قال : هو دعاء »<sup>(١)</sup> .  
 وذكره ابن الجوزي ، والخازن عن ابن الأنباري أنها لام الدعاء والمعنى : ربنا ابتلاهم  
 بالضلال عن سبيلك أو ربنا إنك ابتليتهم بالضلال عن سبيلك<sup>(٢)</sup> .  
 قال الخازن : « لام الأمر هي لام مكسورة تجزم المستقبل ، ويفتح بها الكلام » .  
 وعلى هذا القول ابن أبي زمنين حيث قال : « هذا دعاء عليهم ؛ يقول : ربنا فأصلهم  
 عن سبيلك . وهذا حين جاء وقت عذابهم »<sup>(٣)</sup> .  
 ونصَّ عليه الزمخشري وبدأ به<sup>(٤)</sup> ، وقدمه البيضاوي<sup>(٥)</sup> ، وقال به أبو السعود<sup>(٦)</sup> .  
 يقول الآلوسي عن هذا القول : « وهو لدى المنصف خلاف الظاهر »<sup>(٧)</sup> .  
 واستغربه الكرمانى<sup>(٨)</sup> .  
 ويقول الطاهر بن عاشور : « وهو أبعده الوجوه وأثقلها »<sup>(٩)</sup> .  
 وقال أبو حيان : « ويُعَدُّ أن يكون دعاءً قراءةً من قرأ ﴿ لِيُضِلُّوا ﴾ - بضم الياء -  
 إذ يُعَدُّ أن يدعو بأن يكونوا مضلِّين غيرهم »<sup>(١٠)</sup> .  
 والقول بأن اللام لام الأمر على وجه الدعاء عليهم ، هو قول المعتزلة .  
 قال ابن المنير : « وهذا [ يعني : قول الزمخشري : هو دعاء عليهم بلفظ الأمر ] من

(1) ينظر : المحرر الوجيز (٢٠٥/٧) ، والبحر المحيط (١٨٦/٥) ، والدر المصون (٢٦٠/٦) .

(2) ينظر : زاد المسير (٥٦/٤) ، ولباب التأويل (٣٠٦/٢) .

(3) تفسير القرآن العزيز (٢٧١/٢) .

(4) ينظر : الكشاف (١٦٧/٣) . وينظر أيضاً : البحر المحيط لأبي حيان (١٨٦/٥) ، والدر المصون للسمين

(٢٦٠/٦) . قال الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير (٢٦٩/١١) : واقتصر عليه في الكشاف . وهذا غريب

من الطاهر ؛ لأن الزمخشري إنما بدأ به وقدمه ، وذكر القول الآخر في اللام أنها للتعليل .

(5) ينظر : أنوار التنزيل (٤٤٦/١) . قال الشهاب في حاشيته (٥٥/٥) : وقدّم الدعاء على غيره إشارةً لترجيحه

كما في الكشاف . وقد قال في الانتصاف : إنه اعتزال أدق من ديب النمل ...

(6) ينظر : إرشاد العقل السليم (٥٢٤/٢) .

(7) روح المعاني (١٧٣/١١) .

(8) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (٤٩٢/١) .

(9) التحرير والتنوير (٢٦٩/١١) .

(10) البحر المحيط (١٨٦/٥) . ينظر : الدر المصون للسمين (٢٦٠/٦) .

اعتزاله الخفيّ الذي هو أدقّ من ديب النمل ، يكاد الاطلاع عليه أن يكون كشفًا . ووجه ذلك : أنه لما علم أن الظاهر بل والباطن أن اللام للتعليل ، وأن الفعل منصوب بها ، ومعنى ذلك : إخبار موسى ✕ بأن الله إنما أمدهم بالزينة والأموال وما يتبعهما من النعم استدراجًا ليزدادوا إثماً وضلالةً ، كما أخبر تعالى عن أمثالهم بقوله : ﴿ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ﴾ [ آل عمران : ١٧٨ ] وهذا المعنى منتظم على جعل اللام للتعليل . والزمخشري بنى على القاعدة الفاسدة في استحالة ذلك على الله تعالى ؛ لاعتقاده أن من الجور أن يملي لهم في الضلالة ويعاقبهم عليها ، فهو مبتل لما يرد من الآيات بعمل الحيلة في تأويلها وردّها إلى معتقده وجعلها تبعًا له ، كما تقدم له في تأويل قوله : ﴿ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ﴾ . وكأين من آية غراء رام أن يستر غرّتها ويطفئ نورها بأمثال هذه التأويلات الرديئة لفظًا وعقدًا ، ويأبي الله إلا أن يتم نوره ، ثم لا يسعه إلا أن يحمل موسى ✕ على أمثال هذه المعتقدات ، ولقد برّاه الله وكان عند الله وجيهاً»<sup>(١)</sup> .

قال الشهاب : « ودفع هذا كّله بأنه لم يحنح إلى ما قصده الزمخشريّ ؛ لأنه ليس من منطوقه ، ولكل امرئ ما نوى »<sup>(٢)</sup> .

وأما القول الآخر في لام ﴿ لِيُضِلُّوا ﴾ وهو أنها لام كَيْ ، وتتعلّق بقوله : ﴿ ءَأَتَيْتَ ﴾ فهو اختيار الفراء ، وابن جرير الطبري ، والواحدي ، والرازي ، والنسفي ، والقمي ، وأبوحيان ، وابن كثير ، والثعالبي ، والشهاب ، والآلوسي<sup>(٣)</sup> .

(1) الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال ، مطبوع بهامش الكشاف للزمخشري (٣ / ١٦٧) . وينظر : التمييز لما أودعه الزمخشري من الاعتزال في تفسير الكتاب العزيز لأبي علي السكوني (٣ / ٣٢١) ، والمسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف لصالح الغامدي (١ / ٥٥٤ ، ٥٥٧) . ومع كون ما ذهب إليه ابن المنير حقًا إلا أنه وقع في التناقض ؛ لأن الأشاعرة — الذين ينتحل ابن المنير طريقتهم — ينفون لام التعليل الحقيقي في أفعال الله تعالى !!

(2) حاشية الشهاب (٥ / ٥٥) .

(3) ينظر : معاني القرآن (١ / ٤٧٧) ، وجامع البيان (١٢ / ٢٦٣) ، ومعاني القرآن الكريم (٣ / ٣١١) ، وإعراب القرآن (٢ / ٢٦٦) ، والوجيز (١ / ٥٠٦) والوسيط (٢ / ٥٥٧) ، ومفاتيح الغيب (٦ / ٢٩٢) ، ومدارك التنزيل (٢ / ١٧٣) - (١٧٤) ، وغرائب القرآن (٣ / ٦٠٦) ونسبه القمي للأشاعرة ، والبحر المحيظ (٥ / ١٨٦) ، وتفسير القرآن العظيم (٧ / ٣٩٣) ، والجواهر الحسان (٢ / ١٠٩) ، وحاشية الشهاب (٥ / ٥٦) ، وروح المعاني (١١ / ١٧٢) .

وهو مفهوم كلام البقاعي ، والسعدي <sup>(١)</sup> . وقدمه ابن الجوزي ، والسمين <sup>(٢)</sup> .  
واحتمله ابن عطية ، والبيضاوي <sup>(٣)</sup> .

وذكره الزمخشري بقوله : « وقد حُمِلت اللام في ﴿ لِيُضِلُّوا ﴾ على التعليل ، على أنهم جعلوا نعمة الله سبباً في الضلال ، فكأنهم أوتوها ليضلوا » <sup>(٤)</sup> .  
وعده الطاهر بن عاشور وجهاً ضعيفاً <sup>(٥)</sup> .

وذكره الكرمانى ، والبغوي ، والقرطبي ، وأبو السعود بصيغة ( قيل ) <sup>(٦)</sup> .  
قال ابن جرير الطبري : « والصواب من القول في ذلك عندي أنها لامٌ كي ، ومعنى الكلام : ربنا أعطيتهم من زينة الحياة الدنيا والأموال لتفتنهم فيه ، ويُضِلُّوا عن سبيلك عبادك عقوبةً منك ، وهذا كما قال جل ثناؤه : ﴿ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا ۗ لِنَفِّنَهُمْ فِيهِ ﴾ » <sup>(٧)</sup>  
[الجن : ١٦-١٧] .

وقال البيضاوي : « لأن إيتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ، ولأنهم لما جعلوها سبباً للضلال فكأنهم أوتوها ليضلوا » <sup>(٨)</sup> .

واختار الأخفش ، والزجاج ، والنحاس ، والسمعاني ونسبه لأهل التفسير ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، والقرشي اليماني ، والشوكاني ، والقنوجي ، والقاسمي ، والسيد محمد رشيد رضا ، والمراعي ، والطاهر بن عاشور ، أنها لام العاقبة والصيرورة <sup>(٩)</sup> .

(1) ينظر : نظم الدر (١٧٩/٩ - ١٨٠) ، وتيسير الكريم الرحمان (٣٣٩/٢) .

(2) ينظر : زاد المسير (٥٥ / ٤) ، والدر المصون (٢٥٩ / ٦) .

(3) ينظر : المحرر الوجيز (٢٠٥/٧) ، وأنوار التنزيل (٤٤٦ / ١) .

(4) الكشاف (١٦٧ / ٣) .

(5) ينظر : التحرير والتنوير (٢٦٩/١١) وذكره الطاهر ضمن خمسة وجوهٍ للمفسرين قال بعدها : وهي وجوه ضعيفة متفاوتة الضعف فلا نطيل بتقريرها .

(6) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (٤٩٢/١) ، ومعالم التنزيل (٣٧٥/٢) ، والجامع لأحكام القرآن (٣٨/١١) ، وإرشاد العقل السليم (٥٢٤/٢) .

(7) جامع البيان (٢٦٣ / ١٢) .

(8) أنوار التنزيل (٤٤٦ / ١) .

(9) ينظر : معاني القرآن (٣٤٧/٢) ، ومعاني القرآن وإعراجه (٣٠/٣) ، ومعاني القرآن الكريم (٣١٠-٣١١) ، وإعراب القرآن (٢٦٦/٢) ، وتفسير القرآن (٤٠١/٢) ، وتذكرة الأريب (٢٤١/١) ، والجامع لأحكام القرآن

وهو قول الخليل، وسيبويه<sup>(١)</sup> . واحتمله ابن عطية ، وأبو حيان ، والثعالبي<sup>(٢)</sup> .  
 وذكره الكرماني ، والبغوي ، والبيضاوي ، وأبو السعود بصيغة ( قيل )<sup>(٣)</sup> .

والمعنى : آتيتهم ذلك فصار أمرهم إلى كذا ، كما قال تعالى : ﴿ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا  
 وَحَزَنًا ﴾ [ القصص : ٨ ] فهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوًّا وحزنًا ، إنما لقطوه فكان لهم  
 كذلك<sup>(٤)</sup> .

ومنه قول الشاعر :

لِدُوا لِلْمَوْتِ وَاِبْنُوا لِلْخِرَابِ<sup>(٥)</sup>

وقول الآخر :

وَلِلْمَنَايَا تُرَبِّي كُلُّ مُرْضِعَةٍ  
 وَلِلْخِرَابِ يُجَدُّ النَّاسُ عِمْرَانَا  
 أراد : عاقبة الأمر ومصيره إلى ذلك<sup>(٦)</sup> .

قال الطاهر بن عاشور : « وقد تردد المفسرون في محلّ اللام في قوله : ﴿ لِيُضِلُّوا عَنْ  
 سَبِيلِكَ ﴾ . والذي سلكه أهل التدقيق منهم أن اللام لام العاقبة . وتُقِلُّ ذلك عن نحاة  
 البصرة : الخليل ، وسيبويه ، والأخفش ، وأصحابهما ، على نحو اللام في قوله تعالى :

(٣٨/١١) ، والترجمان عن غريب القرآن (٦٤) ، وفتح القدير (٦٥٥/٢) ، وفتح البيان (١١٢/٦) ، ومحاسن  
 التأويل (٣٣٨٩/٨) ، وتفسير القرآن الحكيم (٣٩٩/١١) ، وتفسير المراغي (١٤٨/١١) ، والتحرير والتنوير  
 (٢٦٨/١١) .

(1) ينظر : إعراب القرآن للنحاس (٢٦٦/٢) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٨/١١) ، والتحرير والتنوير  
 للطاهر بن عاشور (٢٦٨/١١) .

(2) ينظر : المحرر الوجيز (٢٠٥/٧) ، والبحر المحيظ (١٨٦/٥) ، والجواهر الحسان (١٠٩/٢) .

(3) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (٤٩٢/١) ، ومعالم التنزيل (٣٧٥/٢) ، وأنوار التنزيل (٤٤٦/١) ،  
 وإرشاد العقل السليم (٥٢٤/٢) .

(4) ينظر : معاني القرآن للأخفش (٣٤٧/٢) ، وجامع البيان لابن جرير الطبري (٢٦٢/١٢) ، والمحرر الوجيز لابن  
 عطية (٢٠٥/٧) .

(5) ينظر : الدر المصون للسمين (٢٥٩/٦) و (٦٤٧ / ) . وهو لعلي بن أبي طالب ط ، وعجزه : فكلكم يصير إلى  
 ذهاب . وهو في الهمع (٣٢/٢) ، والدر (٣١/٢) ، والتصريح (١٢/٢) .

(6) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٥٦/٤) .

﴿فَالنَّقْطَةُءْءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص : ٨] فاللام الموضوعية للتعليل مستعارة لمعنى الترتب والتعقيب الموضوع له فاء التعقيب على طريقة الاستعارة التبعية في متعلق معنى الحرف فشبهه ترتب الشيء على شيء آخر ليس علةً فيه بترتب المعلول على العلة ؛ للمبالغة في قوة الترتب حتى صار كأنه مقصود لمن ظهر عنده أثره ، فالمعنى : إنك آتيت فرعون وملاه زينة وأموالاً فضلوا بذلك وأضلوا»<sup>(١)</sup> .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأصح أن تكون اللام للعاقبة ، وأما من ذهب إلى أنها للأمر فقولهم بعيدٌ يرُدُّه قراءةٌ من قرأ ﴿لِيُضِلُّوا﴾ — بضم الياء — إذ يبيدُ أن يدعوا بأن يكونوا مضلين غيرهم كما قاله أبو حيان . ويؤيد ذلك القاعدة الترجيحية : (اتحاد معنى القراءتين أولى من اختلافه)<sup>(٢)</sup> .

وعليه فإن ما ذهب إليه ابن جزيّ يعد مرجوحاً ، والله أعلم .

(1) التحرير والتنوير (١١ / ٢٦٨) .

(2) قواعد الترجيح (١ / ١٠٠) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ فَأَلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾ (٩٢)

في هذه الآية الكريمة مسألتان :

المسألة الأولى هي :

١٨- الخلاف في معنى ﴿ نُنَجِّيكَ ﴾

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « ﴿ نُنَجِّيكَ ﴾ أي : نبعذك مما جرى لقومك من الوصول على قعر البحر . وقيل : نلقيك على نَجْوَةٍ من الأرض ، أي : على موضع مرتفع»<sup>(١)</sup> .

العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ أن معنى ﴿ نُنَجِّيكَ ﴾ من النجاة ، أي : نبعذك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ؛ ليراك بنو إسرائيل . وعلى هذا المعنى ما رُوِيَ عن ابن عباس قال : « أُنجى الله فرعون لبني إسرائيل من البحر فنظروا إليه بعد ما غرق »<sup>(٢)</sup> .  
وقال قتادة : « لما أغرق الله فرعون لم تصدق طائفة من الناس بذلك ، فأخرجه الله ليكون عظة وآية »<sup>(٣)</sup> . وبنحوه عن قيس بن عباد<sup>(٤)</sup> . ونُسب هذا إلى عبد الله بن شداد ، والسدي<sup>(٥)</sup> .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٩٨/٢) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٨٣/١٢) بالإسناد المسلسل بالعوفيين عنه بهذا اللفظ . وأخرجه أيضاً (٢٨١/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٧٧٥/٦) و (١٠٧ /١) رقم (٥١٠) من طريق سعيد بن جبیر ، عنه بنحوه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٨٣/٦ و ١٩٨٤) رقم (١٠٥٦٨ و ١٠٥٧٣) من طريق أبي روق، عن الضحاک ، عنه .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٨٢/١٢) من طريق يزيد ، عن سعيد ، عنه . وأخرجه أيضاً (٢٨٢/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٨٤/٦) رقم (١٠٥٧٤) من طريق معمر ، عنه . وينظر : الدر المنثور للسيوطي (٣٨٨ /٤) .

(4) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٩٨/٢) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٨٠/١٢ ، ٢٨٢) من طريق أبي السليل ، عنه .

(5) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٦١ /٤) .

وإلى هذا المعنى ذهب مقاتل ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ، والزمخشري ، والقمي ، والسيوطي ، والآلوسي ، والقاسمي <sup>(١)</sup> . وهو مفهوم كلام الزجاج <sup>(٢)</sup> ، والطاهر ابن عاشور <sup>(٣)</sup> . وقدمه ابن عطية ، وتبعه الثعالبي <sup>(٤)</sup> .

واستغربه الكرمانى <sup>(٥)</sup> . وذكره الشوكاني بصيغة ( قيل ) ، وتبعه القنوجي <sup>(٦)</sup> .

وأما القول الآخر في معنى ﴿ نُنَجِّيكَ ﴾ أي : نُلقِيكَ على نَجْوَةٍ من الأرض ، فهو قول يونس بن حبيب النحوي <sup>(٧)</sup> ، وأبي عبيدة <sup>(٨)</sup> ، وابن الأنباري <sup>(٩)</sup> .

وإلى هذا المعنى ذهب ابن جرير الطبري ، والنحاس ، والراغب ، ومكي ، والسمعاني ، والماوردي ، والكرمانى ونسبه للجمهور ، والبغوي ، ومحمود النيسابوري ، والقرطبي ، والنسفي ، والحازن ، وأبو حيان ، وابن التركماني ، والسمين ، وابن كثير ، والشوكاني ، والقنوجي ، والسيد محمد رشيد رضا ، والمراغي ، والسعدي <sup>(١٠)</sup> .

(1) ينظر : تفسير مقاتل (٢٤٨/٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٢٧٢/٢) ، والوجيز (٥٠٧/١) ، والكشاف (١٧٢/٣) ، وغرائب القرآن وغرائب الفرقان (٦٠٨/٣) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٤٠٩/٣ ) ، وروح المعاني (١٨٣/١١) ، ومحاسن التأويل (٨/٣٣٩١) .

(2) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٣٢/٣) . وينظر أيضاً : معاني القرآن الكريم للنحاس (٣١٥/٣) .

(3) ينظر : التحرير والتنوير (٢٧٨/١١) .

(4) ينظر : المحرر الوجيز (٢١٤/٧) ، والجواهر الحسان (١١٠/٢) .

(5) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (٤٩٣/١) .

(6) ينظر : فتح القدير (٦٥٧/٢) ، وفتح البيان (١١٩/٦) .

(7) أخرجه أبو الشيخ كما في الدر المنثور للسيوطي (٣٨٨/٤) . وينظر : وضع البرهان (٤٢٦/١) لمحمود النيسابوري ، وزاد المسير لابن الجوزي (٦٠/٤) ، وروح المعاني للآلوسي (١٨٣/١١) .

(8) ينظر : مجاز القرآن (٢٨١/١) .

(9) ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٨/١١) .

(10) ينظر : جامع البيان (٢٧٩/١٢) ، ومعاني القرآن الكريم (٣١٥/٣) ، وإعراب القرآن (٢٦٨/٢) ، ومفردات

ألفاظ القرآن (٧٩٢) مادة (نجو) ، وتفسير المشكل (١٩٥) ، وتفسير القرآن (٤٠٣/٢) ، والنكت والعيون

(٤٤٩/٢) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (٤٩٣/١) ، ومعالم التنزيل (٣٧٧/٢) ، ووضع البرهان

(٤٢٦/١) ، وإيجاز البيان (٣٢٣/١) ، والجامع لأحكام القرآن (٤٧/١١) ، ومدارك التنزيل (١٧٥/٢) ،

ولباب التأويل (٣٠٩/٢) ، والبحر المحيط (١٨٩/٥) ، وبهجة الأريب (٢٦١/١) ، والدر المصون (٢٦٥/٦) ،

وتفسير القرآن العظيم (٣٩٨/٧) ، وفتح القدير (٦٥٧/٢) ، وفتح البيان (١١٩/٦) ، وتفسير القرآن الحكيم

(٤٠٢/١١) ، وتفسير المراغي (١٥١/١١) ، وتيسير الكريم الرحمان (٣٤١/٢) .

وقدّمه ابن الجوزي ومال إليه <sup>(١)</sup> .

وذكره الزجاج ، والزخشي ، والقمي ، والآلوسي بصيغة ( قيل ) <sup>(٢)</sup> .

وأورد ابن جرير الطبري الآثار الواردة عن السلف مستشهداً بها لهذا القول ! وكذا

أبوحيان نسبه لابن عباس !

واستدل لهذا القول بأن ﴿ نَجِيكَ ﴾ من النَجْوَةِ وهي المكان المرتفع على ما حوله من

الأرض . ومنه قول أوس بن حجر :

فمن بعقوته كمن بنجوته  
والمستكن كمن يمشي بقرواح <sup>(٣)</sup>

وبعد، فإذا تقرر هذا فإنه عند التأمل لا يبعد الجمع بين القولين في معنى ﴿ نَجِيكَ ﴾

فيقال : « فَكُنِّيَ عَلَى نَجْوَةٍ مِنَ الْأَرْضِ حَتَّى رَأَاهُ جَمِيعُهُمْ مَيِّتًا وَتَحَقَّقُوا غَرْقَهُ » <sup>(٤)</sup> .

ولذا قال السمين : « وهل ننجيك من النجاة بمعنى : نبعذك مما وقع فيه قومك من قعر

البحر... أو من ألقاه على نجوة... أو من النجاة وهو الترك ، أو من النجاء وهو العلامة ؟

وكل هذه معانٍ لائقة بالقصة <sup>(٥)</sup> .

وذكر القولين مسويًا بينهما البيضاوي، وأبوالسعود مع تقديمهما للأول <sup>(٦)</sup> .

وعلى هذا فكلا القولين صحيح ، والله تعالى أعلم .

(1) ينظر : زاد المسير (٤/ ٦٠) .

(2) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٢) ، والكشاف (٣/ ٧٢١) ، وغرائب القرآن وغرائب الفرقان (٣/ ٦٠٨) ،

وروح المعاني (١١/ ١٨٣) .

(3) ديوان أوس (١٦) . ونسب لعبيد بن الأبرص كما في وضح البرهان لمحمود النيسابوري (١/ ٤٢٦) . وينظر :

جامع البيان لابن جرير الطبري (١٢/ ٢٧٩) ، والمحزر الوجيز لابن عطية (٧/ ٢١٤) ، والجامع لأحكام القرآن

للقرطبي (١١/ ٤٨) . والعقوة : الساحة وما حول الدار . اللسان (عقو) . والقرداح : الأرض البارزة للشمس .

اللسان (قارح) .

(4) الحرر الوجيز لابن عطية (٧/ ٢١٤) .

(5) الدر المصون (٦/ ٢٦٦) .

(6) ينظر : أنوار التنزيل (١/ ٤٤٦) ، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٥٢٦) .

### المسألة الثانية هي :

#### ١٩ - الخلاف في معنى "البدن" في قوله تعالى : ﴿ فَأَلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ .

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « ﴿ بَدَنِكَ ﴾ أي : بجسدك جسداً بدون روح .  
وقيل : بِدِرْعِكَ . وكانت له دِرْعٌ من ذَهَبٍ يُعْرَفُ بِهَا » (١) .

#### العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جزي في معنى ﴿ بَدَنِكَ ﴾ أن نجاة فرعون كانت بجسده ميتاً بلا روح .  
ووافق في هذا معنى ما روي عن عبدالله بن شداد (٢) ، ومجاهد (٣) ، ومحمد بن  
كعب (٤) ، والحسن (٥) ، وابن جريح (٦) .  
وذهب إليه الأخفش ، وابن جرير الطبري ، والنحاس ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ،  
والبغوي ، وابن الجوزي ، والخازن ، والقمي ، والبقاعي ، والسيوطي ، والآلوسي ،  
والقاسمي ، والسيد محمد رشيد رضا ، والطاهر بن عاشور (٧) . وقدّمه الرازي ومال إليه ،  
والثعالبي (٨) .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ٩٨) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٨١/١٢) من طريق موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب ، عنه .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٨١/١٢ ، ٢٨٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٨٣/٦) رقم  
(١٠٥٦٩) من طرق ، عنه . وزاد نسبه السيوطي في الدر المنثور (٣٨٨/٤) إلى ابن المنذر ، وابن الأنباري في  
المصاحف ، وأبي الشيخ . وينظر : التفسير المنسوب لمجاهد (٣٨٣) .

(4) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٣٨٨ / ٤) إلى أبي الشيخ .

(5) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٨٤/٦) رقم (١٠٥٧٠) من طريق أبي بكر الهذلي ، عنه .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٨٢/١٢) من طريق حجاج ، عنه .

(7) ينظر : معاني القرآن (٣٤٨/٢) ، وجامع البيان (٢٨٣/١٢) ، ومعاني القرآن الكريم (٣١٥/٣) ، وإعراب القرآن  
(٢٦٨/٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٢٧٢/٢) ، والوجيز (١ / ٥٠٧) (٥٥٨/٢) ، ومعالم التنزيل  
(٣٧٧/٢) ، وتذكرة الأريب (٢٤١/١) وقدّمه في زاد المسير (٦١/٤) ، ولباب التأويل (٣٠٩/٢) ، وغرائب  
القرآن ورغائب الفرقان (٦٠٨/٣) ، ونظم الدرر (١٨٦/٩) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٤٠٩/٣ ) ،  
وروح المعاني (١٨٣/١١) ، ومحاسن التأويل (٣٣٩١/٨) ، وتفسير القرآن الحكيم (٤٠٢/١١) ، والتحرير  
والتنوير (٢٧٨/١١) .

(8) ينظر : مفاتيح الغيب (٢٩٧/٦) ، والجواهر الحسان (١١٠/٢) .

وذكره مكّي ، وأبوحيان ، والسّمين بصيغة ( قيل )<sup>(١)</sup> . وكذا القرطبي ثم احتمله<sup>(٢)</sup> .  
واستدلّ لهذا القول بأن ذكرَ البدن دليل على عدم الروح<sup>(٣)</sup> .

قال ابن جرير الطبري : « فإن قال قائل : وما وجه قوله : ﴿ بَدَنِكَ ﴾ ؟ وهل كان يجوز أن ينجّيه بغير بدنه ، فيحتاج الكلام إلى أن يقال فيه : ﴿ بَدَنِكَ ﴾ ؟ قيل : كان جائزاً أن ينجّيه بهيئته حيّاً كما دخل البحر ، فلما كان جائزاً ذلك ، قيل : ﴿ فَأَلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بَدَنِكَ ﴾ ؛ ليعلم أنه ينجّيه بالبدن بغير روح ، ولكن ميئاً »<sup>(٤)</sup> .

وأما القول الآخر في معنى ﴿ بَدَنِكَ ﴾ وهو : بدرعك ، وأنه كانت لفرعون درعٌ من ذهبٍ يُعرَفُ بها ، فهو قول رُوِيَ عن أبي صخر<sup>(٥)</sup> ، وأبي موسى بن سالم<sup>(٦)</sup> . ونسب إلى ابن عباس<sup>(٧)</sup> ، ومحمد بن كعب<sup>(٨)</sup> ، وابن الأنباري<sup>(٩)</sup> .  
وذهب إليه مكّي ، ومحمود النيسابوري ، وأبوحيان ، والسّمين<sup>(١٠)</sup> . وقدمه ابن عطية<sup>(١١)</sup> .

- 
- 1) ينظر : مشكل إعراب القرآن (٣٥٣/١) ، والبحر المحيط (١٨٩/٥) ، والدر المصون (٢٦٥/٦) .
  - 2) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (٤٩ / ١١) .
  - 3) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٦١ / ٤) .
  - 4) ينظر : جامع البيان (٢٨٣ / ١٢) .
  - 5) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٨٤/٦) رقم (١٠٥٧١) من طريق مفضل بن فضالة ، عنه قال : البدن : الدرع الحديد . وزاد نسبه السيوطي في الدر المنثور (٣٨٨/٤) إلى أبي الشيخ .
  - 6) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٤٨ / ٦) رقم (١٠٥٧٢) .
  - 7) ينظر : الوسيط للواحد (٥٥٨/٢) ، ومفاتيح الغيب للرازي (٢٩٧/٦) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٨/١١) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦٠٨/٣) ، والبحر المحيط لأبي حيان (١٨٩/٥) .
  - 8) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٣٨٨/٤) لابن الأنباري . وينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٨/١١) .
  - 9) ينظر : المصدر الأخير .
  - 10) ينظر : تفسير المشكل (١٩٥) ومشكل إعراب القرآن (٣٥٣/١) ، وإيجاز البيان (٣٢٣/١) ، والبحر المحيط (١٨٩/٥) ، والدر المصون (٢٦٤/٦) .
  - 11) ينظر : المحرر الوجيز (٢١٥/٧) .

وذكره النحاس، والكرماني، والبغوي، والخازن، والقمي، والسيد محمد رشيد رضا بصيغة ( قيل )<sup>(١)</sup> .

قال الأخفش : « وليس قولهم : إن البدن ها هنا الدرع بشيء ، ولا له معنى »<sup>(٢)</sup> .

وقال النحاس : « وليس قول من قال : ﴿ بَدَنِكَ ﴾ بدرعك بشيء »<sup>(٣)</sup> .  
واستدلوا له بأن من معاني البدن في اللغة إطلاقه على الدرع القصيرة .

قالوا : ومنه قول عمرو بن معد يكرب :

ومضى نساؤهم بكل مُفَاضَةٍ      جَدَلَاءَ سَابِغَةٍ وبالأبدان<sup>(٤)</sup>

وقوله أيضاً :

أَعَاذِلُ شِكَّتِي بَدَنِي وَسِيفِي      وَكُلُّ مُقَلَّصٍ سَلَسِ الْقِيَادِ<sup>(٥)</sup>

ومنه قول الآخر :

ترى الأبدان فيها مُسَبَّغَاتٍ      على الأبطال واليَلْبَ الحَاصِنَا<sup>(٦)</sup>

وقول الأعشى :

وبيضاء كالتَّهْيِ مَوْضُونَةٌ      لها قَوْنَسٌ فَوْقَ حَيْبِ الْبَدَنِ<sup>(٧)</sup>

فالبدن في هذه الآيات المراد به الدرع .

(1) ينظر : معاني القرآن الكريم (٣/٣١٥) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (١/٤٩٤) ، ومعالم التنزيل (٢/٣٧٧) ، ولباب التأويل (٢/٣٠٩) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/٦٠٨) ، وتفسير القرآن الحكيم (١١/٤٠٢) .

(2) ينظر : معاني القرآن (٢/٣٤٨) .

(3) ينظر : إعراب القرآن (٢/٢٦٨) .

(4) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (١١/٤٩) . والمفازة : الدرع الواسعة ، والجدلاء : المحكمة النسج ، والأبدان : الدروع القصيرة . ينظر : لسان العرب (٧/٢١٢) (فيض) ، (١١/١٠٣) (جدل) ، (١٣/٤٩) (بدن) .

(5) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان (٥/١٨٩) ، والدر المصون للسمين (٦/٢٦٥) . والشكَّة : ما يلبس من السلاح . والمُقَلَّص : الفرس طويل القوائم منضم البطن . ينظر : لسان العرب (١٠/٤٥٢) (شكك) ، (٧/٨٠) (قلص) .

(6) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان (٥/١٨٩) . والبيت لكعب بن مالك . واليَلْب : جمع يَلْبَة وهي الدروع اليمانية . ينظر : لسان العرب (١/٨٠٦) (يلب) .

(7) ديوان الأعشى (١/٢٤١) . وينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/٤٩ - ٥٠) ، أضواء البيان للشنقيطي (٧/٥١٧) .

قالوا : فكذلك هنا في الآية : ﴿ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ أي : بدرُك .

ويؤيد قراءة أبي حنيفة : ﴿ بِأَبْدَانِكَ ﴾ أي : بدرُوك على معنى : إرادة الأذراع ؛ لأنه كان يلبس كثيراً منها خوفاً على نفسه (١) .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن بعض المفسرين ذكر القولين بـ (أو) مع تقديم الأول منهم : الزمخشري، والبيضاوي ، والنسفي ، وأبوالسعود (٢) .

وذكرهما معاً بصيغة (قيل) : العكبري ، وابن التركماني ، والشوكاني ، والقنوجي (٣) .

وذكرهما السمعاني دون ترجيح مع تقديم الثاني (٤) .

قال ابن كثير : « لا منافاة بينهما » (٥) .

وإذا كان ذلك كذلك وكان "البدن" يطلق على بدن الإنسان وعلى الدرع القصيرة ، فلا مانع من أن تكون نجاة فرعون بجسده وعليه درعه جمعاً بين القولين وعدم أطراح أحدهما، لصحة الإطلاق اللغوي عليهما معاً ، والله تعالى أعلم . غير أن الأولى والأظهر هنا في معنى الآية هو حمل البدن على معناه المتبادر إلى الذهن وهو الجسد ، وإنما جئ به هنا بعد قوله ﴿ نُنَجِّيكَ ﴾ حتى لا يُتَوَهَّم أن نجاته كانت مع حياة ، وإنما المقصود نجاة البدن ميتاً بلا روح ، والله تعالى أعلم .

(1) ينظر : الكشف للزمخشري (١٧٢/٣) ، والبحر المحيط لأبي حيان (١٨٩/٥) ، والدر المصون للسمين (٢٦٥/٦) .

(2) ينظر : الكشف (١٧٢/٣) ، وأنوار التنزيل (٤٤٦/١) ، ومدارك التنزيل (١٧٥/٢) ، وإرشاد العقل السليم (٥٢٦/٢) .

(3) ينظر : التبيان (٦٨٦/٢) ، وبهجة الأريب (٢٦١/١) ، وفتح القدير (٦٥٧/٢ - ٦٥٨) ، وفتح البيان (١١٩/٦) .

(4) ينظر : تفسير القرآن (٤٠٣/٢) .

(5) تفسير القرآن العظيم (٣٩٨ /٧) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ <sup>ع</sup>

لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾

في هذه الآية الكريمة مسألتان :

المسألة الأولى هي :

٢٠- الخلاف في المراد بقوله : ﴿ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ﴾ في قوله تعالى :

﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ .

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « ﴿ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ﴾ قيل : يعني القرآن أو الشرع بجملته ، وهذا أظهر . وقيل : يعني ما تقدم من أن بني إسرائيل ما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم الحق »<sup>(١)</sup> .

العرض والمناقشة :

استظهر ابن جزي في قوله تعالى : ﴿ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ﴾ أن المراد بما أنزل الله تعالى إلى النبي > هو الشرع بجملته أو القرآن ، ولا تعارض بينهما . وإلى هذا ذهب ابن قتيبة ، وثعلب والمبرد ، والكرماني ، والبغوي ، والزمخشري ، والرازي ، والقرطبي ، والخازن ، والقمي ، والثعالبي ، والبقاعي ، والشوكاني ، والقنوجي ، والسيد محمد رشيد رضا ، والسعدي<sup>(٢)</sup> . واحتمله ابن عطية<sup>(٣)</sup> .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٩٨) .

(٢) ينظر : تأويل مشكل القرآن (٢٧٢) ، وياقوتة الصراط (٢٥٨) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٤٩٥) ، ومعالم التنزيل (٢/ ٣٧٨) ، والكشاف (٣/ ١٧٤) ، ومفاتيح الغيب (٦/ ٢٩٩ ، ٣٠٠) ، والجامع لأحكام القرآن (١١/ ٥٢) ، ولباب التأويل (٢/ ٣١٠) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٦١٢) ، والجواهر الحسان (٢/ ١١٢) ، ونظم الدرر (٩/ ٢٠٥) ، وفتح القدير (٢/ ٦٦١) ، وفتح البيان (٦/ ١٢٢ - ١٢٣) ، وتفسير القرآن الحكيم (١١/ ٤٠٤) ، وتيسير الكريم الرحمان (٢/ ٣٤٢) .

(٣) ينظر : المحرر الوجيز (٧/ ٢١٩) . ثم استبعده بالمعنى قائلا : إن ذلك لا يعرف ويزول الشك فيه إلا بأدلة العقل لا بالسمع من مؤمني أهل الكتاب .

ونظر له الكرمانى بقوله تعالى : ﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾ <sup>(١)</sup> [ البقرة : ١٣٦ ] .  
قال الرازى : « لما ذكر الله تعالى قبلها اختلاف أهل الكتاب ؛ بني إسرائيل عندما جاءهم العلم ، أورد على الرسول < ما يقوِّى قلبه في صحة القرآن والنبوة > » <sup>(٢)</sup> .  
وأما القول الآخر بأن المراد بما أنزل الله إلى الرسول < هو ما تقدم من أن بني إسرائيل ما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم الحق ، فذهب إليه الفراء ، وابن جرير الطبري ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والنسفي ، وابن كثير ، وأبو السعود <sup>(٣)</sup> .  
قال ابن عطية : « يريد به : من أن بني إسرائيل لم يختلفوا في أمره إلا من بعد مجيئه ، وهذا قول أهل التأويل قاطبة » <sup>(٤)</sup> .

وذهب الطاهر بن عاشور إلى أن المراد بـ مَا أُنزِلْنَا إِلَيْكَ هو ما أنزل من القصص في هذه السورة قصة نوح وموسى ... وهي القصص الموافقة لما في كتبهم ؛ فإنهم لا يتحرّجون من إعلانها والشهادة بها <sup>(٥)</sup> .

قال أبوحيان : « والذي أقوله : إن "إن" الشرطية تقتضي تعليق شئ على شئ ولا تستلزم تحتم وقوعه ولا إمكانه . بل قد يكون ذلك في المستحيل عقلاً ؛ كقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ ﴾ [ الزخرف : ٨١ ] . ومستحيل أن يكون له ولد فكذلك هذا مستحيل أن يكون في شك ، وفي المستحيل عادة ؛ كقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ أَسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْنِيَنَّ فَنَقَا فِي الْأَرْضِ أَوْ سَلَّمَا فِي السَّمَاءِ فَتَاتِيَهُمْ بِآيَةٍ ﴾ [ الأنعام : ٣٥ ] أي : فافعل . لكن وقوع إن للتعليق على المستحيل قليل . وهذه الآية [ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أُنزِلْنَا إِلَيْكَ ] من

(1) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (٤٩٥/١) .

(2) ينظر : مفاتيح الغيب (٢٩٩/٦) .

(3) ينظر : معاني القرآن (٤٧٨/١) ، وجامع البيان (٢٨٦/١٢) ، والمحزر الوجيز (٢١٩/٧) ، وزاد المسير (٦٣/٤) ، - وجعله قولين : أنه أنزل إليه أنه رسول الله ، والآخر : أنه مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل . وليس بينهما تعارض بل يجمع بينهما بأنه أنزل إليه أنه مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل أنه رسول الله - ومدارك التزويل (١٧٥/٢ - ١٧٦) ، وتفسير القرآن العظيم (٤٠٢/٧) ، وإرشاد العقل السليم (٢٢٧/٢) .

(4) المحزر الوجيز (٢١٩/٧) .

(5) التحرير والتنوير (٢٨٤/١١ - ٢٨٥) .

ذلك . ولما خفي هذا الوجه على أكثر الناس اختلفوا في تخريج هذه الآية ...»<sup>(١)</sup> .

فلم يتعرض أبو حيان لقوله ﴿مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ بترجيح ولا للتي بعدها ﴿الَّذِينَ﴾

يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ .

وكذا ابن القيم وقال : « فإذا لم يكن واقعاً ولا ممكناً فما مقصود الخطاب ، والمراد به؟ قيل : المقصود به إقامة الحججة على منكري النبوات والتوحيد ، وأهم مقرون لا يجحدونه ولا ينكرونه ، وأن الله أرسل إليهم رسله ، وأنزل عليهم كتبه بذلك ، وأرسل ملائكته إلى أنبيائه بوحيه وكلامه ؛ فمن شك في ذلك فليسأل أهل الكتاب ، فأخرج هذا المعنى في أوجز عبارة وأدلتها على المقصود بأن جعل الخطاب لرسوله الذي لم يشك قط ، ولم يسأل قط ولا عرض له ما يقتضي ذلك . وأنت إذا تأملت هذا الخطاب بدا لك على صفحاته : من شك فليسأل ، فرسولي لم يشك ولم يسأل »<sup>(٢)</sup> .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأقرب في المراد بـ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ هو القرآن وما تضمنه من تقرير التوحيد والنبوة ، ويندرج في ذلك علمُ بني إسرائيل بصدق نبينا > وأنه على حق ، مع استحالة شكِّه عليه الصلاة والسلام في ذلك ، والله أعلم .

(1) البحر المحيط (١٩١ / ٥) .

(2) بدائع التفسير (٤١٠/٢ - ٤١٤ ) ، وأحكام أهل الذمة (١٢ / ١ - ١٥) .

## المسألة الثانية هي :

### ٢١- من المراد بالذين يقرؤون الكتاب من قبل النبي < ؟

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « ﴿ فَسَلِّ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ يعني : الذين يقرؤون التوراة والإنجيل . قال السهيلي : هم عبد الله بن سلام ومُخْبِرِقُ وَمَنْ أسلم من الأحرار <sup>(١)</sup> . وهذا بعيد ؛ لأن الآية مكية ، وإنما أسلم هؤلاء بالمدينة . فحمل الآية على الإطلاق أولى » <sup>(٢)</sup> .

### العرض والمناقشة :

فسر ابن جزي قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ ﴾ بالذين يقرؤون التوراة والإنجيل ، وهم علماء اليهود والنصارى ، يعني : من أسلم منهم ، وحمل الآية على الإطلاق واستبعد تقييدها بعبد الله بن سلام ونحوه . ووافق في هذا معنى ما روي عن ابن عباس <sup>(٣)</sup> ، ومجاهد <sup>(٤)</sup> ، والضحاك <sup>(٥)</sup> .

وعلى هذا المعنى فسّر ابن أبي زمنين ، والزمخشري ، وابن الجوزي ، والنسفي ، والخازن ، وابن كثير ، والبقاعي ، والآلوسي ، والسيد محمد رشيد رضا ، والمراغي ، والسعدي ، والطاهر بن عاشور <sup>(٦)</sup> .

واستدل له بعموم الآية ، ولأن التخصيص يحتاج إلى دليل .

(١) التعريف والإعلام (٧٥) . وينظر : تفسير مبهمات القرآن للبلنسي (١٧/٢) .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٩٩/٢) .

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٨٦/١٢) من طريق ابن جريج ، عنه قال : التوراة والإنجيل ، الذين أدركوا محمداً < من أهل الكتاب فأمنوا به . يقول : سلهم إن كنت في شك بأنك مكتوب عندهم . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٨٩/٤) نسبه إلى أبي الشيخ .

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٨٧/١٢) من طريق ابن جريج ، عنه قال : هم أهل الكتاب .

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٨٧/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٨٦/٦) رقم (١٠٥٨٤) من طريق عبيد بن سليمان ، عنه قال : أهل التقوى والإيمان من أهل الكتاب ممن أدرك نبي الله < .

(٦) ينظر: تفسير القرآن العزيز (٢٧٢/٢) والكشاف (١٧٤/٣) وزاد المسير (٦٤/٤) وتذكرة الأريب (٢٤٢/١) ومدارك التنزيل (١٧٦/٢) ولباب التأويل (٣١٠/٢) وتفسير القرآن العظيم (٤٠٢/٧) ونظم الدرر (٢٠٥/٩) وروح المعاني (١٩٠/١١) وتفسير القرآن الحكيم (٤٠٥/١١) وتفسير المراغي (١٥٤/١١) وتيسير الكريم الرحمان (٣٤٢/٢) والتحرير والتنوير (٢٨٤/١١) .

وأما قول السهيلي فهو موافق لما رُوِيَ عن ابن زيد <sup>(١)</sup> . وعليه مقاتل <sup>(٢)</sup> .  
 واستبعده ابن جُزَيِّ بأن الآية مكية ، وعبد الله بن سلام وأصحابه أسلموا بالمدينة .  
 قال ابن القيم : « وأين كان عبد الله بن سلام وقت نزول هذه الآية ؟ فإن السورة  
 مكية، وابن سلام إذ ذاك على دين قومه . وكيف يؤمر النبي < أن يستشهد على منكري  
 نبوته بأتباعه ! » <sup>(٣)</sup> .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأولى أن يقال : إن ذَكَرَ عبد الله بن سلام وأصحابه إنما هو  
 من باب التفسير بالمثال .

قال ابن قتيبة : « فسل الأكابر من أهل الكتاب والعلماء الذين يقرؤون الكتاب من  
 قبلك ، مثل : عبد الله بن سلام ، وسلمان الفارسي ، وتميم الداري وأشباههم ، ولم يرد  
 المعاندين منهم ، فيشهدون على صدقه ، ويخبرونك بنبوته » <sup>(٤)</sup> .

وإلى هذا ذهب ابن جرير الطبري ، وثعلب والمبرد ، والواحدي ، والسمعاني ،  
 والبغوي ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والرازي ونسبه للمحققين ، والقرطبي ، والقمي ،  
 والثعالبي ، والشوكاني ، والقنوجي <sup>(٥)</sup> . وذكره أبو السعود بصيغة ( قيل ) <sup>(٦)</sup> .  
 فإذا كان ذلك كذلك فإن الأولى هو حمل الآية على العموم . ويؤيده القاعدة  
 الترجيحية : ( يجب حمل نصوص الوحي على العموم ) <sup>(٧)</sup> ، والله تعالى أعلم .

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٨٦/١٢ - ٢٨٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٨٦/٦) رقم  
 (١٠٥٨٥) . عنه قال : هو عبد الله بن سلام ، كان من أهل الكتاب فآمن برسول الله < .

(2) ينظر : تفسير مقاتل (٢/٢٤٨) .

(3) بدائع التفسير (٤١١/٢ - ٤١٢) . وينظر : روح المعاني للآلوسي (١٩٠/١١) ، وتفسير القرآن الحكيم للسيد  
 محمد رشيد رضا (٤٠٥/١١) .

(4) تأويل مشكل القرآن (٢٧٢) .

(5) ينظر : جامع البيان (٢٨٦/١٢) ، وياقوتة الصراط (٢٥٨ - ٢٥٩) ، والوجيز (٥٠٨/١) والوسيط (٥٦٠/٢) ،  
 وتفسير القرآن (٤٠٤/٢) ، ومعالم التنزيل (٣٧٨/٢) ، والحرر الوجيز (٢١٨/٧) ، وزاد المسير (٦٤/٤) ،  
 ومفاتيح الغيب (٣٠١/٦) ، والجامع لأحكام القرآن (٥٢/١١) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦١٢/٣) ،  
 والجواهر الحسان (١١١/٢) ، وفتح القدير (٦٦١/٢) ، وفتح القنوجي (١٢٢/٦) .

(6) ينظر : إرشاد العقل السليم (٥٢٧/٢) .

(7) قواعد الترجيح عند المفسرين (٥٢٧/٢) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾

﴿أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾<sup>١</sup>

٢٢- الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ .

### وهل الآية منسوخة بالسيف ؟

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « الهمة للإنكار . أي : أتريد أنت أن تكره الناس في إدخال الإيمان في قلوبهم وتضطربهم إلى ذلك ؟ وليس ذلك إليك إنما هو بيد الله . وقيل : المعنى : أفأنت تكره الناس بالقتال حتى يؤمنوا أو كان هذا في صدر الإسلام قبل الأمر بالجهاد ثم نسخت بالسيف»<sup>(١)</sup> .

### العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ في قوله تعالى : ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ أن المعنى : أتريد أن تدخل الإيمان في قلوب الناس بالإكراه ؟ إنما إيمانهم بيد الله . ووافق في هذا معنى ما روي عن ابن عباس<sup>(٢)</sup> . وعلى هذا المعنى جمهور المفسرين منهم : ابن جرير الطبري ، وابن أبي زمنين ، والسمعاني ، والزمخشري ، وابن عطية ، والرازي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والقمي ، وأبوحيان ، وابن كثير ، والثعالبي ، والبقاعي ، وأبوالسعود ، والشوكاني ، والآلوسي ، والقنوجي ، والقاسمي ، والسيد محمد رشيد رضا ، والمرغي ، والسعدي ، والطاهر بن عاشور<sup>(٣)</sup> .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٩٩) .

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٩٨/١٢) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه .

(٣) ينظر : جامع البيان (٢٩٩/١٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٢٧٤/٢) ، وتفسير القرآن (٤٠٦/٢ - ٤٠٧) ، والكشاف (١٧٦/٣) ، والخرر الوجيز (٢٢٤/٧) ، ومفاتيح الغيب (٣٠٥/٦) ، والجامع لأحكام القرآن (٥٧/١١) ، وأنوار التنزيل (٤٤٨/١) ، ومدارك التنزيل (١٧٧/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦١٤/٣) ، والبحر المحيط (١٩٣/٥) ، وتفسير القرآن العظيم (٤٠٤/٧ - ٤٠٥) ، والجواهر الحسان (١١٣/٢) ، ونظم الدرر (٢١٠/٩) ، وإرشاد العقل السليم (٥٢٩/٢) ، وفتح القدير (٦٦٢-٦٦٣) ، وروح المعاني (١٩٣/١١ - ١٩٤) ، وفتح البيان (١٢٧/٦) ، ومحاسن التأويل (٣٤٠٠/٨ - ٣٤٠١) ، وتفسير

وفي معنى هذه الآية آيات أخرى كقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ [البقرة : ٢٧٢] . وقوله : ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء : ٣] . وقوله : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص : ٥٦] . وقوله : ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾ [الرعد : ٤٠] وقوله : ﴿ فَذَكَرْنَا أَنْتَ مُذَكِّرًا ﴿١١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴾ [الغاشية : ٢١-٢٢] .

إلى غير ذلك من آيات تدل على أن الله تعالى هو الفعّال لما يريد ، الهادي من يشاء بفضلِهِ ورحمته ، والمضل من يشاء بعدله وبحكمته . ولهذا قال بعدها : ﴿ وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> [يونس : ١٠٠] .  
وأما القول بأن معنى الآية ﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ هو : أفأنت تكرههم بالقتال حتى يؤمنوا ، فهو قول ذكره ابن عطية عن فرقة <sup>(٢)</sup> .  
وأما القول بأن هذا كان في صدر الإسلام قبل الأمر بالجهاد ثم نسخ ذلك بآية السيف ، فقاله مقاتل <sup>(٣)</sup> واختاره الواحدي في الوسيط <sup>(٤)</sup> ، وابن الجوزي في التذكرة <sup>(٥)</sup> .  
وذكره ابن عطية عن فرقة ثم قال : « وزعمت أن هذه الآية في صدر الإسلام وأنها منسوخة بآية السيف » <sup>(٦)</sup> .  
وقال ابن الجوزي : « والصحيح أنه ليس ها هنا نسخ ؛ لأن الإكراه على الإيمان لا

القرآن الحكيم (٤٠٨/١١) ، وتفسير المراغي (١٥٨/١١) ، وتيسير الكريم الرحمان (٣٤٥/٢) ، والتحرير والتنوير (٢٩٣/١١) .

- (1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٠٥/٧) بتصريف يسير . وينظر : محاسن التأويل للقاسمي (٣٤٠١/٨) .
- (2) ينظر : المحرر الوجيز (٢٢٤/٧) .
- (3) ينظر : تفسير مقاتل (٢٥٠ / ٢) .
- (4) ينظر : الوسيط (٥٦٠ / ٢) .
- (5) ينظر : تذكرة الأريب (٢٤٢ / ١) .
- (6) المحرر الوجيز (٢٢٤ / ٧) .

يصح ؛ لأنه عمل القلب «<sup>(١)</sup> .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الصحيح أن الآية محكمة وليس لها علاقة بالقتال وليست منسوخة بآية السيف ، وعلى هذا عامة المفسرين ، والله تعالى أعلم .

---

(1) زاد المسير (٤ / ٦٧) .

ترجیحاتُ ابنِ جُزَيِّ  
في تفسير سورة هُودِ

قَالَ تَعَالَى:

﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَنِّعْكُمْ مِّنَّا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ

فَضْلَهُ، وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾﴾

١- الخلاف في المراد بالمتاع الحسن في قوله تعالى :

﴿يُمَنِّعْكُمْ مِّنَّا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « أي : ينفعكم في الدنيا بالأرزاق والنعم والخيرات . وقيل : هو طيب عيش المؤمن برجائه في الله ورضاه بقضائه ؛ لأن الكافر قد يتمتع في الدنيا بالأرزاق »<sup>(١)</sup>.

العرض والمناقشة :

يرجح ابن جزي أن المراد بالمتاع الحسن في قوله تعالى : ﴿يُمَنِّعْكُمْ مِّنَّا حَسَنًا﴾ هو النفع في الدنيا بالأرزاق والنعم والخيرات . وروي عن ابن عباس أنه قال في تفسيرها: يتمتعكم في الدنيا<sup>(٢)</sup> . ومثله عن ابن مسعود<sup>(٣)</sup> . وروى بمعناه عن قتادة<sup>(٤)</sup> . وإلى هذا ذهب مقاتل، وابن جرير الطبري، والنحاس، والسمرقندي ، والواحدي، والزمخشري، والقرطبي، والنسفي، والبقاعي، والسيوطي، وأبو السعود، والشوكاني، والقنوجي، والقاسمي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي، والشنقيطي<sup>(٥)</sup> .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (١٠٠ / ٢) .

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٩٦/٦) رقم (١٠٦٣٩) من طريق عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عنه .

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٩٦/٦) رقم (١٠٦٤٠) من طريق أسباط ، عن السدي ، عن أبي مالك وأبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣١٣/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٩٧/٦) رقم (١٠٦٤١) من طريق يزيد ، عن سعيد ، عنه .

(5) ينظر : تفسير مقاتل (٢٧١/٢) ، وجامع البيان (٣١٣/١٢) ، وإعراب القرآن (٢٧٢/٢) ، وبحر العلوم (١١٦/٢) ، والوجيز (٥١٢/١) ، والوسيط (٥٦٣/٢) ، والكشاف (١٨٢/٣) ، والجامع لأحكام القرآن (٦٧/١١) ، ومدارك التنزيل (١٨٠/٢) ، ونظم الدرر (٢٢٨/٩) ، وإرشاد العقل السليم (٥-٤/٣) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٤٢٢/٣) ، وفتح القدير (٦٧٢/٢) ، وفتح البيان (١٣٩/٦) ، ومحاسن التأويل

وقدمه البيضاوي <sup>(١)</sup> . وهو مفهوم كلام الطاهر بن عاشور <sup>(٢)</sup> .

واستدل لهذا المعنى بالنظائر القرآنية <sup>(٣)</sup> كقوله تعالى : ﴿ وَيَقَوْمٍ أَسْتَعْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُبَوُّوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ﴾ [هود : ٥٢]  
 وقوله تعالى : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ [نوح : ١٠ - ١٢] .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىءِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الأعراف : ٩٦] .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾ [المائدة : ٦٦] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق : ٢-٣] .  
 وأما ابن عطية فضعف هذا القول بأن الكفرة يشاركون في ذلك أعظم مشاركة <sup>(٤)</sup> .

ويمكن أن يجاب عن هذا بأن متاع الكافر ليس بحسنٍ إذ لم يوصف في القرآن بذلك ، والله أعلم .

وأما القول الآخر في المراد بالمتاع الحسن أنه طيب عيش المؤمن برجائه في الله ورضاه بقضائه ، فعليه السمعاني ، وابن عطية ، والثعالبي <sup>(٥)</sup> . ومال إليه الرازي <sup>(٦)</sup> .

(١/٨/٣٤٠٩) ، وتفسير القرآن الحكيم (٩/١٢) ، وتفسير المراغي (١٢/١٦٩) ، وتيسير الكريم الرحمان

(٢/٣٥٢) ، وأضواء البيان (٩/٣) .

(1) ينظر : أنوار التنزيل (١/٤٥١) .

(2) ينظر : التحرير والتنوير (١١/٣١٧) .

(3) ينظر : أضواء البيان للشنقيطي (٩/٣) .

(4) المحرر الوجيز (٧/٢٣٦) .

(5) ينظر : تفسير القرآن (٢/٤١٢) ، والمحرر الوجيز (٧/٢٣٥-٢٣٦) ، والجواهر الحسان (٢/١١٦-١١٧) .

(6) ينظر : مفاتيح الغيب (٦/٣١٦) .

وقدمه أبو حيان (١) .

وذكره السمرقندي ، والقرطبي ، والقنوجي بصيغة ( قيل ) (٢) .

وعلله ابن جزيّ بأن الكافر قد يتمتع في الدنيا بالأرزاق .

وجوابه : أن الله تعالى ذكر أن الدنيا متاع كما في قوله لأ : ﴿ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ

الدُّنْيَا مَتَاعٌ ﴾ [ غافر : ٣٩ ] وغيرها ، ووصفه بأنه متاع الغرور كما في قوله : ﴿ وَمَا

الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [ الحديد : ٢٠ ] وغيرها ، وذكر أن الكفار يتمتعون

ووصفه بالقلّة ولم يصفه بالحسن أبداً ، في آيات كثيرة .

فإذا كان ذلك كذلك فإن المراد بالمتاع الحسن في الآية هو تمتع المؤمنين في الدنيا بما

فيها من الأرزاق والنعم والخيرات ، مع طيب عيشهم برجائهم في الله ورضاهم بقضائه .

ويمكن أن يقال : إن الله وعدهم إذا استغفروا الله وتابوا إليه بالمتاع الحسن وهو الرزق في

الدنيا والمثوبة في الآخرة ﴿ وَيُؤْتِي كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾ فالموعود به أمران : الرزق في

الدنيا والمثوبة في الآخرة . وعلى هذا فلا يتجه إيراد ابن عطية .

وعليه فإن الأولى هو حمل الآية على العموم ؛ لأنه لا تعارض بين القولين عند التأمل .

وإلى الجمع بين القولين ذهب البغوي ، والخازن ، والألوسي (٣) .

ويتأيد ذلك بقاعدة ( وجوب حمل نصوص الوحي على العموم ) (٤) ، والله تعالى

أعلم .

(1) ينظر : البحر المحيط ( ٢٠١ / ٥ ) .

(2) ينظر : بحر العلوم ( ١١٦ / ٢ ) ، والجامع لأحكام القرآن ( ٦٨ / ١١ ) ، وفتح البيان ( ١٣٩ / ٦ ) .

(3) ينظر : معالم التنزيل ( ٣٨٥ / ٢ ) ، ولباب التأويل ( ٣١٥ / ٢ ) ، وروح المعاني ( ٢٠٧ / ١١ ) .

(4) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين ( ٥٢٧ / ٢ ) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿الْأَيْتَهُمْ يَنْتَوْنَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخَفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا

يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾

٢- الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿الْأَيْتَهُمْ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ

مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ ، وما العامل في ﴿حِينَ﴾ ؟

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « ﴿الْأَيْتَهُمْ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ أي : يجعلونها

أغشية وأغطية كراهية لاستماع القرآن . والعامل في ﴿حِينَ﴾ : ﴿يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ﴾ .

وقيل : المعنى : يريدون أن يستخفوا حين يستغشون ثيابهم . فيوقف عليه على هذا ، ويكون

﴿يَعْلَمُ﴾ استئنافاً «<sup>(١)</sup>» .

العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ في قوله تعالى : ﴿الْأَيْتَهُمْ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ أن معناه : يجعلونها

أغشية وأغطية كراهية لاستماع القرآن . والعامل في ﴿حِينَ﴾ هو قوله : ﴿يَعْلَمُ مَا

يُسْرُونَ﴾ .

ورُويَ هذا المعنى عن قتادة <sup>(٢)</sup> . وذكره ابن الأنباري لكن عند تفسير أول الآية :

﴿الْأَيْتَهُمْ يَنْتَوْنَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخَفُوا مِنْهُ﴾ <sup>(٣)</sup> . وإلى هذا ذهب مقاتل ، والسمرقندي ،

والبقاعي <sup>(٤)</sup> . وهو مفهوم كلام القاسمي ، والسيد محمد رشيد رضا ، والمراغي <sup>(٥)</sup> .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٠١) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣١٩/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٩٩/٦) ، (٢٠٠٠) رقم

(١٠٦٦٤) من طريق يزيد ، عن سعيد ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٠٠/٤ - ٤٠١) نسبته إلى ابن

المنذر، وأبي الشيخ .

(3) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٧٧) .

(4) ينظر : تفسير مقاتل (٢٧١/٢ - ٢٧٢) ، وبحر العلوم (١١٧/٢) ، ونظم الدرر (٩/ ٢٣٥) .

(5) ينظر : محاسن التأويل (٨/ ٣٤١٠) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٢/ ١٢) ، وتفسير المراغي (١٢/ ١٧١) .

وجوّز العكبري أن يكون ﴿ حِينَ ﴾ ظرفاً لـ ﴿ يَعْلَمُ ﴾<sup>(١)</sup> .

قال أبوحيان : « فعلى هذا يكون ﴿ حِينَ ﴾ معمولاً لقوله ﴿ يَعْلَمُ ﴾ . وكذا قاله الحوفي لا للمضمر الذي قدره الزمخشري ، وهو قوله : يريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم »<sup>(٢)</sup> .

وقال السمين : « إن الناصب له [ أي : لـ حِينَ ] ﴿ يَعْلَمُ ﴾ أي : ألا يعلم سرهم وعلنهم حين يفعلون كذا ، وهو معنى واضح . وكأنهم إنما جوّزوا غيره ؛ لئلا يلزم تقييد علمه تعالى بسرهم وعلنهم بهذا الوقت الخاص ، وهو تعالى عالم بذلك في كل وقت . وهذا غير لازم ؛ لأنه إذا عُلِمَ سرهم وعلنهم في وقت التغطية الذي يخفى فيه السرُّ فأولى في غيره ، وهذا بحسب العادة وإلا فالله تعالى لا يتفاوت علمه »<sup>(٣)</sup> .

وإلى كون العامل في ﴿ حِينَ ﴾ هو قوله ﴿ يَعْلَمُ ﴾ ذهب ابن كثير، والثعالبي، والألوسي ، والطاهر<sup>(٤)</sup> . ومفهوم كلام ابن جرير الطبري يرشد إليه<sup>(٥)</sup> .

وأما القول الآخر في معنى قوله تعالى : ﴿ أَلَا حِينَ يَسْتَعْشُونَ ثِيَابَهُمْ ﴾ ، وهو أن المعنى : يريدون أن يستخفوا حين يستغشون ثيابهم . فيوقف عليه لتمام المعنى ، ثم يكون قوله : ﴿ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ جملة استئنافية ، فعلية الزمخشري ، والنسفي ، والقمي ، والشوكاني ، والقنوجي<sup>(٦)</sup> . وهو مفهوم كلام الرازي ، والسعدي<sup>(٧)</sup> .

واختار العكبري أن العامل في الظرف ﴿ حِينَ ﴾ محذوف ؛ أي : ألا حين

(1) ينظر : التبيان (٢ / ٦٩٠) .

(2) البحر المحيط (٥ / ٢٠١) .

(3) الدر المصون (٦ / ٢٨٩) .

(4) ينظر : تفسير القرآن العظيم (٧ / ٤١٣) ، والجواهر الحسان (٢ / ١١٧) ، وروح المعاني (١١ / ٢١١) ، والتحرير والتنوير (١١ / ٣٢٣) .

(5) ينظر : جامع البيان (١٢ / ٣٢٣) .

(6) ينظر : الكشاف (٣ / ١٨٣) ، ومدارك التتزيل (٢ / ١٨٠) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤ / ٧) .

(7) ينظر : مفاتيح الغيب (٦ / ٣١٨) ، وتيسير الكريم الرحمان (٢ / ٣٥٢ - ٣٥٣) .

يستغشون ثيابهم يستخفون<sup>(١)</sup> .

ولما ذكر ابن جرير الطبري الخلاف في قراءة قوله تعالى: ﴿يَنْتَوْنَ صُدُورَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup> ورجح ما أجمع عليه الحجة من القراء قال: « فأولى التأويلات بتأويل ذلك ، تأويل من قال : إنهم كانوا يفعلون ذلك جهلاً منهم بالله أنه يخفى عليه ما تُضمِرُه نفوسهم ، أو تناجوه بينهم . وإنما قلنا : ذلك أولى التأويلات بالآية ؛ لأن قوله : ﴿لَيْسَتْخَفُوا مِنْهُ﴾ بمعنى : ليستخفوا من الله ، وأن الهاء في قوله : ﴿مِنْهُ﴾ عائدة على اسم الله ، ولم يجر لحمدٍ ذكرٌ قبلُ فيجعل من ذكره < ، وهي في سياق الخبر عن الله . فإذا كان ذلك كذلك كانت بأن تكون من ذكر الله أولى ، وإذا صحَّ أن ذلك كذلك ، كان معلوماً أنهم لم يحدثوا أنفسهم أنهم يستخفون من الله إلا بجهلهم به ، فلما أخبرهم جل ثناؤه أنه لا يخفى عليه سرُّ أمورهم وعلايتها ، على أي حال كانوا ، تَعَشَّوْا بالثياب ، أو ظهوروا بالبراز<sup>(٣)</sup> ، فقال : ﴿الْأَحِينِ يَسْتَغْشَوْنَ ثِيَابَهُمْ﴾ يعني : يَتَعَشَّوْنَ ثِيَابَهُمْ ، يَتَعَطَّوْنَهَا وَيَلْبَسُونَ ... ﴿يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ﴾ يقول جل ثناؤه : يعلم ما يُسرُّ هؤلاء الجهلة برهم ، الظانون أن الله يخفى عليه ما أضمرته صدورهم إذا حنوها على ما فيها وثنوها ، وما تناجوه بينهم فأخفوه ، ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ : سواءً عنده سرائر عبادته وعلايتهم<sup>(٤)</sup> .

وقال الزمخشري : « ومعنى ﴿الْأَحِينِ يَسْتَغْشَوْنَ ثِيَابَهُمْ﴾ : ويزيدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم - أيضاً - كراهة لاستماع كلام الله تعالى ؛ كقول نوح × : ﴿جَعَلُوا أَصْبَعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ [ نوح : ٧ ] ثم قال : ﴿يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا

(1) ينظر : التبيان (٢ / ٦٩٠) .

(2) قرأ عامة القراء : ﴿يَنْتَوْنَ﴾ على تقدير " يَفْعَلُونَ " من نَتَيْتُ ، والصدورُ منصوبةٌ . وقرأ ابن عباس : ﴿أَلَا إِنَّهُمْ تَنْتَوْنِي صُدُورُهُمْ﴾ على مثال : تَحْلُوِي الثمرة ، تَفْعَوْلُ . وهي قراءة شاذة . ينظر : جامع البيان (٣١٦ / ١٢) ، (٣٢٠) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٥ / ٢٠٢) .

(3) البرازُ : الفضاء البعيد الواسع ، ليس فيه شجر ولا ستر . اللسان (ب ر ز) .

(4) جامع البيان (١٢ / ٣٢٢ - ٣٢٣) .

يُعْلِنُونَ ﴿١﴾ .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأحسن في المعنى هو ما قدمه ابن جُزَيِّ مِنْ أَنْ قَوْلَهُ  
 تَعَالَى : ﴿يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ يتعلق به الظرفُ ﴿حِينَ يَسْتَعْشُونَ﴾ ، ويكون  
 المعنى : أن علم الله قد أحاط بسرِّهم وعلنهم فلا يظنون أن الله يخفى عليه ما أضمرته  
 صدورهم إذا حنَّوها على ما فيها وثنَّوها كراهةً منهم لاستماع القرآن ، والله أعلم .

قَالَ تَعَالَى:

﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَفُورٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَّتَهُ لِيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾

٣- الخلاف في المراد بالإنسان في قوله تعالى : ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ

نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَفُورٌ كَفُورٌ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « والإِنسان عام يراد به الجنس ، والاستثناء على هذا متصل . وقيل : المراد بالإنسان الكافر ، فالاستثناء منقطع » (١) .

العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ أن الإنسان في قوله تعالى : ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ عامٌ يراد به الجنس فيشمل المؤمن والكافر ، والاستثناء متصل في قوله تعالى : ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ .

ووافقه على هذا الفراء ، وابن جرير الطبري ، ومكي ، والزمخشري إلا أنه لم ينصّ على نوع الاستثناء ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والعكبري ، والقرطبي ، والنسفي ، وأبوحيان ، وابن كثير ، والثعالبي ، والبقاعي ، والشوكاني ، والقنوجي ، والقاسمي ، والسيد محمد رشيد رضا ، والمراغي ، والسعدي ، والطاهر بن عاشور (٢) .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٠١) .

(2) ينظر : معاني القرآن (٢/ ٤-٥) ، وجامع البيان (١٢/ ٣٤١) ، ومشكل إعراب القرآن (١/ ٣٥٦) ، والكشاف (٣/ ١٨٦) ، وتذكرة الأريب (١/ ٢٤٥) ، والبيان (٢/ ٦٩١) ، والجامع لأحكام القرآن (١١/ ٧٨ ، ٨٠) ، ومدارك التنزيل (٢/ ١٨١) ، والبحر المحيط (٥/ ٢٠٦) ، وتفسير القرآن العظيم (٧/ ٤٢٠-٤٢١) ، والجواهر الحسان (٢/ ١١٨) ، ونظم الدرر (٩/ ٢٤٣) ، وفتح القدير (٢/ ٦٧٧) ، وفتح البيان (٦/ ١٤٧) ، ومحاسن التأويل (٩/ ٣٤١٦) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٢/ ٢٦) ، وتفسير المراغي (١٢/ ٨) ، وتيسير الكريم الرحمان (٢/ ٣٥٥) ، والتحرير والتنوير (١٢/ ١٢) .

وقدّمه الرازي ، والبيضاوي <sup>(١)</sup> . وهو مفهوم كلام ابن القيم <sup>(٢)</sup> . وجوّزه النحاس <sup>(٣)</sup> .

قالوا : الإنسان في الآية بمعنى الجنس ومعنى الجمع ، وهو كقوله تعالى : ﴿ وَالْعَصْرِ ﴾

﴿ ١ ﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿ ٢ ﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿ [ العصر: ١-٣ ]

ولذا جاز استثناء الذين صبروا وعملوا الصالحات من الإنسان .

وقالوا : هذه الآية موافقة لسورة العصر ، ولقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾

﴿ ١٩ ﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿ ٢٠ ﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿ ٢١ ﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿ [ المعارج : ١٩-٢٢ ] فالإنسان بمعنى الناس <sup>(٥)</sup> .

واصطلاح القرآن من إطلاق لفظ الإنسان أو الناس إنما هو على إرادة الجنس والعموم <sup>(٦)</sup> .

وأما القول الآخر في الإنسان وهو أن المراد به الكافر ، والاستثناء منقطع على هذا، فرؤي عن ابن جريج قال : « كذلك المرء المنافق والكافر » <sup>(٧)</sup> . ونسب إلى ابن عباس أنها نزلت في الوليد بن المغيرة <sup>(٨)</sup> .

وقال الواحدي : « نزلت في عبد الله بن أبي أمية المخزومي » <sup>(٩)</sup> .

وإلى هذا القول ذهب الأخفش، والنحاس، وابن أبي زمنين، والواحدي،

(1) ينظر : مفاتيح الغيب (٣٢١/٦) ، وأنوار التنزيل (٤٥٣/١) .

(2) ينظر : بدائع التفسير (٤٢٠/٢) ، وعدة الصابرين (٧٣-٧٤) .

(3) ينظر : معاني القرآن الكريم (٣٣٤/٣) .

(4) ينظر : جامع البيان لابن جرير الطبري (٣٤١/١٢) ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٢١/٧) .

(5) قاله الفراء . وينظر : إعراب القرآن للنحاس (٢٧٤/٢) ، ومشكل إعراب القرآن لمكي (٣٥٦/١) .

(6) ينظر : التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (١٢/١٢) .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٤٠/١٢) من طريق حجاج ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره

(٢٠٠٧/٦) من طريق أبي ثور ، عنه . وزاد السيوطي نسبته في الدر المنثور (٤٠٥-٤٠٦) إلى أبي الشيخ .

(8) ينظر : الوسيط للواحدي (٥٦٦/٢) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٨٠/٤) .

(9) المصدرين السابقين .

والسمعاني، والبغوي، والخازن، والسيوطي<sup>(١)</sup> .

وهو قول الزجاج وقال أيضاً : « والإِنسان اسم للجنس في معنى الناس »<sup>(٢)</sup> .

ونسبه السمعاني للفراء والزجاج<sup>(٣)</sup> . ونسبته للفراء فيها نظر بل غلط !

وجوده ابن عطية من جهة اللفظ وضعفه من جهة المعنى<sup>(٤)</sup> .

وذكره العكبري ، وأبوحيان ، والشوكاني ، والقنوجي ، والطاهر بن عاشور

بصيغة ( قيل )<sup>(٥)</sup> .

واستدل لهذا القول بأن " أَلْ " في الإنسان للعهد، والمعهود السابق هو الكافر

المذكور في الآية المتقدمة .

وبأن الصفات المذكورة في هذه الآية لا تليق إلا بالكافر ؛ لأنه وصفه بكونه يئوساً

وذلك من صفات الكافر ؛ لقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ

الْكَافِرُونَ ﴾ [ يوسف : ٨٧ ] . ووصفه بكونه كفوراً ، وهو تصريح بالكفر .

ووصفه بالجرأة على الله ؛ لقوله عند وجدان الراحة ﴿ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي ﴾ .

ووصفه بكونه فرحاً ، والله لا يجب الفرحين .

ووصفه بكونه فخوراً ، وذلك ليس من صفات أهل الدين<sup>(٦)</sup> .

ويجاب عن وصفه بهذه الصفات بأنها قد توجد في المؤمن ويكون بذلك ضعيف

الإيمان وناقصه من غير سلب اسم الإسلام عنه .

وأما الكفر فهو كفر دون كفر ، وكفر النعمة ليس بناقض للإيمان كما هو

(1) ينظر : معاني القرآن (٢/٣٥٠) ، ومعاني القرآن الكريم (٣/٣٣٤) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/٢٨١) ، والوجيز

(١/٥١٤) والوسيط (٢/٥٦٦) ، وتفسير القرآن (٢/٤١٦) ، ومعالم التنزيل (٢/٣٩٠) ، ولباب التأويل

(٢/٣١٨) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٣/٤٢٧ ) .

(2) معاني القرآن وإعرابه (٣/٤١) .

(3) ينظر : تفسير القرآن (٢/٤١٦) .

(4) ينظر : المحرر الوجيز (٧/٢٤٨) .

(5) ينظر : التبيان (٢/٦٩١) ، والبحر المحيط (٥/٢٠٦) ، وفتح القدير (٢/٦٧٧) ، وفتح البيان (٦/١٤٧) ،

والتحريير والتنوير (١٢/١٢) .

(6) ينظر : مفاتيح الغيب للرازي (٦/٣٢٢) . وتبعه باختصار القمي في غرائب القرآن وרגائب الفرقان (٤/٩) .

معروف ، والله أعلم .

وأما ما ذكر من سبب التزول فلو صحَّ فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب<sup>(١)</sup> .

إذا تقرر هذا فإن أوَّلَى القولين في ذلك بالصواب هو ما رجَّحه ابن جُزَيٍّ ومن وافقه من أن الإنسان في قوله تعالى : ﴿ وَلَيْنَ أَذْقَنَا الْإِنْسَانَ مِمَّا رَحِمَةً ﴾ يراد به العموم ، و"أل" فيه للجنس والاستثناء متصل ؛ لقوة أدلته وظهورها .

ويؤيده قاعدة ( وجوب حمل نصوص الوحي على العموم )<sup>(٢)</sup> وقاعدة ( حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى )<sup>(٣)</sup> . والله تعالى أعلم .

(1) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (٥٤٥/٢) .

(2) المصدر السابق (٥٢٧/٢) .

(3) المصدر السابق (١٧٢/١) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ فَإِنَّهُ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۗ ﴾

﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٤)

٤- مَن المَخَاطَبُ والمَخَاطَبُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿ فَإِنَّهُ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ ۗ ﴾ ؟

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « فيها وجهان : أحدهما : أن تكون مخاطبةً من الله للنبي < وللمؤمنين . أي : إن لم يستجب الكفار إلى ما دعوتهم إليه من معارضة القرآن فاعلموا أنه من عند الله . وهذا على معنى : دوموا على علمكم بذلك أو زيدوا يقيناً به . والثاني : أن يكون خطاباً من النبي < للكفار . أي : إن لم يستجب من تدعونه من دون الله إلى شئ من المعارضة ولا قَدَرَ جميعكم عليه ؛ فاعلموا أنه من عند الله . وهذا أقوى من الأول ؛ لقوله : ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ » (١) .

العرض والمناقشة :

قوى ابن جُزَيِّ أن يكون قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ

اللَّهِ ﴾ خطاباً من النبي < للكفار ؛ لقوله في آخر الآية : ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ .

وإلى هذا ذهب مقاتل ، والفراء ، وابن قتيبة ، وابن جرير الطبري ، والسمرقندي ، والواحدي ، والرازي ، والنسفي ، وأبو حيان ، والسيوطي ، والألوسي ، والقاسمي ، والسيد محمد رشيد رضا ، والمراغي ، والطاهر بن عاشور (٢) . وحسنه الزمخشري (٣) .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ١٠٢) .

(2) ينظر : تفسير مقاتل (٢ / ٢٧٥) ، ومعاني القرآن (٢ / ١١) ، وتأويل مشكل القرآن (٢٩٠) ، وجامع البيان (٣٤٥ / ١٢) ، وبحر العلوم (٢ / ١١٩) ، والوجيز (١ / ٥١٥) ، والوسيط (٢ / ٥٦٧) ، ومفاتيح الغيب (٦ / ٣٢٦) ، ومدارك التنزيل (٢ / ١٨٣) ، والبحر المحيط (٥ / ٢٠٩) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣ / ٤٣٠) ، ومحاسن التأويل (٩ / ٣٤١٩) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٢ / ٤١ ، ٤٢) ، وتفسير المراغي (١٢ / ١٣) ، والتحرير والتنوير (١٢ / ٢١ - ٢٢) .

(3) ينظر : الكشاف (٣ / ١٨٨) .

وقدّمه ابن عطية<sup>(١)</sup> . وهو مفهوم كلام السعدي<sup>(٢)</sup> .  
 وجوّزه محمود النيسابوري ، والبيضاوي ، والبقاعي ، وأبو السعود<sup>(٣)</sup> .  
 وذكره القرطبي بصيغة ( قيل )<sup>(٤)</sup> . وكذا الشوكاني ثم قال : « وهذا الوجه أقوى من  
 الوجه الأول من جهة وأضعف منه من جهة ، فأما جهة قوته : فلاتساق الضمائر وتناسبها ،  
 وعدم احتياج بعضها إلى تأويل . وأما ضعفه : فلما في ترتيب الأمر بالعلم على عدم  
 الاستجابة ممن دعواهم واستعانوا بهم من الخفاء واحتياجه إلى تكلف<sup>(٥)</sup> .

واستدل لهذا القول بقوله تعالى في آخر الآية : ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾

قال الفراء : « وقوله : ﴿ فَأَعْلَمُوا ﴾ ليست للني < ، إنما هي لكفار مكة ألا ترى أنه

قال : ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ »<sup>(٦)</sup> .

وهذا القول لا يحتاج إلى إضمار بخلاف الأول ففيه إضمار والتقدير : فقولوا أيها

المسلمون للكفار ﴿ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ ﴾ .

ويدل له عود الضمير إلى أقرب المذكورين وهم الكفار<sup>(٧)</sup> .

ولكون الخطاب يكون لواحد .

ولترتب الجواب على الشرط ترتيباً حقيقياً من الأمر بالعلم<sup>(٨)</sup> .

ولأن ضمير الجمع في الآية المتقدمة للكفار والضمير في هذه ضمير جمع فليكن لهم

أيضاً<sup>(٩)</sup> .

(1) ينظر : المحرر الوجيز (٧/ ٢٥٢) .

(2) ينظر : تيسير الكريم الرحمان (٢/ ٣٥٧) .

(3) ينظر : إيجاز البيان (١/ ٣٢٧) وأنوار الترتيل (١/ ٤٥٤) ونظم الدرر (٩/ ٢٥٠) وإرشاد العقل السليم (٣/ ١٤) .

(4) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٨٣) .

(5) فتح القدير (٢/ ٦٧٩) . وتبعه القنوجي كما في فتح البيان (٦/ ١٥٢) .

(6) معاني القرآن (٢/ ١١) . وينظر : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (٢٩٠) ، والمحرر الوجيز لابن عطية (٧/ ٢٥٢) .

(7) ينظر : مفاتيح الغيب للرازي (٦/ ٣٢٦) والبحر المحيط لأبي حيان (٥/ ٢٠٩) وروح المعاني للألوسي (١٢/ ٢٣) .

(8) ينظر : البحر المحيط (٥/ ٢٠٩) .

(9) ينظر : روح المعاني (١٢/ ٢٣) .

وأما الوجه الأول في الآية وهو أن تكون مخاطبةً من الله للنبي < وللمؤمنين ، فرؤيَ عن مجاهد أنه كان يقول : عني بهذا القول أصحاب محمد < <sup>(١)</sup> .

وإليه ذهب محمود النيسابوري ، وابن الجوزي ، والبيضاوي ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والقنوجي <sup>(٢)</sup> . وهو مفهوم كلام ابن كثير <sup>(٣)</sup> . وقدمه الخازن ، والقمي <sup>(٤)</sup> .

وجوّزه الألوسي <sup>(٥)</sup> . وقال عنه السيد محمد رشيد رضا : « والحق أنه صحيح ولكنه خلاف الظاهر المتبادر » <sup>(٦)</sup> .

إذا تقرر هذا فإن كلا الوجهين صحيح ، والأظهر والأنسب بالسياق واتساق الضمائر

هو الوجه الثاني : وهو أن يكون قوله تعالى : ﴿ فَالَّذِينَ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ

اللَّهِ ﴾ مخاطبة من النبي < للكفار ؛ لقوة أدلته وظهورها .

ويؤيده من القواعد الترجيحية : قاعدة السياق ، وقاعدة توحيد مرجع الضمائر في

السياق الواحد أولى من تفريقها ، وقاعدة عود الضمير إلى أقرب مذكور <sup>(٧)</sup> ، والله تعالى أعلم .

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٤٥/١٢) من طريق ابن أبي نجیح ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠١٠/٦) رقم (١٠٧٣٥) من طريق ابن جريج ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٠٦/٤) نسبه لأبي الشيخ .

(2) ينظر : إيجاز البيان (٣٢٧/١) ، وزاد المسير (٨٣/٤) ، وأنوار التنزيل (٤٥٤/١) ، وإرشاد العقل السليم (١٤-١٣/٣) ، وفتح القدير (٦٧٩/٢) ، وفتح البيان (١٥١/٦) .

(3) ينظر : تفسير القرآن العظيم (٧/٤٢٢) .

(4) ينظر : لباب التأويل (٣٢٠/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (١٠/٤) .

(5) ينظر : روح المعاني (١٢/٢٢-٢٣) .

(6) تفسير القرآن الحكيم (١٢/٤٢) .

(7) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (١٢١/١ ، ٦١٣ ، ٦٢١) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ (١٥)

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا

وَبَطُلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

٥- الخلاف فيمن نزلت هذه الآية الكريمة : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ الآية .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « نزلت في الكفار الذين يريدون الدنيا ولا يريدون الآخرة، إذ هم لا يصدّقون بها ، وقيل : نزلت في أهل [ الرِّياء ] <sup>(١)</sup> من المؤمنين الذين يريدون بأعمالهم الدنيا حسبما ورد في الحديث في القارئ <sup>(٢)</sup> والمنفق والمجاهد ، الذين أرادوا أن يقال لهم ذلك ، إنهم أول من [ تُسَجَّر ] <sup>(٣)</sup> بهم النار . والأول أرجح ؛ لتقدم ذكر الكفار المناقضين للقرآن ، فإنما <sup>(٤)</sup> قصد بهذه الآية أولئك » <sup>(٥)</sup> .

العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ أن قوله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ الآية أنها نزلت في الكفار . وروى عطاء ، عن ابن عباس قال : « من كان يريد عاجل الدنيا ولا يؤمن بالبعث والجزاء » <sup>(٦)</sup> .

وقال الضحّاك : « نزلت في أهل الشرك » <sup>(٧)</sup> . ونُسِبَ لقتادة <sup>(٨)</sup> ، والحسن <sup>(٩)</sup> . وإلى هذا القول ذهب النحاس ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ، وابن عطية ، ومحمود

(1) وقع في المطبوع : الربا . والصحيح ما أثبتته كما في جميع النسخ ، وهو ظاهر .

(2) جاء في نسخة خطية واحدة : "الغازي" وهو خطأ .

(3) كذا في جميع النسخ ، وفي المطبوع : "تسعر" .

(4) جاء في نسخة خطية واحدة : "فإنه" .

(5) التسهيل لعلوم التنزيل ( ٢ / ١٠٢ ) .

(6) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي ( ٤ / ٨٤ ) .

(7) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ( ٦ / ٢٠١١ ) رقم ( ١٠٧٤٠ ) من طريق عُبيد بن سليمان ، عنه .

(8) ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية ( ٧ / ٢٥٣ ) .

(9) ينظر : بحر العلوم للسمرقندي ( ٢ / ١١٩ ) .

النيسابوري ، وابن الجوزي ، والنسفي ، والحازن ، والثعالبي ، وأبو السعود ، والسيوطي ،  
والألوسي ، والقاسمي ، والسيد محمد رشيد رضا ، والمراغي ، والسعدي ، والطاهر بن  
عاشور<sup>(١)</sup> . وقدمه الرازي ، والشوكاني<sup>(٢)</sup> .

وذكره البغوي ، والبيضاوي بصيغة ( قيل )<sup>(٣)</sup> .

واستدل له بالسياق ؛ فإنه يقتضي أنها في الكفار ؛ لتقدم ذكرهم ولقوله بعدها :

﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ** ﴾<sup>(٤)</sup> .

قال أبوحيان : « والحصر في كينونة النار لهم ظاهر في أن الآية في الكفار ، فإن اندرج  
أهل الرياء فيها فيكون المعنى في حقهم : ليس يجب لهم أو لا يحق لهم إلا النار ؛ كقوله :

﴿ **فَجَزَاءُ لَهُمْ جَهَنَّمُ** ﴾ [ النساء : ٩٣ ] وجائز أن يتعمدهم الله برحمته وهو ظاهر قول ابن

عباس وابن جبير<sup>(٥)</sup> .

ولأن المؤمن يريد الدنيا والآخرة ، فهو لا يخلو من إرادة خير الآخرة ، وما آمن إلا  
لذلك<sup>(٦)</sup> .

وأما القول الآخر في قوله تعالى : ﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا** ﴾ الآية ، أنها

نزلت في أهل الرياء من المؤمنين الذين يريدون بأعمالهم الدنيا ، فهو مُرَوِّئٌ عن ابن عباس<sup>(٧)</sup> ،

(1) ينظر : معاني القرآن (٣/٣٣٥) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/٢٨٢) ، والوجيز (١/٥١٥) ، والمحزر الوجيز  
(٧/٢٥٤) ، وإيجاز البيان (١/٣٢٧) ، وتذكرة الأريب (١/٢٤٦) ، ومدارك التتزيل (٢/١٨٣) ، ولباب التأويل  
(٢/٣٢٠) ، والجواهر الحسان (٢/١١٩) ، وإرشاد العقل السليم (٣/١٦) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات  
الإلهية ٣/٤٣٠) ، وروح المعاني (١٢/٢٥) ، ومحاسن التأويل (٩/٣٤٢١) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٢/٤٤) ،  
وتفسير المراغي (١٥/١٢) ، وتيسير الكريم الرحمان (٢/٣٥٧) ، والتحرير والتنوير (١٢/٢٢ - ٢٣) .

(2) ينظر : مفاتيح الغيب (٦/٣٢٧ - ٣٢٨) ، وفتح القدير (٢/٦٨٠) .

(3) ينظر : معالم التتزيل (٢/٣٩٢) ، وأنوار التتزيل (١/٤٥٤) .

(4) ينظر : روح المعاني للألوسي (١٢/٢٥) ، ومعاني القرآن للنحاس (٣/٣٣٥) ، ومفاتيح الغيب للرازي (٦/٣٢٧) ،  
ولباب التأويل للحازن (٢/٣٢٠) .

(5) البحر المحيط (٥/٢١٠) .

(6) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٤/٨٤) ، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (١٢/٢٣) .

(7) رُوِيَ معناه عن ابن عباس من طريق العوفيين . أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/٣٤٧) ، وابن أبي  
حاتم في تفسيره (٦/٢٠١٠ ، ٢٠١١ ، ٢٠١٣) رقم (١٠٧٣٩) . وينظر : الدر المنثور للسيوطي (٤/٤٠٧) .

ومجاهد<sup>(١)</sup> ، وسعيد بن جبير<sup>(٢)</sup> . وإليه ذهب البيضاوي ، وابن القيم ، ونسبه لابن عباس في رواية أبي صالح عنه ، ومجاهد ، وللضحك ، وقال : « واختاره الفراء »<sup>(٣)</sup> . وقدمه البغوي<sup>(٤)</sup> . وكان ابن كثير يميل إليه<sup>(٥)</sup> . وذكره النحاس والسيوطي بصيغة ( قيل )<sup>(٦)</sup> .  
 واستدل لهذا القول بحديث النبي < في النَّفَرِ الثلاثة الذين تُسَعَّرُ بهم النار أولاً يوم القيامة ، وهم القارئ والمنفق والمجاهد الذين أرادوا أن يقال لهم ذلك فقبل<sup>(٧)</sup> .  
 قال ابن العربي بعد سياقه لهذا الحديث : « وهذا نصُّ في مراد الآية والله أعلم »<sup>(٨)</sup> .  
 إذا تقرر هذا فإن الأولى هو حَمَلُ الآية على العموم .  
 قال ابن الجوزي : « هي عامة في جميع الخلق ، وهذا قول الأكثرين »<sup>(٩)</sup> .  
 وقال ابن العربي المالكي : « هي عامة في كل مَنْ يَنْوِي غير الله بعمله ، كان معه أصل الإيمان ، أو لم يكن »<sup>(١٠)</sup> .

- (1) كان يقول مجاهد في هذه الآية : هم أهل الرياء ، هم أهل الرياء . أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٤٨/١٢ ، ٣٥٠ ، ٣٥٢ - ٣٥٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠١٢/٦) من طرق ، عنه . وزاد نسبه السيوطي في الدر المنثور (٤٠٧/٤) لأبي الشيخ . وينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٨٤/٤) .
- (2) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٤٠٧/٤) لابن أبي شيبة ، وهناد ، وابن أبي حاتم .
- (3) ينظر : أنوار التنزيل (٤٥٤/١) ، وبدائع التفسير (٤٢٠/٢ - ٤٢١) .
- (4) ينظر : معالم التنزيل (٣٩١ / ٢) .
- (5) ينظر : تفسير القرآن العظيم (٤٢٢ / ٧ - ٤٢٣) .
- (6) ينظر : إعراب القرآن (٢٧٥/٢) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٤٣١/٣) .
- (7) رواه أبوهريرة رضي الله عنه مرفوعاً . وأخرجه ابن المبارك في الزهد (٤٦٩) ، ومن طريقه البخاري في خلق أفعال العباد (٢٥٣) ، وأحمد في المسند (٢٩/١٤) رقم (٨٢٧٧) ، ومسلم في صحيحه برقم (١٩٠٥) ، والترمذي في سننه رقم (٢٣٨٢) ، والنسائي في الكبرى - كما في تحفة الأشراف (١١١/١٠) - وابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٥٠/١٢ - ٣٥٢) ، وابن خزيمة في صحيحه (٢٤٨٢) ، وابن حبان في صحيحه (الإحسان ، رقم ٤٠٨) ، وأبو الفضل الزهري في حديثه (٦٨٧) والحاكم في مستدركه (٤١٨/١) ، وأبو نعيم في الحلية (١٦٩/٥) ، وينظر : الدر المنثور للسيوطي (٤٠٧/٤) وزاد نسبه لابن المنذر . وينظر : صحيح الترغيب والترهيب (١٣/١) .
- (8) أحكام القرآن (١٠٥٦ / ٣) .
- (9) زاد المسير (٨٤ / ٤) بتصرف يسير .
- (10) أحكام القرآن (١٠٥٦ / ٣) .

وصححه القرطبي<sup>(١)</sup> ، واستظهره أبو حيان<sup>(٢)</sup> .  
وقال القنوجي : « والحمل على العموم أولى »<sup>(٣)</sup> .  
وسياق ابن جرير الطبري للآثار يدل على أنه يذهب إلى العموم من غير تخصيص لها  
بقومٍ دون قومٍ ، وهو مفهوم كلامه<sup>(٤)</sup> .  
واستشكل هذا الرازي فقال : « وهذا القول مشكل ؛ لأن آخر الآية لا يليق إلاّ  
بالكافر ولا يليق بالمؤمن »<sup>(٥)</sup> .  
وهذا الإشكال مندفع بما ذكره أبو حيان قبلُ ، وبأن المؤمن قد يدخل النار ولكنه لا  
يخلد فيها ، وهذا أمر مقرر عند أهل السنة والجماعة لا إشكال فيه .  
والقول بالعموم هو الصحيح ، ويؤيده قاعدة (حمل نصوص الوحي على العموم  
واجب)<sup>(٦)</sup> ، والله تعالى أعلم .

(1) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ( ١١ / ٨٥ ) .

(2) ينظر : البحر المحيط ( ٥ / ٢٠٩ ) .

(3) فتح البيان ( ٦ / ١٥٣ ) .

(4) ينظر : جامع البيان ( ١٢ / ٣٤٦ ) .

(5) مفاتيح الغيب ( ٦ / ٣٢٨ ) .

(6) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين ( ٢ / ٥٢٧ ) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كَتَبُ مُوسَىٰ  
 إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِّنَ الْأَحْزَابِ فَالْتَأَرْ مَوْعِدُهُ  
 فَلَا تَكُ فِي مَرِيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

**٦- الخلاف في المراد بالشاهد في قوله تعالى : ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ .**

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « الضمير في ﴿ وَيَتْلُوهُ ﴾ للبرهان وهو البَيِّنَةُ ، ولمن كان على بينة من ربه . والضمير في ﴿ مِّنْهُ ﴾ للربِّ تعالى . و﴿ وَيَتْلُوهُ ﴾ هنا بمعنى يَتَّبِعُهُ . والشاهد يريد به القرآن . فالمعنى : يَتَّبِعُ ذلك البرهان شاهداً من الله ، وهو القرآن ، فيزيد وضوحه وتَعْظُمُ دلالته . وقيل : إن الشاهد المذكور هنا هو عليُّ بن أبي طالب . ﴿ وَمِن قَبْلِهِ كَتَبُ مُوسَىٰ ﴾ أي : ومن قبل ذلك الكتاب الشاهد كتاب موسى ، وهو أيضاً دليل آخر متقدِّم . وقد قيل أقوال كثيرة في معنى هذه الآية ، وأرجحها ما ذكرنا « (١) .

#### العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيِّ أن الشاهد في قوله تعالى : ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ هو القرآن . ورؤي هذا عن ابن زيد (٢) ، وشَهْر بن حَوْشَب (٣) . وقاله الحسين بن الفضل (٤) . واختاره ابن قتيبة ، والزمخشري ، ومحمود النيسابوري ، والرازي ، والنسفي ، وابن تيمية ونَصَرَهُ بقوَّة ، والقَمِّي ، وأبوحيان ، وابن كثير ، والبقاعي ، والسيد محمد رشيد

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٠٣) .

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠١٥/٦) رقم (١٠٧٦٥) من طريق أصبغ بن الفرج عنه قال : رسول الله < كان على بينة من ربه ، والقرآن يتلوه شاهداً أيضاً ؛ لأنه من رسول الله < .

(3) ينظر : بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ١٢٠) .

(4) ينظر : معالم التنزيل للبعوي (٢/ ٣٩٢) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٨٦) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨٩/١١) ، ولباب التأويل للخازن (٢/ ٣٢١) ، وقال الآلوسي في روح المعاني (١٢/ ٢٧) : وهو - كما قال الحسين بن الفضل - الإعجاز في نظمه .

رضا، والمراغي ، والطاهر بن عاشور <sup>(١)</sup> .

وذكره النحاس ، ومكي ، والقرطبي ، والبلنسي ، وأبوالسعود بصيغة ( قيل ) <sup>(٢)</sup> .  
ويندرج في القول بأن الشاهد هو القرآن ، قول من قال : إنه الإعجاز في نظمه أو في  
إخباره بالغيب . وهذا يرجع إلى القرآن . واختاره أبوالسعود ، والآلوسي ، والشوكاني ،  
والقنوجي <sup>(٣)</sup> . وبيان اندراجه فيه : أنهما متلازمان .

قال الطاهر بن عاشور : « أي : شاهد من الله وهو القرآن ؛ لأنه لإعجازه المعاندين  
عن الإتيان بعشر سور مثله كان حُجَّةً على أنه آتٍ من جانب الله » <sup>(٤)</sup> .

قال ابن قتيبة : « وهذا أعجب إليّ ؛ لأنه يقول : ﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَى ﴾ يعني

التوراة ﴿ إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾ قبل القرآن يشهد له بما قدم الله فيها من ذكره » <sup>(٥)</sup> .

وقال الرازي : « فالحاصل أنه اجتمع في تقرير صحة هذا الدين أمور ثلاثة : أولها :  
دلالة البنيات العقلية على صحته . وثانيها : شهادة القرآن بصحته . وثالثها : شهادة التوراة  
بصحته ، فعند اجتماع هذه الثلاثة لا يبقى في صحته شك ولا ارتياب . فهذا القول أحسن  
الأقوال في هذه الآية وأقربها إلى مطابقة اللفظ » <sup>(٦)</sup> .

وقال أبوحيان : « ويدل على أن الشاهد القرآن : ذكرُ قوله ﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ ﴾ أي :  
ومن قبل القرآن كتاب موسى ، فمعناه : أنه تظافر على هدايته شيئان ؛ كونه على أمر  
واضح من برهان العقل ، وكونه يوافق ذلك البرهان هذين الكتابين الإلهيين القرآن والتوراة ،

(1) ينظر : تأويل مشكل القرآن (٣٩٥) ، والكشاف (١٨٩/٣) ، وإيجاز البيان (٣٢٧/١) ، ومفاتيح الغيب  
(٣٢٩/٦) ، ومدارك التنزيل (١٨٣/٢) ، ومجموع الفتاوى (٦٥/١٥ - ٧٤ ، ٩٠) ، وغرائب القرآن ورغائب  
الفرقان (١٢/٤) ، والبحر المحيط (٢١٠/٥ ، ٢١١) ، وتفسير القرآن العظيم (٤٢٥/٧) ، ونظم الدرر  
(٢٥٢/٩) ، وتفسير القرآن الحكيم (٤٥/١٢) ، وتفسير المراغي (١٨/١٢) ، والتحرير والتنوير (٢٨/١٢) .

(2) ينظر : معاني القرآن الكريم (٣٣٧/٣) ، ومشكل إعراب القرآن (٣٥٧/١) ، والجامع لأحكام القرآن  
(٨٩/١١) ، وتفسير مبهمات القرآن (٢٤/٢) ، وإرشاد العقل السليم (١٧/٣) .

(3) ينظر : إرشاد العقل السليم (١٦/٣) وروح المعاني (٢٧/١٢) وفتح القدير (٦٨١/٢) وفتح البيان (١٥٧/٦) .

(4) التحرير والتنوير (٢٨ / ١٢) .

(5) تأويل مشكل القرآن (٣٩٥) .

(6) مفاتيح الغيب (٣٢٩ / ٦) .

فاجتمع له العقل والنقل»<sup>(١)</sup> .

وأما القول الآخر بأن الشاهد في قوله تعالى : ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ هو علي بن أبي طالب ، فهو قول رُوِيَ عن علي بن أبي طالب<sup>(٢)</sup> . وبه قال محمد بن علي ، وزيد بن علي<sup>(٣)</sup> .

وتعجب منه الكرماني<sup>(٤)</sup> . وضعفه ابن كثير وقال : « لا يثبت له قائل »<sup>(٥)</sup> . وردّه الآلوسي<sup>(٦)</sup> . وذكره القرطبي ، والبلنسي بصيغة ( قيل )<sup>(٧)</sup> . واستدل له بما روى المنهال ، عن عبّاد بن عبد الله قال : قال علي : « ما في قريش أحد إلاّ وقد نزلت فيه آية ، قيل له : فما نزل فيك ؟ قال : ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ »<sup>(٨)</sup> .

وبما أخرجه ابن مردويه عنه قال : قال رسول الله < : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾ : ( أنا ) . ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ قال : ( عليّ )<sup>(٩)</sup> . وهذا معارض بما رواه محمد بن علي بن أبي طالب قال : « قلت لأبي : إن الناس يزعمون في قوله : ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ أنك أنت التالي . قال : وددت أني أنا هو ،

(1) البحر المحيط (٥/ ٢١١) .

(2) قال ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٨٦) : رواه جماعة عن علي بن أبي طالب .

(3) المصدر السابق .

(4) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٥٠٠) .

(5) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٤٢٥) .

(6) ينظر : روح المعاني (١٢/ ٢٧-٢٨) .

(7) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٨٨) ، وتفسير مبهمات القرآن (٢/ ٢٤) .

(8) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠١٤-٢٠١٥) رقم (١٠٧٦٤) . وزاد السيوطي في الدر المنثور

(٤/ ٤٠٩-٤١٠) نسبه لابن مردويه ، وأبي نعيم في المعرفة ، وابن عساكر . وأخرجه ابن جرير الطبري في

جامع البيان (١٢/ ٣٥٦-٣٥٧) من طريق جابر الجعفي ، عن عبد الله بن نُجَيِّ ، عن علي . وجابر بن يزيد

الجعفي ضعيف رافضي . ينظر : التقريب لابن حجر (١٣٧) .

(9) ينظر : الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٤١٠) .

ولكنه لسان محمد < «<sup>(١)</sup> .

قال ابن أبي حاتم : « وروي عن الحسن ، وقتادة نحو ذلك »<sup>(٢)</sup> .

وقال الآلوسي : « ويكذبه ما أخرجه ... » وذكر حديث محمد بن علي ، عن أبيه<sup>(٣)</sup> .

ومن الأقوال في معنى الآية قول من قال : إن الشاهد هو جبريل × ، ورؤي هذا عن ابن عباس<sup>(٤)</sup> ، ومجاهد<sup>(٥)</sup> ، وأبي صالح<sup>(٦)</sup> ، والضحاك<sup>(٧)</sup> ، وعكرمة<sup>(٨)</sup> ، وأبي العالية<sup>(٩)</sup> ، وإبراهيم النخعي<sup>(١٠)</sup> ،

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٥٣/١٢ - ٣٥٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠١٤/٦) رقم (١٠٧٥٩) ، والطبراني في الأوسط رقم (٦٨٢٨) من طريق قتادة ، عن عروة ، عن محمد بن الحنفية به . وزاد نسبه السيوطي في الدر المنثور (٤١٠/٤) لابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(2) تفسير القرآن لابن أبي حاتم (٢٠١٤ / ٦) . وأثر الحسن أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٥٤/١٢) ، من طرق ، عنه قال : لسان رسول الله < الذي كان يتلو القرآن . وأثر قتادة أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٠٣/١٢) عن معمر ، عنه بنحوه . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٥٤/١٢) من طريق معمر به .

(3) روح المعاني (٢٨ / ١٢) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٥٧/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠١٤/٦) رقم (١٠٧٦٠) من طريق يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عنه . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٥٩/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠١٤/٦) رقم (١٠٧٦١) بالإسناد المسلسل بالعوفيين .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٥٧/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠١٤/٦) رقم (١٠٧٦٢) من طريق ليث ، وأيوب ، عنه .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٥٨/١٢) من طريق إسرائيل ، عن السدي ، عنه . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠١٤/٦) عقب الأثر (١٠٧٦٠) .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٥٨/١٢) من طريق جوير ، عنه . ومن طريق عبيد بن سليمان ، عنه . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠١٤/٦) عقب الأثر (١٠٧٦٠) .

(8) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٥٩/١٢) . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠١٤/٦) عقب الأثر (١٠٧٦٠) .

(9) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٥٩/١٢) . وذكره ابن أبي حاتم ...

(10) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٠٣/١) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٥٨/١٢) . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠١٤/٦) عقب (١٠٧٦٠) .

ومنصور بن المعتمر <sup>(١)</sup> ، وعطاء الخراساني <sup>(٢)</sup> .

واختاره مقاتل ، والكلبي ، والفراء ، وابن جرير الطبري ، والزجاج ، والنحاس ، والسمرقندي ، وابن أبي زمنين ، والواحدي وقال : وهو قول أكثر المفسرين ، والسمعاني وقال : وعليه أكثر أهل التفسير ، والكرماني وقال : وهذا قول الجمهور ، وابن الجوزي ، والبلنسي ، والسيوطي <sup>(٣)</sup> .

وقدّمه البغوي وقال : « وهذا قول أكثر أهل التفسير » <sup>(٤)</sup> .

قال ابن جرير الطبري : « لدلالة قوله : ﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَى ﴾ على صحة ذلك . وذلك أن نبي الله ﷺ لم يقل قبل القرآن كتاب موسى ... ولا يعلم أن أحداً كان تلا ذلك قبل القرآن ... غير جبريل » <sup>(٥)</sup> .

ويشكل عليه قراءة ﴿ كَتَبْتُ مُوسَى ﴾ بالرفع ...

وأجاب ابن جرير عنه بأن ابتداء الخبر عن مجيء كتاب موسى قبل القرآن فرجع بـ **وَمِنْ قَبْلِهِ** ..

وردّ هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية قائلاً : « ومن قال : إنه جبريل لم يقل شيئاً من تلقاء نفسه ، بل هو الذي بلغ القرآن عن الله ، وجبريل يشهد أن القرآن منزل من الله وأنه حق ، كما قال : ﴿ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ

(1) ينظر : تفسير القرآن للسمعاني (٢/ ٤١٩) .

(2) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠١٤) عقب الأثر (١٠٧٦٠) .

(3) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٢٧٦) ، وبحر العلوم للسمرقندي (٢/ ١٢٠) ، ومعاني القرآن (٢/ ٦) ، وجامع البيان (١٢/ ٣٦٠) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٣) ، ومعاني القرآن الكريم (٣/ ٣٣٦) ، وبحر العلوم (٢/ ١٢٠) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ٢٨٣) ، والوجيز (١/ ٥١٦) ، والوسيط (٥٦٨) ، وتفسير القرآن (٢/ ٤١٨) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٥٠٠) ، وتذكرة الأريب (١/ ٢٤٦) ، وتفسير مبهمات القرآن (٢/ ٢٣) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ٤٣٣) .

(4) معالم التنزيل (٢/ ٣٩٢) .

(5) جامع البيان (١٢/ ٣٦٠) .

يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١﴾ [النساء: ١٦٦] .

وقال ابن كثير : « وهو القرآن ، بلغه جبريل إلى النبي > ، وبلغه النبي محمد > إلى أمته »<sup>(٢)</sup> .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأقرب في المراد بالشاهد في قوله تعالى : ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ أنه القرآن ؛ لأنه الأنسب بالسياق إذ الكلام في القرآن والدلالة على أنه من عند الله لأ، وذكر كتاب موسى دليل على ذلك أيضاً . ويؤيده قاعدة دلالة السياق الترجيحية<sup>(٣)</sup> ، والله تعالى أعلم .

(1) مجموع الفتاوى (٦٥/١٥) . وقد تكلم عن هذه المسألة بإسهاب بالغ . ينظر: المصدر السابق (١٥/٦٢-١٠٨) .

(2) تفسير القرآن العظيم (٧/٤٢٥) .

(3) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (١/١٢٥) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ﴾

هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا نَذْكُرُونَ ﴿٥٥﴾

٧- الخلاف في معنى المثل في قوله تعالى :

﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ﴾

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « ﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ ﴾ يعني : المؤمنين والكافرين .  
﴿ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ﴾ : شبه الكفار بالأعمى والأصم ، وشبهه  
المؤمنين بالبصير والسميع . فهو على هذا تمثيل للمؤمنين بمثاليين وتمثيل للكافرين بمثاليين .  
وقيل : التقدير كالأعمى والأصم ، والبصير والسميع . فالواو لعطف الصفات . فهو على  
هذا تمثيل للمؤمنين بمثال واحد وهو من جمع بين السمع والبصر ، وتمثيل للكفار بمثال واحد  
وهو من جمع بين العمى والصم » <sup>(١)</sup> .

العرض والمناقشة :

رجح ابن جزي أن التشبيه في قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى ﴾

وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ﴿ هو تشبيهان اثنان ؛ شبه الكفار تشبيهين اثنين بالأعمى وبالأصم ،  
وشبه المؤمنين تشبيهين اثنين بالبصير والسميع . ورؤي هذا المعنى عن مجاهد <sup>(٢)</sup> .  
وإلى هذا ذهب الثعالبي ، والسيد محمد رشيد رضا <sup>(٣)</sup> ، وقدمه ابن عطية <sup>(٤)</sup> .  
واحتمله الألوسي <sup>(٥)</sup> ، وجعل التشبيه في الآية اثنين هو كتشبيه امرئ القيس قلوب

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (١٠٣/٢) .

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٧٧/١٢) من طريق ابن أبي نجيح ، عنه . وينظر : زاد المسير لابن  
الجوزي (٩٣/٤) .

(٣) ينظر : الجواهر الحسان (١٢٢/٢) ، وتفسير القرآن الحكيم (٥١/١٢) .

(٤) ينظر : المحرر الوجيز (٢٦٨/٧) .

(٥) ينظر : روح المعاني (٣٤/١٢) .

الطير بِالْجَشَنِ وَالْعُنَابِ ، وذلك في قوله :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا      لَدَى وَكْرِهِا الْعُنَابُ وَالْحَشْفُ الْبَالِي (١)

قال السمين : « وأصل الكلام : كأن الرطب من قلوب الطير : العناب ، واليابس منها : الحشف » (٢) .

وأما القول الآخر وهو أن التشبيه واحد ، شبه الكفار تشبيهاً واحداً بحال من جمع بين العمى والصرم ، وشبه المؤمنين تشبيهاً واحداً بحال من جمع بين السمع والبصر ، والواو لعطف الصفات ، فهو قول رُوِيَ معناه عن ابن عباس (٣) ، وقتادة (٤) ، والضحاك (٥) .  
قالوا : الأعمى والأصم مثل الكافر ، والبصير والسميع مثل المؤمن . وإلى هذا القول ذهب الفراء ، وأبو عبيدة ، وابن جرير الطبري ، والزجاج ، والنحاس ، والسمرقندي ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ، والبغوي ، والقرطبي ، والخازن ، وأبو السعود ، والسيوطي ، والمراغي (٦) .

وهو مفهوم كلام مقاتل ، وابن القيم ، وابن كثير ، والبقاعي (٧) ، وقدمه الآلوسي (٨) .

(1) ديوان امرئ القيس (٣٤) . والحشف البالي : يابس الثمر .

(2) الدر المصون (٦ / ٣٠٧) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٧٦/١٢) من طريق حجاج ، عن ابن جريج ، عنه . وزاد السيوطي نسبته إلى أبي الشيخ كما في الدر المنثور (٤/٤١٥) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٧٧/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/٢٠٢٠ - ٢٠٢١) رقم (١٠٨٠٣ و ١٠٨٠٤) من طريق يزيد ، عن سعيد ، عنه . وينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٤/٩٣) .

(5) ينظر : معاني القرآن الكريم للنحاس (٣ / ٣٤١) .

(6) ينظر : معاني القرآن (٧/٢) ، ومجاز القرآن (١/٢٨٧) ، وجامع البيان (١٢/٣٧٧) ، ومعاني القرآن وإعراجه (٣/٤٦) ، ومعاني القرآن الكريم (٣/٣٤١) ، وإعراجه القرآن (٢/٢٧٨) ، وبحر العلوم (٢/١٢٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/٢٨٥) ، والوجيز (١/٥١٧) ، ومعالم التنزيل (٢/٣٩٥) ، والجامع لأحكام القرآن (١١/٩٦) ، ولباب التأويل (٢/٣٢٣) ، وإرشاد العقل السليم (٣/٢٠) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/٤٣٧) ، وتفسير المراغي (١٢/٢٣) .

(7) ينظر : تفسير مقاتل (٢/٢٧٨) ، وبدائع التفسير (٢/٤٢٧) ، وإعلام الموقعين (١/٢٠٣ - ٢٠٤) ، وتفسير القرآن العظيم (٧/٤٢٩ - ٤٣٠) ، ونظم الدرر (٩/٢٦٤) .

(8) ينظر : روح المعاني (١٢ / ٣٤) .

قالوا : يدل على أنه تشبيه واحد لكل من الفريقين قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾ ولم يقل : هل يستوون . وذلك أن الأعمى والأصم من صفةٍ واحدٍ - وهو من جمع بينهما - والبصير والسميع من صفةٍ واحدٍ - وهو من جمع بينهما - كقول القائل : مررت بالعاقل واللييب . وهو يعني واحداً<sup>(١)</sup> .

قال ابن جرير الطبري : « فالأعمى والأصم والبصير والسميع في اللفظ أربعة ، وفي المعنى اثنان ، ولذلك قيل : ﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾ . وقيل : ﴿ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى ﴾ والمعنى : كالأعمى الأصم . وكذلك قيل : ﴿ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ﴾ والمعنى : البصير السميع ، كقول القائل : قام الظريف والعاقل . وهو يَنْعَتُ بذلك شخصاً واحداً<sup>(٢)</sup> .  
قالوا : فالواو لعطف الصفة على الصفة كقوله : الصابح فالغانم فالآيب<sup>(٣)</sup> وكقول الآخر :

إلى الملكِ القَرْمِ وابنِ الهمامِ      وليثِ الكريهةِ في المزدحمِ<sup>(٤)</sup>

قال أبو السعود : « الأدخل في المبالغة والأقرب إلى ما يشير إليه لفظ المثل والأنسب بما سبق من وصف الكفرة بعدم استطاعة السمع وبعدم استطاعة الأبصار أن يحمل على تشبيه الفريق الأول بمن جمع بين العمى والصم ، وتشبيه الفريق الثاني بمن جمع بين البصر والسمع ، على أن تكون الواو لعطف الصفة على الصفة ...»<sup>(٥)</sup> .

وإلى التسوية بين القولين ذهب الشوكاني ، والقنوجي<sup>(٦)</sup> . وإلى تجويزهما ذهب البيضاوي ، والسمين<sup>(٧)</sup> . وذكرهما الزمخشري وأبو حيان ولم يرجح بينهما<sup>(٨)</sup> .

- (1) ينظر : معاني القرآن للفراء (٧/٢) ومجاز القرآن لأبي عبيدة (٢٨٧/١) ومعاني القرآن الكريم للنحاس (٣٤١/٣) .
- (2) جامع البيان (٣٧٧ / ١٢) .
- (3) ينظر : الكشاف للزمخشري (١٩١/٣) ، والدر المصون للسمين (٣٠٧/٦) .
- (4) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان (٢١٣/٥) والدر المصون للسمين (٣٠٧/٦) وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢٠/٣) . والقَرْمُ : الرجل العظيم .
- (5) المصدر الأخير .
- (6) ينظر : فتح القدير (٦٨٥/٢) ، وفتح البيان (١٦٥/٦) .
- (7) ينظر : أنوار البيضاوي (٤٥٦/١) ، والدر المصون (٣٠٦/٦ - ٣٠٧) .
- (8) ينظر : الكشاف (١٩١/٣) ، والبحر المحيط (٢١٣/٥) .

وأما الطاهر بن عاشور فانفرد بقول لم يسبق إليه - فيما أعلم - فجعله تشبيهيين اثنين للكافرين ، وتشبيهاً واحداً للمؤمنين . قال : « لأن لفريق الكفار حالين كل حال منهما جدير بتشبيهه بصفة من تيتك الصفتين على حدة ، فهم يُشبهون الأعمى في عدم الاهتداء إلى الدلائل التي طريق إدراكها البصر ، ويُشبهون الأصم في عدم فهم المواعظ النافعة التي طريق فهمها السمع ، فهم في حالتين كلُّ حال منهما مُشَبَّهٌ به . ففي قوله تعالى :

﴿ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى ﴾ تشبيهان مَفْرُقَان ؛ كقول امرئ القيس :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا      لَدَى وَكْرَهَا الْعُتَابُ وَالْحَشْفُ الْبَالِي

والذي في الآية تشبيهه معقولين محسوسين ، واعتبار كل حال من حالي فريق الكفار لا محيد عنه ؛ لأن حصول أحد الحالين كافٍ في جرّ الضلال إليهم بله اجتماعهما ، إذ المشبّه بهما أمر عديم فهو في قوة المنفي . وأما الداعي إلى العطف في صفتي " البصير ، والسميع " بالنسبة لحال فريق المؤمنين بخلاف ما قرّرنا في حال فريق الكافرين ؛ لأن حال المؤمنين تشبه حالة مجموع صفتي " البصير والسميع " ، إذ الاهتداء يحصل بمجموع الصفتين فلو ثبتت إحدى الصفتين وانتفت الأخرى لم يحصل الاهتداء إذ الأمران المشبّه بهما أمران وجوديان ، فهما في قوة الإثبات ؛ فتعين أن الكون الداعي إلى عطف " السميع " على " البصير " في تشبيه حال فريق المؤمنين هو المزاوجة في العبارة لتكون العبارة عن حال المؤمنين مماثلة للعبارة عن حال الكافرين في سياق الكلام ، والمزاوجة من محسنات الكلام ، ومرجعها إلى فصاحته<sup>(١)</sup> .

وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن كل الأقوال صحيحة المعنى وجائزة ومحملة وممكنة ، لكن الأولى أن يكون تشبيهاً واحداً لكل فريق ؛ لأنه الأنسب بالسياق ، وما كان كذلك فهو أولى بالتقديم<sup>(٢)</sup> ، وهو اختيار الأكثر<sup>(٣)</sup> ، والله تعالى أعلم . وإذا كان ذلك كذلك فلا وجه لتضعيف ابن جزيّ له ، والله أعلم .

(1) التحرير والتنوير (١٢ / ٤٢) .

(2) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (١ / ١٢٥) .

(3) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل (١ / ٩) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرْنَكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرْنَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ

أَرَادْنَا بِأَدْيِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَنْظُرُكُمْ كَذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾

٨- الخلاف في إعراب (بادي الرأي) في قوله تعالى :

﴿ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا بِأَدْيِ الرَّأْيِ ﴾ .

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « ﴿ بَادِي الرَّأْيِ ﴾ <sup>(١)</sup> أي : أول الرأي من غير نظر ولا

تدبير. و ﴿ بَادِي ﴾ منصوب على الظرفية ، أصله وقت حدوث أول رأيهم ، والعامل فيه

﴿ أَتْبَعَكَ ﴾ على أصح الأقوال . والمعنى : اتبعك الأراذل من غير نظر ولا تثبت <sup>(٢)</sup> . وقيل :

هو صفة لـ ﴿ بَشَرًا مِثْلَنَا ﴾ أي : غير مثبت في الرأي » <sup>(٣)</sup> .

العرض والمناقشة :

صحح ابن جزي أن ﴿ بَادِي الرَّأْيِ ﴾ منصوب على الظرفية ، والعامل فيه

﴿ أَتْبَعَكَ ﴾ ومعناه : اتبعك الأراذل من غير نظر ولا تثبت .

قال الكلبي : « ظاهر الرأي ، يعني : أنهم يعرفون الظاهر فلا تمييز لهم » <sup>(٤)</sup> .

وإلى هذا القول ذهب مكّي ، والسمعي على قراءة الهمزة ، والكرماني ، والبغوي على

القراءتين ، والزحشري ، وابن الجوزي على قراءة الهمز ، والقرطبي على قراءة الهمز ، والبيضاوي،

والنسفي، والخازن ، والقرشي اليماني ، والسمين على قراءة الهمز ، وابن كثير ، والبقاعي ،

وأبوالسعود ، والسيوطي ، والشوكاني ، والآلوسي ، والقنوجي ، والقاسمي ، والسيد محمد رشيد

(1) في قوله تعالى : ﴿ بَادِي الرَّأْيِ ﴾ قراءتان : قراءة أبي عمرو البصري بهمز ( بادئ ) ، وقراءة باقي السبعة بترك

الهمز . ينظر : السبعة لابن مجاهد ( ٣٣٢ ) ، وحجة القراءات لابن زنجلة ( ٣٣٨ ) ، والكشف ( ٥٢٦/١ ) ،

والتيسير ( ١٠١ ) .

(2) وقع في المطبوع وفي بعض النسخ : تشبث ، بالشين . والصواب ما أثبتته كما في بعض النسخ .

(3) التسهيل لعلوم التنزيل ( ١٠٤/٢ ) .

(4) بحر العلوم للسمرقندي ( ١٢٣/٢ ) .

رضا ، والمراغي ، والسعدي ، والطاهر بن عاشور <sup>(١)</sup> .  
 واحتمله ابن عطية ، وأبو حيان ، والثعالبي <sup>(٢)</sup> . واحتمله السمين على قراءة ترك الهمز <sup>(٣)</sup> .  
 وبدأ به النحاس ، والقمي <sup>(٤)</sup> . وذكره الزجاج وجوزّه وقال : « وقراءة أبي عمرو على  
 هذا التفسير الثاني ، أي : اتبعوك ابتداء الرأي ، أي : حين ابتدأوا ينظرون وإذا فكروا لم  
 يتبعوك » <sup>(٥)</sup> .

قال مكّي : « وإنما جاز أن يكون (فاعل) ظرفاً كما جاز ذلك في (فعليل) نحو قريب وملئ ،  
 وفاعل وفعليل يتعاقبان نحو : راحم ورحيم وعالم وعليم ، وحسن ذلك في (فاعل) ؛ لإضافته إلى  
 الرأي ، والرأي يضاف إليه المصدر وينتصب المصدر معه على الظرف ... والعامل في الظرف  
 (بادي) هو قوله : ﴿ أَتَّبَعَكَ ﴾ <sup>(٦)</sup> .

وقال الكرمانى : « والعامل في الظرف ﴿ أَتَّبَعَكَ ﴾ . وجاز أن يعمل في الظرف ، وإن  
 وقع بعد إلا ، ولم يمتنع كما يمتنع : ما أعطيت إلا زيدا ثوباً ؛ لأن الظرف يعمل فيه معنى الفعل ،  
 وإن بُعد » <sup>(٧)</sup> .

وأما القول الآخر في ﴿ بَادِي الرَّأْيِ ﴾ بأنه صفة لـ ﴿ بَشَرًا مِثْلَنَا ﴾ ، أي صفة لنوح

(1) ينظر : مشكل إعراب القرآن (١/٣٥٨ - ٣٥٩) ، وتفسير القرآن (٢/٤٢٤) ، وغرائب التفسير وعجائب  
 التأويل (١/٥٠٣) ، ومعالم التنزيل (٢/٣٩٦) ، والكشاف (٣/١٩٣) ، وتذكرة الأريب (١/٢٤٧) ، والجامع  
 لأحكام القرآن (١١/١٠١) ، وأنوار التنزيل (١/٤٥٦) ، ومدارك التنزيل (٢/١٨٥) ، ولباب التأويل  
 (٢/٣٢٤) ، والترجمان عن غريب القرآن (٦٥) ، والدر المصون (٦/٣١٠) ، وتفسير القرآن العظيم (٧/٤٣٠)  
 ، ونظم الدرر (٩/٢٧٠) ، وإرشاد العقل السليم (٣/٢٣) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/٤٣٩) ،  
 وفتح القدير (٢/٦٨٨) ، وروح المعاني (١٢/٣٨) ، وفتح البيان (٦/١٦٧) ، ومحاسن التأويل (٩/٣٤٢٨) ،  
 وتفسير القرآن الحكيم (١٢/٥٣) ، وتفسير المراغي (١٢/٢٥) ، وتيسير الكريم الرحمان (٢/٣٦٢) ، والتحرير  
 والتنوير (١٢/٤٨ ، ٤٩) .

(2) ينظر : المحرر الوجيز (٧/٢٧٢) ، والبحر المحيظ (٥/٢١٥) ، والجواهر الحسان (٢/١٢٢) .

(3) ينظر : الدر المصون (٦/٣١٠) .

(4) ينظر : معاني القرآن الكريم (٣/٣٤١ - ٣٤٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/١٧) .

(5) معاني القرآن وإعراجه (٣/٤٧) .

(6) مشكل إعراب القرآن (١/٣٥٩) .

(7) غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/٥٠٣) . وينظر : روح المعاني للآلوسي (١٢/٣٨) .

× والمعنى : غير مُتَّبَتِ فِي الرَّأْيِ ، فهو قول احتمله ابن عطية ، وتبعه الثعالبي <sup>(١)</sup> .  
 وذكره أبو حيان بصيغة ( قيل ) <sup>(٢)</sup> .

واختار طائفة من المفسرين أن معنى ﴿ بَادَى الرَّأْيِ ﴾ أي : فيما يبدو ويظهر لنا . أي :  
 لم يتبعك إلا أراذلنا ، في ظاهر الرأي وفيما يظهر لنا ويبدو .  
 ومنهم : ابن جرير الطبري ، والنحاس <sup>(٣)</sup> .

وذكره الزجاج وقال : « وهذا هو التفسير الأول على قراءة الجمهور » <sup>(٤)</sup> .  
 فعند الزجاج أن التفسير عليها يكون على نوعين : هذا ، والآخر الذي هو موافق  
 لقراءة أبي عمرو .

واستشهد ابن جرير على هذا القول في معنى ﴿ بَادَى الرَّأْيِ ﴾ بأثر ابن عباس في  
 تفسيرها قال : فيما يظهر لنا <sup>(٥)</sup> .

إذا تقرر هذا فإن إعراب ﴿ بَادَى الرَّأْيِ ﴾ نصباً على الظرفية أولى من إعرابها صفةً  
 — ﴿ بَشَرًا مِّثْلَنَا ﴾ ؛ لطول الفصل بين الصفة والموصوف . وهذا هو اختيار جمهور  
 المفسرين <sup>(٦)</sup> . وأما قول ابن عباس فهو قريب فيما يظهر ، ليس بمدفوع ، والله تعالى أعلم .

(1) ينظر : المحرر الوجيز (٢٧٣/٧) ، والجواهر الحسان (١٢٢/٢) .

(2) ينظر : البحر المحيط (٢١٥/٥) .

(3) ينظر : جامع البيان (٣٧٩/١٢ ، ٣٨٠) ، ومعاني القرآن الكريم (٣٤٢/٣) .

(4) معاني القرآن وإعرابه (٤٧/٣) .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٨١/١٢) من طريق حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ،  
 عنه .

(6) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل (٩/١) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا يُخْرِمُونَ ﴾ (٣٥)

٩- الخلاف في عائد ضمير ﴿ يَقُولُونَ ﴾ و ﴿ أَفْتَرَنَاهُ ﴾ في قوله تعالى :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ ﴾ الآية .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « الضمير في ﴿ يَقُولُونَ ﴾ لكفار قريش ؛ وفي ﴿ أَفْتَرَنَاهُ ﴾ لمحمد < . وهذا قول جميع المفسرين <sup>(١)</sup> . واختار ابن عطية أن تكون في شأن نوح × ، فيكون الضمير في ﴿ يَقُولُونَ ﴾ لقوم نوح ، وفي ﴿ أَفْتَرَنَاهُ ﴾ لنوح؛ لئلا يعترض ما بين قصة نوح بغيرها <sup>(٢)</sup> . وهو بعيد <sup>(٣)</sup> .

العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيِّ أن الضمير في ﴿ يَقُولُونَ ﴾ لكفار قريش ، وفي ﴿ أَفْتَرَنَاهُ ﴾ لمحمد < ، فتكون الآية على هذا القول جملة اعتراضية في أثناء قصة نوح × .  
 واختار هذا القول مقاتل ، وابن جرير الطبري ، وابن أبي زمنين ، والماوردي ، والكرماني ، والرازي ، وابن كثير ، والبقاعي ، والسيوطي ، والسيد محمد رشيد رضا ، والمراغي ، والطاهر بن عاشور <sup>(٤)</sup> .  
 وذكره أبوحيان بصيغة ( قيل ) <sup>(٥)</sup> . واستبعده الآلوسي <sup>(٦)</sup> .

(1) يُحمل قوله هذا على ما قبله من المفسرين .

(2) ينظر : المحرر الوجيز (٧/ ٢٨٢) .

(3) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٠٤) .

(4) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٢٨٠-٢٨١) ، وجامع البيان (١٢/ ٣٨٩) ، وتفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٢٨٧) ، والنكت والعيون (٢/ ٤٦٨) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٥٠٤) ، ومفاتيح الغيب (٦/ ٣٤٣) ، وتفسير القرآن العظيم (٧/ ٤٣٣) ، ونظم الدرر (٩/ ٢٨٠-٢٨١) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٣/ ٤٤٣) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٢/ ٦٠-٦١) ، وتفسير المراغي (١٢/ ٣٢) ، والتحرير والتنوير (١٢/ ٦٣) .

(5) ينظر : البحر المحيط (٥/ ٢٢٠) .

(6) ينظر : روح المعاني (١٢/ ٤٨) .

قال السيد محمد رشيد رضا ما حاصله : « الجمل الاعترافية أسلوب معهود في القرآن، كآيتي الوصية بالوالدين في أثناء موعظة لقمان لابنه [ سورة لقمان : ١٤-١٥ ] ، وكذلك الآيات [ ٥٣ - ٥٦ من سورة طه ] قالوا : إنها معترضة في المحاوراة بين موسى عليه السلام وفرعون عليه اللعنة . وللجمل والآيات المعترضة في القرآن حكم وفوائد يقتضيها تكوين الخطاب لتنبيه الأذهان ، ومنع السامة وتجديد النشاط في الانتقال ، والتشويق إلى سماع بقية الكلام . فمن المتوقع هنا أن يخطر في بال المشركين عند سماع ما تقدم من هذه القصة أنها مفتراه كما زعموا لاستغرابهم هذا السبب في الجدل والقوة في الاحتجاج ، وأن يصدّهم هذا عن استماع بقيتها ، فيكون إيراد هذه الآية تجديداً للردّ عليهم ولنشاطهم ، وأعظم بوقعها في قلوبهم إذا كان هذا الخاطر عرض لهم عند سماع ما تقدم من القصة . فما قاله مقاتل له وجهٌ وجيهٌ من وجهة الأسلوب الخاص بالقرآن ، وهو أقرب إلى تعبيرها عن الإنكار بيقولون وعن الردّ عليهم بقل الدالّين على الحال ، وأبعد عن سياق حكي كُله بفعل الماضي من الجانبين ( قالوا... قال ) وهو سياق قصة نوح × ، ولكنه ليس قطعياً وإنما هو الأرجح عندي ، وعليه ابن جرير ، ومقابله ضعيف ، وهو لجمهور المفسرين »<sup>(١)</sup> .

وقال الطاهر بن عاشور : « جملة معترضة بين جملة أجزاء القصة وليست من القصة ، ومن جعلها منها فقد أبعده . وهي تأكيد لنظيرها السابق في أول السورة ... »<sup>(٢)</sup> . يعني قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ ﴾ الآية [هود : ١٣] . وأما ما اختاره ابن عطية من أن الآية في شأن نوح × ، فيكون ضمير ﴿ يَقُولُونَ ﴾ لقوم نوح ، وضمير ﴿ أَفْتَرَنَاهُ ﴾ لنوح × ، فهو قول نُسب إلى ابن عباس<sup>(٣)</sup> . وقاله الكلبي<sup>(٤)</sup> .

(1) تفسير القرآن الحكيم (١٢/٦٠-٦١) بتصرف يسير .

(2) التحرير والتنوير (١٢/٦٣) .

(3) ينظر : غرائب التأويل وعجائب التفسير للكرماني (١/٥٠٤) ، ومعالم التنزيل للبخاري (٢/٣٩٨) ، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (٣/٢٨) ، وروح المعاني للآلوسي (١٢/٤٨-٤٩) .

(4) ينظر : بحر العلوم للسمرقندي (٢/١٢٥) .

واختاره الواحدي ، والقرطبي ، والخازن ، والقمي ، وأبوحيان ، والثعالبي ،  
والشوكاني ، والآلوسي ، والقنوجي (١) .

ونسبه الخازن ، والقمي لأكثر المفسرين . ونسبه للجمهور الآلوسي ، وكذا السيد  
محمد رشيد رضا مع تضعيفه له كما سبق .

واستغربه الكرماني (٢) . واستبعده الرازي جداً مع نسبه لأكثر المفسرين (٣) .

قال ابن عطية : « أن تكون في شأن نوح × ؛ ليبقى اتساق الآية مُطَرِّدًا ، ويكون

الضمير في قوله : ﴿ أَفْتَرَنَهُ ﴾ عائداً إلى العذاب الذي توعدّهم به ، أو على جميع أخباره ،  
وأوقع الافتراء على العذاب من حيث يقع على الإخبار به ، والمعنى : أم يقول هؤلاء  
الكفرة: افتري نوح هذا التوعدّ بالعذاب وأراد الإرهاب علينا بذلك . ثم يطرد باقي الآية على  
هذا » (٤) .

وقال القرطبي : « لأنه ليس قبله ولا بعده إلا ذكر نوح وقومه ، فالخطاب منهم  
ولهم » (٥) .

وإلى التسوية بين القولين ذهب القاسمي (٦) . واحتملها معاً السعدي (٧) .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن السياق يدلُّ على أن قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَهُ ﴾

قُلْ إِنِ افْتَرَيْتَهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا يُجْرِمُونَ ﴿ هو في شأن قصة نوح × مع قومه  
وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك ) (٨) .

(1) ينظر : الوسيط (٥٧٢/٢) ، والجامع لأحكام القرآن (١٠٧/١١) ، ولباب التأويل (٣٢٥/٢) ، وغرائب القرآن  
ورغائب الفرقان (١٩/٤) ، والبحر المحييط (٢٢٠/٥) ، والجواهر الحسان (١٢٤/٢) ، وفتح القدير (٦٩٢/٢) ،  
وروح المعاني (٤٩/١٢) ، وفتح البيان (١٧٤/٦) .

(2) ينظر : غرائب التأويل وعجائب التفسير (٥٠٤ / ١) .

(3) ينظر : مفاتيح الغيب (٣٤٣/٦) .

(4) الحرر الوجيز (٢٨٢/٧ - ٢٨٣) بتصرف يسير .

(5) الجامع لأحكام القرآن (١٠٧/١١) .

(6) ينظر : محاسن التأويل (٣٤٣٤/٩) .

(7) ينظر : تيسير الكريم الرحمان (٣٦٥/٢ - ٣٦٦) .

(8) قواعد الترجيح عند المفسرين (١٢٥/١) .

غير أن هناك من الآيات ما يدل على أن هذه الآية معترضة في قصة نوح × ، منها قوله تعالى في سورة هود نفسها : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ ﴾ [هود : ١٣] . وقوله تعالى في السورة التي قبلها : ﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصَدِّقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣٧) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ [يونس : ٣٧ - ٣٨] ، وقوله تعالى في السورة التي بعدها : ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصَدِّقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [يوسف : ١١١] ، وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا آفَاكُ افْتَرَاهُ ﴾ [الفرقان : ٤] . وقوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَنَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴾ [السجدة : ٣] .

وعند التأمل في هذه الآيات يُلاحظُ أن هذا الأسلوب ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَنَاهُ ﴾ هو وارد في تكذيب قريش للقرآن ، وادّعائهم بأن محمداً < افتراه على الله . ولما كانت قصة نوح من الأمور الغيبية ، وكان ذكر النبي < لها من الآيات الدالة على صدقه ورسالته ، ذكر الله تعالى تكذيب قومه مع البيان التام فقال : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَنَاهُ ﴾ أي : أهذا القرآن اختلقه محمد من تلقاء نفسه؟! (١)

وإذا كان ذلك كذلك فإن قاعدة ( حمل كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى ) (٢) تؤيد هذا القول .

وكلتا القاعدتين من قواعد الترجيح المتعلقة بالسياق القرآني ، فالله أعلم أيّ القولين أرجح .

(1) تيسير الكريم الرحمان للسعدي (٣٦٦/٢) .

(2) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ١٧٢) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ

إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾

١٠- الخلاف في المراد بالتنور في قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ﴾ .

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « والمراد بالتنور الذي يوقد فيه عند ابن عباس وغيره . ورؤي أنه كان تنور آدم خلص إلى نوح . وقيل : التنور وجه الأرض » (١) .

العرض والمناقشة :

رجح ابن جزي أن المراد بالتنور في قوله تعالى : ﴿ وَفَارَ التَّنُّورُ ﴾ هو الذي يوقد فيه . ووافق في هذا معنى ما روي عن ابن عباس (٢) ، وعطاء (٣) ، والحسن (٤) . ونسب لمجاهد (٥) . وروى أبو صالح ، عن ابن عباس : أنه تنور آدم عليه السلام ، وهبه الله لنوح (٦) .

وهذا قول أكثر المفسرين وجمهورهم ومنهم : مقاتل ، وابن جرير الطبري ، والواحدي ، والسمعاني ، والكرماني ، والبغوي ، وابن الجوزي ، والرازي ، والبيضاوي ، والخازن ، والقمي ، وأبو حيان ، والثعالبي ، والبقاعي ، والسيوطي ، وأبو السعود ، والآلوسي (٧) .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (١٠٥/٢) .

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٠٤/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٢٩/٦) رقم (١٠٨٦٢) من طريق عطية العوفي ، عنه قال : ( تنور أهلك ) .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٢٩/٦) رقم (١٠٨٦٣) .

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٠٤/١٢) من طريق هشيم ، عن أبي محمد ، عنه .

(٥) ينظر : النكت والعيون للماوردي (٤٧٢/٢) ، وزاد المسير لابن الجوزي (١٠٥/٤) .

(٦) ينظر : المصدر الأخير .

(٧) ينظر : تفسير مقاتل (٢٨٢/٢) ، وجامع البيان (٤٠٦-٤٠٧) ، والوجيز (٥٢٠/١) ، وتفسير القرآن

(٤٢٨/٢) ، وغرائب التفسير (٥٠٥/١) ، ومعالم التنزيل (٤٠١/٢) ، وتذكرة الأريب (٢٤٩/١) ، ومفاتيح الغيب

(٣٤٦-٣٤٧) ، وأنوار التنزيل (٤٥٩/١) ، ولباب التأويل (٣٢٧/٢) ، وغرائب القرآن (٢١/٤) ، والبحر

المحيط (٢٢٢/٥) ، والجواهر الحسان (١٢٥/٢) ، ونظم الدرر (٢٨٥/٩) ، وإرشاد العقل السليم (٣٢/٣) ،

وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٤٤٨/٣ ) ، وروح المعاني (٥٢/١٢) .

قالوا : هو تنور الخبز ، الذي هو مستوقد النار .  
 وفسّره الطاهر بن عاشور بأنه « هو الموقد الذي ينضج فيه الخبز . وهو اسم لموقد النار  
 للخبز »<sup>(١)</sup> .  
 قال ابن فارس : « الفور : الغليان ، والفوّارة : ما يفور من القدر »<sup>(٢)</sup> .  
 وقال ابن دريد : « التنور : اسم فارسي معرّب لا تعرف له العرب اسماً غير هذا ،  
 فلذلك جاء في الترتيل ؛ لأنهم خوطبوا بما عرفوا »<sup>(٣)</sup> .  
 والقول بأن التنور هو الذي يخبز فيه « هو المعروف من كلام العرب ، وكلام الله لا  
 يُوجّه إلا إلى الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب »<sup>(٤)</sup> .  
 قال الرازي : « الأصل حمل الكلام على حقيقته ، ولفظ التنور حقيقة في الموضع الذي  
 يخبز فيه ، فوجب حمل اللفظ عليه . ولا امتناع في العقل في أن يقال : إن الماء نبع أولاً من  
 موضع معين وكان ذلك الموضع تنوراً »<sup>(٥)</sup> .  
 وقال الخازن : « وهذا القول أصح ؛ لأن اللفظ إذا دار بين الحقيقة والمجاز كان حملاً  
 على الحقيقة أولى »<sup>(٦)</sup> .  
 وقال البقاعي : « لأن صرف اللفظ عن ظاهره بغير دليل عبث »<sup>(٧)</sup> .  
 و أما القول الآخر في المراد بالتنور أنه وَجْهُ الأرض فروي أيضاً عن ابن عباس<sup>(٨)</sup> ،  
 وعكرمة<sup>(٩)</sup> .

(1) ينظر : التحرير والتنوير (٧٠/١٢ ، ٧١) .

(2) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (١٠٤/٤) .

(3) المصدر السابق .

(4) جامع البيان لابن جرير الطبري (٤٠٧/١٢) .

(5) مفاتيح الغيب (٣٤٧/٦) .

(6) لباب التأويل (٣٢٧/٢) .

(7) نظم الدرر (٢٨٥/٩) .

(8) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٠١/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٢٩/٦) رقم (١٠٨٥٨) من طريق العوام بن حوشب ، عن الضحّاك ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٢٢/٤) نسبة إلى سعيد بن منصور ، وابن المنذر وأبي الشيخ .

(9) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٠٢/١٢) من طرق عن ابن إدريس ، عن الشيباني عنه . وذكره ابن

وُسِبَ إلى علي بن أبي طالب ، والزهري <sup>(١)</sup> . واختاره الواحدي ، وابن كثير ،  
والمراغي <sup>(٢)</sup> .

وذكره البيضاوي بصيغة ( قيل ) <sup>(٣)</sup> .

واستدل له بما قال ابن عباس : « والعرب تسمي وجه الأرض تنوراً » .  
وهذا إن ثبت عن ابن عباس وصحَّ عن العرب فإن حمل اللفظ القرآني عليه خلاف  
الظاهر ، والله أعلم .

وذهب الزجاج إلى أن ذلك كان علامةً لإهلاك القوم سواء كان فورُ الماء من تنورٍ أو  
من ناحية المسجد أو من وجه الأرض أو في وقت الصبح . وقال : « والجمل : أن الماء فار  
من الأرض وجاء من السماء قال الله لأ : ﴿ فَفَنَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَرْنَا  
الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدَرٍ ﴿١٢﴾ ﴾ » <sup>(٤)</sup> [ القمر : ١١-١٢ ] .

وتبعه النحاس وقال : « فهذه الأقوال تجتمع في أن ذلك كان علامة » <sup>(٥)</sup> .

ونقل القرطبي كلام النحاس مُقَرَّراً له <sup>(٦)</sup> . ومال إليه الشوكاني ، وتبعه القنوجي <sup>(٧)</sup> .

وذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بقوله : ﴿ وَفَارَ النَّوُورُ ﴾ الكناية عن اشتداد  
الأمر ؛ كقولك : حمي الوطيس .

ومن نصر القول بالكناية القاسمي <sup>(٨)</sup> ، وعليه السيد محمد رشيد رضا <sup>(٩)</sup> ، والطاهر ابن

أبي حاتم معلقاً في تفسيره (٢٠٢٩/٦) عقب الأثر (١٠٨٥٨) .

(١) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (١٠٥/٤) .

(٢) ينظر : الوسيط (٥٧٣/٢) ، وتفسير القرآن العظيم (٤٣٦/٧) ، وتفسير المراغي (٣٦/١٢) .

(٣) ينظر : أنوار التنزيل (٤٥٩ / ١) .

(٤) معاني القرآن وإعراجه (٥١/٣) .

(٥) معاني القرآن الكريم (٣٤٨ / ٣) .

(٦) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (١١٥ / ١١) .

(٧) ينظر : فتح القدير (٦٩٤/٢) ، وفتح البيان (١٧٩/٦ - ١٨٠) .

(٨) ينظر : محاسن التأويل (٣٤٣٦ / ٩) .

(٩) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (٦٣ / ١٢) .

عاشور وقال : « وهذا أحسن ما حكى عن المفسرين »<sup>(١)</sup> . واستظهر أن قوله ﴿ وَفَارَ التَّنُورُ ﴾ مثل لبلوغ الشيء إلى أقصى ما يتحمل مثله ، كما يقال : بلغ السيل الزبى ، وامتلاء الصاع ، وفاضت الكأس وتفاقم ... فيكون مثل طما الوادي من قبيل بلغ السيل الزبى . والمعنى : بإن نفاذ أمرنا فيهم وبلغوا من طول مدة الكفر مبلغاً لا يغتفر لهم بعد كما قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> [ الزخرف : ٥٥ ] . وذكره الرازي وردّه بأنه لا حاجة إلى صرف الكلام عن ظاهره<sup>(٣)</sup> .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الراجح هو ما رجّحه ابن جزيّ ومن وافقه ؛ وهو أن التنور في قوله تعالى : ﴿ وَفَارَ التَّنُورُ ﴾ هو الذي يخبز فيه ، وهو المعروف من كلام العرب عند الإطلاق (ويجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر)<sup>(٤)</sup> . كما أن لفظ ( التَّنُورُ ) حقيقة فيه ( فيجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة)<sup>(٥)</sup> ، وهو اختيار أكثر المفسرين ، والله تعالى أعلم .

(1) التحرير والتنوير (١٢ / ٧١) .

(2) ينظر : المصدر السابق .

(3) ينظر : مفاتيح الغيب (٦ / ٣٤٧) .

(4) قواعد الترجيح (٢ / ٣٦٩) .

(5) قواعد الترجيح (٢ / ٣٨٧) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ قَالَ يَنُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِنَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۗ ﴾

﴿ إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (٤٦)

فيها مسألتان : الأولى هي :

### ١١- الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ .

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « أي : ليس من أهلك الذين وعدتك بنجاتهم ؛ لأنه كافر . وقال الزمخشري<sup>(١)</sup> : لم يكن ابنه ولكنه خاتمه أمه ، وكان لغير رشده<sup>(٢)</sup> . وهذا ضعيف ؛ لأن الأنبياء † قد عصمهم الله من أن تزني نساؤهم ؛ ولقوله : ﴿ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ ۗ ﴾ [ هود : ٤٢ ] .

### العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ أن معناه : ليس من أهلك الذين وعدتك بنجاتهم ؛ لأنه كافر . وهذا يقتضي أنه ابنه لِصُلْبِهِ ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ ۗ ﴾ . ووافق في هذا ما رُوِيَ عن ابن عباس أنه قال : هو ابنه ، ما بغت امرأة نبي قط<sup>(٤)</sup> .

(1) في نسخة خطية واحدة : " وقال الحسن " .

(2) كذا في جميع النسخ "غير" باللام ، وفي المطبوع : "بغير" . يعني : ابن زنا . وسيأتي تحرير قول الزمخشري .

(3) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ١٠٦) .

(4) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٠٧/٢) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٢٩/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٣٩/٦) رقم (١٠٩٢٧) من طريق معمر ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عنه . وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣١٠/١) ومن طريق ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٢٩/١٢) عن الثوري ، عن أبي عامر الهمداني ، عن الضحاك بن مزاحم ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٤٠/٦) من طريق بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك به . وزاد نسبه السيوطي في الدر المنثور (٤٣٨/٤) لابن المنذر ، وأبي الشيخ ، وابن عساكر . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٣٢/١٢) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه . وقال ابن عباس : (إن نساء الأنبياء لا يزنين) . نسبه لابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ السيوطي في الدر المنثور (٤٣٨/٤) . وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٣٨/٦) رقم (١٠٩٢٢) من طريق عاصم الحجوري ، عن ابن

وهو قول ابن مسعود <sup>(١)</sup> ، وعكرمة <sup>(٢)</sup> ، ومجاهد <sup>(٣)</sup> ، وسعيد بن جبير <sup>(٤)</sup> ، والضحاك <sup>(٥)</sup> ، وأبي بشر <sup>(٦)</sup> ، وميمون ، وثابت بن الحجاج <sup>(٧)</sup> .  
وهو اختيار جمهور المفسرين منهم : مقاتل ، والفراء ، وابن جرير الطبري ، والزجاج وجوده ، والنحاس ، والسمرقندي ، وابن أبي زنين ، والواحدي ، والسمعاني ، والكرماني ونسبه لجل المفسرين ، والبغوي ونسبه للأكثرين ، والباقولي ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والرازي ، والقرطبي ، والنسفي ، ونسبه للجمهور ، والخازن ونسبه لأكثر المفسرين ، والقمي ، وأبو حيان ، وابن كثير ، والثعالبي ، والبقاعي ، والسيوطي ، والآلوسي ، والقنوجي ، والسيد محمد رشيد رضا ، والطاهر بن عاشور <sup>(٨)</sup> . وهو مفهوم كلام السعدي <sup>(٩)</sup> .

عباس أنه كان يحلف بالله إنه لابنه .

- (1) كما في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٥٥) .
- (2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٢٩/١٢) من طريق يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة ، عنه .
- (3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٣١/١٢) .
- (4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٣١ ، ٤٣٠/١٢) قال : كان ابن نوح ، إن الله لا يكذب . قال : ﴿ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ ﴾ . قال : وقال بعض العلماء : ما فجرت امرأة نبي قط .
- (5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٣٢/١٢) .
- (6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٣٠/١٢) عن هشيم ، عنه .
- (7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٣٣/١٢) عنهما .
- (8) ينظر : تفسير مقاتل (٢٨٤/٢) ، ومعاني القرآن (١٧/٢) ، وجامع البيان (٤٣٣/١٢) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٥٦/٣) ، ومعاني القرآن الكريم (٣٥١/٣) ، وبحر العلوم (١٢٩/٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٢٩٢/٢) ، والوجيز (٥٢٢/١) ، وتفسير القرآن (٤٣١/٢) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (٥٠٦/١) ، ومعالم التنزيل (٤٠٦/٢) ، وكشف المشكلات (٥٢٦/١) ، والمحرم الوجيز (٣١٢/٧ - ٣١٣) ، وزاد المسير (١١٤/٤) ، وتذكرة الأريب (٢٥٠/١) ، ومفاتيح الغيب (٦/ ٣٥٧) ، والجامع لأحكام القرآن (١١/١٣٥) ، ومدارك التنزيل (١٨٨/٢) ، ولباب التأويل (٣٣٠/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢٣/٤) ، والبحر المحيط (٢٢٥-٢٢٦) ، وتفسير القرآن العظيم (٧/ ٤٤٤) ، والجواهر الحسان (١٢٧/٢) ، ونظم الدرر (٢٨٨/٩) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٣/ ٤٥٤-٤٥٥) ، وروح المعاني (٥٨/١٢) ، وفتح البيان (١٨٤/٦) ، وتفسير القرآن الحكيم (٧٠/١٢) ، والتحرير والتنوير (٨٥/١٢) .
- (9) ينظر : تيسير الكريم الرحمان (٢/ ٣٦٨ - ٣٦٩) .

واستدلوا له بظاهر القرآن ، فإن الله تعالى أخبر أنه ابنه فقال : ﴿ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ ﴾

وقال : ﴿ يَبْنِي أَرْكَبَ مَعَنَا ﴾ [هود : ٤٢] وقال : ﴿ رَبِّ إِنِّي مِّنْ أَهْلِ ﴾ [هود : ٤٥] .  
وغير جائز أن يخبر أنه ابنه ، فيكون بخلاف ما أخبر <sup>(١)</sup> .

قال سعيد بن جبیر : « كان ابن نوح ؛ إن الله لا يكذب ، قال تعالى : ﴿ وَنَادَى نُوحٌ

ابْنَهُ ﴾ » <sup>(٢)</sup> .

وذهب بعض العلماء إلى أن تلك الآيات نص في الدلالة ، وأن إطلاق اسم الابن عليه حقيقة ، وصرف الكلام عن حقيقته إلى مجازه من غير ضرورة لا يجوز <sup>(٣)</sup> .

قالوا : وليس في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ دَلَّسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ دلالة على أنه ليس بابنه ؛ لأنه  
يحتمل أن يكون معناه : ليس من أهل دينك ، فيحذف الدين ، فيقال : ليس من أهلك كما

قيل : ﴿ وَسَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾ [يوسف : ٨٢] .

ويحتمل أيضاً أن يكون معناه : ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم .

وهذان الاحتمالان نقلهما النحاس وحسنهما لغة وقال : « والأول أولى » <sup>(٤)</sup> .

ويعضد هذا القول شرف النبوة <sup>(٥)</sup> . وهو أولى من رمي زوجة نبي بفاحشة <sup>(٦)</sup> .

وصح عن ابن عباس أنه قال : « ما بغت امرأة نبي قط » .

قال الخازن : « وإنما خالف هذا الظاهر من خالفه ؛ لأنه استبعد أن يكون ولد نبي

كافراً . وهذا خطأ ممن قاله ؛ لأن الله سبحانه وتعالى خلق خلقه فريق في الجنة - وهم

المؤمنون - وفريق في السعير - وهم الكفار - . والله سبحانه وتعالى يخرج الكافر من المؤمن

ويخرج المؤمن من الكافر ، ولا فرق في ذلك بين الأنبياء وغيرهم ، فإن الله أخرج قاييل من

(1) ينظر : جامع البيان (١٢ / ٤٣٣) .

(2) سبق تخرجه ، وهو في جامع البيان (١٢ / ٤٣٠ ، ٤٣١) .

(3) ينظر : مفاتيح الغيب للرازي (٦ / ٣٥٠) ، ولباب التأويل للخازن (٢ / ٣٣٠) .

(4) معاني القرآن الكريم (٣ / ٣٥١) . والقولان منسوبان لابن عباس ، والضحاك ، وأبي بشر ، وسعيد بن جبیر .

ينظر : جامع البيان (١٢ / ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣٢) .

(5) قاله ابن عطية في المحرر الوجيز (٧ / ٣١٢) .

(6) قاله ابن الجوزي في زاد المسير (٤ / ١١٤) .

صلب آدم × وهو نبيٌّ وكان قاييل كافرًا !! وأخرج إبراهيم وهو نبيٌّ من صلب آزر ، وكان آزر كافرًا»<sup>(١)</sup> .

وأما القول الآخر في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ وهو أنه لم يكن ابنه ، ولكنه خاتنه أمه ، وكان لغير رشده يعني : ابن زنا ، فهو قول رُوِيَ معناه عن الحسن<sup>(٢)</sup> . وعن أبي جعفر الباقر قال : « كان ابن امرأته »<sup>(٣)</sup> .

وعن مجاهد في قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَسْتَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ [هود : ٤٦] قال : « تبين لنوح أنه ليس بابنه »<sup>(٤)</sup> .

وعن ابن جريج في قوله : ﴿ وَنَادَى نُوحٌ أَبْتَهُ ﴾ قال : « ناداه وهو يحسبه أنه ابنه ، وكان ولد علي فراشه »<sup>(٥)</sup> . ومعناه روي عن عبيد بن عمير<sup>(٦)</sup> . ونسب لعلي<sup>(٧)</sup> ، وعروة بن الزبير<sup>(٨)</sup> ، وابن سيرين<sup>(٩)</sup> ، والشعبي<sup>(١٠)</sup> .

وأما ما نقله ابن جرير عن الزمخشري فلم أره كذلك في الكشاف !! وهذا نصُّ فيه :

(1) لباب التأويل (٢/٣٣٠) .

(2) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/٣٠٦) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/٤٢٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/٢٠٣٤) من طريق قتادة ، عنه . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/٤٢٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/٢٠٣٩) من طريق عون ومنصور - زاد الطبري : وابن أبي عروبة - ، عنه . وأخرجاه أيضًا (١٢/٤٢٨) و (٦/٢٠٤٠) من طريق ابن عون وحده ، عنه .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/٤٢٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/٢٠٣٤) من طريق جابر الجعفي ، عنه .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/٤٢٧ ، ٤٢٨) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/٢٠٤٠) رقم (١٠٩٣٠) من طرق ، عنه .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/٤٢٨) .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/٤٢٨) قال : نرى أن ما قضى رسول الله < : (الولد للفراش) من أجل ابن نوح . وأخرجه ابن عبد البر في التمهيد (٨/١٩٤) . قال الحافظ في فتح الباري (١٢/٣٩) : وجاء من مرسل عبيد بن عمير وهو أحد كبار التابعين ، أخرجه ابن عبد البر بسند صحيح إليه .

(7) ينظر : الوسيط للواحد (٢/٥٧٥) .

(8) ينظر : معاني القرآن الكريم للنحاس (٣/٣٥٢) .

(9) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/٥٥) .

(10) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٤/١١٣) .

« أي : بعض أهلي ؛ لأنه كان ابنه من صُلْبِهِ ، أو كان ربيِّاً له فهو بعض أهله »<sup>(١)</sup> .  
فأنت ترى الزمخشري قد قدّم القول الأول بأنه ابنه من صُلْبِهِ ، وذكر القول الآخر ،  
وهو مَرُويٌّ عن أبي جعفر الباقر كما سبق .

ثم إنه يميل للأول بدليل قوله بعد ذلك : « لما نفاه عن أهله ، نفى عنه صفتهم بكلمة  
النفي التي يستبقي معها لفظ المنفي ، وأذن بذلك أنه إنما أُنجى من أُنجى من أهله لصلاحهم ،  
لا لأنهم أهلك وأقاربك ، وإن هذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه أبوتك ؛ لقوله :  
﴿ كَانَتَا مَحْتَّ عِبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ  
شَيْئًا ﴾<sup>(٢)</sup> [التحریم : ١٠] .

وقال أيضاً : « ولنسبته إلى أمه وجهان : أن يكون ربيِّاً له ؛ كعمر بن أبي سلمة  
لرسول الله < ، وأن يكون لغير رشدة ، وهذه غضاضة عصمت منها الأنبياء & »<sup>(٣)</sup> .  
وبهذا يتضح أن الزمخشري لم يقل : إنه كان لغير رشدة ، والله أعلم .

ويفهم من كلام البيضاوي الميل إلى أنه كان ربيِّه ، ولم يصرِّح أنه ابنه لصلبه ، مع  
نفيه أن يكون لغير رشدة حيث خطأ هذا القول ، ووجه الاستدلال من قوله :  
﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ بأن الأنبياء عصمت من ذلك ، والمراد بالخيانة الخيانة في الدين<sup>(٤)</sup> .  
ومثله أبوالسعود<sup>(٥)</sup> ، والشوكاني<sup>(٦)</sup> .

والقول بأنه كان ابن امرأته ذكره النسفي ، والقنوجي بصيغة ( قيل )<sup>(٧)</sup> .  
وقال الخازن عن القول بأنه ابن امرأته أو لغير رشدة : « قولان ضعيفان بل  
باطلان »<sup>(٨)</sup> .

(1) الكشاف (٣/ ٢٠٤) .

(2) المصدر السابق (٣/ ٢٠٥) .

(3) المصدر السابق (٣/ ٢٠١) .

(4) ينظر : أنوار التنزيل (١/ ٤٥٩) .

(5) ينظر : إرشاد العقل السليم (٣/ ٣٤) .

(6) ينظر : فتح القدير (٢/ ٦٩٦) .

(7) ينظر : مدارك التنزيل (٢/ ١٨٨) ، وفتح البيان (٦/ ١٨٤) .

(8) لباب التاويل (٢/ ٣٣٠) .

واستدل القائلون بأنه ليس ابنه بظاهر قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ .  
ويجاب عن هذا بأنه قد تطرّق إليه الاحتمال فيسقط به الاستدلال .  
قال الزجاج : « وللقائل أن يقول نسبه إليه على الاستعمال »<sup>(١)</sup> . يعني : نسبه إليه مجازاً ؛ لكونه كان ربيباً عنده<sup>(٢)</sup> .

كما استدلوا بقوله : ﴿ مِنْ أَهْلِي ﴾ ولم يقل : مني .  
وأيدوه بقراءة علي : ﴿ ابْنَهَا ﴾ والضمير لامرأته .  
وبقراءة محمد بن علي ، وعروة بن الزبير : ﴿ ابْنَةَ ﴾ بفتح الهاء ، يريدان : ابنها ،  
فاكتفيا بالفتحة عن الألف<sup>(٣)</sup> .  
وأجيب بأنهما قراءتان شاذتان<sup>(٤)</sup> .

وبقوله تعالى : ﴿ فَخَانَتْهُمَا ﴾ [التحریم : ١٠] .  
وأجيب بما قاله ابن عباس لما سئل عنها : « أما إنه لم يكن بالزّنى ولكن كانت هذه  
تخبر الناس أنه مجنون ، وكانت تدل هذه على الأضياف ، ثم قرأ : ﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ  
صَالِحٍ ﴾ »<sup>(٥)</sup> .

وقال الكرماني : « وهذا مرغوب عنه ؛ لأن المفسرين عن آخرهم فسروا قوله  
﴿ فَخَانَتْهُمَا ﴾ في الدين لا في الفرج ؛ ولعل لقول الحسن وجهاً خفياً »<sup>(٦)</sup> .  
وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن الصواب الذي لا شك فيه أنه ابنه لصلبهِ ، وأن قوله تعالى :

(1) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٥٦) .

(2) ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/ ٤٤٤) .

(3) ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية (٧/ ٢٩٩ - ٣٠٠) ، والدر المصون للسمين (٦/ ٣٢٨ - ٣٢٩) .

(4) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان (٥/ ٢٢٦) .

(5) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٣١٠) ، ومن طريقه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/ ٤٣٠) ، والحاكم  
في مستدرکه (٢/ ٤٩٦) من طرق عن الثوري وابن عيينة ، عن موسى بن أبي عائشة ، عن سليمان بن قتّة ، عن  
ابن عباس .

(6) غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٥٠٦) .

﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ معناه : إنه ابنك لصلبك ليس من أهل دينك وولايتك ، وليس ممن وعدتك بأن أنجيه ؛ لأنه كان كافراً . وأدلة هذا القول قوية ظاهرة بحمد الله غير مدفوعة .  
وأما القول بأنه كان ابن زنية ، فهو خطأ لا تجوز حكايته ، ولا يصح نقله عن الزمخشري ونسبته إليه .

قال ابن كثير : « وقد نصّ غير واحد من الأئمة على تخطئة من ذهب في تفسير هذا إلى أنه ليس بابنه ، وإنما كان ابن زنية »<sup>(١)</sup> .  
وأما القول بأنه كان ربيبه ، فضعيفٌ .

والحق الذي لا محيد عنه أنه كان ابنه لصلبه . ومما يؤيده من القواعد الترجيحية ما يلي :

— ( لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلاّ بدليل )<sup>(٢)</sup> . وظاهر قوله تعالى : ﴿ وَنَادَى

نُوحُ ابْنَهُ ﴾ يدل على ذلك . وهو نصٌّ فيها عند بعض العلماء .

— وإطلاق اسم الابن عليه إطلاق حقيقي ( ويجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة)<sup>(٣)</sup> .

— ( و القول الذي يعظم مقام النبوة ولا ينسب إليها ما لا يليق بها أولى بتفسير الآية)<sup>(٤)</sup> . والله تعالى أعلم .

(1) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٤٤٤) .

(2) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ١٣٧) .

(3) المصدر السابق (٢/ ٣٨٧) .

(4) المصدر السابق (١/ ٣٢٨) .

### المسألة الثانية هي :

١٢- الخلاف في عائد الضمير في قوله : ﴿ إِنَّهُ ﴾ من قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « فيه ثلاث تأويلات على قراءة الجمهور<sup>(١)</sup> : أحدها : أن يكون الضمير في ﴿ إِنَّهُ ﴾ لسؤال نوحِ نَجاةِ ابنه . والثاني : أن يكون الضمير لابن نوح ، وحذف المضاف من الكلام ، تقديره : إنه ذو عمل غير صالح . والثالث : أن يكون الضمير لابن نوح ، وعَمَلٌ مصدرٌ وُصِفَ به مبالغةً ؛ كقولك : رجلٌ صومٌ . وقرأ الكسائي ﴿ عَمَلٍ ﴾ بفعل ماضٍ ﴿ غَيْرَ صَالِحٍ ﴾ بالنصب<sup>(٢)</sup> ، والضمير — على هذا — لابن نوح بلا إشكال<sup>(٣)</sup> .

### العرض والمناقشة :

قدم ابن جُزَيِّ مشعراً بترجيحه له التأويل بأن الضمير في ﴿ إِنَّهُ ﴾ لسؤال نوحِ نَجاةِ ابنه . ورُوِيَ هذا عن ابن عباس<sup>(٤)</sup> ، ومجاهد<sup>(٥)</sup> ، وقتادة<sup>(٦)</sup> ، وإبراهيم النخعي<sup>(٧)</sup> ، والفضيل بن

(1) قراءة نافع ، وابن كثير ، وأبي عمرو ، وابن عامر ، وعاصم ، وحمزة : ﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ . ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (١١٤/٤) والمصادر الآتية .

(2) ينظر : حجة القراءات لابن زنجلة (٣٤١) ، والسبعة لابن مجاهد (٣٣٤) ، والنشر لابن الجزري (٢٨٩/٢) ، وروح المعاني للآلوسي (٦٩/١٢) وهي قراءة يعقوب أيضاً . قال ابن الجوزي في زاد المسير (١١٤/٤) : يشير إلى أنه مشرك .

(3) التسهيل لعلوم التنزيل (١٠٦/٢) .

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٤٠/٦) من طريق أبي روق ، عن الضحاك ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٣٨/٤) نسبته إلى أبي الشيخ . وأخرجه الفراء في معاني القرآن (١٧/٢) من طريق الكلبي ، عن أبي صالح ، عنه . وكلاهما سند ضعيف . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٣٤/١٢) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه قال : سؤالك عما ليس لك به علم .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٣٤/١٢) من طريق حماد ، عن حمزة الزيات ، عن الأعمش ، عنه .

(6) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣١٠/١) عن معمر ، عنه . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٣٤/١٢) من طريق بشر ، عن يزيد ، عن سعيد ، عنه . وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٤٣٨/٤) إلى أبي الشيخ .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٣٣/١٢) من طريق جرير ، عن مغيرة ، عنه .

عياض<sup>(١)</sup> .

وهذا اختيار الفراء ، والأخفش ، وابن جرير الطبري ، والنحاس ، والسمرقندي ، وابن أبي زمنين ، ومكي ، والواحدي ، والبغوي ، وابن الجوزي ، والحازن ، والسيوطي ، والسعدي<sup>(٢)</sup> . وجوزّه القرطبي<sup>(٣)</sup> .

واستغربه الكرمانى<sup>(٤)</sup> . وذكره محمود النيسابوري ، والسيد محمد رشيد رضا بصيغة (قيل)<sup>(٥)</sup> . وقال الأخير : « رواه ابن جرير عن ابن عباس ، وما أراه يصح عنه » .

قال ابن الجوزي : « وهذا ظاهر ؛ لأنه قد تقدّم السؤال في قوله : ﴿ رَبِّ إِنِّي مِّنْ

أَهْلِي ﴾ [ هود : ٤٥ ] ، فرجعت الكناية إليه »<sup>(٦)</sup> .

وأيد هذا القول بقراءة عبد الله بن مسعود : ﴿ إنه عمل غير صالح أن تسألني ما ليس

لك به علم ﴾<sup>(٧)</sup> .

قال أبوحيان : « وقيل : يُرَجَّح كون الضمير في ﴿ إِنَّهُ ﴾ عائداً على نداء نوح

المتضمن السؤال أن في مصحف ابن مسعود ﴿ إنه عمل غير صالح أن تسألني ما ليس لك

به علم ﴾ . وقيل : يعود الضمير في هذه القراءة على ركوب ولد نوح معهم الذي تضمّنه سؤال

(1) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٣٩) لأبي الشيخ .

(2) ينظر : معاني القرآن (١٧/٢) ، ومعاني القرآن للأخفش (٢/٣٥٢) ، وجامع البيان (١٢/٤٣٦) ، ومعاني القرآن الكريم (٣/٣٥٥) ، وبحر العلوم (٢/١٢٩) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/٢٩٢) ، ومشكل إعراب القرآن (١/٣٦٦-٣٦٧) ، والوجيز (١/٥٢٢) ، والوسيط (٢/٥٧٦) ، ومعالم التنزيل (٢/٤٠٥) ، وتذكرة الأريب (١/٢٥٠) ، ولباب التأويل (٢/٣٣٠) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/٤٥٥) ، وتيسير الكريم الرحمان (٢/٣٦٩) .

(3) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (١١/١٣٤) .

(4) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/٥٠٧) .

(5) ينظر : وضع البرهان (١/٤٣٦) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٢/٧٠) .

(6) زاد المسير (٤/١١٤) .

(7) ينظر : معاني القرآن الكريم للنحاس (٣/٣٥٥) ، والمحزر الوجيز لابن عطية (٧/٣١٢) .

نوح»<sup>(١)</sup>.

ويؤيد هذا القول ما بعده وهو قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾<sup>(٢)</sup> [هود : ٤٦] قال السعدي : « دلّ هذا على أن نوحًا × لم يكن عنده علم بأن سؤاله لربه في نجاة ابنه ، محرم ، داخل في قوله : ﴿ وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُخَرَّفُونَ ﴾ [هود : ٣٧] بل تعارض عنده الأمران ، وظن دخوله في قوله : ﴿ وَأَهْلَكَ ﴾ [هود : ٤٠] وبعد هذا تبين له أنه داخل في المنهي عن الدعاء لهم ، والمراجعة فيهم »<sup>(٣)</sup>.

والقول بأن ضمير ﴿ إِنَّهُ ﴾ عائد على السؤال عدّه أبوحيان تكلفاً وتعسفاً لا يليق بالقرآن<sup>(٤)</sup>.

ونسبه السمين إلى أبي البقاء ، ومكي ، والزمخشري ثم قال : « وهذا فيه خطر عظيم ، كيف يُقال ذلك في حق نبيّ من الأنبياء ، فضلاً عن أول رسول أرسل إلى أهل الأرض من بعد آدم ! ؟ ولما حكاه أبو القاسم قال : "وليس بذاك". ولقد أصاب . واستدل من قال بذلك أن في حرف عبد الله بن مسعود ﴿ إنه عمل غير صالح أن تسألني ما ليس لك به علم ﴾ . وهذا مخالف للسواد »<sup>(٥)</sup>.

وقال البلنسي : « وهذا القول غير سديد من وجهين : أحدهما : أن الضمير مهما قُدّر أن يعود على مصرّح به لم يعد على مفهوم ، وقد قدرنا على عوده على الابن ، وفي الكلام حذف مضاف تقديره : إنه ذو عمل غير صالح . الثاني : نسبة الخطأ في السؤال لنوح × وهو احتقارٌ لمنصب النبوة . وما ذكره بعض المفسّرين من نسبة هذا القول لابن عباس والنخعي لا يثبت ، والله أعلم »<sup>(٦)</sup>.

وأما التأويل الثاني وهو أن يكون الضمير عائداً لابن نوح ، وحذف المضاف من الكلام ،

(1) البحر المحيط (٢٢٩/٥) .

(2) ينظر : تفسير القرآن للسمعاني (٤٣٣/٢) .

(3) تيسير الكريم الرحمان (٣٦٩ / ٢) .

(4) ينظر : البحر المحيط (٢٢٩/٥) .

(5) الدر المصون (٣٣٦/٦) .

(6) تفسير مبهمات القرآن (٣١/٢) .

وتقديره: إنه ذو عمل غير صالح ، فهو اختيار الكرمانى ، والزمخشري ، والباقولي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والبلنسي ، والبقاعي ، وأبي السعود ، والمراغي <sup>(١)</sup> .  
وقدمه السمعاني ، وابن عطية ، ومحمود النيسابوري <sup>(٢)</sup> . وجوزّه الزجاج <sup>(٣)</sup> ، — ونسبه إليه الواحدي <sup>(٤)</sup> وابن الجوزي <sup>(٥)</sup> — وكذا جوزّه الخازن <sup>(٦)</sup> .  
وذكره مكّي ، والواحدي بصيغة ( قيل ) <sup>(٧)</sup> .  
واستدلوا له بأن العرب تقول : عبد الله إقبالٌ وإدبارٌ ، أي : صاحبٌ إقبالٌ وإدبارٌ . فحذف المضاف ، وهو "ذو" ، وأقام العمل مقامه <sup>(٨)</sup> .  
واستشهدوا له بقول الخنساء :

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت فإنما هي إقبالٌ وإدبارٌ

أي : ذات إقبالٍ وإدبارٍ <sup>(٩)</sup> .

وأما التأويل الثالث وهو أن الضمير أيضاً لابن نوح ، وعمَلٌ مصدرٌ وصف به مبالغةً ، فهو اختيار القمي ، وأبي حيان ، والثعالبي ، والقاسمي ، والسيد محمد رشيد رضا ، والظاهر بن عاشور <sup>(١٠)</sup> .

- 1) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (٥٠٧/١) ، والكشاف (٢٠٤/٣) ، وكشف المشكلات (٥٢٦/١) ، والجامع لأحكام القرآن (١٣٤/١١) ، وأنوار الترتيل (٤٦٠/١) ، وتفسير مبهمات القرآن (٣١/٢) ، ونظم الدرر (٢٩٤/٩) ، وإرشاد العقل السليم (٣٧/٣) ، وتفسير المراغي (٤٠/١٢) .
- 2) ينظر : تفسير القرآن (٤٣٣/٢) ، والمحزر الوجيز (٣١١/٧) ، ووضح البرهان (٤٣٦/١) .
- 3) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٥٥/٣) .
- 4) ينظر : لباب التأويل للخازن (٣٣٠/٢) .
- 5) ينظر : زاد المسير (١١٤/٤) .
- 6) ينظر : لباب التأويل (٣٣٠/٢) .
- 7) ينظر : مشكل تأويل القرآن (٣٦٧/١) ، والوجيز (٥٢٢/١) .
- 8) قاله ابن الأنباري كما في زاد المسير لابن الجوزي (١١٤/٤) .
- 9) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥٥/٣) ، وأحكام القرآن للجصاص (٣٧٧/٤) ، والمحزر الوجيز لابن عطية (٣١١/٧) ، وزاد المسير لابن الجوزي (١١٤/٤) ، وروح المعاني للآلوسي (٦٩/١٢) ، والخنساء تصف ناقه ذهب عنها ولدها .
- 10) ينظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢٧/٤) ، والبحر المحيظ (٢٢٩/٥) ، والجواهر الحسان (١٢٧/٢) ، ومحاسن التأويل (٣٤٤٩/٩) ، وتفسير القرآن الحكيم (٧٠/١٢) ، والتحرير والتنوير (٨٦/١٢) .

وذكره محمود النيسابوري بصيغة ( قيل )<sup>(١)</sup> .

يقال : فلانٌ كرمٌ وجودٌ إذا غلب عليه الكرم والجود ، فلما كثر من ابن نوح الفساد أطلق عليه مبالغة أنه عملٌ غيرٌ صالح<sup>(٢)</sup> . فجعله وصفاً له بالمصدر على جهة المبالغة في وصفه بذلك كما قالت الخنساء تصف ناقة ذهب عنها ولدها :

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت      فإنما هي إقبالٌ وإدبارٌ<sup>(٣)</sup>

فوصف بذلك على المبالغة في التشبيه ، كرجل عدل ورجل صوم ، فكأنه لفساده واجتنابه للصلاح والتزامه العمل غير الصالح نفس العمل كقول الخنساء<sup>(٤)</sup> .

وهذان التأويلان الأخيران يُفهم من كلام البيضاوي الجمع بينهما حيث قال : أصله إنه ذو عمل فاسد ، فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة ؛ كقول الخنساء تصف ناقة ...<sup>(٥)</sup> .

وتابعه على هذا الشوكاني ، والآلوسي ، والقنوجي<sup>(٦)</sup> ونسبه الأخير لأبي علي الفارسي ، وابن الأنباري ، والواحدي .

وسوى بينهما النسفي مع تقديمه للأخير<sup>(٧)</sup> .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأولى في ضمير ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ أن يكون عائداً لابن نوح؛ لأنه مُصَرَّحٌ به وأما السؤال فمفهوم ، و (إعادة الضمير إلى مذكور أولى من إعادته إلى مقدر)<sup>(٨)</sup> .

ويؤيد هذا القول قراءة الكسائي فإن الضمير - عليها - عائداً لابن نوح بالاتفاق ( واتحاد معنى القراءتين أولى من اختلافه )<sup>(٩)</sup> .

(1) ينظر : وضح البرهان (١/٤٣٦) .

(2) ينظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان للقمي (٤/٢٧) .

(3) ينظر : الجواهر الحسان للثعالبي (٢/١٢٧) .

(4) ينظر : تفسير القرآن الحكيم للسيد محمد رشيد رضا (١٢/٧٠) .

(5) أنوار التنزيل (١/٤٦٠) .

(6) ينظر : فتح القدير (٢/٧٠٠) ، وروح المعاني (١٢/٦٩) ، وفتح البيان (٦/١٩٣) . وينظر أيضاً : لباب التأويل للخازن (٢/٣٣٠) .

(7) ينظر : مدارك التنزيل (٢/١٩١) .

(8) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٥٩٣) .

(9) المصدر السابق (١/١٠٠) .

وهذا القول فيه تعظيم لمقام النبوة فهو أولى بتفسير الآية<sup>(١)</sup>.  
وعلى القول بعود الضمير لابن نوح يمكن الجمع بين القولين الأخيرين فيقال : أصله : "إنه ذو  
عمل فاسد" ، فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة ، وحذف المضاف "ذو" وأقام العمل مقامه ، فهو  
كقول الخنساء : فإنما هي إقبالٌ وإدبارٌ ، وقول العرب : عبد الله إقبالٌ وإدبارٌ ، كقولك : رجل  
عدل ، ورجل صوم ، وفلانٌ كرمٌ وجودٌ ، والله تعالى أعلم .

---

(1) ينظر : المصدر السابق (١/٣٢٨) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿قِيلَ يٰنُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ ۚ

وَأُمَّمُ سَنَمِتَعَهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٤٨)

١٣- الخلاف في معنى " من " في قوله تعالى : ﴿وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ﴾

هل هي ابتدائية أم بيانية ؟

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « أي : ممن معك في السفينة . واختار الزمخشري <sup>(١)</sup> أن يكون المعنى : من ذرية من معك ، ويعني به المؤمنين إلى يوم القيامة . فـ " من " على هذا لا ابتداء الغاية، والتقدير : على أمم ناشئة ممن معك . وعلى الأول تكون " من " لبيان الجنس » <sup>(٢)</sup> .

العرض والمناقشة :

قدّم ابن جُزَيِّ في معنى " من " في قوله تعالى : ﴿وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ﴾ القول بأن " من " لبيان الجنس ، أي : ممن معك في السفينة . وعلى هذا القول السمرقندي <sup>(٣)</sup> . واحتمله الزمخشري <sup>(٤)</sup> . وجوزّه أبو السعود ، والآلوسي <sup>(٥)</sup> . وذكره القرطبي ، والشوكاني بصيغة ( قيل ) <sup>(٦)</sup> .

وعلّل كونها بيانية بأنه لم يكن في ذلك الوقت في جميع الأرض أحد من البشر إلا هم ، فلهذا جعلهم أمماً <sup>(٧)</sup> .

قال البيضاوي : « سموا أمماً ؛ لتحزّبهم أو لتشعب الأمم منهم » <sup>(٨)</sup> .

(1) ينظر : الكشاف (٢٠٦/٣) وقال : وهو الوجه .

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (١٠٧/٢) .

(3) ينظر : بحر العلوم (١٢٩/٢) .

(4) ينظر : الكشاف (٢٠٦/٣) .

(5) ينظر : إرشاد العقل السليم (٤٠/٣) ، وروح المعاني (٧٤/١٢) .

(6) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (١٣٩/١١) ، وفتح القدير (٧٠١/٢) .

(7) ينظر : مفاتيح الغيب للرازي (٣٦٠/٦) .

(8) أنوار التنزيل (٤٦١/١) . وتبعه أبو السعود . ينظر : إرشاد العقل السليم (٤٠/٣) . ومثلهما النسفي في مدارك

التنزيل (١٩٢/٢) .

وردّه أبوحيان قائلاً : « لو أريد هذا المعنى لأغنى عنه (وَعَلَىٰ أُمَمٍ مَّعَكُمْ) أو (عَلَىٰ مَنْ

مَّعَكُمْ) فكان يكون أخصر وأقرب إلى الفهم وأبعد عن اللبس »<sup>(١)</sup>.

وأما قول الزمخشري في معنى "من" أنها لا ابتداء الغاية ، والتقدير : على أمم ناشئة من معك ، والمعنى : من ذرية من معك ، ويعني به المؤمنين إلى يوم القيامة ، فهو مفهوم ما روي عن ابن زيد<sup>(٢)</sup>، وما نُقلَ عن ابن عباس ، وابن الأنباري<sup>(٣)</sup> .

وعليه أكثر المفسرين منهم : مقاتل، والفراء، وابن جرير الطبري، وابن أبي زمنين، والواحدي، والسمعاني، والكرماني، والبغوي، وابن عطية، والرازي، والقرطبي، والنسفي، والحازن، وأبوحيان، والبقاعي، والسيوطي، وأبوالسعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والقاسمي، والسعدي، والظاهر بن عاشور<sup>(٤)</sup>. وهو مفهوم كلام ابن كثير، والبقاعي<sup>(٥)</sup> .

وعُلمَ كونها ابتدائية بأنه ما كان معه إلا الذين آمنوا ، وقد حكم الله تعالى عليهم بالقلّة في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَمِنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [هود : ٤٠] فلذلك كان المراد من معك نسلاً وتولداً<sup>(٦)</sup>. قال الآلوسي : « ولأن "من" الابتدائية لا سيما في المنكر أكثر ، وللنكتة في إدخال الناشئين في المسلم عليهم . ولأن تسمية الجماعة القليلة بالأمة لا يناسب فكيف بالأمم ؟ ولا مبالغة في هذا

(1) البحر المحيط (٥/ ٢٣١) .

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٤٢) من طريق أصبغ ، عنه قال : ثم أخرج منهم نسلاً بعد ذلك أمماً ، منهم من رحم ، ومنهم من عذب .

(3) ينظر : الوسيط للواحدي (٢/ ٥٧٦) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٤/ ١١٥-١١٦) .

(4) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٢٨٤) ، ومعاني القرآن (٢/ ١٨) ، وجامع البيان (١٢/ ٤٣٨) ، وتفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٢٩٤) ، والوجيز (١/ ٥٢٢) ، والوسيط (٢/ ٥٧٦) ، وتفسير القرآن (٢/ ٤٣٤) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٥٠٨) ، ومعالم التنزيل (٢/ ٤٠٦-٤٠٧) ، والمحرم الوجيز (٧/ ٣١٧) ، ومفاتيح الغيب (٦/ ٣٦١) ، والجامع لأحكام القرآن (١١/ ١٣٩) ، ومدارك التنزيل (٢/ ١٩٢) ، ولباب التأويل (٢/ ٣٣١) ، والبحر المحيط (٥/ ٢٣١) ، ونظم الدرر (٩/ ٢٩٦) ، وإرشاد العقل السليم (٣/ ٣٩) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/ ٤٥٨) ، وفتح القدير (٢/ ٧٠١) ، وروح المعاني (١٢/ ٧٣) ، وفتح البيان (٦/ ١٩٦) ، ومحاسن التأويل (٩/ ٣٤٥٠) ، وتيسير الكريم الرحمان (٢/ ٣٧٠) ، والتحرير والتنوير (١٢/ ٩٠) .

(5) ينظر : تفسير القرآن العظيم (٧/ ٤٤٦) ، والجواهر الحسان (٢/ ١٢٧) .

(6) ينظر : مفاتيح الغيب للرازي (٦/ ٣٦٠) .

المقام فيه فلا يعدل عن الحقيقة»<sup>(١)</sup> .

وقال الطاهر بن عاشور : « الأمم جمع أمة ، والأمة الجماعة الكثيرة من الناس التي يجمعها نسب إلى جد واحد . يقال : أمة العرب ، أو لغة مثل : أمة الترك ، أو موطن مثل : أمة أمريكا ، أو دين مثل : أمة الإسلام . فأمم دال على عدد كثير من الأمم يكون بعد نوح × . وليس الذين ركبوا في السفينة أمماً لقلة عددهم ؛ لقوله : ﴿ وَمَاءَ أَمْنٍ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأولى أن تكون "من" في قوله تعالى : ﴿ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ ﴾ ابتدائية ؛ لقوة توجيهه وتعليله ، وهو اختيار أكثر المفسرين<sup>(٣)</sup> .  
وإذا كان ذلك كذلك فإن تنصيص ابن جزيّ على اختيار الزمخشري وهو لعامة المفسرين قبله فيه غرابة !

هذا وقد جمع السيد محمد رشيد رضا بين القولين - وتبعه تلميذه المراغي - كما جوّز شمول لفظ الأمم لما كان مع نوح من أنواع الحيوان بدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾<sup>(٤)</sup> [الأنعام : ٣٨] .  
ومثله في جواز الشمول للأزواج التي حملها معه : السعدي<sup>(٥)</sup> . كما جوّز السمين القولين<sup>(٦)</sup> . وسوّى البيضاوي<sup>(٧)</sup> بينهما بـ ( أو ) مع تقديم الأول ، والعلم عند الله .

(1) روح المعاني (٧٤/١٢) .

(2) التحرير والتنوير (٩٠/١٢) .

(3) وبهذا الوجه يرجح ابن جزيّ هذا القول على غيره . ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل (٩/١) .

(4) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (٧٣/١٢) ، وتفسير المراغي (٤٢/١٢) .

(5) ينظر : تيسير الكريم الرحمان (٣٧٠/٢) .

(6) ينظر : الدر المصون (٣٣٩/٦) .

(7) ينظر : أنوار التنزيل (٤٦١/١) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ

وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾

### ١٤ - الخلاف في معنى ﴿وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « أي : جعلكم تعمرونها ، فهو من العمران للأرض . وقيل : هو من العُمُر نحو : استبقاكم من البقاء »<sup>(١)</sup> .

#### العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ أن استعمركم معناها : جعلكم تعمرونها ، وأنها مأخوذة من العمران للأرض . ونقل القرطبي عن زيد بن أسلم قوله : أمركم بعمارة ما تحتاجون إليه فيها من بناء ومساكن ، وغرس أشجار<sup>(٢)</sup> .

وروي عن ابن زيد قال : « استخلفكم فيها »<sup>(٣)</sup> . أي : لعمارها بعد قوم عاد . وقريب منه قول مجاهد : « أعماركم فيها »<sup>(٤)</sup> . وجعلوه من العُمُر . قال أبو عبيدة : « جعلكم عُمَارَ الأرض ، يقال : أعمارته الدار ، أي : جعلتها له أبداً ، وهي العُمُر ، وأرقبته : أسكنته إياها إلى موته »<sup>(٥)</sup> .

وعلى هذا المعنى جمهور المفسرين منهم : ابن جرير الطبري ، والجصاص ، والسمرقندي ، وابن أبي زمنين ، والراغب ، والواحدي ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن العربي ، وابن عطية ، ومحمود النيسابوري ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، والخازن ، والقاسمي ، وأبو حيان ، وابن التركماني ، وابن كثير ، والثعالبي ، والسيوطي ، والشوكاني ، والآلوسي ، والقنوجي ، والقاسمي ، والسيد رشيد رضا ، والمراغي ،

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (١٠٨/٢) .

(2) الجامع لأحكام القرآن (١٤٩/١١) .

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٤٨/٦) رقم (١٠٩٨٣) من طريق أصبغ ، عنه .

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٤٨/٦) رقم (١٠٩٨٢) من طرق عن ابن أبي نجیح ، عنه . وابن جرير

الطبري في جامع البيان (٤٥٣/١٢) .

(5) مجاز القرآن (٢٩١ / ١) .

والسعدي، والطاهر بن عاشور<sup>(١)</sup>.

ونسبه السمعاني إلى الفراء، والزجاج<sup>(٢)</sup>. وهو مفهوم كلام الرازي<sup>(٣)</sup>.

قال الراغب : « وَأَعْمَرْتُهُ الْأَرْضَ وَاسْتَعْمَرْتَهُ : إِذَا فَوَّضْتُ إِلَيْهِ الْعِمَارَةَ ، قَالَ :

﴿ وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾<sup>(٤)</sup>.

وجاء في لسان العرب : وَأَعْمَرَهُ الْمَكَانَ وَاسْتَعْمَرَهُ فِيهِ : جَعَلَهُ يَعْمُرُهُ . وفي التنزيل العزيز:

﴿ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ أي : أذن لكم في عمارتها واستخراج قومكم منها

وجعلكم عمارها<sup>(٥)</sup>.

قال الطاهر بن عاشور : « ومعنى الإعمار : أنهم جعلوا الأرض عامرة بالبناء والغرس

والزرع ؛ لأن ذلك يعد تعميراً للأرض حتى سمي الحرث عمارة ؛ لأن المقصود منه عمُرُ

الأرض<sup>(٦)</sup>.

وقال السيد رشيد رضا : « فقد كانوا زُرَّاعًا وَصُنَّاعًا وَبَنَائِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَكَانُوا

يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴾<sup>(٧)</sup> [ الحجر : ٨٢ ] .

(1) ينظر : جامع البيان (٤٥٣/١٢) ، وأحكام القرآن (٣٧٨/٤) ، وبحر العلوم (١٣٢/٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٢٩٧/٢) ، ومفردات ألفاظ القرآن (٥٨٦) مادة (عمر) ، والوجيز (٥٢٥/١) والوسيط (٥٧٩/٢) ، ومعالم التنزيل (٤١٠/٢) ، والكشاف (٢١٢/٣) ، وأحكام القرآن (١٠٥٩/٣) ، والمحرر الوجيز (٣٢٩/٧) ، ووضح البرهان (٤٣٦/١) ، وإيجاز البيان (٣٣١/١) ، وتذكرة الأريب (٢٥٠/١) ، والجامع لأحكام القرآن (١١١/١٤٩، ١٥٠) ، ولباب التأويل (٣٣٤/٢) ، وغرائب القرآن (٣٣/٤) ، والبحر المحيط (٢٣٨/٥) ، وبهجة الأريب (٢٦٨/١) ، وتفسير القرآن العظيم (٤٥٠/٧) ، والجواهر الحسان (١٢٩/٢) ، ونظم الدرر (٣١٨/٩) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٤٦٣/٣-٤٦٤) ، وفتح القدير (٧٠٦/٢) ، وروح المعاني (٨٨/١٢) ، وفتح البيان (٢٠٥/٦) ، ومحاسن التأويل (٣٤٦١/٩) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٠٠/١٢) ، وتفسير المراغي (٥٣/١٢) ، وتيسير الكريم الرحمان (٣٧٤-٣٧٥) ، والتحرير والتنوير (١٠٨/١٢) .

(2) ينظر : تفسير القرآن (٤٣٨ / ٢) .

(3) ينظر : مفاتيح الغيب (٣٦٧-٣٦٨) .

(4) مفردات ألفاظ القرآن (٥٨٦) مادة (عمر) .

(5) (٦٠٤/٤) مادة (عمر) .

(6) التحرير والتنوير (١٠٨/١٢) .

(7) تفسير القرآن الحكيم (١٠٠/١٢) . وتبعه تلميذه المراغي في تفسيره (٥٣/١٢) .

ونظر له القاسمي بقوله تعالى : ﴿ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَنَحُّدُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا

وَنَحْنُ نَحْنُ الْجِبَالِ يُؤْتَا ۝ ﴾ <sup>(١)</sup> [الأعراف : ٧٤] .

وأما القول الآخر في معنى ﴿ وَأَسْتَعْمَرَكُمْ ۝ ﴾ وهو أنه من العُمُر نحو : استبقاكم من البقاء ، فاستعمركم من العُمُر ، فهو معنى ما رُوِيَ عن الضحاك على ما نُسِبَ إليه أنه قال : أطال فيها أعماركم <sup>(٢)</sup> . وعليه مقاتل <sup>(٣)</sup> . وقدمه السمعاني <sup>(٤)</sup> .

وذكره الزمخشري ، ومحمود النيسابوري ، والقمي ، وأبو حيان بصيغة ( قيل ) <sup>(٥)</sup> .

قال الآلوسي : « والمشهور أن الفعل من العُمُر ، وهو مدّة الحياة ، بالتشديد . ومن العمارة ، نقيض الخراب ، بالتخفيف . ففي أخذ ذلك من العمر تجوز » <sup>(٦)</sup> .

وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن الصحيح في معنى قوله تعالى : ﴿ وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ۝ ﴾ هو ما رجّحه ابن جزيّ ، وعليه جمهور المفسرين ، من أن معناه من العمران للأرض .

ويؤيد ذلك ما ذكره الله عنهم من جعلهم خلفاء في الأرض من بعد عاد ، وتحقيقهم ذلك

فعلًا في قوله تعالى : ﴿ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي

الْأَرْضِ تَنَحُّدُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَنَحْنُ نَحْنُ الْجِبَالِ يُؤْتَا ۝ ﴾ [الأعراف : ٧٤] ، وفي

قوله : ﴿ وَكَانُوا يُنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ۝ ﴾ [الحجر : ٨٢] .

وعلى هذا القول تأييد القاعدة الترجيحية : ( القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما

عدم ذلك ) <sup>(٧)</sup> . والله تعالى أعلم .

(1) ينظر : محاسن التأويل (٣٤٦١/٩) .

(2) ينظر : النكت والعيون للماوردي (٤٧٩/٢) ، ومعالم التنزيل للبعوي (٤١٠/٢) ، وزاد المسير لابن الجوزي (١٢٣/٤) في آخرين .

(3) ينظر : تفسير مقاتل (٢٨٨/٢) .

(4) ينظر : تفسير القرآن (٤٣٨/٢) وقال : وكان الواحد منهم يعيش من ثلثمئة سنة إلى ألف سنة وهكذا قوم عاد .

(5) ينظر : الكشف (٢١٢/٣) ، ووضح البرهان (٤٣٧/١) ، وإيجاز البيان (٣٣١/١) ، وغرائب القرآن و رغائب الفرقان (٣٣/٤) ، والبحر المحيط (٢٣٨/٥) .

(6) روح المعاني (٨٨/١٢) .

(7) قواعد الترجيح عند المفسرين (٣١٢/١) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ قَالُوا يَصْلِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَيْنَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا

وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾

### ١٥- الخلاف في معنى ﴿مَرْجُوًّا﴾

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « أي : كُنَّا نرجو أن ننتفع بك حتى قلت ما قلت . وقيل : المعنى: كنا نرجو أن تدخل في ديننا » <sup>(١)</sup> .

#### العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ أن قوله تعالى : ﴿ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا ﴾ معناه : كنا نرجو أن ننتفع بك حتى قلت ما قلت . وهذا قول الماوردي <sup>(٢)</sup> ، وعزاه ابن الجوزي له <sup>(٣)</sup> .  
وعليه السمعاني، والزمخشري، والقاسمي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي، والطاهر بن عاشور <sup>(٤)</sup> .

واستشهد له الزمخشري بقول ابن عباس : فاضلاً خيراً نقدمك على جميعنا <sup>(٥)</sup> . و (مرجو) أي : موضع الرجاء <sup>(٦)</sup> ، أي : نرجو خيرك ونفعلك وعقلك ورأيك ...

قال الطاهر : « وحذف متعلق ﴿مَرْجُوًّا﴾ ؛ لدلالة فعل الرجاء على أنه ترقب الخير ، أي : مرجوًّا للخير ، أي : والآن وقع اليأس من خيرك ... أي : كنت مرجوا لخصال السيادة وحماية العشيرة ونصرة آهنتهم » <sup>(٧)</sup> .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (١٠٨/٢) .

(2) ينظر : النكت والعيون (٤٧٩/٢) .

(3) ينظر : زاد المسير (١٢٣/٤) .

(4) ينظر : تفسير القرآن (٤٣٩/٢) ، والكشاف (٢١٣/٣) ، ومحاسن التأويل (٣٤٦١/٩) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٠٠/١٢ - ١٠١) ، وتفسير المراغي (٥٤/١٢) ، وتيسير الكريم الرحمان (٣٧٥/٢) ، والتحرير والتنوير (١١٠/١٢) .

(5) الكشاف (٢١٣/٣) .

(6) ينظر : لسان العرب (٣٠٩/١٤) مادة (رجا) .

(7) التحرير والتنوير (١١٠/١٢) .

واختار ابن جرير أن المعنى : كنا نرجو أن تكون فينا سيِّداً قبل هذا القول الذي قلته لنا <sup>(١)</sup> .  
وقال ابن عطية : « والظاهر الذي حكاه جمهور المفسرين أن قوله (مَرْجُوءاً) معناه : مُسَوِّدًا ،  
نؤمِّل فيك أن تكون سيِّداً سادًّا مسدًّا الأكابر » <sup>(٢)</sup> .  
ولعل هذا المعنى - عند التأمل - يندرج في معنى القول الأول .  
وعليه الكرمانى ، والبغوي ، وابن الجوزي ، والخازن ، والقمي ، والثعالبي تبعاً لابن عطية وناسباً  
إيَّاه لجمهور المفسرين ، والبقاعي ، والسيوطي ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والفنَّوجي <sup>(٣)</sup> .  
وأما القول الآخر في معنى ﴿ مَرْجُوءاً ﴾ وهو أن معناها : كنا نرجو أن تدخل في ديننا ، فهو  
قول مقاتل <sup>(٤)</sup> ، وعليه السمرقندي ، وابن أبي زمنين ، والواحدي <sup>(٥)</sup> .  
وذكره الكرمانى ، والبغوي ، والزمخشري ، والخازن ، وأبو السعود ، والشوكاني بصيغة (قيل) <sup>(٦)</sup> .  
ولم يذكروا له دليلاً .  
وجمع القرطبي بين هذا القول وبين ما اختاره ابن جرير <sup>(٧)</sup> .  
وسوى بينهما البيضاوي ، والنسفي <sup>(٨)</sup> .

وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن الأولى في معنى قوله : ﴿ قَدْ كُنْتَ فِيْنَا مَرْجُوءًا قَبْلَ هَذَا ﴾ هو ما  
رجَّحه ابن جزيٍّ ومن وافقه ، ولا تعارض بينه وبين ما اختاره ابن جرير الطبري ومن وافقه  
بل هما قولان بمعنى واحد . وعلى هذا أكثر المفسرين ، والله تعالى أعلم .

(1) ينظر : جامع البيان (٤٥٤/١٢) .

(2) المحرر الوجيز (٣٣٠/٧) .

(3) ينظر : غرائب التفسير (٥٠٩/١) ومعالم التنزيل (٤١٠/٢) وتذكرة الأريب (٢٥١/١) ولباب التأويل  
(٣٣٤/٢) وغرائب القرآن (٣٣/٤) والجواهر الحسان (١٢٩/٢) ونظم الدرر (٣١٩/٩) وإرشاد العقل السليم  
(٤٦/٣) وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣/٤٦٤) وفتح القدير (٧٠٧/٢) وفتح البيان (٢٠٥/٦) .

(4) ينظر : تفسير مقاتل (٢٨٨/٢) .

(5) ينظر : بحر العلوم (١٣٢/٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٢٩٧/٢) ، والوجيز (٥٢٥/١) ، والوسيط (٥٧٩/٢) .

(6) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (٥٠٩/١) ، ومعالم التنزيل (٤١٠/٢) ، والكشاف (٢١٣/٣) ، ولباب  
التأويل (٣٣٤/٢) ، وإرشاد العقل السليم (٤٦/٣) ، وفتح القدير (٧٠٧/٢) .

(7) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (١١١/١٥٢ - ١٥٣) .

(8) ينظر : أنوار التنزيل (٤٦٣/١) ، ومدارك التنزيل (١٩٥/٢) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكْتُمْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ (٧١)

### ١٦- الخلاف في معنى ﴿ فَضَحِكْتُمْ ﴾ .

قال ابن جرير رحمه الله تعالى : « قيل : معناه : حاضت ، وهو ضعيفٌ . وقال الجمهور : هو الضحك المعروف . واختلفوا من أي شيء ضحكت ، فقيل : سروراً بالولد الذي بشرت به ، ففي الكلام على هذا تقديم وتأخير . وقيل : سروراً بالأمن بعد الخوف . وقيل : سروراً بهلاك قوم لوط » (١) .

#### العرض والمناقشة :

رجح ابن جرير في معنى ﴿ فَضَحِكْتُمْ ﴾ من قوله تعالى : ﴿ وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكْتُمْ ﴾ ما قاله الجمهور وهو : الضحك المعروف . وكذا نسبه للجمهور الماوردي (٢) ، والقرطبي ، وأبو حيان (٣) ، والسمين ، والثعالبي ، والشوكاني ، والقنوجي . ونسبه للأكثرين السمعاني ، والبغوي ، وابن الجوزي ، والحازن (٤) ، والشوكاني ، والقنوجي .  
وروي هذا عن قتادة (٥) ، والكلبي (٦) ، والسدي (٧) ، ووهب بن منبه (٨) .

وإليه ذهب مقاتل ، والفراء ، والزجاج ، والنحاس ، وثلعب ، والسمرقندي ، وابن أبي زمنين ، والراغب ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن عطية ، ومحمود النيسابوري ،

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٠٩) .

(2) ينظر : النكت والعيون (٢/ ٤٨٤) .

(3) ينظر : البحر المحيط (٥/ ٢٤٢) .

(4) ينظر : لباب التأويل (٢/ ٣٣٥) .

(5) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٠٥ - ٣٠٦) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/ ٤٧٤) من طريق معمر ، عنه قال : فضحكت امرأته وعجبت أن قوماً آتاهم العذاب وهم في غفلة فضحكت من ذلك وعجبت . وأخرجه أيضاً ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/ ٤٧٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٥٤) رقم (١١٠١٧) من طريق سعيد بن أبي عروبة ، عنه .

(6) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٣٠٦) وابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/ ٤٧٥) من طريق معمر ، عنه .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/ ٤٧٣ - ٤٧٤) من طريق أسباط ، عنه .

(8) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/ ٤٧٥ - ٤٧٦) من طريق عبد الصمد بن منفل ، عنه .

والرازي، والقرطي، والقمي، والقرشي اليماني، والسمين، وابن كثير، والشعالي، والسيوطي، وأبوالسعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والقاسمي، والسيد رشيد رضا، والمرآغي، والسعدي، والطاهر بن عاشور<sup>(١)</sup>.

ومال إليه ابن جرير الطبري، وابن الجوزي<sup>(٢)</sup>.

واستدل لهذا القول بأنه ظاهر القرآن، ولا يجوز العدول عنه إلاّ بدليل.

وهو حقيقة فيه، ولا يصار إلى المجاز إلاّ عند تعذر الحقيقة<sup>(٣)</sup>.

وقد ورد الضحك في تسعة مواضع من القرآن<sup>(٤)</sup> كلها على المعنى المعروف منه، وهو

ضد البكاء، منها: قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ [التوبة: ٨٢].

وقوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٠].

وقوله تعالى: ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ [الزحرف: ٤٧].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ [النجم: ٤٣].

فوجب حمل الضحك في قوله تعالى: ﴿فَضَحِكْتَ﴾ على هذا المعنى جرئاً على

(١) ينظر: تفسير مقاتل (٢٩٠/٢)، ومعاني القرآن (٢٢/٢)، ومعاني القرآن وإعرابه (٦٢/٣)، ومعاني القرآن الكريم (٣٦٣/٣)، وياقوتة الصراط (٢٦٦-٢٦٨)، وبحر العلوم (١٣٥/٢)، وتفسير القرآن العزيز (٢٩٩/٢)، ومفردات ألفاظ القرآن (٥٠٢) مادة (ضحك)، والوجيز (٥٢٧/١)، والوسيط (٥٨١/٢)، وتفسير القرآن (٤٤٢/٢)، ومعالم التنزيل (٤١٣/٢)، والكشاف (٢١٦/٣)، والمحرر الوجيز (٣٤٥/٧)، ووضح اليرهان (٤٣٨/١) وإيجاز البيان (٣٣٣/١)، ومفاتيح الغيب (٣٧٤/٦)، والجامع لأحكام القرآن (١٦٤/١١)، وغرائب القرآن ورفائب الفرقان (٣٧/٤)، والترجمان عن غريب القرآن (٦٦-٦٧)، والدر المصون (٣٥٤/٦)، وتفسير القرآن العظيم (٤٥٢/٧)، والجواهر الحسان (١٣١/٢)، وإرشاد العقل السليم (٥٠/٣)، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٤٧٠/٣)، وفتح القدير (٧١٠/٢)، وروح المعاني (٩٧/١٢)، وفتح البيان (٢١٢/٦)، ومحاسن التأويل (٣٤٦٥/٩)، وتفسير القرآن الحكيم (١٠٥/١٢)، وتفسير المرآغي (٥٩/١٢)، وتيسير الكريم الرحمان (٣٧٨/٢)، والتحرير والتنوير (١١٩/١٢).

(٢) ينظر: جامع البيان (٤٧٨/١٢)، وزاد المسير (١٣٠/٤).

(٣) ينظر: فتح البيان للقنوجي (٢١٢/٦)، وروح المعاني للآلوسي (٩٧/١٢).

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (٤١٨). وبقية الآيات: النمل: ١٩، النجم: ٦٠، عبس: ٣٩،

معهود استعمال القرآن .

وأما سبب ضحكها فمختلف فيه على أقوال <sup>(١)</sup> . منها ما ذكره ابن جزيّ هنا بصيغة (قيل) .

واختار ابن جرير الطبري أن ضحكها كان تَعَجُّبًا من غفلة قوم لوطٍ عمّا أظلمهم من عذاب الله وغفلتهم منه .

قال ابن جرير : « وإنما قلنا : هذا القول أولى بالصواب ؛ لأنه ذُكِرَ عَقِيبَ قولهم لإبراهيم: ﴿ لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴾ . فإذا كان ذلك كذلك ، وكان لا وجه للضحك والتعجب من قولهم لإبراهيم : ﴿ لَا تَخَفْ ﴾ . كان الضحك والتعجب ، إنما هو من أمر قوم لوط « <sup>(٢)</sup> .

وهذا قول قتادة : « فضحكت امرأته وعجبت أن قومًا أتاهم العذاب وهم في غفلةٍ فضحكت من ذلك وعجبت » <sup>(٣)</sup> .

وأما القول الآخر في معنى " ضَحِكَتْ " وهو أنه بمعنى : حَاضَتْ ، فهو مَرْوِيٌّ عن ابن عباس <sup>(٤)</sup> ، ومجاهد <sup>(٥)</sup> ، وعكرمة <sup>(٦)</sup> ، وضمرة بن حبيب <sup>(٧)</sup> . ونُسِبَ إلى ابن عمر <sup>(٨)</sup> . وقدّمه أبو حيان <sup>(٩)</sup> . وقوّاه الآلوسي <sup>(١٠)</sup> .

(1) وصلها ابن الجوزي إلى ستة أقوال . ينظر : زاد المسير (٤/١٣٠ - ١٣١) .

(2) جامع البيان (١٢/٤٧٨) .

(3) سبق تخريجه .

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/٢٠٥٥) من طريق عبد الصمد بن علي الهاشمي ، عن أبيه ، عن جده ، عنه قال : فحاضت وهي بنت ثمان وتسعين سنة . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٥١) نسبته إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ . وذكره ابن كثير في تفسيره (٧/٤٥٢) عن عطية العوفي ، عنه .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢/٤٧٦) من طريق بقية بن الوليد ، عن علي بن هارون ، عن عمرو ابن الأزهر ، عن ليث عنه قال : حاضت وكانت ابنة بضع وتسعين سنة ، وكان إبراهيم × ابن مائة سنة .

(6) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/٣٠٦) . وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٥٢) إلى أبي الشيخ .

(7) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/٢٠٥٥) رقم (١١٠٢٣) من طريق أبي بكر بن أبي مريم ، عنه .

(8) ينظر : روح المعاني للآلوسي (١٢/٩٨) .

(9) ينظر : البحر المحيط (٥/٢٤٢) .

(10) ينظر : روح المعاني (١٢/٩٨) .

وجعله العكبري بهذا المعنى على قراءة فتح الحاء ( فَضَحَكَتْ )<sup>(١)</sup> .  
وهذا القول ضعّفه ابن جُزَيّ، وابن عطية<sup>(٢)</sup>. وتعجّب منه الكرمانى<sup>(٣)</sup> .  
وذكره الزمخشري، والبيضاوي، والقرشي اليماني، والسمين، وأبو السعود بصيغة  
(قيل)<sup>(٤)</sup> . واستبعده الأخير .

وهذا المعنى أنكره الفراء وقال : « لم أسمعه من ثقة » . وكذا أبو عبيدة ، وأبو عبيد<sup>(٥)</sup> .  
وقال الزجاج : « ليس بشئ »<sup>(٦)</sup> .  
وقال النحاس : « وهذا قول لا يعرف ولا يصح »<sup>(٧)</sup> .  
واستدل لهذا القول بأن بعض أهل اللغة قرّر هذا المعنى وأثبتته (والمثبت مقدم على  
النافى، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ)<sup>(٨)</sup> .

قال ابن قتيبة : « وهذا من قول العرب : ضحكت الأرنب ، إذا حاضت »<sup>(٩)</sup> .  
وأنشده بعضهم :

وضحكُ الأرنب فوق الصفا      كمثل دمِ الجوفِ يومَ اللقا<sup>(١٠)</sup>  
كما أنشدوا في الضّبعِ أحياناً ، فسمع للكُميت :  
فأضحكت الضّبَاعُ سيوفُ سعدٍ      بقتلَى ما دُفِنَ ولا وُدِينا<sup>(١١)</sup>

- (1) ينظر : التبيان (٧٠٦/٢) .
- (2) ينظر : المحرر الوجيز (٣٤٥/٧) .
- (3) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (٥١٢/١) .
- (4) ينظر : الكشاف (٢١٦/٣) ، وأنوار التنزيل (٤٦٥/١) ، والترجمان عن غريب القرآن (٦٧) ، والدر المصون (٣٥٤/٦) ، وإرشاد العقل السليم (٥٠/٣) .
- (5) ينظر : جامع البيان للطبري (٤٧٧/١٢) وزاد المسير لابن الجوزي (١٣٠/٤) والبحر المحيط لأبي حيان (٢٤٢/٥) .
- (6) معاني القرآن وإعرابه (٦٢/٣) .
- (7) معاني القرآن الكريم (٣٦٤/٣) .
- (8) روح المعاني للآلوسي (٩٨/١٢) .
- (9) ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦٣/١١) ، وزاد المسير لابن الجوزي (١٣٠/٤) .
- (10) البيت في جامع البيان لابن جرير الطبري (٤٧٧/١٢) ، والنكت والعيون للماوردي (٤٨٤/٢) . والمحرر الوجيز لابن عطية (٣٤٤/٧) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦٣/١١) . وينظر : اللسان : ضحك .
- (11) شعر الكميت (١٢٥/٢) . وينظر : جامع البيان للطبري (٤٧٧/١٢) .

يريد الحيض .

وأُشد ابن الأنباري لبعضهم :

تَضْحَكُ الضَّبْعُ لِقَتْلِي هُدَيْلٍ      وترى الذئبَ لها يَسْتَهْلُ (١)

وقول الآخر :

تَضْحَكُ الضَّبْعُ من دمَاءِ سليم      إذ رأتها على الحرابِ تَمُورُ (٢)

وهذا المعنى ، وهو ضحك الضبّع بمعنى الحيض ، قد نُوزِع فيه .

قال ثعلب : « تضحك - ها هنا - تُكشّر ؛ ويقال للضحك : قد كشر ، قال : وذلك أن الذئب ينازع الضبّع على القتل ؛ فتكشّر الضبّع في وجهه تهدداً ووعيداً ؛ فيتركها وتُمرُّ» (٣).

وقال الخازن : « وفي المحكم (٤) : كان ابن دريد [يرد هذا و] يقول : من شاهد الضبع عند كشرها علم أنها تحيض . وإنما أراد الشاعر تكشر لأكل اللحوم ، وهذا سهو منه ؛ لأنه جعل كشرها حيضاً . وقيل : معناه : أنها تستبشر بالقتلى ، فتتهتر [أو: فتتهتر] بعضها على بعض ، فجعل هزيرها [أو: هريرها] ضحكاً . وقيل : معناه : لأنها تُسرُّ بهم ، فجعل سرورها ضحكاً » (٥) .

واستشهد عكرمة على هذا المعنى بقول الشاعر :

إني لآتي العرسَ عند طُهورها      وأهجرها يوماً إذا هي ضاحك (٦)

وقال الشاعر :

وعَهْدِي بِسَلْمَى ضاحكاً في لَبائَةٍ      ولم يَعُدْ حُقّاً تَدْيِها أَنْ تَحَلِّمًا

قال أبوحيان : « أي حائضاً في لَبائَةٍ » (٧) .

(1) ينظر : زاد المسير (١٣٠/٤) . والبيت لتأبط شراً في ديوانه (٢٥٠) . وينظر : مفردات الراغب (٥٠١) .

(2) ينظر : لباب التأويل للخازن (٣٣٦/٢) .

(3) ياقوتة الصراط (٢٦٦ - ٢٦٨) .

(4) المحكم لابن سيده (٣٣/٣) .

(5) لباب التأويل (٣٣٦/٢) .

(6) ينظر : الدر المنثور للسيوطي (٤٥٢/٤) فإنه نسبه لأبي الشيخ . وفي الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦٣/١١) :

... إذا تك ضاحكاً بدل إذا هي ضاحك .

(7) البحر المحيط (٢٣٧/٥) . وينظر : أنوار التنزيل (٤٦٥/١) ، والدر المصون (٣٥٥/٦) وفيه : "يُحَمَلًا" .

قالوا : وبلحارثُ بن كعبٍ يقولون : ضحكتِ النخلةُ ، إذا أخرجتِ الطَّلْعَ أو البُسْرَ .  
 وحكي : أضحكتُ حَوْضًا . أي : ملأته حتى فاض . وسمع : ضحكت السمرة . إذا  
 سال منها صمغها ، وهو شبه الدم .

قالوا : وكان المعنى قريباً بعضه من بعضٍ كُله ؛ لأنه كأنه شيءٌ يمتلئ فيفيض <sup>(١)</sup> .

ويمكن أن يجاب عن هذا كُله بأن هذا المعنى مُنَازَعٌ فيه كما تقدم .

واستدل لهذا القول أيضاً بقراءة فتح الحاء ( فَضَحَكَتْ ) <sup>(٢)</sup> .

وأجيب بأنها قراءة شاذة غير معروفة <sup>(٣)</sup> .

وبعد ، فإذا تقرر هذا فإنه وإن ثبت لغةً أن الضحك يجئ بمعنى الحيض ، فإنه لا يحمل

عليه في قوله تعالى : ﴿ فَضَحَكَتْ ﴾ ؛ لأنه معنى مختلفٌ فيه بين أهل اللغة ، وقد نُوزِعَ في

بعض استدلالاته . وعليه فالقول بأن معنى ﴿ فَضَحَكَتْ ﴾ : حاضت ، هو قولٌ ضعيفٌ .

وإذا كان ذلك كذلك فإن الصحيح هو ما قاله الجمهور وأكثر المفسرين ، وهو أن

الضحك على بابهِ ومعناه المعروف ، وهو ضدُّ البكاء ؛ لأنه ظاهر القرآن ( ولا يجوز العدول  
 عن ظاهر القرآن إلاّ بدليل ) <sup>(٤)</sup> ، وفي كل المواضع التي وردت في القرآن وفيها ذكر

الضحك هو على بابهِ و ( حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود  
 استعماله أولى ) <sup>(٥)</sup> ، كما ( يجب حمل كلام الله على المعروف من كلام العرب دون الشاذ

والضعيف والمنكر ) <sup>(٦)</sup> أو المختلف فيه . ثم إن الضحك على بابهِ ومعناه المعروف هو حقيقة  
 فيه ، والضحك بمعنى الحيض مجاز ، والحقيقة مقدمة على المجاز ( فيجب حمل نصوص الوحي

(1) ينظر : جامع البيان لابن جرير الطبري (٤٧٧/١٢) ، والمصادر السابقة .

(2) ينظر : التبيان للعكبري (٧٠٦/٢) .

(3) قال القرطبي في جامعه (١٦٥/١١) : وهذه القراءة رويت عن رجل من قراء مكة يقال له محمد بن زياد الأعرابي ،  
 وهي غير معروفة كما قاله المهدي . وينظر : المحتسب (٣٢٣/١) ، والقراءات الشاذة لابن خالويه (٦٠) ،

والبحر المحيط لأبي حيان (٢٤٣/٥) ، وروح المعاني للآلوسي (٩٨/١٢) .

(4) قواعد الترجيح عند المفسرين (١٣٧/١) .

(5) المصدر السابق (١٧٢/١) .

(6) المصدر السابق (٣٦٩/٢) .

على الحقيقة (١)، والله تعالى أعلم.

---

(1) المصدر السابق (٣٨٧/٢) . وينظر : التسهيل لعلوم التنزيل (٩/١) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرَبْنَا بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانِكَ إِنَّهُ مُصِيبُهُمَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ ﴾

١٧- الخلاف في معنى الالتفات في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ ﴾

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « نُهَوُّوا عَنِ الْاَلْتِفَاتِ ؛ لِئَلَّا تَنْفَطِرَ أَكْبَادُهُمْ عَلَى قَرِيَّتِهِمْ . وَقِيلَ : مَعْنَاهُ : يَلْتَوِي » (١) .

### العرض والمناقشة :

فسر ابن جزي قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ ﴾ بمعناه المعروف والمتبادر إلى الذهن وهو النظر إلى الوراء . ووافق في هذا ما قاله مجاهد (٢) ، وقتادة (٣) .

وعليه الكافة من المفسرين منهم : مقاتل، والأخفش، وابن جرير الطبري، وغلانم ثعلب، وابن أبي زمنين، ومكي، والواحدي، والسمعي، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي، والعكبري، والرازي، والقرطبي، والخازن ، والقمي، وأبو حيان، وابن كثير، والبقاعي، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والقاسمي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والطاهر بن عاشور (٤) .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ١١٠) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢ / ٥٢٤) من طريق حجاج ، عن ابن جريج ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦ / ٢٠٦٦) رقم (١١٠٨٧) من طريق ابن أبي نجيح ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٤٦٢) نسبه إلى ابن المنذر .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢ / ٥١٨-٥١٩) من طريق معمر ، عنه . وأخرجه أيضاً (١٢ / ٥١٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦ / ٢٠٦٦) رقم (١١٠٨٨) من طريق سعيد ، عنه .

(4) ينظر : تفسير مقاتل (٢ / ٢٩٣) ، ومعاني القرآن (٢ / ٣٥٧) ، وجامع البيان (١٢ / ٥١٥) ، وياقوتة الصراط (٢٦٩) ، وتفسير القرآن العزيز (٢ / ٣٠٢) ، ومشكل تأويل القرآن (١ / ٣٧٢) ، والوجيز (١ / ٥٢٩) ، والوسيط (٢ / ٥٨٤) ، وتفسير القرآن (٢ / ٤٤٩) ، ومعالم التنزيل (٢ / ٤١٨) ، والكشاف (٣ / ٢٢٢) ، والحرر الوجيز (٧ / ٣٦٨) ، وإيجاز البيان (١ / ٣٣٥) ، وتذكرة الأريب (١ / ٢٥٣) ، والبيان (٢ / ٧١٠) ، ومفاتيح الغيب (٦ / ٣٨١) ، والجامع لأحكام القرآن (١١ / ١٨٣) ، ولباب التأويل (٢ / ٣٣٩) ، وتفسير غرائب القرآن (٤ / ٤١) ، والبحر المحيط (٥ / ٢٤٩) ، وتفسير القرآن العظيم (٧ / ٤٥٦-٤٥٧) ، ونظم الدرر (٩ / ٣٤٤) ، وفتح القدير (٢ / ٧١٦) ، وروح المعاني (١٢ / ١٠٩) ، وفتح البيان (٦ / ٢٢٣) ، ومحاسن التأويل (٩ / ٣٤٧٣) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٢ / ١١١) ، وتفسير المراغي (١٢ / ٦٦) ، والتحرير والتنوير (١٢ / ١٣٢) .

واستدلَّ له بأن هذا هو المعنى المشهور الحقيقي للاتفات : أن لا ينظر إلى ورائه <sup>(١)</sup> .  
فهي من التفات البصر <sup>(٢)</sup> .

وأما القول الآخر في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَلْنَفْتٌ ﴾ وهو أن معناه : يَلْتَوِي ، فإن كان المقصود بـ " يلتوي " : يتخلف ، فهذا قول ابن عباس : « لا يتخلف » <sup>(٣)</sup> .  
واختاره السمرقندي <sup>(٤)</sup> . وسوى بينهما أبو السعود <sup>(٥)</sup> .

وذكر ابن عطية عن فرقة أنها قالت : من لفت الشيء يَلْفُتُهُ : إذا ثناه ولوأه . فمعناها : " ولا يَتَّبِطُّ " ، وهذا شاذٌّ مع صحته <sup>(٦)</sup> .  
وتبعه أبو حيان <sup>(٧)</sup> . ولم أر من ذكر هذا المعنى غيرهما !

وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن الصحيح في معنى ﴿ وَلَا يَلْنَفْتٌ ﴾ هو : ولا ينظر إلى ورائه ، فيفسرُ الالتفات بمعناه المشهور والحقيقي والمتبادر إلى الذهن ، و ( يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر ) <sup>(٨)</sup> .

وإذا كان ذلك كذلك فإن الصحيح ما كان عليه ابن جزي وعمامة المفسرين ، وأما تفسير ابن عباس الالتفات بالتخلف فهو خلاف الظاهر ، والله تعالى أعلم .

(1) ينظر : روح المعاني للآلوسي (١٠٩/١٢) .

(2) ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية (٣٦٨/٧) .

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٦٥/٦) من طريق أبي روق ، عن الضحاك ، عنه . وفي زاد المسير لابن الجوزي (١٤٢/٤) : قاله أبو صالح ، عن ابن عباس .

(4) ينظر : بحر العلوم (١٣٧/٢) .

(5) ينظر : إرشاد العقل السليم (٥٥/٣) قال : لا يتخلف أو لا ينظر إلى ورائه .

(6) المحرر الوجيز (٣٦٨/٧) .

(7) البحر المحيط (٢٤٩/٥) .

(8) قواعد الترجيح عند المفسرين (٣٦٩/٢) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ

مَنْضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾

في هاتين الآيتين الكريميتين مسألتان :

المسألة الأولى هي :

١٨ - الخلاف في علامة الحجارة التي أمطر بها قوم لوط

في قوله تعالى : ﴿ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ ﴾

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « معناه : معلمة بعلامة ، روي أنه كان فيها بياض وحمرة .  
وقيل : كان في كل حجر اسم صاحبه »<sup>(١)</sup> .

العرض والمناقشة :

فسر ابن جزي قوله تعالى : ﴿ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ بأن معناها : معلمة بعلامة . وهذا  
تفسير صحيح لا إشكال فيه ؛ لأن التسويم هو التعليم . يقال : سَوَّمتُ الشيء إذا عَلَّمْتَهُ<sup>(٢)</sup> .

قال ابن عباس : ﴿ مُسَوِّمَةً ﴾ : مُعَلِّمَةٌ<sup>(٣)</sup> .

وقال أبو عبيدة : أي مُعَلِّمَةٌ بالسيما<sup>(٤)</sup> .

ثم ذكر قولين في هذه العلامة ، وقدم القول بأنه كان فيها بياض وحمرة . وروي هذا عن ابن  
عباس<sup>(٥)</sup> . ونُسبَ إلى الحسن<sup>(٦)</sup> .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (١١٠/٢) .

(2) معاني القرآن الكريم للنحاس (٣٧٢/٣) .

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٦٩/٦) رقم (١١١٠٧) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه . ومثله عن  
بجاهد ، أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٣٠/١٢) من طريق ابن أبي نجيح ، عنه وفي (١٢ / ٥٣١)  
من طريق ابن جريج ، عنه . ونُسبَ إلى الحسن كذلك في معاني القرآن الكريم للنحاس (٣٧٢/٣) .

(4) مجاز القرآن (٢٩٧/١) .

(5) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٦٩/٦) رقم (١١١٠٨) من طريق أبي روق ، عن الضحاك ، عنه . وزاد  
السيوطي في الدر المنثور (٤٦٣/٤) نسبه إلى أبي الشيخ .

(6) نسبه إليه ابن الجوزي في زاد المسير (١٤٥/٤) ، والزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٧٢/٣) .

- وَرُوِيَ أَيْضًا أَنَّهُمَا كَانَتْ مَخْطُوطَةً بِسَوَادٍ وَحُمْرَةٍ (١) .  
 وَرُوِيَ أَيْضًا أَنَّهُمَا كَانَتْ مَطْوُوقَةً بِهَا نَضْحٌ مِنْ حُمْرَةٍ (٢) .  
 قَالَ الرَّيْبِيُّ : عَلَيْهَا سِيْمَا خَطُوطٍ (٣) .  
 وَقَالَ السُّدِّيُّ : الْمَسْوُومَةُ : الْمَخْتَمَةُ (٤) .

وإلى تفسير ﴿ مَسْوُومَةٌ ﴾ بأنها مُعَلَّمَةٌ ذهب مقاتل ، وابن جرير الطبري ثم ذكر الآثار الواردة عن السلف في بيان كلفتها ، ومكي ، والسمعاني كابن جزي ، ومثله الزمخشري ، وابن عطية ، والثعالبي ، والباقعي (٥) .

- وأما ما رُوِيَ من ذلك في بيان علامتها وكلفتها ، فذكره الفراء بقوله : « زعموا » (٦) .  
 ومثله السيد محمد رشيد رضا ، والمراغي (٧) .  
 وذكره مكي ، والألوسي بصيغة ( قيل ) (٨) .  
 وأما القول الآخر في بيان كلفتها هذه العلامة وهو أنه كان في كل حجرٍ اسمُ صاحبه ، فهو منسوب إلى الربيع (٩) . وذكره الماوردي (١٠) . وذكره السمعي قولاً ثانياً (١١) .

- (1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٦٩/٦) رقم (١١١١٠) عن قتادة . ونسبه ابن الجوزي في زاد المسير (١٤٥/٤) إلى ابن عباس برواية أبي صالح ، عنه .  
 (2) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٠٩/٢) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٣١/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٦٩/٦) عن قتادة ، وعكرمة . والأخير لم يخرج عن الأخير .  
 (3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٣١/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٦٩/٦) رقم (١١١١١) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٦٤/٤) نسبته إلى أبي الشيخ .  
 (4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٣١/١٢) من طريق أسباط ، عنه .  
 (5) ينظر : تفسير مقاتل (٢٩٣/٢) وجامع البيان (٥٣٠/١٢) وتفسير المشكل (١٩٩) وتفسير القرآن (٤٥٠/٢) والكشاف (٢٢٢/٣) والمحرر الوجيز (٣٧٣/٧) والجواهر الحسان (١٣٣/٢) ونظم الدرر (٣٤٦/٩) .  
 (6) ينظر : معاني القرآن (٢٤/٢ - ٢٥) .  
 (7) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (١١٢/١٢) ، وتفسير المراغي (٦٨/١٢) .  
 (8) ينظر : تفسير المشكل (١٩٩) ، وروح المعاني (١١٣/١٢) .  
 (9) ينظر : مفاتيح الغيب (٣٨٣/٦) وزاد المسير (١٤٦/٤) وغرائب القرآن (٤٢/٤) والبحر المحيط (٢٥٠/٥) وروح المعاني (١١٣/١٢) .  
 (10) ينظر : النكت والعيون (٤٩٣/٢) .  
 (11) ينظر : تفسير القرآن (٤٥٠/٢) .

وذكره ابن عطية بقوله : «ويحكى»<sup>(١)</sup>.

واختاره محمود النيسابوري ، وابن كثير ، والسيوطي<sup>(٢)</sup>.

وذكره النسفي ، والسمين بصيغة (قيل) ولم يذكره غيره<sup>(٣)</sup> . وذكره السمرقندي ، والبغوي ،

والزمخشري ، والقرطبي ، والحازن ، وأبوحيان بصيغة (قيل)<sup>(٤)</sup> .

قال ابن كثير : « معلمة محتومة عليها أسماء أصحابها كل حجر مكتوب عليه اسم الذي

يتزل عليه»<sup>(٥)</sup>.

وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن ظاهر القرآن على أن هذه الحجاره معلمة بعلامة ، وهذه العلامة لا

نعرفها نحن ، الله يعلمها ؛ لأنه قال : ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ . فتعيين العلامة - على هذا - محال ؛

لاستثثار الله تعالى بعلمها . وما رُوِيَ في وصفها وتحديدها وألوانها لا يثبت في حديث مرفوع ، ولا

يصح حمل الآية على تفسيرات وتفصيلات لأمر مغيب لا دليل عليها من القرآن أو السنة<sup>(٦)</sup> .

قال السيد محمد رشيد رضا : ﴿مُسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ : لها سومة أي : علامة خاصة في

علم ربك أيها الرسول ، أي : أمطرتها خاصة بها لا تصيب غير أهلها ... وزعم بعض المفسرين أن

هذا التسويم كان حسياً بخطوط في ألوانها ، أو أمثال الخواتيم عليها أو بأسماء أهلها ، ولكن هذا من

أمر الغيب لا يثبت إلا بنص عن المعصوم ولا نص...»<sup>(٧)</sup> . وتبعه المراغي<sup>(٨)</sup> .

وإذا كان ذلك كذلك فإن الأولى هو الإمساك عن بيان الكيفية ، والاكتفاء بتفسير

﴿مُسَوِّمَةٌ﴾ بأنها معلمة بعلامة معلومة عند الله ، لا نعلمها نحن ، والله تعالى أعلم .

(1) ينظر : المحرر الوجيز (٣٧٣/٧) .

(2) ينظر : وضوح البرهان (٤٤٩/١) ، وإيجاز البيان (٣٣٥/١) ، وتفسير القرآن العظيم (٤٥٨/٧) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٤٧٨/٣) .

(3) ينظر : مدارك التنزيل (٢٠٠/٢) ، والدر المصون (٣٧٠/٦) .

(4) ينظر : بحر العلوم (١٣٨/٢) ، ومعالم التنزيل (٤١٩/٢) ، والكشاف (٢٢٢/٣) ، والجامع لأحكام القرآن (١٨٨/١١) ، ولباب التأويل (٣٣٩/٢) ، والبحر المحيط (٢٥٠/٥) .

(5) تفسير القرآن العظيم (٤٥٨/٧) .

(6) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢٢٥/١) .

(7) تفسير القرآن الحكيم (١١٢/١٢) .

(8) ينظر : تفسير المراغي (٦٨/١٢) .

## المسألة الثانية هي :

### ١٩- الخلاف في عائد الضمير ﴿هِيَ﴾ والمراد بـ ﴿الظَّالِمِينَ﴾

#### في قوله تعالى : ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « الضمير للحجارة . والمراد بالظالمين كفار قريش ، فهذا تهديد لهم ، أي : ليس الرمي بالحجارة ببعيد منهم ؛ لأجل كفرهم . وقيل : الضمير للمدائن ، فالمعنى : ليست ببعيدة منهم <sup>(١)</sup> أفلا يعتبرون بها ؛ كقوله : ﴿ وَلَقَدْ آتَوْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي آمُطِرَتْ مَطَرًا السَّوَّى ﴾ [الفرقان : ٤٠] . وقيل : إن الظالمين على العموم » <sup>(٢)</sup> .

#### العرض والمناقشة :

رحَّحَ ابن جُزَيِّ في قوله تعالى : ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ﴾ أن الضمير للحجارة، وأن المراد بالظالمين كفار قريش . والمعنى : ليس الرمي بالحجارة ببعيد منهم لكفرهم . ووافق في هذا معنى ما رُوِيَ عن مجاهد <sup>(٣)</sup> ، والسدِّي <sup>(٤)</sup> . ونُسِبَ هذا القول لأكثر المفسرين <sup>(٥)</sup> . وذهب إليه مقاتل، وابن جرير الطبري، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والرازي، والخازن <sup>(٦)</sup> . ومال إليه الطاهر بن عاشور <sup>(٧)</sup> . وذكره الشنقيطي واستشهد له بالقرآن <sup>(٨)</sup> .

(1) أي : من كفار قريش .

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (١١٠/٢) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٣٢/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٦٩/٦) رقم (١١١١٣) من طريق ابن أبي نجيح ، وابن جريج ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٦٥/٤) نسبته إلى أبي الشيخ . وينظر : النكت والعيون للماوردي (٤٩٤/٢) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٣٣/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٧٠/٦) رقم (١١١١٦) من طريق أسباط ، عنه .

(5) ينظر : الوسيط للواحدي (٥٨٥/٢) ، وزاد المسير لابن الجوزي (١٤٦/٤) .

(6) ينظر : تفسير مقاتل (٢٩٣/٢) ، وجامع البيان (٥٣١/١٢) ، والوجيز (٥٢٩/١) ، وتفسير القرآن (٤٥٠/٢) ، ومعالم التنزيل (٤١٩/٢) ، ومفاتيح الغيب (٣٨٤/٦) ، ولباب التأويل (٣٣٩/٢) .

(7) ينظر : التحرير والتنوير (١٣٥/١٢) .

(8) ينظر : أضواء البيان (٣٩/٣ - ٤٠) .

وإلى أن المراد بالظالمين كفار قريش ذهب السيوطي، والسيد محمد رشيد رضا<sup>(١)</sup>. وسويًا في عائد الضمير بين العقوبة، وهي الرمي بالحجارة، وبين القرى أو المدائن، وزاد الأخير: الأرض التي حلَّ بها العذاب. وهي في المعنى تؤول إلى بلادهم ومدائنهم.

وإلى أن الضمير يرجع إلى الحجارة ذهب ابن عطية<sup>(٢)</sup>، وصحَّح أن الظالمين على العموم.

ومما يشهد لهذا القول من القرآن قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ

عَنْبَةَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴾ [محمد: ١٠].

قال الشنقيطي: «فإن قوله: ﴿ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴾ ظاهر جدًا في ذلك، والآيات بنحو

ذلك كثيرة»<sup>(٣)</sup>.

ومما يدل على عود الضمير إلى الحجارة أنها أقرب مذكور<sup>(٤)</sup>.

ومما يدل على أن المراد بالظالمين كفار قريش قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكُمْ لَنْمُرُونَ عَلَيْهِمْ

مُصِيبِينَ ﴿٣٧﴾ وَبِالْأَيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الصافات: ١٣٧-١٣٨]. وقوله تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَا

عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾

وَإِنَّهَا لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر: ٧٤-٧٧].

وقوله ﴿ لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴾ أي: في طريق ثابت معروف بين المدينة والشام<sup>(٥)</sup>.

وأما القول الثاني، وهو أن الضمير عائد لمدائن وديار قوم لوط، وأن المراد بالظالمين كفار

قريش أيضًا، فقدّمه السمرقندي وذكره لكن بصيغة (يقال)<sup>(٦)</sup>.

واستظهر أبو حيان أن الضمير (هي) عائد على القرى<sup>(٧)</sup>.

(1) ينظر: تفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٤٧٨/٣)، وتفسير القرآن الحكيم (١١٢/١٢).

(2) ينظر: المحرر الوجيز (٣٧٣/٧).

(3) أضواء البيان (٣٩/٣ - ٤٠).

(4) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان (٢٥٠/٥)، والدر المصون للسمين (٣٧٠/٦ - ٣٧١)، وفتح البيان (٢٢٦/٦).

(5) ينظر: تفسير القرآن الحكيم للسيد محمد رشيد رضا (١١٢/١٢).

(6) ينظر: بحر العلوم (١٣٨/٢).

(7) ينظر: البحر المحيط (٢٥٠/٥). وتبعه السمين في الدر المصون (٣٧٠/٦).

وقال الطاهر بن عاشور : « وضمير ( هِيَ ) يصلح لأن يعود إلى ما عادت إليه الضمائر  
المرجورة قبله وهي المدينة «<sup>(١)</sup> . يعني قرية قوم لوط X .  
وذكره الزمخشري ، وابن عطية ، والرازي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والقمي ، وأبو السعود ،  
والشوكاني ، والقنوجي ، والقاسمي بصيغة ( قيل ) <sup>(٢)</sup> .

واستشهد له الشنقيطي بقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكُمْ لَمُتْرُونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴾ <sup>(١٣٧)</sup> وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿ [ الصفات : ١٣٧ - ١٣٨ ] ، وقوله : ﴿ لَسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴾ <sup>(٧٦)</sup> إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿ [ الحجر : ٧٦ - ٧٧ ] ، وقوله : ﴿ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ [ الذاريات : ٣٧ ] ، وقوله :  
﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ <sup>(٣)</sup> [ العنكبوت : ٣٥ ] .

واستشهد له ابن جزي بقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوِيًّا أَفْكَمَ  
يَكُونُوا يَرُونَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾ [ الفرقان : ٤٠ ] .

وأما القول بالعموم في المراد بالظالمين ، فروي عن عكرمة<sup>(٤)</sup> ، وقتادة<sup>(٥)</sup> ، والربيع<sup>(٦)</sup> ، والسدي<sup>(٧)</sup> .  
وعليه الزمخشري ، وابن عطية ، والقمي ، وأبو حيان ، والثعالبي ، والباقعي ، وأبو السعود ،

- (1) التحرير والتنوير (١٣٥/١٢) .
- (2) ينظر : الكشاف (٢٢٣/٣) ، والمحزر الوجيز (٣٧٣/٧) ، ومفاتيح الغيب (٣٨٤/٦) ، والجامع لأحكام القرآن (١٨٩/١١) ، وأنوار التنزيل (٤٦٨/١) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤٢/٤) ، وإرشاد العقل السليم (٥٦/٣) ، وفتح القدير (٧١٧/٢) ، وفتح البيان (٢٢٦/٦) ، ومحاسن التأويل (٣٤٧٤/٩) .
- (3) ينظر : أضواء البيان (٣٩/٣ - ٤٠) .
- (4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٧٠/٦) رقم (١١١٤) من طريق معمر ، عن عكرمة وقتادة قالا : لم يبرأ منها ظالم بعدهم .
- (5) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٠٩/٢) عن معمر ، عنه . وابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٣٢/١٢) من طريق معمر به ، ومن طريق بشر ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٧٠/٦) من طريق معمر به . وأخرجه ابن جرير الطبري (٥٣٣/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٧٠/٦) رقم (١١١٨) من طريق ضمرة بن ربيعة ، عن ابن شوذب ، عنه قال : من ظلمي هذه الأمة ، ثم يقول : والله ، ما أجاز الله منها ظالماً بعد . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٦٥/٤) نسبة إلى أبي الشيخ .
- (6) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٧٠/٦) رقم (١١١٧) من طريق عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٦٥/٤) نسبه إلى أبي الشيخ .
- (7) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٧٠/٦) رقم (١١١٥) من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عنه .

والألوسي<sup>(١)</sup> . ومفهوم كلام ابن كثير<sup>(٢)</sup> .

وفسرها الفراء بظالمي هذه الأمة<sup>(٣)</sup> ، وتبعه الزجاج ، وابن أبي زمنين<sup>(٤)</sup> .

قال ابن عطية : « **مِنَ الظَّالِمِينَ** » ، قيل : يعني قريشًا ، وقيل : يريد عموم كل من اتصف بالظلم ، وهذا هو الأصح ؛ لأنه رُوِيَ عن النبي < أنه قال : ( سيكون في أمي خَسْفٌ ومَسْخٌ وقَذْفٌ بالحجارة ) »<sup>(٥)</sup> .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الصحيح في عائد الضمير ﴿ هِيَ ﴾ صلاحيته لأن يعود للعقوبة - وهي الرمي بالحجارة - وصلاحيته لأن يعود لقرية لوط X . ويشهد لكل منهما قرآن كما قاله الشنقيطي . وأما المراد بالظالمين فالقول بالعموم أظهر مع تناوله لكفار قريش تناولاً أولياً . ويؤيده القاعدة الترجيحية : ( يجب حمل نصوص الوحي على العموم )<sup>(٦)</sup> ، والله تعالى أعلم .

(1) ينظر : الكشف (٢٢٣/٣) ، والمحرم الوجيز (٣٧٣/٧) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤٢/٤) ، والبحر المحييط (٢٥٠/٥) ، والجواهر الحسان (١٣٣/٢) ، ونظم الدرر (٣٤٧/٩) ، وإرشاد العقل السليم (٥٦/٣) ، وروح المعاني (١١٤/١٢) .

(2) ينظر : تفسير القرآن العظيم (٤٥٩/٧) .

(3) ينظر : معاني القرآن (٢٥/٢) .

(4) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٧٢/٣) ، وتفسير القرآن العزيز (٣٠٣/٢) .

(5) المحرم الوجيز (٣٧٣/٧) . والحديث أخرجه أحمد في مسنده (١٦٣/٢) ، وابن ماجه في سننه (٤٠٦٢) ، والحاكم في مستدركه (٤٤٥/٤) ، وابن عدي في الكامل (٢١٣٥/٦) جميعاً من طريق الحسن بن عمرو ، عن أبي الزبير ، عن عبد الله بن عمرو ط . وإسناده ضعيف ؛ لأنه لم يسمع أبو الزبير من ابن عمرو ، ولم يره . وللحديث شواهد يرتقي بها إلى الحسن لغيره، منها :

- حديث ابن عمر بإسناد حسن - كما قال محقق المسند - رواه أحمد في مسنده (١٣٧/٢) (٣٤١/١٠) رقم (٦٢٠٨) .

- وحديث أبي هريرة بإسناد حسن - كما قاله محقق المسند - رواه ابن حبان في صحيحه (الإحسان برقم ٦٧٥٩) - وحديث عائشة عند الترمذي في سننه (٢١٨٥) . وفي إسناده عبد الله بن عمر العمري تكلم فيه يحيى بن سعيد من قبل حفظه . قاله الترمذي .

- وحديث سهل بن سعد عند ابن ماجه في سننه (٤٠٥٩) . قال في الزوائد : رجال إسناده ثقات إلا أنه منقطع .

وينظر : مسند الإمام أحمد (٧٤-٧٣/١١) رقم (٦٥٢١) ط . التركي .

(6) قواعد الترجيح عند المفسرين (٥٢٧/٢) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ قَالُوا يَسْعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا <sup>ط</sup>

وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزِينَ ﴿٩١﴾ ﴾

٢٠- الخلاف في معنى ﴿ ضَعِيفًا ﴾ من قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « أي : ضعيف الانتصار والقدرة . وقيل : نحيل البدن . وقيل : أعمى » (١) .

### العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ أَنَّهُ مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿ ضَعِيفًا ﴾ أَنَّهُ : ضَعِيفُ الْإِنْتِصَارِ وَالْقُدْرَةِ . وَوَافِقٌ فِي هَذَا مَعْنَى مَا رُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ (٢) ، وَالسَّدِيِّ (٣) ، وَأَبِي رَوْقٍ (٤) .

وَذَهَبَ إِلَيْهِ مِقَاتِلُ ، وَالزَّمْخَشَرِيُّ ، وَابْنُ عَطِيَّةَ ، وَالرَّازِيُّ ، وَالْبِيضَاوِيُّ ، وَالنَّسْفِيُّ ، وَالْحَازِنُ ، وَالْقَمِيُّ ، وَأَبُو حِيَّانَ ، وَالتَّعَالِيُّ ، وَالسِّيَوطِيُّ ، وَأَبُو السَّعُودِ ، وَالشُّوْكَانِيُّ ، وَالْأَلُوسِيُّ ، وَالْقَنُوجِيُّ ، وَالْقَاسِمِيُّ ، وَالسَّيِّدُ مُحَمَّدُ رَشِيدُ رِضَا ، وَالْمِرَاغِيُّ ، وَالطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (٥) .

وَيَسْتَدَلُّ لِهَذَا الْقَوْلِ بِظَاهِرِ الْمَعْنَى ؛ فَإِنَّ الْمَعْنَى الظَّاهِرَ وَالْمُتَبَادِرَ إِلَى الذَّهْنِ مِنْ " الضَّعْفِ " هُوَ ضِدُّ الْقُوَّةِ ، وَالضَّعِيفُ ضِدُّ الْقَوِيِّ ، وَهُوَ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْتَصِرَ لِنَفْسِهِ وَلَيْسَ عِنْدَهُ الْقُدْرَةُ عَلَى ذَلِكَ ،

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (١١١/٢) .

(2) نسبه له الزمخشري في الكشاف (٢٣٠/٣) ، وابن الجوزي في زاد المسير (١٥٢/٤) .

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٧٦/٦) رقم (١١١٦٣) من طريق سهل بن عثمان ، عن رجل ، عنه قال : إنما أنت واحد . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٧٠/٤) نسبة إلى أبي الشيخ .

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٧٦/٦) رقم (١١١٦٤) من طريق بشر بن عمارة ، عنه .

(5) ينظر : تفسير مقاتل (٢٩٥/٢) ، والكشاف (٢٣٠/٣) ، والمحرم الوجيز (٣٨٤/٧) ، ومفاتيح الغيب (٣٩١/٦) ، وأنوار التنزيل (٤٧١/١) ، ومدارك التنزيل (٢٠٢/٢) ، ولباب التأويل (٣٤٢/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤٦/٤) ، والبحر المحيط (٢٥٦/٥) ، والجواهر الحسان (١٣٥/٢) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٤٨٣/٣) ، وإرشاد العقل السليم (٦٢/٣) ، وفتح القدير (٧٢٣/٢) ، وروح المعاني (١٢٣/١٢) ، وفتح البيان (٢٣٥/٦) ، ومحاسن التأويل (٣٤٨١/٩) ، وتفسير القرآن الحكيم (١١٩/١٢) ، وتفسير المراغي (٧٦/١٢) ، والتحرير والتنوير (١٤٨/١٢) .

فهو ذليل مهين ، يتعذر عليه منع القوم عن نفسه ، لا قوة له ولا حيلة .

ويشهد لهذا المعنى القرآن الكريم ؛ كقوله تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ

بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾ [الروم : ٥٤] .

وقوله تعالى : ﴿ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء : ٢٨] .

وقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ ﴾ [التوبة : ٩١] .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي ﴾ [الأعراف : ١٥٠] .

في غيرها من الآيات التي تدل على أن الضعف مقابل القوة <sup>(١)</sup> . وهذا هو المعنى المشهور

للضعف في لغة العرب .

ويدل لصحة هذا القول ما بعده وهو قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وأما القول الثاني وهو أن معنى ﴿ ضَعِيفًا ﴾ : نحيل البدن ، فاختره الكرمانى <sup>(٣)</sup> .

وذكره الماوردي عن ابن عيسى <sup>(٤)</sup> . وكذا القرطبي ، والشوكاني <sup>(٥)</sup> . وذكره السمعاني

قولاً ثانياً غير منسوب : الضعيف في البدن <sup>(٦)</sup> .

وضعفه ابن عطية <sup>(٧)</sup> . وذكره أبو حيان بصيغة ( قيل ) <sup>(٨)</sup> .

ويمكن أن يستدل له بأن من معاني الضَّعْفِ ما كان في البدن <sup>(٩)</sup> .

ويجاب بأن التنصيص على نحالة البدن تحتاج إلى دليل ولا دليل .

(1) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن للراغب (٥٠٦ - ٥٠٨) مادة (ضعف) ، وعمدة الحفاظ للسمين (٣٧٧/٢) -

(٣٧٨) .

(2) لباب التأويل للخازن (٣٤٢/٢) .

(3) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (٥٢٠/١) .

(4) ينظر : النكت والعيون (٤٩٩/٢) .

(5) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (٢٠٠/١١) ، وفتح القدير (٧٢٣/٢) .

(6) ينظر : تفسير القرآن (٤٥٣/٢) .

(7) ينظر : المحرر الوجيز (٣٨٤/٧) .

(8) ينظر : البحر المحيط (٢٥٦/٥) .

(9) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن للراغب (ضعف) ، وعمدة الحفاظ للسمين (ضعف) .

وأما القول الثالث وهو أن معنى ﴿ضَعِيفًا﴾ : أي أعمى ، فهو قولُ رُوِيَ عن ابن عباس<sup>(١)</sup> ، وعلي بن أبي طالب<sup>(٢)</sup> ، وسعيد بن جبير<sup>(٣)</sup> ، وقتادة<sup>(٤)</sup> ، وسفيان الثوري<sup>(٥)</sup> ، وشريك القاضي<sup>(٦)</sup> . ونُسبَ إلى الكلبي<sup>(٧)</sup> .

واختاره ابن جرير الطبري ، والزجاج ، والنحاس ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ، والبغوي ، وابن الجوزي<sup>(٨)</sup> . وقدمه السمعاني ونسبه لأكثر المفسرين<sup>(٩)</sup> .

وذكره بصيغة ( قيل ) : الكرمانى ، والزحشري ، وابن عطية وضعفه ، والبيضاوي<sup>(١٠)</sup> .

وضعفه الرازي من وجوه ، وكذا الآلوسي<sup>(١١)</sup> .

وعده الطاهر بن عاشور من فساد التفاسير<sup>(١٢)</sup> .

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٧٦/٦) رقم (١١١٦٠) من طريق شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ، عنه قال : كان ضرير البصر . ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٤٦٩/٤) لإسحاق بن بشر ، وابن عساكر من طريق جوير ، عن الضحاك ، عنه .

(2) أخرجه أبو الشيخ كما في الدر المنثور للسيوطي (٤٧١/٤) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٥٣/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٧٦/٦) رقم (١١١٦١) من طريق شريك ، عن سالم ، عنه . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٥٣/١٢) ، وفي تاريخه (٣٢٦-٣٢٥/١) ، وابن عساكر في تاريخه (٧٢-٧١/٢٣) من طريق شريك وسفيان ، عن سالم به . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٧٠/٤) نسبه لأبي الشيخ .

(4) ينظر : النكت والعيون للماوردي (٤٩٩/٢) ، وزاد المسير لابن الجوزي (١٥٢/٤) .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٥٣/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٧٦/٦) رقم (١١١٦٢) من طريق أبي نعيم ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤٧٠/٤) نسبه إلى أبي الشيخ .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٥٣/١٢) .

(7) ينظر : بحر العلوم للسمرقندي (١٤٠/٢) .

(8) ينظر : جامع البيان (٥٥٢/١٢) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٧٤/٣) ، ومعاني القرآن الكريم (٣٧٦-٣٧٥/٣) ، وتفسير القرآن العزيز (٣٠٦/٢) ، والوجيز (٥٣٢/١) ، والوسيط (٥٨٧/٢) ، ومعالم التنزيل (٤٢١/٢) ، وتذكرة الأريب (٢٥٥/١) .

(9) ينظر : تفسير القرآن (٤٥٣/٢) .

(10) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (٥٢٠/١) ، والكشاف (٢٣٠/٣) ، والمحرم الوجيز (٣٨٤/٧) ، وأنوار التنزيل (٤٧١/١) .

(11) ينظر : مفاتيح الغيب (٣٩١/٦) ، وروح المعاني (١٢٣/١٢) .

(12) ينظر : التحرير والتنوير (١٤٩/١٢) .

واستدلوا له بأن لغة حمير على ذلك ، فإنها تُسمّى المكفوف ضعيفاً<sup>(١)</sup> .  
قال القمي : « وفسّر بعضهم الضعيف بالأعمى ؛ لأن العمى سبب الضعف ، أو لأنه لغة حمير »<sup>(٢)</sup> .

وهذا القول ضعيف لا يصح ؛ لأنه لم يثبت في دليل صحيح نسبة العمى لشعيب × .  
قال ابن الجوزي : « وزعم أبو روق أن الله لم يبعث نبياً أعمى ، ولا نبياً به زمانة »<sup>(٣)</sup> .  
وقال الطاهر : « ومن فساد التفاسير تفسير الضعيف بفاقد البصر ، وأنه لغة حميرية ، فركبوا منه أن شعيباً - عليه السلام - كان أعمى ، وتطرّقوا من ذلك إلى فرض مسألة جواز العمى على الأنبياء ، وهو بناء على أوهام . ولم يعرف من الأثر ولا من كتب الأولين ما فيه أن شعيباً × كان أعمى »<sup>(٤)</sup> .

ومما يضعف هذا القول قوله تعالى : ﴿ فِينَا ﴾ ، فلو قيل : إنا لنراك فينا أعمى ، لم يكن كلاماً مفيداً ؛ لأن الأعمى ، أعمى فيهم وفي غيرهم<sup>(٥)</sup> .  
وتفسير الضعيف بالأعمى خلاف المشهور من لغة العرب ، وترك للظاهر من غير دليل<sup>(٦)</sup> .

ومما يبطله أيضاً قوله تعالى بعده : ﴿ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ﴾ فنفوا عنه القوة التي أثبتوها في رهطه ، ولما كان المراد بالقوة التي أثبتوها للرهط هي النصره ، وجب أن تكون القوة التي نفوها عنه هي النصره لا البصر<sup>(٧)</sup> .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الصحيح من الأقوال في معنى قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ﴾

- 
- (1) ينظر : معاني القرآن وإعراجه للزجاج (٧٤/٣) ، وتفسير القرآن للسمعاني (٤٥٣/٢) ، والمحرر الوجيز لابن عطية (٣٨٤/٧) . وحكاه الأخير عن الزهراوي .
  - (2) غرائب القرآن ورجائب الفرقان (٤٦/٤) .
  - (3) زاد المسير (١٥٢/٤) .
  - (4) التحرير والتنوير (١٤٩/١٢) .
  - (5) ينظر : الكشاف للزمخشري (٢٣٠/٣) ، ومفاتيح الغيب للرازي (٣٩١/٦) .
  - (6) ينظر : مفاتيح الغيب للرازي (٣٩١/٦) .
  - (7) ينظر : مفاتيح الغيب للرازي (٣٩١/٦) .

ضَعِيفًا ﴿١﴾ قول من قال : إن الضعيف هو من لا قوة له على الانتصار ولا قدرة له على منع القوم عن نفسه ، وهو ما رجّحه ابن جُزَيٍّ ومن وافقه .

ويؤيده أن القول به هو ( حملُ لكلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر ) <sup>(١)</sup> ، وهذا واجب .

وهو قول تشهد له الآيات القرآنية فيكون مقدماً على غيره <sup>(٢)</sup> .

وهو قول يعظّم مقام النبوة ولا ينسب إلى شعيب × ما يكون نقصاً في حق غيره فكيف هو !! <sup>(٣)</sup>

وأما القول بأنه كان أعمى ، فهو أمرٌ غيبيٌّ لا دليل صحيحاً عليه من كتاب ولا سنة، ولا يصح حمل الآية عليه <sup>(٤)</sup> . والله تعالى أعلم .

(1) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (٣٦٩/٢) .

(2) ينظر : المصدر السابق (٣١٢/١) .

(3) ينظر : المصدر السابق (٣٢٨/١) .

(4) ينظر : المصدر السابق (٢٢٥/١) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ (١٠٥)

### ٢١- الخلاف في فاعل ﴿يَأْتِ﴾ ، علامَ يعود ؟

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « العامل في الظرف : ﴿لَا تَكَلِّمُ﴾ أو فعل مضمَر (١) ، وفاعل ﴿يَأْتِ﴾ ضميرٌ يعود على ﴿يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ . وقال الزمخشري (٢) : يعود على الله تعالى ؛ كقوله : ﴿أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ﴾ ، ويعضده عود الضمير عليه في قوله : ﴿بِإِذْنِهِ﴾ (٣) .

#### العرض والمناقشة :

قدّم ابن جُزَيِّ القول بأن فاعل ﴿يَأْتِ﴾ في قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ هو ضمير يعود على اليوم المشهود والمجموع له الناس، وهو يوم القيامة ، والمذكور في الآية السابقة : ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود : ١٠٣] . ووافق في هذا معنى ما رُوِيَ عن ابن جُزَيِّ (٤) . وعلى هذا القول عامّة المفسرين منهم : مقاتل، وابن جرير الطبري، والسمرقندي، والواحدي، وابن الجوزي، وابن عطية، والعكبري، والنسفي، والخازن، وأبوحيان، والسمين، وابن كثير، والثعالبي، والسيوطي، وأبوالسعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والسيد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي، والطاهر بن عاشور (٥) .

(1) تقديره : اذكر ، أو : أعني يوم . ينظر : الكشاف للزمخشري (٣/٢٣٦) ، والتبيان للعكبري (٢/٧١٣) .

(2) الكشاف (٣/٢٣٦) .

(3) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/١١٢) .

(4) أخرجه أبو الشيخ كما في الدر المنثور للسيوطي (٤/٤٧٥) .

(5) ينظر : تفسير مقاتل (٢/٢٩٨) ، وجامع البيان (١٢/٥٧٥) ، وبحر العلوم (٢/١٤٢) ، والوجيز (١/٥٣٤) ، وزاد المسير (٤/١٥٨) ، والمحرم الوجيز (٧/٣٩٨) ، والتبيان (٢/٧١٤) ، ومدارك التنزيل (٢/٢٠٥) ، ولباب التأويل (٢/٣٤٤) ، والبحر المحيط (٥/٢٦٢) ، والدر المصون (٦/٣٨٨) ، وتفسير القرآن العظيم (٧/٤٧١) ، والجواهر الحسان (٢/١٣٨) ، وإرشاد العقل السليم (٣/٦٧) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٣/٤٨٩) ،

- واستظهره السمين الحلبي وجوده وقال : « لا حاجة إلى غيره »<sup>(١)</sup> .
- وجوزّه الزمخشري<sup>(٢)</sup> ، ونظر له بقوله تعالى : ﴿ أَوْ تَأْتِيهِمُ السَّاعَةُ ﴾ [يوسف : ١٠٧] .
- ومثلها قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ ﴾ [الزخرف : ٦٦] .
- وقوله تعالى : ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ ﴾ [محمد : ١٨] .
- وقوله تعالى : ﴿ مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴾ [إبراهيم : ٣١] .
- وقوله تعالى : ﴿ مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٤] .
- وقوله تعالى : ﴿ فَأَقْرَعُ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ ﴾ [الروم : ٤٣] .
- وقوله تعالى : ﴿ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ﴾ [الشورى : ٤٧] .
- وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ [الحج : ٥٥] .

ودلالة السياق عليه ظاهرة جداً ، فإن الكلام عنه ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴾ [١٠٣] وَمَا تَوْخِذُهَا إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾

يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿ [هود : ١٠٣-١٠٥] .

وأما قول الزمخشري فلم أر من اختاره سواه !

وردّه الرازي وقال : « لا يعجبني هذا التأويل »<sup>(٤)</sup> .

وذكره الألوسي ، والقنوجي بصيغة ( قيل )<sup>(٥)</sup> .

ونظر له الزمخشري بقوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ،

وفتح القدير (٧٢٨/٢) ، وروح المعاني (١٣٩/١٢) ، وفتح البيان (٢٤٤/٦) ، وتفسير القرآن الحكيم

(١٢٧/١٢) ، وتفسير المراغي (٨٥/١٢) ، وتيسير الكريم الرحمان (٣٩١/٢) ، والتحرير والتنوير (١٦٤/١٢) .

(١) الدر المصون (٣٨٧/٦) .

(٢) ينظر : الكشاف (٢٣٦/٣) .

(٣) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي (٤ - ٧) .

(٤) مفاتيح الغيب (٣٩٨/٦) .

(٥) ينظر : روح المعاني (١٣٩/١٢) ، وفتح البيان (٢٤٤/٦) .

وقوله تعالى : ﴿ أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ ﴾ [الأنعام: ١٥٨] ، وقوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر: ٢٢] .  
وهذه استدلالات صحيحة على إتيان الله تعالى ومجيئه يوم القيامة للفصل بين عباده ، لا إشكال  
فيها من هذا الوجه .

ويلحظ فيها التصريح بذكر اسم الله تعالى حتى لا يبقى وهم ، مما يدل على أن آية هود :  
﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ ليست من هذا الباب بل هي في إتيان اليوم المشهود  
أظهر ، والذي يلزم منه إتيان الله جلّ وعلا لفصل القضاء ، والله تعالى أعلم .

كما عضده الزمخشري بقراءة : ﴿ وما يؤخره ﴾ - بالياء - وهي قراءة شاذة لم أقف عليها  
عند غيره !!

وعضده أيضاً بقوله تعالى : ﴿ بِإِذْنِهِ ﴾ . يعني : أن ضمير بِإِذْنِهِ يعود على ضمير يَأْتِ  
وهو الله .

وليس بلازم ؛ لأن عود الضمير على الله في قوله ﴿ بِإِذْنِهِ ﴾ وهو جائز . كما أنه يمكن  
أن يقال : إنه يعود على ما عاد عليه الضمير الفاعل في قوله : ﴿ وَمَا تُؤَخِّرُهُ ﴾ ، والله  
أعلم .

وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن الصحيح في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا  
بِإِذْنِهِ ﴾ أن يقال : إن فاعل ﴿ يَأْتِ ﴾ ضمير يعود على اليوم المشهود ، وهو يوم القيامة ، وفيه  
يأتي الله لفصل القضاء بين الناس . فإتيان هذا اليوم يتضمن إتيان الله جلّ وعلا للفصل والقضاء ، والله  
تعالى أعلم .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾ (١٠٦)

٢٢- الخلاف في معنى الزفير والشهيق في قوله تعالى: ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾ .

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « الزفير: إخراج النفس، والشهيق: رده. وقيل: الزفير: صوت الحزون، والشهيق: صوت الباكي. وقيل: الزفير من الحلق، والشهيق من الصدر » (١).

#### العرض والمناقشة:

رحح ابن جزي أن الزفير هو إخراج النفس، والشهيق هو رده. وعلى هذا ابن أبي زمنين، والراغب، والزمخشري، والبيضاوي، وأبو السعود، والقاسمي، والطاهر بن عاشور (٢).

وذكره القرطبي بصيغة (قيل) (٣).

وذكر هذا المعنى عن الخليل (٤). وقال ابن فارس (٥).

واستشهد له الزمخشري بقول الشماخ يصف حمراً وحشياً:

بَعِيدٌ مَدَى التَّطْرِبِ أَوَّلُ صَوْتِهِ زَفِيرٌ وَيَتْلُوهُ شَهِيْقٌ مُحْشَرَجٌ (٦)

وأما القول الثاني وهو أن الزفير صوت الحزون، والشهيق صوت الباكي، فنسبه ابن الجوزي للزجاج (٧). وإنما قال الزجاج: « زفير: من شديد الأنين وقبيحه، والشهيق: الأنين الشديد المرتفع جداً » (٨). وذكره ابن عطية بمعناه (٩). ولم أر من اختاره! وكذا لا دليل عليه.

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (١١٢/٢).

(2) ينظر: تفسير القرآن العزيز (٣٠٩/٢)، ومفردات ألفاظ القرآن (٤٤٨) مادة (شهو)، والكشاف (٢٣٧/٣)، وأنوار التنزيل (٤٧٣/١)، وإرشاد العقل السليم (٦٨/٣)، ومحاسن التأويل (٣٤٨٥/٩)، والتحرير والتنوير (١٦٥/١٢).

(3) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٢١١/١١).

(4) ينظر: تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٣٠٩/٢).

(5) المحمل في اللغة (٥١٤/١). وينظر: زاد المسير لابن الجوزي (١٥٩/٤).

(6) ينظر: الكشاف (٢٣٧/٣).

(7) ينظر: زاد المسير (١٥٩/٤).

(8) معاني القرآن وإعراجه (٧٩/٣).

(9) ينظر: المحرر الوجيز (٤٠٠/٧).

وأما القول الثالث وهو أن الزَّفير من الحلق ، والشهيق من الصدر ، فهو قولٌ رُوِيَ عن ابن عباس<sup>(١)</sup> ، والربيع بن أنس<sup>(٢)</sup> ، وأبي العالية<sup>(٣)</sup> . ونُقِلَ عن ثعلب<sup>(٤)</sup> . وعليه ابن عطية، ومحمود النيسابوري، وابن كثير، والثعالبي<sup>(٥)</sup> .

وقدّمه السمعاني وذكره بصيغة ( قيل )<sup>(٦)</sup> .

قال ابن عطية : « الزَّفْرَة هي التي يعظم معها الصدر والخوف ، والشهقة هي الوقعة الأخيرة من الصوت المندفعة معها النفس أحياناً ، فقد يشهق المحتضر ويشهق المغشي عليه »<sup>(٧)</sup> .

واستشهد له محمود النيسابوري برَجَزِ رُوْبَة بن العجاج :

حَشْرَجَ فِي الْجَوْفِ صَهِيلاً أَوْ شَهَقَ      حَتَّى يَقَالَ : نَاهِقٌ وَمَا نَهَقُ<sup>(٨)</sup>

وقال الزجاج : « وزعم أهل اللغة من البصريين والكوفيين أن الزَّفير بمثناة ابتداء صوت الحمار في النهيق ، والشهيق بمثناة آخر صوته في النهيق »<sup>(٩)</sup> .

وهذا هو اختيار ابن جرير الطبري<sup>(١٠)</sup> مستشهداً له بقول رُوْبَة :

حَشْرَجَ فِي الْجَوْفِ سَحِيلاً أَوْ شَهَقَ      حَتَّى يَقَالَ نَاهِقٌ وَمَا نَهَقُ

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٧٧/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٨٥/٦) رقم (١١٢٢٤) ، (١١٢٢٦) ، والبيهقي في البعث والنشور (٦٥٥) ، من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه قال : الزفير الصوت الشديد، والشهيق الصوت الضعيف . وأورده السيوطي في الدر المنثور (٤٧٨/٤) بلفظ : ( الزفير الصوت الشديد في الحلق ، والشهيق الصوت الضعيف في الصدر ) . ونسبه للطبري ، وابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقي في البعث والنشور . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٨٥/٦) رقم (١١٢٢٥) و (١١٢٢٧) من طريق بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عنه بلفظ : ( الزفير في الحلق ، والشهيق في الصدر ) .

(2) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٨٥/٦) عقب الأثر (١١٢٢٥) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٧٧/١٢) .

(4) ينظر : تفسير مقاتل (٢٩٨/٢) .

(5) ينظر : المحرر الوجيز (٤٠١/٧) ، ووضح البرهان (٤٤٣/١) ، وإيجاز البيان (٣٣٧/١) ، وتفسير القرآن العظيم (٤٧٢/٧) ، والجواهر الحسان (١٣٨/٢) .

(6) تفسير القرآن (٤٥٩/٢) .

(7) المحرر الوجيز (٤٠١/٧) .

(8) وضح البرهان (٤٤٣/١) . والبيت في ديوان رُوْبَة (١٠٦) .

(9) معاني القرآن وإعرابه (٧٩/٣) .

(10) ينظر : جامع البيان (٥٧٦/١٢ - ٥٧٧) .

وعلى هذا الواحدي ، وابن الجوزي <sup>(١)</sup> ، وقدمه أبوحيان ، والسمين <sup>(٢)</sup> . ونُسبَ لقتادة <sup>(٣)</sup> ، والضحاك ، ومقاتل <sup>(٤)</sup> .

وذكر البيضاوي ، وأبوالسعود أن الزفير والشهيق يستعملان في أول نهيق الحمار وآخره تشبيهاً لصراخهم بأصوات الحمير <sup>(٥)</sup> . واستشهدا لذلك بيت الشماخ .

واختار ابن التركماني الجمع بين القول الأول والثالث فقال : « الزفير : أول نهيق الحمار وشبهه ، وهو من الصدر . والشهيق : آخره ، وهو من الحلق » <sup>(٦)</sup> .

وأما السيد محمد رشيد رضا فقال : « والتحقيق : أن تنفس الصعداء من الهَمِّ والكرب إذا امتدَّ واشتدَّ فسمع صوته كان زفيراً ، وأن الشَّيخ في البكاء إذا اشتدَّ تردده في الصدر وارتفع به الصوت سمي شهيقاً » <sup>(٧)</sup> . وتبعه المراغي <sup>(٨)</sup> .

وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن الذي يظهر — والله أعلم — أنه لاتعارض بين هذه الأقوال ؛ فقولُ يصفهما بالإخراج والردِّ ، وآخر يشبههما بالمحزون والباكي أو نهيق الحمار ، وآخر يذكر مكانهما دخولاً وخروجاً . وسبب ذلك عدم الدليل على التعيين . ولذا فإن بعض المفسرين يذكر الأقوال في هذه الآية بلا ترجيح ، والله تعالى أعلم .

- (1) ينظر : الوجيز (٥٣٤/١) ، وتذكرة الأريب (٢٥٦/١) .
- (2) ينظر : البحر المحيط (٢٦٢/٥) ، والدر المصون (٣٩٠/٦) .
- (3) ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية (٤٠٠/٧) .
- (4) ينظر : الوسيط للواحدى (٥٩١/٢) ، ومعالم التنزيل للبعوي (٤٢٤/٢) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢١١/١١) ، ولباب التأويل للخازن (٣٤٥/٢) .
- (5) ينظر : أنوار التنزيل (٤٧٣/١) ، وإرشاد العقل السليم (٦٨/٣) .
- (6) بمجة الأريب (٤٧٣/١ - ٤٧٤) .
- (7) تفسير القرآن الحكيم (١٢٨/١٢ - ١٢٩) .
- (8) تفسير المراغي (٨٦/١٢) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ

مِن أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ (١١٣)

٢٣- المراد بالظالمين في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « يعني الكفار . وقيل : إهم الظلمة من الولاة وغيرهم » (١) .

#### العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ أن الذين ظلموا في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ

النَّارُ ﴾ يعني بهم الكفار . ووافق في هذا ما روي عن ابن عباس (٢) ، وقتادة (٣) ، وابن زيد (٤) .  
 وإليه ذهب مقاتل، وأبو عبيدة، وابن جرير الطبري، وابن أبي زمنين، والواحدي، وابن عطية،  
 وابن الجوزي، والثعالبي، والآلوسي، والقاسمي، والسيد محمد رشيد رضا، والمراغي، والظاهر بن  
 عاشور (٥) .

واستدلوا له بالسياق ، فإن الآية في مشركي مكة اعتماداً على سباقها وسياقها . قاله القاسمي (٦) .  
 وقال السيد محمد رشيد رضا : « عبّر عن هؤلاء الأعداء بالمشركين بالذين ظلموا ، كما عبّر  
 عن أقوام الرسل الأولين في قصصهم من هذه السورة . وعبّر عنهم فيها بالظالمين أيضاً كقوله تعالى :

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (١١٣/٢) .

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦٠٠/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٩٠/٦) رقم (١١٢٥٩) من طريق عطية العوفي ، عنه قال : يعني الركون إلى الشرك .

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦٠١/١٢) من طريق بشر ، عن يزيد ، عن سعيد ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٩٠/٦) رقم (١١٢٦٠) من طريق سعيد بن بشير ، عنه . ومن طريق سعيد بن أبي عروبة ، عنه (١١٢٦١) .

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦٠١/١٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٩٠/٦) رقم (١١٢٦٢) .

(٥) ينظر : تفسير مقاتل (٣٠٠/٢) ، ومجاز القرآن (٣٠٠/١) ، وجامع البيان (٥٩٩/١٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٣١٢/٢) ، والوجيز (٥٣٥/١) ، والحرر الوجيز (٤١٤/٧) ، وتذكرة الأريب (٢٥٧/١) ، والجواهر الحسان (١٤٠/٢) ، وروح المعاني (١٥٤/١٢) ، ومحاسن التأويل (٣٤٩٠/٩) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٣٦/١٢) ، وتفسير المراغي (٩٢/١٢) ، والتحرير والتنوير (١٧٨/١٢) .

(٦) محاسن التأويل (٣٤٩١/٩) .

﴿ وَقِيلَ بَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [هود : ٤٤] . فلا فرق في هذه الآيات بين التعبير بالوصف والتعبير  
بـ الذين وصلته ، فإنهما في الكلام عن الأقوام بمعنى واحد «<sup>(١)</sup> .

وقال أيضاً : « فالمفهوم من مدلول ألفاظ الآية وسياقها وحال المخاطبين بها مع الظالمين لهم في  
عصرهم يدل على أنها في الكفار المشركين »<sup>(٢)</sup> .

وأما القول الآخر وهو أن الذين ظلموا على العموم ، فيراد بهم الظلمة من الولاة وغيرهم من  
غير فرق بين كافر ومسلم ، فنسبه ابن الجوزي إلى السدي ، وابن زيد<sup>(٣)</sup> .

وعليه ابن العربي ، والقرطبي ، والشوكاني ، والقنوجي<sup>(٤)</sup> . وهو مفهوم كلام الزمخشري ،  
والنسفي ، والقمي ، وأبي حيان ، وأبي السعود<sup>(٥)</sup> . ونسبه الألويسي لأكثر المفسرين<sup>(٦)</sup> .

واستدل له الشوكاني بظاهر الآية وقال : « ولو فرضنا أن سبب التزول هم المشركون لكان  
الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب »<sup>(٧)</sup> .

ونظر له ابن العربي بقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيءِ آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي  
حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِنَّمَا يُنْسِنُكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾<sup>(٨)</sup> [ الأنعام : ٦٨ ] .

وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن الأحسن حمل الآية على العموم ؛ لأن العبرة بعموم اللفظ<sup>(٩)</sup> ، ولأنه  
يجب حمل نصوص الوحي على العموم<sup>(١٠)</sup> . والله تعالى أعلم .

(1) تفسير القرآن الحكيم (١٣٧/١٢) .

(2) المصدر السابق (١٣٨/١٢) .

(3) ينظر : زاد المسير (١٦٥/٤) .

(4) ينظر : أحكام القرآن (١٠٦٦/٣) ، والجامع لأحكام القرآن (٢٢٦/١١) ، وفتح القدير (٧٣٦/٢) ، وفتح  
البيان (٢٦٣/٦) .

(5) ينظر : الكشاف (٢٤١/٣-٢٤٢) ، ومدارك التزويل (٢٠٧/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥٦/٤) ،  
والبحر المحيط (٢٦٩/٥) ، وإرشاد العقل السليم (٧٢/٣) .

(6) ينظر : روح المعاني (١٥٤/١٢) .

(7) ينظر : فتح القدير (٧٣٦/٢) .

(8) ينظر : أحكام القرآن (١٠٦٦/٣) .

(9) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (٥٤٥/٢) .

(10) ينظر : المصدر السابق (٥٢٧/٢) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَنَّهُوْتِ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ (١١٦)

٢٤- هل الاستثناء منقطع أم متصل؟ في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى: « استثناء منقطع ، معناه : ولكن قليلاً من أنجينا القرون ينهون عن الفساد في الأرض . وقيل : هو متصل ؛ فإن الكلام الذي قبله في حكم النفي كأنه قال : ما كان فيهم من ينهى عن الفساد في الأرض إلا قليلاً . على أن الوجه في مثل هذا البدل ، ويجوز فيه النصب»<sup>(١)</sup> .

### العرض والمناقشة :

رحَّح ابن جُزَيِّ أن الاستثناء في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾ هو استثناء منقطع . ووافق في هذا ما نسبته ابن عطية لسيبويه<sup>(٢)</sup> .

وعليه الفراء ، وابن جرير الطبري ، والزجاج ، والنحاس ، والسمرقندي ، ومكي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، ومحمود النيسابوري ، وابن الجوزي ، والرازي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، وأبو حيان ، والثعالبي ، وأبوالسعود ، والسيوطي ، والشوكاني ، والألوسي ، والفتنوجي ، والقاسمي ، والطاهر بن عاشور<sup>(٣)</sup> .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (١١٣/٢) .

(2) ينظر : المحرر الوجيز (٤٢٢/٧) وقال : والكلام عنده موجب .

(3) ينظر : معاني القرآن (٣٠/٢) ، وجامع البيان (٦٢٨/١٢) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٨٣/٣) ، وإعراب القرآن (٣٠٨/٢) ، وبحر العلوم (١٤٦/٢) ، ومشكل إعراب القرآن (٣٧٦/١) ، والوجيز (٥٣٦/١) ، وتفسير القرآن (٤٦٧/٢) ، ومعالم التنزيل (٤٣٠/٢) ، والكشاف (٢٤٦/٣) ، ووضح البرهان (٤٤٦/١) ، وإيجاز البيان (٣٣٩/١) ، وتذكرة الأريب (٢٥٧/١) ، ومفاتيح الغيب (٤٠٩/٦) ، والجامع لأحكام القرآن (٢٣٤/١١) ، وأنوار التنزيل (٤٧٥/١) ، ومدارك التنزيل (٢٠٨/٢) ، ولباب التأويل (٣٤٨/٢) ، والبحر المحيط (٢٧١/٥) ، والجواهر الحسان (١٤٢/٢) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٥٠١/٣) ، وإرشاد العقل السليم (٧٤/٣) ، وفتح القدير (٧٤٠/٢) ، وروح المعاني (١٦١/١٢) ، وفتح البيان (٢٧٠/٦) ، ومحاسن التأويل (٣٤٩٦/٩) ، والتحرير والتنوير (١٨٤/١٢) .

وهو تفسير السيد محمد رشيد رضا ، والمراغي ، والسعدي <sup>(١)</sup> . وقدّمه ابن عطية <sup>(٢)</sup> .  
قال الفراء ، وابن جرير الطبري : « وهو استثناء على الانقطاع مما قبله ، كما قال عز وجل :

﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ <sup>(٣)</sup> [ يونس : ٩٨ ] .

وقال محمود النيسابوري : « لأنه إيجاب لم يتقدّمه نفي ، وإنما تقدّمه تهجين وتوبيخ لمن يسلك مسلكهم » <sup>(٤)</sup> .

وقال السمين : « حملاً للتحضيض على حقيقته ، وإذا حمل على حقيقته تعيّن أن يكون الاستثناء منقطعاً ؛ لئلا يفسد المعنى » <sup>(٥)</sup> .

ويقول الطاهر بن عاشور : « و ﴿إِلَّا قَلِيلاً﴾ استثناء منقطع من ﴿أُولَئِكَ بَقِيَّةُ﴾

وهو يستتبع الاستثناء من القرون ، إذ القرون الذين فيهم ﴿أُولَئِكَ بَقِيَّةُ﴾ ليس داخلين في حكم القرون المذكورة من قبل ، وهو في معنى الاستدراك ؛ لأن معنى التحضيض متوجّه إلى القرون الذين لم يكن فيهم أولو بقية فهم الذين يُنعى عليهم فقدان ذلك الصنف منهم . وهؤلاء القرون ليس منهم من يستثنى إذ كلهم غير ناجين من عواقب الفساد ، ولكن لما كان معنى التحضيض قد يوهّم أن جميع القرون التي كانت قبل المسلمين قد عدموا أولي بقية مع أن بعض القرون فيهم أولو بقية ، كان الموقع للاستدراك لرفع هذا الإيهام ، فصار المستثنى غير داخل في المذكور من قبل ، فلذلك كان منقطعاً ، وعلامة انقطاعه انتصابه ؛ لأن نصب المستثنى بعد النفي إذا كان المستثنى منه غير منصوب أمانة على اعتبار الانقطاع إذ هو الأفصح . وهل يجيء أفصح كلام إلا على أفصح إعراب؟! ولو كان معتبراً اتصّاله لجاء مرفوعاً على البدلية من المذكور قبله » <sup>(٦)</sup> .

وأما القول الآخر وهو أن الاستثناء متصل ، فعليه أبو عبيدة ، والقمي ، والبقاعي <sup>(٧)</sup> .

(1) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (١٥٤/١٢) ، وتفسير المراغي (٩٧/١٢) ، وتيسير الكريم الرحمان (٣٩٥/٢) .

(2) ينظر : المحرر الوجيز (٤٢٢/٧) .

(3) ينظر : معاني القرآن (٣٠/٢) ، وجامع البيان (٦٢٨/١٢) .

(4) وضع البرهان (٤٤٦/١) ، وإيجاز البيان (٣٣٩/١) .

(5) الدر المصون (٤٢٣/٦) .

(6) التحرير والتنوير (١٨٤/١٢ - ١٨٥) .

(7) ينظر : مجاز القرآن (٣٠١/١) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥٨/٤) ، ونظم الدرر (٣٩٩/٩) .

قال أبو حيان : « وأبى الأخصش أن يكون الاستثناء منقطعاً »<sup>(١)</sup> .  
وقال أبو عبيدة : « منصوب ؛ لأنه استثناء من هؤلاء القرون وهم ممن أنجينا »<sup>(٢)</sup> .  
وذكره الشوكاني ، والقنوجي بصيغة ( قيل )<sup>(٣)</sup> .  
ووجهه بأن الكلام منفي من حيث المعنى ، أي : لم يكن فيهم أولو بقية<sup>(٤)</sup> .  
قال القمي : « لأن في تحضيضهم على النهي عن الفساد معنى نفيه عنهم فكأنه قيل : ما كان  
من القرون ناس ناهون إلا ناساً قليلاً »<sup>(٥)</sup> .  
وقال السمين : « وجهه كون الاستثناء متصلاً : أن يؤول التحضيض بمعنى النفي فيصح ذلك ،  
إلا أنه يؤدي إلى النصب في غير الموجب ، وإن كان غير النصب أولى .  
ويؤيد أن التحضيض هنا في معنى النفي قراءة زيد بن علي ﴿ إلا قليل ﴾ بالرفع ، لاحظ معنى  
النفي فأبدل على الأفصح ؛ كقوله : ﴿ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [ النساء : ٦٦ ] .  
وقال الفراء : المعنى : فلم يكن ؛ لأن في الاستثناء ضرباً من الجحد . سمى التحضيض استفهاماً .  
ونقل عن الأخصش أنه كان يرى تعيين اتصال هذا الاستثناء ، كأنه لحظ النفي »<sup>(٦)</sup> .  
وقال الزمخشري : « إن جعلته متصلاً على الظاهر كان المعنى فاسداً ؛ لأنه يكون تحضيضاً  
لأولي البقية على النهي عن الفساد ، إلا القليل من الناجين منهم ، كما تقول : هلاً قرأ قومك القرآن  
إلا الصلحاء منهم ، تريد استثناء الصلحاء من المحضضين على قراءة القرآن<sup>(٧)</sup> . وإن قلت : في  
تحضيضهم على النهي عن الفساد معنى نفيه عنهم ، فكأنه قيل : ما كان من القرون أولو بقية إلا  
قليلاً ، كان استثناء متصلاً ومعنى صحيحاً ، وكان انتصابه على أصل الاستثناء ، وإن كان الأفصح أن

(1) البحر المحيط (٥/٢٧٢) .

(2) مجاز القرآن (١/٣٠١) .

(3) ينظر : فتح القدير (٢/٧٤٠) ، وفتح البيان (٦/٢٧٠) .

(4) ينظر : المحرر الوجيز (٧/٤٢٢) .

(5) غرائب القرآن و رغائب الفرقان (٤/٥٨) .

(6) الدر المصون (٦/٤٢٤) .

(7) وافقه الرازي على هذا في مفاتيح الغيب (٦/٤٠٩) ، وأباه القمي وقال : لم لا يجوز أن يكون المراد من استثناء

الصلحاء منهم أنه لا حاجة لهم إلى التحضيض كأنك قلت : أحضض قومك على القراءة إلا الصلحاء فإنهم لا

يحتاجون إلى ذلك ؛ لأنهم مواظبون عليهما . [ غرائب القرآن ٤/٥٨ ] .

يرفع على البدل»<sup>(١)</sup> . اهـ .

وقال أبو حيان : « ولا يصح أن يكون استثناء متصلاً مع بقاء التحضيض على ظاهره ؛ لفساد المعنى وصيرورته إلى أن الناجين لم يحرصوا على النهي عن الفساد . والكلام عند سيويه بالتحضيض واجب ، وغيره يراه منفياً من حيث معناه : أنه لم يكن منهم أولو بقية » .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأكثرين على أن الاستثناء في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾ هو استثناء منقطع والمعنى عليه : ولكن قليلاً ممن أنجينا من القرون ينهون عن الفساد في الأرض . وعلامة انقطاعه انتصابه ؛ لأن نصب المستثنى بعد النفي إذا كان المستثنى منه غير منصوب أمانة على اعتبار الانقطاع إذ هو الأفصح ، كما قاله الطاهر ابن عاشور . وأما كونه استثناء متصلاً فهو يحتاج إلى تأويل ، إذ لا يساعده الظاهر . وإذا كان ذلك كذلك فإن الأولى هو ما رجّحه ابن جزيّ ومن وافقه ، وهو اختيار الأكثر ويؤيده القاعدة الترجيحية : ( يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية القوية المشهورة )<sup>(٢)</sup> ، والله تعالى أعلم .

(1) الكشف (٢٤٦/٣) بتصرف يسير . وتبعه أبو السعود في إرشاد العقل السليم (٧٤/٣) .

(2) قواعد الترجيح (٦٤٥/٢) .

ترجماتُ ابنِ جُزَيِّ  
في تفسير سورة يوسف

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَكَذَلِكَ يَجْنِبُكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آئِلِ  
يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٦)

### ١- الخلاف في المراد بـ تأويل الأحاديث .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « قيل : هي عبارة الرؤيا . واللفظ أعم من ذلك » (١) .

#### العرض والمناقشة :

رجَّح ابن جُزَيِّ العموم في المراد بتأويل الأحاديث ، وعدم قصرها على تعبير الرؤيا .  
وفسرها الحسن بعواقب الأمور التي لا تُعلم إلا بوحى نبوة (٢) .

وقال ابن زيد : « العلم والحكمة ، وكان يوسفُ أعبرَ الناس . وقرأ : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ﴾

ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ » (٣) [٢٢] .

ومال إلى هذا القول السمرقندي (٤) .

وجوز الزمخشري أن يكون المراد : معاني كتب الله وسنن الأنبياء ...

وقال : « سميت أحاديث ؛ لأنه يحدث بها عن الله ورسله فيقال : قال الله ، وقال الرسول ...

ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ [المرسلات : ٥٠] ، وقوله تعالى :

﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ﴾ [الزمر : ٢٣] . والأحاديث اسم جمع للحديث وليس بجمع

أحدوثه » (٥) .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (١١٤/٢) .

(2) ينظر : تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٣١٦/٢) ، والحرر الوجيز لابن عطية (٤٣٨/٧) ، والجواهر الحسان للثعالبي (١٤٥/٢) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٦/١٣) من طريق ابن وهب ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٠٣/٧) رقم (١١٣٤١) من طريق أصبغ ، عنه .

(4) مال إلى هذا القول عند تفسيره للآية رقم (٢١) وهي قوله تعالى : ﴿ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ قال : يعني كي يلهمه تعبير الرؤيا وغير ذلك من العلوم . ينظر : بحر العلوم (١٥٦/٢) .

(5) الكشف (٢٥٦/٣) بتصرف يسير .

وجوّز الزجاج أن يكون المعنى : ويعلمك تأويل أحاديث الأنبياء والأمم<sup>(١)</sup> .  
وعلى هذا البقاعي ، والسعدي<sup>(٢)</sup> .

واستظهر الشنقيطي أن الآيات المذكورة تشمل ذلك كلّ من تأويل الرؤيا ، وعلوم كتب الله  
وسنن الأنبياء<sup>(٣)</sup> .

وذكر هذا القول ابن عطية ، وأبو حيان ، والثعالبي بصيغة ( قيل )<sup>(٤)</sup> .

قال الشنقيطي : « ويدلُّ لهذا الوجه قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ۚ آتَيْنَاهُ حُكْمًا  
وَعِلْمًا ﴾ [ يوسف : ٢٢ ] وقوله : ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ ۚ إِلَّا نَبَأٌ كُفَّ بَتًا وَّوَيْلٌ لَّهِ قَبْلَ  
أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ۗ ﴾<sup>(٥)</sup> [ يوسف : ٣٧ ] .

وأما القول بأن المراد بتأويل الأحاديث هو تعبير الرؤيا ، فهو قول مجاهد<sup>(٦)</sup> ،  
وقتادة<sup>(٧)</sup> ، والسدي<sup>(٨)</sup> . ونُسبَ إلى ابن عباس<sup>(٩)</sup> .

وعليه أكثر المفسرين ومنهم : مقاتل ، وابن جرير الطبري ، والخصاص ،  
والسمرقندي ، ومكي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن الجوزي ،  
والقرطبي ، والخازن ، وابن التركماني ، وابن كثير ، والسيوطي ، وأبو السعود ، والشوكاني ،  
والألوسي ، والقنوجي ، والقاسمي<sup>(١٠)</sup> .

(1) معاني القرآن وإعرابه (٩٢/٣) .

(2) ينظر : نظم الدرر (١٨/١٠) ، وتيسير الكريم الرحمان (٤٠١/٢) .

(3) ينظر : أضواء البيان (٥٢/٣) .

(4) ينظر : المحرر الوجيز (٤٣٨/٧) ، والبحر المحييط (٢٨١/٥) ، والجواهر الحسان (١٤٥/٢) .

(5) أضواء البيان (٥٢/٣) .

(6) أخرجه ابن أبي شيبه في المصنف (٨٢/١١) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٦٥،١٦/١٣) ، وابن أبي حاتم  
في تفسيره (٢١٠٣/٧) رقم (١١٣٣٩) و (٢١١٨/٧) رقم (١١٤٤٠) من طريق القاسم ، وابن أبي نجيح ،  
عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥١٨/٤) نسبه إلى ابن المنذر .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٥/١٣) من طريق بشر ، عن يزيد ، عن سعيد ، عنه . وأخرجه ابن  
أبي حاتم في تفسيره (٢١٠٣/٧) رقم (١١٣٤٠) من طريق سعيد ، عنه .

(8) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦٥/١٣) من طريق أسباط ، عنه .

(9) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (١٨١/٤) .

(10) ينظر : تفسير مقاتل (٣١٨/٢) ، وجامع البيان (١٥ ، ٦٥ / ١٣) ، وأحكام القرآن (٣٨٠/٤) ، وجمهر العلوم

وقدّمه الرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، وأبوحيان <sup>(١)</sup> . وجوّزه الزجاج <sup>(٢)</sup> .  
قال السمعاني : « وأكثر المفسّرين على أن المراد من هذا علم التعبير وما تقول  
إليه الرؤيا » <sup>(٣)</sup> .

ونقل الشوكاني - وتبعه القنوجي - عن القرطبي قوله : « وأجمعوا أن ذلك في  
تأويل الرؤيا » <sup>(٤)</sup> .

فعلى هذا سُمّي تأويلاً ؛ لأنه بيان ما يؤول أمر المنام إليه <sup>(٥)</sup> .

وسميت أحاديث ؛ لأن المرائي يتحدثُ بها الراؤون <sup>(٦)</sup> .

ويدل له قوله تعالى في آخر القصة: ﴿ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَاكَ مِنْ قَبْلُ ﴾ <sup>(٧)</sup> [يوسف : ١٠٠] .

قال الشنقيطي : « ويدل لهذا الوجه الآيات الدالة على خبرته بتأويل الرؤيا ؛

كقوله: ﴿ يَصْجِي السِّجْنَ أَمَّا أَحَدُكُمْ فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ

الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ ۗ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ [ يوسف : ٤١ ] . وقوله : ﴿ قَالَ

تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ ۗ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ ﴾ <sup>(٤٧)</sup> ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ

ذَلِكَ سَبْعُ شِدَادٍ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ ﴾ <sup>(٤٨)</sup> ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ

(٢/١٥٠) ، وتفسير المشكل (٢٠٢) ، والوجيز (١/٥٣٩) ، الوسيط (٢/٦٠١) ، وتفسير القرآن (٣/٨) ،

ومعالم التنزيل (٢/٤٣٦ ، ٤٤٧) ، والكشاف (٣/٢٥٦) ، وتذكرة الأريب (١/٢٥٩) ، والجامع لأحكام

القرآن (١١/٢٥٨) ، ولباب التأويل (٣/٥) ، وبهجة الأريب (١/٢٧٥) ، وتفسير القرآن العظيم (٨/١٥) ،

وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٤/٨) ، وإرشاد العقل السليم (٣/٨١) ، وفتح القدير (٣/٨) ، وروح

المعاني (١٢/١٨٥) ، وفتح البيان (٦/٢٩٠) ، ومحاسن التأويل (٩/٣٥٠٦) .

(1) ينظر : مفاتيح الغيب (٦/٤٢٠) ، وأنوار التنزيل (١/٤٧٨) ، ومدارك التنزيل (٢/٢١٢) ، والبحر المحيط (٥/٢٨١) .

(2) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٣/٩٢) .

(3) تفسير القرآن (٣/٨) .

(4) لم أجدّه في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي . وينظر : فتح القدير (٣/٨) ، وفتح البيان (٦/٢٩٠) .

(5) ينظر : معالم التنزيل للبغوي (٢/٤٣٦) .

(6) ينظر : التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (١٢/٢١٦) .

(7) المصدر السابق .

النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿١﴾ [يوسف : ٤٧ - ٤٩] .

وسوّى بين القولين بـ (أو) السيد محمد رشيد رضا ، والمراغي <sup>(٢)</sup> .  
 وصحّح القولين معاً الطاهر بن عاشور وقال : « لعلّ كلا المعنيين مراد بناء على  
 صحة استعمال المشترك في معنييه ، وهو الأصحُّ » <sup>(٣)</sup> .  
 ويقصد بالمشترك : " الأحاديث " فإنها يصح أن تكون جمع حديث بمعنى الشيء الحادث ،  
 فتأويلها : إرجاع الحوادث إلى عللها وأسبابها بإدراك حقائقها على التمام ، وهو المعنى بالحكمة .  
 ويصح أن تكون جمع حديث بمعنى الخبر المتحدّث به ، فتأويلها : تعبير الرؤيا .  
 وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن الأولى هو حمل اللفظ على العموم كما قال ابن جزيّ ، ويدخل  
 في ذلك دخولاً قطعياً تعبير الرؤى ؛ لدلالة الآيات المذكورة في قصته على كلا القولين ، و ( يجب  
 حمل نصوص الوحي على العموم ) <sup>(٤)</sup> ، والله تعالى أعلم .

(1) أضواء البيان (٣/٥١ - ٥٢) .

(2) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (١٢/٢٠٨) ، وتفسير المراغي (١٢/١١٥) .

(3) التحرير والتنوير (١٢/٢١٦) .

(4) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٥٢٧) .

## قَالَ تَعَالَى:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّالِئِلِينَ﴾ (٧)

### ٢- الخلاف في المراد بالسائلين .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « أي : لمن سأل عنها . رُوِيَ أَنَّ الْيَهُودَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ قِصَّةِ يُوسُفَ أَوْ أَمْرِهِ قُرَيْشًا أَنْ يَسْأَلُوهُ عَنْهَا ، فَهَمَّ السَّائِلُونَ عَلَى هَذَا ، وَاللَّفْظُ أَعْمٌ مِنْ ذَلِكَ » (١) .

### العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابْنُ جُزَيِّ الْقَوْلَ بِالْعَمُومِ فِي الْمُرَادِ بِالسَّائِلِينَ ؛ لِدَلَالَةِ الْفِظِ عَلَيْهِ .

قال قتادة : « من سأل عن ذلك » (٢) .

وقال الضحاك : « من كان سائلاً عن يوسف وإخوته » (٣) .

وعلى هذا المعنى أكثر المفسرين ومنهم : ابن جرير الطبري ، والسمرقندي ، وابن أبي زمنين ، والزمخشري ، والرازي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، وأبو حيان ، وابن كثير ، والثعالبي ، والبقاعي ، والشوكاني ، والقنوجي ، والقاسمي ، والسيد محمد رشيد رضا ، والمراغي ، والسعدي ، والطاهر بن عاشور (٤) . وقدمه الآلوسي (٥) . وذكره البغوي بصيغة (قيل) (٦) .

قال ابن جرير الطبري : « السائلين عن أخبارهم وقصصهم . ثم قال : وإنما أراد جلّ

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (١١٥/٢) .

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٠٤/٧) رقم (١١٣٤٧) من طريق سعيد بن أبي عروبة ، عنه .

(3) أخرجه أبو الشيخ كما في الدر المنثور للسيوطي (٥٠٠/٤) .

(4) ينظر : جامع البيان (١٧/١٣) ، وبحر العلوم (١٥١/٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٣١٧/٢) ، والكشاف (٢٥٦/٣) ، ومفاتيح الغيب (٤٢٣/٦) ، والجامع لأحكام القرآن (٢٥٩/١١) ، وأنوار التنزيل (٤٧٩/١) ، والبحر المحيط (٢٨٢/٥) ، وتفسير القرآن العظيم (١٦/٨) ، والجواهر الحسان (١٤٥/٢) ، ونظم الدرر (٢٠/١٠) ، وفتح القدير (١٠/٣) ، وفتح البيان (٢٩٢/٦) ، ومحاسن التأويل (٣٥١٣/٩) ، وتفسير القرآن الحكيم (٢١١/١٢) ، وتفسير المراغي (١١٧/١٢) ، وتيسير الكريم الرحمان (٤٠٢/٢) ، والتحرير والتنوير (٢١٩/١٢) .

(5) ينظر : روح المعاني (١٨٩/١٢) .

(6) ينظر : معالم التنزيل (٤٣٨/٢) .

ثناؤه بذلك محمداً < يعلمه فيها ما لقي يوسف من إخوته من الحسد تسليةً له مما يلقاه من مشركي قريش . وكذلك قاله ابن إسحاق »<sup>(١)</sup> .

ونظروا له بقوله تعالى : ﴿ سَوَاءٌ لِّلسَّائِلِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> [ فصلت : ١٠ ] .

قال ابن عاشور : « ومثل هذا يستعمل في كلام العرب للتشويق ، والحثُّ على تطلب الخبر والقصة »<sup>(٣)</sup> .

وأما القول بأن السائلين هم اليهود ، فعليه مقاتل ، والزجاج ، والواحدي ، والبغوي ، وابن عطية ، والخازن ، والثعالبي<sup>(٤)</sup> . وذكر الأخير أن هذا هو سبب التزول .

قال ابن الجوزي : « قال المفسرون : وكان اليهود قد سألوا رسول الله < عن قصة يوسف ، فأخبرهم بما كما في التوراة ، فعجبوا من ذلك »<sup>(٥)</sup> .

وذكر أبوحيان أن اليهود أمروا كفار مكة أن يسألوا رسول الله < عن السبب الذي أحلَّ بني إسرائيل بمصرَ فزلت . وقيل : سألت اليهود رسول الله < أن يحدثهم أمر يعقوب وولده وشأن يوسف<sup>(٦)</sup> . ثم ذكر هذا القول مرة أخرى في موضع آخر بصيغة ( قيل )<sup>(٧)</sup> .

كما ذكره الزمخشري ، والشوكاني ، والقنوجي ، والسيد محمد رشيد رضا ، والظاهر ، بصيغة ( قيل )<sup>(٨)</sup> .

وأما ما استشهد به ابن جزيّ على ذلك فإنه لا يصح مما روي في ذلك شيء بل هي من الإسرائيليات كما قاله السيد محمد رشيد رضا .

وقال الطاهر بن عاشور : « وهذا لا يستقيم ؛ لأن السورة مكية ولم يكن لليهود

(1) جامع البيان (١٧/١٣) بتصرف .

(2) ينظر : مفاتيح الغيب للرازي (٤٢٣/٦) ، والتحرير والتنوير للطاهر (٢١٩/١٢) .

(3) المصدر الأخير .

(4) ينظر : تفسير مقاتل (٣١٩/٢) ، ومعاني القرآن وإعراجه (٨٧/٣) ، الوسيط (٦٠١/٢) ، ومعالم التنزيل (٤٣٨/٢) ، والحرر الوجيز (٤٣٠/٧ ، ٤٤٠) ، ولباب التأويل (٥/٣) ، والجواهر الحسان (١٤٤/٢) .

(5) زاد المسير (١٨٢/٤) .

(6) البحر المحيط (٢٧٧/٥) بتصرف يسير .

(7) ينظر : المصدر السابق (٢٨٢/٥) .

(8) ينظر : الكشاف (٢٥٦/٣ - ٢٥٧) ، وفتح القدير (١٠/٣) ، وفتح البيان (٢٩٢/٦) ، وتفسير القرآن الحكيم

(٢١١/١٢ - ٢٢٢) ، والتحرير والتنوير (٢١٩/١٢) .

مخالطة للمسلمين بمكة .

واستبعده الالوسي بما أخرجه البيهقي في الدلائل <sup>(١)</sup> من طريق الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس : أن حَبْرًا من اليهود دخل على رسول الله < فوافقه وهو يقرأ سورة يوسف فقال : يا محمد ، من علمكها ؟ قال : الله علمنيها ... الحديث .

ثم قال الالوسي : « وفي القلب من صحة الخبر ما فيه » <sup>(٢)</sup> .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن قَصْرَ السائلين على اليهود بناءً على ما رُوِيَ في ذلك هو قول غير سديد ؛ لضعف الرواية فإنها من الإسرائيليات كما قاله السيد رشيد رضا .

كما أن القول بأنهم سبب نزولها لا يصح ؛ لأن سبب النزول لا بد أن تكون روايته صحيحة صريحة كما هو مقرر في علم أسباب النزول .

وإذا كان ذلك كذلك فإن الصحيح هو القول بالعموم في السائلين ؛ إبقاءً للفظ على عمومته . ويؤيده القاعدة الترجيحية : ( يجب حمل نصوص الوحي على العموم ) <sup>(٣)</sup> . والله تعالى أعلم .

(١) دلائل النبوة (٦/٢٧٦) .

(٢) روح المعاني (١٢/١٧٠) . والخبر إسناده ضعيف جداً ؛ فيه الكلبي متهم بالكذب ، ورمي بالرفض .

(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٥٢٧) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ

لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾

في هذه الآية الكريمة مسألتان :

المسألة الأولى هي :

٣- الخلاف في تقدير جواب لَمَّا في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ ﴾ الآية .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « وجواب لَمَّا محذوف . وقيل : إنه

﴿ وَأَجْمَعُوا ﴾ أو ﴿ وَأَوْحَيْنَا ﴾ على زيادة الواو « (١) .

العرض والمناقشة :

هل جواب لَمَّا محذوف أم مذكور؟ قولان . رجَّح ابن جُزَيِّ أنه محذوف . وهذا

مذهب الخليل ، وسيبويه (٢) . وهو قول البصريين (٣) .

وعلى هذا الكرمانى وقدّر الجواب : حفظناه ، وابن عطية وقدّره : أجمعوا ،

ومحمود النيسابوري ، والعكبري وقدّره : عَرَّفْنَاهُ ، والرازي وقدّره : فجعلوه فيها ،

والقرطبي وقدّره : عَظُمَتْ فِتْنَتُهُمْ . وقيل : جعلوه فيها ، والبيضاوي وقدّره : فعلوا به

ما فعلوا من الأذى ، وتبعه النسفي ، وأبوحيان ، والسمنين وقدّراه : جعلوه بدليل :

﴿ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ ﴾ ، والبقاعي ، والسيوطي ، وأبوالسعود ، والشوكاني ، والآلوسي ،

والقنوجي ، والقاسمي ، والسيد رشيد رضا ، والمراعي ، والسعدي وقدّره : فنفّذوا فيه ،

والظاهر وقدّره : جعلوه في غيابت الجب (٤) .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (١١٥/٢) .

(2) حكاه ابن عطية في المحرر الوجيز (٤٥٢/٧) وقال : وهو نصُّ لهما .

(3) ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٧٧/١١) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٢٨٧/٥) .

(4) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (٥٢٩/١) ، والمحرر الوجيز (٤٥٢/٧) ، وإيجاز البيان (٣٤٢/١) ،

والنبيان (٧٢٥/٢) ، ومفاتيح الغيب (٤٢٧/٦) ، والجامع لأحكام القرآن (٢٧٧/١١) ، وأنوار التنزيل

(٤٨٠/١) ، ومدارك التنزيل (٢١٤/٢) ، والبحر المحيط (٢٨٧/٥) ، والدر المصون (٤٥٣/٦) ، ونظم الدرر

وذكره الباقولي بصيغة ( قيل ) وذكر الجواب المقدر : بُجِّنَاهُ أو حفظناه <sup>(١)</sup> .  
واستدل القائلون بحذف الجواب بأن مثله في القرآن كثير ، وأنه من الإيجاز الخاص بالقرآن  
الكريم فهو تقليل في اللفظ ؛ لظهور المعنى <sup>(٢)</sup> .  
وبعضهم شرط أن يكون هناك دليل عليه وهاهنا كذلك <sup>(٣)</sup> .  
فظهور المعنى ودلالة المقام عليه حُذِفَ الجواب <sup>(٤)</sup> .  
قال البقاعي : « الجواب : " فعلوا ذلك من غير مانع " ، ولكن لما كان هذا الجواب  
في غاية الوضوح ؛ لدلالة الحال عليه تُرِكَ ؛ لأنهم إذا أجمعوا عليه عَلِمَ أنهم لا مانع لهم منه ،  
ثم عطف على هذا الجواب المحذوف ؛ لكونه في قوة الملفوظ قوله : ﴿ وَأَوْحَيْنَا ﴾ <sup>(٥)</sup> .  
وأما القول الآخر وهو أن جواب لَمَّا في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ ﴾ مذكور  
غير محذوف ، وهو قوله : ﴿ وَأَجْمَعُوا ﴾ على زيادة الواو ، أو قوله : ﴿ وَأَوْحَيْنَا ﴾  
على زيادة الواو ، فهو قول الكوفيين <sup>(٦)</sup> .  
وعلى الجواب الأول ابن جرير الطبري ، والسمعاني <sup>(٧)</sup> .  
وذكره الكرمانى بصيغة ( قيل ) <sup>(٨)</sup> .

(٢٨/١٠) ، وإرشاد العقل السليم (٨٦/٣) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ١٥/٤ ) ، وفتح القدير  
(١٥/٣) ، وروح المعاني (١٩٦/١٢) ، وفتح البيان (٢٩٩/٦) ، ومحاسن التأويل (٣٥١٨/٩) ، وتفسير القرآن  
الحكيم (٢١٦/١٢) ، وتفسير المراغي (١٢٢/١٢) ، وتيسير الكريم الرحمان (٤٠٤/٢) ، والتحرير والتنوير  
(٢٣٣/١٢) .

- (1) ينظر : كشف المشكلات (٥٤٣/١) .
- (2) ينظر : التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٣٣/١٢) .
- (3) ينظر : مفاتيح الغيب للرازي (٤٢٧/٦) .
- (4) ينظر : فتح القدير (١٥/٣) .
- (5) نظم الدرر (٢٨/١٠) بتصرف يسير .
- (6) ينظر : إيجاز البيان لمحمود النيسابوري (٣٤٢/١) ، والبيان في غريب إعراب القرآن (٣٥/٢) للأنباري ، والدر  
المصون للسمين (٤٥٣/٦) ، والبيان للعكبري (٧٢٥/٢) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٧٧/١١) ،  
والبحر المحيط لأبي حيان (٢٨٧/٥) .
- (7) ينظر : جامع البيان (٣٠/١٣) ، وتفسير القرآن (١٣/٣) .
- (8) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (٥٢٩/١) .

وعلى الجواب الثاني الفراء ، والبغوي <sup>(١)</sup> . وكلام ابن قتيبة محتمل للجوابين <sup>(٢)</sup> .  
 وذكره الكرمانى ، والباقولي ، وأبوحيان ، والشوكاني ، والآلوسي ، والفنّوجي ،  
 القاسمي ، والطاهر بصيغة ( قيل ) <sup>(٣)</sup> .

وردّ ابن عطية هذا القول بأنه ليس في القرآن شيء زائد لغير معنى <sup>(٤)</sup> .  
 قال ابن قتيبة ما حاصله : « إن واو النَّسَق قد تزداد حتى يكون الكلام كأنه لا  
 جواب له ... ومثله هذه الآية ، ومثله أيضاً :

قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا ﴾ [ الزمر : ٧٣ ]  
 والمعنى : قال لهم خزنتها .

وقوله : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴾  
 ﴿١٦﴾ وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ ﴾ [ الأنبياء : ٩٦ - ٩٧ ] والمعنى : اقترب الوعد الحق .

وقوله : ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَدَيْتُهُ ﴾ [ الصفات : ١٠٣ - ١٠٤ ] والمعنى :  
 ناديناها .

وقوله : ﴿ اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ ﴾ [ العنكبوت : ١٢ ] أي : لِنَحْمِلْ  
 خطايكم عنكم .

وقال امرؤ القيس :

فلما أجزنا ساحة الحيّ وانتحى بنا  
 بطنُ خبّتٍ ذي قفافٍ عَقْنَقِلِ <sup>(٥)</sup>

أراد : انتحى .

وقال آخر :

(1) ينظر : معاني القرآن (٥٠/٢) ، ومعالم التنزيل (٤٤٢/٢) .

(2) ينظر : تأويل مشكل القرآن (٢٥٢ - ٢٥٣) .

(3) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (٥٢٩/١) ، وكشف المشكلات (٥٤٤/١) ، والبحر المحيط (٢٨٧/٥) ،  
 وفتح القدير (١٥/٣) ، وروح المعاني (١٩٦/١٢) ، وفتح البيان (٢٩٩/٦) ، ومحاسن التأويل (٣٥١٨/٩) ،  
 والتحرير والتنوير (٢٣٣/١٢) .

(4) ينظر : المحرر الوجيز (٤٥٢/٧) .

(5) ديوان امرئ القيس (٩٨) والبيت من معلقته المشهورة .

حتى إذا قَمَلَتْ بُطُونُكُمْ      ورَأَيْتُمْ أَبْنَاءَكُمْ شَبُّوا  
 وَقَلْبَتْكُمْ ظَهَرَ الْمَجَنِّ لَنَا      إنَّ اللَّيْمَ الْعَاجِزُ الْخَبُّ<sup>(١)</sup>  
 أراد : قلبتم<sup>(٢)</sup> « . اهـ .

وذكر القرطبي أن الواو عند الكوفيين تزداد مع لَمَّا وحتَّى ، ومثَّل لذلك بآية الزمر،  
 وبقوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ﴾ [ هود : ٤٠ ] . أي : فار . وتبع ابن  
 قتيبة في بعض ما ذكر<sup>(٣)</sup> .

ورد ذلك ابن عطية كما سبق .

وقال محمود النيسابوري : « وإقحامها لم يثبت بحجة ولا له وجه في القياس »<sup>(٤)</sup> .  
 وقال الألوسي : « وليس بشئ »<sup>(٥)</sup> .

وقال الطاهر بن عاشور : « وقد قيل به في قول امرئ القيس ... وقوله تعالى :  
 ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا ﴾ الآية . وفي جميع ذلك نظر »<sup>(٦)</sup> .

وذكر الشنقيطي الأوجه الثلاثة ولم يرجح بينها<sup>(٧)</sup> . وجوزها كلُّها السمين<sup>(٨)</sup> .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن القول بأن جواب لَمَّا محذوف هو حَمْلٌ للقرآن الكريم  
 على معهود استعماله فيكون أولى<sup>(٩)</sup> ؛ لأن مثله في القرآن كثير ، يحذف الجواب؛  
 لظهور المعنى ودلالة الحال عليه .

وأما القول بزيادة حرف في القرآن لغير معنى فلا يجوز أَلْبَتَّةَ ، إذ ليس في القرآن  
 شئ زائد لغير معنى ، والله تعالى أعلم .

(1) الرَّجَزُ أنشده ابن قتيبة أيضاً في المعاني الكبير (٥٣٣/١) . وَقَمَلَتْ بُطُونُكُمْ ، أي : كثرت قبائلكم .

(2) تأويل مشكل القرآن (٢٥٢) . بتصرف يسير .

(3) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (٢٧٧/١١) . وينظر أيضاً : معالم التنزيل للبغوي (٤٤٢/٢) .

(4) إيجاز البيان (٣٤٢/١) .

(5) روح المعاني (١٩٦/١٢) .

(6) التحرير والتنوير (٢٣٣/١٢) .

(7) ينظر : أضواء البيان (٥٥/٣ - ٥٦) .

(8) ينظر : الدر المصون (٤٥٣/٦) .

(9) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (١٧٢/١) .

### المسألة الثانية هي :

٤ - الخلاف في عائد ضمير ﴿إِلَيْهِ﴾ في قوله تعالى :

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا﴾ الآية .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « والضمير في ﴿إِلَيْهِ﴾ ليوسف . وقيل : ليعقوب . والأول هو الصحيح » <sup>(١)</sup> .

### العرض والمناقشة :

صحَّح ابن جُزَيِّ أن الضمير في ﴿إِلَيْهِ﴾ ليوسف × . ووافق في هذا معنى ما رُوِيَ عن ابن عباس <sup>(٢)</sup> ، ومجاهد <sup>(٣)</sup> ، وقتادة <sup>(٤)</sup> .  
وعليه عامة المفسرين ومنهم : مقاتل ، وابن جرير الطبري ، والزجاج ، والنحاس ، والسمرقندي ، وابن أبي زمنين ، والماوردي ، والواحدي ، والسمعاني ، والكرماني ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والرازي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، والقمي ، وأبو حيان ، وابن كثير ، والثعالبي ، والبقاعي ، وأبو السعود ، والسيوطي ، والشوكاني ، والآلوسي ، والقنوجي ، والقاسمي ، والسيد محمد رشيد رضا ، والمراغبي ، والسعدي ، والطاهر بن عاشور <sup>(٥)</sup> .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (١١٥/٢) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٣/١٣) من طريق صدقة بن عبادة الأسدي ، عن أبيه ، عنه . وينظر: الدر المنثور للسيوطي (٥١١/٤) . وقال ابن الجوزي في زاد المسير (١٩١/٤) : رواه أبو صالح ، عن ابن عباس .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣١/١٣ ، ٣٢) من طريق ابن أبي نجيح ، ومن طريق ابن جريح ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٠٩/٧) رقم (١١٣٧٨) و (١١٣٨٠) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥١١/٤) نسبه إلى ابن المنذر .

(4) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣١٨/٢) عن معمر ، عنه . ومن طريق معمر أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٢/١٣) . وأخرجه ابن جرير أيضاً (٣٢/١٣) من طريق يزيد ، عن سعيد ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٠٩/٧) رقم (١١٣٧٧ و ١١٣٧٩) من طريق سعيد ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥١١/٤) نسبه إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(5) ينظر : تفسير مقاتل (٣٢١/٢) ، وجامع البيان (٣١/١٣) ، ومعاني القرآن وإعراجه (٩٥/٣) ، ومعاني القرآن

ودليله اتساق الضمائر فإنها كلها في يوسف × كما هو ظاهر من السياق ظهوراً لا يخفى .

قال أبو حيان : « ويدل على أن الضمير عائد على يوسف × قوله لهم : ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ »<sup>(١)</sup> [ يوسف : ٨٩ ] .

وأما القول الآخر في عود الضمير في ﴿ إِلَيْهِ ﴾ ليعقوب × فذكره ابن عطية بصيغة ( قيل )<sup>(٢)</sup> ، ولم أقف على من ذكره قبله ! وتبعه أبو حيان<sup>(٣)</sup> .

قال الألوسي : « وزعم بعضهم أن ضمير ﴿ إِلَيْهِ ﴾ يعود على يعقوب × وليس بشئ كما يخفى »<sup>(٤)</sup> .

وبعد، فإذا تقرر ذلك فإن الصحيح هو عود الضمير على يوسف × في قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ . وهو ما صححه ابن جزيّ وقال به الكافة من المفسرين ، ولا التفات لغيره . ويؤيده : أن إعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره ، وأن توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من

الكريم (٤٠٢/٣) ، وبحر العلوم (١٥٣/٢ - ١٥٤) ، وتفسير القرآن العزيز (٣١٨/٢) ، والنكت والعيون (١٤/٣) ، والوجيز (٥٤٠/١) والوسيط (٦٠٣/٢) ، وتفسير القرآن (١٤/٣) ، وغرائب التفسير (٥٢٩/١) ، ومعالم التنزيل (٤٤٢/٢ ، ٤٤٣) ، والكشاف (٢٦١/٣) ، والمحرر الوجيز (٤٥٣/٧) ، وزاد المسير (١٩١/٤) ، ومفاتيح الغيب (٤٢٨/٦) ، والجامع لأحكام القرآن (٢٧٧/١١) ، وأنوار التنزيل (٤٨٠/١) ، ومدارك التنزيل (٢١٤/٢) ، ولباب التأويل (٨/٣) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦٩/٤) ، والبحر المحيط (٢٨٧/٥) ، وتفسير القرآن العظيم (١٩/٨) ، والجواهر الحسان (١٤٧/٢) ، ونظم الدرر (٢٨/١٠) ، وإرشاد العقل السليم (٨٦/٣) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٤/١٦ ) ، وفتح القدير (١٥/٣) ، وروح المعاني (١٩٨/١٢) ، وفتح البيان (٢٩٩/٦) ، ومحاسن التأويل (٣٥١٧/٩) ، وتفسير القرآن الحكيم (٢١٦/١٢) ، وتفسير المراغي (١٢٢/١٢) ، وتيسير الكريم الرحمان (٤٠٤/٢) ، والتحرير والتنوير (٢٣٤/١٢) .

(١) البحر المحيط (٢٨٧/٥) .

(٢) ينظر : المحرر الوجيز (٤٥٣/٧) .

(٣) ينظر : البحر المحيط (٢٨٧/٥) .

(٤) روح المعاني (١٩٨/١٢) .

تفريقها ، والأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور <sup>(١)</sup> . والله تعالى أعلم .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ قَالُوا يَا بَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّبُّ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾

٥- الخلاف في معنى قوله : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾ أي : بمصدقٍ لمقالتنا ﴿ وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ أي : لا تصدقنا ولو كنا عندك من أهل الصدق ، فكيف وأنت تتهمنا؟! وقيل : معناه : لا تصدقنا وإن كنا صادقين في هذه المقالة ، فذلك على وجه المغالطة منهم . والأول أظهر » <sup>(٢)</sup> .

العرض والمناقشة :

استظهر ابن جُزَيِّ أن قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ معناه : لا نُصَدِّقُنَا وَلَوْ كُنَّا عِنْدَكَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقِ ، فكيف وأنت تتهمنا؟! وعلى هذا المعنى ابن جرير الطبري ، والزجاج ، والنحاس ، وابن أبي زمنين لكن ذكره — قيل ، والواحدي ، والسمعاني ، والزمخشري ، وابن العربي ، والرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والحازن ، والقاسمي ، وابن كثير ، والبقاعي ، وأبو السعود ، والسيوطي ، والشوكاني ، والآلوسي ، والقنوجي ، والقاسمي ، والمراغي <sup>(٣)</sup> .

(1) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (٦٠٣/٢ ، ٦١٣ ، ٦٢١) .

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (١١٥/٢ - ١١٦) .

(3) ينظر : جامع البيان (٣٤/١٣) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٩٦/٣) ، ومعاني القرآن الكريم (٤٠٣/٣) ، وتفسير القرآن العزيز (٣١٨/٢) ، والوجيز (٥٤١/١) ، والوسيط (٦٠٣/٢) ، وتفسير القرآن (١٥/٣) ، والكشاف (٢٦٢/٣) ، وأحكام القرآن (١٠٧٧/٣) ، ومفاتيح الغيب (٤٢٩/٦) ، وأنوار التنزيل (٤٨١/١) ، ومدارك التنزيل (٢١٤/٢) ، ولباب التأويل (٩/٣) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٧٠/٤) ، وتفسير القرآن العظيم (٢٠/٨) ، ونظم الدرر (٣١-٣٠/١٠) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ١٧/٤) ، وإرشاد العقل السليم (٨٧/٣) ، وفتح القدير (١٥/٣) ، وروح المعاني (٢٠٠/١٢) ، وفتح البيان (٣٠٠/٦) ، ومحاسن التأويل (٣٥١٩/٩) ، وتفسير المراغي (١٢٢/١٢) .

وذكره ابن عطية ، والقرطبي بصيغة ( قيل )<sup>(١)</sup> .

قال ابن جرير الطبري مُعللاً هذا المعنى : « قوله : ﴿ وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ إما أن يكون خبراً عنهم أنهم غيرُ صادقين ، فذلك تكذيبٌ منهم أنفسهم ، وإما أن يكون خبراً منهم عن أبيهم أنه لا يصدقهم لو صدقوه ، والحال أنهم لو صدقوا أباهم الخير لصدقهم . ولا يكون واحداً منهما فتعيين أن يكون المراد : ولو كنا من أهل الصدق الذين لا يُتَّهَمون ؛ لسوء ظنك بنا ، وطمعك لنا »<sup>(٢)</sup> .

وقال الكرماني : « أجمع المفسرون على أن تأويله : وما أنت بمصدق لنا ولو كنا صادقين غير مُتَّهَمين عند الناس . وقيل : صادقين عندك في غير هذا الكلام »<sup>(٣)</sup> .

وأما المعنى الآخر لقوله : ﴿ وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ وهو أنه : لا تُصدقنا وإن كُنَّا صادقين في هذه المقالة ، فقال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> . وعليه السمرقندي ، وابن الجوزي ، والقرطبي<sup>(٥)</sup> . واحتمله ابن عطية ومال إليه<sup>(٦)</sup> ، ونسبه هو والقرطبي للمبرد . وهو مفهوم كلام مقاتل ، والسعدي ، والطاهر بن عاشور<sup>(٧)</sup> . وذكره الرازي ، والخازن بصيغة ( قيل )<sup>(٨)</sup> . واحتمل القولين : الثعالبي وقدم الأول<sup>(٩)</sup> . وسوّى بينهما مع تقديم الثاني : أبوحيان ، والسيد محمد رشيد رضا<sup>(١٠)</sup> .

(1) ينظر : المحرر الوجيز (٤٥٥/٧) ، والجامع لأحكام القرآن (٢٨٦/١١) .

(2) جامع البيان (٣٤/١٣) .

(3) غرائب التفسير وعجائب التأويل (٥٢٩/١) .

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢١١٠/٧) رقم (١١٣٨٩) عنه قال : وإن كنا قد صدقنا . وينظر : النكت والعيون للماوردي (١٥/٣) ، وزاد المسير لابن الجوزي (١٩٢/٤) .

(5) ينظر : بحر العلوم (١٥٤/٢) ، وتذكرة الأريب (٢٦٠/١) ، والجامع لأحكام القرآن (٢٨٦/١١) .

(6) ينظر : المحرر الوجيز (٤٥٥/٧ - ٤٥٧) .

(7) ينظر : تفسير مقاتل (٣٢٤/٢) ، وتيسير الكريم الرحمان (٤٠٥/٢) ، والتحرير والتنوير (٢٣٧/١٢) .

(8) ينظر : مفاتيح الغيب (٤٢٩/٦) ، ولباب التأويل (٩/٣) .

(9) ينظر : الجواهر الحسان (١٤٧/٢) .

(10) ينظر : البحر المحيط (٢٨٨/٥ - ٢٨٩) ، وتفسير القرآن الحكيم (٢١٧/١٢) .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن جمهور المفسرين على أن قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ معناه : لا تُصَدِّقُنَا وَلَوْ كُنَّا مِنْ أَهْلِ الصَّدَقِ الَّذِينَ لَا يُتَّهَمُونَ ، فكيف وأنت تُسيء الظنَّ بنا وتتهمنا؟!  
ولما كان ذلك كذلك استظهره ابن جزيٍّ مُرَجِّحًا له بكونه قولَ الجمهورِ وأكثرِ المفسرين<sup>(١)</sup> ، وهو كذلك ، والله تعالى أعلم .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٩/١) .

فائدة : قال الجرجاني : في قولهم ( ولو ) دليلٌ على أن ذلك لم يكن ؛ لأن لو يدلُّ على امتناع الشيء لامتناع غيره ، ولو كانوا صادقين في دعواهم لقالوا : وإن كنا صادقين ، كما قالوا : وإن كنا لخاطئين . اهـ . وتعجَّب منه الكرمانى في غرائب التفسير وعجائب التأويل (٥٢٩/١) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا غُلْمٌ وَأَسْرُوهُ بَضْعَةَ

وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾

في هذه الآية الكريمة مسألتان :

المسألة الأولى هي :

٦- الخلاف في السيارة ، من هم ؟

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « ﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ ﴾ : رُوِيَ أَنَّ هَوْلَاءَ السَّيَّارَةِ مِنْ مَدْيَنَ . وَقِيلَ : هُمْ أَعْرَابٌ » (١) .

العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابْنُ جُزَيٍّ أَنَّ هَوْلَاءَ السَّيَّارَةِ الْمَذْكُورِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ ﴾ أَنَّهُمْ مِنْ مَدْيَنَ (٢) بِنَاءٍ عَلَى مَا رُوِيَ فِي ذَلِكَ ! وَنُسِبَ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ (٣) .

وإليه ذهب السمرقندي، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، والرازي، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، والخازن، والقمي، وأبو حيان مقتصرًا على ذكره — قيل دون غيره، والسيوطي، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والقاسمي، والمراغي (٤) .  
وذكره الطاهر بن عاشور بصيغة (قيل) (٥) .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (١١٦/٢) .

(2) مَدْيَنَ : جهة الشام محاذية لتبوك ، وهي مدينة قوم شعيب عليه السلام . ينظر : معجم البلدان لياقوت (٩٢/٥) .

(3) ينظر : مفاتيح الغيب للرازي (٤٣٢/٦) ، وتبعه القمي في غرائب القرآن وרגائب الفرقان (٧١/٤) .

(4) ينظر : بحر العلوم (١٥٤/٢) ، ومعالم التنزيل (٤٤٤/٢) ، والكشاف (٢٦٤/٣) ، والمحرم الوجيز (٤٦٠/٧) ،

ومفاتيح الغيب (٤٣٢/٦) ، والجامع لأحكام القرآن (٢٩١/١١) ، وأنوار التنزيل (٤٨١/١) ، ومدارك التنزيل

(٢١٥/٢) ، ولباب التأويل (٩/٣) ، وغرائب القرآن ورجائب الفرقان (٧١/٤) ، والبحر المحييط (٢٨٩/٥) ،

وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ١٩/٤ ) ، وإرشاد العقل السليم (٨٩/٣) ، وفتح القدير (١٧/٣) ، وروح

المعاني (٢٠٣/١٢) ، وفتح البيان (٣٠٢/٦) ، ومحاسن التأويل (٣٥٢٣/٩) ، وتفسير المراغي (١٢٣/١٢) .

(5) ينظر : التحرير والتنوير (٢٤٢/١٢) .

وأما القول الآخر بأن السيارة هم أعراب ، فرؤيَ عن ابن إسحاق قال : « إذ أقبلت سياراً من العرب »<sup>(١)</sup> . وقال مقاتل : « وهي العير وقالوا : رفقة من العرب »<sup>(٢)</sup> . وعلى هذا السيد محمد رشيد رضا ، والطاهر بن عاشور<sup>(٣)</sup> . واستدلَّ على ذلك بما في سفر التكوين من التوراة : أن هؤلاء السيَّارة كانوا من الإسماعيليين ، أي : أبناء إسماعيل بن إبراهيم إ ، أي : من العرب . وذكر هذا القول ابن عطية بصيغة ( قيل )<sup>(٤)</sup> .

وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن الأولى الإمساك عن الخوض في تعيين هؤلاء السيَّارة ؛ لأن الله تعالى ذكرهم بصيغة التنكير ، ولا فائدة من معرفتهم فالله تعالى أعلم بهم ممَّن هم ؟ ولذلك فقد اكتفى شيخ المفسرين ابن جرير الطبري بقوله : وجاءت مارةً الطريق من المسافرين<sup>(٥)</sup> . وهذا هو الصواب ؛ لأنه لا دليل من كتاب أو سنةٍ صحيحةٍ على تعيين السيَّارة ممن هم<sup>(٦)</sup> ، والله تعالى أعلم .

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢١١٣/٧) رقم (١١٤٠٣) .

(2) تفسير مقاتل (٣٢٥/٢) .

(3) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (٢١٩/١٢) ، والتحرير والتنوير (٢٤٢/١٢) .

(4) ينظر : المحرر الوجيز (٤٦٠/٧) .

(5) جامع البيان (٤٢/١٣) .

(6) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (٢٢٥/١) .

## المسألة الثانية هي :

### ٧- الخلاف في معنى قوله : ﴿يَبْشُرَى﴾ ، ومن المنادى ؟

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « أَي : نادى البُشْرَى ، كقولك : يا حسرةً ، وأضافها إلى نفسه . وقُرئ ﴿يَبْشُرَى﴾ بحذف ياء المتكلم ، والمعنى كذلك . وقيل - على هذه القراءة - : نادى رجلاً منهم اسمه بُشْرَى ، وهذا بعيدٌ . ولما أدلى الواردُ الحبلَ في الجُبِّ تعلق به يوسف فحينئذ قال : يا بُشْرَايَ هذا غلامٌ » (١) .

### العرض والمناقشة :

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر ﴿يا بُشْرَايَ﴾ بفتح الياء وإثبات الألف .

وروى ورشٌ عن نافع ﴿بُشْرَايَ﴾ بسكون الياء .

وقرأ عاصم وحزمة والكسائي ﴿يَبْشُرَى﴾ بألف بغير ياء . وعاصم بفتح الراء ، وحزمة والكسائي يميلانها (٢) .

وعلى قراءة الكوفيين حكى ابن جُزَيِّ الخلاف في المنادى ، ورجح أنه نادى البُشْرَى كنداء الحسرة والعجب في قولك : يا حسرتا ، ويا عجباً . والبُشْرَى بمعنى البشارة شُبّهت بالعاقل الغائب الذي احتيج إليه فينادى ، كأنه قال : يا أيتها البُشْرَى ، احضري فهذا وقتك . ووافق في هذا معنى ما رُوِيَ عن قتادة (٣) ، وأبي رَوْقٍ (٤) .

وإليه ذهب أكثر المفسرين : مقاتل، والفراء، والزجاج، والنحاس، وابن أبي زمنين، ومكي، والواحدي، والسمعاني، والكرماني، والزمخشري، ومحمود النيسابوري، والعكبري، والقرطبي، والبيضاوي، والقمي، وأبوحيان، والسمين، وابن كثير، والبلنسي، والبقاعي،

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (١١٦/٢) .

(2) ينظر : السبعة لابن مجاهد (٣٤٧) ، والتيسير (١٢٨) ، والحجة (٣٥٧) ، والنشر (٢٩٣/٢) ، والمحرم الوجيز (٤٦١/٧ - ٤٦٢) ، وزاد المسير (١٩٤/٤) ، والبحر المحيط (٢٩٠/٥) ، والدر المصون (٤٥٩/٦ - ٤٦٠) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٣/١٣) من طريق يزيد ، عن سعيد ، عنه قال : تباشروا به حين أخرجه . وأخرجه من طريق معمر ، عنه قال : بشرهم واردهم حين وجد يوسف . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢١١٣/٧) رقم (١١٤٠٨) من طريق سعيد بن أبي عروبة ، عنه . وينظر : النكت والعيون (١٧/٣) .

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢١١٣/٧) رقم (١١٤٠٧) قال : يا بشارة . وينظر : الدر المنثور (٥١٤/٤) .

والسيوطي، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والقاسمي، والسيد رشيد رضا، والمراغي، والطاهر بن عاشور<sup>(١)</sup>.

ومال إليه الرازي ونسبه لأبي علي الفارسي<sup>(٢)</sup>. وهو مذهب سيويه<sup>(٣)</sup>.

قال أبو جعفر النحاس: « وهذا القول الصحيح . ونسبه القمي للأكثرين » .  
وذكره ابن عطية بصيغة ( قيل )<sup>(٤)</sup>.

قال الزجاج: « ومعنى النداء في هذه الأشياء التي لا تجيب ولا تعقل إنما هو على تنبيه المخاطبين، وتوكيد القصة . إذا قلت: يا عجباً فكأنك قلت: اعجبوا، ويا أيها العجبُ هذا من حينك . وكذلك إذا قال: يا بُشراي فكأنه قال: أبشروا، وكأنه قال: يا أيتها البشرية هذا من إبانك وأوانك »<sup>(٥)</sup>.

وقال النحاس: « لأن أكثر القراء يقرأ: ﴿ يَبْشُرِي هَذَا عُلْمٌ ﴾ »<sup>(٦)</sup>.

وقال أيضاً: « وهذا القول أولى؛ لأنه لم يأت في القرآن تسمية أحدٍ إلاً يسيراً، وإنما

يأتي بالكناية كما قال جلّ وعزّ: ﴿ وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ﴾ [ الفرقان: ٢٧ ] وهو

(1) ينظر: تفسير مقاتل (٣٢٥/٢)، ومعاني القرآن وإعرابه (٩٧/٣)، ومعاني القرآن الكريم (٤٠٥/٣)، وإعراب القرآن (٣١٩/٢)، وتفسير القرآن العزيز (٣١٩/٢)، ومشكل إعراب القرآن (٣٨٢/١)، والوجيز (٥٤١/١) والوسيط (٦٠٤/٢)، وتفسير القرآن (١٦/٣)، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (٥٣٠/١)، والكشاف (٢٦٤/٣)، ووضح البرهان (٤٥١/١)، والتبيان (٧٢٧/٢)، والجامع لأحكام القرآن (٢٩٣/١١)، وأنوار التنزيل (٤٨١/١)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٧١/٤)، والبحر المحيط (٢٩٠/٥)، والدر المصون (٤٥٩/٦)، وتفسير القرآن العظيم (٢٢/٨)، وتفسير مبهمات القرآن (٤٧/٢ - ٤٨)، ونظم الدرر (٣٦/١٠)، وإرشاد العقل السليم (٨٩/٣)، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ١٩/٤)، وفتح القدير (١٨/٣)، وروح المعاني (٢٠٣/١٢)، وفتح البيان (٣٠٢/٦)، ومحاسن التأويل (٣٥٢٢/٩)، وتفسير القرآن الحكيم (٢١٩/١٢)، وتفسير المراغي (١٢٣/١٢)، والتحرير والتنوير (٢٤١/١٢).

(2) ينظر: مفاتيح الغيب (٤٣٢/٦ - ٤٣٣).

(3) ينظر: معاني القرآن الكريم للنحاس (٤٠٥/٣)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٩٣/١١)، والتعريف والإعلام للسهلي (٨٠).

(4) ينظر: المحرر الوجيز (٤٦٣/٧).

(5) معاني القرآن وإعرابه (٩٧/٣).

(6) معاني القرآن الكريم (٤٠٥/٣).

عقبة ابن أبي معيط ، وبعده : ﴿ يَنْوِيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيْلًا ﴾ وهو أمية بن خلف فجاء على الكناية «<sup>(١)</sup> .

وقال مكي : « وعلى هذا المعنى قرأ القراء : ﴿ يَحْسَرَةَ عَلَى الْعِبَادِ ﴾ [يس : ٣٠] بالتثوين كأنه نادى الحسرة «<sup>(٢)</sup> .

ولأن البشرى من البشارة<sup>(٣)</sup> ، وهي مصدر من الاستبشار .  
ولأنه لو كان اسماً علماً لم يكن مضافاً إلى ضمير المتكلم ، ففسرتها القراءة الأخرى ﴿ يَا بُشْرَايِ ﴾<sup>(٤)</sup> . أراد إضافة البُشْرَى إلى نفسه ، فحذف الياء وهو يريدُها ، فيكون مفرداً وفيه نية الإضافة ، كما تفعل العرب في النداء فتقول : يا نفسُ اصبري ، ويا نفسِ اصبري ، ويا بُنْيَّ لا تفعل ، ويا بُنْيَّ لا تفعل . فتفرد وترفع وفيه نية الإضافة ، وتضيف أحياناً فتكسرُ ، كما تقول : يا غلامُ أقبل ، ويا غلامِ أقبل . قاله ابن جرير<sup>(٥)</sup> .

ويؤيد هذا القول والمعنى القراءة الأخرى ﴿ يَا بُشْرَايِ ﴾ فإنها من التبشير والبشارة لا غير .

وكذا يؤيده القراءة الأخرى الشاذة : ﴿ يَابُشْرِيَّ ﴾ بإثبات ياء الإضافة وإدغام الألف في الياء<sup>(٦)</sup> ، كما في لغة هذيل .

قال أبو ذؤيب الهذلي :

سَبَقُوا هَوِيَّ وَأَعْنَقُوا لَهْوَاهِم  
فَتَحْرَمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعٌ<sup>(٧)</sup>

(1) إعراب القرآن (٣١٩/٢) .

(2) تفسير مشكل القرآن (٣٨٢/١) .

(3) ينظر : معاني القرآن للقراء (٤٠/٢) .

(4) ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٩٣/١١) ، وتفسير مبهمات القرآن للبلنسي (٤٨/٢) ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٢/٨) .

(5) جامع البيان (٤٥/١٣ - ٤٦) .

(6) وهي قراءة أبي الطفيل ، والحسن ، وابن أبي إسحاق ، والجدري . ينظر : الشواذ (٦٢) ، وجامع البيان لابن جرير (٤٥/١٣) .

(7) ديوان الهذليين (٢/١) . وأعنعوا : تبع بعضهم بعضاً . فتحرموا : أخذوا واحداً واحداً . ينظر : شرح أشعار الهذليين (٧/١) . ونسب ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٥/١٣) هذه اللغة إلى قبيلة طيء .

وأما ما استبعده ابن حُزَيٍّ وهو أن الوارد نادى رجلاً اسمه "بُشْرَى" ، فهو قول السدِّي<sup>(١)</sup> .  
ورُوِيَ عن الشعبي<sup>(٢)</sup> . ونُسِبَ إلى الأعمش<sup>(٣)</sup> .

واحتمله ابن جرير الطبري<sup>(٤)</sup> . وعليه البغوي على قراءة ﴿بُشْرَى﴾ ، والخازن<sup>(٥)</sup> .

وذكره الكرماني ، والبيضاوي ، وأبو السعود ، والشوكاني بصيغة ( قيل )<sup>(٦)</sup> .

قال أبو حيان : « وأبعد السدِّي في زعمه أن بشرى اسم رجل »<sup>(٧)</sup> . وتبعه السمين<sup>(٨)</sup> .

واستغربه ابن كثير ؛ لأنه لم يُسَبَق إلى تفسير هذه القراءة بهذا إلا في رواية عن ابن عباس<sup>(٩)</sup> . وهي بإسناد ضعيف<sup>(١٠)</sup> .

وقال الآلوسي : « وليس بذلك »<sup>(١١)</sup> .

واستبعده القنوجي<sup>(١٢)</sup> .

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٣/١٣ ، ٤٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١١٤/٧) رقم (١١٤١٠) من طريق أسباط ، عنه . وأخرجه أيضاً (٤٤/١٣) و (٢١١٣/٧) رقم (١١٤٠٩) من طريق يحيى بن آدم ، عن قيس بن الربيع ، عنه . وأخرجه ابن جرير الطبري (٤٤/١٣ - ٤٥) من طريق عبد الرحمن بن أبي حماد ، عن الحكم بن ظهير ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥١٥/٤) نسبه إلى أبي الشيخ .

(2) أخرجه أبو الشيخ كما في الدر المنثور للسيوطي (٥١٥/٤) .

(3) ينظر : معاني القرآن الكريم للنحاس (٤٠٥/٣) ، وتفسير القرآن للسمعاني (١٦/٣) . ونسبه له الرازي في مفاتيح الغيب (٤٣٣/٦) على أن المنادى ( امرأة ) .

(4) ينظر : جامع البيان (٤٥/١٣) .

(5) ينظر : معالم التنزيل (٤٤٥/٢) ، ولباب التأويل (١٠/٣) .

(6) ينظر : غرائب التفسير (٥٣٠/١) ، وأنوار التنزيل (٤٨١/١) ، وإرشاد العقل السليم (٨٩/٣) ، وفتح القدير (١٨/٣) .

(7) البحر المحيط (٢٩٠/٥) .

(8) ينظر : الدر المصون (٤٥٩/٦) .

(9) ينظر : تفسير القرآن العظيم (٢٢/٨) .

(10) أخرجه ابن جرير الطبري بإسناد ضعيف . ينظر : جامع البيان (١٦٩/١٢) نسخة أحمد شاكر .

(11) روح المعاني (٢٠٣/١٢) .

(12) ينظر : فتح البيان (٣٠٢/٦) .

وقال القرطبي : « لو كان اسماً علماً لم يكن مضافاً إلى ضمير المتكلم »<sup>(١)</sup> .

يعني أن القراءة الأخرى ﴿ بشرى ﴾ قاضية على هذا القول المحتمل على قراءة

﴿ بشرى ﴾ .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الصحيح أن الوارد نادى البشري ، كنداء الحسرة والعجب ونحو

ذلك ، أو : يا مَنْ حضر ، هذه بشرى وبشارة .

ويؤيده القراءة الأخرى ﴿ يا بشرى ﴾ فإنها من البشارة والتبشير لا غير .

ولو كان رجلاً اسمه بشرى لما أضيف إلى ياء المتكلم على القراءة الأخرى .

ويؤيده القاعدة الترجيحية وهي : ( اتحاد معنى القراءتين أولى من اختلافه )<sup>(٢)</sup> .

وإذا كان ذلك كذلك فإن ما قاله السدي بعيداً جداً ولا يحتمل ، ويفتقر إلى دليل

صحيح يدل على تسميته بذلك ، والله تعالى أعلم .

(1) الجامع لأحكام القرآن (٢٩٣/١١) .

(2) قواعد الترجيح عند المفسرين (١٠٠/١) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَشَرَّوهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ (٢٠)

في هذه الآية الكريمة مسألتان :

المسألة الأولى هي :

٨- الخلاف في عائد الضمير المرفوع في قوله : ﴿ وَشَرَّوهُ ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « أي : باعوه ، والضمير أيضاً للذين أخذوه . وقيل : الضمير لإخوة يوسف ، وأنهم رجعوا إليه فقالوا للسيارة : هذا عبدنا » (١) .

العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ أن الضمير المرفوع في ﴿ وَشَرَّوهُ ﴾ يعود على الذين أخذوه ، وهم السيارة . ووافق في هذا ما رُوِيَ عن الحسن (٢) ، وقتادة (٣) .

وعليه مقاتل ، والفراء ، وابن أبي زمنين ، وأبو حيان ، والبقاعي ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والقاسمي ، والسيد محمد رشيد رضا ، والمراغي ، والسعدي ، والطاهر بن عاشور (٤) . وهو مفهوم كلام الزمخشري ، والبيضاوي (٥) . وقدمه ابن عطية (٦) .

وهذا القول - وهو أن الضمير المرفوع للسيارة - على أن ﴿ وَشَرَّوهُ ﴾ بمعنى : باعوه .

وجعله مكى، وابن الجوزي، والرازي كذلك لكن على أن ﴿ وَشَرَّوهُ ﴾ بمعنى :

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (١١٦/٢) .

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢١١٥/٧) رقم (١١٤١٩) من طريق موسى بن إسماعيل ، عن مبارك ، عنه .

(3) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٢٠/٢) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٢/١٣) من طريق معمر ، عنه .

(4) ينظر : تفسير مقاتل (٣٢٦/٢) ومعاني القرآن (٤٠/٢) وتفسير القرآن العزيز (٣١٩/٢) والبحر المحيط

(٢٩١/٥) ونظم الدرر (٣٧/١٠) وإرشاد العقل السليم (٨٩/٣) وفتح القدير (١٩/٣) ومحاسن التأويل

(٣٥٢٣/٩) وتفسير القرآن الحكيم (٢١٩/١٢) وتفسير المراغي (١٢٤/١٢) وتيسير الكريم الرحمان (٤٠٦/٢)

والتحرير والتنوير (٢٤٤/١٢) .

(5) ينظر : الكشاف (٢٦٤/٣ - ٢٦٥) ، وأنوار التنزيل (٤٨١/١) .

(6) ينظر : المحرر الوجيز (٤٦٤/٧) .

اشتروه<sup>(١)</sup>.

وذكره مكي في موضع آخر ، والخازن على معنى " اشتروه " <sup>(٢)</sup> .

واستدلوا له بأن "شروه" بمعنى : باعوه لغةً فيه .

ومنه قول الشاعر :

وَشَرَبْتُ بُرْدًا لِيَتَنِي      من بعد بُرْدٍ كُنْتُ هَامَةً <sup>(٣)</sup>

يعني : بَعْتُ .

ومنه قول الآخر :

فلما شراها فاضت العينُ عَبْرَةً      وفي الصدر حَزَّازٌ من اللوم حَافِرٌ <sup>(٤)</sup>

يعني : باعها .

وظاهر القرآن ، وسياق الآيات يدل على عدم رجوع الضمير لإخوة يوسف ، وإنما هو للوارد وأصحابه ، وهم السيارة ؛ إذ ليس في القرآن ما يدل على أن الفعل لإخوة يوسف ولا لهم في الآية ذكر ، وإنما المتقدم ذكر السيارة والوارد ، وهم أخرجوه من البئر ، وأسروه بضاعة وباعوه بمصر بثمن بخس <sup>(٥)</sup> .

قال الطاهر بن عاشور : « وضمائر الجمع كلها للسيارة على أصح التفسير » <sup>(٦)</sup> .

يعني ضمير قوله : وَأَسْرُوهُ ، وَشَرُّوهُ ، وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ .

ويدل عليه أيضا آخر الآية : ﴿ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ فإنه يُعَيَّنُ أن الضمير

للسيارة ؛ لأن حال إخوته في أمره فوق الزهد بمراحل ، فلو كان لهم الضمير عائداً لقييل :

(1) ينظر : تفسير المشكل (٢٠٣) ، وزاد المسير (١٩٦/٤) ، ومفاتيح الغيب (٤٣٤/٦) .

(2) ينظر : مشكل إعراب القرآن (٣٨٢/١) ، ولباب التأويل (١٠/٣) .

(3) البيت ليزيد بن مفرغ الحميري . و ( برد ) اسم غلامٍ ندم على بيعه . والهامة : من طيور الليل . ينظر : الجامع

لأحكام القرآن للقرطبي (٢٩٥/١١) ، وفتح القدير للشوكاني (١٨/٣ - ١٩) .

(4) البيت للشماخ بن ضرار . وهو في ديوانه (١٩٠) . والحزاز : ماحز في القلب . والحمازة : الشدة . ينظر :

المصدرين السابقين . وجعل الشوكاني قوله ( شراها ) بمعنى اشتراها . ويبدو أن هذا وهم .

(5) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني (٥٣١/١) .

(6) التحرير والتنوير (٢٤٤/١٢) .

وكانوا له من المبعدين أو المبغضين ، والله أعلم <sup>(١)</sup> .

يقول ابن عاشور : « ومن فسّر "شروه" باشتروه أخطأ خطأ أوقعه فيه سوء تأويل قوله: ﴿ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ . وما ادّعاها بعض أهل اللغة أن شرى واشترى مترادفان في معنيهما يغلب على ظني أنه وهَمٌّ ؛ إذ لا دليل يدل عليه » <sup>(٢)</sup> .  
وأما القول الآخر وهو أن الضمير المرفوع في " شَرَوْهُ " يعود لإخوة يوسف ، فرُوي عن ابن عباس <sup>(٣)</sup> ، ومجاهد <sup>(٤)</sup> ، والضحاك <sup>(٥)</sup> . وهو في معنى ما رُوي أيضاً عن السدي <sup>(٦)</sup> ، وأبي صخر <sup>(٧)</sup> .

وعلى هذا ابن جرير الطبري، والزجاج، والخصاص مقتصرًا على ذكره بـ (قيل) ولم يذكر سواه، والسمرقندي، ومكي، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي، والحازن، وابن كثير، والثعالبي، والسيوطي <sup>(٨)</sup> .

(1) ينظر : نظم الدرر للبقاعي (٤٧/١٠) .

(2) التحرير والتنوير (٢٤٣/١٢) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٢/١٣) بالإسناد المسلسل بالعوفيين .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥١/١٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١١٦/٧) رقم (١١٤٢٧) من طريق ابن أبي نجيح ، عنه . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥١/١٣ - ٥٢) من طريق ابن جريح ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥١٥/٤) نسبته إلى ابن المنذر .

(5) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٥١٧/٤) إلى ابن جرير الطبري ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٢/١٣) وليس فيه التصريح بذكر إخوة يوسف ولا غيرهم . بل أخرج ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦٠/١٣) عنه من طريق عبید بن سليمان ما يدل على أن الضمير للسيارة .

(6) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢١١٤/٧) رقم (١١٤١٠) من طريق أسباط ، عنه .

(7) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢١١٥/٧) رقم (١١٤١٦) .

(8) ينظر : جامع البيان (٥٠/١٣ ، ٥٢ - ٥٣) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٩٨/٣) ، وأحكام القرآن (٣٨٤/٤) ، وبحر العلوم (١٥٥/٢) ، تفسير المشكل (٢٠٣) ومشكل إعراب القرآن (٣٨٢/١) ، والوجيز (٥٤٢/١) ، والوسيط (٦٠٤/٢) ، وتفسير القرآن (١٧/٣) ، ومعالم التنزيل (٤٤٥/٢) ، ووضح البرهان (٤٥١/١) ، وإيجاز البيان (٣٤٣/١) ، وزاد المسير (١٩٦/٤) ، وتذكرة الأريب (٢٦١/١) ، ولباب التأويل (١٠/٣) ، وتفسير القرآن العظيم (٢٣/٨) ، والجواهر الحسان (١٤٨/٢) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢٠/٤) .

وكلام النحاس يشعر بالميل إليه <sup>(١)</sup> . وهو مفهوم كلام القرطبي <sup>(٢)</sup> .  
وقدمه الرازي كأنه يميل إليه <sup>(٣)</sup> . واحتمله ابن عطية ، والبيضاوي <sup>(٤)</sup> .  
وذكره الشوكاني بصيغة ( قيل ) <sup>(٥)</sup> .  
ونسبه السمرقندي لعامة المفسرين . والسمعاني ، وابن الجوزي نسباه للأكثرين .  
وهذا القول أيضاً بناءً على تفسير "شروه" — باعوه .  
واستدلوا له بالبيت المذكور قَبْلَ :

وشريت لي برداً ...

وعَلَّ ابن جرير هذا القول بأن الله أخبر عن الذين اشتروه أنهم أسروا شراءه من أصحابهم ؛ خيفة أن يستشركوهم بادعائهم أنه بضاعة ، رغبةً في أن يخلص لهم دونهم ، واسترخاصاً لثمنه الذي ابتاعوه به كما قال تعالى : ﴿ بِثَمَنِ بَخْسٍ ﴾ . ولو كان مُبتاعوه من إخوته فيه من الزاهدين ، لم يكن لقولهم لرفقائهم : "هو بضاعة" معنى ، ولا كان لشرائهم إياه — وهم فيه من الزاهدين — وجهٌ ، إلا أن يكونوا مغلوبين على عقولهم ؛ لأنه محال أن يشتري صحيح العقل ما هو فيه زاهد ، من غير إكراهٍ مُكرهٍ له عليه ، ثم يكذب في أمره الناس بأن يقول : هو بضاعةٌ لم أشتريه . مع زهده فيه ، بل هذا القول من قول من هو بسلخته ضنينٌ ؛ لنفاستها عنده ، ولما يرجو من نفيس الثمن لها وفضل الربح <sup>(٦)</sup> .

وقال أيضاً : « ويدل على هذا قوله : ﴿ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ أي : إخوة

يوسف في يوسف من الزاهدين ، لا يعلمون كرامته على الله ، ولا مترلته عنده » <sup>(٧)</sup> .

(1) ينظر : معاني القرآن الكريم (٤٠٦/٣ ، ٤٠٧) . وفي إعراب القرآن (٣١٩/٢) جعل الضمير في قوله ( وأسروه ) كناية عن إخوته .

(2) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (٢٩٥/١١) .

(3) ينظر : مفاتيح الغيب (٤٣٣/٦) .

(4) ينظر : المحرر الوجيز (٤٦٤/٧ ، ٤٦٥) ، وأنوار التنزيل (٤٨١/١) .

(5) ينظر : فتح القدير (١٩/٣) .

(6) ينظر : جامع البيان (٥٣/١٣) .

(7) المصدر السابق (٦٠/١٣) بتصرف يسير .

وقال : « وروي عن الضحاك ، وابن جُرَيْج أن إخوته زهدوا فيه لم يعلموا منزلته من الله ونبوته ومكانته »<sup>(١)</sup> .

وقال ابن كثير : « لأن قوله : ﴿ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ إنما أراد إخوته لا أولئك السيارة ؛ لأن السيارة استبشروا به وأسروه بضاعة ، ولو كانوا فيه من الزاهدين لما اشتروه ، فترجح من هذا أن الضمير في ﴿ وَشَرَوْهُ ﴾ إنما هو لإخوته »<sup>(٢)</sup> .  
وهذا التعليل الذي ذكره جيد ولكنه يفتقر إلى دليل صحيح يدل على رجوع إخوة يوسف إليه وبيعهم إياه للسيارة ، فلو ثبت هذا لكان نصًّا في محلّ النزاع ، وليس في القصة التي ساقها الله في القرآن ما يشير إلى ذلك ، فأنتى لهم ذلك ، والله أعلم .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأولى هو القول برجوع الضمير المرفوع في ﴿ وَشَرَوْهُ ﴾ للسيارة ، وهم الواردُ وأصحابه ؛ لظاهر القرآن ، ودلالة السياق .  
وهذا الفصلُ من القصة لا ذكرَ فيه لإخوة يوسف ، ولا دليل على رجوعهم إليه يُرَكَنُ إليه ويعتمد عليه ، و( لا يصح حَمْلُ معاني كلام الله على أمور غيبية وتفصيلات ليس عليها دليل صحيح من كتاب أو سنة )<sup>(٣)</sup> ، والله تعالى أعلم .

(1) المصدر السابق (٦١/١٣) . وسبق ذكر ما رُوِيَ عن الضحاك ما يدل على أن الضمير للسيارة .

(2) تفسير القرآن العظيم (٢٣/٨) .

(3) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (٢٢٥/١) .

## المسألة الثانية هي :

### ٩- الخلاف في معنى البَخْسِ في قوله تعالى : ﴿بِشْمَنِ بَخْسٍ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « أي : ناقصٍ عن قيمته . وقيل : البَخْسُ هنا الظلمُ »<sup>(١)</sup>.

### العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ أَنَّ البَخْسَ الموصوفَ به الثمن في قوله تعالى : ﴿وَشَرَّوهُ بِشْمَنِ بَخْسٍ﴾ معناه : ناقص عن قيمته . ووافق في هذا معنى ما رُوِيَ عن مجاهد<sup>(٢)</sup> ، وعكرمة<sup>(٣)</sup> ، والشعبي<sup>(٤)</sup> قالوا : القليل .

وبعض المفسرين اختار هذا اللفظ : "القليل" منهم : النحاس، وابن عطية، والبقاعي، والسعدي<sup>(٥)</sup> .

وأكثرهم اختار لفظ "الناقص" منهم : أبو عبيدة، وابن جرير الطبري، والنحاس، وغلّام ثعلب، والزمخشري، وابن العربي، والقرطبي، والنسفي، والقمي، والقرشي اليماني، والسمين ، وابن كثير، والثعالبي، والسيوطي، وأبوالسعود، والآلوسي، والطاهر بن عاشور<sup>(٦)</sup> .

قال ابن عطية : « والبخس مصدر وُصِفَ به الثمن ، وهو بمعنى النقص ، وهذا أشهر معانيه ،

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (١١٦/٢) .

(2) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٥١٦/٤) لابن جرير الطبري .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٥/١٣) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥١٦/٤) نسبته إلى ابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ . وينظر : النكت والعيون للماوردي (١٨/٣) ، وزاد المسير لابن الجوزي (١٩٦/٤) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٥/١٣) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥١٦/٤) نسبته إلى ابن المنذر .

(5) ينظر : إعراب القرآن (٣٢٠/٢) ، والمحرم الوجيز (٤٦٤/٧ ، ٤٦٥) ، ونظم الدرر (٣٧/١٠) ، وتيسير الكريم الرحمان (٤٠٦/٢) .

(6) ينظر : مجاز القرآن (٣٠٤/١) ، وجامع البيان (٥٣/١٣) ، ومعاني القرآن الكريم (٤٠٦/٣) ، وياقوتة الصراط (٢٧٣) ، والكشاف (٢٦٥/٣) ، وأحكام القرآن (١٠٧٩/٣) ، والجامع لأحكام القرآن (٢٩٥/١١) ، ومدارك التنزيل (٢١٥/٢) ، وغرائب القرآن ورجائب الفرقان (٧٢/٤) ، والترجمان لغريب القرآن (٧٠) ، والدر المصون (٤٦١/٦) ، وتفسير القرآن العظيم (٢٣/٨) ، والجواهر الحسان (١٤٨/٢) ، وتفسير الجلالين (٢٠/٤) ، وإرشاد العقل السليم (٨٩/٣) ، وروح المعاني (٢٠٤/١٢) ، والتحرير والتنوير (٢٤٤/١٢) .

فكأنه القليل الناقص»<sup>(١)</sup> .

وجمع بينهما السيد محمد رشيد رضا ، والمراعي فقالا : « ناقص قليل »<sup>(٢)</sup> .

وسوى البيضاوي بينه وبين الزيف فقال : « مبخوس لزيفه أو نقصانه »<sup>(٣)</sup> .

وتبعه الشوكاني والقنوجي فقالا : « ناقص أو زائف »<sup>(٤)</sup> .

واستشهد له الفراء بقوله تعالى : ﴿ مَعْدُودَةٌ ﴾ وهذه تدلُّ على القلَّة<sup>(٥)</sup> .

وقالوا : البخس في اللغة هو : النقص<sup>(٦)</sup> . فهو مصدر وضع موضع الاسم ، أي :

باعوه بثمانٍ مبخوسٍ ، أي : منقوص .

قال البقاعي : « مادة "بخس" بكل ترتيباتها تدور على القلَّة ، تقول : بخسته حقّه :

نقصته ، فجعلته أقلَّ مما كان . والبخس : أرض تنبت بلا سقيٍّ ، كأنه لقلّة ما نبت بها

بالنسبة إلى أرض السقي . ثم قال : ولما كان البخس القليل الناقص أهدأ منه تأكيداً للمعنى

قوله : ﴿ دَرَاهِمَ ﴾<sup>(٧)</sup> .

وأما القول الآخر وهو أن البخس هو الظلم ، فهو قول قتادة<sup>(٨)</sup> ، وعطية<sup>(٩)</sup> .

وعليه الزجاج ، ومحمود النيسابوري<sup>(١٠)</sup> .

(1) المحرر الوجيز (٤٦٥/٧) .

(2) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (٢١٩/١٢) ، وتفسير المراعي (١٢٤/١٢) .

(3) أنوار التنزيل (٤٨١/١) .

(4) ينظر : فتح القدير (١٩/٣) ، وفتح البيان (٣٠٤/٦) .

(5) ينظر : معاني القرآن (٤٠/٢) . وينظر أيضاً : معاني القرآن الكريم للنحاس (٤٠٧/٣) .

(6) ينظر : تفسير القرآن للسمعاني (١٧/٣) .

(7) نظم الدرر (٤٦/١٠ - ٤٧) .

(8) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٢٠/٢) عن معمر ، عنه . ومن طريقه أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان

(٥٥/١٣) . وأخرجه ابن جرير أيضاً (٥٥/١٣) من طريق يزيد ، عن سعيد ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في

تفسيره (٢١١٦/٧) رقم (١١٤٢٣) من طريق سعيد بن أبي عروبة ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور

(٥١٦/٤) نسبته إلى أبي الشيخ .

(9) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢١١٥/٧) رقم (١١٤٢١) من طريق ابن إدريس ، عن أبيه ، عنه .

(10) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٩٨/٣) ، وإيجاز البيان (٣٤٢/١) .

وذكره ابن كثير ، والشوكاني ، والقنوجي بصيغة ( قيل )<sup>(١)</sup> .  
قال الزجاج : « لأن الإنسان الموجود لا يحلُّ بيعه »<sup>(٢)</sup> . يعني بالموجود الحرّ .  
وروي عن ابن عباس قول آخر وهو : أن البخس هو الحرام<sup>(٣)</sup> . وقال به الضحاك<sup>(٤)</sup> .  
وعليه مقاتل ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي<sup>(٥)</sup> .  
قال الواحدي : « قال ابن عباس وأكثر المفسرين : حرام ؛ لأن ثمن الحر حرام . وسُمِّيَ  
الحرام بخسًا ؛ لأنه لا بركة فيه فهو منقوص البركة »<sup>(٦)</sup> .  
وقال مقاتل : « لأنه حر ، وثمر الحر حرام وبيعه حرام »<sup>(٧)</sup> .  
وذكر هذا القول ابن كثير ، والشوكاني ، والقنوجي بصيغة ( قيل )<sup>(٨)</sup> .  
قال ابن كثير : « لكن ليس هو المراد هنا ؛ لأن هذا معلوم يعرفه كل أحد أن ثمنه حرام على  
كل حال وعلى كل أحد ؛ لأنه نبي ... » .  
وقال ابن العربي : « ولا وجه له »<sup>(٩)</sup> .  
وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن الذي يظهر أن الأولى هو تفسير البخس بالنقص أو القلة . أما  
تفسيره بالظلم أو الحرام فإنما هو تفسير باللازم ؛ لأن هذا الثمن ولو كان قليلاً ناقصاً فهو حرام  
وظلم ؛ لأنه لا يحلُّ بيعه ولا ثمنه ؛ لأنه حر . فما فعلوه من بيعه ظلمٌ أوقعوه عليه ، وما أكلوه من  
ثمنه حرامٌ لا يجوز .

- 
- (1) ينظر : تفسير القرآن العظيم (٢٣/٨) ، وفتح القدير (١٩/٣) ، وفتح البيان (٣٠٤/٦) .
  - (2) معاني القرآن وإعرابه (٩٨/٣) .
  - (3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٤/١٣) بالإسناد المسلسل بالعوفيين . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥١٥/٤) نسبه إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ .
  - (4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٤/١٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١١٥/٧) رقم (١١٤٢٢) من طريق جوير ، عنه . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٤/١٣) من طريق عبيد بن سليمان ، عنه .
  - (5) ينظر : تفسير مقاتل (٣٢٦/٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٣١٩/٢) ، والوجيز (٥٤٢/١) ، وتفسير القرآن (١٧/٣) ، ومعالم التنزيل (٤٤٥/٢) .
  - (6) الوسيط (٦٠٤/٢) .
  - (7) تفسير مقاتل (٣٢٦/٢) .
  - (8) ينظر : تفسير القرآن العظيم (٢٣/٨) ، وفتح القدير (١٩/٣) ، وفتح البيان (٣٠٤/٦) .
  - (9) أحكام القرآن (١٠٧٩/٣) . وينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٩٦/١١) .

قال الخازن : « وعلى الأقوال كلها فالبخس في اللغة : هو نقص الشيء على سبيل الظلم»<sup>(١)</sup>.

وإذا كان ذلك كذلك فإن الأولى هو ما رجّحه ابن جُزَيِّ ومن وافقه ، وهو اختيار أكثر المفسرين ، والله تعالى أعلم .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِأَمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ۗ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۗ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

١٠- الخلاف في عائد الضمير في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « في عود الضمير وجهان : أحدهما : أن يعود على الله . فالمعنى : أنه يفعل ما يشاء لا رادّ لأمره . والثاني : أنه يعود على يوسف . أي : يدبر الله أمره بالحفظ له والكرامة » (١) .

#### العرض والمناقشة :

قدّم ابن جُزَيِّ في عائد الضمير في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ ﴾ قول من قال : إنه يعود على الله تعالى .

قال ابن الجوزي : « هذا معنى قول ابن عباس » (٢) .  
وقول سعيد بن جبير في معنى الآية : « فَعَالٌ » (٣) ، أورده ابن جرير الطبري في معنى ﴿ غَالِبٌ ﴾ وهو كذلك . لكن ذكر ابن عطية ، وأبو حيان ، وابن كثير أن قول سعيد يدلُّ على القول الأول (٤) . يعني عود الضمير على الله .  
وقال الضحاك : « لما يريد أن يبلغ بيوسف » (٥) .

وعلى هذا الوجه الأول : النحاس، والسمرقندي، والواحدي، والقرطبي، وأبو حيان، وابن كثير، والبقاعي، والسيوطي، والشوكاني، والقنوجي، والسيد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي،

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (١١٦/٢) .

(2) زاد المسير (١٩٩/٤) . وذكره الواحدي في الوسيط (٦٠٦/٢) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦٥/١٣ - ٦٦) .

(4) ينظر : المحرر الوجيز (٤٦٨/٧) ، والبحر المحيط (٢٩٢/٥) ، وتفسير القرآن العظيم (٢٥/٨) .

(5) أخرجه أبو الشيخ كما في الدر المنثور للسيوطي (٥١٨/٤) .

والطاهر بن عاشور<sup>(١)</sup> . وقدمه السمعاني ، والرازي ، والبيضاوي<sup>(٢)</sup> .

ونظيره قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ ﴾ [الطلاق : ٣] .

قال الرازي : « من تأمل في أحوال الدنيا وعجائب أحوالها عرف وتيقن أن الأمر كله لله ، وأن قضاء الله غالب »<sup>(٣)</sup> .

وقال الشوكاني : « ومن جملة ما يدخل تحت هذا العام كما يفيد ذلك إضافة اسم الجنس إلى الضمير ، ما يتعلّق بأمر يوسف × من الأمور التي أرادها الله سبحانه في شأنه »<sup>(٤)</sup> .

وأما الوجه الآخر وهو عود الضمير على يوسف × فقاله مقاتل<sup>(٥)</sup> . وعليه ابن جرير الطبري<sup>(٦)</sup> . وهو مفهوم كلام ابن الجوزي<sup>(٧)</sup> . وجوزّه السيد محمد رشيد رضا<sup>(٨)</sup> .

وذكره السمرقندي ، والقرطبي بصيغة ( قيل )<sup>(٩)</sup> .

وتوقف بعض المفسّرين فلم يرجّح بينهما ؛ فاحتملها معاً ابن عطية<sup>(١٠)</sup> ، وتبعه الثعالبي<sup>(١١)</sup> . وجوزهما معاً العكبري ، والسمين<sup>(١٢)</sup> .

وذكرهما بالتساوي الزمخشري ، والبيضاوي ، والنسفي ، والقمي ، وأبو السعود ،

1) ينظر : إعراب القرآن (٣٢٠/٢) ، وبحر العلوم (١٥٦/٢) ، والوجيز (٥٤٢/١) والوسيط (٦٠٦/٢) ، والجامع لأحكام القرآن (٣٠٣/١١) ، والبحر المحيط (٢٩٢/٥) ، وتفسير القرآن العظيم (٢٥/٨) ، ونظم الدرر (٤٩/١٠) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٢٢/٤) ، وفتح القدير (٢٠/٣) ، وفتح البيان (٣٠٧/٦) ، وتفسير القرآن الحكيم (٢٢١/١٢) ، وتفسير المراغي (١٢٦/١٢) ، وتيسير الكريم الرحمان (٤٠٧/٢) ، والتحرير والتنوير (٢٤٧/١٢) .

2) ينظر : تفسير القرآن (١٩/٣ - ٢٠) ، ومفاتيح الغيب (٤٣٦/٦) ، وأنوار التنزيل (٤٨٢/١) .

3) مفاتيح الغيب (٤٣٦/٦) . وينظر : نظم الدرر للبقاعي (٤٩/١٠ - ٥٠) .

4) فتح القدير (٢٠/٣) . وتبعه القوّجي في فتح البيان (٣٠٧/٦) .

5) ينظر : تفسير مقاتل (٣٢٧/٢) .

6) ينظر : جامع البيان (٦٥/١٣) .

7) ينظر : زاد المسير (١٩٩/٤) ، وتذكرة الأريب (٢٦١/١) .

8) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (٢٢١/١٢) .

9) ينظر : بحر العلوم (١٥٦/٢) ، والجامع لأحكام القرآن (٣٠٣/١١) .

10) ينظر : المحرر الوجيز (٤٦٨/٧) .

11) ينظر : الجواهر الحسان (١٤٩/٢) .

12) ينظر : التبيان (٧٢٧/٢) ، والدر المصون (٤٦١/٦) .

والآلوسي ، والقاسمي <sup>(١)</sup> مع تقديمهم للوجه الأول .  
 وذكرهما معاً بصيغة ( قيل ) البغوي ، والخازن <sup>(٢)</sup> مع تقديمهما للوجه الأول .  
 وبعد، فإذا تقرر هذا فإن كلا القولين محتملٌ ، وأولاهما بالتقديم أولُّهما ، وهو أن يعود  
 الضمير على الله تعالى ؛ لأن الله تعالى بالغ أمره ، وحكمه نافذ لا يبطله مبطل ، ولكن أكثر الناس  
 لا يعلمون أن الأمر كله لله . ومن ذلك ما يتعلّق بيوسف × من حفظ الله له وتمكينه في الأرض  
 وجعله على خزائنها ، والله تعالى أعلم .

(1) ينظر : الكشف (٢٦٦/٣) ، وأنوار التنزيل (٤٨٢/١) ، ومدارك التنزيل (٢١٦/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب  
 الفرقان (٧٦/٤) ، وإرشاد العقل السليم (٩٢/٣) ، وروح المعاني (٢٠٨/١٢) ، ومحاسن التأويل (٣٥٢٤/٩) .  
 (2) ينظر : معالم التنزيل (٤٤٧/٢) ، ولباب التأويل (١١/٣) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا ۖ أَنَّ رَجَا بُرْهَانَ رَبِّهٖ ۚ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ الشُّوْءَ

وَالْفَحْشَاءَ ۗ إِنَّهٗ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾

١١- الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا ۖ أَنَّ رَجَا بُرْهَانَ رَبِّهٖ ۚ ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ ۖ وَهَمَّ بِهَا ﴾ : أكثر الناس في الكلام في هذه الآية حتى ألفوا فيها التأليف ، فمنهم مُفَرِّطٌ ومُفَرِّطٌ . وذلك أن منهم من جعل هَمَّ المرأة وهمَّ يوسف من حيث الفعل الذي أرادته ، وذكروا في ذلك روايات من جلوسه بين رجلها وحلِّه التَّكَّةَ <sup>(١)</sup> وغير ذلك مما لا ينبغي أن يقال به ؛ لضعف نقله ؛ ولتراهة الأنبياء عن مثله . ومنهم من جعل أهما هَمَّتْ به لتضربه على امتناعه وهمَّ بها ليقتلها أو يضربها ليدفعها ، وهو بعيدٌ ؛ يرده قوله : ﴿ لَوْلَا ۖ أَنَّ رَجَا بُرْهَانَ رَبِّهٖ ۚ ﴾ . ومنهم من جعل هَمَّها به من حيث مرادها ، وهمَّ بها ليدفعها ، وهذا بعيد ؛ لاختلاف سياق الكلام .

والصواب إن شاء الله : أهما هَمَّتْ به من حيث مرادها ، وهمَّ بها كذلك لكنه لم يعزم على ذلك ولم يبلغ إلى ما ذُكِرَ من حلِّ التَّكَّةِ وغيرها بل كان هُمُّه خَطَرَةً خَطَرَتْ على قلبه لم يطعها ولم يتابعها ، ولكنه بادر بالتوبة والإقلاع عن تلك الخطرة حتى محاهها من قلبه لما رأى برهان ربِّه . ولا يقدرُ هذا في عصمة الأنبياء ؛ لأنَّ الهَمَّ بالذنب ليس بذنب ، ولا نقصَ عليه في ذلك ، فإنه من هَمَّ بذنب ثم تركه كتبت له حسنة .

﴿ لَوْلَا ۖ أَنَّ رَجَا بُرْهَانَ رَبِّهٖ ۚ ﴾ : جوابه محذوف ، تقديره : لولا أن رأى برهان ربِّه

لخالطها . وإنما حُذِفَ لأنَّ قوله ﴿ هَمَّ بِهَا ﴾ يدلُّ عليه . وقد قيل : إن ﴿ هَمَّ بِهَا ﴾ هو الجواب . وهذا ضعيف ، لأنَّ جواب ﴿ لَوْلَا ﴾ لا يتقدَّمُ عليها <sup>(٢)</sup> .

(1) التَّكَّةُ : هي ما يربط به السروال ، ويقال لها : هَمِيَانٌ . ومنه هَمِيَانُ الدراهم . ينظر : الصحاح (٥٣٦/٦) .

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (١١٧/٢) . وكلام ابن جُزَيِّ تضمن مسألتين هما : الخلاف في معنى الهَمَّ في قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ ۖ وَهَمَّ بِهَا ﴾ ، والخلاف في جواب ﴿ لَوْلَا ﴾ هل هو محذوف ؟ . ولما كان أحد القولين

في المسألة الثانية هو أحد الأجوبة الصحيحة في المسألة الأولى وأحد الأقوال فيها ؛ اقتضى ذلك عدم الفصل بين

## العرض والمناقشة :

حاصل ما ذكره ابن جُزَيِّ في معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ

رَعَا بُرْهَانَ رَبِّهٖ ۚ ﴾ خمسة أقوال هي :

القول الأول : قول من جعل همَّ المرأة وهمَّ يوسف × من حيث الفعل الذي أرادته .  
أي : أن يوسف × جلس بين رجلها كما يقعد الرجل من امرأته وحلَّ تكَّةً سراويله ، ولم  
يحلُّ بينه وبينها إلا رؤية البرهان من ربِّه ليصرف الله عنه السوء والفحشاء .  
وهذا قول السلف منهم : ابن عباس<sup>(١)</sup> ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة<sup>(٢)</sup> ، ومجاهد<sup>(٣)</sup> ،

المسألتين .

(1) قال ابن عباس : حلَّ المِثْيَانُ ، وجلس منها مجلس الخاتن . رواه عنه ابن أبي مليكة ، وعبيد الله بن أبي يزيد .  
ورواه عن ابن أبي مليكة خمسة : الأول : عثمان بن أبي سليمان . ورواه عنه ابن عيينة . أخرجه عبد الرزاق في  
تفسيره (٣٢١/٢) عنه . ومن طريقه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٨٥/١٣) . وأخرجه ابن جرير الطبري  
في جامع البيان (٨٢/١٣) من طرق عنه ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٢٢/٧) رقم (١١٤٧٣) . الثاني : ابن  
جريج . ورواه عنه محمد بن أبي عدي ، وسفيان ، ويحيى بن سعيد ، وحجاج بن محمد . أخرجه ابن جرير  
الطبري في جامع البيان (٨٢/١٣ - ٨٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٢٣/٧) رقم (١١٤٧٤) . بلفظ : ( استلقت  
له ، وجلس بين رجلها يترع ثيابه ) . والثالث : نافع بن عمر بن عبد الله الجمحي . ورواه عنه وكيع . أخرجه  
ابن جرير الطبري في جامع البيان (٨٣/١٣) عن ابنه ، وأبي كريب ، عن وكيع به . الرابع : زهير بن محمد .  
رواه عنه الوليد . أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٢٣/٧) عن أبي زرعة ، عن صفوان ، عن الوليد به .  
الخامس : جرير . أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٢٤/٧) رقم (١١٤٧٨) عن أحمد بن عاصم ، عن وهب بن  
جرير ، عن أبيه به . ورواه عن ابن أبي مليكة سفيان بن عيينة . أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان  
(٨٢/١٣) من طرق ، عن سفيان به .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٨٥/١٣) من طريق قيس ، عن أبي حصين ، عن سعيد قال : (أطلق  
تكَّة سراويله) . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٨٥/١٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٢٥/٧)  
(١١٤٨٥) من طريق الثوري ، عن علي بن بزيم ، عن عكرمة وسعيد بن جبير قالا : حلَّ السراويل ، وجلس  
منها مجلس الخاتن . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٢١/٤) نسبه إلى أبي الشيخ .

(3) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٢١/٢) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٨٤/١٣) من طريق معمر ، عن  
ابن أبي نجيح ، عنه . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٨٣/١٣ ، ٨٤) من طريق الأعمش ، عنه .  
وأخرجه ابن جرير أيضاً (٨٥/١٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٢٣/٧) رقم (١١٤٧٥) من طريق شريك ،  
عن جابر ، عنه . ولفظ مجاهد : ( جلس منها مجلس الرجل من امرأته ) ، ( حلَّ سراويله ) ، ( استلقت ، وحلَّ  
ثيابه حتى بلغ الثنَّات ) . [ والثنَّة : ما دون السرة فوق العانة . ينظر : الفائق ١/١٧٧ ] .

وابن أبي مليكة<sup>(١)</sup> ، والقاسم بن أبي بزة<sup>(٢)</sup> .

وهو منسوب أيضاً إلى عليّ ، ووهب بن منبه ، وابن سيرين ، والضحاك ، والسديّ ، والأعمش ، والحسن<sup>(٣)</sup> .

وعليه مقاتل ، وابن جرير الطبري ، والزجاج ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ، والسمعي ، والبغوي ، والسيوطي ، والشوكاني ، والقنوجي<sup>(٤)</sup> . وهو مفهوم كلام النحاس<sup>(٥)</sup> .

وحمله ابن عطية على كون يوسف مؤمناً قد أوتي حكماً وعلماً لا على كونه نبياً في وقت هذه النازلة<sup>(٦)</sup> .

وذكره السمرقندي ، والقرطبي بصيغة ( قيل )<sup>(٧)</sup> .

ونُقِلَ عن ابن الأنباري قوله : « والذي نذهب إليه في هذه الآية ما يروى عن الصحابة والتابعين من إثبات الهمّ ليوسف غير عائبين له . بل نقول : إن انصرافه بعد إثبات الهمّ ونفيه نفسه عن هواها تعظيماً لله ومعرفة بحقه أدلُّ على وفور الثواب وتكامل الأجر»<sup>(٨)</sup> .

وقال أيضاً : « والذين أثبتوا الهمّ ليوسف من عليّ ، وابن عباس ، ووهب ، وابن سيرين وغيرهم كانوا أعرف بحقوق الأنبياء وارتفاع منازلهم عند الله من الذين نفوا الهمّ عنه»<sup>(٩)</sup> .

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٨٣/١٣) من طريق ابن جريج ، عنه قال : استلقت له ، وحلّ ثيابه .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٨٤/١٣) ، من طريق شبيل ، عنه قال : أما همها به ، فاستلقت له ، وأما همه بما فإنه قعد بين رجلها ، ونزع ثيابه .

(3) نسبه إليهم الواحدي في الوسيط (٦٠٧/٢ ، ٦٠٨) .

(4) ينظر : تفسير مقاتل (٣٢٨/٢ - ٣٢٩) ، وجامع البيان (٨٥/١٣ - ٨٧) ، ومعاني القرآن وإعراجه (١٠١/٣) ، وتفسير القرآن العزيز (٣٢١/٢) ، والوسيط (٦٠٧/٢) ، وتفسير القرآن (٢١/٣ ، ٢٣) ، ومعالم التنزيل (٤٤٩/٢ - ٥٥٠) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٤/٢٦) ، وفتح القدير (٢٤/٣ - ٢٥) ، وفتح البيان (٣١٣/٦) .

(5) ينظر : معاني القرآن الكريم (٤١١/٣ - ٤١٥) .

(6) ينظر : المحرر الوجيز (٤٧٧/٧) .

(7) ينظر : بحر العلوم (١٥٧/٢) ، والجامع لأحكام القرآن (٣١٢/١١) .

(8) الوسيط للواحدي (٦٠٨/٢) .

(9) المصدر السابق .

ولما ذكر ابن جرير الطبري أقوال السلف عن ابن عباس وغيره في همّ يوسف بها ، ذكر أقوالاً أخرى قال عنها : « بأنها تخالف أقوال السلف ، وأنهم تأولوا القرآن بأرائهم ، فخالفوا جميع أهل العلم بتأويل القرآن ، الذين عنهم يؤخذ تأويله »<sup>(١)</sup> .

وقال الزجاج : « والذي عليه المفسرون : أنه همّ بها وأنه جلس منها مجلس الرجل من المرأة إلا أن الله تفضّل بأن أراه البرهان »<sup>(٢)</sup> .

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : « وابن عباس ومن دونه لا يختلفون في أنه همّ بها ، وهم أعلم بالله ، وتأويل كتابه ، وأشدّ تعظيماً للأنبياء من أن يتكلموا فيهم بغير علم » .  
قال أبو جعفر النحاس : « وكلام أبي عبيد هذا ، كلام حسن بين لمن لم يمل إلى الهوى »<sup>(٣)</sup> .

ومما احتجوا به قوله لأ : ﴿ وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾<sup>(٤)</sup> [يوسف : ٥٣] .  
وهذا مبني على أن القائل - عند هؤلاء - هو يوسف × .

قال ابن القيم : « وهذا وإن كان قاله جماعة من المفسرين ، فقد خالفهم في ذلك آخرون أجل منهم وقالوا : إن هذا من قول امرأة العزيز لا من قول يوسف × وهو الصواب »<sup>(٥)</sup> .

وقال ابن الجوزي : « ولا يصح ما يروى عن المفسرين أنه حلّ السراويل وقعد منها مقعد الرجل ، فإنه لو كان هذا دلّ على العزم ، والأنبياء معصومون من العزم على الزنا »<sup>(٦)</sup> .

وأورد الشنقيطي الآثار عن العلماء الذين قالوا : إنه وقع منه بعض ما لا ينبغي ، وأقوالهم في المراد بالبرهان ، كما أوردها السيوطي في الدر المنثور<sup>(٧)</sup> ثم عقبها بقوله :

- (1) جامع البيان (١٣/٨٦ ، ٨٧) .
- (2) معاني القرآن وإعرابه (٣/١٠١) .
- (3) معاني القرآن الكريم (٣/٤١٣) .
- (4) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/١٠١) .
- (5) بدائع التفسير (٢/٤٤٦ - ٤٤٨) .
- (6) زاد المسير (٤/٢٠٥) .
- (7) ينظر : الدر المنثور (٤/٥٢٠ - ٥٢٤) .

« قال مقيده — عفا الله عنه — : هذه الأقوال التي رأيت نسبتها إلى هؤلاء العلماء منقسمة إلى قسمين : قسم لم يثبت نقله عن نقل عنه بسند صحيح ، وهذا لا إشكال في سقوطه . وقسم ثبت عن بعض من ذكر ، ومن ثبت عنه منهم شيء من ذلك ، فالظاهر الغالب على الظن ، المزاحم لليقين : أنه تلقاه عن الإسرائيليات ؛ لأنه لا مجال للرأي فيه ، ولم يرفع منه قليل ولا كثير إليه > .

وبهذا تعلم أنه لا ينبغي التجرؤ على القول في نبيّ الله يوسف بأنه جلس بين رجلَيْ كافرةٍ أجنبيةٍ ، يريد أن يزي بها ؛ اعتماداً على مثل هذه الروايات . مع أن في الروايات المذكورة ما تلوح عليه لوائح الكذب ؛ كقصّة الكفّ التي خرجت له أربع مرات ، وفي ثلاث منهن لا يبالي بها ؛ لأن ذلك على فرض صحته فيه أكبر زاجر لعوامّ الفسّاق . فما ظنك بخيار الأنبياء ! »<sup>(١)</sup> . اهـ .

وقال أبوحيان : « وأما أقوال السلف فنعتقد أنه لا يصح عن أحدٍ منهم شيء من ذلك ؛ لأنها أقوال متكاذبة يناقض بعضها بعضاً ، مع كونها قاذحةً في بعض فسّاق المسلمين فضلاً عن المقطوع لهم بالعصمة . والذي رُوِيَ عن السلف لا يساعد عليه كلام العرب .... وقد طهرنا كتابنا هذا عن نقل ما في كتب التفسير مما لا يليق ذكره ، واقتصرنا على ما دل عليه لسان العرب . ومساق الآيات في هذه السورة مما يدل على العصمة وبراءة يوسف x من كل ما يشين »<sup>(٢)</sup> .

وقال الآلوسي : « ومن أمعن النظر في الحجج وأنصف جزم أنه لم يبق في يد الواحدي ومن وافقه إلاّ مجرد التصلّف وتعدد أسماء المفسرين ، ولم يجد معهم شبهة في دعواهم المخالفة لما شهد له الآيات البينات سوى روايات واهيات »<sup>(٣)</sup> .

وقد ردّ هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية بأن ما ينقلونه في ذلك ليس هو عن النبي > ، ولا مستند لهم فيه إلاّ النقل عن بعض أهل الكتاب . وقد عرف كلام اليهود في الأنبياء

(1) أضواء البيان (٣/ ٦٨) .

(2) البحر المحيط (٥/ ٢٩٥) . وتبعه البقاعي في نظم الدرر (٩/ ٦٤) وقال : وسبقه إلى ذلك الإمام الرازي وقال : (إن هذا قول المحققين من المفسرين) وأشيع في إقامة الدلائل على هذا بما يطرب الأسماع .

(3) روح المعاني (١٢/ ٢١٣ - ٢١٥) .

وغضهم منهم ، كما قالوا في سليمان ما قالوا ، وفي داود ما قالوا ، فلو لم يكن معنا ما يرد نقلهم لم نصدقهم فيما لم نعلم صدقهم فيه ، فكيف نصدقهم فيما قد دلّ القرآن على خلافه ... (١)

وكذا ردّه السيد محمد رشيد رضا (٢) ، وإن كان قد بالغ في الرد على السلف — عفا الله عنه — وتبعه المراغي في ردّه وتفنيده (٣) .

وسياًتي — إن شاء الله — كلام الرازي في تفنيد هذا القول وبيان القول الصواب .  
وأما القول الثاني : فهو قول مَنْ جعل أنّها هَمَّتْ به لتضربه على امتناعه ، وهمّ بها ليقتلها أو يضربها ليدفعها .

واختاره السيد محمد رشيد رضا وأطال في التدليل والتعليل له (٤) . وتبعه المراغي (٥) .

قال ابن جرير الطبري : « قالوا : والشاهد على صحة ذلك قوله : ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ﴾ . قالوا : فالسوء هو ما كان همّ بها من أذاها ، وهو غير الفحشاء ... فلولا أن يوسف رأى برهان ربه ، وكفّه ذلك عما همّ به من أذاها ، لا أنّها ارتدعت من قبل نفسها » (٦) .

ثم أفسده الطبري بمخالفته جميع أهل العلم بتأويل القرآن ، الذين عنهم يؤخذ تأويله (٧) .

واستبعده ابن جزيّ وردّه بقوله تعالى : ﴿ لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ .  
وحكاه الماوردي عن بعض المتأخرين (٨) . وحكاه ابن الجوزي عن ابن الأنباري لكن

في ﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾ فقط ، ولم يذكر تفسير ﴿ هَمَّتْ بِهِ ﴾ هذا : لتضربه على امتناعه ! (٩)

(1) ينظر : مجموع الفتاوى (١٥٠ / ١٤٨ - ١٥٠) .

(2) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (١٢ / ٢٢٧ - ٢٣٢) .

(3) ينظر : تفسير المراغي (١٢ / ١٣١) .

(4) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (١٢ / ٢٢٤ - ٢٢٥ ، ٢٣٠ - ٢٣٢) .

(5) ينظر : تفسير المراغي (١٢ / ١٣٠ ، ١٣١) .

(6) جامع البيان (١٣ / ٨٦) .

(7) ينظر : المصدر السابق (١٣ / ٨٦ - ٨٧) .

(8) ينظر : النكت والعيون (٣ / ٢٤) .

(9) ينظر : زاد المسير (٤ / ٢٠٦ - ٢٠٧) .

واستبعده السمعاني (١) . وضعفه ألبتة ابن عطية (٢) . واستغربه الكرمانى (٣) .

وذكره القرطبي ، والخازن ، وابن كثير بصيغة ( قيل ) (٤) .

وردّه الشنقيطي بأنه غير ظاهر بل بعيد من الظاهر ولا دليل عليه (٥) .

قال ابن قتيبة : « وقال بعضهم : وهم بضربها ! والله تعالى يقول : ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى

بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ . أفتراه أراد الفرار منها ، أو الضرب لها ، فلما رأى البرهان أقام عندها

وأمسك عن ضربها ؟! هذا ما ليس به خفاء ولا يغلط متأولّه » (٦) .

وأما القول الثالث : فهو قول من جعل همها به من حيث مرادها ، وهمه بما ليدفعها ،

فذكره ابن الجوزي عن ابن الأنباري (٧) ، وذكره النحاس لبعض أهل اللغة (٨) .

واستبعده ابن جزي لاختلاف سياق الكلام ، وضعفه ابن عطية (٩) .

وأما القول الرابع : فهو ما رجّحه ابن جزي وقال عنه : "إنه الصواب إن شاء الله" ،

وهو قول من جعل همها به من حيث مرادها ، وهم بها كذلك ، لكنه لم يعزم على ذلك ولم

يبلغ إلى ما ذكر من حلّ السراويل وغيرها ... بل كان همّه خطرةً خطرت على قلبه لم

يطعها ولم يتابعها لما رأى برهان ربّه .

وهذا القول يتضمّن التفريق بين الهممين ، فهنّ المرأة ترقى إلى العزيمة والإصرار ، وهنّ

يوسف مجردّ خاطرٍ قلبيّ صرفه عنه وازع التقوى .

قال الجصاص : « روي عن الحسن : ﴿بِهِ﴾ : بالعزيمة . ﴿وَهُمْ بِهَا﴾ : من جهة

(1) ينظر : تفسير القرآن (٣ / ٢٢) .

(2) ينظر : المحرر الوجيز (٧ / ٤٧٧) .

(3) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١ / ٥٣٣) .

(4) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (١١ / ٣١٢) ، ولباب التأويل (٣ / ١٣) ، وتفسير القرآن العظيم (٨ / ٣٠) .

(5) ينظر : أضواء البيان (٣ / ٦٠) .

(6) تأويل مشكل القرآن (٤٠٤) .

(7) ينظر : زاد المسير (٤ / ٢٠٧) .

(8) ينظر : معاني القرآن الكريم (٣ / ٤١٥) .

(9) ينظر : المحرر الوجيز (٧ / ٤٧٧) .

الشهوة ولم يعزم»<sup>(١)</sup> .

وقال الواحدي : « وذكر المتأخرون فرقا بين الهمّين ، فقال أبو العباس أحمد بن يحيى : همت المرأة بالمعصية مصرةً على ذلك ، وهمّ يوسف بالمعصية ولم يأتمها ولم يصرّ عليها فبين الهمّين فرقاً . وشرحه ابن الأنباري فقال : همت المرأة عازمةً على الزنا ، ويوسف عارضه ما يعارض البشر من خطرات القلب وحديث النفس فلم يلزمه هذا الهمُّ ذنباً ؛ إذ الرجل الصالح يخطر بقلبه وهو صائم شرب الماء البارد فإذا لم يشرب كان غير مؤاخذ بما هجس في نفسه»<sup>(٢)</sup> .

وعلى هذا القول ابن قتيبة ، والجصاص ، والزمخشري ، وابن العربي ، وابن الجوزي ، والرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والحازن ، وابن تيمية ، وابن القيم ، والثعالبي ، والآلوسي<sup>(٣)</sup> .

وكأن القرطبي ، وابن كثير يميلان إليه<sup>(٤)</sup> . وحمله ابن عطية على فرض كون يوسف نبياً في وقت هذه النازلة<sup>(٥)</sup> .

وجعله الشنقيطي جواباً صحيحاً في هذه المسألة<sup>(٦)</sup> .

قال القاسمي : « فإن الأنبياء ليسوا بمعصومين من حديث النفس ، وخواطر الشهوة الجبليّة ، ولكنهم معصومون من طاعتها ، والانقياد إليها . ولو لم توجد عندهم دواعٍ جبليّة ، لكانوا إما ملائكة أو عالماً آخر . ولما كانوا مأجورين على ترك المناهي ؛ لأنهم

(1) أحكام القرآن (٣٨٤/٤) . وينظر أيضاً : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣١٤/١١) ، ومدارك التنزيل للنسفي (٢١٧/٢) .

(2) الوسيط (٦٠٧/٢ - ٦٠٨) .

(3) ينظر : تأويل مشكل القرآن (٤٠٤) ، وأحكام القرآن (٣٨٤/٤ - ٣٨٥) ، والكشاف (٢٦٨/٣ - ٢٧٠) — إلا أن الزمخشري - عفا الله عنه - شنع على السلف في قولهم ذلك ثم وقع في زلةٍ ، حيث وصف المرأة بالزانية !! — ، وأحكام القرآن (١٠٨٢/٣) ، وزاد المسير (٢٠٣/٤ - ٢٠٤) ، ومفاتيح الغيب (٤٤٠/٦) ، وأنوار التنزيل (٤٨٣/١) ، ومدارك التنزيل (٢١٧/٢) ، ولباب التأويل (١٢/٣) ، ومجموع الفتاوى (١١٧/١٥) ، وبدائع التفسير (٤٤٦/٢) ، وروضة المحبين (٢٩٧) ، والجواهر الحسان (١٥١/٢) ، وروح المعاني (٢١٣/١٢) .

(4) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (٣١٤/١١ - ٣١٥) ، وتفسير القرآن العظيم (٢٩/٨ - ٣٠) .

(5) ينظر : المحرر الوجيز (٤٧٨/٧) .

(6) ينظر : أضواء البيان (٥٨ - ٥٩ ، ٦٢) .

يكونون مقهورين على تركها طبعاً . والعين لا يؤجر ويثاب على ترك الزنى ؛ لأن الأجر لا يكون إلا على عمل ، والترك بغير داعية ليس عملاً ، وأما الترك مع الداعية ، فهو كف النفس عما تشوّف إليه ، فهو عمل نفسي .

وحقيقة عصمة الأنبياء هي نزاهتهم ، وبعدهم عن ارتكاب الفواحش والمنكرات التي بعثوا لتزكية النفس منها ؛ لئلا يكونوا قدوة سيئة ، مفسدين للأخلاق والآداب ، وحنةً للسفهاء على انتهاك حرمت الشرائع . وليس معناها أنهم آلهة مترهون عن جميع ما يقتضيه الطبع البشري » (١) . اهـ .

ومجرد الهم لا ينافي العصمة ، فإنها قد وقعت العصمة عن الوقوع في المعصية . قاله الشوكاني (٢) .

وذكر الآلوسي عن الطيبي أن هذا التفسير هو الذي يجب أن نذهب إليه ونتخذه مذهباً . وإن نقل المفسرون ما نقلوا ؛ لأن متابعة النصّ القاطع وبراءة المعصوم عن تلك الرذيلة وإحالة التقصير على الرواة أولى بالمصير إليه ... (٣)

وعمدة هذا القول الفرق بين الهمين .

قال ابن قتيبة : « ولكنها همت منه بالمعصية هم نية واعتقاد ، وهم نبي الله < هما عارضاً بعد طول المراودة ، وعند حدوث الشهوة التي أتت أكثر الأنبياء في هفواتهم منها ... ولذلك قال يوسف < ﴿ وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ [ يوسف : ٥٣ ] ، يريد ما أضره وحدث به نفسه عند حدوث الشهوة . وقد وضع الله تعالى الحرجَ عمّن هم بخطيئة ولم يعملها » (٤) .

واستدل الجصاص على أن هم يوسف بها لم يكن من جهة العزيمة وإنما كان من جهة دواعي الشهوة ، بقوله : ﴿ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴾ وبقوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ ﴾ .

(1) محاسن التأويل (٩ / ٣٥٣٠) .

(2) فتح القدير (٣ / ٢٥) .

(3) روح المعاني (١٢ / ٢١٣) .

(4) تأويل مشكل القرآن (٤٠٤ - ٤٠٥) .

وقال : « فكان ذلك إخباراً ببراءة ساحته من العزيمة على المعصية »<sup>(١)</sup> .  
ونقل ابن القيم عن الإمام أحمد قوله : « الهمُّ هَمَّان : همُّ خطرتِ ، وهمُّ إصرارٍ ، فهمُّ  
الخطرات لا يؤاخذ به ، وهمُّ الإصرار يؤاخذ به »<sup>(٢)</sup> .  
وفرق الرازي بين الهمَّين وجعل همَّه × محتملاً لواحد من ثلاثة : إما أنه همٌّ بدفعها عن  
نفسه - وقد سبق استبعاده - وإما هم شهوة فقط ، وإما أنه حديث النفس<sup>(٣)</sup> .  
وقال النسفي : « همُّ الطباع مع الامتناع »<sup>(٤)</sup> .  
وأصل الهم حديث النفس حتى يظهر فيصير فعلاً ، ومنه قول جميل :  
هَمَمْتُ بِهَمٍّ مِنْ بُثَيْنَةَ لَوْ بَدَا شَفَيْتُ غَلِيْلَاتِ الْهُوَى مِنْ فُوَادِيَا<sup>(٥)</sup>  
والهمُّ بالشئ في كلام العرب : حديث المرءِ نفسه بمواقفته ، ما لم يواقع<sup>(٦)</sup> .  
قال ابن الجوزي : « ورجوعه عما همَّ به من ذلك خوفاً من الله تعالى يححو عنه سيء  
الهمِّ ، ويوجب له علوَّ المنازل . ويدل على هذا الحديث الصحيح عن رسول الله < : أن  
ثلاثة خرجوا فلجأوا إلى غار ، فانطبقت عليهم الصخرة ... الحديث<sup>(٧)</sup> . وفيه : ( قال  
أحدهم : اللهم إنك تعلم أنه كانت لي ابنةٌ عمِّ كانت أحب الناس إليّ . ( وفي رواية :  
كنت أحبها كأشدِّ ما يحب الرجال النساء ) فامتنعت مني حتى ألَمَّتْ بها السنين فجاءتني  
فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها  
( وفي رواية : فلما قعدت بين رجليها ) قالت : اتق الله ولا تفضِّ الخاتم إلا بحقه ، فانصرفت  
عنها وهي أحب الناس إليّ وتركت الذهب الذي أعطيتها ) وعلى هذا نقول : إنما هَمَمْتُ ،  
فترقَّتْ هَمَّتْها إلى العزيمة ، فصارت مُصِرَّةً على الزَّنا . فأما هو ، فعارضه ما يعارضُ البشرَ

(1) أحكام القرآن (٤/ ٣٨٥) .

(2) بدائع التفسير (٢/ ٤٤٦) .

(3) ينظر : مفاتيح الغيب (٦/ ٤٤٠) .

(4) مدارك التنزيل (٢/ ٢١٧) .

(5) ينظر : النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٤) .

(6) ينظر : جامع البيان لابن جرير الطبري (١٣/ ٨١) . وينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٢٠٣) .

(7) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب لب . أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٢٢١٥) في البيوع ،  
و(٢٢٧٢) في الإجارة ، و(٢٣٣٣) في الحرث والمزارعة ، و(٣٤٦٥) في أحاديث الأنبياء ، و(٥٩٧٤) في  
الأدب ، ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٩٩) برقم (٢٧٤٣) .

من خطرات القلب ، وحديث النفس ، من غير عزمٍ ، فلم يلزمه هذا الهمُّ ذنبًا ؛ فإن الرجل الصالح قد يخطر بقلبه وهو صائم شربُ الماءِ البارد ، فإذا لم يشرب لم يؤاخذ بما هجس في نفسه . وقد قال < : ( عفي لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل ) (١) .  
وقال < : ( هلك المصرون ) (٢) . وليس الإصرار إلاّ عزم القلب . فقد فرّق بين حديث النفس وعزم القلب .

وسئل سفيان الثوري : أيؤاخذ العبد بالهمة ؟ فقال : إذا كانت عزمًا .  
ويؤيده الحديث الصحيح عن رسول الله < أنه قال : ( يقول الله تعالى : إذا همَّ عبدي بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه ، فإن عملها كتبتها عليه سيئة ) (٣) .  
واحتج القاضي أبو يعلى على أن همته لم تكن من جهة العزيمة ، وإنما كانت من جهة دواعي الشهوة بقوله : ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي ﴾ وقوله : ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ﴾ وكل ذلك إخبار ببراءة ساحته من العزيمة على المعصية .

فإن قيل : فقد سوى القرآن بين المهمتين ، فلم فرّقتم ؟  
فالجواب : أن الاستواء وقع في بداية الهمة ، ثم ترقّت همتها إلى العزيمة ، بدليل مرادتها واستلقائها بين يديه ، ولم تعدّ همته مقامها ، بل نزلت عن رتبتها ، وانحلّ معقودها ، بدليل هربه منها ، وقوله : ﴿ مَعَاذَ اللَّهِ ﴾ ، وعلى هذا تكون هِمَّتُهُ مُجَرَّدَ خَاطِرٍ لم يخرج إلى العزم « (٤) . انتهى كلام ابن الجوزي .

وأجاد الشنقيطي وأفاد في التدليل على أن همَّ يوسف × كان خاطراً قلبياً صُرِفَ عنه بوازع التقوى فلا معصية فيه ؛ لأنه أمرٌ جبليٌّ لا يتعلّق به التكليفُ . قال : « كما في الحديث عنه < : أنه كان يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول : ( اللهم هذا قسمي فيما أملك ،

(1) أخرجه البخاري برقم (٢٥٢٨) في العتق ، ويرقم (٥٢٦٩) في الطلاق ، ويرقم (٦٦٦٤) في الأيمان والنذور ، ومسلم (١١٦/١) برقم (١٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(2) لم أقف عليه مرفوعاً ، وإنما هو من قول قتادة . أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٦٦/٦) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٢٨/٢) نسبته إلى عبد بن حميد .

(3) أخرجه مسلم في صحيحه (١١٧/١) برقم (١٢٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(4) زاد المسير (٤/٢٠٤ - ٢٠٥) بتصريف يسير .

فلا تلمني فيما لا أم لك ( <sup>(١)</sup> ) . يعني : ميل القلب الطبيعي .

- ومثال هذا : مَيْلُ الصائم بطبعه إلى الماء البارد ، مع أن تقواه تمنعه من الشرب وهو صائم .

- وقد قال < : ( ومن همّ بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة كاملة ) ( <sup>(٢)</sup> ) ؛ لأنه ترك ما تميل إليه نفسه بالطبع خوفاً من الله ، وامتنالاً لأمره ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ [ النازعات : ٤٠ - ٤١ ] .

- وهمّ بنو حارثة وبنو سلمة بالفرار يوم أحد ، كهّم يوسف هذا ، بدليل قوله : ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾ [ آل عمران : ١٢٢ ] ؛ لأن قوله : ﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾ يدل على أن ذلك الهَمّ ليس بمعصية ؛ لأن إتباع المعصية بولاية الله لذلك العاصي إغراء على المعصية .

- والعرب تطلق الهَمّ وتريد به المحبة والشهوة ، فيقول الإنسان فيما لا يحبّه ويشتهيّه : هذا ما يهمني ، ويقول فيما يحبّه ويشتهيّه : هذا أهم الأشياء إليّ . بخلاف هم المرأة العزيز ، فإنه همُّ عزمٍ وتصميم ، بدليل أنها شَقَّتْ قميصه من دبر وهو هارب عنها ، ولم يمنعها من الوقوع فيما لا ينبغي إلاّ عجزها عنه « <sup>(٣)</sup> . انتهى كلامه .

وأظن الرازي في ذكر الوجوه الدالّة على هذا القول ومنها :

- قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ﴾ يدل على أن ماهية السوء والفحشاء مصروفة عنه .

- أنه لو صدر منه الهَمُّ المحرم والعزم عليه لأتبعه بإظهار الندامة والتوبة والاستغفار ،

(1) أخرجه الدارمي في سننه (١٩٣/٢) (٢٢٠٧) ، وأبو داود في سننه (٢٤٢/٢) (٢١٣٤) ، والحاكم في مستدرکه (٢٠٤/٢) ، والبيهقي في معرفة السنن والآثار (٤٢٤/٥-٤٢٥) (٤٣٧٢) وفي سننه الصغرى (٢٨٠/٦) نسخة الأعظمي (٢٦١٣) ، والكبرى (٢٩٨/٧) من حديث عائشة . قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .

(2) أخرجه أحمد في مسنده برقم (٧٢٩٦) ، والبخاري في التوحيد برقم (٧٥٠١) من حديث أبي هريرة . وأخرجه مسلم في صحيحه (١١٨/١) برقم (١٣١) من حديث ابن عباس .

(3) أضواء البيان (٣/ ٥٨ - ٥٩) .

ولو فعل لحكي عنه ذلك ، وحيث لم يوجد شيء من ذلك علمنا أنه ما صدر عنه هم محرم وعزم .

- أن الذين لهم تعلق بهذه الواقعة شهدوا ببراءته :

= أما يوسف فادعى البراءة بقوله : ﴿ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي ﴾ [يوسف : ٢٦] وقوله :

﴿ رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ [يوسف : ٣٣] .

= وأما المرأة فقالت : ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاَسْتَعْصَمَ ﴾ [يوسف : ٣٢] . وقالت :

﴿ اَلَكُنْ حَصْحَصَ الْحَقِّ اَنَا رَاوَدتُّهُ عَنْ نَفْسِهِ وَاِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِيْنَ ﴿٥١﴾ ذٰلِكَ لِيَعْلَمَ اَنِّي لَمْ اُخْنَهُ

بِالْغَيْبِ وَاَنَّ اللّٰهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخٰٓئِنِيْنَ ﴾ [يوسف : ٥١ - ٥٢] .

= وأما زوجها فقال : ﴿ اِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ اِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيْمٌ ﴿٢٨﴾ يُوْسُفُ اَعْرَضَ عَنَّا

هٰذَا وَاَسْتَغْفِرِيْ لِذَنبِكِ اِنَّكَ كُنْتِ مِنَ الْخٰٓطِئِيْنَ ﴾ [يوسف : ٢٨ - ٢٩] .

= وأما الشاهد من أهلها فقوله : ﴿ اِنْ كَانَتْ قَمِيْصُهُ قَدْ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ

الْكَٰذِبِيْنَ ﴿٢٦﴾ وَاِنْ كَانَتْ قَمِيْصُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ ﴾ [يوسف : ٢٦ - ٢٧]

= وأما شهادة الله تعالى فقوله : ﴿ كَذٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوْءَ وَالْفَحْشَآءَ اِنَّهُ مِنْ

عِبَادِنَا الْمُخْلَصِيْنَ ﴾ .

= وأما إبليس فقد قال : ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَا اَعُوْثِيْهِمْ اَجْمَعِيْنَ ﴿٨٢﴾ اِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ

الْمُخْلَصِيْنَ ﴾ [ص : ٨٢ - ٨٣] . فأقر بأنه لا يمكن إغواء المخلصين ، ويوسف منهم <sup>(١)</sup> .

وهذه الأوجه الحسنة أخذها ابن تيمية وتقبلها بقبول حسن ، ونسقتها ورتبها وزادها

قوة وبلاغة <sup>(٢)</sup> .

وكذلك الشنقيطي ثم علق على آخر كلام الرازي الذي تهجم فيه على السلف فقال :

(1) ينظر : مفاتيح الغيب (٦/٤٤٠ - ٤٤١) . وينظر : لباب التأويل للخازن (٣/١٣) ، وغرائب القرآن ورغائب

الفرقان للقمي (٤/٧٩) .

(2) ينظر : مجموع الفتاوى (١٥/١٤٨ - ١٥٠) .

«ولا يخفى ما فيه من قلة الأدب مع من قال تلك المقالة من الصحابة وعلماء السلف الصالح. وعذُرُ الرازي في ذلك هو اعتقاده أن ذلك لم يثبت عن أحد من السلف الصالح»<sup>(١)</sup>.

وأما القول الخامس في هذه المسألة فهو : أن الكلام تَمَّ عند قوله : ﴿يَهْمُ﴾ ثم استأنف : ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ . والمعنى : لولا أن رأى برهان ربه لهم بها. أي : فلم يهَمَّ بها ، ولم يقع منه همُّ بها أَلْبَتَّةَ . وعليه فإما أن يكون قوله : ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ هو جواب ﴿لَوْلَا﴾ أو دليل الجواب .

وهذا القول هو معنى ما ذكره ابن جُزَيِّ في تفسير قوله تعالى : ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ وضعَّف أن يكون ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ هو جواب لولا ، وقدَّر الجواب المحذوف بقوله (الخالطها)<sup>(٢)</sup> . ونُسِبَ هذا القول إلى قطرب<sup>(٣)</sup> ، وأبي عبيدة<sup>(٤)</sup> . وعليه محمود النيسابوري، والعكبري، والرازي، وأبوحيان، والسمين، والبقاعي، وأبوالسعود، والخفاجي، والقاسمي، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي<sup>(٥)</sup> . وقدَّمه القرطبي كأنه يختاره<sup>(٦)</sup> .

قال الشهاب الخفاجي : « لا يمكن الهمُّ فضلاً عن الوقوع فيه ، هذا هو الذي يجب اعتقاده والحمل عليه » .

ولما نقل القاسمي كلام أبي حيان في هذا قال : « فالآية حينئذٍ ناطقة بأنه لم يهَمَّ

(1) أضواء البيان (٣/٥٦ - ٥٨) .

(2) وهي عبارة الزمخشري في الكشاف (٣/٢٦٨) .

(3) ينظر : تفسير القرآن للسمعاني (٣/٢٢) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٤/٢٠٦) .

(4) نسبه له أبو حاتم كما في القطع والانتفاء للنحاس (١/٣٣١) ، وينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/٣١١) ، ولباب التأويل للخازن (٣/١٣) .

(5) ينظر : وضع البرهان (١/٤٥٣) وإيجاز البيان (١/٣٤٣) ، والتبيين (٢/٧٢٩) ، ومفاتيح الغيب (٦/٤٤١) ، والبحر المحييط (٥/٢٩٥) ، والدر المصون (٦/٤٦٧) ، ونظم الدرر (٩/٦٣) ، وإرشاد العقل السليم (٣/٩٥، ٩٤) ، وحاشية الشهاب (٥/١٦٩) ، ومحاسن التأويل (٩/٣٥٢٨ - ٣٥٢٩) ، والتحرير والتنوير (١٢/٢٥٢ - ٢٥٣) ، وأضواء البيان (٣/٦٠) .

(6) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (١١/٣١١) .

أصلاً».

وقال الشنقيطي : « قال مقيده عفا الله عنه : هذا الوجه الذي اختاره أبوحيان وغيره هو أجرى الأقوال على قواعد اللغة العربية » .

وذكره ابن عطية وردّه بقوله : « وهذا قولُ يردّه لسان العرب وأقوال السلف »<sup>(١)</sup> .  
وذكره ابن كثير بصيغة ( قيل ) وقال : « وفي هذا القول نظر من حيث العربية ، ذكره ابن جرير وغيره »<sup>(٢)</sup> .

ومن أنكر تقديم جواب ﴿لَوْلَا﴾ عليها : الجصاص، والسمعاني ونسبه للنحاة، والكرماني، والبغوي، والباقولي، والبيضاوي، والنسفي<sup>(٣)</sup> . ونُسب إنكاره لابن الأنباري<sup>(٤)</sup> .

قال ابن جرير الطبري : « العرب لا تقدّم جواب ﴿لَوْلَا﴾ قبلها ، لا تقول : لقد قمتُ لولا زيد . وهي تريد : لولا زيدُ لقد قمتُ »<sup>(٥)</sup> .

وقال الزجاج : « وليس في الكلام بكثير أن تقول : ضربتك لولا زيد ، ولا : هممت بك لولا زيد ، إنما الكلام : لولا زيد هممت بك . و ﴿لَوْلَا﴾ تجاب باللام ، فلو كان : ولقد همت به ولهمّ بها لولا أن رأى ، أي : برهان ربه ، لكان يجوز على بُعْدٍ »<sup>(٦)</sup> .  
وقال النحاس : « وهذا القول عندي محال ولا يجوز في اللغة ولا في كلام من كلام العرب . لا يقال : قام فلان إن شاء الله ، ولا : قام فلان لولا فلان »<sup>(٧)</sup> .  
وحجتهم أن "لولا" في حكم الشرط ولها صدر الكلام . « وتقدم جوابها عليها شاذّ

(1) المحرر الوجيز (٧/٤٨٠) .

(2) تفسير القرآن العظيم (٨/٣٠) .

(3) ينظر : أحكام القرآن (٤/٣٨٥) ، وتفسير القرآن (٣/٢٢) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (١/٥٣٣) ، ومعالم التنزيل (٢/٤٥٠) ، وكشف المشكلات (١/٥٤٤) ، وأنوار التنزيل (١/٤٨٤) ، ومدارك التنزيل (٢/٢١٧) .

(4) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٤/٢٠٦) .

(5) جامع البيان (١٣/٨٦) .

(6) معاني القرآن وإعرابه (٣/١٠١) .

(7) إعراب القرآن (٢/٣٢٣) .

مستكره ، لا يوجد في فصيح كلام العرب » . قاله ابن الجوزي <sup>(١)</sup> .

وذهب القائلون بهذا القول إلى جواز تقديم جواب لولا عليها ، إذ لا دليل على المنع .  
قال أبو حيان : « لا يقوم دليل على امتناع تقدم جواب لولا عليها ، بل صريح أدوات  
الشرط العاملة مختلف في جواز تقديم أجوبتها عليها » .

ثم قال : « ولا التفات لقول الزجاج "ولو كان الكلام : وَلَهُمْ بِهَا كان بعيداً ،  
فكيف مع سقوط اللام " ؛ لأنه يوهم أن قوله : ﴿وَهُمْ بِهَا﴾ هو جواب لولا ، ونحن لم  
نقل بذلك ، وإنما هو دليل الجواب . وعلى تقدير أن يكون نفس الجواب ، فاللام ليست  
بلازمة ؛ لجواز أن ما يأتي جواب لولا إذا كان بصيغة الماضي باللام وبغير لام ، تقول : لولا  
زيدٌ لأكرمتك ، ولولا زيد أكرمتك <sup>(٢)</sup> . فمن ذهب إلى أن قوله : ﴿وَهُمْ بِهَا﴾ هو نفس  
الجواب لم يبعد . وقد استدل من ذهب إلى جواز ذلك بوجوده في لسان العرب ، قال الله تعالى :  
﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [ القصص :  
١٠ ] . فقوله : ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾ إما أن يتخرّج على أنه الجواب ... وإما أن  
يتخرّج على ما ذهبنا إليه من أنه دليل الجواب والتقدير : لولا أن ربطنا على قلبها لكادت  
تبدي به » <sup>(٣)</sup> . اهـ .

وقال الشنقيطي : « لأن الغالب في القرآن وفي كلام العرب : أن الجواب المحذوف

يذكر قبله ما يدلّ عليه ، كقوله : ﴿فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [ يونس : ٨٤ ] . أي :  
إن كنتم مسلمين فتوكلوا عليه ، فالأول : دليل الجواب المحذوف لا نفس الجواب ؛ لأن  
جواب الشروط وجواب "لولا" لا يتقدّم ، ولكن يكون المذكور قبله دليلاً عليه كالأية  
المذكورة ، وكقوله : ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [ البقرة :  
١١١ ] أي : إن كنتم صادقين فهاتوا برهانكم . وعلى هذا القول فمعنى الآية : وهمّ بها لولا

(1) زاد المسير (٤/ ٢٠٥ - ٢٠٦) .

(2) قال السمين في الدر المصون (٦/ ٤٦٨) : وأما قوله : ( ولو كان الكلام " ولهم بها " فغير لازم ؛ لأنه متى كان  
جواب " لو " و " لولا " مثبتاً جاز فيه الأمران : اللام وعدمها ، وإن كان الإتيان باللام هو الأكثر) .

(3) البحر المحيط (٥/ ٢٩٥) .

أن رأى برهان ربه ، أي : لولا أن رآه هَمَّ بها . فما قبل "لولا" هو دليل الجواب المحذوف ، كما هو الغالب في القرآن واللغة . ونظير ذلك قوله تعالى : ﴿ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَّنَا عَلَي قَلْبِهَا ﴾ فما قبل "لولا" دليل الجواب . أي : لولا أن ربطنا على قلبها لكادت تبدي به . واعلم أن جماعة من علماء العربية أجازوا تقديم جواب "لولا" وتقديم الجواب في سائر الشروط . وعلى هذا القول : يكون جواب "لولا" في قوله : ﴿ لَوْلَا أَن رَّآ بَرَهَانَ رَبِّهِ ﴾ هو ما قبله من قوله : ﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾ . وإلى جواز التقديم المذكور ذهب الكوفيون ، ومن أعلام البصريين : أبو العباس المبرد ، وأبو زيد الأنصاري «<sup>(١)</sup> . اهـ .

وعلل عليه الطاهر بن عاشور تقديم الجواب على شرطه للاهتمام به . وقال : « لم يقرن الجواب باللام التي يكثر اقتران جواب "لولا" بها ؛ لأنه ليس لازماً ، ولأنه لما قُدم على "لولا" كره قرنه باللام قبل ذكر حرف الشرط ، فيحسن الوقف على قوله : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ﴾ ؛ ليظهر معنى الابتداء بجملة ﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾ واضحاً . وبذلك يظهر أن يوسف — عليه السلام — لم يخالطه همٌ بامرأة العزيز ؛ لأن الله عصمه من الهم بالمعصية بما أراه من البرهان » .

وقال : « وطعن في هذا التأويل الطبري بأن جواب "لولا" لا يتقدم عليها . ويدفع هذا الطعن أن أبا عبيدة <sup>(٢)</sup> لما قال ذلك علمنا أنه لا يرى منع تقديم جواب "لولا" . على أنه قد يجعل المذكور قبل "لولا" دليلاً للجواب ، والجواب محذوفاً ؛ لدلالة ما قبل "لولا" عليه «<sup>(٣)</sup> . وذكر الرازي أدلة كثيرة وأوجهها كثيرة <sup>(٤)</sup> ، وناقش كلام الزجاج مقرراً تقديم جواب ﴿ لَوْلَا ﴾ عليها وقال : « والذي يدل على أن جواب "لولا" هو قوله : ﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾ ،

(1) أضواء البيان (٣/ ٦٠) .

(2) قال الطاهر : قال أبو حاتم : كنت أقرأ غريب القرآن على أبي عبيدة فلما أتيت على قوله : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ﴾ الآية . قال أبو عبيدة : هذا على التقديم والتأخير ، أي : تقديم الجواب وتأخير الشرط ، كأنه قال : ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه هَمَّ بها .

(3) التحرير والتنوير (١٢/ ٢٥٣) .

(4) ينظر : مفاتيح الغيب (٦/ ٤٤٠ - ٤٤٢) .

أن "لولا" تستدعي جواباً ، وهذا المذكور المقدم يصلح جواباً لها ، فوجب الحكم بكون هو الجواب . والأصل أن لا يكون محذوفاً ، وإنما يحسن حذفه إذا كان في اللفظ ما يدل عليه»<sup>(١)</sup> .

ودلّ البقاعي على أن يوسف × لم يقع منه همٌّ بأساليب هذه الآيات من جعله من المخلصين والمحسنين المصروف عنهم السوء والفحشاء ، وأن السجن أحب إليه من ذلك ، وقيام الدليل القاطع على كذب ما تضمنه قولها : ﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا ﴾ الآية [ يوسف : ٢٥ ] من مطلق الإرادة .

ثم قال : « ومع تحتم تقديم ما ذكر بعد ﴿ لَوْلَا ﴾ في خصوص هذا التركيب من أساليب كلام العرب ، فإنه يجب أن يكون المقدّر بعد كل شئ من معنى ما دلّ عليه ما قبله . وهذا مثل قوله تعالى : ﴿ إِنْ كَادَتْ لَتُبْدَىٰ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ﴾ أي : لأبدت به »<sup>(٢)</sup> .

وقال أبو السعود : « وإنما عبّر عنه بالهمّ لمجرد وقوعه في صحبة همّها في الذكر بطريق المشاكلة لا لشبهه به كما قيل . ولقد أشير إلى تباينهما حيث لم يلزاً في قرنٍ واحدٍ من التعبير بأن قيل : ولقد همّا بالمخالطة أو : همّ كل منهما بالآخر . وصدر الأول بما يقرر وجوده من التوكيد القسمي ، وعقب الثاني بما يعفو أثره من قوله لأ : ﴿ لَوْلَا أَنْ رَعَا بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ »<sup>(٣)</sup> .

وأما القائلون بأن جواب "لولا" محذوف ، ولم يقدروه بـ ﴿ هَمَّ بِهَا ﴾ ، فقد اختلفوا في تقديره ، وعباراتهم بمعنى واحد : لواقعها<sup>(٤)</sup> ، لخالطها<sup>(٥)</sup> ، لجامعها<sup>(٦)</sup> ، لأمضى ما همّ به<sup>(٧)</sup> ،

(1) المصدر السابق (٦ / ٤٤٢) .

(2) نظم الدرر (٩ / ٦٤) .

(3) إرشاد العقل السليم (٣ / ٩٤) .

(4) ينظر : تفسير مقاتل (٢ / ٣٢٩) ، ومعالم التنزيل للبغوي (٢ / ٤٥٤) .

(5) ينظر : الكشف للزمخشري (٣ / ٢٦٨) ، ولباب التأويل للخازن (٣ / ١٢) ، والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (٢ / ١١٧) .

(6) ينظر : تفسير الجلالين للسيوطي ( الفتوحات الإلهية ٤ / ٢٦ ) .

(7) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٣ / ١٠١) ، والوجيز (١ / ٥٤٣) ، وغرائب التفسير (١ / ٥٣٣) .

لفعل أو لارتكب المعصية<sup>(١)</sup>، لكان منه كذا وكذا<sup>(٢)</sup>، لكان ما كان<sup>(٣)</sup>، لفعل ما همَّ به<sup>(٤)</sup>، لجرى على موجب ميله الجبلي<sup>(٥)</sup>.

وبعد، فإذا تقرر ذلك فإن الصواب في معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا

لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهٖ ﴾ لا يتعدى أحد أمرين :

إما أن يكون لم يقع من يوسف × همُّ بها أصلاً ، بناءً على تعليق همَّه على عدم رؤية البرهان . وقد رأى البرهان .

وإما أن يكون همُّه الميلَ الطبيعي والخاطر القلبي المزموم بالتقوى ، والعلم عند الله تعالى<sup>(٦)</sup> . وعلى هذا الأخير ابن جزيّ .

ومما يؤيد هذا القول أنه ( لا يصح حمل الآية على تفسيرات وتفصيلات لأمر مغيبة لا دليل عليها من القرآن أو السنة )<sup>(٧)</sup> .

والقول بذلك فيه تعظيمٌ لمقام النبوة ولا ينسب إليها ما لا يليق بها . وكل قول طعن في عصمة النبوة فهو مردود<sup>(٨)</sup> . والله تعالى أعلم .

(1) ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية (٤٨٠/٧) .

(2) ينظر : مشكل إعراب القرآن لمكي (١/٣٨٤) .

(3) ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/٣١٦) ، ومدارك التنزيل للنسفي (٢/٢١٧) .

(4) ينظر : فتح القدير للشوكاني (٣/٢٥) ، وفتح البيان للقنوجي (٦/٣١٤) .

(5) ينظر : إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٣/٩٥) ، وروح المعاني للآلوسي (١٢/٢١٣) .

(6) ينظر : أضواء البيان للشنقيطي (٣/٦٨) .

(7) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/٢٢٥) .

(8) ينظر : المصدر السابق (١/٣٢٨) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَهِيَ عَنْ نَفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۗ ﴾

﴿ إِنَّا لَنَرْنَهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (٣٠)

## ١٢ - الخلاف في معنى ﴿ شَغَفَهَا ﴾

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « ﴿ شَغَفَهَا ﴾ : بلغ شِعَافَ قلبها وهو غلافه .  
وقيل: السويداء منه . وقيل : الشغاف داء يصل إلى القلب » (١) .

### العرض والمناقشة :

معنى قوله تعالى : ﴿ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾ : تمكَّنَ حُبُّ يوسف من المرأة حتى بلغ شغاف قلبها . واختلفَ في معنى شغاف القلب ، فرجَّح ابنُ جُزَيِّ أنه غلافه . وبهذا فسَّر ابن عباس فقال : « حجاب القلب » (٢) . مثله منسوبًا إلى الكلبي (٣) .

وقال السدِّي : « جلدة على القلب ، لباس القلب . يقول : ما دخل ذلك الجلد حتى أصاب القلب » (٤) .

وقال سفيان : « جلدة رقيقة تكون على القلب بيضاء ، حُبُّه خرقَ ذلك الجلد ، حتى وصل إلى القلب » (٥) .

وعلى هذا أبو عبيدة، والبخاري، وابن جرير الطبري، والنحاس، وغلان ثعلب، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، ومكي، والزمخشري، وابن عطية، ومحمود النيسابوري، والعكبري، والبيضاوي، والنسفي، والحاازن، والقمي، والقرشي اليماني، وأبو حيان، وابن التركماني، والسمين، وابن كثير، والثعالبي، والبقاعي، والسيوطي، وأبو السعود، والشوكاني،

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ١١٨) .

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧ / ٢١٣١) رقم (١١٥٢٣) من طريق أبي روق ، عن الضحاك ، عنه .

(3) ينظر : تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢ / ٣٢٣) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣ / ١١٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧ / ٢١٣١) رقم (١١٥٢٦) من طريق أسباط ، عنه .

(5) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧ / ٢١٣١) رقم (١١٥٢٧) من طريق أحمد بن صالح ، عنه .

والألوسي، والقنوجي، والقاسمي، والمراغي، والطاهر<sup>(١)</sup>. وقدمه الزجاج ومال إليه<sup>(٢)</sup>.  
قال الراغب: «أي: أصاب شغاف قلبها. وهو باطنه، عن الحسن. ووسطه، عن  
أبي علي الفارسي»<sup>(٣)</sup>.

وتبعه السمين وزاد: «وقيل: الشغاف: جليدة رقيقة تسمى غشاء القلب»<sup>(٤)</sup>.  
واستدلوا له بقول النابغة الذبياني:

ولكن همًّا دون ذلك والجُجْ مكان الشغافِ تبتغيه الأصابع<sup>(٥)</sup>

وبقول امرئ القيس:

لتقتلني وقد شغفتُ فؤادها كما شغفت المهنوءة الرجل الطالي<sup>(٦)</sup>

(1) ينظر: مجاز القرآن (٣٠٨/١)، وصحيح البخاري (في كتاب التفسير، سورة يوسف)، وجامع البيان (١١٥/١٣)، ومعاني القرآن الكريم (٤١٨/٣ - ٤١٩)، وياقوتة الصراط (٢٧٤)، وبحر العلوم (١٥٩/٢)، وتفسير القرآن العزيز (٣٢٣/٢)، وتفسير المشكل (٢٠٤)، والكشاف (٢٧٥/٣)، والمحرم الوجيز (٤٨٩/٧)، ووضح البرهان (٤٥٥/١)، وإيجاز البيان (٣٤٤/١)، والتبيان (٧٣٠/٢)، وأنوار التنزيل (٤٨٤/١)، ومدارك التنزيل (٢١٩/٢)، ولباب التأويل (١٦/٣)، وغرائب القرآن وغرائب الفرقان (٨٢/٤)، والترجمان عن غريب القرآن (٧١)، والبحر المحييط (٢٩٩/٥)، وبهجة الأريب (٢٧٩/١)، والدر المصون (٤٧٥/٦)، وتفسير القرآن العظيم (٣٥/٨)، والجواهر الحسان (١٥٣/٢)، ونظم الدرر (٧١/٩)، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٣١/٤)، وإرشاد العقل السليم (١٠٠/٣)، وفتح القدير (٢٩/٣)، وروح المعاني (٢٢٦/١٢)، وفتح البيان (٣٢١/٦)، ومحاسن التأويل (٣٥٣٤/٩)، وتفسير المراغي (١٣٦/١٢)، والتحرير والتنوير (٢٦٠/١٢).

(2) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (١٠٥/٣).

(3) مفردات ألفاظ القرآن (٤٥٧) مادة (شغف).

(4) عمدة الحفاظ (٢٧٧/٢) مادة (شغف).

(5) ديوان النابغة (٤٥). وينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (٣٠٨/١)، والأمامي للقالبي (٢٠٥/١)، والصحاح،

واللسان، والتاج مادة (شغف). وأنشده الطبري في جامع البيان (١١٥/١٣):

وقد حال همُّ دون ذلك داخلٌ دخولَ شغافٍ تبتغيه الأصابع

وفي الديوان: الشغاف. وتبتغيه الأصابع: أي: تلمسه أصابع المتطبين ينظرون أنزل في الموضوع أم لا؟ وإنما

يتزل عند البرء.

(6) ديوان امرئ القيس (١٢٦). وينظر: وضح البرهان للنيسابوري (٤٥٥/١ - ٤٥٦). والمهنوءة: الناقة تطلّى

بالقطران، فإنها في هذه الحالة قد يغشى عليها.

وأما القول الثاني بأن الشَّعْفَ هو سويداء القلب ، فنسب إلى الزجاج <sup>(١)</sup> .  
واختاره السعدي <sup>(٢)</sup> .

وذكره السمعاني، وابن عطية، وأبو حيان، وابن التركماني، والسمين، والثعالبي،  
والألوسي بصيغة ( قيل ) <sup>(٣)</sup> .

وقال الماوردي : « قيل : إنه حبة القلب » <sup>(٤)</sup> .

وأما القول الثالث بأن الشغاف داءٌ يصل إلى القلب ، فذكره الزجاج، والنحاس، وابن  
عطية، ومحمود النيسابوري، والقرطبي، وأبو حيان، والسمين، والثعالبي بصيغة ( قيل ) <sup>(٥)</sup> .

ونقل ابن الجوزي عن الأصمعي أنه قال : « الشَّعْفُ عند العرب : داءٌ يكون تحت  
الشراسيف في الجانب الأيمن من البطن . والشراسيف : مقاطٌ رؤوس الأضلاع ، واحدها :  
شُرْسُوف » <sup>(٦)</sup> .

قال النحاس : « وأنشد الأصمعي للراجز :

يَتَّبَعُهَا وَهِيَ لَهُ شَعْفٌ » <sup>(٧)</sup> .

وقال محمود النيسابوري : « وقال أبو عمرو الشيباني : الشغاف : داءٌ تحت  
الشراسيف » <sup>(٨)</sup> .

وعلى هذا المعنى أنشد ابن منظور بيت النابغة الذبياني :

(1) ينظر : الوسيط للواحد ( ٦١٠ / ٢ ) ، وزاد المسير لابن الجوزي ( ٢١٤ / ٤ ) .

(2) ينظر : تيسير الكريم الرحمان ( ٤١٠ / ٢ ) .

(3) ينظر : تفسير القرآن ( ٢٥ / ٣ ) ، والمحزر الوجيز ( ٤٨٩ / ٧ ) ، والبحر المحيط ( ٢٩٩ / ٥ ) ، وبهجة الأريب

( ٢٧٩ / ١ ) ، والدر المصون ( ٤٧٥ / ٦ ) ، والجواهر الحسان ( ١٥٣ / ٢ ) ، وروح المعاني ( ٢٢٦ / ١٢ ) .

(4) النكت والعيون ( ٣٠ / ٣ ) .

(5) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ( ١٠٥ / ٣ ) ، ومعاني القرآن الكريم ( ٤١٩ / ٣ ) ، والمحزر الوجيز ( ٤٨٩ / ٧ ) ، وإيجاز

البيان ( ٣٤٤ / ١ ) ، والجامع لأحكام القرآن ( ٣٢٧ / ١١ ) ، والبحر المحيط ( ٢٩٩ / ٥ ) ، والدر المصون ( ٤٧٥ / ٦ ) ،

والجواهر الحسان ( ١٥٣ / ٢ ) .

(6) زاد المسير ( ٢١٤ / ٤ ) .

(7) معاني القرآن الكريم ( ٤١٩ / ٣ ) .

(8) وضع البرهان ( ٤٥٥ / ١ ) .

وقد حالَ هَمٌّ دون ذلكِ والِحٌ مكان الشُّعَافِ تبتغيه الأصابع<sup>(١)</sup>  
 وجمع السيد محمد رشيد رضا بين القولين الأولين فقال : « أي : قد احترق حُبُّه  
 شُعَافَ قلبها ، أي : غلافه المحيط به ، وغاص في سويدائه ، فملك عليها أمرها  
 ... »<sup>(٢)</sup> . وكذا المراغي<sup>(٣)</sup> .

وقال القرطبي بعد ذكره الأقوال في معنى الشغاف : « والمعنى في هذه الأقوال  
 متقارب ، والمعنى : وصل حُبُّه إلى شُعَافِها ، فغلب عليه »<sup>(٤)</sup> .

وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن الاتفاق حاصل على معنى الآية الكريمة ﴿ قَدْ شَغَفَهَا  
 حُبًّا ﴾ مِنْ أَنْ حَبَّه بَلَغَ شُعَافَ قَلْبِهَا . والخلاف قائم في معنى الشغاف ، وفي لسان  
 العرب ما يفيد إطلاقه على المعاني الثلاثة<sup>(٥)</sup> . وعلى المعنى الأول الذي رجَّحه ابن  
 جُزَيِّ بتقديمه أكثر المفسرين وأكثر أهل اللغة ، ولذا كان أوَّلَى من غيرها ، والله تعالى  
 أعلم .

(1) لسان العرب (٩/ ١٧٨ - ١٧٩) مادة ( شغف ) .

(2) تفسير القرآن الحكيم (١٢/ ٢٣٥) .

(3) ينظر : تفسير المراغي (١٢/ ١٣٨) .

(4) الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٣٢٦) .

(5) ينظر : لسان العرب لابن منظور (٩/ ١٧٨ - ١٧٩) مادة ( شغف ) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا

وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيْنَ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا

إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾

في هذه الآية الكريمة مسألتان :

المسألة الأولى هي :

١٣ - الخلاف في معنى ﴿ مُتَّكًا ﴾ .

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « أي : أعدت لهن ما يتكأ عليه من الفرش ونحوها .  
وقيل : المتكأ هو الطعام . وقرئ في الشواذ : ﴿ مُتَّكًا ﴾ بسكون التاء وتنوين الكاف (١) ،  
وهو الأترج (٢) . وإعطاؤها السكاكين لهن يدل على أن الطعام كان مما يقطع بالسكاكين  
كالأترج . وقيل : كان لحمًا » (٣) .

العرض والمناقشة :

في قوله تعالى : ﴿ مُتَّكًا ﴾ قراءتان ؛ متواترة وشاذة .

أما القراءة المتواترة ، فقرأ أبو جعفر - من العشرة - : ﴿ مُتَّكًا ﴾ بتشديد التاء  
وتنوين الكاف وليس بعدها همز . وقرأ الباقر مثله لكن بفتح الكاف وبعده همز بتنوين (٤) .

(1) ذكرها ابن جتي في المحتسب (٣٣٩/١) عن ابن عباس ، وابن عمر ، وقتادة وغيرهم . ونسبها ابن عطية في الحرر  
الوجيز (٤٩٢/٧ - ٤٩٣) لهؤلاء وزاد : مجاهد ، والجحدري ، والضحاك ، والكلبي ، وأبان بن تغلب . وينظر :  
الدر المصون للسمين الحلبي (٤٧٨/٦) ، والقراءات الشاذة (٦٣) . ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير (٢١٦/٤)

(2) الأترج : شجرٌ يعلو ناعم الأغصان والورق والثمر ، وثمره كالليمون الكبار ، وهو ذهبي اللون ، داكن الرائحة ،  
حامض الماء ، وهو كثير ببلاد العرب ، ولا يكون برياً . ينظر : الوسيط ( أترج ) . وفي معجم متن اللغة  
(ترج): الأترج : من فصيلة الحمضيات ، يسمّى بالشام الكباد ، واحدته أترجة . وفي الدر المصون (٤٧٨/٦) :  
ويقال : الأترنج ، لغتان .

(3) التسهيل لعلوم التنزيل (١١٨ / ٢) .

(4) ينظر : البدور الزاهرة ( ١٦٠ ) .

وعلى هذه القراءة المتواترة قدم ابن جُزَيِّ القول في معنى " المَتَّكَأ " بأنه ما يُتَّكَأُ عليه من الفرش ونحوها . ووافق في هذا معنى ما رُوِيَ عن ابن عباس <sup>(١)</sup> ، والسدِّي <sup>(٢)</sup> ، وعبد الله ابن يزيد <sup>(٣)</sup> .

وإلى هذا ذهب أكثر المفسرين منهم : الفراء، وأبو عبيدة، وابن جرير الطبري، والزجاج، والنحاس، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي، والعكبري، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، والحازن، والقمي، وأبو حيان، وابن التركماني، والسمين، وابن كثير، والثعالبي، والبقاعي، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والقاسمي، والسيد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي، والطاهر بن عاشور <sup>(٤)</sup> .

وذكره النحاس في معانيه بصيغة ( قيل ) <sup>(٥)</sup> .

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢٣/١٣) من طريق علي بن أبي طلحة ، عنه قال : مجلساً . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٣٤/٧) رقم (١١٥٤٣) من طريق الضحاك ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٢٩/٤) نسبه إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢٣/١٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٣٤/٧) رقم (١١٥٤٤) من طريق أسباط ، عنه قال : يُتَّكَنَ عليه .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢٣/١٣) عنه قال : من قرأ : ( مُتَّكَأ ) خفيفةً ، يعني : طعاماً ، ومن قرأ : ( مُتَّكَأ ) يعني : المَتَّكَأ .

(4) ينظر : معاني القرآن (٤٢/٢) ، ومجاز القرآن (٣٠٩/٢) ، وجامع البيان (١٢٢/١٣ ، ١٣٠) ، ومعاني القرآن وإعرابه (١٠٥/٣) ، وإعراب القرآن (٣٢٦/٢) ، وبحر العلوم (١٥٩/٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٣٢٣/٢) ، والوسيط (٦١٠/٢) ، وتفسير القرآن (٢٦/٣) ، ومعالم التنزيل (٤٥٧/٢) ، والكشاف (٢٧٦/٣) ، والحرر الوجيز (٤٩٢/٧) ، ووضح البرهان (٤٥٦/١) ، وتذكرة الأريب (٢٦٢/١) ، والتبيين (٧٣٠/٢) ، والجامع لأحكام القرآن (٣٢٩/١١) ، وأنوار التنزيل (٤٨٤/١) ، ومدارك التنزيل (٢١٩/٢) ، ولباب التأويل (١٦/٣) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٨٢/٤) ، والبحر المحيط (٣٠٢/٥) ، وبهجة الأريب (٢٧٩/١) ، والدر المصون (٤٧٧/٦) ، وتفسير القرآن العظيم (٣٦/٨) ، والجواهر الحسان (١٥٣/٢) ، ونظم الدرر (٧٢/٩) ، وإرشاد العقل السليم (١٠١/٣) ، وفتح القدير (٣٠/٣) ، وروح المعاني (٢٢٨/١٢) ، وفتح البيان (٣٢٤/٦) ، ومحاسن التأويل (٣٥٣٥/٩) ، وتفسير القرآن الحكيم (٢٣٦/١٢) ، وتفسير المراغي (١٣٧/١٢) ، (١٣٩) ، وتيسير الكريم الرحمان (٤١١/٢) ، والتحرير والتنوير (٢٦٢/١٢) .

(5) ينظر : معاني القرآن الكريم (٤٢١/٣) . وقال في إعرابه (٣٢٦/٢) : أصح ما قيل فيه ما رواه علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس : قال : مجلساً .

ومن هؤلاء من جمع إلى هذا المعنى " للمتكا " - وهو أنه المجلس المعدُّ للاتكاء بما فيه من وسائل أو نمارق ونحو ذلك - ما يتضمنه المجلس عادةً من الطعام والشراب والفواكه . ففسّر ابن جرير الطبري - مثلاً - المتكا خاصةً بالمجلس ، واختار أنها أعدت لمن مجلساً فيه الطعام والنمارق والوسائد والأشربة والفواكه . ونحا نحوه الزجاج ، وأبو السعود . وتفسيرهم للمتكا بالمجلس هو المعروف عند أهل اللغة<sup>(١)</sup> .

قال الجوهري: « اتكأ على الشيء فهو متكئ ، والموضع متكأ ، ورجل تُكأه : كثير الاتكاء»<sup>(٢)</sup> .

وأما القول الآخر في تفسير " المتكأ " بأنه الطعام ، فهو مروى عن مجاهد<sup>(٣)</sup> ، وعكرمة<sup>(٤)</sup> ، وقتادة<sup>(٥)</sup> ، والحسن<sup>(٦)</sup> ، وعطية<sup>(٧)</sup> ، وابن زيد<sup>(٨)</sup> ، وابن إسحاق<sup>(٩)</sup> . وعلى هذا ابن قتيبة، ومكي، والواحدي، والسيوطي<sup>(١٠)</sup> . وقدمه النحاس في "معانيه" ومال إليه ، وجوّزه في "إعرابه" على تقدير : طعام متكأ<sup>(١١)</sup> .

(1) قاله النحاس في معانيه (٣ / ٤٢١) .

(2) الصحاح (١ / ٨٢) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣ / ١٢٧ ، ١٢٨) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧ / ٢١٣٣) (١١٥٣٩) من طرق ، عنه . وزاد نسبه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٥٢٩ - ٥٣٠) إلى أبي عبيد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ . وفيه : ( من قرأها بالشده فهو الطعام ، وبالتخفيف فهو الأترج ) . وينظر : تفسير الثوري (١٤١) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣ / ١٢٨) .

(5) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢ / ٣٢٢) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣ / ١٢٨) من طريق معمر ، عنه . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣ / ١٢٨) من طريق يزيد ، عن سعيد ، عنه .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣ / ١٢٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧ / ٢١٣٣) رقم (١١٥٣٧) من طرق عن ابن عُلَيَّة ، عن أبي رجاء ، عنه .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣ / ١٢٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧ / ٢١٣٣) رقم (١١٥٣٨) من طريق عبد الله بن إدريس ، عن أبيه ، عنه .

(8) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣ / ١٢٨) من طريق ابن وهب ، عنه .

(9) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣ / ١٢٨) من طريق سلمة ، عنه .

(10) ينظر : تأويل مشكل القرآن (٤١ ، ١٨٠) ، وتفسير المشكل (٤٠٤) ، والوجيز (١ / ٥٤٥) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٤ / ٣١) . وفسر الأخير الطعام بأنه الأترج .

(11) ينظر : معاني القرآن الكريم (٣ / ٤٢٠ - ٤٢١) وإعراب القرآن (٢ / ٣٢٦) .

وذكره بصيغة ( قيل ) : الراغب، والزمخشري، ومحمود النيسابوري، والبيضاوي،  
والقمي، والشوكاني، والآلوسي<sup>(١)</sup> .

قال ابن قتيبة : « يقال : اتكأنا عند فلان ، أي : طَعَمْنَا ، قال جميل :

فَظَلَّلْنَا بِنِعْمَةٍ وَأَتَكَّأْنَا      وَشَرَبْنَا الْحَلَالَ مِنْ قُلَّةٍ<sup>(٢)</sup>

والأصل : أن من دعوته ليطعم ، أعددت له التُّكْأَةَ للمقام والطمأنينة ، فسَمِيَ الطَّعَامِ  
مَتَكًّا عَلَى الاستعارة<sup>(٣)</sup> .

وقال الأزهري : « إنما قيل للطعام : متكأ ؛ لأن القوم إذا قعدوا على الطعام اتكؤوا ،  
ونُهِيتْ هذه الأمة عن ذلك<sup>(٤)</sup> .

وأما القراءة الشاذة ، فهي بإسكان التاء الخفيفة وتنوين الكاف وبغير همز :

﴿ مُتَكًّا ﴾<sup>(٥)</sup> .

وقرى أيضاً بهمز بعد الكاف المفتوحة<sup>(٦)</sup> .

وعلى هذه القراءة الشاذة قدّم ابنُ جُزَيِّ القول في معناها بأنه الأُتْرُجُ ؛ بدليل إيتائها  
كلِّ واحدةٍ منهن سكيناً ، وهي لقطع طعامٍ ، وهو الأُتْرُج .  
ورُوِيَ هذا عن ابن عباس<sup>(٧)</sup> ،

(1) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن (١٦٧) مادة ( تكأ ) ، والكشاف (٢٧٧/٣) ، ووضح اليرهان (٤٥٦/١) ،  
وأنوار التنزيل (٤٨٤/١) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٨٢/٤) ، وفتح القدير (٣٠/٣) ، وروح المعاني  
(٢٢٨/١٢) .

(2) ديوان جميل بن معمر (١٨٨) . وينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٢١٦/٤) .

(3) تأويل مشكل القرآن ( ١٨٠ - ١٨١) . قال الفنوجي في فتح البيان (٣٢٤/٦) : فهو مجاز مرسل وعلاقته  
المجاورة .

(4) ينظر : الوسيط للواحد (٢/٦١٠) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٢١٦/٤) .

(5) سبق بيأها .

(6) جاء في ( الميسر في القراءات الأربعة عشرة ) لمحمد فهد خاروف ما يلي : قرأ المطوعي : مُتَكًّا - بإسكان التاء  
وفتح الكاف بعده همز بتنوين . وقرأ الحسن : مُتَكَّاءً - بإشباع الفتحة فتولّد منها ألف ، كقول الشاعر :

يَبَّاعٌ مِنْ ذِفْرَى غَضُوبٍ حَسْرَةٍ .

(7) أخرجه مسدد - كما في المطالب العالية (٦٠٠/٨) رقم (٤٠١٨) - ، وابن جرير الطبري في جامع البيان  
(١٢٦/١٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٣٢/٧) رقم (١١٥٣٤) من طريق فضيل بن عياض ، عن حُصَيْن ،  
عن مجاهد ، عنه قال : الأُتْرُج . وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢٨/١٣) من طريق عطية العوفي ،

ومجاهد<sup>(١)</sup> ، والضحاك<sup>(٢)</sup> ، وغيرهم<sup>(٣)</sup> .

وإليه ذهب مقاتل، والفراء، وابن قتيبة، والزجاج، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، والراغب، ومكي، والزمخشري، وابن الجوزي، والقرطبي، والبيضاوي، والقمي، وأبو حيان، والسمين، والشوكاني، والقنوجي<sup>(٤)</sup> .

وذكره ابن عطية ، والعكبري ، وابن التركماني بصيغة ( قيل )<sup>(٥)</sup> .

قال مجاهد : « من قرأ ﴿ مُتَّكًا ﴾ شدّها ، فهو الطعام ، ومن قرأ ﴿ مُتَّكًا ﴾ خففها فهو الأترجّ » .

وقال ابن قتيبة : « فدلّت هذه القراءة [يعني الشاذّة] على معنى ذلك الطعام ، وأنزل الله بالمعنيين جميعاً » .

واستدلوا بقول الشاعر :

نشرب الإثم بالصُّواعِ جَهَارًا      وترى المُنْكَ بيننا مُسْتَعَارًا  
يريد بالمتك : الأترج ، وبالإثم : الخمر<sup>(٦)</sup> .

عنه . وأخرج ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢٦/١٣) من طريق عوف قال : حَدَّثْتُ عن ابن عباس أنه كان يقرؤها : ( مُتَّكًا ) . مخففة ، ويقول : هو الأترجُّ .

(1) سبق تخريج أثر مجاهد . وينظر : الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٥٢٩ - ٥٣٠) .

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٣٣/٧) رقم ( ١١٥٣٦ ) من طريق أبي روق ، عنه قال : أترجنا بعد الغداء . وأخرج أيضاً برقم ( ١١٥٤٠ - ١١٥٤١ ) عنه قال : إنه البرماورد .

(3) منهم أبان بن تغلب . ينظر : الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٥٣٠) فنسبه لأبي الشيخ . وسلمة بن تمام أبو عبد الله المشقري . أخرجه ابن أبي حاتم (٢١٣٣/٧) رقم ( ١١٥٣٥ ) ، وزاد السيوطي نسبه لأبي الشيخ كما في الدر المنثور (٤/ ٥٣٠) . ويحيى بن يعمر كما في النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٢) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٢١٦) . ووهب بن منبه كما في زاد المسير (٤/ ٢١٧) .

(4) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٣٣١) ، ومعاني القرآن (٢/ ٤٢) ، وتأويل مشكل القرآن (٤١) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٠٦) ، وبحر العلوم (٢/ ١٥٩) ، وتفسير القرآن العزيز (٢/ ٣٢٣) ، ومفردات ألفاظ القرآن (١٦٧) مادة (تكأ) ، وتفسير المشكل ( ٢٠٤ ) ، والكشاف (٣/ ٢٧٨) ، وتذكرة الأريب (١/ ٢٦٢) ، والجامع لأحكام القرآن (١١/ ٣٢٩) ، وأنوار التنزيل (١/ ٤٨٥) ، وغرائب القرآن و رغائب الفرقان (٤/ ٨٢) ، والبحر المحيظ (٥/ ٢٩٩) ، والدر المصون (٦/ ٤٧٨) ، وفتح القدير (٣/ ٣٠) ، وفتح البيان (٦/ ٣٢٤) .

(5) ينظر : المحرر الوجيز (٧/ ٤٩٢) ، والتبيان (٢/ ٧٣١) ، وبهجة الأريب (١/ ٢٨٠) .

(6) ينظر : النكت والعيون (٣/ ٣٢) ، وزاد المسير (٤/ ٢١٦) .

وأبى أبو عبيدة تفسير المتكأ بالأترج وقال : « وهذا أبطل باطل في الأرض ، ولكن عسى أن يكون مع المتكأ أترج يأكلونه »<sup>(١)</sup> .

قال الطبري : « وحكى أبو عبيد القاسم بن سلام قول أبي عبيدة هذا ، ثم قال : والفقهاء أعلمم بالتأويل منه . ثم قال : ولعله بعض ما ذهب من كلام العرب ، فإن الكسائي كان يقول : قد ذهب من كلام العرب شيء كثير انقرض أهله .

والقول في أن الفقهاء أعلمم بالتأويل من أبي عبيدة ، كما قال أبو عبيد ، لا شك فيه ، غير أن أبا عبيدة لم يبعد من الصواب في هذا القول ، بل القول كما قال ، من أن من قال للمتكأ : هو الأترج ، إنما بين المعد في المجلس الذي فيه المتكأ ، والذي من أجله أعطين السكاكين ؛ لأن السكاكين معلوم أنها لا تعد للمتكأ إلا لتخريقه ، ولم يُعطين السكاكين لذلك . ومما يبين صحة ذلك : القول الذي ذكرناه عن ابن عباس ، من أن المتكأ هو المجلس . ثم روى مجاهد عنه ... قال : أعطتهن أترجاً ، وأعطت كل واحدة منهن سكيناً .

فبين ابن عباس في رواية مجاهد هذه ، ما أعطت النسوة ، وأعرض عن ذكر بيان معنى " المتكأ " إذ كان معلوماً معناه »<sup>(٢)</sup> . اهـ .

وأما القول الآخر - على هذه القراءة الشاذة - بأن المعنى هو اللحم ، فذكره ابن عطية بصيغة ( قيل )<sup>(٣)</sup> ، وتبعه ابن جزي على ذلك .

وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن الأولى هو أن يفسر المتكأ بالمجلس المعد للاتكاء بما فيه من وسائل ونمارق ونحو ذلك ؛ لأن هذا هو المعروف في لغة العرب ؛ وحمل كلام الله على المعروف من كلام العرب واجب<sup>(٤)</sup> . ويلزم منه أن يكون فيه طعاماً من فاكهة وغيرها بدليل إتيانها صويجباتها السكاكين ، وهي لا تكون إلا لقطع الطعام . فتفسير " المتكأ " بالطعام هو تفسير باللازم ، والله أعلم ، دلت على ذلك القراءة الشاذة ، ولا ريب من الإفادة منها في بيان معنى لا يتعارض مع القراءة المتواترة .

وأما كونه - على القراءة الشاذة - أترجاً فهو ما لا سبيل إلى القطع به؛ لأنه لا يصح

(1) مجاز القرآن (١/ ٣٠٩) .

(2) جامع البيان (١٣/ ١٢٥-١٢٦) .

(3) ينظر : المحرر الوجيز (٧/ ٤٩٢) .

(4) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/ ٣٦٩) .

حمل الآية على تفسيرٍ وتفصيلٍ لأمرٍ غيبي لا دليل عليه من القرآن أو السنة الصحيحة<sup>(١)</sup>.  
قال ابن جرير الطبري : « معناه : أعدتْ لهن مُتَكًا . يعني : مجلسًا للطعام وما يَتَكُنَّ  
عليه من التَّمارق والوسائد »<sup>(٢)</sup>.

وقال : « أعدت للنسوة مجلسًا فيه مُتَكًا وطعام وشراب وأُتْرُجٌ »<sup>(٣)</sup> . ثم فسّر بعضهم  
المُتَكًا بأنه الطعام ، على وجه الخبر عن الذي أُعِدَّ من أجله المتكأ ، وبعضهم عن الخبر عن  
الأُتْرُج ، إذ كان في الكلام : ﴿ وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا ﴾ ؛ لأن السكين إنما تعدُّ  
للأُتْرُج وما أشبهه مما يقطع به ، وبعضهم على البَرْمَاوَرِدِ «<sup>(٤)</sup> .

وقال : « ﴿ وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا ﴾ . يعني بذلك جل ثناؤه : وأعطت كل  
واحدة من النسوة اللاتي حضرنها سكينًا ؛ لتقطع به من الطعام ما تقطع به . وذلك ما  
ذكرتُ أهما آتتهن ، إما من الأُتْرُج ، وإما من البَرْمَاوَرِدِ ، أو غير ذلك مما يقطع بالسكين  
... وفي هذه الكلمة بيانُ صحة ما قلنا وأخبرنا في قوله : ﴿ وَأَعْتَدَتْ لهنَّ مُتَكًا ﴾ . وذلك  
أن الله تعالى ذكره أخبر عن إيتاء امرأة العزيز النسوة السكاكين ، وترك ما له آتتهنَّ  
السكاكين ؛ إذ كان معلومًا أن السكاكين لا تُدْفَعُ إلى مَنْ دُعِيَ إلى مجلسٍ إلا لقطع ما  
يؤْكَلُ إذا قطع بها . فاستغنى بفهم السامع بذكر إيتائها صواحبها السكاكين ، عن ذكر ما  
له آتتهن ذلك ، فكذلك استغنى بذكر اعتدادها لهن المتكأ عن ذكر ما يُعْتَدُّ له المتكأ ، مما  
يَحْضُرُ المجالسَ من الأطعمة والأشربة والفواكه وصورف الالتهاء ؛ لفهم السامعين بالمراد من  
ذلك ، ودلالة قوله : ﴿ وَأَعْتَدَتْ لهنَّ مُتَكًا ﴾ عليه . فأما نَفْسُ المُتَكَا ، فهو ما وصفنا خاصة  
دون غيره »<sup>(٥)</sup> .

وقال ابن عطية : « و ﴿ مُتَكًا ﴾ : ما يُتَكَا عليه من فرش ووسائد ، وعبر بذلك عن

(1) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (١/٢٢٥) .

(2) جامع البيان (١٣/١٢٢) .

(3) وقال به سعيد بن جبير ، والحسن . ينظر : المصدر السابق ، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/٢١٣٣) .

(4) جامع البيان (١٣/١٢٤) .

(5) المصدر السابق (١٣/١٢٩-١٣٠) .

مجلسٍ أُعِدَّ لكرامةٍ ، ومعلوم أن هذا النوع من الكرامات لا يخلو من الطعام والشراب ،  
فلذلك فسَّرَ مجاهد وعكرمة المتكأ بالطعام»<sup>(١)</sup> .

وإذا كان ذلك كذلك فإن ما رجَّحه ابن جُزَيِّ في معنى " المتكأ " على القراءة المتواترة  
هو الأولى ، وعليه أكثر المفسرين . وأما القول بأنه الطعام فهو تفسير باللائم ، وتدلَّ عليه  
القراءة الشاذَّة ، والله تعالى أعلم .

---

(1) المحرر الوجيز (٧ / ٤٩٢) . وتبعه أبوحيان كما في البحر المحيط (٥ / ٣٠٢) .

### المسألة الثانية هي :

١٤ - الخلاف في معنى ﴿ أَكْبَرْنَهُ ﴾ من قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « أي : عَظَّمَنَ شأنه وجماله . وقيل : معنى " أَكْبَرَنَ " : حِضْنٌ ، والهَاءُ لِلسَّكْتِ . وهذا بعيد جداً » <sup>(١)</sup> .

### العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ في معنى ﴿ أَكْبَرْنَهُ ﴾ ما قدّمه بقوله : عَظَّمَنَ شأنه وجماله . ووافق في هذا معنى ما رُوِيَ عن ابن عباس <sup>(٢)</sup> ، ومجاهد <sup>(٣)</sup> ، وقتادة <sup>(٤)</sup> ، والسدّي <sup>(٥)</sup> ، وابن زيد <sup>(٦)</sup> . وعلى هذا جماعة المفسّرين منهم : مقاتل، والفراء، وأبو عبيدة، وابن جرير الطبري، والزجاج، والنحاس، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، والراغب، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية - ونسبه للجمهور - ، ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي، والبيضاوي ، والخازن، والقمي، وأبو حيان، وابن التركماني، والسمين، وابن كثير، والثعالبي - وتبع ابن عطية في نسبه للجمهور - ، والبقاعي، والسيوطي، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والقاسمي، والسيد رشيد رضا، والمراغي، والسعدي،

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ١١٨) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣ / ١٣١ - ١٣٢) من طريق علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قال : أعظمته . وينظر : صحيفة علي ( ٢٩٢ ) . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧ / ٢١٣٥) رقم (١١٥٥٣) من طريق الضحاك ، عنه نحوه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٥٢٩) نسبه إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣ / ١٣٠ - ١٣١) من طرق عن ابن أبي نجیح ، عنه . وأخرجه أيضاً (١٣ / ١٣٢) من طريق ابن جريج ، عنه . وينظر : تفسير مجاهد ( ٣٩٦ ) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣ / ١٣١) من طريق يزيد ، عن سعيد ، عنه .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣ / ١٣١) من طريق أسباط ، عنه . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٧ / ٢١٣٥) تعليقا عقب الأثر ( ١١٥٥٣ ) .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣ / ١٣١) من طريق ابن وهب . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧ / ٢١٣٥) رقم (١١٥٥٤) من طريق أصبغ . كلاهما ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٥٣٠) نسبة إلى أبي الشيخ .

والطاهر بن عاشور <sup>(١)</sup> . ومال إليه الرازي <sup>(٢)</sup> . وقدمه القرطبي <sup>(٣)</sup> .  
 ودليله اللغة ، يقال : أكبرت الشيء : إذا رأيته كبيراً . والتكبير يقال لتعظيم الشيء .  
 يقال : الله أكبر ، تعظيماً له سبحانه ، وعبادته واستشعار تعظيمه <sup>(٤)</sup> .  
 وأما القول الآخر في معنى " أكبرن " وهو أنها بمعنى : حِضْنٌ - من الحَيْضِ - وأن الهاء  
 فيه للسكت ، فهو قول رُوِيَ عن ابن عباس <sup>(٥)</sup> ، ومجاهد <sup>(٦)</sup> .  
 واختاره ابن الأنباري كما قاله ابن الجوزي <sup>(٧)</sup> .  
 وهذا القول استبعده جداً ابن جُزَيِّ ، وضعفه ابن عطية وأنكر معناه <sup>(٨)</sup> .

(1) ينظر : تفسير مقاتل (٣٣٢/٢) ، ومعاني القرآن (٤٢/٢) ، ومجاز القرآن (٣٠٩/١) ، وجامع البيان  
 (١٣٠/١٣) ، ومعاني القرآن وإعراجه (١٠٦/٣) ، ومعاني القرآن الكريم (٤٢٢/٣) ، وبحر العلوم (١٦٠/٢) ،  
 وتفسير القرآن العزيز (٣٢٣/٢) ، ومفردات ألفاظ القرآن (٦٩٨) مادة ( كبر ) ، والوجيز (٥٤٥/١) والوسيط  
 (٦١٠/٢) ، وتفسير القرآن (٢٦/٣) ، ومعالم التنزيل (٤٥٨/٢) ، والكشاف (٢٧٨/٣) ، والمحزر الوجيز  
 (٤٩٤/٧) ، وإيجاز البيان (٣٤٥/١) ، وتذكرة الأريب (٢٦٣/١) ، وأنوار التنزيل (٤٨٥/١) ، ومدارك التنزيل  
 (٢١٩/٢) ، ولباب التأويل (١٦/٣) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٨٢/٤) ، والبحر المحيط (٣٠٢/٥) ،  
 وبهجة الأريب (٢٨٠/١) ، والدر المصون (٤٧٩/٦) ، وتفسير القرآن العظيم (٣٦/٨) ، والجواهر الحسان  
 (١٥٣/٢) ، ونظم الدرر (٧٣/١٠) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٤/٤) ، وإرشاد العقل السليم  
 (١٠١/٣) ، وفتح القدير (٣٠/٣) ، وروح المعاني (٢٢٩/١٢) ، وفتح البيان (٣٢٥/٦) ، ومحاسن التأويل  
 (٣٥٣٥/٩) ، وتفسير القرآن الحكيم (٢٣٦/١٢) ، وتفسير المراغي (١٣٧/١٢) ، (١٣٩) ، وتيسير الكريم  
 الرحمان (٤١١/٢) ، والتحرير والتنوير (٢٦٢/١٢) .

(2) ينظر : مفاتيح الغيب (٤٤٨ / ٦) .

(3) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (٣٣٢ / ١١) .

(4) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن للراغب (٦٩٨) مادة ( كبر ) .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣١/١٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٣٥/٧) رقم (١١٥٥١) ،  
 (١١٥٥٢) من طريق عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، عن أبيه ، عن جده عبد الله بن عباس . زاد ابن  
 أبي حاتم في آخره : قول الشاعر :

نأتي النساء على أطهارهن ولا      نأتي النساء إذا أكبرن إكباراً

وقال ابن عطية في المحزر الوجيز (٤٩٥/٧) : ليس عبد الصمد من رُواة العلم رحمه الله .

وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٣١/٤) نسبه إلى ابن المنذر .

(6) قال ابن الجوزي في زاد المسير (٢١٨/٤) : وقد رَوَى هذا المعنى ليثٌ ، عن مجاهد .

(7) المصدر السابق .

(8) ينظر : المحزر الوجيز (٤٩٥ / ٧) .

وقال البغوي : « لا يصح »<sup>(١)</sup> . وتعجّب منه الكرماني<sup>(٢)</sup> .  
 وذكره الزجاج، والزخشي، ومحمود النيسابوري، والبيضاوي، والنسفي، والسمين،  
 وأبو السعود ، والشوكاني بصيغة ( قيل )<sup>(٣)</sup> .  
 واستدل لهذا القول بقول الشاعر :  
 نأتي النساء على أطهارهن ولا نأتي النساء إذا أكبرن إكباراً<sup>(٤)</sup>  
 يقال : إن المرأة إذا جزعت أو خافت حاضت . وقد يسمى الحيض إكباراً .  
 وجوز الأزهري أكبرت بمعنى حاضت - إن صحت هذه اللفظة في اللغة - معللاً ذلك  
 بأن المرأة إذا حاضت في الابتداء خرجت من حيّز وحد الصغر إلى الكبر . وأن الهاء هاء  
 الوقف لا الكناية - إن صحت الرواية عن ابن عباس<sup>(٥)</sup> .  
 وقال القرطبي : « وأمثل منه قول ابن الأنباري : إن الهاء كناية عن مصدر الفعل أي :  
 أكبرن إكباراً ، بمعنى : حضنَ حيضاً »<sup>(٦)</sup> .  
 وردّه أبوحيان بإجماع القراء على ضمّ الهاء في الوصل ، وهو دليل على أنها ليست هاءً  
 سكت ، واستظهر عودها على يوسف . وقال : « إن ثبت أن أكبر بمعنى حاض فتكون الهاء  
 عائدة على المصدر ، أي : أكبرن الإكبار »<sup>(٧)</sup> .  
 وتابع الأزهري في تعليقه ذلك الكرماني ، والزخشي وقالوا :  
 « ومنه قول المتنبي :

(1) معالم التنزيل (٢/ ٤٥٨) .

(2) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٥٣٥) .

(3) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٠٦) ، والكشاف (٣/ ٢٧٨) ، وإيجاز البيان (١/ ٣٤٥) ، وأنوار التنزيل  
 (١/ ٤٨٥) ، ومدارك التنزيل (٢/ ٤١٩) ، والدر المصون (٦/ ٤٧٩) ، وإرشاد العقل السليم (٣/ ١٠١) ، وفتح  
 القدير (٣/ ٣٠) .

(4) ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢١٣٥) ، والنكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٢) ، وزاد المسير  
 لابن الجوزي (٤/ ٢١٨) ، والدر المنثور للسيوطي (٤/ ٥٣١) .

(5) ينظر : تهذيب اللغة (١٠/ ٢١١ - ٢١٢) . وينظر أيضاً : لباب التأويل للخازن (٣/ ١٧) .

(6) الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٣٣٣) .

(7) البحر المحيط (٥/ ٣٠٣) . وينظر : الدر المصون للسمين (٦/ ٤٧٩ - ٤٨٠) ، وروح المعاني للآلوسي  
 (١٢/ ٢٢٩ - ٢٣٠) .

تق الله واستر ذا الجمال ببرقع فإن بحت حاضت في الخدور العواتق .  
وكأنه أحذه من هذا التفسير»<sup>(١)</sup> .

والبت في ديوان المتنبي :

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع  
فإن لحت ذابت في الخدور العواتق  
وهو أشبه<sup>(٢)</sup> .

وأنكر أبو عبيدة ، والزجاج ، والنحاس ، ومحمود النيسابوري ، وآخرون أن يكون من  
كلام العرب هذا المعنى في " حضن " <sup>(٣)</sup> .

قالوا : وليس ذلك بمعروف في اللغة .

وأما البيت فقال ابن جرير الطبري : « لا أحسب له أصلاً ؛ لأنه ليس بالمعروف عند  
الرواة »<sup>(٤)</sup> .

فالبيت مصنوع لا يعرف قائله<sup>(٥)</sup> .

قال ابن جرير الطبري : « وهذا القول .... - إن لم يكن عني به أنهم حضن من  
إجلالهن يوسف ، وإعظامهن لما كان الله قسم له من البهاء والجمال ، ولما يجد من مثل ذلك  
النساء عند معاينتهن إياه - فقول لا معنى له ؛ لأن تأويل ذلك : فلما رأى يوسف أكبرنه .

فالهاء التي في ﴿ أَكْبَرْنَهُ ﴾ من ذكر يوسف ، ولا شك أن من المحال أي يحضن يوسف .  
ولكن الخبر إن كان صحيحاً عن ابن عباس على ما روي ، فخليق أن يكون معناه في ذلك  
أنهم حضن لما أكبرن من حسن يوسف وجماله في أنفسهن ، ووجدن ما يجد النساء من مثل  
ذلك »<sup>(٦)</sup> .

وسبق إلى هذا أبو عبيدة حيث قال : « ومن زعم أن أكبرن " حضن " فمن أين ؟ وإنما

(1) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/٥٣٦) ، والكشاف (٣/٤٧٨) .

(2) ديوان المتنبي ( ٧٨ ) .

(3) ينظر : مجاز القرآن (١/٣٠٩) ، ومعاني القرآن وإعرايه (٣/١٠٦ - ١٠٧) ، ومعاني القرآن الكريم (٣/٤٢٢) ،  
وإيجاز البيان (١/٣٤٥) .

(4) جامع البيان (١٣/١٣٢) .

(5) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني (١/٥٣٦) ، والمحرر الوجيز لابن عطية (٧/٤٩٥) .

(6) جامع البيان (١٣/١٣٢) .

وقع عليه الفعل ذلك [ يريد : أن الضمير في أكبرنه ليوسف ] ، لو قال : أكبرن ، وليس في كلام العرب : أكبرن حضن ، ولكن عسى أن يكون من شدة ما أعظمته حضن<sup>(١)</sup> .  
وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن ما رجَّحه ابن جُزَيِّ وعامة المفسرين من أن قوله ﴿ أَكْبَرْنَهُ ﴾ بمعنى : عظَّم شأن يوسف وجماله ، هو القول الصحيح ؛ لأن هذا هو المعروف في اللغة من معنى أكبرن . ويجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر<sup>(٢)</sup> .

وأما القول بأن معنى ﴿ أَكْبَرْنَهُ ﴾ : حضن ، فليس بمعروف في كلام العرب ، ولو صح الخبر عن ابن عباس في ذلك لكان تخريجه على أنه تفسير باللازم أو المأل ، أي آل أمرهن إلى الحيض من شدة إعظامهن لشأنه وجماله أو لزم من ذلك التعظيم لجماله وشأنه أن حضن . ولكن إثبات الحيض لهن يحتاج إلى دليل صحيح من قرآن أو سنة ؛ لأنه من باب الإخبار ، وأما اللغة فلا تساعد عليه .

وإذا كان ذلك كذلك فإنه لا يصح حمل الآية على تفسير لأمر غيبي لا دليل عليه من القرآن أو السنة<sup>(٣)</sup> . والله تعالى أعلم .

(1) مجاز القرآن (١/ ٣٠٩) .

(2) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/ ٣٦٩) .

(3) ينظر : المصدر السابق (١/ ٢٢٥) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيكُمَا ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ۗ ﴾

إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾

١٥ - الخلاف في قوله : ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيكُمَا ﴾

هل هو من الإخبار بالغيب ؟ أم من تعبير الرؤيا ؟

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « وفيها<sup>(١)</sup> وجهان : أحدهما : أنه قال : [إنه]<sup>(٢)</sup> يخبرهما بكل ما يأتيهما في الدنيا<sup>(٣)</sup> من طعام قبل أن يأتيهما . وذلك من الإخبار بالغيوب الذي هو معجزة الأنبياء . والآخر : أنه قال لا يأتيكما طعام في المنام إلا أخبرتكما بتأويله قبل أن يظهر تأويله في الدنيا »<sup>(٤)</sup> .

العرض والمناقشة :

قدم ابن جُزَيِّ في قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ ۗ ﴾

قَبْلَ أَنْ يَأْتِيكُمَا ﴿ الوجه بأنه من الإخبار بالغيوب . أي : لا يأتيكما طعام ترزقانه في اليقظة إلا أخبرتكما به قبل إتيانه . ونُسبَ هذا المعنى إلى الحسن<sup>(٥)</sup> ، وابن جريج<sup>(٦)</sup> . وعليه السمرقندي ، والزمخشري ، ومحمود النيسابوري ، وابن الجوزي ، والرازي ، والقرطبي ، وأبو حيان ، والبقاعي ، وأبو السعود ، والشهاب ، والشوكاني ، والآلوسي ، والقنوجي ، والقاسمي ، والسيد محمد رشيد رضا ، والمراغي<sup>(٧)</sup> .

(1) كذا في جميع النسخ ، وفي المطبوع : وفيه .

(2) كذا في جميع النسخ . وفي المطبوع بحذفها .

(3) قوله ( في الدنيا ) يقصد به : اليقظة .

(4) التسهيل لعلوم التنزيل ( ٢ / ١١٩ ) .

(5) ينظر : النكت والعيون للماوردي ( ٣ / ٣٧ ) ، وزاد المسير لابن الجوزي ( ٤ / ٢٢٤ ) .

(6) ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية ( ٧ / ٥١٠ ) ، والبحر المحيط لأبي حيان ( ٥ / ٣٠٩ ) .

(7) ينظر : بحر العلوم ( ٢ / ١٦١ ) والكشاف ( ٣ / ٢٨٤ ) وإيجاز البيان ( ١ / ٣٤٦ ) وتذكرة الأريب ( ١ / ٢٦٣ ) ومفاتيح

الغيب ( ٦ / ٤٥٥ ) والجامع لأحكام القرآن ( ١١ / ٣٤٨ ) والبحر المحيط ( ٥ / ٣٠٩ ) ونظم الدرر ( ١٠ / ٨٢ ) وإرشاد

العقل السليم ( ٣ / ١٠٦ ) وحاشية الشهاب ( ٥ / ١٧٧ ) وفتح القدير ( ٣ / ٣٦ ) وروح المعاني ( ١٢ / ٢٤٠ ) وفتح

البيان ( ٦ / ٣٣٥ ) ومحاسن التأويل ( ٩ / ٣٥٣٩ ) وتفسير القرآن الحكيم ( ١٢ / ٢٤٦ ) وتفسير المراغي ( ١٢ / ١٤٦ ) .

وقدّمه السمعاني<sup>(١)</sup> . وهو مفهوم كلام الزجاج، والبيضاوي، والنسفي، والسعدي<sup>(٢)</sup> .  
وذكره الكرمانى ، والقمي بصيغة ( قيل )<sup>(٣)</sup> .

قالوا : هذا نظير ما كان لعيسى بن مريم \* حيث قال : ﴿ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا

تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [ آل عمران : ٤٩ ] .

قالوا : فهذه الآية فيها آية على نبوة يوسف \* ، إذ يخبر بغيب فيقع كما أخبر .  
وأما الوجه الآخر وهو حَمَل الآية على إتيانها الطعام في المنام وأنه من باب تأويل  
الرؤيا وتعبيرها ، فهو قول مجاهد<sup>(٤)</sup> ، وابن إسحاق<sup>(٥)</sup> ، والسدي<sup>(٦)</sup> .

وعلى هذا الوجه ابن جرير الطبري ، والواحدي ، والكرمانى ، والقمي ، وابن كثير ،  
والسيوطي<sup>(٧)</sup> . وقدّمه ابن عطية<sup>(٨)</sup> .

وذكره ابن الجوزي ، والقرطبي ، والقنوجي بصيغة ( قيل )<sup>(٩)</sup> . واستبعده السيد محمد  
رشيد رضا<sup>(١٠)</sup> .

هذا وقد ذكر الوجهين البغوي ، والحازن بصيغة ( قيل ) ، وقدّما الوجه الثاني<sup>(١١)</sup> .

(1) ينظر : تفسير القرآن (٣ / ٣١) .

(2) ينظر : معاني القرآن وإعرابه (٣ / ١١٠) ، وأنوار التنزيل (١ / ٤٨٦) ، ومدارك التنزيل (٢ / ٢٢٢) ، وتيسير الكريم  
الرحمان (٢ / ٤١٣) .

(3) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١ / ٥٣٧) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤ / ٨٨) .

(4) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧ / ٢١٤٤) رقم (١١٦٠٨) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن ابن أبي  
نجيح ، عنه . ونسبه له ابن كثير في تفسيره (٨ / ٤١) .

(5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣ / ١٥٩) من طريق سلمة ، عنه .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣ / ١٥٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧ / ٢١٤٤) رقم (١١٦٠٩)  
من طريق أسباط ، عنه .

(7) ينظر : جامع البيان (١٣ / ١٥٩) ، والوجيز (١ / ٥٤٦) والوسيط (٢ / ٦١٣) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل  
(١ / ٥٣٧) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤ / ٨٨) ، وتفسير القرآن العظيم (٨ / ٤١) ، وتفسير الجلالين  
(الفتوحات الإلهية ٤ / ٣٧) .

(8) ينظر : المحرر الوجيز (٧ / ٥٠٩) .

(9) ينظر : تذكرة الأريب (١ / ٢٦٣) ، والجامع لأحكام القرآن (١١ / ٣٤٩) ، وفتح البيان (٦ / ٣٣٥) .

(10) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (١٢ / ٢٤٦) .

(11) ينظر : معالم التنزيل (٢ / ٤٦٢) ، ولباب التأويل (٣ / ١٩) .

وجمع ابن العربي بينهما قائلاً : « أعلمهما أنه يخبرهما بحال كل طعام يأتيهما في اليقظة والنام »<sup>(١)</sup> .

وتفرد الطاهر بن عاشور فأعاد ضمير ﴿بِتَأْوِيلِهِ﴾ إلى ما عاد إليه ضمير ﴿بِتَأْوِيلِهِ﴾ الأول المذكور في الآية السابقة [ يوسف : ٣٦ ] وهو المرئي أو المنام . وقال : « ولا ينبغي أن يعود إلى طعام ؛ إذ لا يحسن إطلاق التأويل عن الأنباء بأسماء أصناف الطعام خلافاً لما سلكه جمهور المفسرين ... وقوله : ﴿إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ معناه : لا يأتي الطعام المعتاد إلا في حال أي قد نبأتكما بتأويل رؤياكما ، أي : لا في حال عدمه<sup>(٢)</sup> . فجعل مجيء الطعام وقتاً معلوماً لهما . أي : إن تعبير الرؤيا سيكون قبل وقت مجيء الطعام إلى السجن » .

وهذا الوجه الذي انفرد به الطاهر بن عاشور جيدٌ ولكن يشكل عليه مجيء كلمة ﴿طَعَامٌ﴾ بالتنكير لا بالتعريف ، وهذا يدل على أنه ليس المقصود منه طعاماً واحداً معلوماً في وقت محدد ، بل يدلّ التنكير على التكثر . فهل كلّما سيأتيهما طعام يرزقانه سينبئهما بتأويل رؤياهما مرة بعد مرة؟! هذا بعيد ، والله أعلم ، فتفرد فأغرب / .

وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن الأولى بالتقديم في معنى قوله تعالى : ﴿لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾ حمله على اليقظة لا على المنام ، ونظيره ما كان لعيسى  $\times$  ، وهو آية على نبوتهما ! ولذلك شرع في دعوتهما إلى التوحيد وترك الشرك ثم فسّر رؤياهما . ولو كان المراد بإتيانهما الطعام في المنام لقال - والله أعلم - : لا تريان طعاماً ترزقانه ...

وإذا كان ذلك كذلك فإن ما قدّمه ابن جزيّ هو الأولى ، وعليه الأكثر ، والله تعالى أعلم .

(1) أحكام القرآن (٣/ ١٠٨٦ - ١٠٨٧) .

(2) التحرير والتنوير (١٢/ ٢٧١) بتصرف يسير .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ  
وَأُخْرَى يَأْسَتُ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ (٤٣)

١٦- من هو الملك المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ ﴾ الآية؟

قال ابن جزي رحمه الله تعالى: « هو ملك مصر الذي كان العزيز خادماً له . واسمه : رِيَّانُ بن الوليد . وقيل : مصعب بن الريان ، وكان من الفراعنة . وقيل : إنه فرعون موسى عُمَرَّ أربعمئة سنة حتى أدركه موسى ، وهذا بعيد » (١) .

### العرض والمناقشة :

رجح ابن جزي أن الملك الذي رأى الرؤيا التي عبرها يوسف X هو ملك مصر الذي كان العزيز خادماً له . وذكر أن اسمه : رِيَّانُ بن الوليد . ووافق في هذا ما روي عن مجاهد (٢) ، وابن إسحاق (٣) . ونُسبَ إلى الكلبي لكن دون ذكر الاسم (٤) .

وإلى هذا ذهب مقاتل، وابن جرير الطبري ولم يسمه، والسمرقندي، والماوردي وقال : الملك الأكبر : الوليد بن الريان، والواحدي ولو يسمه، والسمعاني ولم يسمه، والبغوي ولم يسمه، والزمخشري، وابن الجوزي ولم يسمه، والرازي ولم يسمه، والقرطبي، والنسفي، والخازن ولم يسمه، وأبوحيان، وابن كثير ولم يسمه، والبلنسي، وأبوالسعود، والسيوطي، والشهاب، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي (٥) .

(١) التسهي لعلوم التنزيل (٢/ ١٢٠) .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٥٠) رقم (١١٦٤٧) من طريق ابن إسحاق ، عن ابن أبي نجيح ، عنه .

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/ ١٧٨) من طريق سلمة ، عنه .

(٤) ينظر : معالم التنزيل (٢/ ٤٦٥) .

(٥) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٣٣٦) ، وجامع البيان (١٣/ ١٧٧) ، وبحر العلوم (٢/ ١٦٣) ، والنكت والعيون

(٣/ ٤١) ، والوجيز (٢/ ٦١٥) ، وتفسير القرآن (٣/ ٣٤) ، ومعالم التنزيل (٢/ ٤٦٥) ، والكشاف (٣/ ٢٨٨) ،

وزاد المسير (٤/ ٢٢٩) ، ومفاتيح الغيب (٦/ ٤٦٣) ، والجامع لأحكام القرآن (١١/ ٣٥٩) ، ومدارك التنزيل

(٢/ ٢٢٣) ، ولباب التأويل (٣/ ٢١) ، والبحر المحيط (٥/ ٣١٢) ، وتفسير القرآن العظيم (٨/ ٤٦) ، وتفسير

مبهمات القرآن (٢/ ٥٤) ، وإرشاد العقل السليم (٣/ ١١١) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٤/ ٤١) ،

وحاشية الشهاب (٥/ ١٨٠) ، وفتح القدير (٣/ ٤٢) ، وروح المعاني (١٢/ ٢٤٨) ، وفتح البيان (٦/ ٣٤٤) .

وذهب السيد محمد رشيد رضا — وتبعه المراغي — إلى أنه ملك مصر من ملوك العرب المعروفين بالرعاة "الهكسوس" <sup>(١)</sup> .

وقال الطاهر بن عاشور : « والتعريف في ﴿ الْمَلِكُ ﴾ للعهد ، أي : ملك مصر . وسمّاه القرآن هنا ملكاً ولم يسمّه فرعوناً ؛ لأن هذا الملك لم يكن من الفراعنة ملوك مصر القبط ، وإنما كان ملكاً لمصر أيام حَكَمَهَا "الهكسوس" وهم العمالقة ، وهم من الكنعانيين ، أو من العرب ، ويُعبّر عنهم مؤرخو الإغريق بملوك الرعاة ، أي : البدو . فالتعبير عنه بالملك في القرآن دون التعبير بفرعون مع أنه عبّر عن ملك مصر في زمن موسى ✕ بلقب فرعون هو من دقائق إعجاز القرآن العلمي » <sup>(٢)</sup> .

وذهب القاسمي إلى أنه فرعون مصر <sup>(٣)</sup> .

والاستدلال على هذا القول ظاهرٌ من حيث تسمية الله له بالملك ، وكونه في مصر ، فهو مَلِكٌ مِصْرَ بِلَا رِيب .

وأما تسميته بالريّان بن الوليد أو الوليد بن الريّان ، أو مصعب ابن الريّان — كما ذكره أبوحيان بلا عزو ، والبلنسي بصيغة ( قيل ) <sup>(٤)</sup> — فهو مما يحتاج إلى دليل ، ولا ضيرَ في الجهل باسمه .

وأما القول الآخر بأنه فرعون موسى فقد استبعده ابن حُزَيٍّ — وهو كذلك — وذكره ابن قتيبة ، عن وهب بن مُنَبِّه <sup>(٥)</sup> . وأورده أبوحيان عن أشهب ، عن الإمام مالك <sup>(٦)</sup> . وذكره البلنسي بصيغة ( قيل ) ثم ضعّفه <sup>(٧)</sup> .

وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن الملك الذي رأى الرؤيا التي عبّرها يوسف ✕ هو مَلِكٌ مِصْرَ الأعظم ، وليس بفرعون الذي كان في زمن موسى ✕ . وأما معرفة اسمه فدون ذلك الدليلُ

(1) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (٢٥٥/١٢) ، وتفسير المراغي (١٥٣/١٢) . وذكره عن المؤرخين .

(2) التحرير والتنوير (٢٨٠ / ١٢) .

(3) ينظر : محاسن التأويل (٣٥٤٥ / ٩) .

(4) ينظر : البحر المحيط (٢٩٢ / ٥) ، وتفسير مبهمات القرآن (٥٥/٢) .

(5) ينظر : المعارف (٤٣) .

(6) ينظر : البحر المحيط (٤٦٤ / ٧) .

(7) ينظر : تفسير مبهمات القرآن (٥٥ / ٢) .

الصحيح ، ولا حاجة إلى معرفة الاسم وما الذي يضير في الجهل بذلك ؟  
وإذا كان ذلك كذلك فإن ما رجّحه ابن جُزَيِّ من أنه ملك مصر هو الراجح دون  
الجزم باسمه ، يدلُّ لذلك ظاهر القرآن ، ومن الغريب أن يكون اسمه رِيَّان بن الوليد أو  
مصعب بن الرِيَّان ؛ لأن هذا اسم عربي ، والله تعالى أعلم .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ قَالُوا أَضْغَثُ أَحْلَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَمِ بَعْلَمِينَ ﴾<sup>(٤٤)</sup>

١٧- الخلاف في المراد بـ **الْأَحْلَمِ** في قوله تعالى : ﴿ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَمِ بَعْلَمِينَ ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « إما أن يريدوا تأويل الأحلام الباطلة أو تأويل الأحلام على الإطلاق وهو الأظهر »<sup>(١)</sup> .

العرض والمناقشة :

استظهر ابن جُزَيِّ أن المراد بـ **الْأَحْلَمِ** في قوله تعالى : ﴿ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَمِ

**بَعْلَمِينَ** ﴿ هي الأحلام على الإطلاق ، فنفوا علمهم بتأويل الأحلام مطلقاً باطلةً كانت أم حقاً .

وإلى هذا ذهب الكرماني ، وابن الجوزي ، وابن كثير ، والبقاعي ، والقاسمي<sup>(٢)</sup> .

وهو مفهوم كلام مقاتل<sup>(٣)</sup> . وجوزّه أبوحيان<sup>(٤)</sup> ، والآلوسي وقال : « واختاره ابن

المنير وادعى أنه الظاهر »<sup>(٥)</sup> . واحتمله المراغي<sup>(٦)</sup> .

وذكره القرطبي ، والشوكاني ، والقنوجي بصيغة ( قيل )<sup>(٧)</sup> .

قال ابن الجوزي : « الأحلام : جمع حُلْم ، وهو ما يراه الإنسان في نومه مما يصح ومما

يُظَلُّ »<sup>(٨)</sup> .

فاللام التي في **الْأَحْلَمِ** للجنس فتفيد العموم .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (١٢٠/٢) .

(2) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (٥٣٩/١) ، وزاد المسير (٢٣٠/٤) ، وتفسير القرآن العظيم (٤٧/٨) ،

ونظم الدرر (١١٠/١٠) ، ومحاسن التأويل (٣٥٤٦ - ٣٥٤٧ / ٩) .

(3) ينظر : تفسير مقاتل (٣٣٦ / ٢) .

(4) ينظر : البحر المحيط (٣١٣ / ٥) .

(5) روح المعاني (٢٥٢ / ١٢) .

(6) ينظر : تفسير المراغي (١٥٤ / ١٢) .

(7) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (٣٦٢/١١) ، وفتح القدير (٤٣/٣) ، وفتح البيان (٣٤٦/٦) .

(8) زاد المسير (٢٣٠ / ٤) .

وأما القول الآخر بأن المراد تأويل الأحلام الباطلة ، فعليه ابن جرير الطبري، والزجاج، والنحاس، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، والواحدي، والسمعاني، وابن عطية، والعكبري، والرازي، والقرطبي، والبيضاوي، وأبو حيان، والثعالبي، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والقنوجي، والمراغي، والسعدي، والطاهر بن عاشور<sup>(١)</sup> .

قال الواحدي : « وهذا معنى قول أكثر المفسرين »<sup>(٢)</sup> .

وذكره الكرماني بصيغة ( قيل )<sup>(٣)</sup> .

واستدلوا له بقول النبي < : ( الرؤيا الصادقة من الله ، والحلم من الشيطان )<sup>(٤)</sup> .

والأحلام هي المختلطة والرديئة . قالوا : فهم إنما نفوا عن أنفسهم عبْر الأحلام لا عبْر الرؤيا على الإطلاق<sup>(٥)</sup> .

قال العكبري : « لأنهم لم يدعوا الجهل بتعبير الرؤيا »<sup>(٦)</sup> .

وقال القرطبي : « نفوا عن أنفسهم علم ما لا تأويل له ، لا أنهم نفوا عن أنفسهم علم التأويل »<sup>(٧)</sup> .

(1) ينظر : جامع البيان (١٣ / ١٨٠ - ١٨١) ، ومعاني القرآن وإعراجه (٣ / ١١٣) ، وإعراب القرآن (٢ / ٣٣١) ، وبحر العلوم (٢ / ١٦٣) ، وتفسير القرآن العزيز (٢ / ٣٢٨) ، والوجيز (١ / ٥٤٨) ، وتفسير القرآن (٣ / ٣٥) ، والحرر الوجيز (٧ / ٥٢١) ، والنبيان (٢ / ٧٣٣) ، ومفاتيح الغيب (٦ / ٤٦٤) ، والجامع لأحكام القرآن (١١ / ٣٦٢) ، وأنوار التنزيل (١ / ٤٨٨) ، والبحر المحيظ (٥ / ٣١٣) ، والجواهر الحسان (٢ / ١٥٨) ، وإرشاد العقل السليم (٣ / ١١٢) ، وفتح القدير (٣ / ٤٣) ، وروح المعاني (١٢ / ٢٥٢) ، وفتح البيان (٦ / ٣٤٥) ، وتفسير المراغي (١٢ / ١٥٤) ، وتيسير الكريم الرحمان (٢ / ٤١٨) ، والتحرير والتنوير (١٢ / ٢٨٢) .

(2) الوسيط (٢ / ٦١٥) .

(3) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١ / ٥٣٩) .

(4) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التعبير ، باب الرؤيا من الله ، برقم (٦٩٨٤) ، وباب من رأى النبي < في المنام برقم (٦٩٩٥) ، وباب الحلم من الشيطان ... برقم (٧٠٠٥) . وفي كتاب بدء الخلق ، باب صفة إبليس وجنوده ، برقم (٣٢٩٢) . وفي كتاب الطب ، النفث في الرقية ، برقم (٥٧٤٧) . ومسلم في صحيحه (٤ / ١٧٧١) في كتاب الرؤيا برقم (٢٢٦١) . وأحمد في مسنده (٥ / ٢٩٦ ، ٣٠٠ ، ٣٠٥ ، ٣١٠) . وغيرهم . من حديث أبي قتادة الأنصاري .

(5) ينظر : الحرر الوجيز لابن عطية (٧ / ٥٢١) .

(6) النبيان (٢ / ٧٣٣) . وينظر : مفاتيح الغيب للرازي (٦ / ٤٦٤) .

(7) الجامع لأحكام القرآن (١١ / ٣٦٢) .

وقال الطاهر : « التعريف فيه [أي : في الْأَحْلَامِ] أيضاً للعهد ، أي : ما نحن بتأويل أحلامك هذه بعالمين »<sup>(١)</sup> .

وقال الألوسي : « لشيوع الأحلام في أباطيلها ، وإما لكون اللام للعهد والمعهود الأضغاث منها »<sup>(٢)</sup> .

وإلى التسوية بين القولين ذهب الزمخشري ، والنسفي ، والقمي<sup>(٣)</sup> .

واحتملها معاً السمين ، والشهاب ، والسيد محمد رشيد رضا<sup>(٤)</sup> .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأقرب إلى الظاهر هو أن يكون المراد بالأحلام : الباطلة ،

لأن كون اللام في ﴿ الْأَحْلَامِ ﴾ للعهد أقرب وأظهر من كونها للجنس . أي : وما نحن بتأويل أحلامك هذه — التي هي أضغاث أحلام — بعالمين .

ولأن الأحلام جمع حُلْم ، والحُلْم من الشيطان كما قال النبي > .

وهذا اختيار أكثر المفسرين ، والله تعالى أعلم .

(1) التحرير والتنوير (١٢ / ٢٨٢) .

(2) روح المعاني (١٢ / ٢٥٢) .

(3) ينظر : الكشف (٣ / ٢٩٠ - ٢٩١) ، ومدارك التزويل (٢ / ٢٢٤) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤ / ٩٣) .

(4) ينظر : الدر المصون (٦ / ٥٠٧) ، وحاشية الشهاب (٥ / ١٨٣) ، وتفسير القرآن الحكيم (١٢ / ٢٥٦) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَقَالَ لِفَتَيْنِهِ أَجَعَلُوا بَضْعَنَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا ﴾

إِذَا أُنْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٣﴾

١٨- الخلاف في عائد ضمير ﴿ يَعْرِفُونَهَا ﴾ في قوله تعالى :

﴿ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا أُنْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ ﴾

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « أي : لعلمهم يعرفون اليد والكرامة في ردّ البضاعة إليهم . وليس الضمير للبضاعة » (١) .

العرض والمناقشة :

فسر ابن جزي عائد الضمير في قوله : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا ﴾ باليد والكرامة في ردّ البضاعة إليهم ، ونفى أن يكون الضمير للبضاعة .

وإلى هذا ذهب السمرقندي ، والزمخشري ، وابن عطية ، والنسفي ، وأبو حيان ، والثعالبي ، والمراغي (٢) . وقدمه السمعاني (٣) .

وذكره البغوي ، والقمي بصيغة ( قيل ) (٤) .

قال ابن عطية : « إن ميز البضاعة لا يقال فيه : ( لعل ) . وسرورهم بالبضاعة

وقولهم : ﴿ هَذِهِ بَضْعُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ﴾ يكشف أن يوسف × لم يقصد هذا ، وإنما قصد أن يستميلهم ويصلهم فيرغبهم في نفسه كالذي كان » (٥) .

وأما القول بأن الضمير يعود للبضاعة في قوله : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا ﴾ أي :

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٢٣) .

(2) ينظر : بحر العلوم (٢/ ١٦٨) ، والكشاف (٣/ ٣٠٣) ، والمحزر الوجيز (٨/ ١٤) ، ومدارك التنزيل (٢/ ٢٢٩) ، والبحر المحيط (٥/ ٣٢٢) ، والجواهر الحسان (٢/ ١٦٣) ، وتفسير المراغي (١٣/ ١٢) .

(3) ينظر : تفسير القرآن (٣/ ٤٥) .

(4) ينظر : معالم التنزيل (٢/ ٤٧٥) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/ ١٠٣ - ١٠٤) .

(5) المحزر الوجيز (٨/ ١٤) . وتبعه الثعالبي في الجواهر الحسان (٢/ ١٦٣) .

يعرفون البضاعة ، فهو قول نُسِبَ إلى الضحاك <sup>(١)</sup> .

وعليه الفراء، وابن جرير الطبري، والزجاج، والنحاس، والواحدي، والخازن،  
والقمي، والبقاعي، والقنوجي، والسعدي، والطاهر بن عاشور <sup>(٢)</sup> .

وهو مفهوم كلام الماوردي، وابن الجوزي، والرازي، والقرطبي، والشوكاني <sup>(٣)</sup> .  
قال القمي النيسابوري : « والأكثر على أنه أمر بوضع بضاعتهم في رحالهم  
على وَجْهٍ لا يعرفون بدليل قوله : لعلمهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم ... » <sup>(٤)</sup> .

والمعنى : أنه أراد أنهم إذا عرفوها لم يستحلّوا إمساكها حتى يردّوها .

ويدل له « ظاهر التعلّق بقوله : ﴿ إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ ﴾ فإن معرفتهم لها مقيدة  
بالرجوع وتفريغ الأوعية قطعاً » <sup>(٥)</sup> .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن البضاعة هي الثمن الذي دفعوه ليوسف × مقابل الكيل  
، وهي معروفة لهم من قبل ومن بعد ، فأراد يوسف - والعلم عند الله - أن يقدرّوا إكرامه  
لهم ويعرفوا نعمته عليهم وإحسانه إليهم برّد بضاعتهم إليهم لعلمهم يرجعون إليه طمعاً في  
عطائه وفضله . هذا الأنسب في معنى الآية ، والله أعلم . ولذلك لما فتحوا متاعهم ووجدوا  
بضاعتهم فرحوا واستبشروا وقالوا لأبيهم : ما نبغي أكثر من هذا ؟ فكان في ذلك تطمين  
لهم ليعودوا إليه . وليس المعنى : أنهم فتحوها ووجدوها فعرفوها بعد إذ كانوا جاهلين بها .  
فإذا كان ذلك كذلك فإن ما رجّحه ابن حُزَيٍّ ومن وافقه هو الأولى في معنى الآية ، وليس  
الضمير للبضاعة ، والله تعالى أعلم .

(1) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٢٥٠) .

(2) ينظر : معاني القرآن (٤٨/٢) ، وجامع البيان (١٣/ ٢٢٨ - ٢٢٩) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ١١٧) ، ومعاني  
القرآن الكريم (٣/ ٤٣٩ - ٤٤٠) ، والوجيز (١/ ٥٥٢) والوسيط (٢/ ٦٢٠) ، ولباب التأويل (٣/ ٢٨) ،  
وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/ ١٠٣) ، ونظم الدرر (١٠/ ١٥١) ، وفتح البيان (٦/ ٣٦٤) ، وتيسير  
الكريم الرحمان (٢/ ٤٢٤) ، والتحرير والتنوير (١٣/ ١٤) .

(3) ينظر : النكت والعيون (٣/ ٥٦) ، وزاد المسير (٤/ ٢٤٩ - ٢٥٠) ، ومفاتيح الغيب (٦/ ٤٧٩) ، والجامع  
لأحكام القرآن (١١/ ٣٩٥) ، وفتح القدير (٣/ ٥٢) .

(4) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/ ١٠٣) .

(5) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٣/ ١٢٠ - ١٢١) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رِجْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ

أَيُّهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾

١٩- كيف جاز ليوسف - عليه السلام - أن يجعل السقاية في رجل أخيه ، ثم

يُسْرِقُ قَوْمًا أَبْرِيَاءَ مِنَ السَّرِقَةِ ، وَيَقُولُ : ﴿ أَيُّهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾ ؟

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : «... وإنما استحَلَّ أن يرميهم بالسَّرقة ؛ لما في ذلك من المصلحة من إمساك أخيه . وقيل : إن حافظ السقاية نادى : إنكم لسارقون ، بغير أمر يوسف . وهذا بعيد ؛ لتفتيش الأوعية »<sup>(١)</sup> .

العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ في الجواب عن استحازة يوسف عليه السلام أن يجعل السقاية في رِجْلِ أَخِيهِ ليسرقهم وهم بُرَاءٌ ، أنه فعل ذلك لما فيه من المصلحة من إمساك أخيه ، وأنه كان نداء المؤذن بذلك بعلمه وأمره عليه السلام . وهذا الجواب جوِّده السمعاني<sup>(٢)</sup> . واستظهره أبو حيان ، وأبو السعود<sup>(٣)</sup> . وعليه الزمخشري ، وابن عطية ، وابن الجوزي<sup>(٤)</sup> . وهو مفهوم كلام القرطبي ، والنسفي ، والقاسمي<sup>(٥)</sup> .

وجوِّزه ابن جرير الطبري ، وتبعه النحاس<sup>(٦)</sup> .

وعلَّله ابن جرير الطبري بأنه يعلم أنهم قد كانوا سرقوا سَرِقَةً في بعض الأحوال ، فأمر المؤذن أن يناديهم بوصفهم بالسَّرْق ، ويوسف - عليه السلام - يعني ذلك السَّرْق ، لا سَرَقَهُم الصُّوَاع .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٢٤) .

(2) ينظر : تفسير القرآن (٢/ ٤٩) .

(3) ينظر : البحر المحيط (٥/ ٣٢٩) ، وإرشاد العقل السليم (٣/ ١٢٦) .

(4) ينظر : الكشف (٣/ ٣٠٨) ، والحرر الوجيز (٨/ ٢٦) ، وزاد المسير (٤/ ٢٥٧) .

(5) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٤٠٦) ، ومدارك التنزيل (٢/ ٢٣١) ، ومحاسن التأويل (٩/ ٣٥٧٣) .

(6) ينظر : جامع البيان (١٣/ ٢٧١) ، ومعاني القرآن الكريم (٣/ ٤٤٥) .

وقال أبو السعود عن هذا الجواب بأنه : « الأوفق للسياق »<sup>(١)</sup> .  
وأما الجواب الآخر وهو أن المؤذن نادى بذلك بغير أمر يوسف - عليه السلام -  
فاختاره الجصاص ، والواحدي ، ومحمود النيسابوري ، والرازي ، والبيضاوي ، والخازن ،  
والشوكاني ، والقنوجي ، والسعدي<sup>(٢)</sup> . وهو مفهوم كلام المراغي<sup>(٣)</sup> .  
واحتمله البقاعي<sup>(٤)</sup> . ونسبه ابن القيم للقاضي أبي يعلى<sup>(٥)</sup> .  
وجوزّه ابن جرير الطبري ، والنحاس<sup>(٦)</sup> .  
أما ابن عطية فقد قال : « ورجّحه الطبري »<sup>(٧)</sup> . وتبعه أبو حيان<sup>(٨)</sup> .  
والصواب أن ابن جرير لم يرجّحه بل جوزّه كما جوزّ الجواب الأول وهذه عبارة ابن  
جرير بنصّها : « قال أبو جعفر : إن قال لنا قائل : وكيف جاز ليوسف أن يجعل السقاية في  
رحل أخيه ، ثم يُسَرِّقَ قومًا أبرياء من السرِّق ، ويقول : ﴿ أَيَّتْهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ  
لَسَرِقُونَ ﴾ ؟ قيل : إن قوله : ﴿ أَيَّتْهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ ﴾ . إنما هو خبرٌ من الله عن  
مؤدّن أذن به ، لا خبرٌ عن يوسف ، وجائز أن يكون المؤذن أذن بذلك إذ فقد الصَّواعَ ، ولا  
يَعْلَمُ بصنيع يوسف ، وجائز أن يكون كان أذن المؤدّن بذلك عن أمر يوسف ، واستحاز  
الأمر بالنداء بذلك ؛ لعلمه بهم أنهم قد كانوا سرقوا سرقةً في بعض الأحوال ، فأمر المؤدّن  
أن يناديهم بوصفهم بالسرِّق ، ويوسف يعني ذلك السرِّق ، لا سرِّقهم الصَّواع »<sup>(٩)</sup> . اهـ

(1) إرشاد العقل السليم (٣/ ١٢٦) .

(2) ينظر : أحكام القرآن (٤/ ٣٩٠) ، والوسيط (٢/ ٦٢٣) ، ووضح البرهان (١/ ٤٦٢) ، وإيجاز البيان  
(١/ ٣٤٩) ، ومفاتيح الغيب (٦/ ٤٨٧) ، وأنوار التنزيل (١/ ٤٩٣) ، ولباب التأويل (٣/ ٣٢) ، وفتح القدير  
(٣/ ٥٨) ، وفتح البيان (٦/ ٣٧٣) ، وتيسير الكريم الرحمان (٢/ ٤٢٧) .

(3) ينظر : تفسير المراغي (١٣/ ٢٠) .

(4) ينظر : نظم الدرر (١٠/ ١٦٩) .

(5) ينظر : بدائع التفسير (٢/ ٤٥٦ ، ٤٦٦) ، وإعلام الموقعين (٣/ ٢٧٤ - ٢٨٢) .

(6) ينظر : جامع البيان (١٣/ ٢٧١) ، ومعاني القرآن الكريم (٣/ ٤٤٥) .

(7) الحرر الوجيز (٨/ ٢٦) .

(8) ينظر : البحر المحيط (٥/ ٣٢٩) .

(9) جامع البيان (١٣/ ٢٧١) .

واستبعده ابن جَزَيِّ هذا الجواب وردّه بتفتيش الأوعية ، وتبع في ذلك ابن عطية <sup>(١)</sup> .  
قال الرازي : « ليس في القرآن أنهم نادوا بذلك النداء عن أمر يوسف عليه السلام ،  
والأقرب إلى ظاهر الحال أنهم فعلوا ذلك من أنفسهم ؛ لأنهم لما طلبوا السقاية وما وجودها وما  
كان هناك أحد إلا هم غلب على ظنونهم أنهم هم الذين أخذوها » <sup>(٢)</sup> .  
ويجاب عن قول الرازي هذا بأنه ليس في القرآن أيضاً أنهم نادوا بذلك النداء بغير أمره  
وعلمه عليه السلام .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن كلا الجوابين جائز ومحمّل وإن كان الأقرب أنه كان يعلم  
يوسف ذلك النداء ؛ لأن هذه كانت مكيدة مرتبة كما قال الله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ كِدْنَا  
لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [ يوسف : ٧٦ ] ،  
فالأقرب - والله أعلم - أنه رَبَّ لهذا الأمر مع فتياه وأذن المؤذن بذلك النداء عن علم  
يوسف وأمره .  
ويدلُّ لذلك ثلاثة أمور :

- ١- أن الله رَبَّ الفعل أَذَنَ على فعل يوسف مِنْ جعله السقاية في رحل أخيه ، بـ  
ثُمَّ الدالة على وقوع الأذان مباشرة بعده مما يشير إلى ترتيب هذا الأمر وأن يوسف هو الذي  
أمر المؤذن بذلك .
- ٢- أن المؤذن لم يكن له أن يؤذّن بذلك النداء حتى يرجع إلى يوسف ويخبره بفقد  
الصواع . فوقع نداؤه بعد علم يوسف عليه السلام ؛ إذ كان فتياه لا يقطعون أمراً دون  
علمه وإذنه وأمره .
- ٣- أنه يحتمل أن يكون مع إخوة يوسف غيرهم ممن جاؤوا للميرة ، فحينئذ يكون  
في النداء فيهم خاصة دلالة على أن يوسف هو الذي أمر المؤذن بذلك ، والله أعلم .  
وأما سكوت القرآن عن الإخبار بأن يوسف - عليه السلام - هو الذي أمر المؤذن  
بذلك النداء فهو من أدب القرآن مع الأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام ، والله تعالى أعلم .

(1) ينظر : المحرر الوجيز (٨ / ٢٦) .

(2) مفاتيح الغيب (٦ / ٤٨٧) . وتبعه الخازن في لباب التأويل (٣ / ٣٢) ، والقنوجي في فتح البيان (٦ / ٣٧٣) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ فَلَمَّا أَسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْتَقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾

٢٠- الخلاف في إعراب (مَا) من قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « تحتل (مَا) وجوهًا : الأول : أن تكون زائدة . والثاني : أن تكون مصدرية ومحلُّها الرفع بالابتداء ، تقديره : وقع من قبل تفريطكم في يوسف . والثالث : أن تكون موصولة ومحلُّها أيضًا الرفع كذلك . والأول أظهر » (١) .

العرض والمناقشة :

استظهر ابن جُزَيِّ أن (مَا) زائدة في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي

يُوسُفَ ﴾ .

وهذا الوجه جعله الزجاج أجودها (٢) ، وأبوحيان أحسنها (٣) ، والسمين أظهرها (٤) ، والشهاب أحسنها وأسلمها (٥) . وعليه النحاس ، والواحدي ، والكرماني ، والبيضاوي ، والبقاعي ، والسيوطي (٦) . وصححه ابن عطية (٧) . وبدأ به الزمخشري (٨) . وجوزَه الفراء ، ومكي ، والباقولي ، والقرطبي ، والشوكاني ، والقنوجي ، ومحي الدين

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٢٥) .

(2) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٢٤) . وينظر : زاد المسير (٤/ ٢٦٧) .

(3) ينظر : البحر المحيط (٥/ ٣٣٥) .

(4) ينظر : الدر المصون (٦/ ٥٣٩) .

(5) ينظر : حاشية الشهاب (٥/ ١٩٩) .

(6) ينظر : إعراب القرآن (٢/ ٣٤٠) ، والوجيز (١/ ٥٥٦) ، والوسيط (٢/ ٦٢٥) ، وغرائب التفسير (١/ ٥٤٧) ،

وأنوار التنزيل (١/ ٤٩٥) ، ونظم الدرر (١٠/ ١٩٢) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٤/ ٧١) .

(7) ينظر : المحرر الوجيز (٨/ ٤٣) .

(8) ينظر : الكشف (٣/ ٣١٣) . وينظر أيضًا : الدر المصون للسمين (٦/ ٥٣٩) .

الدرويش<sup>(١)</sup> .

ونظيرها (مَا) في قوله تعالى : ﴿ فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ ﴾ [ النساء : ١٥٥ والمائدة : ١٣ ] .  
قالوا : وزيادة (مَا) كثيرة .

وجعلوها زائدة لتحسين اللفظ ، و ( مِنْ ) متعلقة بالفعل وهو (فَرَطْتُمْ ) ، فيكون المعنى : ومن قبل فرطتم في يوسف .

قال مكّي : « يجوز أن تكون ﴿ مَا ﴾ زائدة وتكون ﴿ مِنْ ﴾ متعلقة بـ فَرَطْتُمْ تقديره: وفرطتم من قبل في يوسف . وفيه بُعد ؛ للتفريق بين حرف العطف والمعطوف عليه .  
و﴿ قَبْلُ ﴾ مبنية لحذف ما أضيف إليه تقديره : ومن قبل هذا الوقت فرطتم في يوسف » .

وأما الوجه الثاني في ﴿ مَا ﴾ وهو أنها مصدرية محلها الرفع بالابتداء ، فهو اختيار الفراء ، والطاهر بن عاشور ، ومحي الدين الدرويش<sup>(٢)</sup> . وصححه ابن عطية<sup>(٣)</sup> .  
وجوزّه ابن جرير الطبري ، والزجاج ، والباقولي ، والقرطبي ، والبيضاوي<sup>(٤)</sup> .  
وذكره النحاس ، والكرماني ، والشوكاني بصيغة ( قيل )<sup>(٥)</sup> .

قال مكّي : « فإن جعلت ﴿ مَا ﴾ والفعل مصدرًا لم تتعلّق (من) بـ فَرَطْتُمْ ؛ لأنك تقدم الصلة على الموصول ، لكن تتعلّق بالاستقرار ؛ لأن المصدر مرفوع بالابتداء وما قبله خبره ، وفيه نظر »<sup>(٦)</sup> .

وأعلّ هذا الوجه أبوحيان بأن « هذه الظروف التي هي غايات إذا ثبتت لا تقع أخبارًا للمبتدأ . جرت أو لم تجر . تقول : يوم السبت مبارك والسفر بعده . ولا يجوز : والسفر

(1) ينظر : معاني القرآن (٥٣/٢) ومشكل إعراب القرآن (٣٩٣/١) وكشف المشكلات (٥٤٨/١) ، والجامع لأحكام القرآن (٤٢٢/١١) وفتح القدير (٦٣/٣) وفتح البيان (٣٨٣/٦) وإعراب القرآن الكريم وبيانه (٣٢/٥) .

(2) ينظر : معاني القرآن (٥٣/٢) ، والتحرير والتنوير (٣٩/١٣) ، وإعراب القرآن الكريم وبيانه (٣١/٥ - ٣٢) .

(3) ينظر : المحرر الوجيز (٤٣/٨) .

(4) ينظر : جامع البيان (٢٨٦/١٣) ، ومعاني القرآن وإعرابه (١٢٤/٣ - ١٢٥) ، وكشف المشكلات (٥٤٨/١) ، والجامع لأحكام القرآن (٤٢٢/١١) ، وأنوار التنزيل (٤٩٥/١) .

(5) ينظر : إعراب القرآن (٣٤٠/٢) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (٥٤٧/١) ، وفتح القدير (٦٣/٣) .

(6) مشكل إعراب القرآن (٣٩٣/١) .

بعدُ ، وعمرو زيد خلفه ، ولا يقال : عمرو زيد خلفٌ . وعلى هذا القول يكون تفريظكم مبتدأ ، ومن قَبْلُ خبر ، وهو مبني ، وذلك لا يجوز ، وهذا مقرر في علم العربية . ولهذا ذهب أبو علي إلى أن المصدر مرفوع بالابتداء ، ﴿ فِي يُوسُفَ ﴾ هو الخبر ، أي : كائن أو مستقر في يوسف . والظاهر أن ﴿ فِي يُوسُفَ ﴾ معمول لقوله ﴿ فَرَطْتُمْ ﴾ لا أنه في موضع خبر <sup>(١)</sup> .

وأما الوجه الثالث في ﴿ مَا ﴾ وهو أنها موصولة محلها الرفع بالابتداء ، فصححه ابن عطية <sup>(٢)</sup> .

وجوزه البيضاوي ، ومحي الدين الدرويش <sup>(٣)</sup> .  
وذكره الشوكاني بصيغة ( قيل ) <sup>(٤)</sup> .

واختار ابن جرير الطبري <sup>(٥)</sup> أن تكون ﴿ مَا ﴾ مصدرية في موضع نصب عطفاً على

﴿ أَتَى ﴾ ، والمعنى : ألم تعلموا أن أباكم ... ، وتعلموا تفريظكم في يوسف .  
وُسببَ اختياره إلى أبي البقاء العكبري <sup>(٦)</sup> . وعلى هذا الوجه أيضاً محمود النيسابوري ،  
والقرطبي ، والشوكاني ، والقنوجي <sup>(٧)</sup> . وجوزه الفراء ، والزجاج <sup>(٨)</sup> .  
وذكره النحاس ، والكرماني بصيغة ( قيل ) <sup>(٩)</sup> .

قال مكِّي : « ويجوز أن تكون من متعلقة بـ تَعْلَمُوا في قوله ﴿ أَلَمْ تَعْلَمُوا ﴾ فيكون

(1) البحر المحيط (٥/٣٣٦) .

(2) ينظر : المحرر الوجيز (٨/٤٤) .

(3) ينظر : أنوار التنزيل (١/٤٩٥) ، وإعراب القرآن الكريم وبيانه (٥/٣٢) .

(4) ينظر : فتح القدير (٣/٦٣) .

(5) ينظر : جامع البيان (١٣/٢٨٦) .

(6) ينظر : الدر المصون للسمين (٦/٥٤٢) ، والتبيان (٢/٧٤٢) .

(7) ينظر : وضع البرهان (١/٤٦٤) ، وإيجاز البيان (١/٣٥١) ، والجامع لأحكام القرآن (١١/٤٢٢) ، وفتح القدير

(٣/٦٣) ، وفتح البيان (٦/٣٨٠) .

(8) ينظر : معاني القرآن (٢/٥٣) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/١٢٥) .

(9) ينظر : إعراب القرآن (٢/٣٤١) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (١/٥٤٧) .

﴿ مَا قَرَّطُمْ ﴾ مصدرًا في موضع نصب على العطف على ﴿ أَنْتَ ﴾ والعامل ﴿ تَعَلَّمُوا ﴾ ،  
وفيه قُبْحٌ ؛ للتفريق بين حرف العطف والمعطوف بـ ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ ، وهو حَسَنٌ عند الكوفيين  
وقبيح عند البصريين «<sup>(١)</sup> .

وأعله أبوحيان فقال : « إنه ليس بجيد ؛ لأن فيه الفصل بالجار والمجرور بين حرف العطف  
الذي هو على حرف واحد وبين المعطوف فصار نظير " ضربت زيداً وبسيفٍ عمراً " . وقد  
زعم أبو علي الفارسي أنه لا يجوز ذلك إلا في ضرورة الشعر «<sup>(٢)</sup> .

وفي ﴿ مَا ﴾ غير ذلك من الأوجه، ذكرها كلها الزمخشري<sup>(٣)</sup> وبدأ بما بدأ به ابن جُزَيِّ .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن القول بزيادة " مَا " فيه نظر ؛ لأنه ليس في القرآن حرف  
زائد، وأما الأقوال الأخرى فكل قول منها له وجهه وبكلٍ قال طائفة من المفسرين  
والمعريين، والله تعالى أعلم .

(1) مشكل إعراب القرآن (١/٣٩٣) .

(2) البحر المحيط (٥/٣٣٦) .

(3) ينظر : الكشف (٣/٣١٣) . وينظر أيضاً : الدر المصون للسمين (٦/٥٣٩-٥٤٢) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ اَرْجِعُوْا اِلَىٰ اٰبِيكُمْ فَقُولُوْا يٰٓاٰبَانَا اِنَّكَ سَرَقْتَ وَمَا شَهِدْنَا اِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا

وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حٰفِظِيْنَ ﴿٨١﴾

في هذه الآية الكريمة مسألتان :

المسألة الأولى هي :

٢١- الخلاف في القائل : ﴿ اَرْجِعُوْا اِلَىٰ اٰبِيكُمْ ﴾ الآية . هل هو كبيرهم أم يوسف ؟

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « من قول كبيرهم . وقيل : من قول يوسف ، وهو بعيد »<sup>(١)</sup>.

العرض والمناقشة :

رحح ابن جزي أن كبيرهم هو الذي قال لهم : ﴿ اَرْجِعُوْا اِلَىٰ اٰبِيكُمْ ﴾ الآية . واستبعد أن يكون من قول يوسف عليه السلام . ووافق ما روي عن ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> .

وعليه مقاتل ، وابن جرير الطبري ، والسمرقندي ، والواحدي ، والبغوي ، وابن عطية ، والرازي ، والقرطبي ، والحازن ، والقمي ، وأبو حيان ، وابن كثير ، والثعالبي ، والبقاعي ، والشوكاني ، والقنوجي ، والقاسمي ، والمراغي ، والسعدي ، والظاهر بن عاشور<sup>(٣)</sup> .

ودليله السياق ، فإن الكلام لا يزال متصلاً بقيل أخيهما الكبير فالأولى أن يكون له ، لا

ليوسف .

وأما القول الآخر بأن قوله : ﴿ اَرْجِعُوْا اِلَىٰ اٰبِيكُمْ ﴾ هو من قول يوسف ، فذكره

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٢٥) .

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٨٢) رقم (١١٨٥٩) .

(3) ينظر : تفسير مقاتل (٢/ ٣٤٧) ، وجامع البيان (١٣/ ٢٨٧) ، وبحر العلوم (٢/ ١٧٢) ، والوجيز (١/ ٥٥٦) ،

ومعالم التنزيل (٢/ ٤٨٦) ، والحرر الوجيز (٨/ ٤٥) ، ومفاتيح الغيب (٦/ ٤٩٣) ، والجامع لأحكام القرآن

(١١/ ٤٢٥) ، ولباب التأويل (٣/ ٣٥) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/ ١١٣) ، والبحر المحيظ

(٥/ ٣٣٧) ، وتفسير القرآن العظيم (٨/ ٦٢) ، والجواهر الحسان (٢/ ١٧٠) ، ونظم الدرر (١٠/ ١٩٣) ، وفتح

القدير (٣/ ٦٤) ، وفتح البيان (٦/ ٣٨٣) ، ومحاسن التأويل (٩/ ٣٥٧٩) ، وتفسير المراغي (١٣/ ٢٦) ، وتيسير

الكريم الرحمان (٢/ ٤٣١) ، والتحرير والتنوير (١٣/ ٤٠) .

ابن عطية، وأبو حيان بصيغة ( قيل )<sup>(١)</sup> .

إذا تقرر هذا فإن السياق<sup>(٢)</sup> يدلُّ دلالةً واضحةً على أن القائل : ﴿ اَرْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ ﴾ هو كبيرهم إذ لا يزال الكلام متصلاً بقيله ، فالأولى أن يكون له لا ليوسف عليه السلام والله تعالى أعلم .

(1) ينظر : المحرر الوجيز ( ٤٥ / ٨ ) ، والبحر المحيط ( ٣٣٧ / ٥ ) .

(2) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين ( ١٢٥ / ١ ) .

## المسألة الثانية هي :

### ٢٢- الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « أَيُّ : لا نعلم الغيب هل ذلك حقٌّ في نفس الأمر ، أم لا ؟ إذ يمكن أن يُدَسَّ الصُّوَاعُ في رَحْلِهِ من غير علمه . وقال الزمخشري : المعنى : ما شهدنا إلا بما علمنا من سرقة و تيقنناه ؛ لأن الصواع استخرج من وعائه ، ﴿ وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴾ أَي : ما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الميثاق <sup>(١)</sup> . وقراءة (سَرَقَ) بالفتح تعضد قولَ الزمخشري . والقراءة بالضم <sup>(٢)</sup> تعضد القول الأول « <sup>(٣)</sup> .

### العرض والمناقشة :

قدّم ابن جُزَيِّ في معنى قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴾ القول بأن معناها : لا نعلم الغيب هل ذلك حقٌّ في نفس الأمر أم لا ؟ وقال : والقراءة بالضم - "سُرَّقَ" - تعضده . وهذا القول هو معنى ما رُوِيَ عن ابن إسحاق <sup>(٤)</sup> . ونسبه إليه ابن عطية ، وابن الجوزي <sup>(٥)</sup> . وعليه الجصاص ، والواحدي ، والعكبري ، والثعالبي ، والبقاعي ، والشوكاني ، والقنوجي <sup>(٦)</sup> . وقدّمه ابن عطية <sup>(٧)</sup> .

(1) الكشاف (٣/ ٣١٤) .

(2) قرئ (سُرَّقَ) بضم السين وتشديد الراء المهملتين على وجه ما لم يُسَمَّ فاعله . ينظر : القراءات الشاذة لابن خالويه (٦٥) وهي قراءة منسوبة إلى ابن عباس ، وأبي رزين ، والكسائي في رواية ، والضحاك . وينظر : معاني القرآن الكريم للنحاس (٣/ ٤٥٢) ، وجامع البيان لابن جرير الطبري (١٣/ ٢٨٧) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٥/ ٣٣٧) ، والمحزر الوجيز لابن عطية (٨/ ٤٥) ، وإعراب القرآن للنحاس (٢/ ٣٤١) .

(3) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٢٥-١٢٦) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/ ٢٨٨) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٨٢) رقم (١١٨٦١) و (٧/ ٢١٨٣) رقم (١١٨٦٥) من طريق سلمة ، عنه .

(5) ينظر : المحزر الوجيز (٨/ ٤٦) ، وزاد المسير (٤/ ٢٦٨) .

(6) ينظر : أحكام القرآن (٤/ ٣٩١ ، ٣٩٢) ، والوجيز (١/ ٥٥٦) والوسيط (٢/ ٦٢٦) ، والتبيان (٢/ ٧٤٢) ، والجواهر الحسان (٢/ ١٧٠) ، ونظم الدرر (١٠/ ١٩٣) ، وفتح القدير (٣/ ٦٤) ، وفتح البيان (٦/ ٣٨٤) .

(7) ينظر : المحزر الوجيز (٨/ ٤٦) .

وذكره السمرقندي بصيغة ( يقال )<sup>(١)</sup> .

قال النحاس : « قال أبو حاتم : ذكر قوم " إن ابنك سُرِّقَ " قالوا : معناه : رُمِيَ بالسَّرْقِ ، كما يقال : ظَلَمَ فلانٌ وَخَوَّنَ . قال : ولم أسمع له إسناداً . قال أبو جعفر [النحاس] : ليس نفيه السماع بحجة على من سمع . وقد رَوَى هذا الحرفَ غير واحدٍ منهم محمد بن سعدان النحوي في كتابه " كتاب القراءات " وهو ثقة مأمون ، وذكر أنها قراءة ابن عباس »<sup>(٢)</sup> . اهـ .

ثم ذكر احتمالين في معناها : أحدهما : أنَّهَمَ بالسرقة ، والآخر : عُلِمَ منه السَّرْقُ . قال الزجاج : « وَسُرِّقَ يكون على ضربين ، سُرِّقَ : عُلِمَ أنه سَرَّقَ ، وَسُرِّقَ : أنَّهَمَ بالسَّرْقِ »<sup>(٣)</sup> .

وقال الفراء : « ويقرأ ( سُرِّقَ ) ولا أشتهيها ؛ لأنها شاذة »<sup>(٤)</sup> . اهـ .  
وكأنه يذهب إلى أنه لا يستحلُّ أن يُسَرَّقَ ولم يسرَّق .

وقال الزمخشري : « ومن قرأ ( سُرِّقَ ) ، فمعناه : وما شهدنا إلا بقدر ما علمنا من التسريق ، وما كنا للغيب ؛ للأمر الخفي حافظين ، أسرَّقَ بالصحة أم دُسَّ الصَّاعُ في رحله ولم يشعر؟ »<sup>(٥)</sup>

وأما القول الآخر الذي نقله ابن جزي عن الزمخشري وهو أن المعنى : وما شهدنا إلا بما علمناه وتيقناه من سرقة ؛ لأن الصواع استخرج من وعائه ، ﴿ وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴾ أي : وما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الميثاق ، فهو المرويُّ عن مجاهد<sup>(٦)</sup> ، وعكرمة<sup>(٧)</sup> ،

(1) ينظر : بحر العلوم (١٧٣ / ٢) .

(2) إعراب القرآن (٣٤١ / ٢) .

(3) معاني القرآن وإعرابه (١٢٥ / ٣) .

(4) معاني القرآن (٥٣ / ٢) .

(5) الكشف (٣١٤ / ٣) .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٨٩ / ١٣ - ٢٩٠) عنه قال : لم نعلم أنه سيسرق . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٦٦ / ٤) نسبه إلى ابن أبي شيبه ، وابن المنذر .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٨٩ / ١٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٨٣ / ٧) رقم (١١٨٦٣)

وقتادة<sup>(١)</sup> . ونُسبَ إلى الحسن<sup>(٢)</sup> ، ومكحول<sup>(٣)</sup> .

وعليه ابن جرير الطبري، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، ومكي، وابن الجوزي، والقرطبي، والنسفي، والخازن، وابن كثير، والسيوطي، والقاسمي، والمراغي، والسعدي<sup>(٤)</sup> . وهو مفهوم كلام مقاتل<sup>(٥)</sup> . واحتمله ابن عطية<sup>(٦)</sup> .

وعضد ابن جزيّ هذا القول بقراءة (سَرَقَ) بالفتح .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن قول الزمخشري ومن وافقه من أن معنى قوله تعالى : ﴿ وَمَا

كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴾ أي : وما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الميثاق ، هو الأولى بالتقديم .

ويؤيده القراءة المتواترة لـ (سَرَقَ) بالفتح ، و ( معنى القراءة المتواترة أولى بالصواب من معنى القراءة الشاذة )<sup>(٧)</sup> . وهذا هو قول السلف ، واختيار الأكثر من المفسرين ، والله تعالى أعلم .

- 
- عنه قال : ما كنا نعلم أن ابنك يسرق . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٦٦/٤) نسبته إلى أبي الشيخ .
- (1) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٢٧/٢) عن معمر ، عنه قال : ما كنا نظن أن ابنك يسرق . وأخرجه من طريق معمر ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٩٠/١٣) ومن طريق سعيد ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٨٣/٧) رقم (١١٨٦٤) من طريق سعيد بن بشير ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٦٦/٤) نسبته إلى أبي الشيخ .
  - (2) ينظر : أحكام القرآن للحصاص (٣٩٢ /٤) .
  - (3) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٢٦٨ /٤) .
  - (4) ينظر : جامع البيان (٢٩٠/١٣) ، وبحر العلوم (١٧٣/٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٣٣٦/٢) ، وتفسير المشكل (٢٠٦) ، وتذكرة الأريب (٢٦٧/١) ، والجامع لأحكام القرآن (٤٢٦/١١) ، ومدارك التنزيل (٢٣٤/٢) ، ولباب التأويل (٣٦/٣) ، وتفسير القرآن العظيم (٦٢/٨) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٧٢/٤ ) ، ومحاسن التأويل (٣٥٨٠/٩) ، وتفسير المراغي (٢٦/١٣) ، وتيسير الكريم الرحمان (٤٣١/٢) .
  - (5) ينظر : تفسير مقاتل (٣٤٧ /٢) .
  - (6) ينظر : المحرر الوجيز (٤٦ /٨) .
  - (7) قواعد الترجيح عند المفسرين (١٠٤ /١) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَسَأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ ﴾ (٨٢)

### ٢٣ - الخلاف في قوله تعالى : ﴿ وَسَأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ بين المجاز والحقيقة .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « تقديره : وأسأل أهل القرية ، وكذلك : أهل العير . يعنون الرِّقَّةَ . هذا هو قول الجمهور . وقيل : المراد سؤال القرية بنفسها والعير بنفسها ، ولا يبيِّعُ أن تخبره الجمادات ؛ لأنه نبيٌّ . والأول أظهر وأشهر على أنه مجاز » (١) .

#### العرض والمناقشة :

رحَّح ابنُ جُزَيِّ القولَ بالمجاز في قوله تعالى : ﴿ وَسَأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ والتقدير : وأسأل أهل القرية ، وأهل العير . ففي الآية إضمار ، حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . وَتَسَبَّ هذا القول للجمهور متابِعًا ابنَ عطية ، وأباحيان وهو كذلك .

وعلى هذا البخاري، وابن قتيبة، وابن جرير الطبري، والزجاج، والنحاس، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، والماوردي، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، وابن الجوزي، والعكبري، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، والحازن، والقمي، وأبوحيان، والسمين، والبلنسي، والثعالبي، والسيوطي، وأبوالسعود، والشهاب، والشوكاني، والقنوجي، والقاسمي، والمراغي، والطاهر بن عاشور، ومحي الدين الدرويش (٢) .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٢٦) .

(2) ينظر : صحيح البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء ، بعد رقم ٣٤١١ ، وكتاب التفسير ، بعد رقم ٤٦٨٦) ، وتأويل مشكل القرآن (١٧٠، ٢٠٣، ٢١٠) ، وجامع البيان (٢٩٠-٢٩١/١٣) ، ومعاني القرآن وإعرابه (١٢٠/٣) ، وإعراب القرآن (٣٤١/٢) ، وبحر العلوم (١٧٣/٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٣٣٦/٢) ، والنكت والعيون (٦٨/٣) ، والوجيز (٥٥٧/١) والوسيط (٦٢٦/٢) ، وتفسير القرآن (٥٦/٣) ، ومعالم التنزيل (٤٨٦/٢) ، والكشاف (٣١٤/٣) ، والمحرم الوجيز (٤٦/٨ - ٤٧) ، وزاد المسير (٢٦٨/٤) ، والتبيان (٧٤٢/٢) ، والجامع لأحكام القرآن (٤٢٧/١١) ، وأنوار التنزيل (٤٩٥/١) ، ومدارك التنزيل (٢٣٤/٢) ، ولباب التأويل (٣٦/٣) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (١١٣/٤) ، والبحر المحيط (٣٣٧/٥) ، والدر المصون (٥٤٤/٦) ، وتفسير مبهمات القرآن (٥٦/٢) ، والجواهر الحسان (١٧٠/٢) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٧٢/٤) ، وإرشاد العقل السليم (١٣٣/٣) ، وحاشية الشهاب (٢٠٠/٥) ، وفتح القدير (٢٧/٣) ، وفتح البيان (٣٨٤/٦) ، ومحاسن التأويل (٣٥٨٠/٩) ، وتفسير المراغي (٢٧/١٣) ، والتحرير

قال ابن عطية : « هذا قول الجمهور وهو الصحيح » .  
 وقال أبوحيان : « الظاهر أن ذلك على إضمار أهل ... إلا إن أُريد بالعبير القافلة فلا  
 إضمار في قوله ﴿ وَالْعَيْرَ ﴾ . وحذف المضاف هو قول الجمهور » .  
 وقال البلنسي : « والمجاز في القرآن وفي كلام العرب أكثر وأظهر من أن يستدل  
 عليه » .

وقال الدرويش : « مجاز مرسل ، إذ المراد أهلها ، والعلاقة : المحليّة » .  
 وقال الرازي : « وهذا النوع من المجاز [ يعني : حذف المضاف للإيجاز والاختصار ]  
 مشهور في لغة العرب . قال أبو علي الفارسي : ودافع هذا في اللغة كدافع الضروريات  
 وجاحد المحسوسات »<sup>(١)</sup> .

وقال السمين : « وهذا على خلاف في المسألة : هل الإضمار من باب المجاز أو غيره؟  
 المشهور أنه قسم منه وعليه أكثر الناس » .

واستدل لهذا القول بكثرة حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه في القرآن<sup>(٢)</sup> ،  
 كقوله تعالى : ﴿ مِّن قَرِينِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ ﴾ [ محمد : ١٣ ] أي : أخرجك أهلها .  
 وكقوله تعالى : ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾ [ البقرة : ٩٣ ] أي : حُبَّ العجل .  
 وكقوله تعالى : ﴿ أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ ﴾ [ التوبة : ١٩ ]  
 أي : أجعلتم صاحب سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ، كمن آمن؟! أو : أجعلتم سقاية  
 الحاج وعمارة المسجد الحرام كإيمان من آمن بالله وجهاده؟!

وكقوله تعالى : ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴾ [ العلق : ١٧ ] أي : أهله .

ومنه قول الهذلي :

يُمَشِّي بَيْنَنَا حَانُوتُ حَمْرٍ      من الحُرْسِ الصَّرَاصِرَةِ الْقَطَاطِ<sup>(٣)</sup>

والتنوير (٤٠/١٣) ، وإعراب القرآن الكريم وبيانه (٣٧ ، ٣٥ / ٥) .

(1) مفاتيح الغيب (٤٩٥ / ٦) .

(2) ينظر : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (٢١٠ - ٢١٢) .

(3) البيت للمتنخل الهذلي ، كما في ديوان الهذليين (٢١) . وقوله : من الحرس الصراصرة ، يريد أعجم من نبط  
 الشام يقال لهم : الصراصرة . والقطاط : الجعاد . والواحد : قطط ، وهو أشد الجحود . ينظر : اللسان

أراد : صاحب حائوت خمر ، فأقام الحائوت مقامه .  
ومنه قول كثير :

حُزِيَتْ لِي بِحَزْمٍ فَيَدَّةٌ تُحَدِّي كَالْيَهُودِيِّ مِنْ نَطَاةِ الرَّقَالِ (١)

أراد : كنتخل اليهودي من خبير ، فأقامه مقامها .

وأما القول بأن سؤال القرية هو على الحقيقة والمراد الجمادات ، وسؤال العير هو على الحقيقة والمراد الحيوانات ، وليس ببعيد ذلك أن يراد ؛ لأنه نبيٌّ يمكن أن تخبره الجمادات والحيوانات ، فهو قولٌ منسوب لأبي بكر الأنباري (٢) .

ونسبه ابن عطية لفرقة واستبعده (٣) . وذكره الماوردي ، والشوكاني بصيغة ( قيل ) (٤) .

قال العكبري : « وجاز حذف المضاف ؛ لأن المعنى لا يلتبس . وأما قوله تعالى : ﴿ وَالْعَيْرِ

الَّتِي ﴾ فيراد بها الإبل ، فعلى هذا يكون المضاف محذوفاً أيضاً ، أي : أصحاب العير . وقيل : العيرُ القافلة ، وهم الناس الراجعون من السفر ، فعلى هذا ليس فيه حذف » (٥) .

وجوزَ هذا القول ؛ لأنه نبيٌّ ، والأنبياء قد سخر لهم الجماد والحيوان بما يحدث فيهم من المعرفة إعجازاً لأنبيائه ، فأحالوه على سؤال القرية والعير ؛ ليكون أوضح برهاناً .

وردّه الشهاب بأنه ليس مراداً ولا يقتضيه المقام ؛ لأنه ليس بصدد إظهار المعجزة (٦) .

وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن الصواب في هذه الآية الكريمة أنها على الحقيقة وليس فيها مجاز ،

وبيان ذلك من ثلاثة أوجه :

(٧/٣٨٠) مادة (قطط) .

(1) ديوان كثير (١/١٤٥) . حُزِيَتْ : رفعت . وحَزْمٌ فَيَدَةٌ : موضع . ينظر : معجم البلدان (٤/٣٢١) (فيدة) . وفيه: كاليهودي : كتحدي اليهودي . ونطاة : خبير ، والرقال : جمع رقلة ، وهي النخلة الطويلة . وينظر : اللسان (١١/٢٩٣) مادة ( رقل ) .

(2) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٤/٢٦٨) ، ومفاتيح الغيب للرازي (٦/٤٩٥) ، وغرائب القرآن و رغائب الفرقان للقمي (٤/١١٣) .

(3) ينظر : المحرر الوجيز (٨/٤٧) .

(4) ينظر : النكت والعيون (٣/٦٨) ، وفتح القدير (٣/٦٤) .

(5) التبيان (٢/٧٤٢) .

(6) ينظر : حاشية الشهاب (٥/٢٠٠) .

الأول : أن إطلاق القرية وإرادة أهلها أسلوب عربي جاء به القرآن . فليس من المجاز في شئ بل هو حقيقة في ذلك ، ومنه :

- قوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنْتْ فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ ﴾ [يونس : ٩٨] .
- وقوله تعالى : ﴿ وَبَجَيْنَهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَ ﴾ [الأنبياء : ٧٤] .
- وقوله تعالى : ﴿ وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [الأنبياء : ٩٥] .
- وقوله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ ﴾ [محمد : ١٣] .
- وقوله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَدَتْ عَن أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا ﴾ [الطلاق : ٨] .
- وقوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَّوْعِدًا ﴾ [الكهف : ٥٩] .

والمراد بالقرية في هذه الآيات أهلها ، وهو بين ظاهر بدليل قوله تعالى :

- ﴿ قَالُوا إِنَّا مَهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ ﴾ [العنكبوت : ٣١] .
- ﴿ إِنَّا مَنَزَلْنَاهُ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ [العنكبوت : ٣٤] .
- ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَنِلَّكَ مَسْكِنُهُمْ لَمْ تُسْكِن مِن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ [القصص : ٥٨] .

- وقوله تعالى عن قوم عاد : ﴿ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسْكِنُهُمْ ﴾ [الأحقاف : ٢٥] . ثم قال بعدها لأهل مكة : ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأحقاف : ٢٧] .

وهذا كثير في القرآن يطلق القرية ويريد أهلها وسكانها لا مساكنها وجدرانها وما فيها من جمادات .

الثاني : أن المضاف المحذوف كأنه مذكور ؛ لأنه مدلول عليه بالاقتضاء ، وتغيير الإعراب عند الحذف من أساليب اللغة العربية أيضاً .

قال ابن مالك :

وما يلي المضاف يأتي خلفاً عنه في الإعراب إذا ما حُذِفَ<sup>(١)</sup>

فقوله : ﴿ وَسَّئِلِ الْقَرْيَةَ ﴾ من المدلول عليه بالاقترضاء ، وأنه ليس من المجاز عند جمهور الأصوليين القائلين بالمجاز في القرآن ، وأخرى غيرهم ، مع أن حدّ المجاز لا يشملها ؛ لأن القرية مستعملة في معناها الحقيقي ، وإنما جاءها المجاز - عند القائل به - من قبل النقص المؤدي لتغيير الإعراب . وليس بمجاز ؛ لأن إعراب المضاف إليه إعراب المضاف إذا حذف من أساليب اللغة العربية<sup>(٢)</sup> .

الثالث : أن العير لا يراد بها البهائم من الإبل ونحوها بل يراد بها القافلة ، وهم الناس

الراجعون من السفر ، بدليل قوله تعالى : ﴿ أَيَّتْهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَرْقُونَ ﴾ [يوسف : ٧٠] . وبعد ، فإذا تقرر هذا فإنه يقال : المراد بالقرية في الآية أهلها ، والمراد بالعير القافلة ، وهذا استعمال حقيقي في محلّه وليس من المجاز في شيء ، وهو أسلوب عربي جاء به القرآن الكريم . ويؤيد هذا من القواعد الترجيحية قاعدة : ( حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى )<sup>(٣)</sup> وقاعدة : ( يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة )<sup>(٤)</sup> .

وأما القول بأن المراد بسؤال القرية هو سؤال جماداتها ومساكنها ، وبسؤال العير هو سؤال الحيوان البهيم ، فليس بظاهر بل هو بعيد وغير مراد ، وإن كان في نفس الأمر ليس بعيد من أن يكلم الجماد والحيوان نبيّاً من أنبياء الله تعالى - عليهم السلام - كما ثبت في صحيح البخاري<sup>(٥)</sup> حينئذ الجذع الذي كان يخطب عليه نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ، وكما ثبت في صحيح مسلم<sup>(٦)</sup> أنه صلى الله عليه وسلم قال : ( إني أعرف حجراً كان

(1) ينظر : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٧٥/٣) .

(2) ينظر : منع جواز المجاز في المتزل للتعبد والإعجاز للشنقيطي (٢٧ - ٢٨) .

(3) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ١٧٢) .

(4) المصدر السابق (٢/ ٣٨٧) .

(5) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الاسلام ، برقم (٣٥٨٣) من حديث ابن عمر ،

وبرقم (٣٥٨٤) من حديث جابر ، و برقم (٣٥٨٥) من حديث أنس .

(6) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم ، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة ،

يُسَلِّمُ عَلَيَّ فِي مَكَّةَ ) . وأمثال هذا كثيرة جدًا . لكن في الآية الكريمة ﴿ وَسَّئِلِ الْقَرْيَةَ  
الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ ليس ذلك مرادًا ؛ لأنه ليس بصدد إظهار المعجزة  
والآية على النبوة ، والله تعالى أعلم .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا الضُّرَّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُزَجَّجَةٍ فَأَوَّفِ لَنَا

الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾

٢٤ - الخلاف في المراد بالبضاعة المزجاة .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « ﴿ بِيضْعَةٍ مُزَجَّجَةٍ ﴾ : يعنون الدرهم التي جاؤوا بها لشراء الطعام . والمزجاة : القليلة . وقيل : الرديئة . وقيل : الناقصة . وقيل : إن بضاعتهم كانت عُروضًا فلذلك قالوا هذا «<sup>(١)</sup> .

العرض والمناقشة :

حكى ابن جُزَيِّ الخلاف في البضاعة على قولين اثنين :  
الأول : أنها كانت دراهم . ورجَّحه ابن جُزَيِّ بتقديمه له . ووافق في هذا ما رُوِيَ عن ابن عباس<sup>(٢)</sup> ، ومجاهد<sup>(٣)</sup> ، وعكرمة<sup>(٤)</sup> ، وسعيد بن جبير<sup>(٥)</sup> ، والسدي<sup>(٦)</sup> ، وعطية<sup>(٧)</sup> .  
وعلى هذا مقاتل ، والفراء ، وابن جرير الطبري ، والسمرقندي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، وابن عطية ، والرازي ، والثعالبي ، والسيوطي ، والقاسمي<sup>(٨)</sup> .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/١٢٦ - ١٢٧) .

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣١٨/١٣) بالإسناد المسلسل بالعوفيين . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٩١/٧) رقم (١١٩١٨) من طريق أبي روق ، عن الضحاك ، عنه . ورقم (١١٩٢٢) من طريق عكرمة ، عنه .

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٢٣/١٣) .

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣١٨/١٣ - ٣١٩ ، ٣٢٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٩١/٧) رقم (١١٩٢٣) .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٩٢/٧) رقم (١١٩٣١) .

(٦) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٢٣/١٣) .

(٧) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٢١/١٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٩٢/٧) رقم (١١٩٢٥) .

(٨) ينظر : تفسير مقاتل (٣٤٩/٢) ، ومعاني القرآن (٥٥/٢) ، وجامع البيان (٣١٦/١٣) ، وبحر العلوم (١٧٤/٢) ، والوجيز (٥٥٨/١) ، وتفسير القرآن (٦٠/٣) ، ومعالم التنزيل (٤٩١/٢) ، والحرر الوجيز (٦٢/٨) ، ومفاتيح الغيب (٥٠٣/٦) ، والجواهر الحسان (١٧٢/٢) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٧٨/٤) ، ومحاسن التأويل (٣٥٨٥/٩) .

- وُنُسِبَ إلى أبي عبيد <sup>(١)</sup> . وذكره الزمخشري بصيغة ( قيل ) <sup>(٢)</sup> .  
 والثاني : أنها كانت عُروصًا . واختلفوا في تعيينها على أقوال :  
 - كانت سمناً وصوفًا . قاله عبد الله بن الحارث . وعليه أبو السعود <sup>(٣)</sup> .  
 - كانت قديد وحش . قاله علي بن أبي طالب .  
 - كانت الصنوبر والحبة الخضراء . قاله أبو صالح ، وزيد بن أسلم . قال ابن عطية :  
 وهي الفستق .  
 - كانت المقل <sup>(٤)</sup> .  
 - كانت القطن .  
 - كانت الحبال والأعدال والأقتاب <sup>(٥)</sup> .  
 ذكرها كلها ابن عطية بصيغة ( قيل ) <sup>(٦)</sup> .  
 والقول بأنها كانت عروضاً ذكره أيضاً أبو حيان ، والثعالبي بصيغة ( قيل ) <sup>(٧)</sup> .  
 وذكر القولين جميعاً بصيغة ( قيل ) : البيضاوي ، والنسفي ، والقمي <sup>(٨)</sup> .  
 وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن هذين القولين في البضاعة لا مرجح لأحدهما على الآخر ؛  
 لجواز إطلاق البضاعة عليهما معاً ؛ فإن البضاعة هي القطعة من المال يقصد بها شراء شيء .  
 تقول : أبضعت الشيء ، واستبضعته ؛ أي : جعلته بضاعةً <sup>(٩)</sup> .

- 
- (1) ينظر : الوسيط للواحدى (٢/٦٣٠) ، وتهذيب اللغة للأزهري (١١/١٥٥) .  
 (2) ينظر : الكشاف (٣/٣٢٠) .  
 (3) ينظر : إرشاد العقل السليم (٣/١٣٥) .  
 (4) المقل - بضم الميم وسكون القاف - هو : حَمَلُ الدَّوْمِ ، واحدته مُقْلَةٌ ، والدَّوْمُ شجرة تشبه النخلة في حالاتها .  
 ينظر : لسان العرب (١١/٦٢٨ مقل) .  
 (5) الأعدال : الأحمال المتساوية من المتاع ، يقال : عدل الأمتعة : جعلها أعدالا متساوية لتحمل . والأقتاب : جمع قَتَب ، وهو الرَّحْلُ الصَّغِيرُ على قَدْرِ سَنَامِ البعير . ينظر : لسان العرب (١١/٤٣٣ عدل ، ١/٦٦١ قتب) .  
 (6) ينظر : المحرر الوجيز (٨/٦٢-٦٣) .  
 (7) ينظر : البحر المحيط (٥/٣٤٠) ، والجواهر الحسان (٢/١٧٢) .  
 (8) ينظر : أنوار التنزيل (١/٤٩٧) ، ومدارك التنزيل (٢/٢٣٥) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/١٢٠) .  
 (9) ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية (٨/٦٠) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/٤٣٨ ، ٤٣٩) .

فإذا كان ذلك كذلك فإن الدراهم يطلق عليها بضاعة ، وكذلك العُروض يطلق عليها بضاعة بل حتى العبد يطلق عليه بضاعة ، ألا ترى إلى قول الله تعالى في يوسف عليه السلام : ﴿ وَأَسْرُوهُ بَضْعَةً ﴾ [يوسف : ١٩] . ولا دليل على التعيين فوق الخلاف ، فوجب السكوت عن تعيينها ماذا كانت ؛ لسكوت القرآن عن بيان ذلك فانعدم الدليل ، والله تعالى أعلم .

ثم إن ابن جُزَيِّ حكى الخلاف في " المزجاة " على ثلاثة أقوال :

الأول : أنها القليلة . ورجَّحه ابن جُزَيِّ بتقديمه له .

ووافق في هذا ما رُوِيَ عن مجاهد<sup>(١)</sup>، وعكرمة<sup>(٢)</sup>، وقتادة<sup>(٣)</sup>، وإبراهيم النخعي<sup>(٤)</sup>، وعبد الله بن الحارث<sup>(٥)</sup>، وابن إسحاق<sup>(٦)</sup>، والحسن<sup>(٧)</sup>، وابن زيد<sup>(٨)</sup> .

وعلى هذا أبو عبيدة، والزجاج، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، والراغب، ومكي، وابن العربي، ومحمود النيسابوري، وابن الجوزي، وابن كثير، والقاسمي، والسعدي، والطاهر ابن عاشور<sup>(٩)</sup> .

- (1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣ / ٣٢١ ، ٣٢٢) .
- (2) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٧ / ٢١٩٢) عقب الأثر (١١٩٢٦) . وزاد السيوطي نسبه في الدر المنثور (٤ / ٥٧٦) إلى سعيد بن منصور ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ .
- (3) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢ / ٣٢٨) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣ / ٣٢٣) من طريق معمر ، عنه . وأخرجه ابن جرير أيضاً من طريق سعيد ، عنه .
- (4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣ / ٣٢٠) . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٧ / ٢١٩٢) عقب الأثر (١١٩٢٦) .
- (5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣ / ٣١٩) .
- (6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣ / ٣١٦ ، ٣٢٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧ / ٢١٩٢) رقم (١١٩٢٧) .
- (7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣ / ٣٢٠ ، ٣٢١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧ / ٢١٩٢) رقم (١١٩٢٦) .
- (8) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣ / ٣٢٣) .
- (9) ينظر : مجاز القرآن (١ / ٣١٧) ، ومعاني القرآن وإعرابه (٣ / ١٢٧) ، وبحر العلوم (٢ / ١٧٤) ، وتفسير القرآن العزيز (٢ / ٣٣٨) ، ومفردات ألفاظ القرآن (٣٧٨) مادة (زجا) ، وتفسير المشكل (٧ / ٢٠٧) ، وأحكام القرآن (٣ / ١١٠٥) ، ووضح البرهان (١ / ٤٦٦) ، وإيجاز البيان (١ / ٣٥٢) ، وتذكرة الأريب (١ / ٢٦٧) ، وتفسير

والقول الثاني في المزجاة : أنها الرديئة .

رُويَ هذا عن ابن عباس<sup>(١)</sup> ، ومجاهد<sup>(٢)</sup> ، وعكرمة<sup>(٣)</sup> ، وسعيد بن جبير<sup>(٤)</sup> .  
وعليه ابن جرير الطبري ، وأبو عبيد ، والواحدي ، والسمعاني ، والحازن ،  
وأبوحيان ، وابن التركماني ، والسيوطي ، والمراغي<sup>(٥)</sup> .  
وذكره مكي بصيغة ( قيل )<sup>(٦)</sup> .

والقول الثالث في المزجاة : أنها الناقصة .

روي أيضاً عن عكرمة<sup>(٧)</sup> ، وسعيد بن جبير<sup>(٨)</sup> . واختاره ثعلب<sup>(٩)</sup> .  
وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن المزجاة أصلها من التزجية وهي الدفْعُ والسَوْقُ ، يقال :  
فلان يُزجي العيسَ أي : يدْفَعُ ، والمعنى : أنها بضاعة تُدْفَعُ ، ولا يقبلها كُلاً أحد<sup>(١٠)</sup> .  
ومنه : إزجاء السحاب ، والريح تزجي السحاب . قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ

القرآن العظيم (٦٠/٨) ، ومحاسن التأويل ( ٩ / ٣٥٨٥ ) ، وتيسير الكريم الرحمان (٤٣٣/٢) ، والتحرير  
والتنوير (٤٦/١٣) .

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣١٧/١٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٩١/٧) رقم (١١٩٢٢)  
من طريق عكرمة ، عنه قال : رديئة زُيوفٌ ، لا تُنْفَقُ حتى يُوضَعَ منها .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٢٣/١٣) قال : الدراهم الرذال .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣١٩ / ١٣ ، ٣٢٣) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٢٠ / ١٣ ، ٣٢٢) .

(5) ينظر : جامع البيان (٣٢٣/١٣ - ٣٢٤) ، والوسيط للواحدي (٦٣٠/٢) ، وتفسير القرآن (٦٠/٣) ، ولباب  
التأويل (٣٩/٣) ، والبحر المحيط (٥ / ٣٤٠) ، وبهجة الأريب (٢٨٩/١) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات  
الإلهية ٤/٧٨ ) ، وتفسير المراغي (٣١ / ١٣) .

(6) ينظر : تفسير المشكل ( ٢٠٧ ) .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٢٢ / ١٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٩٢/٧) رقم  
(١١٩٣١) .

(8) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣١٩ / ١٣ ، ٣٢٣) .

(9) ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ( ٤٣٨ / ١١ ) .

(10) ينظر : معاني القرآن الكريم للنحاس (٤٥٥ / ٣) . وتأني أيضاً : فلان يزجي العيش ، أي : يدفع الزمان  
بالحيلة ، ويدفع بالقليل ويكتفي به . ينظر : معاني القرآن وإعراجه للزجاج (١٢٧/٣ - ١٢٨) ، ومفاتيح الغيب  
للرازي (٥٠٣/٦) .

يُزَجِي سَحَابًا ﴿ [ النور : ٤٣ ] .

قال ابن جرير الطبري : « وأصل الإزجاء السوق بالدفع . كما قال النابغة الذبياني :

وهبَّتِ الرِّيحُ من تلقاء ذي أرلٍ تُزَجِي مع الليل من صُرَادِهَا صِرْمًا <sup>(١)</sup>

يعني : تسوق وتدفع . ومنه قول أعشى بني ثعلبة :

الواهب المائة الهجانَ وعبدها عُوذاً تُزَجِي خَلْفَهَا أَطْفَالَهَا <sup>(٢)</sup>

وقول حاتم :

لَيْبِكِ على مِلْحَانَ ضَيْفٍ مُدْفَعٍ وَأرْمَلَةٌ تُزَجِي مع الليل أَرْمَلًا <sup>(٣)</sup>

يعني : ألها تسوق بين يديها ، على ضعفٍ منه عن المشي وعجزٍ . ولذلك قيل :

﴿ بِضَاعَةٍ مُزَجَلَةٍ ﴾ ؛ لأنها غير نافقة ، وإنما تُجَوِّزُ تجويزاً على دفعٍ من آخذيها <sup>(٤)</sup> . اهـ .

وهذا هو الصواب في معنى " المزجاة " ، أن البضاعة التي جاؤوا بها لشراء الطعام

كانت مزجاةً أي : مدفوعة يدفعها كل تاجر ؛ رغبةً عنها واحتقاراً لها ، ولا يقبلها كل

أحد .

وإلى هذا القول الصحيح في معنى المزجاة يذهب الزمخشري ، وابن عطية ، والرازي ،

والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والقمي ، وأبوحيان ، وابن التركماني ،

والسمين ، والثعالبي ، والسيوطي ، وأبوالسعود ، والشوكاني ، والقنوجي ، والمراغي ،

والسعدي ، والدرويش <sup>(٥)</sup> .

(1) ديوانه (١٠٧) . وأرل : جبل بأرض غطفان . ينظر : معجم البلدان (٢١٠/١) . والصراد : سحاب بارد تسفره

الريح أو سحاب بارد ندي ليس فيه ماء . ينظر : اللسان ( ص ر د ) . والصرمُ : جمع صرمة : هي القطعة من

السحاب . ينظر : اللسان ( ص ر م ) .

(2) ديوانه (٢٩) . والهجان من الإبل : البيض الكرام . ينظر : اللسان ( هجن ) . والعود : جمع عائد : هي حديثة

النتاج من الإبل والظباء والخيل . ينظر : اللسان ( عوذ ) .

(3) ديوانه (٢٨٢) . ورجل أرمل وامرأة أرملة : محتاجة .

(4) جامع البيان (١٣/٣١٦ - ٣١٧) .

(5) ينظر : الكشف (٣٢٠/٣) ، والمحزر الوجيز (٦٠/٨) ، ومفاتيح الغيب (٥٠٣/٦) ، والجامع لأحكام القرآن

(٤٣٨/١١) ، وأنوار التنزيل (٤٩٧/١) ، ومدارك التنزيل (٢٣٥/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان

(١٢٠/٤) ، والبحر المحيط (٣٣٩/٥) ، وبهجة الأريب (٢٨٩/١) ، والدر المصون (٥٥٠/٦) ، والجواهر

الحسان (١٧٢/٢) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٧٨/٤ ) ، وإرشاد العقل السليم (١٣٥/٣) ، وفتح

فإذا كان ذلك كذلك فالصواب أن يقال : إنها كانت بضاعةً تساق سوقاً وتدفع دفعاً ولا يقبلها كل أحد إلا على تجوّز ؛ لرداءتها أو لقلتها أو لنقصانها أو لذلك كلّ، والله أعلم .  
أما ماذا كانت ؟ فالله تعالى أعلم ولا يصح تعيين شيء من ذلك ؛ لعدم الدليل ، ولا يصحّ حمل الآية على تفسيرات وتفصيلات لأمر مغيبة لا دليل عليها من القرآن أو السنة<sup>(١)</sup> .  
والله تعالى أعلم .

---

القدير (٦٨/٣)، وفتح البيان (٣٩٢/٦) ، وتفسير المراغي (٣١/١٣) ، وتيسير الكريم الرحمان (٤٣٣/٢) ، وإعراب القرآن الكريم وبيانه (٤٦ /٥) .  
(1) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين ( ١ / ٢٢٥ ) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ قَالُوا أَيْنَ نَكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا <sup>ط</sup>

إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠﴾ ﴾

### ٢٥- الخلاف في معنى ﴿يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « قيل : إنه أراد من يتق في ترك المعصية ، ويصبر على السجن . واللفظ أعم من ذلك » <sup>(١)</sup> .

#### العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ القول بالعموم في معنى : ﴿يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾ .

ورُوِيَ عن ابن عباس عدّة أقوال فيها تدل على أنها يرى العموم :

١- من يتق الزنى ويصبر على البلاء .

٢- من يتق الزنى ويصبر على العزبة .

٣- من يتق الله ويصبر على المصائب <sup>(٢)</sup> .

وممن نصّ على العموم من المفسرين ابن عطية ، وأبوحيان ، والقنوجي <sup>(٣)</sup> . وهو

مفهوم كلام ابن جرير الطبري ، والسمرقندي ، والواحدي ، والزمخشري ، والقرطبي ،

والبيضاوي والقمي ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والقاسمي ، والمراغي ، والسعدي <sup>(٤)</sup> .

وقريبٌ من هؤلاء : السمعاني ، والبغوي ، والرازي <sup>(٥)</sup> .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل ( ٢ / ١٢٧ ) .

(2) ينظر : معالم التنزيل للبغوي ( ٢ / ٤٩٣ ) ، وزاد المسير لابن الجوزي ( ٤ / ٢٨١ - ٢٨٢ ) ، والدر المنثور للسيوطي

( ٤ / ٥٧٧ ) . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ( ٧ / ٢١٩٤ ) رقم ( ١١٩٤٢ ) عن إبراهيم النخعي .

(3) ينظر : المحرر الوجيز ( ٨ / ٦٧ ) ، والبحر المحيط ( ٥ / ٣٤٢ ) ، وفتح البيان ( ٦ / ٣٩٤ ) .

(4) ينظر : جامع البيان ( ١٣ / ٣٢٨ ) ، وبحر العلوم ( ٢ / ١٧٥ ) ، والوجيز ( ١ / ٥٥٩ ) ، والكشاف ( ٣ / ٣٢٢ ) ،

والجامع لأحكام القرآن ( ١١ / ٤٤٣ ) ، وأنوار التنزيل ( ١ / ٤٩٧ ) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان ( ٤ / ١٢٢ ) ،

وإرشاد العقل السليم ( ٣ / ١٣٧ ) ، وفتح القدير ( ٣ / ٧١ ) ، ومحاسن التأويل ( ٩ / ٣٥٨٨ ) ، وتفسير المراغي

( ١٣ / ٣٥ ) ، وتيسير الكريم الرحمان ( ٢ / ٤٣٤ ) .

(5) ينظر : تفسير القرآن ( ٣ / ٦٢ ) ، ومعالم التنزيل ( ٢ / ٤٩٣ ) ، ومفاتيح الغيب ( ٦ / ٥٠٥ ) .

واستدلّوا بعموم اللفظ وعدم التخصيص ، فالأحسن والأولى أن لا تُخصَّ التقوى بحالٍ ولا الصبرُ . وأما ما ذكر من تخصيصات كترك معصية الزنى خاصّة ، والصبر على السجن خاصّة - مثلاً - فهي بحسب حالة يوسف ونوازله ، ولو فرض نزول غيرها به لاتقى وصبر .

وأما القول بتخصيص التقوى بحال ترك المعصية ، والصبر على السجن ، فهو قول منسوب إلى مجاهد <sup>(١)</sup> . ومفهوم كلام مقاتل <sup>(٢)</sup> . واحتمله الماوردي <sup>(٣)</sup> . وذكره القنّوجي بصيغة ( قيل ) <sup>(٤)</sup> .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأحسن هو القول بالعموم ؛ لاقتضاء اللفظ ذلك . ويؤيده القاعدة الترجيحية : ( يجب حمل نصوص الوحي على العموم ) <sup>(٥)</sup> . والله تعالى أعلم .

- 
- (1) ينظر : معالم التنزيل للبعوي (٤٩٣/٢) ، والمحزر الوجيز لابن عطية (٦٧/٨) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٢٨٢/٤) ، ولباب التأويل للخازن (٤٠/٣) .
  - (2) ينظر : تفسير مقاتل (٣٤٩ / ٢) .
  - (3) ينظر : النكت والعيون (٧٥ / ٣) .
  - (4) ينظر : فتح البيان (٣٩٤ / ٦) .
  - (5) قواعد الترجيح عند المفسّرين (٥٢٧ / ٢) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (٩٢)

٢٦- الخلاف في الوقف على ﴿الْيَوْمَ﴾ من قوله تعالى :

﴿ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « وقوله : ﴿الْيَوْمَ﴾ راجع إلى ما قبله فيوقف عليه . وهو يتعلّق بالتثريب أو بالمقدّر في (عَلَيْكُمْ) من معنى الاستقرار . وقيل : إنه يتعلّق بـ يَغْفِرُ ، وهذا بعيد ؛ لأنه تحكّم على الله ، وإنما يَغْفِرُ دعاء ، فكأنه أسقط حقّ نفسه بقوله : ﴿ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ﴾ ثم دعا إلى الله أن يغفر لهم حقّه » (١) .

العرض والمناقشة :

رجّح ابن جزيّ تعلق ﴿الْيَوْمَ﴾ بما قبله إما بالتثريب أو بالمقدّر في (عَلَيْكُمْ) من معنى الاستقرار . وعلى هذا فيوقف عليه ثم يبتدئ القراءة : ﴿ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ . وعلى هذا معنى ما روى أبو صالح ، عن ابن عباس قال : لا أعيركم بعد اليوم بهذا أبداً (٢) . ونحوه عن ابن إسحاق (٣) ، والسديّ (٤) ، وسفيان (٥) .

قال ابن قتيبة : « لا تعبير عليكم بعد هذا اليوم بما صنعتم . وأصل التثريب : الإفساد» (٦) .

ولم يجوز مكي تعلق ﴿الْيَوْمَ﴾ بالتثريب وقال : « لأنه يصير من تمامه وقد بُنيَ

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٢٧) .

(2) زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٢٨٢-٢٨٣) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/ ٣٣١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٩٥) رقم (١١٩٤٨) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/ ٣٣١) .

(5) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٩٥) رقم (١١٩٤٩) .

(6) زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٢٨٢-٢٨٣) .

﴿ تَثْرِيْبٌ ﴾ على الفتح ، ولا يجوز بناء الاسم قبل تمامه ، لكن تنصب أَلْيَوْمَ على الظرف وتجعله خبراً لـ تَثْرِيْبٍ و ﴿ عَلَيْكُمُ ﴾ صفة لـ تَثْرِيْبٍ . وَعَلَى متعلّقة بمضمر هو صفة لـ تَثْرِيْبٍ في الأصل تقديره : لا تثريب ثابت عليكم اليوم ، فتنصب أَلْيَوْمَ على الاستقرار<sup>(١)</sup> .  
وتبعه الكرمانى<sup>(٢)</sup> .

وقال العكبري : « ولا يجوز أن تتعلّق " على " بـ تَثْرِيْبٍ ، ولا نَصْبُ أَلْيَوْمَ به ؛ لأن اسم ﴿ لَا ﴾ إذا عمل ينون<sup>(٣)</sup> .

وقال أبوحيان : « ولا يجوز أن يتعلّق أَلْيَوْمَ بـ التثريب ؛ لأن التثريب مصدر وقد فصل بينه وبين معموله بقوله ( عَلَيْكُمُ ) ، و عَلَيْكُمُ إما أن يكون خبراً أو صفة لـ تَثْرِيْبٍ ، ولا يجوز الفصل بينهما ؛ لأن معمول المصدر من تمامه ، وأيضاً لو كان أَلْيَوْمَ متعلّقا بـ تَثْرِيْبٍ لم يجر بناؤه وكان يكون من قبيل المشبّه بالمضاف ... فكان يكون معرباً منوناً . ولذلك وقف على قوله ( أَلْيَوْمَ ) أكثر القراء وابتدأوا بـ ( يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ ) على جهة الدعاء . وهو تأويل ابن إسحاق ، والطبري<sup>(٤)</sup> .

وقال الدرويش : « و أَلْيَوْمَ ظرف متعلّق بمحذوف خبر ثان أو بمتعلّق الخبر وهو ( عَلَيْكُمُ ) وعلى كلِّ فالوقف عليه . ولا يجوز تعليق الظرف بالمصدر وهو التثريب ؛ لأنه يصير شبيهاً بالمضاف ومتى كان كذلك أعرب ونون نحو : لا خيراً من زيد عندك . والعجب من الزمخشري إذ أجاز تعليق الظرف بالتثريب وهي زلّة لا أدري كيف وقع فيها! »

(1) مشكل إعراب القرآن (١/ ٣٩٤) .

(2) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٥٥١) . وينظر أيضاً : كشف المشكلات للباقولي (١/ ٥٤٩) .

(3) التبيان (٢/ ٧٤٥) .

(4) البحر المحيط (٥/ ٣٤٣) . وينظر : الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٥٥٤ - ٥٥٥) .

ومن جهة ثانية : فصل بينه وبين معموله على حدّ قوله بقوله ﴿ عَلَيْكُمْ ﴾<sup>(١)</sup> .

وعلى هذا القول - وهو الوقف على ﴿ أَلْيَوْمَ ﴾ وتعلقه بما قبله - الأخفش ، والنحاس ، وابن عطية ، والعكبري ، والقرطبي ، والقمي ، وأبوحيان ، وابن كثير ، والسيوطي ، والقاسمي ، والمراغي ، والدرويش<sup>(٢)</sup> . وهو مفهوم كلام ابن جرير الطبري ، والسمرقندي ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ، ومحمود النيسابوري ، والثعالبي ، والبقاعي<sup>(٣)</sup> . وقدّمه الزمخشري ، والشوكاني<sup>(٤)</sup> .

قال ابن عطية : « وهذا الوقف أرجح في المعنى ؛ لأن الآخر فيه تحكم على مغفرة الله، اللهم إلا أن يكون ذلك بوحى »<sup>(٥)</sup> .

وتبعه القرطبي وقال : « وفي معناه : قول النبي صلى الله عليه وسلم لقريش يوم فتح مكة : ( لا تثريب عليكم اليوم ) »<sup>(٦)</sup> .

وأما القول الآخر ، وهو تعلق اليوم بيغفر ، فجوّزه أبوعلي الفارسي<sup>(٧)</sup> ، ومحي الدين

(1) إعراب القرآن الكريم وبيانه (٤٨ / ٥) .

(2) ينظر : معاني القرآن (٣٦٨ / ٢) ، وإعراب القرآن (٣٤٤ / ٢) ، ومشكل إعراب القرآن (٣٩٤ / ١) ، والمحزر الوجيز (٧٠ / ٨) ، والتبيان (٧٤٥ / ٢) ، والجامع لأحكام القرآن (٤٤٤ / ١١) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (١٢٢ / ٤) ، والبحر المحيط (٣٤٣ / ٥) ، وتفسير القرآن العظيم (٦٩ / ٨) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٨٠ / ٤ ) ، ومحاسن التأويل (٣٥٨٩ / ٩) ، وتفسير المراغي (٣٥ / ١٣) ، وإعراب القرآن الكريم وبيانه (٤٨ / ٥) .

(3) ينظر : جامع البيان (٣٣١ / ١٣) ، وبحر العلوم (١٧٥ / ٢) ، والوجيز (٥٥٩ / ١) ، وتفسير القرآن (٦٢ / ٣) ، ومعالم التنزيل (٤٩٤ / ٢) ، ووضح البرهان (٤٦٧ / ١) ، والجواهر الحسان (١٧٣ / ٢) ، ونظم الدرر (٢١٠ / ١٠ - ٢١١) .

(4) ينظر : الكشف (٣٢٢ / ٣) ، وفتح القدير (٧٢ / ٣) .

(5) المحرر الوجيز (٧٠ / ٨) . وتبعه الثعالبي في الجواهر الحسان (١٧٣ / ٢) .

(6) الجامع لأحكام القرآن (٤٤٥ / ١١) . والحديث أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٥٨ / ٥) ، والسنن الكبرى (١١٨ / ٩) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . وأخرجه أيضاً في الدلائل (٨٧ / ٥) من حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده . وفيه : ( أقول كما قال يوسف : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ) .

(7) ينظر : الحجّة (١٤٠ / ١ - ١٤٢) . وينظر أيضاً : كشف المشكلات للباقولي (٥٤٩ / ١) .

الدرويش<sup>(١)</sup> . واستظهره الطاهر بن عاشور<sup>(٢)</sup> . واحتمله القمي<sup>(٣)</sup> .  
وذكره ابن الأنباري<sup>(٤)</sup> .

وُسبَ تجويزه للأخفش<sup>(٥)</sup> . والذي في معانيه بعكس ذلك حيث قال : ﴿ الْيَوْمَ ﴾  
وقف ، ثم استأنف فقال : ﴿ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ ، فدعا لهم بالمغفرة مستأنفاً<sup>(٦)</sup> .

وذكره العكبري بصيغة ( قيل )<sup>(٧)</sup> .

ونقل أبوحيان عن بعض القراء الوقف على ﴿ عَلَيْكُمْ ﴾ والابتداء بـ : ﴿ يَغْفِرُ  
اللَّهُ لَكُمْ ﴾<sup>(٨)</sup> .

وعلمه الطاهر بن عاشور قائلاً : « لأن مثل هذا القول ( لا تثريب عليكم ) مما يجري  
مجرى المثل فينبى على الاختصار فيكتفي بـ ( لا تثريب ) ، مثل قولهم : لا بأس ، وقوله  
تعالى : ﴿ لَا وَزَرَ ﴾ [ القيامة : ١١ ] . وزيادة ﴿ عَلَيْكُمْ ﴾ للتأكيد مثل زيادة ( لك ) بعد  
( سقيا ورعيا ) »<sup>(٩)</sup> .

وإلى تجويز القولين ذهب الكرمانى لكنه لم يجوز تعلق ( عليكم ) بالتثريب ؛ لأن ذلك  
يستدعي تنوين التثريب ، وكذلك اليوم . وجوز تعلق اليوم بما في عليكم من معنى الفعل<sup>(١٠)</sup> .  
وسوى بينها الزمخشري، والرازي، والبيضاوي، والنسفي، وأبو السعود، والقنوجي<sup>(١١)</sup> .

(1) ينظر : إعراب القرآن الكريم وبيانه ( ٤٨ / ٥ ) .

(2) ينظر : التحرير والتنوير ( ٥٠ / ١٣ ) .

(3) ينظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان ( ١٢٢ / ٤ ) .

(4) ينظر : الوسيط للواحدى ( ٦٣١ / ٢ ) .

(5) كما في المصدر السابق .

(6) معاني القرآن ( ٣٦٨ / ٢ ) .

(7) ينظر : التبيان ( ٧٤٥ / ٢ ) .

(8) ينظر : البحر المحيط ( ٣٤٣ / ٥ ) ، والدر المصون للسمين ( ٥٥٥ / ٦ ) .

(9) التحرير والتنوير ( ٥٠ / ١٣ ) ، وينظر : المصدرين السابقين .

(10) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل ( ٥٥١ / ١ ) .

(11) ينظر : الكشاف ( ٣٢٢ / ٣ ) ، ومفاتيح الغيب ( ٥٠٦ / ٦ ) ، وأنوار التنزيل ( ٤٩٨ / ١ ) ، ومدارك التنزيل

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأولى في قوله تعالى : ﴿ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومَ يَعْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ . هو تعلق " أَيُّومَ " بما قبله ، وعليه فيحسن الوقف عليه ثم الابتداء والاستئناف بـ ﴿ يَعْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ ؛ لأن تعلقه بـ يَعْفِرُ يتوقف على العلم بوحي الله إليه بذلك ، وهذا لا سبيل إلى معرفته إلاّ بدليل ولا يحتمل لأن يكون خبراً منه - عليه السلام - ؛ لأنهم سألوا أباهم بعد ذلك أن يستغفر لهم ذنوبهم كما في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾ [يوسف : ٩٧ - ٩٨] فبقي أن يكون منه على جهة الدعاء لهم ﴿ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ، والله تعالى أعلم .

فإذا كان ذلك كذلك فإن ما رجّحه ابن جُزَيٍّ ومن وافقه هو الأولى ، وعليه الأكثر، والله تعالى أعلم .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا ﴾

﴿ وَأَتُونَ بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٩٣)

### ٢٧- الخلاف في القميص لمن هو ؟

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « رُوِيَ أَنَّ هَذَا الْقَمِيصَ كَانَ لِإِبْرَاهِيمَ كَسَاهُ اللَّهُ لَهُ حِينَ أُخْرِجَ مِنَ النَّارِ ، وَكَانَ مِنْ ثِيَابِ الْجَنَّةِ ، ثُمَّ صَارَ لِإِسْحَاقَ ، ثُمَّ لِيَعْقُوبَ ، ثُمَّ دَفَعَهُ يَعْقُوبَ لِيُوسُفَ (١) ، وَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى سَنَدٍ يُوثِقُ بِهِ . وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ كَانَ قَمِيصَ يُوسُفَ الَّذِي بَمَثَلَةِ قَمِيصِ كُلِّ أَحَدٍ » (٢) .

### العرض والمناقشة :

استظهر ابن جُزَيِّ أَنَّ الْقَمِيصَ كَانَ قَمِيصَ يُوسُفَ الَّذِي بَمَثَلَةِ قَمِيصِ كُلِّ أَحَدٍ . وَوَأَفَقَ ابْنُ عَطِيَّةٍ (٣) فِي هَذَا . وَعَلَيْهِ الْبِيضَاوِيُّ ، وَأَبُو حِيَّانَ ، وَالتَّعَالِيُّ ، وَالبَقَاعِيُّ ، وَالتَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (٤) . وَهُوَ مَفْهُومُ كَلَامِ الْقَاسِمِيِّ ، وَالمَرَاغِيِّ (٥) . وَاسْتَدَلُّوا بِالظَّاهِرِ فَإِنَّهُ نَسَبَهُ لِنَفْسِهِ ، فَيُظْهِرُ أَنَّهُ لَهُ ، وَلَيْسَ لَهُ قِصَّةٌ صَحِيحَةٌ ، وَمَا رَوَى فِي تَوَارِثِهِ عَنْ آبَائِهِ فَإِنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى سَنَدٍ صَحِيحٍ مُوْتَوَقٍ بِهِ . وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ إِلَى مَا رُوِيَ فِي ذَلِكَ مِنْهُمْ : السَّمْرَقَنْدِيُّ ، وَالمَوَاحِدِيُّ ، وَالمَوَازِدِيُّ ، وَالسَّمْعَانِيُّ ، وَالبَغَوِيُّ ، وَالمُخَشَّرِيُّ ، وَالمَرَاغِيُّ ، وَالنَّسْفِيُّ ، وَالمُخَازِنِيُّ ، وَالسِّيُوطِيُّ (٦) .

- (1) رواه الواحدي في الوسيط (٦٣١/٢) بإسناده عن أنس بن مالك مرفوعاً . وأخرج أبو الشيخ ( كما في الدر المنثور للسيوطي ٥٨٠/٤ ) عن ابن عباس مرفوعاً نحوه .
- (2) التسهيل لعلوم التنزيل (١٢٧/٢) .
- (3) ينظر : المحرر الوجيز (٧١/٨) .
- (4) ينظر : أنوار التنزيل (٤٩٨/١) ، والبحر المحيط (٣٤٤/٥) ، والجواهر الحسان (١٧٣/٢) ، ونظم الدرر (٢١٢/١٠) ، والتحرير والتنوير (٥١/١٣) .
- (5) ينظر : محاسن التأويل (٣٥٩٠/٩) ، وتفسير المراغي (٣٦/١٣) .
- (6) ينظر : بحر العلوم (١٧٥/٢) ، والوجيز (٥٥٩/١) ، والنكت والعيون (٧٦/٣) ، وتفسير القرآن (٦٢/٣) ، ومعالم التنزيل (٤٩٤/٢) ، والكشاف (٣٢٣/٣) ، والجامع لأحكام القرآن (٤٤٦/١١) ، (٤٤٧) ، ومدارك التنزيل (٢٣٦/٢) ، ولباب التأويل (٤١/٣) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية ٨١/٤) .

واقصر على إيراده القمي ، والشوكاني ، والقنوجي بصيغة ( قيل )<sup>(١)</sup> .  
 وذكره البيضاوي ، وأبو حيان بصيغة ( قيل )<sup>(٢)</sup> . واستبعده الطاهر بن عاشور<sup>(٣)</sup> .  
 ونُسبَ هذا إلى ابن عباس<sup>(٤)</sup> ، والسدي<sup>(٥)</sup> ، والحسن<sup>(٦)</sup> . ونسب لوهب بن  
 مُنبه<sup>(٧)</sup> ، ومجاهد<sup>(٨)</sup> .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن ما رُوِيَ من توارث هذا القميص عن آباء يوسف - عليهم  
 السلام - حتى صار له ، لا يصح ولا يثبت .

وإذا كان ذلك كذلك فإن الظاهر هو أنه قميصه الذي هو بمثلة قميص كل أحد .  
 ويؤيد هذا أنه لا يصح حمل الآية الكريمة على تفصيل وتفسير لأمر مغيبة لا دليل  
 عليها من القرآن أو السنة<sup>(٩)</sup> ، والله تعالى أعلم .

- 
- 1) ينظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١٢٣/٤) ، وفتح القدير (٧٢/٣) ، وفتح البيان (٣٩٧/٦) .
  - 2) ينظر : أنوار التنزيل (٤٩٨/١) ، والبحر المحيط (٣٤٤ /٥) .
  - 3) ينظر : التحرير والتنوير (٥١ /١٣) .
  - 4) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٥٨٠/٤) إلى أبي الشيخ .
  - 5) نسبه له ابن الجوزي في زاد المسير (٢٨٣/٤) .
  - 6) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٥٧٩/٤) إلى أبي الشيخ . وهو حديث مرسل لا يصح .
  - 7) نسبه له السمرقندي كما في بحر العلوم (١٧٥/٢) .
  - 8) نسبه له البغوي في معالم التنزيل (٤٩٤/٢) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٤٦/١١) .
  - 9) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (٢٢٥ /١) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ (٩٤)

### ٢٨- الخلاف في معنى ﴿تُفَنِّدُونِ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « أي : تلوموني أو تردّون علي قولي . وقيل : معناه : تقولون : ذهب عقلك ؛ لأنَّ الفَنَدَ هو الحَرْفُ » (١) .

#### العرض والمناقشة :

رحَّح ابن جُزَيِّ أن قوله : ﴿تُفَنِّدُونِ﴾ معناه : تلوموني أو تردّون علي قولي . وعلى هذا الأخفش، وأبو عبيدة، وابن عطية، ومحمود النيسابوري، والسمين، والثعالبي (٢) . وذكره الراغب بصيغة ( قيل ) (٣) . ونسبه الماوردي إلى ابن بحر (٤) . وأنشد أبو عبيدة :

يا صاحبيِّ دعا لومي وتفنيدي  
فليس ما فات من أمرٍ بمردود (٥)

ومنه قول جرير :

يا عاذليِّ دعا الملامة واقصرا  
طال الهوى وأطلتُما التفنيدا (٦)

قال ابن عطية : « معناه : تردّون رأيي وتدفعون في صدري ، وهذا هو التفنيد في

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٢٧) .

(2) ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٤٩/١١) ، ومجاز القرآن (٣١٨/١) ، والمحزر الوجيز (٧٣/٨) ، ووضح البرهان (٤٦٧/١) وإيجاز البيان (٣٥٢/١) ، والدر المصون (٥٥٦/٦) ، والجواهر الحسان (١٧٣/٢) .

(3) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن (٦٤٦) .

(4) ينظر : النكت والعيون (٧٧/٣) .

(5) مجاز القرآن (٣١٨/١) ، وجامع البيان لابن جرير الطبري (٣٣٦/١٣) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٤٨/١١) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٢٨٥/٤) ، والمحزر الوجيز لابن عطية (٧٣/٨) . ونسب فيها لهانئ بن شكيم العدوي . والبيت في ديوان بشار بن برد (٥٤٣/١) له . واستشهد به القرطبي على أن التفنيد معناه : التقييح .

(6) ديوان جرير (٣٣٧/١) . وينظر : جامع البيان لابن جرير الطبري (٣٤٧/١٣) ، والنكت والعيون للماوردي (٧٧/٣) .

اللغة ، ومن ذلك قول الشاعر :

يا عاذليّ دعا لومي وتفنيدي ...

والتفنيدي يقع إما لجهل المُفَنِّد ، وإما لهوى غلبه ، وإما لكذبه ، وإما لضعفه وعجزه لذهاب عقله وهرمه . فلهذا فسّر الناس التفنيدي في هذه الآية بهذه المعاني . ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : ( أو هرماً مُفَنِّداً ) «<sup>(١)</sup> .

وقال القرطبي : « والتفنيدي : اللوم وتضعيف الرأي »<sup>(٢)</sup> .

وأما القول الآخر في معنى " التفنيدي " ، وهو ذهاب العقل ، فهو قول مجاهد<sup>(٣)</sup> ، وابن زيد<sup>(٤)</sup> . ونُسب إلى الحسن<sup>(٥)</sup> ، والضحاك<sup>(٦)</sup> .

وإلى هذا المعنى ذهب ابن أبي زمنين ، والواحدي ، والزنجشري ، وابن الجوزي ، والرازي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والحازن ، والقمي ، والبقاعي ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والقنوجي ، والقاسمي ، والمراغي ، والطاهر بن عاشور ، والدرويش<sup>(٧)</sup> .

(1) المحرر الوجيز (٧٣/٨ ، ٧٤) بتصريف يسير . والحديث أخرجه الترمذي (٢٣٠٦) في كتاب الزهد ، باب ما جاء في المبادرة بالعمل ، وقال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث الأعرج عن أبي هريرة إلا من حديث مُحَرِّزِ بْنِ هَارُونَ وقد روى بشر بن عمر وغيره عن مُحَرِّزِ بْنِ هَارُونَ هذا وقد روى معمر هذا الحديث عن سَعِيدِ الْمُقْبَرِيِّ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ نحوه . اهـ . وأخرجه الحاكم في المستدرک (٣٥٦/٤) من طريق معمر ، عن سعيد المقري ، عن أبي هريرة . قال الحاكم إن كان معمر بن راشد سمع من المقري فالحديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وحكم الألباني عليه بالضعف كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١٦٣/٤) رقم (١٦٦٦) .

(2) الجامع لأحكام القرآن (٤٤٩ / ١١) . وينظر : الصحاح (فند) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٣٨/١٣ - ٣٣٩) من طرق ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٩٨/٧) رقم (١١٩٦٨) من طريق أبي يحيى ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٨١/٤) نسبته إلى أبي الشيخ .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٣٩/١٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٩٨/٧) رقم (١١٩٦٩) قال : المفند : الذي ليس له عقل . ذلك المفند . يقولون : لا يعقل ، وقال الشاعر : مهلا فإن من العقول مفندا . وينظر : الدر المنثور للسيوطي (٥٨١ / ٤) .

(5) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٢٨٥ / ٤) .

(6) ينظر : معالم التنزيل للبخاري (٤٩٥ / ٢) .

(7) ينظر : تفسير القرآن العزيز (٣٣٩/٢) ، والوسيط (٦٣٣/٢) ، والكشاف (٣٢٤/٣) ، وتذكرة الأريب (٢٦٨/١) ، ومفاتيح الغيب (٥٠٨/٦) ، وأنوار التنزيل (٤٩٨/١) ، ومدارك التنزيل (٢٣٧/٢) ، ولباب

قال ابن فارس : « الفند : إنكار العقل من هرم »<sup>(١)</sup> .  
وقال الواحدي : « الفندُ : ذهاب العقل من الهرم . يقال : أفند الرجل إذا خرف  
وتغير عقله ، وفنده إذا نسبه إلى الجهل والخرق »<sup>(٢)</sup> .  
يقول ابن عطية : « والذي يشبه أن تفنيدهم ليعقوب عليه السلام إنما كان لأنهم  
كانوا يعتقدون أن هواه قد غلبه في جانب يوسف عليه السلام »<sup>(٣)</sup> .  
ونقل الرازي عن أبي بكر ابن الأنباري قوله : « أفند الرجل إذا حزن وتغير عقله ،  
وفند إذا جهل ونسب ذلك إليه » . وعن الأصمعي : « إذا كثر كلام الرجل من خرف  
فهو المفند »<sup>(٤)</sup> .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن التفنيد في اللغة يطلق على هذه المعاني كلها ؛ من السفاهة  
والهرم والكذب وذهاب العقل وضعف الرأي والجهل واللوم بالباطل .  
قال ابن جرير الطبري : « وقد بينا أن أصل التفنيد الإفساد ، وإذ كان ذلك كذلك  
فالسفاهة والهرم والكذب ، وذهاب العقل ، وكل معاني الإفساد ، تدخل في التفنيد ؛ لأن  
أصل ذلك كله الفساد . والفساد في الجسم : الهرم وذهاب العقل ، والضعف . وفي العقل :  
الكذب واللوم بالباطل ، ولذلك قال جرير بن عطية :

يا عاذليّ دعا الملام واقصرا  
طال الهوى وأطلتُما التفنيديدا

يعني الملامة . فقد تبين - إذ كان الأمر على ما وصفنا - أن الأقوال التي قالها من  
ذكرنا قوله في قوله : ﴿ لَوْلَا أَنْ تُفْنِدُونَ ﴾ ، على اختلاف عباراتهم عن تأويله ، متقاربة  
المعاني ، محتمل جميعها ظاهر التزويل ؛ إذ لم يكن في الآية دليل على أنه معني به بعض ذلك

التأويل (٤١/٣) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (١٢٣/٤) ، ونظم الدرر (٢١٣/١٠) ، وإرشاد العقل  
السليم (١٨٣/٣) ، وفتح القدير (٧٢/٣) ، وفتح البيان (٣٩٨/٦) ، ومحاسن التأويل (٣٥٩٢/٩) ، وتفسير  
المراغي (٣٧/١٣) ، والتحرير والتنوير (٥٢/١٣) ، وإعراب القرآن الكريم وبيانه (٥٢/٥) .

(1) وينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٢٨٥ / ٤) .

(2) الوسيط (٦٣٣ / ٢) .

(3) المحرر الوجيز (٧٥ / ٨) .

(4) مفاتيح الغيب (٥٠٨ / ٦) . وينظر : لباب التأويل للحازن (٤١ / ٣) .

دون بعض<sup>(١)</sup> . اهـ .

وقال القرطبي بعد ذكر الأقوال في ﴿تَفَنِّدُونَ﴾ : « وكلُّه متقارب المعنى ، وهو راجعٌ إلى التعجيز وتضعيف الرأي<sup>(٢)</sup> .

وقال أبوحيان : « وهذه كلها متقاربة في المعنى ، وهي راجعة لاعتقاد فساد رأي المفنّد إما لجهله أو لهوىّ غالبٍ عليه أو لكذبه أو لضعفه وعجزه لذهاب عقله بهرمه<sup>(٣)</sup> .

فإذا كان ذلك كذلك فإن هذه المعاني المذكورة في معنى قوله : ﴿تَفَنِّدُونَ﴾ كلّها يَحْتَمِلُهَا ظاهرُ القرآن ، وليس من دليلٍ على تخصيص معنى منها دون معنى ، والله تعالى أعلم .

(1) جامع البيان (١٣ / ٣٤١) .

(2) الجامع لأحكام القرآن (١١ / ٤٤٩) .

(3) البحر المحيط (٥ / ٣٤٥) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿١٩﴾ ﴾

**٢٩- الخلاف في المراد بأبويه في قوله تعالى: ﴿ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ .**

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « أي : ضَمَّهْمَا . وأراد بالأبوين أباه وأُمَّه . وقيل : أباه وخالته ؛ لأن أُمَّه كانت قد ماتت ، وسمِّي الخالة - على هذا - أُمًّا » (١) .

**العرض والمناقشة :**

الخلاف في الأبوين إنما هو واقعٌ في الأم - بعد اتفاقهم على أن الأب هو والده يعقوب عليه السلام - هل هي أمه التي ولدته ؟ أم خالته ؟  
رجَّح ابن جُزَيِّ أنها أُمَّه وليست خالته . ووافق في هذا ما رُوِيَ عن قتادة (٢) ، وابن إسحاق (٣) . ونُسِبَ إلى الحسن (٤) .

وإليه يذهب ابن جرير الطبري ، وابن أبي زمنين ، والزمخشري ، وابن عطية ، والقمي ، وأبوحيان ، وابن كثير ، والثعالبي ، والبقاعي ، والقنوجي ، والمراغي (٥) .  
واستغربه الكرمانى (٦) .

ودليله ظاهر النظم القرآني .

كما استدللَّ له بأن ذلك هو الأغلب في استعمال الناس، والمتعارف بينهم في أبوين (٧) ،

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ١٢٨) .

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧ / ٢٢٠١) رقم (١١٩٨٧) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٥٨٧) نسبته إلى أبي الشيخ .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣ / ٣٥٢) .

(4) ينظر : تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢ / ٣٤٠) ، وتفسير القرآن للسمعاني (٣ / ٦٦) ، والنكت والعيون للماوردي (٣ / ٨٢) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٤ / ٢٨٨) في آخرين .

(5) ينظر : جامع البيان (١٣ / ٣٥٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٢ / ٣٤٠) ، والكشاف (٣ / ٣٢٥) ، والمحزر الوجيز (٨ / ٧٩) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤ / ١٢٥) ، والبحر المحيط (٥ / ٣٤٧) ، وتفسير القرآن العظيم (٨ / ٧٣) ، والجواهر الحسان (٢ / ١٧٤) ، ونظم الدرر (١٠ / ٢١٦) ، وفتح البيان (٦ / ٤٠٢) ، وتفسير المراغي (١٣ / ٤٢) .

(6) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١ / ٥٥٢) .

(7) ينظر : جامع البيان (١٣ / ٣٥٢) .

ولم يَقم دليل على موت أمه ، وظاهر القرآن يدلّ على حياتها ، وهو المتصور الذي يدلّ عليه السياق . قاله ابن كثير <sup>(١)</sup> .

وأما القول الآخر بأن أمّه كانت قد ماتت ، والمراد أبوه وخالته ، فهو مَرَوِيٌّ عن وهب بن منبه <sup>(٢)</sup> ، والسدي <sup>(٣)</sup> . ونُسِبَ إلى ابن عباس <sup>(٤)</sup> . وقال به سفيان الثوري <sup>(٥)</sup> ، وابن عيينة <sup>(٦)</sup> .

وهذا قول الجمهور ، وأكثر المفسرين <sup>(٧)</sup> ومنهم : مقاتل ، والسمرقندي ، والواحدي ، والسمعاني ، والكرماني ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والحازن ، والسمين ، والبلنسي ، والشوكاني ، والقاسمي ، والطاهر بن عاشور <sup>(٨)</sup> . وقدمه البغوي ، وأبو السعود <sup>(٩)</sup> . وذكره الزمخشري ، وابن عطية ، والقمي ، وأبو حيان <sup>(١٠)</sup> .

قالوا : إن أمّه كانت قد ماتت في ولادة أخيه بنيامين . ثم تزوّج يعقوب بخالة يوسف ، وهي التي تولّت تربيته ، فأطلق الأبوان على الأب وزوج الأب على طريقة التغليب والتزليل .

(1) تفسير القرآن العظيم (٧٣ / ٨) .

(2) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٢٠١/٧) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٨٧/٤ - ٥٨٨) نسبه إلى أبي الشيخ .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٥٢/١٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٢٠١ ، ٢٢٠٠/٧) ، رقم (١١٩٨٦) و (١١٩٩١) .

(4) ينظر : بحر العلوم للسمرقندي (١٧٧/٢) ، وزاد المسير لابن الجوزي (٢٨٨/٤) .

(5) ينظر : بحر العلوم للسمرقندي (١٧٧ / ٢) .

(6) أخرجه أبو الشيخ كما في الدر المنثور (٥٨٨ / ٤) .

(7) قاله الواحدي ، والسمعاني ، والكرماني ، والبغوي ، والطاهر .

(8) ينظر : تفسير مقاتل (٣٥١/٢) ، وبحر العلوم (١٧٧/٢) ، والوجيز (٥٦٠/١) ، والوسيط (٦٣٥/٢) ، وتفسير القرآن (٦٦/٣) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (٥٥٢/١) ، وتذكرة الأريب (٢٦٨/١) ، والجامع لأحكام القرآن (٤٥٤/١١) ، وأنوار التزليل (٤٩٩/١) ، ولباب التأويل (٤٢/٣) ، والدر المصون (٥٥٧/٦) - ٥٥٨ ، وتفسير مبهمات القرآن (٥٨/٢) ، وفتح القدير (٧٦/٣) ، ومحاسن التأويل (٣٥٩٥/٩) ، والتحرير والتنوير (٥٥/١٣) .

(9) ينظر : معالم التزليل (٤٩٧ ، ٤٩٩) ، وإرشاد العقل السليم (١٣٩ / ٣) .

(10) ينظر : الكشاف (٣٢٥/٣) ، والمحزر الوجيز (٧٩/٨) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (١٢٥/٤) ، والبحر المحيظ (٣٤٧/٥) .

وقالوا : رُوِيَ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ( الخالة أم )<sup>(١)</sup> .  
 فالخالة أم بنصّ هذا الحديث ، فترت خالته مترلة الأم تتزِيل العمّ مترلة الأب في قوله  
 تعالى : ﴿ وَإِلَهُ آبَائِكِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾ [ البقرة : ١٣٣ ] .  
 وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن الصحيح في المراد بالأبوين في قوله تعالى : ﴿ عَاوِيَّ إِلَيْهِ  
 أَبُويِّهِ ﴾ وفي التي بعدها : ﴿ وَرَفَعَ أَبُويِّهِ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ أنهما أبوه وأُمُّه التي ولدته ،  
 وليست خالته ؛ لأن ذلك هو ظاهر الاستعمال القرآني ، ولا يجوز العدول عن ظاهر القرآن  
 إلاّ بدليل<sup>(٢)</sup> .  
 ولأنه لم يثبت بنصّ صحيح يجب التسليم له أن أمّه كانت قد ماتت ، وأن أباه تزوّج  
 خالته ، ولا يجوز حمل الآية على تفسير وتفصيل لأمرٍ معيَّب إلاّ بدليل من القرآن أو  
 السنة<sup>(٣)</sup> .  
 وإذا كان ذلك كذلك فإن ما رجّحه ابن جُزَيٍّ ومَنْ وافقه هو الصحيح ، والله تعالى  
 أعلم .

(1) أخرجه أبوداود في سننه (٢٨٤/٢) (٢٢٧٨) ، والنسائي في الكبرى (١٦٩/٥) (٨٥٧٩) ، والحاكم في  
 المستدرک (١٣٠/٣) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وفي (٣٨٢/٤) وقال : هذا حديث  
 صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/٨) من حديث علي بن أبي طالب .  
 (2) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (١/١٣٧) .  
 (3) ينظر : المصدر السابق (١/٢٢٥) .

### قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَرَفَعَ أَبْوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾

٣٠- اختلاف أهل العلم في قدر المدة التي كانت بين رؤيا يوسف وبين تأويلها .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « وكان بين رؤياه وبين ظهور تأويلها ثمانون عامًا .  
وقيل : أربعون » <sup>(١)</sup> .

### العرض والمناقشة :

حكى ابن جُزَيِّ الخلاف في تحديد المدة بين رؤياه - عليه السلام - وبين تحقُّقهما ،  
على قولين ، ورجَّح أنها ثمانون عامًا . وهذا قول الحسن <sup>(٢)</sup> ، والفضيل بن عياض <sup>(٣)</sup> ،  
وأبي جعفر جسر بن فرقد <sup>(٤)</sup> . ونسب إلى قتادة <sup>(٥)</sup> . وعليه النحاس <sup>(٦)</sup> .  
وأما القول الآخر ، وهو أنها كانت أربعين عامًا ، فقاله سلمان الفارسي <sup>(٧)</sup> ،  
وعبدالله بن شداد بن الهاد <sup>(٨)</sup> . وعليه مقاتل ، والبقاعي <sup>(٩)</sup> .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ١٢٨) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣ / ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧ / ٢٢٠٢) رقم (١٢٠٠١) ، وعبد الله بن الإمام أحمد في زوائد الزهد (٨٠-٨١) . وينظر : الدر المنثور للسيوطي (٤ / ٥٨٩) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣ / ٣٥٩ - ٣٦٠) ، والحاكم في المستدرک (٢ / ٥٧٢) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٥٨٩) نسبه إلى ابن مردويه .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣ / ٣٥٩) .

(5) ينظر : النكت والعيون للماوردي (٣ / ٨٢) .

(6) ينظر : معاني القرآن الكريم (٣ / ٤٥٨ - ٤٥٩) .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣ / ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧ / ٢٢٠٢) رقم (١١٩٩٨) ، وابن أبي الدنيا في كتاب العقوبات (١٥٧) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٤ / ١٩٤) رقم (٤٧٨٠) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٥٨٨) نسبه إلى الفريابي ، وابن أبي شيبة ، وأبي الشيخ ، والحاكم .

(8) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣ / ٣٥٨ ، ٣٥٩) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٤ / ١٩٥) رقم

قال ابن إسحاق : « وأهل الكتاب يزعمون أنها كانت أربعين سنةً أو نحوها »<sup>(٢)</sup> .  
وقال الرازي : « وقيل : أربعون ، وهو قول الأكثرين »<sup>(٣)</sup> .  
وهذان القولان لا دليل عليهما .  
وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن هذه المسألة لا فائدة منها ولا طائل من ورائها ، وقد ذكر  
المفسرون فيها أقوالاً أخرى<sup>(٤)</sup> ، ولا نصّ على واحد منها .  
يقول أبو حيان : « وفي المدّة التي كانت بين رؤياه وسجودهم خلاف متناقض »<sup>(٥)</sup> .  
ويقول القنّوجي : « والله أعلم كم كان بينهما »<sup>(٦)</sup> .  
وإذا كان ذلك كذلك فينبغي الإمساك وعدم الخوض فيما لا يمكن العلم به إلاّ عن  
طريق الوحي ، والله تعالى أعلم .

(٤٧٨١) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥٨٨/٤ - ٥٨٩) نسبته إلى ابن أبي شيبه ، وأبي الشيخ .

(1) ينظر : تفسير مقاتل (٣٥١/٢) ، ونظم الدرر (٢١٨ / ١٠) .

(2) جامع البيان لابن جرير الطبري (٣٦١ / ١٣) .

(3) مفاتيح الغيب (٥١٢ / ٦) .

(4) مما ذكر : اثنان وعشرون ، وست وثلاثون ، وخمس وثلاثون ، وسبعون ، وثمانية عشر .

(5) البحر المحيط (٣٤٨ / ٥) .

(6) فتح البيان (٤٠٤ / ٦) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (١٠١)

٣١- قوله : ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا ﴾ هل هو دعاء بالموت ؟ أم دعاء بالوفاة على الإسلام ؟

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « لما عدّد النعم التي أنعم الله بها عليه ، اشتاق إلى لقاء ربه ولقاء الصالحين من سلفه وغيرهم ، فدعا بالموت . وقيل : ليس ذلك دعاءً بالموت ، وإنما دعا أن الله يتم عليه النعم بالوفاة على الإسلام إذا حان أجله » (١) .

العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ أن يوسف - عليه السلام - دعا بالموت قائلاً : ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا

وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ ، وذلك من اشتياقه إلى لقاء ربه - جل وعلا - ولقاء الصالحين من سلف وغيرهم . ووافق في هذا ما رُوِيَ عن ابن عباس قال : « اشتاق إلى لقاء الله ، وأحبّ أن يلحق به وبآبائه ، فدعا الله أن يتوفّاه وأن يلحقه بهم » . وقال : « ولم يسأل نبيُّ قطّ الموتَ غيرُ يوسفَ عليه السلام » (٢) . وهذا قول مجاهد (٣) ، وقتادة (٤) ، ووهب بن منبه (٥) . وعليه مقاتل ، وابن جرير الطبري ، والسمرقندي ، وابن أبي زمنين ، والبيضاوي (٦) . وهو مفهوم كلام السمعاني ، والبغوي ، والسيوطي ، وأبي السعود (٧) .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ١٢٨) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣ / ٣٦٥) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧ / ٢٢٠٤) رقم (١٢٠١١) و (١٢٠١٢) من طريق قتادة ، والسدي ، عنه . وأخرجه ابن جرير الطبري من طريق ابن جريح ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٥٩١) نسبته إلى ابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣ / ٣٦٦) .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣ / ٣٦٥ - ٣٦٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧ / ٢٢٠٤ ، ٢٢٠٥) رقم (١٢٠١٦ و ١٢٠١٧) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٥٩١) نسبته إلى أحمد في الزهد .

(5) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧ / ٢٢٠٥ - ٢٢٠٦) رقم (١٢٠٢١) .

(6) ينظر : تفسير مقاتل (٢ / ٣٥١) ، وجامع البيان (١٣ / ٣٦٤ - ٣٦٥) ، وبحر العلوم (٢ / ١٧٨) ، وتفسير القرآن العزيز (٢ / ٣٤٠) ، وأنوار التنزيل (١ / ٤٩٩) .

(7) ينظر : تفسير القرآن (٣ / ٦٨ - ٦٩) ، ومعالم التنزيل (٢ / ٥٠١) ، وتفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٤ / ٨٩

ومال إليه الرازي وقال : « وكثير من المفسرين على هذا القول »<sup>(١)</sup> . وتبعه القمي ، وأبوحيان<sup>(٢)</sup> . وجوزّه الزمخشري<sup>(٣)</sup> .

وذكره الشوكاني ، والقنوجي بصيغة ( قيل )<sup>(٤)</sup> .

قال النحاس : « ولو صحّ أن قول يوسف - صلى الله عليه وسلم - : ﴿ تَوَقَّيْ مُسْلِمًا ﴾ أنه يريد في ذلك الوقت لما كان منسوخًا ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما قال : ( لا يتمنين أحدكم الموت لضرِّ نزل به )<sup>(٥)</sup> . فإذا تمناه إنسان لغير ضرِّ فليس بمخالف للنبي صلى الله عليه وسلم . وقد يجوز أن يتمنى الموت من له عمل صالح متخلصًا من الكبائر ، فهذا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لما استقامت أموره وفتح الله على يده الفتوح ، وأسلم ببركته من لا يُحصى عدده تمنى الموت فقال : اللهم كبرت سنِّي ورقَّ عظمي وانتشرت رعيتي فاقبضني إليك غير مفرطٍ ولا مضيعٍ »<sup>(٦)</sup> ..

وأما القول الآخر ، وهو أن يوسف - عليه السلام - إنما دعا بالوفاة على الإسلام إذا حضره الأجل ، فرؤي عن الضحاك<sup>(٧)</sup> . ونُسبَ إلى ابن عباس أيضًا<sup>(٨)</sup> .

( ، وإرشاد العقل السليم (١٤١/٣) .

(1) مفاتيح الغيب (٦/٥١٦ - ٥١٧) .

(2) ينظر : غرائب القرآن و رغائب الفرقان (٤/١٢٧) ، والبحر المحيط (٥/٣٤٩) .

(3) ينظر : الكشف (٣/٣٢٧) .

(4) ينظر : فتح القدير (٣/٧٨) ، وفتح البيان (٦/٤٠٧) .

(5) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الدعوات

( فتح الباري ١١/١٢٦ ) قال مكِّي في ناسخه (٣٢٧) : إن الحديث ليس هو من معنى الآية في شيء ؛ لأن النبي صلى

الله عليه وسلم إنما قال : ( لضرِّ نزل به ) وليس في الآية ضرُّ نزل بيوسف فتمنى الموت من أجله . اهـ . بتصرف

يسير . وينظر : المحرر الوجيز لابن عطية (٨/٨٧ - ٨٨) .

(6) الناسخ والمنسوخ (٢/٤٧٥ - ٤٧٦) . وأثر عمر أخرجه مالك في الموطأ ، كتاب الحدود ، باب ما جاء في الرجم

(٥٩٢) رقم (١٥٠١) ، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/٣٣٤ - ٣٣٥) ، والحاكم في المستدرک في کتاب

معرفة الصحابة (٣/٩١ - ٩٢) .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/٣٧٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/٢٢٠٤ ، ٢٢٠٥) رقم

(١٢٠١٤ و ١٢٠١٨) من طريق عبید بن سليمان ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/٥٩١) نسبته إلى

أبي الشيخ .

(8) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٤/٢٩٢) .

وعليه النحَّاس، ومكِّي، والزمخشري، وابن عطية، والنسفي، والقمي، وأبوحيان،  
والثعالبي، والشوكاني ونسبه للجمهور، والقنوجي، والقاسمي، والسعدي، والظاهر بن  
عاشور<sup>(١)</sup>. وذكره الماوردي<sup>(٢)</sup>.

قال النحاس: « ليس معنى ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا ﴾ توفي الساعة ، وهذا بينٌ جدًا ، لا  
إشكال فيه »<sup>(٣)</sup>.

فعلى هذا القول يكون معنى الآية : توفي إذا توفيتني على الإسلام ، فهو طلب لأن  
يجعل الله وفاته على الإسلام ، وليس في اللفظ ما يدل على أنه طلب الوفاة في الحال .

وهذا كقول إبراهيم ويعقوب - عليهما السلام - : ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ  
مُسْلِمُونَ ﴾ [ البقرة : ١٣٢ ] . وكقوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ  
وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [ آل عمران : ١٠٢ ] .

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن لفظ الآية صالح للأمرين ، وكلا القولين محتمل ، ولا دليل  
على أن أحدهما هو المعنى من الآية . وعلى هذا الرازي ، وابن كثير<sup>(٤)</sup> .  
وكما أنه ليس في اللفظ ما يدل على أنه سأل ذلك في الحال ، فكذلك يحتمل أنه قاله  
عند احتضاره ، كما ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم جعل يرفع أصبعه عند الموت ويقول : ( اللهم في الرفيق الأعلى اللهم في الرفيق  
الأعلى اللهم في الرفيق الأعلى )<sup>(٥)</sup> . والله تعالى أعلم .

(1) ينظر : الناسخ والمنسوخ (٤٧٥/٢) ، والناسخ (٣٢٨) ، والكشاف (٣٢٧/٣) ، والمحزر الوجيز (٨٧-٨٦/٨) ،  
ومدارك التنزيل (٢٣٨/٢) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (١٢٧/٤) ، والبحر المحيط (٣٤٩/٥) ، والجواهر  
الحسان (١٧٥/٢) ، وفتح القدير (٧٨/٣) ، وفتح البيان (٤٠٧/٦) ، ومحاسن التأويل (٣٥٩٧/٩) ، وتيسير  
الكريم الرحمان (٤٣٨/٢) ، والتحرير والتنوير (٦٠/١٣) .

(2) ينظر : النكت والعيون (٨٥ / ٣) .

(3) الناسخ والمنسوخ (٤٧٥ / ٢) .

(4) ينظر : مفاتيح الغيب (٥١٦ / ٦) ، وتفسير القرآن العظيم (٧٧/٨) .

(5) أخرجه البخاري في صحيحه (٨٩٠) و (٤٤٣٧) ، ومسلم في صحيحه (٢٤٤٤) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٣)

٣٢- الخلاف في المراد بالناس في قوله تعالى :

﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « عموم ؛ لأن الكفار أكثر من المؤمنين . وقيل : أراد أهل مكة » (١) .

العرض والمناقشة :

رحَّح ابن جُزَيِّ القول بالعموم في المراد بالناس من قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ ﴾ . ووافق في هذا ما ذهب إليه الزمخشري ، وأبو حيان ، وابن كثير (٢) .  
وعلَّه ابن جُزَيِّ بأن الكفار أكثر من المؤمنين .

واستدل له أبو حيان بقوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [هود : ١٧] .

كما استدل له ابن كثير بقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ

سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [ الأنعام : ١١٦ ] . وبقوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ كَانَ أَكْثَرُهُمْ

مُؤْمِنِينَ ﴾ [ الشعراء : ٨ ] .

والناس في هذه الآيات يراد به العموم بلا إشكال .

وأما القول الآخر ، وهو أنه أراد بالناس في هذه الآية أهل مكة ، فهو قول منسوب

إلى ابن عباس (٣) . وعليه مقاتل ، وابن جرير الطبري ، والقرطبي ، والسيوطي ، والمراغي (٤) .

وقال ابن الأنباري : « قريش واليهود » (٥) .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢ / ١٢٨) .

(2) ينظر : الكشاف (٣ / ٣٢٨) ، والبحر المحيط (٥ / ٣٥١) ، وتفسير القرآن العظيم (٨ / ٨٢) .

(3) نسبه له الزمخشري ، وأبو حيان .

(4) ينظر : تفسير مقاتل (٢ / ٣٥٢) ، وجامع البيان (١٣ / ٣٧٠) ، والجامع لأحكام القرآن (١١ / ٤٦٥) ، وتفسير

الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٤ / ٩٠) ، وتفسير المراغي (١٣ / ٤٧) .

(5) ينظر : الوسيط للواحد (٢ / ٦٣٧) .

وعليه الواحدي، والسمعاني، والبغوي، والرازي، والخازن<sup>(١)</sup>. وهو مفهوم كلام  
الفتوّجي<sup>(٢)</sup>.

وذهب النسفي، وأبو السعود، والشوكاني، والقاسمي إلى التسوية بين القولين : العموم  
أو أهل مكة<sup>(٣)</sup>.

وقال القمي : « أكثر خلق الله أو أكثر أهل مكة »<sup>(٤)</sup>.

وجوّز الطاهر بن عاشور الأمرين فقال : « و ﴿ النَّاسِ ﴾ يجوز حَمْلُهُ على جميع  
جنس الناس ، ويجوز أن يراد به ناس معيّنون وهم القوم الذين دعاهم النبيّ - صلى الله عليه  
وسلم - وما حولها ، فيكون عمومًا عرفيًا »<sup>(٥)</sup>.

وبعد، فإذا تقرر هذا فإن الأولى هو حمل الآية على العموم ، ويدخل في هذا العموم  
دخولاً أولياً مَنْ كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم من أهل مكة وغيرهم ممن دعاهم -  
صلى الله عليه وسلم - إلى الإيمان .

ويؤيد القول بالعموم القاعدة الترجيحية : ( يجب حمل نصوص الوحي على  
العموم)<sup>(٦)</sup>. والله تعالى أعلم .

(1) ينظر : الوجيز (٥٦١/١) ، وتفسير القرآن (٧٠/٣) ، ومعالم التنزيل (٥٠٢/٢) ، ومفاتيح الغيب (٥١٩/٦) ،  
ولباب التأويل (٤٥/٣) .

(2) ينظر : فتح البيان (٤٠٨ / ٦) .

(3) ينظر : مدارك التنزيل (٢٣٩/٢) ، وإرشاد العقل السليم (١٤١/٣) ، وفتح القدير (٧٩/٣ - ٨٠) ، ومحاسن  
التأويل (٣٦٠٢/٩) .

(4) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١٣١ / ٤) .

(5) التحرير والتنوير (٦٢ / ١٣) .

(6) قواعد الترجيح عند المفسرين (٥٢٧ / ٢) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ (١٠٦)

٣٣- الخلاف فيمن نزل قول الله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى: « نزلت في كفار العرب الذين يُقْرُونَ بالله ويعبدون معه غيره . وقيل: في أهل الكتاب؛ لقولهم: عزير ابن الله، والمسيح ابن الله » (١) .

#### العرض والمناقشة:

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ أن الآية نزلت في كفار العرب المقرين بالله والعابدين معه غيره . ووافق في هذا معنى ما رُوِيَ عن ابن عباس (٢) ، ومجاهد (٣) ، وعكرمة (٤) ، وقتادة (٥) ، وعطاء (٦) ، والضحاك (٧) ، وابن زيد (٨) ، والشعبي (٩) .

وإلى هذا القول يذهب مقاتل ، والفراء ، وابن قتيبة ، والزجاج ، والسمرقندي ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ، والسمعاني ، والكرماني ، والبغوي ، والزمخشري ، ومحمود النيسابوري ، وابن الجوزي ، والقرطبي ونسبه لأكثر المفسرين ، والنسفي ونسبه للجمهور ، والخازن ،

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٢٨) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/ ٣٧٢-٣٧٣) من طريق سعيد بن جبير ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٢٠٧) رقم (١٢٠٣٤) من طريق سماك ، عن عكرمة ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٩٣) نسبه إلى أبي الشيخ .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/ ٣٧٤، ٣٧٥) من طرق عن ابن أبي نجيح ، عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٢٠٧) رقم (١٢٠٣٥) من طريق حجاج ، عن القاسم بن أبي بزّة ، عنه . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٩٣) نسبه إلى ابن المنذر .

(4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/ ٣٧٣-٣٧٤) .

(5) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٢٨) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/ ٣٧٥) من طريق معمر ، عنه .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/ ٣٧٦) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٩٣) نسبه إلى سعيد بن منصور ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(7) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/ ٣٧٦) من طريق جوير ، عنه .

(8) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/ ٣٧٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٢٠٨) رقم (١٢٠٣٨) .

(9) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/ ٣٧٣، ٣٧٥) .

والظاهر بن عاشور<sup>(١)</sup> . وهو مفهوم كلام السيوطي ، والسعدي ، والشنقيطي<sup>(٢)</sup> .

يقول ابن كثير : « لأنهم مقرُّون بالله خالقهم ورازقهم ، وإذا حزبهم أمر شديد دعوا الله ، ومع ذلك يشركون به غيره ... »<sup>(٣)</sup> .

ويقول الشنقيطي : « المراد بإيمانهم اعترافهم بأنه ربهم الذي هو خالقهم ومدبر شؤونهم ، والمراد بشركهم عبادتهم غيره معه . ويدل عليه :

- ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدْبِرُ الْأُمُورَ فَيَقُولُ اللَّهُ فَعَلْ أَفَلَا تَنْقُورُونَ ﴾ [ يونس : ٣١ ] .

- ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [ الزخرف : ٨٧ ] .

- ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [ العنكبوت : ٦١ ] .

- ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [ العنكبوت : ٦٣ ] .

- ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ

٨٥ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَنْقُورُونَ

٨٧ قُلْ مَنْ يَدِينُهُ مَلَائِكَةٌ كُتِبَ عَلَيْهِمْ وَهُوَ يُحْيِيهِمْ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٨٨ لِلَّهِ قُلْ

(1) ينظر : تفسير مقاتل (٣٥٢/٢) ، ومعاني القرآن (٥٥/٢) ، وتأويل مشكل القرآن (٤٨١ - ٤٨٢) ، ومعاني القرآن وإعرابه (١٣١/٣) ، وبحر العلوم (١٧٩/٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٣٤١/٢) ، والوجيز (٥٦٢/١) ، والوسيط (٦٣٧/٢) ، وتفسير القرآن (٧١/٣) ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل (٥٠٣ - ٥٠٢/١) ، والكشاف (٣٢٨/٣) ، ووضح البرهان (٤٦٨/١) وإيجاز البيان (٣٥٣/١) ، وتذكرة الأريب (٢٦٩/١) ، والجامع لأحكام القرآن (٤٦٧/١١) ، ومدارك التنزيل (٢٣٩/٢ - ٢٤٠) ، ولباب التأويل (٤٥/٣) ، والتحرير والتنوير (٦٣/١٣) .

(2) ينظر : تفسير الجلالين ( الفتوحات الإلهية ٩١/٤ ) ، وتيسير الكريم الرحمان (٤٣٩/٢) ، وأضواء البيان (٣/ ٧٤ - ٧٥) .

(3) تفسير القرآن العظيم (٨٣/٨ - ٩١) .

فَأَنِّي مُسْحَرُونَ ﴿ [ المؤمنون : ٨٤-٨٩ ] . إلى غير ذلك من الآيات . ومع هذا فإنهم قالوا :  
﴿ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ مُّعْجَبٌ ﴾ [ ص : ٥ ] . وهذه الآيات القرآنية تدل  
على أن توحيد الربوبية لا ينقذ من الكفر إلا إذا كان معه توحيد العبادة ، أي : عبادة الله  
وحده لا شريك له ، ويدل لذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ  
مُشْرِكُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> . اهـ .

وقال أيضاً : « والذي يظهر لي - والله تعالى أعلم - أن هذا الإيمان المقيد بحال  
الشرك إنما هو إيمان لغوي لا شرعي ؛ لأن من يعبد مع الله غيره لا يصدق عليه اسم الإيمان  
ألبتة شرعاً ؛ أما الإيمان اللغوي فهو يشمل كل تصديق ، فتصديق الكافر بأن الله هو الخالق  
الرازق يصدق عليه اسم الإيمان لغةً مع كفره بالله ، ولا يصدق عليه اسم الإيمان شرعاً .  
وإذا حققت ذلك علمت أن الإيمان اللغوي يجمع الشرك فلا إشكال في تقييده به . وكذلك  
الإسلام الموجود دون الإيمان في قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ  
الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ [ الحجرات : ١٤ ] فهو الإسلام اللغوي ؛ لأن الإسلام الشرعي لا  
يوجد ممن لم يدخل الإيمان في قلبه ، والعلم عند الله تعالى » <sup>(٢)</sup> . اهـ .  
وأما القول الآخر ، وهو أن الآية في أهل الكتاب ، فهو قول رُوِيَ عن ابن عباس  
أيضاً <sup>(٣)</sup> . ونُسبَ إلى الحسن <sup>(٤)</sup> .  
وذكر الكرماني أنه قيل : « إنها في النصارى ، آمنوا ثم أشركوا بالتثليث » <sup>(٥)</sup> .  
ورُوِيَ عن عكرمة <sup>(٦)</sup> ، والنضر بن عربي <sup>(٧)</sup> ما يشمل القولين .

(1) أضواء البيان (٣/ ٧٤-٧٥) بتصرف يسير .

(2) المصدر السابق (٣/ ٧٥) .

(3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٧٥/١٣) بالإسناد المسلسل بالعوفيين .

(4) ينظر : أحكام القرآن للجصاص (٤/ ٣٩٥) ، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٢٨) .

(5) غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٥٥٣) .

(6) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/ ٣٧٣-٣٧٤) .

(7) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٢٠٨) رقم (١٢٠٣٧) .

وإلى شمول الآية للقولين ذهب الرازي ، والقمي <sup>(١)</sup> .  
 وسوّى بينهما مع ذكرهما بـ (قيل) البيضاوي، وأبو السعود <sup>(٢)</sup> .  
 وذكرها دون ترجيح أبوحيان ثم قال : « وقيل : جميع الخلق مؤمنهم بالرسول  
 وكافرهم ، فالكفار تقدّم شركهم ، والمؤمنون فيهم الشرك الخفي ، وأقربهم إلى الكفر  
 المتشبهة ، ولذلك قال ابن عباس : آمنوا مجملًا وكفروا مفصّلًا . وثانيها : من يطبع الخلق  
 بمعصية الخالق . وثالثها : من يقول : نفعي فلان وضرّي فلان » <sup>(٣)</sup> . اهـ .  
 وكان ابن كثير على ما قاله أبوحيان ، وساق الأدلة عليه <sup>(٤)</sup> . ويميل إليه الثعالبي ،  
 والقاسمي <sup>(٥)</sup> .

وجعل الشوكاني الآية على العموم فتشمل أهل الجاهلية ؛ كفار العرب وعباد القبور وقال :  
 « ولا ينافي هذا ما قيل من أن الآية نزلت في قوم مخصوصين ، فالاعتبار بما يدل عليه اللفظ لا بما  
 يفيد السبب من الاختصاص بمن كان سببًا لتزول الحكم » <sup>(٦)</sup> .  
 وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن الأحسن - والله أعلم - هو حمل الآية على العموم ،  
 فتشمل كفّار العرب الذين يقرون بالله ويعبدون معه غيره ، وتشمل أهل الكتاب ؛ اليهود  
 والنصارى ، كما تشمل المؤمنين الذين يخالط بعض أعمالهم الشرك الخفي ، وقلّ من ينحو  
 منه ، أعاذنا الله والمسلمين جميعًا منه بمنه وكرمه . والقول بالعموم ينتظم جميع الأقوال دون  
 أن يكون هناك تعارض بينها ، فإعمالها كلّها؛ لشمول لفظ الآية لها ، أولى من إهمال  
 وأطراح بعضها . ويؤيد هذا القاعدة الترجيحية: (يجب حمل نصوص الوحي على العموم) <sup>(٧)</sup> .  
 ولو قدر أنّها نزلت في قوم مخصوصين فإن ( العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص

(1) ينظر : مفاتيح الغيب (٦ / ٥٢٠) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤ / ١٣١ - ١٣٢) .

(2) ينظر : أنوار التنزيل (١ / ٥٠٠) ، وإرشاد العقل السليم (٣ / ١٤٢) .

(3) البحر المحيط (٥ / ٣٥١) .

(4) ينظر : تفسير القرآن العظيم (٨ / ٨٣ - ٩١) .

(5) ينظر : الجواهر الحسان (٢ / ١٧٦) ، ومحاسن التأويل (٩ / ٢٣٨) .

(6) فتح القدير (٣ / ٨٠ - ٨١) . وينظر : فتح البيان للفتوّجي (٦ / ٤١٠ - ٤١٤) ، وتفسير المراغي (١٣ / ٤٩ - ٥٠) .

(7) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢ / ٥٢٧) .

السبب<sup>(١)</sup> . والله تعالى أعلم .

---

(1) المصدر السابق (٢ / ٥٤٥) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ

الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾

٣٤- الخلاف في إعراب ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ .

قال ابن جُزَيِّ رحمه الله تعالى : « ﴿أَنَا﴾ تأكيد للضمير في ﴿أَدْعُوا﴾ ، و ﴿مَنِ اتَّبَعَنِي﴾ معطوف عليه ، و ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ في موضع الحال . وقيل : ﴿أَنَا﴾ مبتدأ ، و ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ خبره ، فعلى هذا يوقف على قوله : ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ﴾ وهذا ضعيف <sup>(١)</sup> .  
العرض والمناقشة :

رَجَّحَ ابن جُزَيِّ الإعراب التالي : ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ في موضع الحال . و ﴿أَنَا﴾ تأكيد للضمير المستتر وجوباً في ﴿أَدْعُوا﴾ و ﴿مَنِ اتَّبَعَنِي﴾ معطوف على ﴿أَنَا﴾ . والمعنى : هذه سبيلي أدعو — أنا — إلى الله على بصيرة ، وكذلك من اتبعني يدعو إلى الله على بصيرة . وعليه فلا يوقف على لفظ الجلالة . ونُسِبَ — على هذا المعنى — إلى الكلبي ، وابن زيد <sup>(٢)</sup> .  
وإلى هذا ذهب النحاس ، والكرماني ، والزمخشري ، والعكبري ، والقرطبي ، والقمي ، وأبوحيان ، والسمين ، والثعالبي ، والبقاعي ، والشوكاني ، والقنوجي ، والقاسمي ، والظاهر بن عاشور ، والدرويش <sup>(٣)</sup> . وهو مفهوم كلام الفراء ، والسمعاني ، والبعوي ، والرازي ، والحازن ، وابن كثير ، والسيوطي <sup>(٤)</sup> .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٢٩) .

(2) نسبه له البعوي كما في معالم التنزيل (٢/ ٥٠٣) ، وتبعه جماعة .

(3) ينظر : إعراب القرآن (٢/ ٣٤٧) ، غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٥٥٤) ، والكشاف (٣/ ٣٢٨) ، والتبيين (٢/ ٧٤٧) ، والجامع لأحكام القرآن (١١/ ٤٦٩) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/ ١٣٢) ، والبحر المحييط (٥/ ٣٥٣) ، والدر المصون (٦/ ٥٦١) ، والجواهر الحسان (٢/ ١٧٦) ، ونظم الدرر (١٠/ ٢٤٢) ، وفتح القدير (٣/ ٨١) ، وفتح البيان (٦/ ٤١٦) ، ومحاسن التأويل (٩/ ٣٦١) ، والتحرير والتنوير (١٣/ ٦٥) ، وإعراب القرآن الكريم وبيانه (٥/ ٦٨) .

(4) ينظر : معاني القرآن (٢/ ٥٥) ، وتفسير القرآن (٣/ ٧٢) ، ومعالم التنزيل (٢/ ٥٠٣) ، ومفاتيح الغيب

وعليه تفسير ابن جرير الطبري ، والمراغي ، والسعدي <sup>(١)</sup> . واحتمله ابن عطية <sup>(٢)</sup> .  
قال ابن القيم : « وقول الفراء أحسن وأقرب إلى الفصاحة والبلاغة » <sup>(٣)</sup> .  
وأما الإعراب الآخر وهو : ﴿ أَنَا ﴾ مبتدأ مؤخر ، و ﴿ عَلَيَّ بِصِيرَةٍ ﴾ خبره مقدم .  
وعليه فيوقف على قوله : ﴿ ادْعُوا إِلَى اللَّهِ ﴾ ثم يستأنف : ﴿ عَلَيَّ بِصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ ،  
فجوزّه ابن الأنباري وقال : وهذا معنى قول ابن عباس <sup>(٤)</sup> . وعليه الواحدي <sup>(٥)</sup> . وجوزّه  
الزمخشري ، وابن الجوزي <sup>(٦)</sup> ، والرازي ، والقاسمي ، وأبوحيان ، والسمين ، والثعالبي ،  
والشوكاني ، والقنوجي ، والقاسمي ، والدرويش .  
واستغربه الكرمانلي . وذكره البغوي ، والخازن بصيغة ( قيل ) <sup>(٧)</sup> .  
وإلى التسوية بينهما ذهب البيضاوي ، والنسفي ، وأبوالسعود <sup>(٨)</sup> .  
وبعد ، فإذا تقرر هذا فالصواب جواز الإعرابين ، وجواز المعنيين المترتين عليهما  
وصحتهما . بل « القولان متلازمان ، فلا يكون الرجل من أتباع الرسول - صلى الله عليه  
وسلم - حقاً حتى يدعو إلى ما دعا إليه » . قاله ابن القيم <sup>(٩)</sup> وقال : « والتحقيق أن  
العطف يتضمّن المعنيين فأتباعه هم أهل البصيرة الذين يدعون إلى الله » <sup>(١٠)</sup> .  
وإذا كان ذلك كذلك فلا وجه لتضعيف ابن جزيّ للإعراب الثاني ، والله تعالى أعلم .

(٥٢٠/٦) ، ولباب التأويل (٤٥/٣ - ٤٦) ، وتفسير القرآن العظيم (٩١/٨ - ٩٢) ، وتفسير الجلالين (الفتوحات  
الإلهية ٩٢/٤) .

- (1) ينظر : جامع البيان (٣٧٨/١٣) ، وتفسير المراغي (٥٢/١٣) ، وتيسير الكريم الرحمان (٤٤٠/٢) .
- (2) ينظر : المحرر الوجيز (٩٥ / ٨) .
- (3) بدائع التفسير (٤٧٦ - ٤٧٧ / ٢) .
- (4) الوسيط للواحدى (٦٣٧/٢) .
- (5) ينظر : الوجيز (٥٦٢/١) ، والوسيط (٦٧٣/٢) .
- (6) ينظر : زاد المسير (٢٩٥ / ٤) .
- (7) ينظر : معالم التنزيل (٥٠٤/٢) ، ولباب التأويل (٤٦/٣) .
- (8) ينظر : أنوار التنزيل (٥٠٠-٥٠١) ، ومدارك التنزيل (٢٤٠/٢) ، وإرشاد العقل السليم (١٤٢ / ٣) .
- (9) بدائع التفسير (٤٧٧ / ٢) .
- (10) المصدر السابق (٤٧٨ / ٢) .

قَالَ تَعَالَى:

﴿ حَقَّ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِيَ مَنِ نَشَاءُ <sup>ط</sup>

وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾

٣٥- الخلاف في المراد باستيئاس الرسل ، مم هو ؟

في قوله تعالى : ﴿ حَقَّ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ ﴾ .

قال ابن جزي رحمه الله تعالى : « ويأسهم : يحتمل أن يكون من إيمان قومهم أو من النصر . والأول أحسن » <sup>(١)</sup> .

### العرض والمناقشة :

استحسن ابن جزي أن يأس الرسل - عليهم السلام - كان من إيمان قومهم . ووافق في هذا ما روي عن السلف ؛ ابن عباس <sup>(٢)</sup> ، وابن مسعود <sup>(٣)</sup> ، وعائشة <sup>(٤)</sup> ، وسعيد بن جبير <sup>(٥)</sup> ، ومجاهد <sup>(٦)</sup> ،

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٢٩) . وفي الآية خلاف في قوله : ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا ﴾ لم يتعرض له ابن جزي !! .

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/ ٣٨٣- ٣٩١) من طرق عن ابن عباس قال : يئس الرسل من قومهم أن يستجيبوا لهم . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٢١١ و ٢٢١٢) رقم (١٢٠٥٧ و ١٢٠٥٩) و ١٢٠٦٢ و ١٢٠٦٧) . وينظر : صحيفة علي بن أبي طلحة في التفسير (٢٩٥) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٩٦) نسبته إلى أبي عبيد ، وسعيد بن منصور ، والنسائي ، وابن المنذر .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٢٩) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/ ٣٩٠- ٣٩١) ، والطبراني في المعجم الكبير (٩/ ١٤٨) رقم (٨٦٧٥) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٩٦) نسبته إلى سعيد بن منصور ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ عنه قال : استيأس الرسل من إيمان قومهم أن يؤمنوا لهم .

(٤) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٨٩) والتفسير (٤٥٢٥ و ٤٦٩٥) ، وابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/ ٣٩٦) من طريق معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عنها قالت : حتى إذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم أن يصدقهم .

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/ ٣٨٣، ٣٨٧- ٣٨٨) . وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٩٧) نسبته إلى ابن المنذر ، وسعيد بن منصور ، وأبي الشيخ .

(٦) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٣/ ٣٨٩) من طرق ، عن ابن أبي نجيح ، عنه .

والحسن<sup>(١)</sup> ، وقتادة<sup>(٢)</sup> ، وابن زيد<sup>(٣)</sup> ، والضحاك<sup>(٤)</sup> ، وعبد الله بن الحارث<sup>(٥)</sup> .  
 وإلى هذا ذهب مقاتل ، والفراء ، وابن قتيبة ، وابن جرير الطبري ، والزجاج ، والنحاس ،  
 والسمرقندي ، وابن أبي زمنين ، والواحدي ، والسمعاني ، والبعوي ، ومحمود النيسابوري ،  
 والرازي ، والقرطبي ، والنسفي ، والقاسمي ، والمراغي ، والطاهر بن عاشور<sup>(٦)</sup> .  
 قال ابن قتيبة : « أحسنها في الظاهر ، وأولاهها بأنبياء الله ، صلوات الله عليهم ، ما قالت  
 أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها... »<sup>(٧)</sup> .

وقال ابن جرير الطبري : « لأن ذلك عقيب قوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ [يوسف : ١٠٩] . فكان ذلك دليلاً على أن إياس الرسل كان من إيمان قومهم الذين أهلكوا »<sup>(٨)</sup> .  
 وأما القول الآخر ، وهو أن إياس الرسل - عليهم السلام - كان من النصر ، فقوله  
 مجاهد بنحوه<sup>(٩)</sup> .

- (1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٩٧/١٣) من طريق قتادة ، عنه .
- (2) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٢٩/٢) عن معمر ، عنه .
- (3) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٩٠/١٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٢١٢/٧) رقم (١٢٠٦٥) .
- (4) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٩١ - ٣٩٢) .
- (5) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٩٠ / ١٣) .
- (6) ينظر : تفسير مقاتل (٣٥٣/٢) ، ومعاني القرآن (٥٦/٢) ، وتأويل مشكل القرآن (٤١٠ ، ٤١٢) ، وجامع البيان (٣٨٣/١٣ ، ٣٩٢) ، ومعاني القرآن وإعرابه (١٣٢/٣) ، ومعاني القرآن الكريم (٤٦١/٣ ، ٤٦٤) ، وبحر العلوم (١٨٠/٢) ، وتفسير القرآن العزيز (٣٤٢/٢ - ٣٤٣) ، والوجيز (٥٦٣/١) والوسيط (٦٣٨/٢) ، وتفسير القرآن (٧٣/٣) ، ومعالم التنزيل (٥٠٥/٢) ، ووضح البرهان (٤٦٩/١) وإيجاز البيان (٣٥٤/١) ، ومفاتيح الغيب (٥٢١/٦) ، والجامع لأحكام القرآن (٤٧١/١١) ، ومدارك التنزيل (٢٤٠/٢) ، ومحاسن التأويل (٣٦١٤/٩) ، وتفسير المراغي (٥٥/١٣) ، والتحرير والتنوير (٦٩/١٣) .
- (7) تأويل مشكل القرآن (٤١٢) .
- (8) جامع البيان (٣٩٢/١٣) .
- (9) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٩٨/١٣) من طريق ابن جريج ، عنه . وينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٢٩٦/٤) ، والدر المنثور للسيوطي (٥٩٧/٤) .

وَرُوِيَ مِنْ وَجْهِ مُخَالَفٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ <sup>(١)</sup> ، وَسَعِيدِ بْنِ جَبْرِ <sup>(٢)</sup> . وَعَلِيهِ الزَّمْخَشَرِيُّ ، وَالْبَقَاعِيُّ ، وَالْدُرَوَيْشِيُّ <sup>(٣)</sup> . وَهُوَ مَفْهُومُ كَلَامِ ابْنِ كَثِيرٍ <sup>(٤)</sup> . وَاحْتَمَلَهُ الْمَاورِدِيُّ <sup>(٥)</sup> كَابْنِ جُزَيْيٍّ .

قال ابن كثير : « يخبر تعالى أن نصره يتزل على رسله ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، عند ضيق الحال وانتظار الفرج من الله تعالى في أحوج الأوقات إلى ذلك ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَّ إِنَّا نَصْرُ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ <sup>(٦)</sup> [ البقرة : ٢١٤ ] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وأما الرسل فلم يذكر ما استيأسوا منه ، بل أطلق وصفهم بالاستيئاس ، فليس لأحد أن يقيده بأهم استيأسوا مما وعدوا به ، وأخبروا بكونه ، ولا ذكر ابن عباس ذلك ... فإذا كان الخير عن استيئاسهم مطلقاً فمن المعلوم أن الله إذا وعد الرسل والمؤمنين بنصر مطلق - كما هو غالب إخباراته - لم يقيد زمانه ولا مكانه ولا سنته ، ولا صفته ، فكثيراً ما يعتقد الناس في الموعود به صفات أخرى لم يتزل عليها خطاب الحق <sup>(٧)</sup> .

(1) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٨٥/١٣) من طريق شعبة ، عن حُصَيْنٍ ، عن عمران بن الحارث ، عنه قال : (حتى إذا استيأس الرسل) من نصر قومهم . وهذا اللفظ تفرّد به شعبة دون سائر الرواة عن حُصَيْنٍ ، فخالفه ابن إدريس ، وهُشَيْمٌ ، وعِثْرٌ ، وجرير ، وسفيان ، فرووه بلفظ : (من إيمان قومهم : أن يصدقوهم : أن يستجيبوا لهم) بهذا المعنى . وهو الموافق لرواية الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن ابن عباس . ولرواية علي بن أبي طلحة ، عنه . ولرواية العوفي ، عنه . ولرواية سعيد بن جبيرة ، عنه . رواها الطبري في جامع البيان (٣٨٣/١٣) - (٣٩١) .

(2) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٩١/١٣) من طريق شعبة ، عن أبي المعلّى ، عن سعيد بن جبيرة قال : استيأس الرسل من نصر قومهم . وهذا اللفظ أيضاً مخالف لما ثبت عنه رحمه الله ، فرواه سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عنه . وإسماعيل بن عُلَيْبَةَ ، عن كلثوم بن جبر ، عنه . وإبراهيم بن أبي حُرّة الجزري ، عنه . ومسلم بن يسار ، عنه . وعمرو بن ثابت ، عن أبيه ، عنه . كلهم رووه عنه بلفظ : ( أن يستجيب لهم قومهم ) . رواها ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٨٣/١٣ - ٣٩١) .

(3) ينظر : الكشاف (٣٣٠/٣) ، ونظم الدرر (٢٥٤ / ١٠) ، وإعراب القرآن الكريم وبيانه (٦٩/٥) .

(4) ينظر : تفسير القرآن العظيم (٩٥ / ٨) .

(5) ينظر : النكت والعيون (٨٩ / ٣) .

(6) تفسير القرآن العظيم (٩٥ / ٨) .

(7) مجموع الفتاوى (١٨٣ / ١٥) .

وإلى التسوية بين القولين - مع تقديم القول الثاني وهو اليأس من النصر - ذهب  
 البيضاوي ، والقُمِّي ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والقنوجي <sup>(١)</sup> .  
 واحتمل القولين ابن قُتيبة واستحسن الأول ؛ كابن جُزَيّ .  
 وبعد ، فإذا تقرر هذا فإن الأحسن في معنى إياس الرسل هو أنه كان من إيمان قومهم  
 وإستجابتهم ، فيكون المعنى : حتى إذا استيأس الرسل - عليهم السلام - من قومهم أن  
 يصدّقوهم ويؤمنوا بهم ولهم ، واعتقدت الرسل - عليهم السلام - أن قومهم قد كذّبوهم ،  
 جاء الرسل حينئذٍ وأتباعهم نصرُ الله تعالى لهم . وهذا المعنى عليه السلف <sup>(٢)</sup> ، وأكثر المفسرين <sup>(٣)</sup> ،  
 والله تعالى أعلم .

- 
- (1) ينظر : أنوار التنزيل (٥٠١/١) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (١٣٢/٤) ، وإرشاد العقل السليم  
 (١٤٢/٣) ، وفتح القدير (٨٣/٣) ، وفتح البيان (٤١٧/٦) .  
 (2) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (٢٨٨/١) وفيه قاعدة : تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذّ .  
 (3) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل (٩/١) . وفيه بيان ترجيح ابن جُزَيّ بقول جمهور المفسرين .

## الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد :

فقد ألف الإمام ابن جُزَيِّ الكَلْبِيِّ رحمه الله تعالى ( ت ٧٤١ هـ ) في التفسير وعلوم القرآن كتابه " التسهيل لعلوم الترتيل " المشتمل على كمّ كبيرٍ من أقوال المفسرين ، واختلافاتهم في مختلف الفنون ؛ كالتفسير ، والحديث ، والفقه ، واللغة . وأجاد ابن جُزَيِّ فيه عرضَ أقوال المفسرين والاختلاف بينهم ، وسار في إبراز ذلك على طريقة مثلى ، وفق منهجية مميزة ، على الرغم من كون كتابه وجيزاً مختصراً .

ويُعد ابن جُزَيِّ من العلماء القلائل الذين أصَلَّوا الموضوع الترجيح بين أقوال المفسرين ، وتمييز الصحيح منها من السقيم ، ويتضح ذلك من خلال تحريره لصيغ وأساليب الترجيح ، والوجوه التي يُرجح بها عند الاختلاف بين المفسرين .

وهو لم يتطرق - في الغالب - لذكر أدلة الترجيح عند ذكر أقوال المفسرين ، وإن فعل فإنه لا يستوعب .

واعتمد في الترجيح بين أقوال المفسرين على وجوه الترجيح المختلفة التي قررها في مقدمة كتابه ، عند كلامه عن الخلاف بين المفسرين ، والوجوه التي يُرجح بها بينهم . وجاءت جلُّ ترجيحاته موافقة لترجيحات أكثر من سبقه من المفسرين، ووافقها الكثير من المفسرين الذين أتوا بعده . وحالفه الصواب في أكثر ترجيحاته ، ولم يجانبه إلا في التزلزل اليسير منها ؛ حيث لم تتجاوز نسبتها ٢٠ % من مجموع مسائل هذا البحث .

وبعد ، فإن الخلاف في التفسير يحتاج إلى جمع مسائله ودراستها دراسة مقارنة على طريقة الفقه المقارن وفق منهجية علمية تعتمد قواعد الترجيح وأصوله وأدلته ؛ للوصول إلى صحيح التفسير ومقبوله وردّ خطأه وسقيمه .

وأحسب أن الرسائل العلمية المتخصصة في دراسة موضوعات ترجيحات المفسرين تفيد في هذا الجانب كثيراً ، غير أنها — بعد جمعها وترتيبها — بحاجة إلى تنقيح وتهذيب

عسى الله أن يهيأ لذلك الأمر من يقوم به خير قيام ؛ إنه أكرم مسئول وخير مأمول .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه

والتابعين لهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً

والحمد لله رب العالمين

# ملحق تراجم الأعلام

- **الآلوسي** : محمود بن عبد الله الحسيني ، شهاب الدين أبو الثناء (١٢١٧-١٢٧٠هـ) . مفسر ، محدث ، أديب ، من المحدثين ، من أهل بغداد ، مولده ووفاته فيها . من كتبه : روح المعاني في التفسير . ينظر : الأعلام (١٧٦/٧) ، تراجم مشاهير الشرق (٢/٢٣٦) ، معجم المفسرين (٢/٦٦٥) .
- **إبراهيم بن يزيد النخعي** ، فقيه العراق ، من كبار التابعين ، كان رأساً في العلم ، ورعاً ، متوفياً للشهرة ، توفي سنة (٩٦ هـ) . ينظر : التاريخ الكبير (١/٣٣٣) ، ومعجم المفسرين (١/٢٤) .
- **الأصمعي** : عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع ، أبوسعيد الباهلي البصري (٢١٦هـ) . حدث عن ابن عون ، وسليمان التيمي ، ومسعر بن كدام ، وشعبة وعدد كثير . وعنه ابن معين ، وأبو عبيد ، وعمر بن شبة وخلق . قال أبو داود : صدوق . وقال ابن حجر : صدوق سني . ينظر : تاريخ بغداد (١٠/٤١٠) ، إنباه الرواه (٢/١٩٧) ، سير أعلام النبلاء (٧/١٧٥) ، التهذيب (٦/٤١٥) ، التقريب (٥/٤٢٥) .
- **الأعشى** : أبو المصباح عبدالرحمن بن عبدالله بن الحارث الهمداني . شاعر مفوه شهير ، كوفي . كان متعبداً فاضلاً ، ثم عبث بالشعر . خرج مع القراء مع ابن الأشعث فقتله الحجاج سنة نيّف وثمانين . ينظر : سير أعلام النبلاء (٤/١٨٥) .
- **الأقرع بن حابس بن عقيل المجاشعي الدارمي التميمي** (٣١هـ) . صحابي ، من سادات العرب في الجاهلية . شهد حنيناً وفتح مكة والطائف . سكن المدينة ورحل إلى دومة الجندل في خلافة أبي بكر . واستشهد بالجوزجان . ينظر : الإصابة (١/١٠١) ، والأعلام (٢/٥) .
- **الأنباري** : أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار ابن الأنباري ، المقرئ النحوي اللغوي (٢٧٢-٣٢٨هـ) . سمع من إسماعيل القاضي وثعلب وخلق كثير . وحدث عنه الدارقطني وأبو علي القالي وآخرون . قال الخطيب : كان ابن الأنباري صدوقاً ديناً من أهل السنة . صنف في علوم القرآن والغريب والمشكل والوقف والابتداء . ينظر : تاريخ بغداد (٣/١٨١-١٨٦) ، إنباه الرواة (٣/٢٠١) ، سير أعلام النبلاء (١٥/٢٧٤) .
- **الأنباري** : أبو البركات عبدالرحمن بن محمد بن عبيدالله كمال الدين (٥١٣-٥٧٧هـ) ، الإمام القدوة شيخ النحو ، نزيل بغداد . له من التصانيف : الإنصاف في الخلاف بين البصريين والكوفيين ، والبيان في إعراب القرآن ، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء وغيرها . ينظر : إنباه الرواة (٢/١٧١) ، السير (٢١/١٣١) .

- ابن أْبْرَى : سعيد بن عبدالرحمن بن أْبْرَى الخزاعي مولاهم ، الكوفي ، ثقة ، من الثالثة .  
التقريب (٢٣٨) .
- ابن أبي أَوْفَى : عبد الله ابن أبي أَوْفَى ، علقمة بن خالد ، أبو معاوية الأسلمي الكوفي (٨٧هـ) .  
الفضيه المعمّر ، صاحب النبي > ، ومن أهل بيعة الرضوان . روى عنه : سالم أبو النضر ، فيما كتب إليه ، وإسماعيل بن أبي خالد ، وعمرو بن مُرَّة . قال في التقريب (٢٩٦) : صحابي شهد الحديبية ، وعمّر بعد النبي صلى الله عليه وسلم دهرًا ، وهو آخر من مات بالكوفة من الصحابة .  
ينظر : تهذيب الكمال (٣١٧/١٤) ، السير (٤٢٨/٣) ، التهذيب (١٣٢/٥) ، الإصابة (٢٧/٢) .
- ابن أبي حاتم : عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي ، أبو محمد (٢٤٠-٣٢٧هـ) . حافظ للحديث ، من كبارهم . له تصانيف منها : الجرح والتعديل - والتفسير - وعلل الحديث . ينظر : تكرة الحفاظ (٨٢٩/٣) ، السير (٢٦٣/١٣) ، معجم المفسرين (٢٧١/١) ، الأعلام (٣٢٤/٣) .
- ابن أبي زَمَنِين : محمد بن عبد الله بن عيسى المرّي ، أبو عبد الله (٣٢٤-٣٩٩هـ) . فقيه مالكي . من الوعاظ الأدباء . من أهل البيرة . له كتب كثيرة في الفقه والمواظ منها : أصول السنة - منتخب الأحكام - تفسير القرآن . ينظر : الأعلام (٢٢٧/٦) .
- ابن أبي لَيْلَى : عبدالرحمن بن أبي لَيْلَى الأنصاري المدني ثم الكوفي (٨٣هـ) . روى عن أبيه وعمر وعثمان وعلي وسعد وحذيفة ومعاذ بن جبل والمقداد وابن مسعود وأبي ذر وأبي بن كعب وغيرهم . وعنه : ابنه عيسى وابن ابنه عبدالله بن عيسى وعمرو بن ميمون الأودي وهو أكبر منه .  
ويزيد بن أبي زياد وإسماعيل بن أبي خالد وجماعة . قال عطاء بن السائب ، عن عبدالرحمن : أدركت عشرين ومائة من الأنصار صحابة . وقال عبد الملك بن عمير : لقد رأيت عبدالرحمن في حلقة فيها نفر من الصحابة فيهم البراء يسمعون . قال ابن حجر : ثقة ، اختلف في سماعه من عمر مات بوقعة الجمامم . قلت : الصحيح أنه سمع منه . ينظر : تهذيب التهذيب (٢٣٤/٦) ،  
التقريب (٣٤٩) .
- ابن أبي مُلَيْكَةَ : عبد الله بن عبيد الله التيمي المكي (ت ١١٧هـ) . قاض ، من رجال الحديث الثقات . ولاء ابن الزبير قضاء الطائف . ينظر : الأعلام (١٠٢/٤) .
- ابن أبي نَجِيح : عبدالله بن أبي نجیح ، واسمه يسار الثقفي ، أبو يسار المكي ، مولى الأحنس الثقفي (١٣١هـ) . روى عن طاوس بن كيسان ، وعبدالله بن كثير ، وعبدالله بن عامر ، وعطاء ، ومجاهد ، وروى عنه إسماعيل بن عليّة ، والسفيانان ، وشعبة ، وابن إسحاق . قال وكيع : كان

سفيان يصحح تفسيره، وثقه ابن معين، وأبو زرعة، وأحمد، والنسائي. قال ابن حجر: ثقة رومي بالقدر وربما دلس. ينظر: طبقات ابن سعد (٤٨٣/٥)، الجرح (٢٠٣/٥)، تهذيب الكمال (٢١٥/١٦)، السير (١٢٥/٦)، التقريب (٣٦٦٢).

● **ابن إسحاق** : محمد بن إسحاق بن يسار ، أبو بكر المطلبي مولا هم ، المدني ، نزيل العراق (٨٠-١٥١هـ) روى عن : إسماعيل بن أمية ، وأبان بن صالح ، وأيوب ، وصالح بن كيسان ، والأعرج ، وغيرهم . وعنه : عبد الله بن إدريس ، والحمادان ، والسفيانان ، وشعبة ، وغيرهم . قال أحمد : حسن الحديث . وقال أبو زرعة : صدوق . وقال أبو حاتم : يكتب حديثه . وقال ابن معين : كان ثقة حسن الحديث . وقال مرة : ليس بالقوي ، وكذا قال النسائي . وقد احتج بحديثه ابن المديني ، وقال : ما رأيت أحداً يتهمه . وقال أبو زرعة الدمشقي : وقد ذكرت دحيماً بقول مالك فيه فرأى أن ذلك ليس للحديث إنما هو لأنه اتهمه بالقدر . ووثقه العجلي ، وابن سعد ، وغيرهما . قال في التقريب (٤٦٧) : إمام المغازي ، صدوق يدلس ورمي بالتشيع والقدر . ينظر : ط ابن سعد (٣٢١/٧) - ت الدوري (٥٠٣/٢) - ت الدارمي (٤٤) - الجرح (١٩١/٧) - ثقات ابن حبان (٣٨٠/٧) - تهذيب الكمال (٤٠٥/٢٤) - التهذيب (٣٤/٩) .

● **ابن الأثير** : مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم ، الشيباني الجزري ثم الموصلية ، (٥٤٤-٦٠٦هـ) القاضي الرئيس العلامة البارع الكاتب ، صاحب " جامع الأصول " و " النهاية في غريب الحديث والأثر " وله غيرهما . وكان كاتب الإنشاء لدولة صاحب الموصل ، وولي ديوان الإنشاء وعظم قدره ، وله اليد البيضاء في الترسل ، وصنف فيه . ينظر : وفيات الأعيان (١٤١/٤) - السير (٤٨٨/٢١) .

● **ابن الأحرر** : إسماعيل بن يوسف النصري ، مؤرخ ، أديب ، مات سنة (٨٠٧هـ) . ينظر : هدية العارفين (٢١٥/٥) ، الأعلام (٣٢٩/١) .

● **ابن التُّركُماني** : علاء الدين علي بن عثمان بن إبراهيم المارديني (٦٨٣-٧٥٠هـ) ، أبو الحسن . من شيوخه : عبدالمؤمن بن خلف الدمياطي ، وابن قيم الجوزية . ومن تلاميذه : الحافظ العراقي . له " بهجة الأريب " في غريب القرآن . ينظر : معجم المفسرين (٣٧٠/١) ، الأعلام (٣١١/٤) ، معجم المؤلفين (١٤٥/٧) .

● **ابن الجزري** : محمد بن محمد بن علي ، أبو الخير ، شمس الدين العمري الدمشقي (٧٥١-٨٣٣هـ) . شيخ الإقراء في زمانه . من حفاظ الحديث . من كتبه : النشر في القراءات العشر وغاية النهاية في طبقات القراء . ينظر : معجم المفسرين (٦٢٠/٢) ، الأعلام (٤٥/٧) .

- **ابن الجوزي** : عبدالرحمن بن علي بن محمد القرشي التيمي البكري البغدادي ، الحنبلي الواعظ ، أبو الفرج (٥٠٩ - ٥٩٧هـ ) الشيخ الإمام العلامة ، الحافظ المفسر ، شيخ الإسلام ، الواعظ ، صاحب التصانيف ، ومنها : " مشكل الصحيحين " و " زاد المسير " و " المنتظم في التاريخ " وغيرها . ينظر : ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٣٩٩/١) - السير (٣٦٥/٢١) - التذكرة (١٣٤٢/٤) .
- **ابن السائب** : محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث الكلبي ، أبو النضر (١٤٦هـ) . نسابة ، راوية ، عالم بالتفسير والأخبار وأيام العرب . من أهل الكوفة . صنف كتابا في تفسير القرآن وهو ضعيف الحديث . قال النسائي : حدث عنه ثقات من الناس ورضوه في التفسير ، وأما في الحديث ففيه مناكير . وقال الحافظ في التقریب (٤٧٩) : متهم بالكذب ورُمي بالرفض . ينظر : التهذيب (١٧٨/٩) ، معجم المفسرين (٥٣٠/٢) ، الأعلام (١٣٣/٦) .
- **ابن الشجري** : هبة الله بن علي بن محمد الحسيني ، أبو السعادات ، الشريف (٤٥٠ - ٥٤٢هـ) . من أئمة العلم باللغة والأدب وأحوال العرب . من كتبه : الأمالي و الحماسة . ينظر : الأعلام (٧٤/٨) .
- **ابن العربي** : محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله ، أبو بكر بن العربي الأندلسي الإشبيلي المالكي (٤٦٨ - ٥٤٣هـ ) الإمام العلامة الحافظ القاضي ، صاحب التصانيف ومنها : " أحكام القرآن " و " عارضة الأحوذى " في غيرها . ينظر : السير (١٩٧/٢٠) - التذكرة (١٢٩٤/٤) - طبقات المفسرين للداودي (١٦٢/٢) .
- **ابن القاسم** : عبدالرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقي مولا هم ، أبو عبد الله المصري الفقيه (١٣٢ - ١٩١هـ ) عالم الديار المصرية ومفتيها ، روى عن : مالك ، ونافع المقرئ ، وطائفة . وعنه : أصبغ ، وسحنون ، وابن عبد الحكم ، وآخرون . قال مالك : فقيه . وقال النسائي : ثقة مأمون . قال في التقریب (٣٤٨) : الفقيه ، صاحب مالك ثقة . ينظر : ترتيب المدارك (٤٣٣/٢) - تهذيب الكمال (٣٤٤/١٧) - السير (١٢٠/٩) - الديداج المذهب (٤٦٥/١) - التهذيب (٢٢٧/٦) .
- **ابن المسيب** : سعيد بن المسيب بن حزن القرشي المخزومي (٩٠هـ ) روى عن : أبي هريرة ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وخلق . وعنه : الزهري ، وسالم بن عبد الله ، وسُمي ، وأبو الزناد ، وجماعة . قال ابن المديني : لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه . قال أحمد : مراسلات سعيد صحاح لا نرى أصح من مراسلاته . وقال : أفضل التابعين سعيد بن المسيب . قال في التقریب (٢٤١) : أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار ، اتفقوا على أن مراسلاته أصح المراسيل . ينظر : الجرح (٥٩/٤) - تهذيب الكمال (٦٦/١١) - التهذيب (٧٤/٤) .

- **ابن المنذر** : محمد بن إبراهيم ، أبو بكر النيسابوري ( ٢٤١ - ٣١٨ هـ ) الإمام الحافظ العلامة ، شيخ الاسلام ، الفقيه ، نزيل مكة ، وصاحب التصانيف ، ومنها : " الإشراف في اختلاف العلماء " و " الإجماع " و " الأوسط " وغيرها . ينظر : السير ( ٤٩٠ / ١٤ ) - التذكرة ( ٧٨٢ / ٣ ) - ط السبكي ( ١٠٢ / ٣ ) .
- **ابن المنير** : ناصر الدين أحمد بن محمد بن منصور الإسكندراني الجذامي المالكي ( ٦٢٠ - ٦٨٣ هـ ) قاضي الإسكندرية وفاضلها المشهور ، برع في الفقه والأصول والنظر والعريضة والبلاغة . وكان رأساً في النحو والتفسير والحديث . له كتاب " المتواري على تراجم أبواب البخاري " . ينظر : السير ( ٣٥٢ / ٣ ) - بغية الوعاة ( ٣٨٤ / ١ ) - ط المفسرين للداودي ( ٨٨ / ١ ) .
- **ابن بحر** : لم أقف على ترجمته !! ورأيت الماوردي في النكت والعيون أكثر النقل عنه حتى إنه ذكره في أكثر من مئتي موضع ، وأبوحيان في البحر المحيط ذكره في تسعة وستين موضعاً . ولعله - والله أعلم - هو : محمد بن بحر الأصفهاني ( ٣٢٢ هـ ) ، أبو مسلم ، كاتب متكلم مفسر على مذهب المعتزلة ، له مصنفات في تفسير القرآن وعلومه . ينظر : بغية الوعاة ( ٥٩ / ١ ) ، طبقات المفسرين للداودي ( ١٠٩ / ٢ ) .
- **ابن تيمية** : أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ، أبو العباس ، شيخ الإسلام ، الإمام المجدد المفسر المحدث الفقيه المجتهد ، نادرة العصر ، توفي سنة ( ٧٢٨ هـ ) . ينظر : الدرر الكامنة ( ١٦٨ / ١ ) ، ومعجم المفسرين ( ٤١ / ١ ) .
- **ابن جريج** : عبد الملك بن عبدالعزيز بن جريج الأموي مولاهم المكي ( ١٥٠ هـ ) . روى عن أبيه ، والزهري ، وعطاء ، وطاووس ، وخلق كثير . وعنه ابنه عبدالعزيز ، ومحمد ، والأوزاعي ، والليث وغيرهم . قال ابن معين : ليس بشيء في الزهري . وقال مرة : ثقة في كل ما روى عنه من الكتاب ، وقال العجلي : ثقة مكي . وقال ابن شاهين : ثقة حجة . قال الذهبي : الرجل في نفسه ثقة حافظ لكنه يدلس . وقال ابن حجر في كتابه عن المدلسين : فقيه الحجاز ، مشهور بالعلم والتثبت ، كثير الحديث ، وصفه النسائي وغيره بالتدليس ، وقال الدارقطني : شر التدليس تدليس ابن جريج فإنه قبيح التدليس ، لا يدلس إلا فيما سمعه من مجروح . وقال في التقريب : ثقة فقيه فاضل ، وكان يدلس ويرسل . ينظر : السير ( ٣٢٥ / ٦ ) ، تهذيب الكمال ( ٣٣٨ / ١٨ ) ، التهذيب ( ٣٥٧ / ٦ ) ، التقريب ( ٣٦٣ ) ، طبقات المدلسين لابن حجر ( ٦٥ ) .
- **ابن جرير الطبري** : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير ، أبو جعفر الطبري ، صاحب التصانيف البديعة ، وإمام المفسرين ( ٣١٠ هـ ) . سمع محمد بن حميد الرازي ، وأحمد بن منيع ، وهناد بن

السري ، ومحمد بن عبد الأعلى الصنعائي ، ويونس بن عبد الأعلى وغيرهم ، وعنه أحمد بن كامل القاضي ، وأبو بكر الشافعي ، وأبو عمرو محمد بن أحمد بن حمدان ، والمعلّى بن سعيد وخلق كثير . قال الخطيب : أحد أئمة العلماء .. وبالغ في مدحه . وقال الذهبي : كان ثقة ، صادقاً ، حافظاً ، رأساً في التفسير ، إماماً في الفقه والإجماع والاختلاف ، علامة في التاريخ وأيام الناس ، عارفاً بالقراءات وباللغة ، وغير ذلك . وقال في صدر ترجمته : الإمام العلم المجتهد ، عالم العصر . ينظر : تاريخ بغداد (١٦٢/٢) ، تذكرة الحفاظ (٧١٠/٢) ، الميزان (٤٩٨/٣) ، السير (٢٦٧/١٤) .

● **ابن حجر العسقلاني** : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢ هـ) ، حافظ الإسلام في عصره ، من فقهاء الشافعية . ينظر : طبقات الحفاظ (٥٥٢) ، شذرات الذهب (٢٧٠/٧) ، معجم المفسرين (٥١/١) .

● **ابن دريد** : محمد بن الحسن أبو بكر الأزدي البصري (٣٢١ هـ) العلامة شيخ الأدب ، صاحب التصانيف ، تنقل في فارس وجزائر البحور يطلب الآداب ولسان العرب ففاق أهل زمانه ، ثم سكن بغداد . وكان آية من الآيات في قوة الحفظ . وله شعر جيد . وكان أشعر العلماء وأعلم الشعراء . له كتاب " الجمهرة " في اللغة ، و " الاشتقاق " وغيرهما . ينظر : معجم الأدباء (١٢٧/١٨) - إنباه الرواة (٩٢/٣) - السير (٩٦/١٥) .

● **ابن زيد** : عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العمري مولاهم ، المدني (١٨٢ هـ) حدث عن : أبيه ، وابن المنكدر . وروى عنه : قتيبة ، وهشام بن عمار ، وآخرون . كان صاحب قرآن وتفسير ، جمع تفسيراً في مجلد ، وكتاباً في النسخ والنسوخ . قال في التقريب (٣٤٠) : ضعيف . ينظر : الجروحين والضعفاء (٥٧/٢) - تهذيب الكمال (١١٤/١٧) - السير (٣٤٩/٨) - الميزان (٥٦٥/٢) - التهذيب (١٦١/٦) .

● **ابن سلام** : القاسم بن سلام بن عبد الله البغدادي ، أبو عبيد (١٥٧ - ٢٢٤ هـ) الإمام الحافظ المجتهد ذو الفنون ، أخذ اللغة عن : أبي عبيدة ، وأبي زيد وجماعة . وسمع : هشيمًا ، وابن عيينة ، ووكيعًا ، وابن مهدي ، وخلقاً كثيراً . وحدث عنه : الحارث ابن أبي أسامة ، وعباس الدوري ، وابن أبي الدنيا . وآخرون . له من المصنفات الموثقة : " الأموال " و " النسخ والنسوخ " و " الغريب " وغيرها . قال في التقريب (٤٥٠) : الإمام المشهور ، ثقة فاضل ، مصنف ، ولم أر له في الكتب حديثاً مسنداً ، بل من أقواله في شرح الغريب . ينظر : ط ابن سعد (٣٥٥/٧) - إنباه الرواة (١٢/٣) - معجم الأدباء (٢٥٤/١٦) - السير (٤٩٠/١٠) .

● **ابن سعد** : عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله التميمي (١٣٠٧ - ١٣٧٦ هـ) . مفسر ، من علماء الحنابلة ، من أهل نجد . ومن أشهر تلاميذه العلامة محمد بن عثيمين رحمه الله . له العديد

من الكتب منها : تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن - القواعد الحسان في تفسير القرآن .  
 ينظر : مشاهير علماء نجد (٣٩٢) ، معجم المفسرين (٢٧٩/١) ، الأعلام (٣/٣٤٠) .

● **ابن سيرين** : محمد بن سيرين الأنصاري، أبو بكر بن أبي عمرة البصري (١١٠هـ). روى عن عبيدة السلماني، وأنس بن مالك، وابن عمر وغيرهم . وعنه هشام بن حسان، وأيوب، وخالد الحذاء وآخرون. قال ابن حجر : ثقة ثبت عابد كبير القدر، كان لا يرى الرواية بالمعنى. وقال عبد الله ابن أحمد بن حنبل عن أبيه : سمع من أنس وابن عمر وعمران بن حصين وأبي هريرة ولم يسمع من ابن عباس شيئا كلها يقول نبئت عن ابن عباس . وقال شعبة عن خالد الحذاء : كل شيء قال محمد نبئت عن ابن عباس إنما سمعه من عكرمة لقيه أيام المختار بالكوفة . قال أحمد، وعلي ابن المديني: لم يسمع من ابن عباس . ينظر : طبقات ابن سعد (١٩٣/٧)، الجرح (٢٨٠/٧)، تهذيب الكمال (٣٤٤ — ٣٤٨/٢٥)، السير (٦٠٦/٤)، جامع التحصيل (٢٦٤) ، التهذيب (١٩٠/٩)، التقريب (٥٩٤٧).

● **ابن عاشور** : محمد الطاهر بن محمد الشاذلي (١٢٩٦-١٣٩٣هـ) . رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس . وهو من أعضاء الجمععين العربيين في دمشق والقاهرة . له مصنفات منها : مقاصد الشريعة الإسلامية - التحرير والتنوير - موجز البلاغة .  
 ينظر : معجم المفسرين (٥٤١/٢) ، الأعلام (١٧٤/٦) .

● **ابن عامر** : عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم اليحصبي ، الدمشقي ، المقرئ ، أبو عمران (١١٨هـ) . ثقة ، من الثالثة . ينظر : التقريب (٣٠٩) .

● **ابن عباس** : عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، أبو العباس القرشي الهاشمي المكي (٦٨هـ) .  
 حبر الأمة ، وفقه العصر ، وإمام التفسير . ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد بشعب بني هاشم قبل الهجرة بثلاث سنين . صحب النبي صلى الله عليه وسلم نحواً من ثلاثين شهراً . دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بالحكمة . أحد المكثرين من الصحابة ، وأحد العبادلة من فقهاء الصحابة . مات بالطائف رضي الله عنه . ينظر : تهذيب الكمال (١٥٤/١٥) - السير (٣٣١/٣) - التهذيب (٢٤٢/٥) - التقريب (٣٠٩) - الإصابة (٣٢٢/٢) .

● **ابن عبد البر** : يوسف بن عبد الله بن محمد ، أبو عمر النمري ، الأندلسي ، القرطبي ، المالكي (٣٦٨-٤٦٣هـ) الإمام العلامة ، حافظ المغرب ، شيخ الإسلام ، صاحب التصانيف الفاتحة ومنها : " التمهيد " و " الاستذكار " و " الاستيعاب " وغيرها . حدث عنه : ابن حزم ، وأبو علي الغساني ، وغيرهما . كان إماماً ديناً ، ثقة ، متقناً ، علامةً ، متبحراً ، صاحب سنة واتباع ،

- كان حافظ المغرب في زمانه ، بلغ رتبة الأئمة المجتهدين . ينظر : ترتيب المدارك (٤/٨٠٨) - السير (١٥٣/١٨) - التذكرة (٣/١١٢٨) .
- ابن عطية : عبدالحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي ، أبو محمد (٤٨١-٥٤٢هـ) من محارب قيس ، الغرناطي . مفسر ، فقيه أندلسي ، من أهل غرناطة ، عارف بالأحكام والحديث . له المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . ينظر : معجم المفسرين (١/٢٥٧) ، الأعلام (٣/٢٨٢) .
  - ابن عمر : عبدالله بن عمر بن الخطاب ، أبو عبد الرحمن القرشي العدوي المكي ثم المدني (٧٣هـ) . أسلم وهو صغير ، ثم هاجر مع أبيه ولم يحتلم ، واستصغر يوم أحد ، فأول غزواته الخندق ، وهو ممن بايع تحت الشجرة ، أخته أم المؤمنين حفصة . روى علماً كثيراً نافعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن كبار الصحابة . وروى عنه: أولاده : بلال ، وحمزة ، وزيد ، وسالم ، ومولاه نافع ، وأسلم مولى عمر ، وزيد بن أسلم ، وعروة بن الزبير ، وابن المسيب ، وخلق كثير . قال في التقريب (٣١٥) : أحد المكثرين من الصحابة والعبادة ، وكان من أشد الناس اتباعاً للأثر . ينظر : تهذيب الكمال (١٥/٣٣٢) - السير (٣/٢٠٣) - التهذيب (٥/٢٨٧) - الإصابة (٢/٣٣٨) .
  - ابن عيسى : لم أقف على ترجمته ! نقل عنه الماوردي في النكت والعيون (٢/٤٩٩) .
  - ابن عيينة : سفيان ابن أبي عمران : ميمون الهلالي ، أبو محمد الكوفي ، ثم المكي (١٠٧-١٩٨هـ) روى عن : الزهري ، والسعيد ، وعمرو بن دينار ، وأيوب ، ويوسف بن موسى القطان ، وغيرهم . وعنه : أحمد ، وابن المديني ، والحميدي ، والمسندي ، وطوائف كثيرة . قال الشافعي : لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز . وقال : هما القرينان . وقال القطان : سفيان إمام في الحديث منذ أربعين سنة . وقال : اختلط سنة (١٩٧هـ) فمن سمع منه في هذه السنة وبعدها فسماعه لا شيء . قال في التقريب (٢٤٥) : ثقة حافظ فقيه إمام حجة ، إلا أنه تغير بأخرة ، وكان ربما دلّس لكن عن الثقات ، وكان أثبت الناس في عمرو بن دينار . ينظر : الجرح (٤/٢٢٥) - تهذيب الكمال (١١/١٧٧) - التهذيب (٤/١٠٤) .
  - ابن فارس : أحمد بن فارس بن زكريا ، أبو الحسين القزويني ، المعروف بالرازي ، المالكي ، اللغوي (٣٩٥هـ) الإمام العلامة ، اللغوي المحدث ، كان شافعياً ثم صار مالكياً آخر عمره ، له مصنفات كثيرة منها : مجمل اللغة ومقاييس اللغة والصاحي وغيرها . كان كاملاً في الأدب ، من أعيان أهل العلم وأفراد الدهر . ينظر : إنباه الرواة (١/١٢٧) - معجم الأدباء (٤/٨٠) - السير (١٥/٥٥٣) .

- **ابن قتيبة** : عبدالله بن مسلم الدينوري ، وقيل : المروزي أبو محمد الكاتب (٢٧٦هـ) العلامة الكبير ، ذو الفنون ، صاحب التصانيف . نزل بغداد ، وصنّف وجمع وبعد صيته . قال الخطيب في تاريخه (١٧٠/١٠) : كان ثقة دينا فاضلاً . ومن تصانيفه : " غريب القرآن " و " غريب الحديث " و " مشكل القرآن " و " مشكل الحديث " و " أدب الكاتب " و " عيون الأخبار " وغيرها . ينظر : إنباه الرواة (١٤٣/٢) - السير (٢٩٦/١٣) .
- **ابن القيم الجوزية** : محمد بن أبي بكر بن سعد الزرعي ، أبو عبد الله شمس الدين (ت ٧٥١هـ) من أركان الإصلاح الإسلامي وأحد كبار العلماء ، تتلمذ لشيخ الاسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شئ من أقواله ، وهو الذي هدّب كتبه ونشر علمه . تصانيفه كثيرة منها : إعلام الموقعين و شفاء العليل و هداية الحيارى . ينظر : البداية والنهاية (٥٢٣/١٨) ، الدرر الكامنة (٢١/٤) ، البدر الطالع (١٤٣/٢) .
- **ابن كثير** : إسماعيل بن عمرو بن كثير القرشي ، مؤرخ ، مفسر ، محدث ، من فقهاء الشافعية ، توفي سنة (٧٧٤هـ) . انظر : شذرات الذهب (٢٣١/٦) ، ومعجم المفسرين (٩٢/١) .
- **ابن مالك** : محمد بن عبدالله بن عبدالله بن مالك أبو عبدالله الطائي الجيّاني النحوي (٦٠٠هـ-٦٧٢هـ) ، صاحب التصانيف المشهورة في النحو : الكافية الشافية وشرحها والتسهيل والألفية . كان كثير الاجتماع بابن خلكان ، وأثنى عليه غير واحد . ينظر : البداية والنهاية (٥١٤/١٧) ، وبغية الوعاة (١٣٠/١) ، الأعلام (٢٣٣/٦) .
- **ابن مردويه** : أحمد بن موسى الأصبهاني ، أبو بكر (٣٢٣-٤١٠هـ) . حافظ مؤرخ مفسر . من أهل أصبهان . له كتاب التاريخ و تفسير القرآن . ينظر : معجم المفسرين (٨١/١) ، الأعلام (٢٦١/١) .
- **ابن مسعود** : عبدالله بن مسعود بن غافل ، أبو عبدالرحمن الهذلي البصري حليف بني زهرة (٣٢هـ) . الإمام الحبر ، الفقيه ، كان من السابقين الأولين ، والنجباء العالمين ، روى عنه أنس ، وجابر ، وأبو هريرة ، وابن عباس ، ومسروق وخلق كثير . قال ابن حجر : من السابقين الأولين ، ومن كبار علماء الصحابة ، مناقبه حمة ، وأمره عمر على الكوفة . ينظر : تهذيب الكمال (١٢١/١٦) ، السير (٤٦١/١) ، التجريد (٣٣٤/١) ، الإصابة (١٢٩/٤) ، التهذيب (٢٤/٦) ، التقريب (٣٦١٣) .
- **ابن معطي** : يحيى بن معطي بن عبدالنور النحوي (٦٢٨هـ) صاحب الألفية في النحو . ينظر : معجم الأدباء (٣٥/٢٠) ، السير (٣٢٤/٢٢) ، البداية والنهاية (١٨٦/١٧) .

- **ابن مقبل** : تميم بن أبيّ ، أبو كعب . من بني العجلان . شاعر جاهلي . أدرك الإسلام وأسلم . عاش نيلاً ومئة سنة . وعدّ في المخضرمين . له ديوان شعر وردّ فيه ذكر وقعة صفين . ينظر : الإصابة (١٩٥/١) ، الأعلام (٨٧/٢) .
- **ابن منظور** : محمد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل ، جمال الدين الأنصاري (٦٣٠-٧١١هـ) . صاحب لسان العرب ، الإمام اللغوي الحجة . ينظر : الدرر الكامنة (٢٦٢/٤) ، الأعلام (١٠٨/٧) .
- **ابن هشام** : عبدالله بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام ، الأنصاري المصري أبو محمد جمال الدين (٧٠٨-٧٦١هـ) ، قال عنه ابن خلدون : ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أنحى من سيويه . له مصنفات كثيرة مفيدة منها : أوضح المسالك وقواعد الإعراب ومغني اللبيب وقطر الندى وشذور الذهب . ينظر : مقدمة أوضح المسالك لمحي الدين عبدالحميد ، الدرر الكامنة (١٨٧/٢) ، الأعلام (١٤٧/٤) .
- **ابن وهب** : عبدالله بن وهب بن مسلم القرشي مولاهم ، أبو محمد المصري الفقيه . (١٢٥-١٩٧هـ) . عن : ابن لهيعة ، ومالك ، والليث ، وغيرهم . وعنه : ابن مهدي ، وابن المديني ، وأحمد بن صالح المصري ، والقعني ، وغيرهم . قال أحمد : ما أصح حديثه وأثبتته . وقال ابن معين ، وأبو زرعة : ثقة . وقال الساجي : صدوق ثقة . وقال النسائي : كان يتساهل في الأخذ ولا بأس به . وقال مرة : ثقة ما أعلمه روى عن الثقات حديثاً منكراً . وقال الخليلي : ثقة متفق عليه وموطؤه يزيد على كل من روى عن مالك . قال في التقریب (٣٢٨) : ثقة حافظ عابد . ينظر : ط ابن سعد (٥١٨/٧) - الجرح (١٨٨/٥) - ثقات ابن حبان (٣٤٦/٨) - تهذيب الكمال (٢٧٧/١٦) - التهذيب (٦٥/٦) .
- **أبو إسحاق السبيعي** : عمرو بن عبدالله بن عبيد ويقال علي الهمداني (١٢٩هـ) . روى عن : علي بن أبي طالب والمغيرة بن شعبة وقد رأهما ، وقيل : لم يسمع منهما ، والحارث الأعور وخلق كثير . وعنه : ابنه يونس وابن ابنه إسرائيل بن يونس وابن ابنه الآخر يوسف بن إسحاق وقتادة وسليمان التيمي وإسماعيل بن أبي خالد والأعمش وشعبة ومسعر والثوري وهو أثبت الناس فيه . أطلق يحيى بن معين والنسائي والعجلي وأبو حاتم القول بتوثيقه ، واحتج به الشيخان . قال ابن حجر : ثقة مكثّر عابد اختلط بأخرة . ينظر : تهذيب الكمال (١٠٢/٢٢) ، التهذيب (٥٦/٨) ، تقریب التهذيب (٥٠٦٥) ، الكواكب النيرات ص (٦٦) .
- **أبو أمامة** : صُدي بن عجلان بن وهب بن عريب بن وهب أبو أمامة الباهلي ، صاحب رسول الله > (٨٦هـ) . نزيل حمص ، روى علماً كثيراً وحدث عن عمر ، ومعاذ ، وأبي عبيدة ، وروى عنه خالد

ابن معدان، والقاسم أبو عبدالرحمن، وسالم بن أبي الجعد، ورجاء بن حيوة وآخرون. قال ابن حجر: سكن الشام، ومات بها. قال ابن عيينة: هو آخر من مات من الصحابة بالشام. ينظر: تهذيب الكمال (١٥٨/١٣)، السير (٣٥٩/٣)، الإصابة (٢٤٠/٣-٢٤١) التهذيب (٤٢٠/٤)، التقريب (٢٧٦).

● أبو أيوب الأنصاري: خالد بن زيد بن كليب النجاري (٢٨/٢٨٣٠) من السابقين، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأبي بن كعب. وعنه: البراء بن عازب، وابن عباس، وأنس، وغيرهم. شهد العقبة وبدراً وما بعدها. قال في التقريب (١٨٨): من كبار الصحابة، شهد بدراً، ونزل النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة عليه. مات غازياً الروم سنة (٥٠هـ) وقيل بعدها. ينظر: تهذيب الكمال (٦٦/٨) - التهذيب (٧٩/٣) - الإصابة (٤٠٤/١).

● أبو بكر الصديق: عبدالله بن عثمان بن عامر التيمي، ابن أبي قحافة (١٣هـ) الصديق الأكبر، خليفة رسول الله ﷺ، ينظر: تهذيب الكمال (٢٨٢/١٥)، التهذيب (٢٧٦/٥)، التقريب (٣١٣)، الإصابة (٣٣٣/٢).

● أبو بكر: نُفَيْع بن الحارث بن كلدة الثقفي البصري (٥١ أو ٥٢ هـ) روى عن النبي صلى الله عليه وسلم. وعنه: أولاده، والحسن البصري، وربيع بن حراش، ومحمد بن سيرين، وأبو عثمان النهدي، وغيرهم. قال في التقريب (٥٦٥): صحابي، مشهور بكنيته، وقيل: اسمه مسروح، أسلم بالطائف، ثم نزل البصرة، ومات بها. ينظر: تهذيب الكمال (٥/٣٠) - السير (٥/٣) - التهذيب (٤١٨/١٠) - الإصابة (٥٤٢/٣).

● أبو التياح: يزيد بن حميد الضبيعي البصري (١٢٨هـ) عن: أنس، والحسن، والمغيرة بن سبيع، في آخرين. وعنه: سعيد بن أبي عروبة، وشعبة، والحمامان، وغيرهم. قال أحمد: ثبت ثقة ثقة. وقال ابن معين، وأبو زرعة، والنسائي: ثقة. وقال ابن المديني: معروف. وقال أبو حاتم: صالح. قال في التقريب (٦٠٠): ثقة ثبت. ينظر: تهذيب الكمال (٣٢/١٠٩) - التهذيب (٢٨٠/١١).

● أبو جعفر الباقر: محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، العلوي الفاطمي (١١٤هـ). روى عن جدِّه النبي ﷺ، وعلياً مرسلًا، والحسن والحسين مرسلًا، وابن عباس كذلك وغيرهم، حدث عنه ابنه جعفر، وعطاء بن أبي رباح، وأبو إسحاق السبيعي، والزهري وآخرون. وشهره بالباقر: من بقر العلم، أي شقه فعرف أصله وخفيه. اتفق الحفاظ على الاحتجاج به، قاله الذهبي. وزاد: كان أحد من جمع بين العلم والعمل، والسؤدد، والشرف، والثقة، والرزانة، وكان أهلاً للخلافة، وهو أحد الأئمة الاثني عشر الذين تبجلهم الشيعة الإمامية وتقول بعصمتهم ومعرفتهم بجميع

الدين، فلا عصمة إلا للملائكة والنبين. وقال ابن حجر: ثقة فاضل. ينظر: طبقات ابن سعد (٣٢٠/٥)، الحلية (١٨٠/٣)، تهذيب الكمال (١٣٦/٢٦)، السير (٤٠١/٤)، التهذيب (٣٥٠/٩)، التقريب (٦١٥١).

● أبو جعفر جَسْر بن فَرْقَد: القصاب، البصري، من الرابعة، رجل صالح في نفسه، ضعيف الرواية. ينظر: المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري (٩٠/١).

● أبو جعفر النحاس: أحمد بن محمد بن إسماعيل المصري (٣٣٨هـ)، النحوي، العلامة، إمام العربية. أخذ عن الزجاج، وله النسخ والمنسوخ، ومعاني القرآن الكريم وغيرها. ينظر: السير (٤٠١/١٥)، معجم المفسرين (٦٠/١).

● أبو جعفر: يزيد بن القعقاع القارئ أحد العشرة، مدني مشهور، رفيع الذكر. ينظر: معرفة القراء الكبار (٧٢/١).

● أبو الحسين بن المنادي: أحمد بن جعفر بن محمد (٢٥٦ - ٣٣٦هـ) عالم بالتفسير والحديث من أهل بغداد. من كتبه: (اختلاف العدد) و (دعاء أنواع الاستعاذات من سائر الآفات والعاهات). آخر من روى عنه: محمد بن فارس اللغوي. ينظر: تاريخ بغداد (٦٩/٤).

● أبو حنيفة: النعمان بن ثابت بن زوطي التيمي مولاهم (٨٠ - ١٥٠هـ) الإمام، فقيه الملة، عالم العراق، رأى أنسًا، وروى عن عطاء، والشعبي، والأعرج، وقتادة، وهشام ابن عروة، والزهري، وخلق سواهم. حدث عنه خلق كثير منهم: إبراهيم بن طهمان، وحمزة الزيات، وزفر، وابن المبارك، وعبد الرزاق، وصاحبه: محمد بن الحسن، والقاضي أبو يوسف. عُني بطلب الآثار، وأما الفقه والتدقيق في الرأي وغوامضه، فإليه المنتهى والناس عليه عيال في ذلك. قال: في التقريب (٥٦٣): ففيه مشهور. ينظر: ت بغداد (٣٢٣/١٣) - تهذيب الكمال (٤١٨/٢٩) - السير (٣٩٠/٦) - التهذيب (٤٠١/١٠).

● أبو حيان: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الغرناطي الأندلسي، أثير الدين (٦٥٤ - ٧٤٥هـ). من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات. من كتبه: البحر المحيط - تحفة الأريب - منهج السالك. ينظر: طبقات المفسرين للداوودي (٢٨٧/٢)، طبقات المفسرين للأدنه وي (٢٧٩)، الأعلام (١٥٢/٧).

● أبو الدردياء: عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري. مختلف في اسم أبيه، وإنما هو مشهور بكنيته، وقيل اسمه عامر، وعويمر لقب. صحابي جليل، أول مشاهده أحد، وكان عابدا، مات في آخر خلافة عثمان، وقيل عاش بعد ذلك، جمع القرآن في حياة النبي، روى عن النبي عدة أحاديث،

وروى عنه أنس، وابن عباس، وأبو أمامة، وابن المسيب، وغيرهم كثير. ينظر: تهذيب الكمال (٤٦٩/٢٢)، السير (٣٣٥/٢)، الإصابة (٤٦/٣)، التقريب (٥٢٢٨).

- أبو ذر الغفاري: جندب بن جنادة الغفاري، صحابي، زاهد، توفي سنة (٣٢) هـ. ينظر: الطبقات الكبرى (٢١٩/٤)، والاستيعاب (٢٥٢/١)، والإصابة (١٢٥/٧).
- أبو ذؤيب الهذلي: خويلد بن خالد بن محرث، الشاعر المشهور. قال أبو سلام: أشعر هذيل أبو ذؤيب. وقال عمر بن شبة: كان مقدماً على جميع شعراء هذيل بقصيدته التي يقول فيها:  
والنفس راغبة إذا رغبتها  
وإذا ترد إلى قليل تقنع  
وكان فصيحاً كثير الغريب متمكناً في الشعر، وعاش في الجاهلية وأدرك الإسلام فأسلم، وعامة ما قال من الشعر في إسلامه. قدم المدينة بعد وفاة الرسول > وقبل دفنه، وشهد السقيفة وسمع خطبة أبي بكر، واختلف في وفاته، فقيل: مات غازياً في بلاد الروم، وقيل: غير ذلك. ينظر: الإصابة (٦٦/٤).
- أبو رزين: مسعود بن مالك الأسدي، الكوفي (٨٥ هـ) ثقة فاضل. وهو غير أبي رزين عبيد الذي قتله عبيد الله بن زياد، ووهم من خلطهما. ينظر التقريب (٥٢٨).
- أبو روق: عطية بن الحارث الهمداني الكوفي، صاحب التفسير، صدوق. ينظر: التقريب (٣٩٣).
- أبو زيد الأنصاري: سعيد بن أوس بن ثابت، البصري النحوي (٢١٥ هـ) الإمام العلامة حجة العرب، قال المبرد: الأصمعي وأبو عبيدة وأبو زيد، أعلم الثلاثة بالنحو أبو زيد، وكانت له حلقة بالبصرة. ينظر: إنباه الرواة (٣٠/٢)، السير (٤٩٤/٩).
- أبو السُّعُود: محمد بن محمد العمادي (٩٨٢ هـ) مفسر، أصولي، شاعر، من علماء الترك المستعربين، ومن فقهاء الحنفية، مشهور. ينظر: البدر الطالع (٢٦١/١)، معجم المفسرين (٦٢٥/٢)، الأعلام (٥٩/٧).
- أبو سعيد الخدري: سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة من الخزرج أبو سعيد الخدري، الأنصاري (٦٣ هـ)، له ولأبيه صحبة. حدث عن النبي > فأكثر وأطاب، وعن أبي بكر، وعمر وطائفة، وعنه ابن عمر، وجابر، وأنس، وعطية العوفي، والحسن البصري، وخلق كثير، واستصغر بأحد، ثم شهد ما بعدها من الغزوات. ينظر: تهذيب الكمال (٢٩٤/١٠)، السير (١٦٨/٣)، الإصابة (٨٥/٣)، التهذيب (٤٧٩/٣)، التقريب (٢٢٥٣).
- أبو سفيان: صخر بن حرب بن أمية، أبو سفيان الأموي (٣٢ هـ). قال الذهبي: ولا ريب أن حديثه عن هرقل وكتاب النبي > يدل على إيمانه، والله الحمد. قال في التقريب (٢٧٥):

- صحابي شهير ، أسلم عام الفتح . ينظر : تهذيب الكمال (١١٩/١٣) - السير (١٠٥/٢) - الإصابة (١٧٢/٢) - التهذيب (٣٦١/٤) .
- **أبو سلمة** : هو بن عبدالرحمن بن عوف القرشي بن عبد عوف الزهري المدني (٩٤هـ). قيل : اسمه عبدالله . وقيل : إسماعيل . وقيل : اسمه كنيته . روى عن أبيه وعثمان بن عفان وطلحة وعبادة بن الصامت ، وقيل : لم يسمع منهما ، وأبي قتادة وجابر وزينب بنت أم سلمة وعطاء بن يسار وخلق من الصحابة والتابعين . وعنه ابنه عمر وأولاد إخوته سعد بن إبراهيم بن عبدالرحمن وعبد المجيد بن سهيل بن عبدالرحمن وزرارة بن مصعب بن عبدالرحمن والأعرج وعمرو بن الحكم بن ثوبان وعروة بن الزبير والزهري . قال ابن حجر: ثقة مكثر . ينظر : تهذيب الكمال (٣٧٠/٣٣)، التهذيب (١٢٧/١٢)، التقريب (٨١٤٢) .
  - **أبو سليمان الخطابي** : حمد بن محمد بن إبراهيم ، البستي الشافعي (٣٨٨هـ) الإمام العلامة ، الحافظ اللغوي ، صاحب التصانيف ومنها : أعلام الحديث ، ومعالم السنن ، وغريب الحديث ، وغيرها . ينظر : إنباه الرواة (١٢٥/١) - السير (٢٣/١٧) - التذكرة (١٠١٨/٣) .
  - **أبو سليمان الدمشقي** : محمد بن عبدالله السعدي ، المفسر . صنف كتباً في التفسير منها "مجتنى التفسير" . ينظر : تاريخ دمشق : (٣٤٩/٥٣) .
  - **أبو سنان الشيباني** : سعيد بن سنان البُرْجُمِي ، الشيباني الأصغر ، الكوفي نزيل الري ، صدوق له أوهام ، من السادسة . ينظر التقريب (٢٣٧) .
  - **أبو الشعثاء** : جابر بن زيد الأزدي ، الجَوْفِي ، البصري (٢١-٩٣هـ) تابعي ثقة ، فقيه مشهور، مفسر ، من الإئمة . روى عن ابن عباس وابن عمر وغيرهما . كان من أعلم الناس بالتفسير . قاله ابن حبان . ينظر : التقريب (١٣٦) ، معجم المفسرين (١٢٣/١) .
  - **أبو صالح** : باذام مولى أم هانئ (بعد ١٢١هـ) . حدث عن مولاته أم هانئ، وأخيها علي، وأبي هريرة، وابن عباس وغيرهم . وعنه أبو قلابة، والأعمش، والسدي، ومحمد بن السائب الكلبي وآخرون . قال ابن معين: ليس به بأس، وإذا حدث عنه الكلبي فليس بشيء . وقال النسائي: ليس بقوي . وقال أبو حاتم: يكتب حديثه، ولا يحتج به . وقال ابن حجر: ضعيف، يرسل . ينظر : الجرح (٤٣١/٢)، تهذيب الكمال (٦/٤)، السير (٣٧/٥)، الميزان (٢٦٦/١)، التهذيب (٤١٦/١)، التقريب (٦٣٤) .
  - **أبو صخر** : عبد الله بن سلمة السهمي الهذلي . شاعر من الفصحاء . كان في العصر الأموي موالياً لبني مروان ، متعصباً لهم ، وله في عبد الملك وأخيه عبد العزيز مدائح . ينظر : الأعلام (٩٠/٤-٩١) .

- **أبو العالية** : رُفِعَ بن مهران ، أبو العالية الرِّياحي (٩٠هـ) ، ثقة كثير الإرسال ، من الثانية . ينظر : التقريب (٢١٠) .
- **أبو عبد الرحمن السلمي** : عبدالله بن حبيب بن ربيعة ، الكوفي (٧٤هـ) . لأبيه صحبة ، ولد في حياة النبي > ، وقرأ القرآن وجوده وعرضه على عثمان وعلي وابن مسعود وغيرهم ، وحدث عن عمر وعثمان ، أخذ عنه عاصم، ويحيى بن وثاب، والشعبي، وعرض عليه الحسن والحسين . هو مقرئ الكوفة، قال أبو إسحاق السبيعي: أربعين سنة. قال الذهبي: ثقة كبير القدر، وحديثه مخرج في الكتب الستة. قال ابن حجر: مشهور بكنيته، ولأبيه صحبة، ثقة ثبت. ينظر : طبقات ابن سعد (١٧٢/٦) ، الجرح (٣٧/٥) ، تهذيب الكمال (٤٠٨/١٤) ، معرفة القراء (٥٢/١) ، التقريب (٣٢٧١) ، التهذيب (١٦١/٥) .
- **أبو عبيد = ابن سلام**
- **أبو عبيدة** : معمر بن المثنى التيمي مولاهم ، البصري ، النحوي (١١٠ - ٢٠٩هـ) حدث عن هشام بن عروة ، وأبي عمرو بن العلاء ، وغيرهما . وعنه : ابن المديني ، وأبو عبيد القاسم بن سلام ، وغيرهما ، قال ابن معين : ليس به بأس . وقال ابن المديني : كان لا يحكي عن العرب إلا الشيء الصحيح . وقال ابن قتيبة : كان الغريب وأيام العرب أغلب عليه . وقال الذهبي : لم يكن صاحب حديث ، وإنما أوردته [ في السير ] لتوسعه في علم اللسان و أيام الناس . له تصانيف منها : " غريب الحديث " ، و " مجاز القرآن " ، و " مقاتل الفرسان " ، و " مقاتل الأشراف " . قال في التقريب (٥٤١) : صدوق أخباري وقد رمي برأي الخوارج . قلت : أكثر عنه البخاري في الصحيح فيما يتعلق بتفسير الغريب . ينظر : ت بغداد (٢٥٢/١٣) - إنباه الرواة (٢٧٦/٣) - تهذيب الكمال (٣١٦/٢٨) - السير (٤٤٥/٩) - كشف الظنون (١٧٧٨/٢) .
- **أبو علقمة** : مولى لعثمان ، تابعي كبير . ينظر : المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري (٧٣٦/٢) .
- **أبو علي الفارسي** : الحسن بن أحمد بن عبد الغفار (٢٨٨-٣٧٧هـ) . الفارسي الأصل ، أحد الأئمة في علم العربية . من كتبه : التذكرة - الحجة - جواهر النحو . ينظر : إنباه الرواة (٢٧٣/١) ، السير (٣٧٩/١٦) ، الأعلام (١٧٩/٢-١٨٠) .
- **أبو عمرو** : زَبَّان بن العلاء بن عمار بن العُرَيان المازني ، النحوي القارئ (١٥٤هـ) . اختلف في اسمه ، ثقة ، من علماء العربية . ينظر : التقريب (٦٦٠) .

- **أبو عمرو الداني** : عثمان بن سعيد بن عثمان ، ويقال له ابن الصيرفي (٣٧١-٤٤٤هـ) . من موالي بني أمية . أحد حفاظ الحديث . من الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره . له أكثر من مئة تصنيف منها : التيسير - التجديد في الاتقان والتجويد - البيان في عد آي القرآن . ينظر : معجم المفسرين (٣٤٢/١) ، الأعلام (٢٠٦/٤) .
- **أبو عمرو الشيباني** : سعد بن إياس الكوفي (٩٥هـ) . روى عن ابن مسعود وعلي وحذيفة وأبي مسعود البدرى وجبله بن حارثة وزيد بن أرقم . وعنه أبو إسحاق السبيعي والحارث بن شبيب والوليد بن العيزار والأعمش ومنصور وعيسى بن عبدالرحمن السلمى وغيرهم . ثقة مخضرم مات وهو ابن عشرين ومائة سنة . ينظر : تهذيب الكمال (٢٥٨/١٠) ، تهذيب التهذيب (٤٠٦/٣) ، تقريب التهذيب (٢٣٠) .
- **أبو غالب** : صاحب أبي أمامة ، بصري ، نزل أصبهان ، قيل : اسمه حَزَوْر ، وقيل : سعيد بن الحزور ، وقيل : نافع ، صدوق يخطئ ، من الخامسة . ينظر : التقريب (٦٦٤) .
- **أبو قلابة** : عبد الله بن زيد بن عمرو الجرّمي ، البصري (ت ١٠٤هـ) . عالم بالقضاء والأحكام ، ناسك من أهل البصرة . أرادوه على القضاء ، فهرب إلى الشام ، فمات فيها . وكان من رجال الحديث ثقة فاضلا كثير الإرسال . ينظر : التقريب (٣٠٤) ، الأعلام (٨٨/٤) .
- **أبو مالك** : غزوان الغفاري الكوفي ، مشهور بكنيته ثقة من الثالثة . ينظر : الكاشف (١١٦/٢) ، التقريب (٤٤٢) .
- **أبو مجلز** : لاحق بن حميد بن سعيد ، السدوسي ، الأعور (١٠٦هـ) . تابعي لحق كبار الصحابة ، كان عاملا في بيت المال ، وروى عن أنس ، والحسن بن علي ، وسمرة ، وعنه أيوب السخيتاني ، وسليمان التيمي ، وعاصم الأحول ، وقتادة بن دعامة . وثقه ابن سعد ، والعجلي ، وأبو زرعة ، وابن حبان ، وابن خراش . أما ابن معين فقال : مضطرب الحديث . قال ابن حجر : مشهور بكنيته ثقة . ينظر : طبقات ابن سعد (٢١٦/٧) ، ثقات ابن حبان (٥١٨/٥) ، تهذيب الكمال (١٧٦/٣١) ، التقريب (٧٤٩٠) ، شذرات الذهب (١٣٤/١) .
- **أبو المحاسن القرشي اليماني** : عبد الباقي بن عبد المجيد بن عبد الله اليماني المخزومي المكي ، تاج الدين (٧٤٣هـ) ، له نظم واشتغال بالأدب والتاريخ . ينظر : الأعلام (٢٧٢/٣) .
- **أبو مسعود الأنصاري** : عقبة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري اليدري (قبل ٤٠هـ) ، صحابي جليل . ينظر : التقريب (٣٩٥) .

- **أبو موسى الأشعري** : عبد الله بن قيس بن سليم التميمي (٥٠هـ) صحابي مشهور ، روى عنه: أنس ، وأبو سعيد ، وأولاده ، وأبو وائل ، وآخرون . أمره عمر ثم عثمان ، وهو أحد الحكمين بصفين . ينظر : تهذيب الكمال (٤٤٦/١٥) - السير (٣٨٠/٢) - التهذيب (٣١٧/٥) - التقريب (٣١٨) - الإصابة (٣٥١/٢).
- **أبو موسى بن سالم** : لم يتبين لي ! قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي قال : ذكر لي عن نزل بن المخبر ، ثنا المفضل بن أبي موسى بن سالم ، عن أبيه . وينظر : ص ٨٢١ من هذا البحث .
- **أبو النجم** : الفضل بن قدامة العجلي (١٣٠هـ) . من بني بكر بن وائل . من أكابر الرّجاز ومن أحسن الناس إنشاداً للشعر . نبغ في العصر الأموي ، وكان يحضر مجالس عبد الملك بن مروان وولده هشام . ينظر : الأعلام (١٥١/٥) .
- **أبو نواس** : الحسن بن هاني بن عبد الأول بن صباح الحكمي بالولاء (١٤٦-١٩٨هـ) . شاعر العراق في عصره . قال الجاحظ : ما رأيت رجلاً أعلم باللغة ولا أفصح لهجة من أبي نواس . ينظر : الأعلام (٢٢٥/٢) .
- **أبو هريرة** : الدوسي اليماني، سيد الحفاظ الأثبات (٥٧هـ) . اختلف في اسمه على أقوال جمّة، أرجحها: عبدالرحمن بن صخر، وكذا في اسم أبيه أقوال، حمل عن النبي > علماً كثيراً وعن أبي، وأبي بكر، وعمر، وأسامة، وعائشة وغيرهم، وحدث عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين، فقيل: بلغ عدد أصحابه ثمان مائة. وعاش ثمان وسبعين سنة. وهو حافظ الصحابة الإمام الفقيه المجتهد الحافظ. ينظر : الحلية (٣٧٦/١)، تهذيب الكمال (٣٦٦/٣٤)، السير (٥٧٨/٢)، معرفة القراء (٤٣/١)، الإصابة (١٩٩/٧)، التهذيب (٢٦٢/١٢)، التقريب (٨٤٢٦).
- **أبو اليسر بن عمرو** : كعب بن عمرو بن عباد السلمي ، الأنصاري (٥٥هـ) ، صحابي بدري جليل ، مات بالمدينة وقد زاد على المائة . ينظر : التقريب (٤٦١) .
- **أبيّ بن كعب** بن قيس الأنصاري الخزرجي، أبو المنذر، وأبو الطفيل (٢٢هـ). شهد العقبة وبدراً، وجمع القرآن في حياة النبي ﷺ، وكان رأساً في العلم والعمل رضي الله عنه. قال ابن حجر: سيد القراء، من فضلاء الصحابة. ينظر : تهذيب الكمال (٢٦٢/٢)، السير (٣٨٩/١)، الإصابة (٣١/١)، التهذيب (١٦٤/١)، التقريب (٢٨٣).
- **ابن فارس** : أحمد بن فارس الرازي ، من أئمة اللغة والأدب ، توفي سنة (٣٩٥ هـ) . ينظر: بغية الوعاة (٣٥٢/١) ، ومعجم المفسرين (٥٤/١) .

- أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ، إمام أهل السنة والجماعة ، رأس المذهب الحنبلي ، توفي سنة ( ٢٤١ هـ ) . ينظر : شذرات الذهب ( ٢ / ٩٦ ) ، ومعجم المفسرين ( ١ / ٥٧ ) .
- أحمد شاكر : هو محدث العصر العلامة أحمد محمد شاكر ( ١٣٠٩ - ١٣٧٧ هـ ) ، دارت أعماله العلمية على بعث التراث الإسلامي ونشره ، وكتابة البحوث والرسائل . وكان تحقيقه للرسالة للشافعي أول كتاب ينشره ، وخدم كتب التفسير والسنة ، وشارك في اللغة والأدب . ينظر : مجلة الأزهر ، العدد ( ٥ ) السنة الثانية والستون ( ١٤١٠ هـ = ١٩٨٩ م ) ، والعدد ( ١١ ) السنة الثامنة والستون ( ١٤١٦ هـ = ١٩٩٦ م ) ، مجلة المجلة - القاهرة - العدد ( ١٩ ) - ( ١٣٧٧ هـ = ١٩٥٧ م ) ، موقع "إسلام أون لاين" .
- الأخفش : سعيد بن مسعدة ، مولى مجاشع ، البلخي ، ثم البصري ، أبو الحسن الأخفش الأوسط ( ٢١٠ هـ ) . أخذ عن الخليل ، ولزم سيبويه حتى برع . قال أبو حاتم السجستاني : كان الأخفش قدرياً رجلاً سوء ، كتابه في المعاني صويلح ، وفيه أشياء في القدر . وكان ثعلب يفضلته ويقول : كان أوسع الناس علماً . له كتب في النحو والعروض ومعاني القرآن . ينظر : إنباه الرواة ( ٢ / ٣٦ ) - السير ( ١٠ / ٢٠٦ ) .
- الأحنس بن شريق الثقفي ، أسلم يوم فتح مكة ، ومات في أول خلافة عمر . ينظر : أسد الغابة ( ١ / ٧٦ ) ، والمنتظم ( ٤ / ١٥٢ ) ، والإصابة ( ١ / ٣٨ ) .
- أسماء بنت عميس الخثعمي ، من المهاجرات الأول . ينظر : الاستيعاب ( ٤ / ١٧٨ ) ، وأسود الغابة ( ٧ / ١٦ ) ، والإصابة ( ٧ / ٤٨٩ ) .
- إسحاق بن راهويه : إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي ، أبو يعقوب ابن راهويه المروزي ( ٢٣٨ هـ ) روى عن ابن عيينة ، وابن علي ، وابن المبارك . وعنه الجماعة سوى ابن ماجه ، وأحمد وابن معين ، والذهلي . قال النسائي : إسحاق أحد الأئمة ، ثقة مأمون . قال ابن حجر : ثقة حافظ مجتهد ، قرين أحمد بن حنبل ، ذكر أبو داود أنه تغير قبل موته بيسير . ينظر : الجرح ( ٢ / ٢٠٩ ) ، تهذيب الكمال ( ٢ / ٣٧٣ ) ، السير ( ١١ / ٣٥٨ - ٣٧٧ ) ، التهذيب ( ١ / ١٩٠ ) ، التقريب ( ٣٣٢ ) .
- السُّدي : إسماعيل بن عبدالرحمن ، مفسر ، محدث ، توفي سنة ( ١٢٨ هـ ) . ينظر : شذرات الذهب ( ١ / ١٧٤ ) ، ومعجم المفسرين ( ١ / ٩٠ ) .
- أشهب بن عبدالعزيز القيسي ، من أصحاب مالك ، فقيه ، ثقة ، توفي سنة ( ٢٠٤ هـ ) . ينظر : الديباج المذهب ( ٩٨ ) ، وتقريب التهذيب ( ١ / ١١٣ ) .
- الأعمش : سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي مولاهم ، أبو محمد الكوفي ، الأعمش ( ١٤٧ هـ ) . روى عن زيد بن وهب ، وأبي وائل ، والشعبي ، والمنهال بن عمرو وخلق . وعنه السبيعي ، وسليمان

التميمي، وسهيل، وشعبة، والسفيانان، وأبو بكر بن عياش وخلق. قال ابن معين: ثقة، وقال النسائي: ثقة ثبت، قال ابن حجر: ثقة حافظ عارف بالقراءات ورع لكنه يدلّس. ينظر: الجرح (١٤٦/٤)، الثقات لابن حبان (٣٠٢/٤)، تهذيب الكمال (٧٦/١٢)، التهذيب (١٩٥/٤)، التقريب (٢٥٤).

● **امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي**، أشهر شعراء العرب على الإطلاق (٨٠ ق.هـ). يماني الأصل، مولده بنجد، واختلف في اسمه اختلافاً كثيراً، وكان أبوه ملك أسد وغطفان، وأمه أخت المهلهل الشاعر، فلقنه خاله الشعر، فجعل يشب ويلهو فنهاه أبوه فلم ينته فأبعده إلى حضرموت، ولما قتل أبوه أخذ بثأره من بني أسد وظل سائحا في البلاد حتى وصل أنقرة فأصابته قروح مات بسببها وهو صاحب معلقة مشهورة. ينظر: تهذيب تاريخ ابن عساكر (١٠٤/٣)، الأعلام للزركلي (١١/٢).

● **أم سلمة**: هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن المغيرة بن مخزوم المخزومية، أم سلمة (٦٢هـ) أم المؤمنين، تزوجها النبي > بعد أبي سلمة سنة أربع وقيل ثلاث، وعاشت بعد ذلك ستين سنة، لها أولاد صحابيون: عمر وسلمة وزينب، روت عن النبي >، وأبي سلمة، وفاطمة بنت رسول الله >، وعنهما أسامة بن زيد، وابن عباس، وابن المسيب وخلق. ينظر: تهذيب الكمال (٣١٧/٣٥)، السير (٢٠١/٢)، الإصابة (٢٠٣/٨)، التهذيب (٤٨٣/١٢)، التقريب (٨٦٩٤).

● **أنس بن مالك الأنصاري**، صحابي جليل، خادم رسول الله ﷺ، توفي سنة (٩٣) هـ. ينظر: الاستيعاب (١٠٩/١)، وأسد الغابة (١٩٢/١)، والإصابة (١٢٦/١).

● **أوس بن حجر بن مالك التميمي**، أبو شريح. شاعر تميم في الجاهلية، أو من كبار شعرائها. عمّر طويلاً، ولم يدرك الإسلام. في شعره حكمة ورقة. ينظر: الأعلام (٣١/٢).

● **الباقولي: علي بن الحسين بن علي**، أبو الحسن الأصبهاني (ت ٥٤٣هـ). يقال له جامع العلوم. عالم بالأدب. ضريح. من كتبه: البيان في شواهد القرآن - علل القراءات. ينظر: الأعلام (٢٧٩/٤).

● **البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله الجعفي مولاهم (١٩٤ - ٢٥٦هـ)**. حبر الإسلام وجبل الحفظ وإمام الدنيا في فقه الحديث، صاحب الجامع الصحيح والمعروف بـ (صحيح البخاري)، وله الأدب المفرد، والضعفاء في رجال الحديث. ينظر: التقريب (٤٦٨)، الأعلام للزركلي (٣٤/٦).

- البراء بن عازب الأنصاري ، من أعيان الصحابة ، توفي سنة (٧٢ هـ) . ينظر : الاستيعاب (١٥٥/١) ، أسد الغابة (٢٥٨/١) ، والإصابة (٢٧٨/١) .
- البغوي : الحسين بن مسعود بن محمد ، الفراء ، أبو محمد (٤٣٦-٥١٠ هـ) . يلقب بمحيي السنة . فقيه . محدث . مفسر . من كتبه : شرح السنة - باب التأويل - مصابيح السنة . ينظر: السير (٤٣٩/١٩) ، الأعلام (٢٥٩/٢) .
- البقاعي : إبراهيم بن عمر بن حسن بن علي بن أبي بكر ، أبو الحسن ، برهان الدين (٨٠٩-٨٨٥ هـ) . مؤرخ . أديب . أصله من البقاع في سورية . من كتبه : نظم الدرر - أخبار الجلال في فتح البلاد . ينظر : معجم المفسرين (١٧/١) ، الأعلام (٥٦/١) .
- البَلَنَسِي : محمد بن علي بن أحمد الأوسي البَلَنَسِيّ ثم الغرناطي ، أبو عبدالله (٧١٤-٧٨٢ هـ) من شيوخه : ابن جَزَيّ الكلبي صاحب التسهيل لعلوم التنزيل ، ومن تلاميذه : أبو إسحاق الشاطبي صاحب الموافقات والاعتصام . ينظر : طبقات المفسرين للداوودي (٢١٣/٢) ، معجم المفسرين (٥٨٧/٢) .
- البيضاوي : عبدالله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي الشيرازي أبو سعيد أو أبو الخير ، ناصر الدين (٦٨٥ هـ) قاضٍ مفسر عالم بالفقه والأصليين والعربية والحديث ، من أعيان الشافعية . ينظر : معجم المفسرين (٣١٨/١) .
- البيهقي : أحمد بن الحسين بن علي ، أبو بكر البيهقي ، الخراساني (٣٨٤-٤٥٨ هـ) الحافظ العلامة ، الثبت الفقيه ، شيخ الإسلام . سمع من : الحاكم ، وابن فورك المتكلم ، وأبي عبد الرحمن السلمي ، وخلق سواهم ، وروى عنه : شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري بالإجازة ، ويحيى بن منده ، وغيرهما . يورك له في علمه ، وصنّف التصانيف النافعة منها : " السنن الكبير " ليس لأحد مثله ، و " السنن والآثار " و " دلائل النبوة " وغيرها . قال أبو المعالي الجويني : ما من فقيه شافعي إلا وللشافعي عليه منّة إلا أبا بكر البيهقي ، فإن المنّة له على الشافعي لتصانيفه في نصرته مذهبه . ينظر : السير (١٦٣/١٨) - التذكرة (١١٣٢/٢) - ط السبكي (٨/٤) .
- ثابت بن الحجاج الكلابي ، وقيل : الكلاعي ، الجزري ، الرقي ، من الثالثة ، ثقة . ينظر : التقريب (١٣٢) ، المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري (٨١/١) .
- الثعالبي : عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف ، أبو زيد (٧٨٦-٨٧٥ هـ) مفسر ، من كبار علماء الجزائر وصلحائها الأبرار . له الجواهر الحسان ، والذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز . ينظر: معجم المفسرين (٢٧٦/١) ، الأعلام (٣٣١/٣) .
- ثعلب : أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني مولاهاهم البغدادي (٢٠٠-٢٩١ هـ) ، العلامة المحدث ، إمام النحو ، أبو العباس ، صاحب الفصيح والتصانيف . قال الخطيب : ثقة حجة ، دِين صالح ،

مشهور بالحفظ . وقال المبرد : أعلم الكوفيين ثعلب . ينظر : السير ( ٥ / ١٤ ) ، إنباه الرواة ( ١٣٨ / ١ ) .

● **ثعلبة بن حاطب الأنصاري** . قال ابن كثير : وقد ذكر كثير من المفسرين ، منهم ابن عباس والحسن البصري ، أن سبب نزول هذه الآية الكريمة — يعني آية التوبة : ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَدَّ اللَّهُ لَيْتًا آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ﴿٧٥﴾ — في ثعلبة بن حاطب الأنصاري . ثم ساق مارواه ابن جرير وابن أبي حاتم في ذلك ولم يعلق بشيء ! وفي إسناده معن بن رفاعه : لئن الحديث ، يكتب حديثه ولا يحتج به . وعلي بن زيد الألهاني : منكر الحديث عند البخاري ، وليس بثقة عند النسائي ، ومتروك عند الدارقطني . والقاسم بن عبد الرحمن أبو عبد الرحمن : قال الإمام أحمد : روى عنه علي بن يزيد أعاجيب ، وما أراها إلا من قبل القاسم ... هذا وقد أنكر هذه القصة وأبطلها كثير من العلماء . قال ابن هشام : وقد ذكر ابن إسحاق ثعلبة في أسماء أهل بدر . وقال ابن الأثير : شهد بدرًا ، قاله محمد بن إسحاق وموسى بن عقبة . وترجم ابن حجر في الإصابة ( ٤٠٠ / ١ ) لاثنتين واستظهر الفرق بينهما فقال : ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري ذكره موسى بن عقبة وابن إسحاق في البدرين وكذا ذكره ابن الكلبي وزاد أنه قتل بأحد . ثعلبة بن حاطب أو أبي حاطب الأنصاري ذكره ابن إسحاق فيمن بني مسجد الضرار وروى الباوردي وابن السكن وابن شاهين وغيرهم في ترجمة الذي قبله من طريق معان بن رفاعه عن علي بن زيد عن قاسم عن أبي أمامة أن ثعلبة بن حاطب الأنصاري قال : يارسول الله ، أدع الله أن يرزقني مالا . فقال النبي ﷺ : ( قليل تؤذي شكره خير من كثير لا تطيقه ) . فذكر الحديث بطوله في دعاء النبي ﷺ له وكثرة ماله ومنعه الصدقة ونزول قوله تعالى : " ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله الآية .. وفيه : أن النبي ﷺ مات ولم يقبض منه الصدقة ولا أبو بكر ولا عمر وأنه مات في خلافة عثمان . وفي كون صاحب هذه القصة — إن صح الخبر ولا أظنه يصح — هو البدري المذكور قبله نظر وقد تأكدت المغايرة بينهما بقول ابن الكلبي : إن البدري استشهد بأحد . ويقوي ذلك أيضًا أن بن مردويه روى في تفسيره من طريق عطية ، عن ابن عباس في الآية المذكورة قال : وذلك أن رجلا يقال له ثعلبة بن أبي حاطب من الأنصار أتى مجلسًا فأشهدهم فقال : لئن آتانا من فضله الآية . فذكر القصة بطولها فقال : إنه ثعلبة بن أبي حاطب . والبدري اتفق على أنه ثعلبة بن حاطب ، وقد ثبت أنه ﷺ قال : ( لا يدخل النار أحد شهد بدرًا والحديبية ) . وحكى عن ربه أنه قال لأهل بدر : ( اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ) . فمن يكون بهذه المثابة كيف يعقبه الله نفاقًا في قلبه ويتزل فيه ما نزل؟ فالظاهر أنه غيره والله

- أعلم. اهـ . ينظر : البداية والنهاية (١١/٥) ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٤٤/٧) ،  
أسد الغابة (٢٨٣/١) .
- **الثوري** : سفيان بن سعيد بن مسروق ، أبو عبدالله الكوفي (١٦١هـ) ، ثقة حافظ فقيه عابد  
إمام حجة ، من رؤوس الطبقة السابعة ، وكان ربما دلّس . ينظر : التقريب (٢٤٤) .
  - **جابر بن عبدالله** بن عمرو السلمى ، من أعيان الصحابة ، توفي بعد السبعين . ينظر : الاستيعاب  
(٢١٩/١) ، وأسد الغابة (٣٧٧/١) ، والإصابة (٤٣٤/١) .
  - **الجرجاني** : عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني (٤٧١هـ) ، أبوبكر ، من أئمة اللغة ،  
وواضع أصول البلاغة ، متكلم ، فقيه ، عارف بالتفسير . له : "دلائل الإعجاز" و "أسرار  
البلاغة" و "إعجاز القرآن" . معجم المفسرين (٢٩٥/١) ، طبقات الداوودي (٣٣٦/١) .
  - **الجرجاني** : علي بن عبدالعزيز بن الحسن بن علي الجرجاني ، أبوالحسن (٣٩٢هـ) ، قاضٍ ،  
مفسر ، عالم بالأدب ، من فقهاء الشافعية . ينظر : طبقات المفسرين للداوودي (٤١٤/١) ،  
معجم المفسرين (٣٦٦/١) .
  - **جريور بن عطية** بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي ، أبو حرزة التميمي (١١٠هـ) .  
شاعر أموي فحل ، ولد ومات باليمامة ، كان هجاء مرّاً ، لم يثبت أمامه غير الفرزدق والأحطل  
لأنهما اجتماعاً عليه ، ولو تفرقا لغلبيهما ، وكان الفرزدق يقول : ما أحوجه إلى صلابة شعري  
وأحوجني إلى رقة شعره . من آثاره : ديوان شعر مطبوع . ينظر : الشعر والشعراء (٣٧٤/١)  
، الأغاني (٨٨-٣/٨) ، وفيات الأعيان (٣٢١-٣٢٧) ، الخزانة (٧٥/١) ، الأعلام  
(١١٩/٢) .
  - **الجصاص** : أحمد بن علي ، إمام الحنفية في زمنه ، كان ورعاً زاهداً ، توفي سنة (٣٧٠هـ) .  
ينظر : الجواهر المضية (٨٤/١) ، وشذرات الذهب (٧١/٣) ، ومعجم المفسرين (٤٨/١) .
  - **الجعدي** : عبدالله بن قيس بن عدس **النابغة الجعدي** ، أبو ليلى ، صحابي شاعر . قيل له النابغة ؛  
لأنه قال الشعر في الجاهلية ، ثم أقام مدة نحو ثلاثين سنة لا يقول الشعر ، ثم نبغ فيه فقاله ،  
فسمي النابغة . وطال عمره في الجاهلية والإسلام ، وهو أسن من النابغة الذبياني . وفد على النبي  
> فأسلم ، وأنشده قصيدته الرائية ، وفيها :
- أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى      ويتلو كتاباً كالحجرّة نيراً
- ينظر : أسد الغابة (٥١٥/٤) .
- **جعفر الصادق** : جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بالصادق  
(١٤٨هـ) قال القطان: في نفسي منه شيء، وما كان كذوباً، وقال ابن معين: ثقة، وقال أبو  
حاتم: ثقة لا يسأل عن مثله، وقال ابن حبان: كان من سادات أهل البيت فقيهاً وعلماً وفضلاً

يحتج بحديثه من غير رواية أولاده عنه، وقد اعتبرت حديث الثقات عنه فرأيت أحاديث مستقيمة ليس فيها شيء يخالف الأثبات، ومن المحال أن يلصق به ما جناه غيره. وقال ابن حجر: صدوق فقيه إمام. ينظر: الجرح (٤٨٧/٢)، الحلية (١٩٢/٣)، تهذيب الكمال (٧٤/٥)، السير (٢٥٥/٦)، الميزان (٤١٤/١)، التقريب (١٤١).

- **القاسمي**: جمال الدين بن محمد (١٣٣٢ هـ)، إمام الشام في علوم الدين وفنون الأدب، مفسر مشهور. ينظر: حلية البشر (٤٣٥/١)، ومعجم المفسرين (١٢٧/١).
- **الجميل**: سليمان بن عمرو بن منصور العجيلي الأزهرى، المعروف بالجميل (١٢٠٤هـ). فاضل من أهل منية عجيل (إحدى قرى الغربية بمصر). له مؤلفات منها: الفتوحات الإلهية - المواهب المحمدية. ينظر: معجم المفسرين (٢١٧/١)، الأعلام (١٣١/٣).
- **الجوهري**: إسماعيل بن حماد، أبو نصر التركي الأتراري (٣٩٣هـ) إمام اللغة، مصنف كتاب "الصحاح"، وأحد من يُضرب به المثل في ضبط اللغة، وفي الخط المنسوب. أخذ اللغة العربية عن: أبي سعيد السيرافي، وأبي علي الفارسي، وغيرهما. ينظر: إنباه الرواة (٢٢٩/١) - السير (٨٠/١٧).
- **حبيب بن أبي ثابت** الأسدي (١١٩ هـ)، فقيه، ثقة، مجتهد. ينظر: صفة الصفوة (١٠٧/٣)، والسير (٢٨٨/٥).
- **الحجاج بن يوسف الثقفي** (٩٥ هـ)، والي العراق في عهد عبد الملك بن مروان. ينظر: المنتظم (٣٣٦/٦)، وتاريخ مدينة دمشق (١١٣/١٢).
- **حذيفة بن اليمان** العبسي (٣٦ هـ)، صاحب رسول الله ﷺ. ينظر: الاستيعاب (٣٣٤/١)، وأسد الغابة (٥٧٢/١)، والإصابة (٤٤/٢).
- **الحُر بن قيس بن حصن** الفزاري، ابن أخي عُبَيْنة بن حصن، وهو أحد الذين وفدوا على رسول الله ﷺ > مرجعه من تبوك. وكان من جلساء عمر بن الخطاب. ينظر: أسد الغابة (٤٧١/١).
- **حسان بن ثابت** بن المنذر بن حرام الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمن، أو أبو الوليد (٥٤هـ) روى عن النبي >، وعنه البراء بن عازب، وابن المسيب، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وابنه عبد الرحمن، وغيرهم، قال ابن حجر: شاعر رسول الله ﷺ > مشهور. ينظر: تهذيب الكمال (١٦/٦)، السير (٥١٢/٢)، الإصابة (٣٢٥/١)، التهذيب (٢١٦/٢)، التقريب (١١٩٧).
- **الحسن بن أبي الحسن البصري** (١١٠ هـ)، من كبار التابعين، كان رأساً في العلم والعمل. ينظر: صفة الصفوة (٢٣٣/٣)، والمنتظم (١٣٦/٧)، والكاشف (٣٢٢).

- **الحسن بن علي بن أبي طالب** بن عبد المطلب بن هاشم، أبو محمد القرشي الهاشمي المدني الشهيد (٤٩هـ) الإمام السيد، ريجانة رسول الله > وسبطه، وسيد شباب أهل الجنة، حدث عن جده المصطفى أحاديث، وعن أبيه، وأمه، وعنه ابنه الحسن بن الحسن، والشعبي، وأصبع بن نباتة، وغيرهم. وكان يشبه جده رسول الله، وسلم الأمر لمعاوية رضي الله عنه حقنا لدماء الأمة فرضي الله عنه، ثم مات شهيدا بالسم. ينظر: الجرح (١٩/٣)، تهذيب الكمال (٢٢٠/٦)، السير (٢٤٥/٣)، الإصابة (١١/٢)، التقريب (١٦٢).
- **الحصين بن عبد الرحمن بن عمر السلمي** أبو الهذيل الكوفي بن عم منصور بن المعتمر (١٣٦هـ). روى عن إبراهيم النخعي وإسماعيل بن أبي إدريس وجماعة. وعنه شعبة والثوري وزائدة وجرير بن حازم وسليمان التيمي وخلف بن خليفة. قال أبو حاتم عن أحمد: حصين بن عبد الرحمن الثقة المأمون من كبار أصحاب الحديث. وقال ابن معين: ثقة. وقال العجلي: ثقة ثبت في الحديث والواسطيون أروى الناس عنه. وقال ابن أبي حاتم: سألت أبا زرعة عنه فقال: ثقة، قلت: يحتج بحديثه؟ قال: أي والله. وقال أبو حاتم: صدوق ثقة في الحديث وفي آخر عمره ساء حفظه. قال ابن حجر: ثقة تغير حفظه في الآخر. ينظر: تهذيب الكمال (٥١٩/٦)، تهذيب التهذيب (٣٢٨/٢)، التقريب (١٧٠).
- **الحكم بن عيينة**: لعلة الحكم بن عتيبة، الكندي، مولاهم، الكوفي (٥-١١٣هـ)، تابعي صغير، ثقة ثبت فقيه إلا أنه ربما دلّس. ينظر: التقريب (١٧٥)، والمعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري (١٣٠/١).
- **خلف بن ياسين بن معاذ الزيّات الكوفي**. قال ابن عدي: (الواسطي). قليل الحديث، يروي عن الجاهيل. ينظر: المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري (١٥٤/١).
- **همزة بن حبيب الزيّات القارئ**، أبو عمارة، الكوفي، التيمي مولاهم (٨٠-١٥٦هـ)، صدوق زاهد ربما وهم. ينظر: التقريب (١٧٩).
- **حميد بن عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن الرُّؤاسي** أبو عوف الكوفي (١٨٩هـ) روى عن أبيه وإسماعيل بن أبي خالد والأعمش وهشام بن عروة والحسن بن صالح وزهير وأبي الأحوص وغيرهم. وعنه أحمد وأبو خيثمة وابن أبي شيبة وقتيبة وابن نمير ويحيى بن يحيى. قال الأثرم: أثنى عليه أحمد ووصفه بخير. وقال ابن معين: ثقة. وقال ابن أبي خيثمة عن أبي بكر بن أبي شيبة: قلّ من رأيت مثله. وذكره ابن حبان في الثقات. وقال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث لم يكتب الناس كل ما عنده. ينظر: تهذيب التهذيب (٣٩/٣)، تقريب التهذيب (١٨٢).

- **الخازن** : علي بن محمد بن إبراهيم الشيعي ، علاء الدين (٦٧٨-٧٤١هـ) . عالم بالتفسير والحديث . من فقهاء الشافعية . بغدادى الأصل . من تصانيفه : لباب التأويل في معاني التنزيل . ينظر : معجم المفسرين (٣٧٩/١) ، الأعلام (٥/٥) .
- **الخليل** بن أحمد بن عبد الرحمن ، أبو عبد الرحمن الفراهيدي الأزدي (١٦٠هـ وقيل بعدها) . نحوي لغوي عروضي ، استنبط من العروض وعلله ما لم يستخرجه أحد ، ولم يسبقه إلى علمه سابق من العلماء كلهم ، قاله القفطي . قال ابن حجر : اللغوي ، صاحب العروض والنحو ، صدوق عالم عابد . ينظر : إنباه الرواه (٣٧٦/١) ، تهذيب الكمال (٣٢٦/٨) ، التقريب (١٧٥٠) .
- **الخنساء** : تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الرشيد الخنساء الراحية السلمية المضرية (٢٤هـ) . أشهر شواعر العرب ، وأشعرهن على الإطلاق ، من أهل نجد ، عاشت الجاهلية والإسلام وأسلمت ، ووفدت على رسول الله > مع قومها بني سليم ، فكان رسول الله > يستنشدتها ويعجبه شعرها ، وأكثر ما قالت من الشعر في رثاء أخيها بعد أن قتلا ، ثم كان لها بنون أربعة قتلوا في القادسية فحمدت الله على ذلك الشرف ، عدادها في الصحابة رضي الله عنها وشعرها مجموع في ديوان لها مطبوع . ينظر : تجريد أسماء الصحابة (٢٦٣/٢) ، الإصابة (٦٦/٨) ، الأعلام (٨٦/٢) .
- **داود بن علي بن خلف** ، أبو سليمان البغدادي الأصبهاني ، مولى أمير المؤمنين المهدي (٢٠٠-٢٧٠هـ) . الإمام البحر الحافظ العلامة ، رئيس أهل الظاهر ، روى عن : سليمان بن حرب ، وعمرو بن مرزوق ، والقعبي ، وأبي ثور ، وإسحاق بن راهويه ، ومسدد ، وآخرين . وعنه : ابنه محمد ، وزكريا الساجي ، ويوسف بن يعقوب الداودي ، وآخرون . قال الخطيب : صنّف الكتب ، وكان إماماً ورعاً ناسكاً زاهداً ، وفي كتبه حديث كثير ، لكن الرواية عنه عزيزة جداً . له من الكتب : " الإيضاح " ، و " الدعوى " كتاب كبير في الفقه ، و " الإجماع " و " إبطال القياس " وغيرها . ينظر : ت بغداد (٣٦٩/٨) - وفيات الأعيان (٢٥٥/٢) - السير (٩٧/١٣) .
- **داود بن أبي عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي المكي** ، ثقة ، من الثالثة . ينظر : التقريب (١٩٩) .
- **الداودي** : أحمد بن نصر أبو جعفر الداودي الأسدي (٤٠٢هـ) من أئمة المالكية بالمغرب ، والمتسمين في العلم المجدين للتأليف . كان فقيهاً فاضلاً متفنناً مجيداً ، له تصانيف كثيرة منها : " شرح الموطأ " و " النصيحة في شرح البخاري " . ينظر : ترتيب المدارك (٦٢٣/٤) .

- **دحية بن خليفة الكلبي** : صحابي ، بعثه رسول الله > برسالته إلى قيصر يدعو إلى الإسلام . وكان يضرب به المثل في حسن الصورة ، وحضر كثيراً من الوقائع . ينظر : الأعلام (٣٣٧/٢) .
- **ذو الرُّمة** : غيلان بن عقبة بن فهيس بن مسعود العدوي ، أبو الحارث (٧٧-١١٧هـ) . من مضر . شاعر من فحول الطبقة الثانية في عصره . أكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال ، يذهب في ذلك مذهب الجاهليين . ينظر : الأعلام (١٢٤/٥) .
- **الرازي** : محمد بن عمر بن الحسين البكري ، أبو عبدالله ، فخر الدين الرازي (٥٤٤-٦٠٦هـ) المفسر المتكلم ، ويقال له ابن خطيب الري . كان شافعياً أشعرياً ، ناظر المعتزلة . ينظر : طبقات المفسرين للداوودي (٢١٥/٢) ، معجم المفسرين (٥٩٦/٢) .
- **الراغب الأصفهاني** : الحسين بن محمد بن الفضل (٥٠٢هـ) ، ، أديب ، إمام ، محقق . ينظر : بغية الوعاة (٢٩٧/١) ، ومعجم المفسرين (١٥٨/١) .
- **الربيع بن أنس** بن زياد البكري ، الخراساني ، المروزي البصري (١٤٠هـ) . سمع أنساً ، وأبا العالية ، والحسن البصري . وعنه سليمان التيمي ، والأعمش ، والحسين بن واقد وآخرون . قال أبو حاتم : صدوق ، وقال ابن حجر : صدوق له أوهام ، ورمي بالتشيع . ينظر : الجرح (٤٥٤/٣) ، تهذيب الكمال (٦٠/٩) ، السير (١٦٩/٦) ، التهذيب (٢٣٨/٣) ، التقريب (٢٠٥) .
- **الربيع بن خثيم** بن عائد ، أبو يزيد الثوري الكوفي (٦١هـ) . أدرك زمن النبي < ، وأرسل عنه ، وروى عن ابن مسعود ، وأبي أيوب ، وعمرو بن ميمون ، حدث عنه الشعبي ، وإبراهيم النخعي ، وهلال بن يساف وآخرون . قال الشعبي : كان من معادن الصدق ، قال ابن حجر : ثقة عابد مخضرم ، قال الذهبي : الإمام القدوة العابد ، أحد الأعلام . ينظر : طبقات ابن سعد (١٨٢/٦) ، المعرفة (٥٦٣/٢) ، الحلية (١٠٥/٢) ، السير (٢٥٨/٤) ، التهذيب (٢٤٢/٣) ، الخلاصة (ص ١١٥) ، التقريب (١٨٨٨) ، تهذيب الكمال (٧٠/٩) .
- **رَوْح بن عبد المؤمن** أبو الحسن البصري المقرئ ، صاحب يعقوب الحضرمي (٢٣٤هـ) كام متقناً مجوداً . ينظر : الجرح والتعديل (٤٩٩/٣) ، معرفة القراء الكبار (٢١٤/١) .
- **الزبيدي** : محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي أبو الفيض ، الملقب بمرتضى (١١٤٥-١٢٠٥هـ) ، علامة باللغة والحديث والرجال والأنساب ، من كبار المصنفين له تاج العروس في شرح القاموس المحيط . ينظر : الأعلام (٧٠/٧) .
- **الزجاج** : إبراهيم بن السري أبو إسحاق (٢٤١-٣١١هـ) عالم بالنحو واللغة والتفسير . ينظر : إنباه الرواة (١٩٤/١) ، ومعجم المفسرين (١٣/١) .

- **الزركشي** : محمد بن بهادر بن عبد الله ، بدرالدين أبو عبد الله (٧٩٤هـ) ، فقيه شافعي أصولي مفسر أديب . ينظر : معجم المفسرين (٥٠٥/٢) .
- **الزحشري** : محمود بن عمر بن محمد أبو القاسم ، الخوارزمي النحوي (٤٦٧-٥٣٨هـ) . العلامة ، كبير المعتزلة ، كان رأساً في البلاغة والعربية والمعاني والبيان ، وله نظم جيد . حجّ وجاور ، وتخرّج به أئمة ، له مصنفات ، منها : " الفائق " في غريب الحديث و " الكشاف " في التفسير ، و " المفصل " في النحو ، وغيرها . ينظر : إنباه الرواة (٢٦٥/٣) - معجم الأدباء (١٩/١٢٦) - السير (١٥/٢٠) .
- **الزّهراوي** : علي بن سليمان ، أبو الحسن (٤٣١هـ) فقيه مالكي ، عالم بالتفسير والقراءات والفرائض .. من أهل غرناطة . ومن كتبه "تفسير القرآن" . ينظر : معجم المفسرين (٣٦٢/١) .
- **زيد بن أسلم** ، أبو عبد الله، وأبو أسامة العدوي، مولى عمر، المدني (١٣٦هـ) . روى عن والده أسلم مولى عمر، وابن عمر، وجابر، وأنس، وابن المسيب، وعطاء بن يسار وخلق، وعنه مالك، والسفيانان، والأوزاعي، وأيوب وأولاده: أسامة، وعبد الله، وعبدالرحمن وخلق. كان من العلماء العاملين، وثقه أحمد، وأبو حاتم، وأبو زرعة الرازيان، وابن سعد، والنسائي. قال ابن حجر: ثقة عالم، وكان يرسل. ينظر : الجرح (٥٥٥/٣)، تهذيب الكمال (١٢/١٠)، السير (٣١٦/٥)، التهذيب (٣٤١/٣)، التقريب (٢٢٢) .
- **زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب** ، أبو الحسين المدني (٨٠-١٢٢هـ) ثقة ، وهو الذي ينسب إليه الزيدية . ينظر : التقريب (٢٢٤) .
- **سالم بن أبي أمية أبو النضر** مولى عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي (١٢٩هـ) . رأى عبد الله بن عمر وسمع منه ، ويروي عن ابن أبي أوفى والسائب بن يزيد . قال أحمد بن حنبل: ثقة . وقال يحيى ابن معين : سالم أبو النضر مدني ثقة . وقال الحميدي : سئل سفيان بن عيينة عن سالم أبي النضر فقال : ثقة . وكان مالك يصفه بالفضل والعقل والعبادة . كان كاتباً لعمر بن عبيد الله وهو أحد الثقات الأثبات من أهل المدينة . وقال ابن عبد البر: اجمعوا على أنه ثقة ثبت، وقال ابن حجر: ثقة ثبت وكان يرسل. ينظر : التمهيد (١٤٥/٢١)، التهذيب (٣٧٢/٣)، تقريب التهذيب (٢٢٦) .
- **سالم بن أبي الجعد** رافع الغطفاني الأشجعي مولاهم الكوفي (٩٧هـ) . روى عن عمر ولم يدركه وعلي بن أبي طالب وأبي برزة وأبي سعيد وأبي هريرة وابن عمر وابن عباس وابن عمرو بن العاص وجابر وأنس وأبي أمية وغيرهم . وعنه ابنه الحسن والحكم بن عتيبة وعمرو بن دينار وعمرو بن مرة وقتادة وغيرهم . قال ابن معين وأبو زرعة والنسائي : ثقة . وقال ابن سعد :

كان ثقة كثير الحديث . وقال العجلي : ثقة تابعي . وقال إبراهيم الحربي : جمع على ثقته . وقال أبو حاتم عن أبي زرعة : سالم بن أبي الجعد عن عمر وعثمان وعلي مرسل . قال علي : لم يلق ابن مسعود ولا عائشة . وقال أبو حاتم : أدرك أبا أمامة ولم يدرك عمرو بن عبسة ولا أبا الدرداء ولا ثوبان . وقال ابن حجر: ثقة وكان يرسل كثيراً . ينظر : تهذيب الكمال (١٣٠/١٠)، تهذيب التهذيب (٣٧٣/٣)، تقريب التهذيب (٢٢٦) .

● **سُبَيْعَةُ بنت الحارث الأَسلمية** . هي زوج سعد بن خولة ، لها صحبة ، وحديث في عدة المتوفى عنها زوجها . ويقال : إنها هي سبيعة التي روى عنها ابن عمر حديثاً في فضل المدينة ، وفرق بينهما العقيلي ، قاله ابن حجر . روت عن النبي ﷺ عدتها ، وعنها عمر بن عبد الله بن الأرقم، ومسروق . ينظر : تهذيب الكمال (١٩٣/٣٥) ، الإصابة (١٠٣/٨) ، التهذيب (٤٢٤/١٢) ، التقريب (٧٤٨) .

● **سعد بن أبي وقاص** مالك بن وهيب — ويقال له : أهيب — بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب الزهري أبو إسحاق (٥٥٥هـ) . أحد العشرة وأول من رمى بسهم في سبيل الله وكان أحد الفرسان وهو أحد الستة أهل الشورى ومناقبه كثيرة وهو آخر العشرة وفاة . ينظر : تقريب التهذيب (٢٣٢)، الإصابة (٧٣/٣) .

● **سعد بن عبادة** بن دُلَيْم بن حارثة الأنصاري الخزرجي (١٥٥هـ) روى عنه : بنوه ، وابن عباس ، وأبو أمامة بن سهل ، وأرسل عنه الحسن البصري . قال في التقريب (٢٣١) : أحد النقباء وسيد الخزرج ، وأحد الأجواد وقع في صحيح مسلم أنه شهد بدرًا ، والمعروف عند أهل المغازي أنه تهيأ للخروج فَنَهَشَ فأقام ، مات بأرض الشام . ينظر : تهذيب الكمال (٢٧٧/١٠) — التهذيب (٤١٢/٣) — الإصابة (٢/٢) .

● **السَّعْدِي = ابن سَعْدِي** .

● **سعيد بن جبير** بن هشام، أبو محمد الأسدي مولاهم، الكوفي (٩٥هـ) روى عن ابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، وعنه أبو الزبير المكي، وأيوب، والأعمش، والزهري وغيرهم، كان فقيهاً عابداً فاضلاً ورعاً. قال القطان: مرسلات سعيد أحب إلي من مرسلات عطاء ومجاهد، قال ابن حجر: ثقة ثبت فقيه، وروايته عن عائشة وأبي موسى ونحوهما مرسلات، قتل بين يدي الحجاج ولم يكمل الخمسين . ينظر : طبقات ابن سعد (٢٥٦/٦)، الجرح (٩/٤)، تهذيب الكمال (٣٥٨/١٠) السير (٣٢١/٤)، التهذيب (١١/٤)، التقريب (٢٣٤) .

● **سعيد بن العاص** بن سعيد بن العاص بن أمية الأموي أبو عثمان ويقال أبو عبدالرحمن (٥٨هـ). قال ابن سعد : قبض النبي ﷺ ولسعيد تسع سنين. روى عن النبي ﷺ مرسلًا وعن عمر وعثمان وعائشة. وعنه ابنه عمر ويحيى ومولاه كعب وسالم بن عبدالله بن عمر وعروة بن الزبير وغيرهم. قال الزبير بن بكار : استعمله عثمان على الكوفة وغزا بالناس طبرستان واستعمله معاوية على المدينة. وقال سعيد بن عبدالعزيز : قال معاوية : لكل قوم كريم وكريمنا سعيد. وقال أيضا : أقيمت عربية القرآن على لسان سعيد ؛ لأنه كان أشبههم لهجة برسول الله ﷺ. وقال ابن عبد البر : كان من أشرف قريش وهو أحد الذين كتبوا المصحف لعثمان. ينظر : تهذيب (٤٣/٤) .

● **سفيان = الثوري**

● **سلمان الفارسي** أبو عبدالله (٣٥هـ). يقال: إنه مولى رسول الله ﷺ ويعرف بسلمان الخير كان أصله من فارس من رام هرمز من قرية يقال لها جيء. ويقال: بل كان أصله من أصبهان، وكان إذا قيل له: ابن من أنت؟ قال: أنا سليمان ابن الإسلام من بني آدم. ينظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٩١/١) .

● **السمرقندي** : نصر بن محمد بن إبراهيم الخطاب السمرقندي البلخي ، أبو الليث (٣٧٥هـ) له في التفسير : "بحر العلوم" . ينظر : طبقات المفسرين للداوودي (٣٤٦/٢) ،

● **سمرة بن جندب** بن هلال الفزاري (٥٨هـ) حليف الأنصار ، صحابي مشهور ، له أحاديث ، مات بالبصرة . ينظر : التقريب (٢٥٦) .

● **السمعاني** : منصور بن محمد بن عبدالجبار التميمي المروزي ، أبو المظفر ابن الإمام أبي منصور السمعاني (٤٢٦-٤٨٩هـ) صنف في التفسير والحديث والفقه والأصول . ينظر : السير (١١٤/١٩) ، طبقات المفسرين للداوودي (٣٣٩/٢) .

● **السمين الحلبي** : أحمد بن يوسف بن عبدالدايم ، ، مقرئ ، مفسر ، نحوي ، من فقهاء الشافعية ، توفي سنة (٧٥٦هـ). ينظر : شذرات الذهب (١٧٩/٦) ، وحسن المحاضرة (٥٣٦/١) ، ومعجم المفسرين (٨٤/١) .

● **السهيلي** : عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد ، أبو القاسم الحثعمي السهيلي الأندلسي (٥٠٨هـ-٥٨١هـ) . عالم الأندلس الحافظ ، العلم صاحب التصانيف ، برع في العربية واللغات والأخبار والأثر وتصدر للإفادة ، له "الروض الأنف" في تفسير سيرة ابن هشام . ينظر : إنباه الرواة (١٦٢/٢) - العبر (٨٢/٣) - السير (١٥٧/٢١) .

- **سيّار** : القرشي الأموي مولاهم الشامي ، مولى معاوية بن أبي سفيان ، ويقال : مولى خالد بن يزيد بن معاوية ، دمشقي سكن البصرة ، قيل : اسم أبيه : عبدالله . يروي عنه سليمان التيمي . من الثالثة ، صدوق . ينظر : المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري (٢٣١/١) ، التقريب (٢٦٢) .
- **سيبويه** : عمرو بن عثمان بن قنبر ، الفارسي ، ثم البصري ، أبو بشر (١٨٠هـ) . أخذ النحو عن عيسى بن عمر ، ويونس بن حبيب ، والخليل ، والأخفش ، واستملى على حماد بن سلمة . قال الذهبي : إمام النحو ، حجة العرب ، طلب الفقه والحديث مدة ، ثم أقبل على العربية فبرع وساد أهل العصر ، وألف فيها كتابه الكبير الذي لا يدرك شأوه فيه . ينظر : تاريخ بغداد (١٩٥/١٢) ، السير (٢٥٢/٨) ، الشذرات (٢٥٢/١) .
- **السيد محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن ملا علي خليفة القلموني** (١٢٨٢-١٣٥٤هـ) البغدادي الأصل ، الحسيني النسب ، صاحب مجلة المنار ، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي . من الكتاب العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير . لازم الشيخ محمد عبده وتلمذ له . من مؤلفاته : مجلة المنار - الوحي الحمدي . ينظر : معجم المفسرين (٥٢٩/٢) ، الأعلام (١٢٦/٦) .
- **السيوطي** : عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضير ، جلال الدين (٨٤٩-٩١١هـ) . إمام حافظ ، مؤرخ ، محدث ، مفسر ، أديب . له نحو ٦٠٠ مصنف منها : الدر المنثور ، والإتقان في علوم القرآن ، والأشباه والنظائر . ينظر : معجم المفسرين (٢٦٤/١) ، الأعلام (٣٠٢-٣٠١/٣) .
- **الشافعي** : محمد بن إدريس بن العباس المظلي ، أبو عبد الله ، الشافعي ، المكّي ، نزيل مصر (١٥٠-٢٠٤هـ) روى عن : مالك ، وإبراهيم بن سعد ، وابن علية ، وابن عيينة ، وجماعة . وعنه : الحميدي ، وأحمد ، وأبو ثور ، والمزني ، وآخرون . قال أحمد : إن الله يقبض للناس في كل رأس مائة سنة من يعلمهم السنن وينفي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكذب فنظرنا فإذا في رأس المائة عمر بن عبد العزيز وفي رأس المائتين الشافعي . قال في التقريب (٤٦٧) : المجدد لأمر الدين علي رأس المائتين . ينظر : تهذيب الكمال (٣٥٥/٢٤) - السير (٥/١٠) - التهذيب (٢٣/٩) .
- **شرحبيل بن سعد الخطمي المدني** (ت ١٢٣هـ) . مولى الأنصار . عالم بالمغازي والبدرين . كان يفتي ويروي الحديث . وفي روايته ضعف . ينظر : الأعلام (١٥٩/٣) .

- **شريك** بن عبد الله النخعي الكوفي ، القاضي الواسطي ، أبو عبد الله (١٧٧هـ) . روى عن أبي حصين ، وإسماعيل بن أبي خالد ، والأعمش ، وشعبة وخلق وعنه إبراهيم بن سعد الزهري ، وأبو أسامة ، وابن المبارك وآخرون . قال ابن حجر : صدوق يخطئ كثيراً ، تغير حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة ، وكان عادلاً فاضلاً عابداً شديداً على أهل البدع . ينظر : تهذيب الكمال (٤٦٢/١٢) ، التهذيب (٢٩٣/٤) ، التقريب (٢٦٦) .
- **الشعبي** : عامر بن شراحيل أبو عمرو (١٠٠هـ) عن : عروة بن أبي الجعد ، وأنس ، والبراء ، وسعد ، والعبادلة ، وآخرون . وعنه : حصين ، وابن أبي السفر ، وعبد الله ، والمغيرة ، وآخرون . قال أبو داود : مرسل الشعبي أحب إلي من مرسل النخعي . وقال ابن معين وأبو زرعة وغيرهما : ثقة . وقال مكحول : ما رأيت أفاقه من الشعبي . قال في التقريب (٢٨٧) : ثقة مشهور فقيه فاضل . ينظر : ط ابن سعد (٢٤٥/٦) - ت الدوري (٢٨٥/٢) - الجرح (٣٢٢/٦) - تهذيب الكمال (٢٨/١٤) - التهذيب (٥٧/٥) .
- **الشنقيطي** : محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (١٣٢٥ - ١٣٩٣هـ) مفسر ، أصولي ، من علماء شنقيط ، سكن الرياض والمدينة ، ومات بمكة المكرمة بعد أدائه نسك الحج . ينظر : مشاهير علماء نجد (٥١٧) ، معجم المفسرين (٤٩٦/٢) ،
- **الشهاب الخفاجي** : أحمد بن محمد بن عمر ، شهاب الدين الخفاجي المصري (٩٧٧ - ١٠٦٩هـ) . قاضي القضاة وصاحب التصانيف في الأدب واللغة والتفسير . من أشهر كتبه : شفاء العليل فيما من كلام العرب من الدخيل ، وحاشية على تفسير البيضاوي سماها : "عناية القاضي وكفاية الراضي" . ينظر : معجم المفسرين (٧٥/١) ، الأعلام (٢٣٨/١) .
- **شهر بن حوشب** أبو سعيد الأشعري الشامي ، مولى أسماء بنت يزيد بن السكن (١١٢هـ) قال ابن سعد وموسى بن هارون : ضعيف ، وقال النسائي : ليس بالقوي ، وقال أحمد وأبو زرعة : ليس به بأس ، وقال ابن معين والعجلي : ثقة ، وقال أبو حاتم : هو أحب إلي من أبي هارون وبشر بن حرب ولا يحتج به ، قال ابن حجر : صدوق كثير الإرسال والأوهام . وفي تحرير التقريب : لو قال : ضعيف يعتبر به ، لكان أحسن ، إذ لا يحتج بشهر إذا انفرد ، ولكن يعتبر به في المتابعات والشواهد . ينظر : ت/ابن معين (٢٦٠/٢) ، طبقات ابن سعد (٤٤٩/٧) ، الجرح (٣٨٢/٤) تهذيب الكمال (٥٧٩/١٢) ، السير (٣٧٢/٤) ، الميزان (٢٨٣/٢) ، التهذيب (٣٦٩/٤) ، التقريب (٢٨٣٠) ، تحرير التقريب (١٢٢/٢) .
- **الشوكاني** : محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (١١٧٣ - ١٢٥٠هـ) . فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن . من أهل صنعاء . ولي قضاءها سنة ١٢٢٩هـ ومات حاكماً بها . له ١١٤ مؤلفاً

منها : نيل الأوطار - فتح القدير - السيل الجرار . ينظر : معجم المفسرين (٥٩٣/٢) ، الأعلام (٢٩٨/٦) .

● صفوان بن أمية بن خلف القرشي الجُمحي ، أبو وهب المكي (٤١هـ) . أسلم بعد الفتح ، وحسن إسلامه ، وروى أحاديث فحدّث عنه : ابنه عبد الله ، وابن المسيب ، وطاوس ، وعطاء ، وجماعة . وكان من كبار قريش ، قتل أبوه مع أبي جهل . شهد اليرموك أميراً على كُردس . قال في التقريب (٢٧٦) : صحابي ، من المؤلفات ، مات أيام قتل عثمان ، وقيل : سنة (٤١) أو (٤٢) في أوائل خلافة معاوية . ينظر : تهذيب الكمال (١٨٠/١٣) - السير (٥٦٢/٢) - التهذيب (٣٧٢/٤) - الإصابة (١٨١/٢) .

● صهيب بن سنان أبو يحيى الرومي (٣٨هـ) ، أصله من النّمر ، صحابي شهير ، مات بالمدينة في خلافة علي . ينظر : التقريب (٢٧٨) .

● الضحّاك بن مزاحم الهلالي (١٠٥هـ) أبو القاسم أو أبو محمد الخراساني ، تابعي جليل ، مفسر مشهور ، صدوق كثير الإرسال . ينظر : التقريب (٢٨٠) ، شذرات الذهب (٢٤/١) ، معجم المفسرين (٢٣٧/١) .

● ضمرة بن حبيب بن صهيب الزبيدي ، أبو عتبة الحمصي (١٣٠هـ) ثقة ، من الرابعة . ينظر : التقريب (٢٨٠) .

● الطاهر بن عاشور = ابن عاشور

● طاووس بن كيسان ، أبو عبدالرحمن الفارسي ، ثم اليميني الجندي . سمع من زيد بن ثابت ، وأبي هريرة ، ولازم ابن عباس مدة ، وهو معدود في كبار أصحابه ، وعنه عطاء ، ومجاهد ، وابن عبد الله ، وأبو الزبير المكي وخلق . قال ابن معين ، وأبو زرعة : طاووس ثقة . وقال الذهبي : الفقيه القدوة عالم اليمن الحافظ ، وحدثه في دواوين الإسلام ، وهو حجة باتفاق . قال ابن حجر : ثقة فقيه فاضل . ينظر : الجرح (٥٠٠/٤) ، الحلية (٣،٢٣/٤) ، تهذيب الكمال (٣٠٧/١٣) ، السير (٣٨/٥) ، التقريب (٢٨١) .

● الطيّبي : الحسين بن محمد بن عبد الله شريف الدين الطيّبي (٧٤٣هـ) ، من علماء الحديث والتفسير والبيان ، له : "شرح الكشاف" في التفسير ، و"شرح مشكاة المصابيح" في الحديث . ينظر : البدر الطالع (٢٢٩/١) ، الأعلام (٢٥٦/٢) .

● عائشة بنت أبي بكر الصديق الأكبر ، أم المؤمنين ، القرشية التيمية ، المكية (٥٧هـ) . زوجة النبي > ، أفقه نساء الأمة على الإطلاق ، وأفضل أزواج النبي > إلا خديجة ، ففيهما خلاف شهير ، روت عن رسول الله > علماً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، وعن أبيها ، وعن عمر ، وفاطمة ، وسعد وغيرهم ، وعنهما

خلق لا يحصون، ومسندها يبلغ ألفين ومائتين وعشرة أحاديث. ينظر : المعرفة (٢٦٨/٣)، تهذيب الكمال (٢٢٧/٣٥)، السير (١٣٥/٢)، الإصابة (١٣٩/٨)، التهذيب (٤٣٣/١٢)، التقريب (٧٥٠).

● **عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان الأوسي الأنصاري**، أبو عمر المدني (بعد ١٢٠هـ) ثقة عالم بالمغازي، من الرابعة. ينظر التقريب (٢٨٦).

● **عباد بن عبدالله بن الزبير بن العوام**، كان قاضي مكة زمن أبيه وخليفته إذا حج، ثقة، من الثالثة. ينظر : التقريب (٢٩٠).

● **عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي**، أبو الوليد المدني (٣٤هـ) روى عنه الأسود بن ثعلبة، وأنس بن مالك، وجابر، والشعبي، والزهري وآخرون. شهد بيعة العقبة الأولى والثانية، وهو أحد النقباء الاثني عشر ليلة العقبة وشهد بدرًا وأحدًا وبيعة الرضوان، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكان من سادات الصحابة. ينظر : تهذيب الكمال (١٨٣/١٤)، السير (٥/٢)، الإصابة (٢٦٠/٢)، التهذيب (٩٧/٥)، التقريب (٢٩٢).

● **عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق**. روى عنه : ابن أخيه القاسم بن محمد، وأبو عثمان النهدي، وابن أبي مليكة، وآخرون. قال في التقريب (٣٣٧) : شقيق عائشة، تأخر إسلامه إلى قبيل الفتح، وشهد اليمامة والفتوح. ينظر : تهذيب الكمال (٥٥٥/١٦) - السير (٤٧١/٢) - التهذيب (١٣٣/٦) - الإصابة (٣٩٩/٢).

● **عبدالله بن الزبير بن العوام بن خويلد**، أبو بكر القرشي الأسدي المكي، ثم المدني، أحد الأعلام أمير المؤمنين (٧٣هـ). كان أول مولود للمهاجرين بالمدينة، له صحبة، ورواية أحاديث، عداده في صغار الصحابة، روى عن أبيه، وجدته لأمه الصديق، وأمه أسماء، وخالته عائشة، وعن عمر، وعثمان وغيرهم، وعنه أخوه عروة، وابناه عامر، وعباد، وعبيدة السلماني، وطاووس، وعطاء وخلق. ولي الخلافة تسع سنين، إلى أن قتل في ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين. ينظر : الجرح (٥٦/٥)، السير (٣٦٣/٣)، الإصابة (٦٩/٤)، التهذيب (٢٦٣/٥)، التقريب (٣٠٣).

● **عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي** ثم الأنصاري (٤٣هـ)، وهو من ولد يوسف بن يعقوب صلى الله عليهما، كان حليفًا للأنصار وهو أحد الأحرار، أسلم إذ قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة. وتوفي في خلافة معاوية. ينظر : الاستيعاب لابن عبد البر (٥٤-٥٣/٣).

● **عبدالله بن شداد بن الهاد الليثي** أبو الوليد المدني (٨١هـ). ولد على عهد النبي ﷺ، وروى عن : أبيه وعمر ويعلى وطلحة ومعاذ والعباس وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وعبدالله بن جعفر

وخالته أسماء بنت عميس وخالته لأمه ميمونة بنت الحارث وأخته لأمه بنت حمزة بن عبد المطلب وعائشة وأم سلمة . وعنه : سعد بن إبراهيم أبو إسحاق الشيباني وجماعة قال الميموني سئل أحمد أسمع عبدالله بن شداد من النبي ﷺ شيئاً قال لا، وذكره العجلي من كبار التابعين الثقات . ينظر: تهذيب التهذيب (٢٢٢/٥)، التقريب (٣٠٧) .

● **عبدالله بن عمرو بن العاص** بن وائل بن هاشم القرشي السهمي، أبو محمد، الإمام الحبر العابد (٦٥هـ). صاحب رسول الله > وابن صاحبه، أسلم قبل أبيه، وله فضائل ومقام راسخ في العلم والعمل. روى عن أبي بكر، وعمر، ومعاذ، وأبي الدرداء وغيرهم . وعنه حفيده شعيب بن محمد فأكثر عنه، وأنس بن مالك، وأبو أمامة، وعطاء بن رباح، وابن يسار وخلق. قال ابن حجر: أحد السابقين الكثيرين من الصحابة، وأحد العبادة الفقهاء، مات ليالي الحرّة بالطائف على الراجح. ينظر : الجرح (١١٦/٥)، الحلية (٢٨٣/١)، تهذيب الكمال (٣٥٧/١٥)، تذكرة الحفاظ (٣٩/١)، السير (٧٩/٣)، الإصابة (١١١/٤)، التهذيب (٣٣٧/٥)، التقريب (٣١٥).

● **عبيد بن عمير** بن قتادة الليثي ، أبو عاصم المكّي . روى عن : عمر ، وعلي ، وأبيّ ، وأبي موسى ، وأبي هريرة ، وعائشة ، وابن عمرو ، وابن عمر ، وابن عباس ، وآخرين . وعنه : عطاء ، ومجاهد ، وعمرو بن دينار ، وأبو الزبير ، وآخرون . قال في التقريب (٣٧٧) : ولد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، قاله مسلم ، وعدّه غيره في كبار التابعين ، وكان قاصّاً أهل مكة ، مجمع على ثقته ، مات قبل ابن عمر . ينظر : تهذيب الكمال (٢٢٣/١٩) - السير (١٥٦/٤) - التهذيب (٦٦/٧) .

● **العرجي** : عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي القرشي ، أبو عمر . شاعر غزل مطبوع . كان شغوفاً باللهو والصيد . وكان من الأدباء الظرفاء الأسخياء ، ومن الفرسان المعدودين . لقب بالعرجي لسكناه قرية ( العرج ) قرب الطائف . ينظر : الأعلام (١٠٩/٤) .

● **عروة بن الزبير** بن العوام، أبو عبدالله القرشي الأسدي، المدني، الفقيه، أحد الفقهاء السبعة (٩٤هـ) حدث عن أبيه الزبير، وأمه أسماء بنت أبي بكر، وخالته عائشة، وسعيد بن زيد، وعلي بن أبي طالب وغيرهم . وعنه : بنوه يحيى وعثمان وهشام ومحمد، وسليمان بن يسار، والزهري وخلق سواهم. قال الزهري: رأيت عروة مجراً لا تكدره الدلاء . وثقه ابن سعد والعجلي وابن خراش وغيرهم . وقال ابن حجر: ثقة فقيه مشهور. ينظر : طبقات ابن سعد (١٧٨/٥)، الحلية (١٧٦/٢)، تهذيب الكمال (١١/٢٠)، السير (٤٢١/٤)، تذكرة الحفاظ (٥٨/١)، التهذيب (١٨٠/٧)، التقريب (٣٨٩) .

- **العز بن عبد السلام** : عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي ، عز الدين الملقب بسطان العلماء . فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد . من كتبه : الإلمام في أدلة الأحكام - قواعد الشريعة . ينظر : الأعلام (٢١/٤) .
- **عطاء بن أبي رباح** : اسم والده أسلم، أبو محمد القرشي مولاهم المكي (١١٤هـ) . حدث عن عائشة، وأم سلمة، وأم هانئ، وأبي هريرة، وابن عباس، وعبدالله بن عمرو بن العاص وغيرهم، وعنه مجاهد، وأبو إسحاق السبيعي، وأبو الزبير، وعمرو بن دينار، والزهري، وقتادة وخلق. قال الذهبي: الإمام شيخ الإسلام، مفتي الحرم . وقال ابن حجر: ثقة فقيه فاضل لكنه كثير الإرسال، قيل : إنه تغير بأخرة، ولم يكثر ذلك منه. ينظر : الجرح (٣٣٠/٦)، المعرفة (٧٠١/١)، تهذيب الكمال (٦٩/٢٠)، السير (٧٨/٥)، الميزان (٧٠/٣) ، التهذيب (١٩٩/٧)، التقريب (٣٩١) .
- **عطاء بن دينار الهذلي** (١٢٦هـ) . مولاهم المصري . من رجال الحديث . له كتاب في التفسير ، يرويه عن سعيد بن جبير . توفي بمصر . ينظر : الأعلام (٢٣٥/٤) .
- **عطاء بن أبي مسلم الخراساني** (١٣٥هـ) ، أبو أيوب، ويقال أبو عثمان، ويقال أبو محمد، ويقال أبو صالح البلخي نزيل الشام، اسم أبيه عبدالله، ويقال ميسرة. روى عن الصحابة مرسلًا كابن عباس والمغيرة بن شعبة وأبي هريرة وأنس وعبدالله بن عمرو بن العاص ومعاذ وغيرهم، وعن سعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح وخلق، وعنه عثمان ابنه وشعبة وإبراهيم بن طهمان وداود بن أبي هند ومعمر وابن جريج ومالك وآخرون. قال ابن معين: ثقة، وقال أبو حاتم: ثقة صدوق، وقال النسائي: ليس به بأس فهو صدوق يهمل كثيراً ويرسل ويدلس. قال أحمد بن حنبل: رأى ابن عمر ولم يسمع منه ولم يسمع من ابن عباس شيئاً، وقال يحيى بن معين : لا أعلمه لقي أحداً من أصحاب النبي ﷺ . ينظر : تهذيب الكمال (١٠٦/٢٠)، التهذيب (٢١٢/٧-٢١٣)، جامع التحصيل ص(٢٣٨)، التقريب (٣٩٢) .
- **عطية العوفي** بن سعد بن جنادة الجَدَلِي القيسي الكوفي ، أبو الحسن ( ت ١١١هـ) . صدوق يخطئ كثيراً وكان شيعياً مدلساً . ينظر : التقريب (٣٩٣) ، الأعلام (٢٣٧/٤) .
- **عطية بن الحارث** ، أبو رَوْق ، الهَمْدَانِي ، الكوفي ، صاحب التفسير ، صدوق ، من الخامسة . ينظر : التقريب (٣٩٣) .
- **العكبري** : عبد الله بن الحسين بن عبد الله البغدادي ، أبو البقاء ، محب الدين (٥٣٨هـ-٦١٦هـ) . عالم بالأدب واللغة والقراءات والتفسير والفرائض والحديث والحساب . أصله من

عكبرا ومولده ووفاته ببغداد . من كتبه : التبيان في إعراب القرآن - اللباب في علل البناء والإعراب. ينظر : معجم المفسرين (٣٠٧/١) ، الأعلام (٨٠/٤) .

● **عكرمة البربري**، أبو عبدالله المدني، مولى ابن عباس (١٠٤هـ) . روى عن ابن عباس، وعلي، وأبي هريرة، وابن عمر وجماعة، وروى عنه إبراهيم النخعي، والشعبي، وحميد، وخالد الحذاء وخلق. وثقه أبو حاتم، والعجلي، والنسائي. وقال ابن حجر: ثقة ثبت عالم بالتفسير... لا تثبت عنه بدعة. ينظر : طبقات ابن سعد (٢٨٧/٥)، الجرح (٧/٧)، تهذيب الكمال (٢٦٤/٢٠) التهذيب (٢٣٤/٧)، التقريب (٣٩٧).

● **عكرمة بن أبي جهل** عمرو بن هشام المخزومي القرشي . من صناديد قريش في الجاهلية والإسلام . كان هو وأبوه من أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم ، وأسلم عكرمة بعد فتح مكة ، وحسن إسلامه ، فشهد الوقائع ، وولي الأعمال لأبي بكر . واستشهد في اليرموك ، أو يوم مرج الصفر وعمره ٦٢ سنة . ينظر : الأعلام (٢٤٤/٤) .

● **عكرمة بن خالد** بن العاص بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومي . روى عن إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص، وسعيد بن جبير، وعبدالله بن عمر، والزهري، وأبي هريرة وغيرهم، وروى عنه أيوب السختياني، وحماد بن سلمة، وابن طاوس، والأوزاعي، ومعمل بن عبيد الله وخلق. وثقه يحيى بن معين، وأبو زرعة، والنسائي، وابن حبان، وابن سعد، والبخاري . وقال أبو زرعة: عكرمة بن خالد عن عثمان مرسل. قال ابن حجر: ثقة، مات بعد عطاء . ينظر : ط ابن سعد (٤٧٥/٥)، الجرح (٩/٧)، ثقات ابن حبان (٢٣١/٥)، السابق واللاحق (١٣٠)، تهذيب الكمال (٢٤٩/٢٠)، التهذيب (٢٥٨/٧)، التقريب (٣٩٦)، جامع التحصيل (٢٣٩).

● **علاء الدين المارديني = ابن التركماني**

● **علقمة بن قيس** بن عبدالله بن مالك النخعي، أبو شبل الكوفي (٦٢هـ - وقيل ٧٢هـ) . روى عن عمر، وعثمان، وعلي بن أبي طالب، وابن مسعود، وروى عنه إبراهيم النخعي، والشعبي، وابن سيرين وجماعة. ولد في حياة النبي ﷺ، وعداده في المخضرمين، وهو فقيه الكوفة، وعالمها ومقرئها، كان يشبهه بابن مسعود سمياً وهدياً. وثقه أحمد، وابن معين، وابن سعد والخلق. قال ابن حجر: ثقة ثبت فقيه عابد. ينظر : طبقات ابن سعد (٨٦/٦)، المعرفة (٥٥٢/٢)، الجرح (٤٠٤/٦)، تهذيب الكمال (٣٠٠/٢٠)، السير (٥٣/٤)، التهذيب (٢٧٦/٧)، التقريب (٣٩٧).

● **علي بن أبي طالب** بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي (٤٠هـ) . ابن عم رسول الله، وزوج ابنته، من السابقين الأولين ورجح جمع أنه أول من أسلم، وهو أحد العشرة، مات في رمضان سنة ٤٠هـ

وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض، بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون على الأرحح. ينظر: تاريخ بغداد (١/١٣٣)، تهذيب الكمال (٢٠/٤٧٢)، التجريد (١/٣٩٢) الإصابة (٤/٢٦٩)، التهذيب (٧/٣٣٤)، التقريب (٤٠٢).

● **علي بن أبي طلحة الوالي**، واسمه سالم بن المخارق الهاشمي، أبو الحسن مولى العباس بن عبد المطلب (١٤٣هـ). روى عن أبي الوداك الهمداني، وابن عباس مرسلًا بينهما مجاهد، ومجاهد بن جبر، وروى عنه حريز الرحبي، والحسن بن صالح، والثوري، ومعمّر بن راشد. قال أحمد: له أشياء منكرات، وقال أبو داود: هو إن شاء الله في الحديث مستقيم، ولكن له رأي سوء كان يرى السيف، وقال النسائي: ليس به بأس، وقال دحيم: لم يسمع من ابن عباس التفسير، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال روى عن ابن عباس الناسخ والمنسوخ ولم يره، ووثقه العجلي. قال ابن حجر: صدوق قد يخطئ. ينظر: طبقات ابن سعد (٧/٤٥٨)، سؤالات الآجري (٢/٢٦٥)، الجرح (٦/١٩١)، ثقات ابن حبان (٧/٣١١)، تهذيب الكمال (٢٠/٤٩٠)، الميزان (٣/١٣٤)، التهذيب (٧/٣٣٩)، التقريب (٤٠٢).

● **علي بن الجهم بن بدر**، أبو الحسن (ت ٢٤٩هـ). من بني سامة، من لؤي بن غالب. شاعر، رقيق الشعر، أديب، من أهل بغداد. كان معاصرًا لأبي تمام. له ديوان شعر. ينظر: الأعلام (٤/٢٦٩-٢٧٠).

● **عمران بن حصين بن عبيد بن خلف بن عبد نهم بن سالم بن غاضرة بن سلول بن حبشة بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي أبو نجيد** (٥٢هـ). أسلم هو وأبو هريرة عام خيبر روى عن النبي ﷺ وعن معقل بن يسار وعنه ابنه نجيد وعبدالله بن بريدة ومحمد بن سيرين والحسن وآخرون. ينظر: الإصابة (٤/٧٠٥)، التهذيب (٨/١١١)، التقريب (٤٢٩).

● **عمر بن إبراهيم العبدي البصري**، صاحب الهروي، صدوق في حديثه عن قتادة ضعف. من السابعة. ينظر: التقريب (٤١٠).

● **عمر بن أبي ربيعة المخزومي القرشي**، أبو الخطاب (٢٣-٩٣هـ). أرق شعراء عصره، من طبقة حرير والفرزدق. ولم يكن في قریش أشعر منه. ولد في الليلة التي توفي فيها عمر بن الخطاب، فسمي باسمه. ينظر: الأعلام (٥/٥٢).

● **عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى**، أبو حفص القرشي العدوي (٢٣هـ). أمير المؤمنين، صحابي مشهور، جم المناقب، استشهد في ذي الحجة وولي الخلافة عشر سنين ونصفًا، روى عن النبي، وأبي بكر، وأبي بن كعب، وروى عنه مولاه أسلم، وأنس بن مالك، والبراء بن عازب، وجابر

ابن عبدالله وابن سمره وخلق. ينظر : فضائل الصحابة لأحمد (١/٣٣٥، ٢٤٤)، الجرح (١٠٥/٦)، تهذيب الكمال (٣١٦/٢١)، التجريد (١/٣٩٧)، تذكرة الحفاظ (١/٥)، الإصابة (٢٧٩/٤)، التهذيب (٣٨٥/٧)، التقريب (٤١٢).

● **عمر (مولى غُفْرَة) :** عمر بن عبدالله المدني ، ضعيف كثير الإرسال ، من الخامسة . ينظر : التقريب (٤١٤) .

● **عمرو بن الإطنابة بن عامر بن زيد مناة الكعبي الخزرجي .** شاعر جاهلي فارس . كان أشرف الخزرج . اشتهر بنسبته إلى أمه ( الإطنابة ) بنت شهاب من بني القين . وفي الرواة من يعده من ملوك العرب في الجاهلية . ينظر : الأعلام (٨٠/٥) .

● **عمرو بن دينار المكي أبو محمد الأثرم الجمحي** مولا هم أحد الأعلام (١٢٦هـ) . روى عن ابن عباس وابن الزبير وابن عمر وابن عمرو بن العاص وأبي هريرة وجابر بن عبدالله . وقال الحميدي وغيره عن سفيان : قلت لمسعر : من رأيت أشد إتقاناً للحديث ؟ قال : عمرو بن دينار والقاسم بن عبدالرحمن . وقال إسحاق بن إسماعيل عن سفيان : قالوا لعطاء : بمن تأمرنا ؟ قال : بعمرو بن دينار . وقال عبدالرحمن بن الحكم عن ابن عيينة : ثنا عمرو بن دينار وكان ثقة ثقة وحديث أسمع من عمرو أحب إلي من عشرين حديثاً من غيره . وقال ابن حجر : ثقة ثبت . ينظر : تهذيب الكمال (٥/٢٢) ، تهذيب التهذيب (٢٦/٨) ، التقريب (٤٢١) .

● **عمرو بن قيس الملائي أبو عبدالله الكوفي ( بضع و ١٤٠هـ )** . روى عن أبي إسحاق السبيعي وعكرمة والمنهال بن عمرو والحكم بن عتيبة وعاصم بن أبي النجود وعون بن جحيفة وعدة . وروى عنه إسماعيل بن أبي خالد وهو أكبر منه والثوري وإسماعيل بن زكرياء وغيرهم . قال ابن حجر : ثقة متقن عابد . ينظر : تهذيب الكمال (٢٢/٢٠٠) ، سير أعلام النبلاء (٦/٢٥٠) ، تهذيب التهذيب (٨١/٨) ، تقريب التهذيب (٤٢٦) .

● **عمرو بن معد يكرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي .** فارس اليماني ، وصاحب الغارات المذكورة . وفد على المدينة سنة تسع في عشرة من بني زيد ، فأسلم وأسلموا ، وعادوا . ولما توفي النبي صلى الله عليه وسلم ارتد عمرو في اليمن ، ثم رجع إلى الإسلام ، فبعثه أبو بكر إلى الشام ، فشهد اليرموك ، وذهبت فيها إحدى عينيه ، وبعثه عمر إلى العراق ، فشهد القادسية . ينظر : الأعلام (٨٦/٥) .

● **عمرو بن ميمون بن مهران الجزري أبو عبدالله وأبو عبدالرحمن** سبط سعيد بن جبيرة (١٤٧هـ) . روى عن أبيه وسليمان بن يسار والشعبي وأبي قلابة ونافع مولى ابن عمر ومكحول وعمربن عبدالعزيز والحسن البصري والزهري وغيرهم . وعنه ابنه عبدالله وابن أخيه بزيع الرقي ومحمد بن

إسحاق وهو من أقرانه والثوري وزهير بن معاوية وابن المبارك وآخرون. قال الميموني : قال لي أحمد : جدك عمرو بن ميمون ليس به بأس . وقال ابن معين: ثقة . وقال ابن خراش: شيخ صدوق . وقال ابن سعد : كان ثقة إن شاء الله تعالى. قال ابن حجر: ثقة فاضل. ينظر : ثقات ابن حبان ( ٢٢٤/٧ )، تهذيب التهذيب ( ٩٥/٨ )، تقريب التهذيب ( ٤٢٧ ) .

● **عمير بن هانئ** العنسي الداراني ، أبو الوليد (ت ١٢٧هـ) . تابعي ، من رجال الدولة الأموية . استنابه الحجاج على الكوفة ، وولي خراج دمشق لعمر بن عبد العزيز . ينظر : الأعلام (٨٩/٥) .

● **عياض بن همار** : التميمي المجاشعي ، صحابي سكن البصرة وعاش إلى حدود الخمسين . ينظر : التقريب ( ٤٣٧ ) .

● **عُيَينة بن حصن الفزاري** أبو مالك . أسلم بعد الفتح ، وشهد الفتح مسلماً ، وشهد حنيناً أو الطائف . وكان من المؤلفة قلوبهم ، ومن الأعراب الجفافة . وكان ممن ارتد وتبع طليحة الأسدي، وقتل معه . فأخذ أسيراً ، وحمل إلى أبي بكر رضي الله عنه ... فأسلم ، فأطلقه أبو بكر . وهو عم الحر بن قيس . ينظر : أسد الغابة (٣١/٤) .

● **الغزالي** : محمد بن محمد بن محمد الطوسي ، أبو حامد الطوسي الشافعي ، زين الدين الغزالي (٤٥٠-٥٠٥هـ) . الشيخ الإمام البحر ، حجة الإسلام ، أعجوبة الزمان ، صاحب التصانيف، والذكاء المفرط . غلا في طريقه التصوف ، وألف مصنفات مشهورة ، أخذ عليه منها مواضع ، ثم كان خاتمة أمره إقبالاً على الحديث وأهله ومطالعة الصحيحين . من مؤلفاته : " الإحياء " ، و " التهافت " كتاب في ذم الفلاسفة . رحمه الله تعالى . ينظر : السير (٣٢٢/١٩) - ط السبكي (١٩١/٦) .

● **غلام ثعلب** : محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم ، أبو عمر الزاهد المطرز البارودي (٢٦١-٣٤٥هـ) . أحد أئمة اللغة ، الكثيرين من التصنيف . كانت صناعته تطريز الثياب . صحب ثعلباً النحوياً زماناً حتى لقب " غلام ثعلب " وتوفي ببغداد . أملى من حفظه في اللغة نحو ثلاثين ألف ورقة . من كتبه : الياقوتة - رسالة في غريب القرآن . ينظر : معجم المفسرين (٥٦٧/٢) ، الأعلام (٢٥٤/٦) .

● **الفارسي = أبو علي الفارسي**

● **الفراء** : يحيى بن زياد بن عبد الله الأسدي مولاهم أبو زكريا ، الكوفي النحوياً (٢٠٧هـ) . العلامة ، صاحب الكسائي ، كان ثقة . قال ثعلب : لولا الفراء لما كانت عربية ، ولسقطت ،

لأنه خلصها ، ولأنها كانت تُتنازع ويدعيها كل أحد . له تصانيف منها : " معاني القرآن " .  
ينظر : إنباه الرواة (٧/٤) - معجم الأدباء (٩/٢٠) - السير (١١٨/١٠) .

● **الفرزدق** : همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي ، أبو فراس ، الشهير بالفرزدق ( ت ١١٠هـ) . شاعر من النبلاء . من أهل البصرة . عظيم الأثر في اللغة ، كان يقال : لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب ، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس . وهو صاحب الأخبار مع جرير والأخطل ، ومهاجاته لهما أشهر من أن تذكر . ولقب بالفرزدق ، لجهامة وجهه وغلظه . ينظر : الأعلام (٩٣/٨) .

● **الفضيل بن عياض** بن مسعود التميمي ، أبو علي الزاهد المشهور ، أصله من خراسان ، وسكن مكة (١٨٧هـ) . حدث عن منصور ، والأعمش ، وليث ، وعطاء بن السائب ، وحميد الطويل وخلق سواهم ، وعنه ابن المبارك ، ويحيى القطان ، وابن مهدي ، وابن عيينة ، والأصمعي وخلق كثير . قلت : ثقة إمام بالاتفاق . قال الذهبي : الإمام القدوة الثقة ، شيخ الإسلام ، وقال ابن حجر : ثقة عابد إمام . ينظر : الحلية (٨٤/٨) ، تهذيب الكمال (٢٨١/٢٣) ، السير (٤٢١/٨) ، الميزان (٣٦١/٣) ، التهذيب (٢٩٤/٨) ، التقريب (٤٤٨) .

● **القاسم بن أبي بزّة** نافع بن يسار المكي ، أبو عبد الله القارئ مولى عبد الله بن السائب المخزومي . روى عن سعيد بن جبير ، وعروة بن عامر ، وعطاء بن يسار وغيرهم ، وعنه حجاج ابن أرطاة ، وشعبة بن الحجاج ، وابن جريج ، ومسعر بن كدام وخلق . وثقه ابن معين ، والعجلي ، والنسائي ، وابن سعد ، وذكره ابن حبان في الثقات . قال ابن حجر : ثقة . ينظر : طبقات ابن سعد (٤٧٩/٥) ، المعرفة (١٥٤/٢) ، (٧٣/٣) ، ثقات ابن حبان ، تهذيب الكمال (٣٣٨/٢٣) ، التهذيب (٣١٠/٨) ، التقريب (٤٤٩) .

● **القاسم بن مخيمرة** الهمداني ، أبو عروة ( ت ١٠٠هـ) . معلم ، من رجال الحديث . ولد ونشأ في الكوفة . وكان يعيش من تجارة له . وانتقل إلى الشام مرابطاً ، فمات فيها . ينظر : الأعلام (١٨٥/٥) .

● **القاضي أبو يعلى** : أحمد بن علي بن المثني (٢١٠-٣٠٧هـ) الإمام الحافظ ، شيخ الإسلام ، محدث الموصل ، وصاحب المسند والمعجم . سمع من : ابن المديني ، وابن معين ، وابن نمير وابن الجعد ، وخلق كثير سواهم . وعنه : النسائي ، وابن حبان ، والطبراني ، وابن عدي ، وخلق كثير . قال الدارقطني ، والحاكم : ثقة مأمون . ينظر : السير (١٧٤/١٤) - التذكرة (٧٠٧/٢) .

- **القاضي الجبائي** : محمد بن عبد الوهاب بن سلام ، أبو علي (٢٣٥-٣٠٣هـ) . من أئمة المعتزلة . ورئيس علماء الكلام في عصره . وإليه نسبة الطائفة الجبائية . له مقالات وآراء انفرد بها في المذهب . ينظر : الأعلام (٢٥٦/٦) .
- **قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي**، أبو الخطاب البصري الضريع الأكمه (١١٨هـ) . روى عن أنس بن مالك، وابن المسيب، وأبي العالية، وعكرمة، وعطاء ابن أبي رباح وخلق كثير، وعنه أيوب السختياني، وابن أبي عروبة، والأوزاعي وشعبة وأمم سواهم . قال الذهبي: وهو حجة بالإجماع إذا بين السماع، فإنه مدلس معروف بذلك وكان يرى القدر نسأل الله العفو، ومع هذا فما توقف أحد في صدقه وعدالته وحفظه . وقال ابن حجر: ثقة ثبت . ينظر : طبقات ابن سعد (٢٢٩/٧)، الجرح (١٣٣/٧)، تهذيب الكمال (٤٩٨/٢٣)، السير (٢٦٩/٥)، الميزان (٣٨٥/٣)، التهذيب (٣٥١/٨)، التقريب (٤٥٣) .
- **القرطبي** : محمد بن أحمد القرطبي الأندلسي المالكي (٦٧١هـ) . من كبار المفسرين ، محدث ، صالح متعبد . ينظر : شذرات الذهب (٣٣٥/٥) ، معجم المفسرين (٤٧٩/٢) .
- **القشيري** : عبدالكريم بن هوازن بن عبد الملك النيسابوري القشيري (٣٧٦-٤٦٥هـ) ، أبو القاسم ، زين الإسلام ، عالم بالفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر والكتابة وعلم التصوف . من آثاره "التيسير في التفسير" و"لطائف الإشارات" وهو تفسير صوفي كامل للقرآن الكريم . ينظر : طبقات المفسرين للداوودي (٣٤٤/١) ، معجم المفسرين (٢٩٩/١) .
- **قطرب** : محمد بن المستنير ، أبو علي النحوي اللغوي (٢٠٦هـ) . أخذ عن : سيبويه ، وغيره من البصريين . لقبه سيبويه قُطْرِباً لمباكرته له في الأسفار . له من الكتب المصنفة : " معاني القرآن " و " الاشتقاق " و " النوادر " وغيرها كثير . ينظر : إنباه الرواة (٢١٩/٣) .
- **القُمِّي** : الحسن بن محمد بن حسين القُمِّي النيسابوري ، نظام الدين (بعد ٨٥٠هـ) مفسر ، من كبار علماء الشيعة الإمامية في عصره . ينظر : معجم المفسرين (١٤٥/١) .
- **القنوجي** : محمد صديق خان بن حسن بن علي البخاري القنوجي الهندي (١٢٤٨-١٣٠٧هـ) ، المحدث المفسر الأصولي . من رجال الإصلاح الإسلامي وسيد علماء الهند ، بلغت مؤلفاته اثنين وعشرين ومئتين بالعربية والهندية . ينظر : حلية البشر (٧٣٨/٢) ، ومعجم المفسرين (٥٣٩/٢) ، الأعلام (١٦٧/٦) .
- **قيس بن أبي حازم البجلي** ، أبو عبدالله الكوفي (٩٠هـ قبلها أو بعدها)، ثقة ، من الثانية ، مخضرم ، ويقال : له رؤية وهو الذي يقال : إنه اجتمع له أن يروي عن العشرة ، وقد جاوز المائة وتغيّر . ينظر : التقريب (٤٥٦) .

- **قيس بن عباد الضبعي**، أبو عبد الله البصري (بعد ٨٠هـ). روى عن عمر و علي و عمار و أبي ذر و عبد الله بن سلام و سعد بن أبي وقاص و أبي بن كعب و غيرهم. روى عنه ابنه عبد الله و صهره عبد الله بن مطر و ابن ابنه النضرة بن عبد الله بن مطر و الحسن و ابن سيرين و أبو نضرة العبدي و غيرهم. قال ابن سعد: ثقة قليل الحديث . وقال العجلي: ثقة . قال ابن حجر: ثقة مخضرم و وهم من عده في الصحابة . ينظر : ثقات ابن حبان ( ٣٠٨/٥ ) ، تهذيب التهذيب ( ٣٥٧/٨ ) ، تقريب التهذيب ( ٤٥٧ ) .
- **قيس بن عباد = قيس بن عباد** . قد يكون الذي قبله ، و ينظر : المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري ( ٤٧٠/٢ ) .
- **كثير عزة** : كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي ، أبو صخر ، يعرف بكثير عزة ( ١٠٧هـ ) شاعر متيم مشهور من أهل المدينة ، أكثر إقامته بمصر ، وفد على عبد الملك بن مروان فاخص به و ببني مروان يعظمونه و يكرمونه ، وكان مفطر القصر دميماً في نفسه شام و ترفع . قال المرزباني : كان شاعر أهل الحجاز في الإسلام ، لا يقدمون عليه أحداً و في المؤرخين من يذكر أنه من غلاة الشيعة . له ديوان شعر مطبوع ، وهو من فحول الشعراء ، و بعضهم يقدمه على الفرزدق و الكبار . ينظر : وفيات الأعيان ( ١٠٦/٤ ) ، السير ( ١٥٢/٥ ) ، الشذرات ( ١٣١/١ ) ، الأعلام ( ٢١٩/٥ ) .
- **الكرماني** : محمود بن حمزة بن نصر الكرماني ، برهان الدين أبو القاسم ( بعد ٥٠٠هـ ) ، عالم بالقراءات ، نحوي ، مفسر . ينظر : طبقات المفسرين للداوودي ( ٣١٢/٢ ) ، معجم المفسرين ( ٦٦٢ /٢ ) .
- **الكسائي** : علي بن حمزة بن عبد الله ، أبو الحسن الأسدي ، مولاهم الكوفي ( ١٨٩هـ — ) . الإمام ، شيخ القراءة و العربية ، حدث عن : الأعمش ، و غيره . و أخذ القراءة عن حمزة الزيات ، و ابن أبي ليلى ، و الأعمش ، و غيرهم و جالس في النحو الخليل . قال الشافعي : من أراد أن يتبحر في النحو ، فهو عيال على الكسائي . روى عنه القراءات : أبو عمر الدوري ، و خلف بن هشام ، و غيرهما . ينظر : إنباه الرواة ( ٢٥٦/٢ ) — معجم الأدباء ( ١٦٧/١٣ ) — السير ( ١٣١/٩ ) — معرفة القراء ( ١٠٠/١ ) — التهذيب ( ٢٧٥/٧ ) .
- **كعب الأحبار** : كعب بن ماته الحميري ، أبو إسحاق المعروف بكعب الأحبار ، من مسلمة أهل الكتاب ( ٣٤هـ ) . أدرك النبي > ، و أسلم في خلافة أبي بكر ، روى عن النبي > مرسلًا ، و عن عمر ، و عائشة ، و صهيب الرومي ، روى عنه أسلم مولى عمر ، و خالد بن معدان ، و ابن المسيب ، و عبد الله بن عباس ، و عبد الله بن عمر . قال أبو الدرداء : إن عند ابن الحميرية لعلمًا

كثيراً ، وقال معاوية : إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين عن أهل الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب . عُمر قرابة مائة سنة . قال ابن حجر : ثقة مخضرم . ينظر : طبقات ابن سعد (٤٤٥/٧) ، الجرح (١٦١/٧) ، ثقات ابن حبان (٣٣٣/٥) ، الحلية (٣٦٤/٥) ، تهذيب الكمال (١٨٩/٢٤) ، التهذيب (٤٣٨/٨) ، التقريب (٤٦١) .

● **كعب بن عُجْرَة** بن أمية بن عدي البلوي الأنصاري المدني (بعد ٥٠هـ) . حليف الأنصار ، صحابي ، يكنى أبا محمد . شهد المشاهد كلها . وفيه نزلت الآية : ﴿ فَذَرِيَّةٌ مِّنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ البقرة : ١٩٦ . توفي بالمدينة ، عن نحو ٧٥ سنة . له ٤٧ حديثاً . ينظر : التقريب (٤٦١) ، الأعلام (٢٢٧/٥) .

● **كعب بن مالك** بن أبي كعب الأنصاري السلمي المدني . شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه ، وأحد الثلاثة الذين خُلفوا ، فتاب الله عليهم . روى عنه : بنوه : عبد الله ، وعبيد الله ، وعبد الرحمن ، ومحمد ، ومعبد ، بنو كلب ، وجابر ، وابن عباس ، وحفيده عبد الرحمن بن عبد الله ، وآخرون . قال في التقريب (٤٦١) : صحابي مشهور ، وهو أحد الثلاثة الذين خُلفوا ، مات في خلافة علي . ينظر : تهذيب الكمال (١٩٣/٢٤) - السير (٥٢٣/٢) - التهذيب (٣٩٤/٨) - الإصابة (٢٨٥/٣) .

● **الكلبي** : محمد بن السائب بن بشر أبو النضر (١٤٦هـ) . العلامة الإخباري ، المفسر ، كان رأساً في الأنساب . إلا أنه شيعي متروك الحديث . يروي عن : أبي صالح ، وجريز ، والفرزدق ، وجماعة . ويروي عنه : ولده هشام ، وطائفة . قال في التقريب (٤٧٩) : النسابة المفسر ، متهم بالكذب ورمي بالرفض . ينظر : تهذيب الكمال (٢٤٦/٢٥) - السير (٢٤٨/٦) - الميزان (٥٥٦/٣) - التهذيب (١٥٧/٩) .

● **كلثوم بن جَبْر البصري** (١٣٠هـ) ، صدوق يخطئ ، من الرابعة . ينظر : التقريب (٤٦٢) .

● **الكميت بن زيد بن خنيس الأسدي أبو المستهل** (٦٠-١٢٦هـ) ، شاعر الهاشميين ، من أهل الكوفة . ينظر : الأعلام (٢٣٣/٥) .

● **ليبيد بن ربيعة العامري** (٤١هـ) . أبو عقيل ، الشاعر المشهور ، قال المرزباني في معجمه : كان فارساً شجاعاً شاعراً سخياً قال الشعر في الجاهلية دهرًا ثم أسلم ولما كتب عمر إلى عامله بالكوفة سل ليبيدًا والأغلب العجلي ما أحدثا من الشعر في الإسلام ؟ فقال ليبيد : أبدلني الله بالشعر سورة البقرة وآل عمران ، فزاد عمر في عطائه . ولما أسلم رجع إلى بلاد قومه ثم نزل الكوفة حتى مات . قال الأويسي : حدثنا مالك قال : عاش ليبيد بن ربيعة مائة وستين سنة .

- قلت : والحاصل أن عداده في الصحابة الذين أدركوا زمن النبي > وآمنوا به ، قال الذهبي : أسلم وحسن إسلامه ولم يتل شعراً منذ أسلم . ينظر : التجريد (٣٨/٢) ، الإصابة (٤/٦) .
- **مالك بن أنس** بن مالك الحميري ثم الأصبحي المدني، إمام دار الهجرة وحجة الأمة، وشيخ الإسلام، أبو عبد الله الفقيه (١٧٩هـ). روى عن أيوب السخيتي، وحميد الطويل، وزيد بن أسلم، ومحمد بن عمرو بن علقمة، وخلق لا يحصون كثرة، وعنه معمر، وابن جريح، والأوزاعي، وشعبة، والثوري، وابن علية، وابن عيينة وغيرهم. ثقة وفوق ثقة، قال الشافعي إذا ذكر العلماء فمالك النجم. قال ابن حجر: إمام دار الهجرة، رأس المتقين، وكبير المثبتين، حتى قال البخاري أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر. ينظر : الحلية (٣١٦/٦)، تهذيب الكمال (٩١/٢٧)، الديباج المذهب (٥٥/١)، تذكرة الحفاظ (٢٠٧/١)، السير (٤٨/٨)، التقريب (٥١٦).
  - **مالك بن دينار** (١٣٠هـ) علم العلماء الأبرار، معدود في ثقات التابعين، ومن أعيان كتبة المصاحف كان من ذلك بلغته. سمع أنس بن مالك، والأحنف بن قيس، والحسن البصري، وابن سيرين وعدة، وحدث عنه سعيد بن أبي عروبة، وعبد الله بن شوذب، وليس هو من أساطين الرواية. وثقه النسائي وغيره، واستشهد به البخاري، وحدثه في درجة الحسن، وهو صاحب تلك الموعظة المشهورة للمهلب بن أبي صفرة لما رآه متبخرًا. وكان ينسخ المصحف في أربعة أشهر، فيدع أجرته عند البقال فيأكله، فكان هذا كسبه. قال ابن حجر: صدوق عابد. ينظر : طبقات ابن سعد (٢٤٣/٧)، الجرح (٢٠٨/٨)، تهذيب الكمال (١٣٥/٢٧)، السير (٣٦٢/٥)، التقريب (٥١٧).
  - **الماوردي** : علي بن محمد بن حبيب البصري ، أبو الحسن الماوردي ، الشافعي (٤٥٠هـ) الإمام العلامة ، أفضى القضاة ، صاحب التصانيف ، ومنها : " الحاوي " من طالعه شهد له بالتبحر ومعرفة المذهب ، و " الأحكام السلطانية " و " أدب الدنيا والدين " . حدّث عنه الخطيب ووثقته . وقال ابن الصلاح : هو متهم بالاعتزال . ينظر : ت بغداد (١٠٢/١٢) - وفيات الأعيان (٢٨٢/٣) - السير (٦٤/١٨) .
  - **المبرد** : محمد بن يزيد بن عبد الأكبر ، أبو العباس المبرد الأزدي ، البصري ، النحوي ، الأخباري (٢٨٦هـ) . إمام النحو ، صاحب " الكامل " . أخذ عن : أبي عثمان المازني ، وأبي حاتم السجستاني . وعنه : أبو بكر الخرائطي ، ونفطويه ، وعدة . له من التصانيف : " الاشتقاق " و " معاني القرآن " وغيرها . ينظر : إنباه الرواة (٢٤١/٣) - معجم الأدباء (١١١/١٩) - السير (٥٧٦/١٣).
  - **المتبي** : أحمد بن حسين بن حسن الجعفي الكوفي ، الشهير بأبي الطيب المتبي (٣٥٤هـ) . شاعر الزمان ، كان من أذكى عصره ، وبلغ الذروة في النظم ، وأربى على المتقدمين وسار

ديوانه في الآفاق ومدح سيف الدولة ، وكافور صاحب مصر ، وعضد الدولة ملك فارس والعراق فنال بالشعر مالا جزيلا ، وتنبأ ثم تاب ، وكان مع ذلك يبخل ، وفيه عجب بنفسه كثير البأ والتيه ، فمقت لذلك ، قتل هو وولده وفتاه في رمضان ، وله أبيات فائقة ، يضرب بها المثل . ينظر : تاريخ بغداد (١٠٢/٤) ، وفيات الأعيان (١٢٠/١) ، تهذيب الأسماء واللغات (٢٨٥/٢) ، السير (١٩٩/١٦) ، لسان الميزان (١٥٩/١) .

● **المتوكل** : جعفر بن المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور ، أبو الفضل المتوكل على الله ، الخليفة العباسي (٢٠٧-٢٤٧هـ) ، بويح له بالخلافة بعد أخيه الواثق سنة (٢٣٢هـ) . كان محبباً إلى رعيته ، قائماً بالسنة فيهم . وهو أظهر السنة بعد البدعة ، وأخذ بدعة القول بخلق القرآن بعد انتشارها واشتهارها ، فرحمه الله . ينظر : السير (٣٠/١٢) ، البداية والنهاية (٤٥١/١٤) .

● **مجاهد بن جبر** أبو الحجاج المكي ، الأسود مولى بني مخزوم (١٠٢هـ) . روى عن ابن عباس ، فأكثر وأطاب ، وأبي هريرة ، وعائشة ، وجابر بن عبد الله وعدة ، وعنه عكرمة ، وطاووس ، وعطاء ، وأيوب ، وابن عون ، وقتادة وخلق كثير . قال ابن معين ، وطائفة : ثقة . قال ابن حجر : ثقة إمام في التفسير والعلم . ينظر : طبقات ابن سعد (٤٦٦/٥) ، تهذيب الكمال (٢٢٨/٢٧) ، تذكرة الحفاظ (٨٦/١) ، السير (٤٤٩/٤) ، الشذرات (١٢٥/١) ، التقريب (٦٤٨١) .

● **محمد بن الحنفية** : محمد بن علي بن أبي طالب ، الهاشمي القرشي ، أبو القاسم المعروف بابن الحنفية (٢١-٨١هـ) . أحد الأبطال الأشداء في صدر الإسلام . وهو أخو الحسن والحسين ، غير أن أمهما فاطمة الزهراء ، وأمهم خولة بنت جعفر الحنفية . ينسب إليها تمييزاً عنهما . كان واسع العلم ، ورعاً ، أسود اللون . وأخبار قوته وشجاعته كثيرة . ينظر : الأعلام (٢٧٠/٦) .

● **محمد بن قيس بن مخزوم** بن المطلب المطلي ، يقال : له رؤية . وقد وثقه أبو داود وغيره . ينظر : التقريب (٥٠٣) .

● **محمد بن كعب بن سليم** ، أبو حمزة ، وقيل : أبو عبد الله القرظي المدني (١٢٠هـ) . حدث عن أبي أيوب الأنصاري ، وأبي هريرة ، ومعاوية ، وابن عباس وغيرهم ، وعنه الحكم بن عتيبة ، وعاصم بن كليب ، وابن عجلان وخلق كثير . قال ابن سعد : كان ثقة عالماً كثير الحديث ورعاً ووثقه ابن المديني وأبو زرعة والعجلي وغيرهم . قال الذهبي : الإمام العلامة الصادق ، وهو يرسل كثيراً . قال ابن حجر : ثقة عالم . ينظر : المعرفة (٥٦٣/١) ، الجرح (٦٧/٨) ، الحلية (٢١٢/٣) ، تهذيب الكمال (٣٤٠/٢٦) ، السير (٦٥/٥) ، التهذيب (٤٢٠/٩) ، التقريب (٥٠٤) .

● **محمد بن المنكدر** بن عبد الله ، أبو عبد الله القرشي التيمي المدني (١٣٠هـ) . شيخ الإسلام ، أحد الأئمة الأعلام روى عن : جابر ، وأنس ، وابن الزبير ، وابن عباس ، وغيرهم . وعنه :

السفيانان ، وأيوب ، وشعبة ، وابناه : يوسف ، والمنكدر ، وآخرون . قال ابن معين ، وأبو حاتم ، والعجلي : ثقة . وذكره ابن حبان في الثقات (٣٥٠/٥) . وقال : كان من سادات القراء . قال في التقريب (٥٠٨) : ثقة فاضل . ينظر : ط ابن سعد (١٧٣/٩) - ت الدوري (٥٤٠/٢) - ت الدارمي (٢٠٣) - ثقات العجلي (٢٥٥/٢) - الجرح (٩٧/٨) - تهذيب الكمال (٥٠٣/٢٦) - السير (٣٥٣/٥) - التهذيب (٤١٧/٩) .

● محمد بن يزيد = المبرد

- **محمود النيسابوري** : ابن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري الغزنوي (٥٥٣هـ) ، نجم الدين الملقب بـ "بيان الحق" . عالم ، مفسر ، لغوي ، فقيه . ينظر : معجم الأدباء (١٢٤/١٩) ، بغية الوعاة (٢٧٧/٢) ، طبقات المفسرين للداوودي (٣١١/٢) .
- **مُخَيَّرِيقُ** النضري ، صحابي . كان من علماء اليهود وأغنيائهم . أسلم وأوصى بأمواله للنبي صلى الله عليه وسلم . وفي الحديث : ( مُخَيَّرِيقُ سَابِقُ يَهُودٍ ، وَسَلْمَانُ سَابِقُ فَارِسٍ ، وَبِلَالُ سَابِقُ الْحَبَشَةِ ) . واستشهد بأحد . ينظر : الأعلام (١٩٤/٧) .
- **مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية** ، أبو عبد الملك الأموي ، المدني (٦٥هـ) ، ولي الخلافة في آخر سنة أربع وستين ، لا تثبت له صحبة . ينظر : التقريب (٥٢٥) .
- **مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري** (٢٦١هـ) ، ثقة حافظ إمام مصنف عالم بالفقه . ينظر : التقريب (٥٢٩) .
- **معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية الأموي أبو عبد الرحمن** (٦٠هـ) . الخليفة صحابي أسلم قبل الفتح وكتب الوحي ومات في رجب سنة ستين وقد قارب الثمانين ولد قبل البعثة بخمس سنين وقيل بسبع وقيل بثلاث عشرة والأول أشهر . وحكى الواقدي أنه أسلم بعد الحديبية وكنم إسلامه حتى أظهره عام الفتح فإنه كان في عمرة القضاء مسلماً وهذا يعارضه ما ثبت في الصحيح عن سعد بن أبي وقاص أنه قال في العمرة في أشهر الحج فعلناها وهذا يومئذ كافر . ينظر : التقريب (٥٣٧) ، الإصابة (١٥١/٦) .
- **مَعْنُ بن عَدِيّ بن الجَدِّ بن العجلان البلويّ** ، حليف بني عمرو بن عوف ، أخو عاصم بن عدي . شهد العقبة وبدراً وأحدًا والخندق ، وسائر المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ . قتل يوم اليمامة في خلافة أبي بكر . ينظر : أسد الغابة (٤٦٢/٤) .
- **المغيرة بن شعبة بن مسعود بن معتب الثقفي صحابي مشهور** (٥٠هـ) . أسلم قبل الحديبية وولي إمرة البصرة ثم الكوفة . ينظر : الإصابة (١٩٧/٦) ، التقريب (٥٤٣) .

- **مقاتل بن سليمان** بن بشير الأزدي الخراساني ، أبو الحسن البلخي نزيل مرو (بعد ١٥٠هـ). يروي عن مجاهد ، والضحاك ، وابن سيرين ، والزهري وغيرهم ، وعنه بقية وعبد الرزاق ، وشبابة . قال ابن المبارك : ما أحسن تفسيره لو كان ثقة ، قال البخاري : مقاتل لاشئ البتة . قال الذهبي : أجمعوا على تركه ، وضعفه بين . ينظر : طبقات ابن سعد (٢٨٠/٧) ، التاريخ الكبير (٢٤٤/٤) ، تاريخ بغداد (٢٥٥/٩) ، تهذيب الكمال (٤٣٤/٢٨) ، السير (٢٠١/٧) ، التقريب (٥٤٥).
- **مقاتل بن حيان** البلخي (١٥٠هـ) ، مفسر ، حافظ للحديث ، مؤرخ ، عالم خراسان . ينظر : معجم المفسرين (٦٨٢/٢) .
- **المقري** : أحمد بن محمد المقري (١٠٤١هـ) ، مؤرخ ، صاحب كتاب "نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب" ، كان أشعرياً . ينظر : اكتفاء القنوع بما هو مطبوع (٣٦٥) .
- **مقسّم بن بكرة** (١٠١هـ) ، إمام ، محدث ، يقال : إن له صحة . ينظر : الكاشف (٢٩٠/٢) ، الإصابة (٢٠٤/٦) .
- **مكحول الشامي** أبو عبدالله الدمشقي الفقيه (١١٢هـ) . روى عن النبي > مرسلًا ، وأنس ، وثوبان ، وابن المسيب ، ومسروق وغيرهم ، وعنه برد بن سنان الشامي ، ومحمد بن إسحاق ، والزهري ، والهيثم بن حميد الغساني وآخرون . قال الترمذي : سمع من وائلة ، وأنس ، وأبي هند الداري ويقال إنه لم يسمع من أحد من أصحاب النبي إلا من هؤلاء الثلاثة . قال العجلي : تابعي ، ثقة ، وقال أبو حاتم : ما أعلم بالشام أفقه منه ، قال ابن حجر : ثقة فقيه كثير الإرسال ، مشهور . ومكحول عن عمر مرسل قاله العلائي في جامع التحصيل (٢٨٥) . ينظر : طبقات ابن سعد (٤٥٣/٧) ، سنن الترمذي (٢٥٠٦) ، ثقات العجلي (٢٩٦/٢) ، تهذيب الكمال (٤٦٤/٢٨) ، السير (١٥٥/٥) ، التقريب (٥٤٥) .
- **مكي بن أبي طالب** حموش بن محمد بن مختار الأندلسي القيسي ، أبو محمد (٣٥٥-٤٣٧هـ) . مقرر . عالم بالتفسير والعربية . من أهل القيروان . له كتب كثيرة منها : مشكل إعراب القرآن - الكشف عن وجوه القراءات . ينظر : الأعلام (٢٨٦/٧) .
- **منصور بن المعتز** بن عبدالله بن ربيعة السلمى أبو عتاب الكوفي . (١٣٢هـ) . روى عن ربعي بن حراش والحسن والشعبي والزهري وسعيد بن جبير ومجاهد وخلق . وعنه أبو حنيفة والأعمش وأيوب وإسرائيل وحماد بن زيد وشعبة وخلق . قال ابن مهدي : لم يكن بالكوفة أحفظ منه . وقال ابن معين : من أثبت الناس . وقال العجلي : كان أثبت أهل الكوفة وكان حديثه القدح لا يختلف فيه أحد رجل صالح متعبد أكره على القضاء بالكوفة فقضى عليها شهرين وروى من

الحديث أقل من ألفين وكان فيه تشيع قليل، قال ابن حجر: ثقة ثبت وكان لا يدلّس، من طبقة الأعمش. ينظر: تهذيب التهذيب (٢٧٧/١٠)، تقريب التهذيب (٥٤٧)، طبقات الحفاظ (١٠).

● **المنهال بن عمرو الأسدي** مولاهم الكوفي. روى عن أنس إن كان محفوظاً، وزر بن حبيش، وسعيد ابن جبير، وقيس بن السكن، ومجاهد وغيرهم، وروى عنه الحجاج بن أرطاة، والأعمش، وشعبة، وعمرو الملائي، والكلبي وخلق. قال أحمد: ترك شعبة المنهال على عمد، قال ابن أبي حاتم: لأنه سمع من داره صوت قراءة بالتطريب، ووثقه ابن معين، والنسائي، والعجلي، وقال الدارقطني: صدوق، وذكره ابن حبان في الثقات. قال ابن حجر: صدوق ربما وهم. ينظر: الجرح (٣٥٦/٨)، تهذيب الكمال (٥٦٨/٢٨)، السير (١٨٤/٥)، الميزان (١٩٢/٤)، التقريب (٥٤٧)، هدي الساري (٦٢٢).

● **مورّق العجلي**: ابن مُشَمَّرَج بن عبد الله العجلي أبو المعتمر البصري، ويقال: الكوفي (بعد ١٠٠هـ)، عن عمر وسلمان. وعنه قتادة وحמיד. ثقة، عابد، مجاهد، بارع، من كبار الثالثة. ينظر: الكاشف (٣٠٠/٢)، التهذيب (٢٩٥/١٠)، التقريب (٥٤٩).

● **المؤرج بن عمرو بن الحارث**، من بني سدوس بن شيبان، أبو فيد (ت ١٩٥هـ). عالم بالعربية والأنساب. من أعيان أصحاب الخليل بن أحمد. من أهل البصرة. كان له اتصال بالمأمون العباسي. من كتبه: جماهير القبائل - غريب القرآن. ينظر: الأعلام (٣١٨/٧).

● **ميمون بن مهران الرقي** (١١٨هـ)، إمام، حجة، عالم، ثقة. ينظر: حلية الأولياء (٨٢/٤)، السير (٧١/٥).

● **نابغة ذيبان**: زياد بن معاوية بن ضباب الذيباني الغطفاني المضري، أبو أمامة. شاعر جاهلي من الطبقة الأولى. من أهل الحجاز. كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها. وهو أحد الأشراف في الجاهلية. وكان أحسن شعراء العرب ديباجة، لا تكلف في شعره ولا حشو. ينظر: الأعلام (٥٤-٥٥/٣).

● **ناجية بن كعب الأسدي**، أبو خفاف الكوفي. روى عن عبد الله بن مسعود، وعلي بن أبي طالب، وعمار بن ياسر، وعنه وائل بن داود، وأبو إسحاق السبيعي، وابنه يونس، وأبو حسان الأعرج وغيرهم. قال ابن معين: صالح، وقال أبو حاتم: شيخ. قال ابن حجر: ثقة، قال الذهبي: توقف ابن حبان في توثيقه وقواه غيره. ينظر: تهذيب الكمال (٢٥٤/٢٩)، الميزان (٢٣٩/٤)، التهذيب (٣٩٩/١٠)، التقريب (٥٥٧).

- **نافع بن عبدالرحمن المدني** (١٦٩هـ) ، أحد القراء السبعة ، انتهت إليه رئاسة الإقراء في المدينة .  
ينظر : معجم المفسرين (٦٩٩/٢) .
- **نافع بن جبير بن مطعم النوفلي** أبو محمد وأبو عبدالله المدني (٩٩هـ) . روى عن أبيه والعباس بن عبد المطلب والزبير بن العوام وعلي بن أبي طالب وعثمان بن أبي العاص والمغيرة بن شعبة وبشر بن سحيم ورافع بن خديج وسهل بن أبي حثمة وعبدالله بن عباس وأبي شريح الخزاعي ومسعود بن الحكم الزرقى وأبي هريرة وعائشة وأم سلمة وجماعة . وعنه عروة بن الزبير وسعيد بن إبراهيم والزهري وموسى بن عقبة وآخرون . قال العجلي : مدني تابعي ثقة . وقال أبو زرعة : ثقة . وقال ابن خراش : ثقة مشهور أحد الأئمة . وذكره ابن حبان في الثقات وقال : من خيار الناس كان يحج ماشياً وناقته تقاد ، قال ابن حجر : ثقة فاضل . ينظر : تهذيب الكمال (٢٧٢/٢٩) ، التهذيب (٣٦١/١٠) ، تقريب التهذيب (٥٥٨) .
- **النحاس = أحمد بن محمد** .
- **النخعي = إبراهيم بن يزيد** .
- **النسفي** : عبدالله بن أحمد النسفي (٧١٠هـ) ، مفسر أصولي ، متكلم ، من فقهاء الأحناف .  
ينظر : الجواهر المضية (٢٧٠/١) ، معجم المفسرين (٣٠٤/١) .
- **نضر بن عربي الباهلي** مولاهم أبو روح ويقال أبو عمر الحراني (١٦٨هـ) ، عن مجاهد وعكرمة . وعنه النفيلى ويحيى الوحاظي . وثقه الذهبي في الكاشف ٣٢١/٢ وقال ابن حجر في التقريب (٥٦٢) : لا بأس به ، من السادسة .
- **نفظويه** : إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان ، أبو عبد الله العتكي الأزدي الواسطي (٢٤٤هـ - ٣٢٣هـ) . الإمام الحافظ النحوي العلامة الأخباري . أخذ العربية عن : ثعلب ، والمبرد ، وابن الجهم ، وتفقه على داود الظاهري . صاحب التصانيف ، ومنها : " غريب القرآن " و " المتنع " في النحو . ينظر : إنباه الرواة (٢١٣/١) - السير (٧٥/١٥) .
- **النقاش** : محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون بن جعفر أبو بكر النقاش المفسر المقري (٣٥١هـ) ، مولى أبي دجانة سماك بن خرشة ، أصله من الموصل . كان عالماً بالتفسير وبالقرآيات ، وحدث عنه أبو بكر بن مجاهد وابن شاهين وخلق ، وآخر من حدث عنه ابن شاذان . وتفرد بأشياء منكورة . وقد وثقه الدارقطني على كثير من خطئه ثم رجع عن ذلك . وصرح بعضهم بتكذيبه ، والله أعلم . وله كتاب التفسير الذي سماه " شفاء الصدور " وقال بعضهم : بل هو سقام الصدور . وقد كان رجلاً صالحاً في نفسه عابداً ناسكاً حكياً من حضره

وهو يجود بنفسه وهو يدعو بدعاء ثم رفع صوته يقول : ( لمثل هذا فليعمل العاملون ) يرددها ثلاث مرات ثم خرجت روحه رحمه الله . ينظر : البداية والنهاية ( ٢٥٩/١٥ ) ، طبقات المفسرين للسيوطي ( ٨٠ ) ، معرفة القراء الكبار ( ٢٩٤/١ ) ، طبقات المفسرين للداوودي ( ١٣٥/٢ ) .

● **نوف بن فضالة الحميري البكالي** ، أبو يزيد ، من أهل الشام ، وهو ابن امرأة كعب الأخبار ( بعد ٩٠هـ ) . روى عن ثوبان مولى رسول الله > ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعلي بن أبي طالب ، وكعب الأخبار ، وعنه خالد بن صبيح ، وسعيد بن جبير ، وشهر بن حوشب ، وأبو إسحاق الهمداني . قال ابن حجر : شامي مستور ، وإنما كذب ابن عباس مارواه عن أهل الكتاب . ينظر : طبقات ابن سعد ( ٤٥٢/٧ ) ، المعرفة ( ٢٢٥/٣ ) ، الحلية ( ٤٨/٦ ) ، تهذيب الكمال ( ٦٥/٣٠ ) ، التهذيب ( ٤٩٠/١٠ ) ، التقريب ( ٥٦٧ ) .

● **هشام بن حكيم بن حزام بن خويلد القرشي الأسدي** . صحابي ابن صحابي . أسلم يوم فتح مكة . وكان هشام من فضلاء الصحابة وخيارهم . ينظر : التقريب ( ٥٧٢ ) ، الأعلام ( ٨٥/٨ - ٨٦ ) .

● **هشام بن محمد بن السائب** ، أبو المنذر الكلبي الإخباري النسابة العلامة ( ٢٠٤هـ ) روى عن أبيه أبي النضر الكلبي المفسر ، وأبي صالح ، ومجاهد ، وحدث عنه جماعة . قال أحمد : إنما كان صاحب سمر ونسب ، ما ظننت أن أحداً يحدث عنه ، وقال أبو حاتم : كان صاحب أنساب وسمر ، وهو أحب إلي من أبيه ، وقال الدارقطني وغيره : متروك ، وقال ابن عساكر : رافضي ، ليس بثقة ، وقال الذهبي : لا يوثق به . ينظر : الجرح ( ٦٩/٩ ) ، الميزان ( ٣٠٤/٤ ) .

● **هلال بن يساف** — ويقال ابن إساف — الأشجعي مولاهم الكوفي . وروى عن الحسن بن علي وأبي الدرداء وأبي مسعود الانصاري وسمرة بن جندب وعائشة والبراء ابن عازب وجماعة . وعنه أبو إسحاق السبيعي والاعمش وسلمة بن كهيل وعلي بن المدرك وعبد الأعلى بن ميسرة وحصين ابن عبد الرحمن وغيرهم . قال ابن معين : ثقة . وقال العجلي : كوفي تابعي ثقة . وذكره ابن حبان في الثقات . وقال ابن سعد : وكان ثقة كثير الحديث . وقال ابن أبي حاتم : قال يحيى بن سعيد القطان : أنكر أن يكون هلال بن يساف سمع من أبي مسعود ، قال : وقال أبي : هلال بن يساف عن عمر مرسل . وقال أبو زرعة : لم يلق حذيفة . قال ابن حجر : ثقة . ينظر : تهذيب التهذيب ( ٧٦/١١ ) ، التقريب ( ٥٧٦ ) .

● **الواحدي** : علي بن أحمد بن محمد أبو الحسن ، النيسابوري الشافعي ( ٤٦٨هـ ) . الإمام العلامة ، الأستاذ صاحب " التفسير " ، وإمام علماء التأويل صنّف التفاسير الثلاثة : " البسيط "

و " الوسيط " و " الوجيز " وبتلك الأسماء سَمَّى الغزالي تواليفه الثلاثة في الفقه . وله أيضاً "أسباب التزول " . وكان طويل الباع في العربية واللغات . ينظر : السير ( ٣٣٩/١٨ ) - ط السبكي ( ٢٤٠/٥ ) - ط المفسرين للداودي ( ٣٨٧/١ ) .

● **وَرَش** : عثمان بن سعيد بن عدي المصري ( ١١٠-١٩٧هـ ) . من كبار القراء . غلب عليه لقب (ورش) ؛ لشدة بياضه . أصله من القيروان ، ومولده ووفاته بمصر . ينظر : الأعلام ( ٢٠٥/٤ ) .

● **وَهَب بن مُنْبَه** بن كامل ، أبو عبد الله الأبنائوي ، اليماني الصنعاني (بعد ١١٠هـ) . أخذ عن ابن عباس ، وأبي هريرة ، وأبي سعيد ، وجابر ، وعبد الله بن عمرو وابن عمر ، وطاووس ، وحدث عنه عمرو بن دينار ، وسماك بن الفضل . قال العجلي : تابعي ثقة ، وكذا وثقه أبو زرعة ، والنسائي . قال الذهبي : وروايته للمسنند قليلة ، وإنما غزارة علمه في الاسرائيليات ، ومن صحائف أهل الكتاب . قال ابن حجر : ثقة . ينظر : طبقات ابن سعد ( ٥٤٣/٥ ) ، التاريخ الكبير للبخاري ( ١٦٤/٨ ) ، الحلية ( ٢٣/٤ ) ، تهذيب الكمال ( ١٤٠/٣١ ) ، السير ( ٥٤٤/٤ ) ، التهذيب ( ١٦٦/١١ ) ، التقريب ( ٥٨٥ ) .

● **يحيى بن أبي كثير** الطائي مولاهم أبو نصر اليمامي (١٣٢هـ) . روى عن أنس وقد رآه وأبي سلمة ابن عبدالرحمن بن عوف وخلق وأرسل عن أبي أمامة وعروة بن الزبير وغيرهم . روى عنه ابنه عبدالله وأيوب السختياني ومعمربن راشد وهشام بن حسان وآخرون . قال وهيب عن أيوب : ما بقي على وجه الأرض مثل يحيى . وقال ابن عيينة : قال أيوب : ما أعلم أحداً بعد الزهري أعلم بحديث أهل المدينة من يحيى . وقال القطان : سمعت شعبة يقول : يحيى أحسن حديثاً من الزهري . وقال عبدالله بن أحمد عن أبيه : يحيى من أثبت الناس إنما يعد مع الزهري ويحيى بن سعيد وإذا خالفه الزهري فالقول قول يحيى . وقال العجلي : ثقة كان يعد من أصحاب الحديث . وقال أبو حاتم : يحيى إمام لا يحدث إلا عن ثقة . قال ابن حجر : ثقة ثبت لكنه يدللس ويرسل . ينظر : تهذيب التهذيب ( ٢٣٥/١١ ) ، تقريب التهذيب ( ٥٩٦ ) .

● **يزيد بن رومان** المدني أبو روح مولى آل الزبير (١٣٠هـ) . روى عن ابن الزبير وأنس وعبيد الله وسالم ابني عبدالله بن عمر وصالح بن خوات بن جبير وعروة بن الزبير والزهري وهو من أقرانه وأرسل عن أبي هريرة . وعنه هشام بن عروة وعبيد الله بن عمر وأبو حازم سلمة بن دينار ومعاوية بن أبي مزرد وابن إسحاق ومالك وجريير بن حازم وجماعة . قال النسائي : ثقة . وذكره ابن حبان في الثقات . قال ابن سعد : كان عالماً كثير الحديث ثقة . وقال إسحاق بن

منصور عن ابن معين : ثقة . قال ابن حجر: ثقة وروايته عن أبي هريرة مرسله . ينظر : تهذيب الكمال (١٢٢/٣٢)، تهذيب التهذيب (٢٨٤/١١)، التقريب (٦٠١) .

● **يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية الأموي أبو عبدالرحمن وأبو خالد (٦٤هـ)** . ولد في خلافة عثمان وغزا الروم في خلافة أبيه وولي الخلافة وكان يزيد شجاعاً جواداً شاعراً مجيداً وأمه ميسون بنت بحدل الكلبية وكان منهماً في لذاته . ومقتله أهل الفضل بسبب قتله الحسين ثم بسبب وقعة الحرّة . مات ولم يكمل الأربعين ليس بأهل أن يروى عنه . قال نوفل بن أبي عقرب ثقة قال : كنت عند عمر بن عبدالعزيز فذكر رجل يزيد بن معاوية فقال : قال أمير المؤمنين يزيد ، فقال عمر : تقول أمير المؤمنين يزيد وأمر به فضرب عشرين سوطاً . ينظر : تعجيل المنفعة ( ص ٤٥٢ )، تهذيب التهذيب ( ٣١٧/١١ )، تقريب التهذيب (٦٠٥) .

● **يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرمي مولاهم (٢٠٥هـ)** ، أبو محمد المقرئ ، النحوي ، صدوق . ينظر : التقريب (٦٠٧) .

● **يوسف بن ماهك بن بهزاد الفارسي المكي (١٠٦هـ)** . روى عن أبيه وأبي مسيكة وأبي هريرة وعائشة وحكيم بن حزام وعبدالله بن صفوان وعبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر وعبيد بن عمير وحفصة بنت عبدالرحمن بن أبي بكر وغيرهم . وعنه أيوب وحميد الطويل وأبو خثيم وابن جريج وإبراهيم بن مهاجر وجعفر بن سليمان الضبعي وآخرون . قال ابن معين والنسائي : ثقة . وقال ابن خراش : ثقة عدل . وذكره ابن حبان في الثقات . وقال ابن أبي عاصم : مات سنة ثلاث ومائة . وقال ابن سعد، وابن حجر: ثقة . ينظر : تهذيب التهذيب ( ٣٧٠/١١ )، تقريب التهذيب (٦١١) .

● **يونس بن حبيب النحوي الضبي بالولاء** ، أبو عبد الرحمن (٩٤-١٨٢هـ) . علامة بالأدب . كان إمام نحاة البصرة في عصره . أعجمي الأصل . أخذ عن سيبويه والكسائي والفراء وغيرهم من الأئمة . من كتبه : معاني القرآن - اللغات - النوادر . ينظر : الأعلام (٢٦١/٨) .

# الفهارس العامة

## فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	الآية	الصحيفة
<u>سورة البقرة</u>		
٢	ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ	٧٠٧
١٥	وَيَذُرُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ	٥٠٧
١٧	كَمَثَلِ الَّذِي أَستَوْقَدَ نَارًا	٦٨٦
٢٥	وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ	٧٨٥
٣٠	إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً	٣٣٠
٣٦	وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَىٰ حِينٍ	٢٥٢-٢٥٣، ٢٥٤
٤٥	وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ	٦٤٧
٥٥	وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ	١٧٨، ٤٠٨، ٤١٢
٥٦	ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ	٤١١، ٤١٢
٥٧	وَوَهَبْنَا عَلَيْكَ الْمُنَّامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْمَنَّانَ	٤٨٨
٦٣	وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ	٤٨٨
٧٢	وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا	٤٨٨
٧٩	فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِنَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ	٤٢٥
٩٢	ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ	٤٨٨
٩٣	وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ	١٠٢١
٩٨	وَمَلَأْتِكُمْ بِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ	٧٧٩
١٠٢	وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ	٦٨١
١١١	قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ	٩٧٦

١٠٥٢	فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ	١٣٢
١٠٤٧، ٢٢٧	قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ	١٣٣
٤١٩	وَمَا أَنْزَلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ	١٣٦
٨٢٥	قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا	١٣٦
٣٣٩	الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ	١٤٧
٦٥٣	كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ	١٧٨
٦٨٢	وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتَكُمْ	١٨٥
٦٥٣	يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ	١٨٩
٦٥٦	الْحَجِّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ	١٩٧
٩١٤	هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ	٢١٠
١٠٦٣	وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ	٢١٤
٥٣٨	كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ	٢١٦
٦٥٣	كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ	٢١٦
٤٩٩	وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ	٢١٩
٤٧	وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ	٢٢١
٤٧	وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ	٢٢٨
٩١٤	مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا	٢٥٤
٢٩٠	خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا	٢٥٩
٣٨٩	أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا	٢٥٩
٨٣٠	لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ	٢٧٢
	<u>سورة آل عمران</u>	
٢٨	وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ	٧

١٢٨	رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ	٩
١٢٨	فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ	٢٥
١٥٩	وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ	٤٤
٩٩٨	وَأُنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ <sup>٤</sup>	٤٩
٥٢	إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ	٥٥
٦٩	فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ	٦٠
٣٣٩ ، ٣٣٤	الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ	٦٠
٤٣٤	وَلَهُ ۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا	٨٣
١٠٥٢	يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۚ	١٠٢
٥٤٢	وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً	١٠٣
٥٣٠	بِذَاتِ الصُّدُورِ	١١٩
٩٧٢	إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا	١٢٢
٦٥٣	كِنْبًا مُّوَجَّلًا	١٤٥
٥٧٤	وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فِإِذِ انبَعَثَ	١٦٦
٥٩٤	الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ	١٧٣
٦٤٣	الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ	١٧٣
٨١٣	إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا	١٧٨
٥٧٤	مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ	١٧٩
١٦٤	سَيُطَوَّفُوا مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ	١٨٠
٧٩٢	قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِ بِلْبِئْسَتِ	١٨٣
<u>سورة النساء</u>		
٤٨١	يَتَّبِعُهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ	١

١٣١	وَالَّتِي يَأْتِيكِ الْفَحِشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ	١٥
٦٥٣ ، ٦١٠	كَذَّبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ	٢٤
٩٠٩	وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا	٢٨
٣١٧	فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ	٦٥
٩٢٣	مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ	٦٦
٧٠٩	وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ	٧٥
٧٩٣	بَيْتَ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ	٨١
١٢٧	اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ	٨٧
٤٩	وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَا	٩٢
٨٤٨	فَجَزَاءُ هُ جَهَنَّمَ	٩٣
٧٠٩	إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ	٩٧
٦٤٨	وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرَوْهَا	١١٢
٢٦١	إِنْ يَدْعُونَكَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَنْتَا	١١٧
٧٤٥	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُونَ	١٣٦
٣٢٦	وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ	١٥٠
٧٩ ، ١٧٨ ، ٢٣٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨	يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكُتُبِ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا	١٥٣
١٠١٢	فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ	١٥٥
٤٣٩	رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ	١٦٥
٨٥٥	لَنْكِنَ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ	١٦٦
٧٦٢	وَيَزِيدُهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ	١٧٣
٥٧٦ ، ٤١٢	إِنْ أَمْرًا هَلَكَ	١٧٦

٤٧	وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ	٥
١٠١٢	فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ	١٣
٢٣٦	قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ	١٥
٧٧٠	فِيصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَدْمِينًا	٥٢
٢٨	يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ	٦٤
٨٣٤	وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ	٦٦
٤٨	لَا يَأْخُذْكُمْ اللَّهُ بِاللَّعْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ	٨٩
٢٧٠	فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلْتُمْ مِنَ النَّعَمِ	٩٥
٧٠٧	مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ	١١٧
<u>سورة الأنعام</u>		
٢٤٦	وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ	١
٢٧٦، ٦٨	هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا	٢
٩١، ٦٢	وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ	٣
١٢٣، ١٢٢	وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا	٩
٣٧	قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا	١١
٣٨، ٥٦، ٥٨، ٧٤، ١٤٣	قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ	١٢
٣١٦-٣١٥	قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ	١٤
٥٩	وَأَوْحَى إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ	١٩
١٦٦، ٦٠	الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ	٢٠
٥٧٨	يَهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ	٢٦
١٥٥	يَلَيِّنُنَا نُرُدُّهُ وَلَا نَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا	٢٧
٥٩	بَلْ بَدَأَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ	٢٨

١٥٩، ١٥٨	وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا	٢٩
٤٩، ٦٣، ٩٧	قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ	٣١
١٥٩	وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ	٣٢
٤٥-٤٤	قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لِيَحْزَنَكَ الَّذِي يَقُولُ	٣٣
٨٢٥	فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ	٣٥
٨٨٧	وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا	٣٨
٣٩-٣٨	وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِنَا صُمُّوا وَبُكْمٌ	٣٩
١٧٨	حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً	٤٤
٣٨	وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ	٥١
١٨١	وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ	٥١
٦١	مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ	٥٢
٧٨	وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ	٥٢
٥٩٨	كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ	٥٤
٦٣	مَا عِنْدِي مَا اسْتَعِجِلُونَ بِهِ	٥٧
١٨٥	لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعِجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ	٥٨
١٠٩	وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم	٦٠
٧٠	قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ	٦٥
١٦٩	وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ	٦٦
٩٢٠	وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيءِ آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ	٦٨
٨٥، ٥٦	قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا	٧١
٢١٩	أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرِنكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ	٧٤
٢١٥	وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَكُوتِ	٧٥

٩٢	فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا	٧٦
٢٢٠، ٢١٥	وَحَاجَّهٖ قَوْمُهُ	٨٠
٢٢٣، ٢٢٢	فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ	٨١
٢١٤، ٢١٥، ٢٢٠، ٢٢٣	وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ	٨٣
٣٨	وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ	٨٤
٧٠	وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا	٨٤
٢٢٥	وَأِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوشَعَ وَلُوطًا	٨٦
٩٢، ٦٢-٦١	أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ	٨٩
٢٣٨	فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هُنَّ لِأَيْ	٨٩
٢٣٠	أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَتْهُمْ أُقْتَدِ	٩٠
٣٥	وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ	٩١
٧٠٧	وَهَذَا كِتَابُنَا أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكًا	٩٢
٥٣١	لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ	٩٤
٩٩	إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى	٩٥
١٣٧	وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا	٩٦
٣٩	فَمَسْتَقَرٌّ وَمَسْتَدَوِعٌ	٩٨
٣١٧	وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ	١٠٩
٤٠١	وَنَقَلِبُ أَعْيُنِهِمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ	١١٠
١٠٥٣	وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ	١١٦
٥١-٥٠	أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ	١٢٢
٥٧٨	أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا	١٢٢
٥٩	وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا	١٢٣

٣٣٧	يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا	١٢٥
٢٧٨	وَقَالَ أَوْلِيَانَا وَهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا	١٢٨
٢٨٤ ، ٢٦٠ ، ٣٦	يَمَعَشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ	١٣٠
٣٩٠	وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ	١٤١
٣٨	ثَمَنِيَّةٍ أَزْوَاجٍ	١٤٣
٢٩٦	ثَمَنِيَّةٍ أَزْوَاجٍ <sup>ط</sup> مِنَ الصَّكَّانِ اثْنَيْنِ	١٤٣
٢٩٦	وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ	١٤٤
٤٦-٤٥	وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا	١٤٦
٣٨	سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ	١٤٨
٤٣٤	فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ	١٤٩
٦٥	فُلْتَعَالُوا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ كُفْرًا	١٥١
٦٧	ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا	١٥٤
٢٣٩	لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ	١٥٧
٩١٥	أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ	١٥٨
٧٦١	مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَلِهَا	١٦٠

### سورة الأعراف

٦٨	كِتَابٌ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ	٢
٤٨٩ ، ٩٧	وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ	١١
٤٤٠ ، ٤٢٧	وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ	١١
٣١٧	مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ	١٢
٥٧	قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ	١٦
٣٥٣	حُدُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ	٣١

٦٧	إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتِّحُ	٤٠
٣٦٤	وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ	٤٤
٨٠	وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ	٤٦
٣٧٣	وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ	٤٧
٣٦٩	وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا	٤٨
١٧٤	أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ	٥٤
٢٤٦	يُعْشَى الْيَلَّ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ	٥٤
٨٩٠	وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا	٧٤
٣٧٩	فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِيمِينَ	٧٨
٩٤	فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَلْفَوْرٍ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ	٧٩
٥٤١	وَأَذَكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا	٨٦
٥٥٨	وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي	٨٧
٩٥	هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ	٨٩
٥٥٨	عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ	٨٩
١٧٨	فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْنَةً وَهُمْ لَا يُشْعُرُونَ	٩٥
٨٣٤	وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَنَحْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ	٩٦
٣٣٠	عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدَّتِكُمْ	١٢٩
٧٩٧	قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ	١٢٩
٣٧	فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ	١٣١
٣٩٧، ٣٩٤	وَأُورِثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ	١٣٧
٤١٣	وَحَرَّ مُوسَى صَعِقًا	١٤٣
٤٥	سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ	١٤٥

٩٠٩	إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي	١٥٠
٧٩	وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا	١٥٥
٤١٣، ٤١٢	أَتَّهَلَّكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا	١٥٥
٩٩	وَأَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي	١٥٦
١٣٩	قُلْ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ	١٥٨
٨٩	وَقَطَّعْنَهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا	١٦٠
٢١٦، ٩٦، ٨٦، ٨١	وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ	١٧٢
٩٧	وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ	١٧٦
٣٩	وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى	١٨٠
٦٥	أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جَنَّةٍ	١٨٤
٤٧٦	مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جَنَّةٍ	١٨٤
١٠٦	إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّبُهَا لَوْ قُنِيَ إِلَّا هُوَ	١٨٧
٩٥، ٦٤	فَلَمَّا آتَتْهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ	١٩٠
٤٤٠	فَلَمَّا آتَتْهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ	١٩٠
٤٨٩	أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ	١٩١
٤٩٧	قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونَ	١٩٥
٥٢	خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ	١٩٩
٥٠٤	وَإِنَّمَا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ	٢٠٠
٤٩٧	وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ	٢٠٢
٥١١	قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي	٢٠٣
١٠٠، ٧٣	وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا	٢٠٤
١٠١، ٤٩	وَأذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً	٢٠٥

## سورة الأنفال

٥٣٤ ، ٦٩ ، ٦٨	يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ	١
٦٨	كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ	٥
٥٣٤ ، ٦٨	يُجَدِّدُ لَكَ	٦
٥٣٩	وَإِذْ يَعِدُكُمُ	٨
٥٣٩	لِيُحِقَّ الْحَقَّ	٩
٨٩ ، ٦٣ ، ٥١	إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ	١٢
٦٤٧	أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ	٢٠
٥٤١	وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ	٢٦
١٨٤ ، ٨١ ، ٧٣ ، ٦٣ ، ٧٤٧ ، ٥٦٨ ، ١٨٦ ،	وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِمَّنْ	٣٢
٧٤٩ ، ٧٤٨		
٥٦٨ ، ٥٦٦	وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ	٣٤
٥٢٥	وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ	٤١
٥٣٣	إِنَّهُ عَلَيْهِمْ بَدَاتِ الصُّدُورِ	٤٣
٧٩	وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ	٦٠
٥٩٤ ، ٥٩١	وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ	٦٢
٥٩٢ ، ٥٩١	يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ	٦٥
٥٩٢	أَلَنْ حَقَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا	٦٦
٥٢٤	لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ ...	٦٨
٦٠٣ ، ٢٧٨	وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ	٧٣
٦٠٣	وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ	٧٤
٦٠٦ ، ٦٠٢	وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ	٧٥

## سورة التوبة

٧١	وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ	٣
٥٣	فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ	٥
٦٩	كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ	٨
٤٨	وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ	١٢
١٠١	فَقَتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ	١٤
٤٣٦	مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ	١٧
١٠٢١	أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ	١٩
٧٨٥	يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتِ	٢١
٧٤	وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ	٣٠
٥٧٥	فَتَكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ	٣٥
٩٢	إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا	٣٦
٤١٧	إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا	٣٦
٧٣٧	إِلَّا نَفَرُوا	٣٩
٥٨	فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ	٤٠
٧٣٧	أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا	٤١
٦٩٦	أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُنْقَبَلَ مِنْكُمْ	٥٣
٩٣	وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ	٥٨
٥٩٤	وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَاءَ أَيْمَانِهِمُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ	٥٩
٦٤٨	وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ	٦٢
٦٨٥	لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ	٦٥
٣٢٤، ٣٢٣	وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا	٦٩

٦٠٤	وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ	٧١
٨١	أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ	٨٠
٨٩٤	فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا	٨٢
٧٠١	فَأَقْصِبْ وَا مَعَ الْخَالِفِينَ	٨٣
٦٩٥	وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا	٨٤
١٠٢	وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ أَنْ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ	٨٦
٩٠٩	لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ	٩١
٢٩٤	إِذَا مَا اتَّوَكَّ لِيَحْمِلَهُمْ	٩٢
٥٨٦ ، ٥٨٥ ، ٧٩	مَرَدُّوْا عَلَى الْفِتَاقِ	١٠١
٤٩٩	خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً	١٠٣
٣٨٣	وَأَخْرُوتَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ	١٠٦
٧٢٠	وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا	١٠٧
٧٣	أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ	١٠٩
٧٢٨	وَمَا كَانَ اسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ	١١٤
٨٦	وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا	١١٨
٧٣٦ ، ٧٣٣	مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ	١٢٠
٨٦	وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً	١٢٢
٥٩٥	فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ	١٢٩

### سورة يونس

٢٤٠ ، ٢٣٨	أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ	٢
٦٥٣	وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِنَعْلَمُوا	٥
٧٥٠	إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا	٧

٧٤٩	أُولَئِكَ مَا وَنَهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا	٨
٣٤٢	دَعَوْتُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ <sup>٤</sup>	١٠
٧٥٤	وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ	١٠
٧٤٤	يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ	١٢
٣٣١	ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ	١٤
٥١٠	وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ	١٥
٧٤٩	يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا	١٨
٦٩	وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ	٢٥
٨٣، ٦٤	لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ	٢٦
١٠٥٦	قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ	٣١
٣٤	فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ	٣٢
٨٦٧	وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ	٣٧
١١٠	وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ	٤٥
٧٦٧ ، ٧٤٩	وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ	٤٨
١٨٦ ، ١٧٩	قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتًا أَوْ نَهَارًا	٥٠
٧٦٧	ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ	٥٢
١٨٩-١٨٨	وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ	٦١
٦٠٥	أَلَّا إِنَّا أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ	٦٢
١٣٧	هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ آيَاتٍ لِتَسْكُنُوا فِيهِ	٦٧
٨٠٩ ، ٩٠-٨٩	فَمَا أَمَّنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّتُهُ مِنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ	٨٣
٩٧٦ ، ٨٠٩ ، ٧٩٧	وَقَالَ مُوسَىٰ يَقَوْمِ إِن كُنْتُمْ مَأْمَنُونَ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا	٨٤
٣٣٨ ، ١٠٢	فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ	٩٤

- ٩٨ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيَةً ءَامَنْتَ فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ  
١٠٢٣  
١٠٠ وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ  
٨٣٠  
١٠١ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ  
٤٧٧

### سورة هود

- ٣ وَإِنْ أَسْتَعَفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْنِعْكُمْ مِّنْعَا حَسَنًا  
٦٩  
٦ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا  
١٨٩، ١٧٣  
١٢ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ  
٣٣٦  
١٣ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ  
٨٦٧، ٨٦٥  
١٤ فَإِمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا  
٦٢  
١٧ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ، مِنَ الْأَحْرَابِ فَالْتَأَرْ مَوْعِدُهُ،  
١٠٥٣، ١٤٠  
٢٧ وَمَا نَزَّلْنَاكَ إِلَّا بِالذِّكْرِ هُمْ أَرَادُوا أَنْ  
٦٤  
٢٩ وَيَنْقُومِ وَلَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَّا  
١٨١، ١٨٠، ٧٨، ٦١  
٣٥ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ، فَعَلَىٰ إِجْرَامِي  
٨٣  
٣٧ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِفُونَ  
٨٨١  
٤٠ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ  
٩٣٦، ٨٨٦، ٨٧، ٨٨١  
٤٢ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ،  
٨٧٢، ٨٧٤،  
٨٧٨، ٨٧٥  
٤٤ وَقِيلَ بَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ  
٩٢٠  
٤٥ رَبِّ إِنْ أَبَىٰ مِنْ أَهْلِي  
٨٨٠، ٨٧٤  
٤٦ قَالَ يَسُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ  
٨٨١، ٨٧٥، ٩٥  
٤٩ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا  
٢٣٩  
٥٢ وَيَنْقُومِ أَسْتَعَفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ  
٨٣٤  
٦٥ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ  
١٧٩

٨٩٥	لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ	٧٠
٨٤-٨٣، ٥١، ٤٦	وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحَكَتْ	٧١
١٠٠	مُسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ	٨٣
٤٦	قَالُوا يَشْعَبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا	٩١
٢٨٥	وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ	١٠٢
٩١٤، ١٢٨	إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ	١٠٣
٢٨٣	وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ	١١٧
<u>سورة يوسف</u>		
٨٨	إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ	٢
١٠٢٨	وَأَسْرُوهُ بَضْعَةَ	١٩
٧٠-٦٩	وَشَرَّوهُ بِشَمْبٍ بَحْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ	٢٠
٩٢٧، ٩٢٦	وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا	٢٢
٤٩٢	إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَوْلَايَ	٢٣
٧٢	وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِهِ <sup>ط</sup> وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّءَا بُرْهَانَ	٢٤
٩٧٨	مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا	٢٥
٩٧٣، ٢٦٥، ٢٦٤	إِنْ كَانَتْ فَمِصْبُهُ، قَدْ مِنْ قَبْلِ فَصَدَقَتْ	٢٦
٩٧٣	هِيَ زُودَتْني عَنْ نَفْسِي	٢٦
٩٧٣	إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ <sup>ط</sup> إِنْ كَيْدُكُمْ عَظِيمٌ	٢٨
٦٠	فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ	٣١
٩٧٣	وَلَقَدْ زُودْتَهُ، عَنْ نَفْسِهِ، فَاسْتَعَصَمَ	٣٢
٩٧٣	رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ	٣٣
٩٢٧	قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأَكُمَا بِتَأْوِيلِهِ	٣٧

٩٢٨	يُصْحَبِي السِّجْنَ أَمَا أَحَدٌ كَمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا <sup>ط</sup>	٤١
٩٢٨	قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي	٤٧
٩٧٣	الْفَنِّ حَصَّصَ الْحَقُّ أَنَا رُودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ	٥١
٩٦٩ ، ٩٦٤	وَمَا أُبْرِي نَفْسِي <sup>ع</sup> إِنْ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ	٥٣
١٠٢٤	أَيَّتَهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَّرِقُونَ	٧٠
١٠١٠	كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ <sup>ط</sup> مَا كَانَ لِيَأْخُذَ	٧٦
٧٧٠	فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ	٧٧
٥٠ ، ٦٣ ، ٨٤ ، ٩٨ ، ٨٠١ - ٨٠٢ ، ٨٧٤	وَسَأَلَ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا	٨٢
٤٠٣	وَقَالَ يَتَأَسَفَى عَلَى يُوسُفَ	٨٤
٨٤٢	إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ	٨٧
٩٣٨	قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ	٨٩
٥٨ - ٥٩ ، ٧٤	أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا	٩٣
١٠٣٨	قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ	٩٧
٩٢٨ ، ١٠٤٧	وَرَفَعَ أَبُوبِهِ عَلَى الْعَرْشِ	١٠٠
٩١٤	أَوْ تَأْتِيهِمُ السَّاعَةُ	١٠٧
٤٦	أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي <sup>ط</sup>	١٠٨
١٠٦٢	وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ	١٠٩
٨٦٧	مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ	١١١
<u>سورة الرعد</u>		
١٨٦ ، ٧٥٠	وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ	٦
١٣٦	اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى	٨
٧٧٠	سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ	١٠

١٣٦	وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٍ بِآيِلٍ	١٢
٢٨٧ ، ٢٨٦	عُقْبَى الدَّارِ	٢٢
٧٥٤	وَالْمَلَكَةَ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ	٢٣
٢٨٧	فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ	٢٤
٢٦٩	مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا	٣٥
٦٥٢	لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ	٣٨
٨٣٠	فَأِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ	٤٠
٢٨٧	وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ	٤٢
<u>سورة إبراهيم</u>		
٢٨٨	فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهَلِكَنَّ	١٣
٩١٤	فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ	٣١
٢١٩ ، ٢١٥	وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ	٣٥
١٣٧	وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكَانٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا	٤٥
<u>سورة الحجر</u>		
١٥٦	رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ	٢
٤٥٧ ، ٤٥٦	ذَرِهِمْ يَا كُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا	٣
٤٦٤	وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ	٦
١٢٣ ، ١٢٢	مَا نُنزِلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا	٨
٣٤	قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ... الْمَعْلُومِ	٣٦
١٥٩	قَالَ رَبِّ يَا أَعْوَيْنِي لِأَزِينَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ	٣٩
٩٠٦ ، ٩٠٥	فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً	٧٤
٨٩٠ ، ٨٨٩	وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ	٨٢
٣٣٦	وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ إِذْ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ	٩٧

## سورة النحل

٢٩٨	وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ	٥
٢٩٤	وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِنْ بَلَدْتُمْ تَكُونُوا بِلَاغِيهِ	٧
٧٧٠	وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوكُمْ وَمَا تُعْلِنُونَ	١٩
٤٣٦	إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ	٤٠
٨٠	وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ	٤٤
٢٦٩	وَاللَّهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى	٦٠
٢٩٦	وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَمِ لَعِبْرَةً لِّتُنذِرُوا بِطُونِهِ	٦٦
٣٩٠	وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا	٦٨
٢٩٨ ، ٢٩٦	وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمَتَعًا	٨٠
٤٧٨ ، ١٣٦	وَجَعَلَ لَكُمْ سُرَابِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ	٨١
١٧٤	وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ	٨٩
٦٧٨ ، ٦٧٧	ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوَاءَ بِجَهَنَّةٍ	١١٩

## سورة الإسراء

١٦٩ ، ١٥٦	قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ	١٠٢
٧٤٨	وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ	١١
٢٨٢	وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا	١٥
٤٣٩	وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا	١٥
٥٨٩	وَلَا نَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ	٣٦
١٩٧	رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ	٦٦
٧٩٢	فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةَ لِيَسْئَلُوا وُجُوهَكُمْ	٧
٢٠٩	يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِمْ	٧١
٧٠١	وَإِذَا لَا يَلْبَسُونَ خِلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا	٧٦

٢٦٦	أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا	٩٢
٢٣٨-٢٣٩، ٢٤٠	وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ	٩٤

### سورة الكهف

٤٠٦، ٣٣٦	فَلَعَلَّكَ بِنَجْعِ نَفْسِكَ عَلَىٰ عَائِدِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا	٦
٥٣٢	وَنُقَلِّبُهمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ	١٨
٣٩١	وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ	٣٢
٢٩٠، ٣٩٠	وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا	٤٢
٢٦١	أَفَنَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي	٥٠
١٠٢٣	وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا	٥٩

### سورة مريم

٥٤١	وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَدَتْ	١٦
٢٦١	يَتَابَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ	٤٤
٤٧٣	إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا	٤٧
١١٢	هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا	٦٥
٧٤٥	وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى	٧٦
٤٧٨	فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ	٩٧

### سورة طه

٧٧٨	إِنِّي أَنَا اللَّهُ	١٤
٢٨	عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ	٥
١٨٩-١٩٠	قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ	٥١
٦٥٢	قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي	٥٢
٣٨٤	فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلَفُهُ	٥٨
٤٠٥	فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا	٨٦

٣١٧ مَانَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ٩٢

### سورة الحج

٢٥١ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ ٥

٦٥٧ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَاكِ يُلْطَمِ نُدْقُهُ مِنْ عَذَابِ ٢٥

٢٩٠ خَاوِيَةً عَلَى عُرُوشِهَا ٤٥

٣٨٩ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ٤٥

١٨٩ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ٧٠

٣٣٧ وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ٧٨

### سورة المؤمنون

٢٥١ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن دُرٍّ ١٢

٤٣٣ وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّن دُونِ ذَلِكَ ٦٣

١٠٥٦ قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِن كُنْتُمْ ٨٤

١٥٩ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ١٠٠

٨٩٤ وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ١١٠

### سورة النور

١٠٢٩ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْسِطُ سَحَابًا ٤٣

٢٨٨ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ٥٥

٣٣٦ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ٦١

### سورة الفرقان

١٣٩ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ١

٨٦٧ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ ٤

١١٣ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ٦

١٢٣، ١٢٢ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ ٢٢

٩٤٥	وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ	٢٧
١١٩	وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا	٣٨
٩٠٦ ، ١٠٠	وَلَقَدْ أَنزَلْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوِيًّا	٤٠

### سورة الشعراء

٨٣٠ ، ٣٣٦	لَعَلَّكَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ تَلْمِزُ الْمُؤْمِنِينَ	٣
١٠٥٣	إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ	٨
٣٩٤ ، ٣٩٣ ، ٤٥	وَأَوْرَثْنَاهَا بِنِيِّ إِسْرَائِيلَ	٥٩
١٨١	قَالُوا أَنْزِلْ لَنَا آيَةً وَأَتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ	١١١
١٨٠ ، ٧٨	إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي	١١٣
٨٨	وَلِئِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ	١٩٢
١٨٦	أَفِعْذَابِنَا يُسْتَعْجِلُونَ	٢٠٤

### سورة النمل

١٦٩ ، ١٥٦	وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا	١٤
٦٧٧	وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْآخَسِرُونَ	٥
٢٥٤	جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا	٦١
٣٣٠	وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ	٦٢
١٨٩	وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ	٧٤
٢٣٦	إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَنْفُسُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ	٧٦

### سورة القصص

٣٩٤ ، ٣٢١	وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي	٥
٨١٦ ، ٨١٥	فَالنَّقْطَةُ أَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا	٨
٩٧٨ ، ٩٧٧ ، ٩٧٦	إِنْ كَادَتْ لَتُبْدَىٰ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَىٰ	١٠
٢٨٧	رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ	٣٧

٥٦ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۗ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۗ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۗ

٥٨ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ بَطَرْتُمْ مَعِيشَتَهَا

### سورة العنكبوت

١١ وَلِيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلِيَعْلَمَنَّ

١٢ أَتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلِنَحْمِلَ خَطِيْئَكُمْ

١٤ فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ

٢٨ وَلَوْطَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ۝

٣١ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ

٣٤ إِنَّا مُنْزِلُونَكَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا

٥٠ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ ۝

٥٣ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى

٥٣ وَلِيَأْيَنِّيَنَّهُمْ بَعْتَهُ وَهُمْ لَا يَسْعُرُونَ

٦١ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ

٦٣ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ

٦٦ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَنَّعُوا فَسَوْفَ

### سورة الروم

١٤ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِدِ بِنَفْسِهِ

٢٧ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

٣٠ فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا

٤٣ فَأَقْرَبُ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ

٥٤ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ

٥٥ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ

سورة لقمان

٢٨٤ ١٣ إِنَّكَ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ

٦٥٢ ٣٤ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ

سورة السجدة

٨٦٧ ٣ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَنَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ

سورة الأحزاب

٧٧٩ ٧ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ

٧١٤ ٣٠ يُضْعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ

٣٨٣ ٥١ تُرْجَى مِنْ تَشَاءٍ مِنْهُنَّ

٥٩١ ٥٦ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ

سورة سبأ

١٨٩ ٣ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ

١٣٩ ٢٨ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ

٢٤٠ ، ٢٣٩ ، ٥٥ ٣١ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ

٢٦١ ٤٠ ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكَةِ أَهْتُولَا إِيَّاكُمْ

٥١٢ ٤٣ مَا هَذَا إِلَّا إِيَّاكُمْ مَفْتَرَى

٤٧٦ ، ٤٦٤ ٤٦ قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَحْدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَى

سورة فاطر

٤٠٦ ٨ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ

٣٥٩ ١٠ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ

١١٠ ١١ وَمَا يَعْمَرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ

٤٧٨ ١٨ إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ

٧١٧ ، ١٦٠ ٤٥ مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ

سورة يس

٤٧٨	إِنَّمَا نُنذِرُ مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ	١١
١٩٠	إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا	١٢
٣٤٤	بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ	٢٧
٩٤٦	يَحْسِرَةَ عَلَى الْعِبَادِ	٣٠
٢٤٦	وَأَيُّهُ لَّهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ	٣٧
٧٥٤	سَلَّمٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ	٥٨
٥٧٤	وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ	٥٩
٢٦١	أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَئِي ءَادَمَ	٦٠
٥٧٨	لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا	٧٠
٢٩٦	أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا	٧١
٢٩٦، ٢٩٤	وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ	٧٢

سورة الصافات

٢٢٠، ٢١٥	إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ	٨٤
٩٣٥	فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ	١٠٣
٩٠٦، ٩٠٥	وَإِنَّكُمْ لَنْتَمُرُونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ	١٣٧
٢٦٢، ٢٦٠	وَجَعَلُوا بَيْنَهُ، وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا	١٥٨
١٨٦	أَفِعْذَابِنَا يُسْتَعْجِلُونَ	١٧٦

سورة ص

١٠٥٧	أَجْعَلُ لِلْأَلْهَةِ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّا هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ	٥
١٨٥	وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَّلْ لَنَا قِطْنَا	١٦
٧١٧	حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ	٣٢
٥٤١	وَأَذْكَرُ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ	٤١

٢٢٧	فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ	٧٣
٣١٧	مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيدِي	٧٥
٩٧٣	فِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ	٨٢

### سورة الزمر

٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩	خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ	٦
٤٨١ ، ٣٥٠		
٩٢٦	اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ	٢٣
٥٩٥	أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ	٣٦
١٠٧ ، ١٠٦	اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا	٤٢
١٥٢	وَبَدَأَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ	٤٧
١٥٩	عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ	٥٦
٩٣٥	حَقًّا إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ	٧٣

### سورة غافر

٢٢٢	لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ	١٦
٨٣٥ ، ٢٥٤	إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَعٌ	٣٩
٤٣٧	وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ	٤٦
٢٨٨	إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا	٥١
٥٤١	فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ	٧٠
٢٩٦	اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا	٧٩

### سورة فصلت

٩٣١	سَوَاءٌ لِّلسَّائِلِينَ	١٠
٤٣٧ ، ٤٣٦	فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أُنْتِ يَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا	١١
٤٣٧	أَنْطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ	٢١

١٤٧	وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ	٢٦
٧٨٥	وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ	٣٠
٣١٧	وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ	٣٤
٢٨٤	وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ	٤٦

### سورة الشورى

٢٧٠، ٢٩	لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ	١١
٣٢٨	شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي	١٣
٩١٤	أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ	٤٧
٨٠	وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ	٥٢

### سورة الزخرف

٢٨٠	وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا	٣٦
٨٩٤	إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ	٤٧
١١٩	أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ	٥٣
٨٧١، ٤٠٥، ٤٠٢، ٤٠٤	فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ	٥٥
٣٣٠	وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلِفُونَ	٦٠
٩١٤	هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ	٦٦
٨٢٥	قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ	٨١
١١٢، ١١١، ٩١، ٦٢	وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ	٨٤
١٠٥٦	وَلِئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ	٨٧

### سورة الجاثية

١٢٧	قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ	٢٦
-----	---	----

### سورة الأحقاف

٤٧٩	يُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ	١٢
-----	--	----

٢٠٢	وَالَّذِي قَالَ لَوْلَا دِيهِ أَفٍ لَكُمَا أَتَعَدَانِي	١٧
٥٤١	وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ	٢١
١٧٩	فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أُوْدِيهِمْ	٢٤
١٠٢٣	تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا	٢٥
١٠٢٣	وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ	٢٧

### سورة محمد

٥٤٨ ، ٥٤٧ ، ٥٣	فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ فَمَا مَنَّا بَعْدُ	٤
٩٠٥	أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ	١٠
١٠٢٣ ، ١٠٢١	وَكَانِينَ مِنْ قَرِيْبَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرِيْبِكَ الَّتِي	١٣
٢٦٩	مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَرٌ	١٥
٧٤٥	وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى	١٧
٩١٤	فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ	١٨

### سورة الفتح

٦٦٦	إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا	١
٦٦٢	لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَنُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ	٩
٧١٠ ، ٣٣٦	لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى	١٧
٥٦٧	لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا	٢٥

### سورة الحجرات

٦٥٠ ، ٦٤٦	وَإِنْ طَافَيْنَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَمَّنَّاكُمْ	٩
٤٨١	يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ	١٣
١٠٥٧	قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ	١٤

### سورة ق

٤٧٧	فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِبِدِ	٤٥
-----	--	----

### سورة الذاريات

قِيلَ الْخَرَّاصُونَ ١٠ ٧٩٠

وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ٣٧ ٩٠٦

### سورة الطور

فَأَصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ ١٦ ٦٩٧

فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ٢٩ ٤٧٦

### سورة النجم

فَأَعْرِضْ عَنْ مَن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ ٢٩ ٥٠٥

وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ٤٣ ٨٩٤

### سورة القمر

فَفَنَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ١١ ٨٧٠

فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ٢٩ ٥٦٧

سَيَهْمُ الْجَمْعُ وَيَوَلُونَ الدُّبُرَ ٤٥ ٥٨٤

وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ... مُسْتَطَرٌّ ٥٢ ١٩٠

### سورة الرحمن

يَمَعَّشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ٣٣ ٢٦٠

### سورة الواقعة

إِلَّا قِيَلًا سَلَمًا سَلَمًا ٢٦ ٧٥٤

قُلْ إِنَّا الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ٤٩ ١٢٧

### سورة الحديد

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٤ ١١٣، ١١١، ٩١، ٦٢

فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ بُسُورًا ١٣ ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥

٣٦٨، ٣٦٦

٢٠	وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ	٨٣٥
٢٢	مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ	٦٠٩ ، ١٩٠
٢٥	وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ	٣٤٨ ، ٣٤٧
٢٦	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا	٢٢٦
٢٩	لِتَلْمِزُوا أَهْلَ الْكِتَابِ	٣١٧
<u>سورة المجادلة</u>		
٣	وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ	٤٨
٧	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ	١٨٩
٢١	كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي	٦٠٩ ، ٢٨٧
٢٢	كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ	٦٥٢
<u>سورة الحشر</u>		
٣	وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَآءَ	٦٥٢
٧	وَمَا آتَيْنَاكُمْ الرَّسُولَ فَخُذُوهُ	٦٠٩ ، ٥٩٤
١٧	فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا	٦٧٧
<u>سورة الممتحنة</u>		
١	يُسْرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ	٧٧٢ ، ٧٧٠
١٣	لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ	٢٧٩
<u>سورة الصف</u>		
٥	فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ	٤٠١
<u>سورة الجمعة</u>		
١١	وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ هَاجُوا أَنْفُسُهُمْ	٦٤٨
<u>سورة المنافقون</u>		
٦	سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ	٦٩٦

١٠٦	وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَيْرٌ مُبِينًا	١١
	<u>سورة التغابن</u>	
١٢٨	يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ	٩
٣٧-٣٦	وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ	١٦
	<u>سورة الطلاق</u>	
٨٣٤	وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا	٢
٩٥٩	إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ	٣
١٠٢٣	وَكَايِنٍ مِّنْ قَرِيْبَةٍ عَنَّتْ عَنِّ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ	٨
	<u>سورة التحريم</u>	
٨٧٧ ، ٨٧٦	كَانَتَا تَحْتِ عَبْدَيْنِ مِّنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ	١٠
	<u>سورة الملك</u>	
٧١٤	ثُمَّ أَرْجَعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ	٤
٧٧٠	وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ	١٣
١٩٧	ءَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ	١٦
	<u>سورة القلم</u>	
٤٧٦	مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ	٢
	<u>سورة الحاقة</u>	
٢٥٧	قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ	٢٣
	<u>سورة المعارج</u>	
٧٤٩ ، ١٨٦	سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ	١
٨٤١	إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا	١٩
	<u>سورة نوح</u>	
٨٣٨	جَعَلُوا أَصْبَعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ	٧

٧٧٠	ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا	٩
٨٣٤	فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا	١٠
٥٦	رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ	٢٨

### سورة الجن

٨١٤	لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا	١٦
-----	---------------------------------	----

### سورة المزمل

٣٤	إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأًا	٦
----	--	---

### سورة المدثر

٤٥٧	ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا	١١
-----	----------------------------------	----

### سورة القيامة

١٠٣٧	لَا وِزْرَ	١١
------	------------	----

٧٦٠	وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ	٢٢
-----	-------------------------------	----

### سورة المرسلات

٢٥٣	أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا	٢٥
-----	--	----

٩٢٦	فِي آيٍ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ	٥٠
-----	--------------------------------------	----

### سورة النازعات

٩٧٢	وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ	٤٠
-----	--	----

١٠٦	يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا	٤٢
-----	---	----

٤٧٩	إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ يَخَشَهَا	٤٥
-----	--	----

٥٢٠	إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا	٤٦
-----	--------------------------------	----

### سورة عبس

٢٤٢	فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ	٢٤
-----	----------------------------------	----

سورة التكوير

٤٧٦ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ٢٢

سورة المطفين

٧٦٠ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ١٥

٣٥٩ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيِّنَ ١٨

٧٦٠ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ٢٢

٣٧٦ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا ٢٩

٣٧٦ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا ٣٤

سورة البروج

٣٤ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ٣٤

سورة الطارق

١٥٤ يَوْمَ تَبْيَأُ السَّرَائِرُ ٩

سورة الغاشية

٨٣٠ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ٢١

سورة الفجر

٩١٥ وَجَاءَ رَبُّكَ ٢٢

١٥٩ يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ٢٤

سورة الشمس

٥٦٧ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ١٤

٥٩٥ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ٧

سورة العلق

٦٦٢ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ١١

١٠٢١ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ١٧



## فهرس القراءات القرآنية المتواترة والشاذة

رقم الآية	القراءة	الصحيفة
	<u>سورة البقرة</u>	
١٩١	فَإِنْ قَتَلْتُمْ كُمْ فَاقْتُلُوهُمْ	٥٦٧
	<u>سورة الأنعام</u>	
٣٣	لَا يُكْذِبُوكَ	١٦٥
٧٤	◀ ◆ ✎ ◻ ⑥	٢٠٧
٩٨	فَمُسْتَقَرٌّ	٢٤٨
١١١	قَبَلَا	٢٦٤
١٢٨	أَجَالَنَا	٢٧٦
١٤١	مَعْرُوسَاتٍ وَغَيْرِ مَعْرُوسَاتٍ	٢٩١
١٥٤	تَمَامًا عَلَى الَّذِينَ أَحْسَنُوا	٣٢٢ ، ٣٢١
١٥٤	تَمَامًا عَلَى الْمُحْسِنِينَ	٣٢١
	<u>سورة الأعراف</u>	
١١١	أَرْجِهَ	٣٨٢
١٤٥	سَأُورِثُكُمْ	٣٩٤ ، ٣٩٣
	<u>سورة التوبة</u>	
٨١	خَلَفَ رَسُولَ اللَّهِ	٦٩٩
٨١	خُلِفَ	٧٠١
١٠٦	مُرْجَوُونَ	٣٨٣
١١٨	خَلَفُوا	٧٣٣
	<u>سورة يونس</u>	

٧٩٤	ما جفتم به ءالسحر	٨١
٨٣٢	بأبدانك	٩٢

### سورة هود

٨٧٧	ابنها	٤٢
٨٧٧	ابنه	٤٢
٨٧٩ ، ٨٧٧	إنه عمل غير صالح	٤٦
٨٨١ ، ٨٨٠	إنه عمل غير صالح أن تسألني ما ليس لك به علم	٤٦
٨٩٦	فضحكت	٧١
٩١٥	وما يؤخره	١٠٤
٩٢٣	إلا قليل	١١٦

### سورة يوسف

٩٤٨ ، ٩٤٤	يا بشراي	١٩
٩٤٤	بشراي	١٩
٩٤٦	يا بشرى	١٩
٩٨٨ ، ٩٨٧ ، ٩٨٤	مُتَكَا	٣١
١٠١٨ ، ١٠١٧	سُرَّق	٨١

### سورة الطلاق

٢٦٥	لِقُبْلِ عِدْتِهِنَّ	١
-----	----------------------	---

## فهرس الأحاديث والآثار

الصحيفة	طرف الحديث أو الأثر
٤٤٢، ٤٣٢	﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ قال : أخذوا من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس
٨٥٣	﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾ : ( أنا ) . ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ قال : ( عليّ )
٦١٧	أتدرون أيّ يوم هذا ؟ هذا يوم النحر وهذا يوم الحج الأكبر
٧٠٩	اتقوا الله في الضعيفين : المرأة ، والعبد
٣٣٧	أُحْرَجَ عَلَيْكُمْ حَقُّ الضعيفين : اليتيم والمرأة
٤٣١	أخذ الله الميثاقَ من ظهر آدم بنعمان
٧٨٥	أخرجني إلى رحمة الله ورضوانه
٧٥٨	إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى نادى مناد : يا أهل الجنة
٥١٧	إذا قرأ الإمام فأنصتوا
٣٣٦	إذا يتلغوا رأسي فيدعوه خبزة
٦٩٤	أذني أصلي عليه
٥٢٨	أذهب فاطرحه في القبض
١١٦	أرأيتكم ليلتكم هذه
٧٢٧	استأذنت ربي أن استغفر لها فلم يأذن لي
٣٥٥	أصل كل داء البردة
٥٩٩	أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي
٦١٧	أعظم الأيام عند الله يوم النحر ثم يوم القرّ
٣٢٥	افتقرت اليهود على إحدى وسبعين فرقة
١٢٢	أقدم حيّزوم
٦٠٦	ألحقوا الفرائض بأهلها
٤٠٣	إن أبا بكر رجل أسيف
٧٢٦	إن القبر الذي جلست عنده قبر أمي
١٦٣	إن الكافر إذا خرج من قبره مُثِّلَ له عمله في أقيح صورة

- ٤٣٣ إن الله أخذ ذرية آدم من ظهورهم ، ثم أشهدهم على أنفسهم
- ٦٦٢ إن الله تعالى أنزل سكينته عليك وأيدك
- ٨٢ إن الله خيّرني فاخترت
- ٦٩٤ إن الله خيّرني فاخترت
- ٤٣٢ إن الله لما خلق آدم مسح ظهره فجرت منه كل نسمة
- ١١٦ إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة
- ٦٩٣ إن الماء قليل ، فلا يسبقني إليه أحد
- ٩٧٠ أن ثلاثة خرجوا فلجأوا إلى غار ، فانطبقت عليهم الصخرة
- ٣٦٩ إن مؤمني الجنّ لهم ثواب وعليهم عقاب
- ٧٢١ أنا رأيت الدخان يخرج منه على عهد رسول الله ﷺ
- ٣٣١ أنتم توفون سبعين أمة ، أنتم خيرها
- ٧٢٠ انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله ، فاهدماه وحرّقا
- ٦٩٥ إنما خيّرني الله
- ٥٦٦ إنه لم يقل يوماً : رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين
- ٣٧٤ إنهم قوم خرجوا عصاة بغير إذن آبائهم
- ١٠٢٤ إني أعرف حجراً كان يُسلم عليّ في مكة
- ٦٩٥ إني خيّرْتُ فاخترت لو أعلم أبي لو زدت
- ٧٢٠ إني على جناح سَفَرٍ وحال شُغْلٍ
- ٥٤٧ إني لم أبعث لأعذب بعذاب الله ، إنما بعثت لضرب الأعناق
- ١٠٤٢ أو هرماً مُفَنِّدًا
- ١٩١ أول ما خلق الله القلم
- ٣٧٢ أولئك أصحاب الأعراف ﴿ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾
- ٧٢٤ أَيَّ عَمٍّ ، قُلْ : لا إله إلاّ الله
- ٦١٦ أَيُّ يومٍ هذا ؟ قال : فسكتنا حتى ظننا أنه سيُسمّى
- ٦١٧ أَيُّ يومٍ هذا ؟ قالوا : يوم النحر . قال : هذا يوم الحج الأكبر
- ٧١٣ أيها الناس ، إن منكم منافقين فمن سمّيته فليقم
- ١٤٠ بلّغوا عن الله ، فمن بلغته آية من كتاب الله
- ١٤٠ بلّغوا عني ولو آية ، وحدثوا

- ٧٢٨ بلى ، والله لأستغفرن لأبي كما استغفر إبراهيم لأبيه
- ١٦ تَسَمَّوْا بِاسْمِي وَلَا تَكُنُّوْا بِكُنِّيَّتِي
- ٧٨٤ تلك عاجل بشرى المؤمن في الدنيا
- ١٦٦ جاء جبريل إلى النبي ﷺ ذات يوم وهو جالس حزين فقال له :  
ما يحزنُكَ؟ فقال: كذبي هؤلاء
- ٢٣٦ جاء ناس من اليهود إلى النبي ﷺ وهو مُحْتَبٍ فقالوا : يا أبا القاسم
- ٣٥٢ ، ٣٥١ جعلت لي الأرض مسجداً
- ٤٤٢ جمعهم جميعاً ، فجعلهم أزواجاً ، ثم صورهم ، ثم استنطقهم
- ٦١٣ الحجُّ عرفةُ
- ٣٢٧ حدثني أبو أمامة ، عن رسول الله ﷺ أنهم الخوارج
- ١٠٤٧ الخالةُ أمُّ
- ٤٣٣ خلق الله الخلق وقضى القضية
- ١١٩ ، ١١٨ خيركم قرني ، ثم الذين يلونهم
- ١٠٠٤ الرؤيا الصادقة من الله ، والحلم من الشيطان
- ٧٨١ الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له
- ٥٩٨ سبقت رحمتي غضبي
- ٧٢٨ سمعت رجلاً يستغفر لوالديه وهما مشركان
- ٩٠٧ سيكون في أمي خسفٌ ومسخٌ وقذفٌ بالحجارة
- ٥٨٣ ضربُ الملائكة
- ٥٥٥ العالمُ هلكت إلا العالمون
- ٩٧١ عفي لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل
- ٣٣٧ فحرجوا عليها
- ٥٧٨ في هلك من هلك
- ٣٦٠ فيصعدون بها ، فلا يمرون على مألٍ من الملائكة إلا قالوا
- ٥٢٤ فينا معشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل
- ٣٠٩ قاتل الله اليهود ، حرمت عليهم الشحوم فجملواها
- ١٦٧ قال أبو جهل للنبي ﷺ : ما نتهمك ، ولكن نتهم الذي جئت به ، فأنزل الله
- ٢١٦ قال الله : إني خلقت عبادي حنفاء
- ٢٨٤ قال الله تعالى : يا عبادي ، إني حرمت الظلم على نفسي

- ٢٣٦ قالت اليهود : يا محمد ، أنزل الله عليك كتاباً ؟ قال : (نعم)
- ٥٩٤ قالها إبراهيم حين ألقى في النار ، وقالها محمد
- ٦٩٢ قد قد
- ٤١٩ قضى في دية الخطأ عشرين بنت مخاض وعشرين بني مخاض
- ٧١٣ قم يا فلان ، فاخرج فإنك منافق
- ٤٤٤ كاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم
- ١٩٠ كان الله ولم يكن شيء غيره
- ٤٩٠ كانت حواء لا يعيش لها ولد ، فنذرت لئن عاش لها ولد لتسمينه عبد الحارث
- ١٩١ كتب الله مقادير الخلائق
- ٤٣٨ ، ٤٣٦ كل مولود يولد على الفطرة
- ٢١٦ كلُّ مولودٍ يولدُ على الفطرة
- ٧٤٨ لا تدعوا على أنفسكم ، لا تدعوا على أولادكم ، لا تدعوا على أموالكم
- ١٠٥١ لا يتمنين أحدكم الموت لضُرِّ نزل به
- ٦٠٨ لأقضي بينكما بكتاب الله
- ٧٣٧ لاهجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية
- ١١٦ لَتُبْلَغَنَّ قَرْنَا
- ٥٢٤ لم تحلَّ الغنيمة لقوم سود الرؤوس قبلكم
- ٧٨٣ لم يبق من النبوة إلا المبشرات
- ٤٣٣ لما أخرج الله آدم من الجنة قبل أن يهبطه من السماء ،
- مسح صفحة ظهره اليمنى
- ٧٢٦ لما قدم رسول الله ﷺ مكة ، وقف على قبر أمه حتى سخنت عليه الشمس
- ١٩١-١٩٠ لما قضى الله الخلق كتب في كتاب
- ١٦٦ لما كان يوم بدر قال الأخنس بن شريق لبني زهرة
- ٧٤٨ اللهم إني بشر أعضب كما يغضب البشر ، فأبما رجل سببته
- ٧٦ اللهم فقَّهه في الدين وعلمه التأويل
- ١٠٥٢ اللهم في الرفيق الأعلى اللهم
- ١٠٥١ اللهم كبرت سنِّي وورق عظمي وانتشرت رعيتي فاقبضني إليك
- ٩٧١ اللهم هذا قسمي فيما أملك ، فلا تلمني فيما لا أملك

- ٧٠٤ لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتكم قليلاً
- ١٩٨ ليكونن في هذه الأمة قذف وحسف ومسح
- ٧٤٤ المؤمن إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة وريح طيبة
- ٥٩٩ ما أحلت الغنائم لأحدٍ سود الرؤوس من قبلكم
- ٦٦١ ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ يا أبا بكر
- ٨٥٣ ما في قريش أحد إلا وقد نزلت فيه آية ، قيل له : فما نزل فيك ؟
- ٥١٢ ما من الأنبياء إلا أوتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر
- ٨٥،٢٠٢ ما نزل في آل أبي بكر شيء من القرآن إلا براءتي -
- ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل عُذري
- ١٦٣ من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له
- ٢٨٠ مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا سَلَطَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ
- ٥٢٥ من جاء برأسٍ فله كذا وكذا
- ٥٢٥ من قتل قتيلاً فله كذا وكذا ، ومن أسر أسيراً فله كذا وكذا
- ٣٦٠ الميت تحضره الملائكة ، فإذا كان الرجل الصالح قالوا
- ٣٢٨ نحن معاشر الأنبياء أولاد علات ، ديننا واحد
- ١٤٠ نصّر الله وجه امريء سمع مني مقالة فوعاها
- ١٦ نعم
- ٢١٦ نفسي ! نفسي !
- ٢١٦ هذا ربي
- ٦١٣ هذا يوم الحج الأكبر
- ٦٩٢ هل عرفتم القوم
- ٩٧١ هلك المصريون
- ٥٨٨ هم الجن ، وإن الشيطان لا يُخَبِّلُ أَحَدًا فِي دَارِهِ فَرَسٌ عَتِيقٌ
- ٦٢٣ وإذا عاهد غدر
- ٧٢٦ ، ٧٢٥ ، ٧٢٤ والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك
- ٨٥٣ وددت أني أنا هو ، ولكنه لسان محمد ﷺ
- ٦٢٣ وَفِي الْإِلِّ كَرِيمٍ الْخَلِّ بَرُودُ الظِّلِّ
- ٩٧٢ ومن همّ بسية فلم يعملها كتبت له حسنة كاملة
- ٩٣ ويلك إن لم أعدل فمن يعدل

- ٦٦٩ ويلك إن لم أعدل فمن يعدل
- ٦٦١ يا أبا بكر ، لا تحزن
- ٣٧٩ يا أباجهل بن هشام ، يا عتبة بن ربيعة ، يا شيبه بن ربيعة ،  
ويا فلان بن فلان ، هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟
- ٦١٨ يا أيها الناس ، أيُّ يوم هذا ؟ قالوا : يوم حرام . قال : فأَيُّ بَلَدٍ هذا ؟
- ٥٠٣ ، ٤٩٧ يا جبريل ، ما تأويل هذه الآية ؟ قال : حتى أسأل .
- ٣٢٧ يا عائشة ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَابًا ﴾ هم أصحاب البدع
- ٣٧٢ يجمع الناس يوم القيامة ، فيؤمر بأهل الجنة إلى الجنة
- ٦٣٩ يدًا بيد
- ٤٩٧ يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا
- ٤٣٠ يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرأيت لو كان لك
- ٩٧١ يقول الله تعالى : إذا همَّ عبدي بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه
- ٢٠٧ يَلْقَى إبراهيمُ أباه آزرَ يوم القيامة
- ٦١٧ يوم الأضحى هذا يوم الحجِّ الأكبر
- ٦١٧ يوم النحر

## فهرس الأشعار

البيت	الصحيفة
أُدْعَى بِأَسْمَاءَ نَبْرًا فِي قِبَائِلِهَا	٢٠٩
إِذَا قَالَتْ الْأَنْسَاعُ لِلْبَطْنِ : الْحَقِي	٤٣٦
إِذَا بَغْتُ أَشْيَاءَ قَدْ كَانَ قَبْلَهَا	١٧٧
إِذَا حَشْرَجْتَ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ	١٦٠
إِذَا ذَهَبَ الْقَرْنُ الَّذِي كُنْتَ فِيهِمْ	١٢٠
إِذَا كَانَتْ الْمُهَيْجَاءُ وَانْشَقَّتِ الْعِصَا	٥٩٥
أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةٌ	٦٩٦
أَعَاذِلُ شِكِّي بَدَنِي وَسَيْفِي	٨٢٢
أَفْسَدَ النَّاسَ خُلُوفٌ خَلَفُوا	٦٢٢ ، ٦٢٤
أَقْتَلَهُمْ وَلَا أَرَى مَعَاوِيَةَ الْجَاظِ الْعَيْنِ الْعَظِيمِ الْحَاوِيَةَ	٣٠٤
أَلَا أَبْلَغُ بَنِي عَمْرٍو رَسُولًا بِأَنِي عَنِ فَتَاخَتِكُمْ غَنِي	٥٥٨
أَلَا لَيْتَنِي قَطَّعْتُ مَتِي بِنَانَةَ وَلَا فَيْتَهُ فِي الْبَيْتِ يَقْظَانُ حَاذِرَا	551
إِلَى الْمَلِكِ الْقَرْنِ وَابْنِ الْهَمَامِ	٨٥٩
أَلَيْتَ لَوْلَا حَرَجَ يَعْرُوبِي مَا جِئْتَ أَغْرُوكَ وَلَا تَغْرُوبِي	٣٣٩
إِنْ تَقْوَى رَبَّنَا خَيْرَ نَفَلٍ وَيَأْذَنُ اللَّهُ رَيْثِي وَعَجَلٍ	٥٢٦ ، ٥٢٩
إِنْ شَرِخَ الشَّبَابِ وَالشَّعْرَ الْأَسْوَدَ مَا لَمْ يُعَاصَ كَانَ جَنُونَا	٦٤٨
إِنَّا إِذَا أَحْمَرَّ الْوَعْيُ تُرْوِي الْقَنَا	٥٢٧
إِنِّي ضَمَنْتَ لِمَنْ أَتَانِي مَا جَنَّتِي	٦٤٩
إِنِّي لَأَتِي الْعُرْسَ عِنْدَ طُهُورِهَا	٨٩٧
أَوْرَثَنِي حَمُولَةً وَفَرَشْنَا أُمُشُّهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مَشْنَا	٢٩٤
بَدَا لِي مِنْهَا مَعْصَمٌ يَوْمَ جَمَرْتِ	551
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لِحَاسِبٍ	٩١٦
بَعِيدٌ مَدَى التَّطْرِبِ أَوَّلُ صَوْتِهِ	٤١٩ ، ٤١٨
بَيْنَ رِمَاحِي مَالِكٍ وَنَهْشَلٍ	٨٨٣ ، ٨٨٢
تَرْتَعُ مَا رَتَعْتَ حَتَّى إِذَا ادَّكَّرْتَ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ	

- تَرَدَّتْ به ثم انفردى عن أديمها تَفَرِّيَ لَيْلٍ عن بياض نهار ٢٤٥، ٢٤٧
- ترى الأبدان فيها مُسْبَعَاتٍ على الأبطال واليَلْبَ الحصينا ٨٢٢
- ترداد للعين إهجاجاً إذا سفرت وتخرج العين فيها حين تنتقب ٣٣٧
- تَضْحَكُ الضَّبْعُ لِقَتْلَى هُدَيْلٍ وترى الذئبَ لها يَسْتَهْلُ ٨٩٧
- تَضْحَكُ الضَّبْعُ من دماء سليم إذ رأها على الحراب تَمُورُ ٨٩٧
- تضعو الخناييص والغول التي أكلت في حاوياء رُدُوم الليل مجعار ٣٠٥
- تق الله واستر ذا الجمال ببرقع فإن بحت حاضت في الخدور العواتق ٩٩٥
- ثلاثة أهلين أفنيتهم وكان الإله هو المُسْتَأْسَا ١١٧
- جزى الله إلاً كان بيني وبينهم جزاءَ ظُلمٍ لا يُؤخَّرَ عاجلاً ٦٢٢
- جعلت السيف بين الجيد فيه وبين أسيلٍ حَدِيهِ عَدَارَا ٥٤٥
- حتى إذا قَمِلَتْ بُطُونُكُمْ ورأيتم أبناءكم شَبُورًا ٩٣٦
- وقلبتُم ظَهَرَ المَجْنِّ لنا إن اللئيمَ العاجزُ الحَبُّ
- حجَّ وأوصى بِسُلَيْمَى الأعبدا ألا ترى ولا تكلم أحدا ٣١٦، ٣١٩
- حُزِيَتْ لي بِحَزْمٍ فَيَدَّةٌ تُحْدَى كاليهوديِّ من نَطَاةِ الرِّقَالِ ١٠٢٢
- حشرج في الحوف صهيلاً أو شهق حتى يقال : ناهق وما نهق ٩١٧
- خذ منهم ما أتوا عَفْوَاً إذا غضبوا ولا يكن همك الأمر الذي مَنَعُوا ٤٩٧
- خذني العفو مني تستدعي مودتي ولا تنطقي في سَوْرَتِي حين أغضب ٤٩٧، ٤٩٥
- خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فإن لحت ذابت في الخدور العواتق ٩٩٥
- رأيت رجالاً من قريش كثيرة ولم أرَ في القوم القيامَ كخالد ٥٤٤
- كسالك الوليد بن المغيرة مجده وعلمك الشيخان ضَرَبَ القَمَاحِدِ ٤٧٢
- سؤال حَفِيٍّ عن أخيه كأنه بذكرته وُسْنَانُ أو مُتَوَاسِنُ ٤٧٢
- سبقوا هَوِيٍّ وأعنقوا لهواهم فَتُخَرَّمُوا ولكل جنب مَصْرَعُ ٩٤٦
- عَصِيَتْ إليها القلبَ إني لأمرها سميعٌ فما أدري أُرْشِدُ طَلَابُهَا ٧٩٣
- عفا الله عنك ألا حرمة تعود بفضلك أن أبعدا ٦٦٧
- ألم تر عبداً عدا طوره ومولى عفا ورشيداً هدى ٧٠١، ٦٩٩
- أقلني أقالك من لم يزل يقل ويصرف عنك الأذى ٣٣٧
- عقبَ الربيعُ خلافهم فكأنما بسط الشواطبُ بينهن حَصِيرًا ٣٣٧
- عوجي علينا ربة الهودج إنك إلا تفعلني تُحْرِجِي

- ٥٤٦ غَشِيَّتَهُ وَهُوَ فِي جَأْوَاءَ بَاسِلَةً عَضْبًا أَصَابَ سِوَاءَ الرَّأْسِ فَانْفَلَقَا  
 ٣٨٦ غَيْرَ الْجِدَّةِ مِنْ آيَاتِهَا خَرَقَ الرِّيحُ وَطُوفَانُ الْمَطَرِ  
 ٤٠٣ غَيْرُ مَأْسُوفٍ عَلَى زَمَنِ يَنْقُضِي بِالْهَمِّ وَالْحُزْنَ  
 ٧٧١ فَاسْرَرْتُ النَّدَامَةَ يَوْمَ نَادَى بَرْدَ جَمَالِ غَاضِرَةِ الْمَنَادِي  
 ٨٩٦ فَأَضْحَكَ الضَّبَّاعَ سَيْوْفُ سَعْدٍ بَقَتَلِي مَا دُفِنَ وَلَا وُدَيْنَا  
 ٤٧١ فَإِنْ تَسَأَلِي عَنِّي فَيَأْرَبُ سَائِلٍ حَفِيٌّ عَنِ الْأَعْشَى بِهِ حَيْثُ أَصْعَدَا  
 ٦٤٨ فَتَوْضِحُ فَالْمَقْرَأَةَ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا  
 ٣٢٣ فَنَبَتَ اللَّهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنِ فِي الْمُرْسَلِينَ وَنَصْرًا كَالَّذِي نُصِرُوا  
 ٦٨٥ فَنَبَتَ اللَّهُ مَا آتَاكَ مِنْ حُسْنٍ فِي الْمُرْسَلِينَ وَنَصْرًا كَالَّذِي نُصِرُوا  
 ٣٣٧ فَخَرَجْتُ خَوْفَ يَمِينِهَا فَتَبَسَّمَتْ فَعَلِمْتُ أَنَّ يَمِينَهَا لَمْ تُخْرَجْ  
 ١٦٨ فَطَائِفَةٌ قَدْ أَكْفَرُوا بِي بِحُبِّكُمْ وَطَائِفَةٌ قَالُوا : مَسِيءٌ وَمَذْنَبٌ  
 ٩٨٧ فَظَلَلْنَا بِنِعْمَةٍ وَأَتَكَّأْنَا وَشَرِبْنَا الْحَلَالَ مِنْ قُلَّةٍ  
 ٦٩٩ فَقُلْ لِلَّذِي يَبْقَى خِلَافَ الَّذِي مَضَى تَأَهَّبْ لِأُخْرَى مِثْلَهَا فَكَأَنَّ قَدْ  
 ٤١٨ فَكَانَ مِجْنِي دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَّقِي ثَلَاثَ شُخُوصٍ : كَاعِبَانَ وَمِعْصِرُ  
 ١٢٨ فَلَا تَتْرُكْنِي بِالْوَعِيدِ كَأَنِّي إِلَى النَّاسِ مَطْلَبِي بِهِ الْقَارُ أَجْرَبُ  
 ٩٣٥ فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَانْتَحَى بِنَا بَطْنُ حَبْتِ ذِي قِفَافٍ عَقْنَقَلُ  
 ٩٥٠ فَلَمَّا شَرَاهَا فَاضَتْ الْعَيْنُ عَبْرَةً وَفِي الصِّدْرِ حَزَاؤٌ مِنَ اللُّومِ حَافِرُ  
 ٧٩٣ فَلَمَّا لَبَسْنَا اللَّيْلَ أَوْ حِينَ نَصَبْتُ لَهُ مِنْ خَدَا أَذَانِهَا وَهُوَ جَانِحُ  
 ٨١٩ فَمَنْ بَعَثْتَهُ كَمَنْ بَنَجَوْتَهُ وَالْمُسْتَكِنُ كَمَنْ يَمْشِي بِقُرُوحِ  
 ٦٤٩ فَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ فَإِنِّي وَقِيَارُهَا لَغَرِيبُ  
 ٤٨٢ فَيَا لَقْصِي مَا زَوَى اللَّهُ عَنْكُمْ بِهِ مِنْ فَخَارٍ لَا يُبَارَى وَسُودَدِ  
 ٦٩٩ قَالَ : تَبَكُّ فِي رَسْمِ الدِّيَارِ فَإِنَّهَا دِيَارُ بَنِي عَوْفٍ وَهَلْ عَنْهُمْ صَبْرُ  
 ٣٨٦ فَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أَعِيشَ خِلَافَهُمْ بِسِتَّةِ آيَاتٍ كَمَا نَبَتَ الْعَتْرُ  
 ٢٧ قَدْ مَدَّ طُوفَانٌ فَبَثَ مَدَدًا شَهْرًا شَأْيِبَ وَشَهْرًا بَرْدًا  
 ٢٧ قَصْدِي الْمُوْتَلُّ فِي جَهْرِي وَإِسْرَارِي وَمَطْلَبِي مِنَ الْوَاحِدِ الْبَارِي  
 ٨٦٠ ، ٨٥٨ كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشْفُ الْبَالِي  
 ٣٠٥ كَأَنَّ نَقِيقَ الْحَبِّ فِي حَاوِيَاتِهِ فَحِيحُ الْأَفَاعِي أَوْ نَقِيقَ الْعُقَارِبِ  
 ٣٧٣ كُلُّ جَارٍ ظَلَّ مَغْتَبِطًا غَيْرَ حَيْرَانَ بَنِي سَلْمَةَ  
 ٣٦٨ كُلُّ كِنَازٍ لَحْمُهُ نِيَافٍ كَالْعَلَمِ الْمُوْفِي عَلَى الْأَعْرَافِ

- لا يَسْمَعُ المرءُ فيها ما يُونسه ٣٠٧  
بالليل إلا نعيمَ البومِ والضُّوعَا
- إِلَّا عَلَيْنَا واجبٌ لا نُضِيعُهُ ٦٢٤  
متينٌ قُواه غيرُ مُنتَكثِ الحَبْلِ
- لتقتلني وقد شَعَفْتُ فُؤَادَهَا كما ٩٨١  
شَعَفَتِ المهنوءةَ الرجلُ الطالِي
- لُدُّوا للموتِ وابنوا للخرابِ ٨١٥
- لعمرك إنَّ إلكَ من قريشٍ كِإلِّ السقبِ من رَألِ النعامِ ٦٢٢
- لقد علمَ الحُميَّ اليمانونُ أَنِّي ٦٧٧  
إذا قلتُ أما بعدُ أَنِّي خطيبُها
- لَنَحْنُ الأَلَى قُلتُمُ فَأَنَّى مُلْتَمِئُ ٧٩٣  
برؤيتنا قبلَ اهتمامِ بكم رعبًا
- لولا بنو مالكٍ وإِلَّ مَرْقَبَةٌ ٦٢٤  
ومالكٌ فيهمُ الآلاءُ والشَّرَفُ
- لَيْبِكَ عَلَيَّ مِلْحَانَ صَيْفٍ مُدْفَعٌ ١٠٣٠  
وأرْملةٌ تُزجِي مع الليلِ أَرْمَلًا
- ما كانَ حينَكَ والشقاءُ لينتهي ٦٤٩  
حتى أزوركِ في مُغارِ مُحْصَدِ
- من يفعلُ الخيرَ لا يَعْدَمُ جَوَازِيهَ ٥٠١  
لا يَذْهَبُ العُرفُ بينَ الله والناسِ
- نَأْيِ النساءِ عَلَيَّ أَطْهَارهنَ ولا ٩٩٤  
نَأْيِ النساءِ إِذَا أَكْبَرْنَ إِكْبَارًا
- نحنُ بما عندنا وَأنتِ بما عندكِ راضٍ والرأيُ مختلفُ ٦٤٩
- نشربُ الإثمَ بالصُّواعِ جَهَارًا ٩٨٨  
وترى المُتَكَ بيننا مُسْتَعَارًا
- تُفَلِّقُ هَامًا من رجالِ أعزَّةِ ٥٤٦  
علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلما
- هَمَمْتُ بِهِمَّ من بُثِينَةَ لو بدا ٩٧٠  
شَفِيتُ غُليلاتِ الهوى من فُؤادِيا
- وأزرقُ الفجرِ يبدو قبلَ أبيضه ٢٤٧  
وأولُ الغيثِ قطرًا ثم ينسكبُ
- وإقدامي عَلَيَّ المَكروهِ نفسِي ٥٤٦  
وأضربُ هَامَةَ البطلِ المُشِيحِ
- وإن الذي حانتَ بفلجِ دماؤهم ٦٨٦  
هم القومُ كلُّ القومِ يا أم خالِدِ
- وإن الموتِ طوعِ يدي إِذا ما 551  
وَصَلَّتْ بناها بالهِنْدُوانِي
- وإن امرءًا دامت موائيقُ عهده ٦٧٨  
عَلَيَّ مِثْلُ هذا إِنَّه لَكريمِ
- وإن مَدَلَّتْ رجلي دَعْوَتَكَ أَشْتَفِي ٣٤٢  
بَدَعواكَ مَنْ مَدَّلَ بِها فَيَهُونُ
- وأنتِ ما أنتِ في غَبْرَاءِ مُظْلَمَةٍ ٦٢٣  
إِذا دَعَتِ الأَلْيَها الكاعِبُ الفُضْلُ
- وإني لَعَبْدُ الضيفِ ما دامَ ثاويًا ٤٩٢  
وما فيَّ إِلاَّ تَلِكُ من شِيمَةِ العَبْدِ
- والواهبِ المائَةِ الهجانِ وعبدها ١٠٣٠  
عُودًا تُزجِي خَلْفَها أَطْفالُها
- وبيضاءَ كالتَّهْيِ مَوْضُونَةً لها قَوْنَسُ فُوقَ جَيْبِ البَدَنِ ٨٢٢
- وحوينا الفرشِ من أنعامكم ٢٩٦  
والحمولاتِ ورباتِ الحِجْلِ
- وذلكِ في ذاتِ الإلهِ وإن يَشَأُ ٥٣٢  
يباركُ عَلَيَّ أوصالِ شِلْوِ مِمزَعِ
- ورثتُ بناءَ آباءِ كرامِ ٣٦٨  
عَلُوا بالمجدِ أعرافِ البناءِ



## فهرس الأماكن والبلدان

الصحيفة	الأماكن والبلدان
٥٧٢ ، ٥٧١ ، ٥٧٠ ، ٥٦٩	أحد
٣٩٨	الأحقاف
٢١ ، ١٨	الأندلس
٣٨١ ، ٣٧٩ ، ١٦٦ ، ١٢٢	بدر
٥٢٩ ، ٥٢٨ ، ٥٢٥ ، ٥٢٤	
٥٧٠ ، ٥٦٩ ، ٥٤٢ ، ٥٤٠	
٥٧٧ ، ٥٧٦ ، ٥٧٢ ، ٥٧١	
٦٢٧ ، ٥٩٩ ، ٥٨٠ ، ٥٧٩	
٦٥٩	
٦٤٥	البصرة
٧٢٠ ، ٦٦٥	تبوك
٦٦١	ثور
٥٩٢	الحبشة
٦٠٢	الحديبية
٦٦١	حراء
٦٣٨ ، ٦٣٧ ، ٦٣٦ ، ٦٣٥	حنين
٦٧٣ ، ٦٧١	
١٠٢٢	خيبر
٧٢٠	ذي أوان
٩٠٥ ، ٦٢٦ ، ٣٩٦ ، ٣٩٤	الشام
٦١٩ ، ٦١٢	صفين
٢٧	طريف
٤٣١	عرفة
٦١٩ ، ٦١٨ ، ٦١٤ ، ٦١٢	عرفة
٢٢ ، ٢٠ ، ١٨	غرناطة

٤٤٨	مدین
٩٤٢	مدین
٥٤٠ ، ٣٠٠ ، ١٠٢ ، ١٥٤ ، ٢٣١	المدینة
٦٣٣ ، ٥٩٢ ، ٥٨١ ، ٥٧٩	
٨٠٦ ، ٧٣٩ ، ٧٣٣ ، ٧٢٠	
٩٠٥ ، ٨٢٨ ، ٨٢٧	
٤٤٦	مدینة الجبارین
٣٩٥ ، ٣٩٤ ، ٣٩٣ ، ٤٥	مصر
١٠٠١ ، ١٠٠٠ ، ٨٠٦	
١٠٠٢	
٢١ ، ١٨	المغرب
٥٦٩ ، ٤٩٣ ، ٢٣٤ ، ١٣٨	مكة
٦٢٧ ، ٥٩٢ ، ٥٨١ ، ٥٧٩	
٩٣١ ، ٩١٩ ، ٦٣٤ ، ٦٣٠	
١٠٥٣ ، ١٠٣٦ ، ٩٣٢	
١٠٥٤	
٦١٨	مِنی
٤٣١	نعمان
٤٤٨ ، ٤٤٦	اليمن

## فهرس المصادر والمراجع

### الكتب المطبوعة:

- القرآن الكريم. (برواية حفص عن عاصم ، وعد آيه ، (٦٢٣٦) آية ، مجمع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة) .
- ابن جزيء ومنهجه في التفسير من خلال كتابه التسهيل لعلوم التنزيل ، لعبدالرحمن سعد بركة ، ليبيا ، منشورات كلية الآداب والتربية، جامعة سبها، ط ١ : ١٩٩٤ م .
- ابن جزيّ ومنهجه في التفسير ، لعللي بن محمد الزبيري ، دمشق ، دار القلم ، ط ١ : ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
- الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي ، لعللي بن عبدالكافي السبكي، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ١ : ١٤٠٤ هـ .
- إتخاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر ، لأحمد بن محمد البنا ، تصحيح وتعليق: علي محمد الضباع ، الناشر : عبدالحميد أحمد حنفي .
- الإتيقان في علوم القرآن ، للسيوطي : جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر السيوطي ، تحقيق : سعيد المنذوب ، بيروت ، دار الفكر ، ط ١ : ١٤١٦ هـ .
- الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال ، لمحمد عبدالله عنان ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ط ١ : ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م .
- الآحاد والمثاني لأحمد بن عمرو بن الضحاك الشيباني (ت ٢٨٩) ، دار الراهة - الرياض ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م ط (١) - تحقيق د. باسم فيصل الجوابرة .
- الإحاطة في أخبار غرناطة ، للسان الدين ابن الخطيب ، تحقيق: محمد عبدالله عنان ، القاهرة ، مكتبة الخانجي .
- الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان ، لابن بلبان ، أبي الحسن علي ابن بلبان الفارسيّ ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط ٢ : ١٤١٤ هـ .
- أحكام أهل الذمة ، تأليف شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزيه) ، تحقيق د/صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط ٣ : ١٩٨٣ م .

- أحكام القرآن ، لابن العربي : أبي بكر محمد بن عبدالله المعافري ، تحقيق : علي محمد الجاوي ، بيروت ، دار المعرفة .
- أحكام القرآن ، للجصاص : أبي بكر أحمد بن علي ، ضبط : عبدالسلام محمد شاهين ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ٢ : ٢٠٠٣ م .
- إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد بن محمد الغزالي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
- اختلاف المفسرين أسبابه وآثاره ، لسعود بن عبدالله الفنيسان ، الرياض ، دار إشبيلية ، ط ١ : ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .
- الأدب المفرد ، للإمام البخاري : أبي عبدالله محمد إسماعيل إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفي مولاهم ، مطبوع مع شرحه "فضل الله الصمد" ، دار الريان للتراث ، المكتبة السلفية ، القاهرة ، ط (٣) ١٤٠٧هـ .
- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب = معجم الأديب.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، لأبي السعود : محمد بن محمد العمادي ، دار الفكر.
- أزهار الرياض في أخبار عياض ، لشهاب الدين أحمد بن محمد لمقري ، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة.
- أساس البلاغة، لجار الله : محمد بن عمر الزمخشري ، تحقيق : عبدالرحيم محمود ، بيروت ، دار المعرفة ، ط ١٩٨٢م .
- أسباب اختلاف المفسرين ، لمحمد بن عبدالرحمن الشايع ، الرياض ، مكتبة العبيكان ، ط ١ : ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
- أسباب الخطأ في التفسير للدكتور طاهر محمود محمد يعقوب ، دار ابن الجوزي ، ط ١ : ١٤٢٥ .
- أسباب التزول ، لأبي الحسن : علي بن أحمد الواحدي ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، دار القبلة - جدة ، مؤسسة علوم القرآن - بيروت ، ط (٣) ١٤٠٧هـ .
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، لابن عبدالبر: أبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر التمري القرطبي ، تحقيق : علي محمد الجاوي ، بيروت ، دار الجليل ، ط ١ : ١٤١٢هـ .

- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لابن الأثير : علي بن محمد ، تحقيق : محمد إبراهيم البنا ، ومحمد أحمد عاشور ، ومحمود عبدالوهاب فايد ، مصر ، دار الشعب .
- أسرار البلاغة لعبدالقاهر الجرجاني ، بواسطة الجامع الكبير لكتب التراث الإسلامي والعربي ١٤٢٨-١٤٢٩هـ ، الإصدار الرابع .
- الأسماء والصفات ، للبيهقي ، تحقيق عبدالله الحاشدي ، مكتبة السوادي ، جدة ، ط ١ ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .
- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز ، للعز بن عبدالسلام ، تحقيق : رمزي دمشقية ، بيروت ، دار البشائر الإسلامية ، ط ١ : ١٤٠٨هـ .
- الأشباه والنظائر ، لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، مصر ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٣٩٥هـ .
- الاشتقاق لابن دريد : أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، مصر ، مؤسسة الخانجي ، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م .
- الإصابة في تمييز الصحابة ، للحافظ ابن حجر : أحمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، بيروت ، دار الجليل ، ١٤١٢هـ .
- أصول السرخسي ، لأبي بكر محمد بن أحمد بن سهل السرخسي ، بيروت ، دار المعرفة .
- الأضداد ، لمحمد بن القاسم الأنباري ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، صيدا - بيروت ، المكتبة العصرية ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي .
- الاعتقاد : الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ، للبيهقي ، تحقيق أحمد بن إبراهيم أبو العينين ، دار الفضيلة ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م .
- إعراب القرآن ، لأبي جعفر : أحمد بن محمد النحاس ، تحقيق : د. زهير غازي زاهد ، بيروت ، عالم الكتب ، ط ٣ : ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م .
- إعراب القرآن الكريم وبيانه لمحي الدين الدرويش ، دار الإرشاد ، حمص ، سورية ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨ . اليمامة ، دمشق . دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت .
- أعلام المغرب والأندلس = نثر الجمان في شعر من نظمنا وإياه الزمان

- إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم : أبي عبدالله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي  
الدمشقي، تحقيق : طه عبدالرؤوف ، بيروت ، دار الجليل ، ١٩٧٣م.
- الأعلام ، لخير الدين الزركلي ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط ١١ : ١٩٩٥م.
- إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان ، تأليف أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم  
الجوزية، تحقيق وتصحيح وتعليق محمد حامد الفقي ، دار الفكر .
- الأغاني ، لأبي الفرج الأصبهاني ، تحقيق : علي مهنا ، وسمير جابر ، بيروت ، دار الفكر.
- الإقناع في القراءات السبع ، تأليف أحمد بن علي الباذش ، حققه وقدم له د/عبد المجيد قطامش ،  
دار الفكر ، دمشق ، ط ١ : ١٤٠٣ .
- الأمالي في لغة العرب ، لأبي علي : إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي ، بيروت ، دار الكتب  
العلمية ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
- الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤ هـ) ، تحقيق : خليل محمد هراس ، نشر : دار الفكر  
- بيروت - ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
- الأموال ، لابن زنجويه ، تحقيق د/شاكِر ذيب فياض ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات  
الإسلامية ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- الانتصاف لابن المنير ، مطبوع بهامش الكشاف للزمخشري .
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، لناصر الدين : عبدالله بن عمر البيضاوي ، تقديم محمود  
الأرناؤوط، دار صادر - بيروت ، ط ١ : ٢٠٠١م.
- الأوساط في السنن والإجماع لأبي بكر محمد بن إبراهيم النيسابوري ، تحقيق د/ أبوحمّاد صغير  
أحمد بن محمد حنيف ، دار طيبة ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ط ٢ : ١٤١٤هـ /  
١٩٩٣م .
- أوصاف الناس في التواريخ والصلوات ، للسان الدين بن الخطيب السلماني ، تحقيق : د.محمد  
كمال شبانة ، المغرب ، مطبعة فضالة المحمدية .
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، لجمال الدين : ابن هشام الأنصاري ، تحقيق : محمد محي  
الدين عبدالحميد ، بيروت ، دار الجليل ، ط (٥) : ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

- إيجاز البيان عن معاني القرآن ، لحمود ابن أبي الحسن النيسابوري ، تحقيق : د.علي بن سليمان العبيد ، الرياض ، مكتبة التوبة ، ط ١ : ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .
- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، لإسماعيل باشا بن محمد أمين الباباني ، تصحيح : محمد شرف الدين ، ورفعت بيلكة ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي .
- الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ، لمكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق : د.أحمد حسن فرحات ، جدة - مكة ، دار المنارة ، ط ١ : ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- الإيضاح في الوقف والابتداء لأبي بكر بن الأنباري ، ت: محي الدين عبد الرحمن رمضان ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧١م .
- بحر العلوم ، لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي ، تحقيق وتعليق : علي محمد معوض ، وعادل أحمد عبدالموجود ، وزكريا عبدالمجيد النوتي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ١ : ١٤١٣هـ .
- البحر المحيط في أصول الفقه ، للزرکشي : بدر الدين محمد بن بهادر الزرکشي ، تحقيق : د.محمد محمد تامر ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ١ : ١٤٢١هـ .
- البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي : محمد بن يوسف بن علي ، دار الفكر ، ط ٢ ، ١٩٨٣م / ١٤٠٣هـ .
- بحوث في أصول التفسير ومناهجه ، لفهد بن عبدالرحمن الرومي ، الرياض ، مكتبة التوبة ، الزلفي ، مكتبة دار المتعلم ، ط ٥ : ١٤٢٠هـ .
- بدائع التفسير ، الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية ، جمعه ووثق نصوصه وخرج أحاديثه يسري السيد محمد ، دار ابن الجوزي ، ط ١ : ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .
- بدائع الفوائد ، لابن القيم : أبي عبدالله ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي الدمشقي ، تحقيق : هشام عبدالعزيز عطا وآخرين ، مكة المكرمة ، مكتبة الباز ، ط ١ : ١٤١٦هـ .
- البداية والنهاية ، لابن كثير : أبي الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير ، تحقيق د/عبدالله التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات بدار هجر ، ط (١) ١٤١٧هـ .
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، للشوكاني : محمد بن علي ، بيروت ، دار المعرفة ، ١٣٤٨هـ .

- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة ، تأليف عبد الفتاح بن عبد الغني القاضي ، مكتبة الدار بالمدينة المنورة ، ط ١ : ١٤٠٤ هـ .
- البرهان في علوم القرآن ، لبدر الدين : محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق : د. زكي محمد أبو سريع ، الرياض ، دار الحضارة ، ط ١ : ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م .
- البعث والنشور ، للبيهقي ، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
- بغية المرتاد ، لابن تيمية أحمد بن عبد الحلیم (٧٢٨ هـ) ، تحقيق سعيد لحام ، ط ١ ، بيروت ، دار الفكر العربي ، ١٩٩٠ م .
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، للسيوطي : جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر ، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ط ١ : ١٣٨٤ هـ .
- بهجة الأريب في بيان مافي كتاب الله العزيز من الغريب ، تأليف علاء الدين علي بن عثمان بن ابراهيم المارديني المعروف بابن التركماني ، تحقيق خالد محمد خميس ، إشراف ومراجعة د/أحمد عبد المجيد هريدي ، القاهرة ، ١٤٢٢ هـ ، ٢٠٠٢ م .
- البيان ، لأبي البركات الأنباري ، ت: د. طه عبد الحميد ، ط : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠ م .
- البيان في غريب إعراب القرآن ، لأبي البركات عبد الرحمن بن الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) ضبطه : بركات يوسف هبّود ، دار الأرقم - بيروت - لبنان ، ١٤٢١ هـ .
- تاج العروس من جواهر القاموس ، لأبي الفيض : محمد مرتضى الزبيدي ، دار الهداية .
- تاريخ ابن خلكان = وفيات الأعيان وأنباء الزمان .
- تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ١٩٦١ م .
- التاريخ الصغير، للإمام البخاري ، تحقيق محمود إبراهيم زايد ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
- التاريخ الكبير ، للإمام البخاري : أبي عبد الله محمد إسماعيل إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفي البخاري ، توزيع دار الباز ، مكة المكرمة .

- تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي : أبي بكر أحمد بن علي ، بيروت ، دار الكتب العلمية .
- تاريخ مدينة دمشق ، لابن عساكر : أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي ، تحقيق : محب الدين أبو سعيد عمر بن علامة العمروي ، بيروت ، دار الفكر ، ١٤١٥هـ .
- تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة ، شرح : السيد أحمد صقر ، بيروت ، المكتبة العلمية ، ط ٣ : ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
- التبيان في إعراب القرآن = إملاء ما من به الرحمن ، لأبي البقاء : عبد الله بن الحسين العكبري ، تحقيق : علي بن محمد البجاوي .
- التحرير شرح التحرير ، للمرداوي علاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان الحنبلي ، مكتبة الرشد - السعودية / الرياض - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، ط ١ ، تحقيق : د. عبد الرحمن الجبرين ، د. عوض القرني ، د. أحمد السراح .
- التحرير والتنوير ، لمحمد الطاهر بن عاشور ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس .
- تحرير تقريب التهذيب لابن حجر ، تأليف بشار عواد وشعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .
- تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي للإمام الحافظ محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ، ضبط ومراجعته وتصحيح عبد الرحمن محمد عثمان .
- تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف للإمام الحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف المزني ، تحقيق د/عبد الصمد شرف الدين ، إشراف زهير الشاويش ، المكتبة الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ : ١٤٠٣ / ١٩٨٣م .
- تحفة الودود في أحكام المولود ، لابن قيم الجوزية .
- تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري ، للزيلعي جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف ، اعتناء : سلطان بن فهد الطبيشي ، دار ابن خزيمة بالرياض ، ط ١ ، ١٤١٤هـ .
- تخريج أحاديث مشكاة المصابيح ، للألباني .
- تخريج فقه السيرة للغزالي ، للألباني .

- تذكرة الأريب في تفسير الغريب ، لأبي الفرج : جمال الدين عبدالرحمن بن علي الجوزي ، تحقيق: د.علي حسين البواب ، الرياض ، مكتبة المعارف ، ط ١ : ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦ م .
- تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر ، لجرجي زيدان ، بيروت ، دار مكتبة الحياة .
- الترجمان في غريب القرآن لأبي المحاسن القرشي اليماني ، تعليق د/يحيى مراد ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م .
- التسهيل لعلوم التنزيل ، لابن جُزَيّ : محمد بن أحمد بن جُزَيّ الكلبي ، دار الفكر .
- التعريف والإعلام فيما أهتم في القرآن من الأسماء والأعلام ، لأبي القاسم السهيلي ، تحقيق الأستاذ عبده مهنا ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٧ م .
- تعليق التعليق على صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني ، تحقيق د/ سعيد القزقي ، طبعة المكتب الإسلامي ، بيروت ، دار عمار ، الأردن ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ .
- تفسير الجلالين ، للإمامين الجليلين جلال الدين المحلي وجمال الدين السيوطي ، مطبوع مع شرحه "الفتوحات الإلهية" لسليمان الحمل .
- تفسير سفيان الثوري ، للإمام أبي عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤٠٣ / ١٩٨٣ م .
- تفسير القرآن الحكيم للسيد محمد رشيد رضا ، تعليق وتصحيح سمير مصطفى رباب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م .
- تفسير القرآن العزيز ، لأبي عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي زمنين ، تحقيق حسين بن عكاشه ومحمد مصطفى الكتر ، ط ١ : ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢ م ، الفاروق الحديثة بالقاهرة .
- تفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم ، تحقيق : أسعد محمد الطيب ، مكة المكرمة ، مكتبة نزار الباز ، ط ١ : ١٤١٧هـ / ١٩٩٧ م .
- تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : إسماعيل بن عمرو بن كثير الدمشقي ، تحقيق : مصطفى السيد محمد و محمد السيد رشاد و آخرون ، دار عالم الكتب ، ط ١ : ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤ م .
- تفسير القرآن ، لأبي المظفر السمعاني : منصور بن محمد المروزي ، تحقيق : ياسر بن إبراهيم ، وغنيم عبس غنيم ، الرياض ، دار الوطن ، ط ١ : ١٤١٨هـ / ١٩٩٧ م .
- تفسير المراغي ، تأليف أحمد مصطفى المراغي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

- تفسير المشكل من غريب القرآن ، لمكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق : د.علي حسين البواب ، الرياض ، مكتبة المعارف ، ١٤٠٦هـ .
- تفسير مقاتل بن سليمان ، دراسه وتحقيق د/ عبدالله محمود شحاته ، مؤسسة التاريخ العربي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط٢ : ١٤٢٣ / ٥ / ٢٠٠٢ م .
- تفسير عبدالرزاق الصنعاني ، تحقيق : د.مصطفى مسلم محمد ، الرياض ، دار الرشد ، ط ١ : ١٤١٠هـ .
- تفسير غريب القرآن ، لأبي محمد : عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨ م .
- تفسير مبهمات القرآن للبلنسي ، للإمام أبي عبدالله محمد بن علي البلنسي ، دراسة و تحقيق د/حنيف بن حسن القاسمي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م .
- تقريب التهذيب ، لابن حجر : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق : محمد عوامة ، سوريا ، دار الرشيد ، ط ١ : ١٤٠٦هـ .
- تقريب الوصول إلى علم الأصول ، لابن جزيّ : محمد بن أحمد بن جزيّ الكلبي ، تحقيق : محمد علي فركوس ، ط ١ : ١٤١٠هـ / ١٩٩٠ م .
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، لابن عبد البر : أبي عمر يوسف بن عبدالله بن عبد البر النمري ، تحقيق : مصطفى أحمد العلوي ، محمد عبدالكبير البكري ، المغرب ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ١٣٨٧هـ . مكتبة السوادي ، جدة .
- تمييز الطيب من الخبيث ، لأبي الضياء عبدالرحمن بن الدبيع الشيباني ..
- التمييز لما أودعه الزمخشري من الاعتزال في تفسير الكتاب العزيز لأبي علي عمر بن محمد السكوني (٧١٧هـ) تحقيق السيد يوسف أحمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط (١) ، ١٤٢٦هـ .
- تهذيب الآثار للطبري ، تحقيق : محمود محمد شاكر . مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٣٧٥هـ .
- تهذيب الأسماء واللغات ، للنووي : أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف ، بيروت ، دار الفكر ، ط ١ : ١٩٩٦ م .

- تهذيب التهذيب ، لابن حجر : أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، بيروت ، دار الفكر ، ط ١ : ١٤٠٤هـ .
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، للمزي : أبي الحجاج جمال الدين يوسف بن عبدالرحمن ، تحقيق : د.بشار عواد معروف ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ : ١٤٠٠هـ .
- تهذيب اللغة ، للأزهري : أبي منصور محمد بن أحمد ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ط ١ : ٢٠٠١م .
- التوحيد وإثبات صفات الرب عزوجل ، لابن خزيمة : محمد بن إسحاق ، تحقيق : عبدالعزيز الشهوان ، الرياض ، مكتبة الرشد ، ط ٥ : ١٤١٤هـ .
- التيسير في القراءات السبع ، للداني : أبي عمرو عثمان بن سعيد ، تصحيح : أوتويرتزل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .
- تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان ، تأليف عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تقديم محمد زهري النجار ، مطبعة المدني ، المؤسسة السعودية بمصر ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
- جامع الأصول في أحاديث الرسول ، للمبارك بن محمد بن الأثير الجزري مجد الدين أبي السعادات (٦٠٦هـ) تحقيق : عبد القادر الأرئوط ، مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان ، ط ١ ، ١٣٨٩ - ١٣٩٢هـ .
- الجامع ، للإمام الترمذي : أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرين ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
- جامع بيان العلم وفضله وماينبغي في روايته وحمله ، للإمام العلامة أبي عمرو يوسف بن عبد البر النمري القرطبي ، دار الفكر .
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، لابن جرير الطبري ، تحقيق : د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ١ : ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، لابن جرير الطبري ، تحقيق : محمود شاكر ، الناشر مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ط (٢) .

- الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور الرسول صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ، للإمام البخاري : أبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفي مولا هم، ترقيم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي .
- الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي : أبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي ، تحقيق : الدكتور عبدالله ابن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط (١) ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦ م .
- جمهرة أشعار العرب ، لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، دار الأرقم - بيروت ، تحقيق : عمر فاروق الطباع .
- جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم : أبي محمد علي بن حزم الظاهري ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، مصر ، دار المعارف ، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢ م .
- الجمهرة ، في اللغة لابن دريد : أبي بكر محمد بن الحسن الأزدي ، تحقيق : رمزي منير البعلبكي، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط ١ : ١٩٨٧ م .
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، تأليف العلامة سيدي عبد الرحمن الثعالبي ، تحقيق وتخريج وتوثيق أبي محمد الغماري الإدريسي الحسني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م .
- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ، لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية) ، حققه وعلق عليه علي الشربجي و قاسم النوري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ : ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .
- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ، لمحمد عرفة الدسوقي ، دار الفكر .
- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، لبنان .
- حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، دار إحياء الكتب العربية .
- حاشية العدوي على الخرشي على مختصر سيدي خليل ، دار الفكر .
- حجة القراءات ، لابن زنجلة : الإمام أبي زرعه عبدالرحمن بن محمد ، تحقيق وتعليق : سعيد الأفغاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٥ : ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م .
- الحجة للقراء السبعة ، لأبي علي الفارسي ، تحقيق بدر الدين فهوجي وبشير جويجاتي ، دار المأمون للتراث .

- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، لجلال الدين : عبدالرحمن السيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧ م .
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لأبي نعيم الأصبهاني : أحمد بن عبدالله الأصبهاني ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ط ٤ : ١٤٠٥هـ .
- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ، لعبدالرازق البيطار ، تحقيق : محمد بهجة البيطار ، بيروت ، دار صادر ، ط ٢ : ١٤١٣هـ / ١٩٩٣ م .
- الحماسة البصرية ، للبصري ، عالم الكتب ، بيروت .
- الحيوان ، للجاحظ ، تحقيق عبدالسلام هارون ، ط : الجمع العلمي العربي الإسلامي .
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، لعبدالقادر بن عمر البغدادي ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ط ٣ : ١٩٨٩ م .
- الخلاصة في النحو : ألفية ابن مالك ، لابن مالك .
- خلق أفعال العباد ، للإمام البخاري ، مؤسسة الرسالة ١٤٠٤هـ .
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، لمحمد عبدالحق عظيمه ، دار الحديث ، القاهرة .
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، للسمين الحلبي : أحمد بن يوسف ، تحقيق : د. أحمد محمد الخراط ، دمشق ، دار القلم ، ط ١ : ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦ م .
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، لجلال الدين : عبدالرحمن السيوطي ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٩٣ م .
- درة الحجال في أسماء الرجال ، لابن القاضي : أبي العباس ، أحمد بن محمد المكناسي ، تحقيق : محمد الأحمد أبو النور ، تونس ، المكتبة العتيقة ، القاهرة ، دار التراث ، ط ١ : ١٣٩٢هـ / ١٩٧١ م .
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، لابن حجر : أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، مراقبة : محمد عبدالمعيد خان ، الهند ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ط ٢ : ١٣٩٢هـ .
- دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني أبو العباس (٧٢٨هـ) ، تحقيق د. محمد السيد الجليند ، مؤسسة علوم القرآن سنة النشر ١٤٠٤هـ .

- دلائل النبوة و معرفة أحوال صاحب الشريعة لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق وتعليق د/عبدالمعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، لإبراهيم بن علي بن فرحون ، بيروت ، دار الكتب العلمية .
- ديوان أوس بن حجر .
- ديوان حاتم الطائي .
- ديوان الحطيئة .
- ديوان الشماخ بن ضرار .
- ديوان الأعشى ، شرح وتعليق : محمد محمد حسين ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط ٧ : ١٩٨٣ م .
- ديوان الفرزدق .
- ديوان المتنبي ، دار بيروت ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
- ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مصر ، دار المعارف ، ١٩٧٧ م .
- ديوان الهذليين .
- ديوان امرئ القيس .
- ديوان بشار بن برد .
- ديوان تأبط شرا .
- ديوان جرير بن عطية ، تحقيق : نعمان أمين طه ، مصر ، دار المعرفة ، ط ٣ .
- ديوان جميل بن معمر .
- ديوان حاتم الطائي .
- ديوان حسان بن ثابت .
- ديوان ذي الرمة ، شرح : أحمد بن حاتم الباهلي ، رواية : أبي العباس ثعلب ، تحقيق : عبدالقدوس أبي صالح ، بيروت ، مؤسسة الإيمان ، ط ١ : ١٩٨٢ م .
- ديوان عمر بن أبي ربيعة ، الهيئة المصرية العامة (١٩٧٨م) ، ودار صادر ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ .
- ديوان عمرو بن معديكرب .

- ديوان عنتره .
- ديوان كثير عزة .
- ديوان لبيد بن ربيعة .
- ذيل وفيات الأعيان للمكناسي .
- الرد على الجهمية ، لابن مندة : محمد بن إسحاق بن مندة ، تحقيق وتعليق : د.علي بن محمد ناصر الفقيهي ، باكستان ، مكتبة الغرباء الأثرية ، ط ٣ : ١٤١٤ هـ .
- الرسالة ، للشافعي : أبي عبدالله محمد بن إدريس ، تحقيق أحمد شاكر ، القاهرة ، ١٣٥٨ هـ .
- الرؤية ، للدارقطني علي بن عمر (٣٨٥ هـ) ، حققه إبراهيم العلي وأحمد الرفاعي ، مكتبة المنار - الأردن ط(١) ، ١٤١١ هـ .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لمحمود الألوسي ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي .
- الروح ، لأبي عبدالله بن قيم الجوزيه ، مكتبة المتنبي ، دار العلوم الحديثه ، بيروت ، لبنان .
- الروض المعطار في خير الأقطار ، لمحمد بن عبدالمنعم الحميري ، تحقيق : د.إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، ط ١٩٧٥ م .
- روضة المحبين ونزهة المشتاقين لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزيه ، دار الكتب العلميه ، بيروت ، لبنان .
- زاد المسير في علم التفسير ، لأبي الفرج : جمال الدين عبدالرحمن بن علي الجوزي ، نشر : زهير الشاويش ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ط ٤ : ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
- زاد المعاد في هدي خير العباد ، لابن القيم : أبي عبدالله ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي الدمشقي ، تحقيق : شعيب وعبدالقادر الأرناؤوط ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، الكويت ، مكتبة المنار الإسلامية ، ط ١٤ : ١٤٠٧ هـ .
- الزهد ، لهناد بن السري ، تحقيق عبدالرحمن الفريوائي ، دار الخلفاء ، الكويت ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ .
- الزهد والرفائق ، لعبدالله بن المبارك ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٨٦ هـ .

- زوائد الزهد ، لعبدالله بن الإمام أحمد .
- السبعة ، لأبي بكر بن مجاهد ، تحقيق : شوقي ضيف ، دار المعارف ، ط ٢ : ١٤٠٠هـ .
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيخ من فقهها و فوائدها ، تأليف محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، ط ٤ : ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- السنة ، لعبدالله بن أحمد بن حنبل ، تحقيق : محمد سعيد سالم القحطاني ، الدمام ، دار ابن القيم ، ط ١ : ١٤٠٦هـ .
- سنن ابن ماجه ، لأبي عبدالله : محمد بن يزيد بن ماجه القزويني ، تحقيق وترقيم : محمد فؤاد عبدالباقي ، بيروت ، دار الفكر .
- سنن أبي داود ، لأبي داود : سليمان بن الشعث السجستاني الأزدي ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، بيروت ، دار الفكر .
- سنن البيهقي = السنن الكبرى .
- سنن الترمذي = الجامع .
- سنن الدارقطني ، لأبي الحسن : علي بن عمر الدارقطني ، بتصحيح وعناية : السيد عبدالله هاشم اليماني المدني ، بيروت ، دار المعرفة ، ١٣٨٧هـ .
- سنن الدارمي ، لأبي محمد : عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي ، تحقيق : فواز أحمد زمري ، وخالد السبع العلمي ، دار الكتاب العربي ، ط ١ : ١٤٠٧هـ .
- سنن سعيد بن منصور ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م .
- السنن الكبرى ، لأبي عبدالرحمن : أحمد بن شعيب بن علي النسائي ، تحقيق : د. عبدالغفار سليمان البندار ، سيد كسروي حسن ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ١ : ١٤١١هـ .
- السنن الكبرى ، للبيهقي : أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى ، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا ، مكة المكرمة ، دار الباز ، ١٤١٤هـ .
- سنن النسائي الصغرى ( المحتبى ) ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، ١٤٠٦هـ ، ط (٢) .

- سير أعلام النبلاء ، للذهبي : أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، محمد نعيم العرقسوس ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط ٩ : ١٤١٣هـ .
- سيرة ابن إسحاق ، لأبي بكر : محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي ، تحقيق : محمد حميد الله ، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب .
- السيرة النبوية ، لابن هشام : عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري ، تحقيق : طه عبدالرؤوف سعد ، بيروت ، دار الجيل ، ط ١ : ١٤١١هـ .
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، لمحمد بن محمد مخلوف ، دار الفكر .
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن العماد : أبي الفلاح عبدالحمي بن أحمد بن العماد الحنبلي ، تحقيق : عبدالقادر الأرنؤوط ، ومحمود الأرنؤوط ، دمشق ، دار ابن كثير ، ط ١ : ١٤٠٦هـ .
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، لابن عقيل : بهاء الدين عبدالله بن عقيل المصري الهمداني ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، سوريا ، دار الفكر ، ١٤٠٥ هـ .
- شرح أشعار الهدليين ، صنعة أبي سعيد السكري ، تحقيق عبدالستار أحمد فراج ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة .
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب و السنة و إجماع الصحابة والتابعين من بعدهم ، تأليف أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي ، تحقيق الدكتور أحمد سعد حمدان ، دار طيبة ، الرياض .
- شرح التصريح على التوضيح ، تأليف خالد بن عبدالله الأزهرى ، دار إحياء الكتب العربية .
- شرح السنة ، للبعغوي الحسين بن مسعود (٥١٦هـ) ، تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرنؤوط ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م .
- شرح العقيدة الطحاوية ، لعلي بن علي بن أبي العز الحنفي ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ط ٤ : ١٣٩١هـ .
- شرح القواعد الفقهية ، تأليف الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الزرقا ، دار القلم ، دمشق ، ط ٢ : ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .
- شرح النووي على مسلم ، دار إحياء التراث العربي .

- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، تأليف الإمام عبدالله بن هشام الأنصاري المصري .
- شرح شواهد شرح الشافية ، لعبدالقادر البغدادي ، ملحق بشرح شافية ابن الحاجب للأسترابادي ، تحقيق محمد نور الحسن وآخرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥ م .
- شرح طيبة النشر في القراءات العشر ، تأليف شهاب الدين أبي بكر أحمد بن محمد بن الجزري الدمشقي ، ضبط و تعليق الشيخ أنس مهرة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م .
- شرح الكافية الشافية ، لابن مالك دار المأمون للتراث ، ط ١ ، ١٤٠٢ هـ .
- شرح الكوكب المنير ، لمحمد بن أحمد الفتوح الحنبلي ، تحقيق محمد الزحيلي ونزيه حماد ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ .
- شرح مختصر خليل ، للخرشي ، بيروت ، دار الفكر .
- شرح معاني الآثار ، للإمام أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي المصري الطحاوي الحنفي ، حققه وعلق عليه محمد زهري النجار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ : ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
- شرح المفصل ، لابن يعيش ، المطبعة المنيرية .
- شرف أصحاب الحديث ، للخطيب البغدادي ، تحقيق محمد سعيد خطيب أوغلي ، دار إحياء السنة النبوية .
- الشريعة ، لأبي بكر محمد الآجري ، تحقيق : د.عبدالله بن عمر بن سليمان الدميحي ، الرياض ، دار الوطن ، ط ٢ : ١٤٢٠ هـ .
- شعب الإيمان ، للبيهقي ، ت : محمد السعيد زغلول ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٠ هـ .
- شعر الكميت بن زيد الأسدي ، جمع د/داود سلوم ، مكتبة الأندلس ، بغداد ١٩٦٩ م .
- شعر النابغة الجعدي ، تحقيق : عبدالعزيز رباح ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ط ١ : ١٩٦٤ م .
- الشعر و الشعراء ، لابن قتيبة ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .

- شفاء العليل ، لابن القيم : شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزيه ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
- الشواذ ، لابن خالويه = مختصر في شواذ القراءات .
- الصِّحَاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار ، ط ٢ : ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- صحيح ابن حبان = الإحسان .
- صحيح ابن خزيمة ، لأبي بكر : محمد بن إسحاق ، تحقيق وتعليق وتخريج : د. محمد مصطفى الأعظمي ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ط ٢ ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .
- صحيح البخاري = الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور الرسول صلى الله عليه وسلم وسنن وأيامه .
- صحيح الترغيب والترهيب ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت - دمشق ، ط ١ ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- صحيح الجامع الصغير وزيادته ( الفتح الكبير ) ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، ط ٢ : ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
- صحيح مسلم ، للإمام مسلم بن الحجاج القشيري ، تحقيق وترقيم : محمد فؤاد عبدالباقي ، لبنان ، دار الفكر ، ط : ١٤٠٣ هـ .
- صحيفة علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير القرآن الكريم ، اعتنى بها : راشد عبدالمنعم الرجال ، مكتبة السنة ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م .
- صفوة الصفوة ، لابن الجوزي : أبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد ، تحقيق : محمود فاخوري ، ود. محمد رواس قلعة جي ، بيروت ، دار المعرفة ، ط ٢ : ١٣٩٩ هـ .
- الصواعق المرسله على الجهمية و المعطله ، تصنيف الشيخ شمس الدين أبي عبدالله محمد (ابن قيم الجوزية) ، تحقيق و تخريج و تعليق و تقديم د/ علي بن محمد الدخيل الله ، دار العاصمة ، الرياض ، نشره الأولى ١٤٠٨ هـ .
- طبقات الحفاظ ، للسيوطي : عبدالرحمن بن أبي بكر ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ١ : ١٤٠٣ هـ .

- الطبقات الكبرى ، لابن سعد : أبي عبدالله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري ، بيروت ، دار صادر .
- طبقات المفسرين ، للسيوطي عبدالرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ
- طبقات المفسرين ، لمحمد بن علي الداودي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ١ : ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
- ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٠هـ .
- عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب ، لأبي بكر : محمد بن أبي عثمان الحازمي ، تحقيق : عبدالله كنون ، القاهرة ، الهيئة العامة لشئون المطابع الميرية ، ط ٢ : ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣ م .
- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ، تأليف ابن قيم الجوزية ، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق ، بيروت ، مكتبة دار التراث ، المدينة المنورة ، ط ١ : ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م .
- العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ، تحقيق خالد بن عثمان السبت ، إشراف بكر بن عبدالله أبوزيد ، دار عالم الفوائد ، مكة ، ط ٢ : ١٤٢٦ هـ .
- العرف وأثره في التشريع الإسلامي ، لمصطفى أبو عجيل ، المنشأة العامة ، طرابلس ، ط ١ ، ١٣٩٥هـ .
- العقوبات ، لابن أبي الدنيا ، تحقيق محمد خير رمضان يوسف ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٦هـ .
- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، تأليف أحمد بن يوسف بن عبدالدائم المعروف بالسمين الحلبي ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م .
- العين ، للفراهيدي : أبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد ، تحقيق : د.مهدي المخزومي ، و د.إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال .
- عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

- غاية النهاية في طبقات القراء ، لابن الجزري : محمد بن محمد بن الجزري ، عني بنشره : ج. برجستراسر ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ١ : ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م .
- غرائب التفسير وعجائب التأويل ، لمحمود بن حمزة الكرماي ، تحقيق : د. شمان سركان العجلي ، جدة ، دار القبلة ، دمشق ، مؤسسة علوم القرآن ، ط ١ : ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
- غرائب القرآن و رغائب الفرقان ، للقمي نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري ، ضبط وتخرىج زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .
- غريب الحديث لإبراهيم الحربي .
- الفائق في غريب الحديث للزخشي ، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٧١م .
- فتح الباري شر صحيح البخاري ، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ترقيم : محمد فؤاد عبدالباقي ، وتعليق : عبدالعزيز بن باز ، دار الفكر ، ١٣٧٩هـ .
- فتح البيان في مقاصد القرآن ، تأليف أبي الطيب صديق بن حسين بن علي ، الحسين القنوجي البخاري ، عني بطبعه و قدم له وراجعاه عبدالله بن إبراهيم الأنصاري ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، لمحمد بن علي الشوكاني ، تحقيق : د. عبدالرحمن عميرة ، المنصورة ، دار الوفاء ، ط ٢ : ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .
- فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد ، تأليف عبدالرحمن بن حسن بن محمد آل الشيخ ، تحقيق الدكتور وليد بن عبد الرحمن بن محمد ، توزيع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة ، ط ٤ : ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .
- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ، تأليف سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بـ ( الجمل ) ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٥هـ / ١٤٩٤م .
- فصول في أصول التفسير ، لمساعد بن سليمان الطيار ، الدمام ، دار ابن الجوزي ، ط ٣ : ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

- فضائل القرآن ، لأبي عبيد القاسم بن سلام ، تحقيق وهي سليمان غاوجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م .
- الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المحفوظ "علوم القرآن" ، "القراءات" ، عمان ، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية لمؤسسة آل البيت ، ط ٢ .
- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات ، للكتاني : عبدالحى بن عبدالكبير الكتاني ، عناية : د.إحسان عباس ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ط ٢ : ١٤٠٢هـ .
- الفوائد المجموعه في الأحاديث الموضوعه ، لشيخ الإسلام محمد علي الشوكاني ، تحقيق : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان .
- فيض القدير شرح الجامع الصغير ، للعلامة محمد المدعو بعبد الرؤف المناوي ، مؤسسة قرطبة ، توزيع دار إحياء السنة النبوية .
- القاموس المحيط ، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، تحقيق : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ : ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
- القدر ، للفريابي ، تحقيق عبدالله المنصور ، أضواء السلف ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .
- القراءات الشاذة لابن خالويه .
- القراءة خلف الإمام ، للبيهقي ، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ .
- القضاء والقدر في ضوء الكتاب و السنة ومذاهب الناس فيه ، تأليف الدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود ، دار النشر الدولي ، الرياض ، ط ١ : ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .
- القطع والائتناف ، لأبي جعفر النحاس ، تحقيق : د.أحمد خطاب العمر ، بغداد ، مطبعة العاني ، بغداد ، ط ١ : ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
- قواعد الترجيح عند المفسرين ، لحسين بن علي الحربي ، الرياض ، دار القاسم ، ط ١ : ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .

- قواعد التفسير جمعاً و دراسة ، لخالد بن عثمان السبت ، دار ابن عفان ، القاهرة ، مصر ، ط ١ : ١٤٢١ هـ .
- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ، لمحمد بن صالح بن عثيمين ، دار ابن القيم ومكتبة ابن الجوزي ، الدمام ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ .
- قوانين الأحكام الشرعية و مسائل الفروع الفقهية ، لابن جُزَيّ .
- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ، للذهبي : أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان ، تحقيق : محمد عوامة ، جدة ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، مؤسسة علوم القرآن ، ط ١ : ١٤١٣ هـ .
- الكافي الشافي ، لابن حجر العسقلاني ، مصورة دار المعرفة ، بيروت .
- الكامل في ضعفاء الرجال ، لعبدالله بن عدي بن عبدالله الجرجاني ، تحقيق : يحيى مختار غزاوي ، بيروت ، دار الفكر ، ط ٣ : ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م .
- الكتاب ، لسيبويه : أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، بيروت ، دار الجيل ، ط ١ .
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، ضبط : محمد عبدالسلام شاهين ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ١ : ١٤١٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- كشف المشكلات و إيضاح المعضلات في إعراب القرآن و علل القراءات ، لنور الدين أبي الحسن : علي بن الحسين الباقولي ، تحقيق : د. عبدالقادر عبدالرحمن السعدي ، عمّان ، دار عمان ، ط ١ : ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م .
- الكشف عن وجوه القراءات السبع و عللها و حججها ، لمكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق : محيي الدين رمضان ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط ٢ : ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
- الكفاية في علم الرواية ، للخطيب البغدادي ، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .
- الكليات ، لأبي البقاء : أيوب بن موسى الكفوي ، تحقيق : عدنان درويش ، و محمد المصري ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م .

- لباب التأويل في معاني التنزيل ، لعلاء الدين : علي بن محمد الخازن ، ضبط : عبدالسلام محمد شاهين ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ١ : ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .
- لباب النقول في أسباب النزول ، للسيوطي : جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ، بيروت ، دار إحياء العلوم .
- لسان العرب ، لابن منظور : أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي ، بيروت ، دار صادر ، ط ١ .
- لسان الميزان ، لابن حجر ، منشورات مؤسسة الأعلمي .
- المبسوط في القراءات العشر ، لابن مهران أبي بكر أحمد بن الحسين ، تحقيق سبيع حمزة حاكمي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .
- مجاز القرآن ، لأبي عبيدة : معمر بن المثنى ، تعليق : د.محمد فؤاد سزكين / القاهرة ، مكتبة الخانجي .
- المجتبى = سنن النسائي الصغرى .
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، القاهرة ، دار الريان للتراث ، ١٤٠٧هـ .
- مجمل اللغة لابن فارس أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥ هـ) ، تحقيق : زهير سلطان ، مؤسسة الرسالة ط(١) ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، جمع وترتيب : عبدالرحمن بن محمد بن قاسم ، المملكة العربية السعودية ، مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والوقاف والدعوة والإرشاد .
- محاسن التأويل ، لجمال الدين القاسمي ، تحقيق : أحمد بن علي ، وحمدي صبح ، القاهرة ، دار الحديث ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .
- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، لأبي الفتح ، عثمان بن جني ، تحقيق : عبدالحليم النجار وآخرين ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في الجمهورية العربية المتحدة ، ط ٢ : ١٣٨٦هـ - ١٣٨٩هـ / ١٩٦٦م - ١٩٦٩م .

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لأبي محمد : عبدالحق بن عطية الأندلسي ، تحقيق وتعليق  
عبدالله بن إبراهيم الأنصاري والسيد عبدالعال إبراهيم ، دار الفكر العربي - دار الكتاب  
الإسلامي ، القاهرة ، الطبعة الثانية .
- المحصول في علم أصول الفقه ، للفخر الرازي : محمد بن عمر بن حسين الرازي ، تحقيق : طه  
جابر فياض العلواني ، الرياض ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط ١ : ١٤٠٠ هـ .
- المحكم والمحيط الأعظم ، لأبي الحسن : علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ، تحقيق : عبدالحميد  
هندراوي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ١ : ٢٠٠٠ م .
- مختصر في شواذ القراءات ، لابن خالويه : أبي عبدالله الحسين بن أحمد بن خالويه الهمداني  
النحوي ، نشر : برجستراسر ، مصر ، المطبعة الرحمانية ، ١٩٣٤ م .
- مدارك الترتيل ، للنسفي ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
- مذكرة أصول الفقه ، للشنقيطي ، تقديم عطية محمد سالم ، ١٣٩١ هـ ، دار القلم ، بيروت .
- المراسيل ، لأبي داود السجستاني ، تحقيق عبدالعزيز السيروان ، دار القلم ، بيروت ، ١٤٠٦ هـ  
/ ١٩٨٦ م .
- المراسيل ، لابن أبي حاتم ، تحقيق شكر الله بن نعمة الله قوجاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط  
٢ ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- المسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف للزمخشري لصالح بن غرم الله الغامدي ، دار الأندلس -  
حائل - ط (٢) ، ١٤٢٢ هـ .
- المستدرک علی الصحیحین ، للحاکم : أبي عبدالله بن عبدالله النيسابوري ، دراسة وتحقيق :  
مصطفى عبدالقادر عطا ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ١ : ١٤١١ هـ .
- مسند أبي داود الطيالسي ، دار المعرفة - بيروت .
- مسند أبي يعلى الموصلي ، لأحمد بن علي بن المثنى ، تحقيق وتخریج : حسين سليم أسد ، دمشق  
، دار المأمون للتراث ، ط ١ : ١٤٠٤ هـ .
- مسند ابن أبي شيبة ، دار الوطن - الرياض - ١٩٩٧ م ، ط (١) ، تحقيق عادل بن يوسف  
العزازي وأحمد بن فريد المزيدي .

- المسند ، للإمام أبي عبدالله : أحمد بن حنبل الشيباني ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط ٢ : ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩ م .
- المسند ، للإمام أبي عبدالله : أحمد بن حنبل الشيباني ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ط (٥) : ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- مشارق الأنوار على صحاح الآثار ، للقاضي عياض ، المكتبة العتيقة بتونس ، دار التراث بالقاهرة .
- مشاهير علماء نجد وغيرهم ، لعبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ .
- المشتبه في الرجال أسمائهم و أنسابهم للحافظ الذهبي ، تحقيق : علي محمد الجاوي ، ط الحلبي ١٩٦٢ م .
- مشكل إعراب القرآن ، لمكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق : د.حاتم صالح الضامن ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط ٤ : ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨ م .
- مشكل الآثار للطحاوي .
- المصباح المنير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ ، مكتبة لبنان ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٧ م .
- المصنف لأبي بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، الرياض ، مكتبة الرشد ، ط ١ : ١٤٠٩هـ .
- المصنف ، للصنعاني : أبي بكر عبدالرزاق بن همام ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ط ٢ : ١٤٠٣هـ .
- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ، لابن حجر العسقلاني ، ضبط وإخراج : أيمن أبو يماني وأشرف صلاح ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧ م .
- المعارف ، لابن قتيبة الدينوري ، تحقيق د/ثروت عكاشة ، دار المعارف ، القاهرة .
- معالم التنزيل ، لأبي محمد : الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق : محمد عبدالله النمر وآخرين ، الرياض ، دار طيبة ، ط ١ : ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢ م .
- معاني القرآن الكريم ، لأبي جعفر : أحمد بن محمد النحاس ، تحقيق : محمد علي الصابوني ، مكة المكرمة ، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ، ط ١ : ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨ م .

- معاني القرآن وإعراجه ، للزجاج : أبي إسحاق إبراهيم بن السري ، تحقيق : د.عبدالجليل عبده شلبي ، بيروت ، عالم الكتب ، ط ١ : ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
- معاني القرآن ، لأبي الحسن سعيد بن مسعدة "الأخفش الأوسط" ، تحقيق : د.هدى محمود قراعة ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ط ١ : ١٤١١هـ/١٩٩٠م .
- معاني القرآن ، لأبي زكريا : يحيى بن زياد الفراء ، تحقيق : أحمد يوسف نجاتي ، ومحمد علي النجار ، بيروت ، دار السرور .
- المعاني الكبير في أبيات المعاني ، لابن قتيبة الدينوري ، تحقيق سالم الكرنكوي ، دار النهضة الحديثة ، بيروت .
- معجم الأدباء ، لياقوت بن عبدالله الحموي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ١ : ١٤١١هـ .
- المعجم الأوسط ، للطبراني : أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب ، تحقيق : طارق بن عوض الله ، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، القاهرة ، دار الحرمين ، ١٤١٥هـ .
- معجم البلدان ، لياقوت الحموي : شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت الحموي الرومي البغدادي ، بيروت ، دار الفكر .
- معجم الشعراء ، للمرزباني ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ، دار إحياء الكتب العربية .
- المعجم الكبير ، للطبراني : أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب ، تحقيق : حمدي عبدالمجيد السلفي ، الموصل ، مكتبة العلوم والحكم ، ط ٢ : ١٤٠٤هـ .
- معجم متن اللغة ، لأحمد رضا ، مكتبة دار الحياة ، بيروت ١٣٧٧هـ .
- معجم المؤلفين ، لعمر رضا كحالة ، بيروت ، مطبعة المثني ، ودار إحياء التراث العربي ، ط ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
- المعجم الوسيط ، لمجمع اللغة العربية ، مصر ، دار الدعوة .
- معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس : أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، بيروت ، دار الجيل ، ط ٢ : ١٤٢٠هـ .

- المُعَرَّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، للجواليقي ، تحقيق أحمد شاکر ، دار الكتب المصرية ، القاهرة .
- معرفة الثقات ، للعجلي : أحمد بن عبدالله بن صالح العجلي ، تحقيق : عبدالعليم عبدالعظيم البستوي ، المدينة المنورة ، مكتبة الدار ، ط ١ : ١٤٠٥هـ .
- معرفة السنن والآثار ، للبيهقي ، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ، تحقيق : سيد كسروي حسن .
- المغازي ، لمحمد بن عمر بن واقد الواقدي ، تحقيق محمد عبدالقادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م ، الطبعة : الأولى .
- مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، لابن هشام : جمال الدين عبدالله بن يوسف ، تحقيق : محيي الدين عبدالحميد ، صيدا ، المكتبة العصرية ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .
- مفاتيح الغيب ، لفخر الدين : محمد بن عمر الرازي ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ط ٤ : ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .
- مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، تأليف العلامة الراغب الأصفهاني ، تحقيق صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية ، بيروت ، ط ٣ : ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م .
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ، تأليف شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، تصحيح وتعليق عبدالله محمد الصديق ، ترجمة وتقديم عبدالوهاب عبداللطيف ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ط ٢ : ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م ، مكتبة الخانجي بالقاهرة .
- مقاييس اللغة = المقاييس في اللغة ، لأحمد بن زكريا بن فارس بن زكريا ، تحقيق عبدالسلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١١هـ .
- المقتضب ، للمبرد : أبي العباس محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق : محمد عبدالخالق عزيمة ، بيروت ، عالم الكتب .
- مقدمة في أصول التفسير ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، دار الصحابة للتراث ، طنطا ، ط ١ : ١٩٨٨م .

- المكتفى في الوقف و الإبتداء ، لأبي عمرو الداني ، تحقيق : د.يوسف المرعشلي ، ط: مؤسسة الرسالة ١٩٨٤ م .
- المنتقى من السنن المسندة عن رسول الله > ، لابن الجارود ، دار القلم ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .
- الملل والنحل ، للشهرستاني : محمد بن عبدالكريم بن أحمد ، صححه وعلق عليه الأستاذ أحمد فهمي محمد ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ٢ ، ١٤١٣هـ /١٩٩٢م .
- منار السبيل في شرح الدليل على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، تأليف الشيخ إبراهيم بن محمد ابن سالم بن ضويان ، تحقيق زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، ط٧: ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .
- المنتخب من مسند عبد بن حميد ، تحقيق مصطفى العدوي ، دار الأرقم ، الكويت ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م .
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، لابن الجوزي : أبي الفرج ، عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ، بيروت ، دار صادر ، ط ١ : ١٣٥٨هـ .
- منع جواز الجازي المتزلّ للتعبد والإعجاز ، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، إشراف : بكر بن عبدالله أبو زيد ، مكة المكرمة ، دار عالم الفوائد ، ط ١ : ١٤٢٦هـ .
- منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية أبي العباس تقي الدين أحمد عبد الحلیم ، تحقيق ، د/محمد رشاد سالم ، ط ١ : ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
- المنهاج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ، لزين محمد شحاته ، مكتبة العواصم ، دار بلنسية ، الرياض ، ط ١٠ ، ١٤٢٢هـ .
- الموافقات في أصول الشريعة ، لأبي إسحاق الشاطبي : إبراهيم بن موسى الغرناطي ، ضبط وتعليق : عبدالله دراز ، مصر ، المكتبة التجارية .
- مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل ، لمحمد بن محمد الخطاب ، الدار البيضاء ، دار الرشاد الحديثة ، ط ٣ : ١٤١٢هـ .
- الموسوعة العربية العالمية ، الرياض ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، ط ٢ : ١٤١٩هـ/١٩٩٩م .

- الموطأ ، للإمام مالك بن أنس ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، مصر ، دار إحياء التراث .
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، للذهبي : أبي عبدالله ، محمد بن أحمد بن عثمان ، تحقيق : علي محمد معوض ، وعادل أحمد عبدالموجود ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ١ : ١٩٩٥ م .
- الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز ، لأبي عبيد : القاسم بن سلام ، تحقيق : محمد بن صالح المدير ، الرياض ، مكتبة الرشد ، وشركة الرياض ، ط ٢ : ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م .
- الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عز وجل ، لأبي جعفر : أحمد بن محمد النحاس ، تحقيق : د. سليمان بن إبراهيم اللاحم ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ : ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م .
- النبأ العظيم ، د. محمد عبدالله دراز ، اعتنى به : عبد الحميد الدخاخي ، دار طيبة للنشر ط (١) ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م .
- نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان ، لأبي الوليد إسماعيل بن الأحمر النصري ، تحقيق : د. محمد رضوان الداية ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ : ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م .
- النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة ، لعباس حسن ، دار المعارف بمصر ، ط ٣ : ١٩٦٦ م .
- نسب قريش لمصعب بن عبدالله بن المصعب الزبيري (٢٣٦ هـ) ، دار المعارف - القاهرة - ليفي بروفسال .
- نشر البنود على مراقبي السعود ، تأليف سيدي عبدالله بن إبراهيم العلوي الشنقيطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م .
- النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري : محمد بن محمد بن الجزري ، مراجعة : علي محمد الضباع ، مصر المكتبة التجارية .
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام المفسر برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ط ٢ : ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م .
- النظم المتناثر ، للسيوطي .
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، لأحمد بن محمد المقرئ ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، ١٣٨٨ هـ .

- النكت والعيون ، لأبي الحسن : علي بن محمد الماوردي ، تعليق : السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ١ : ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
- نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب ، لأبي العباس : أحمد القلقشندي ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ط ٢ : ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- نهاية الأندلس ، لمحمد عبدالله عنان ، ط ٣ ، مطبعة لجنة التأليف ، القاهرة / ١٣٨٦هـ .
- النهاية في غريب الحديث ، لابن الأثير : مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ، تحقيق : محمود الطناحي ، وطاهر الزواوي ، بيروت ، دار الفكر ، ط ٢ : ١٣٩٩هـ .
- النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى ، لمحمد الحمود النجدي ، مكتبة الإمام الذهبي ، الكويت ط ٦ ، ١٤٢٥هـ .
- نواسخ القرآن ، لابن الجوزي : أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي الجوزي ، تحقيق : محمد أشرف المليباري ، المدينة المنورة ، مطبوعات عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ، ط ٢ : ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م .
- نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، لأحمد بابا التنبكي ، تقديم : عبدالحميد الهرامة ، ليبيا ، من منشورات كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس ، ط ١ : ١٣٩٨هـ / ١٩٨٩م .
- هدية العارفين بأسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، لمصطفى بن عبدالله الرومي الحنفي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٣هـ .
- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لأبي الحسن : علي بن أحمد الواحدي ، تحقيق : صفوان بن عدنان داوودي ، بيروت ، الدار الشامية ، ط ١ : ١٤١٥هـ / ١٩٨٥م .
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، لأبي الحسن : علي بن أحمد الواحدي ، تحقيق : عادل أحمد عبدالموجود وآخرين ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ١ : ١٤١٥هـ / ١٩٨٤م .
- وضح البرهان في مشكلات القرآن ، لمحمود بن أبي الحسين النيسابوري الغزنوي ، تحقيق صفوان عدنان داوودي ، تقرّظ الشيخ الدكتور مصطفى الحسن ، دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية ، بيروت ، ط ١ : ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .
- وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، لابن خلكان : أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر ، تحقيق : د.إحسان عباس ، بيروت ، دار الثقافة ، ط ١٩٦٨ .

- الوقف والابتداء = القطع والائتناف للنحاس .
- ياقوتة الصراط في تفسير غريب القران ، لأبي عمر محمد بن عبد الواحد البغدادي المعروف بـ غلام ثعلب ، تحقيق و تقديم د/محمد بن يعقوب التركستاني ، مكتبة العلوم و الحكم ، المدينه المنورة ، ط ١ : ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م .

## المخطوطات والرسائل العلمية

أ- المخطوطات :

- التسهيل لعلوم التزئيل ، لمحمد بن أحمد بن جُزَيّ الكلبى .
- ١ . مصورة محفوظة فى مركز الملك فيصل للأبحاث والدراسات الإسلامية برقم (٧٧٥٤) .
- ٢ . الخزانة العامة / الرباط ٣٩/١/٢ [682(D.680)] — ٣١٨ و — ٧٣٩هـ .
- ٣ . الخزانة العامة / الرباط ٢٥/١/٣ [828(D2311)] — ٣٩٤ ص — ١٢٠٩هـ .
- ٤ . الخزانة العامة / الرباط ٢/١ [٣٤] .

ب- الرسائل العلمية :

- الإمام ابن جُزَيّ الكلبى وجهوده فى التفسير من خلال "التسهيل لعلوم التزئيل" ، لعبدالحميد محمد ندا ، رسالة ماجستير فى جامعة الأزهر — أصول الدين ، ١٩٨٠م ، لدى الباحث نسخة مصورة منها فى ٢٩٧ صفحة .
- اختيارات ابن تيمية و ترجيحاته فى التفسير لمحمد المسند ، رسالة لنيل الدكتوراة فى القرآن وعلومه ، إعداد محمد بن عبد العزيز المسند ، إشراف فضيلة الشيخ أ.د/ ابراهيم بن سليمان الهويمل ، ١٤٢٥ .
- تخريج الأحاديث والآثار فى كتاب التسهيل لعلوم التزئيل لابن جُزَيّ الكلبى ، القسم الأول من المقدمة إلى نهاية سورة النور ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير فى كلية الدعوة وأصول الدين ، جامعة أم القرى ، إعداد : سامى مساعد الجهني .
- ترجيحات ابن جُزَيّ الكلبى فى التفسير من خلال كتابه التسهيل لعلوم التزئيل عرضاً ومناقشةً من أول سورة الفاتحة إلى نهاية سورة البقرة ، أطروحة علمية مقدمة لنيل درجة (الدكتوراه) ، لمحمد بن علي بن عبدان الغامدى ، جامعة أم القرى .
- ترجيحات الحافظ ابن كثير — رحمه الله — لمعاني الآيات فى تفسيره ، عرضاً ودراسة ، من أول القرآن إلى آخر سورة التوبة ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير فى كلية القرآن الكريم ، الجامعة الإسلامية ، إعداد : آدم عثمان علي .

- ترجيحات الحافظ ابن كثير لمعاني الآيات في تفسيره ، عرضاً ودراسة ، من سورة يونس إلى نهاية القرآن ، رسالة مقدمة لنيل الدرجة العالمية العالية (الدكتوراه) في كلية القرآن الكريم ، الجامعة الإسلامية ، إعداد : عبدالله بن عبدالعزيز العواجي .
- قواعد الترجيح عند ابن جُزَيِّ في تفسيره ، دراسة تطبيقية ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في كلية التربية ، جامعة الملك سعود ، إعداد : عبدالله بن حمد الجمعان .

### المجلات العلمية

- مجلة الأزهر ، العدد (٥) السنة الثانية والستون (١٤١٠هـ=١٩٨٩م) ، والعدد (١١) السنة الثامنة والستون (١٤١٦هـ=١٩٩٦م) .
- مجلة المجلة - القاهرة - العدد (١٩) - (١٣٧٧هـ=١٩٥٧م) .

### البرامج الإلكترونية

- الجامع الكبير لكتب التراث الإسلامي والعربي ، ١٤٢٨-١٤٢٩هـ الإصدار الرابع ، مركز التراث للبرمجيات .
- مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي ، موقع "مجمع الملك فهد لطباعة المصحف" ، الإصدار الأول .
- المكتبة الشاملة .
- موقع "إسلام أون لاين" .

## فهرس الموضوعات

الموضوع	الصحيفة
ملخص الرسالة	٢
المقدمة	٤
التمهيد : تعريف موجز بابن جُزَيِّ وكتابه "التسهيل لعلوم التنزيل"	١٤
المبحث الأول : اسمه ونسبه ونسبته وكنيته وشهرته	١٥
المبحث الثاني : مولده ونشأته وحياته العلمية	١٨
المبحث الثالث : شيوخه وتلاميذه ومصنفاته	٢١
المبحث الرابع : وفاته	٢٧
المبحث الخامس : مذهبه	٢٨
المبحث السادس : القيمة العلمية لكتاب "التسهيل لعلوم التنزيل"	٣٢
الباب الأول : منهج ابن جُزَيِّ في الترجيح في التفسير	٤٠
الفصل الأول : صيغ الترجيح وأساليبه عند ابن جُزَيِّ	٤١
تمهيد : في معنى الترجيح وموجباته	٤٢
المبحث الأول : التنصيص على خطأ القول وبطلانه	٥٥
المبحث الثاني : التنصيص على ضعف القول أو استبعاده	٥٨
المبحث الثالث : تفضيل القول على غيره بصيغة (أفعل) التفضيل	٦١
المبحث الرابع : تقديم القول الراجح على المرجوح في الذكر	٦٧
المبحث الخامس : التنصيص على تصويب القول أو تصحيحه	٧٢
الفصل الثاني : وجوه الترجيح عند ابن جُزَيِّ	٧٥
المبحث الأول : الترجيح بالنظائر القرآنية	٧٨
المبحث الثاني : الترجيح بالسنة النبوية	٨٠
المبحث الثالث : الترجيح بقول الجمهور وأكثر المفسرين	٨٣
المبحث الرابع : الترجيح بأقوال الصحابة	٨٥
المبحث الخامس : الترجيح بدلالة اللغة أو الإعراب أو التصريف أو الاشتقاق	٨٨
المبحث السادس : الترجيح بدلالة السياق	٩١
المبحث السابع : الترجيح بدلالة الظاهر	٩٤

٩٦	المبحث الثامن : الترجيح بتقديم الحقيقة على المجاز	
٩٩	المبحث التاسع : الترجيح بتقديم العام على الخاص	
١٠١	المبحث العاشر : الترجيح بتقديم الإطلاق على التقييد	
١٠٣	الباب الثاني : عرض لترجيحات ابن جزي في تفسيره ومناقشتها من أول سورة الأنعام إلى آخر سورة يوسف	
١٠٤	ترجيحات ابن جزي في تفسير سورة الأنعام	
الصحيفة	المسألة	الآية
١٠٥	١- الخلاف في المراد بالأجلين في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَضَىٰ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ۗ ﴾ .	٢
١١١	٢- الخلاف في بيان متعلق الجارّ والمجرور ﴿ فِي السَّمٰوٰتِ وَفِي الْاَرْضِ ۗ ﴾ .	٣
١١٥	٣- الخلاف في تفسير القرن وتحديد مدّته .	٦
١٢١	٤- المراد بالأمر المقضيّ في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ اَنْزَلْنَا مَلَكًا لَّقَضِيَ الْاَمْرُ ۗ ﴾ .	٨
١٢٤	٥- الخلاف في المحلّ الإعرابي لقوله تعالى : ﴿ لِيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾ هل هي جملة مستأنفة ؟ أم جملة تفسيرية للرحمة ؟	١٢
١٢٧	٦- معنى ﴿ إِلَىٰ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيٰمَةِ ۗ ﴾ .	١٢
١٣٠	٧- الخلاف في إعراب ﴿ الَّذِينَ ﴾ من قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ خَسِرُوا اَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۗ ﴾ .	١٢
١٣٥	٨- الخلاف في اشتقاق كلمة ﴿ سَكَنَ ﴾ ومعناها .	١٣
١٣٨	٩- الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَلْبَغْ ۗ ﴾ .	١٩
١٤٢	١٠- الخلاف في إعراب قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ خَسِرُوا اَنْفُسَهُمْ ﴾ .	٢٠
١٤٥	١١- الخلاف في عود الضمير المجرور في قوله : ﴿ عَنْهُ ۗ ﴾ .	٢٦
١٥١	١٢- الخلاف في الأمر المخفّي ، وَمَنْ كَانَ يُخْفِيهِ؟ في قوله : ﴿ بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوْا يُخْفُوْنَ مِنْ قَبْلُ ۗ ﴾ .	٢٨

١٥٧	١٣- الخلاف في عايد ضمير ﴿فِيهَا﴾ .	٣١
١٦١	١٤- الخلاف في معنى حمل الأوزار على الظهر في قوله : ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ هل المراد به الكناية ؟ أم الحقيقة ؟	٣١
١٦٥	١٥- الخلاف في معنى قراءة ﴿لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ بالتخفيف .	٣٣
١٧١	١٦- الخلاف في المراد بالكتاب في قوله : ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾	٣٨
١٧٦	١٧- الخلاف في معنى البغته والجهرة في قوله ﴿إِنَّ أَنْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أَوْجَهَةٌ .	٤٧
١٨٠	١٨- الخلاف في مَرَجع ضمير ﴿حَسَابِهِمْ﴾ .	٥٢
١٨٤	١٩- الخلاف في المراد بالشيء الذي استعجلوه في قوله : ﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ .	٥٧
١٨٨	٢٠- الخلاف في المراد بالكتاب المبين في قوله تعالى : ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ .	٥٩
١٩٥	٢١- اختلاف أهل التأويل في معنى العذاب الذي توعد الله به هؤلاء القوم أن يبعثه عليهم من فوقهم أو من تحت أرجلهم.	٦٥
٢٠١	٢٢- المراد بالذي استهوته الشياطين.	٧١
٢٠٥	٢٣- التحقيق في اسم أبي إبراهيم عليه السلام.	٧٤
٢١٣	٢٤- الخلاف في وقت محاجة إبراهيم — عليه الصلاة والسلام — لقومه في الكوكب والقمر والشمس ، وقوله ﴿هَذَا رَبِّي﴾ : هل كان ذلك قبل البلوغ والتكليف ؟ أم بعده ؟ وما وجهه إذن ؟	٧٨-٧٦

٢٢١	٢٥- الخلاف في قائل هذه الإجابة : هل هو إبراهيم ؟ أم أنها خبر من الله وَفَصَّلْ مِنْهُ جَلًّا وَعَلَا بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمِهِ ؟	٨٢
٢٢٤	٢٦- الخلاف في عود الضمير في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ ﴾ .	٨٤
٢٢٩	٢٧- الخلاف في المراد بالقوم في قوله : ﴿ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوا بِهَا بِكُفْرَيْنَ ﴾ .	٨٩
٢٣٣	٢٨- الخلاف في القائلين هذه المقالة : ﴿ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ﴾	٩١
٢٤١	٢٩- الخلاف في معنى قوله : ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَالنَّوَى ﴾ .	٩٥
٢٤٤	٣٠- الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ﴾ .	٩٦
٢٤٩	٣١- الخلاف في الاستقرار والاستيداع في قوله : ﴿ فَسْتَقَرُّوا وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ .	٩٨
٢٥٦	٣٢- الخلاف في معنى ﴿ دَانِيَةٌ ﴾ .	٩٩
٢٥٩	٣٣- الخلاف في المراد بالجنِّ في قوله ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ ﴾ .	١٠٠
٢٦٤	٣٤- الخلاف في معنى ﴿ قُبُلًا ﴾ .	١١١
٢٦٨	٣٥- هل كلمة " مَثَلٌ " لها معنى في قوله : ﴿ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ ﴾ ؟ أم أنها زائدة ؟	١٢٢
٢٧١	٣٦- الخلاف في إعراب ﴿ مُجْرِمِيهَا ﴾ .	١٢٣
٢٧٥	٣٧- المراد بالأجل الذي بلغوه في قوله ﴿ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَنَا ﴾ .	١٢٨
٢٧٧	٣٨- الخلاف في تأويل نُؤَلِّي في قوله : ﴿ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا ﴾ .	١٢٩

٢٨٢	٣٩- الخلاف في معنى قوله ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ .	١٣١
٢٨٦	٤٠- الخلاف في المراد بـ ﴿عَنْقَبَةُ الدَّارِ﴾ .	١٣٥
٢٨٩	٤١- الخلاف في المراد بالمعروضات وغير المعروضات.	١٤١
٢٩٢	٤٢- الخلاف في المراد بالحمولة والفرش .	١٤٢
٣٠٠	٤٣- الخلاف في معنى ﴿الْحَوَايَا﴾ .	١٤٦
٣٠٣	٤٤- الخلاف في مفرد ﴿الْحَوَايَا﴾ ووزنها .	١٤٦
٣٠٧	٤٥- علام عَطِفَتْ ﴿الْحَوَايَا﴾ ؟ وما حكمها إذن ؟	١٤٦
٣١٢	٤٦- الخلاف في إعراب " أن " و " لا " من قوله : ﴿أَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ .	١٥١
٣٢٠	٤٧- الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ ، ومن المراد بالذي أحسن ؟	١٥٤
٣٢٥	٤٨- الخلاف في المراد بالذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا ؟	١٥٩
٣٣٠	٤٩- لمن الخطاب في قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ حَلِيفًا﴾ ؟	١٦٥
٣٣٣	ترجيحاتُ ابن جُزَيِّ في تفسير سورة الأعراف	
الصحيفة	المسألة	الآية
٣٣٤	١- الخلاف في المراد بالخرج في قوله ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ .	٢

٣٤١	٢- الخلاف في المراد بـ دَعَوْتَهُمْ .	٥
٣٤٤	٣- الخلاف في معنى (ما) في قوله: ﴿فِيمَا أَعْوَيْتَنِي﴾ .	١٦
٣٤٧	٤- الخلاف في معنى ﴿أَنْزَلْنَا﴾ من قوله: ﴿قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُؤَرَى سَوَاءَ تَكُمُ وَرِيثًا﴾ .	٢٦
٣٥١	٥- الخلاف في المراد بقوله: ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ هل المقصود المكان؟ أم الزمان؟	٢٩
٣٥٥	٦- الخلاف في معنى الإسراف المنهي عنه في قوله: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ .	٣١
٣٥٨	٧- الخلاف في معنى قوله: ﴿لَا تُفْنَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ .	٤٠
٣٦٣	٨- الخلاف في عايد ضمير ﴿وَبَيْنَهُمَا﴾ .	٤٦
٣٦٦	٩- الخلاف في المراد بالأعراف.	٤٦
٣٧١	١٠- الخلاف في المراد بـ أصحاب الأعراف المذكورين في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ .	٤٦
٣٧٥	١١- الخلاف في القائل: ﴿أَهْتُولَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾، ومن المشار إليه؟	٤٩
٣٧٨	١٢- متى تولى عنهم: قبل نزول العذاب؟ أم بعد هلاكهم؟	٧٩
٣٨٢	١٣- الخلاف في معنى قوله: ﴿أَرْجِيهِ﴾ .	١١١
٣٨٥	١٤- الخلاف في المراد بالطوفان المرسل على فرعون وقومه .	١٣٣
٣٨٨	١٥- الخلاف في معنى ﴿يَعْرِشُونَ﴾ واشتقاقها .	١٣٧
٣٩٣	١٦- الخلاف في المراد بـ دَارَ الْفَاسِقِينَ .	١٤٥
٣٩٩	١٧- ما المراد بالصرف عن آيات الله؟	١٤٦
٤٠٢	١٨- الخلاف في معنى ﴿أَسْفًا﴾ .	١٥٠
٤٠٧	١٩- الخلاف في سبب الرجفة التي أخذتهم .	١٥٥
٤١١	٢٠- هل الرجفة كانت رَجْفَةً مَوْتٍ أو إِعْمَاءٍ؟	١٥٥
٤١٤	٢١- هل قوله تعالى: ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾ يراد به	١٥٦

	أصحاب الرجفة؟ أم هو على العموم؟	
٤١٦	٢٢- الخلاف في إعراب ﴿أَسْبَاطًا﴾ .	١٦٠
٤٢٣	٢٣- الخلاف في العذاب البئيس الذي أخذ الذين ظلموا هل هو المسخُ؟ أم غيره؟	١٦٥- ١٦٦
٤٢٤	٢٤- من المراد بالخلف؟ أهم اليهود أم النصارى؟	١٦٩
٤٢٧	٢٥- الخلاف في معنى أخذِ الذرية ، وإشهادهم المذكور.	١٧٢- ١٧٤
٤٤١	٢٦- الخلاف في القائل : ﴿شَهِدْنَا﴾ من قوله تعالى : ﴿قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ .	=
٤٤٤	٢٧- الخلاف في الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها .. من هو؟	١٧٥- ١٧٦
٤٥١	٢٨- الخلاف في المراد بالآيات التي آتاه الله إياها فانسلخ منها.	=
٤٥٣	٢٩- هل المراد بقوله تعالى : ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ التمثيل أم الحقيقة؟	=
٤٥٦	٣٠- هل قوله تعالى : ﴿وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ منسوخ أم أنه محكم؟	١٨٠
٤٥٨	٣١- ما معنى الإلحاد في أسماء الله؟	=
٤٦٢	٣٢- هل الأولى أن يوصل قوله : ﴿أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ بما بعده فيكون معموله هو قوله : ﴿مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ﴾؟ أم الأولى أن يوقف عليه ويكون قوله : ﴿مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ﴾ خبراً استئنافياً؟	١٨٤
٤٦٦	٣٣- الخلاف في معنى ثقل الساعة في السماوات والأرض.	١٨٧
٤٧٠	٣٤- الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ .	=
٤٧٤	٣٥- هل قوله تعالى : ﴿وَمَا مَسْنِي السُّوءِ﴾ معطوف على ما قبله أم هو استئناف؟ وما تفسير ﴿السُّوءِ﴾؟	١٨٨
٤٧٧	٣٦- هل قوله تعالى : ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يتعلق بقوله : ﴿نَذِيرٌ﴾	=

	وَبَشِيرٌ ﴿١﴾ ؟ أم يتعلّق بـ ﴿بَشِيرٌ﴾ وحدها ؟	
٤٨١	٣٧- من المقصود بقوله تعالى : ﴿مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ ؟	١٨٩- ١٩٠
٤٨٣	٣٨- الخلاف في معنى الحمل الخفيف .	=
٤٨٦	٣٩- الخلاف في تفسير قوله تعالى : ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾	=
٤٩٥	٤٠- الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿حُذِيَ الْعَفْوَ﴾ .	١٩٩
٥٠٠	٤١- الخلاف في المراد بالعُرف .	=
٥٠٣	٤٢- خلاف أهل التأويل في قوله تعالى : ﴿وَأَعْرَضَ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ بين الإحكام والنسخ .	=
٥٠٦	٤٣- بِمَ يتعلّق الجار والمجرور ﴿فِي الْغَيِّ﴾ ؟	٢٠٢
٥٠٩	٤٤- الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿أُجْتَبِيَتْهَا﴾ .	٢٠٣
٥١٣	٤٥- الخلاف في الإنصات المأمور به في قوله تعالى : ﴿فَأَسْتَمِعُوا لَهُ﴾ وَأَنْصِتُوا ﴿١﴾ .	٢٠٤
٥١٩	٤٦- الخلاف في المراد بـ الغدوّ والأصال .	٢٠٥
٥٢٢	ترجيحاتُ ابنِ جُزَيِّ في تفسير سورة الأنفال	
الصحيفة	المسألة	الآية
٥٢٣	١- الخلاف في معنى الأنفال .	١
٥٣٠	٢- ما معنى ﴿ذَاتَ﴾ في قوله تعالى : ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ ؟	=
٥٣٤	٣- الخلاف في موضع الكاف من قوله تعالى : ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾ .	٥
٥٣٩	٤- الخلاف في موقع ﴿إِذْ﴾ في قوله تعالى : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾	٩
٥٤٣	٥- الخلاف في معنى ﴿فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ .	١٢
٥٤٩	٦- الخلاف في المراد بالبنان في قوله تعالى : ﴿وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ .	=
٥٥٣	٧- الخلاف في إعراب ﴿مُتَحَرِّقًا﴾ .	١٦

٥٥٦	٨- لمن الخطاب في قوله: ﴿إِنْ تَسْتَفْهِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ الآية؟ هل الخطاب لكفار قريش؟ أم للمؤمنين؟	١٩
٥٦١	٩- الخلاف في قائل هذه المقالة ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ﴾ الآية.	٣٢
٥٦٤	١٠- الخلاف في عائد الضمائر في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ هل تعود كلها على الكفار؟	٣٣
٥٦٩	١١- الخلاف فيم نزلت الآية الكريمة ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾	٢٦
٥٧٣	١٢- الخلاف في المراد الخبيث والطيب في قوله تعالى: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ .	٣٧
٥٧٦	١٣- الخلاف في المراد بالهلاك والحياة بين الحقيقة والحجاز .	٤٢
٥٧٩	١٤- الخلاف في المراد بالمنافقين في قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ هل هم منافقوا المدينة؟ أم الذين كانوا مع الكفار بمكة؟	٤٩
٥٨٢	١٥- الخلاف في المراد بالأدبار في قوله: ﴿الْمَلَأْتِكُمْ بَضْرِيُونَ وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ﴾ .	٥٠
٥٨٥	١٦- الخلاف في المراد بالآخرين في قوله تعالى: ﴿وَالْآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمْ﴾ .	٦٠
٥٩٠	١٧- الخلاف في معنى قوله تعالى: ﴿حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنْ اتَّبَعَكَ﴾ .	٦٤
٥٩٧	١٨- الخلاف في المعنى المراد بالكتاب الذي سبق من الله .	٦٨
٦٠٢	١٩- الخلاف في الولاية بين المهاجرين والأنصار ، هل هي ولاية التعاون والتناصر؟ أم هي ولاية الميراث؟	٧٢
٦٠٨	٢٠- الخلاف في المراد بـ كَتَبَ اللَّهُ المذكور في قوله: ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ .	٧٥

ترجيحات ابن جزي في تفسير سورة التوبة		
الآية	المسألة	الصحيفة
٣	١- الخلاف في يوم الحج الأكبر ، أي يوم هو؟	٦١٢
٨	٢- الخلاف في تفسير "الإل" والمراد به في قوله تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾ .	٦٢١
١٢	٣- من هم أئمة الكفر في قوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ ؟	٦٢٥
١٤	٤- الخلاف في المراد بالقوم المؤمنين في قوله تعالى: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾	٦٢٨
١٧	٥- الخلاف في معنى شهادة المشركين على أنفسهم بالكفر.	٦٣١
٢٣	٦- الخلاف فيمن نزلت هذه الآية: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ .	٦٣٣
٢٥	٧- الخلاف في إعراب ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ .	٦٣٥
٢٩	٨- الخلاف في تأويل قوله تعالى: ﴿عَنْ يَدٍ﴾ بين الحقيقة والكناية	٦٣٩
٣٠	٩- اختلاف أهل التأويل في القائل: ﴿عَزِيزُ بْنُ اللَّهِ﴾ .	٦٤٢
٣٤	١٠- الخلاف في عائد الضمير في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَهَا﴾ .	٦٤٦
٣٦	١١- الخلاف في المراد بـ كِتَابِ اللَّهِ في قوله تعالى: ﴿أثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ .	٦٥١
٣٦	١٢- الخلاف في عائد الضمير في قوله: ﴿فِيهِنَّ﴾ من قوله تعالى: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ .	٦٥٥
٤٠	١٣- الخلاف في عائد الضمير في قوله: ﴿عَلَيْهِ﴾ من قوله تعالى: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ .	٦٥٨
٤٣	١٤- الخلاف في معنى قوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لَهُمْ﴾	٦٦٥

٦٦٩	١٥- الخلاف فيمن نزل فيه قول الله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴾ الآية .	٥٨
٦٧٢	١٦- الخلاف في المراد بـ المؤلفة قلوبهم .	٦٠
٦٧٦	١٧- الخلاف في إعراب ﴿ فَأَتَى لَهُ ﴾ .	٦٣
٦٨١	١٨- الخلاف في عائد الضمائر في ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ و ﴿ نُنَبِّئُهُمْ ﴾ و ﴿ قُلُوبِهِمْ ﴾ .	٦٤
٦٨٤	١٩- الخلاف في معنى ﴿ الَّذِي ﴾ من قوله تعالى : ﴿ وَخُضِّمَ كَالَّذِي خَاضُوا ﴾ .	٦٩
٦٨٨	٢٠- فيمن نزلت هذه الآية : ﴿ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ ﴾ .	٧٤
٦٩١	٢١- ما المراد بالهم بما لم ينله ؟ في قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ أَيْمَانًا لَمْ يَنَالُوا ﴾ .	٧٤
٦٩٤	٢٢- الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ .	٨٠
٦٩٨	٢٣- الخلاف في معنى ﴿ خَلَفَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ خَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ .	٨١
٧٠٣	٢٤- الخلاف في معنى أمرهم بالضحك القليل والبكاء الكثير .	٨٢
٧٠٦	٢٥- الخلاف في المراد بالسورة في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةً أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ ﴾ الآية .	٨٦
٧٠٨	٢٦- الخلاف في المراد بالضعفاء المنفي عنهم الحرج في الآية .	٩١
٧١٢	٢٧- الخلاف في عذاب المنافقين المرّة الأولى في قوله تعالى : ﴿ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ﴾ .	١٠١
٧١٦	٢٨- الخلاف في عائد الضمير في ﴿ يَعْلَمُوا ﴾ .	١٠٤
٧١٩	٢٩- الخلاف في عاقبة مسجِدِ الضَّرَّارِ .	١٠٩
٧٢٤	٣٠- الخلاف في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ﴾	١١٣

	ءَامَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ .	
٧٣١	٣١- الخلاف في معنى ﴿ خَلْفُوا ﴾ .	١١٨
٧٣٥	٣٢- الخلاف في الثَّر الذي كَرِهَهُ اللهُ لجميع المؤمنين في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً ﴾ .	١٢٢
٧٤٠	٣٣- الخلاف في وَجِهٍ نظر بعض المنافقين إلى بعض عند نزول سورة من القرآن .	١٢٧
٧٤٢	ترجيحات ابن جُزَيِّ في تفسير سورة يونس	
الصحيفة	المسألة	الآية
٧٤٣	١- الخلاف في محل الهداية في قوله تعالى : ﴿ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ﴾ هل هو في الدنيا إلى الاستقامة ؟ أم في الآخرة إلى الجنة ؟	٩
٧٤٧	٢- الخلاف فيمن نزلت هذه الآية : ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ ﴾ .	١١
٧٥٢	٣- الخلاف في تسمية دار السلام بذلك .	٢٥
٧٥٥	٤- الخلاف في تفسير ﴿ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ .	٢٦
٧٦٤	٥- هل قوله تعالى : ﴿ وَمَنْهُمْ مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِءِ وَمَنْهُمْ مَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِءِ ﴾ إخبارٌ عن المستقبل ؟ أم إخبار عن الحال ؟	٤٠
٧٦٦	٦- عن أي شيء الاستنباء في قوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ ﴾	٥٣
٧٦٩	٧- الخلاف في معنى كلمة ﴿ وَأَسْرُوا ﴾ .	٥٤
٧٧٣	٨- الخلاف في المراد بالفضل والرحمة .	٥٨
٧٧٧	٩- الخلاف في عائد الضمير في قوله ﴿ مِنْهُ ﴾ من قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَلَوْا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ ﴾ .	٦١
٧٨٠	١٠- الخلاف في تفسير بشرى الدنيا في قوله تعالى : ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ .	٦٤
٧٨٨	١١- الخلاف في ( مَا ) من قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَتَّبِعِ الَّذِينَ يَدْعُونَ ﴾	٦٦

	مِن دُونَ اللَّهِ شُرَكَاءَ ﴿ هل هي نافية ؟ أم استفهامية	
٧٩١	١٢- ﴿ أَسِحْرٌ هَذَا ﴾ هل هو من كلام قوم فرعون ؟ أم من كلام موسى عليه السلام ؟	٧٧
٧٩٥	١٣- الخلاف في عايد الضمير في قوله تعالى : ﴿ مِّن قَوْمِهِ ﴾	٨٣
٨٠٠	١٤- الخلاف في عايد ضمير ﴿ وَمَلَائِهِمْ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِمْ ﴾ .	٨٣
٨٠٤	١٥- الخلاف في معنى ﴿ قِبَلَهُ ﴾ من قوله تعالى : ﴿ وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبَلَهُ ﴾ .	٨٧
٨٠٩	١٦- لمن الأمر بالتبشير في قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	٨٧
٨١١	١٧- الاختلاف في معنى "اللام" التي في قوله تعالى : لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ .	٨٨
٨١٧	١٨- الخلاف في معنى ﴿ تُنَجِّيكَ ﴾	٩٢
٨٢٠	١٩- الخلاف في معنى "البدن" في قوله تعالى : ﴿ فَالْيَوْمَ تُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾	٩٢
٨٢٤	٢٠- الخلاف في المراد بقوله : ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ فَإِن كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾	٩٤
٨٢٧	٢١- من المراد بالذين يقرؤون الكتاب من قبل النبي > ؟	٩٤
٨٢٩	٢٢- الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ . وهل الآية منسوخة بالسيف ؟	٩٩
٨٣٢	ترجيحات ابن جُزَيِّ في تفسير سورة هود	
	المسألة	الآية
٨٣٣	١- الخلاف في المراد بالمتاع الحسن في قوله تعالى : ﴿ يُمْنِعْكُمْ مِّنْعَا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ .	٣
٨٣٦	٢- الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا	٥

	يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿﴾ ، وما العامل في ﴿ جَيْنَ ﴾ ؟	
٨٤٠	٣- الخلاف في المراد بالإنسان في قوله تعالى : ﴿ وَلَيْنَ أَذْقَنَا الْإِنْسَانَ مِتَارِحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكْفُرُ كَكْفُورٍ ﴾ .	١٠-٩
٨٤٤	٤- مَنِ الْمَخَاطِبُ وَمِنِ الْمَخَاطَبُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَالْوَيْسَتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ ﴾ ؟	١٤
٨٤٧	٥- الخلاف فيمن نزلت هذه الآية الكريمة : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ الآية .	١٦-١٥
٨٥١	٦- الخلاف في المراد بالشاهد في قوله تعالى : ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ ﴾ .	١٧
٨٥٧	٧- الخلاف في معنى المثل في قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ﴾ .	٢٤
٨٦١	٨- الخلاف في إعراب ( بادي الرأي ) في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا بِادِي الرَّأْيِ ﴾ .	٢٧
٨٦٤	٩- الخلاف في عائد ضمير ﴿ يَقُولُونَ ﴾ و ﴿ أَفْتَرَنَهُ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَهُ ﴾ الآية .	٣٥
٨٦٨	١٠- الخلاف في المراد بالتنوير في قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ ﴾ .	٤٠
٨٧٢	١١- الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ .	٤٦
٨٧٩	١٢- الخلاف في عائد الضمير في قوله : ﴿ إِنَّهُ ﴾ من قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ ﴾ .	٤٦
٨٨٥	١٣- الخلاف في معنى ( مِنْ ) في قوله تعالى : ﴿ وَعَلَىٰ أُمُومٍ مِّمَّنْ مَعَكَ ﴾ هل هي ابتدائية أم بيانية ؟	٤٨
٨٨٨	١٤- الخلاف في معنى ﴿ وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ .	٦١

٨٩١	١٥- الخلاف في معنى ﴿مَرْجُوءًا﴾ من قوله تعالى : ﴿قَالُوا يَنْصَلِحْ قَدَّ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوءًا قَبْلَ هَذَا﴾ .	٦٢
٨٩٣	١٦- الخلاف في معنى ﴿فَضَحِكْتَ﴾ .	٧١
٨٩٩	١٧- الخلاف في معنى الالتفات في قوله تعالى : ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ .	٨١
٩٠١	١٨- الخلاف في علامة الحجارة التي أُمطِرَ بها قومُ لوطٍ . في قوله تعالى : ﴿مُسَوَّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ﴾	٨٢-٨٣
٩٠٤	١٩- الخلاف في عائد الضمير ﴿هِيَ﴾ والمراد بالظالمين في قوله تعالى : ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ .	٨٢-٨٣
٩٠٨	٢٠- الخلاف في معنى ﴿ضَعِيفًا﴾ من قوله تعالى : ﴿وَإِنَّا لَنَرُّكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ .	٩١
٩١٣	٢١- الخلاف في فاعل ﴿يَأْتِ﴾ ، علامَ يعود ؟	١٠٥
٩١٦	٢٢- الخلاف في معنى الزفير والشهيق في قوله تعالى : ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيْقٌ﴾ .	١٠٦
٩١٩	٢٣- المراد بالظالمين في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَزْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ النَّارُ﴾ .	١١٣
٩٢١	٢٤- هل الاستثناء منقطع أم متصل ؟ في قوله تعالى : ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ .	١١٦
٩٢٥	ترجيحاتُ ابنِ جُزَيِّ في تفسير سورة يوسف	
الصحيفة	المسألة	الآية
٩٢٦	١- الخلاف في المراد بتأويل الأحاديث في قوله تعالى : ﴿وَيَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ .	٦
٩٣٠	٢- الخلاف في المراد بالسائلين .	٧

٩٣٣	٣- الخلاف في تقدير جواب لَمَّا في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ ﴾ الآية .	١٥
٩٣٧	٤- الخلاف في عائد ضمير ﴿ إِلَيْهِ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا ﴾ الآية .	١٥
٩٣٩	٥- الخلاف في معنى قوله : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ .	١٧
٩٤٢	٦- الخلاف في السَّيَّارَةِ ، من هم ؟	١٩
٩٤٤	٧- الخلاف في معنى قوله : ﴿ يَكْبُشْرَى ﴾ ، ومن المُنَادَى ؟	١٩
٩٤٩	٨- الخلاف في عائد الضمير المرفوع في قوله : ﴿ وَشَرَّوهُ ﴾ .	٢٠
٩٥٤	٩- الخلاف في معنى البَخْسِ في قوله تعالى : ﴿ يَشْمَبُ بِبَخْسٍ ﴾ .	٢٠
٩٥٨	١٠- الخلاف في عائد الضمير في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ﴾ .	٢١
٩٦١	١١- الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ، وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ .	٢٤
٩٨٠	١٢- الخلاف في معنى ﴿ شَعَفَهَا ﴾ من قوله تعالى : ﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾ .	٣٠
٩٨٤	١٣- الخلاف في معنى ﴿ مُتَّكَا ﴾ .	٣١
٩٩٢	١٤- الخلاف في معنى ﴿ أَكْبَرْنَاهُ ﴾ من قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَاهُ أَكْبَرْنَاهُ ﴾ .	٣١
٩٩٧	١٥- الخلاف في قوله : ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأَكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ﴾ هل هو من الإخبار بالغيب ؟ أم من تعبير الرؤيا؟	٣٧
١٠٠٠	١٦- من هو الملك المذكور في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ ﴾ الآية ؟	٤٣
١٠٠٣	١٧- الخلاف في المراد بالأحلام في قوله تعالى : ﴿ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ ﴾ .	٤٤

	بِعَلَمَيْنِ ﴿﴾ .	
١٠٠٦	١٨- الخلاف في عائد ضمير ﴿يَعْرِفُونَهَا﴾ في قوله تعالى : ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ﴾ .	٦٢
١٠٠٨	١٩- كيف جاز ليوسف - عليه السلام - أن يجعل السقاية في رحل أخيه ، ثم يُسْرِقُ قومًا أبرياء من السرقة ، ويقول : ﴿أَيُّهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ ؟	٧٠
١٠١١	٢٠- الخلاف في إعراب (مَا) من قوله تعالى : ﴿وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ .	٨٠
١٠١٥	٢١- الخلاف في القائل : ﴿أَرْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ﴾ الآية . هل هو كبيرهم أم يوسف ؟	٨١
١٠١٧	٢٢- الخلاف في معنى قوله تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾	٨١
١٠٢٠	٢٣- الخلاف في قوله تعالى : ﴿وَسَأَلَ الْقَرْيَةَ﴾ بين الحجاز والحقيقة .	٨٢
١٠٢٦	٢٤- الخلاف في المراد بالبضاعة المزجاة .	٨٨
١٠٣٢	٢٥- الخلاف في معنى ﴿يَتَّقِي وَيَصْبِرُ﴾ .	٩٠
١٠٣٤	٢٦- الخلاف في الوقف على ﴿الْيَوْمَ﴾ من قوله تعالى : ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ .	٩٢
١٠٣٩	٢٧- الخلاف في القميص لمن هو ؟	٩٣
١٠٤١	٢٨- الخلاف في معنى ﴿تَفْنِدُونَ﴾ .	٩٤
١٠٤٥	٢٩- الخلاف في المراد بأبويه في قوله تعالى : ﴿ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ .	٩٩
١٠٤٨	٣٠- اختلاف أهل العلم في قدر المدة التي كانت بين رؤيا يوسف وبين تأويلها .	١٠٠
١٠٥٠	٣١- قوله : ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ هل هو دعاء بالموت ؟ أم دعاء بالوفاة على الإسلام ؟	١٠١
١٠٥٣	٣٢- الخلاف في المراد بالناس في قوله تعالى : ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ﴾	١٠٣

	وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٣﴾ .	
١٠٥٥	٣٣- الخلاف فيمن نزل قول الله تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ .	١٠٦
١٠٥٩	٣٤- الخلاف في إعراب ﴿ عَلَيَّ بِصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ .	١٠٨
١٠٦١	٣٥- الخلاف في المراد باستيئاس الرسل ، مِمَّ هو ؟ في قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ ﴾ .	١١٠
١٠٦٥		الخاتمة
١٠٦٧		ملحق تراجم الأعلام
١١٢٠		الفهارس العامة